المجموعة الأولى

تنبيه الأمة
على مسائل وأحكام
شرعية مهمة

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري
الدوحة-قطر

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جوّال: ٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨+
فاكس: ٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨+
المكتبة: ٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨+
Email: albukharibooks@gmail.com

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن من توفيق الباري سبحانه وتعالى أن يسر لي كتابة بعض المقالات العلمية في جريدة (الشرق القطرية)[١]، وقد تطرقْتُ بفضل الله فيها إلى مواضيع هامة متنوعة، اشتملت على التوحيد، والأخلاق، وتزكية النفس، وتحذير الناس من خطورة البدع وأهلها، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تُروى في فضائل بعض الشهور.

وحفظا للعلم ورغبةً في انتشار الخير، ونصيحةً من بعض الفضلاء، قمت بعون الله بجمعها في مجموع سميته (تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة) وذلك لتيسير الاستفادة منها أكثر بإذن الله، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وأحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تُحْصى، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن مصنفه ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فالله ﷻ (أبى أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ)[٢].

---

(١) وقد قام أحد الإخوة الأفاضل بنشرها أيضا في بعض المواقع العلمية، كـ(ملتقى أهل الحديث)، فجزاه الله خيرا، وكتب أجره.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٤).

فيا أيها القارئ الكريم (هذه بضاعة مؤلِّفه المُزْجاة تُساق إليك، وسلعتُه تُعرض عليك، فلقاريه غُنْمُه وعلى مؤلفة غُرْمُه)[١].

فما وجدْتَ فيها أيها الفاضل من صواب فلا تَحرمنا من صالح دعائك، وما كان فيها من خطأ فصوِّبْه، فصاحبها لا يُبرئ نفسه من الخلل والفتور والنقص، والله المستعان.

فرحم الله أخا محبًا ناصحًا، وجد وَهَنًا فنصح، أو وجد خللاً فأصلح، ومن مِنَّا أيها الكرام يَسْلم من الخطأ كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي، ونحن نخطئ ومن يسلم من الخطأ؟)[٢].

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل ما كُتب خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبو عبد الله حمزة النايلي
(الخريطيات / قطر)

---

(١) عدة الصابرين (ص٦).
(٢) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦)، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦).

الشهرة وموقف السلف منها

الشهرة وموقف السلف منها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما ابتلي به بعض الدعاة إلى الله اليوم أيها الأحبة، البحث عن الشهرة وحب الظهور!! والله المستعان.

وليس الأصل في الشهرة أيها الكرام الذم، وإنما الذم لمن يسعى في طلبها والتحلي بها بين الناس.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أحبَّ أن يُذكر لم يذكر ومن كره أن يُذكر ذُكر)[١].

وكلام هذا الإمام متين لمن أمعن النظر فيه وقرأ في تاريخ أمة محمد ﷺ فنجد أن الذين رفع الله ذكرهم وبقي ثناء الناس عليهم بعد مماتهم، هم أهل الزهد في الشهرة والذكر وأهل الإخلاص من أهل السنة والجماعة، قيل لأبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أناسًا يجلسون في المسجد، ويُجلس إليهم؟ فقال: (من جلس للناس جلس الناس إليه،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٣٢).

ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم، وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول ﷺ، فكان لهم نصيب من قوله تعالى:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] وأهل البدع شنئوا ما جاء به رسول الله ﷺ، فكان لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر :٣])[(١)].

فأهل الإخلاص والصدق أيها الكرام من هذه الأمة من أهل السنة والجماعة هم مَنْ أعلى الله شأنهم وأبقى ذكرهم بين الناس - نحسبهم والله حسيبهم - كالأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، كذا ابن المبارك والبخاري ومسلم وابن تيمية وابن القيم وابن رجب والذهبي وابن باز والألباني وابن عثيمين، وغيرهم كثير - رحمهم الله جميعًا -.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله، فيحبه الناس وفي رواية (فيثني عليه الناس) فقال ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»[(٢)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق، ثم يُوضَع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٥٢٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٤٢).

غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم)[١].

فعلى المؤمن أن لا يريد بعمله رضا الناس، بل عليه أن يرجو وجه الله، وهو سبحانه مَنْ يُعْلي ذِكْرَه ويرفع شأنه ويرزقه محبة الناس.

والمطلع أيها الأحبة في تراجم سلفنا الصالح يرى شدة حرصهم على إخفاء أعمالهم وعدم الظهور والبروز، رغبة منهم في طلب الإخلاص والبعد عن مواطن الرياء والشهرة، - نحسبهم والله حسيبهم - والآثار الواردة عنهم تشهد لذلك وتؤيده منها:

قال محمد بن العلاء رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس)[٢].

وقال أيوب السِّخْتياني رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذُكرت ولا أحب أن أُذْكر)[٣].

ويقول مُطَرِّف بن عبد الله الشِّخِّير رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن أبيت نائمًا وأصبح نادما أحب إلي من أبيت قائمًا وأصبح مُعجبًا)[٤].

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على كلامه: (لا أفلح واللهِ مِنْ زكى نفسه أو أعجبته)[٥].

وقد التقى سفيان الثوري مع الفضيل بن عياض - رحمهما الله -

---

(١) شرح على مسلم (١٦/ ١٨٩).
(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (٣٦).
(٣) السير للذهبي (٦/ ٢٢).
(٤) الزهد لابن المبارك (٤٤٨).
(٥) السير (٤/ ١٩٠).

فتذاكرا فبكَيَا، فقال سفيان الثوري: (إني لأرجو أن يكون مجلسي هذا أعظم مجلس جلسناه بركة)، فرد الفضيل: قال: ترجو!؟، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤمًا؛ أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي، وتزينتُ لك به، فعبدتني وعبدتك. فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: (أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ اللَّهُ)[١].

وهذا محمد بن يوسف الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يشتري خبزه من خباز واحد، وكان يقول: (لعلهم يعرفونني فيحابوني فأكون ممن يعيش بدينه)[٢].

ويقول رجاء بن أبي سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ: نُبِّئْتُ أن ابن مُحَيْرِيز دخل على رجل من البَزَّازين يشتري شيئا فقال له رجل حاضر: أتعرف هذا؟هذا ابن محيريز، فقال ابن محيريز: (إنما جئنا لنشتري بدراهمنا ليس بديننا)[٣].

وإنما سقت بعض هذه الآثار أيها الأحبة، لنقارن بين حال سلفنا الصالح وحال بعض الدعاة اليوم إلا من رحم الله، حيث تجد البعض منهم! يتسابق من أجل الظهور في تلك القناة أو الأخرى وتكون الحصرية لبرنامجه أو لقائه!، وتجد الآخرين! يتباهَوْن بكثرة مشاهديهم ومن يترقب أخبارهم على مواقع التواصل!، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

ومما يجدر التنبيه عليه أني لا أعني أننا نترك الدعوة إلى الله والعمل

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٧/ ٦٤).

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٠٠). (٣) الحلية لأبي نعيم (٥/ ١٣٩).

من أجل الخوف من الشهرة، بل القصد من هذه المقالة التذكير بالمنهج الذي سلكه خيار هذه الأمة لنهتدي بهديهم، ونقتفي آثارهم بالابتعاد عن مواطن الشهرة والسعي لتحصيلها، ولهذا أحببت في الختام أن أنهي هذه الذكرى بوصايا لعلها تنفع كاتبها وقارئها بإذن الله، سائلا الباري سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل وأن يبصرنا بديننا، ويعيننا على إحياء سنة نبينا ﷺ والسير عليها، والتأسي بهدي سلفنا الصالح (رحمهم الله).

■ **الوصايا:**

١ - **علينا أن نتقي الله في السر والعلانية:** وهي الوصية التي أوصى الله بها الأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، فمن تقواه سبحانه أن نجاهد أنفسنا على الإخلاص والعمل لوجهه سبحانه.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرًا وشرعًا، فتصرفه الشرعي أنْ وَصَّى الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب)[١].

(١) تفسير السعدي (ص٢٠٧).

٢ - **لا بد من محاسبة أنفسنا ولا نغتر بمدح الناس والشهرة عندهم:** فالناس لا يعلمون سرائرنا، ولهذا قال بعض السلف: (إذا جلست واعظا للناس فاعلم أنهم يراقبون ظاهرك، واللهُ يراقب باطنك)[(١)].

وقال آخر: (لا تكن وليًّا لله في العلانية عَدُوًّا له في السر)[(٢)].

٣ - إذا رأينا محبة الناس لنا فعلينا أن نُكثر من حمد الله وشكره لأنه سبحانه هو الذي وهب لنا هذه النعمة.

٤ - لا نعتقد أن من اشتهر اسمه وذاع صيته خير وأحب إلى الله ممن لا يعرف ولم يشتهر، فلا ندري من هو التقي؟ والله أعلم بالمتقين.

٥ - علينا أن نعتقد أن الشهرة ابتلاء من الله، لينظر سبحانه أنشكر أم نجحد؟ ولننظر ماذا قال نبي الله سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة)[(٣)].

٦ - إذا جاء الشيطان لأحدنا وقال له: ابتعد عن ميدان العلم والدعوة، لأنها سبب في الشهرة، والشهرة فتنة. فإياك أن تستجيب له

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٦٦).
(٢) الحلية لأبي نعيم (٥/ ٢٢٨).
(٣) تفسير السعدي (ص٦٠٥).

وتترك الطريق، فعليك أن تتوكل على العزيز الرحيم، وتسأله القبول والإخلاص وتبتعد عن السعي وراءها.

٧ - **وفي الختام:** ما أجمل أن تكون مع شهرتك إنسانًا متواضعًا بسيطًا يسيرًا في حياتك مع الناس، وانظر لحال سيد ولد آدم أجمعين ﷺ فهو مع شهرته ﷺ سيدُ المتواضعين، وعلى هذا سار السلف الصالح (رضوان الله عليهم)، واعلم أن تواضعك الصادق يزيد من حب الناس وتقديرهم واحترامهم لك بإذن الله.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العالم الرباني

العالم الرباني

إن العلماء الربانيين هم ورثة الأنبياء يهدون إلى الحق ويرشدون إليه، فهم منارات الهدى ومصابيح الدُّجَى، الذين ينيرون للناس الطريق، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا العلماءَ: (هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يَهْتدي الحيران في الظلماء، وحاجةُ الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب..)[١].

قال الإمام الآجُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فما ظنكم - رحمكم الله - بِطريقٍ فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه مصباح وإلا تحيروا، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناسِ لابد لهم من السلوك فيه، فسلكوا، فبينما هم كذلك، إذ طُفئت المصابِيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بِهِم؟ هكذا العلماء في الناسِ لا يعلم كثير من الناسِ كيف أداء الفرائضِ، وكيف اجتناب المحارِمِ، ولا كيف يعبد الله في جميعِ ما يعبده به خلقه، إلا بِبقاءِ العلماءِ، فإذا مات العلماء تحير الناس، وَدَرَسَ العلم بِموتهم، وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجِعون مصيبة ما أعظمها على المسلمين!!)[٢].

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٩).

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص٩٦).

وصدق من قال:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدِلاَّء[١]

ولعلكم أيها الأحبة الكرام تتساءلون وحُقَّ لكم ذلك، زادكم الله حرصًا، من هو العالم الرباني؟ وما هي صفاته؟

فهلم بنا لنتعرف عليه:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومُرَبِّيهم بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل)[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمةُ الدين من الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٠٦).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٦).

يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين)[١].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة :٦٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَلاَّ ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والحكمة - عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمرُ الناس ونهيُهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر)[٢].

أيها الأحبة مَنْ تدبر هذه الآيات وجد:

- أن الله ربط بين العالم الرباني ودراسة الكتاب والحكمة.

- وُصِف الرباني بأنه استُحْفِظ كتابَ الله وكان عليه شهيدًا.

- وُصِف الرباني بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

فالرباني أيها الأحبة هو العالم العامل المعلم الفقيه البصير بحال الناس.

قال الإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: (واحدهم رباني وهم العلماء المعلمون)[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٣٢).
(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٧).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤١٣).

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)[١].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله ﷺ: «**الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»[٢]: (وفيه تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده، فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منه ما يُطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه)[٣].

ومن سنن الله عز وجل الكونية، أنْ يقِلَّ العلم مع مرور الزمان ويفشو الجهل، ومصداقُ ذلك قولُه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[٤]

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٤٤هـ): (قد وجد ذلك في زماننا كما أخبر به عليه الصلاة والسلام)، قال الشيخ قطب الدين (ت٧٣٥هـ) قلت: (هذا قوله مع تَوَفُّرِ العلماء في زمانه، فكيف بزماننا؟)، قال العيني (ت ٨٥٥هـ): (هذا قوله مع كثرة الفقهاء والعلماء من المذاهب الأربعة والمحدثين الكبار في زمانه، فكيف بزماننا الذي خلت البلاد

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٦٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١) و الترمذي (٢٦٨٣) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٩).

(٤) البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٧٧٣) واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عنهم وتصدرت الجهال بالإفتاء والتعين في المجالس والتدريس في المدارس؟!، فنسأل الله السلامة والعافية)[١].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: بكى ربيعة يوما بكاء شديدًا فقيل له: أمصيبةٌ نزلت بك؟ فقال: (لا! ولكن استفتي من لا علم عنده وظهر في الإسلام أمر عظيم)[٢].

هذا كلام هؤلاء الأئمة الأعلام في زمانهم!، حيث كان العلم منتشر، والعلماء متوافرين؟، فكيف نعبر عن حالنا في هذا الزمان؟! وماذا نقول عنه؟!، حيث قَلَّ فيه مثيل العالم الرباني وعَزَّ وجوده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلهذا علينا أيها الكرام الحرص على معرفة صفات العالم الرباني الراسخ في العلم للرجوع إليه والأخذ بأقواله، فيكون لنا بذلك النجاة والثبات على الحق بإذن الله.

وإليكم أيها الأحبة بعض صفاته:

- تقوى الله وخشيته في السر والعلانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر :٢٨]، ومن خشيته سبحانه عَمَلُ العالم بمقتضى علمه، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنما العِلْمُ خَشْيةُ الله)[٣].

- استقامته على المنهج القويم، منهج أهل السنة والجماعة، وهدي

---

(١) عمدة القاري للعيني (٢/ ٨٣).

(٢) الباعث على إنكار البدع لأبي شامة (ص ١٧٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠٦).

السلف الصالح، عقيدة صحيحة بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك والبدع وأهلها، وعملاً وأخلاقًا، فله في رسول الله ﷺ، وسلفه الصالح رضي الله عنهم أسوة حسنة.

▪ زهده في الدنيا وعدم الاغترار بالمناصب العالية ولا يهوى الرياسة الفانية، فهذا الإمام أحمد رحمه الله (عن الدنيا ما كان أصبرَه، وبالماضيين ما كان أشبهه، أتته البدع فنفاها، والدنيا فأباها)[١].

▪ ويُعْرف العالم الرباني بثباته في الفتن المضلة، ورسوخ قدمه في مواطن الشبهات، حين تضلُّ الأفهام وتزل الأقدام، قال ابن القيم رحمه الله: (الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات بل إذا وردت عليه رَدَّها حَرَسُ العلمِ وجيشُه مغلولةً مغلوبةً...)[٢].

فالحذر كل الحذر أيها القراء الكرام من أهل السوء والجهل الذين يرمون علمائنا الربانيين بعدم فقه الواقع، والقضايا العصرية، والله المستعان، فيا سبحان الله! كيف يجهل حملة الشريعة وورثة الأنبياء فقه الواقع، ثم يدركه هؤلاء؟!.

ولكن إذا عُرف السبب بطل العجب! فهؤلاء القوم أرادوا بهذه الشبهة صَرْفَ الناس زمن الفتن عن العلماء، وفَقْدَ الثقة بهم ليخلو لهم

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ١٠).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

الجو في توجيههم وفق ما يريدون! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، إن لحوم العلماء مسمومة، وعادةُ الله في هتك أستار مُنْتقِصِيهم معلومةٌ، لأن الوقيعة فيهم - بما هم منه براء - أمرُه عظيم، والتناولُ لأعراضهم بالزور والافتراء مَرْتعٌ وخيم...)[(١)].

فبعد أن عرفنا أيها الأحبة بعض الصفات التي يتحلى بها العالم الرباني، ينبغي أن نُنزل الناس منازلهم، ولا نعتقد أن كل من كان فصيحا بليغا في خطبته، مشهورا بين الناس بكثرة ظهوره على شاشات التلفاز أو كثرة محاضراته أو كتاباته أنه عالم يُرجع إليه، خاصة في النوازل والفتن التي تصيب الأمة، فإذا أردنا النجاة - بإذن الله - فعلينا الرجوع في هذه المسائل إلى علمائنا الربانيين الراسخين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

قال العلامة المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا، غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا

(١) تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٢٩).

بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. . .)[١].

فاللهَ اللهَ أيها الأحبة في ضرورة الرجوع إلى العلماء الربانيين والأخذ بأقوالهم في الفتن إذا هاجت، فهم أبصر الناس بها وأعلمهم بآثارها وعواقبها، قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل)[٢].

فما أحوجَنا أيها الكرام إلى علماء ربانيين صادقين متمسكين بالمنهج النبوي القويم ليأخذوا بيد هذه الأمة إلى الطريق المستقيم.

وأخيرًا أحببت أن أختم هذه الذكرى، التي أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، بفتوى أحد العلماء الربانيين - نحسبه والله حسيبه - ألا وهو الشيخ العلامة صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية، حيث سئل (حفظه الله) عن صفات العالم الرباني الحقيقي كيف يُعرف؟

فأجاب - سدده الله -:

(العالم الرباني يتصف بصفتين:

- خشية الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، يخشى الرب سبحانه وتعالى ويعمل بعلمه ويخلص لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) تفسير السعدي (ص١٩٠).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٦).

- يربي الناس على الخير ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران :٧٩] فيربي الناس على العلم ويتدرج بهم شيئًا فشيئًا، ولهذا قال بعض السلف: "العالم الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"، هذا هو العالم الرباني، يخشى الله أوَّلاً ويربي الناس ويتدرج بهم في العلم شيئًا فشيئًا، ولا يشق عليهم ولا يُلْقي عليهم العلم جملة واحدة فَيُعْجزهم، يتدرج بهم ويرفق بهم ويصبر على ذلك حتى يصل بهم إلى طريق السلامة فيكون له أجره وأجرهم)[(١)].

وصَلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) من محاضرة أصول تلقي العلم وضوابطه/ ألقاها الشيخ يوم الخميس [١١/ محرم ١٤٢٧هـ/ الدقيقة: ٦٩].

تعظيم اللَّه عز وجل

وفيه ثلاثة مقالات:

١- المراد بتعظيم الله عز وجل وأهميته في إيمان العبد وطرق تحصيله.

٢- ثمرات الإيمان باسم الله العظيم.

٣- هل نحن مُعَظِّمون لله؟

المقال الأول

المراد بتعظيم الله عز وجل وأهميته في إيمان العبد وطرق تحصيله

١ - المراد بتعظيم الله عز وجل وأهميته في إيمان العبد وطرق تحصيله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من أعظم الأسباب المعينة على صلاح قلب العبد وسعادته تَعظيمه لخالقه سبحانه وتعالى، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا سعادة - أي للعباد -، ولا فلاح ولا صلاح لهم ولا نعيم إلا بأن يعرفوه - أي خالقهم سبحانه - ويعبدوه ويكون وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم، وذِكْرُه والتقربُ إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيبَ عيشًا منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل)[(١)].

فما أحوجنا أيها الأحبة أن نتعرف على أسماء الله وصفاته، فإنه على قدر المعرفة يكون تعظيم الباري جل جلالُه في قلوبنا.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرفُ الناس به: أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالا)[(٢)].

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وبحسب معرفته - أي العبد - بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نَقَصَ نَقَصَ، وأقربُ طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن)[١].

وقد نتساءل أيها الأحبة عن طرق تحصيل هذه المعرفة، وكيف السبيل للوصول إليها؟

فيجيبنا عن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: (المعرفة بابان واسعان:

باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهمُ الخاص عن الله ورسوله ﷺ.

والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة، وتأمُّلُ حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه.

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرُّده بذلك، وتعلُّقها بالخلق والأمر.

فيكون فقيهًا في أوامره ونواهيه، فقيهًا في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيهًا في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١])[٢].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٤).

(٢) الفوائد (ص١٧٠).

ولهذا يطيب لي أيها الكرام في هذا المقال أن نقف معكم مع اسم كريم جليل من أسماء الله عز وجل، نفهم ونتدبر بعض معانيه ونستحضر بعض ثمرات الإيمان به ألا وهو اسمه سبحانه (العظيم).

قد جاءت آيات القرآن بإثبات هذا الاسم الكريم، والناظر يجد أن هذا الاسم جاء تارة مفردًا، كقوله سبحانه: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة :٧٤]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة :٣٣].

وجاء تارة مقترنًا بغيره من أسماء الله، كاقترانه باسم الله (العلي) كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤].

وعن بعض أسرار اقتران هذين الاسمين الكريمين يتحدث الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: (قد شرع الله سبحانه لعباده ذكر هذين الاسمين (العلي، العظيم) في الركوع والسجود كما ثبت في الصحيح أنه لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة :٧٤]، قال النبي ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، فَلَمَّا نَزَلَت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى :١]، قال ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»[(١)]، وهو سبحانه كثيرا ما يقرن في وصفه هذين الاسمين كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة :٢٥٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ :٢٣] وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ

(١) رواه أبو داود (٨٦٩) وابن ماجة (٨٨٧) من حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] يثبت بذلك علوه على المخلوقات وعظمته، فالعلو: رفعتُه، والعظمة: عظمةُ قَدْرِه ذاتًا ووصفًا)[١].

ومن أسرار هذا الاقتران أيضا ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنه سبحانه قرن بين هذين الاسمين الدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرسي وفي سورة الشورى وفي سورة الرعد وفي سورة سبأ في قوله: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. ففي آية الكرسي ذَكَر الحياة - التي هي أصل جميع الصفات وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه، من النوم والسِّنة والعجز وغيرها -، ثم ذكر كمال ملكه، ثم عَقَّبه بذكر وحدانيته في ملكه، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذَكَر سَعة علمه وإحاطته، ثم عَقَّبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه منبها على سعته سبحانه وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه)[٢].

وكذلك جاءت السنة بهذا الاسم الجليل، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»[٣].

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٦٤). (٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٧١).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(١).

وقد أَمر النبيُّ ﷺ أن يُسَبَّحَ الله بهذا الاسم في الركوع حيث قال: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ**...»(٢).

وقد جاء أيضا هذا الاسم في السُّنة مقترنا باسمه سبحانه (الْحَلِيم)، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان يدعو عند الكرب فيقول: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(٣).

ووجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين واضح، وذلك بأن الله عَزَّوَجَلَّ مع أنه العظيم الجبار المتكبر القاهر فوق عباده فإنه سبحانه الجليل الرحيم الرؤوف بعباده. والجمعُ بين هذين الاسمين الجليلين يدل على صفة كمال وجمال، فلم تمنعه عظمته سبحانه وقدرته على خلقه أن يَحْلُمَ عنهم ويصفح، ولم يكن حِلْمُه سبحانه عن ضعف وعجز، بل عن عظمة وقدرة وقهر(٤).

أما معنى هذا الاسم الكريم فقد تطرق إليه غير واحد من العلماء،

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٦) من طريق عقبة بن مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) كتاب (ولله الأسماء الحسنى) لعبد العزيز الجليل (ص٢٤٤).

فمثلا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر اسم الجلالة (العظيم) في عدة مواضع من كُتبه، وقال: (العظيم: هو من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال)[١].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وهو العظيم بكل معنى يُوجب التـ ـعظيـمَ لا يُحصيه من إنسَان[٢]

ويقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جَلَّتْ في الصفة فإنها مُضْمَحِلة في جانب عظمة العلي العظيم)[٣].

فهو سبحانه عظيم في كل شيء، في ذاته وفي أسمائه وصفاته، قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يحصي أحدٌ ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عبادُه)[٤].

أيها الأحبة وبعد أن عرفنا أن نصوص الكتاب والسنة دلت على هذا الاسم الكريم وتوقفنا عند بعض معانيه الجليلة، فقد نتساءل ما واجبنا تجاه اسم الله العظيم؟

هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية بإذن الله.

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٥).
(٢) الكافية الشافية (البيت ٣٢٢٢).
(٣) الحق الواضح المبين (ص٢٧).
(٤) تفسير السعدي (ص٢٥٩).

المقال الثاني

ثمرات الإيمان باسم الله العظيم

٢- ثمرات الإيمان باسم الله العظيم

إن الإيمان بأسماء الله عز وجل وما تتضمنه من معانٍ جليلة وأسرار بديعة، ينبت في قلب العبد المؤمن ثمارًا مستطابة، وهذه الثمرات منها ما ينالها العبد في الدار العاجلة، ومنها ما يُدخر له لينالاه في الدار الآجلة بإذنه سبحانه، لذا يقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (معرفة أسماء الله الحسنى وصفاتِه العليا هي أفضل الأعمال شرفًا وثمرًا)[١].

فلهذا أحببنا أيها الأحبة في هذا المقام أن نذكر لكم بعض الثمرات المقتطفة التي ينبغي للعبد أن يجنيها من شجرة معرفته باسم الله جَلَّ جَلَالُهُ (العظيم)، فمنها:

١ - إثبات صفة العظمة لله عَزَّ وَجَلَّ إثباتا يليق به سبحانه لا يشبهه في ذلك أحد من خلقه ولا يدانيه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالعظمة هي من صفات الله الذاتية وهي صفة مدح وكمال، والمخلوق لا يدرك حقيقتها لا تفكيرًا ولا تصويرًا.

قال قوَّام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن أسمائه تعالى العظيم: العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خَلْقٌ، والله تعالى خلق بين

---

(١) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (ص١٨).

الخلق عظمة يعظم بها بعضُهم بعضًا، فمن الناس من يُعظَّم لمال، ومنهم من يُعظَّم لفضل، ومنهم من يُعظَّم لعلم، ومنهم من يُعظَّم لسلطان، ومنهم من يُعظَّم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظَّم لمعنى دون معنى، والله عز وجل يُعظَّم في الأحوال كلها)[١].

وقال الإمام الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن صفات الله عز وجل العليُّ العظيمُ... وعظمة الله لا تُكَيف ولا تُحَدُّ ولا تُمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك، بلا كيفية ولا تحديد)[٢].

٢ - **التعبد لله سبحانه ودعاؤه باسمه العظيم**: فنتعبد الله باسمه، فنقول: (عبد العظيم)، لكن لا يُتعبد بصفاته، فلا يقال: (عبد العظمة)، كما أنه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: (يا عظيمُ ارحمنا)، لكن لا ندعو صفاته فنقول: (يا عظمة الله ارحمينا!)، فالعظمة ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله، والصفة غير الموصوف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائزٌ مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فَكُفْرٌ باتفاق المسلمين)[٣].

٣ - **نفي الشركاء والأنداد عنه سبحانه**؛ فلا يُشرَك معه غيره في عبادته، ولا يُصرف شيء من حقه لغيره؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٠). (٢) تهذيب اللغة (٢/ ٣٠٣).
(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٨١).

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

٤ - **الخشوع والخضوع له سبحانه والاستكانة والتذلل لعظمته وجبروته.** يصف لنا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حال المصلي وهو يتعبد لربه حال ركوعه، فيقول: (ثم يرجع جاثيًا له ظهرَه؛ خضوعًا لعظمته، وتذللا لعزته واستكانةً لجبروته، مسبحا له بذكر اسمه: العظيم)[(١)].

٥ - **تمجيده سبحانه ومدحه والثناء عليه باسمه العظيم، والاستعاذة به:** قال جل وعلا: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[(٢)].

فينبغي للعبد أن ينزه الباري سبحانه عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه وذلك بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله، فإنه ليس أحد ينفع مَدْحُه ويَزين، ويَضُر ذمُّهُ ويَشين إلا الله وحده، فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رجل، فقال يا رسول الله! إن حَمْدي زَيْنٌ، وإن ذَمِّي شَيْنٌ، فقال النبي ﷺ: «**ذَاكَ اللَّهُ**»[(٣)].

٦ - **تعظيم أمره سبحانه ونهيه؛** فيجب أنْ يُطَاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنْسى، ويُشْكر فلا يُكفر، ومن ذلك تعظيم نصوص الكتاب والسنة

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٦٣٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه الترمذي (٣٢٦٧) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

والاستسلام لها وعدم التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ برأي أو اجتهاد، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى خبرًا في ضمنه الأمرُ والحثُّ على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أَمروا به ونَهَوْا عنه، وأن يكونوا مُعَظَّمين تعظيم المطيع للمطاع)(١).

٧ - **تعظيم شعائره وحرماته؛** قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج :٣٢].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله)(٢).

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج :٣٠].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا فِي نفسه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعلِ الطاعات ثواب

(١) تفسير السعدي (ص١٨٤).
(٢) تفسير السعدي (ص٥٣٨).

جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات)[١].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن تعظيم حرمات الله، من الأمور المحبوبة لله، المُقَرِّبة إليه، التي مَنْ عَظَّمها وأجَلَّها، أثابه الله ثوابًا جزيلا، وكانت خيرا له في دينه ودنياه وأخراه عند ربه)[٢].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره)[٣].

ويقول أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (من عَظَّم وقارَ الله في قلبه أن يعصيَه، وقره الله في قلوب الخلق أن يُذِلُّوه)[٤].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبُك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره)[٥].

٨ - **النظر عند ارتكاب المعصية إلى قدر من عُصي وعَظمَته**، وأن في ذلك انتهاكًا لحرمته سبحانه.

قال الإمام قوَّام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فينبغي لمن عرف حَقَّ

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٩).
(٢) تفسير السعدي (ص٥٣٨).
(٣) الجواب الكافي (ص٤٦).
(٤) فوائد الفوائد (ص٣٤٦).
(٥) الفوائد (ص١٨٧).

عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت)[١].

أيها الأحبة بعد أن قطفنا معا بعضَ الثمار المستطابة من هذا الاسم الجليل، قد نتساءل هل نحن مُعَظِّمون لله؟ أم لا؟ وإذا كان الجواب بـ(لا)! فما هي الطرق التي تعيننا على تحقيق تعظيمه سبحانه وتعالى؟

هذا ما سنعرِفُهُ في الموضوعات التالية بإذن الله.

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٢).

المقال الثالث

هل نحن مُعَظِّـمون لله؟

٣- هل نحن مُعَظِّمون لله؟

لقد ذم الله تعالى من لم يُعظمه حق عظمته، ولا عرَفه حق معرفته، ولا وصفَه حق وصفه، حيث قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا ترجون لله عظمة)(١). وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته)(٢).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله وعرفوا حَقَّ عظمته وَحَّدوه وأطاعوه وشكروه)(٣).

فهل نحن أيها الأحبة معظمون لله تعالى؟

للإجابة عن هذا التساؤل لا بد أن ننظر إلى حالنا عند الإقدام على فعل الطاعات، لنسأل أنفسنا كيف نؤديها؟ هل نؤديها رغبةً ورهبةً من الله، وخوفًا منه سبحانه وطمعًا لما عنده؟ أم أن الطاعة عندنا أصبحت عادة تتكرر منا كل يوم دون الشعور بها والإحساس بثمارها؟!

هل نستشعر عند معصيتنا لله أن فوقنا جبل يكاد يسقط علينا أم نشعر

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٥).
(٣) الفوائد (ص ١٨٧).

أن ذُبابةً وقعت على أنف أحدنا فقال بها هكذا؟

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا)، وأشار الراوي: (بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ)[١].

فإذا أجبنا عن هذه التساؤلات بكل تجرد فسنعرف يقينًا قدر أنفسنا وهل عظمنا خالقنا أم لا؟

أيها الكرام لقد كان سلفنا الصالح (رحمهم الله) من أشد الناس تعظيمًا لله جَلَّ جَلَالُهُ ، وهذا بسبب حرصهم على طاعته وبُعْدهم عن معصيته، قال الشيخ صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهم - أي السلف الصالح -، أشد تعظيمًا لله وتنزيهًا له عما لا يليق بحاله)[٢].

ولا عجب من ذلك إذا نظرنا في حالهم عند الإقبال على العبادة، فعن مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء، أو أن يلتفت أو يقلب الحصى، أو يعبث بشيء أو يُحَدِّث نفسَه من شأن الدنيا إلا ناسيًا ما دام في صلاته)[٣].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل في الصلاة ترتعد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٩٤٩).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص٤٨).

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (ص١٨٨).

أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة[١].

أيها الأحبة، إن تعظيمنا لله عز وجل يجعلنا نخضع له ونطيعه، فتسهل علينا أوامره فننفذها مع القبول والمحبة، ونبتعد عن نواهيه مع الانشراح والسرور بذلك، ومن ثَمَّ لا تفارقنا لذة العبادة في الحالتين ولله الحمد.

قد تتساءلون بعد الإجابة عن السؤال الذي طرحناه! عن الأسباب التي قد تعيننا وإياكم بإذن الله على تعظيم خالقنا سبحانه وتعالى في نفوسنا؟

فالجواب:

١ - الدعاء، وذلك بأن نسأل الله أن يغرس في قلوبنا تعظيمه وتوقيره في السر والعلانية فهو أكرم الأكرمين قد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة حيث قال جل وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة)[٢].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم،

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار (ص٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٣).

وتوعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم)[(١)].

فالدعاء أيها الأحبة من أقوى الأسباب المعينة على تعظيم الباري سبحانه وأقواها، إذا توفرت الشروط كصدق النية وانتفت الموانع كارتكاب المحرمات.

٢ - أن نجتنب المعاصي مهما كان حجمها، ونستحضر عند ارتكابها عِظَمَ مَنْ نعصي، فالمعاصي تؤثر وتزيد من ضعف تعظيم الرب جل وعلا في القلوب.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن عقوباتها - أي المعاصي - أنها تُضْعِف في القلب تعظيمَ الرب ﷻ وتضعف وقاره في قلب العبد ولابد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لَمَا تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره، وكيف يُقدره حق قدره أو يُعظمه أو يُكْبِره أو يرجو وقاره ويُجِلُّه مَنْ يهون عليه أمره ونهيه؟! هذا من أمحل المحال وأبين الباطل وكفى بالعاصي عقوبةً أن يضمحل مِنْ قلبه

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٤٠).

تعظيمُ الله ﷻ وتعظيم حرماته ويهون عليه حَقُّه)[١].

٣ - أن نتفكر في خلق الله، كيف أحسن الله كل شيء صُنْعا، فالتفكر من أهم الأسباب المعينة على تعظيم الله الباري سبحانه وتعالى وتوقيره؛ ولهذا أثنى الله على من يتفكر في مخلوقاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: (يخبر تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: (آيات) ولم يقل: (على المطلب الفلاني) إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله وعموم فضله وشمول بره

(١) الجواب الكافي (ص ٤٦).

ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء)[١].

وإن من أنواع التفكر التي ينبغي دائما أن نستحضرها في قلوبنا وعقولنا: النظرَ في حال من غَبَر، فلقد عاش على هذه الأرض أقوام أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يعطها لأمة من الأمم ولكنهم لمَّا كفروا بالله وكذبوا بالرسل؛ أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يعملون؛ فها هم قوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟! أهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٧]، وها هم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين أهلكهم الله بالصيحة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧]، فما بالنا نحن الأضعف والأقل منهم قوة وبطشًا لا نخشى أن يصيبنا مثل ما أصاب أولئك؟! قيل للفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أعجب الأشياء؟ فقال: (قلبٌ عرف الله عز وجل ثم عصاه)[٢].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أعجب الأشياء أن تعرفه - أي الله عَزَّوَجَلَّ - ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه

(١) تفسير السعدي (ص١٦١).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص١١٧).

ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه. وأعجبُ من هذا عِلْمُك أنك لابد لك منه وأنك أحوجُ شيء إليه وأنت عنه مُعْرِض وفيما يُبْعِدُك عنه راغب)[١]

٤ - أن نستعين على تعظيم الباري سبحانه وتعالى بتدبر كتابه العزيز وتَفَهُّمِ معانيه.

قال الإمام أحمد بن عبد الرحمن ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه)[٢].

والحذر كل الحذر أيها الأحبة أن يكون هدفنا فقط قراءة ألفاظ القرآن وحفظه، دون الغوص في التفكر في معانيه، فقد عاب الله على المنافقين لما أعرضوا عن تدبر كتابه العزيز، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه)[٣].

---

(١) الفوائد (ص٤٧).
(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص٥٣).
(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (فقراءة آية بتفكر وتفهُّم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادةَ السلف يُرَدد أحدُهم الآية إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب)[(١)].

وفي ختام هذه التذكرة أيها الأحبة، فاللهَ أسأل أن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يرزقنا وإياكم تعظيمَه والخوفَ منه في السر والعلانية وأن يَمُنَّ علينا وعليكم بتوبة صادقة تُعيننا على طاعته واجتناب معصيته، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).

أسماء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مقالات:

١- كثرة أسماء القرآن الكريم.
٢- أوصاف القرآن الكريم.
٣- التحذير من هجر القرآن الكريم.

المقال الأول

كثرة أسماء القرآن الكريم

١ - كثرة أسماء القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن القرآن الكريم أيها الأحبة هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، الذي أنزله على خاتم النبيين وسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، شهد به سبحانه على رسالته، وخُتمت به الكتب السابقة، وتكفل ﷻ بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل، قال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: (أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها، ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يُحَرِّف مُحَرِّفٌ معنًى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين)[(١)].

(١) تفسير السعدي (ص ٤٢٩).

أيها الأحبة إن كثرة أسماء الشيء وتعدد نعوته دليل على شرفه وفضله، ولهذا فإن كثرة أسماء الباري سبحانه وكثرة صفاته دليل على عظمته وكماله، وكذلك تعدد أسماء النبي ﷺ يدل على سمو منزلته وعلو مقامه.

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن كثرة الأسماء تدل على عِظَم المسمى كما في أسماء الله تعالى وأسماء رسوله ﷺ)[١].

ولهذا أيها الأفاضل خص الله سبحانه القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء كلُّها تدل على شرفه ورفعة مكانته.

يقول الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية - شدائد الدهر - دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته)[٢].

وللقرآن الكريم أسماء وأوصاف، وأسماؤه أيها الكرام التي هي أعلام عليه: خمسة: (القرآن، الكتاب، الفرقان، التنزيل، الذكر).

١ - **القرآن**: وهذا الاسم هو أشهر أسمائه وأكثرها ذكرا في آياته.

---

(١) تهذيب الأسماء (٣ / ٣٣٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٨).

يقول الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاسم القرآن هو الاسم الذي جُعِل علما على الوحي المنزل على محمد ﷺ، ولم يَسْبق أن أُطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه وأكثرها ورودا في آياته وأشهرها دورانا على ألسنة السلف)[١].

وقد تكاثرت النصوص بهذه التسمية كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة :١٨٥].

وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء :٨٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣].

وهناك فرق بين القرآن وكلام الله، فالقرآن أخص من الكلام، لأن كلام الله يشمل القرآن والكتب السماوية وغيرها من كلامه سبحانه.

وكذلك بين القرآن وكتب الله، لأن كتب الله عامة وشاملة للكتب السابقة، أما القرآن فيختص بكتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ.

٢ - **الكتاب**: أصل الكتاب في اللغة الجمع والضم، وسمي بذلك كما يقول الإمام الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنه يجمع أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة)[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٦).

ويقول الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما تسميته كتابًا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه، والكتابُ لغةً: الجمع)[(١)].

وللدكتور محمد دراز رَحِمَهُ اللَّهُ كلام قيم في وجه تسمية القرآن (بالقرآن وبكتاب الله) حيث يقول: (وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، يعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسمَ المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل، على هيئته التي وُضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر. . . وبهذا بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩])[(٢)].

ودلت على تسميته بالكتاب آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا۟ۜ﴾ [الكهف :١].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذه التسمية - أي بالكتاب - معجزة للرسول ﷺ بأن ما أوحي إليه سيكتب في المصاحف)[(٣)].

٣ - الفرقان: سُمي بذلك لأنه فرق بين متضادين، حيث مَيَّزَ بين

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٣).

(٢) النبأ العظيم (ص١٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٧٣).

الحق والباطل في الاعتقاد، وفرق بين الحلال والحرام في الأحكام، يقول ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ما فُرق به بين الحق والباطل فهو فرقان)(١).

ويقول ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الفرقان من أسماء القرآن: أي أنه فارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، يقال: فرقت بين الشيئين أفرق فَرْقًا وفُرْقانًا)(٢).

وقد وردت الآيات الكريمة بهذه التسمية، كقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في وجه تسمية القرآن فرقانا: (إن القرآن سُمي فرقانا، لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه، بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما: بنصره المُحِقَّ وتخذيله المبطلَ، حكما وقضاء)(٣).

٤ - **التنزيل**: سمي بذلك لأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

وقال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ١-٢].

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٣٠٢).
(٢) النهاية (٣/ ٤٣٩).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٤).

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته. ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يُصْلِح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه ولا شك ولا امتراء)[١].

٥ - **الذكر**: سمي بالذكر لما فيه من المواعظ وأخبار الأنبياء وأخبار الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء :٥٠].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وجه تسميته بالذكر: (فإنه محتمل معنيين:

أحدهما: أنه ذِكْرٌ من الله جل ذِكْرُه، ذَكَّرَ به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه من حكمه.

والآخر: أنه ذِكْرٌ وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف :٤٤] يعني به: أنه شرف له ولقومه)[٢].

فهذه - أيها الأحبة الكرام - أسماء القرآن الخمسة، وأشهرها اسم (القرآن) و(الكتاب)، وينبغي علينا أن نعلم أن القرآن كما له أسماء أعلام، كذلك له أوصاف دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، وفائدة

(١) تفسير السعدي (ص ٦٥٣).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٤).

معرفة ذلك حتى نميز بين الاسم والصفة، وكذلك ليرتفع شأن القرآن عندنا وتَعظُم مكانته في قلوبنا، فمعرفة أسماء القرآن وصفاته من أعظم الأسباب المعينة بعون الله على تدبر آيات القرآن والعمل به.

وقد تتساءلون زادكم الله حرصًا عن أهم أوصاف القرآن التي جاءت بها النصوص بعد أن عرفتم أسماءه؟ وهذا ما سنجيبكم عنه بعون الله الكبير المتعال في تتمة المقال، سائلا الله لنا ولكم أن يحبب لنا القرآن ويجعله شافعًا لنا يوم القيامة، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

المقال الثاني

أوصاف القرآن الكريم

٢ - أوصاف القرآن الكريم

لقد وصف ربنا ﷻ القرآن الكريم بأوصاف كثيرة، ونَعَتَه بنعوت عديدة، منثورة بين ثنايا كتابه سبحانه، وهذه الأوصاف هي بمثابة التعريف بالقرآن والبيان لمكانته وعلو منزلته.

أيها الأحبة، إن معرفة أوصاف القرآن وتدبر معانيها من أقوى الأسباب المعينة بإذن الله على تدبر آيات القرآن، فما أحَوَجَنا واللهِ لذلك، خاصة في زمن قَسَتْ فيه القلوب إلا من رحم الله، وكثرت فيه الملهيات، والله المستعان.

ولهذا أحببت أن أذكر لكم أيها الأفاضل بعض الأوصاف التي جاءت في كتاب الله، لعل الله - بجوده وكرمه - ينفعنا وإياكم بها وتكون سببًا بعون الله، لتعظيم القرآن الكريم في قلوبنا ورفع شأنه في نفوسنا:

١- **القرآن عربي**: لأنه نزل بلغة العرب، ولغةُ العرب هي أفصح اللغات وأيسرها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف :٢].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا

أُنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان فكمل من كل الوجوه)[(١)].

٢ - **القرآن نور**: وُصِف بذلك لأنه يضيء للمتمسكين به طريقهم، وينير لهم دروبهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يعني يبين لكم المحجة الواضحة، والسبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه إن سلكتموها واستنرتم بضوئه، وذلك النور المبين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ)[(٢)].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين، والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره)[(٣)].

٣ - **القرآن رحمة**: لأن الله يرحم بكتابه العزيز من يشاء من عباده فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه من الهلاك والردى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل :٧٧].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن القران لَهُدًى ورحمة لمن آمن بالله

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٧).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٩).
(٣) تفسير السعدي (ص ٢١٧).

وتابع رسوله، وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون به)[١].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي تثلج له صدورهم، وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية (للمؤمنين) به المصدقين له، المتلقين له بالقبول، المقبلين على تدبره، المتفكرين في معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم والرحمة المتضمنة للسعادة، والفوز والفلاح)[٢].

٤ - **القرآن شفاء**: لدلالته على الدلائل الواضحات والآيات البينات، التي يكون بها بعون الله الشفاء من سقم الكفر والضلال، فيهدي القلوب ويطمئن النفوس، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾ [فصلت: ٤٤].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يُؤهل ولا يُوَفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدا.

وكيف تقاوم الأدواء كلامَ رب الأرض والسماء الذي لو نُزِّلَ على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها؛ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببهِ

---

(١) فتح القدير (٤/ ١٥٠).
(٢) تفسير السعدي (ص ٦٠٩).

والحِمْيةِ منه لمن رزقه الله فهما في كتابه)[١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير والرهبة عن الشر، ونَمَتَا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يُرْضِي اللهَ أحبَّ إلى العبد من شهوة نفسه)[٢].

٤ - **القرآن موعظة**: وصف بذلك لاشتماله على المواعظ والزواجر التي تلين القلوب، وترشد النفوس إلى الخير، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني ذِكْرَى تُذَكركم عقابَ الله، وتخوفكم وعيدَه من ربكم، يقول: من عند ربكم لم يختلقها محمد ﷺ ولم يفتعلها أحد فتقولوا: لا نأمن أن تكون لا صحة لها، وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآنَ، وهو الموعظة من الله)[٣].

ويقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني القرآن فيه ما يتعظ به من قرأه وعرف معناه)[٤].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).
(٢) تفسير السعدي (ص ٣٦٧).
(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٢٤).
(٤) فتح القدير (٢/ ٤٥٣).

٥ - **القرآن مبارك**: فالقرآن الكريم مبارك في أحكامه وفي جميع مقاصده بجميع أنواع البركة، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكونه مباركًا يقتضي كثرة خيره ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية فإنها بسببه وأثرٌ عن العمل به، فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، وشُكْرُ اللهِ على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته: بتعلم ألفاظه ومعانيه. ومقابلتُه بضد هذه الحالة: من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحا، وإنكاره، وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم)[(١)].

٦ - **القرآن حق**: لأن أخباره وأوامره حق، وقصصه صدق وحق، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبالحق أنزلناه، الهاءُ: كناية عن القرآن. والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين المستقيم، فهو حق ونزوله حق وما تضمنه حق)[(٢)].

٧ - **القرآن عزيز**: لأنه غالب بقوة حجته وفصاحته وبيانه كل ما سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾

(١) تفسير السعدي (ص ٥٢٥).
(٢) زاد المسير (٥/ ٩٦).

لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت :٤١-٤٢].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحِفْظِه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفًا أو تغييرًا من إنسي وجني وشيطان مارد)[(١)].

قال محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي هو غالب لمعانديه، وذلك لأنه أعجزهم عن معارضته)[(٢)].

فهذه - أيها الأحبة الكرام - بعض الأوصاف التي اتصف بها القرآن الكريم، وإلا فهناك أوصاف كثيرة منثورة في ثناياه، فينبغي علينا أن نعتني بكلام ربنا قراءةً وحفظًا وتدبرًا ونتخذ كل الوسائل المعينة على ذلك كمعرفة أسماء القرآن وأوصافه والوقوف عند معانيها.

فاللهَ أسأل لي ولكم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٤).
(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٥).

المقال الثالث

التحذير من هجر القرآن الكريم

٣- التحذير من هجر القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما تدمع العين لذكره ويحزن القلب للتفكر فيه، ما ابتلينا به في هذا الزمان ألا وهو هجر القرآن العظيم والبُعْد عن هديه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الأحبة، لقد هُجر القرآن الكريم تلاوةً، وزَهِدَ الكثير من المسلمين في مذاكرته وحفظه وتدارُسِه، وهجر أيضا سماعه فأقبل الناس على سماع مزمار الشيطان، وهُجِر تحاكما وعملا وحُكِّمت بدله القوانين الوضعية والرغبات النفسية، وهجر تدبرًا، ولو أنزله الله على الجبال الشامخات لتصدعت من خشيتها لله لأنه كلامه سبحانه وتعالى، وهجر القرآن الكريم استشفاءً وتداويًا ولجأ بعض الناس إلى السحرة والعرافين الذين أفسدوا على الناس دينهم ودنياهم، وإلى الله المشتكى.

قال جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه. وتركُ الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وتركُ تدبرِه وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه)[١].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (قد أعرضوا عنه وهجروه، وتركوه، مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه)[٢].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٣١٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٨٢).

وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠] (١).

ومما ينبغي العلم به أن حكم هجر القرآن الكريم يختلف باختلاف نوع الهجر، وحال الهاجر.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإن كان بعض الهجر أهون من بعض) (٢).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ما نصه: (والإنسان قد يهجر القرآن فلا يؤمن به ولا يسمعه ولا يُصغي إليه، وقد يؤمن به ولكن لا يتعلمه، وقد يتعلمه ولكن لا يتلوه، وقد يتلوه ولكن لا يتدبره، وقد يحصل التدبر ولكن لا يعمل به، فلا يُحلُّ حلالَه ولا يُحرم حرامه، ولا يُحكِّمه ولا يتحاكم إليه، ولا يَستشفي به مما فيه من أمراض في قلبه وبدنه، فيحصل الهجر للقرآن من الشخص بقدر ما يحصل منه من الإعراض) (٣).

أيها الأحبة، إن سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) قد حذروا من هجر القرآن الكريم وذكروا الأسباب التي أدت إلى ذلك، وذموا مَنْ هَجَره.

فعن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله، وما أحب أن يأتي عليَّ يومٌ ولا ليلة إلا أنظر في كلام الله - يعني في المصحف -) (٤).

---

(١)، (٢) الفوائد (ص٨٢). (٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ١٠٣).
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٧/ ٣٠٠).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لقد عشنا بُرهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يُوقَف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدُهم القرآنَ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه يَنْثُرُه نَثْرَ الدَّقَل - أردأ التمر -)[١].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سَيَبْلى القرآن في صدور أقوام كما يَبْلى الثوب، فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة...)[٢].

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر، حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآنَ بعدنا قومٌ يشربونه شُرْبَ الماء، لا يُجاوز تراقيهم)[٣].

يقول الإمام الآجُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما من قرأ القرآن للدنيا، ولأبناء الدنيا فإن من أخلاقه أن يكون حافظًا لحروف القرآن، مضيعًا لحدوده، متعظمًا في نفسه، متكبرًا على غيره، قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكَّل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائجَ، يُعَظِّم أبناء الدنيا ويُحقِّر الفقراء، إن علَّم الغني رفق به طمعًا في دنياه، وإن علَّم الفقير زجره وعنَّفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها، يستخدم به الفقراء، ويَتِيهُ به على الأغنياء، إن كان

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٩١).
(٢) رواه الدرامي في السنن (٣٣٤٦).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٢٦٩).

حسن الصوت أحب أن يقرأ للملوك ويصلي بهم، طمعًا في دنياهم، وإن سأله الفقراء الصلاة بهم ثقل ذلك عليه لقلة الدنيا في أيديهم)[(١)].

فعلينا - أيها الأحبة - الرجوعُ إلى كتاب ربنا علمًا وعملا، فهو الصراط المستقيم والمنهج القويم والمصدر للتشريع والنور المبين للأمة، مَنْ طلب العزة في غيره أذله الله، ومن بحث عن الرفعة في غيره وضعه الله، ومن اهتدى بغير هديه أضله الله، قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شيئين لَنْ تَضِلُّوا بعدهما: كِتَابَ اللَّهِ وسنتي. . .**»[(٢)].

فاللهَ أسألُ أن يرد أمتنا الإسلامية لتحكيم كتابه واتباع سنة نبيه ﷺ وأن يُعيذنا وإياكم من شياطين الجن والإنس، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) أخلاق أهل القرآن (ص ٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

شهر رجب وبيان ما يحدث فيه من بدع

وفيه أربعة مقالات:

١- احذروا البدع فإنها تُضل عن الدين وتُبعد عن رب العالمين.
٢- ألا وإن كل بدعة ضلالة.
٣- احذروا بدع شهر رجب.
٤- ليلة الإسراء والمعراج.

المقال الأول

احذروا البدع فإنها تُضِلّ عن الدين وتُبْعد عن رب العالمين

١ - احذروا البدع فإنها تُضِلّ عن الدين وتُبْعد عن رب العالمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تكاثرت النصوص من الكتاب والسنة وما جاء عن سلف الأمة في ذم البدع والتحذير منها وبيان ضررها في الدنيا والآخرة.

ففي البدع إبعاد للمسلمين عن الدين الصحيح، ونقلهم إلى الدين الباطل، وهذا ما يريده الشيطان؛ لأن المبتدع أحب إلى الشيطان من العاصي المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، المعصية يُتَاب منها والبدعة لا يُتاب منها)[(١)].

فالعاصي يعترف أنه عاص ويرجو أن يتوب بخلاف المبتدع، فإنه يعتبر ما هو عليه من بدعة دين وطاعة يتقرب بها إلى المولى عز وجل.

ولهذا عرف الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ البدعة بقوله: (هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها المبالغة

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦).

في التعبد لله سبحانه)[١].

وقد شرح رَحِمَهُ اللَّهُ التعريف، فقال: (**طريقة في الدين**)، فالطريقة والطريق والسبيل والسنن، هي بمعنى واحد، وهو ما رُسِمَ للسلوك عليه.

وإنما قُيِّدت بالدين، لأنها فيه تُخترع وإليه يُضيفها صاحِبُها. وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسمَّ بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم (تضاهي الشرعية): يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

إلى أن قال: (**يُقْصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى**)، هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها، وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(١) الاعتصام (١/ ٥١).

[الذاريات:٥٦]، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف . . .[(١)].

ولو تأملنا ما ذكره هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ نجد النقاط التالية:

١ - أن البدعة إحداث في الدين، فَيَخْرج ما أُحدث ولم يُقصد به الدين، وإنما قُصِد به تحقيق مصلحة دنيوية، كإحداث بعض الصناعات والآلات اليوم من أجل تحقيق مصالح الناس الدنيوية.

٢ - أن البدعة ليس لها أصل في الشرع يدل عليها، ولهذا قال نبينا ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكل من أحدث شيئا ونَسَبَه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يُرْجَع إليه، فالدين بريء منه)[(٤)].

ونصحا للمسلمين قد بين سلفنا الصالح مفاسد البدع وأضرارها، منها:

١ - أخطرها وأعظمها البعد عن الله، قال أيوب السِّختياني رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥١ - ٥٤) باختصار.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بُعْدًا)[١].

٢ - الخروج عن اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران :٣١]، فمن ابتدع بدعة في الدين يتقرب بها إلى الله فقد خرج عن اتباع النبي ﷺ، لأنه ﷺ لم يَشْرَعْها.

٣ - أي ابتداع في الدين إنما هو استدراك عليه، وجرأة قبيحة ينادي بها صاحبها أنَّ الشريعة لا تكفي، ولم تكتمل وأن نبينا ﷺ ترك شيئا من الرسالة لم يبلغه!، فاحتاج الدين إلى إحداثه وابتداعه!! وهذا ما فهمه أصحاب النبي ﷺ والأئمة من بعدهم من صنيع المبتدعة؛ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم، وكل بدعة ضلالة)[٢].

وقال إمام دار الهجرة مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا)[٣].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يَقْبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهلُه بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩).

(٢) رواه الدارمي في سننه (٢١١).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).

برأيهم! وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!.

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تَصُكُّ به وجوه أهل الرأي، وتُرْغم به آنافهم، وتَدْحَضُ به حججَهم)[١].

٤ - حبوط العمل وبطلانه، وذلك أنه لا بد من تحقق شرطين في العمل ليكون مقبولا عند الله سبحانه: الإخلاص لله تعالى فيه، والمتابعة فيه لرسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن القيم رحمه الله: (هذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقًا لسنة رسول الله ﷺ مرادًا به وَجْهُ الله)[٢].

قال سفيان الثوري رحمه الله: (كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)[٣].

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص٣٨).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٤).
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢١٧).

فعمل المبتدع مردود عليه لقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

والمبتدع تُحْجب عنه التوبة ما دام مُصِرًّا على بدعته، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»(٢).

أما في الآخرة فصاحب البدعة موعود بالطرد والإبعاد من حوض المصطفى ﷺ كما في حديث: «إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٣).

ومما ينبغي معرفته أيها الأحبة أن العلماء يقسمون البدع إلى أنواع:

فمثلا باعتبار فعلها تنقسم إلى:

بدع فعلية: وهي فِعْلُ ما لم يُشرع في الدين تدينًا، وأكثر البدع من هذا النوع كمن يصلي أو يصوم في أوقات النهي، أو يخصص وقتا للعبادة لم يخصصه الشارع.

بدع تركية: وهي ترك المباح أو ما طُلِب فعلُه تعبُّدًا كترك النوم أو الزواج أو أكل اللحم تعبدًا لله، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله: إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي، فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ؛ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧](٤).

(١) رواه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٨١) من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٥٤).

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٦١٣٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٠٥٤) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

وتنقسم البدع باعتبار حالها إلى :

- **بدع قولية اعتقادية :** كمقالات واعتقادات الخوارج والرافضة والمرجئة، وهي متفاوتة بحسب بعدها عن أصول الدين وقربها .

- **بدع عملية :** وهي التعبد بما لم يشرعه الله ولم يدل عليه دليل من كتاب ولا من سنة ولا إجماع، وكل عبادة لم يأمر بها الشارع أمْرَ إيجابٍ أو استحباب فإنها من البدع العملية .

والبدع العملية على أنواع:

▪ بدعة في أصل العبادة بإحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كإحداث صلاة غير مشروعة أو صيام غير مشروع كما يفعله بعض الناس في شهر رجب .

▪ ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة كما لو زِيدَ ركعة في صلاة الظهر أو العصر مثلا .

▪ ما يكون في صفة أداء العبادة بأن تؤدى على صفة غير مشروعة، كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مثلا .

▪ ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشارع، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكنْ تخصيصُه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل .

وهذه البدع يتفاوت حكمها، فمنها ما هو ضلالة كبدع الفرق

المنحرفة عن السنة ومنها ما هو معصية كالتعبد بترك المباح[(١)].

وهناك تقسيم آخر مشهور عند بعض الناس! ألا وهو تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، فما صحة هذا التقسيم؟ وهل له مستند في الشرع؟ هذا ما سنجيبكم عنه بعون الله في تتمة المقال، سائلين الله لنا ولكم العون والسداد.

(١) ولمزيد من الفائدة أكثر ينظر مقال للعلامة صالح الفوزان (حفظه الله) في أنواع البدع [مجلة الدعوة العدد: ١١٣٩/ ٩ رمضان ١٤٠٨هـ.

المقال الثاني

ألا وإن كل بدعة ضلالة

٢- ألا وإن كل بدعة ضلالة

شاع عند بعض الناس أن البدعة على قسمين: حسنة وسيئة. وهذا التقسيم لا مستند له من الشرع؛ لأنه مصادم لما صرح به نبينا ﷺ بقوله: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقوله ﷺ «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يُرْجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة)(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إن قوله ﷺ «**كُلُّ بِدْعَةٍ**»: كلية عامة شاملة مسوَّرة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل). وقال: فكل ما ادُّعي أنه بدعة حسنة، فالجواب عنه بهذا، وعلى هذا، فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بِدَعهم بدعةً حسنة، وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

إن هذا السيف الصارم، إنما صُنع في مصانع النبوة، وصاغه النبي ﷺ هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول: إنها حسنة، ورسولُ الله ﷺ يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

ومخالف لفهم سلفنا الصالح رضي الله عنهم قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وإنْ رآها الناسُ حسنةً)(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتَّبِعُوا، وَلا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)(٣).

وقد اتبع هؤلاء في تقسيمهم هذا النصوص المتشابهة تاركين النصوصَ المحكمة وراء ظهورهم، مستدلين بأدلة بزعمهم!

فمن جملة ما استدلوا به:

١ - قول النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٤).

فزعموا - أخْذًا بظاهر الحديث - أن في الإسلام بدعة حسنة وهي

---

(١) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ ابن عثيمين (ص١٣).
(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩).
(٣) رواه الدارمي في سننه (٢١١).
(٤) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

مقبولة، وفيه بدعة سيئة وهي مردودة!!

وقد أجاب جمع من العلماء المحققين على هذا الفهم القاصر!، منهم الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: (ليس المراد بالحديث: الاستنان بمعنى الاختراع، وإنما المراد به العمل بما ثبت بالسنة النبوية، لأن السبب الذي جاء لأجله الحديثُ هو الصدقة المشروعة؛ بدليل ما في (صحيح مسلم) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ؛ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ - أَو الْعَبَاءِ - مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، - بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ - فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِن الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ. فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] **وبعدُ: تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ**» حَتَّى قَالَ: «**وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

فتأملوا رحمكم الله، أين قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**»؛ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه، حتى بتلك الصُّرة فانفتح بسببه بابُ الصدقة على الوجه الأبلغ، فَسُرَّ رسول الله ﷺ حتى قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**»، فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابي، وهو العمل بما ثبت كونُه سُنةً، فظهر أن السنة الحسنة ليست بمبتدعة[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**» هو القائل: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق ﷺ قولٌ يُكَذِّب قولا آخر له، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبدا)[(٢)].

فالنبي ﷺ قال: «**مَنْ سَنَّ**» ولم يقل (من ابتدع)، وقال: «**فِي الْإِسْلَامِ**» والبدع ليست من الإسلام، وقال: «**حَسَنَةً**» والبدعة ليست بحسنة[(٣)].

ومما يدل على أن معنى (من سن سنة) أي من أحياها وأظهرها بعد أن خَفيت قولُه ﷺ: «**مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَن ابْتَدَعَ بِدْعَةً فَعُمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ مِنْ**

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٣٣).
(٢) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع (ص١٩).
(٣) الإبداع لابن عثيمين (ص٢٠).

أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا»[(١)].

٢ - ومما استدلوا به أيضًا ما نسبوه إلى الرسول ﷺ أنه قال: «مَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وما رآه المسلمون سَيِّئًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ».

والجواب:

أن هذا الحديث لا يصح مرفوعا إلى النبي ﷺ، بل هو ثابت من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٧٩).

قال الزيلعي رحمه الله في نصب الراية (٤/ ١٣٣): (غريب مرفوعا، ولم أجده إلا موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه).

وقال ابن القيم رحمه الله في (الفروسية) (ص٦١): (ليس من كلام رسول الله ﷺ وإنما يضيفه إلى كلامه مَنْ لا علم له بالحديث، وإنما هو ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه).

وقال العلامة الألباني رحمه الله في (السلسلة الضعيفة) (٢/ ١٧): (لا أصل له مرفوعًا، وإنما ورد موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه).

ثم قال رحمه الله: (إن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث على أن في الدين بدعةً حسنةً، وأن الدليل على حسنها اعتياد

(١) رواه ابن ماجة (٢٠٩) من حديث عوف المزني رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

المسلمين لها!! ولقد صار من الأمرِ المعهود أن يبادر هؤلاء إلى الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة، وخفي عليهم:

أ - أن هذا الحديث موقوف - أي على الصحابي - فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص المرفوعة - أي إلى النبي ﷺ القاطعة في أن (كل بدعةٍ ضلالة) كما صح عنه ﷺ .

ب - وعلى افتراض صلاحية الاحتجاجِ به، فإنه لا يعارِض تلك النصوص لأمور:

الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابنِ مسعود رضي الله عنه به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفةً حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ) . أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) ، وروى الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٨) الجملة الأخيرة، وزاد: (وقد رأى الصحابة جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر) ، وعليه فاللام في كلمة (المسلمون) ليس للاستغراق كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق، ولكن ليس المراد به قطعًا كل فردٍ من المسلمين، ولو كان جاهلاً لا يفقه من العلم شيئا، فلابد إذن من أن

يُحْمَل على أهل العلم منهم، وهذا مما لا مَفَرَّ لهم منه فيما أظن. السلسلة الضعيفة (٢/ ١٧).

ويؤيد ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه استدل به كثير من العلماء على الإجماع:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الفروسية (ص٦٠) بعد إيراده، ردًّا على المستدلين به: (في هذا الأثر دليل على أن ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسنًا؛ فهو عند الله حسن، لا ما رآه بعضهم! فهو حجة عليكم).

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخبر دليل على أن الإجماع حجة، ولا خلاف فيه). روضة الناظر (ص٨٦).

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن صح الحديث عن رسول الله ﷺ، فالمراد بالمسلمين أهل الإجماع). فتاوى العز بن عبد السلام (ص٣٧٩).

وهنا نقول لمن استدل بهذا الأثر على أن هناك بدعة حسنة: هل تستطيع أن تأتي ببدعة واحدة أجمع المسلمون على حسنها؟ إن هذا من المستحيل ولا شك، فليس هناك بدعة أجمع المسلمون على حسنها ولله الحمد.

وأيضًا كيف يستدل بكلام هذا الصحابي الجليل على تحسين شيء من البدع، وهو رضي الله عنه أشد الصحابة محاربة للبدع وتحذيرًا

منها والنهي عن اتباعها، وهو القائل: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، وكل بدعةٍ ضلالة) . رواه الدارمي في سننه (٢١١) .

٣ - واستدلوا أيضًا في شبهتهم بما جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال بعد أن جمع الناس في التراويح على أُبَيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ)[(١)] .

والجواب عليه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (نعمت البدعة هذه) فأكثر المحتجين بهذا؛ لو أردنا أن نثبت حكمًا بقول عمر الذي لم يخالف فيه؛ لقالوا: (قول الصاحب ليس بحجةٍ!) ، فكيف يكون حجةً لهم في خلاف قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة؛ فلا يعتقده إذا خالف الحديث.

فعلى التقديرين: لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب. ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعةً، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية؛ فكلُّ ما لم يدل عليه دليل شرعي). اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٩٢ - ٥٩٣).

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، ومن ذلك قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٠١٠).

في المسجد وخرج ورآهم يصلون فقال: (نعمت البدعة هي) ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يُرْجَع إليها)[١].

٤ - ومن شبههم أيضًا قولُ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم)[٢].

والجواب:

أولا: إن صح هذا القول عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فلا يصح أن يكون معارضًا أو مخصصًا لعموم حديث رسول الله ﷺ، والشافعيُّ نفسُه نقل عنه أصحابه أن قول الصحابي إذا انفرد ليس حجة ولا يجب على مَنْ بعدَه تقليده.

ثانيا: كيف يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بالبدعة الحسنة وهو القائل: (من استحسن فقد شرع). والقائل في الرسالة (ص٥٠٧): (إنما الاستحسان تلذذ)، وعقد فصلاً في كتابه الأم (٧/ ٢٩٣ - ٣٠٤) بعنوان: (إبطال الاستحسان)، لذلك من أراد أن يفسر كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فَلْيُفَسِّرْه ضمن قواعد وأصول الشافعي، وهذا يقتضي أن يفهم أصوله، وهذا الأمر مشهود في كل العلوم، فمن جهل اصطلاحات أربابها جهل معنى أقاويلهم وأبعدَ النجعة في تفسيرها، فالمتأمل في كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١١٣).

لا يشك أنه قصد بالبدعة المحمودة البدعة في اللغة، وهذا واضح في احتجاج الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى هذا الأصل يفسر كلام الشافعي، وأنه أراد ما أراده عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أي: البدعة اللغوية (كما سبق بيانه) لا الشرعية؛ فإنها كلها ضلالة؛ لأنها تخالف الكتاب والسنة والإجماع والأثر)[(١)] .

ولهذا يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن نقل كلام الشافعي: (ومراد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أن أصل البدعة المذمومة ما ليس لها أصل في الشريعة ترجع إليه وهي البدعة في إطلاق الشرع، وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة: يعني ما كان لها أصل في السنة ترجع إليه وإنما هي بدعة لغة لا شرعا لموافقتها السنة)[(٢)] .

هذه أهم الشبه التي يستدل بها من قال بالبدعة الحسنة، وقد يسر الله لنا بمنه وكرمه دَحْضَها وبيانَ زيفها بنقل كلام العلماء فيها، وفي هذا المقام ننصحكم أيها الأحبة ببعض الكتب المفيدة لكم بإذن الله، منها: - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ ابن عثيمين - الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ - وكل بدعة ضلالة لمحمد منتصر الريسوني - البدعة وأثرها السيئ في الأمة لسليم الهلالي - اللُّمَع في الرد على مُحَسِّني البدع لعبد القيوم السحيباني.

ومن البدع المنتشرة أيها الأحبة قديما وحديثا ما يفعله بعض الناس في هذا الشهر - أي شهر رجب - فنجد أن كثيرًا منهم يفعلون أفعالاً

---

(١) البدعة وأثرها السيئ في الأمة لسليم الهلالي (ص٦٣ - ٦٦) بتصرف.
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٦).

في رجب يظنونها هديا شرعيا، وسننا دينية، وليست هي من ذلك في شيء!

وسنبين لكم بإذن الله في تتمة المقال أيها الكرام ما يحدثه بعض الناس في هذا الشهر من بدع، لتعلموها وتجتنبوها وتحذروا الناس منها نصحا للإسلام والمسلمين، سائلين الباري لنا ولكم العون والتوفيق على العمل بالسنة ونشرها، والعلم بالبدعة والتحذير منها وخمدها.

المقال الثالث

احذروا بدع شهر رجب

٣ - احذروا بدع شهر رجب

أيها الأحبة، إن مما نلاحظه بين المسلمين اليوم انتشار البدع والمحدثات، ويمكن إرجاع ذلك لأسباب ودواعٍ ساهمت في هذا الانتشار منها:

- **قلة العلم**، فالجهل يَجُرُّ إلى الالتباس بالبدعة، قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (البدع لا تقع من راسخ في العلم، وإنما تقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن معرفة مراد الرسول ومراد الصحابة هو أصل العلم وينبوع الهدى)[٢].

وبسبب تفشي الجهل انتشرت الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأمة

- **سكوت بعض أهل العلم عن بعض تلك البدع**، فالعوام يعتقدون أن العلماء هم أشد الناس تَمَسُّكًا بالسنة وأبعدهم عن البدعة، قال محمد بن المنتصر الريسوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٢١هـ): (إن سكوت العلماء

---

(١) الاعتصام (٢/ ٤٦٨).

(٢) الفتاوى (٥/ ٤١٣).

عن بيان حقيقة البدعة وحقيقة السنة مما يشجع العامة على عَدِّ سكوتهم موافقة على ما يمارسونه من البدع).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأعظم من سكوتهم عن البدعة ممارستُهم لها، لأن السكوت إقرار للعمل بها، بينما فِعْلُ البدعة تحفيز للعامة على التقليد والاحتجاج به)[١].

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٣٢): (إن فعل العالم للبدعة يوهم عامة الناس بأنها سُنة، ويتسبب في كذبهم على رسول الله ﷺ، فيقولون: هذه سنة من السنن. والتسببُ إلى الكذب على رسول الله ﷺ لا يجوز)[٢].

- **مجالسة أهل البدع والاختلاط بهم**، فالضرر الحاصل بمجالستهم أعظم بكثير من الضرر الحاصل بمجالسة أهل المعاصي من أهل السنة؛ ولهذا حذر سلفنا الصالح أشد التحذير من مجالستهم لأن الشُّبَهَ خَطَّافة والقلوبُ ضعيفة، والسلامة لا يَعْدِلُها شيءٌ.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم مُمْرِضة للقلب)[٣].

وقال أبو قلابة - عبد الله بن زيد الجرمي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٤هـ): (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في

---

(١) وكل بدعة ضلالة (ص٤١).
(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد (ص٩).
(٣) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٣٨).

ضلالتهم ويَلْبِسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِسَ عليهم)[١].

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)[٢].

- تحسين تلك البدع بكونها شاعت عادة وعرفًا بين المسلمين، وصدق عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيرت، قالوا: غُيرت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلَّت أمناؤكم، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة)[٣].

قال محمد بن وضاح القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٢٨٠هـ): (فكم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان مُنْكَرًا عند من مضى، وكم من مُتَحَبِّبٍ إلى الله بما يُبْغِضه الله عليه، ومُتقرِّب إلى الله بما يُبْعِده منه)[٤].

- وسائل الإعلام المُضِلَّة، فلوسائل الإعلام المختلفة من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلات وشبكات معلوماتية أثر كبير في نشر تلك البدع أو بعضها، الأمر الذي يجعل للبدع رواجا واستحسانا عند جهلة الناس.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٣).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٣).
(٣) أخرجه الدارمي (١٧٨) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته قيام رمضان.
(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص١٤٣).

ومن البدع المنتشرة ما أحدثه بعض الجهلة من الناس قديمًا وحديثًا في شهر رجب من العبادات والاحتفالات، وما زعموه له من الفضائل والكرامات، وذلك بتخصيص بعض لياليه بالقيام وصيام بعض أيامه، أو تخصيصه بذبائح، وغير ذلك مما أحدثوه فيه، ولقد اعتنى العلماء قديما في بيانِ ما يحدث في هذا الشهر من بدع، فألَّف الإمامُ ابن دحية الكلبي كتابا سماه: (أداء ما وَجَب مِن بيان وَضعِ الوضَّاعين في رجب)، وألَّف الحافظُ ابنُ حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا سمَّاه (تَبيينُ العَجَب فيما ورد في فَضلِ رجب).

فمن باب النصح للمسلمين وتذكيرًا لهم سنُحاول أيها الأحبة إلقاءَ الضَّوء على ما أحدثه بعض الناس في هذا الشهر والتحذير منه مع نقل أقوال العلماء في ذلك، سائلا المولى جل وعلا أن يجعلنا وإياكم سببا في إحياء السنن ونشرها وإماتة البدع وإخمادها، فمن ذلك:

١ - ما يتوهمه بعض الناس مِن صحة حديث أن النبي ﷺ قد خص هذا الشهر بدعاء فقال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ**»[(١)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٥٩) من طريق زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا حديث ضعيف؛ لأن في إسناده زائدة بن أبي الرقاد قال عنه أبو حاتم: يحدث عن زياد النميري عن أنس أحاديث مرفوعة منكرة كما في تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٣٠٥) وقد ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب بما ورد في شهر رجب (ص٨) وكذلك العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٩٥).

نعم لا شك أن (رجب) شهر مبارك - باعتبارِه من الأشهر الحرم - ؛ ولكن: لا يعني ذلك أن يخص بأمور لم تَرد في سنة النبي ﷺ. أما الدعاء المطلَق؛ فلا أحد ينهى عنه، ولا أحد يكرهه، فما=

٢ - **صلاة الرغائب**: ورد ذكر صفتها في حديث موضوع عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا بلفظ: «**ما من أحد يصوم يوم الخميس (أول خميس من رجب) ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة يعني ليلة الجمعة اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين، فيقول في سجوده سبعين مرة: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح)، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، إنك أنت العزيز الأعظم، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فإنها تقضى**»، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده، ما من عبد ولا أَمَة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر، وعدد الرمل، ووزن الجبال، وورق**

=أطلقه الشرع نُطلقه، وما قيَّده الشرع نقيِّده، وما خصصه الشرع بفضائل نخصصه، وهكذا في سائر أحكام هذه الشريعة السمحاء.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما الأحاديث الواردة في فضل رجب، أو في فضل صيامه أو صيام شيء منه صريحة: فهي على قسمين: ضعيفة، وموضوعة). تبيين العجب بما ورد في شهر رجب (ص٥).

وقد جمع رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك الضعيف فكان أحد عشر حديثا، وجمع الموضوع فكان واحدًا وعشرين حديثًا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ عنه بسند صحيح وكذلك رُوِّيناه عن غيره). انظر تبيين العجب بما ورد في فضل رجب (ص٤).

الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار»[(١)].

٣ - تخصيص رجب بصيام أو اعتكاف: من الأمور المبتدعة كذلك في هذا الشهر تخصيصُه بالصيام أو الاعتكاف، والمخصصون له استدلوا بأحاديث ضعيفة أو ما لا أصل له.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الصيام: فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه)[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة، بل موضوعة، لا يعتمد أهل العلم على شيء منها، وليست من الضعيف الذي يُرْوَى في الفضائل، بل عامتها من

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٠٢).

هذه الصلاة باطلة لأنها لم تثبت في السنة، ولا نُقل عن أهل القرون الفاضلة فعلها، وهم كانوا على الخير أحرص ممن جاء بعدهم.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هي بدعة قبيحة منكرة أشد إنكار، مشتملة على منكرات فيتعين تركها والإعراض عنها وإنكارها على فاعلها). فتاوى الإمام النووي (ص٦٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ اللَّهُ عنها: (وأما صلاة الرغائب، فلا أصل لها، بل هي محدثة فلا تستحب، لا جماعة ولا فرادى؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ نهى أن تخص ليلة الجمعة بقيام أو يوم الجمعة بصيام، والأثر الذي ذُكِر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلا). الفتاوى (٢٣/ ١٣٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب كلُّها كذب مختلق على رسول الله ﷺ). المنار المنيف لابن القيم (ص٩٥).

(٢) لطائف المعارف (ص١٣٩).

الموضوعات المكذوبات . . .)[١] .

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولم يصم ﷺ الثلاثة الأشهر سردًا (أي رجب وشعبان ورمضان) كما يفعله بعض الناس ولا صام رجبًا قط ولا استحب صيامه) [٢] .

وينبغي التنبيه على أن النهي هنا عن تخصيص هذا الشهر بعينه بالصيام أو الاعتقاد أن صومه سنة ثابتة أو مخصوص بثواب دون غيره من الشهور، أما صيام التطوع فيه وفي غيره مما وردت النصوص عامة به كصيام يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر أو صيام يوم وإفطار يوم: فهذا لا نهي عنه بل يشمله الاستحباب .

وقد يقول قائل: إن الصيام خير، وهو من أجَلِّ القربات إلى الله، فما المانع من تخصيص هذا الشهر به؟

فيقال: نعم صدقت، ولكنْ تخصيصُ العبادات بأوقات لم يَخُصَّها بها الشارع أمر غير مشروع .

يقول أبو شامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصصها بها الشرع، بل يكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمان ليس لبعضها على بعض فضل، إلا ما فَضَّله الشرع وخَصَّه بنوع من العبادة، فإن كان ذلك، اخْتُصَّ بتلك الفضيلةِ تلك العبادة دون غيرها، كصوم يوم عرفة وعاشوراء، والصلاة في جوف

---

(١) الفتاوى (٢٥/ ٢٩٠) .

(٢) زاد المعاد(٢/ ٦٤) .

الليل، والعمرة في رمضان، ومن الأزمان ما جعله الشرع مفضلاً فيه جميع أعمال البر كعشر ذي الحجة، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، فمثل ذلك يكون أي عمل من أعمال البر حصل فيها، كان له الفضل على نظيره في زمن آخر)[١].

٤ - العمرة في رجب:

يحرص بعض الناس على تخصيص شهر رجب بعمرة، لاعتقادهم أن لها مزية فيه على غيرها من الشهور، وهذا ليس بصحيح؛ فلم يعتمر ﷺ في رجب قط كما قالت عائشة رضي الله عنها كما روى البخاري (١٦٨٥) ومسلم (١٢٥٥) ولا نُقِلَ عنه ﷺ أنَّه حَثَّ على العمرة في شهر رجب.

قال علي بن إبراهيم العطار رحمه الله (ت ٧٢٤هـ): (ومما بلغني عن أهل مكة - زادها الله تشريفا - اعتيادهم كثرة الاعتمار في رجب، وهذا مما لا أعلم له أصلا)[٢].

فأفضل الأزمان لأداء العمرة شهر رمضان، لقوله ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي**»[٣].

وفي أشهر الحج خاصة ذي القعدة لأن عُمَرَه ﷺ كلها كانت في هذا

---

(١) الباعث لإنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص٤٨).
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ١٣١).
(٣) رواه البخاري (١٦٩٠) ومسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الشهر إلا ما كانت مع حجته.

قال أنس رضي الله عنه: (اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ)[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (ولا خلاف أن عُمَرَهُ ﷺ لم تَزِدْ على أربع)[٢].

٥ - الزكاة في رجب:

كذلك لا يشرع تخصيص رجب بالزكاة لاعتقاد مزيَّة فضل فيه، أو مزيد أجر؛ لكنْ: من وافق حَوْلُه شهرَ رجب؛ فهذا لا مانع منه.

قال ابن رجب رحمه الله في تخصيص رجب بزكاة: (ولا أصل لذلك في السنة ولا عُرِف عن أحد من السلف)[٣].

وقال ابن العطار رحمه الله (ت ٧٢٤هـ): (وما يفعله بعض الناس في هذه الأزمان من إخراج زكاة أموالهم في رجب دون غيره من الأزمان لا أصل له، بل حكم الشرع أنه يجب إخراج زكاة الأموال عند حولان حولها بشرطه، سواء كان رجبًا أو غيره)[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٦٥٤) ومسلم (١٢٥٣).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٩٣).

(٣) لطائف المعارف (ص١٤١).

(٤) فتاوى الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ (٦/ ١٣١).

٦ - الظن أن في شهر رجب كانت فيه حوادث عظيمة:

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد رُوي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك، فروي أن النبي ﷺ ولد في أول ليلة منه، وأنه بُعِث في السابع والعشرين منه، وقيل: في الخامس والعشرين، ولا يصح شيء من ذلك)[١].

ومما شاع بين الناس - أيها الأحبة - في هذا الشهر الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج! ففي أي أيام هذا الشهر هذه الليلة!؟ وما حكم إحيائها؟ وهل هناك دليل يدل على فضلها أو تخصيصها بعبادة معينة؟، هذا ما سنجيبكم عنه بإذن الله في تتمة هذه المقالة، سائلين الله لنا ولكم الإخلاصَ والقبول.

(١) لطائف المعارف (ص١٤٢).

المقال الرابع

ليلة الإسراء والمعراج

٤- ليلة الإسراء والمعراج

لسنا نتكلم أيها الأحبة في هذا المقام عن معجزة الإسراء والمعراج، فلا شك ولا ريب أنها من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته سبحانه، وعلى عظم منزلة نبينا ﷺ عند الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن إسراء نبينا ﷺ حقيقة لا ريب فيها وقد تواترت النصوص الصحيحة الصريحة بذلك وأنه كان يقظة على الصحيح، ففي إسرائه ﷺ، فُتحت له أبواب السماوات حتى جاوز السماء السابعة، وكلمه ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس، بعد أن كان فرضها سبحانه أولا خمسين، فلم يزل نبينا ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف، حتى جعلها الله خمسًا، فهي خمس في الفرض، وخمسون في الأجر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على نعمه.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته المشهورة: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب

الفؤاد ما رأى، ﷺ في الآخرة والأولى)[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]؛ والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح؛ هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح؛ فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة؛ وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر)[٢].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأكثر العلماء على أنه أُسْرِيَ به ﷺ ببدنه وروحه يقظة لا منامًا)[٣].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة، ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم: كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا، ومحمد يزعم أنه أسرى به الليلة وأصبح فينا إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ لو كان ذلك رؤيا مناما: لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعادًا لرؤياه، وإنما قص عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناما فكذبوه واستهزءوا به

---

(١) متن العقيدة الطحاوية (ص٣٠).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣).

استبعادًا لذلك واستعظاما له مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل ما يريد ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: وتُصَدِّقه بذلك؟ قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه بكرة وعشيا) أو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[١].

وينبغي أن نعلم أيها الأحبة أنه لم يأت في الأحاديث الصحيحة ولا عن سلف الأمة الصالح (رضوان الله عليهم) ما يدل على تعيين هذه الليلة لا في شهر رجب ولا في غيره، وكل ما جاء في تعيينها كذب لا أساس له من الصحة كما نص على ذلك علماء السنة قديما وحديثا.

قال العلامة ابن دحية الكلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذكر بعض القُصَّاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتجريح عَيْنُ الكذب)[٢].

ونقل كلامَ ابن دحية رَحِمَهُ اللَّهُ الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب[٣] وأقره.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن نقل إقرار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية تحقيقه على كتاب ابن دحية رَحِمَهُ اللَّهُ: (بل الواجب تبيين هذا للناس بكل وسيلة ممكنة، وفي كل مناسبة والله المستعان)[٤].

---

(١) معارج القبول (٣/ ١٠٦٧).

(٢) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب (ص٥٣).

(٣) (ص٣).

(٤) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب (ص٥٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (لم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يُقْطع به)[١].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، لا في رجب ولا في غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها)[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (فأما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يدَّعون أنها ليلة المعراج التي عُرِج بالرسول ﷺ فيها إلى الله عز وجل، وهذا لم يثبت من الناحية التاريخية، وكل شيء لم يثبت فهو باطل)[٣].

ثم يقال: لو ثبت تعيين هذه الليلة، فلا يُشْرع لأحد تخصيصها بشيء من العبادة، لأنه لم ينقل عنه ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان أنهم جعلوا لهذه الليلة ميزة على غيرها من الليالي، ولو ثبت ذلك لتكفل سلفنا الصالح بنقله إلينا.

ومن ذلك يعلم أن ما يفعله بعض أهل البدع والجهلة من الناس من الاحتفال بهذه الليلة في السابع والعشرين من شهر رجب وما يحدث

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٥٨).
(٢) مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة (١/ ١٨٣).
(٣) مجموع فتاوى الشيخ (٣/ ٢٩٧).

فيها من اجتماع في المساجد لقراءة القرآن وإلقاء الأشعار، وإيقاظ الشموع والمصابيح والإسراف إلى غير ذلك من الأمور العظيمة التي تُرْتكب باسم الدين، ودعوى أن تعظيم ذلك دليلُ محبةٍ للرسول ﷺ، كل ذلك من الأمور البدعية التي نسبها الجهال وأهل البدع إلى الشرع زورًا وبهتانًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار، فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها، والله سبحانه وتعالى أعلم)[(١)].

وقال ابن النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ذلك [ومنه الاحتفال بالإسراء والمعراج] بدع عظيمة في الدين، ومحدثات أحدثها إخوان الشياطين، مع ما في ذلك من الإسراف في الوقيد، والتبذير وإضاعة المال)[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج أمر باطل، وشيء مبتدع، وهو تشبه باليهود والنصارى في تعظيم أيام لم يُعَظِّمها الشرع، وصاحبُ المقام الأسمى رسول الهدى ﷺ هو الذي شرع الشرائع، وهو الذي وَضَّح ما يحل وما يحرم ثم إن خلفاءه الراشدين وأئمة الهدى من الصحابة والتابعين لم يُعْرَف عن أحد منهم أنه احتفل بهذه الذكرى)[(٣)].

---

(١) الفتاوى (٢٥/ ٢٩٨).
(٢) تنبيه الغافلين (ص٣٣٠).
(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٣/ ١٠٣).

ومما يجدر بنا التنبيه عليه في هذا المقام أنه كما لا يجوز تخصيص هذه الليلة بأي عمل والاحتفال فيها كذلك لا يجوز حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع إلا لِمُنْكِر يَقْوَى على البيان ويغلب على ظنه سلامته من الفتن.

وقد سئلت اللجنة الدائمة بإشراف الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن حضور الاحتفالات البدعية، كالاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة المعراج وليلة النصف من شعبان، لمن يعتقد عدم مشروعيتها لبيان الحق في ذلك؟

فكان الجواب كالتالي:

أولاً: الاحتفال بهذه الليالي لا يجوز، بل هو من البدع المنكرة.

ثانيًا: غشيان هذه الاحتفالات وحضورها لإنكارها وبيان الحق فيها، وأنها بدعة لا يجوز فعلها: مشروع ولاسيما في حق من يقوى على البيان ويغلب على ظنه السلامة من الفتن.

أما حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع فلا يجوز، لِمَا فيه من مشاركة أهلها في منكرهم، وتكثير سوادهم، وترويج بدعتهم[(١)].

وفي الختام أيها الأحبة الكرام، إن من الواجب علينا ملازمة سنة النبي ﷺ، والتمسك بهديه وأن نحذر كل الحذر من كل البدع والضلالات بجميع أنواعها وكافَّةِ صورها، ونُحَذِّر غيرنا منها نُصْحًا

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٢٦).

للإسلام والمسلمين، فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يثبتنا وإياكم على السنة ويميتنا عليها وأن يُجَنِّبنا شرور البدع وأهلها فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شهر شعبان

وفيه ثلاثة مقالات:

١- جاءكم شهر عظيم الشأن يا عباد الرحمٰن.
٢- البيان لبدع شهر شعبان.
٣- تنبيه عباد الرحمٰن ببعض ما لا يصح من أحاديث في شعبان.

المقال الأول

جاءكم شهر عظيم الشأن يا عباد الرحمٰن

١- جاءكم شهر عظيم الشأن يا عباد الرحمٰن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قد أحاط الله شهر شعبان بشهرين عظيمين، هما شهر الله الحرام رجب، وشهر رمضان، فتنبه له أيها المسلم، وتَقَرَّبْ فيه بالطاعات إلى العزيز المنان.

فهذا شهر يَغفل عنه كثير من الناس لاشتغالهم بما سبقه وما سيأتي بعده، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟! فقال ﷺ: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ عنه الناس، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»[(١)].

يقول الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (اكتنفه شهران عظيمان: الشهر الحرام - رجب - وشهر الصيام - رمضان -، اشتغل الناس بهما عنه،

---

(١) رواه النسائي (٢٣٥٧) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصار مغفولا عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان، لأنه شهر حرام، وليس كذلك)[١].

أيها الأحبة إن للعبادة في زمن الفتن وغفلة الناس عنها فضلاً عظيمًا وأجرًا كبيرًا عند العزيز القدير.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قالوا: وما الْمُفَرِّدُونَ يا رسول الله؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[٢].

قال الحافظ المُنَاوي رحمه الله: (أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله أي سبقوا بنيل الزلفى، والعروج إلى الدرجات العلى)[٣].

وعن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[٤].

قال الإمام النووي رحمه الله: (المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس، وسببُ كثرة فضل العبادةِ فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد)[٥].

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: (وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائدُ، منها: أنه يكون أخفى، وإخفاءُ النوافل وإسرارها أفضل

---

(١) لطائف المعارف (ص١٥٣).
(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦).
(٣) فيض القدير (٤/ ٩٢).
(٤) رواه مسلم (٢٩٤٨).
(٥) الشرح على مسلم (١٨/ ٨٨).

لا سيما الصيام، فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء)[١].

أيها الأحبة الأفاضل إن من الأمور المشروعة في شهر شعبان الإكثار من الصيام، فقد كان المصطفى ﷺ يكثر من الصيام فيه ويحث عليه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رَأَيتُ النَّبيَّ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ)[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث دليل على فضل الصوم في شعبان)[٣].

وعنها رضي الله عنها أيضا: قالت: (كَانَ أَحَبُّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبانَ، ثمَّ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ)[٤].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (قيل في صوم شعبان: إن صيامه كالتمرين على صيام رمضان؛ لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكُلْفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط)[٥].

قد تتساءلون سددكم الله، عن سبب إكثاره ﷺ من الصيام في

---

(١) لطائف المعارف (ص١٣٧).
(٢) رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).
(٣) فتح الباري (٤/ ٢٥٣).
(٤) رواه أبو داود (٢٤٣١) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.
(٥) لطائف المعارف (ص١٥٣).

شعبان مع تصريحه بأن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم؟

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ**»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالجواب لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه، كسفر ومرض وغيرهما)(٢).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضلُ التطوع ما كان قريبًا من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه، ويكون قوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ**» محمولا على التطوع المطلق بالصيام، وأما ما قبل رمضان وبعده، فإنه يلتحق به في الفضل)(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (اختلف العلماء - رحمهم الله - أيهما أفضل، صوم شهر محرم أم صوم شهر شعبان؟ فقال بعض

---

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) الشرح صحيح مسلم (٨ / ٣٧).

(٣) لطائف المعارف (ص١٥٣).

العلماء: صوم شهر شعبان أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يصومه إلا قليلا منه، ولم يُحْفظ عنه أنه كان يصوم شهر المحرم لكنه حَثَّ على صيامه بقوله:(إنه أفضل الصيام بعد رمضان)، وقالوا: لأن صوم شعبان يُنَزَّل منزلة الراتبة قبل الفريضة، وصوم المحرم ينزل منزلة النفل المطلق، ومنزلة الراتبة أفضل من منزلة النفل المطلق، وعلى كلٍّ فهذان الشهران يُسَنُّ صومهما)[١].

وقد تتساءلون رعاكم الله ونفع بكم، عن الصيام بعد نصف شعبان، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا**»[٢]؟.

قد أجاب علماؤنا جزاهم الله خير الجزاء عنا على هذا:

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعنى هذا الحديث عند بعض أهل العلم أَن يكون الرجل مُفطِرًا فإذا بقي من شعبان شيء أخذ في الصوم لحال شهر رمضان، وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ما يُشبه قولهم حيث قال ﷺ: «**لاَ تَقَدَّمُوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِصِيَامٍ إِلاَّ أَنْ يُوَافِقَ ذَلِكَ صَوْمًا كَانَ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**»، وقد دل في هذا الحديث إنما الكراهية على من يتعمد الصيام لحال رمضان)[٣].

وأجاب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا بعد أن صحح الحديث،

---

(١) الشرح الممتع (٦/ ٤٦٩).
(٢) رواه الترمذي (٧٣٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) سنن الترمذي (٣/ ١١٥).

حيث قال: (وأما ظن معارضته بالأحاديث الدالة على صيام شعبان فلا معارضة بينهما وإن تلك الأحاديث تدل على صوم نصفه مع ما قبله وعلى الصوم المعتاد في النصف الثاني، وحديث العلاء يدل على المنع من تعمد الصوم بعد النصف لا لعادة ولا مضافا إلى ما قبله)[١].

وسئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث النهي عن الصيام بعد نصف شعبان، فقال: (هو حديث صحيح كما قال الأخ العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني، والمراد به النهي عن ابتداء الصوم بعد النصف، أما من صام أكثر الشهر أو الشهر كله فقد أصاب السُّنَّة)[٢].

لذا أيها الأفاضل ينبغي علينا أن نبادر باغتنام أيام هذا الشهر الفاضلة بالصوم وبسائر الطاعات، فإن الأيام تمضي والساعات تنقضي، ولا ندري هل نُوَفَّق لإدراك هذا الشهر في العام المقبل أو لا؟

أيها الأحبة بعد أن عرفتم هَدْيَ النبي ﷺ في هذا الشهر وتخصيصه بكثرة الصيام دون بقية الشهور، فقد يتبادر لأذهانكم سؤال، وحق لكم ذلك، زادكم الله حرصًا، ألا وهو، هل ثبتت فضائل أخرى في شهر شعبان لنحرص عليها، كما سنحرص بإذن الله على الصيام؟ هذا ما سنجيبكم عنه بإذن الله في تتمة المقال، سائلين الله لنا ولكم البركة في الأوقات والتوفيق للمزيد من الطاعات.

(١) تهذيب السنن (٦/ ٣٣١).

(٢) فتاوى ابن باز (١٥/ ٣٨٥).

المقال الثاني

البيان لبدع شهر شعبان

٢- البيان لبدع شهر شعبان

لقد مر معنا أيها الأحبة أن نبينا ﷺ كان يكثر من الصيام في شهر شعبان، وسار أصحابه (رضوان الله عليهم) من بعده على هديه، ثم اقتفى صدر هذه الأمة من السلف الصالح آثارهم، ثم ظهرت - من بعدهم - البدع والمحدثات في هذا الشهر، واخترع بعض الناس فيه عبادات واحتفالات، وما زعموه له من الفضائل والكرامات، وذلك بتخصيص بعض لياليه بالقيام أو الصيام، أو تخصيصه بالذبائح، وغير ذلك مما اقترفوه، والله المستعان.

ويا للعجب! ويا للأسف! ترك هؤلاء ما صح عنه ﷺ من العبادات وذهبوا إلى الابتداع والخرافات، فحَرموا أنفسهم من الأجر وحمَّلوها الوزر!

ألم يبلغ هؤلاء! قول المصطفى ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ؛ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

ألم يعلموا! أن أي ابتداع في الدين إنما هو استدراك عليه ﷺ وجرأة قبيحة ينادي بها صاحبها أنَّ الشريعة لا تكفي، ولم تكتمل وأن نبينا ﷺ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وصححه الألباني رحمه الله.

ترك شيئا من الرسالة لم يبلغه، فاحتاج الدين إلى إحداثهم وابتداعهم!!

هذا ما فهمه أصحاب النبي ﷺ، والأئمة من بعدهم من صنيع هؤلاء المبتدعة؛ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم، وكل بدعة ضلالة)[١].

وقال إمام دار الهجرة مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣]، فما لم يكن يومئذ دينا؛ فلا يكون اليوم دينا)[٢].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يَقْبض نبيه ﷺ، فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم! وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!.

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تَصُكُّ به وجوهَ أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم)[٣].

ألم يدركوا! أن البدع تُبْعِد عن رب العالمين، قال أيوب

---

(١) رواه الدارمي في سننه (٢١١).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).

(٣) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص٣٨).

السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ : (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بُعْدًا)[١] .

ألم يَعُوا أن البدع كلها ضلال وإن استحسنها الجهلة من الناس وقبلوها منهم، قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[٢] .

أيها الأحبة الكرام من باب النصح للمسلمين وتذكيرا لهم سنُحاول معا إلقاء الضَّوء على ما أحدثه بعض الناس في هذا الشهر، والتحذير منه مع نقل أقوال العلماء في ذلك، سائلا المولى جل وعلا أن يجعلنا وإياكم سببا في إحياء السنن ونشرها وإماتة البدع وإخمادها، فمن ذلك :

- **الاحتفال بليلة النصف من شعبان :** فقد جعل بعض الناس هذه الليلة عيدا يحتفلون به، حتى أنهم يظهرون فيها من الفرح ما لا يظهرونه في الأعياد الشرعية حيث توقد الشموع وتُصنع الأطعمة الخاصة بها، وتُوزع فيها الحلوى، ويتزين لها الأطفال حيث يلبسون فيها الملابس الشعبية ويطوفون على البيوت وتقدم لهم الهدايا .

والبعض الآخر يجعلون طابعها دينيا، فيخصصون نهارها بالصيام وليلها بالقيام ويجتمعون في المساجد للعبادة والذكر وغير ذلك من المحدثات والبدع! .

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩) .
(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩) .

وإذا سألتهم عن ذلك قالوا: قد جاءت نصوص شرعية تؤيد صنيعنا، فيستدلون عليك مثلا بما يروى مرفوعا: «**إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا!**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من البدع المنكرة ما يفعل في كثير من البلدان، من إيقاد القناديل الكثيرة العظيمة، والسرف في ليالٍ معروفة من السنة كليلة النصف من شعبان، فيحصل بسبب ذلك مفاسد كثيرة، منها مضاهاة المجوس في الاعتناء بالنار والإكثار منها، ومنها إضاعة المال في غير وجهه)(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما صوم النصف - أي من شعبان - مفردا فلا أصل له، بل إفراده مكروه، وكذلك اتخاذه موسما تصنع فيه الأطعمة، وتظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة لا أصل لها)(٣).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن البدع التي أحدثها بعض الناس

---

(١) رواه ابن ماجة (١٣٨٨) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٦١) من طريق ابن أبي سبرة عن إبراهيم بن محمد عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ به.

وهذا الحديث لا يصح، فقد قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (إسناده ضعيف). لطائف المعارف (ص١٤٣).

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا إسناد مجمع على ضعفه، وهو عندي موضوع لأن ابن أبي سبرة - أبو بكر بن عبد الله - رموه بالوضع كما في التقريب). السلسلة الضعيفة (٢١٣٢).

(٢) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٨١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٨).

بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، والذي أجمع عليه جمهور العلماء أن الاحتفال بها بدعة)[١].

وقد يقول المعترض: قد ثبت فضل لهذه الليلة، حيث ثبت عنه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**»[٢].

فيقال له: نعم صدقت، قد صحح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، لكنه هو أيضا من قال في تعليقه على رسالة الصراط المستقيم رسالة فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان (ص٩): (لا يلزم من ذلك - أي من ثبوت فضلها - أن يخصصها - أي المسلم - بصلاة خاصة بهيئة خاصة، لم يخصصها الشارع الحكيم بها، بل ذلك كله بدعة يجب اجتنابها، والتمسك بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم).

ثم إن اطلاع الباري سبحانه على خلقه، وغفرانه لهم، ليس متوقفًا على شهر معين في السنة، أو ليلة منه دون باقي الليالي، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي**

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ١٨٦).

(٢) رواه ابن ماجة (١٣٩٠) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١١٤٤).

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[١].

فعليك يا هذا!بدل أن تبتدع في هذه الليلة وتحدث فيها، أن تحقق توحيد الله وتبتعد عن كل مظاهر الشرك ووسائله، وتطهر قلبك من الشحناء والبغضاء للمسلمين، كي ينالك بجود الله وكرمه هذا الأجرُ العظيم والفضل الجزيل.

ومن المحدثات في هذا الشهر الكريم أيضًا:

بدعة الصلاة الألفية: وتسمى بذلك لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة، لأنها مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات.

وقد رويت صفة هذه الصلاة، والأجر المترتب على أدائها، من طرق عدة ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: في كتابه الموضوعات(٢/٥١) ثم قال: (هذا حديث لا نشك أنه موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل وفيهم ضعفاء بِمَرَّةٍ، والحديث محال قطعًا).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة كالاجتماع على مائة ركعة بقراءة ألف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دائما فهذه بدعة لم يستحبها أحد من الأئمة، والله أعلم)[٢].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وصلاة الرغائب أول جمعة من رجب وليلة نصف شعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان وحديثهما باطل)[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٤) ومسلم (٧٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٣١).

(٣) نهاية المحتاج للرملي (٢ / ١٢٤).

ومما يجدر بنا التنبيه عليه في هذا المقام أيضًا أنه كما لا يجوز تخصيص هذه الليلة بأي عمل والاحتفال فيها، كذلك لا يجوز حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع إلا لِمُنكِرٍ يَقْوَى على البيان ويغلب على ظنه سلامته من الفتن.

وقد سئلت اللجنة الدائمة بإشراف الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حضور الاحتفالات البدعية، كالاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة المعراج وليلة النصف من شعبان، لمن يعتقد عدم مشروعيتها لبيان الحق في ذلك؟

فكان الجواب:

أولا: الاحتفال بهذه الليالي لا يجوز، بل هو من البدع المنكرة.

ثانيا: غشيان هذه الاحتفالات وحضورها لإنكارها وبيان الحق فيها، وأنها بدعة لا يجوز فعلُها: مشروعٌ ولاسيما في حق من يقوى على البيان ويغلب على ظنه السلامة من الفتن.

أما حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع فلا يجوز، لما فيه من مشاركة أهلها في منكرهم، وتكثير سوادهم، وترويج بدعتهم[(١)].

فعلينا أيها الكرام لزوم ما جاء في الكتاب والسنة، وهدي سلف الأمة، فإن كل الخير في اتباعهم، وكل الشر في ابتداع من جاء بعدهم، والحذر كل الحذر من البدع فإنها مضلات عن الدين

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٢٦).

ومبعدات عن رب العالمين، ولنجتنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة وذلك بالعلم بها أولا ثم تحذير الناس منها ثانيًا، ومن هذا ما يُشَاع في هذا الشهر مما لا يصح من أحاديث نبوية فبإذن الله في تتمة المقال سنذكر لكم طائفة من هذه الأحاديث المكذوبة لتعلموها وتجتنبوها وتحذروا الناس منها نصحا للإسلام والمسلمين، سائلين الله لنا ولكم العون والتوفيق على العمل بالسنة ونشرها، والعلم بالبدعة والتحذير منها وخمدها.

المقال الثالث

تنبيه عباد الرحمٰن ببعض ما لا يصح من أحاديث في شعبان

٣- تنبيه عباد الرحمٰن ببعض ما لا يصح من أحاديث في شهر شعبان

أيها الأحبة، إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية خاصة في هذا العصر، انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين أفرادها، وللأسف فإن هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة قد لقيت عند بعض الناس رواجا وقبولا والله المستعان، بل أصبح الكثير منهم يسعى في نشرها بين وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، ويفعلون هذا اتباعا للهوى أو جهلاً بمعرفة ضعف هذه الأحاديث.

قال العلامة المحدث الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (من المصائب العظمى التي نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم...، وقد أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة، منها ما هو من الأمور الاعتقادية الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية)[١].

لكن الله تبارك وتعالى، سخر لهذه الأحاديث طائفة من الأئمة النقاد فبينوا بعون الله ما يعتريها من فساد، فكشفوا عُوارَها، وأوضحوا وضعها، ولذلك قيل للإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه

---

(١) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٧) باختصار.

الأحاديث المصنوعة؟ فقال: يعيش لها الجهابذة[١])[٢].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما لم يُمْكِنْ أحدًا أن يُدخل في القرآن ما ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذبُّون عن النقل، ويوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله منهم عصرًا من الأعصار، غير أن هذا الضرب قد قَلَّ في هذا الزمان)[٣].

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، فكم يكون العلماء والذَّابُّون عن الحديث في هذا العصر؟! لا شك أنهم أقل من القليل)[٤].

وإذا كان الشيخ يشتكي من هذا في زمن وُجِد فيه ابن باز وابن عثيمين، وغيرهم من العلماء الربانيين، عليهم رحمات رب العالمين! فماذا نقول عن وقتنا، الذي قل فيه العلم وفشا فيه الجهل، وانتشرت فيه البدع، والله المستعان.

أيها الأحبة، علينا أن نحرص على تصفية ديننا الحنيف مما يُدْخله أهل الأهواء والجهل، وإذا بلغ مسامعَنا حديثٌ نبوي فعلينا أن نتأكد من صحته بعرضه على أهل الاختصاص الربانيين.

---

(١) جمع جِهبذ وهو: (الناقد بغوامض الأمور، البارع العارف بطرق النقد). تاج العروس (٩/ ٣٩٢).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣).

(٣) الموضوعات (١/ ١٠).

(٤) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٢).

وعلى من تصدر لتعليم الناس ووعظهم أن يحرص على التمييز بين الصحيح والسقيم، وأن يتقي الله فيمن يُعَلِّم ولينشر بينهم ما صح وثبت ويترك ما لم يثبت، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن التعرف على الحديث الضعيف أمر واجب وحتم لازم على كل مسلم يتعرض لتحديث الناس وتعليمهم ووعظهم، وقد أخل به جماهير المؤلفين والوعاظ والخطباء، فإنهم كثيرا ما يروون من الأحاديث ما لا أصل لها غير مبالين بنهيه ﷺ عن التحديث عنه إلا بما صح)[١].

أيها الكرام الأفاضل، إن مما ينبغي معرفته والحذر منه ما وضعه بعض أهل الأهواء والجهلة من الناس من أحاديث في فضل شهر شعبان، والحث على العمل فيه. والناظرُ لصنيع هؤلاء يجد أن أهدافهم في ذلك الأمر مختلفة وأغراضهم متباينة، فمنها الموضوع للإفساد في الدين واتباع الأهواء، ومنها بداعي التقرب إلى الله بزعمهم، والله المستعان.

ولذا أحببت أن أذكركم في هذا المقال بطائفة من الأحاديث المكذوبة عن النبي ﷺ، مع نقل كلام العلماء فيها، عسى الله أن ينفعني وينفعكم بالعلم بها لنجتنبها ونُحَذِّر الناس منها، بإذنه سبحانه وتعالى، فمنها:

١ – سبب تسمية الشهر بشعبان:

رُوِي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا – أي عن النبي ﷺ: «**تدرون لم سمي**

(١) ضعيف الأدب المفرد (ص٦).

شعبان؟ لأنه يشعب فيه خير كثير، وإنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب»[(١)] أي: يُدنيها من الحر فيحرقها.

وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما سمي شعبان لأنه يتشعب فيه خير كثير للصائم فيه حتى يدخل الجنة[(٢)].

٢ - ما جاء في فضل شعبان:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: **«رَجَبٌ شَهْرُ الله، وشَعْبانُ شَهْرِي، وَرَمَضانُ شَهْرُ أُمَّتِي، فمن صام من رجب يومين فله من الأجر ضعفان، ووزنُ كل ضعف مثل جبال الدنيا...»**[(٣)].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خِيرَةُ اللهِ مِنَ الشُّهُورِ شَهْرُ رَجَبٍ، وَهُوَ شَهْرُ اللهِ، مَنْ عَظَّمَ شَهْرَ اللهِ رَجَبٍ فَقَدْ عَظَّمَ أَمْرَ اللهِ، وَمَنْ عَظَّمَ أَمْرَ اللهِ أَدْخَلَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَوْجَبَ لَهُ رِضْوَانَهُ الْأَكْبَرَ، وَشَعْبَانُ شَهْرِي فَمَنْ عَظَّمَ شَهْرَ شَعْبَانَ فَقَدْ عَظَّمَ أَمْرِي، وَمَنْ عَظَّمَ أَمْرِي كُنْتُ لَهُ فَرَطًا وَذُخْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشُهرُ رَمَضَانَ شَهْرُ أُمَّتِي**

---

(١) رواه الرافعي في تاريخ قزوين (١/ ١٥٣) من طريق زياد بن ميمون الثقفي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا موضوع، زياد بن ميمون - وهو الثقفي الفاكهي - كذاب). السلسلة الضعيفة حديث رقم (٣٢٢٣).

(٢) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١٧) وقال بعده: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو حديث موضوع، وفي إسناده أبو بكر بن الحسن النقاش وهو متهم، والكسائي مجهول، وقد رواه صاحب اللآلىء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). الفوائد المجموعة (١/ ١٠٠).

(٣) رواه البيهقي شعب الإيمان (٣/ ٣٧٤) ثم نقل عقبه قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: (هذا إسناد منكر بِمَرَّة).

فَمَنْ عَظَّمَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَعَظَّمَ حُرْمَتُهُ وَلَمْ يَنْتَهِكْهُ، وَصَامَ نَهَارَهُ، وَقَامَ لَيْلَهُ، وَحَفِظَ جَوَارِحَهُ خَرَجَ مِنْ رَمَضَانَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ يَطْلُبُهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ»(١).

- حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا: «فضل شهر شعبان كفضلي على سائر الأنبياء»(٢).

٣ - ما جاء في ليلة النصف من شعبان:

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا!»(٣)

- حديث علي رضي الله عنه مرفوعا: «يا عليُّ، من صلى ليلة النصف من شعبان، مئة ركعة بألف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة»(٤).

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤٣٥١)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (إنه موضوع) تبيين العجب (ص١٣).

(٢) هذا الحديث لا يصح، فقد رواه ابن ماجة (١٣٨٨) ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٦١) من طريق ابن أبي سبرة عن إبراهيم بن محمد عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (إسناده ضعيف).

(٣) لطائف المعارف (ص١٤٣). وقال العلامة الألباني رحمه الله: (وهذا إسناد مجمع على ضعفه، وهو عندي موضوع لأن ابن أبي سبرة - أبو بكر بن عبد الله - رموه بالوضع كما في التقريب). السلسلة الضعيفة (٢١٣٢).

(٤) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٥٠)، قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٥١): (هو موضوع).

- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلِلَّهِ فِيهَا عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ**»(١).

فهذه أيها الأحبة بعض الأحاديث المكذوبة التي تروى في فضل هذا الشهر، فينبغي أن نعلمها ونَحذر منها، وننصح غيرنا بمعرفتها والابتعاد عنها.

فالله الله في التحري من صحة الحديث قبل روايته ونشره بين الناس، حتى لا ندخل في وعيد قوله ﷺ: «**من حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»(٢).

ثبتنا الله وإياكم على السنة وجنبنا البدع وشرورها، ورزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٤)، قال العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الترغيب (٦٢٠): (ضعيف جدًا).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٨) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

شهر رمضان

وفيه ستة مقالات :

١- جاءكم شهر التقوى .
٢- ثمرات التقوى .
٣- فضل العمرة في رمضان .
٤- البيان لبدع رمضان .
٥- أحاديث لا تصح في فضل شهر رمضان .
٦- ليلة القدر .

المقال الأول

جاءكم شهر التقوى

١ - جاءكم شهر التقوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد كان نبينا محمد ﷺ يزف بُشرى قدوم شهر رمضان لأصحابه (رضوان الله عليهم) فيقول: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»(١).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يبشَّر المذنب بغلق أبواب النيران؟!كيف لا يبشَّر العاقل بوقت يُغَلُّ فيه الشَّياطين؟! من أين يُشْبِه هذا الزمانَ زمانٌ؟!)(٢).

ولهذا كان سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان (رضوان الله عليهم) يسعدون بقدوم شهر الرحمات وموسم الخيرات،

---

(١) رواه النسائي (٢١٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) لطائف المعارف (ص١٥٨).

فقلوب المتقين لهذا الشهر تَحِنُّ وعلى فراقه تَئنُّ.

▪ **أيها الأحبة**، إن كثيرا منا في هذا الزمان يفرح بشهر رمضان ويُبشر الآخرين بقدومه، لكن ما سبب هذا الفرح؟

عند أهل الإيمان، هو شهر القرآن، الذي يعتق الرحمن فيه عبادًا له من النيران، وتكثر فيه التوبة والاستغفار وأنواع البر والإحسان، فله سبحانه على هذه النعم الحمد والشكران.

أما عند غيرهم!، هو فرصة للسهرات والحفلات وحضور المهرجانات والتنعم بما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات، نسأل الله العفو والعافية رَبَّ البريات.

فشتان واللهِ بين الفريقين وشتان أيضًا بين الفرحتين!

أيها الأفاضل الكرام هلا تساءلنا عن الثمار التي نقطفها من صيامنا؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة :١٨٣].

كثير منا أيها الأحبة يمتنع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، سواء كان ذلك في صيام الفرض أو النفل، لكن هل حققنا الغاية المرجوة من الصوم ألا وهي (تقوى الله)، هل حبسنا ألسنتنا عن التحدث في أعراض الناس؟!، هل صُنَّا أسماعنا وحمينا أبصارنا عن الحرام؟!، والله المستعان.

قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا صُمتَ فليَصُم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودَعْ أذى الجار، (أذى الخادم) وليَكُن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواءً)[١].

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ : (ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تَرْكُ ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رُزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير)[٢].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى)[٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه متقربا بذلك إلى الله، راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧١).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ٢٣٠).
(٣) زاد المعاد (٢/ ٢٩).

ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي ومنها: أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات من خصال التقوى ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى)[(١)].

▪ **أيها الأفاضل**، ينبغي أن نعلم أنه إذا لم تترتب آثار التقوى على الصائم، فإن صيامه ناقص، ولا نقول: إنه باطل، فهو صحيح، ولا يؤمر بإعادته، لكنه لا يؤجر على صيامه إلا بقدر ما حققه من تقوى؛ قال نبينا ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٢)].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المُهَلَّب: فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه)[(٣)].

قال ابن المُنَيِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو كناية عن عدم القبول، كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا.

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٦).

(٢) رواه البخاري (١٨٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣).

فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول السالم منه)[١].

وقال ﷺ: «**رُبَّ صائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إلا الجُوعُ، وَرُبَّ قائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيامِهِ إلاَّ السَّهَرُ**»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فان قول الزور والعمل به في الصيام أوجب إثما يقابل ثواب الصوم، وقد اشتمل الصوم على الامتثال المأمور به والعمل المنهي عنه فبرئت الذمة للامتثال ووقع الحرمان للمعصية)[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فَتُصَيِّرُه بمنزلة من لم يصم)[٤].

أيها الأحبة: قد أمرنا الباري سبحانه أن نتقيه حق تقاته وذلك بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، بل أوصى بذلك من سبقنا من الأمم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: ١٣١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يخبر تعالى، عن عموم ملكه العظيم

---

(١) فتح الباري (٤/ ١١٧).
(٢) رواه ابن ماجة (١٦٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٣).
(٤) الوابل الصيب (ص٤٣).

الواسع، المستلزم تدبيره، بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف، قَدَرًا وشرعًا، فتصرفه الشرعي، أنْ وَصَّى الأولين والآخرين، أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب، ولهذا قال: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئا، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له، خاضعون لأمره)[(١)].

ولهذا، كان أول ما أمر به الرسل أقوامهم ومن أرسلوا إليهم تقوى الله، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧]، وقال عليه السلام: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وقد أمر الله نبيه بها خاصة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾ [الأحزاب: ١].

ولأهمية التقوى أوصى بها النبي ﷺ أمته في أعظم زمان ومكان،

(١) تفسير السعدي (ص ٢٠٧).

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «**اتَّقُوا رَبَّكُم، وَصَلُّوا خَمْسَكمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وأَدُّوا زَكاةَ أَمْوَالِكُمْ**...»[(١)].

وكذلك حث عليها أصحابه وذكَّرَهم بها، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(٢)].

فهذه وصية جامعة منه ﷺ بَيَّنَ فيها أن العبد عليه أن يلازم تقوى خالقه جل وعلا، حيث ما كان في السر والعلانية.

وكذلك كان سلفنا الصالح يتواصون بها فيما بينهم، حيث كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب بالناس ويقول: (أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تُثْنُوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة...)[(٣)].

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عماد عملك وجلاء قلبك، فإنه لا عمل لمن لا نية له...)[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (٦١٦) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٩١).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٥٦).

وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى رجل فقال: (أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فان الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل)[١].

والآثار عن سلفنا الصالح في هذا الباب كثيرة، وذلك لأهمية هذه الوصية وعِظَم نفعها في الدنيا والآخرة، أيها الأحبة بعد أن عرفتم علاقة التقوى بالصيام وأنها ثمرته وغايته، وكذلك وقفتم على بعض النصوص التي جاءت في الحث عليها والتمسك بها، قد تتساءلون عن ماهية التقوى، وعن الثمار المستطابة التي تُقْطف من شجرتها بإذنه سبحانه، هذا ما سنجيبكم عنه بعون الله في تتمة المقال، سائلين الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم تقواه في السر والعلانية.

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٧).

المقال الثاني

ثمرات التقوى

٢ - ثمرات التقوى

بعد أن عرفنا أيها الأفاضل في المقال السابق علاقة التقوى بشهر رمضان وأنها ثمرته ونتاجه الأسمى، وتوقفنا عند بعض النصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة التي جاءت بحث العبد على ملازمة التقوى في السر والعلانية، وكنا تساءلنا عن معنى التقوى وعن أهميتها؟

فعلينا أن نعلم أن خير ما يتزود به العبد في دنياه تقوى ربه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة :١٩٧].

فما دَبَّ إلينا النقص واستضعفنا أعداء الله وتسلطوا علينا، إلا بسبب تركنا لتقوى الله، وعدم استشعارنا بمراقبته، فلو أن كلاًّ منا استشعر عظمة ربه في قلبه وعمل بما أمر به ربه سبحانه وانتهى عما ما نهاه عنه لحقق تقواه، فيا من عهد الله لك شيئا من أمور المسلمين عليك أن تتقي الله في نفسك أولا ثم فيما ولاَّك، يا من توليت تعليم أبناء المسلمين، اتقِ الله فيهم، وأرشدهم إلى العقيدة الصافية والأخلاق الإسلامية الفاضلة، يا من وُكِلت إليك وظيفة، حافِظْ على الأمانة واتَّقِ الله فيها، واعلموا أنكم غدا ستقفون عند خالقكم ويسألكم عما كنتم تفعلون، فأعدوا لذلك السؤال جوابا وللجواب صوابا، قال ﷺ: «**ألا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على النَّاسِ**

راع وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتهِ وهو مسؤول عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيت بَعْلها وولدِه وهي مسئولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»[(١)].

فما هي التقوى أيها الأحبة؟!

عَرَّفها طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلمات جامعة مختصرة فقال: (هي العمل بطاعة الله، على نور من الله؛ رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله؛ مخافة عذاب الله)[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: (أن يُطَاع فلا يُعْصَى، ويُذْكَر فلا يُنْسَى، وأن يُشْكر فلا يُكْفَر)[(٣)].

فكيف نحصل على التقوى؟

التقوى سهلة النيل على من وفقه الله لها، لكن ما أعسرها على من كان عن الرحمة مبعدًا. يحصل العبد عليها متى ما تخلى عن الشهوات، وسارع إلى الطاعات، وأناب إلى رب الأرض والسماوات.

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يكون الرجل تقيًّا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) السير للذهبي (٤/ ٦٠٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٦).
(٤) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص٨).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص، ومن شريك شحيح)[١] .

فما هي ثمرات التقوى؟

للتقوى ثمرات عظيمة ونتائج جليلة في الدنيا والآخرة، لأن الله تعالى ما أمر العباد بها، ووصاهم بذلك إلا لِعِظَم مكانتها، لذا كان الجزاء عليها متناسبًا مع عِظم منزلتها، فمن ثمراتها:

١. محبة الله تعالى: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :٧٦] .

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (يعني، فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به)[٢] .

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (والعهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى)[٣] .

٢ - أن بها تنال رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة: قال جل وعلا:

---

(١) محاسبة النفس (ص ١٠) .
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٠) .
(٣) تفسير السعدي (ص١٣٥) .

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة)(١).

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي الشركَ والعظائمَ من الذنوب، قوله: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: زكاة النفوس، وقيل: زكاة الأموال. ويحتمل أن تكون عامة لهما؛ فإن الآية مكية ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: يصدقون)(٢).

٣ - أن التقوى سبب لعون الله ونصره وتأييده: قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (اتقوا فيما حرم الله عليهم، وأحسنوا فيما افترض عليهم)(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد دل السياق على أن المقصود ليس مجرد علمه وقدرته، بل هو معهم في ذلك بتأييده ونصره وأنه يجعل للمتقين مخرجًا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون)(٤).

---

(١) شفاء العليل (١/ ٢٦٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٢).
(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٨).
(٤) منهاج السنة النبوية (٨/ ٣٨٠).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه، نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين)[(١)].

٤ - **أنها تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته**: فيميز العبدُ بين ما ينفعه وما يضره: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال :٢٩].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (امتثال العبد لتقوى ربه، عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا كثيرًا، فذَكَر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان وهو: العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع، يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٥٢).

الرابع: الأجر العظيم، والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه)[١].

٥ - توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات: قال جل في علاه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقًا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرًا وباطنًا بترك جميع ما حرم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كَدٍّ ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] بالعقوبات والبلايا، ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو أخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة)[٢].

٦ - أن التقوى ثوابُها الجنة: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا)[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٣١٩).
(٢) تفسير السعدي (ص ٢٩٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٤٦).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يخبر تعالى بما أعده للمتقين الكفرَ والمعاصيَ، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين)[١].

أيها الأحبة الأفاضل: ما هذه إلا بعض الثمرات النافعة التي يقطفها العبد المؤمن من شجرة التقوى بإذن الله، فعلينا - رعاكم الله - أن ندعو الله عَزَّوَجَلَّ أولا أن يوفقنا لتقواه، ثم نتخذ الأسباب الموصلة لتقواه بعمل الطاعات واجتناب المحرمات من شُبَه وشهوات، فالله أسأل لنا ولكم أن يرزقنا تقواه في السر والعلانية، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير السعدي (ص ٨٨١).

المقال الثالث

فضل العمرة في رمضان

٣- فضل العمرة في رمضان

إن أفضل ما تُنْفق فيه الأوقات وتستثمر به الإجازات في شهر الطاعات زيارة بيت رب البريات لأداء العمرة، فلا يخفاكم أيها الأحبة ما لهذه العبادة في هذا الشهر الكريم من أجر عظيم.

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثواب الأعمال يزيد بزيادة شرف الوقت، أو خلوص القصد، أو حضور قلب العامل)[(١)].

ويقول الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وجعل الله سبحانه وتعالى لبعض الشهور فضلاً على بعض كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر... وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته

---

(١) كشف المشكل (٢ / ٣٥٢).

يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادةً يأمن بَعْدَها من النار وما فيها من اللفحات)[١].

فأيها الكرام: إن للاعتمار في شهر رمضان ثمارًا ينبغي علينا أن نحرص على قطفها، كتكفير السيئات والازدياد من الحسنات ورفع الدرجات بعون رب البريات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**»[٢].

قال الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كفارةٌ لما بينهما ما اجْتُنِبَتِ الكبائر)[٣].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين)[٤].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي قوله ﷺ:«**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**» دليل على التفريق بين الحج والعمرة في التكرار وتنبيه على ذلك؛ إذ لو كانت

---

(١) لطائف المعارف (ص٢٢٥).
(٢) رواه البخاري (١٦٨٣) ومسلم (١٣٤٩).
(٣) التمهيد لابن عبد البر (٢٢/ ٣٨).
(٤) الشرح على صحيح مسلم (٩/ ١١٧).

العمرة كالحج لا تفعل في السنة إلا مرة لَسَوَّى بينهما ولم يفرق)[١].

▪ **ومن فضائلها أيضا**: أيها الأفاضل، أنها تعدل حجة مع النبي ﷺ؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سِنَان: ما منعك أن تكوني حَجَجْتِ معنا؟ قالت: نَاضِحَانِ - بعيران - كانا لأَبي فلان (زوجها) حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي غلامنا، قال: «**فَعُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَقْضِي** -: **وفي رواية تعدل - حَجَّةً، أو حَجَّةً مَعِي**»[٢].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء؛ فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة)[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن العربي: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرةُ منزلةَ الحج بانضمام رمضان إليها)[٤].

▪ **ومما يجدر التنبيه عليه أيها الكرام**، أن العمرة في رمضان تعدل بعون الله حجة، سواء اعتمر المسلم في أول الشهر أو في وسطه أو في آخره.

وقد يتساءل بعضُنا فيقول أيها الأحبة: لم يعتمر النبي ﷺ إلا في

---

(١) زاد المعاد (٢/ ١٠٠).

(٢) رواه مسلم (١٢٥٦).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (٩/ ٢).

(٤) فتح الباري (٣/ ٦٠٤).

أشهر الحج، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (اعتمر رسول الله ﷺ أَربع عُمَرٍ، كلهن في ذي القعدة، إلا التي كانت مع حجته: عُمْرَةً من الحُدَيْبِيَةِ في ذي القعدة، وعمرةً من العام المُقْبِل في ذي القعدة، وَعُمْرَةً من الْجِعْرَانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، في ذي القعدة، وَعُمْرَةً مع حجته)[(١)]. وحديثُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يدل على أن الأفضل في العمرة أن تكون في رمضان، فأيهما أفضل؟

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مجيبا على هذا التساؤل: (وقد يقال: إن النبي ﷺ كان يشتغل في رمضان من العبادات بما هو أهم من العمرة، ولم يكن يمكنه الجمع بين تلك العبادات وبين العمرة، فأخر العمرة إلى أشهر الحج)[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذي يظهر أن العمرة في رمضان لغير النبي ﷺ أفضلُ، وأما في حقه فما صنعَه هو أفضل؛ لأن فعله لبيان جواز ما كان أهل الجاهلية يمنعونه فأراد الرد عليهم بالقول والفعل وهو لو كان مكروها لغيره لكان في حقه أفضل والله أعلم)[(٣)].

▪ **فعلينا أيها الأحبة:** أن نغتنم هذه الأوقات بالتزود فيها بالإيمان والتقوى، ومحو آثار الذنوب والسيئات، فإن الأعمار تمضي والساعات تنقضي، ولعلنا لا نُوفق لإدراك رمضان المقبل، فلنبادر إلى

---

(١) رواه البخاري (٣٩١٧)، ومسلم (١٢٥٣).
(٢) زاد المعاد (٢/ ٩٦).
(٣) فتح الباري (٣/ ٦٠٥).

الإكثار من فعل الخيرات ولنبتعد عن كامل المحرمات، ونسأل الله رب الأرض والسماوات أن يوفقنا لطاعته ويتقبل منا صيامنا وقيامنا وسائر الطاعات، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقال الرابع

البيان لبدع رمضان

٤ - البيان لبدع رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما يُحزن كل مسلم غيور على السنة مُحِبٍّ لانتشارها أن يرى بعض الناس متهاونين في تطبيق السنة، بل حتى فيما هو واجب عليهم، متحمسين مع ذلك لتطبيق البدع وتزيينها للناس، ومن ذلك ما يُفعل في شهر الخيرات وموسم البركات، والله المستعان.

فعجبا! والله من هؤلاء كيف يتركون ما صح عنه ﷺ في هذا الشهر الكريم من العبادات ويذهبون إلى الابتداع والخرافات.

▪ **ألم يكتفوا** بما شُرع في هذا الشهر الفضيل، فزادوا فيه ما ليس منه، وشرعوا فيه ما لم يأذن به الله.

▪ **ألم يعلموا** أن الابتداع في هذا الشهر المبارك سبب في ابتعاد الناس عما شرعه الله ورسوله ﷺ لهم من إحياء ليالي رمضان بالصلاة والذكر، وأن البدع تُبعد عن رب العالمين.

قال أيوب السختياني رحمه الله: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا

ازداد من الله بُعْدًا)[١].

▪ **ألم يدركوا** أن من أعظم البلاء على المسلمين ترك المشروع وفعل الأمر المحدث المبتدع.

▪ **ألم يعوا** أن البدع كلها ضلال وإن استحسنها الجهلة من الناس وقبلوها، قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[٢].

▪ **أيها الأحبة الكرام:** من باب النصح للمسلمين وتذكيرا لهم سنُحاول معا إلقاء الضَّوء على ما أحدثه بعض الناس في شهر رمضان الكريم، والتحذير منه مع نقل أقوال العلماء في ذلك، سائلا المولى جل وعلا أن يجعلنا وإياكم سببًا في إحياء السنن ونشرها وإماتة البدع وإخمادها، فمن ذلك:

١ – الاحتفال بليلة النصف من رمضان:

تسمى هذه الليلة (بالقرقيعان) وتسميتها مأخوذة من قرع الأطفال للأبواب طلبًا للحلوى، ولها مظاهر خاصة بها كتحضير أصناف الأكل، ولبس ملابس تراثية، وتخصيصها بتبادل الهدايا وإقامة المهرجانات، وغير ذلك مما يحدث فيها، والله المستعان.

▪ **أيها الأفاضل:** إن الاحتفال بهذه الليلة والعودة إلى ذلك في نفس التوقيت وتخصيصها بمظاهر كمظاهر العيد، يجعلها تضاهي الأعياد الشرعية.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩).
(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام غير الاجتماعات المشروعة فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيدين والحج وذلك هو المبتدع المحدث)[١].

ولهذا أفتى العلماء الربانيون أن تخصيص هذه الليلة بشيء معين وجَعْل ذلك عادةً: من البدع المنهي عنها، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه: (الاحتفال في ليلة الخامس عشر من رمضان أو في غيرها بمناسبة ما يسمى مهرجان القرقيعان بدعة لا أصل لها في الإسلام «**وكل بدعة ضلالة**» فيجب تركها والتحذير منها، ولا تجوز إقامتها في أي مكان، لا في المدارس ولا المؤسسات أو غيرها، والمشروع في ليالي رمضان بعد العناية بالفرائض: الاجتهادُ بالقيام وتلاوة القرآن والدعاء)[٢].

٢ - الاحتفال بذكرى غزوة بدر:

ومما أُحْدِث في هذا الشهر المبارك أيضا ما يفعله بعض المسلمين من الاحتفال بذكرى غزوة بدر في السابع عشر من رمضان من كل عام، فتقام فيها الاحتفالات في المساجد وفي القاعات العامة ويتخلل الاحتفال أناشيد وتكريم بعض الحضور وإلقاء الخطب والمحاضرات عن غزوة بدر، مع أن تخصيص هذه الليلة بالاجتماع والذكر وإلقاء القصائد، وجعلها موسمًا شرعيًّا، ليس له مستند من الكتاب ولا من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٠٤).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٥٩).

السنة، فلم يؤثر عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أو التابعين أو السلف الصالح - رحمهم الله - أنهم احتفلوا بهذه المناسبة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة: مثل يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين، ثم لم يُوجب ذلك أن يُتخذ مثال تلك الأيام أعيادًا، وإنما يفعل مثل هذا النصارى، الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى - عليه السلام - أعيادًا، أو اليهود، وإنما العيد شريعة، فما شَرَعه الله اتُّبع، وإلا لم يُحْدَثْ في الدين ما ليس منه)[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا يُحْتفل بذكرى غزوة بدر ولا غيرها من الغزوات العظيمة، سواء كانت هذه الانتصارات في عهد النبي ﷺ أو بعده)[٢].

٣ - الاحتفال بليلة القدر:

يقيم بعض المسلمين في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان احتفالا بليلة القدر، وبنزول القرآن من كل عام، بحيث نجد أنهم يخصونها بأشياء مثل كثرة تلاوة القرآن، والاجتماع في المساجد وتوزيع الجوائز وغير ذلك مما يحدثونه.

مع أن النبي ﷺ لم يكن يحتفل بها ولا أصحابه (رضوان الله

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٩١).

عليهم) ولا القرون المفضلة احتفلوا بها، بل كانوا يتحرونها في الليالي الأوتار من العشر الأخيرة من رمضان، فيكثرون فيها الصلاة والدعاء وقراءة القرآن.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه: (لا يجوز الاحتفال بمناسبة ليلة القدر، ولا غيرها من الليالي ولا الاحتفال لإحياء المناسبات كليلة النصف من شعبان وليلة المعراج ويوم المولد النبوي، لأن هذا من البدع المحدثة لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وقد قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، ولا يجوز الإعانة على إقامة هذه الاحتفالات بالمال ولا بالهدايا، ولا توزيع أكواب الشاي، ولا يجوز إلقاء الخطب والمحاضرات فيها، لأن هذا من إقرارها والتشجيع عليها، بل يجب إنكارها وعدم حضورها...)[١].

٤ - قراءة سورة الأنعام:

مما ابْتُدع أيضا في هذا الشهر، تخصيص قراءة سورة الأنعام جميعها في ركعة واحدة، وذلك في آخر ركعة من التراويح ليلة السابع أو قبلها، وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عما يصنعه أئمة هذا الزمان من قراءة سورة الأنعام في رمضان في ركعة واحدة ليلة الجمعة هل هي بدعة أم لا؟.

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (نعم بدعة، فإنه لم يُنْقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد

---

(١) فتاوى اللجنة (٢/ ٢٥٧).

من الصحابة والتابعين، ولا غيرهم من الأئمة أنهم تحروا ذلك، وإنما عمدة من يفعله ما نُقِل عن مجاهد وغيره من أن سورة الأنعام نزلت جملة مُشَيَّعَةً بسبعين ألف ملك، فاقْرؤوها جملةً لأنها نزلت جملة. وهذا استدلال ضعيف، وفي قراءتها جملةً من الوجوه المكروهة أمورٌ منها:

- أن فاعل ذلك يُطَوِّل الركعة الثانية من الصلاة على الأولى تطويلاً فاحشًا، والسُّنة تطويل الأولى على الثانية كما صح عن النبي ﷺ ومنها: تطويل آخر قيام الليل على أوله، وهو خلاف السنة، فإنه كان يطول أوائل ما كان يصليه من الركعات على أواخرها، والله أعلم)[١].

■ **ومما يجدر بنا التنبيه عليه في هذا المقام أيضًا:** أنه كما لا يجوز الابتداع في هذا الشهر الكريم، كذلك لا يجوز حضور ما يقام فيه من الاحتفالات البدعية، للفرجة والتسلية والاستطلاع إلا لمنكِرٍ يَقْوَى على البيان ويغلب على ظنه سلامته من الفتن.

وقد سئلت اللجنة الدائمة بإشراف الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن حضور الاحتفالات البدعية، كالاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة المعراج وليلة النصف من شعبان، لمن يعتقد عدم مشروعيتها لبيان الحق في ذلك؟

فكان الجواب:

أولا: الاحتفال بهذه الليالي لا يجوز، بل هو من البدع المنكرة.

---

(١) الفتاوى (٢٣/ ١٢١).

ثانيا: غشيان هذه الاحتفالات وحضورها لإنكارها وبيان الحق فيها وأنها بدعة لا يجوز فعلها مشروعٌ ولاسيما في حق من يقوى على البيان ويغلب على ظنه سلامته من الفتن.

أما حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع فلا يجوز، لما فيه من مشاركة أهلها في منكرهم، وتكثير سوادهم، وترويج بدعتهم[(١)].

فعلينا أيها الكرام: أن يَسَعَنا ما وَسِعَ سلفَنا الصالح رضي الله عنهم، ونلزم ما جاء في الكتاب والسنة فإن الخير كل الخير فيهما، وأن نحذر كل الحذر من البدع فإنها مُضِلاَّت عن الدين ومُبْعِدات عن رب العالمين، ولنجتنب الأحاديثَ الضعيفة والموضوعة التي تُرْوَى في فضائل هذا الشهر، فإن ما صح فيه يغني عنها ولله الحمد.

وفي تتمة المقال بعون الكبير المتعال سأذكر لكم طائفة من هذه الأحاديث المكذوبة لتعلموها ولتجتنبوها ولتحذروا الناس منها نصحًا للإسلام والمسلمين، سائلين الله لنا ولكم العون والتوفيق على العمل بالسنة ونشرها، والعلم بالبدعة والتحذير منها وإخمادها.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٢٦).

المقال الخامس

أحاديث لا تصح في فضل شهر رمضان

٥ - أحاديث لا تصح في فضل شهر رمضان

إن من أسباب رواج البدع وذيوعها بين الناس، انتشار ما يؤيدها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فلقد لقيت هذه الأحاديث قبولا عند بعض العامة بسبب تبني بعض أهل البدع أو بعض الجهلة في الدين على نشرها، حيث جعلوا وسائل الإعلام والاتصال المختلفة مطية لهم لترويجها، والله المستعان.

لكن الله تبارك وتعالى سخر لهذه الأحاديث فرسانا كشفوا عُوارَها، وبينوا وضعها، ولذلك قيل للإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه الأحاديث المصنوعة؟ فقال: يعيش لها الجهابذة)[١].

يقول الإمام السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ذاكرا حال هؤلاء الفرسان: (وهم الذين خصهم الله بنور السنة، وقوة البصيرة فلم تَخْفَ عنهم حالُ مُفْتَرٍ ولا زُورُ كذابٍ، فبينوا بنقدهم فسادَها وميزوا الغثَّ من السمين)[٢].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما لم يُمْكِنْ أحدًا أن يُدخل في القرآن ما ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذبُّون عن النقل، ويوضحون

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣).
(٢) فتح المغيث (١/ ٢٦٠).

الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يُخْلِي الله منهم عصرًا من الأعصار، غير أن هذا الضرب قد قل في هذا الزمان)[١].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) فكم يكون العلماء الذَّابون عن الحديث في هذا العصر؟! لا شك أنهم أقل من القليل)[٢].

وإذا كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يشتكي من هذا في وقته! مع وجود الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وغيرهم من العلماء الربانيين عليهم رحمات رب العالمين، فماذا نقول نحن عن وقتنا، الذي قَلَّ فيه العلم وفشا فيه الجهل، وانتشرت فيه البدع وقويت شوكة المبتدعة، والله المستعان.

▪ **أيها الأحبة:** علينا أن نحرص على تصفية ديننا الحنيف مما يدخله عليه أهل الأهواء والجهل، وإذا بلغ مسامعنا حديثٌ نبويٌّ فعلينا أن نتأكد من صحته بعرضه على أهل الاختصاص الربانيين.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن التعرف على الحديث الضعيف أمر واجب وحتم لازم على كل مسلم يتعرض لتحديث الناس وتعليمهم ووعظهم، وقد أخل به جماهير المؤلفين والوعاظ والخطباء، فإنهم كثيرا ما يروون من الأحاديث ما لا أصل لها غير مبالين بنهيه ﷺ عن التحديث عنه إلا بما صح)[٣].

---

(١) الموضوعات (١/ ١٠).

(٢) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٢).

(٣) ضعيف الأدب المفرد (ص٦).

▪ **أيها الكرام الأفاضل:** إن مما ينبغي معرفته والحذر منه ما وضعه بعض أهل الأهواء والجهلة في الدين من أحاديث في فضل شهر رمضان، كأن ما صح فيه ولله الحمد لم يكفهم! فاحتاجوا للكذب والوضع في فضائله.

ولذا أحببت أن أُذكركم في هذا المقال بطائفة من الأحاديث المكذوبة مع نقل كلام العلماء فيها، عسى الله أن ينفعني وينفعكم بالعلم بها لنجتنبها ونحذر الناس منها، بإذنه سبحانه وتعالى، فمنها:

١ - حديث: «لاَ تَقُولُوا: رَمَضَانَ؛ فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ»(١).

٢ - حديث: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.
والحديث لا يصح، ضعفه ابن عدي (٧/ ٥٣)، والبيهقي بعدما رواه، وابن حجر في الفتح (٤/ ١١٣). ويَرد عليه أيضا أن تسميته برمضان دون إضافة الشهر جاءت في أحاديث كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». رواه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد كما في المسند (١/ ٢٥٩) والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.
وهو حديث ضعيف؛ لأن في إسناده زائدة بن أبي الرقاد البصري، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٢١٣): (منكر الحديث)، وكذلك في إسناده زياد بن عبد الله النميري البصري قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٢٢٠): (ضعيف).
والحديث ضعفه البيهقي في فضائل الأوقات (ص١٠٤)، والنووي في الأذكار (ص٣١٤)، =

٣ - حديث: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ. . . مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاه. . . وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ. . . من فطَّر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنوبه، وَعِتْق رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ»(١).

٤ - حديث: «صُومُوا تَصِحُّوا»(٢).

٥ - حديث: أن النبي ﷺ قال: «يَسْتَقْبِلُكُمْ وَتَسْتَقْبِلُونَ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَحْيٌ نَزَلَ؟ قَالَ: «لاَ» قَالَ: عَدُوٌّ حَضَرَ؟ قَالَ: «لاَ» قَالَ: فَمَاذَا؟ قال «إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَغْفِرُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِكُلِّ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ. . .»(٣).

=وابن رجب في لطائف المعارف (ص١٧٠)، والحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب (ص٣٧)، والألباني في ضعيف الجامع (٤٣٩٥).

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣/ ١٩١) وغيره من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعًا.

والحديث لا يصح، لأن في سنده علي بن زيد بن جُدْعان البصري قال عنه الحافظ ابن حجر: (ضعيف) تقريب التهذيب (ص٤٠١)، وقال الإمام أبو حاتم الرازي رحمه الله: (هذا حديث منكر). العلل (٧٣٣)، وكذلك قال العلامة الألباني: رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ١٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، ورُوي عن غيره أيضًا رضي الله عنه. ولا يصح، ضَعَّفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٧٥) وأيضا الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٤٢٠).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٣/ ١٨٩) وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

والحديث لا يصح لأن في سنده عمرو بن حمزة القيسي، لا يتابع في حديثه كما قال البخاري =

٦ - حديث: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ: خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَؤُنَةَ وَالأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلا يَخْلُصُوا إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ»(١).

٧ - حديث: «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا رَمَضَانُ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ السَّنَةَ كُلَّهَا رَمَضَان» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، حدِّثنا. فقال: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُزَيَّنُ لِرَمَضَان مِنْ رَأْسِ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَصَفَّقَتْ وَرَقُ الْجَنَّةِ فَتَنْظُرُ الْحُورُ الْعِينُ إِلَى ذَلِكَ، فَيَقُلْنَ: يَا رَبِّ، اجْعَلْ لَنَا مِنْ عِبَادِكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَزْوَاجًا تَقَرُّ أَعْيُنُنَا بِهِمْ، وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِنَا، قَالَ: فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ إلا زوج زوجة من الحور العين، في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله عَزَّوَجَلَّ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢] عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ

= في التاريخ الكبير (٦/ ٣٢٥)، وقال العلامة الألباني عن الحديث: (منكر). السلسلة الضعيفة (٢٨٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٩٢)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا.

والحديث لا يصح، لأن في إسناده هشام بن أبي هشام المدني، قال عنه الحافظ ابن حجر: (متروك). تقريب التهذيب (ص٥٧٢)، قال العلامة الألباني عن الحديث: (ضعيف جدًّا). ضعيف الترغيب والترهيب (٥٨٦).

سَبْعُونَ حُلَّةً، لَيْسَ مِنْهَا حُلَّةٌ عَلَى لَوْنِ الأُخْرَى تُعْطي سَبْعينَ لَوْنًا مِنَ الطِّيبِ لَيْسَ مِنْهُ لَوْنٌ عَلَى رِيحِ الآخَرِ، لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ سَرِيرًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا، بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَوْقَ كُلِّ فِرَاشٍ سَبْعُونَ أَرِيكَةً، لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفَةٍ لِحَاجَتِهَا، وَسَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفٍ، مَعَ كُلِّ وَصِيفٍ صَحْفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهَا لَوْنُ طَعَامٍ، تَجِدُ لآخِرِ لُقْمَةٍ مِنْهَا لَذَّةً لاَ تَجِدُ لأَوَّلِهِ، وَيُعْطَى زَوْجُهَا مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ مُوَشَّحٍ بِالدُّرِّ عَلَيْهِ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ هَذَا بِكُلِّ يَوْمٍ صَامَهُ مِنْ رَمَضَانَ، سِوَى مَا عَمِلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ»[(١)].

٨ - حديث: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»[(٢)].

٩ - حديث: «إذا صُمْتُمْ فَاسْتَاكُوا بِالْغَدَاةِ وَلا تَسْتَاكُوا بِالْعَشِيِّ، فإنه ليس من صائم تَيْبَسُ شَفَتَاهُ بِالْعَشِيِّ إلا كان نُورًا بين عَيْنَيْهِ يوم الْقِيَامَةِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند (٩/ ١٨٠) وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.
والحديث لا يصح، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع كما في كتابه الموضوعات (٢/ ٣٧٣)، وكذلك الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٨٨) وكذلك الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترغيب (٥٩٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد أطال الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٤١) في تخريجه وبين أنه ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٧٨) من حديث خباب بن الأرَتّ رضي الله عنه، ويُروى عن علي رضي الله عنه موقوفا رواه الدارقطني في السنن (٢/ ٢٠٤).
والحديث لا يصح، ضعفه الدارقطني وتبعه البيهقي وأقرهما ابن الملقن كما في البدر المنير (٥/ ٧٠٧) وضعف أيضًا رَفْعَه ووقْفَه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٧٧).

١٠ - حديث: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَسُكُوتُهُ تَسْبِيحٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُتَقَبَّلٌ»(١).

١١ - حديث: «اعْتِكَافُ عَشْرٍ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ»(٢).

١٢ - حديث: «يومُ صومِكم يومُ نَحْرِكم»(٣).

فهذه أيها الأحبة: بعض الأحاديث المكذوبة التي تروى في فضل هذا الشهر، فينبغي أن نعلمها ونَحذر منها، وننصح غيرنا بمعرفتها والابتعاد عنها.

فالله الله في التحري من صحة الحديث قبل روايته ونشره بين الناس، حتى لا ندخل في وعيد قوله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»(٤).

ثبتنا الله وإياكم على السنة، وجَنَّبَنَا البدعَ وشرورها، ورزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٤١٦) وغيره من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعا. والحديث لا يصح، ضعفه الحافظ المناوي كما في فيض القدير (٦/ ٣٧٨)، والشيخ الألباني كما في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٨) وغيره من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه مرفوعا، والحديث أورده الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٠) وقال عنه: (موضوع).

(٣) لا أصل له كما قاله الإمام أحمد وغيره كما قال السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة (١٣٥٥).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٨).

المقال السادس

ليلة القدر

٦ - ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من أعظم ليالي رمضان قدرًا وأكثرها أجرًا: ليلةَ القدر، فهي خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: تعادل في فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها)(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»(٢).

وقد سُمِّيت بليلة القدر - أيها الأفاضل - لعظم قدرها وفضلها

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣١).

(٢) رواه النسائي (٢١٠٦) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عند الله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر :١-٣].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:٢]: هذا على سبيل التعظيم والتشوق إلى خيرها)(١).

ولأنه كذلك يُقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان :٣-٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُفصل ويُمَيز ويُكْتب كل أمر قدري وشرعي حَكَم الله به، وهذه الكتابة والفرقان الذي يكون في ليلة القدر إحدى الكتابات التي تكتب وتميز، فتطابق الكتابَ الأولَ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق وآجالَهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وَكَّل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد خروجه إلى الدنيا، وكل به كراما، كاتبين، يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته، وإتقان حفظه، واعتنائه تعالى بخلقه)(٢).

إن مما زاد هذه الليلة بركةً وتعظيمًا أن القرآن الكريم أُنزل فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر :١].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٩/ ١٩١).

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٧١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وذلك أن الله تعالى، ابتدأ بإنزاله في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكرًا)[١].

فالسعيد أيها الأحبة مَنْ يَسَّر الله له صيامها وقيامها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٢].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعنى قوله: «**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**» يعني: مُصدِّقًا بفرض صيامه، ومصدقًا بالثواب على قيامه وصيامه، ومحتسبًا مريدًا بذلك وجه الله، بريئًا من الرياء والسمعة، راجيًا عليه ثوابه)[٣].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (معنى (إيمانًا): تصديقًا بأنَّه حق، مقتصد فضيلته، ومعنى (احتسابًا): أن يريد اللهَ تعالى وحده، لا يقصد رؤية الناس ولا غيرَ ذلك مما يخالف الإخلاص، والمراد بالقيام: صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها)[٤].

وقوله ﷺ: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» محمول على الصغائر دون الكبائر، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن المكفرات إن صادفت السيئات تمحوها إذا كانت صغائر، وتخففها إذا كانت كبائر، وإلا تكون موجبة

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٣١).
(٢) رواه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٥٩).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٥٩).
(٤) الشرح على صحيح مسلم (٦/ ٣٩).

لرفع الدرجات في الجنات)[١].

▪ **أيها الكرام:** لقد كان نبينا ﷺ يتحرى ليلة القدر، ويأمر أصحابه بتحرِّيها فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»[٢]، والأحاديثُ التي جاءت في وقتها - أيها الأفاضل - تشير أنها في العشر الأواخر وأنها في الأيام الوترية منها آكد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر أقوال العلماء في تحديد وقتها: (وأرجحها كلها أنها في وترٍ من العشر الأخير، وأنها تنتقل، كما يُفهم من أحاديث هذا الباب وأرجاها أوتار العشر)[٣].

قال الحافظ البيهقي رحمه الله: (قد كان رسول الله ﷺ يعلمها في الابتداء، غير أنه لم يكن مأذونًا له في الإخبار بها؛ لئلا يتكلوا على علمها فيُحْيُوها دون سائر الليالي، ثم إنه ﷺ أُنْسِيَها؛ لئلا يُسْأل عن شيء من أمر الدين فلا يخبر به)[٤].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عُيِّنت لها ليلةٌ لاقتُصِر عليها، كما تقدم نحوُه في ساعة الجمعة، وهذه الحكمة مُطَّرِدة

---

(١) تحفة الأحوذي (٣/ ٢٩٣).
(٢) رواه البخاري (١٠٨٨) ومسلم (١٩٨٥).
(٣) فتح الباري (٤/ ٢٦٦).
(٤) فضائل الأوقات للبيهقي (ص٢٤٤).

عند من يقول: إنها في جميع السنة، وفي جميع رمضان، أو في جميع العشر الأخير، أو في أوتاره خاصة، إلا أنَّ الأول ثم الثاني أليق)[١].

ولهذه الليلة المباركة علامة ذكرها النبي ﷺ، ففي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قول النبي ﷺ: «. . . **وأَمَارَتُها أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ في صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لا شُعَاعَ لها**»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في ليلة القدرِ: «**لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ لا حَارَّةٌ ولا بَارِدَةٌ تُصْبِحَ الشَّمْسُ يَوْمَهَا حَمْرَاءُ ضَعِيفَة**»[٣].

فمن وفقه الله أيها الكرام لإدراكها فليكثر من الدعاء والتضرع لله ﷻ، وليحرص على الدعاء بجوامع الكلم وليبتعد عن الأدعية التي فيها تكلف السجع، فالحمد لله قد دلنا نبينا ﷺ على السُّنَّة في هذا الباب فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أَرأَيتَ إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدرِ ما أَقول فِيهَا؟ قال: قولي: «**اللَّهُمَّ إنَّك عَفُوٌّ كَريمٌ تُحبُّ العَفوَ فَاعْفُ عنِّي**»[٤].

▪ فعلينا أيها الأحبة الأفاضل بالجد والاجتهاد في هذه الليالي المباركة، فإن العمر يمضي والساعات تنقضي، ولعلنا لا نُعَمَّر لإدراك شهر رمضان المقبل، والله هو الحافظ.

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣١٣).

(٢) رواه الإمام مسلم (٧٦١).

(٣) رواه ابن خزيمة (٢١٩٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بشواهده.

(٤) رواه الترمذي (٣٥١٣) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فالله أسأل لي ولكم أن يوفقنا لإدراك هذه الليلة المباركة ويجعلنا ممن صامها وقامهما إيمانًا واحتسابًا، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

زكاة الفطر

زكاة الفطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

▪ إن زكاة الفطر أيها الأحبة واجبة على كل مسلم، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ...)[(١)].

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأجمعوا على أن صدقة الفطر فرض)[(٢)].

▪ والحكمة من وجوبها أيها الأفاضل ما جاء عنه ﷺ أنها: «**طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ...**»[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكان من الحكمة أن يُعْطَوْا هذه

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٣) ومسلم (٩٨٤).

(٢) الإجماع (١٠٦).

(٣) رواه أبو داود (١٦٠٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الزكاة - أي الفقراء - من أجل أن يشاركوا الأغنياء في الفرح والسرور)[١].

▪ **ومما ينبغي أنْ يُعْلم:** أن صدقة الفطر عن المملوك أيضا واجبة، لكن على مالكه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي فَرَسِهِ وَلاَ فِي عَبْدِهِ صَدَقَةٌ إِلاَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ**»[٢].

قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: في(باب الدليل على أن صدقة الفطر عن المملوك واجب على مالكه، لا على المملوك كما توهم بعض الناس)... وذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا يفسر حديثَ ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «... **عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ وَالذكَرِ وَالأُنْثَى**».

نوعها: لا تُخْرج زكاة الفطر نقودًا، قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل لأحمد وأنا أسمع: أُعطي الدراهم؟ - يعني في صدقة الفطر - قال: أخاف أن لا يجزئه، خلاف سنة رسول الله ﷺ[٤].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا تجزئ القيمة في الفطرة عندنا، وبه قال مالك وأحمد وابن المنذر)[٥].

---

(١) الشرح الممتع (٦/ ١٥١).
(٢) رواه مسلم (٩٨٢).
(٣) صحيح ابن خزيمة (٤/ ٨٢).
(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ٨٧).
(٥) المجموع (٦/ ١٤٤).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولم يُجِزْ عامة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازها أبو حنيفة)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أوجبها الله - أي صدقة الفطر - طعامًا كما أوجب الكفارة طعامًا)[٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (القول بالقيمة فيه مخالفة للأصول من جهتين:

الجهة الأولى: أن النبي ﷺ لما ذكر تلك الأصناف لم يذكر معها القيمة، ولو كانت جائزة لذكرها مع ما ذَكَر.

الجهة الثانية: وهي القاعدة العامة، أنه لا ينتقل إلى البدل إلا عند فقد المبدل عنه[٣]، . . . وكذلك لو أن كل الناس أخذوا بإخراج القيمة لتعطل العمل بالأجناس المنصوصة. . . ويمكن أن يقال لهم أيضا: إن زكاة الفطر فيها جانبُ تعبُّدٍ، طهرةً للصائم وطُعمةً للمساكين، كما أن عملية شرائها ومكيلتها وتقديمها فيه إشعارٌ بهذه العبادة، أما تقديمها نقدًا فلا يكون فيها فرق عن أي صدقة من الصدقات من حيث الإحساس بالواجب والشعور بالإطعام)[٤].

---

(١) الشرح على مسلم (٧/ ٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٧٣).

(٣) يقصد الشيخ فَقْدَ الأصناف من الطعام المذكورة في الحديث.

(٤) أضواء البيان (٨/ ٤٩٣).

وسُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقدًا مع تفصيل الأدلة حفظكم الله؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (زكاة الفطر لا تجوز إلا من الطعام، ولا يجوز إخراجها من القيمة، لأن النبي ﷺ فرضها صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، وقال أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (كنَّا نخرجها على عهد النبي ﷺ صاعًا من طعام).

فلا يحل لأحد أن يخرج زكاة الفطر من الدراهم، أو الملابس، أو الفُرش، بل الواجب إخراجها مما فرضه الله على لسان محمد ﷺ ولا عبرة باستحسان من استحسن ذلك من الناس، لأن الشرع ليس تابعًا للآراء، بل هو من لدن حكيم خبير، والله عز وجل أعلم وأحكم، وإذا كانت مفروضة بلسان محمد ﷺ صاعًا من طعام فلا يجوز أن تتعدى ذلك مهما استحسناه بعقولنا، بل الواجب على الإنسان إذا استحسن شيئًا مخالفًا للشرع أن يتهم عقله ورأيه)[١].

قدرها: صاع من التمر أو الشعير أو الدقيق ونحو ذلك مما يُعَدُّ قوتًا، والصاع أربعة أمداد كما في نيل الأوطار للشوكاني[٢].

والمُدَّ: حفنة الرجل باليدين، وسُمي مُدًّا لأن اليدين تمدان.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ

---

(١) فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١٨/ ٢٨٠).
(٢) (٤/ ٢١٩).

أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ)[١].

وخُصَّت هذه الأصناف في الحديث بالذكر لأنها غالب قوت أهل المدينة.

وسئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هل الأنواع التي تخرج في صدقة الفطر محددة؟ وإن كانت كذلك فما هي؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (الواجب إخراجها من قوت البلد، سواء كانت تمرا أو شعيرا أو بُرًّا أو ذُرَة أو غير ذلك، في أصح قولي العلماء، لأن رسول الله ﷺ لم يشترط في ذلك نوعًا معينًا، ولأنها مواساة، وليس على المسلم أن يواسي من غير قوته)[٢].

ويجوز الزيادة عن المنصوص عليه، لا خروجًا عن النص ولكن تَنَفُّلا وتطوعًا.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تميمة رَحِمَهُ اللَّهُ عمن عليه زكاة الفطر، ويعلم أنها صاع ويزيد عليه ويقول: هو نافلة، هل يكره؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحمد لله، نعم يجوز بلا كراهية عند أكثر العلماء كالشافعي وأحمد وغيرهما، وإنما تنقل كراهيته عند مالك، وأما النقص عن الواجب، فلا يجوز باتفاق العلماء)[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٦) ومسلم (٩٨٥).

(٢) فتاوى الصيام (ص٩١٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٧٠).

وقت إخراجها: تجب بغروب شمس ليلة الفطر، ولهذا سميت بصدقة الفطر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأُضِيفت الصدقة للفطر لكونها تجب بالفطر من رمضان)[١].

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أن النبي ﷺ أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ)[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستُدِلَّ به على أن وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر لأنه وقت الفطر من رمضان، وقيل: وقت وجوبها طلوعُ الفجر من يوم العيد، لأن الليل ليس محلا للصوم...)[٣].

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، فعن نافع قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعطيها الذين يقبلونها[٤]، وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين[٥].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن جواز هذا من باب الرخصة، لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فعلوا ذلك... ومادام أن هذه الرخصة جاءت عن

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٦٧).
(٢) رواه البخاري (١٥٠٩) ومسلم (٩٨٦).
(٣) فتح الباري (٣/ ٣٦٨).
(٤) وهم الذين ينصبهم الإمام لقبض الزكوات. عمدة القاري (٩/ ١٢٠).
(٥) رواه البخاري (١٥١١).

الصحابة رضي الله عنهم، فهم خير القرون وعَمَلُهم متبع)[١].

ولا يجوز تأخيرها عن وقتها؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة)[٢].

فمن أخرها عُدَّت زكاته صدقة من الصدقات كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (ومن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات)[٣].

أما لو أخرها لعذر، بمعنى لو أن إنسانا وكَّل إنسانا في إخراج الزكاة عنه بأن يكون مسافرًا مثلا، فلما رجع من السفر تبين أن وكيله لم يخرجها؟

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (يقضيها غَيْرَ آثم، ولو بعد فوات أيام العيد، وذلك قياسا على الصلاة لقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**».

وكذلك أيضًا لو جاء خبر العيد بغتةً ولم يتمكن من إيصالها إلى الفقير إلا بعد صلاة العيد فإنه معذور ويقضيها ولا يكون آثما)[٤].

مصرفها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يجوز دفع زكاة الفطر إلا

---

(١) شرح الممتع (٦/ ١٦٩).
(٢) رواه البخاري (١٥٠٩) ومسلم (٩٨٦).
(٣) أخرجه أبو داود (١٦٠٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) شرح الممتع (٦/ ١٧٤).

لمن يستحق الكفارة، وهو من يأخذ لحاجته، لا في الرقاب والمؤلفة قلوبهم، وغير ذلك)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان من هديه ﷺ تخصيص المساكين بهذه الصدقة)[٢].

▪ **فأيها الأحبة الأفاضل:** علينا أن نحرص على إخراج زكاة الفطر من الطعام خروجًا من الخلاف، ولله الحمد من أراد أن يتصدق بالمال فليتصدق كتب الله أجره، لكن دون تقيده بزكاة الفطر.

ومما ينبغي أن نعلمه أيضًا أن السُّنة في زكاة الفطر أن يخرجها الصائم بنفسه ليطمئن ويستشعر بهذه العبادة، وأن يخرجها في بلده، إلا إذا كان ليس في بلده محتاج، وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فقيل له: نجمع زكاة الفطر نقدًا من الناس ثم نتصل بمكتب خدمات المجاهدين هاتفيًّا لإبلاغهم فيردون أنهم يشترون بهذه النقود أرزًا مثلاً ويخرجونه ليلة العيد لأسر المجاهدين والشهداء فهل يصح هذا العمل؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا العمل لا يصح ولا يجوز أن تنقل زكاة الفطر لغير البلد الذي فيه الصائم إلا إذا كان ليس في البلد أحد محتاج فهذا لا بأس، وأما مادام فيه محتاج فإنه لا يجوز نقلها لا للمجاهدين ولا لغيرهم)[٣].

---

(١) الاختيارات الفقهية (ص١٠٢).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢١).

(٣) فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١٨/ ٣٢٣).

▪ **وفي الختام أيها الكرام:** اللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام، وأن يجعل هذه الزكاة طهرة لنا من اللغو والرَّفث، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

شهر شوال

وفيه ثلاثة مقالات :

١- عيد الفطر .

٢- ماذا بعد رمضان؟ .

٣- البيان لبدع شوال .

المقال الأول

عيد الفطر

١ - عيد الفطر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ها هو ذا - بفضل الله عز وجل - يُطل علينا عيد من أعياد المسلمين بعد فراغنا من ركن عظيم من أركان الإسلام ألا وهو صوم رمضان.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم علينا النبي ﷺ ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: «**قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بها خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ**»(١).

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن الأعرابي: سُمِّي العيد عيدًا لأنه يعود كلَّ سنة بفرح مجدد)(٢).

إن هذا عيد الفطر أيها الأحبة يفرح فيه من صان صيامه وأحسن قيامه

---

(١) رواه أبو داود (١١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) لسان العرب (٣/ ٣١٩).

وأخلص عمله لخالقه سبحانه وتعالى.

▪ **أيها الأفاضل**: إنه مما يجب علينا في هذا اليوم المبارك أن نبتعد عن المعاصي والبدع، ولنعلم أن المعصية بعد الطاعة عَمًى بعد بصيرة، وضلالٌ بعد الهدى، وأن هذا ليس من شكر ما أنعم الله به علينا.

فمن البدع المشهورة في هذا اليوم تخصيص زيارة القبور في العيد، وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له السائل: أهل مسجدنا يخرجون جميعا بعد كل صلاة عيد إلى زيارة القبور جماعة، ما الحكم في هذا؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس لهذا أصل، الخروج إلى القبور بعد صلاة العيد عادة لبعض الناس، فإذا زاروا القبور يوم العيد أو يوم الجمعة أو في أي يوم، ما فيه يوم مخصوص لا بأس، أما تخصيص يوم العيد، أو تخصيص يوم الجمعة، أو تخصيص يوم آخر فلا، ليس له أصل، ولكن السنة أن يزوروا القبور بين وقت وآخر على حسب التيسير إذا كان وقتهم يسمح، في يوم الجمعة، في يوم العيد، في أوقات أخرى يفعلون، أما أن يظنوا أن لهذا اليوم خصوصية فلا)[(١)].

وكذلك صيام يوم العيد، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم يومين: يوم الفطر ويوم الأضحى[(٢)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين

(١) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٤).
(٢) رواه البخاري (١١٩٧) ومسلم (١١٣٨).

اليومين بكل حال، سواء صامهما عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك)[١].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحكمة في النهي عن صوم العيدين أن فيه إعراضا عن ضيافة الله تعالى لعباده كما صرح بذلك أهل الأصول)[٢].

ومن المعاصي التي تكثر فيه أيضًا والله المستعان، مصافحة المرأة المسلمة لغير المحارم، مع أنه ﷺ حذر من ذلك أشد التحذير، فقال ﷺ: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ**»[٣].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث وعيد شديد لمن مس امرأة لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء لأن ذلك مما يشمله المسُّ دون شك، وقد بُلي بها كثير من المسلمين في هذا العصر وفيهم بعض أهل العلم، ولو أنهم استنكروا ذلك بقلوبهم، لهان الخطب بعض الشيء، ولكنهم يستحلون ذلك، بشتى الطرق والتأويلات، وقد بلغنا أن شخصية كبيرة جدًّا في الأزهر قد رآه بعضهم يصافح النساء، فإلى الله المشتكى من غربة الإسلام.

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٨/ ١٥).

(٢) نيل الأوطار (٨/ ٤٥٩).

(٣) رواه الروياني في مسنده (١٢٨٣) والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٣) من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).

بل إن بعض الأحزاب الإسلامية، قد ذهبت إلى القول بجواز المصافحة المذكورة، وفرضت على كل حزبي تَبَنِّيه، واحتجت لذلك بما لا يصلح، مُعْرِضةً عن الاعتبار بهذا الحديث والأحاديثِ الأخرى الصريحة في عدم مشروعية المصافحة)[١].

■ **وكذلك علينا أيها الأحبة:** أن نحرص على إحياء السنن المتعلقة بهذا اليوم، ولهذا أحببت أن أذكرها لكم لعل الله بجوده وكرمه يعيننا وإياكم على إحيائها ونشرها بين الناس، ومن ذلك:

١ - **الغسل:** لم يثبت فيه ذلك حديث مرفوع[٢]. وإنما جاء استحباب الغسل عن بعض الصحابة ﷺ:

- فعن نافع أن ابن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو في المُصَلَّى[٣].

- وسأل رجل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الغسل؟، فقال: اغتسل كل يوم إن شئت، فقال: الغسل الذي هو الغسل؟، قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر[٤].

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٨).

(٢) وأما ما رواه ابن ماجه (١٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر والأضحى). فلا يصح لأن في إسناده جُبارة بن مُغَلِّس وحجاج بن تميم، وهما ضعيفان. وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله.

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٧٧).

(٤) رواه الشافعي كما في مسنده (١١٤) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (١/ ١٧٦).

- وقال الإمام سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: (سُنة الفطر ثلاثٌ: المشي إلى المصلى، والأكل قبل الخروج، والاغتسال)[١].

■ **الأكل قبل الذهاب لصلاة العيد:** فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ لا يَغْدُو يوم الفطر حتى يأكل تمرات)[٢].

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يَطعم، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نَسِيكته)[٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المهلب: الحكمة في الأكل قبل الصلاة، أن لا يظن ظان لزومَ الصوم حتى يصلي العيد فكأنه أراد به سد هذه الذريعة)[٤].

■ **التكبير:** قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية)[٥].

---

(١) رواه الفريابي في كتابه أحكام العيدين (١٨) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٠٤).

(٢) رواه البخاري (٩٥٣) وفي رواية (يأكلهن وترا).

(٣) رواه الترمذي (٥٤٢) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) فتح الباري (٢/ ٤٤٧).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٩).

وقد جاءت بعض صيغ التكبير عن بعض الصحابة ﷺ من ذلك:

▪ ما صَحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد)[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه كان يكبر فيقول: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد)[٢].

▪ **الخروج إلى المصلى:** فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ. . .)[٣].

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: (السنة أن يُصَلَّى العيد في المصلى)[٤].

وللشيخ الألباني رحمه الله رسالة مفيدة عنوانها (صلاة العيدين في المصلى هي السنة)، ننصح بالاستفادة منها.

وكذلك يستحب أن تخرج المرأة المصلى لصلاة العيد، لتشهد الخير ودعوة المسلمين، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى: الْعَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٤٨٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في إرواء الغليل (٣/ ١٢٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٤٩٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء (٣/ ١٢٥).

(٣) رواه البخاري (٩٥٦).

(٤) المغني (٢/ ٢٢٩).

وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاَةَ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)[١].

وعلى المرأة المسلمة عند خروجها أن تتقيد بالحجاب الشرعي وتبتعد عن كل ما يؤدي إلى الفتنة كالتبرج والطِّيب وغير ذلك مما قد يكون فتنة للرجال، والله المستعان.

▪ **مخالفة الطريق في الذهاب والإياب من المصلى:** فعن جابر رضي الله عنه قال: (كانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ اَلْعِيدِ خَالَفَ اَلطَّرِيقَ)[٢].

قال الحافظ العيني رحمه الله: (وفيه - أي الحديث - استحباب مخالفة الطريق يوم العيد في الذهاب إلى المصلى والرجوع منه)[٣].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله (ما قيل في الحكمة من مغايرته ﷺ الطريقَ في ذهابه وإيابه، منها أن يشهد له الطريقان، ومنها إظهار شعائر الدين... إلخ)[٤].

▪ **لا صلاة قبل صلاة العيد ولا بعدها:** عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلاَ بَعْدَهَا[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ولم يكن هو ﷺ ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلى قبل الصلاة ولا بعدها)[٦].

---

(١) رواه مسلم (٨٩٠).
(٢) رواه البخاري (٩٨٦).
(٣) عمدة القاري (٦/ ٣٠٦).
(٤) فتح الباري (٢/ ٤٧٢).
(٥) رواه البخاري (٩٨٩) ومسلم (٨٨٤).
(٦) زاد المعاد (٢/ ٤٤٣).

قد يقال: إنه ثبت من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أن النبي ﷺ كَانَ لاَ يُصَلِّي قَبْل الْعِيد شَيْئًا، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِله صَلَّى)[(١)].

والتوفيق بينهما أن النفي للصلاة بعد العيد إنما وقع على الصلاة في المصلى[(٢)].

▪ **التجمل ولبس أحسن الثياب:** فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وَجَدَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ، فأخَذَها فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ، فقال ﷺ: «**إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ**»[(٣)].

فأقر النبيُّ ﷺ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أصل التجمل للعيد، ولكن أنكر عليه لبس تلك الحلة لكونها من حرير.

▪ **اللهو واللعب المباح:** لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (كان يوم عيد، يلعب السُّودَانُ بِالدَّرَقِ - الترس - والحراب، فإما سألتُ النبي ﷺ، وإما قال: «**تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ**» حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «**حَسْبُكِ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاذْهَبِي**»)[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث من الفوائد

---

(١) رواه ابن ماجه (١٢٣٩).

(٢) الإرواء (٣/ ١٠٠).

(٣) رواه البخاري (٨٨٦) ومسلم (٢٠٦٨).

(٤) رواه البخاري (٩٤٩) ومسلم (٨٩٢).

مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بَسْطَ النفس وترويحَ البدن مِنْ كَلَف العبادة)[١].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين)[٢].

▪ **التهنئة بالعيد:** عن جبير بن نفير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إِذَا الْتَقَوْا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْك)[٣].

▪ **أيها الأحبة:** إن العيد فرصة لصلة الأرحام التي قُطعت، وتقريب القلوب التي تباعدت، وأيضا علينا أن نتذكر عند تقبيل أبنائنا واجتماعنا على الطعام، اليتامى الذين لا يجدون ابتسامةً، والفقراءَ الذي لا يجدون طعامًا، وهذا لا يعني أن نجعل هذا اليوم حزنًا، بل علينا أن نحسن إليهم ونواسيهم، ولأن المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، قال ﷺ: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[٤].

---

(١) فتح الباري (٣/ ٥١٤).

(٢) فتح الباري (٣/ ٥١٤).

(٣) رواه المحاملي في كتاب صلاة العيدين كما في تمام المنة للشيخ الألباني (ص٣٥٦) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٤٦) والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) رواه البخاري (٦٠١١) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاللهَ أسأل لنا ولكم أيها الأحبة، أن يتقبل صيامنا وقيامنا ويجعلنا ممن أطاعه وشكره في يوم العيد، فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقال الثاني

ماذا بعد رمضان؟

٢ - ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قد كنا أيها الأحبة في شهر الخيرات حريصين على ترك المعاصي والمنكرات ومسارعين لفعل الطاعات والازدياد من الحسنات لإرضاء رب البريات، وقد ودَّعنا وأودعنا في شهر الصيام ما شاء الله من الأقوال والأعمال، فمن كان منا محسنًا فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، ومن كان مسيئًا فعليه بالتوبة فالأبواب مفتوحة قبل فوات الأوان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»(١).

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (يخبر تعالى عباده المسرفين، أي:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٣).

المكثرين من الذنوب، بِسَعَة كرمه ويحثهم على الإنابة، قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب، ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا: قد كثرت ذنوبنا، وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها، ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مُصِرِّين على العصيان، متزودين ما يُغْضِب عليكم الرحمنَ، ولكن اعرفوا ربكم، بأسمائه الدالة على كرمه وجوده. واعلموا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: وصِفَةُ المغفرة والرحمة وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم والفواضل على العباد في السر والجهار، والعطاءُ أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغَلَبَتْه، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب، إن لم يأتِ بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمُها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء، والتضرع، والتأله، والتعبد، فَهَلُمَّ إلى هذا السبب الأجَلِّ، والطريق الأعظم)[1].

أيها الأفاضل ما دمنا قد قطعنا عهدًا على أنفسنا في شهر رمضان بأن

(١) تفسير السعدي (ص ٧٢٧).

نبتعد عن المعاصي والآثام فلماذا ننقضه؟!

فلماذا نبدل صوت القرآن بعد أن كان عاليا بمزمار الشيطان!؟

لماذا نطلق ألسنتنا بالغيبة والنميمة والكذب بعد أن قيدناها وألزمناها بالابتعاد عن ذلك!؟

قيل لبشر الحافي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن قوما يتعبدون ويجتهدون في رمضان!؟ فقال: (بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السَّنةَ كلها)[١].

▪ **أيها الأحبة:** إن مقابلة نعمة إدراك رمضان والتوفيق لصيامه وقيامه بارتكاب المعاصي لَمِنْ جَحْدِ النعمة، وإنه لعمًى بعد بصيرة وضلال بعد هُدًى، والعياذ بالله.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده، فهو من بدل نعمة الله كفرا)[٢].

▪ **أيها الكرام:** ينبغي أن نعلم أنه من امتنع عن المعاصي شهرا أثبت أنه قادر بعون الله على تركها طول حياته. وأنه ليس للطاعة زمن محدود تنتهي بانتهائه، ولئن انقضى شهر الصيام فإن العمل لا ينقضي إلا بالموت.

قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله ما المؤمن بالذي يعمل شهرا

---

(١) لطائف المعارف (ص٢٦٠).

(٢) لطائف المعارف (ص٢٥٨).

أو شهرين أو عاما أو عامين، لا، واللهِ، ما جعل الله لعمل المؤمن أجلا دون الموت)[١].

ومصداقُ قول هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، قول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر :٩٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: الموت، أي: استمِرَّ في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليما كثيرا)[٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه الآية الكريمة تدل على أن الإنسان ما دام حيًّا وله عقل ثابت يميز به، فالعبادة واجبة عليه بحسب طاقته، فإن لم يستطع الصلاة قائمًا فليصل قاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جَنْب...)[٣].

▪ **أيها الأحبة الكرام:** إن من أعظم علامات القبول استمرار العبد على الخير والعمل الصالح بعد رمضان، فإن من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها.

▪ ومن الأعمال التي تدل على حب الطاعات والاستمرار في الصالحات صيام الست من شوال، قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ**

---

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٢٧٢).
(٢) تفسير السعدي (ص ٤٣٥).
(٣) أضواء البيان (٢ / ٣٢٤).

سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»[١].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء: وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين...)[٢].

وينبغي الحرص على صيام هذه الأيام، ولا يشترط فيها التوالي، لكن صيامها لمن عليه قضاء من رمضان لا يكون إلا بعد قضاء ما عليه من رمضان.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان)[٣].

وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هل يجوز صيام ست من شوال قبل صيام ما علينا من قضاء رمضان؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد اختلف العلماء في ذلك، والصواب أن المشروع تقديمُ القضاء على صوم الست وغيرِها من صيام النفل، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**».

ومن قَدَّمَ الستَّ على القضاء لم يتبعها رمضان، وإنما أتبعها بعض

---

(١) رواه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشرح على مسلم (٤/ ٤٥).

(٣) لطائف المعارف (ص٢٢٣).

رمضان، ولأن القضاء فرض، وصيام الست تطوع، والفرض أولى بالاهتمام والعناية، وبالله التوفيق)[١].

فهذه أيها الأفاضل ذكرى لنا جميعًا، لعل الله بجوده وكرمه ينفعنا بها، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتذكير نوعان: تذكير بما لم يُعْرف تفصيله، مما عُرِف مجمله بالفِطَر والعقول، فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره وكراهة الشر والزهد فيه، وشَرْعُه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع فهو من التذكير، وتمام التذكير أن يذكر ما في المأمور به من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فَيُذَكَّرون بذلك، ويُكَرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، ولِيُحْدِث لهم نشاطًا وهمةً، توجب لهم الانتفاع والارتفاع، وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين؛ لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى وتقع الموعظة منهم موقعها)[٢].

واللهَ أسألُ لي ولكم أن يوفقنا لفعل ما يرضيه من الاستمرار في

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٥/ ٣٩٢).
(٢) تفسير السعدي (ص ٨١٢).

الخيرات والازدياد من الحسنات واجتناب كل ما يُغضبه من الآثام والسيئات، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقال الثالث

البيان لبدع شوال

٣ - البيان لبدع شوال

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن أي ابتداع في الدين أيها الأحبة هو استدراك عليه وزَعْمٌ قبيح بأن الشريعة لم تكتمل!، ويلزم من ذلك أن نبينا ﷺ ترك شيئا من الرسالة لم يبلغه!، فاحتاج الدين إلى الإحداث والابتداع!!

وهذا ما فهمه أصحاب النبي ﷺ والأئمةُ من بعدهم من صنيع المبتدعة؛ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم، وكل بدعة ضلالة)[(١)].

وقال إمام دار الهجرة مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا)[(٢)].

---

(١) رواه الدارمي في سننه (٢١١).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يَقْبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم! وهذا فيه رد للقرآن!وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!.

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تَصُكُّ به وجوه أهل الرأي، وتُرْغم به آنافهم، وتَدْحض به حججهم)[(١)].

▪ **أيها الأفاضل الكرام:** كما عودناكم من قبل، في كل شهر نحاول معا تسليط الضوء على ما أحدثه بعض الناس فيه، ومن ذلك التحذير مما يعتقده بعض الجهلة في شهر شوال، ومما أحدثه بعض المبتدعة فيه، والله المستعان.

فمن ذلك:

١ - **بدعة التشاؤم من الزواج فيه:** كان العرب في الجاهلية يتشاءمون من الزواج في شهر شوال، قال ابن منظور مبينا سبب ذلك: (...وكانت العرب تَطَيَّرُ من عقد المناكح فيه، وتقول: إن المنكوحة تمتنع من ناكحها كما تمتنع طَروقةُ الجمل إذا لُقِحت وشَالَتْ بِذَنَبها، فأبطل النبيُّ ﷺ طيرتهم)[(٢)].

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص٣٨).

(٢) لسان العرب (١١/ ٣٧٧).

وإبطال النبي ﷺ طيرتهم كان بزواجه من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هذا الشهر، فعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: (تَزَوَّجَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى شَوَّالٍ وَبَنَى بِى فِى شَوَّالٍ، فَأَىُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّى)[(١)].

قال عروة بن الزبير رحمه الله: (وكانت عائشة تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ)[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: (فيه استحباب التزويج والتزوج والدخول في شوال، وقد نص أصحابنا على استحبابه، واستدلُّوا بهذا الحديث. وقَصَدت عائشة بهذا الكلام ردَّ ما كانت الجاهلية عليه، وما يتخيله بعض العوام اليوم، من كراهة التزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له وهو من آثار الجاهلية، كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الإشالة والرفع)[(٣)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: (وفي دخوله ﷺ بها - أي عائشة رضي الله عنها - في شوال رَدٌّ لما يتوهمه بعضُ الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين، وهذا ليس بشيء)[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٣).

(٣) الشرح على مسلم (٩/ ٣٠٩).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٢٣١).

فالتشاؤم من الزواج في شهر شوال من الطيرة التي نهى النبي ﷺ عنها بقوله: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ**»(١).

٢ - بدعة عيد الأبرار: (ومن الأمور المحدثة المبتدعة في شهر شوال: بدعة عيد الأبرار، وهو اليوم الثامن من شوال فبعد أن يتم الناس صوم شهر رمضان، ويفطروا اليوم الأول من شهر شوال - وهو يوم عيد الفطر - يبدأون في صيام الأيام الستة الأولى من شهر شوال، وفي اليوم الثامن يجعلونه عيدًا يسمونه عيد الأبرار. ويكون الاحتفال بهذا العيد في أحد المساجد المشهورة فيختلط النساء بالرجال، ويتصافحون ويتلفظون عند المصافحة بألفاظ الجاهلية، ثم يذهبون بعد ذلك إلى صنع بعض الأطعمة الخاصة بهذه المناسبة)(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن من شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار: فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف، ولم يفعلوها، والله سبحانه وتعالى أعلم)(٣).

وقال أيضًا: (وأما ثامن شوال: فليس عيدًا لا للأبرار ولا للفجار،

---

(١) رواه البخاري (٥٣٨٠) ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) السنن والمبتدعات للشقيري ص (١٦٦).
(٣) الفتاوى (٢٥/ ٢٩٨).

ولا يجوز لأحد أن يعتقده عيدًا، ولا يُحْدِث فيه شيئًا من شعائر الأعياد)[١].

فالحمد لله ما جاء في فضل هذا الشهر من الحث على صيام ستة أيام منه، كما تقدم معنا في المقال السابق يغني عن الإحداث والابتداع.

▪ **فعلينا أيها الأحبة:** أن نحرص على معرفة البدع لاجتنابها وتحذير الناس منها لإماتتها، كما نحرص على تعلم السنن وإحيائها ونشرها بين الناس.

فالله أسأل أن يُنور المسلمين جميعا بالسنة ويجنبهم ظلمة البدع وشرور أهلها، فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٤٦٢).

الوعظ وصفات الوُعَّاظ

وفيه ثلاثة مقالات :

١- الموعظة الحسنة .

٢- صفات الواعظ .

٣- التوحيد أولاً أيها الوعَّاظ .

المقال الأول

الموعظة الحسنة

١ - الموعظة الحسنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن العباد بحاجة ماسة دائما إلى الموعظة والتذكير بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فللموعظة أثر عجيب في تهذيب النفوس وإصلاح القلوب بإذن الله؛ لذا أمر الله تعالى نبيه ﷺ بتذكير الناس ووعْظِهم، فقال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح (**بالحكمة**) أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوةُ بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتَعْدَادها، والنواهي من المضار

وتعدادها، وإما بذكر إكرام مَنْ قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين، من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (والموعظة الحسنة تجمع التصديق بالخبر والطاعةَ للأمر، ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مُرادًا به الأمرُ والنهي بترغيب وترهيب كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦])[٢].

وكذلك أمر الباري سبحانه المؤمنين بوعظ أزواجهن الناشزات فقال سبحانه: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته، والترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية)[٣].

ولقد كان النبي ﷺ يُذكر أصحابه ويَتَخَوَّلُهم بالموعظة، فعن أبي وائل - شقيق بن سلمة - قال: كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُذكرنا في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لَوَدِدْتُ أنك ذكرتنا في كل يوم؟ فقال: (أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[٤].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما كان عليه

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥).
(٣) تفسير السعدي (ص ١٧٧).
(٤) رواه البخاري (٧٠) ومسلم (٢٨٢١).

الصحابة من الاقتداء بالنبي ﷺ والمحافظة على استعمال سُننه على حسب معاينتهم لها منه، وتَجَنُّبِ مخالفته لعلمهم بما في موافقته من عظيم الأجر، وما في مخالفته من شديد الوعيد والزجر)[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث الاقتصادُ في الموعظة لئلا تَمَلَّها القلوبُ فيفوت مقصودها)[٢].

فالموعظة الحسنة أيها الأحبة من أعظم أساليب الدعوة أثرًا وأكثرها ثمارًا، وهي من أسباب حفظ الدين وانتشار الخير بين الناس، سواء اتخذت صفة النصح أو التذكير أو الترغيب والترهيب، ولهذا قال نبينا ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[٣].

فالنصيحة عماد الدين وقوامه، وهي من أجَلِّ العبادات وأفضل القربات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن أعظم ما عُبِدَ الله به نصيحةُ خلقه)[٤].

ولقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله)[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٤).
(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٧/ ١٦٤).
(٣) رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥).
(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص٧٢).

▪ **أيها الكرام**: إن من أصول أهل السنة والجماعة أن مصدر تَلَقِّيهِم نصوصُ الكتاب والسنة، مسترشدين بفهم السلف الصالح لها من الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين)

قال الإمام إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبَلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم)[(١)].

ولهذا كان القرآن الكريم عند سلفنا الصالح (رحمهم الله) المصدر الأول في دعوتهم ووعظهم وتذكيرهم للناس، وهذا بعد أن نظروا فيه وتدبروا في معانيه.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب - يشير إلى كتب الوعظ - عبرة)[(٢)].

وجعلوا السنة منبعهم الثاني، فعظموها وأمَّروها على أنفسهم، وعملوا بها في أحوالهم كلها، ودعوا للتمسك بها.

قال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أمَّر السنة على نفسه قولا

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨/ ٢١٥).

وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة)[١].

وقال ابن عطاء البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ألزم نفسه آداب السنة، نور قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه)[٢].

فالكتاب والسنة هما العمدة عند صدر هذه الأمة من السلف الصالح (رحمهم الله أجمعين)، فعلى الواعظ أن يسلك سبيل سلفه الصالح إذا أراد بعون الله أن تستقيم دعوته وتؤثر على الناس موعظته.

▪ **أيها الأحبة:** إن الموعظة الحسنة هي من عمل الأنبياء وسبيل الأصفياء ووسيلة الأتقياء ليدعوا الناسَ بها إلى الخير ويحذروهم من الوقوع في الشر، ولهذا كان على من يحمل لواءها أن يتحلى بصفات أساسية وآداب ضرورية، لتظهر بإذن الله ثمارُ موعظته ويعم النفع بها.

وقد تتساءلون سددكم الله عن هذه الصفات وتبحثون عن هذه الآداب، وحُقَّ لكم ذلك، لتميزوا بين من كان من أهلها وبين من تطفل على مائدتها؟

وهذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى في المقال التالي.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٢٤٤).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٦٦).

المقال الثاني

صفات الواعظ

٢ - صفات الواعظ

مر معنا أيها الأحبة الأفاضل أن الموعظة الحسنة هي من عمل الأنبياء والمرسلين ومن سار على هديهم من العلماء الربانيين العاملين والهداة الراشدين، فلما كانت هذه الوظيفة بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة العالية، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية، لتثمر بإذن الله موعظتُه وتنتشر بين الناس دعوتُه.

ولهذا أشار علماء السلف (رحمهم الله) لأهم الصفات التي لابد لحامل لواء الوعظ أن يتصف بها، كالإخلاص والعلم والتقوى والاستقامة واللين، مُرَاعيًا في تذكيره أحوال الناس وطبقاتهم.

يقول نصر بن محمد السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يجب للمذكر والواعظ أن يتحلى به: (أول ما يحتاج إليه المذكِّر أن يكون صالحًا في نفسه ورعًا. . . .وينبغي أن يكون متواضعا لينًا، ولا يكون متكبرا ولا فظًّا غليظًا. . . ، وإذا أراد أن يخبر الناس بشيء من فضائل الصلاة والصيام والصدقة فينبغي أن يعمل به أولا. . .)[١].

ويقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه على زاد الواعظ: (وعُدَّتُه التقوى والزهادة، فإذا رأيت الواعظ راغبًا في الدنيا قليلَ الدين، فاعلم

(١) بستان العارفين للسمرقندي (ص١٦).

أن وعظه لا يتجاوز الأسماع. . .وكم من واعظ مُفَوَّه قد أبكى وأثَّرَ في الحاضرين في تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا)[١].

فعلى حامل هذا اللواء أن يخلص في دعوته لله عز وجل، فالواعظ مَحَطٌّ للأنظار وتَتَبُّعِ الأبصار واجتماع الخلق عليه، وهذه من أعظم الأمور التي تفتن القلوب، وتخدش في الإخلاص إلا أن يشاء الله.

فيجب على الداعية إلى الله أن يجاهد نفسه على تحقيق الإخلاص، وأن يحذر من العجب والرياء، خاصة إذا ابْتُلِيَ بالشهرة وحب الناس له، فلا يغتر ولا يفتخر بكثرة مشاهديه أو متابعيه، فهم لن يغنوا عنه من الله شيئًا.

قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كنت أجلس يوم الجمعة في مسجد الجامع، فيجلس إليَّ الناس، فإذا كانوا كثيرا فرحتُ، وإذا قلَّوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: هذا مجلسُ سُوءٍ، لا تَعُدْ إليه، قال: فما عدت إليه)[٢].

فعلى الواعظ أن يستوي عنده المدح والذم، فلا يفرح إذا أثنى الناس عليه، ولا يحزن إذا تكلموا عليه.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يجتمع الإخلاصُ في القلب، ومحبةُ المدح والثناء، والطمعُ فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار)[٣].

---

(١) زغل العلم للذهبي (ص٢٩).
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٢).
(٣) الفوائد (ص١٤٩).

▪ وعليه أن يتيقن أن من ثمرات الإخلاص في دعوته أن الله يرفع ذكره ويُعلي قدره في الدنيا والآخرة.

فعن أبي بكر المَرْوَزي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله- أحمد بن حنبل - وذكر له الصدق والإخلاص، فقال أبو عبد الله: (بهذا ارتفع القوم)[١].

وكان مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عن المخلصين: (كان كلامهم دواء للخاطئين، ثم يقول: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: بلى! والله لقد رأيناهم، الحسنُ - أي البصري -، وسعيدُ بن جبير، وأشبهاهُم، الرجل منهم يُحيى اللهُ بكلامه الفئامَ من الناس)[٢].

وكتب سالم بن عبد الله بن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بموعظة جاء فيها: (واعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته في الخير تَمَّ عونُ الله له، ومن قصرت نيته قصر من العون بقدر ما قصر منه)[٣].

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح، والزهد الغالب في كل مراق من الدنيا)[٤].

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٦١).
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٦٠).
(٣) الزهد للإمام أحمد (ص٣٠٢).
(٤) اقتضاء العلم العمل (ص١٥).

وعليه أن يكون عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، عالما بما شرع الله، وهذا الذي كان عليه من تولى هذه المهام من صدر هذه الأمة من السلف الصالح (رحمهم الله).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان الوعاظ في قديم الزمان، علماء فقهاء)[١].

ولما انقلبت الموازين وتصدر للوعظ من لا علم له بالدين نشروا بين الناس الأحاديثَ المكذوبات! فإذا سألتهم عن هذا الافتراء في الدين؟ قالوا: نريد أن نرغب الناس في الطاعات! ونُبعدَهم عن المحرمات! نسأل الله رب العالمين العفو والعافية من هذا الصنيع المشين.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما كان الخطاب بالوعظ في الأغلب للعوام، وَجَدَ جُهَّال من القصاص طريقًا إلى بلوغ أغراضهم، ثم ما زالت بدعهم تزيد حتى تفاقم الأمر، فأتوا بالمنكرات في الأفعال والأقوال والمقاصد)[٢].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرفَ مقامات العبد وأجَلَّها وأفضلَها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء)[٣].

---

(١) تلبيس إبليس (ص١٥١).

(٢) القصاص والمذكرين (ص٢٩٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤).

▪ **أيها الأحبة:** إن من الثمار التي يقطفها الواعظون بإخلاصهم لرب العالمين وحرصهم على التفقه في الدين، تقوى أرحم الراحمين، وبقدر تقوى الواعظ وخشيته لربه وإصلاحه لسريرته، يكون تأثيره في الموعوظين، فمواعظ المتقين تُبْكِي القلوب وتُدْمِيها قبل العيون.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر صفات الواعظ وما ينبغي أن يكون عليه، قال: (ومدار ذلك كله على تقوى الله عز وجل، وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب)[١].

▪ ومن أهم الثمار التي يجنيها الواعظ من تقوى الله، الصدق في الأقوال والأفعال.

فأما الصدق في الأقوال فيكون بموافقة القول لما في القلب.

وأما الصدق في الأعمال فيكون بمطابقة الظاهر لما يدعو إليه ويحث الناس عليه.

فينبغي أن يكون الصدق شعار الواعظ في جميع حركاته وسكناته.

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فحقُّ الواعظ أن يتعظ بما يعظ، ويُبْصِر ثم يُبصِّر، ويهتدي ثم يَهْدي، ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد... ويجب أن لا يجرح مقالَه بفعله، ولا يُكَذِّب لسانُه بحاله)[٢].

---

(١) القصاص والمذكرين (ص١٨٢).

(٢) فيض القدير (١/ ٧٨).

ولهذا حرص سلفنا الصالح كل الحرص على موافقة أقوالهم لأفعالهم وضربوا بذلك أروع الأمثلة.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا نَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْت النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ، وَايْمُ اللهِ لاَ أَجِدُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَعَلَهُ إِلاَّ أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ضِعْفَيْنِ)[1].

▪ **فهذه أيها الأفاضل:** أهم الصفات التي يجب أن لا تفارق مَنْ تَصَدَّرَ لنصح الناس وتذكيرهم، وعليه أن يجتهد في تحقيقها ويجاهد نفسه على ذلك.

أيها الكرام قد تتساءلون، وحُقَّ لكم ذلك - زادكم الله حرصًا ووفقكم لكل خير - بعد أن عرفنا معنى الموعظة الحسنة وكذلك أهم الصفات التي ينبغي للواعظ أن يتحلى بها، فما هي الموضوعات التي يجب على الواعظ أن يتطرق إليها عند دعوته للناس؟ وبم يبدأ؟

(١) مصنف بن أبي شيبة (٦/ ١٩٩).

المقال الثالث

التوحيد أولًا أيها الوعاظ

٣ - التوحيد أولًا أيها الوعاظ

إن أساس الوعظ وغايته دعوة الناس إلى التوحيد وتحذيرهم مما يناقضه من الشرك والبدع، فالتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: (يقول تعالى ذِكْرُه: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ يقول: فأخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهية)[١].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكل الرسل، الذين من قبلك مع كتبهم، زبدةُ رسالتِهم وأصلُها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة)[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل :٣٦].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى أن حجته قامت على

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٥).
(٢) تفسير السعدي (ص٥٢١).

جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة، إلا وبعث الله فيها رسولا، وكلُّهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له)[١].

ولهذا لما بَعَث نبيُّنَا ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليه أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**...»[٢].

وهذا الإمام ابن القيم رحمه الله يصف لنا خطبة نبينا ﷺ مبينا أن أساسها كان دعوة الناس للتوحيد، فيقول: (وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذِكْرِ الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يُحَصِّل في القلب إيمانا بالله، ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيرا بأيامه ولا بَعْثًا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويُبْلِي الترابُ أجسامَهم، فيا ليت شعري! أي إيمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به!.

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٧٣٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبوب عليه بقوله: (باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمتَهُ إلى توحيد الله تعالى).

▪ ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب ﷻ ، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوما، تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطَوْها صُوَرَها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سُنَنًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصَّعوا الخطبَ بالتسجيع، والفقر وعلم البديع فنقص، بل عُدِم حظ القلوب منها وفات المقصود بها)[(١)] .

فالتوحيد أيها الأحبة يُوَلِّدُ في القلب أمورا ثلاثة: الحب والخوف والرجاء:

فبالمحبة: يحصل اطمئنان القلب واستقرار النفس وإقبالها على ربها وخالقها .

وبالخوف: تَكُفُّ الجوارح عن الآثامِ، والقلوبُ عن التطلع لغير الخالق العلاَّم .

وبالرجاء: تقبل النفس والجوارح على الطاعة .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (القلب في سيره إلى الله عز وجل

(١) زاد المعاد (١/ ٤٢٣) .

بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسُه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِدَ الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر)[١].

قال العلامة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: (فيجب على من يدعو للإسلام أن يبدأ بالتوحيد كما هو بداية الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل الرسل من أولهم إلى آخرهم يبدؤون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد، لأن التوحيد هو الأساس الذي بُني عليه الدين، فإذا تحقق التوحيد قام عليه البنيان، وذلك مثل أساسات البيوت والمباني، فإن المباني تُؤَسَّس أولا ويُعْتنى بها ثم يُبْنَى عليها البنيان ويرتفع، فلا يقوم بنيان بدون أساس قوي يرتكز عليه ويقوم عليه، وإنك لو بنيت بنيانا على غير أساس قوي لانهار البنيان وهلك من فيه.

وكذلك الدين إذا لم يُبْنَ على عقيدة صحيحة فإنه يكون دينا لا ينفع ولا يفيد، لأنه لم يبن على أساس صحيح وهو التوحيد)[٢].

▪ **وللأسف الشديد:** قد اقتحم بعض الوعاظ في زمننا هذا ميدان النصح والتذكير بغير زاد ولا عتاد، فأصبح همهم ما يطلبه الجمهور لا ما يحتاجونه، فتركوا دعوة الناس إلى التوحيد وتحذيرهم من الشرك والبدع، وهذه دعوة الأنبياء ووظيفة الأتقياء، وأصبحت جل مواعظهم يغلب عليها القصص والفكاهة والتكلف والتقعر في الكلام، للفت

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

(٢) كتاب (التوحيد يا عباد الله) (ص٩ - ١٠).

أنظار الناس إليهم، فأصبح تأثيرهم آنِيٌّ أي في تلك الساعة، ثم قام الناس بعد ذلك كما قعدوا، والله المستعان.

وهذا بخلاف ما كان عليه صدر هذه الأمة الصالح، حيث كانت عبارتهم في التذكير سهلة تصل إلى القلوب قبل الأسماع، فنفع الله بها واستفاد منها من كان في عصرهم ومن جاء بعدهم.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان السلف يقتنعون من المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ أو زخرفة نطق، ومن تأمل مواعظ الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، علم ما أشرت إليه)(١).

■ وعلى الواعظ بعد أن يدعو الناس إلى توحيد رب العباد أن يبين لهم الأحكام الشرعية الخمسة من الواجب والحرام والمسنون والمكروه والمباح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي يعظكم بما ذكره في هذه الآية، مما أمركم به ونهاكم عنه، فإنها كافية في باب الوعظ والتذكير)(٢).

■ **وكذلك مما ينبغي على الواعظ**: أن يدعو الناس بعد ذلك إلى تزكية النفوس وتطهيرها من كل الرذائل كالغل والحسد والحقد، وأن

---

(١) المنتخب من المواعظ لابن الجوزي (ص٩٥).
(٢) فتح القدير (٣/ ١٨٨).

يحثهم على التحلي بالأخلاق الحسنة، والتأدب مع الله وذلك بتلقي أخباره سبحانه وتعالى بالتصديق، وتلقي أحكامه بالتنفيذ، وتلقي أقداره بالصبر والرضا، ولازم التخلق مع الباري التأدب مع رسوله فهو ﷺ المخبر عنه والداعي إلى طاعته المحذر من معصيته، وكذلك يدعوهم إلى التأدب مع عموم الخلق بكف الأذى عنهم وطلاقة الوجه عند مقابلتهم، وغير ذلك من محاسن الأخلاق.

▪ **أيها الأحبة:** في ختام هذه الذكرى ينبغي أن ننزل الناس منازلهم، ولا نعتقد أن كل من كان فصيحًا في خطبته، بليغا في موعظته، مشهورا بين الناس بكثرة ظهوره على وسائل الإعلام، أو كثرة المحاضرات أو الكتابات أنه عالم يُرجع إليه في النوازل والفتن التي تصيب الأمة، فإذا أردنا النجاة - بإذن الله - فعلينا الرجوع في هذه المسائل إلى علمائنا الربانيين الراسخين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء :٨٣].

قال العلامة المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: (هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة، مما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم: أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون

الأمور ويعرفون المصالح وضدها . . .)[١] .

فالله أسأل لي ولكم أن يرزقنا العلم النافع ويوفقنا للعمل الصالح، وأن يحيينا على التوحيد والسنة ويُمِيتَنَا على ذلك، فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) تفسير السعدي (ص١٩٠) .

الأخوة في الله وثمارها

وفيه أربعة مباحث:

١- معنى الأُخُوّة في الله وأهميتها.
٢- ثمرات الأخوة الإيمانية.
٣- مفسدات الأخوة الإيمانية.
٤- نماذج مشرقة من الأخوة في الله.

المقال الأول

معنى الأُخُوّة في الله وأهميتها

١ - معنى الأُخوّة في الله وأهميتها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الأُخوة في الله منحة ربانية يقذفها سبحانه في قلب من يشاء من عباده، وهي من أوثق عُرَى الإيمان، وهي لا تبنى إلا على أواصر العقيدة والحب في الله، وإذا كان هذا أساسها آتت ثمارها ضعفين في الدنيا والآخرة بإذن الله.

فالأُخوة الصادقة هي التي تكون في الله ولله، مقرونة بالتقوى خالية من شوائب الدنيا، فإذا وجدنا أُخُوَّةً بغير إيمان فلنعلم أنها التقاء مصالح، ستنتهي بانتهائها، لأنه ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره سبحانه انقطع وانفصل.

▪ **أيها الأحبة:** إن أعظم معين للمسلم على تحقيق التقوى والاستقامة على نهج الحق، مصاحبة الأخيار والبعد عن قرناء السوء ومخالطة الأشرار، لذا علينا أن نختار لأُخُوَّتنا من كان عاقلا خَيِّرًا، فإنه لا فائدة في أخوة الأحمق وصحبته، ويكون من نختاره تقيا ملازما لكتاب الله بعيدًا عن البدع والمحدثات، فإنه لا خير في صحبة فاسق

مبتدع، بل نخشى أن يجرنا معه في غيِّه وضلاله، يقول ﷺ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ**[(١)] **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[(٢)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجْرُه وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة)[(٣)].

وقال ﷺ: «**الرَّجُلُ** - وفي رواية (المرء) - **عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[(٤)].

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّجُلُ**) يعني: الإنسان، (**عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**) أي: على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، (**فَلْيَنْظُرْ**) أي: يتأمل ويتدبر، (**مَنْ يُخَالِلُ**): فمن رضي دينه وخُلُقَه خالَلَهُ، ومَنْ لا، تَجَنَّبَه فإن الطباع سرَّاقة[(٥)].

---

(١) يعطيك. عمدة القاري للعيني (٢١/ ١٣٥).

(٢) رواه البخاري (٥٢١٤) ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٧٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٠٢)، وأبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) عون المعبود (١٣/ ١٢٣).

وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده)[١].

فالصحبة كالبيئة، إما أن تكون نظيفة أو تكون ملوثة، فمعاشرة الأخيار تورث النجاح والفلاح، ومصاحبة الأشرار تورث الشر وتمنع من كسب ما ينفع من العلوم النافعة والأخلاق الفاضلة، فالطباع مجبولة على التشبه والاقتداء.

وقد أمرنا نبينا ﷺ بمؤاخاة أهل الإيمان الأتقياء، وحَذَّرنا من معاشرة أهل السوء الأشقياء، فقال ﷺ: «**لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ**»[٢].

قال المُنَاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عرى المداخلة، ومخالطة غير التقي تُخِل بالدين وتُوقع في الشبه والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد، إما بمتابعة في فعل أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ولا يكاد، فلا تخطئه فتنة الغير به، وليس المراد حرمان غير التقي من الإحسان؛ لأن المصطفى ﷺ أطعَمَ المشركين، وأعطى المؤلفة المئين، بل يطعمه ولا يخالطه)[٣].

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) فيض القدير (٦/ ٤٠٥).

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذرا من صحبة الأشرار ومخالطتهم: (وهم مَضَرَّة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون؛ ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار)[١].

وكذلك حث سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) على مجالسة الصالحين والبعد عن مفسدي الدنيا والدين من الجهلة الفاسقين، وأهل البدع المضلين:

- قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (عليك بإخوان الصدق، فَعِشْ في أكنافهم، فإنهم زَيْنٌ في الرخاء وعُدَّة في البلاء)[٢].

- وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم مُمْرِضة للقلوب)[٣].

- وكان مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار، خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار)[٤].

- وقال رجل لداود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوصني؟ فقال: (اصْحَبْ أهل التقوى؛ فإنهم أيسرُ أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة)[٥].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص ٢٢١). (٢) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص ٨٤).
(٣) الشريعة للآجري (١٣٣). (٤) روضة العقلاء لابن حبان (ص ١٠٠).
(٥) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص ٩٥).

▪ وقال أحد الحكماء رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان يقال: إن دعتك نفسك يوما إلى صحبة الرجال، فلا تصحب إلا لمن إنْ صحبته زانك، وإن حملته مؤونة مانك (أنفق عليك)، وإن رأى منك ثُلْمَة - خللا - سَدَّها، وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن سألته أعطاك، وإن تعففت عنه ابتداك، وإن عاتبك لم يحرمك، وإن تباعدت عنه لم يرفضك)[١].

▪ **فالحذر الحذر أيها الأحبة:** من الاغترار بطيب معاشرة أهل السوء والبدع، وحلاوة ألسنتهم، فإن عاقبة معاشرتهم حسرة وندامة.

أيها الكرام، إن خصال المرء وشمائله تُعرف بالنظر لأصحابه وأصفيائه، وفي الأمثال: (قل لي: مَنْ تُعَاشِر، أقول لك مَنْ أنت).

يقول أبو العتَاهِيَة - إسماعيل بن القاسم الكوفي - الشاعر:

وللقَلْبِ على القلبِ دليلٌ حين يَلْقاهُ
وللناس من الناس مقاييس وأشباهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ[٢]

وقد تتساءلون حفظكم الله، بعد أن عرفنا أن الواجب علينا مؤاخاة أهل الصلاح ومصاحبتهم، والبعد عن أهل الفساد ومجانبتهم، فما هي الثمار التي نقطفها بعون الله من معاشرة أهل الصلاح؟

هذا ما سنجيب عليه إن شاء الله في المقال التالي.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨/ ٢٣٦). (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (ص٢٠٤).

المقال الثاني

ثمرات الأخوة الإيمانية

٢ - ثمرات الأخوة الإيمانية

تقدم معنا أيها الأحبة أن الأخوة في الله منحة ربانية، ممزوجة بالإيمان، جَمَعت القلوب على طاعة الله، وأنها ليست مجرد شعارات تُرفع، ولا كلمات رنانة تُذكر، فتحقيقُها نَتاجُه ضعفان في الدنيا والآخرة بعون رب العالمين.

فالأخوة بين المؤمنين نعمة كبيرة ومنة عظيمة من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أيها الأفاضل الكرام كثير منا يُردد على لسانه: فلان أخي في الله، أو فلانة أختي في الله، فما أعظمها من عبارة وما أطيبها من إشارة، يتذكر المرء عند سماعها قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويحمد الباري ﷻ على هذه النعمة، حيث جمع سبحانه بين أخوين ليس بينهما قرابة ولا صلة رحم على الإيمان وتحقيق طاعة الرحمن.

لكنْ يَرِدُ على خاطرنا سؤال؟ نعم ما أكثر - ولله الحمد - ما نسمع ذلك بين المسلمين، لكن هل تخرج هذه الكلمات من القلوب؟ أم تُلاكُ بالألسن فقط وتتكرر؟

وللجواب على هذا السؤال لابد لنا أولا من معرفة ثمرات الأخوة الإيمانية، ثم بعد ذلك نَعرض هذه الدعوى على ما قطفناه لنرى حقيقة ما يُدَّعى، ومن ثم يسهل علينا الجواب بعون الوهاب.

إن للأخوة الإيمانية ثمرات تدل على صدقها تقطف في الدنيا والآخرة بإذن الله، منها:

١- طيب الكلام والبشاشة والفرح عند اللقاء وحسن الظن وسلامة الصدر: فهذه الأخلاق الكريمة مدعاة لجلب الألفة والمحبة ودوامها بين الناس عامة وبين الأخوين في الله خاصة، يقول المولى عز وجل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة :٨٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن القول الحسن أمرُهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر وتعليمُهم العلم، وبذل السلام والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب، ولما كان الإنسان لا يَسَعُ الناسَ بماله أُمِرَ بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهيُ عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت :٤٦])[(١)].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق واسع الحلم

(١) تفسير السعدي (ص٥٧).

مجاملا لكل أحد، صبورًا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله ورجاء لثوابه)[١].

فالقول الطيب والكلام الحسن يبطل كيد الشيطان ويسد أمامه طريق الإفساد والتفريق بين الأخوين في الله، يقول ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء :٥٣].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم، فدواء هذا، أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يَلِينوا فيما بينهم، لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم، فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه، فإنه يدعوهم ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر :٦]، وأما إخوانهم، فإنهم - وإن نزغ الشيطان فيما بينهم، وسعى في العداوة - فإن الحزم كل الحزم، السعي في صَدِّ عدوهم، وأن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء، التي يدخل الشيطان من قِبَلِها، فبذلك يطيعون ربهم، ويستقيم أمرهم، ويُهْدَوْن لرشدهم)[٢].

٢ - **بذل النصيحة والمشورة بين الأخوة:** قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر :١-٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٧ - ٥٨)

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٦٠).

فالنصيحة عماد الدين وقوامه، وهي من أجَلِّ العبادات وأفضل القربات، ويجب أن تكون بأسلوب حكيم فيه إظهار الخير والمحبة للمنصوح، وإن أعظم أنواع النصيحة الحَثُّ على التمسك بالتوحيد والثبات عليه، والتزام المنهج الحق والعمل بالسنة وبالهدي النبوي، فالواجب على الناس عامة والأخوين في الله خاصة بَذْلُها فيما بينهم.

قال نبينا ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن أعظم ما عُبِدَ الله به نصيحة خلقه)(٢).

ولقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله)(٣).

ويتأكد النصح عندما يطلب الأخ منك النصيحة، قال ﷺ: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»(٤).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: إذا استشارك في عمل من الأعمال: هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تحبه لنفسك، فإن كان العمل نافعا من كل وجه فَحُثَّه على فعله، وإن كان مضرًا فَحَذِّرْه منه، وإن احتوى على نفع وضرر فاشرح له ذلك ووازن بين المصالح والمفاسد، وكذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو تزويجه أو التزوج منه

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥).
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص٧٢).
(٤) رواه مسلم (٤٠٢٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فابذل له محض نصيحتك، واعمل له من الرأي ما تعمله لنفسك، وإياك أن تغشه في شيء من ذلك، فمن غش المسلمين فليس منهم، وقد تَرَك واجب النصيحة)[١].

٣- التعاون على البر والتقوى، وقضاء الحوائج بين الأخوة:

إن أهل الإيمان كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة :٢]. ويقول رسول الله ﷺ: «**وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[٢].

إن الواجب على الأخ أن لا ينتظر سؤال أخيه له حتى يقضي حاجته، بل عليه أن يستشعر هو بحاله ويقف معه في محنته دون أن يُلْجِئَ أخاه إلى سؤاله، فإذا ألجأه فهذا دليل على تقصيره في حق أخيه، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو يحكي لنا حال الصحابة الكرام رضي الله عنهم: (لقد أتى علينا زمان - أو قال: حِينٌ - وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم)، ثم يحكي ما آلت إليه الحال بعد الفتوح وتوسع الدنيا: (ثم الآن، الدينارُ والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم!!)[٣].

فإذا كان هذا في زمنه رضي الله عنه، فكيف إذا رأى حالنا اليوم بعد أن فتحت الدنيا وزاد المال، ازدادت النفرة والفرقة بين المسلمين!، والله المستعان.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١١٤).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد للبخاري (١١١) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

لكن بفضل الله هناك بعض المؤمنين الصادقين ارتفعوا من مرتبة قضاء الحاجات للناس إلى منزلة الإيثار، فنجدهم يقدمون إخوانهم على أنفسهم، فلحقوا بفضل الملك الوهاب بالركب الذي سبقهم من الأنصار، الذين قال فيهم ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر :٩].

٤ - الدعاء للإخوان بخير في حياتهم وشهود جنازتهم والدعاء لهم بالمغفرة والرضوان بعد مماتهم.

مما ينبغي على الأخ أن يكثر من الدعاء لأخيه خاصة في ظهر الغيب، وهو مأجور على هذا بعون الله، قال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

يقول الإمام النووي رحمه الله: (وفى هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب)(٢).

وأما الصلاة عليه بعد مماته واتباع جنازته ومواساته لأهل الميت وذويه المصابين بفقده، والدعاء له بالرحمة والمغفرة، فهذه من حقوق الأخوة، ودليل ظاهر أن التآخي كان لله، لهذا دام واتصل حتى بعد موته، ولم تكن صحبة مصالح، تنتهي بالموت أو بقضاء الحاجة، والله المستعان.

---

(١) رواه مسلم (٤٩١٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٧/ ٤٩).

قال نبينا ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

▪ **فهذه أيها الأحبة:** أهم الثمار النافعة التي يجب أن تقطف من شجرة الأخوة في الله، فعلينا أن ننظر هل قطفناها أم لا؟ أو أنها لم تنضج بعد!، وإذا كان كذلك فلنراجع أنفسنا ونسقيها من جديد بالإخلاص لله ﷻ ودعائه وبذل الأسباب التي بعون الله تجعلها ناضجة، لنقطفها ونحمد الله على هذه النعمة.

▪ **أيها الكرام:** ينبغي أن نعلم أن للأخوة في الله محاذير كما لها ثمار، وشياطينُ الجن والإنس يتربصون بها وحريصون جدًّا على إفسادها وتمزيق روابطها، حسدًا من عند أنفسهم.

وقد تتساءلون - زادكم الله حرصا - عن هذه المحاذير، وكيف نبتعد عنها حتى لا نقع في شراكها، ونحفظ أخوتنا في الله من شر كل ذي شر؟

هذا ما سنجيب عليه بمشيئة الله تعالى في المقالة القادمة.

(١) رواه البخاري (١١٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المقال الثالث

مفسدات الأُخُوَّة الإيمانية

٣ - مفسدات الأُخوَّة الإيمانية

مر معنا أيها الأحبة أن الأخوة في الله نعمة كبيرة ومِنّة عظيمة من الرب ﷻ ، وأن لها ثمارًا طيبة نافعة بعون الله، فما أروع أن نشاهد مجتمعا إسلاميا تسوده الألفة والمحبة، يشعر الفرد فيه بقربه من الآخرين وقربهم منه دون انقباض ولا تكلف.

لكن عندما يرى شياطين الجن والإنس هذه المودة وهذا الإخاء بين المسلمين لن يهنأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، حتى يفسدوا روابط هذه الأخوة ويُقَطّعوا أوصالها، ويجعلوا المجتمع الذي كان متآلفا متعاونا في فرقة وشتات حسدًا من عند أنفسهم، فلا عاصم منهم إلا رب العزة، ثم بذل الأسباب التي بعون الله تدفع شرهم وتفضح كيدهم.

ولهذا كان لزاما علينا أيها الكرام أن نحذر من مكائدهم وحبالهم التي يَنصبونها في طريق الأخوة في الله، حتى لا نقع في مصائدها، ولكن لا يكون ذلك إلا بعون الله ثم معرفة المحاذير التي يتخذها أعداء الأخوة جندًا لهم لإفساد التآخي وزرع العداوة بين الإخوان.

لهذا أيها الأفاضل أحببت أن أسلط الضوء في هذا المقال على أهم تلك المفسدات، لنعلمها ونبتعد عنها، فمنها:

١ - الطمع لما في أيدي الغير والتعلق بالدنيا: إن من أشد الآفات

شرًّا التي تثمر عن التعلق بالدنيا والطمع لما في أيدي الغير، الحسد.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يُبْديه، والكريم يخفيه)[١].

وعلة هذا الداء ترجع إلى الإفراط في الأنانية وحب الذات، مع ضعف في الإيمان، وقد نهى نبينا ﷺ عن الحسد فقال: «**وَلاَ تَحَاسَدُوا**...»[٢].

فالحسد يقطع وصلات القربات، ويفسد الصداقات، ويولد بين الناس العداوات، ويباعد بين الجماعات.

ومن أدوية هذا الداء العضال ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (من وجد في نفسه حسدًا لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه)[٣].

ومما ينبغي أن يعلم في هذا الباب أنه كلما ازداد التعلق بالدنيا وحطامِها قَلَّ التعاون بين الناس واندثر الإيثار، والله المستعان.

٢ - الغيبة والنميمة والتجسس والغمز والسخرية: وقد نهى الباري جَلَّ جَلَالُهُ أهل الإيمان من أن يغتاب بعضهم بعضًا، فقال سبحانه:

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص٢١).

(٢) رواه البخاري (٥٧١٨) ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أمراض القلوب وشفاؤها (ص٢١).

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات :١٢] .

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتًا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيًّا كما كرهتم لحمه ميتًا، فإن الله حرم غيبته حيًّا كما حرم أكل لحمه ميتًا)(١) .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقدَ الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته وأكل لحمه حيًّا)(٢) .

والغِيبة هي أن يذكر الإنسان أخاه في غير حضرته بما يكره، كما قال المصطفى ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ**»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٣) .

فمن ذكر أخاه في غَيبته بما يكره مما هو فيه فتلك هي الغِيبة، ومن ذكر أخاه في غَيْبته بما يكره مما ليس فيه، فقد بَهَتَه، أي كذب عليه واتهمه بما ليس فيه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٣٧).

(٢) تفسير السعدي (ص ٨٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والغيبة تقطع أواصر الأخوة الإيمانية، لأنها غالبًا لا تُبْقِي سِرًّا، فَقَلَّ من الناس من يكتم حديثًا، بل يصل العلم لمن تكلم فيه، وعندئذ يغضب ممن اغتابه ويحقد عليه، وتسود العداوة بينهم.

■ **وأما التجسس على الناس:** فيكون بتتبع عوراتهم، إما بالنظر إليهم وهم لا يشعرون، وإما باستراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالاطلاع على ما يُخْفونه عن أعين الناس دون إذن منهم، وقد نهى الله المؤمنين عن التجسس على إخوانهم المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات :١٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: لا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن زلاته، التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي)[(١)].

والتجسس يُولِّد في المجتمع الأحقاد والعداوات، إذ يشعر المُتَجَسَّسُ عليه بأنه مشكوك في أمره غير موثوق به، فيكره ويبغض من يتجسس عليه.

أما ما يتعلق (باللمز والغمز)، فاللمز هو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفيٍّ، ورُبَّ لمز خفي هو أشدُّ من طعن صريح، وأعمقُ جرحًا في داخل النفس، لأن فيه بالإضافة إلى الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يُشْعِر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا ينتبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز

(١) تفسير السعدي (ص ٨٠١).

الكلام، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات :١١].

ونلاحظ أن القرآن عبر عن لمز الأخ الموحد لأخيه بلمز نفسه وكأنهم جسد واحد.

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسمى الأخ المسلم نفسا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك)(١).

وكذلك السخرية، فإن السخرية من الأخ إيذاء له وعدوان على كرامته، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات :١١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا أيضا من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، أن ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ بكل كلام وقول وفعلٍ دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه. وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، وهو الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، مُتَحَلٍّ بكل خلق ذميم، مُتَخَلٍّ من كل خلق كريم)(٢).

ومن آثار هذا الخلق الذميم أنه يولد الرغبة بالانتقام، ويقطع رابط التآخي والتراحم.

٤ - **الغضب**: وهو شعلة محرقة من النار تُعْمي صاحبها وتُصِمُّه؛

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٠١).
(٢) تفسير السعدي (ص ٨٠١).

فلا تنفع فيه الذكرى ولا ترده موعظة، نسأل الله العافية.

يقول الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته من كل موعظة، لأن الغضب يرتفع للدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينُه حتى لا يرى بعينه)[(١)].

وقد حذر المصطفى ﷺ أشد التحذير من هذا الخلق الذميم، فكرر الوصية للرجل الذي طلب منه أن يوصيه فقال له: «**لاَ تَغْضَب**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن التين: جمع ﷺ في قوله: (لا تغضب) خيرَ الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين)[(٣)].

فالغضب شعلة من النار، يحرق حبال الأخوة الإيمانية ويفسدها، بحيث يجعل الناس ينفرون ولا يتقربون ممن يُوصف بهذه الصفة، نسأل الله لنا ولكم العافية.

▪ **فهذه أيها الأحبة:** بعض أهم المفسدات التي تؤدي إلى قطع أوصال المحبة وضياع الألفة بين الإخوان، وإن كانت في جملتها ترجع إلى سبب عام ألا وهو الوقوع في المعاصي والذنوب، فالتفريق عقوبة

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٧٩).

(٢) رواه البخاري (٥٧٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٢٠).

ارتكاب الذنوب، قال ﷺ: «**مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللهِ عز وجل أَوْ فِي الإِسْلاَمِ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا أَوَّلُ ذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا**». وفي رواية: «**إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا**»(١).

ومما ينبغي أن يُعْلَم: أن ليس من شرط تمزيق روابط الأخوة أن يكون الذنب متعلقًا بحق الأخ، بل ظاهر الحديث أنه يعم مطلق الذنوب، كترك الواجبات، أو عدم حفظ اللسان عن قبيح الكلام من غيبة أو خوض في أعراض الناس أو الاستهزاء بهم... إلى غير ذلك من المعاصي والذنوب.

▪ **أيها الأحبة**: مما يجدر التنبيه عليه أن من حق الأخ أن يعاتب أخاه وينصحه، لكن لا بد أن يكون ذلك بتلطف وتودد، وتكره المعاتبة في كل صغيرة وكبيرة، وذلك لأن كثرتها يسبب الملل ويفضي إلى قطع المودة؛ لأن أخاك إما أنك لا تتحمل أدنى شيء منه، أو أنك دائمًا تسيء به الظن، أو تنظر إليه على أنه مقصر في حقك، وعلينا أن نتيقن أننا لن نجد صديقًا ولا أخًا في الله ليس في وده خلل، بل لا نخلو نحن من النقص، فعلينا أن نُسَدد ونقارب في هذا الباب، ونسأل الله أن يصلح حالنا وحال إخواننا.

▪ **أيها الأفاضل**: قد ضرب سلفنا الصالح من الصحابة (رضوان الله عليهم) ومن سار على هديهم أروع الأمثلة في تحقيق معاني التآخي

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٣٧).

في الله خاصة بين ما كان بين المهاجرين والأنصار (رضوان الله عليهم).

وقد أحببنا قبل أن نختم معكم هذه الذكرى الطيبة في باب الأخوة، أن نقف معكم مع بعض قصصهم، لعل الله بجوده وكرمه ييسر لنا الاقتداء بهم واقتفاء آثارهم.

المقال الرابع

نماذج مُشْرِقة من الأخوة في الله

٤ - نماذج مشرقة من الأخوة في الله

إن الأخوة الدينية أرفع وأفضل من أخوة الرحم، لأن رابطها الإيمان، وأساسُها رضا الرحمن، وهي بعون المنان طريق إلى الجنان.

يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إخواننا أحبُّ إلينا من أهلينا وأولادنا، لأن أهلينا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا الآخرة)[١].

فلما كانت هذه الأخوة أعلى من أخوة النسب، كان الصحابة عَلَيْهِمُ ٱلرِّضْوَانُ على مستواها، خاصة ما كان من الأنصار تجاه إخوانهم من المهاجرين، فلقد ضربوا لنا أروع الأمثلة في حقيقة التآخي في الله، حيث واسَوْا إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ؟ قال: «لاَ» فقال: «**تَكْفُونَنَا المَؤونَةَ، ونَشْرَكُكُمْ في الثَّمَرَةِ؟**» قالوا: سمعنا وأطعنا)[٢].

وهذا سعد بن الربيع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد أن آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول له: (إِنَّ لِي مَالاً، فَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَانِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ، فَأَنَا

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٣٦٧).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٥٧٠).

أُطَلِّقُهَا، فَإِذَا حَلَّتْ - أي بعد العدة - فَتَزَوَّجْهَا)، فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه : (بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي - أَيْ - عَلَى السُّوقِ. فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى رَجَعَ بِسَمْنٍ وَأَقِطٍ)[(١)].

فانظروا رعاكم الله كيف عرض على أخيه في الله نصف ماله، وجعل له اختيار إحدى زوجتيه دون أن يختار هو، لأن نفسه قد تميل لإحداهن، فهذا دليل ظاهر على ترسخ قواعد الأخوة في نفوسهم، وما كانوا عليه رضي الله عنهم من كرم وإيثار، وصدق قولُ الباري فيهم إذ قال جل جلاله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر :٩].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثارُ، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحابِّ النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خُلُقٍ زَكِيٍّ، ومحبة لله تعالى مقدمة على شهوات النفس ولذاتها)[(٢)].

ولقد شكر المهاجرون للأنصار فعلَهم ومواقفَهم الرفيعة في الكرم والإيثار، وقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أَبْذَلَ من كثير ولا أحسن مُوَاسَاةً من قلِيلٍ، من قومٍ نزلنا بين أَظْهُرِهِمْ؛ لقد كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا في المَهْنَأ، حتى لقد خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بالأجر كُلِّهِ!! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لاَ، مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**»[(٣)].

---

(١) رواه النسائي (٣٣٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) تفسير السعدي (ص٨٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه وصححه الألباني رحمه الله .

ومن النماذج المشرفة والصفحات المضيئة أيضًا في صدق الأخوة ما كان بين الأشعريِّين، قومِ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ.

فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الْأَشْعَرِيِّينَ إذا أَرْمَلُوا**[(١)] **فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ؛ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**»[(٢)].

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه تنبيه على مكارم أخلاقهم، ومواساة لإخوانهم، وحث على التأسي بهم والاقتداء بأفعالهم)[(٣)].

▪ **أيها الأحبة:** وفي ختام هذه السلسلة التي تجولنا معكم فيها في رياض الأخوة الإيمانية وقطفنا بعض ثمارها، وعرفنا مفسداتها، وذكرنا لكم بعض النماذج المضيئة من حياة أصحاب أشرف المرسلين (رضوان الله عليهم أجمعين) التي تنور بعون الله طريق السائرين لتحقيق الأخوة في الدين، أحببت أن أذكر لكم بعض الآثار التي جاءت عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين) في الحث على التمسك بالأخوة في الله وتطبيق ثمارها، لعل الله بجوده وكرمه ينفع بها كاتبها وقارئها، منها:

---

(١) فرغ زادُهم، أو قارب.

(٢) رواه البخاري (٢٣٥٤) ومسلم (٢٥٠٠).

(٣) فيض القدير (٣/ ١٨٠).

▪ قولُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إذا رزقكم الله عز وجل مودة امرئ مسلم فتشبثوا بها)[١] .

▪ وقال عبيد الله بن الوليد قال لنا أبو جعفر محمد بن علي الباقر - رحمهما الله - : (أيُدْخِل أحدُكم يدَه في كُمِّ صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون)[٢] .

▪ وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ : (لا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان، إذا كانوا عبيد بطونهم)[٣] .

▪ وقال بلال بن سعد الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ : (أخ لك كلما لقيك ذَكَّرك بنصيبك من الله، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارا)[٤] .

▪ وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ : (سمعت مساور الوراق يحلف بالله عز وجل: ما كنت أقول لرجل: إني أحبك في الله عز وجل، فأمنعه شيئا من الدنيا)[٥] .

▪ وقال سفيان بن عيينة لمحمد بن المنكدر - رحمهما الله - : (ما بقي من لذتك؟ قال: لقاء الإخوان وإدخال السرور عليهم)[٦] .

---

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص٨١). (٢) حلية الأولياء (٣/ ١٨٧).
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٤).
(٤) مساوئ الأخلاق للخرائطي (٢/ ٢٠٠).
(٥) مكارم الأخلاق للخرائطي (١/ ٩٣).
(٦) حلية الأولياء (٣/ ١٤٩).

▪ وقال أبو قلابة - عبد الله بن زيد الجرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (التمس لأخيك العذر بجهدك؛ فإن لم تجد له عذرًا فقل: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه)[١].

▪ **فهذه أيها الأفاضل:** بعض النماذج والأقوال في ظلال الأخوة الإيمانية الصادقة، التي عَرَف حقيقتَها صدرُ هذه الأمة (رضوان الله عليهم) فطبقوها، وضربوا بذلك أروع الأمثلة وأزكى العبر، فليكن في قَصَصِهم وأقوالهم لنا عظة ولنأخذ من دروسهم عبرة.

▪ **وفي الختام:** أسأل الله الكريم أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويقوي رابط الأخوة بينهم على العقيدة السليمة والسنة النبوية الصحيحة، ويُبعد عنهم شر شياطين الإنس والجن، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) مداراة الناس لابن أبي الدنيا (٤٠).

حسن الخلق

وفيه ثلاثة مباحث:

١- حسن الخلق ومنزلته في الإسلام.
٢- حسن الخلق مع الناس.
٣- هل حسن الخلق جِبِلِّي أو مكتسب؟

المقال الأول

حسن الخلق ومنزلته في الإسلام

١ - حسن الخلق ومنزلته في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن للأخلاق في ديننا مكانة خاصة ومنزلة رفيعة، ولهذا حثنا نبينا ﷺ على التحلي بها وجمع بينها وبين التقوى، فقال ﷺ: «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ: تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على هذا الحديث: (جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تُصْلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)(٢).

وانطلاقًا من هذا الحث كان من أصول أهل السنة والجماعة الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتمسك بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويأمرون بالصبر عند البلاء،

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) الفوائد (ص٨٤).

والشكر عند الرخاء، والرضا بِمُرِّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قول النبي ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١)(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ينبغي أن يكون هذا الحديث دائما نصب عين المؤمن، لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا حَسُنَ خُلُقُه كان ذلك دافعًا له على التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وترك سفاسفها ورديئها)(٣).

إن كثيرًا من الناس أيها الأحبة يظن أن حسن الخلق خاص بمعاملة الخلق دون الخالق، وهذا فهم قاصر!.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(٤).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»: هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) العقيدة الواسطية (ص٤١).
(٣) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص١٠).
(٤) رواه الترمذي (١٩٨٧) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

حقوق عباده، فنصَّ له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلِّما لهم ومفقِّها وقاضيًا، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيرُه مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمالُ حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها. والجمعُ بين القيام بحقوق الله وحقوقِ عباده عزيز جدًّا لا يقوى عليه إلا الكُمَّل من الأنبياء والصديقين)[١].

ولهذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أحدهم: حسن الخلق قسمان:

- **أحدهما مع الله عز وجل:** وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذرًا، وكل ما يأتي من الله يوجب شكرًا، فلا تزال شاكرا له معتذرا إليه سائرًا إليه بين مطالعة مِنَّته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

- **والقسم الثاني:** حسن الخلق مع الناس، وجماعُه أمران: بذل المعروف قولا وفعلا، وكَفُّ الأذى قولا وفعلا)[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (حسن الخلق في معاملة الخالق يجمع ثلاثة أمور:

- تلقي أخبار الله بالتصديق.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

(٢) تهذيب السنن (٧/ ١٦١).

- وتلقي أحكامه بالتنفيذ.
- وتلقي أقداره بالصبر والرضا)[١].

ولازمُ تصديق أخبار الله تصديقُ أخبار رسوله ﷺ لأنه مخبر عن ربه، فعلينا أيها الكرام أن لا يقع في أنفسنا شك أو تردد عند سماعنا خَبَرَ الله تعالى؛ لأنه سبحانه أصدق القائلين كما قال تعالى عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ونحذر كل الحذر أن نَعرض هذه الأخبار على عقولنا وأهوائنا، فإن وافقت قبلناها وإن خالفت رددنها!، فهذا ينافي هذا الأصل، وليكن شعارنا دائما: صَدَق اللهُ تعالى فيما أخبر وصدقَ رسولُه ﷺ فيما أخبر عنه.

وكذلك من حسن الخلق مع الله كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلقي أحكامه بالقبول والتطبيق، فردُّ شيء منها سوء خُلق معه سبحانه، سواء كان ردَّها مُنكِرًا حكمَها، أم مستكبرًا أم متهاونا عن العمل بها، فإن ذلك كله مناف لحسن الخلق مع الله عز وجل، نسأل الله العفو والعافية.

فحسن الخلق مع الله مثلا في الأوامر بالنسبة للصلاة أن نؤديها وقلوبُنا منشرحة مطمئنة، نفرح إذا كنا متلبسين بها، فمثلا إذا صلينا العشاء كنا في شوق للفجر، وإذا صلينا الفجر كنا في شوق للظهر، وهكذا في باقي الصلوات، ولهذا كان النبي ﷺ يقول لبلال رضي الله عنه: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[٢].

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص١٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالصلاة هي راحة وطمأنينة، وقرة عين المؤمن وزاده اليومي الذي يتزود به للقاء الله تعالى، لا كما يقول البعض: أرحنا منها، لأنها ثقيلة عليهم، وشاقة على أنفسهم والعياذ بالله.

ومثلا في النواهي، حرم الله سبحانه علينا الربا وحذرنا من مواقعته، وتوعد من يتعامل به ولم يَتُبْ بحرب معه سبحانه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

فالمؤمن يقبل هذا التحريم بانشراح ورضًى وتسليم، أما غير المؤمن فإما أنه لا يقبله ويضيق صدره به أو تجده يتحايل على الربا ويسميه بغير اسمه لأجل العمل به، عافانا الله وإياكم من هذا الصنف.

وكذلك الصبر على أقدار الله والرضا بها من حسن الخلق، فعلينا أن نرضى بما قدره الله، ونتيقن أن كل ما قدره الله علينا إنما هو لحكمة عظيمة وغاية محمودة يستحق عليها سبحانه الحمد والشكر، إذا كان منا ذلك رفع الله درجاتنا وحَطَّ عنا خطايانا بإذنه سبحانه، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: إِنِّى إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِى عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَبُّ عَزَّ وَجَلَّ للحَفَظَة: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِى وَابْتَلَيْتُهُ، فأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ، وَهُوَ صَحِيحٌ**»[(١)].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٢٣) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

وبعد أن عرفتم كيف يكون حسن الخلق في معاملة الخالق، قد تتساءلون أيها الأحبة كيف يكون حسن الخلق في معاملة الخلق؟

هذا ما سنتحدث عنه في المقالة التالية إن شاء الله.

المقال الثاني

حسن الخلق مع الناس

٢ - حسن الخلق مع الناس

عَرَّف السلف - رحمهم الله - حُسْنَ الخلق في معاملة المخلوق بتعاريف متقاربة، فمثلا:

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (بأنه كف الأذى وبذل الندى، وطلاقة الوجه)[١].

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وأن تحتمل ما يكون من الناس)[٢].

▪ **كف الأذى:** أن يكف الإنسان أذاه عن غيره، سواء كان أذى حسيًّا يتعلق بالنفس والمال، أم معنويا يتعلق بالسب والطعن في الأعراض.

وقد حذر النبي ﷺ من أذية المؤمن بأي نوع من أنواع الإيذاء، في أعظم مجمع اجتمع فيه مع أمته، حيث قال ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[٣].

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص١٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٧) ومسلم (٣٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

▪ **بَذْل النَّدَى:** أي بذل الكرم والجود، والكرم ليس محصورًا - كما يظن البعض - في المال فقط، بل يكون كذلك في بذل النفس والجاه والعلم.

▪ **طلاقة الوجه:** إشراقته حين مقابلة الخلق، لأن طلاقة الوجه تُدْخل السرور على قلوب الناس، وتُوجد المحبة والمودة، قال ﷺ: «**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١).

ومن ثمار التبسم في وجه الغير أيضًا تحصيلُ الأجور، قال ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»(٢).

▪ ومن أهم مكارم الأخلاق مع الخلق بِرُّ الوالدين لعظم حقهما، فقد جعل الباري سبحانه حقهما بعد حقه سبحانه وحقِّ نبيه ﷺ؛ لأن من حق الله طاعةَ نبيه ﷺ فيما أمر والابتعادَ عما نهى عنه وزجر، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

▪ لنتذكر معا أيها الأحبة تَعَبَ أمهاتنا وأنينهن أثناء الحمل، وسهرهن على راحتنا خاصة إذا مرضنا، ولهذا كانت الأم أحق بالصحبة حتى من الأب، قال رجل للمصطفى ﷺ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّك**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «**أُمُّك**» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «**أُمُّك**»، ثُمَّ قال في الرابعة: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذي (١٩٥٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله.
(٣) رواه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٤٦٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المَشَاقِّ في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه)(١).

ومع ذلك لا يعني أننا نهمل حق الآباء، فقد كانوا - جزاهم الله عنا خير الجزاء - حريصين جدا على تربيتنا والسعي على توفير حاجياتنا.

ولكن للأسف نجد في هذه الأيام مَنْ إذا جلس عند والديه ساعة من الزمن يمل ويضجر كأنما جالس على جمر! وإذا جلس عند أصحابه انبسط وانشرح، والله المستعان.

فلنحسن لآبائنا وأمهاتنا كما أحسنوا إلينا ونعاملهم كما عاملونا، ولتكن صدورنا منشرحة عند خدمتهما مع شدة الحرص على رضاهما، وإن كنا والله رغم ما نقدمه وما سنقدمه لهم بإذن الله، لن نجازيهم حقهم وليكن دعاؤنا لهما دائما ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ومن محاسن الأخلاق: أن تصل من قطعك من الناس خاصة الأقارب، ولا تقل: مَنْ وصلني وصلتُه، فإن هذا ليس بصلة، كما قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، إِنَّما الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(٢).

---

(١) الشرح على مسلم (١٦/ ١٠٢).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وسأل النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**[(١)]، **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِن اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(٢)].

حتى وإن كان من تريد وَصْلَه قد ظلمك، فعليك أن تعفو عنه وتصلح ما بينك وبينه؛ طمعًا في عفو الله ومغفرته قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وتَذَكَّرْ أن عفوك في الحقيقة هو عز ورفعة وليس خوفًا وذُلا، مصداقا لقوله ﷺ: «**مَا زَادَ اللَّه عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»[(٣)].

ولهذا رتب ديننا الحنيف على حسن الخلق أجورا كبيرة فلنتأمل معا أيها الأحبة بعض ثمار هذا المنقبة العظيمة والخصلةِ الطيبة:

- الفوز بمحبة الله: فقد سُئل نبينا ﷺ، يَا رَسُول اللَّه مَنْ أَحَبُّ عِبَاد اللَّه إِلَى اللَّه؟ قال: «**أَحْسَنهمْ خُلُقًا**»[(٤)].

وإذا أحب الله العبد حَبَّبَ الناس فيه، قال ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثم ينادي جبريلُ**

---

(١) كأنك تضع التراب الحار أو الرماد في أفواهم. مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٥).
(٢) رواه مسلم (٢٢٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم (٤٦٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٢٤) من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٣٢).

أهلَ السماء: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فيحبه أهلُ السماء ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»[(١)].

ثقل الموازين: قال ﷺ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في مِيزانِ العَبْدِ يَوم القِيامَة مِن حُسْن الخُلُقِ»[(٢)].

▪ **علو المكانة ورفعة الدرجة يوم القيامة:** قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[(٣)].

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[(٤)].

▪ قد تتساءل أيها القارئ الكريم بعد أن عرفت بعض الأجور العظيمة عن منشأ الأخلاق الفاضلة؟

يجيبك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا فيقول: (وأما الأخلاق الفاضلة، كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة والعفة، والصيانة والجود والحلم، والعفو والصفح والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة والصدق، والإخلاص والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الاشتغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك، فكلُّهما ناشئةٌ عن الخشوع وعلو الهمة، والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء، فتهتز وتربو، وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حَظُّه من التوفيق)[١].

قد تتساءلون أيها الأفاضل: هل يمكن أن يقع الخُلق كَسْبًا أو هو أمر خارج عن الكسب أيْ جِبِلي؟

هذا، ما سنبينه - بمشيئة الله - في المقالة التالية.

(١) الفوائد (ص٢١٠ - ٢١١).

المقال الثالث

هل حسن الخلق جِبلِيٌّ أو مكتسب؟

٣ - هل حسن الخلق جبلي أو مكتسب؟

إن بعض الناس أيها الأحبة يظن أن الأخلاق كلها فطرية وأن ليس للإنسان من خصال إلا ما جَبَلَه عليه الكبير المتعال.

وهذه الحجة لا تستوي على ساق؛ لمعارضتها لِسُنَّة الخَلاَّق، فإن الله يدعو إلى تزكية النفوس فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩].

قال الإمام ابن كثير: (يحتمل أن يكون قد أفلح من زكى نفسه أي: بطاعة الله كما قال قتادة وطَهَّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل)(١).

ولمعارضتها لهدي النبي ﷺ في دعوته إلى تهذيب الأخلاق في قوله: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِى لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ**»(٢).

وقد قال نبينا ﷺ لأشَجِّ عبد القيس رضي الله عنه: «**إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»، قال: يا رسول الله، أهما خلقان تخلَّقْتُ بهما أم جَبَلَنِي اللهُ عَلَيْهِمَا؟ قال: «**بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيْهِمَا**» فقال: الْحَمْدُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٧٩).

(٢) جزء من حديث علي رضي الله عنه، رواه الترمذي (٣٤٢٢) وأبو داود (٧٦٠) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ أَحَبَّهُمَا اللهُ وَرَسُوله[١].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فدل على أن من الخلق ما هو طبيعة وجِبِلَّة وما هو مكتسب)[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذا دليل على أن الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعا وتكون تطبُّعًا، ولكن - بلا شك - الطبع أحسن من التطبع، لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعيا صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلى تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حُرِمَ هذا - أي من حُرم الخلق عن سبيل الطبع - فإنه يمكنه أن يناله عن سبيل التطبع)[٣].

فلو كان الأمر كما يزعمون أن الخلق كله جبلي لَتُرِكت المجاهدة واسْتُغْنِيَ عن الوصايا والمواعظ!.

ولذا قال ابن القيم: (فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلق كسبيا أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبيا بالتخلق والتكلُّف حتى يصير له سجيةً ومَلَكة)[٤].

■ **وقد يرد علينا سؤال في هذا المقام. فيقال:** عندنا رجل جُبل على

---

(١) أبو داود (٥٢٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرج مسلم (١٧) شطره الأول.
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣١٥).
(٣) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص١٣).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣١٥).

خلق حميد، ورجل آخر يجاهد نفسه على التخلق به، فأيهما أعلى منزلة من الآخر؟

يجيبنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: (إنه لا شك أن الرجل الذي جُبل على الخلق الحسن أكمل من حيث تخلُّقه بذلك، أو من حيث وجود هذا الخلق الحسن فيه، لأنه لا يحتاج إلى عناء ولا إلى مشقة في استدعائه، ولا يفوته في بعض الأماكن والمواطن، إذ إن حسن الخلق فيه سَجِية وطَبْع، ففي أي وقت تلقاه تجده حَسَن الخلق، وفي أي مكان تلقاه تجده حَسَن الخلق، وعلى أي حال تلقاه تجده حَسَن الخلق، فهو من هذه الناحية أكمل بلا شك.

وأما الآخر الذي يجاهد نفسه ويروضها على حسن الخلق، فلا شك أنه يؤجر على ذلك من جهة مجاهدة نفسه وهو أفضل من هذه الجهة، لكن من حيث كمال الخلق أنقص بكثير من الرجل الأول، فإذا رُزِق الإنسان الخلقين جميعًا طبعًا وتطبُّعًا، كان ذلك أكمل، والأقسام أربعة:

- من حُرم حسن الخلق طبعًا وتطبعًا.
- من حُرمه طبعا لا تطبعا.
- من رُزقه طبعًا وتطبعًا.
- من رُزقه طبعًا لا تطبعًا.

ولا شك أن القسم الثالث هو أفضل الأقسام، لأنه جمع بين الطبع

والتطبع في حسن الخلق)[١].

▪ **فالأخلاق الفاضلة أيها الكرام:** يمكن كَسْبُها، بغرس الفضائل في النفوس وسقيها بماء النصح، وهذه بعض السبل التي تعيننا على كسبها والتحلي بها بإذن الله:

▪ **بالإيمان بالله والقرب منه:** فهذا منبع الخلق الحسن، وبه تزكو النفوس وتهذب السلوك.

▪ **دعاء الله أن يرزقنا محاسن الأخلاق ويصرف عنا سيئها:** فقد عَلَّمَنا نبينا ﷺ ما نقوله في هذا الباب: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا...**»، مع أنه ﷺ له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب؛ فقد قال تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

▪ **مجالسة ومصاحبة من عُرفوا بحسن الخلق:** قال ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»[٢].

▪ **استحضار صورة خُلق النبي ﷺ:** وكيف كان يعامل أصحابه بالتواضع لهم والحلم عليهم والعفو عنهم، قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[٣].

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص١٤ - ١٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤٧٦).

▪ **يتأمل عاقبة سوء الخلق وما يترتب عليه:** مِنْ كُره الناس له وبُعْدِهم عن مجالسته؛ ومن ثمَّ يبتعد عن سوء الخلق، ويتحلى بمكارم الأخلاق، لأن حسن الخلق أيها الكرام يوجب التحاب والتآلفَ وسوءُ الخلق يثمر التباغض والتحاسد، والعياذ بالله

▪ **قراءة تراجم سلفنا الصالح:** لمعرفة ما كانوا عليه من حسن الأخلاق وكريم الأفعال وبعد ذلك نعقد مقارنة بين حالهم وحالنا! لنرى البون الشاسع بيننا وبينهم!، والله المستعان.

▪ **وينبغي أن نعلم أيها الأحبة:** أنه كما لا يُقبل من أحد أن يَلتزم بأخلاق السلف ويترك معتقدهم، فكذلك لا يسوغ فَهْمُ معتقدهم واتباعهم في ذلك دون الالتزام بسلوكهم وأخلاقهم، فلهذا كان منهج سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - متكاملا، حيث جمعوا بين سلامة المعتقد وحسن الأخلاق، فعلينا التأسي بهم واقتفاء آثارهم، لنصل إلى ما وصلوا إليه بإذن الله، رزقنا الله وإياكم أيها الأحبة محاسن الأخلاق وأبعد عنا مساوئها، وغفر الله لنا ولكم ولوالدينا أجمعين.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الوقت وقيمته

وفيه ثلاثة مقالات :

١- أوقاتُكم أعمارُكم يا عباد الله .
٢- قيمة الوقت عن السلف .
٣- الإجازة . . . ساعة وساعة في ظلال الطاعة .

المقال الأول

أوقاتُكم أعمارُكم يا عباد الله

١ - أوقاتكم أعماركم يا عباد الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن كل يوم يمضي وكل ساعة تنقضي من حياة الإنسان يُهدمُ فيها جُزء من عُمره، ويَبعُد عن دنياه ويَقرُب من أُخراه، فكل دقيقة ذهبت من وقته فلن تعود إليه أبدًا ولن تُعَوَّض ولو أنفق أموال الدنيا جميعًا.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على ما يُعمل فيَّ شهيد، وإني لو غربت الشمسُ لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة)[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مَرَّ السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته وإن عاش فيه عَيْشَ البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، كان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموتُ هذا خيرٌ من حياته)[٢].

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا (١/ ٤٢٦).
(٢) الجواب الكافي (ص ١٠٩).

■ ولعظم الوقت وأهميته عند الباري سبحانه، نجد أنه أقسم به في سور عديدة من كتابه العزيز، فتارة يقسم بالوقت كله، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر :١-٢]، وتارة بجزء منه كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ [الفجر :١-٢]، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل :١-٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى :١-٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإقسامه - سبحانه - ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته)[(١)].

■ **فالوقت أيها الأحبة:** هو حياة المرء ورأسُ ماله، فعليه أن ينظر أين ينفقه؟ وكيف يقضيه؟ هل في طاعة ربه سبحانه ومرضاته؟ أو في ملذات نفسه وشهواته؟.

ولهذا كان الموفق من استغل فراغه وعمَّر ساعاته فيما يُحب ربُّه سبحانه، سواء كان نفعه في دنياه أو آخرته، قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهذا الحديث: (أشار ﷺ بقوله: «**كَثِيرٌ مِن النَّاسِ**» إلى أن الذي يُوَفَّق لذلك قليل)[(٣)].

---

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص ٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٣٠).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (من لا يستعملهما - أي النعمتين - فيما ينبغي فقد غُبِنَ؛ لكونه باعهما ببخس)[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا، لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر رِبْحُها في الآخرة، فمن استغل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغلْ، والصحة يعقبها السِّقَمُ)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرةُ شجرتِه طيبةٌ، ومن كانت في معصية فثمرتُه حنظل، وإنما يكون الجُدَاد - أوان قطع ثمر النخل - يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مُرِّها، والإخلاصُ والتوحيد شجرة في القلب: فروعُها الأعمالُ، وثمرها طيبُ الحياة في الدنيا، والنعيمُ المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك)[٣].

▪ **أيها الكرام**: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلقنا لحاجة منه لنا، بل هو غني

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٣٠).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٠).
(٣) الفوائد (ص١٦٤).

عنا سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، بل أوجد عباده لأمر عظيم وغاية حميدة، ألا وهي عبادته سبحانه وحده لا شريك له، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خُلِقوا له والإعراضُ عن حظوظ الدنيا بالزهادة فإنها دارُ نفادٍ، لا مَحَلُّ إخلاد، ومركبُ عبورٍ لا منزلُ حبورٍ، ومشروعُ انفصامٍ لا موطن دوام؛ فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقلُ الناس فيها هم الزهاد)[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأخبر أنه لم يخلق الجن والإنس لحاجة منه إليهم ولا ليربح عليهم، لكن خلقهم جُودًا وإحسانًا ليعبدوه فيربحوا هم عليه كل الأرباح)[(٢)].

فينبغي للعاقل بعد أن عرف الغاية التي من أجلها خُلق: أن يعمل لآخرته، ويسعى لها، ويتزود من كل ساعة بل من كل لحظة من دنياه لأخراه، لا يترك شيئًا من وقته يمر هباء دون أن يغتنمه في مرضات ربه وطاعته.

---

(١) رياض الصالحين (ص٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٢٢٢).

قال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ: (مررت برجل من العُبَّاد بالبصرة، وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي على ما فرطتُ من عمري، وعلى يومٍ مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي)[١].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسَمَر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسببُ تفاوتهم قلةُ العلم وكثرتُه بما يُنْفق في بلد الإقامة، فالمتيقظون منهم يتطلعون إلى الأخبار بالنافق هناك، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم، والغافلون منهم يحملون ما اتفق، وربما خرجوا لا مع خفير، فكم ممن قد قُطِعَتْ عليه الطريق فبقي مفلسًا، فالله الله في مواسم العمر، والبِدارَ البدارَ قبل الفوات)[٢].

▪**أيها الأحبة:** لقد ضرب سلفنا الصالح من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) والتابعين أروع الأمثلة في المحافظة على الأوقات واستغلال الدقائق والساعات بطاعة رب البريات وزيادة أرصدتهم من الحسنات.

---

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١/ ٣٧).

(٢) صيد الخاطر (ص٤٦).

وقد تتساءلون - رعاكم الله - عن قيمة الوقت عندهم؟ولماذا كانوا مهتمين به؟

هذا ما سنتحدث عنه في المقال التالي بإذن الله تعالى.

المقال الثاني

قيمة الوقت عند السلف

٢ - قيمة الوقت عند السلف

لقد اهتم سلفنا الصالح ﷺ بعمارة أوقاتهم وحفظها بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فمن تتبع منا أخبار القوم وتأمل أحوالهم يرى الشيء العجاب!، وعرف قدر نفسه، وأيقن أن كثيرًا منا في هذا الزمان - إلا من رحم الله -، محروم من نعمة استغلال العمر واغتنام الوقت.

وهذا الحرص الشديد منهم - أيها الأفاضل - نابع من علمهم وعملهم بما جاءت به النصوص الشرعية النبوية بالحث على حفظ الأوقات بالطاعات والنهي عن تضييعها في الملذات والشهوات، ويقينُهم أن هذه الدنيا دارُ الزرع والمَمَرِّ، وأن الآخرة هي دار الحصاد والمستقر، قال ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ**»(١).

قال ابن الجوزي رحمه الله: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قُربة، ويُقدم الأفضلَ فالأفضل من القول والعمل)(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٠٢) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) صيد الخاطر (ص٢).

وقال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١).

قال الحافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني أن هذه الخمس: أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال في زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شباب هَرَمًا، وبعد كل صحة سقمًا، وبعد كل غنًى فقرًا، وبعد كل فراغ شغلا، وبعد كل حياة موتًا، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تُنَلْ إلا بالغنى: لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ويطلب الكَرَّةَ وهيهات، وحِيلَ بينه وبين ذلك، وعظُمَتْ حسراته حين لا مدفع للحسرات)(٢).

▪ **أيها الأحبة**: إن الوقوف عند أقوال سلفنا الصالح في الحث على اغتنام أوقات الدنيا بالطاعات، والتزود للآخرة بالحسنات والمبادرة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) معارج القبول (٢/ ٧١١ - ٧١٢).

لفعل الخيرات، لأكبرُ عون بإذن الله للمسلم على حسن استغلال وقته، والحفاظ عليه؛ ولذا أحببنا أن نَذْكُر لكم بعض ما جاء عنهم في ذلك، سائلا الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفع بهذه الآثار كاتبها وقارئها، وأن يجعلنا وإياكم ممن اقتفى آثارهم وسلك سبيلهم، فهم رمز للصلاح والتقوى، وخير قدوة بعد رسولنا محمد ﷺ، يقتدي بهم المقتدون ويتأسى بهم المتأسون.

قال أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : (إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد تَرَجَّلَتْ مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل)[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (إني لأمقت الرجل أن أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة)[(٢)].

وقال الحسن البصري رحمه الله : (يا ابن آدم إنَّما أنت أيَّام، كلَّما ذهب يومٌ ذهب بَعْضُك)[(٣)].

وقال أيضا رحمه الله في موعظة لأصحابه: (ولا يلهينك المتاع القليل الفاني، ولا تربص بنفسك فهي سريعة الانتقاص من عمرك، فبادِرْ أجلك، ولا تقل: غدًا غدًا، فإنك لا تدري متى إلى الله تصير)[(٤)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٠).

(٢) رواه الإمام وكيع في الزهد (١/ ٤١٨).

(٣) رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (٢/ ١٤٨).

(٤) رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (٢/ ١٤٠).

وقال ذات يوم رَحِمَهُ اللَّهُ لجلسائه: (يا معشر الشيوخ: ما يُنْتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد، قال: يا معشر الشباب: إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ)[١].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ في موعظة له: (المبادرةَ المبادرةَ! فإنما هي الأنفاس، لو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءًا نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك)[٢].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (أدركت أقوامًا كان أحدهم أشحَّ على عمره منه على درهمه ودينار)[٣].

وكان يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا ابن آدم إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدٍ. فإن يكن غدٌ لك فكن في غد كما كنت في اليوم وإلا يكن لك لم تندم على ما فرطتَ في اليوم)[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا ابن آدم نهارك ضيفك؛ فلا يرحلن عنك إلا وهو راض، وكذا ليلك)[٥].

---

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٥٠٠).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه قصر الأمل (ص١٠٧).
(٣) رواه ابن المبارك في كتابه الزهد (ص٤).
(٤) رواه ابن المبارك في كتابه الزهد (ص٤).
(٥) رواه الدينوري في كتابه المجالسة وجواهر العلم (١/ ٢٢٢).

وقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: (أحدهم لو سقط منه درهم لظلَّ يقول: إنا لله؛ ذهب درهمي، وهو ذهب يومُه ولا يقول: ذهب يومي ما عملت فيه)[١].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال الرجل: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: تعلم ما تفسيره؟ قال الرجل: فَسِّرْه لنا يا أبا علي قال: قولك (إنا لله): تقول: أنا لله عبد، وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع فليعلم بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فَلْيَعُدَّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: تستره، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، وما بقي فإنك إن أسأتَ فيما بقي أُخِذْتَ بما مضى وما بقي[٢].

وقال سيف اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه)[٣].

وقال أبو حازم سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصل

---

(١) رواه أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء (٨ / ٣٠٢).
(٢) رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (٨/ ١١٣).
(٣) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٢٩٢).

منها لا إلى قليل ولا إلى كثير)[١].

وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ لأصحابه: (عباد الرحمن؛ يقال لأحدنا: تحب أن تموت؟فيقول: لا، فيقال: لم؟ فيقول: حتى أعمل، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف!، فلا يحب أن يموت! ولا يحب أن يعمل!، وأحبُّ شيء إليه أن يؤخِّر عَمَلَ الله عز وجل، ولا يُحِب أن يُؤَخَّر عنه عَرَضُ دنياه!)[٢].

وقال بعض السلف: (كيف يفرح بالدنيا مَنْ يومُه يهدم شهره، وشهرُه يهدم سَنَتَه، وسنتُه تهدم عُمُرَه؟ كيف يفرح بالدنيا من يقوده عمرُه إلى أجله، وتقوده حياتُه إلى موته؟)[٣].

وقال بعض الحكماء: (من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مَجْدٍ أثَّلَه - ورَّثه - أو حَمْدٍ حَصَّله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عَقَّ يومَه، وظلم نفسه)[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها)[٥].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقى منها أماني،

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣ / ٢٤٢).
(٢) الزهد الكبير للبيهقي (٥٠٣).
(٣) الزهد لابن أبي الدنيا (١/ ٢٤٨).
(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٥٧).
(٥) الفوائد (ص٣١).

والوقتُ ضائع بينهما)[١].

▪**فيأيها الأحبة:** بعد أن عرفنا حَثَّ صدرِ هذه الأمة - رحمهم الله - على وجوب استغلال أوقات هذه الدنيا الفانية في طاعة الله ومرضاته وجعلها مَمَرًّا للآخرة لا مستقرًّا، فاللهَ اللهَ في اغتنام ما بقي في طاعة ربنا، والحذرَ الحذرَ من التسويف والكسل حتى يقترب الأجل، يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك)[٢].

▪**أيها الكرام:** ها هي العطلة الصيفية بفضل الوهاب على الأبواب وهي من أنواع الفراغ الذي يمر بنا، فليكن همنا فيها طاعة ربنا والوقوف على عيوب أنفسنا وعلاجها، فإن خير ما تُصرف فيه الأعمار ويمضي عليه الليل والنهار طاعة المولى الجبار.

فكيف أيها الأفاضل نستثمر هذه الإجازات بما يُرْضِي رَبَّ البريات، وفي زيادة أرصدتنا من الحسنات، والتخفيف على أنفسنا مشاق الدنيا والضائقات؟

(١) الفوائد (ص٤٨).

(٢) الزهد لابن السَّرِيِّ (ص٢٨٩).

المقال الثالث

الإجازة... ساعة وساعة في ظلال الطاعة

٣ - الإجازة... ساعة وساعة في ظلال الطاعة

إن من سماحة الشريعة الغراء وكمالها أنها حثت الفرد على أن يتمتع بالمباحات ويخفف عن نفسه من الضائقات، شريطة أن لا يجره ذلك إلى ارتكاب المحرمات أو يشغله عن فعل الواجبات، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص:٧٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولِزَوْرك عليك حقًّا، فآتِ كلَّ ذي حق حَقَّه)(١).

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستمتع بدنياك، استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك)(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ**»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٠).
(٢) تفسير السعدي (ص ٦٢٣).
(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٨٦٧) من حديث أبي جحيفة - وهب بن عبد الله السوائي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «**فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ - ضيفك - عَلَيْكَ حَقًّا**»(١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (و«**إن لنفسك عليك حقا**» أي : تعطيها ما تحتاج إليه ضرورة البشرية مما أباحه الله للإنسان من الأكل والشرب والراحة التي يقوم بها بدنه ليكون أعون على عبادة ربه)(٢) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله عز وجل له حق فيُعطى حَقَّه عز وجل، وكذلك للنفس حق فَتُعْطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله براحة لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها ملَّ وتعب، وأضاع حقوقًا كثيرة)(٣) .

وعن حنظلة بن الربيع الأسدي رضي الله عنه أحد كُتَّاب رسول الله ﷺ قال : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا- لاعبنا - الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ - معاش الرجل من

---

(١) رواه البخاري (١٨٧٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩) وزاد : (وإن لولدك عليك حق).

(٢) فتح الباري (٣ / ٣٨).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٣٦).

حرفة أو صناعة - فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[(١)].

كثير من الناس اليوم - إلا من رحم الله - إذا وجدته مُتَلبِّسًا بمعصية خاصة في فترة إجازته فأنكرت عليه، رد عليك وقال: «**سَاعَةً وَسَاعَةً!**» أخذًا بهذا الحديث!

فيقال له: ليس المراد من هذا الحديث ساعة لربك وساعة لنفسك فتفعل المعاصي!، ثم لننظر في الحديث، لقد كانت الساعة الأولى للصحابة مع النبي ﷺ فيها تذكر الجنة والنار، والساعة الأخرى مع الزوجة والأولاد وأمور الدنيا كالعمل في الحرف والصناعات، هل كانت ساعته الأولى طاعة والأخرى معصية!

هل كانت الساعة الأولى في سماع القرآن والأخرى في سماع مزمار الشيطان!

نعم، وقت المؤانسة والملاطفة مع أهل البيت هو وقت مباح، لكن

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

مَنْ قوي إيمانه وحضرت نيته فإنه يَعُدُ هذه الساعة طاعة، وهذا هو حال سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم) حيث كانوا يتعبدون الله حتى في وقت المباحات باستحضار نية التقوي على العبادة بها، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي)[١].

فمن جالس أهله وتسامر معهم فليحتسب الأجر في ذلك، لأنه مأمور بالإحسان إليهم، قال ﷺ: «**وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَق**».

ومن اشتغل بحرفة أو صناعة فَلْينوِ أن يعينه التكسب من ورائها على طاعة الله، وذلك بالإنفاق على أهله والتصدق في سبيل الله.

▪**لنتأمل أيها الكرام**: كيف خاف هذان الصحابيان على نفسيهما النفاق مع أنهما لم يرتكبا مُحَرَّمًا، ولم يُضَيِّعا واجبًا، فأين حالنا من حالهم!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (تالله لقد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفُهم من النفاق شديد، وهمُّهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانُهم حناجرَهم وهم يَدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل)[٢].

▪**أيها الأحبة**: ها هي الإجازة بفضل الله الوهاب تَطرق الأبواب، فماذا نحن فيها فاعلون؟ وهل لاغتنامها فيما يرضي رب العالمين مستعدين؟

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٥٨).

أحببت في ختام هذا المقال أن أذكر نفسي وإياكم ببعض ما يجب علينا فيها، سائلا الله لي ولكم البركة في الأوقات والتوفيق لاغتنامها والثبات. ومن ذلك:

▪ **تقوى الله في السر والعلانية:** وذلك بفعل المأمورات والابتعاد عن كل المحرمات صغيرها وكبيرها، فمن الطرق المعينة على الابتعاد عن هذه المحرمات بإذن الله، البعدُ وعدمُ السفر إلى الأماكن التي يُعْصَى الله عز وجل فيها.

▪ **أيها الأفاضل:** بعض الآباء يظن أنه لو أنفق على أبنائه في الملاهي بسخاء وزار بأبنائه الأماكن التي يُجَاهَر فيها بمعصية الله ليرفه عنهم، أنه قد أجزل لهم المثوبة بذلك وكافأهم على جدهم واجتهادهم طوال العام! وهذا فهم خاطئ وإفساد للأولاد وتضييعٌ للأمانة، سيسأل عنها يوم القيامة، قال ﷺ: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**...»[(١)].

فالرابح في الإجازة هو من استغل وجوده بين أهله فنفَّسَ عليهم ورفَّه عنهم، وذكَّرهم بما يجب، وحذرهم مما يُجْتنب.

▪ **استغلال الوقت في الخيرات:** فعلينا أن نستغل أوقاتنا أحسن الاستغلال، ولا نضيعها، ولا يكن همنا الوحيد - كما يفعل بعض العاطلين - مجرد قتلها وصرفها حتى لو كان ذلك فيما لا ينفع لا في

(١) رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الدنيا ولا في الآخرة، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمانَ دفعًا عجيبًا: إن طال الليل، فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر، وإن طال النَّهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتُهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النَّادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزَّاد والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسببُ تفاوتهم قلة العلم وكثرته، بما يُنْفَق في بلدِ الإقامة، فالغافلون منهم يحملُون ما اتفق، وربما خرجوا لا مع خفير، فكم ممن قد قُطِعت عليه الطريق فبقي مُفْلِسًا، فاللهَ اللهَ في مواسم العمل، والبدارَ البدارَ قبل الفوات)[1].

هذا في زمانه رَحِمَهُ اللَّهُ فكيف لو رأى هذا الزمان، واطلع على حال أهله! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالوقتُ مُنْقَضٍ بذاته منصرمٌ بنفسه، فمن غفل عن نفسه تَصَرَّمَتْ أوقاتُه، وعظم فواته، واشتدت حسراته، فكيف حاله إذا علم - عند تحقق الفوت - مقدارَ ما أضاع، وطلب الرجعى، فَحِيل بينه وبين الاسترجاع، وطَلَبِ تناول الفائت، وكيف يرد الأمس في اليوم الجديد ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢]، ومُنِعَ مما يحبه ويرتضيه، وعَلِمَ أن ما اقتناه ليس مما ينبغي للعاقل أن يَقْتنيه، وحِيلَ بينه وبين ما يشتهيه)[2].

---

(١) صيد الخاطر (ص٤٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٥٠).

▪ أفضل ما تقضى به الأوقات:

وأفضلُ ما تقضي به الأوقات وتستثمر به الإجازات وتزاد به الحسنات، بإذن رب البريات، زيارة المسجد الحرام، للاعتمار، ولا يخفى ما للعمرة من أجر عظيم عند رب كريم، فقد قال الرسول ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»(١).

إن هذه الإجازات فرصة عظيمة؛ ليخلو الإنسان بنفسه ويراجع حساباته، فَيَجْبُرُ نقصَه ويزيد من أجره، كما أنها فرصة له لطلب العلم الشرعي؛ ورفع الجهل عنه، فلنحرص على الدروس والدورات التي تقام في المساجد، وكذلك ليجتهد من لم يكن حافظا للقرآن منا في حفظه أو حفظ ما تيسر منه، ومن يَسَّرَ الباري له حفظه، ففرصته تكون في مراجعته وتثبيته.

▪ في الإجازات فرصة لصلة الأرحام:

وكذلك في العطل الصيفية فرصة لصلة الأرحام وتقوية العلاقات بهم، ولا يخفاكم أيها الكرام ما لصلة الأرحام من أجور عظيمة عند الله تعالى، أهمها: أنها قربة إليه سبحانه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**»(٢).

▪ **فيجب علينا أيها الأحبة**: أن لا نضيع هذه الفرص، فالعمر

---

(١) رواه البخاري (١٦٨٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٥).

يمضي، والساعة تنقضي، ولنتزود من دنيانا لآخرتنا، ولْنشغل أنفسنا بما يحب ربنا ويرضى.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب: إن لم تَسْكُنْه محبةُ الله عز وجل سَكَنَه محبةُ المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تَشْغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخُطتين وأنزِلْها في إحدى المنزلتين)[١].

فالله أسأل أن يبارك لي ولكم في أعمارنا وأعمالنا، وأن يشغلنا بطاعته ويعصمنا وإياكم من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الوابل الصيب (ص١١١).

خال المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٨١هـ):

(معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شَزَرًا، اتهمناه على القوم) يعني الصحابة.

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢١١)

وقال الربيع بن نافع الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٤١هـ):

(معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كشف الرجل السِّتْر اجترأ على ما وراءه).

(البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٣٩)

خال المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم صفوة الأتقياء، وقدوة المؤمنين، وخيرُ عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه...)[٢].

---

(١) أصل هذا الكتاب أيضًا عبارة عن مقالات نشرت في صحيفة الشرق القطرية دفاعا عن الصحابي الجليل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد طُبعت هذه المقالات ولله الحمد من قبل في كتيب صغير ووزع مجانا، فنسأل الله أن يجزي خيرا من تكفل بطباعته ومن أعان على توزيعه.

وطباعتُه في هذا المجموع مرة أخرى، ليحفظ فيه، وينتشر مع هذه المقالات، التي أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

(٢) إسناده حسن رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٨٤) والطبراني في الكبير (٨٥٨٢) من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، =

لقد تربى هذا الجيل الكريم في أحضان النبوة، وعاش في كنف السنة، وعايش الوحي وهو يتنزل من السماء.

وإن مما ابتلينا به في هذا الزمان تحالُفَ المبتدعة وبعض أشباه المثقفين على الطعن في الصحابة والتطاول على مقامهم الرفيع، فبعضهم لحقدٍ دفين في أنفسهم، والبعض الآخر تحت شعار النقد التاريخي لما جرى بينهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما نرى ونسمع اليوم من الطعن في الصحابي الجليل خال المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تارةً بلعنه! وتارة بزعم أنه سبب انقسام الأمة وافتراقَها! لشاهد على هذا التحالف البغيض، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

واعجبا من هؤلاء! ألم يستمعوا لتلك النصوص الصحيحة الصريحة المحذرة من مغبة الوقيعة في الصحابة، أو استنقاص أحدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فقد جاء في حديث ابن عباس وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

ألم يسمع هؤلاء لقول المصطفى ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»(٢).

=قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٧): (رجاله موثقون)، وحَسَّنَ وقفه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريجه على الطحاوية (ص ٥٣٠).

(١) حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٤٢)، وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤١)، وقد حسن الحديث بمجموع طرقه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ألم يعلموا عند طعنهم أن الصحابة (رضوان الله عليهم) عدول بشهادة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح :١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقا على هذه الآية: (والرضى من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا على عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا)[(١)].

ويقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا اتفق أهل الحق ومن يُعْتَدُّ به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم)[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول - أي الصحابة -، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة)[(٣)].

ولقد تفطن سلفنا الصالح لمكر أسلاف هؤلاء وحقدهم، فردوا عليهم وبينوا حالهم للعامة وحذروا منهم، ونشروا بين الناس فضائل هذا الصحابي الجليل كتابةً وتدريسا واعتبروا الطعن في معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طعنًا في باقي الصحابة (رضوان الله عليهم).

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/ ١٠٦٨).
(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٧).

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شَزْرًا - بتغيظ وحقد - اتهمناه على القوم يعني الصحابة)[١].

وسئل الإمام النسائي - صاحب السنن - عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: (إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار. قال: فمن أراد معاوية؛ فإنما أراد الصحابة)[٢].

وقال الربيع بن نافع الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستر أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه)[٣].

وقال قتادة للحسن البصري - رحمهما الله -: يا أبا سعيد: إنا ناسًا يشهدون على معاوية وذويهم أنهم في النار، فقال: (لعنهم الله، وما يدريهم أنهم في النار؟!)[٤].

وفي رواية: قيل للحسن: يا أبا سعيد، إن ههنا قومًا يشتمون أو يلعنون معاوية وابن الزبير؟!فقال: (على أولئك الذين يلعنون لعنةُ الله)[٥].

وقال الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله - يعني الإمام أحمد - وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢١١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٩).
(٢) تهذيب الكمال للمزي (١/ ٣٣٩ - ٣٤٠).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٩).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢٠٦).
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢٠٦).

رافضي؟ قال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خَبيئةُ سوءٍ، قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**[(١)]»[(٢)].

وكذلك مما ابتليت به الأمة ما نشاهده اليوم من خوض بعض الجهلة في الدين من المثقفين فيما جرى بين الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) مخالفين الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما شجر بين الصحابة وحُسْنُ الظن بهم والتأويلُ لهم، وأنهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يدَّع الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، وقد كان يقر بذلك لمن سأله عنه)[(٣)].

ودخل أبو الدرداء وأبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالا له: يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا، وأقربُ منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك. فقال: (أقاتله على دم عثمان، وأنه آوى قتلة عثمان، فاذهبا إليه فقولا: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام)[(٤)].

وكذلك الصحابة الذين قاتلوا عليًّا مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليس فيهم من

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥) من طريق عَبيدة السَّلْماني عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».

(٢) السنة للخلال (٦٩٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

(٤) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠).

يقول: إن معاوية أفضل من علي، وإنما قاتلوه ومن معهم من أهل الشام للطلب بدم عثمان رضي الله عنه، كانوا يقولون: إن معاوية هو ولي عثمان والطالبُ بدمه، كما ذكر ذلك غيرُ واحد من أهل العلم بالأخبار والتواريخ.

ولهذا لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية رضي الله عنهما جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلْتَه؟ فقال: (ويحكِ، إنك لا تدرين ما فَقَدَ الناسُ من الفضل والفقه والعلم)[(١)].

▪ **فالواجب علينا أيها الأحبة الكرام:** أن نقتدي بسلفنا الصالح، ونقف حيث وقفوا، ولْيَسَعْنا ما وَسِعَهم تجاه ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم.

قيل للإمام أحمد رحمه الله: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؟ قال: (ما أقول فيها إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين)[(٢)].

وسأل رجل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه، فقيل: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم! فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤][(٣)].

وجاء رجل إلى أبي زُرْعة الرازي رحمه الله فقال له: إني أبغض معاوية. فقال له: لم؟ قال: لأنه قاتل عليًّا بغير حق. فقال له أبو زرعة:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٠).

(٢) السنة للخلال (٢/ ٤٦٠).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ١٤١).

(رَبٌّ معاوية رب رحيم، وخصمُ معاوية خصمٌ كريم فما دخولك بينهما؟!)[١].

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال النبي ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[٢])[٣].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومذهب أهل السنة والحق إحسانُ الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويلُ قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغٍ فوجب عليه قتالُه ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ لأنه اجتهادٌ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة)[٤].

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه (٥٩/ ١٤١) من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال: جاء رجل إلى عمي . . . . فذكره .

(٢) تقدم تخريج الحديث .

(٣) لمعة الاعتقاد (ص٣٢).

(٤) الشرح على مسلم (١٨/ ١١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين: إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيئات، وقد سبق لهم من الله الحسنى، فإن الله يغفر لهم: إما بتوبة، أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو غير ذلك)[١].

وقال أيضا رحمه الله: (ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورًا، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا وذمًّا، ويكون هو في ذلك مخطئًا، بل عاصيًا فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر مَنْ تكلم في ذلك فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، إما مِنْ ذمِّ مَنْ لا يستحق الذم، وإما مِنْ مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف)[٢].

وإنه مما يؤسفنا أيها القراء الكرام أن كثيرًا من أهل السنة والجماعة يجهلون سيرة ومناقب صهر رسول الله ﷺ وخال المسلمين وأمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، لذا أحببت أن أقدم بين أيديكم أيها الأحبة ترجمةً موجزة تذكرنا بالسيرة العطرة لهذا الصحابي الجليل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).
(٢) منهاج السنة (٤/ ٤٤٨ - ٤٤٩).

ومكانته لعل الله ينفع بها كاتبها وقارئها وتزيد من محبتنا لهذا الصحابي بعد قراءتنا لها سائلا الباري سبحانه أن يجزي صحابة رسول الله ﷺ عنا خير الجزاء ويرفع قدرهم في الدارين.

ترجمة موجزة لمعاوية رضي الله عنه

ترجمة موجزة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اسمه ونسبه[١]:

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب الصحابي القرشي الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يلتقي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليٍّ بن أبي طالب نسبًا في الجد (عبد مناف)[٢] .

---

(١) بعض الكتب التي اعتنت بترجمة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبي يعلى الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق/ أبو عبد الله الأثري، مكتبة الرشد .

- تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن حجر الهيثمي (ت٩٧٣هـ) / وقام باختصاره سليمان بن صالح الخراشي (ط . دار علوم السنة) .

- من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، للعلامة محدث المدينة عبد المحسن العباد (حفظه الله) / ط . الجامعة الإسلامية .

- الدفاع عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لزيد بن عبد العزيز الفياض، مؤسسة الرسالة .

- معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأسرته، محمود شاكر، المكتب الإسلامي .

- معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصلابي [موسوعة السير] .

- سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسعد بن ضيدان السبيعي، دار المحدث .

- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعبد العزيز بن أحمد الفرهاوي، دار غراس الكويت .

(٢) معجم الصحابة للبغوي (٥/ ٣٦٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ١١٦) .

مولده: وُلد قبل البعثة بخمس سنوات، وتوفي وهو ابن ثمان وسبعين، سنة ستين للهجرة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما.

أبوه: هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، ابن عبد شمس بن عبد مناف، يلتقي مع رسول الله ﷺ نسبًا في الجد (عبد مناف)، أسلم يوم فتح مكة وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، شهد حنينا، وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مائة من إبل وأربعين أوقية من الدراهم، شهد قتال الطائف، فقلعت عينه يومئذ، ثم قلعت أخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ يحرض على الجهاد(١).

أمه: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، تلتقي مع رسول الله ﷺ نسبًا في الجد (عبد مناف)، أسلمت يوم الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكانت من عقلاء النساء(٢).

إسلامه: قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لما كان يوم الحديبية، وصدوا رسول الله ﷺ عن البيت وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت لأمي فقالت: إياك أن تخالف أباك، فأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني مصدق به، ودخل مكة عام عُمْرة القَضِية وأنا مسلم)(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٨٩).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٤١).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ١١٨).

زهده: لقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من زهاد الصحابة رضي الله عنهم ، حيث روى الإمام أحمد بسنده إلى علي بن أبي حملة[١] عن أبيه رحمهما الله قال: (رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع)[٢].

وعن يونس بن ميسر الزاهد - أحد شيوخ الإمام الأوزاعي - رحمهما الله قال: رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردفٌ وَصِيفًا وعليه قميص مرقوع الجيب ويسير في أسواق دمشق[٣].

حلمه[٤]: لقد كان يضرب بمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المثل في حلمه وعفوه عن الناس، ومما يروى في هذا الباب، أن رجلا أسمع معاوية كلاما سيئا شديدًا، فقيل لمعاوية: لو سطوتَ عليه، فقال: (إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي)[٥].

ويروى عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (ما وَضَع الحلمُ عن شريفٍ شَرَفه، ولا زاده إلا كرمًا، وقال: لا يبلغ الرجلُ مبلغ الرأي حتى يغلب حلمُه جهلَه، وصبرُه شهوتَه، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم)[٦].

---

(١) بفتح الحاء، القرشي، أبو نصر الفلسطيني، وثقه أبو حاتم، والعجلي، مات سنة (١٠٦هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٤٤٨)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ١٥٨).

(٢) الزهد للإمام أحمد (ص١٧٢).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٨).

(٤) ألف الحافظ ابن أبي الدنيا كتابا في حلم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (طبع في دار البشائر بدمشق/ تحقيق إبراهيم صالح).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٤٥).

(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٣٥).

خلافته: بايعه عامة الناس سنة (٤١هـ)، بعدما تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الخلافة، فَسُمِّيَ هذا العام عام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه.

واستمر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة حتى وفاته سنة ٦٠ هـ، فكان بذلك أميرًا (٢٠ عامًا) وخليفة (٢٠عامًا) أخرى.

فضائله:

قد جاءت في فضله أدلة عديدة وهي على قسمين:

١ - أدلة عامة: وهي التي جاءت في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا شك أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داخل في هذا الفضل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيما صح في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داخل فيه)[(١)].

٢ - أدلة خاصة: ومنها، مارواه الترمذي في سننه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكان من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهدِّ بِهِ**»[(٢)].

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ. قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً[(٣)]

---

(١) المنار المنيف (ص٩٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٤٢) من طريق سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن عميرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١٩٦٩).

(٣) الحَطْأة: الضرب باليد المبسوطة بين الكتفين. النهاية لابن الأثير (٤/ ٨٩).

وَقَالَ: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ». قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ». قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: «لاَ أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»(١)، ثم رَوَى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عقب حديث ابن عباس حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا عَبْدٍ مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

فما أعظم صفاء قلوب أهل السنة والجماعة لأصحاب نبيهم ﷺ، وما أسلَمَ سريرتَهم تجاهَهم، فهذا الإمام مسلم روى الحديثين في باب واحد، وكأنه جعل الحديث الأول مع الحديث الثاني فضيلة عظيمة لخال المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد فهم مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقا للدعاء عليه؛ فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له)(٣).

وعن أم حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قالت أم حرام: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، ثم قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»، فقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يا رسول الله؟ قال: «لا»(٤).

---

(١) مسلم (٢٦٠٤).
(٢) مسلم (٢٦٠٥).
(٣) الشرح على مسلم (١٦/ ١٥٦).
(٤) البخاري (٢٧٦٦).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعنى أوجبوا: أي فعلوا فعلا وجبت لهم به الجنة)[١].

وهذه منقبة عظيمة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذلك لأن أول جيش غزا في البحر كان بإمارته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

من مناقبه أنه خال المؤمنين:

سُمِّيَ بذلك لأن أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ.

قال أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويُسَمَّى إخوةُ أزواج النبي ﷺ أخوالَ المؤمنين، ولسنا نريد أنهم أخوال بالحقيقة، كأخوال الأمهات من النسب، وإنما نريد أنهم في حكم الأخوال في بعض الأحكام، وهو التعظيم لهم)[٣].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فيمن قال: لا أقول: إن معاوية كاتبُ الوحي، ولا أقول: إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبا؟! (هذا قولُ سوءٍ رديء يُجَانبون هؤلاء القوم ولا يُجَالَسون، ونبين أمرهم للناس)[٤].

من مناقبه أنه أحد كتاب الوحي: فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك. فقال

---

(١) فتح الباري (٦/ ١٢١).
(٢) فتح الباري (٦/ ١٢٠).
(٣) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق (ص ١٠٦).
(٤) السنة للخلال (٢/ ٤٣٤).

النبي ﷺ: «**نعم**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**» وكان كاتبه... الحديث[(٢)].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (كان معاوية يكتب لرسول الله ﷺ)[(٣)].

قال الإمام أحمد رحمه الله: (معاوية رضي الله عنه كاتبُ رسولِ الله ﷺ وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه)[(٤)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن معاوية رضي الله عنه: (هو واحد من كتاب الوحي)[(٥)].

ومن مناقبه رضي الله عنه أن عمر الفاروق رضي الله عنه ولاه على الشام وأقره عثمان رضي الله عنه عليها مدة خلافته.

قال الهيثمي رحمه الله: (اتفاق كل من عمر وعثمان رضي الله عنهما وهما من هما في الفضل والصحبة ولهما المكان الأعلى والمثل من الورع والدين والتقى وسداد الرأي والفكر وتمام النظر، على تأمير معاوية رضي الله عنه على

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٠١).
(٢) الإمام أحمد في المسند (٢٦٥١).
(٣) السير للذهبي (٣/ ١٢٣).
(٤) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٦٦).
(٥) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٤٢).

الشام لهو دليل على فضل معاوية واستحقاقه لهذه المنزلة. . فأي فضل بعد هذا؟!)[١].

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (حسبك بمن يُؤمِّر عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه، ويقوم به أتمَّ قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه)[٢].

ومن مناقبه أنه خير الملوك: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولم يتولَّ أحدٌ من الملوك خيرًا من معاوية. فهو خير ملوك الإسلام، وسيرته خيرٌ من سيرة سائر الملوك بعده)[٣].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة، وكان رعيته يحبونه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»[٤])[٥].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأول ملوك المسلمين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خير ملوك المسلمين)[٦].

---

(١) تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٢٠).
(٢) السير (٣/ ١٣٢).
(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٤٥٣).
(٤) رواه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) منهاج السنة (٦/ ٢٤٧).
(٦) الشرح على الطحاوية (٢/ ٣٠٢).

ثناء السلف الصالح على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة!! قال: (أصاب؛ إنه فقيه)[(١)].

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :(ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا - يعني معاوية -)[(٢)].

وقال الإمام محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ : (لقد عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئا)[(٣)].

وذُكر عند الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ عمرُ بن عبد العزيز وعَدْلُه فقال: (فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله، بل في عدله)[(٤)].

وقيل لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : ما تقول في معاوية؟ هل هو عندك أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: (لتُرابٌ في مِنْخَري معاوية مع رسول الله خيرٌ - أو أفضل - من عمر بن عبد العزيز)[(٥)].

فعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ، مع جلال قدره، وعلمه، وزهده، وعدله، لا يُقَاس بمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لأن هذا صحابي؛ وذاك تابعي!، ولقد سأل رجل المعافى بن عمران الأزدي رَحِمَهُ اللَّهُ قائلاً: يا أبا مسعود!

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٥٤).
(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٨٣).
(٣) السنة للخلال (٦٨٣).
(٤) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٣٧).
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢١١).

أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب وقال: (يومٌ من معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز عُمُرَه)، ثم التفت إليه فقال: (تجعلُ رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين؟!)[١].

وسُئل المعافى بن عمران الأزدي رَحِمَهُ اللَّهُ: معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: (كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبد العزيز)[٢].

وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَذْكر لنا الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ اللحظات الأخيرة في حياة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: جعل معاوية لما احتضر يضع خدًّا على الأرض ثم يقلب وجهه، ويضع الخد الآخر يبكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له، ثم تمثَّل بهذا البيت:

هو الموت لا منجى من الموت والـ ... ـذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم أَقِلِ العثرة، واعفُ عن الزَّلة، وتجاوَزْ بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسعُ المغفرة ليس لذي خطيئةٍ مهربٌ إلا إليك. ثم أُغمِيَ عليه، ثم أفاق فقال لأهله: (اتقوا الله؛ فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا يقِي من لا يتقي)، ثم مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدمشق في رجب سنة ٦٠ هـ.[٣]

---

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٦٦).

(٢) الخلال في السنة (١/ ٤٣٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٤٢).

وختاما، إنِّي - والله - لمعتزٌّ ومفتخر بحبي ودفاعي عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن كل أصحاب رسول الله ﷺ، سائلا اللهَ الإخلاصَ والقبولَ، وأنا على يقين تام أن كل صاحب عقيدة صافية يفتخر بدفاعه وحبه لمعاوية وللصحابة أجمعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَيُّهُم قَلْبُك؟

أَيُّهُمْ قَلْبُكَ؟[١]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين

أما بعد:

خلق الله قلوب العباد على هيئة واحدة، عضلة متحركة لا تتوقف إلا بموت صاحبها.

وعلى الرغم من تشابه القلوب في الشكل إلا أن الله سبحانه وتعالى جعلها على أقسام تختلف من جهة أصحابها، وأيضا من جهة حالها وصفاتها.

- **فأما من جهة أصحابها فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

١ - قلوب المؤمنين.

٢ - قلوب الكفار.

٣ - قلوب المنافقين.

---

(١) هذا كتاب كذلك أصله مقالات نُشرت في جريدة الشرق القطرية عن أنواع القلوب، وقد يسر الله طبعه من قبل في غلاف، فجزى الله خيرا من تكفل بطباعته ومن أعان على نشره.
وطباعته مرة أخرى في هذا المجموع ليحفظ فيه، ولينتشر مع باقي المقالات، التي أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما من جهة حالها وصفاتها فهي أيضا تنقسم إلى:

١ - **القلب الحي:** وهو القلب السليم.

٢ - **والقلب الميت:** وهو قلب الكافر والمنافق.

٣ - **والقلب المريض:** إما بشبهة أو بشهوة.

وهذه القسمة الثلاثية قد دلت عليها النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٣-٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقا على هذه الآيات: (جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبتة، وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافًا وإذعانا، أو لا تكون يابسة جامدة.

فالأول: هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يُكْتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العِلْم؛ لأن ذلك يستدعى محلا لينا قابلا.

والثاني: لا يخلو: إما أن يكون الحق ثابتًا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال، فالثاني هو الذي فيه مرض، والأول هو القوي اللين، وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد

مثلا، فإما أن تكون جامدة يابسة لا تلتوي ولا تبطش أو تبطش بعنف، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشة بقوة ولين، فهو مثل القلب العليم الرحيم، فبالرحمة خرج عن القسوة، وبالعلم خرج عن المرض، فإن المرض من الشكوك والشبهات، ولهذا وُصف من عدا هؤلاء بالعلم والإيمان والإخبات)[(١)].

وأشار إلى نحو هذه القسمة - أخْذًا من هذه الآيات أيضًا - العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: (والقلوب ثلاثة:

- **قلب قاس**: وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق، ولا تنطبع فيه.

- وضده القلب اللين المتماسك وهو: السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بلينه ويحفظه بتماسكه. بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما ينطبع فيه لميعانه ورخاوته كالمائع الذي إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين، ولكن رخاوته تمنعه من حفظها. فخيرُ القلبِ الصلبُ الصافي اللين فهو يرى الحق بصفائه ويقبله بلينه ويحفظه بصلابته)[(٢)].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق كلامه على هذه الآيات: (فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبًا ناجيًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٠ - ٢٧١). (٢) شفاء العليل (١/ ١٠٥ - ١٠٦).

فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي.

والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد)[١].

بعد أن عرفنا أيها الأحبة قسمة القلوب إجمالا ودلالة النصوص عليها، فلابد الآن من معرفة كل قلب على وجه التفصيل مع ذكر صفاته وما يعتريه، ثم الإشارة إلى الدواء النافع له بإذن الله، إذا كان به أدواء.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤٧).

القلب السليم

القلب السليم

إن سلامة قلب المؤمن وصفاءه سببٌ لسعادته في الدنيا والآخرة، فلا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب حي سليم لا يشوبه درن من شبهة أو شهوة، قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمرُ الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خَبَرَه، فَسَلِمَ من عبودية ما سواه، وسَلِمَ من تحكيم غير رسوله ﷺ، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله ﷺ في خوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، **فالقلب السليم**: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادةً ومحبةً وتوكلا وإنابة وإخباتًا وخشية ورجاء، وخَلص عَمَلُه لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله. ولا يكفيه هذا حتى يَسْلَم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ فيعقد قلبه معه

عقدًا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال. . . فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضُمنت له النجاة والسعادة)[١].

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيرُه، وهو أن يكون سليمًا عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه، ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته، ومحبة ما يحبه الله وإرادة ذلك، وكراهة ما يكرهه الله، والنفور عنه)[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (القلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم من سلامته مما ذُكِرَ، اتصافُه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين، ومحبة الخير، وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تابعًا لما جاء عن الله)[٣].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤١).
(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٠٨).
(٣) تفسير السعدي (ص٥٤٢).

صفات القلب السليم

صفات القلب السليم

لقد وصف الباري سبحانه في كتابه العزيز القلب الحي السليم بصفات كثيرة يتميز بها عن غيره، منها:

١ - الخشوع[(١)]:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

---

(١) الخشوع:

لغة: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن، يقال: خشع إذا تطامن وطأطا رأسه). معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٨٢).

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: (خشع يخشع خشوعا، واختشع وتخشع رمى ببصره نحو الأرض، وغضه، وخفض صوته). لسان العرب (٨ / ٧١).

اصطلاحا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (والخشوع: الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح). مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخشوع يتضمن معنيين: أحدهما: التواضع والذل، والثاني: السكون والطمأنينة). مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو الاستسلام للحكمين، وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله وقضائه). مدارج السالكين (١/ ٥٢٢).

والمقصود بالحكمين: الحكم الديني الشرعي فيكون الاستسلام له بعدم معارضته برأي أو شهوة.

والحكم القدري الكوني: والاستسلام له يكون بعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه)[١] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (دعاهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يصلوا إلى الإحسان بالإيمان، وتحقيقُ ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم)[٢] .

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء)[٣] .

٢ - الإخبات[٤] :

قال جل وعلا : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١١) . (٢) مدارج السالكين (٢/ ٥١٠) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١١٨) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) من طريق نافع مولى ابن عمر قال: (كان ابن عمر إذا قرأ . . . فذكره) .

(٤) الإخبات:

لغة: أصله من الخَبْت، وهو المكان المنخفض والمطمئن من الأرض . لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢٨) ، مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣) .

اصطلاحا: قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : (الإخبات: الخشوع والتواضع) . الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١٤) .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالإخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله) . شفاء العليل (١/ ١٠٦) . وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر أقول العلماء في معنى الإخبات: (وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز وجل) . مدارج السالكين (٢/ ٣) . وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ : (و الإخبات له جامع لمقام المحبة والذل والخضوع، لا يُكمل أحدها دون الآخر إخباتا) . مدارج السالكين (١/ ١٥٣) .

فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج :٥٤] أي: فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن آثار الإخبات وَجَلُ القلوب لذكره سبحانه، والصبرُ على أقداره، والإخلاصُ في عبوديته، والإحسانُ إلى خلقه)[(٢)].

٣ - اللين[(٣)]:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي لذكر الله، أي إذا ذُكرت آيات العذاب اقشعرت جلودُ الخائفين لله، وإذا ذُكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد :٢٨] وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف، وتلين عند الرجاء)[(٤)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٩٢).

(٢) شفاء العليل (١/ ١٠٦).

(٣) قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: (اللام والياء والنون كلمة واحدة وهي: اللين ضد الخشونة). معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٢٥). ومنه القول اللين: (وهو القول الذي لا خشونة فيه). تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٠).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٧٦).

الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر :٢٣] لِمَا يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الكفار)[١].

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: عند ذكر الرجاء والترغيب فهو تارة يُرَغِّب لعمل الخير، وتارة يُرْهِبهم من عمل الشر)[٢].

٤- الوجل[٣]:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٢].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه)[٤].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال مجاهد: وَجِلَتْ: أي فزعت وخافت)[٥].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١ - ٥٢).
(٢) تفسير السعدي (ص ٧٢٣).
(٣) الوجل: الفزع والخوف. لسان العرب (١١/ ٧٢٢).
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الوَجَل، فَرَجَفَانُ القلبِ وانصداعُه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته). مدارج السالكين (١/ ٥١٣).
(٤) تفسير القرطبي (٧ / ٣٦٥).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٦).

خشيةُ الله تعالى الانكفافَ عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحِبَه عن الذنوب)[١].

٥- الاطمئنان[٢]:

قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٣١٥).

(٢) الطمأنينة:

لغة: السكون. لسان العرب (١٣/ ٢٦٨).

اصطلاحا: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به، وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه). الصواعق المرسلة (٢/ ٧٤١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه). مدارج السالكين (٢/ ٥٣٤).

قد يقال، كيف تجتمع الطمأنينة والوجل في قلب المؤمن في وقت واحد؟.

يقول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذَكَرت عدلَ الله وشدةَ حسابه، وتطمئن إذا ذكرَتْ فضلَ الله وثوابه وكرمه). تفسير البغوي (٣/ ١٨).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الطمأنينة بذكر الله تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ، فطمأنينتهم بذلك قوية لأنها لم تتطرقها الشكوك، ولا الشبه، والوجلُ عند ذكر الله تعالى يكون بسبب خوف الزيغ عن الهدى، وعدم تقبل الأعمال، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولهذا كان ﷺ يقول في دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» رواه الترمذي (٢١٤٠) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ). أضواء البيان (٥/ ٢٥٩).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (تَسْكُن قلوبُ المؤمنين ويستقر فيها اليقين)[١] .

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (أي : حقيقٌ بها وحَرِيٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيءَ ألذَّ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنسِ به ومعرفتِه، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرُها له)[٢] .

٦- الإنابة[٣] :

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٧) .

(٢) تفسير السعدي (ص٤١٨) .

(٣) الإنابة :

لغة : الرجوع، يقول ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ مادة (ن وب) كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه . معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٧) .

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (أناب ينيب إنابة فهو منيب إذا أقبل ورجع) . النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ١٢٢) .

اصطلاحا : قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه) . طريق الهجرتين (ص١٧٣) .

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ : (وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه) . الفوائد (ص٣٦) . وكذلك من معاني التوبة في اللغة الرجوع، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ : (التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع) . معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٧) .

إذًا ما الفرق بين التوبة والإنابة؟ والمتأمل لكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٤٣٣) يشعر بأنه يفرق بين التوبة والإنابة، حيث جعل الإنابة أخص من التوبة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ : (من نزل في منزل التوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام فإن التوبة الكاملة متضمنة لها وهي مندرجة فيها ولكن لابد من إفرادها بالذكر والتفصيل تبيينًا لحقائقها وخواصها وشروطها فإذا استقرت=

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق :٣٣].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (بقلب تائب من ذنوبه راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه)(١).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (مخلص مقبل إلى طاعة الله)(٢).

وعمومًا، فصفاتُ القلب الصحيح في كتاب الله عز وجل كثيرة جدًّا، والوصف الجامع لها هو السلامة.

ولقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعض العلامات التي تدل على صحة القلب وسلامته، منها:

- أن لا يَفْتُرَ عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويُذَكِّره به ويُذَاكِره بهذا الأمر.

- أنه إذا فاته وِرْدُه - طاعة - وَجَد لفواته ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفَقْدِه.

- أنه يشتاق إلى الخدمة - الطاعة - كما يشتاق الجائعُ إلى الطعام والشراب.

=قدمه في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوبة رجوع من المعصية إلى الطاعة، والإنابة من الغفلة إلى الذكر). تحفة الأحوذي (٩ / ٣٧٨).

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٧٣).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٢٢٥).

▪ أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه هَمُّه وغمُّه بالدنيا واشتد عليه خروجُه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه وقرة عينه وسرور قلبه.

▪ أن يكون همُّه واحدًا، وأن يكون في الله.

▪ أن يكون أشحَّ بوقته أن يذهب ضائعًا من أشد الناس شُحًّا بماله.

▪ أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظمَ منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان ويشهد مع ذلك مِنَّة الله عليه فيه وتقصيرَه في حق الله.

ثم قال في ختام ذكرها: (وبالجملة، فالقلبُ الصحيح: هو الذي هَمُّه كله في الله، وحبه كله له، وقَصْدُه له، وبَدَنُه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديثُ عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابِّه)[(١)].

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم قلبًا صحيحًا سليمًا.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٤٧ - ١٤٨).

القلب الميت

هذا القلب هو أفسد أنواع القلوب وأشرها، وصاحبه - والعياذ بالله - بمنزلة الميت في قبره، قلب جامد يابس أشد قسوة من الحجارة، لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه، قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا وتحكَّم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا هذا القلب أنه: (لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره، وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سَخَطُ ربه وغَضَبُه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحَظِّه، رضي ربُّه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حُبًّا وخوفًا ورجاءً، ورضًا، وسَخَطًا، وتعظيمًا وذلاًّ، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثرُ عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامُه، والشهوة قائده، والجهل سائسه، والغفلة مركبه، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، يُنَادَى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تُسْخطه وتُرْضيه، والهوى يُصِمُّه عما سوى الباطل ويُعميه. . . . فمخالطة صاحب هذا القلب سقم،

ومعاشرته سُمٌّ، ومجالسته هلاك)[١].

ولقد جاء وصف القلب بالموت في عدة آيات من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر هذه الآيات استدلالا على موت قلوب الكفار: (فوصَفَ الكافرَ بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور، وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره، فإذا مات القلب لم يَبْقَ فيه إحساسٌ ولا تمييزٌ بين الحق والباطل ولا إرادةٌ للحق وكراهةٌ للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب وألَمِ فَقْدِهما)[٢].

أيها الأحبة لقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز علامات للقلب الميت مُحَذرًا منها، فمنها:

١ - القسوة[٣]:

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤٤).
(٢) شفاء العليل (١/ ١٠٤).
(٣) القسوة: **لغة**: الشدة والصلابة، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: (القاف والسين والحرف المعتل يدل على شدة وصلابة، من ذلك الحجر القاسي، والقسوة غلظ القلب وهي من قسوة الحجر). معجم مقاييس اللغة (٥ / ٨٧).
اصطلاحا: يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما القسوة فَيُبْسٌ في القلب يمنعه من الانفعال، وغِلْظَةٌ تمنعه من التَّأَثُّر بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته، لا لصبره واحتماله). الروح (ص ٢٤١).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة :١٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي فسدت قلوبهم فَقَسَتْ، وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها وارتكبوا ما نُهُوا عنه)(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن آثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم، وسوء القصد، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب، ومنها نسيان ما ذُكِّر به، وهو ترك ما أُمر به علمًا وعملا)(٢).

فالقلب القاسي: هو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة؛ لأن الحديد قابل للين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارةُ لا تلين قَطُّ، ثم فَضَّل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة :٧٤])(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١١).
(٢) شفاء العليل (١/ ٢٤٧).
(٣) شفاء العليل (١/ ١٠٥).
(٤) تفسير البغوي (١/ ٨٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومتى أُقْحِطَت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب)[١] .

٢- الختم[٢] :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٦-٧] . .

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (طبع عليها بطابع، لا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها، فلا يَعُون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم)[٣] .

---

(١) بدائع الفوائد (٣ / ٧٤٣) .

(٢) الختم :

لغة : الطبع، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأصل الختم : الطبع، والخاتم هو الطابع يقال منه : ختمت الكتاب إذا طبعته) . تفسير الطبري (١/ ١١٢) .

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ : (الخاء والتاء والميم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشيء، يقال : ختمت العمل وختم القارئ السورة، فأما الختم بسكون التاء وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضًا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز) . معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٤٥) .

اصطلاحا : قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ : (و الختم على القلب : أن لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء) . لسان العرب (١٢/ ١٦٣) .

فإن قال لنا قائل : وكيف يختم على القلوب وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والغلف؟ .

قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروفٌ لما جُعِل فيها من المعارف بالأمور) . تفسير الطبري (١/ ١١٢) .

(٣) تفسير السعدي (ص ٤٢) .

٣- الطبع [١]:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [النحل :١٠٨].

يقول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم، فختم عليها بطابعه، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وأصَمَّ أسماعهم فلا يسمعون داعيَ الله إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حججَ الله إبصارَ مُعْتَبِرٍ ومُتَّعِظٍ، وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون عما أعد الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يُرَاد بهم)[٢].

٤- القفل [٣]:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد :٢٤].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما

---

(١) **فإن قيل**: معنى الختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء، فما الفرق بينهما إذا؟.
يجيبنا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: (الختم والطبع يشتركان فيما ذكر - أي في معنى التغطية- ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجيةً وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق القلب الميت). شفاء العليل (١/ ٩٢).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٨٣).

(٣) القفل:
لغة: الغلق بشدة وصلابة. معجم مقاييس اللغة (٥/ ١١٢)، لسان العرب (١١/ ٥٦٢).
اصطلاحا: القلوب المقفلة هي التي قد أغلق على ما فيها من الإعراض والغفلة والاعتراض، وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا. تفسير السعدي (ص ٧٨٨).

أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر)[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: («أم» بمعنى: بل، وذِكْرُ الأقفال استعارةٌ، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى)[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتأمَّلْ تنكيرَ القلب وتعريفَ الأقفال، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة، ولو قال: (أم على القلوب أقفالها) لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة، وفي قوله: ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ بالتعريف نوعُ تأكيدٍ، فإنه لو قال: (أقفال) لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب عُلِم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها، والله أعلم)[٣].

٥- الزيغ[٤]:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران :٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف :٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٥٧).
(٢) زاد المسير (٧/ ٤٠٨).
(٣) شفاء العليل (١/ ٩٥ - ٩٦).
(٤) الزيغ: **لغة**: الميل. لسان العرب (٨/ ٤٣٢).
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأصل الزيغ الميل، ومنه زاغت الشمس إذا مالت). شفاء العليل (١/ ١٠٠).
اصطلاحا: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإزاغة القلب إمالته، وزيغُه ميلُه عن الهدى إلى الضلال). شفاء العليل (١/ ١٠٠).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشكَّ والحيرة والخذلان)[(١)].

▪ **فهذه أيها الأحبة:** بعض علامات موت القلب، والعياذ بالله، وإلا فإن هناك أوصافًا أخرى لهذا القلب ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه العزيز كالران[(٢)]، والأكنة[(٣)] و غيرهما.

▪ **وينبغي أن يُعلم:** أن هذه الصفات التي أشرنا إليها هي حقيقة بالنسبة للقلب، ولذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من صفات القلوب الميتة: (ولا تُصْغِ إلى قول من يقول: إن هذه مجازات واستعارات، فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله، وكأن هذا القائل حقيقةُ الفعل عنده أن يكون من حديد، والختم أن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٠).

(٢) قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الران والرين لغتان: هو ما يغشى القلب ويتخلله من ظلمة الذنوب). غريب الحديث للخطابي (٣/ ٧١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والرين والران هو الحجاب الكثيف المانع للقلب من رؤية الحق والانقياد له). مدارج السالكين (١/ ١٣٠).

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥].

والأكنة: (الأغطية). لسان العرب (١٣/ ٣٦١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنه جعل على قلوب الكفار أكنة، (جمع كنان) وهو ما يستر الشيء ويغطيه ويُكِنُّه، لئلا يفقهوا القرآن، أو كراهة أن يفقهوه لحيلولة تلك الأكنة بين قلوبهم وبين فقه القرآن، أي فهم معانيه فهمًا ينتفع به صاحبه وأنه جعل في آذانهم وقرًا أي صممًا وثقلاً لئلا يسمعوه سماع قبول وانتفاع). أضواء البيان (٣ / ١٦٠).

يكون بشمع أو طين، والمرض أن يكون حمى ينافض[١]، أو قُوْلَنج[٢]، أو غيرهما من أمراض البدن، والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس إلا، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به. وهذه الفِرْقة من أغلظ الناس حجابًا، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محلها كانت بحسب تلك المحال، فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه، وكذلك الختم والطابع الذي عليه هو بالنسبة إليه كالختم والطابع الذي على الباب والصندوق ونحوهما، وكذلك نسبة الصمم والعمى إلى الأذن والعين، وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن)[٣].

(١) أي: (ملتبسة بارتعاد، والنافض من الحمى هو ذات الرعدة). عمدة القاري للعيني (١٥/ ٢٨٠).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (بضم القاف وإسكان الواو وفتح اللام، ويقال فيه: قولون وليس بعربي وهو مرض يحدث بالأمعاء). تهذيب الأسماء (٣ / ٢٧٩).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (القولنج: وهو أن تنعقد أخلاط الطعام في بعض الأمعاء فلا تنزل ويصعد بسببه البخار إلى الدماغ فيؤدي إلى الهلاك). روضة الطالبين (٦ / ١٢٤).

(٣) شفاء العليل (١/ ٩٢).

علاج القلب الميت

علاج القلب الميت

مما يحسن التنبيه عليه أن موت القلب بهذه الصفات لا يمنع من أنْ يَمُنَّ الله عليه بالحياة بعد موته، وباللين بعد قسوته، وبالهداية بعد ضلاله، فله أدوية ناجعة نافعة تبعثه بعد موته، وتفتح قفله بعد إغلاقه بإذن خالقه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مقررا هذه المسألة: (ومما ينبغي أن يُعْلَم أنه لا يمتنع مع الطبع والختمِ، والقفلِ حصولُ الإيمان، بأن يَفُكَّ الذي ختم على القلب وطَبع عليه، وضَرَب عليه القفل: ذلك الختم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر، لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان)[1].

فالله سبحانه وتعالى كما هو قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها، قادر على إحياء القلوب الميتة.

قال جَلَّ جَلَالُهُ في محكم تنزيله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ

(١) شفاء العليل (١ / ٩٠).

ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: (يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس، أن الله يحيي الأرض الميتة التي لا تنبت شيئا بعد موتها، يعني بعد دثورها ودُروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها كذلك نهدي الإنسان الضال عن الحق إلى الحق، فنوفقه ونُسَدده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره، ومهتديا من بعد ضلاله)[(١)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة، لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحَكَم العدل في جميع الفِعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال)[(٢)].

▪**أيها الأحبة قد يقال:** نعم، إن الله قد يتفضل بجوده وكرمه على القلب الميت بالحياة واللين وغير ذلك من الصفات التي تبعثه من قبره بعد أن دُفِن في جسد صاحبه، لكن لابد من أسباب تساعد على ذلك؟ فما هي؟

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ٢٢٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٢).

فيجاب على السائل: نعم، صدقتَ في ذلك، هناك أدوية نافعة بعون الله، لكن بشرط أن يجتهد صاحب هذا القلب في تحصيلها أولا، ثم في تناوُلِها ثانيًا، فينُفخ في قلبه الروح بعد موته، ويُرزق الهداية بعد ضلاله، بإذن خالقه، ودونك أهمَّها أيها الحريص:

١ - التوبة النصوح(١): وهي أهم دواء، لأن تناولها دائم في حياة العبد، لا تفارقه في حِلِّه ولا في ترحاله، بل لا تفارقه في لحظة من الأوقات، فالعبد لابد له من ملازمة التوبة وأن تكون له سجية، كلما أحدث ذنبًا فزع إلى الله سبحانه واستغاث به ولجأ إليه، ومن أعظم ما يُتَاب منه الشرك ثم البدعة ثم المعاصي بحسب تفاوتها، ولقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الأجناس التي لا يستحق العبدُ اسمَ التائب حتى

---

(١) التوبة:

لغة: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: (التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب من ذنبه أي رجع عنه). معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٥٧).

اصطلاحا: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرجوع عما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا). مدارج السالكين (١/ ٣٠٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات). الاستقامة (١/ ٤٦٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوبة نوعان: واجبة ومستحبة.

فالواجبة: هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله.

والمستحبة: هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات، فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأتِ بالأولى كان من الظالمين إما الكافرين وإما الفاسقين). رسالة في التوبة (ص ٢٢٧).

يَخلص منها ثم قام بشرحها شرحا مفصلا، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهي اثنا عشر جنسًا مذكورة في كتاب الله عز وجل هي أجناس المحرمات: الكفر والشرك والنفاق والفسوق والعصيان والإثم والعدوان والفحشاء والمنكر والبغي والقول على الله بلا علم واتباع غير سبيل المؤمنين فهذه الاثنا عشر جنسا عليها مدار كل ما حرم الله. . .وقد يكون في الرجل أكثرُها وأقلها أو واحدة منها، وقد يَعْلم ذلك وقد لا يعلم، فالتوبة النصوح: هي بالتخلص منها والتحصن والتحرز من مواقعتها)[١].

فالتوبة النصوح تكون: بـ(تخليصها من كل غش ونقص وفساد، وإيقاعها على أكمل الوجوه)[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور :٣١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيارَ خلقِه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرِهم وهجرتهم وجهادِهم)[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات :١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَسَّمَ العباد إلى تائب، وظالم، وما ثَمَّ قسمٌ ثالث ألبتة، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه لجهله

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٥).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٩).
(٣) مدارج السالكين (١/ ١٧٨).

بربه وبحقه، وبعيب نفسه، وآفات أعماله)[١].

ولقد كان أشرف الخلق وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه يتوب في اليوم مائة مرة مع أنه ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن الأغَرِّ المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٢].

٢ - دعاء الله والاستعانة به سبحانه:

إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه سبحانه بتثبيت قلبه على الهدى، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئتَ به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[٣].

قال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي رحمه الله: (ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار)[٤].

فالعبد أيها الأحبة لا يحصل له الاهتداء بمجرد معرفته للحق حتى يستعين بخالقه الوهاب، فإن كان منه ذلك فتحت له الأبواب، وذُلِّلت له الصعاب بإذن رب الأرباب.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٨).
(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٢).
(٣) رواه الترمذي (٢١٤٠) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.
(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٤١٦).

٣ - طلب العلم النافع:

إن بالعلم النافع يَعْرف العبد ربه سبحانه، وعلى قدر معرفته بخالقه ﷻ وعِظَمِ سلطانه يَقْوَى تعظيمُه في قلبه، ويزداد إيمانه، ويحيا قلبه. يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرفُ الناس به: أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالا)(١).

ويقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبحسب معرفته - أي العبد - بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقربُ طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن)(٢).

٤ - إدمان النظر في كتاب الله تعالى، وتدبر آياته:

إن هذا الدواء من أهم أسباب حياة القلب أيضًا، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على هاتين الآيتين: (ففيه من

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٢٤).

البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتابٌ متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد وإثبات الصفات وإثبات المعاد والنبوات ورَدِّ النِّحَل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنِها، وأقربها إلى العقول، وأفصحها بيانا فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه، فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق، والباطل عيانا بقلبه كما يرى الليل والنهار)[(١)].

▪ **فهذه أيها الأفاضل:** بعض الأدوية الإيمانية التي تنور القلب الميت بعد أن كان في ظلام دامس، وتلينه بعد أن عانى من القسوة المستمرة، وتطرد الشيطان وتهدم بيته بعد أن اتخذه مسكنا، وهذا كله بإذن الباري سبحانه وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يجنبنا وإياكم موت القلوب وقسوتها، وأن يُحْيِيَها ويُلِينها إذا أصابها ذلك، فهو سبحانه مالكها وعلى كل شيء قدير.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤٤).

القلب المريض

القلب المريض

هذا القلب تُحجب عنه الرؤية أحيانا، فلا يسمع، ولا يعي، ولا يفهم، ولا يعقل، مع أن فيه نورًا من إيمان.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واصفا هذا القلب: (استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكنْ عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم مَنْ أوقاتُ غلبته لعدوه أكثر، ومنهم مَنْ أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة)[1].

فهذا القلب إن غلب عليه المرض التحق بالقلب الميت القاسي، وإن غلبت عليه الصحة التحق بالقلب الصحيح السليم؛ لأن فيه حياة، لكن به علة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مفرقا بين القلبين: (والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت، ومرض، وحياة، وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مَرَضُ

(١) الوابل الصيب (ص ٤٠).

القلبِ إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قَوَّتْ مرضَه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه)[١].

▪ **ومما ينبغي العلم به أيها الأحبة:** أن أمراض القلوب أشد خطرًا وأعظم ضررًا من أمراض الأبدان، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم، ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور)[٢].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا: (مرض القلب نوعان:

▪ **نوع لا يتألم به صاحبه في الحال:** وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألمًا، ولكنْ لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمُه حاضر فيه، حاصل له، وهو متوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض.

▪ **والنوع الثاني:** مرض مؤلم له في الحال كالهَمِّ والغَمِّ والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، وما يدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩٤).

(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ١١١).

يتألم كثيرًا بما يتألم به القلب، ويُشقيه ما يشقيه)[١].

▪ ومرادنا أيها الأحبة هنا النوع الأول؛ لأنه أشد فتكا وهلاكا للقلب خاصة مرض الشبهة، لأن مرض الشهوة يرجى له الشفاء، أما مرض الشبهة فلا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته، ولذا أوصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وعدم مجالستهم، فإنهم يُمْرِضون القلوب، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)[٢].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان خطورة مرض الشبهات، ومنشأ هذا المرض: (فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات. وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، فَقُلْ ما شئتَ في ضلال سيء القصد الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣] وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٥٩).

(٢) رواه الآجري في الشريعة (١٣٣) من طريق أبي حصين - عثمان بن عاصم الأسدي - عن أبي صالح - ذكوان السمان - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص :٢٦] .

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال)[(١)] .

ولقد جاءت نصوص من الكتاب والسنة تصف القلب بالمرض، لكن تارة يُراد بالمرض النفاقُ، وتارةً يُراد ضعفُ الإيمان بسبب شبهة أو شهوة، أما المنافق فقلبه ميت وقد سبق الكلام عليه، ومرادنا هنا بالقلب المريض قلب المسلم العاصي، فمن أوصافه:

قال الله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج :٥٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج :٥٣] : لأن ذلك أورث شبهة عندهم والقاسية قلوبهم لِيُبْسِها، فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم)[(٢)] .

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي ضعف وعدم إيمان تام، وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم)[(٣)] .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها (ص ٥). (٣) تفسير السعدي (ص ٥٤٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو مرض الشهوة، فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها، بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه - لضعفه - يميل إلى ما يَعْرِض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه)(١).

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: (مرض الشهوة الحرامُ، فإنه مستعد، ينتظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح، فإن القلب الصحيح، ليس فيه شهوة لِمَا حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه وسلامته من المرض، بخلاف مريض القلب الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، ويدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد.

فإن الخضوع بالقول واللينِ فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم مُنِعَ منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلين لهم القول، ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢] أي: غير غليظ، ولا جافٍ كما أنه ليس بلين خاضع)(٢).

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص ٥). (٢) تفسير السعدي (ص٦٦٣ - ٦٦٤).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال رسول الله ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ : شَبَّهَ القلبَ الذي لا يعي خيرًا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه)[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (فشبه عَرْضَ الفتن على القلوب شيئا فشيئا كعرض عيدان الحصير - وهي طاقاتها - شيئا فشيئا، وقسَّم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عُرِضت عليه فتنة أُشْرِبَها كما يشرب الإسفنج الماء؛ فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس وهو معنى قوله (**كالكوز مجخيا**): أي مكبوبا منكوسًا، فإذا اسود وانتكس عَرَض له من هاتين الآفتين مرضان خطران مترامیان به إلى الهلاك: أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحقَّ باطلا والباطلَ حقًّا.

---

(١) رواه مسلم (١٤٤).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ١٧٣).

الثاني: تحكيمُه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وانقياده للهوى واتباعُه له)[١].

▪ بعد أن عرفنا أيها الأحبة أن أخطر المرضين على القلب وأصعبهما: مرض الشبهات ثم مرض الشهوات، ينبغي أن نعلم أن هذين المرضين يمكن علاجهما بإذن الله ثم باتخاذ الأسباب.

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٤٧).

علاج القلب المريض

علاج القلب المريض

بعد أن عرفنا أيها الأحبة سبب مرض القلب وخروجه عن الصحة والاعتدال، وأن القلب يتوارد عليه كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (جيشان من الباطل: جيش شهوات الغي، وجيش شبهات الباطل، فأيما قلب صغى إليها وركن إليها تشرَّبَها وامتلأ بها، فينضح لسانه وجوارحه بموجبها)[١].

وإن من أعظم أدواء القلب الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحابِّ الله ومراضيه وتركِ التفويض إليه وقلة الاعتماد عليه والركون إلى ما سواه والسخط بمقدوره والشك في وعده ووعيده.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإذا تأملت أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها لا سببَ لها سواها)[٢].

فينبغي العلم أن هذا المرض لا يزول بالأدوية الطبيعية بل يعالج بالأوصاف الإيمانية النبوية.

▪ **وإن من أهم طرق علاج القلب المريض:** القضاء على أسباب علته بالتوبة النصوح من البدع والمعاصي وأنواع المخالفات، وفي المقابل

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٤٠).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٠٢).

مَدُّه بأسباب قوته من الإيمان وأنواع الطاعات، ثم حمايته بكثرة الاستغفار.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور :٣١].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ودل هذا، أن كل مؤمن، محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة)[(١)].

ولقد كان أشرف الخلق وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه يتوب في اليوم مائة مرة مع أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن الأغر المُزَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(٢)].

فاتباع سنة خير المرسلين وترك بدع المضلين والابتعاد عن الشهوات من أسباب سلامة القلب من المرضين، بإذن الله رب العالمين.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما طب القلوب فَمُسَلَّم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم، وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مُؤْثِرَةً لمرضاته ومحابه

(١) تفسير السعدي (ص ٥٦٧).
(٢) تقدم تخريجه.

متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يُظَنُّ من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها، وحياةُ قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فَلْيبكِ على حياة قلبه؛ فإنه من الأموات، وعلى نوره؛ فإنه منغمس في بحار الظلمات)[(١)].

ومن هنا أوصى أطباء القلوب بالإعراض عن الشبهات وأهلها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال لي شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وقد جعلتُ أُورِدُ عليه إيرادًا بعد إيراد: أتجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشْرَبْتَ قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات أو كما قال).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك)[(٢)].

▪ **فحاجة الأمة أيها الأحبة:** إلى أطباء ربانيين صادقين متبعين لمنهج سلف الأمة حاجة عظيمة، بل حاجتها إلى ذلك أعظمُ من حاجتها إلى أطباء الأبدان، فهؤلاء يعالجون الظاهر وأولئك يعالجون الباطن والظاهر، فهم بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٧ - ٨).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٤٠).

الظلماء، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولهذا السبب نسبة العلماء إلى القلوب كنسبة الأطباء إلى الأبدان، وما يقال للعلماء أطباء القلوب فهو لقدر ما جامع بينهما وإلا فالأمر أعظم، فإن كثيرًا من الأمم يستغنون عن الأطباء ولا يوجد الأطباء إلا في اليسير من البلاد، وقد يعيش الرجل عمره أو برهة منه لا يحتاج إلى طبيب، وأما العلماء بالله وأمرِه فهم حياة الموجود وروحُه ولا يُسْتغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء بل أعظم، وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء للسمك، إذا فقده مات)[١].

وكذلك من أمراض القلوب المقيتة التي تفتك بصاحبها (الرياء والكبر) والعياذ بالله، وقد قال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[٢]، فإن لم يتداركهما العبد ترامیا به إلى التلف ولا بد، وقد أرشد أطباء القلوب إلى دواء هذين الداءين، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا عوفي من مرض الرياء بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعُجْب بـ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه ورَفَلَ في أثواب العافية وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وهم أهل فساد القصد، الذين عَرَفوا الحق وعَدَلوا

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١).

(٢) رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عنه والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه)[١].

■ ومن آثار داء الكبر - عافانا الله وإياكم منه - احتقار الآخرين، إما لنقص مالهم، أو لأن أصلهم كذا أو كذا! أو قبيلته كذا! أو لونه كذا!، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] وقال ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»[٢].

■ ومما يعرض على القلب أيضا من أمراض وينبغي تَجَنُّبُه والحذر منه: الحقدُ وهو إضمار الشر والبغض للآخرين، ومن مخلفات هذا الخلق الذميم - نجانا الله وإياكم منه - الحسد وهو: (بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها)[٣].

ويسمى العلماء هذا الحسد بالحقيقي، حتى يفرقوا بينه وبين حسد الغبطة الذي هو تمني مثل النعمة على الغير من غير زوالها، وقد فرق بينهما نبينا ﷺ فقال: «**لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**»[٤].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٥٨).

(٤) رواه البخاري (٤٧٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي: فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها. وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغِبْطة: وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين)[(١)].

ففي الحسد المذموم تجد الحاسد إذا رأى على غيره نعمة من نعم الله مثل علم، أو منصب، أو تجارة، يحسده عليها ويتمنى زوالها، والعياذ بالله، وهذا الخلق الذميم من أخلاق اليهود، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا من قبائح اليهود، وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة، وطبعهم الخبيث حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوُّض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله أو حكمٍ بغير شرع الله)[(٢)].

وقال نبينا ﷺ: «**لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**»[(٣)].

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٦/ ٩٧).
(٢) تفسير السعدي (ص ١٨٢).
(٣) رواه البخاري (٥٧١٨) ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ماخلا جسد من حسد، لكنِ اللئيمُ يُبديه والكريمُ يُخفيه)[١].

ومن أدوية هذا الداء العضال ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (من وجد في نفسه حسدًا لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه)[٢].

أعاذنا الله وإياكم - أيها الأحبة الأفاضل - من جميع أمراض القلوب وآفاتها

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص٢١).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها (ص٢١).

مَنْ صَلَحَ قلبُه صَلَحَ جسدُه قطعًا

مَنْ صَلَحَ قلبُه صَلَحَ جسدُه قطعًا

قليلٌ منا - أيها الأحبة - من يهتم بصلاح باطنه فينظر في الأدواء التي أصابت قلبه ويبحث بعد ذلك عن الدواء النافع الذي يزيلها بإذن الله، وللأسف! قد نقضي جُلَّ أوقاتنا في تزيين أعمالنا الظاهرة متناسين أن صلاح القلوب صلاح للأبدان وعنوان على النجاة والفوز برضا الرحمن، وأنه كلما كان القلب سليمًا صحيحًا كان البدن كذلك، والعكس بالعكس.

ومصداق ذلك قوله ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما كان في القلب فلابد أن يظهر مُوجَبُه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديقٌ لِمَا في القلب ودليلٌ عليه، وشاهدٌ له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعضٌ له، لكنْ ما في القلب هو الأصل لِمَا على الجوارح)(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الفتاوى (٧ / ٦٤٤).

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (القلب مَلِك والأعضاء جنوده، فإن طاب الملِك طابت جنوده، وإذا خبُث الملك خبُثت جنودُه)[١].

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن هنا جعُلِت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلا على ما في الباطن، فإن كان الظاهر مُنْخَرِمًا حُكِم على الباطن بذلك، أو مستقيمًا حُكم على الباطن بذلك)[٢].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : (وإذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يُتَصَوَّر مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تُعْدَم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجودِ هذا كاملا وجودُ هذا كاملا، كما يلزم مِنْ نقصِ هذا نقصُ هذا، إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير مُوجِبٍ تام بلا مُوَجِبه، وعلةٍ تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع)[٣].

▪ **أيها الأحبة الكرام:** إن الظاهر عنوان الباطن، وإن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولكننا نجد اليوم كثيرًا من المسلمين إلا من رحم الله، إذا أمرته بمعروف كإعفاء اللحية، أو نهيته عن منكر كالإسبال أو التشبه بالكفار رد عليك وقال: (الأعمال بالنيات!) أو(الإيمان في القلب!) أو(العبرة

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٢١).
(٢) الموافقات (١/ ٢٣٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٨٢).

بما في القلب!) أو (القلب أبيض!) أو ما شابه ذلك من عبارات مزخرفة! وإذا ناقشت صاحبَ هذا القول وبينتَ له بطلان ما قاله! رد عليك مستدلا على زعمه هذا!ببعض النصوص كقوله ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» وأشار ﷺ بيده إلى صدره[(١)].

أو كقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٢)].

أو قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»، وأشار ﷺ بأصابعه إلى صدره[(٣)].

▪ **فنقول له أيها الأحبة:** نحن سنترك الجواب على شبهتك لعالميْنِ ربانيِّين من علماء السنة وفارسين من فرسانها (رحمهما الله وجزاهم عنا خير الجزاء).

حيث قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (نوافقه في قوله: إن التقوى في القلب، والإيمان في القلب؛ لكننا نقول له: إن الذي قال: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**»وهو الرسول ﷺ، هو الذي قال: «**إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ**»، ففساد الظاهر عنوان على فساد الباطن، ثم إن كان هذا الفساد مخرجًا عن الإسلام كان الباطن خارجًا عن الإسلام، وإن لم يكن مخرجًا ففي القلب مرض لكنه لا يبلغ حد الكفر، فنحن نجيبه بما استدل به، نقول: أنت قلت: التقوى هاهنا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونحن نقول: الذي قال: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» هو الذي قال: «**إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، ففساد الظاهر دليل على أن الباطن فيه بلاء)[(١)].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (كأنه يقول التقوى: ليست في الأعمال الظاهرة، فنقول له: صدقت، التقوى ها هنا، ولكن لو اتقى ما ها هنا لاتقت الجوارحُ؛ لأنه ﷺ قال: «**ألا، وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، لو صلح القلب لصلحت الجوارح، لو صلح القلب لقام الإنسان بفعل الواجب، لو صلح القلب لترك الإنسانُ المحرمَ، كثير من الناس يكون ثوبه نازلا عن الكعبين - ونزولُ الثوب عن الكعبين محرم بل هو من كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ توعد عليه فقال: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِى النَّارِ**»[(٢)]، فإذا قلت له: يا أخي ارفع ثوبك! قال: التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره، جوابنا على هذا سهل نقول: لو اتقى ما ها هنا لاتقت الجوارح وهذا لا ينفعك يوم القيامة إذا وقفت بين يَدَيِ الله عز وجل، فإن الله سيحاسبك على هذا العمل، وفي ذلك اليوم لن تجد من يدافع عنك لا في هذا ولا في غيره)[(٣)].

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (الظاهرُ عنوان الباطن، وليس الأمر كما يقول بعض الناس من الشباب التائه، إنه يا أخي العبرة بما في

---

(١) [لقاء الباب المفتوح: شريط رقم (١٣٥)].

(٢) رواه البخاري (٥٤٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتاوى الحرم المكي ١٤٠٩هـ [الشريط ٦/ الوجه ب].

القلب، صحيحٌ العبرة بما في القلب، ولكن الأمر كما قيل: وكلٌّ إناء بما فيه ينضح، وهذا المعنى مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»... لا يمكن أن تجد جسما سليما في الظاهر والقلب مريض، لا بد من أن يظهر أثر هذا المرض على ظاهر الجسد، وكذلك بالنسبة للناحية الإيمانية، فإذا كان الإيمان هو المستقر في قلب هذا الإنسان، فلا بد من أن يظهر على بدن هذا الإنسان وهذا صريح في الحديث السابق)[(١)].

أما استدلالك بقوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»:

فقد سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّن يقول أو يعمل عملا ينافي السنة والشريعة، وإذا قيل له: هذا خطأ، قال: إنما الأعمال بالنيات، أو يقول: الإيمان في القلب؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، هذا العذر الذي اعتذر به هذا المخالف ليس مقبولا، كثيرٌ من الناس يفعل أشياء محرمة، فإذا قلت له: اتق الله يا أخي هذا محرم، قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

فنقول له: طيب، نحن نقبل هذا الحديث، «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، لكن هذا العمل الذي عملتَ عملٌ محرم، فما هي النية التي يمكن أن

(١) سلسلة الهدى والنور [الشريط رقم (٤٨٨)].

تكون بالنسبة لهذا العمل المحرم؟ كل عمل محرم فانه حرام، سواء نوى به الإنسان خيرا أم نوى به شرا، مادام الشرع نهى عنه فهو حرام[١].

أما استدلالك بقوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ!**».

فتردُّه الزيادةُ في الحديث التي جاءت في رواية أخرى عند الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، ولفظهُا: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[٢].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (زاد مسلم وغيره في رواية (وأعمالكم) وهذه الزيادة هامة جدًّا؛ لأن كثيرًا من الناس يفهمون الحديث بدونها فهما خاطئا، فإذا أنت أمرتهم بما أمرهم به الشرع الحكيم من مثل إعفاء اللحية وترك التشبه بالكفار ونحو ذلك من التكاليف الشرعية أجابوك بأن العمدة على ما في القلب، واحتجوا على زعمهم بهذا الحديث، دون أن يعلموا بهذه الزيادة الصحيحة الدالة على أن الله تبارك وتعالى ينظر أيضًا إلى أعمالهم، فإن كانت صالحة قَبِلَها وإلا ردها عليهم كما تدل على ذلك العديدُ من النصوص كقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٣]، والحقيقة أنه لا يمكن تصور صلاح القلوب إلا بصلاح الأعمال، ولا صلاحُ

---

(١) فتاوى الحرم المكي ١٤٠٩ هـ[الشريط ٦/ الوجه ب].

(٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الأعمال إلا بصلاح القلوب)[١].

▪ وبهذا أيها الأحبة الكرام: يتبين لنا بطلان ما يستدل به هؤلاء! وأن هذه الجملة في حقيقتها خداع للنَّفس وتطويل للأمل، وتزيين من الشيطان، والعياذ بالله، وأن جُلَّ من يستعملها في الحقيقة إنَّما هو لتبرير معصيته، أو رَدِّ نصيحة وُجهت له، والله المستعان.

▪ **وفي الختام أيها الأفاضل:** اللهَ أسألُ لي ولكم أن يصلح باطننا ويجعل ذلك عنوانا لصلاح ظاهرنا، وأن يطهر قلوبنا أجمعين من النفاق والرياء والسمعة، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسَلِّمْ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رياض الصالحين بتحقيق الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٢١).

الفهارس العامة

فهرس القرآن
فهرس أطراف الحديث
فهرس أطراف الآثار
فهرس الأشعار
فهرس المصادر المعتمدة
فهرس الموضوعات

فهرس القرآن

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الفاتحة	
[٥-٦]	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ . . . ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٤٠٣
	سورة البقرة	
[١-٢]	﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾	٥٨
[٦-٧]	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ .	٣٧٧
[٧٤]	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٣٧٦
[٨٣]	﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٢٦١
[١٠٩]	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٤٠٥
[١٣٤]	﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾	٣٣٧
[١٨٣]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٤٦
[١٨٥]	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾	٥٧، ١٦٢
[١٨٥]	﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾	٥٩
[١٨٥]	﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾	٢٠٧
[١٩٧]	﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾	١٦٢
[١٩٧]	﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	١٥٤
[٢٥٥]	﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾	٣١
[٢٧٨-٢٧٩]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ . . . مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	٢٨٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة آل عمران	
[٧]	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾	٣٧٩
[٨]	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	٣٦٨
[٣١]	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ﴾	٨٢
[٧٦]	﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	١٥٦
[٧٩]	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	١٩، ٢٦
[١٠٢]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	٥، ١٥٥
[١٠٣]	﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾	٢٦٠
[١٩٠-١٩١]	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٤٨
	سورة النساء	
[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	٥، ٩٠
[٣٤]	﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾	٢٣٠
[٣٦]	﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٢٩٣
[٤٨]	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	٣٥١
[٦٥]	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	٣٩
[٦٦]	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	٢٣٠
[٨٢]	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	٥٠
[٨٣]	﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾	٢٤، ٢٤٩
[٨٧]	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	٢٨٨
[١٣١]	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	١٤، ١٤٩
[١٧٤]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٦٥

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة المائدة	
[٢]	﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾	٢٦٤
[٣]	﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٨٢، ١٢٩، ٢٢٢
[١٣]	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾	٣٧٦
[٤٤]	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾	١٩
[٦٣]	﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾	٢٠
[٨٧]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	٨٤
[١١٨]	﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾	٥١
	سورة الأنعام	
[٢٥]	﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾	٣٨٠
[١٢٢]	﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾	٣٧٥
	سورة الأعراف	
[٩٦]	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾	١٥٩
[١٥٦]	﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	١٥٧
	سورة الأنفال	
[٢]	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٣٦٧
[٢٩]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	١٥٨
	سورة التوبة	
[٣٦]	﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾	١٦٢
	سورة يونس	
[٥٧]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٦٧، ٣٨٩
	سورة هود	
[٦٧]	﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾	٤٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة يوسف	
[٢]	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٦٤
	سورة الرعد	
[٩]	﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾	٣١
[٢٨]	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٣٦٦، ٣٦٨
	سورة الحجر	
[٩]	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٥٥، ٥٨
[٩٩]	﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	٢١٧
	سورة النحل	
[٣٦]	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٢٤٤
[٤٤]	﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٦٠
[٩٠]	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٢٤٨
[١٠٨]	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾	٣٧٨
[١٢٥]	﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	٢٢٩
[١٢٨]	﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	١٥٧
	سورة الإسراء	
[١]	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	١١٢، ١١٣
[٢٤]	﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾	٢٩٤
[٥٣]	﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٢٦٢
[٨٢]	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٣٨٩
[٨٨]	﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	٥٧
[١٠٥]	﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	٦٨

رقم الآية	الآية	الصفحة

سورة الكهف

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا۟ۜ﴾ ٥٨

[١١٠] ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ٨٣

سورة مريم

[٨٤] ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ٣١٧

سورة الأنبياء

[٢٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾ ٢٤٤

[٥٠] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ٦٠، ٦٨

سورة الحج

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ٣٩

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ٣٩

[٥٣-٥٤] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٩٥

سورة المؤمنون

[٦٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ ٣٦٨

سورة النور

[٣١] ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٣٨٧، ٤٠١

سورة الفرقان

[١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ٥٩

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٧٢، ٧٤

سورة الشعراء

[٨٨-٨٩] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٣٦٠

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٥٠

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٥٠

رقم الآية	الآية	الصفحة
[١٦١]	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٥٠
[١٧٧]	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٥٠
[١٩٢]	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٥٩
	سورة النمل	
[٤٠]	﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾	١٥
[٧٧]	﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٥
[٨٠]	﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	٣٧٥
	سورة القصص	
[٧٧]	﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾	٣٢٢
	سورة العنكبوت	
[٦]	﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣١٠
[١٦]	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾	١٥٠
[٤٦]	﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٢٦١
	سورة السجدة	
[١-٢]	﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٥٩
	سورة الأحزاب	
[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	١٥٠
[٣٢]	﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾	٣٩٦
[٧٠-٧١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ . . . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾	٥
	سورة سباء	
[٢٣]	﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾	٣١، ٣٢
[٥٢]	﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾	٣٢٧

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة فاطر	
[٦]	﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٢٦٢
[٢٢]	﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾	٣٧٥
[٢٨]	﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٢، ٢٥
	سورة يس	
[٧٠]	﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾	٣٧٥
	سورة الصافات	
[٨٣-٨٤]	﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾	٣٦٠
	سورة ص	
[٢٦]	﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٩٤
	سورة الزمر	
[٢٣]	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾	٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨
[٥٣]	﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	٢١٤، ٢١٥
	سورة غافر	
[٦٠]	﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾	٤٦
[٦٠]	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	٤٧
	سورة فصلت	
[٤١-٤٢]	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ ... وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾	٦٨
[٤٤]	﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾	٦٦
	سورة الشورى	
[٤]	﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾	٣١
[١١]	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	٣٦
[٤٠]	﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾	٢٩٥

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الزخرف	
[٣]	﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٥٧
[٤٤]	﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	٦٠
	سورة الدخان	
[٣-٤]	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ . . . كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	١٨٥
	سورة محمد	
[٢٤]	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٣٧٨
	سورة الفتح	
[١٨]	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	٣٣٤
[٢٩]	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾	٣٣٨
	سورة الحجرات	
[١٠]	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	٢٦٠
[١١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾	٢٧٢، ٣٨٧
[١٢]	﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾	٢٧٠، ٢٧١
[١٣]	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	٤٠٤
	سورة ق	
[٣٣]	﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾	٣٧٠
	سورة الذاريات	
[٥٥]	﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٩
[٥٦]	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٨٠
[٥٦-٥٨]	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . . . ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾	٣١٠
	سورة النجم	
[٢٣]	﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾	٣٩٤

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الرحمن	
[٧٢]	﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾	١٨٠
	سورة الواقعة	
[٧٤]	﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾	٣١، ٣٨
	سورة الحديد	
[١٦]	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٣٦٤، ٣٨٤
[٢١]	﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾	٣٠
	سورة الحشر	
[٩]	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ﴾	٢٦٥، ٢٧٩
[١٠]	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾	٢٦٦، ٣٣٨
[١٨]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	٩٠
	سورة الصف	
[٥]	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٣٧٩
	سورة القلم	
[٤]	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٣٠٣
[٣٤]	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	١٥٩
	سورة الحاقة	
[٦-٧]	﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾	٤٩
[٣٣]	﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾	٣١
	سورة نوح	
[١٣]	﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	٤٤
	سورة المطففين	
[١٤]	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾	٣٨٠

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الأعلى	
[١]	﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	٣١
	سورة الفجر	
[١-٢]	﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾	٣٠٨
	سورة الشمس	
[٩]	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٣٠٠
	سورة الليل	
[١-٢]	﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾	٣٠٨
	سورة الضحى	
[١-٢]	﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	٣٠٨
	سورة الشرح	
[٤]	﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	١١
	سورة القدر	
[١-٣]	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . . . مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	١٠٤، ١٨٤، ١٨٥
	سورة العصر	
[١-٣]	﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٢٦٢، ٣٠٨
	سورة الكوثر	
[٣]	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	١١
	سورة الإخلاص	
[١]	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١٠٤، ١٣٣، ١٤١
[٤]	﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾	٣٧

فهرس أطراف الحديث

الحديث	الصحابي	الصفحة
أتاكم رمضان شهر مبارك	أبو هريرة	١٤٥، ١٨٤
أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة	عائشة	١٤٢
أتدرون ما الغيبة	أبو هريرة	٢٧٠
أحسنهم خلقا	أسامة بن شريك	٢٩٥
أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	ابن عمر	١٨٧
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم	عبد الله بن عمرو	٣٣، ٣٨
أفضل الصيام بعد رمضان	أبو هريرة	١٢٤
أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله	أبو هريرة	٢٨٥
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا	أبو هريرة	٢٨٦
ألا كلكم راع	ابن عمر	١٥٤، ٣٢٦
ألا وإن في الجسد مضغة	النعمان بن بشير	٤٠٨، ٤١١، ٤١٢
أنا زعيم ببيت في ربض الجنة	أبو أمامة	٢٩٦
أول جيش من أمتى يغزون البحر	أبو أمامة	٣٤٦
إذا أحب الله عبدا نادى جبريل	أبو هريرة	٢٩٥
إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا	أبو هريرة	١٢٥
إذا صمتم فاستاكوا بالغداة	خباب بن الأرث	١٨١

الحديث	الصحابي	الصفحة
إذا كانت ليلة النصف من شعبان	علي بن أبي طالب	١٣١، ١٤١
إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو	أبو موسى الأشعري	٢٨٠
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم	عائشة	٢٩٦
إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة	أنس	٨٤
إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه	عبد الله بن عمرو	٢١
إن الله لا ينظر إلى أجسادكم	أبو هريرة	٤١٠، ٤١٣
إن الله لا ينظر الى صوركم	عائشة	٤١٣
إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان	أبو موسى الأشعري	١٣٢
إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم	أبو بكرة	٢٩٢
إن فيك لخلقين يحبهما الله	الأشج عبد القيس	٣٠٠
إن كنت كما قلت	أبو هريرة	٢٩٥
إن لربك عليك حقا	أبو جحيفة	٣٢٢
إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد	عبد الله بن عمرو	١٨١
إن لنفسك عليك حقا	عبد الله بن عمرو	٣٢٣
إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	ابن عباس	٢٤٥
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك	سهل بن سعد	٨٤
إنما الأعمال بالنيات	عمر	٤١٠، ٤١٢
إنما هذه لباس من لا خلاق له	ابن عمر	٢١٠
اتق الله حيثما كنت	أبو ذر	١٥١، ٢٨٦
اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم	أبو أمامة	١٥١

الحديث	الصحابي	الصفحة
اجعلوها في ركوعكم	عقبة بن عامر	٣١
اذهب فادع لي معاوية	ابن عباس	٣٤٦، ٣٤٨
اعتكاف عشر في رمضان كحجتين	الحسن بن علي	١٨٢
اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك	ابن عباس	٣١٥
التقوى هاهنا	أبو هريرة	٤١٠
الدين النصيحة	تميم الداري	٢٣١، ٢٦٣
الرجل أو المرء على دين خليله	أبو هريرة	٢٥٤
الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى	عائشة	٣٢٨
العبادة في الهرج كهجرة إلي	معقل بن يسار	١٢٢
العلماء ورثة الأنبياء	أبي الدرداء	٢١
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما	أبو هريرة	١٦٣، ٣٢٨
اللهم إنك عفو كريم تحب العفو	عائشة	١٨٨
اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به	ابن أبي عميرة	٣٤٥
اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق	علي	٣٠٠، ٣٠٣
اللهم بارك لنا في رجب وشعبان	أنس	١٠٣، ١٧٨
اللهم فأيما عبد مؤمن سببته	أبو هريرة	٣٤٦
المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم	أبو هريرة	٣٠٣
بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه	أبو هريرة	٤٠٤
تبسمك في وجه أخيك صدقة	أبو ذر	٢٩٣
تدرون لم سمي شعبان؟	أنس	١٣٩

الحديث	الصحابي	الصفحة
تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما	أبو هريرة	٧٦
ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم	النعمان بن بشير	٢١١
تشتهين تنظرين؟	عائشة	٢١٠
تعرض الفتن على القلوب كالحصير	حذيفة	٣٩٧
تكفوننا المؤونة، ونشرككم في الثمرة؟	أبو هريرة	٢٧٨
تلك عاجل بشرى المؤمن	أبو ذر	١١
حق المسلم على المسلم خمس	أبو هريرة	٢٦٦
خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم	عوف بن مالك	٣٤٩
خير الناس قرنى	ابن مسعود	٣٣٦
خيرة الله من الشهور شهر رجب	أنس	١٤٠
ذاك الله	البراء بن عازب	٣٨
ذلك شهر يغفل عنه الناس	أسامة بن زيد	١٢١
رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع	أبو هريرة	١٤٩
رجب شهر الله	أبو سعيد الخدري	١٤٠
سبق المفردون	أبو هريرة	١٢٢
صوموا تصحوا	أبو هريرة	١٧٩
طهرة للصائم من اللغو والرفث	ابن عباس	١٩٢
على العبد والحر والذكر والأنثى	أبو هريرة	١٩٣
عمرة في رمضان تعدل حجة معي	ابن عباس	١٠٧
فأما الركوع فعظموا فيه الرب	ابن عباس	٣٣

الحديث	الصحابي	الصفحة
فضل شهر شعبان كفضلي على سائر	أنس	١٤١
فعمرة في رمضان تقضي	ابن عباس	١٦٤
قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما	أنس بن مالك	٢٠٣
كلمتان خفيفتان على اللسان	أبو هريرة	٣٢
لأن يطعن في رأس رجل بمخيط	معقل بن يسار	٢٠٥
لا أشبع الله بطنه	ابن عباس	٣٤٦
لا إله إلا الله العظيم الحليم	ابن عباس	٣٣
لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا	أنس	٤٠٥
لا تحقرن من المعروف شيئا	أبو ذر	٢٩٣
لا تزول قدما عبد يوم القيامة	أبو برزة الأسلمي	٣١٤
لا تسبوا أصحابى	أبو سعيد الخدري	٣٣٣، ٣٣٨
لا تصاحب إلا مؤمنا	أبو سعيد الخدري	٢٥٥
لا تغضب	أبو هريرة	٢٧٣
لا تقدموا شهر رمضان بصيام	أبو هريرة	١٢٥
لا تقولوا: رمضان؛ فإن رمضان اسم	أبو هريرة	١٧٨
لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله	أبو هريرة	٤٠٤
لا عدوى ولا طيرة	أبو هريرة	٢٢٥
لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال	ابن مسعود	٤٠٣
لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم	أنس	٢٧٩
لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي	ابن مسعود	١٨٠

الحديث	الصحابي	الصفحة
ليس الواصل بالمكافئ	عبد الله بن عمرو	٢٩٤
ليس على المسلم في فرسه ولا في	أبو هريرة	١٩٣
ليلة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح	ابن عباس	١٨٨
ما أسفل من الكعبين	أبو هريرة	٤١١
ما تواد اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام	أنس	٢٧٤
ما رآه المسلمون حسنا؛ فهو عند الله حسن	ابن مسعود	٩٢
ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا	أبو هريرة	٢٩٥
ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم	أبو الدرداء	٢٩٦
ما من عبد مسلم يدعو لأخيه	أبو الدرداء	٢٦٥
مثل الجليس الصالح والجليس السوء	أبو موسى الشعري	٢٥٤
من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد	عائشة	٨١، ٨٨، ٨٤، ٤١٣
من أحق الناس بحسن صحابتي	أبو هريرة	٢٩٣
من أحيا سنة من سنتي	عوف المزني	٩١
من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها	أبو هريرة	٢١٤
من حدث عني بحديث يرى	المغير بن شعبة	١٤٢، ١٨٢
من سب أصحابي فعليه لعنة الله	أنس وابن عباس	٣٣٣
من سن في الإسلام سنة حسنة	جرير بن عبد الله	٨٩، ٩٠، ٩١
من صام رمضان إيمانا واحتسابا	أبو هريرة	١٧٨
من صام رمضان ثم أتبعه ستا	أبو أيوب الأنصاري	٢١٧، ٢١٨
من عمل عملا ليس عليه أمرنا	-	١٧٢

الحديث	الصحابي	الصفحة
من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا	أبو هريرة	١٨٦
من لم يدع قول الزور والعمل به فليس	أبو هريرة	١٤٨
من نام عن صلاة أو نسيها	-	١٩٨
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس :	ابن عباس	٣٠٨
نوم الصائم عبادة	ابن أبي أوفى	١٨٢
وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة	أبي بن كعب	١٨٨
وإذا استنصحك فانصح له	أبو هريرة	٢٦٣
وإياكم ومحدثات الأمور	العرباض بن سارية	٨١ ،١٢٨
والذى نفسى بيده! إن لو تدومون	حنظلة بن الربيع	٣٢٤
والله في عون العبد ما كان العبد	أبو هريرة	٢٦٤
وكل بدعة ضلالة	جابر	١٧٠ ،٨٨
ولا تحاسدوا	أبو هريرة	٢٦٩
ويشفع يوم القيامة في سبعمائة	أنس	١٠٤- ١٠٥
ويقول الرب عز وجل للحفظة	شداد بن أوس	٢٨٩
يا أيها الناس توبوا إلى الله	الأغر المزني	٤٠١ ،٣٨٨
يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم	أنس	١٧٩
يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها	رجل من الأنصار	٢٨٨
يا علي، من صلى ليلة النصف من شعبان	علي	١٤١
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	أنس	٣٨٨ ،٣٦٨
يستقبلكم وتستقبلون	أنس	١٧٩

الحديث	الصحابي	الصفحة
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة	أبو هريرة	١٣٢
يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم	أبو هريرة	١٨٠
يوم صومكم يوم نحركم	-	١٨٢

فهرس أطراف الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
أحدهم لو سقط منه درهم	أبو بكر بن عياش	٣١٨
أخ لك كلما لقيك ذكرك	بلال بن سعد	٢٨١
أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا	عبد الرحمن السلمي	٧٥
أدركت أقواما كان أحدهم أشح	الحسن البصري	٣١٧
أصاب؛ إنه فقيه	ابن عباس	٣٥٠
أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره	أبو وائل	٢٣٠
أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه	ابن عمر	١٥١
أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس	ابن عمر	١٩٧، ١٩٨
أن ابن عمر كان يغتسل يوم الفطر	نافع	٢٠٦
أن يطاع فلا يعصى	ابن مسعود	١٥٥
أوصيك بتقوى الله عز وجل	عمر بن عبد العزيز	١٥٢
أول ما يحتاج إليه المذكر	نصر السمرقندي	٢٣٦
أي الأعمال أفضل	ابن المبارك	٢٦٣، ٢٣١
إخواننا أحب إلينا من أهلينا	الحسن البصري	٢٧٨
إذا التقوا يوم العيد	جبير بن نفير	٢١١
إذا رزقكم الله عز وجل مودة امرئ	عمر	٢٨١

الأثر	القائل	الصفحة
إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك	جابر	١٤٧
إذا كان يوم العيد خالف الطريق	جابر	٢٠٩
إلا التي كانت مع حجته	أنس	١٠٨، ١٦٥
إن التقي أشد محاسبة لنفسه	ميمون بن مهران	١٥٦
إن الدنيا قد ترحلت مدبرة	علي	٣١٦
إن الله نظر في قلوب العباد	ابن مسعود	٩٣، ٣٣٢
إن المؤمن يرى ذنوبه	ابن مسعود	٤٥
إن بضاعة الآخرة كاسدة	سلمة بن دينار	٣١٨
إن من علامة إعراض الله	سيف اليماني	٣١٨
إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار	مالك بن دينار	٢٥٦
إنما الإسلام كدار لها باب	النسائي	٣٣٥
إنما العلم خشية الله	ابن مسعود	٢٢
إنما جئنا لنشتري بدراهمنا	ابن محيريز	١٣
إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة	الإمام أحمد	٣٣٦
إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء	ابن عباس	٨٤
إني لأرجو أن يكون مجلسي هذا	سفيان الثوري	١٣
إني لأستحي من الله	معاوية	٣٤٤
إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا	ابن مسعود	٣١٦
إياك والتسويف	الحسن البصري	٣١٧، ٣٢٠
اتبعوا ولا تبتدعوا	ابن مسعود	٨٢، ٨٩، ٩٥، ١٢٩، ٢٢٢

الأثر	القائل	الصفحة
اتقوا فيما حرم الله عليهم	الحسن البصري	١٥٧
اصحب أهل التقوى	داود الطائي	٢٥٦
اغتسل كل يوم إن شئت	علي بن أبي طالب	٢٠٦
البدعة أحب إلى الشيطان	سفيان الثوري	٧٩
التمس لأخيك العذر	أبو قلابة	٢٨٢
الرباني الذي يربي الناس	البخاري	٢١
القلب ملك والأعضاء جنوده	أبو هريرة	٤٠٩
الله اكبر الله اكبر الله اكبر	ابن عباس	٢٠٨
الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله	ابن مسعود	٢٠٨
اللهم أقل العثرة واعف الزلة	معاوية	٣٥٢
المبادرة، المبادرة فإنما هي الأنفاس	الحسن البصري	٣١٧
بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقا	بشر الحافي	٢١٦
بارك الله لك في أهلك ومالك	أنس	٢٧٩
بهذا ارتفع القوم	أحمد حنبل	٢٣٨
تسير إلى ربك توشك أن تبلغ	الفضيل بن عياض	٣١٨
حسن الخلق طلاقة الوجه	ابن المبارك	٢٩٢
خرج يوم الفطر فصلى ركعتين	ابن عباس	٢٠٩
رأيت معاوية في سوق دمشق	يونس بن ميسر	٣٤٤
رب معاوية رب رحيم	أبو زرعة الرازي	٣٣٨
زكاة الفطر صاعا من تمر	ابن عمر	١٩٢

الأثر	القائل	الصفحة
ستر أصحاب رسول الله	الربيع بن نافع	٣٣١، ٣٣٥
سنة الفطر ثلاث	سعيد بن المسيب	٢٠٧
سيبلى القرآن في صدور أقوام	معاذ بن جبل	٧٥
عباد الرحمن؛ يقال لأحدنا	بلال بن سعد	٣١٩
على أولئك الذين يلعنون	الحسن البصري	٣٣٥
عليك بإخوان الصدق	عمر	٢٥٦
فأول شيء يبدأ به الصلاة	أبو سعيد الخدري	٢٠٨
فكيف لو أدركتم معاوية؟	الاعمش	٣٥٠
فلستم بإخوان كما تزعمون	محمد بن علي	٢٨١
قد وجد ذلك في زماننا	الفضيل بن عياض	٢١
قيل لأحمد وأنا اسمع	أبو داود	١٩٣
كان إذا قام أحدهم يصلي	مجاهد	٤٥
كان ابن عمر يعطيها	نافع	١٩٧
كان لا يصلي قبل العيد شيئا	أبو سعيد الخدري	٢١٠
كان معاوية أفضل من ستمائة	المعافى بن عمران	٣٥١
كان معاوية يكتب لرسول الله	عبد الله بن عمرو	٣٤٨
كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة	ابن عمر	٨٩، ١٣٠، ١٦٩
كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام	أبو سعيد الخدري	١٩٥
كنا نخرجها على عهد النبي	أبو سعيد الخدري	١٩٥
كنت أجلس يوم الجمعة	ابن مهدي	٢٣٧

الأثر	القائل	الصفحة
كيف أنتم إذا لبستكم فتنة	ابن مسعود	١٠٢
لأن أبيت نائما وأصبح نادما	مطرف بن عبد الله	١٢
لا تجالس أهل الأهواء	ابن عباس	١٠١، ٢٥٦، ٣٩٤
لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم	الحسن البصري	١٠٢
لا تجالسوا أهل الأهواء	أبو قلابة	١٠١
لا ترجون لله عظمة	ابن عباس	٤٤
لا خير في صحبة الأصحاب	محمد بن واسع	٢٨١
لا يستقيم قول إلا بعمل	سفيان الثوري	٨٣
لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل	أنس	٢٠٧
لا يكون الرجل تقيا	ميمون بن مهران	١٥٥
لا! ولكن استفتي من لا علم عنده	مالك	٢٢
لتراب في منخري معاوية	ابن المبارك	٣٥٠
لحوم العلماء مسمومة	الحافظ بن عساكر	٢٤
لعلهم يعرفونني فيحابوني	محمد بن يوسف	١٣
لعنهم الله، وما يدريهم	الحسن البصري	٣٣٥
لقد أتى علينا زمان	ابن عمر	٢٦٤
لقد عشنا برهة من دهرنا	ابن عمر	٧٥
لقد عمل معاوية بسيرة عمر	الزهري	٣٥٠
لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله	عثمان	٧٤
ليس بين العبد وبين ربه طريق	سهل التستري	٣٨٨

الأثر	القائل	الصفحة
ليس تقوى الله بصيام النهار	عمر بن عبد العزيز	١٤٧
ليس يوم يأتي من أيام الدنيا	الحسن البصري	٣٠٧
ما أقول فيها إلا الحسنى	الإمام أحمد	٣٣٧
ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا	أيوب السختياني	٨٢، ١٣٠، ١٦٨
ما بقى من لذتك	محمد بن المنكدر	٢٨١
ما رآه المسلمون حسنا	ابن مسعود	٩٢
ما رأيت أحدا أشبه صلاة	أبو الدرداء	٣٥٠
ما كنت أقول لرجل أني احبك في الله	سفيان بن عيينة	٢٨١
ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته	سعيد بن جبير	٤٤
ما وضع الحلم عن شريف شرفه	معاوية	٣٤٤
معاوية عندنا محنة	ابن المبارك	٣٣١، ٣٣٥
معاوية كاتب رسول الله وصاحبه	الإمام أحمد	٣٤٨
من أحب أن يذكر لم يذكر	الفضيل بن عياض	١٠
من أحب الله أحب	محمد بن العلاء	١٢
من ألزم نفسه آداب السنة	ابن عطاء البغدادي	٢٣٣
من أمر السنة على نفسه	أبو عثمان النيسابوري	٢٣٢
من ابتدع في الإسلام بدعة	مالك	٨٢، ١٢٩، ٢٢٢
من جلس للناس جلس الناس إليه	أبو بكر عياش	١٠
من لم يكن له كتاب الله عبرة	أبو زرعة الرازي	٢٣٢
نعمت البدعة هذه	عمر	٩٥

الأثر	القائل	الصفحة
نعمت البدعة هي	عمر	٩٦
نهى عن صوم يومين	أبو سعيد الخدري	٢٠٤
هذه الأحاديث المصنوعة	ابن المبارك	١٣٧، ١٧٦
وإن الناس لينظرون إليكم	ابن عمر	٢٤١
واعلم أن كون الله	سالم بن عبد الله	٢٣٨
والله ما المؤمن بالذي يعمل شهرا	الحسن البصري	٢١٦
وتجعله كاتبا بين يديك	ابن عباس	٣٤٧
وقع الإسلام في قلبي	معاوية	٣٤٣
وكانت عائشة تستحب	عروة بن الزبير	٢٢٤
ولا يلهينك المتاع القليل الفاني	الحسن البصري	٣١٦
ومن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة	ابن عباس	١٩٨
ويحك، إنك لا تدرين ما فقد الناس	معاوية	٣٣٧
يا ابن آدم إنما أنت أيام	الحسن البصري	٣١٦
يا ابن آدم نهارك ضيفك	الحسن البصري	٣١٧
يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟	أبو الدرداء	٣٣٦
يا معشر الشيوخ: ما ينتظر بالزرع	الحسن البصري	٣١٧
يوم من معاوية أفضل من عمر	المعافى بن عمران	٣٥١

فهرس الأشعار

البيت الشعري	القائل	الصفحة
مـا الـفـضـل إلا لأهـل الـعـلـم	أحد السلف	١٩
هو الموت لا منجى من الموت	معاوية	٣٥١
ولـلـقَـلْـبِ عـلـى الـقـلـبِ	أبو العتاهية	٢٥٧
وهو العظيم بكل معنى يُوجب	ابن القيم	٣٤

فهرس المصادر المعتمدة

فهرس المصادر المعتمدة

١- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح / ط . عالم الكتب .

٢- أحكام العيدين للفريابي / ط . مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية .

٣- أخلاق العلماء للآجري / ط . رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية .

٤- أخلاق أهل القرآن للآجري / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٥- أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب لابن دحية الكلبي / ط . المكتب الإسلامي .

٦- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي / ط . دار مكتبة الحياة .

٧- الأذكار للنووي / ط . دار الفكر - بيروت .

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط . دار الفكر - بيروت .

٩- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزار / ط .

المكتب الإسلامي .

١٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا/ ط . مكتبة الغرباء الأثرية - السعودية .

١١- أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية / ط . السلفية - القاهرة .

١٢- الإبانة الكبرى لابن بطة / ط . دار الراية - الرياض .

١٣- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع / ط . على نفقة فاعل خير .

١٤- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٥- الإجماع لابن المنذر / ط . دار المسلم للنشر والتوزيع .

١٦- إحياء علوم الدين للغزالي / ط . دار المعرفة - بيروت .

١٧- الاختيارات الفقهية لابن تيمية / ط . دار المعرفة - بيروت .

١٨- الإخوان لابن أبي الدنيا / ط . دار الكتب العلمية .

١٩- إرواء الغليل للألباني / ط . المكتب الإسلامي .

٢٠- الاستقامة لابن تيمية / ط . جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض .

٢١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن

تيمية/ ط . دار عالم الكتب - بيروت .

٢٢- اقتضاء العلمِ العملَ، للخطيب البغدادي/ ط . المكتب الإسلامي - بيروت .

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر / ط . دار الكتب العلمية .

٢٤- إصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي / ط . المكتب الإسلامي .

٢٥- الإعتصام للشاطبي / ط . دار ابن الجوزي .

٢٦- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم / ط . دار ابن الجوزي .

٢٧- أمراض القلوب لابن تيمية / ط . المطبعة السلفية - القاهرة .

٢٨- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة المقدسي / ط . دار الهدى - القاهرة .

٢٩- البداية والنهاية لابن كثير / ط . إحياء التراث .

٣٠- البدعة وأثرها السيئ في الأمة لسليم الهلالي/ ط . المكتبة الإسلامية- عمان- الأردن .

٣١- البرهان في علوم القرآن للزركشي / ط . دار إحياء الكتب العربية .

٣٢- بدائع الفوائد لابن القيم / ط . مكتبة الباز - مكة .

٣٣- بستان العارفين للنووي/ ط . دار البشائر .

٣٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي / ط . إحياء التراث الإسلامي - القاهرة .

٣٥- بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط . دار الرشد .

٣٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي / ط . دار الغرب .

٣٧- تاريخ دمشق لابن عساكر / ط . دار الفكر - بيروت .

٣٨- التاريخ الكبير للبخاري / ط . دار المعارف - حيدر آباد .

٣٩- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم / ط . دار المعرفة - بيروت .

٤٠- تبيين العجب بما ورد في فضل رجب لابن حجر العسقلاني .

٤١- تبيين كذب المفتري لابن عساكر / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

٤٢- تحفة الأحوذي للمباركفوري / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٣- التحرير والتنوير من التفسير لمحمد طاهر بن عاشور / ط . الدار التونسية للنشر .

٤٤- التدوين في أخبار قزوين للرافعي / ط . دار الكتب العلمية .

٤٥- تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لابن حجر الهيتمي/ ط .

٤٦- تفسير البغوي / ط . دار المعرفة - بيروت .

٤٧- تفسير السعدي / ط . مؤسسة الرسالة .

٤٨- تفسير الطبري / ط . دار الفكر - بيروت .

٤٩- تفسير القرطبي / ط . دار الشعب - القاهرة .

٥٠- تفسير ابن كثير / ط . دار الفكر - بيروت .

٥١- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي/ ط . مكتبة الدار - المدينة النبوية .

٥٢- تلبيس إبليس لابن الجوزي / ط . دار الفكر - بيروت .

٥٣- تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية / ط . دار الغرباء الأثرية - المدينة النبوية .

٥٤- تمام المنة في التعليق على فقه السنة للشيخ الألباني / ط . دار الراية - الرياض .

٥٥- التمهيد لابن عبد البر / ط . الأوقاف المغربية .

٥٦- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي / ط . دار ابن كثير - دمشق .

٥٧- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبي يعلى الفراء الحنبلي / ط . مكتبة الرشد .

٥٨- التوحيد يا عباد الله للشيخ صالح الفوزان / ط . كنوز إشبيليا .

٥٩- التواضع والخمول لابن أبي الدنيا / ط . دار الكتب العلمية .

٦٠- تهذيب الأسماء واللغات للنووي / ط . دار الفكر - بيروت .

٦١- تهذيب التهذيب لابن حجر / ط . الرسالة .

٦٢- تهذيب السنن لابن القيم / ط . دار المعارف .

٦٣- تهذيب الكمال للمزي / ط . مؤسسة الرسالة .

٦٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ط . دار ابن الجوزي .

٦٥- جامع رسائل ابن تيمية / ط . مصر، ت . محمد رشاد سالم .

٦٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط . مؤسسة الرسالة .

٦٧- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم / ط . دار الكتب العلمية .

٦٨- الجواب الكافي لابن القيم / ط . دار المعرفة .

٦٩- الحجة في بيان المحجة لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني/ ط. دار الراية.

٧٠- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني / ط. دار الفكر - بيروت.

٧١- الحوادث والبدع للطرطوشي/ ط. دار ابن الجوزي.

٧٢- الدر المنثور للسيوطي / ط. دار الفكر - بيروت.

٧٣- الرسالة للشافعي / ط. مكتبة الحلبي - مصر.

٧٤- الروح لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٥- روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي / ط. المكتب الإسلامي - بيروت.

٧٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي / ط. دار الكتب العلمية.

٧٧- روضة الناظر لابن قدامة المقدسي / ط. دار الرشد.

٧٨- رياض الصالحين للنووي / تخريج الألباني (ط. المكتب الإسلامي - بيروت).

٧٩- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ ط. دار النشر - المكتب الإسلامي.

٨٠- زاد المعاد لابن القيم / ط. مؤسسة الرسالة.

٨١- زغل العلم للذهبي / ط . مكتبة الصحوة الإسلامية .

٨٢- الزهد للإمام أحمد / ط . دار الكتب العلمية .

٨٣- الزهد لابن أبي الدنيا / ط . دار ابن كثير - دمشق .

٨٤- الزهد الكبير للبيهقي / ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٨٥- الزهد لابن المبارك / ط . دار الكتب العلمية .

٨٦- الزهد لهناد بن السري / ط . دار الخلفاء - الكويت .

٨٧- الزهد لوكيع / ط . مكتبة الدار - المدينة النبوية .

٨٨- السلسلة الصحيحة والضعيفة للشيخ الألباني / ط . دار المعارف .

٨٩- السنة لأبي بكر الخلال / ط . دار الراية - رياض

٩٠- سنن الترمذي / ت . بشار عواد، دار الغرب .

٩١- سنن أبي داود / ط . المكتبة العصرية - بيروت .

٩٢- سنن الدارمي / ط . دار المغني - السعودية .

٩٣- السنن الكبرى للبيهقي / ط . دار الكتب العلمية .

٩٤- سنن ابن ماجة / ط . دار إحياء الكتب العربية .

٩٥- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري / ط . دار الفكر .

٩٦- سير أعلام النبلاء للذهبي / ط . الرسالة .

٩٧- شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام / ط . دار الفكر .

٩٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي / ط . دار طيبة - السعودية .

٩٩- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط . دار الوطن - الرياض .

١٠٠- شرح السنة للبغوي / ط . المكتب الإسلامي .

١٠١- شرح صحيح البخاري لابن بطال / ط . دار الرشد .

١٠٢- شرح الطحاوية للعز بن عبد السلام / ط . المكتب الإسلامي .

١٠٣- شرح الممتع للشيخ ابن عثيمين / ط . دار ابن الجوزي .

١٠٤- الشريعة للآجري / ط . دار الوطن .

١٠٥- شعب الإيمان للبيهقي / ط . دار الرشد .

١٠٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

لابن القيم/ ط . دار الفكر .

١٠٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية / ط .

١٠٨- صحيح البخاري / ط . دار الأفكار .

١٠٩- صحيح ابن خزيمة / ط . المكتب الإسلامي .

١١٠- صحيح مسلم / ط . دار المغني .

١١١- صحيح وضعيف الجامع للألباني / ط . المكتب الإسلامي .

١١٢- صيد الخاطر لابن الجوزي / ط . دار القلم - دمشق .

١١٣- ضعيف الأدب المفرد للألباني / ط . دار الصديق للنشر والتوزيع .

١١٤- صحيح وضعيف الترغيب والترهيب للألباني / ط . المعارف .

١١٥- طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء / ط . دار المعرفة .

١١٦- طبقات الكبرى لابن سعد / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

١١٧- طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني / ط . مؤسسة الرسالة .

١١٨- طريق الهجرتين لابن القيم / ط . دار ابن القيم - الدمام .

١١٩- الصواعق المرسلة لابن القيم / ط . دار العاصمة .

١٢٠- العقيدة الواسطية لابن تيمية / ط . أضواء السلف .

١٢١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني/ ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١٢٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي / ط . إدارة العلوم الأثرية - باكستان .

١٢٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي / ط . دار الكتب العلمية .

١٢٤- عيون الأخبار لابن قتيبة / ط . دار الكتب العلمية .

١٢٥- غريب الحديث للخطابي / ط . جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

١٢٦- فتاوى الشيخ ابن باز / إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر .

١٢٧- فتاوى الصيام للشيخ ابن باز / ط . دار الوطن .

١٢٨- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم / ط . مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .

١٢٩- فتاوى الشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن .

١٣٠- فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية/ ط . رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء .

١٣١- الفتاوى الكبرى لابن تيمية / ط . دار الكتب العلمية .

١٣٢- فتاوى النووي / ط . دار البشائر الإسلامية - بيروت .

١٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب / ت . طارق عوض الله، ط . ابن الجوزي .

١٣٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط . دار المعرفة .

١٣٥- فتح القدير للشوكاني/ ط . دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت .

١٣٦- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط . دار المنهاج .

١٣٧- الفوائد لابن القيم/ ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

١٣٨- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني / ط . دار الكتب العلمية .

١٣٩- فيض القدير، شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي/ ط . المكتبة التجارية - مصر .

١٤٠- القصاص والمذكرين لابن الجوزي / ط . المكتب الإسلامي .

١٤١- قصر الأمل لابن أبي الدنيا / ط . دار ابن حزم - بيروت .

١٤٢- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان / ط . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية .

١٤٣- قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي / ط . دار الكتب العلمية .

١٤٤- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للشوكاني / ط . دار القلم - الكويت .

١٤٥- لسان العرب لابن منظور / ط . دار صادر، بيروت .

١٤٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب / ط . دار ابن حزم .

١٤٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي / ط . دار الوطن .

١٤٨- المجالسة وجواهر العلم للدينوري / ط . دار ابن حزم - بيروت .

١٤٩- مجمع الزوائد للهيثمي / ط . مكتبة القدسي - القاهرة .

١٥٠- المجموع شرح المهذب للنووي / ط . دار الفكر - بيروت .

١٥١- مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط . مكتبة ابن تيمية .

١٥٢- محاسبة النفس لابن أبي الدنيا / ط . دار الكتب العلمية .

١٥٣- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي / ط . المكتب الإسلامي .

١٥٤- مداراة الناس لابن أبي الدنيا / ط . دار ابن حزم - بيروت .

١٥٥- مدارج السالكين لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

١٥٦- مساوئ الأخلاق للخرائطي / ط . مكتبة السوادي - جدة .

١٥٧- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري / ط . دار الكتب العلمية بيروت .

١٥٨- مسند الإمام أحمد / ط . الرسالة .

١٥٩- مسند أبي يعلى الموصلي / ط . دار المأمون - دمشق .

١٦٠- مسند الروياني / ط . مؤسسة قرطبة - القاهرة .

١٦١- مسند الشافعي / ط . دار غراس .

١٦٢- مصنف ابن أبي شيبة / ط . مكتبة الرشد - الرياض .

١٦٣- معارج القبول بشرح سلم الأصول للشيخ الحافظ الحكمي/ ط . دار ابن القيم - الدمام .

١٦٤- معجم الأوسط للطبراني / ط . دار الحرمين - القاهرة .

١٦٥- معجم الكبير للطبراني / ط . مكتبة ابن تيمية - القاهرة .

١٦٦- معجم مقاييس اللغة لابن فارس / ط . دار الجيل - لبنان .

١٦٧- المغني لابن قدامة / ط . دار عالم الكتب .

١٦٨- مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط . دار الكتب العلمية .

١٦٩- المقاصد الحسنة للسخاوي / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

١٧٠- مكارم الأخلاق للخرائطي / ط . دار الآفاق - القاهرة .

١٧١- مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن .

١٧٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم/ ط . مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب .

١٧٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي/ ط . دار الكتب العلمية .

١٧٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط . دار المعرفة .

١٧٥- منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية.

١٧٦- الموضوعات لابن الجوزي / ط. السلفية.

١٧٧- النبأ العظيم لمحمد بن عبد الله دراز / ط. دار القلم بدمشق.

١٧٨- نيل الأوطار للشوكاني / ط. دار ابن الجوزي.

١٧٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ط. لمكتبة العلمية - بيروت.

١٨٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي / ط. دار الفكر - بيروت.

١٨١- الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم/ ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

١٨٢- وكل بدعة ضلالة للريسوني / ط. دار المنهاج.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٥
الشهرة وموقف السلف منها	٩
العالم الرباني	١٧
تعظيم اللَّه عز وجل	٢٧
المقال الأول : المراد بتعظيم الله عز وجل وأهميته في إيمان العبد وطرق تحصيله	٢٩
المقال الثاني : ثمرات الإيمان باسم اللَه العظيم	٣٦
المقال الثالث : هل نحن مُعَظِّمون للَه؟	٤٤
أسماء القرآن الكريم	٥٣
المقال الأول : كثرة أسماء القرآن الكريم	٥٥
المقال الثاني : أوصاف القرآن الكريم	٦٤
المقال الثالث : التحذير من هجر القرآن الكريم	٧٢
شهر رجب وبيان ما يحدث فيه من بدع	٧٧
المقال الأول : احذروا البدع فإنها تُضِلّ عن الدين وتُبْعد عن رب العالمين	٧٩
المقال الثاني : ألا وإن كل بدعة ضلالة	٨٨
المقال الثالث : احذروا بدع شهر رجب	١٠٠

الموضوع	الصفحة
المقال الرابع: ليلة الإسراء والمعراج	١١٢
شهر شعبان	١١٩
المقال الأول: جاءكم شهر عظيم الشأن يا عباد الرحمن	١٢١
المقال الثاني: البيان لبدع شعبان	١٢٨
المقال الثالث: تنبيه عباد الرحمن ببعض ما لا يصح من أحاديث في شعبان	١٣٧
شهر رمضان	١٤٣
المقال الأول: جاءكم شهر التقوى	١٤٥
المقال الثاني: ثمرات التقوى	١٥٤
المقال الثالث: فضل العمرة في رمضان	١٦٢
المقال الرابع: البيان لبدع رمضان	١٦٨
المقال الخامس: أحاديث لا تصح في فضل شهر رمضان	١٧٦
المقال السادس: ليلة القدر	١٨٤
زكاة الفطر	١٩١
شهر شوال	٢٠١
المقال الأول: عيد الفطر	٢٠٣
المقال الثاني: ماذا بعد رمضان؟	٢١٤
المقال الثالث: البيان لبدع شوال؟	٢٢٢
الوعظ وصفات الوُعَّاظ	٢٢٧
المقال الأول: الموعظة الحسنة	٢٢٩
المقال الثاني: صفات الواعظ	٢٣٦

الموضوع	الصفحة
المقال الثالث: التوحيد أولاً أيها الوعاظ	٢٤٤
الأخوة في الله وثمارها	٢٥١
المقال الأول: معنى الأُخُوّة في الله وأهميتها	٢٥٣
المقال الثاني: ثمرات الأخوة الإيمانية	٢٦٠
المقال الثالث: مفسدات الأُخُوَّة الإيمانية	٢٦٨
المقال الرابع: نماذج مشرقة من الأخوة في الله	٢٧٨
حسن الخلق	٢٨٣
المقال الأول: حسن الخلق ومنزلته في الإسلام	٢٨٥
المقال الثاني: حسن الخلق مع الناس	٢٩٢
المقال الثالث: هل حسن الخلق جبلي أو مكتسب؟	٣٠٠
الوقت وقيمته	٣٠٥
المقال الأول: أوقاتكم أعماركم يا عباد الله	٣٠٧
المقال الثاني: قيمة الوقت عند السلف	٣١٤
المقال الثالث: الإجازة. . . ساعة وساعة في ظلال الطاعة	٣٢٢
خال المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٣٢
ترجمة موجزة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٤١
أَيُّهُم قَلْبُك؟	٣٥٣
القلب السليم	٣٥٩
صفات القلب السليم	٣٦٣

الموضوع	الصفحة
القلب الميت	٣٧٣
علاج القلب الميت	٣٨٣
القلب المريض	٣٩١
علاج القلب المريض	٣٩٩
مَنْ صَلَحَ قلبُه صَلَحَ جسدُه قطعًا	٤٠٧
الفهارس العامة	٤١٥
فهرس الآيات القرآنية	٤١٧
فهرس أطراف الحديث	٤٢٧
فهرس أطراف الآثار	٤٣٥
فهرس الأشعار	٤٤٢
المصادر المعتمدة	٤٤٣
فهرس الموضوعات	٤٦١

المجموعة الثانية

تنبيه الأمة
على مسائل وأحكام
شرعية مهمة

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري
الدوحة-قطر

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م

دار الإمام البخاري
الدوحة-قطر

جوّال: ٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨+
فاكس: ٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨+
المكتبة: ٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨+
Email: albukharibooks@gmail.com

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء :١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحـــزاب :٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قد يسر لي الباري سبحانه وتعالى أيها الأحبة جمع المجموعة الثانية من كتاب (تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة)، وهو عبارة عن مقالات علمية نشرت أيضا في جريدة (الشرق القطرية)، وتطرقتُ فيها بفضل الله إلى مواضيع هامة متنوعة، اشتملت على التوحيد، والأخلاق، وتزكية النفس، وتحذير الناس من خطورة البدع والمعاصي، وبيان ما يروى في فضائل بعض الشهور وهو لا يصح.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وأحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تُحْصَى، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن مصنفه ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فالله ﷻ (أبى أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ)[1].

فما وجدتَ فيها أيها القارئ الكريم من صواب فلا تَحرمنا من صالح دعائك، وما كان فيها من خطأ فصوِّبْه، فصاحبها لا يُبرئ نفسه من الخلل والفتور والنقص، والله المستعان.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٤).

فرحم الله أخا محبًّا ناصحًا، وجد وهنًا فنصح، أو وجد خللاً فأصلح، ومن منَّا أيها الكرام يسلم من الخطأ كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي، ونحن نخطئ ومن يسلم من الخطأ؟)[١].

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل ما كُتب خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبو عبد الله حمزة النايلي
(الخريطيات / قطر)

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦)، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦).

أنواع العبادة

١- الخوف من الله.

٢- الرجاء.

٣- محبة العبد لله ﷻ.

١- الخوف من الله

١- الخوف من الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن قلب المؤمن أيها الأحبة ينبغي أن يكون - في سيره إلى الله تعالى - جامعًا بين مقام الخوف ومقام الرجاء ومقام المحبة، حتى يكون متوازنا في عبادته، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه الأمور الثلاثة الخوف، والرجاء، والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور)[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سَلِمَ الرأس

(١) تفسير السعدي (ص ٤٦١).

والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِدَ الجناحان فهو عُرْضة لكل صائد وكاسر)[١].

أيها الأفاضل: إن الخوف من الله ﷻ وخشيته في السر والعلن من صفات المؤمنين، فهم يخشون الله وحده، لا يخافون غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥۖ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران :١٧٥].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله)[٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (الخوف علامة صحة الإيمان، وترحُّلُه من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه)[٣].

فما أحوجنا أيها الكرام لملء قلوبنا بالخوف من الكبير المتعال، فالقلب ما دام مستشعرًا رُوحَ الخوف من الله فإنه يظل عامرًا بالإيمان واليقين مبتعدًا عن الكبر والعجب والرياء والحسد وسائر المعاصي.

أيها الأحبة: إن ضعف الأمة الإسلامية اليوم وتفرق كلمتها وتسلط الكفار عليها لهو نتيجة فقدان وازع الخوف من الله في قلوب أفرادها، فبعد أن اختفى الخوف من الله جل وعلا في القلوب كثرت البدع والمعاصي ونتج عن ذلك التعدي على حدود الله والأمنُ من عذابه

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

(٢) تفسير السعدي (ص ١٥٧).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٥).

سبحانه، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غِرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوُّفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين الله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته، ونواصيهم بيده، ولكنه رؤوف رحيم، لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب.

فليستحِ المجرمُ من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات، ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصي، أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه، فإنه رؤوف رحيم.

فالبدارَ البدارَ إلى رحمته الواسعة، وبره العميم، وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه، والعمل بما يحبه ويرضاه)[(١)].

(١) تفسير السعدي (ص ٤٤١).

إن الخوف من الله تعالى - أيها الكرام - كان شعار الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد :١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء :٩٠].

ووصف سبحانه أنبياءه بالبكاء إذا تليت عليهم آياته، وأعظم أسباب البكاء الخوف من الله جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، ما أوجب لهم البكاء والإنابة والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صُمًّا وعُميانا)[(١)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذاكرا أسباب بكاء النبي ﷺ: (وكان بكاؤه ﷺ تارة رحمة للميت، وتارة خوفا على أمته وشفقةً عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية)[(٢)].

وكذلك كان هذا حال الصحابة (رضوان الله عليهم)، قال العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ منها

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٩٦).
(٢) زاد المعاد (١/ ١٨٣).

القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها وصية مودع! فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**...»[(١)].

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ»: هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ...﴾ [الحديد: ١٦])[(٢)].

ومما ينبغي علينا أن نعلمه أن الخوف من الله إذا زاد عن حده المشروع أصبح قنوطا ويأسا من رحمة الله وبالتالي صار مذموما.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فان زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبَسُّط في فضول المباحات، كان ذلك فضلا محمودًا، فان تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هَمًّا لازمًا، بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عَزَّوَجَلَّ، لم يكن محمودا)[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٦٠).

(٣) التخويف من النار (ص ١٩).

وبين محارم الله ﷻ ، فإن تجاوز هذا خِيفَ منه اليأس والقنوط)[١] .

أيها الكرام: إن الذي يجب أن يقابِلَ في القلب مقامَ الخوف مقامُ الرجاء، والعبد كما يخاف عذاب ربه عليه كذلك أن يرجو رحمة خالقه، فلابد له أن يَجمع بين هاتين المنزلتين العظيمتين في قلبه .

فما هو الرجاء؟ وما هي أهميته؟ وما علاقته بالخوف؟ هذا ما سنجيبكم عنه بعون الله، سائلين الله الكبير المتعال أن يرزقنا وإياكم خوفه ورجاءه ومحبته في السر والعلانية، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٤).

٢- الرجاء

٢- الرجاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن المؤمن - أيها الأحبة - عليه أن يجمع في عبادته - كما تقدم - بين الرجاء والخوف، فإن غلَّب الرجاء فَقَدَ من قلبه الخوفَ وأمن مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، وإن غَلَّب الخوف فَقَد من قلبه الرجاء ووقع في طريق القنوط واليأس، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولهذا؛ فإن المؤمن الصادق هو من جمع بين هاتين العبادتين في قلبه؛ قال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (أي في حال عبادته خائفٌ راجٍ، ولابد في العبادة من هذا وهذا)[(١)].

ولقد بوب البخاري رحمه الله بابا سماه: (باب الرجاء مع الخوف)[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧٤).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (قوله: (باب الرجاء مع الخوف) أي: استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى المكر - يعني أَمْنَ مكرِ الله - وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: (من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تُقْبَل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو)[(١)].

وللتلازم بين هاتين العبادتين نلاحظ - أيها الكرام - أن اسم الرجاء غالبا ما يأتي في النصوص الشرعية مقترنًا بالخوف، كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يَنْكَفُّ عن المناهي، وبالرجاء يُكْثِرُ من الطاعات)[(٢)].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ : (وذكر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالاً له وخوفًا من غضبه)[(٣)].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٠١).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨).
(٣) التحرير والتنوير (١٥/ ١٤٠).

ودخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في سياق الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثلِ هذا الموطِنِ إلا أعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو مِنْهُ، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَاف**»(١).

أيها الأفاضل: إن الثمرات المقتطفة من عبادة الرجاء لا تختلف عن الثمرات المكتسبة من عبادة الخوف، إذ إنَّ كليهما يؤديان إلى العمل والسعي لمرضات الله وفعل الخيرات والابتعاد عن المحرمات، فالرجاء يفتح باب الأمل لصاحبه ويُبعد عنه القنوط واليأس، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر :٥٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله مخبرا للعباد عن ربهم: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب، ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا منها فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا: قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يُغْضِب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ من الشرك، والقتل والزنا والربا والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: وَصْفُه المغفرة

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٦١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

والرحمة وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته.

ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب، إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمُها وأجّلُّها - بل لا سبب لها غيره - الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجَلّ، والطريق الأعظم)[(١)].

أيها الأحبة الكرام: قد يتساءل كثير منا عن الفرق بين الرجاء والتمني؟

فيجيبنا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك فيقول: (والفرق بين الرجاء والتمني، أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل)[(٢)].

ومما ينبغي أن نعلمه: أنه كما أن الخوف منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، فكذلك الرجاء، منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان،

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٢٧).
(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٥).

ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاءُ رجلٍ عَمِل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب)[(١)].

فالرجاء المحمود هو الذي يصاحبه العمل، وتكون معه المجاهدة في فعل الطاعات والابتعاد عن المحرمات، قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأفضل الرجاء ما تولد من مجاهدة النفس، ومجانبة الهوى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨][(٢)].

أيها الأحبة الكرام: كما أن الخوف من الله ورجاءه لا ينفكان عن قلب المؤمن، كذلك ينبغي أن تكون محبته لخالقه سبحانه، فالمؤمن يحب الله سبحانه، ويحب من يحب الله جلَّ جلاله، ويحب كل عمل يقربه إلى باريه جل وعلا.

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الأمور الثلاثة: الخوف، والرجاء، والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمت له تمت له أمورُه، وإذا خلا

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٦).
(٢) شعب الإيمان (٢/ ٨).

القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور)[١].

فما معنى محبة الله؟ وكيف يكتسبها المؤمن؟ وما علاقتها بالخوف والرجاء؟ هذا ما سنجيبكم عنه بعون الله الكبير المتعال، سائلين الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا - لنا ولكم - أن يجمع في قلوبنا خوفه ورجاءه ومحبته، فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

(١) تفسير السعدي (ص ٤٦١).

٣- محبة العبد لله ﷻ

٣- محبة العبد لله ﷻ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قد مر معنا - أيها الأحبة - الأفاضل أن المؤمن الموحد هو الذي يجمع في قلبه كل من الخوف والرجاء والمحبة لتحقيق عبادة ربه سبحانه، كُلاًّ غنى له عن واحدة من هذه المقامات.

ولقد جمع الله ﷻ بين هذه المقامات الثلاث، فقال جلَّ وعلا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فابتغاء الوسيلة هو: محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه، وربما آل الأمر بمن عبده بالحب المجرد إلى استحلال المحرمات ويقول: المحبُّ لا يضره ذنبٌ)[(١)].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الأمور الثلاثة: الخوف،

(١) بدائع الفوائد (٣ / ٥٢٢).

والرجاء، والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور)[(١)].

وقد تكلمنا فيما سبق عن منزلتي الخوف والرجاء وبيَّنا مكانتهما، وأنهما لا ينفكان عن قلب المؤمن الصادق.

أيها الأفاضل: لكي يتقوى أساس الإيمان في قلوبنا لابد فيه من عبادة أخرى، وهي من أعظم المنازل، ألا وهي منزلة المحبة.

فالعبد المؤمن يحب خالقه سبحانه المُنعم عليه، ويُقدم حُبَّه على سائر المحاب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي: من أهل الأنداد لأندادهم لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء -الكفار- أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا، ومحبته عين شقاء العبد وفساده وتشتت أمره)[(٢)].

وقال ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٦١).
(٢) تفسير السعدي (ص ٨٠).
(٣) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٦٧) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام)[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئا واشتهاه إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك. واللذةُ أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى، . . . ثم قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلُها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. . .

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله،

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار)[٢] .

لقد عَرَف سلفُنا الصالح أيها الأحبة مكانة المحبة وأنها جوهر العبادة، فسعوا لكسبها وحَثّوا الناس على تحقيق أسبابها، فأقوالهم في هذا الباب مستفيضة، فهذا العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لابنه عبد الله لما حضرته الوفاة: (إني موصيك بحب الله عَزَّوَجَلَّ وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك)[٣] .

---

(١) الشرح على مسلم (٢/ ١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٥).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٤١٣).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : (من عرف ربه أحبه، ومن أبصر الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، وإذا تفكر حزن)[١].

أيها الكرام: إن الذنوب تَنْقُصُ محبةَ الله جلَّ وعلا في القلب، لكن لا تُزيلها بالكلية، إلا إذا كانت الذنوب ناتجة عن نفاق، فلا تُنَافي ارتكاب المعاصي ثبوتَ المحبة في القلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك، لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري[٢] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث حمار - اسمه عبد الله - الذي كان يشرب الخمر وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل، فقال النبي ﷺ: «**لاَ تَلْعَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» وفيه: دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه وإن كان مذنبا، إذا كان يحب الله ورسوله، فكما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، وكمال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تنقض المحبة)[٣].

أيها الأحبة الأفاضل: إن محبة الله لا تنال بمجرد الادعاء والتمني بل لابد لها من شروط ومستلزمات، فما أسهل الدعوى وأعز المعنى.

فمن أهم مستلزماتها توحيد الله والإخلاص له بجميع أنواع العبادة،

---

(١) الهم والحزن لابن أبي الدنيا (٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٨٠)

(٣) قاعدة في المحبة (ص ٧٢)

وأيضا متابعة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٣١] .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فجعل سبحانه متابعة رسوله سببًا لمحبتهم له، وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله، فليس الشأن أن تحب الله، ولكن الشأن أن يحبك الله، فالطاعة للمحبوب عنوان محبته)(١) .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة، فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباعُ رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبةَ الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص)(٢) .

فالمحبة الصادقة لرب العالمين هي الموصلة لتحقيق العبودية إذا ما قُرن معها الخوف والرجاء، وهي الأصل؛ لأن محلها القلب، فإذا

---

(١) روضة المحبين (ص ٢٦٦) .
(٢) تفسير السعدي (ص ١٢٨) .

استقرت فيه حَرَّكَتِ الجوارحَ في مرضاة الله وطاعته، فإذا حققها العبد زاد إيمانه وقوي يقينه واطمئن قلبه بإذن خالقه سبحانه.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (القلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر)[(١)].

فالله أسأل لي ولكم - أيها الأحبة بعد أن عرفنا أُسس العبادة (الخوف والرجاء والمحبة) - أن يرزقنا صدق العبودية ويعيننا على تحقيقها فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

ماذا يحدث

في بعض أعراس المسلمين؟!

ماذا يحدث في أعراس بعض المسلمين؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الزواج من نعم الله العظيمة التي منَّ بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودةً: وهي المحبة، ورحمةً: وهي الرأفة...)[(١)].

أيها الأحبة: إن بالشكر والإيمان تدوم النعم، وبالجحود والعصيان تَحل النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: كفرتم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٣٠).

النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها)[١].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة للَّه، وأن يحذروا كفران النعم)[٢].

لكن - أيها الأفاضل - إن الذي يُحزن كل محب للطاعات مُبغض للمنكرات ما يراه ويسمعه عن بعض المسلمين اليوم حيث يقابلون نعمة الزواج بمعصية الخالق و التعدي على الحدود الشرعية، وما يُفعل في بعض الأعراس لشاهدُ صِدْقٍ على هذا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم - أيها الكرام - شُرع في الإسلام إظهار العرس والدعوة إليه والابتهاج به وإعلانه، فقد قال نبينا ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ: الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ**»[٣].

فالمشروع للنساء - لا الرجال - ضرب الدفِّ المحاط بالجلد من جهة واحدة، لا يرتبط بحديد ولا بصوت، يصاحبه كلام طيب لا فاحشة فيه، ولا يصاحبه رفعُ صوتٍ حتى لا يسمعهن الرجال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ - مبيّنا ذلك -: (كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده ﷺ فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٤).
(٢) أضواء البيان (٩/ ١١٢).
(٣) رواه الترمذي (١٠٨٨) من حديث محمد بن حاطب وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

في الصحيح أنه قال: «**التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَال**»[(١)]، (ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء)[(٢)][(٣)].

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ، أن رجلا أضَافَ علي بن أبي طالب، فَصَنَعَ له طَعَامًا، فقالت فاطمة: لو دعونَا رسول الله ﷺ فَأَكَلَ مَعَنَا!! فَدَعُوهُ فَجَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ على عِضَادَتَي الْبَابِ[(٤)] فَرَأى الْقِرَامَ[(٥)] قد ضُرِبَ بِهِ في نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَرَجَعَ، فقالت فاطمة: لعلي ألحقه فَانْظُرْ ما رَجَعَهُ؟ فَتَبِعْتُهُ، فقلت: يا رسول الله! ما رَدَّكَ؟ فقال: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَوْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا**»[(٦)].

قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه دليل على أن من دُعي إلى مدعاة يحضرها الملاهي والمنكر فإن الواجب عليه أن لا يجيب)[(٧)].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا دعي إلى وليمة فيها معصية كالخمر والزَّمْر والعُود ونحوه، وأمكنه الإنكارُ وإزالة المنكر، لزمه الحضور

---

(١) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ لما أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ**».

(٢) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ لما أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (لَعن رسول ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ).

(٣) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٦٥).

(٤) قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: (عِضادَتا الباب: هما خشبتاهُ من جانبيه). الصحاح (٢/ ٥٠٩).

(٥) القِرام ستارة فيها نقوش. لسان العرب (١٢/ ٤٧٤).

(٦) رواه أبو داود في سننه (٣٧٥٥) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٧) معالم السنن (٤/ ١٣٣).

والإنكار، لأنه يؤدي فرضين: إجابة أخيه المسلم وإزالة المنكر، وإن لم يقدر على الإنكار لم يحضر، وإن لم يعلم بالمنكر حتى حضر: أزاله، فإن لم يقدر انصرف)[١].

فهذا نبينا ﷺ خرج من بيت علي رضي الله عنه لأجل ستارة، عدَّها من الإسراف، فكيف بحال بيوتنا وأعراسنا اليوم، والله المستعان.

إن كثيرًا من أعراس بعض المسلمين اليوم تَعج بالمنكرات وتطفح بالموبقات، من السرف في الأطعمة التي مآلُ كثيرٍ منها إلى النفايات! وإلى الإسراف في اللباس والحلي والزينة، وإلى جلب المطربين والمطربات، فيحيُّون الليل كله بالمنكرات، ومن قصرت نفقاتهم على جلب مثل هؤلاء!، استغنوا عنهم بمسجلات ومكبرات لأصوات الغناء الماجن والمعازف يصل صداها لخارج قاعات الاحتفالات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما يصحب ذلك عدم حشمة بعض النساء - هداهنَّ الله -، واختلاطهنَّ ومصافحتهنَّ لغير المحارم، مع أنه ﷺ حذر من ذلك أشد التحذير، فقال ﷺ: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ**»[٢].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: (وفي الحديث وعيد شديد لمن مَسَّ امرأة

---

(١) المغني (٧/ ٢١٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٣) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).

لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء لأن ذلك مما يشمله المس دون شك)[١].

وبعض النساء - هداهن الله - يَمْرُرْنَ على الرجال الأجانب عند خروجهن من بيوتهن لشهود العرس وهنَّ متطيبات مخالفاتٍ بذلك نهي النبي ﷺ حيث قال: «**أيُّمَا امْرأةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[٢].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي كالزانية في حصول الإثم وإن تفاوت؛ لأن فاعل السبب كفاعل المسبب، قال الطيبي: (شبه خروجها من بيتها متطيبة مهيجة لشهوات الرجال - التي هي بمنزلة رائد الزنا - بالزنا مبالغةً وتهديدًا وتشديدًا عليها)[٣].

فأين حياء النساء أيها الكرام؟! وأين غيرة الرجال؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فليعلم كل أب وزوج وأخ أنه مسئول يوم القيامة عن محارمه، قال ﷺ: «**ألاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، ألاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ،**

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٨).

(٢) رواه النسائي (٥١٢٦) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ

(٣) فيض القدير (٣/ ١٤٧).

وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

فيا أيها الزوجان الكريمان: إذا أردتما البركة وبقاء الألفة واستمرار المحبة بينكما بإذن الله، فاتَّقِيّا الله في عرسكما وجنباه ما يغضب ربكما من المنكرات.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك ويؤلف بين المسلمين وأزواجهن، وأنْ يجمعهم على طاعته وابتغاء مرضاته، وأن يُبعدهم عن سائر المحرمات، ويُبعد عنهم شر شياطين الجن والإنس، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لماذا نعاني
من ضيق الصدر وعندنا العلاج؟!

لماذا نعاني من ضيق الصدر وعندنا العلاج؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ دَفْعَ الضيق، والبحثَ عن راحة القلب وسروره وذهاب همومه وغُمومه هو مطلب كل إنسان.

لكن كيف السبيل لذلك؟ وما هي الأدوية النافعة التي تجعل السكينة في القلب؟

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الغم والهم والحزن أمراض للقلب، وشفاؤها بأضدادها، من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصحَّ وبرىء من مرضه، وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر ولم يَزُلْ، وأعقب أمراضًا هي أصعب وأخطر)[(١)].

لكن نرى - أيها الأفاضل - بعض المسلمين-هداهم الله-بدل أن يسألوا أهل التقوى والصلاح عن الأدوية الإيمانية التي تَبعث الطمأنينة والسرور في القلب بإذن الله، ويسعوا لتحقيقها والاستفادة منها،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩).

تجدهم يستشيرون من ليس أهلا للنصيحة!، فيدلونهم على أدوية محرمة، تزيد من مرضهم وقلقهم، كالسحر أو المواظبة على أذكار معينة! لم تأت في الشرع المطهر، فبدل من ذهاب ما أصابهم، تراهم يزدادون ضيقا وقلقا وحيرةً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ - مبيِّنا حال الناس في التعامل مع ما يصيب القلب من الهم والغم -: (وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يُخَلّصه منها، وأكثرُ الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، كَمَنْ يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك، فأكثرُ سعي بني آدم أو كلُّه إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور، متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار)[1].

أيها الأحبة: إن من أعظم أسباب طرد الضيق وانشراح الصدر توحيد الله وتعالى وحسن الظن به سبحانه، وذلك بأن يعتقد العبد اعتقادا جازما أن النفع والضر من عند الله وحده، وأنه تعالى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

(١) شفاء العليل (١/ ٢٧٤).

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل :٩٧] .

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبُه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياةُ الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت)(١) .

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يُشَوِّش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا، من حيث لا يحتسب، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: في الآخرة، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: من أصناف اللذات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة)(٢) .

▪ وكذلك من أنفع الأدوية بعد تحقيق التوحيد، تقوى الله جَلَّ جَلَالُهُ في السر والعلانية .

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ضاق بي أمر أوجب غمًّا لازمًا دائمًا، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقًا للخلاص، فَعَرَضَتْ لي هذه الآية: ﴿وَمَن

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٦) .
(٢) تفسير السعدي (ص ٤٤٩) .

يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق :٢] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج.

فلا ينبغي لمخلوق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مُرْتَجٍّ)[(١)].

▪ ومن علامات تحقيق التقوى - أيها الكرام - اجتناب سائر المحرمات، فارتكاب المعاصي - مهما كان حجمها - سببٌ في قسوة القلب وضيق الصدر.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته[(٢)]، وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية، وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضى به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة)[(٣)].

ولا ننسى - أيها الكرام - في هذا المقام أيضا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ، فذكره تَنشرح به الصدور، وتحيا به القلوب وتطمئن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد :٢٨].

---

(١) صيد الخاطر (ص ٦٣).

(٢) وجع في القلب. مختار الصحاح للرازي (ص٥٦).

(٣) الوابل الصيب (ص ٦٩).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولا تطمئن القلوب إلا بذكره، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا يدرك النجاح إلا بتوفيقه، ولا تحيا القلوب إلا بنسيم لطفه وقربه، ولا يقع أمر إلا بإذنه، ولا يهتدي ضال إلا بهدايته، ولا يستقيم ذو أود إلا بتقويمه، ولا يفهم أحد إلا بتفهيمه، ولا يُتخلص من مكروه إلا برحمته، ولا يحفظ شيء إلا بكلاءته، ولا يفتتح أمر إلا باسمه، ولا يتم إلا بحمده، ولا يدرك مأمول إلا بتيسيره، ولا تنال سعادة إلا بطاعته، ولا حياة إلا بذكره ومحبته ومعرفته، ولا طابت الجنة إلا بسماع خطابه ورؤيته، الذي وسع كل شيء رحمة وعِلْمًا، وأوسع كل مخلوق فضلا وبرًّا، فهو الإله الحق والرب الحق، والملك الحق، والمنفرد بالكمال المطلق من كل الوجوه، المبرأ عن النقائص والعيوب من كل الوجوه، لا يبلغ المُثْنُون - وإن استوعبوا جميعَ الأوقات بكل أنواع الثناء عليه - ثناءً عليه)[(١)].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (حقيق بها وحَرِيٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره - سبحانه -، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير وغير ذلك)[(٢)].

▪ وكذلك من أسباب سعادة القلب، الالتجاء لله جَلَّ جَلَالُهُ ودعاؤه بأن يُذهب عن القلوب الهموم والغموم ويُنزِّل عليها السكينة والسرور، وقد دلنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الدعاء النافع في هذا المقام وحث على تعلُّمه.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٨١).
(٢) تفسير السعدي (ص ٤١٧).

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»(١).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن، فإنها أحرى أن لا تعود، وأما إن ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد، فإنها تعود بذهاب ذلك)(٢).

ويقول أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمقصود أن الذكر يُنور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ وفي القيامة، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان)(٣).

▪ وكذلك من أنفع الوسائل التي تؤدي إلى سرور القلب وانشراحه، مصاحبة الصالحين وطلب العلم النافع، فالعلماء أشرح الناس صدورًا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (/ ٣٩١) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١١٩).

(٢) الفوائد (ص٢٦).

(٣) الوابل الصيب (ص ٩١).

وأعظمهم سرورًا، ولهذا كان يقول بعض السلف: (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف)[١].

■ فهذه أيها - الأحبة الكرام - من أهم الأسباب وأنجع الوسائل التي بعون الله تَشرح القلب وتُنوره، وتُذهب عنه الضيق والقلق، فالله الله في تحقيقها والابتعاد عما يضادها.

وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يَشرح قلوب المسلمين، وأن يبعد عنها الهموم والغموم والأحزان، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦).

النفس طمَّاعة فَلْنُرَوِّضْها على القناعة

النفس طمَّاعة فَلْنُرَوِّضْها على القناعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من عدل الباري سبحانه وتعالى وحكمته أنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء من أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ . . .﴾ [الزخرف :٣٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تفاوت الناس في الأرزاق والحظوظ، سنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية، لا يستطيع أحد من أهل الأرض ألبتة تبديلَها ولا تحويلها بوجه من الوجوه)[(١)].

فالمؤمن يقنع بما قسم الله له فيما يتعلق بأمور الدنيا، لكنه يحرص دائما على الزيادة من الأعمال الصالحة التي تكون سببا بعون الله للفوز بالجنة، وهذا امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣].

إن من طبيعة نفس الإنسان - أيها الأحبة - حب الازدياد من الأمور

---

(١) أضواء البيان (٨ / ٣٥).

الدنيوية مهما أوتي، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها، ومعنى: «**لا يَمْلأ جَوْفَه إلا الترابُ**»: أنه لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره)(٢).

لكن المؤمن الموحد من خصاله القناعة في أمور الدنيا الفانية فهو يعلم أن هذه الدار هي دار ممر، لا دار مستقر، فنراه يجاهد نفسه على دفع هذا الحرص ويرضى بما كتب الله له، ويُسلِّم بما قُسم له، ويشكر الله جَلَّ جَلَالُهُ على ما رزقه ويسأله المزيد من فضله، قال ﷺ: «**كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ...**»(٣).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن العبد إذا قنع بما أعطاه الله رضي بما قسم له، وإذا رضي شكر، فزاده الله من فضله جزاء لشكره وكلما زاد شكرا ازداد فضلا)(٤).

لقد كان نبينا ﷺ أيها الأفاضل من أقنع الناس وأزهدهم في أمور الدنيا وأرغبهم في الآخرة، ولقد عُرضت عليه الدنيا فأباها لعلمه بزوالها وعدم بقائها، ولهذا أثنى ﷺ على من تحلى بالقناعة والزهد في

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٥) ومسلم (١٠٤٨) واللفظ له.
(٢) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٣٩).
(٣) رواه ابن ماجة (٤٢١٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) فيض القدير (٥/ ٥٢).

الدنيا، فقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»(١).

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: («وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا» أي لا ينقص عن حاجته ولا يزيد على كفايته فيبطر ويطغى، «وَقَنَعَ»: أي رضي بالقَسْم، ولم تطمح نفسه لزيادة عليه)(٢).

أيها الكرام: إن القناعة لا تمنع التاجر من إنماء تجارته، ولا العبد من السعي لكسب رزقه، بل هذا مطلوب، حيث به تتم الاستعانة على أمور دنياه والاستغناء عن سؤال الناس، والنفقة في سبيل الله ليجده بعون مولاه في أخراه.

لكن ليس من القناعة أن يتسخط العبد من قلة ما رُزق، لأن ذلك في الحقيقة تسخط على الرازق جَلَّ جَلَالُهُ!.

ولا أن يشكو لمخلوق مثله ضَعْفَ رزقه، لأن ذلك في الحقيقة شكوى من الخالق سبحانه وتعالى لخلقه!.

أيها الأفاضل: إن كل من التزم القناعة نال بإذن الله السعادة، ومن قلت عنده فلن يرضى بمال مهما كثر، ولا بمركب مهما كان نوعه، ولا بطعام مهما أشبعه، ولا بشيء من أمور الدنيا، ولن يحصل هذا على السعادة، لأنه يُمنِّي نفسه أن يُصبح أعلى من الناس في كل شيء! ولن يحصل له هذا أبدا إلا بإذن الله.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٩) من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ١٣).

فعلى كل مسلم أن يحمد الله على الصحة والعافية، وعلى ما رُزق ويرضى بما قسم له، ويتذكر أنه مهما كان فقرُه فمن الناس من هو أفقر منه، ومهما كان مرضُه فمن الناس من هو أشد مرضا منه، وهذا كله عدل من الله وحكمة، فليحمد الله على كل حال.

وفي ختام هذه الذكرى - أيها الأحبة الكرام - أحببت أن أذكر لكم بعض ما جاء عن سلفنا الصالح (رحمهم الله) في الحث على التحلي بالقناعة والتحذير من الطمع، لعل الله بجوده وكرمه ينفع بها كاتبها وقارئها، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

فمنها:

قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن قوما طلبوا الغنى فحسبوا أنه في جمع المال، ألا وإنما الغنى في القناعة...)[١].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من قنع طاب عيشُه، ومن طمع طال طيشه)[٢].

وقال قائل: (الحرُّ عبدٌ ما طمع، والعبد حُرٌّ ما قنع)[٣].

وقال قائل: (أنت أخو العز ما التحفْتَ القناعة)[٤].

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٧٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٩).
(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ٢٠٦).

وقال الشاعر:

هي القناعة لا ترضى بها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن [١]

فالله أسأل أن يرزقنا وإياكم القناعة - أيها الأحبة - لننال السعادة في هذه الدنيا، وأن يجعل هذه الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣١٤).

عندما قست قلوبنا جَفَّتْ عيوننا

عندما قست قلوبنا جَفَّتْ دموعنا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كثير منا - أيها الأحبة - يسمع أو يقرأ ما جاء في فضل البكاء من خشية الله، سواء كان ذلك من الآيات القرآنية، كقوله تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحُق لكل من توسم بالعلم وحَصَّل منه شيئا، أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن، ويتواضع ويذل)[(١)].

أو من الأحاديث النبوية كقوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ: اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ**

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٤١).

خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى، وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها)[(٢)].

وقال ﷺ: «عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[(٣)].

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»: وهي مرتبة المجاهدين مع النفس التائبين عن المعصية، سواء كان عالما أو غير عالم، «وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ»: وفي رواية «تكلأ»: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: وهي مرتبة المجاهدين في العبادة وهي شاملة لأن تكون في الحج أو طلب العلم أو الجهاد أو العبادة، والأظهر أن المراد به الحارس للمجاهدين لحفظهم عن الكفار)[(٤)].

ولهذا كان ﷺ يبكي من خشية الله مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ

(١) رواه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١) واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٢٣).
(٣) رواه الترمذي (١٦٩٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) تحفة الأحوذي (٥/ ٢٢١).

رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ[(١)].

قال الحافظ العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : (لأنه تمثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه، والإيمان به وسؤاله الشفاعة لهم، ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن)[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وكان بكاؤه ﷺ تارة رحمة للميت، وتارة خوفًا على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية)[(٣)].

وسار على هديه في البكاء من خشية الله صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فقيل له: تُذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**» ، قال: وقال رسول ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إلا الْقَبْرُ أَفْظَعُ منه**»[(٤)].

وعن محسن بن موسى رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (كنت عديل سفيان الثوري إلى

---

(١) رواه البخاري (٤٣٠٦) ومسلم (٨٠٠) واللفظ له.

(٢) عمدة القاري (٢٠/ ٥٧). (٣) زاد المعاد (١/ ١٨٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

مكة فرأيته يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله بكاؤك هذا خوفا من الذنوب؟ قال: فأخذ عودا من المحمل فرمى به فقال: إن ذنوبي أهون عليَّ من هذا، ولكني أخاف أن أُسْلَبَ التوحيد)[١].

أيها الأحبة بعد أن عرفنا ذلك، ألم نسأل أنفسنا لماذا لا نبكي مثلهم من خشية الله؟ أين ذهبت دموعنا؟

والجواب واضح! قست قلوبنا فجفَّت دموعنا! وأولئك القوم لما صلحت قلوبهم ذرفت عيونهم، فالعين تتبع القلب، فإذا رق القلب دمعت العين وإذا فسد جفَّت العين.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومتى أُقْحِطَت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب، وأبعدُ القلوب من الله القلب القاسي)[٢].

لقد غلب علينا - أيها الكرام - اتباعُ شهوات الدنيا وملذاتها، وكثرت ذنوبنا ومعاصينا، ففسدت قلوبنا وقحطت أعيننا عن البكاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ**[٣]**، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ:**

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٨٦٥).
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٧٤٣).
(٣) نظف وصُفِّي. تحفة الأحوذي (٩/ ١٧٨).

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين :١٤]»[(١)].

قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : (الران والرَّيْن لغتان: وهو ما يَغْشَى القلب ويتخلله من ظلمة الذنوب)[(٢)].

إن المسلم - أيها الكرام - يستطيع أن تدمع عيناه عندما يَلِينُ قلبُه بإذن الله، وذلك بالقضاء على أسباب قسوته، بالتوبة النصوح من البدع والمعاصي، وأنواع المخالفات، وفي المقابل مدُّه بأسباب قوته من الإيمان وأنواع الطاعات، ثم حمايته بكثرة الاستغفار.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور :٣١].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا، ودل هذا، أن كل مؤمن، محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة)[(٣)].

وعليه أن يدعو الله جَلَّ جَلَالُهُ دائما أن يغرس في قلبه خوف الله وتعظيمه وتوقيره في السر والعلانية، فأكرمُ الأكرمين هو الذي أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة حيث قال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر :٦٠].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) غريب الحديث للخطابي (٣/ ٧١). (٣) تفسير السعدي (ص ٥٦٧).

ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإِجابة)[١].

وعليه أيضا أن يُكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى في كل وقت، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى. وذَكَر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: (أَذِبْه بالذكر)، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة، كما يذوب الرصاص في النار، فما أُذِيبتْ قسوة القلوب بمثل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ)[٢].

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم - أيها الأحبة- قلوبا خاشعةً وأعينًا دامعة، وأن لا نقول ولا نفعل إلا ما يرضيه عنا، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٣).

(٢) الوابل الصيب (ص ٩٩).

لماذا تتكبر أيها المخلوق؟!

١- التحذير من التكبر.

٢- فضل التواضع.

١- لماذا تتكبر أيها المخلوق؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما ينبغي العلم به - أيها الأحبة - أن أمراض القلوب أشد خطرًا وأعظم ضررًا من أمراض الأبدان، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم، ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور)[(١)].

ومن أمراض القلوب المقيتة التي تفتك بصاحبها وتؤدي به إلى الردى إذا تمكَّنَتْ منه، داء (الكبر).

ولقد أصاب هذا الداء العضال بعض ضعاف القلوب! فأدى بهم إلى احتقار غيرهم! والاستهزاء بهم، واستنقاصهم، فأدى ذلك إلى غرس العداوة والبغضاء بين المسلمين وشتت شملهم وفرق كلمتهم، والله المستعان.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١١١).

ألم يدرك هذا المتكبر! أن التفاضل عند الله إنما هو بالتقوى، لا بالنسب، ولا باللون، ولا بالمال، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] .

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة)(١) .

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، الاَ إِنَّ أَبَكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**»(٢) .

ألم يعلم هذا المتكبر بأن في فعله الشنيع هذا! منازعة لله جَلَّ جَلَالُهُ فيما هو متفرد به!! قال رسول الله ﷺ: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ : **الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(٣) .

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : (معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل)(٤) .

ألم يدرك كل متكبر أنه بعيد عن الخيرات قريب إلى لمنكرات!

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٤٠).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٠٠) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).
(٣) رواه أبو داود (٤٠٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٤) معالم السنن (٤/ ١٩٦).

وأن الله حَرَّمَ الجنة على من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال النبيُّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق... (لا يدخل الجنة) - أي -: دون مجازاة إن جازاه، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولا، وإما ثانيا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة)(٢).

ألم يسمع المتكبر! وصية لقمان لابنه وهو يعظه بالبعد عن هذا الداء المهلك كما جاء على لسانه في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على الناس)(٣).

لقد كان الأحرى بمن أصيب بهذا الداء! أن يعتبر بقصص من سبقه من المستكبرين، وينظر ماذا فعل الله بهم، فهذا قارون آتاه الله مالا كثيرا فبدل أن يشكر الله، كفر بنعمة الله، فطغى وتكبر وأعرض عن المؤمنين، فخسف الله به وبداره الأرض، وتركه عبرة لمن جاء بعده، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن

(١) رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ٩١). (٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٥٨).

دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص :٨١] .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو ما اغتر به، من داره، وأثاثه، ومتاعه)[(١)] .

وقال ﷺ : «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ**[(٢)] **فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[(٣)] .

فما أقبح التكبر -أيها الأحبة- من كل أحد خاصة من الضعفاء والفقراء.

قال ﷺ : «**ثلاثةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم الله يوم القيامة، ولا يُزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[(٤)] .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (العائل الفقير، قد عدم المال وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء الثروةُ في الدنيا، لكونه ظاهرا فيها، وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها، فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟!، فلم يَبْقَ فعلُه وفعل الشيخ الزاني والإمام الكاذب إلا لضربٍ من الاستخفاف بحق الله تعالى، والله أعلم)[(٥)] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٤).

(٢) يتحرك وينزل مضطربا. الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ٦٤).

(٣) رواه البخاري (٥٤٥٢) ومسلم (٢٠٨٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) رواه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ١١٧).

فعلى كل مَنْ أُصِيب بهذا المرض أن يبادر بعلاجه قبل أن يصبح ملازما له، وذلك بالتوبة لله سبحانه، فأبوابها ولله الحمد مفتوحة، وعليه أن يُذَكِّرَ نفسه بأصلها، فإن أوله نطفة! وآخرة جيفة!، فلماذا يتكبر؟! وبأي شيء يفتخر؟!

وليحذر كل الحذر من أن يردَّ الحق، «**لأن الكبر بَطَرُ الحق**[(١)]، **وغَمْطُ الناس**»[(٢)] كما قال ﷺ[(٣)].

لأن في رده للحق الذي جاء في الكتاب والسنة، تكبُّرًا على من شرَّعه وهو الباري ﷻ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصَغَّرَه وحَقَّرَه ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه فإنما تكبره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله وتكبر عليه والله أعلم)[(٤)].

فما اسْتُجْلِبَت البغضاء والشحناء بمثل الكبر أيها الأحبة، وما اكتسبت المحبة بمثل التواضع، فما معنى التواضع؟ وما هي ثمراته في الدنيا والآخرة؟ هذا ما سنجيبكم عنه بعون الله، سائلين الله بأسمائه

---

(١) دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٩٠).
(٢) أي احتقارهم. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٩٠).
(٣) رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٣).

الحسنى وصفاته العليا أن يجنبنا وإياكم - أيها الكرام - الكبر والغرور وسائر مساوئ الأخلاق، وأن يرزقنا التواضع وحب الخير للناس، وسائر محاسن الأخلاق، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن

٢- هكذا ينبغي أن يكون المؤمن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن على المؤمن - أيها الأحبة - أن يعيش بين إخوانه متواضعا هينًا لينًا، لا يرى نفسه أفضلَ منهم مهما بلغت منزلته وعلت درجته، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أَشِرين ولا مَرِحين ولا متكبرين)[(١)].

محققا بتواضعه أمر سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي قال: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فنهى سبحانه على لسان

---

(١) تفسير البغوي (٣ / ٣٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥) عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رسوله ﷺ عن نوعي الاستطالة على الخلق وهي: الفخر والبغي، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى، فلا يحل لا هذا ولا هذا)[١].

عالما بأن تواضعه هذا ليس فيه مذلة ولا مهانة، بل يزيده رفعةً عند الله ومحبةً صادقة في قلوب الخلق، إذا كان راجيا بتحقيقه هذا الخلق الكريم وَجْهَ الله ﷻ، لا التقرب من الناس وكسب ودِّهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ**»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: «(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ» فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا)[٣].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (وفي قوله ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ**» تنبيه على حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه، لأن كثيرا من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٦٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٤٢).

الناس قد يظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه، وقد يظهر التواضع رياء وسمعة، وكل هذه أغراض فاسدة، لا ينفع العبدَ إلا التواضعُ لله تقربا إليه، وطلبا لثوابه، وإحسانا إلى الخلق، فكمال الإحسان وروحه الإخلاص لله)[١].

إن مما يتميز به المتواضع - أيها الكرام - أننا نجده دائما متحريا للحق، منقادا له، لا ينظر لقائله.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : (التواضع أن تخضع للحق، وتنقادَ له، ولو سمعتَه من صبي قبلتَهُ منه، ولو سمعتَه من أجهل الناس قبلتَه منه)[٢].

أيها الأحبة: إن التواضع خلق الأنبياء والمرسلين ومن سار على هديهم من الصالحين، فهذا نبينا ﷺ كان من أشد الناس تواضعا وأكثرهم رفقا بالآخرين مع مكانته الرفيعة ودرجته العالية، فهو سيد ولد آدم أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فكان في بيته متواضعا مع أهله، محسنا في معاملتهم، خادما لهم، فعن الأسود بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: (كان يكون في مهنة أهله[٣] فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[٤].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٣٢).

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (٨٨).

(٣) أي في خدمة أهله.

(٤) رواه البخاري (٦٤٤).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ : هذا من فعله عَلَيْهِ السَّلَامُ على سبيل التواضع وليَسُنَّ لأمته ذلك، فمن السنة أن يمتهن الإنسان نفسه في بيته فيما يحتاج إليه من أمر دنياه، وما يعينه على دينه، وليس الترفه في هذا بمحمود، ولا من سبيل الصالحين، وإنما ذلك من سير الأعاجم)[١].

وكان ﷺ سهلا، لين الجانب مع الناس أجمعين، يُعين من طلب منه العون، ويُلبِّي دعوة من دعاه حتى وإن كان فقيرا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ، أو كُرَاعٍ**[٢] **لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**»[٣].

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : وفي هذا الحديث: دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية وإن كانت قليلة، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعوه إليه قليل)[٤].

بل تواضعه ﷺ ورفقه كان حتى مع الصغار حيث كان إذا مر بهم يبادرهم بالسلام، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أتى رسول الله ﷺ على غِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عليهم)[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧ / ٥٤٢).
(٢) قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ : الكراع: كراع كل شيء طرفُه.
(٣) رواه البخاري (٢٤٢٩). (٤) عمدة القاري (٢٠/ ١٦١).
(٥) رواه أبو داود (٥٢٠٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

فعلينا - أيها الأفاضل - أن نتواضع لمن هم أكبر منا فنوقرهم، لأنهم بمنزلة آبائنا، ونعطف على من هم أصغر منا لأنهم بمرتبة أبنائنا، ونحترم نظراءنا لأنهم بمكانة إخواننا.

ولنتذكر ما لهذا الخلق الجميل من أجر عظيم عند الله الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص :٨٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدارُ الآخرة، وحالهم التواضعُ لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى)[(١)].

فما أقرب المتواضع - أيها الأحبة - من الخيرات، وما أبعده عن المنكرات، وما أروع هذا الخلق الكريم من كل أحد، خاصة من الأغنياء.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم التواضع ولين الجانب مع المسلمين، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٥).

أتدرون ما المفلس؟

أتدرون ما المفلس؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن التعدي على العباد وأخذ حقوقهم بغير حق - حتى وإن كانوا كفارا - أمره عظيم عند الله ﷻ، فعلينا أن لا نستهين بذلك ولو كان شيئا يسيرا.

أيها الأحبة: إن للظلم مرارة وشدة على النفس يَشعر بها المظلوم، ولذلك حرمه ربنا ﷻ على نفسه، وجعله بين الخلائق مُحَرمًا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا...**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحدٌ أحدًا، وأمرُ العالَم في الشريعة مبنيٌّ على هذا، وهو: العدل في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض)[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦٧).

أيها الكرام: إن الظالم لما أعجبته نفسه وطغى عليه حب الذات استحقر غيره وأخذته العزة بالإثم، فنراه إذا أخطأ لا يُقر بخطئه، وإذا اسْتُنصح لا يقبل النصيحة، والله المستعان.

ونسي هذا الضعيف! أن ظلمه للناس وبال عليه في الدنيا وخزي وندامة يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة)(١).

فالظالم مُتَوَعَّدٌ في هذه الدار الفانية بالعقاب، فإن أمهله الله جَلَّ جَلَالُهُ ولم يؤاخذه مباشرة بجريرته، فإنه سبحانه لن يُهمله بل سيأخذه أخذ عزيز مقتدر إذا لم يبادر بالتوبة إلى الله وذلك بالرجوع عن ظلمه والاستغفار عمّا فعله.

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢](٢).

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه تسلية للمظلوم، ووعيد للظالم، وأنه لا يغتر بالإمهال فإنه ليس بإهمال)(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤٤٠٩) ومسلم (٢٥٨٣) واللفظ له.

(٣) فيض القدير (٢/ ٤).

فلا يَحسب الظالم أن الله يخفى عليه ما يفعل أو هو غافل عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم :٤٢] .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (حيث أمهلهم، وأَدَرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفلته)[(١)] .

هذا جزاؤه في الدنيا، أما في الآخرة فعقابه أشد، وظلمه ظُلمةٌ عليه ووبال، نسأل الله العافية.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَة**»[(٢)] .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لنظر في العواقب، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي اكتسبوه في الدنيا من التقوى ظهرت ظلمات الظالم فاكتنفته)[(٣)] .

فيا أيها الظالم: تذكر أن ظلمك وتعديك على الناس بأكل حقوقهم والكلام في أعراضهم سيؤدي بك إلى الإفلاس يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فلن تجد ما ينفعك

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٢٧).

(٢) رواه البخاري (٢٣١٥) ومسلم (٢٥٧٩) واللفظ له.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٥٦٠).

بعد أن وُزِّعت حسناتك التي جَنَيْتَها في الدنيا على من ظلمتهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما من ليس له مال ومن قَلَّ مالهُ فالناس يسمونه مفلسا! وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المُقطِع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فَوُضِع عليه ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه)[(٢)].

فيا أيها المخلوق، اتقِ الله في نفسك وفي غيرك واحذر من ظلم الناس، واتق دعوتهم، وإن كانوا فجارًا، فإنها مستجابة ولو بعد حين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٣٣٨٢).

فإن كنت قد ظلمت الخلق فبادر بالتخلص من خطيئتك والتوبة منها في الدنيا قبل أن يُقتص منك يوم القيامة ويؤخذ من حسناتك، والله المستعان.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لاِخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**»(١).

فالله أسأل - أيها الأحبة - أن يعيذنا وإياكم من ظلم الناس والتعدي عليهم، وأن يرزقنا العدل والإنصاف في أمورنا كلها فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٦١٦٩).

أين نحن مِنْ تَذَكُّرِ هذا؟

أين نحن من تَذَكُّرِ هذا؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد كتبَ الحيُّ الذي لا يموت قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة الموتَ على كل أحد، والفناءَ على هذه الدنيا، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها وأنها متاع الغرور تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومُنْتَقَلٌ عنها إلى دار القرار التي تُوَفَّى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار من خير وشر)[(١)].

فكل مخلوق مهما طال عمره وامتد أجله، فالموت نازل بساحته، والفناء لاحِقٌ به، ولو جعل الله البقاء لأحد لكان لأنبيائه المطهرين وعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٥٩).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ، فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين. ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تُعَادُ عليهم الخصومة في الدار الآخرة)[(١)] .

أيها الأحبة الكرام إن الموت لا يخشى أحدا ولا يُبقي على أحد، ولا يُفرق بين أحد، لا يعرف صديقا، ولا يميز بين كبير ولا صغير، ولا صحيح ولا سقيم، فكلهم لكأسه شارب ولو طال بهم المدى وعمَّروا سنين طُوالا .

فلا محيص عن الموت ولا مفر لنا منه، يُلاحقنا في أي مكان كنا، في البر أو البحر أو الجو ولو تحصَّنا منه وبذلنا الجهد في ذلك، قال جل وعلا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] .

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإن الموت بإزائكم أين كنتم، وواصل إلى أنفسكم حيث كنتم ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة)[(٢)] .

فلا مرد للموت الواقع من دافع، ولا ينفع في تأخيره شافع، يحاول

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣) .
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٧٢) .

الإنسان أن يبتعد عنه ويهرب منه، لكنه ملاقيه لا محالة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة :٨] .

أيها الأفاضل: عندما تركنا ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات تعلقنا بشهوات هذه الدنيا الفانية وفرِحنا بزخرفها، فلم نستعد للموت لاغترارنا بصحتنا وفَرِحنا بشبابنا، والله المستعان.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون مستعدًّا، ولا يغترَّ بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان)(١).

فلو كان الموت نهاية المطاف أيها الكرام لكان الأمر علينا يسيرًا، لكن يعقبه فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، فإما نعيم بعدها دائم أو عذاب أليم، والله الحافظ.

فهذا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الخلفاء الراشدين المهديين والعشرة المبشرين بجنة رب العالمين، كان إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رَأيتُ مَنْظرًا قَطُّ إلا القبرُ أفظعُ منه**»(٢).

---

(١) صيد الخاطر (ص ٦٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وإنما كان فظيعا لأنه بيت الدود والوحدة والغربة)[١] .

وصدق من قال :

فلو أنَّا إذَا مُتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ
وَلَكِنَّا إذَا مُتْنَا بُعِثْنَا ... وَنُسْالُ بعد ذا عن كُلِّ شَيِّ[٢]

فعلينا أن نستعد - أيها الأحبة - لِسَكَنِ القبور ونتزود ليوم النشور، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

يا من رزقه الله مالا! استعن به على طاعة الله والإنفاق في وجوه الخيرات لإرضاء رب البريات .

ويا من رزقهم الله أبناء! هذه أمانة استرعاك الله عليها، فواجبٌ عليك أن تُرَبِّيَهم على التمسك بتعاليم الدين وحب هدي خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ويا من ولاك الله على خلقه ورزقك المناصب! اتق الله فيما استخلفك واعلم أنك يوم القيامة ستسأل عما كان بين يديك، فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة، والثمن موجود والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع

---

(١) فيض القدير (٥/ ٤٤٦).
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٤٧).

يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن :٩] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان :٢٧])[١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يرزقنا حسن الخاتمة، وأن يقبل منا أعمالنا الصالحة التي هي سبب للنجاة من العقاب بعد رحمة الله الوهاب، فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الفوائد (ص ٤٩).

هؤلاء هم الغرباء

هؤلاء هم الغرباء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن على المسلم - أيها الأحبة - أن يعيش في هذه الدنيا الفانية غريبا بين أهلها، لأنه لم يُخلق من أجلها ولن يستقر فيها بل هي جسره للآخرة، وما زَرَع فيها سيحصده يوم القيامة بإذن الله تعالى.

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبِي فقال: «**كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ**»(١).

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: («**كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ**» أي: عش بباطنك عيش الغريب عن وطنه بخروجك عن أوطان عاداتها ومألوفاتها، بالزهد في الدنيا، والتزود منها للآخرة فإنها الوطن، أي: أن الآخرة هي دار القرار، كما أن الغريب حيث حَلَّ نازعٌ لوطنه، ومهما نال من الطرف أعدَّها لوطنه، وكلما قرب مرحلةً سرَّه، وإن تعوق ساعة ساءه، فلا يتخذ في سفره المساكن والأصدقاء، بل يجتزئ بالقليل قدر ما يقطع به مسافة عبوره)(٢).

(١) رواه البخاري (٦٠٥٣).
(٢) فيض القدير (٥/ ٥١).

والمؤمن المتمسك بدينه، المتبع لسنة نبيه ﷺ في هذه الدنيا أشد غربة، وأكثر وحشةً، فهو غريب بين المتمسكين بالبدع والشبهات! وحيد بين الساعين للملذات والشهوات. ومصداق ذلك قول النبي ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»(١).

قال التوربشتي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يريد أن الإسلام لما بدأ في أول الوهلة نهض بإقامته والذب عنه ناس قليلون من الصحابة فشردوهم عن البلاد فأصبحوا غرباء، أو فيصبح أحدهم معتزلاً مهجورًا كالغرباء ثم يعود آخرًا إلى ما كان عليه لا يكاد يوجد من القائلين به إلا الإفراد)(٢).

لكن بتوفيق الله للمؤمن، ثم بعقيدته الراسخة ومنهجه القويم لا يتأثر بهؤلاء!، بل يقينه قوي وهمته عالية لإصلاح ما أفسد هؤلاء من أمور الدين والدنيا.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون، المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدًّا سُمُّوا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا فلا غربة عليهم)(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٦١).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٩٥).

أيها الأفاضل: لقد أدرك سلفنا الصالح - رحمهم الله - معنى غربة أهل الحق وقلتهم، فأوصوا المتمسكين به سؤال الله الثبات عليه وبذل الأسباب لتحقيق ذلك، ونصرة بعضهم بعضا والتعاون فيما بينهم.

يقول الإمام سفيان الثوري (١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء)[(١)].

وقال الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ لأصحابه: من تعدون الغريب عندكم، وفي زمانكم؟ فقال رجل: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، فقال إبراهيم: (الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين إن أمر بالمعروف آزروه وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى سبب من الدنيا أعطوه ثم ماتوا وتركوه في غربته يعاني مع الهمج الرعاة)[(٢)].

أيها الأحبة: إن غربة المؤمن وقلة معاونيه أمر قد كتبه الله قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ابتلاءً لعباده المؤمنين، وليميز بذلك الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: ما كان في حكمة الله أن يترك

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤٩).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/ ٣٦).

المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التمييز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق والصادق من الكاذب، ولم يكن في حكمته أيضا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم، فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين ومؤمنين ومنافقين ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه)[(١)].

فعلى المؤمن المتمسك بعقيدته السليمة ومنهجه القويم أيها الكرام أن لا يَحزَن من قلة السالكين على طريقه، ولا يغتر بكثرة مخالفيه ويَتذكر دائما أن الحق لا يُعْرَف بالكثرة.

قال الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين)[(٢)].

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددا، والناسُ على خلافهم، فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددا)[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٥٨).
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧).

فعليك يا من وفقك الله لاتباع الحق، ويَسَّرَ لك معرفة الصراط المستقيم، والسير عليه، وجَنَّبَك مضلات الفتن والأهواء أن تحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وتعلم أنك سلكت طريقا ليس مفروشا بالورود بل لابد من أنك سَتُؤْذَى كما أُوذِي مَنْ كان قبلك من الأنبياء والصالحين، لكن أبشر بعاقبة صبرك وتحملك للأذى بإذن الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فَرَّ منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة :٤٩]، ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله كما فعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره من الأنبياء والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حُزْنًا وثُبورًا)[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينصر الحق وأهله في كل مكان، وأن يثبت من سار عليه، ويرفع قدرهم في الدارين، ويجزيهم خير الجزاء على ثباتهم وعدم اغترارهم بالباطل، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٢).

النصيحة

1- هكذا ينبغي للناصح أن يكون.

هذا ما يجب على المنصوح.

١- هكذا ينبغي للناصح أن يكون

١- هكذا ينبغي للناصح أن يكون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من حق المسلم على أخيه أن لا يبخل عليه بالنصح والإرشاد، وحَثَّه على ما ينفعه وتحذيرَه مما يضره في دنياه وآخرته.

فالمؤمن يحب لغيره ما يحب لنفسه، فإن رأى خللاً أو خطأ أو نقصا من أخيه، سعى واجتهد في سده وجبره، محتسبا في ذلك الأجر، راجيا وجه الله والجنة، ممتثلا قول نبينا ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام)[(٢)].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى

---

(١) رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ٣٧).

عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسَدّ خَلاّتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتَخَوُّلُهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل)[١].

ويتأكد النصح على المؤمن إذا طُلب منه ذلك، قال ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: إذا استشارك في عمل من الأعمال: هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تُحب لنفسك، فإن كان العمل نافعا من كل وجه فَحُثَّه على فعله، وإن كان مُضِرًّا فَحَذِّرْه منه، وإن احتوى على نفع وضرر فاشرح له ذلك ووازن بين المنافع والمضارّ، والمصالح والمفاسد، وكذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو تزويجه أو التزوج منه فابذل له محض نصيحتك، واعمل له من الرأي ما تعمله لنفسك، وإياك أن تغشه في شيء من ذلك، فمن غش المسلمين فليس منهم، وقد ترك واجب النصيحة)[٣].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٩).

(٢) رواه مسلم (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) بهجة قلوب الأبرار (ص١١٤).

أيها الأحبة: إن بذل النصح للخلق والحرص على إرشادهم إلى ما فيه صلاحهم من أفضل أنواع العبادة، لهذا كانت هذه الوظيفة من عمل الأنبياء وسبيل الأصفياء ووسيلة الأتقياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن أعظم ما عُبِدَ اللهُ به: نصيحةُ خلقه)[١].

ولقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله)[٢].

فلما كانت هذه الوظيفة بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة العالية، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية، لتثمر بإذن الله نصيحتُه وتنتشر بين الناس دعوتُه، فمما يجب عليه:

أولا: أن يخلص لله في نصحه، ويَحْذَر من الرياء والعجب الذي يجره لاحتقار المنصوح، وليتذكر قول النبي ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»[٣].

ثانيا: أن يتحلى بالرفق واللين مع من يريد أن يرشده إلى الخير ويدله على ما ينفعه، وليكن نُصْبَ عينيه قولُ النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥).
(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا (ص٧٢).
(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (لأن به تسهل الأمور وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرما أن يترفق في إرشاده ويتلطف به)[١] .

ثالثا: أن يُناصح في السر، لأن قبول إرشاده في تلك الحالة أرجى بعون الله، ولهذا كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - لا يُبدون النصيحة علانية بل يجعلونها بينهم وبين المنصوح، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرا)[٢] .

بل أن الجهر بالنصيحة وإظهارها دون مصلحة، عندهم من الفضح والتعيير، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : (من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه)[٣] .

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعير)[٤] .

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح، وهو أن النصح يقترن به الستر، والتعيير يقترن به الإعلان)[٥] .

---

(١) فيض القدير (٥ / ٤٦١) .
(٢) جامع العلوم والحكم (ص٨٢) .
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٤٠) .
(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص٨٢) .
(٥) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب (ص٣٦) .

رابعا: أن يختار الوقت المناسب بحيث يتجنب حال غضب المنصوح أو انشغال ذهنه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفترة وإدبارًا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها)(١).

فهذه أهم الأسباب التي ينبغي أن تتوفر في كل من رفع راية نصح الآخرين وإرشادهم لما فيه نفعهم، لكن قبل ذلك عليه أن يعتقد أن التوفيق لقبول الحق من الله، وما هو إلا سبب من أسباب الهداية، فلا يحزن ولا يغضب ولا ينتصر لنفسه إذا رُدَّ قوله ولم تُقبل نصيحته، بل عليه أن يحمد الله إذا قُبلت نصيحته، ويسأله سبحانه الهداية للمنصوح إذا رَدَّ نصيحته.

أيها الأحباب: كما أن لرافع راية النصح آدابًا وأخلاقًا ينبغي أن يتحلى بها، فكذلك على المنصوح خصال يجب أن يتصف بها.

فما الذي ينبغي على المنصوح تجاه الناصح والنصيحة؟ وما هي الأسباب التي تعينه على قبول الحق بإذن الله؟ هذا ما سنجيبكم عنه في المقال التالي بإذن الله الكبير المتعال، سائلا الباري جل جلاله أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، دالين على الحق مقبلين عليه، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣٤).

٢- هذا ما يجب على المنصوح

٢- هذا ما يجب على المنصوح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تقدم معنا - أيها الأحبة - أن على حامل راية النصح التحلي بصفات أساسية وأخلاق ضرورية كالإخلاص لله ﷻ، والرفق بالمنصوح وأن تكون النصيحة في السر إلا إذا دعت المصلحة إلى غير ذلك، مع اختيار الوقت المناسب لها حتى تقبل نصيحته وتثمر بإذن الله دعوته.

لكن لابد أن نعلم أيضًا أن على المنصوح الاتصاف بآداب رفيعة وأخلاق حميدة عند سماعه للنصيحة، حتى ينتفع بها وتؤثر فيه بإذن الله، فمن ذلك:

١- أن يعلم أنه عبد ضعيف تعتريه النقائص والعيوب كباقي إخوانه، فلا يرى نفسه أنه أفضل منهم مهما بلغت منزلته وعلت درجته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فنهى سبحانه على لسان رسوله ﷺ عن نوعي الاستطالة على الخلق وهي الفخر والبغي لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر وإن كان بغير حق فقد بغى فلا

يحل لا هذا ولا هذا)[١].

٢- أن يحمد الله على أن يَسَّرَ له من يدله على فعل الخيرات والازدياد من الطاعات، ويُحَذره من اجتناب سائر المنكرات، ومِنْ حَمْدِه سبحانه شُكْرُ من أدلى إليه النصح والإرشاد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ الله**»[٢].

قال القاضي ابن العربي رحمه الله: (وأصل النعم من الله، والخلقُ كله على اختلاف أنواعه وسائط وأسباب...، فالحمد خبر عن جلاله والشكر خبر عن إنعامه وأفضاله لكنه أذن سبحانه في شكر الناس لما في ذلك من تأثير المحبة والألفة والتحريض على إسداء النعمة)[٣].

ومن شكر الناصح - أيها الكرام - الإحسان إليه ومكافأته على نصحه بتقديم له ما يدخل السرور على قلبه، فإن ذلك من أسباب زيادة المحبة وتقوية الأخوة في الله، وإذا لم يكون عند المنصوح ما يقدمه فعليه أن يكثر من الدعاء له في ظهر الغيب.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إليكم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فإن لم تَجِدوا ما تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا له حتى تروا أنكم قد كَافَأْتُمُوهُ**»[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٦٤).
(٢) رواه الترمذي (١٩٥٤) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٣) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٨/ ١٣٣).
(٤) رواه أبو داود (١٦٧٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

٣- أن يرجع إلى الحق بعد أن أُرشد إليه وبُين له، ولا يتمادى في الباطل، فالرجوع إلى الحق فضيلة والتمسك بالباطل رذيلة، وليحذر أن يكون ممن قال الله فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة :٢٠٦] .

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (أي إذا وُعِظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق، امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم)(١) .

أيها الأحبة الكرام: إن لعدم قبول الحق واتباعه أسبابًا ينبغي على كل مؤمن أن يعلمها ليتجنبها ويحذر إخوانه منها، حتى يَكثر الخير ويعمَّ النفع بين الناس بإذن الله، ولقد اعتنى الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر أهم هذه الأسباب، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ : (والأسباب المانعةُ من قَبُولِ الحق كثيرة جدا، فمنها:

١- الجهل به: وهذا السَّبَبُ هو: الغالب على أكثر النفوس، فإن من جَهِلَ شيئا عاداه وعادى أَهْلَهُ، فإن انْضَافَ إلى هذا السبب بُغْضُ من أمره بالحق ومعاداتُه له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انْضَافَ إلى ذلك إِلْفُهُ وَعَادَتُهُ وَمُرَبَّاهُ على ما كان عليه آبَاؤُهُ ومن يُحِبُّهُ ويُعظمُهُ قَوِيَ المانع، فإن انضاف إلى ذلك تَوَهُّمُهُ أَنَّ الحق الذي دُعِيَ إليه يَحُولُ بَيْنَهُ وبين جاهه وعزِّه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جدًّا.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٨).

فإن انضاف إلى ذلك خَوْفُهُ من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ﷺ ازداد المانع من قبول الحق قوةً، فإن هرقل عَرَفَ الحقَّ وَهَمَّ بالدخول في الإسلام فلم يُطَاوِعْهُ قومه وخَافَهُمْ عَلَى نفسه، فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى. . .) .

ثم قال أيضا: (ومن أعظم هذه الأسباب الحسد: فإنه داء كَامِنٌ في النفس ويرى الحاسدُ المحسودَ قد فُضِّل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يَدَعُهُ الحسدُ أن ينقاد له، ويكون من أتباعه وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فُضِّل عليه، ورُفع فوقه غُصَّ بِرِيقِهِ واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علما لا شك فيه أنه عليه السلام رسول الله جاء بالبينات والهدى فحَمَلَهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة لم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم وإنما أتي بتحليل بعض ما حَرَّم عليهم تخفيفا ورحمة وإحسانا وجاء مكملا لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مُبَكِّتًا لهم بقبائحهم، ومناديا على فضائحهم ومُخرجا لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كُلِّهِ يُنْصَرُ عليهم، وَيَظْفَرُ بهم، ويعلو هو وأصحابُهُ وهم معه دائما فِي سَفَالٍ، فكيف لا يَمْلِكُ الحسدُ والبغي

قُلُوبَهُمْ؟! . . . ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلم يزل في الناس من يختار الباطل، فمنهم من يختاره جهلاً وتقليدًا لمن يُحْسِن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبرًا وعلوًّا، ومنهم من يختاره طمعًا ورغبة في مأكل أو جاه أو رياسة، ومنهم من يختاره حسدًا وبغيًا، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقًا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودَعَة)[١].

فعلينا - أيها الأحبة - الأفاضل جميعًا أن نَجْتنب هذه الأسباب المانعة من قبول الحق واتباعه.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم محاسن الأخلاق ويجنبنا مساوئها، ويوفقنا دائما لاتباع الحق وقبوله، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٤٦).

هكذا نخشع في صلاتنا

هكذا نخشع في صلاتنا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قد جعل الله ﷻ الصلاة الزاد اليومي للمؤمنين، وقرة عين العابدين وملاذ الطائعين، بها تطمئن القلوب وتستريح النفوس، قال ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(١).

قال ابن الأثير رحمه الله: (أَذِّن بالصلاة نسترح بأدائها من شغل القلب بها)(٢).

وعن أنس رضي الله عنه **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٣).

قال الحافظ المناوي رحمه الله: (لأنه كان حالة كونه فيها مجموع الهم على مطالعة جلال الله وصفاته فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه)(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث رجل من خزاعة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٧٤).

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٤) فيض القدير (٣/ ٣٤٨).

إن المؤمن - أيها الأحبة - يفرح لإقبال المسلمين على بيوت رب العالمين، لأداء هذه الفريضة التي هي من أعظم شعائر الإسلام وركن من أركانه المتينة، لكن علينا جميعا أن نتساءل؟ هل حققنا ثمرة هذه العبادة مع كثرة ما نؤدي من الفرائض والنوافل؟!

أيها الأفاضل: قد غاب على كثير منا مقصود الصلاة وروحها بسبب فقداننا لأمر مهم متعلق بها ألا وهو الخشوع أثناء أدائها، مع أن الشارع الحكيم قد حثنا عليه في الصلاة ورغب فيه، وأخبر أنه أفلح ونجح من وفقه الله إليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (والخشوع في الصلاة هو: حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرًا لقربه، فيسكن لذلك قلبه وتطمئن نفسه وتسكن حركاته ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أول صلاته إلى آخرها فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة والمقصود منها وهو الذي يُكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزية مُثَابًا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها)[1].

فلماذا أيها الأفاضل لم نعد نطمأن ونشعر بالسكينة والطمأنينة في صلاتنا؟!

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٤٦).

والجواب: لأننا فرطنا ولم نحقق الأسباب المعينة على ذلك!

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرة عين)[(١)].

فعلينا - أيها الكرام - بعد سؤالنا الباري سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتحقيق الخشوع أن نبذل الأسباب التي تعيننا على ذلك، ومن أهمها:

١- الإخلاص لله جَلَّ جَلَالُهُ في كل العبادات ومن أعظمها الصلاة، فهو مفتاح كل خير ومغلاق كل شر.

٢- متابعة النبي ﷺ والاقتداء بهديه، ومن ذلك معرفة كيف كانت صفة صلاته، ثم تطبيقها كما جاءت عنه ﷺ، لقوله ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠])[(٣)].

٣- استحضار عظمة من نقف أمامه ألا وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولنصلي

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤).

صلاة مودع، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علِّمني وَأوجِزْ؟ قال: «**إذا قُمْتَ في صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ . . .**»(١).

قال الحافظ المناوي رحمه الله: (أي صلاة من لا يرجع إليها أبدا. وذلك أن المصلي سائر إلى الله بقلبه فيودع هواه ودنياه وكل ما سواه)(٢).

٤- مدافعة وسوسة الشيطان وتلبيسه في الصلاة بالعلاج النبوي، فعن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إِنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُهَا عليَّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ له: خَنْزَبٌ فإذا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ منه، وَاتْفِلْ على يَسَارِكَ ثَلَاثًا**»، قال عثمان رضي الله عنه: فَفَعَلْتُ ذلك فَأَذْهَبَهُ الله عَنِّي(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: (وفى هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثا)(٤).

٥- قراءة تراجم السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم للوقوف على مدى اهتمامهم بالصلاة وكيف كان حالهم أثناء أدائها.

فهذه أهم الأسباب - أيها الأحبة الكرام - التي تعيننا بإذن الله على

---

(١) رواه ابن ماجة (٤١٧١) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٢٢).
(٣) رواه مسلم (٢٢٠٣).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٩٠).

الخشوع في صلاتنا، فعلينا - زادكم الله حرصا - أن نحرص على تحقيقها لنتلذذ بهذه العبادة العظيمة وتطمئن قلوبنا عند أدائها وتسكن جوارحنا عند القيام بها.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم الخشوع والسكينة في الصلاة، وأن يتقبل منا سائر عباداتنا، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أروع هذا الخُلُقَ في المؤمن

ما أروع هذا الخُلُقَ الكريم في المؤمن!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما يتميز به المؤمن عن غيره من الناس تحليه بالمكارم الجميلة والآداب الرفيعة، وهذه الأخلاق الفاضلة التي وفقه الله للاتصاف بها قد تكون جبلية فيه أو قد يكتسبها ببذله للأسباب المعينة على تحصيلها وذلك بغرس الفضائل في النفوس وسقيها بماء النصح، وإن كان الخلق الجبلي أفضل من المكتسب.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعا وتكون تطبُّعًا، ولكن - بلا شك - الطبع أحسن من التطبع، لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعيا صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلى تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حرم هذا - أي الخلق عن سبيل الطبع -فإنه يمكنه أن يناله عن سبيل التطبع، وذلك بالمرونة والممارسة)[١].

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص١٣).

وإن من أرقى الخصال وأرفعها أيها الأحبة الكرام خلقا يحبه الله، ورسوله وكل المؤمنين ألا وهو (الحلم).

قال نبينا ﷺ لأشَجَّ عبد القيس رضي الله عنه: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ**»، قال: يا رسول الله، أهما خلقان تَخَلَّقْتُ بهما أم جَبَلَنِي اللهُ عَلَيْهِمَا؟ قال: «**بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيْهِمَا**» فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[(١)].

كيف لا يحب الله جل وعلا خلق الحلم؟! ومن أسمائه الكريمة اسم الحليم ومن صفاته العظيمة صفة الحلم، فحلمه سبحانه كامل ليس كحلم المخلوقين، حيث وسع جميع مخلوقاته، ووسع الكافر والفاسق، حيث أمهلهم ليتوبوا ولم يُعاجلهم بالعقوبة مع أنه جل جلاله قادر عليهم، لو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم)[(٢)].

إن من رزقه الله جل جلاله هذا الخلق الكريم فقد فاز بحظ عظيم من رب رحيم، وكان قدوتَه في ذلك الأنبياءُ والصحابة والصالحون، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٩٠).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء والاستغفار والإنابة إلى ربه ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: ذو رحمة بالخَلْق وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وهو يقول له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم :٤٧] ، فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء)[(١)] .

ولقد كان نبينا ﷺ من أحلم الناس وأحسنهم أخلاقا، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنت أمْشِي مع النبي ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جذبةً شَدِيدَةً حتى نظرت إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النبي ﷺ قد أثَّرَتْ به حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ من شدَّة جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتَفت إليه فَضَحِكَ ثم أمر له بعطاء)[(٢)] .

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفيه: لطف رسول الله ﷺ وحلمه وكرمه، وأنه لعلى خلق عظيم)[(٣)] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (فانظر إلى هذا الخلق الرفيع؛ لم يوبِّخه النبي ﷺ، ولم يضربه، ولم يكْهَر- أي لم ينتهره برفع الصوت عليه - في وجهه، ولم يعبس؛ بل ضحك ﷺ ومع هذا أمر له بعطاء، ونحن لو أن أحدًا فعل بنا هذا الفعل ما أقررناه عليه؛ بل لقاتلناه، وأما

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٥٣).

(٢) رواه البخاري (٥٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٧٥).

(٣) عمدة القاري (١٥/ ٧٣).

الرسول ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ، فإنه التفت إليه وضحك إليه، وأعطاه العطاء، وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو)[١].

وكذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم من بعده، وممن كان يُضرب المثل بحلمه وعفوه عن الناس، معاوية رضي الله عنه ، ومما يروى عنه رضي الله عنه أن رجلا أسمعه كلاما سيئا شديدا، فقيل لمعاوية رضي الله عنه : لو سطوت عليه، فقال: (إنِّي لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي)[٢].

وكذلك ممن كان يضرب به المثل في الحلم والسؤدد الأحنف بن قيس التميمي رحمه الله (٧٢ هـ)، فمما يروى عنه أن رجلا خاصمه، فقال له: (لئن قلتَ واحدةً لتسمعَنَّ عَشْرًا) فقال الأحنف رحمه الله : (لكنك إن قلت عشرا لم تسمع واحدة)[٣].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (هذا خُلُقٌ من ظفر به وحازه فقد فاز بالحظ العظيم، وأن لصاحبه عند الله المقامات العالية والنعيم المقيم)[٤].

قد تتساءلون - أيها الكرام زادكم الله حرصا - عن معنى هذا الخلق الكريم بعد أن عرفتم أنه من صفات رب العالمين، ومن سمات الأنبياء والصالحين؟ وعن أهم الأسباب المعينة على التحلي بهذا السلوك

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٠٧).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٤٥).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٩٣).
(٤) تيسير اللطيف المنان (ص٢٢٢).

القويم إذا لم يكن جبلة فيه؟

يقول الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ : (الحلم ضبط النفسِ والطبعِ عن هيجان الغضب)[١] .

أما الوسائل المعينة بإذن الله على كسب هذا الخلق العظيم، فمن أهمها:

١- سؤال الله جل وعلا التوفيق لهذا الخلق الكريم .

٢- مجاهدة النفس وتربيتها على التحلي به .

٣- ذكر ثواب الحلم وثمرته ووزر الغضب وعاقبته .

٤- مصاحبة من كان هذا خلقه وقراءة تراجم من اشتهر به .

لكن مما ينبغي أن نعلمه - أيها الأحبة - أن الحليم ليس هو من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو رضي بالذل والهوان، وإنما الحليم من كان همه الإصلاح وابتعد عن الغضب المذموم الذي لم يكن بسب انتهاك حرمات الله، وترك الانتصار لذاته وترفع عن شتم الناس ونزه نفسه عن عيبهم ومقابلة السيئة بالسيئة .

ولنتيقن أن الحلم ما يزيد صاحبه إلا رفعة وشرفا ومحبة في قلوب الناس، قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ما وَضَعَ الحلمُ عن شريفٍ شَرَفَه، ولا زاده إلا كرما، وقال: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم)[٢] .

---

(١) المفردات (ص١٢٩) .

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٥) .

فما أحوجنا جميعا - أيها الأخوة الكرام - للتحلي بهذا الخلق الجميل مع الآخرين، فيكون الحلم في معاملة الحكام مع المحكومين، والدعاة مع المدعوين، والمسئولين مع الموظفين، والكبار مع الصغار، والآباء مع الأبناء، والأزواج مع الزوجات، وأهل البيوت مع خدمهم.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم محاسن الأخلاق ومكارمها ومنها الحلم، ويُبعد عنا شرورها ومساوئها ومنها الغضب، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قد جاءتكم أيام معدودات
فتزودوا فيها من الطاعات

قد جاءتكم أيام معدودات فتزودوا فيها من الطاعات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن المؤمن مَنْ إذا مرت به مواسم تُضاعف فيها الحسنات وتُكفَّر فيها السيئات: أكثرَ من التزود فيها بالخيرات لرفع الدرجات ومحو آثار الذنوب والسيئات، لأنه يعلم أن الأعمار تمضي والساعات تنقضي وقد لا يوفق لإدراكها في العام القادم.

أيها الكرام: إننا نشاهد حرص بعض التجار من المسلمين على استقبال الشهور التي يَزدهر فيها بيعهم ويكثر فيها ربحهم ويتهيئون لها قبل دخولها بوقت طويل، كمواسم الأعياد والصيف ودخول المدارس وغيرها من الأوقات التي هي مظنة الربح الدنيوي! فكيف لا يحرص المؤمن ويتهيأ لأيام فاضلة، الربح فيها مضمون بإذن الله، والعمل فيها ينفع صاحبه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟!.

ومن تلك الأوقات الفاضلة التي تمر بالمؤمن ويجب عليه الاستعداد لها واغتنامها وعدم تضييعها، العشر من ذي الحجة، التي أقسم الله بها في كتابه العزيز تعظيما لشأنها وتنبيها على فضلها، قال جل وعلا:

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢].

وقد اختلف العلماء هل الأيام المقسم بها في هذه الآية هي ليالي العشر من رمضان، أو هي العشر من ذي الحجة؟

والذي عليه أكثر أهل التفسير أنها العشر من ذي الحجة، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو الصحيح)(١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرةً يحزن لها الشيطان، فإنه ما رُئي الشيطانُ أحقرَ ولا أدْحَرَ منه في يوم عرفة لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة مستحقة أن يقسم الله بها)(٢).

لقد امتازت هذه الأيام المباركة - أيها الكرام - عن غيرها باجتماع الكثير من الأعمال الصالحة والعبادات الفاضلة فيها.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره)(٣).

ومن كرم الباري سبحانه وجوده - أيها الأفاضل - على عباده المؤمنين أن يسر لهم الاستفادة منها والإكثار من الخيرات فيها، كلٌّ بحسب استطاعته وقدرته.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٧).

(٢) تفسير السعدي (ص٩٢٣).

(٣) فتح الباري (٢/ ٤٦٠).

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنينا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرا على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركا بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في عام قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج)[١].

أيها الأحبة: إن من أحب الأعمال الصالحة عند الله سبحانه وتعالى ما كان في هذه الأيام الفاضلة، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَلاَ الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ؟! قال: «**وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ**»[٢].

فعلينا أن نحرص عليها وأن لا نفرط فيها فهي ليست كباقي الأيام، ولنكثر فيها بما يقربنا إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ ومن أهم الأعمال:

١- الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا خاصة لمن لم يحج من قبل، لما جاء في فضل هذا الركن العظيم من أجر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ**»[٣].

---

(١) لطائف المعارف (ص٢٧٢).

(٢) رواه البخاري (٩٦٩).

(٣) رواه البخاري (١٦٨٣) ومسلم (١٣٤٩).

وليحرص من وُفق لقصد بيت الله الحرام أن يكون عمله خالصا لوجه الله، وليبتعد عن كل ما يَخرم حجه وينقص أجره من اللغو والرفث فإن ذلك ينافي الحج المبرور، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

٢- الإكثار من الصيام اقتداء بهدي النبي ﷺ واتباعا لسنته، فالصيام يدخل في جنس الأعمال الصالحة بل هو من أفضلها، ولهذا أضافه الله لنفسه لتعظيم شأنه ورفع منزلته، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٢).

وقد جاء أنه ﷺ كان يصوم هذه الأيام، فعن هُنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ)(٣).

قد يقال - أيها الأحبة -: إن هذا الحديث يعارضه ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَائِمًا فِي الْعَشْرِ قَطُّ)(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٥٠).
(٢) رواه البخاري (١٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).
(٣) رواه أبو داود (٢٤٣٧) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) رواه مسلم (١١٧٦).

فالجواب:

قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق الحديثين: (والمثبت - أي ما جاء في إثبات الصيام - أولى من النافي مع ما مضى من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يعني بذلك الحديث الذي جاء في عموم فضل العمل الصالح ومنها الصيام)[(١)].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء هذا الحديث - أي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مما يوهم كراهة صوم العشر والمراد بالعشر هنا الأيام التسعة من أول ذي الحجة، قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هي مستحبة استحبابا شديدا لاسيما التاسع منها وهو يوم عرفة وقد سبقت الأحاديث في فضله وثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أفضل منه في هذه يعنى العشر الأوائل من ذي الحجة**»، فيتأول قولها لم يصم العشر أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أنها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر)[(٢)].

أما يوم عرفة فصيامه لغير الحاج مستحب وينبغي على كل مسلم أن لا يضيعه لما فيه من الأجر العظيم والفضل الكبير، لهذا خصه ﷺ بالذكر وحث على صيامه وذكر الأجر المترتب على ذلك، فقال ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، احْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»[(٣)].

---

(١) السنن الكبرى (٤/ ٢٨٥).
(٢) الشرح على صحيح مسلم (٨ / ٧٢).
(٣) رواه مسلم (١١٦١) من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- كثرة الذكر والجهر بالتكبير المطلق غير الجماعي للرجال، أما المرأة فتخفيه، وللأسف فإن التكبير في هذا الزمان، أصبح من السنن المهجورة فلا يفعله إلا القليل، والله المستعان، بخلاف ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة و التابعين (رضوان الله عليهم) .

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ : (كان ابن عمر، وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما)[١] .

٤- الأضحية، وهي سنة مؤكدة خاصة في حق ذوي اليسار فينبغي إحياء هذه الشعيرة تأسيا بالنبي ﷺ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى)[٢] .

وكلما كانت الأضحية أعلى قيمة كانت أكثر أجرًا بإذن الله، وعلى من يضحي إذا دخل العشر أن لا يأخذ شيئا من شعره أو ظفره إلى أن يذبح؛ لحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**من كان له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فإذا أُهِلَّ هلال ذي الحجة، فلا يَأخذنَّ من شَعْرِهِ، ولا من أظفاره شيئا حتى يُضَحِّيَ**»[٣] .

فهذه أهم الأعمال الصالحة - أيها الأحبة - التي ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها ويسعى في تحقيقها ويبذل جهده في ذلك .

وله كذلك أن يكثر من أعمال البر الأخرى كالصدقة وصلة الرحم

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٦).

(٣) رواه مسلم (١٩٧٧).

وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي تنفعه بإذن الله، وتكون سببا في رفع درجاته عند الله جل وعلا.

وفي الختام - أيها الكرام - قد تتساءلون زادكم الله حرصا بعد أن عرفتم فضل هذه الأيام المباركات، عن أيهما أفضل، هذه الأيام، أو العشر الأواخر من رمضان؟

فيجيبنا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: (أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة)[١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لاغتنام هذه الأيام المباركات ويتقبل منا سائر الطاعات، ويجنبنا سائر الشرور والمحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٧).

رسائل مهمة إلى حُجَّاج الأمة

رسائل مهمة إلى حُجَّاج الأمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من توفيق الباري سبحانه وتعالى لعبده أن يسر له عمل الخيرات والسعي للطاعات، سواء كانت بدنية كالصيام أو مالية كالصدقة، أو معا كالحج الذي هو من أفضل الأعمال والقربات عند رب البريات.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ: أَيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهادٌ في سبيل الله**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[(١)].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحج المبرور: هو الذي لا يخالطه شيء من المأثم)[(٢)].

أيها الأحبة الكرام: قد يسر الله تعالى في هذه الأيام المباركة السبل لبعض المسلمين فوفقهم لقصد بيته الكريم، الذي جعله قبلة

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٧) واللفظ له، ومسلم (٨٣).

(٢) جامع الأصول (٣/ ١٢٥).

الموحدين، يأتونه من كل فج عميق رغم كل الصعاب وبعد المسافة، مهللين ومكبرين، شعارهم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك)، راجين بذلك الرحمة والثواب من العزيز الوهاب، قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى أنه جعل ﴿ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] يقوم - بالقيام بتعظيمه - دينُهم ودنياهم، فبذلك يتم إسلامهم وبه تُحَطّ أوزارهم وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتقتحم من أجله الأهوال، ويُجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية)[(١)].

أيها الأفاضل: إن القاصد بيت الله الحرام عليه أن يتزود له بكل ما ينفعه في حجه خاصة من الأمور الدينية لينتفع بحجه ويزيد من أجره بإذن خالقه.

ولهذا أحببت أن أوجه بعض النصائح الإيمانية والرسائل التوجيهية لحجاج بيت الله الحرام، لعل الله بجوده وكرمه ينفعهم بها، ومن أهمها:

- أن يشكروا الله الجواد الكريم على فضله وإنعامه بأن وفقهم لقصد بيته الحرام، فبالشكر والإيمان تدوم النعم، وبالجحود والعصيان

(١) تفسير السعدي (ص ٢٤٥).

تَحل النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم :٧] .

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها)(١) .

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة للَّه، وأن يحذروا كفران النعم)(٢) .

٢- أن يبتغوا بحجهم وجه الله سبحانه فهذا من شكر النعم، ويحذروا من الرياء والافتخار، ويبتعدوا عن كل ما يَخرم حجهم وينقص أجرهم من اللغو والرفث فإن ذلك ينافي الحج المبرور، وهو من كفر النعم.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «**من حَجَّ لِلَّهِ فلم يَرْفُثْ، ولم يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٣) .

٣- أن يعظموا البيت الذي هم قاصدوه، والعملَ الذي هم عليه عازمون لأنه من شعائر الله، وفي ذلك تعظيم لله جَلَّ جَلَالُهُ ودليل على

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٤). (٢) أضواء البيان (٩/ ١١٢).
(٣) رواه البخاري (١٤٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٥٠).

وجود التقوى في القلب قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج :٣٢] .

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله)(١) .

٤- أن يتفقهوا في حجهم ويحرصوا على معرفة صفة حج النبي ﷺ ليقتدوا بهديه ويقتفوا أثره، فقد أمر ﷺ بهذا، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي ﷺ يرمى على رَاحِلَتِهِ يوم النَّحْرِ وَيَقُولُ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذه**»(٢) .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فهذه اللام لام الأمر ومعناه: خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيتُ بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس. وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج وهو نحو قوله ﷺ في الصلاة: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»)(٣) .

فاحرصوا - رعاكم الله - على تحقيق الاتباع واحذروا أشد الحذر من الإحداث في الحج والابتداع، واعلموا أن البدع لا تزيد فاعلَها إلا بُعْدًا عن رب العالمين، قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ : (ما ازداد صاحب

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٣٨).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (٩ / ٤٥).

بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا)[١].

فابتعدوا عنها، واجتنبوا أهلها الداعين إليها؛ فلا تجالسوهم حتى لا تتأثروا بهم فيجروكم معهم، فالشبه خطافة والقلوب ضعيفة، والسلامة لا يعدلها شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠])[٢].

٥- تذكروا أن من يحج معكم هم إخوانكم في الدين، اجتمعوا معكم لأداء هذه الشعيرة العظيمة، فَوطِّنوا أنفسكم على حسن معاشرتهم والإحسان إليهم فإن هذا من الإيمان.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ينبغي أن يكون هذا الحديث دائما نصب عين المؤمن، لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا حَسُنَ خلقُه كان ذلك دافعا له على التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وترك سفاسفها ورديئها)[٤].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩). (٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤).
(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص١٠).

واحذروا - بارك الله فيكم - من الإساءة لإخوانكم وسوء الظن بهم، وإياكم والغضب في معاملتهم، فإن هذا الخلق ذميم، وهو شعلة محرقة من النار تُعْمي صاحبها وتُصِمُّه فلا تنفع فيه الذكرى ولا ترده موعظة، نسأل الله العافية.

ومن ثماره السيئة أنه يحرق حبال الأخوة الإيمانية ويفسدها، ويجعل الناس ينفرون ممن اتصف به ولا يتقربون إليه.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ : (متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع للدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينيه حتى لا يرى بعينه)[(١)].

وقد حذر المصطفى ﷺ أشد التحذير من هذا الخلق الذميم، فكرر الوصية ثلاث مرات للرجل الذي طلب منه أن يوصيه، فقال له: «**لا تَغْضَب**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال ابن التين: جمع ﷺ في قوله: «**لا تَغْضَب**» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين)[(٣)].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٧٩).
(٢) رواه البخاري (٥٧٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٢٠).

فيا من يسر الله له الحج إلى البيت الحرام، احرص - يسر الله أمرك - على العمل بهذه النصائح، لأنها تنفعك في حجك وتزيد من أجرك وترفع قدرك عند ربك بإذن خالقك ﷻ.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وبصفاته العليا أن يحفظ حجاج المسلمين ويتقبل حجهم وييسره لهم، ويردَّهم لأهلهم سالمين غانمين، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقالات عن شهر ذي الحجة

١- البيان لبدع شهر ذي الحجة

٢- أحاديث لا تصح في فضل شهر ذي الحجة

٣- ماذا يجب على المضحي يوم العيد

٤- أيام التشريق فضائل وأحكام

١- البيان لبدع شهر ذي الحجة

١- البيان لبدع شهر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد ميز الله سبحانه وتعالى شهر ذي الحجة عن غيره من الشهور بعبادات عظيمة ورتب عليها أجورًا كبيرة، خاصة العشر الأول منه، وهذا فضلا منه سبحانه ورحمة.

لكن بعض الناس! لم يكتفوا بما شُرع لهم فيه من العبادات! ولم يسعهم فيه ما كان يسَع من كان قبلهم من صدر هذه الأمة الصالح من الصحابة والتابعين من القربات إلى رب البريات، فاخترعوا فيه ما لم يكن من عبادات وخصصوه بما لم يثبت له من فضائل وكرامات، متبعين في ذلك أهواءهم وما زين لهم الشيطان من محدثات.

أيها الكرام: إن مما يُحزن كل مسلم غيور على السنة المحب لانتشارها بين الناس، أن يرى عند هؤلاء تهاونا في تطبيق السنة بل حتى فيما هو واجب عليهم! لكن مع هذا يجد عندهم تحمسا لتطبيق البدع وتزيينها للناس.

وعجبا والله من أمر هؤلاء! كيف يتركون ما صح عنه ﷺ في هذا الشهر المبارك من الخيرات ويذهبون إلى الابتداع والخرافات، فحَرموا أنفسهم من الأجر وحمَّلوها الوزر!.

ألم يعوا أن الله ﷻ أكمل دينه، وأن رسوله ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وأرشدها لما فيه نفعُها وحذرها مما فيه ضررها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم! وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!.

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تَصُكُّ به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم)[(١)].

فلو كان - أيها الأحبة - في هذا الشهر المبارك عبادات أخرى تميزه عن بقية الشهور غير الحج وعيد الأضحى واستحباب صيام العشر الأول من أيامه خاصة يوم عرفة والإكثار فيها من الأعمال الصالحة دون تخصيص، لأخبر عنها ﷺ ولحث أمته عليها، فليتق الله كل من كان

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص٣٨).

سببا في نشر المحدثات بين الناس وليعلم أن البدع كلها ضلالٌ وإن استحسنها هو وقبلها منه الجهلة من الناس وفرحوا بها.

قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[(١)].

ومن باب النصح للمسلمين وتذكيرا لهم سنُحاول أيها الأفاضل معا إلقاء الضَّوء على ما أُحدث في هذا الشهر المبارك، والتحذير منه مع نقل أقوال العلماء في ذلك، سائلا المولى جل وعلا أن يجعلنا وإياكم سببا في إحياء السنن ونشرها وإماتة البدع وخمدها، فمن ذلك:

١- بدعة التعريف: هو اجتماع بعض الناس في المساجد عشية يوم عرفة من كل سنة في غير عرفة، لا لأمر عارض بل يجعلون ذلك سنة راتبة، فيفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ولقد أنكر السلف الصالح - رحمهم الله - هذا الصنيع قديما، قال الإمام ابن وهب رَحِمَهُ اللَّهُ : (سمعت مالكًا - أي الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ - يُسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر، واجتماعهم للدعاء، فقال: ليس هذا من أمر الناس، وإنَّما مفاتيح هذه الأشياء من البدع)[(٢)].

وروى الإمام محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي حفص المدني قال: (اجتمع الناس يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ،

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩).

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١١٥).

يدعون بعد العصر، فخرج نافع مولى ابن عمر من دار آل عمر، فقال: أيها الناس إن الذي أنتم عليه بدعة، وليست بسنة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا، ثم رجع فلم يجلس، ثم خرج الثانية ففعل مثلها ثم رجع)[١].

وقال الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي (ت٥٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاعلموا - رحمكم الله - أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة، لا في غيرها ولا منعوا مَنْ خَلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالى، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنَّة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماعَ والدعاءَ، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه، وقد كنت ببيت المقدس، فإذا كان يوم عرفة حشر أهل السواد وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد، مستقبلين القبلة مرتفعةً أصواتُهم بالدعاء، كأنه موطن عرفة، وكنت أسمع سماعًا فاشيًا منهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات، فإنها تعدل حجَّة، ثم يجعلونه ذريعة إلى إسقاط فريضة الحج إلى بيت الله الحرام)[٢].

٢- بدعة عيد غدير خُمّ: (وغدير خم هو موضع ماء بين مكة والمدينة) ولقد جاء ذكره من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أمَّا بَعْدُ، ألا أيُّهَا**

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٩٣).
(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١١٦).

النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي...» (١).

وهذا العيد المحدث يكون في الثامن عشر من ذي الحجة، حيث يجتمع بعض الجهلة من الناس خاصة من الشيعة لإحياء ذكراه، ويزعمون زورا وبهتانا أن الرسول ﷺ عهد في ذلك اليوم وفي ذلك الموضع لعلي رضي الله عنه بالخلافة، فمن حج منهم اجتمع في ذلك المكان ومن لم يحج احتفل في مكانه، وهذه البدعة الشنيعة أول من أحدثها هو معز الدولة أحمد بن بويه (ت٣٥٦هـ) وهو أول من تملك من سلاطين الدولة البويهية، وهي دولة شيعية قامت في الجزء الغربي من إيران والعراق.

قال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله: (وفي عشر ذي الحجة - أي سنة٣٥٢هـ - أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدَّبادب - من أنواع آلات الطرب - والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء، وعند الشُّرَط - أي الشرطة -، فرحًا بعيد الغدير - غدير خم - فكان وقتًا عجيبًا مشهودًا، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة) (٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٤٣).

وقال المقريزي (٨٤٥هـ)رَحِمَهُ اللَّهُ : (اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدًا مشروعًا، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عُرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذٍ عيدًا)[(١)].

وقد ذكر العلماء بعض مظاهر هذا الاحتفال المبتدع، ومنهم الإمام المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: (ومن سنتهم في هذا العيد أن يحيوا ليلته بالصلاة، ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح)[(٢)].

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ويظهرون من أنواع الفرح والسرور، وتنويع الموائد وإغلاق الدوائر والمتاجر وإلقاء الخطب والمحاضرات في المآتم ما يعجز الكتاب عن بيانه)[(٣)].

▪ ومن المنكرات الشنيعة في هذا الاحتفال أن الشيعة يسبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيه، وينسبون إليهم الظلم والجور وهم من ذلك براء، رضوان الله عليهم.

وقد بين العلماء - رحمهم الله - حكم الاحتفال بهذا العيد المحدث، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (إنما الغرض أن اتخاذ هذا اليوم - أي: عيد الغدير - عيدًا مُحْدَثٌ لا أصل له، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك اليوم

---

(١) الخطط المقريزية (٢/ ٢٥٥).
(٢) الخطط المقريزية (٢/ ٢٥٥).
(٣) تحذير المسلمين من الابتداع في الدين (ص١٥٢).

عيدًا، حتى يُحْدِث فيه أعمالاً، إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع لا الابتداع، وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة: مثل يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين، ثم لم يوجب ذلك أن يُتَّخَذَ أمثال تلك الأيام أعيادًا)[١].

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يخفى على من ملك ذرة من العلم أن هذا عيد مبتدع، لا أصل له في الدين، ولا سند له في شريعة سيد المرسلين، لا من القرآن ولا من السنة ولا من فعل الصحابة ولا أهل البيت المطهرين رضوان الله عليهم أجمعين إذ لم يجعلوا ذلك اليوم عيدا، ولا احتفلوا به وليس في دين الإسلام إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى)[٢].

▪ ومن البدع كذلك التي ينبغي التنبيه عليها ما يفعله بعض المسلمين حيث تجدهم خاصة في التكبير المقيد بدبر الصلوات في أيام التشريق أو عيد الأضحى يكبرون بصوت جماعي، مخالفين بذلك هدي النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، فقيل له: ما حكم التكبير الجماعي في العيدين بعد الصلوات علما بأنه يُذَكّر الناس بهذه الشعيرة المباركة؟.

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (يكبرون، كل يكبر في صفه، وفي الطريق، لكن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٤).

(٢) تحذير المسلمين من الابتداع في الدين (ص١٥٢).

ليس على صفة جماعية؛ لأن هذا بدعة لا أصل له، وإلا الكل يكبر، هذا يكبر وهذا يكبر، وبهذا يتذكر الناس ويستجيب الناس، أما كونه بلسان واحد من جماعة فهذا لا أصل له، وهو التكبير الجماعي أو التلبية الجماعية، لا يُشْرَع هذا، لكن الكل يلبي، أما أن يكبر من تحرى أن يبدأ الصوت صوت أخيه وينتهي مع صوت أخيه فهذا لا أصل له، ولا نعلمه عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ وأرضاهم، ومن فعل هذا يخشى عليه من الإثم؛ لأنه بدعة)[١].

فعلينا - وفقنا الله وإياكم لمرضاته - أن نَلتزم بما جاء في الكتاب والسنة، فهو ولله الحمد يغني عن هذه المحدثات، ونحذر أشد الحذر من البدع فإنها مضلات عن الدين ومبعدات عن رب العالمين.

أيها الأحبة الأفاضل: إن من أهم الأسباب التي ساهمت في شيوع هذه البدع والمحدثات بين المسلمين، انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل الأشهر ومن ذلك شهر ذي الحجة بينهم، ولهذا أحببت - بعون الكبير المتعال - أن أذكر لكم جملةً من هذه الأحاديث لتعلموها وتحذروا الناس منها.

فالله أسأل أن ينشر السنة بين الناس ويعز أهلها ويرفع رايتها، ويميت البدع بينهم ويهدي أهلها ويخمد رايتها، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٠).

٢- أحاديث لا تصح
في فضل شهر ذي الحجة

٢- أحاديث لا تصح في فضل شهر ذي الحجة والأضحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما يُحزن كل مؤمن محب للسنة أن يرى للأحاديث الضعيفة والموضوعة قبولا عند بعض المسلمين، وذلك بسبب تبني بعض من يعدونه من أهل العلم لها! وكذلك حرص الشيطان على تزيينها لهم، بل أصبح الكثير منهم يسعى في نشرها في وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، والناظر لصنيع هؤلاء يجد أن أهدافهم مختلفة فمنهم للإفساد في الدين وهدم السنة، ومنهم لاتباع هواه بدعوى التقرب إلى الله بزعمهم! وبعضهم بسبب الجهل وعدم العلم، والله المستعان.

ولقد أدى انتشار الأحاديث المكذوبة بسبب تعلق الناس بها إلى رواج البدع والمحدثات بين العامة والله المستعان.

قال العلامة المحدث الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (من المصائب العظمى التي نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم...، وقد أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة، منها ما

هو من الأمور الاعتقادية الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية)[١].

لكن الله تبارك وتعالى سخر لهذه الأحاديث فرسانا كشفوا عوارَها، وبينوا وَضْعَها وحذروا الناس منها، ولذلك قيل للإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه الأحاديث المصنوعة؟ فقال: (يعيش لها الجهابذة[٢])[٣].

يقول الإمام السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ذاكرا حال هؤلاء الفرسان: (وهم الذين خصهم الله بنور السنة، وقوة البصيرة فلم تَخْفَ عنهم حالُ مُفْتَرٍ ولا زُورُ كذابٍ، فبينوا بنقدهم فسادها وميزوا الغث من السمين)[٤].

فعلينا أن نحرص - أيها الكرام - على تصفية ديننا الحنيف من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يُدْخِلُها أهل الأهواء والجهل في الدين، فالصحيح ولله الحمد يغني عنها.

ولذا أحببت أن أذكر لكم - أيها الأحبة - طائفة من الأحاديث المكذوبة التي لا تصح نسبتها للنبي ﷺ في فضل شهر ذي الحجة والأضحية مع نقل كلام العلماء فيها، عسى الله أن ينفعني وإياكم بالعلم بها لنجتنبها ونحذر الناس منها بإذنه سبحانه:

---

(١) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٧) باختصار.
(٢) الجهابذة: هم العالمون بغوامض الأمور، البارعون في طرق النقد.
(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣).
(٤) فتح المغيث (١/ ٢٦٠).

١- ما جاء في فضل شهر ذي الحجة:

قد جاءت النصوص الشرعية في فضل هذا الشهر، وحثت على الأعمال الصالحة فيه خاصة العشر الأول منه، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَلاَ الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ؟! قال: «**وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ**»(١).

ومن الأعمال الصالحة المشروعة في العشر الأول منه الصيام، خاصة يوم عرفة فصيامه مستحب لغير الحاج، قال ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»(٢).

لكن بعض أهل البدع والجهلة من الناس لم يكتفوا بما شرع لهم في هذا الشهر، بل ذهبوا لوضع أحاديث أخرى تخصه بفضل لم يثبت له، أو تحث على بعض الأعمال التي لم تأت بها النصوص الشرعية ورتبوا عليها أجورًا كبيرة والله المستعان، منها:

١- حديث: «**اختار الله الزمان، فأحب الزمان إلى الله الشهر الحرام، وأحب الأشهر إلى الله ذو الحجة، وأحب ذي الحجة إلى الله العشر الأول**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

(٢) رواه مسلم (١١٦١) من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٢٧٨) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله=

٢- حديث: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ»(١).

٣- حديث: «من صام العشر فله بكل يوم صوم شهر، وله بصوم يوم التروية سنة، وله بصوم يوم عرفة سنتان»(٢).

٤- حديث: «من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم، فقد ختم السنة الماضية، وافتتح للسنة المستقبلة بصوم، جعله الله كفارة خمسين سنة»(٣).

=ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

والحديث لا يصح، قال ابن عدي: (عبد الرحمن بن عبد الله العمري ضعيف). الكامل (٤/ ٢٧٨)، والحديث ضعفه أيضا ابن رجب في لطائف المعارف (ص٢٦٧).

(١) رواه الترمذي (٧٥٨) من طريق مسعود بن واصل عن النهاس بن قهم عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

والحديث ضعيف لا يصح، قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن روى الحديث: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل، عن النهاس، قال: وسألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثل هذا). والحديث ضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في ضعيف الترمذي (٧٥٨) والسلسلة الضعيفة (٥١٤٥).

(٢) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا حديث لا يصح، قال سليمان التيمي: الكلبي كذاب. وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى وصفه). الموضوعات (٢/ ١١٢).

(٣) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١٢) من طريق أحمد بن عبد الله الهروي الجويباري=

٥- حديث: «صوم يوم التروية كفارة سنة، وصوم يوم عرفة كفارة سنتين»(١).

٢- الأضحية:

هي سنة مؤكدة ثابتة عنه ﷺ، خاصة في حق ذوي اليسار، فعن أنس رضي الله عنه قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى)(٢).

لكن بعض أهل الأهواء والجهل لم يكتفوا بكونها سنة وأنها ثابتة عن نبينا ﷺ، فوضعوا لها أحاديث تدل على فضل خاص بها، ورتبوا على ذلك أجورًا، وكل ذلك لم تأت به النصوص.

قال ابن العربي رحمه الله: (ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، وقد روى الناس فيها عجائب لم تصح)(٣).

=عن وهب بن وهب عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا.

والحديث موضوع لا يصح، قال ابن الجوزي رحمه الله: (الهروي ووهب كلاهما كذاب وضاع). الموضوعات (٢/ ١١٢).

وحكم على الحديث بالوضع كذلك السيوطي في اللالئ المصنوعة (٢/ ٩٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٩٦).

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب وابن النجار في تاريخه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في الجامع الصغير للسيوطي (١٣٥٨٧) والحديث لا يصح، قال الشيخ الألباني رحمه الله: (موضوع). ضعيف الجامع الصغير (٣٥٠١).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٦).

(٣) عارضة الأحوذي (٦/ ٢٨٨).

ومن هذه الأحاديث التي لا تصح:

١- حديث: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا»(١).

٢- حديث: (أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الأَضَاحِيُّ؟ قَالَ: «سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» قَالُوا: فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةٌ» قَالُوا: فَالصُّوفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ»(٢).

٣- حديث: «عَظِّموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم»(٣).

٤- حديث: «يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بأول

---

(١) رواه الترمذي (١٤٩٣) وابن ماجة (٣١٢٦) من طريق أبي المثنى سليمان بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا، والحديث ضعيف لا يصح، لأن أبا المثنى هذا ضعيف الحديث كما في تقريب التهذيب لابن حجر (ص٦٧٠)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٥٢٦).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه (٣١٢٧) من طريق عائذ الله بن عبد الله المجاشعي عن أبي داود السبيعي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، والحديث لا يصح فعائذ الله هذا ضعيف الحديث كما في تقريب التهذيب لابن حجر (ص٢٨٩) وأبو داود السبيعي واسمه نفيع بن الحارث ترك العلماء حديثه كما في التقريب لابن حجر (ص٣٢٥)، والحديث قال عنه الشيخ الألباني رحمه الله: (موضوع). في السلسلة الضعيفة (٥٢٧).

(٣) قال الشيخ الألباني رحمه الله: (قال ابن الصلاح: (هذا حديث غير معروف ولا ثابت) ثم قال رحمه الله: (وأسند صاحب الفردوس بلفظ: (استفرهوا) بدل عظموا - أي ضحوا بالثمينة القوية السمينة - وسنده ضعيف جدًّا). السلسلة الضعيفة (١/ ١٧٣).

قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك» ، قالت: يا رسول الله، ألنا خاصة أهل البيت أو لنا وللمسلمين؟ قال: «**بل لنا وللمسلمين**»(١) .

فهذه أيها الأحبة: بعض الأحاديث المكذوبة التي تروى في فضل شهر ذي الحجة والأضحية، فينبغي أن نعلمها ونَحذر منها، وننصح غيرنا بمعرفتها والابتعاد عنها، وينبغي علينا عند سماع حديث نبوي أن نتأكد من صحته بعَرضه على أهل الاختصاص من العلماء الربانيين الصادقين، قبل روايته ونشره بين الناس، حتى لا ندخل في وعيد قوله ﷺ: «**من حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»(٢) .

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : (واعلم أن التعرف على الحديث الضعيف أمر واجب وحتم لازم على كل مسلم يتعرض لتحديث الناس وتعليمهم ووعظهم، وقد أخَلَّ به جماهير المؤلفين والوعاظ والخطباء، فإنهم كثيرا ما يروون من الأحاديث ما لا أصل لها غير مبالين بنهيه ﷺ عن التحديث عنه إلا بما صح)(٣) .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٢) من طريق النضر بن إسماعيل البجلي عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والحديث لا يصح، قال الذهبي في تعقيبه على قول الحاكم: صحيح الإسناد: (بل أبو حمزة ضعيف جدًّا وابن إسماعيل ليس بذلك).
وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : (حديث منكر). السلسلة الضعيفة (٥٢٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٨) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) ضعيف الأدب المفرد (ص٦).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ المسلمين ويسخر لهم علماء ربانيين ناصحين يرشدونهم إلى ما ينفعهم ويحذرونهم مما يضرهم من البدع وأهلها، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ماذا يجب على المضحي في يوم العيد

ماذا يجب على المضحي في يوم العيد؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد أبدل الله الأمة الإسلامية بيومي اللعب واللهو الذين كانا في الجاهلية بيومي المغفرة والذكر، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم علينا النبي ﷺ ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: «**قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ**»(١).

إن يوم عيد الأضحى - أيها الأحبة - يوم عظيم يشترك فيه كل المسلمين، فهو يوم الحج الأكبر بالنسبة لحجاج بيت الله حيث يؤدون فيه معظم المناسك من رمي الجمار وذبح الهدي والطواف وحلق شعر الرأس، وغيرُ الحجاج من المسلمين يكثرون فيه من ذكر الله وتكبيره والتقرب إلى الله سبحانه بضحاياهم، مقتدين بذلك بسنة خير المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) رواه أبو داود (١١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى)[١].

فمن أفضل الأعمال التي يقوم بها غير الحاج في هذا اليوم المبارك الأضحية وهي سنة مؤكدة خاصة في حق ذوي اليسار، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر :٢] .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (خص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما أفضل العبادات وأجَلّ القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر وإخراج للمال الذي جُبِلَتِ النفوس على محبته، والشح به)[٢].

فعلى من يسر الله له هذا العام شراء الأضحية أن يحمد الله على توفيقه، وأن يجعل عمله خالصا لوجه الله سبحانه ويستحضر متابعة سنة النبي ﷺ عند ذبحها، وعليه أن يفقه بعض المسائل المتعلقة بالأضحية، منها:

١- لابد أن تكون أضحيته من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم (الضأن والمعز) لقوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج :٣٤] .

والأفضل الإبل ثم البقر فالغنم، ولا تجزئ من غير هذه الأنواع الثلاث، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فلو ضحى الإنسان بحيوان

---

(١) رواه البخاري (٥٤٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٦).

(٢) تفسير السعدي (ص ٩٣٦).

آخر أغلى منها لم يجزه، فلو ضحى بفرس تساوي عشرة آلاف ريال عن شاة تساوي ثلاثمائة ريال لم يجزه)[١].

وتجزئ الإبل والبقر عن سبعة، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَ الأَضْحَى فَاشْتَرَكْنَا فِي الْبَقَرَةِ سَبْعَةً، وَفِي الْبَعِيرِ عَشَرَةً)[٢].

٢- ويجب أن تبلغ الأضحية السن المعتبر شرعا فيجزئ من الإبل ما بلغ خمس سنين، ومن البقر ما بلغ السنتين، ومن المعز ما بلغ السنة، لقوله ﷺ: «**لاَ تَذْبَحُوا إِلاَّ مُسِنَّةً - أي ثَنِيَّة -، إِلاَّ أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ**»[٣].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء: المسنة هي الثنية من كل شيء من الإبل والبقر والغنم فما فوقها)[٤].

فالإبل أيها الكرام لا تَثني إلا إذا تم لها خمس سنين، والبقر لا تَثني إلا إذا تم لها سنتان، والمعز لا تثني إلا إذا تم لها سنة كاملة وكذلك الضأن إلا أنه أبيح منها ما تم لها ستة أشهر.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (واشتراط أن تكون من بهيمة الأنعام، وأن تبلغ السن المعتبر شرعًا يدلنا على أنه ليس المقصود من الأضحية

---

(١) الشرح الممتع (٧/ ٤٢٤).

(٢) رواه الترمذي (١٥٠١) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) رواه مسلم (١٩٦٣) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والجذعة: ما تَمَّ له ستة أشهر.

(٤) الشرح على صحيح مسلم (١٣/ ١١٧).

مجرد اللحم، وإلا لأجزأت بالصغير والكبير)[١].

٣- أن تكون الأضحية سليمة من العيوب والآفات لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ لاَ تَجُوزُ فِي الأَضَاحِيِّ الْعَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرُةُ التي لاَ تُنقي**[٢]»[٣].

٤- وأن يكون الذبح في الوقت المحدد للتضحية شرعا وهو من بعد الفراغ من صلاة العيد، والأفضل أن ينتظر حتى ينتهي الإمام من الخطبتين إلى آخر أيام التشريق فبالتالي أيام الذبح أربعة وهو قول الشافعية كما في المجموع (٨/ ٣٠٨) وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الإنصاف للمرداوي (٤/ ٨٩) وهو الذي مال إليه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: (إنها كلها - أي أيام التشريق - يشرع فيها التكبير المطلق والمقيد، أو المقيد على قول بعض العلماء، ولم يفرق أحد من العلماء فيما نعلم بين هذه الأيام الثلاثة في التكبير، فهي مشتركة في جميع الأحكام، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن نُخْرِجَ عن هذا الاشتراك وقت الذبح، بل نقول: إن وقتَ الذبح يستمر من بعد صلاة العيد يوم النحر إلى آخر أيام التشريق)[٤].

٥- وعليه أن يسمي حين يحرك يده بالذبح ويقول: (بسم الله والله

---

(١) الشرح الممتع (٧/ ٤٢٥).
(٢) أي ليس فيها مخ.
(٣) رواه أبو داود (٢٨٠٨) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٤) الشرح الممتع (٧/ ٤٢٥).

أكبر، اللهم منك ولك)[١].

٦- ومن السنة أن لا يأكل شيئا يوم العيد حتى يرجع من الصلاة ويأكل من أضحيته، فعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كانَ النَّبيّ ﷺ لا يَخْرجُ يومَ الفِطْرِ حتى يَطْعَمَ، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نَسِيكتِه)[٢].

٧- وأن ينحر الإبل قائمة مقيدة يدها اليسرى إذا استطاع فإن ذلك سنة، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أنه أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها، فقال: ابعثها قياما مقيدة، سُنة محمد ﷺ)[٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا الحديث استحباب نحر الإبل على الصفة المذكورة)[٤].

أما البقر والغنم فذبحهما على جنبهما الأيسر متوجها بهما إلى القبلة، ويستحب أن يباشر هو الذبح بنفسه.

٨- وعليه أن يُحْسِنَ لأضحيته بحَدِّ سكينهِ وإراحتها عند الذبح، فعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله كَتَبَ الإحسَان على كل شيء، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ،**

---

(١) كما جاء من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد (٣/ ٣٧٥) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (٤/ ٣٥٠).

(٢) رواه الترمذي (٥٤٢) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) رواه البخاري (١٦٢٧) واللفظ له، ومسلم (١٣٢٠).

(٤) فتح الباري (٣/ ٥٥٣).

وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليرح ذبيحته بإحداد السكين وتعجيل إمرارها وغير ذلك، ويستحب أن لا يحد السكين بحضرة الذبيحة، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يجرها إلى مذبحها، وقوله ﷺ: «**فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**» عام في كل قتيل من الذبائح والقتل قصاصا وفى حَدٍّ ونحو ذلك، وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام والله أعلم)[(٢)].

٩- وعليه كذلك أن يأكل من أضحيته لأن ذلك سنة، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] ويتصدق منها بما شاء منها، قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأمر في ذلك واسع، فلو تصدق بها كلها، أو بأكثرها جاز وإن أكلها كلها إلا أُوقية تصدق بها جاز)[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأطعموا منها، ومن للتبعيض، وأدنى جزء من الأضحية يصدق عليه أنه بعض.

وقال بعض العلماء: إن تصدق بها إلا أقل ما يقع عليه اسم اللحم فإنه لا حرج عليه)[(٤)].

أيها الأفاضل: إن مما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن إخراج قيمة الأضحية أو إرسالها إلى بلد آخر فعل مخالف للسنة لأن في ذلك تفويتًا لمصالح كثيرة متعلقة بالأضحية كإظهارها في البيوت، وشعور

---

(١) رواه مسلم (١٩٥٥).
(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٣/ ١٠٧).
(٣) المغني (٩/ ٤٤٩).
(٤) الشرح الممتع (٧/ ٤٨٥).

المسلم بالتعبد إلى الله تعالى عند الذبح، وأيضا مباشرة المضحي الذبح بنفسه تأسِّيًا برسول الله ﷺ، والمضحي كما تقدم مأمور بالأكل من أضحيته، وأقل أحوال الأمر الاستحباب، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج :٢٨] ، فإذا أرسلها فلن يمتثل لهذا الأمر، وكذلك سيبقى المضحي معلَّقًا متى يقص شاربه ويقلم أظفاره، لأنه لا يدري أذُبحت أضحيته أم لا؟ وهل ذُبحت يوم العيد أو في الأيام التي تليه؟ وأيضا لا يستطيع المضحي التأكد من الأضحية التي اشتريت في البلد الذي أرسلت إليه هل توفرت فيها الشروط المجزئة أو لا؟ فلهذا علينا أن نحرص على أن نظهر هذه الشعيرة في بيوتنا ونربي أبناءنا على حبها، أما الصدقة - ولله الحمد - فبابها مفتوح، فمن أراد أن يتصدق فليرسل لإخوانه المسلمين الفقراء مالا غير قيمة الأضحية.

وبعدم جواز إرسال قيمة الأضحية أفتت اللجنة الدائمة(١)، والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

أيها الأفاضل: إنه مما يجب علينا في هذا اليوم كذلك بعد معرفة ما يجب علينا وما يستحب، أن نبتعد عن سائر المعاصي والمحدثات في هذا اليوم، كلطخ الجباه بدم الأضحية، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (لا نعلم للطخ الجباه بدم الأضحية أصلا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا نعلم أن أحدًا من الصحابة فعله، فهو بدعة، لقوله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٣))(٤).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٠/ ٤٦٣). (٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٦٢).
(٣) رواه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٤) (١١/ ٤٣٣).

وكذلك ما يفعله بعض الجهلة من الناس من التوضؤ لأجل الأضحية، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (فمن توضأ من أجل ذبح أضحيته فهو جاهل مبتدع)[١].

ومن البدع المشهورة في هذا اليوم كذلك تخصيص بعض الناس القبور بالزيارة، وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له السائل: أهل مسجدنا يخرجون جميعا بعد كل صلاة عيد إلى زيارة القبور جماعة، ما الحكم في هذا؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس لهذا أصل، الخروج إلى القبور بعد صلاة العيد عادة لبعض الناس، فإذا زاروا القبور يوم العيد أو يوم الجمعة أو في أي يوم، ما فيه يوم مخصوص لا بأس، أما تخصيص يوم العيد، أو تخصيص يوم الجمعة، أو تخصيص يوم آخر فلا، ليس له أصل، ولكن السنة أن يزوروا القبور بين وقت وآخر على حسب التيسير إذا كان وقتهم يسمح، في يوم الجمعة، في يوم العيد، في أوقات أخرى يفعلون، أما أن يظنوا أن لهذا اليوم خصوصية فلا)[٢].

أيها الأحبة: قد شاء الله جَلَّ جَلَالُهُ في بعض السنوات أن يجتمع للمسلمين عيدان يوم الجمعة وعيد الفطر فماذا علينا؟

فقد تتساءلون زادكم الله حرصا هل تصلون الجمعة بعد أن صليتم العيد أم تكتفون بصلاة العيد؟ ومن لم يصل الجمعة هل تسقط عنه

---

(١) (١١/ ٤٣٣).

(٢) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٤).

الظهر أو يصليها؟ فقد وُجِّهَ هذا السؤال لعلماء اللجنة الدائمة بالسعودية برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فقيل لهم: إذا وافق يومَ العيد يومَ الجمعة فماذا تكون صلاة الجمعة وماذا نصليها؟ فأجابوا - جزاهم الله خيرا-: (إذا وافق يومُ العيد يومَ الجمعة سقط حضور الجمعة عمن صلى العيد غير الإمام، فإنه يلزمه أن يقيم صلاة الجمعة بمن حضر معه من المسلمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قَدِ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجَمِّعُونَ**»(١).

ومن لم يحضر مع الإمام صلاة الجمعة فإنه يجب عليه أن يصلي ظهرا)(٢).

وفي الختام - أيها الأحبة الكرام - أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل منا ومنكم ضحايانا وسائر أعمالنا الصالحة وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أبو داود (١٠٧٣) وابن ماجة (١٣١١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٧/ ٩٣).

أيام التشريق: فضائل وأحكام

أيام التشريق: فضائل وأحكام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من حقوق الله ﷻ على عباده أن يذكروه في كل وقت وحين، فبذكره سبحانه تنشرح الصدور، وتحيا القلوب وتطمئن، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد :٢٨].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (حقيق بها وحَرِيٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره - سبحانه -، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، هو ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير وغير ذلك)[(١)].

أيها الأحبة: إن ذكر الله تعالى في بعض الأوقات قد يكون أفضل من البعض الآخر، ومن ذلك الذكر في هذه الأيام المباركة وهي أيام

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤١٧).

التشريق، وهي الأيام المعدودات التي ذكرها في كتابه ربُّ البريات، فقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار، سُميت معدودات لقلتهن)(١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد لمزيتها وشرفها وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافًا لله فيها، ولهذا حرم صيامها فللذكر فيها مزية ليست لغيرها)(٢).

وقد تتساءلون زادكم الله حرصا لماذا سميت هذا الأيام بأيام التشريق؟

يجيبنا القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: (سميت بذلك لأنهم كانوا يُشَرِّقون فيها لحوم الأضاحي أي يقطعونها ويُقَدِّدونها)(٣).

إن هذه الأيام المباركة - أيها الأفاضل - هي أوقات عبادة وشكر وذكر لحجاج بيت الله الحرام وغيرهم من المسلمين، أما بالنسبة للحاج ففيها يرمي الجمرات بعد الزوال، حيث يبدأ بالجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخَيْف فيرميها بسبع حصيات، ثم يتقدم قليلا عن يمينه فيقوم مستقبلا القبلة ويرفع يديه ويدعو ويفعل ذلك عند الجمرة الوسطى، ثم يأتي الجمرة الكبرى وهي جمرة العقبة فيرميها كذلك ويجعل الكعبة عن يساره ومنى عن يمينه ولا يقف عندها.

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٧٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٩٣).

(٣) مشارق الأنوار (٢ / ٢٤٩).

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (رَمَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ ضُحًى، وَأَمَّا بَعْدُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ)[١] .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : (اعلم أن التحقيق أنه لا يجوز الرمي في أيام التشريق، إلا بعد الزوال، لثبوت ذلك عن النَّبي ﷺ وذَكَرَ حديثَ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الأدلة . . .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالقول بالرمي قبل الزوال أيام التشريق لا مستند له ألبتة مع مخالفته للسنة الثابتة عنه ﷺ، فلا ينبغي لأحد أن يفعله، والعلم عند الله تعالى)[٢] .

أما غير الحاج من المسلمين فيجتمع لهم في هذه الأيام المباركات راحة القلب بالذكر والتكبير، وراحة البدن بالأكل والشرب، قال ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ**»[٣] .

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (في قول النبي ﷺ: إنها «**أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ** عَزَّوَجَلَّ » إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات وقد أمر الله تعالى في كتابه بالأكل من الطيبات والشكر له، فمن استعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله وبدلها كفرا وهو جدير أن يُسْلَبها)[٤] .

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٩) . (٢) أضواء البيان (٤ / ٤٦٣) .

(٣) رواه مسلم (١١٤١) من حديث نُبيشة الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) لطائف المعارف (ص٢٩١) .

فالمؤمن الحق هو الذي يجعل ما أبيح له في هذه الأيام من الأكل والشرب عونا له على عبادة الله وتقوية له على ذكره سبحانه، ويحمد الله جل وعلا على هذه النعمة؛ لأن هذا مما يرضي الله سبحانه وتعالى.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله لَيَرْضَى عن العبد أن يأكلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها، أو يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها**»(١).

أيها الأحبة: إن مما يشرع ويُستحب في هذه الأيام المباركة الجهر بالتكبير المطلق غير الجماعي للرجال أما المرأة فتخفيه، وهذا فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويُكبر أهل الأسواق حتى تَرْتَجَّ منى تكبيرا، وكان ابن عمر يُكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فُسْطَاطِه - خيمة من الشعر - ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا، وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يُكبرن خلف أبان بن عثمان، وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد)(٢).

ومن البدع التي ينبغي التنبيه عليها ما يفعله بعض المسلمين حيث تجدهم خاصة في التكبير المقيد بدبر الصلوات في أيام التشريق أو عيد الأضحى يكبرون بصوت جماعي واحد، مخالفين بذلك هدي النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) رواه مسلم (٢٧٤٣).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٣٠).

وقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، فقيل له: ما حكم التكبير الجماعي في العيدين بعد الصلوات علما بأنه يذكر الناس بهذه الشعيرة المباركة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (يكبرون، كل يكبر في صفه، وفي الطريق، لكن ليس على صفة جماعية؛ لأن هذا بدعة لا أصل له، وإلا الكل يكبر، هذا يكبر وهذا يكبر، وبهذا يتذكر الناس ويستجيب الناس، أما كونه بلسان واحد من جماعة فهذا لا أصل له، وهو التكبير الجماعي أو التلبية الجماعية، لا يشرع هذا، لكن الكل يلبي، أما أن يكبر من تحرى أن يبدأ الصوت مع صوت أخيه وينتهي مع صوت أخيه هذا لا أصل له، ولا نعلمه عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ومن فعل هذا يخشى عليه من الإثم؛ لأنه بدعة)[(١)].

وينبغي أن نعلم أن هذا التكبير ليس مقيدا فقط بدبر الصلوات ولا بعدد معين، بل هو مطلق، وقد وجه سؤال للجنة الدائمة عن هذه المسألة، فقيل لهم:

أمر الله تعالى بذكره مطلقا أيام التشريق، ما دليله، وما صفته، وعدد مراته؟

فكان جوابهم - جزاهم الله خيرا -: (أمر الله تعالى بذكره مطلقا أيام التشريق، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ولم يثبت في القرآن ولا في السنة النبوية عقب الصلوات الخمس أيام التشريق تحديدُ عددٍ ولا بيان للكيفية)[(٢)].

---

(١) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/ ٣٠٩).

وكذلك هذه الأيام لا يشرع فيها الصيام، فعن أبي مرة مولى أم هانئ: أنه دخل مع عبد الله بن عمرو على أبيه عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقرب إليهما طعاما فقال: كُلْ، فقال: إني صائم، فقال عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كُلْ فهذه الأيام التي كان رسول الله ﷺ يأمرنا بإفطارها وينهانا عن صيامها)(١).

ويستثنى من ذلك الحاج - أي المتمتع والقارن - الذي لم يجد الهدي، فعن عبد الله بن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (لم يُرَخَّصْ في أيَّامِ التَّشْرِيقِ أنْ يُصَمْنَ إلا لِمَنْ لم يَجِدِ الْهَدْيَ)(٢).

وسئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن صيام أيام التشريق؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (أيام التشريق هي الأيام الثلاثة التي بعد عيد الأضحى، وسُميت بأيام التشريق، لأن الناس يشرقون فيها للحم أي ينشرونه في الشمس، ليبس حتى لا يتعفن إذا ادخروه. وهذه الأيام الثلاثة قال فيها رسول الله ﷺ: «**أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ**» فإذا كانت كذلك، أي كان موضوعها الشرعي الأكل والشرب والذكر لله، فإنها لا تكون وقتًا للصيام، ولهذا قال ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (لم يُرَخَّصْ في أيَّامِ التَّشْرِيقِ أنْ يُصَمْنَ إلا لِمَنْ لم يَجِدِ الْهَدْيَ) يعني للمتمتع والقارن فإنهما يصومان ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعا إلى أهلهما، فيجوز للقارن والمتمتع إذا لم يجدا الهدي أن يصوما هذه الأيام الثلاثة حتى لا يفوت موسم الحج قبل صيامهما. وما سوى ذلك

---

(١) رواه أبو داود (٢٤١٨) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (١٨٩٤).

فإنه لا يجوز صومها، حتى ولو كان على الإنسان صيام شهرين متتابعين فإنه يفطر يوم العيد والأيام الثلاثة التي بعده، ثم يواصل صومه)[١].

وأخيرًا، أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن أطاعه وشكره في هذه الأيام المباركة، وأن يُوفقنا لما يُحبه ويرضاه، ويتقبل منا أعمالنا الصالحة، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع فتاوى (٢٠/ ٦٠).

هكذا ينبغي أن يكون
التزاور بين المسلمين

هكذا ينبغي أن يكون التَّزاور بين المسلمين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن لزيارة الأقارب والأصحاب والجيران في الله - أيها الأحبة - فضلاً عظيمًا، وأجرًا كبيرًا عند ربنا سبحانه الكريم، فثمارها تُقطف في الدنيا قبل الآخرة بإذن الله.

فمن أهم ثمارها النافعة في الدنيا كَسْبُ محبة الله ﷻ ورضاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»(١).

أما ثمرتها في الآخرة فهي الفوز بالجنة بإذن الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عَادَ مَرِيضًا، أو زَارَ أَخًا له في اللَّهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ من الْجَنَّةِ مَنْزِلاً**»(٢).

(١) رواه مسلم (٢٥٦٧)، وابن حبان (٥٧٢). (٢) رواه الترمذي (٢٠٠٨).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (والزيارة لها فوائد فمع هذا الأجر العظيم - أي محبة الله جَلَّ جَلَالُهُ ودخول الجنة بإذن الله -، فهي تؤلف القلوب، وتجمع الناس، وتذكر الناسي، وتنبه الغافل، وتعلم الجاهل، وفيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها)[(١)].

إن الزيارة في الله كما تقدم - أيها الكرام - أنواع، فبعضُها أفضل من بعض، كزيارة الأهل والأقارب خاصة الآباء والأمهات فهذه أرفع درجة وأعلى منزلة لأنها صلة للرحم وتزاور في الله، ولهذا تكاثرت النصوص في الحث عليها وبيان فضلها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(٢)].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (هذا الحديث فيه: الحث على صلة الرحم وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب لطول العمر وذلك حق على حقيقته؛ فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها.

وقد جعل الله لكل مطلوب سببا وطريقا ينال به، وهذا جارٍ على الأصل الكبير وأنه من حكمته وحَمْدِه جعل الجزاء من جنس العمل، فكما وصل رحمه بالبر والإحسان المتنوع وأدخل على قلوبهم السرور، وصل الله عمره ووصل رزقه، وفتح له من أبواب الرزق

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٤٣).
(٢) رواه البخاري (٥٦٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٧).

وبركاته ما لا يحصل له بدون هذا السبب الجليل.

وكما أن الصحة وطيب الهواء وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب، من أسباب طول العمر، فكذلك صلة الرحم جعلها الله سببا ربانيا من أسباب طول العمر)[١].

ولما كانت صلة الرحم بهذا الفضل وهذه المكانة -أيها الأفاضل- حذر الشرع المطهر أشد التحذير من قطعها ورتب على ذلك إثما كبيرًا، فعن جبير بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: (هذا الحديث يتأول تأويلين:

أحدهما: حَمْلُه على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدا.

والثاني: معناه، ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين، بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى)[٣].

أيها الأحبة: إن الذي يريد بزيارة أهله وجه الله سبحانه والثواب على ذلك، لا تحدثه نفسه بأن من وصلني من أقاربي وصلته ومن قطعني قطعته، فإن هذه ليست بصلة كما قال ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[٤].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص ٧٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٥٥٦).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١١٣).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ : (يعنى: ليس الواصلُ رحَمِهَ مَنْ وصلهم مكافأةً لهم على صلة تقدمت منهم إليه فكافأهم عليها بصلة مثلها)[١] .

ومن تذكر عند زيارته لأقاربه أن الذي يريد أن يصله قد ظلمه، فعليه أن يعفو عنه ويُصلح ما بينهما طمعا في عفو الله ومغفرته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبدُ الخَلْقَ بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل)[٢] .

وليتذكر أن عفوه في الحقيقة هو عز ورفعة له وليس خوفا وذلا، ومصداقُ ذلك قوله ﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلاَّ عِزًّا**»[٣] .

وكذلك - أيها الكرام - من أعظم أنواع الزيارة في الله عيادة المريض، فهي من حق المسلم على أخيه المسلم، وتتأكد الزيارة أكثر إذا كان المريض من الأهل والأقارب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**»[٤] .

---

(١) شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٠٨).

(٢) تفسير السعدي (ص٧٦٠).

(٣) رواه مسلم (٢٢٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) رواه البخاري (١١٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (أما الحق الثاني فهو عيادة المريض: المريض إذا مرض وانقطع في بيته فإن له حقًّا على إخوانه المسلمين أن يعودوه ويذكروه ما ينبغي أن يذكروه به من التوبة والوصية، وكثرة الذكر والاستغفار وقراءة القرآن، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وكذلك يدعون له بالشفاء؛ مثل أن يقولوا: لا بأس طهور إن شاء الله، وما أشبه ذلك.

وعيادة المريض فرض كفاية، لابد أن يعود المسلمون أخاهم، وإذا عاده واحد منهم حصلت به الكفاية، وقد تكون فرض عين إذا كان المريض من الأقارب)[١].

ولقد جاءت أدلة كثيرة أيها الأفاضل تدل على فضل عيادة المريض والحث على زيارته، من ذلك ما جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلا صلى عليه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حتى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلا صلى عليه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حتى يُصْبِحَ، وكان له خَرِيفٌ في الْجَنَّةِ**»[٢].

أيها الأحبة: إن للزيارة في الله بكل أنواعها أحكاما شرعية وآدابا رفيعة عليَّة ينبغي أن يتحلى بها الزائر، ومن أهم ذلك:

▪ أن لا يكون في الزيارة مخالفات شرعية كالاختلاط ومصافحة غير المحارم، أو أن لا تكون فرصةً للغيبة والنميمة والكلام في أعراض

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٩٦٩) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الناس والله المستعان.

▪ أن تُستغل الزيارة فيما ينفع من الأمر بالمعروف كالحث على المحافظة على الصلوات وسائر الأركان والواجبات، والتمسك بالسنة والرجوع إلى العلماء الربانيين عند النوازل، وكذلك النهي عن المنكر بالحث عن الكف عن سائر البدع والمعاصي والمحرمات.

▪ أن يراعي الزائر الوقت المناسب الذي ليس فيه إحراج ولا مشقة على المَزُور، وليستأذنه بالزيارة قبل المجيء، وإذا جاء فعليه بعد أن يُسلِّم على من قصده أن يسمع كلامه ويجلس في المكان الذي دلَّه عليه.

يقول الإمام ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ : (وحاصل ذلك وتحقيقه: أنه إن أمره صاحب المنزل بالجلوس في مكان منه لم يجز أن يتعداه، لأنه ملكه وسلطانه وتَكرمته - الموضع الخاص بالجلوس - ولهذا لو لم يأذن في الدخول لم يجز ولو أمره بالخروج لم يجز له المقام فيه)[١].

▪ وكذلك من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها أن لا يقترح طعاما بعينه إذا لم يُخير، أما إذا خُيِّر فالأولى أن يراعي حال صاحب البيت ويختار الأيسر عليه، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن آداب الزائر أن لا يقترح طعامًا بعينه، وإن خُيِّرَ بين طعامين اختار الأيسر، إلا أن يعلم أن مُضِيفه يُسَرّ باقتراحه ولا يَقصر عن تحصيل ذلك)[٢].

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٤٢٧).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ١٩٧).

▪ وإذا كان من يريد زيارته مريضا فلا ينبغي أن يطيل عنده وليستغل وقته معه بمواساته وتذكيره أن ما أصابه لم يكن لِيُخْطئه وهو بقضاء الله وقدره، وأن عليه التوبة وكثرة الاستغفار فالذي ألَمَّ به هو مطهرة له بإذن الله، وليحرص على عدم زيارته في وقت نومه وراحته.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن العلماء - رحمهم الله - ذكروا لعيادة المريض آدابًا منها: ألا يكثر العائد لمريض محادثته بالسؤال عن حاله وعن نومه وأكله وشربه وما أشبه ذلك، إلا إذا كان يأنس بهذا ويُسر به، أما إذا كان يتضجر ولا يحب أن يكثر أحد الكلام معه كما هو حال بعض المرضى، فإنك لا تتبع معه الكلام ولا تضجره بالمساءلات.

لذلك قالوا: ينبغي أن لا يكثر المقام عنده ويطيل؛ لأنه قد يكون له حاجة مع أهله أو في نفسه، ولا يحب أن يطيل الجلوس عنده أحد، لكن إذا علمت أنه يستأنس بهذا ويفرح، فإنك تنظر ما فيه المصلحة.

وقالوا: ينبغي أيضًا أن لا يزوره في الأوقات التي يكون الغالب فيها النوم والراحة؛ كالقيلولة والليل وما أشبه هذا؛ لأن ذلك يضجره وينكد عليه، بل يكون بكرة وعشيا حسب ما تقتضيه الحال)[1].

فهذه - أيها الأحبة - الأفاضل أهم الضوابط والأخلاق التي ينبغي للزائر لأهله وإخوانه وأصدقائه أن يتحلى بها وأن يراعيها عند زيارته، لتتآلف القلوب وتتوثق المودة، وتزداد المحبة بإذن الله.

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٩٥).

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يقوي روابط القرابة والأخوة بين المسلمين في كل مكان ويكتب أجر كل زائر في الله وواصلٍ لأهله وأقاربه، ويهدي من كان قاطعا أو مقصرا، ويتوب عليهما، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الصدق مع الله

الصدق مع الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الله جل وعلا خلق عباده وأمرهم أن يتقوه في السر والعلانية، وأن يَصْدُقوا معه في أقوالهم وأفعالهم، وفي أمورهم كلها، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة :١١٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: (في أقوالهم، وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة)[(١)].

فمن أراد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة بإذن الله، فعليه بالصدق مع الله جَلَّ جَلَالُهُ بقلبه وعمله، قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٣٥٥).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ليس للعبد شيء أنفع من صدقه مع ربه في جميع أموره . . . ، ومن صَدَقَ الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره)[١] .

وعن سهل بن حنيف ﷺ أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٢] .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قَيَّدَ السؤال بالصدق، لأنه معيار الأعمال، ومفتاح بركاتها، وبه تُرْجَى ثمراتها «**بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ**» : مجازاة له على صدق الطلب)[٣] .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (فإذا سأل الإنسان ربه وقال : اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك - ولا تكون الشهادة إلا بالقتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا - فإن الله تعالى إذا علم منه صدق القول والنية، أنزله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه)[٤] .

ولهذا - أيها الكرام - لما صدَق أهل الإيمان مع ربهم جَلَّ جَلَالُهُ تكفَّل بحفظهم ودفع الشرور عنهم، ومن أمثلة ذلك قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار لما التجؤوا إليه بعد أن أصابهم المطر، فقال أحدهم : (والله يا هؤلاء لا يُنْجِيكُمْ إلا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه . . . ، فَفَرَّجَ الله عنهم فَخَرَجُوا)[٥] .

---

(١) الفوائد (ص١٨٦) .
(٢) رواه مسلم (١٩٠٩) .
(٣) فيض القدير (٦/ ١٤٤) .
(٤) شرح رياض الصالحين (١/ ٣١٢) .
(٥) رواه البخاري (٣٢٨٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وعن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَجُلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فَآمَنَ به، وَاتَّبَعَهُ ثم قال: أُهَاجِرُ معك، فأوصى به النبي ﷺ بعضَ أصحابه فلما كانت غَزْوَةٌ غَنِمَ النبي ﷺ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ له، فأعطى أصحابَه ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: «**قَسَمْتُه لَكَ**» ، قال: ما على هذا اتَّبَعْتُكَ!، ولكني اتَّبَعْتُكَ على أن أُرْمَى إلى ها هنا، وأشار إلى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فقال: «**إن تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**» ، فَلَبِثُوا قليلاً ثم نَهَضُوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصَابَهُ سَهْمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أهُوَ هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ**» ، ثُمَّ كَفَّنَهُ النبي ﷺ في جُبَّةِ النبي ﷺ ثم قَدَّمَهُ فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا في سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أنا شَهِيدٌ على ذلك**»(١) .

نعم صدق مع الله فَصدقَه، وهكذا - أيها الأفاضل - حال كل من صدق مع الباري سبحانه، يعطيه ما يتمنى في الدنيا أو الآخرة، أو معا، فهو سبحانه الكريم الجواد.

أيها الأحبة: إن الصدق مع الله جل وعلا ليس عبارات يرددها القائل!، ولا شعارات يرفعها المدَّعي!، وإنما تظهر حقيقته في طاعة الله جَلَّ جَلَالُهُ، وطاعة نبيه ﷺ.

---

(١) رواه الإمام النسائي في السنن (١٩٥٣) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

فطاعة الله تكون بتوحيده سبحانه بالعبادة، والكفر بكل ما يُعبد من دونه، وامتثال أوامره بتحقيق الطاعات والابتعاد عن المعاصي والمحرمات، ولا يقبل ذلك إلا بالإخلاص له تعالى سواء في فعل الطاعة أو ترك المعصية ولهذا كان المخلص لله سبحانه من عباده المقربين وأوليائه الصالحين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فمن كان مخلصًا في أعمال الدين يعملها لله، كان من أولياء الله المتقين أهل النعيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يونس :٦٢-٦٤])[(١)].

وطاعة نبيه ﷺ تكون باتباع هديه وسنته ومحبته ومحبة ما جاء به، لأنه ﷺ مُرسل من ربه سبحانه ومُبلغ عنه، فطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله.

فما دبَّ إلينا النقص - أيها الأفاضل - وأصابنا الضعف والتفرق وتسلط علينا الكفار، إلا بعد أن تركنا الصدق مع الله جَلَّ جَلَالُهُ في أمورنا كلها، والله المستعان.

فعلينا - أيها الكرام - إذا أردنا أن تَقْوَى شوكة المسلمين، والنصر على أعداء الدين أن نَصدق مع رب العالمين، وذلك بامتثال أوامره

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨).

والابتعاد عن نواهيه، وقد وعد سبحانه أن يَنصر ويؤيد كل من أطاعه واتبع سنة نبيه ﷺ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد :٧].

فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم الصدق معه في السر والعلانية وأن يُوفقنا لعمل الطاعات والتَّزود من الخيرات ويجنبنا الشرور والمحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

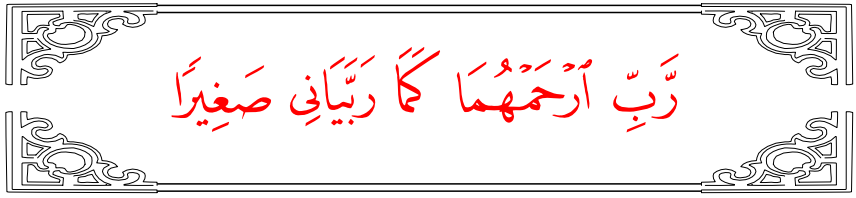
رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا

﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الله ﷻ أمر بطاعة الوالدين والإحسان إليهما بالقول والفعل في غير معصية، وحذر من المساس بحقهما ولو بأدنى الألفاظ، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء:٢٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾: وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى: لا تؤذهما أدنى أذية. ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ بلفظٍ يُحِبَّانِه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان)[(١)].

بل أمر سبحانه بالرأفة عليهما وحسن معاملتهما حتى وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي

(١) تفسير السعدي (٤٥٦).

مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت :٨] .

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما المتقدم قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ أي: وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إليَّ يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما، وصبرك على دينك وأحشرك مع الصالحين، لا في زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينيا)[(١)] .

إن مظاهر بر الوالدين - أيها الأحبة - كثيرة سواء كان في حياتهما أو بعد مماتهما، وجماعُ ذلك طاعتهما في غير معصية الله جَلَّ جَلَالُهُ .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (والوالدان هم الأب والأم، والواجب على الإنسان أن يبر بهما، وأن يخدمهما بقدر ما يستطيع، وأن يطيعهما إلا ما فيه ضرر أو معصية لله عَزَّوَجَلَّ ، فإنه لا يطيعهما)[(٢)] .

▪ فمن البر إليهما في حياتهما: محبتهما والرفق بهما وتجنب غليظ القول في مخاطبتهما، وعدم مناداتهما بأسمائهما بل يُنَاديان بأحب الأسماء لهما كـ: يا أبي، ويا أمي، وغير ذلك من الألفاظ التي تدخل السرور والبهجة على قلبيهما، كذلك تعليمهما ما يحتاجانه خاصة في

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٠٦) .
(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٩٠) .

أمور دينهما، وإذا كبرا في السن ينبغي أن تزداد الرحمة بهما والشفقة عليهما.

▪ ومن البر بهما بعد وفاتهما: طلب المغفرة بالدعاء لهما؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ: إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَة، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(١).

قال المناوي رحمه الله: (وفائدة تقييده بالولد مع أن دعاء غيره ينفعه، تحريض الولد على الدعاء للوالد)(٢).

وإكرام صديقهما ومن كانا يحسنان إليه وذلك بزيارتهم وتقديم الهدايا لهم، والكلام الطيب معهم، والصدقة عليهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنَّ رَجُلاً قال لرسول الله ﷺ: إنَّ أُمَّهُ تُوُفِّيَتْ أيَنْفَعُهَا إن تَصَدَّقْتُ عنها؟ قال: «**نَعَم**» قال: فإن لي مِخْرَافًا(٣)، وَأُشْهِدُكَ أنِّي قد تَصَدَّقْتُ به عنها)(٤).

فعلينا أن نتذكر دائما - أيها الكرام - تعب أمهاتنا وأنينهن أثناء الحمل، وسهرهن على راحتنا خاصة إذا مرضنا، ولهذا كنَّ أحق بالمحبة والتبجيل والصحبة حتى من الآباء، فقد قال رجل للمصطفى ﷺ من أحق الناس بحسن صَحَابتِي؟ قال: «**أُمُّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّك**»، ثم قال في الرابعة: «**ثم أبوك**»(٥).

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).
(٢) فيض القدير (١/ ٤٣٨).
(٣) الحديقة من النخل أو العنب أو نحوهما.
(٤) رواه البخاري (٢٦١٨).
(٥) رواه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٤٦٢٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه)[(١)] .

لكن لا يعني ذلك إهمال حق الآباء من الطاعة في المعروف والبر والإكرام، فقد كانوا - جزاهم الله عنا خير الجزاء - حريصين جدا على تربيتنا والسعي على توفير حاجياتنا.

ولكن للأسف - أيها الأفاضل - نجد أن بعض من حُرم التوفيق، بدل أن يُجَازِيَ مَنْ أحسَنَا إليه، وتعبا في تربيته وسهرا على راحته، نجده يكفر هذه النعمة، ويقابل هذا الإحسان بالإساءة والعقوق، والله المستعان، جاهلا أن هذا الفعل الشنيع حذر منه الباري جَلَّ جَلَالُهُ، ورسوله ﷺ وجعله من أكبر الكبائر، فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، ثَلَاثًا؟: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أو قَوْلُ الزُّورِ**» ، وكان رسول الله ﷺ مُتَّكِئًا فجلس فما زال يُكَرِّرُهَا حتى قلنا: لَيْتَهُ سكت)[(٢)] .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين، وأن عقوقهما حرام من الكبائر)[(٣)] .

فنجد أمثال هؤلاء! يفضلون زوجاتهن على آبائهم وأمهاتهم! بل قد

---

(١) الشرح على مسلم (١٦/ ١٠٢).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٨٧) واللفظ له.

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٠٤).

يؤدي بهم هذا التفضيل إلى الإساءة للوالدين بالقول والفعل، حتى وصل الأمر عند بعضهم! لطرح من بذل الوسع في تربيته ورعايته في دار العجزة!، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونجد البعض الآخر إذا جلس عند والديه ساعة من الزمن يملُّ ويضجر! كأنما هو جالس على جمر! وإذا جلس عند أصحابه انبسط وانشرح، والله المستعان.

فيا من تسيء معاملة من كانا سببا في وجودك بعد الله سبحانه وتعالى، وأكرماك وأحسنا إليك في صغرك! تذكر أن فعلك الشنيع هذا يغضب رب العالمين الذي أوصاك بالإحسان إليهما وحذرك من الإساءة لهما، فبادر بالتوبة إلى الله ﷻ وبِرَّ والديك وارحمهما وعاملهما بصدر منشرح واحرص على رضاهما، واعلم أنك مهما قدمت وما ستقدم لهما من أوجه البر بإذن الله، فلن تجازيهما حقهما وتردَّ فضلهما، وليكن دعاؤك لهما دائما: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجزي آباءنا وأمهاتنا عنا خير الجزاء، ويحفظ من كان حيا منهما ويرحم ويغفر من مات منهما، ويوفقنا لطاعتهما في غير معصية الله ويجنبنا عقوقهما وسوء المعاملة معهما، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فلنستقبل عامنا الجديد بالطاعات

فلنستقبل عامنا الجديد بالطاعات!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مع مرور الأيام وانقضاء الشهور والأعوام يُهدم جُزء من عُمر الإنسان، ويَبتعد بذلك عن دنياه ويَقرُب من أُخراه، وسيقف أمام الله ﷻ ليسأله عن وقته فيما قضاه وعن، عمره فيما أفناه، فليعدَّ للسؤال جوابا وللجواب صوابا.

قال ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْالَ: عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»[(١)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجُدَاد - أوان قطع ثمر النخل - يوم المعاد، فعند الجداد يتبين

(١) رواه الترمذي (٢٦٠٢) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

حلو الثمار من مُرَّها. والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك)[١].

إن أهل الأموال والشركات - أيها الأحبة - يجعلون نهاية كل عام موعدا لمراجعة ما كسبوه وما خَسِروه من التجارات!، فحري بمن خلقه الله سبحانه لعبادته وأمره بطاعته، وحَذّره من معصيته أن يقف مع نفسه لحظات؟!، ويتدبر كيف انقضت من عمره وعامه الذي مر به تلك الأوقات؟!، هل أكثر فيها من أنواع البر والخيرات والتزود من الطاعات؟ فيشكر على ذلك رب البريات، أم غلبت عليه فيها المعاصي والمنكرات؟! فيبادر بالتوبة والاستغفار من رب الأرض والسموات، لأن كل دقيقة ذهبت، وكلّ ساعات انقضت وشهور مضت وأعوام مرت، يجدها في صحيفته كُتبت، وعليه يوم القيامة عُرضت.

أيها الأفاضل: قد يسر سبحانه لنا إدراك عام جديد، حُرم غيرنا منه، فلنسأل الله تعالى التوفيق فيه على مرضاته، ولنعزم النية على تصحيح المسار فيه وجبر النقص الذي كان في سابقه، ونبذل الجهد والوسع لاغتنامه فيما يرضي الله تعالى، ولا نضيعه فيما يُغضبه سبحانه ويُسخطه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل

(١) الفوائد (ص١٦٤).

من القول والعمل)[١].

ومن ذلك العلم بما يُشرع في شهوره وأيامه من العبادات للتزود منها وحث الناس عليها، ومعرفة ما ابْتُدِع فيها من المحدثات للابتعاد عنها وتحذير المسلمين منها، فنكون بإذن الله سببا في نشر الخير والسنة وإبطال المنكر وقمع البدعة.

إن شهر الله الحرام - أيها الأفاضل - هو أول شهور السنة الهجرية وهو من أفضلها عند الله تعالى ولهذا أضيف إليه سبحانه.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد سمى النبي ﷺ المحرم شهر الله، وإضافتُه إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نَسَبَ محمدًا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وغيرهم من الأنبياء إلى عبوديته ونسب إليه بيته وناقته)[٢].

ومما يستحب في هذا الشهر الكريم الإكثار من صيام التطوع، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**...»[٣].

وقد تتساءلون - أيها الكرام زادكم الله حرصا - كيف أكثر نبينا ﷺ من الصيام في شعبان دون محرم؟ مع أنه أخبر أنه أفضل الصيام بعد رمضان؟

---

(١) صيد الخاطر (ص٢).

(٢) لطائف المعارف (٣٦).

(٣) رواه مسلم (١١٦٣).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالجواب لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يَعْرِض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما)[١] .

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريبًا من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه، ويكون قوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**» ، محمولا على التطوع المطلق بالصيام، وأما ما قبل رمضان وبعده، فإنه يلتحق به في الفضل)[٢] .

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (اختلف العلماء - رحمهم الله - أيهما أفضل، صوم شهر محرم أم صوم شهر شعبان؟ فقال بعض العلماء: صوم شهر شعبان أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يصومه إلا قليلا منه، ولم يحفظ عنه أنه كان يصوم شهر المحرم لكنه حث على صيامه بقوله (إنه أفضل الصيام بعد رمضان) ، وقالوا: لأن صوم شعبان ينزل منزلة الراتبة قبل الفريضة، وصوم المحرم ينزل منزلة النفل المطلق، ومنزلة الراتبة أفضل من منزلة النفل المطلق، وعلى كلٍّ، فهذان

---

(١) الشرح صحيح مسلم (٨ / ٣٧).

(٢) لطائف المعارف (ص١٥٣).

الشهران يسن صومهما)[١].

ويتأكد استحباب صوم يوم العاشر من هذا الشهر وهو يوم عاشوراء، لأن النبي ﷺ كان يتحراه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (ما رأيت النبيَّ ﷺ يتحرى صيام يوم فَضَّلَهُ على غيره إلا هذا اليومَ، يوم عاشوراء، وهذا الشَّهْرَ، يعني: شهر رمضان)[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ومعنى (يتحرى) أي: يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

وقد ورد في فضل صومه أجر عظيم وأجر كبير، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: (وسُئل - أي رسول الله ﷺ عن صوم يوم عاشوراء؟، فقال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»[٤].

ويستحب صيام يوم قبله لمخالفة اليهود والنصارى، لأنهم يصومون العاشر فقط!، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يومٌ تُعَظِّمُهُ اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا كان الْعَامُ الْمُقْبِلُ إن شَاءَ الله صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»، قال - أي ابن عباس رضي الله عنهما: (فلم يأت العام المقبل حتى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ)[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله: (قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق

---

(١) الشرح الممتع (٦/ ٤٦٩).
(٢) رواه البخاري (٢٠٠٦).
(٣) فتح الباري (٤/ ٢٩٢).
(٤) رواه مسلم (١١٦٢).
(٥) رواه مسلم (١١٣٤).

وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا، لأن النبي ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع، . . . ، قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هذا، وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء، والأول أولى والله أعلم)[١].

واستحب بعض العلماء صيام اليوم الحادي عشر مع التاسع والعاشر في حالة الشك في دخول الشهر حتى لا يفوته العاشر بعون الله، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن اشتبه عليه أول الشهر صام ثلاثة أيام، وإنما يفعل ذلك ليتيقن صوم التاسع والعاشر)[٢].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أراد أن يصوم عاشوراء صام التاسع والعاشر، إلا أن تشكل الشهور فيصوم ثلاثة أيام، ابن سيرين يقول ذلك)[٣].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا، ويجعلها في طاعته، ويتقبل منا أعمالنا ويرزقنا الإخلاص فيها، ويعيننا وإياكم على العلم بالسنة ونشرها بين المسلمين ومعرفة البدع وإخمادها، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الشرح صحيح مسلم (٨/ ١٢).
(٢) المغني (٤/ ٤٤١).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٧٦).

يوم عاشوراء بين الممنوع! والمشروع

يوم عاشوراء بين المنوع! والمشروع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن معرفة البدع وما أدخله أهل الأهواء في ديننا الحنيف، أمر مهم جدا، حيث تجعل المسلم يبتعد عنها، ويتعبد الله ﷻ بما شرع على نور وبصيرة.

ومن المحدثات التي ظهرت وانتشرت خاصة بعد القرون الثلاثة المفضلة - والله المستعان - ما زينه الشيطان الرجيم لأهل الضلال والباطل، من اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا، يكثرون فيه من الحزن والندب والنياحة!، وهذا تفعله طائفة مبتدعة هم: الرافضة، يزعمون حب آل البيت وموالاتهم خاصة عليًّا وفاطمة والحسين رضي الله عنهم! وآلُ بيت النبي ﷺ من أفعالهم الشنيعة بَراء، براءةَ الذئب من دم يوسف عليه السلام.

وقابل هذا الفساد بالفساد والمنكر بالمنكر والكذب بالكذب!، طائفة أخرى ضالة وهم الناصبة: الذين أعلنوا العداء وناصبوا البغضاء لآل البيت، فاحتفلوا بهذا اليوم وأظهروا فيه كثيرا من المنكرات، كتخصيصه بعبادات غير مشروعة من الذكر، والصلاة، والذبح،

والتوسعة على العيال، والاكتحال والتطيب، وغير ذلك من المحدثات!.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ، والبكاء، والعطش، وإنشاء المراثي، وما يفضي إلى ذلك من سبِّ السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب، حتى يُسَبَّ السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك، فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجبًا ولا مستحبًّا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة، من أعظم ما حرمه الله ورسوله، وكذلك بدعة السرور والفرح... فصار أقوام يستحبون يوم عاشوراء الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال وإحداث أطعمة غير معتادة، وهذه بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتلك بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل له، وكل بدعة ضلالة، ولم يستحب أحد من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا ولا في شيء من استحباب ذلك حجة شرعية بل المستحب يوم عاشوراء الصيام عند جمهور العلماء ويستحب أن يصام معه التاسع)[1].

لقد وضع - أيها الأحبة - أصحاب البدع في هذا اليوم ما يخدم ضلالتهم ويزينها للناس من الأحاديث الموضوعة والأخبار المكذوبة،

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٥٥).

فمن اتخذه يوم حزن ومأتم، استدل مثلا بما يُروى: «**ما من عبد بكى يوم مقتل الحسين، إلا كان يوم القيامة مع أولي العزم من الرسل**»، وأيضا: «**البكاء يوم عاشوراء نور تام يوم القيامة**».

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الحديثين: (موضوع وضعته الرافضة)[١].

وأما من جعله يوما للفرح والسرور، والاكتحال والتطيب والتوسعة على العيال فاستدل على بدعته مثلا بما يروى: «**من وسَّع على عياله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر سنته**»، و«**من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا**».

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ما يروى في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء، والاختضاب، والاغتسال فيه، فموضوع لا يصح، . . . وأما اتخاذه مأتما، كما تفعله الرافضة، لأجل قتل الحسين بن علي -رضي الله عنهما-، فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما، فكيف بمن هو دونهم؟!)[٢].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء والتزين والتوسعة والصلاة فيه، وغير ذلك من فضائل، لا يصح منها شيء ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء غير أحاديث

---

(١) الفوائد المجموعة (٢/ ٥٤).

(٢) لطائف المعارف (ص٥٨).

صيامه وما عداها فباطل، وأمثل ما فيها: «**من وسع على عياله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر سنته**»، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يصح هذا الحديث، وأما حديث الاكتحال والادهان والتطيب فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة.

وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي ﷺ من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع)[١].

صدق رَحِمَهُ اللَّهُ والله، فأهل السنة والجماعة متمسكون بالمنهج القويم والصراط المستقيم، وبهدي نبيهم ﷺ الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدِمَ رسول الله ﷺ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يوم عَاشُورَاءَ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا الْيَوْمُ الذي تَصُومُونَهُ؟**»، فقالوا: هذا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى الله فيه مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فرعون وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ موسى شُكْرًا فنحن نَصُومُهُ، فقال رسول الله ﷺ: «**فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ**»، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه)[٢].

فأطاعوا النبي ﷺ، فصاموا هذا اليوم المبارك، ودعوا الناس ورغبوهم في صيامه متابعة للمصطفى ﷺ، وحرصا على الأجر

---

(١) المنار المنيف (ص١١١).

(٢) رواه البخاري (٣٢١٦) ومسلم (١١٣٠) واللفظ له.

المترتب على ذلك، فعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (وسُئل - أي رسول الله ﷺ عن صوم يوم عاشوراء؟، فقال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»[(١)].

ثم أكدوا هذا الامتثال بصيامهم لليوم التاسع مع العاشر، لأنه ﷺ أخبر أنه سيصومه مخالفة لليهود والنصارى لأنهم يفردون العاشر فقط بالصيام!، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يومٌ تُعَظِّمُهُ اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا كان الْعَامُ الْمُقْبِلُ إن شَاءَ الله صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»، قال - أي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فلم يأت العام المقبل حتى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ)[(٢)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق وآخرون، يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا، لأن النبي ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع، . . ، قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هذا، وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء، والأول أولى والله أعلم)[(٣)].

فعلينا - أيها الأحبة - أن نتمسك بهدي نبينا ﷺ، وليسعنا صيام هذا اليوم المبارك كما وسِع سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولنترك ولنبتعد، ولنحذر الناس مما

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).
(٢) رواه مسلم (١١٣٤).
(٣) الشرح على صحيح مسلم (٨/ ١٢).

أحدثه أهل الضلال والزيغ من الحزن والترح!، والسرور والفرح! فلا يجوز التشبه بهم ولا تلبية دعوتهم ولا حضور مجالسهم.

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما اتخاذ يوم عاشوراء مأتما، فهو من البدع المنكرة التي أحدثها الرافضة، وخالفوا بها أهل السنة والجماعة، وما درج عليه أصحاب النبي ﷺ، فلا يجوز التشبه بهم في ذلك)[١].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب أو في ليلة النصف من شعبان أو في يوم عاشوراء، فإنه لا أصل له، ويُنهى عنه ولا يحضر إذا دعي الإنسان إليه، لقوله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**...»[٢].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينشر السنة بين المسلمين في كل مكان، ويرفع رايتها، ويُعزَّ أهلها، ويرزقنا وإياكم اتباعها؛ فإن في ذلك النجاح والفلاح، ويُميت البدع بينهم، ويهدي أهلها، ويخمد رايتها، ويجنبنا وإياكم العمل بها، فإن في ذلك الخذلان والحرمان، والله المستعان، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ٢٥٢).

(٢) فتاوى نور على الدرب (١٩/ ٩٠).

أسباب كثرة الطلاق
في المجتمعات الإسلامية

أسباب كثرة الطلاق في المجتمعات الإسلامية!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الزواج من نعم الله ﷻ على عباده، حيث جعله سبحانه من أسباب السعادة والاطمئنان والسكينة بين الزوجين، ومن الوسائل الجالبة للمودة والرحمة بينهما، وهذا دليل على قدرة الله وعظمته ولطفه بخلقه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه امتن على بني آدم أعظم مِنَّة بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا، وجعل الإناث أزواجًا للذكور، وهذا من أعظم المنن، كما أنه من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده)[(١)].

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤١٢).

لكن هذه الألفة قد تنقطع وهذه السعادة قد تزول وتندفع، وتتحول على أصحابها في الغالب إلى محنة وشقاء بعد أن كانت طمأنينة وهناء!، بسبب كلمة أبكت العيون مع قلة حروفها! وأحزنت القلوب عند سماعها! يترتب على النطق بها الفراق! ألا وهي كلمة الطلاق!.

أيها الأحبة: لا ينازع أحد في حاجة الزوجين للطلاق عند تعذر استمرار العيش بينهما! وعند بلوغ النفور مبلغا يصعب معه التودد!، ولهذا قيل: إذا تعذر الاتفاق فلا بأس بالافتراق، وفي ذلك الخير الكبير بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: بطلاق، أو فسخ، أو خلع، أو غير ذلك. ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ من الزوجين ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: من فضله، وإحسانه الواسع الشامل، فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله، وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها زوجا خيرا منه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، وكان مع ذلك ﴿حَكِيمًا﴾ أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة، فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان حرمه عدلا وحكمة)[1].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٢٠٧).

لكن ما يلاحظ اليوم في المجتمعات الإسلامية انتشار الطلاق بشكل رهيب! حتى أصبح هذا يمثل واقعا مؤلما، انعكس على حياة المسلمين، والله المستعان.

فلهذا علينا - أيها الكرام - أن نعرف الأسباب التي قَطَّعَتْ أوصال المحبة بين الزوجين، وفرقت شمل الأسرة بعد أن كانت تَنعم بالسعادة، حتى نتجنبها، ونحث الناس على الابتعاد عنها، ومن أهم هذه الأسباب:

١- سوء الاختيار من الزوجين أو أحدهما، وذلك بسبب عدم الحرص على المتمسك بالدين، مع أن الشرع حث الزوج على الظفر بذات الدين إذا أراد الفلاح والنجاح بإذن الله، فقال ﷺ بعد أن ذكر أن المرأة تُنكَح لمالها، وحسبها وجمالها، ودينها قال: «**فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية)(٢).

وحث كذلك أهل المرأة أن لا يكون همهم فيمن تقدم لخطبة ابنتهم المال والجاه أو النسب، بل عليهم أن يحرصوا على اختيار الرجل المناسب وهو من عُرِفَ بصلاح الدين، وحُسن الخلق، لأن المتمسك بدينه العامل به حريص على الإتيان بما أوجبه الله عليه بعيد عما نهاه

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري (٩/ ١٣٥).

عنه، ومن ذلك ظلم الآخرين، فلن يضيع بعون الله حق الزوجة ولن يظلمها، بل سيعينها على طاعة الله سبحانه، وبالتالي ستسعد ابنتهم في حياتها الزوجية، بإذن الله، فإذا حدث من أهل المرأة العكس! قلَّ الزواج وكثر الطلاق بين المتزوجين وعمَّ الشر بين المسلمين، والله المستعان، قال ﷺ: «**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(١).

قال الملا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنكم إن لم تزوِّجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار، فتهيج الفتن والفساد، ويترتب عليه قطع النسب، وقلة الصلاح والعفة)(٢).

٢- عدم مراعاة الزوجين أو أحدهما ما أوجب الله عليهما من الحقوق والواجبات، فمثلا نجد أن الزوج مهمل لزوجته وذلك إما بعدم النفقة عليها أو على أولاده، أو بكثرة أسفاره وغيابه عن البيت، أو بعدم مبالاته بوجودها إذا كان في البيت!، فإن ذلك يُولِّد عند المرأة مشاكل نفسية تعود سلبا على معاملتها لزوجها، وبالتالي يكثر الخلاف بينهما ويجر ذلك إلى الطلاق، والله المستعان.

أو تكون المرأة كثيرة الخروج من البيت لا يقر لها قرار فيه!، بين الزيارات! والمجمعات! والحفلات!، أو أنها تعمل خارج بيتها، ويأخذ ذلك منها جزءًا كبيرا من وقتها، فيؤثر ذلك في تربية أطفالها،

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٦).

وقد يكون سببا في التقصير في خدمة زوجها، ونظافة بيتها! والأشر من هذا أن يكون عملها في مكان مختلط بالرجال الأجانب عنها، فقد يتولد على ذلك شر كبير من مصافحة غير ذي المحارم، والكلام معهم بلطف ما قد يؤدي إلى المحرمات، وهذا مع الأيام يؤدي إلى زهدها في زوجها وعدم محبته، خاصة بعد أن ترى معاملة حسنة من هؤلاء الرجال الأجانب! زينها الشيطان لها، والله المستعان.

٣- كثرة الذنوب من الزوجين، أو من أحدهما، فالمعاصي نذير شؤم على البيوت، فهي تزيل النعم وتُحلُّ النقم، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلا الله)[١].

فالمعاصي وإن كان بعضها في النساء أكثر كعدم محافظتهن على الصلوات، وكثرة الغيبة، والنميمة، وخروجهنَّ من البيوت متعطرات، متبرجات غير محتشمات!، إلا أنها كذلك تكون من الرجال كعدم إتيانهم بالواجبات وتهاونهم في ارتكاب المحرمات كأكل الربا وظلم الآخرين وغير ذلك من المنكرات، فثمرة المعصية قد يراها المذنب في زوجته وأولاده، قال بعض السلف: (إني لأعصي الله فأرى أثر ذلك في خلق دابتي وامرأتي)[٢].

وللأسف، فإن بيوت كثير من المسلمين اليوم أصبحت مليئة بالمنكرات من المعازف والأغاني والمجلات المليئة بالأفكار الهدامة،

(١) الجواب الكافي (ص٣٤).
(٢) الجواب الكافي لابن القيم (ص٣٥).

والصور المحرمة، وبعض البيوت أصبحت تَعج بالكلاب التي لا فائدة فيها، وإنما اتخذت للزينة والتفاخر، فأصبحت بيوتهم ملاذا للشياطين، بعيدة عن رحمة رب العالمين، قال ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطانا، كما جاء به الحديث، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه واستغفارها له، وتبريكها عليه وفى بيته، ودفعها أذى الشيطان، وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة، فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت، ولا يفارقون بني آدم في كل حال، لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها)(٢).

٤- القسوة والعنف من الزوج أو من أهله على الزوجة، فينبغي للرجل أن يتحلى بالرفق واللين في معاملة زوجته، ولابد أن يعلم أنها ليست كاملة كما أنه ليس بكامل!، فالمرأة جُبلت على النقص فعليه

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٣) ومسلم (٢١٠٦) واللفظ له، من حديث أبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ٨٤).

بالصبر عليها لينتفع بها، ولهذا أوصى بها نبينا ﷺ خيرا، فقال: «**وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فإن الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ في الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إن ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لم يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني: اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيرًا مع النساء؛ لأن النساء قاصرات في العقول، وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير، وقاصرات في جميع شئونهن، فإنهن خلقن من ضلع.

وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، ولما أراد الله تعالى أن يبث من هذه الخليقة، خلق منه زوجه، فخلقها من ضلعه الأعوج، فخلقت من الضلع الأعوج، والضلع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج، وإن ذهبت تقيمه انكسر.

فهذه المرأة أيضًا إن استمتع بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لابد من مخالفة، ولابد من تقصير مع القصور الذي فيها.

فهي قاصرة بمقتضى جِبِلَّتها وطبيعتها، ومقصرة أيضًا، فإن ذهبت

(١) رواه البخاري (٤٨٩٠) ومسلم (١٤٦٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تقيمها كسرتها وكَسْرُها طلاقها، يعني معناه أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرها طلاقها)[١].

فعلى الرجل أن لا يَحقد ولا يُبغض زوجته بسبب نقص رآه منها، قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مؤمنة إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**»[٢].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ينبغي أن لا يبغضها لأنه إن وجد فيها خلقا يُكْرَه، وجد فيها خلقا مَرْضيًّا بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة، أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به، أو نحو ذلك)[٣].

وإذا رأى منها نشوزا أو إعراضا عنه، فالشريعة ذكرت له حلولا قبل أن يلجأ إلى طلاقها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن، بأن تعصيه بالقول أو الفعل، فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل. ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته، والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت،

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ١١٦).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٠/ ٥٨).

فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربا غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور، وأطعنكم ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: فقد حصل لكم ما تحبون، فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها، ويحدث بسببه الشر)[١].

ومما يُؤسف أيها الكرام: أن نرى الرجل إذا كان مع أصدقائه انبسط لهم وانشرح صدره وتحدث معهم بألطف العبارات، وإذا جلس مع زوجته أغلظ معها القول وضاق صدره كأنه جالس على الجمر! مع أن نبينا ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[٢].

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: («**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**»: أي: لعياله وذوي رحمه، وقيل: لأزواجه وأقاربه وذلك لدلالته على حسن الخلق «**وأنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» فأنا خيركم مطلقا وكان أحسن الناس عشرة لهم وكان على خلق عظيم)[٣].

وكذلك على المرأة أن تتقي الله في زوجها وتطيعه فيما أمر ما لم يأمرها بمعصية، وتبتعد عما يغضبه ويثير أعصابه، فهذه هي علامة المرأة الصالحة الخيرة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قال: «**التي تَسُرُّهُ إذا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إذا**

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٧٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٦٩).

أمَرَ، ولا تُخَالِفُهُ في نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ» [١].

٥- عدم المبالاة عند بعض الرجال بلفظة الطلاق والاستعجال بالنطق بها، حتى جعلها بعضهم ألعوبة تجري على ألسنتهم، بل أدى الاستهتار بها إلى تعليق بعض الأمور عليها، مع أن الطلاق شأنه عظيم عند الله ﷻ، لهذا يستوي في حكمه القاصد والهازل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، والرجعة**» [٢].

قال الخطابي رحمه الله: (اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل، فإنه مؤاخذ به، ولا ينفعه أن يقول: كنت لاعبًا أو هازلاً أو لم أنْوِ به طلاقًا، أو ما أشبه ذلك من الأمور) [٣].

٦- الإعلام الذي أصبح وسيلة إفساد بين أزواج المسلمين، حيث يصور الزوج في بعض المسلسلات الساقطة! أنه ظالم مستبد، ثم يهون العلاقة بين الرجل الأجنبي، والزوجة، ويأتي بصديق المرأة أنه رحيم بها يشعر بأحاسيسها! ويجمل حديثه معها ويلطف عباراته عند كلامها، فتصبح المرأة وقد تقلب قلبها وأحبت هذا الصديق! وكرهت زوجها لأنها تراه عكسه، فعلينا أن نجتنب هذه الوسيلة التي أصبحت تُستعمل من أعداء الدين في هدم كثير من بيوت المسلمين، وقطع علائق المحبة

---

(١) رواه النسائي (٣٢٣١) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) معالم السنن (٣/ ٢٤٣).

بين الزوجين، والله المستعان.

فيا أيها الزوجان الكريمان إذا أردتما إبقاء الألفة واستمرار المحبة بينكما بإذن الله تعالى، فعليكما بتقوى الله جل وعلا، فالزما طاعته وأدِّيا ما فرض الله عليكما من الحقوق والواجبات، واجتنبا ما يغضب الرب سبحانه من المعاصي والمنكرات.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُبارك ويؤلف بين كل أزواج المسلمين، ويجمعهم على طاعته وابتغاء مرضاته، وأن يُبعدهم عن سائر المحرمات، ويُجنبهم شر الشياطين من الجن والإنس، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

لماذا تراجعت مكانة المسلمين؟!

لماذا تراجعت مكانة المسلمين؟!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد أخرج الله ﷻ من آمن برسالة نبينا محمد ﷺ، وتمسك بأوامره وابتعد عن نواهيه من الظلام الدامس إلى النور الساطع، ومن الذل والمهانة إلى العزة والمكانة، قال أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه: (إنا كنا أذلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزةَ بغير ما أعزَّنا الله به أذَلَّنا الله)[(١)].

فبسبب تمسكهم بدينهم وتعلقهم بهدي نبيهم ﷺ، رفع الله شأنهم وأعلى مكانتهم، وتوالت عليهم الفتوحات وازدادت الانتصارات، وهابهم أعداء الدين من الكفار والمنافقين.

لكن مع مرور الأعوام وانقضاء خير القرون، بدأ الضعف والهوان يدخل على المسلمين مع كثرة أعدادهم، وتوسع بلدانهم، وبالأخص في عصرنا الحاضر!، وذلك بسبب البعد عن الدين، وما نتج عن ذلك

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥١).

من ظهور البدع والمحدثات، وانتشار المحرمات وازدياد المنكرات، والله المستعان.

فما حدث هذا التبدل، وما وُجِد هذا التغير إلا بسبب تغير الأنفس وتوجهها إلى المعصية بعد أن كانت مقبلة على الطاعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا، والمعنى: أنه لا يسلب قومًا نعمة أنعمها عليهم، حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح)[(١)].

لقد ترك كثير من المسلمين اليوم - وللأسف - تطبيق تعاليم الإسلام، وأعرضوا عن تعلُّمها، وزهدوا فيها، فانتشر بينهم الجهل وحلت المعتقدات الباطلة، فأفسدتهم وأبعدتهم عن المنهج القويم والصراط المستقيم الذي جاء به سيد ولد آدم أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الكريم.

فأصبح بعضهم بدل أن يحمد الله تعالى أنْ مَنَّ عليه وجعله مسلما، ويسعى جاهدا لتحقيق تعاليم دينه الحنيف، وينشرها بين الناس، تراه معجبا ومتأثرا بحضارة الغرب المزيفة، التي زينوها لهم بالباطل، وزخرفوها بالمنكر من الأقوال والأفعال، ليؤثروا على بعض ضعاف النفوس من المسلمين!، والله المستعان.

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٢٣٧).

وبسبب الجهل بتعاليم الإسلام، والتأثر بفكر الغرب الهدام، ضُيعت أكثر الواجبات، ومن ذلك الصلوات، وارتكبت المحرمات واتبعت الشهوات، وتُعلق بالدنيا ونُسي هاذم اللذات، فكانت نتيجة ذلك، تَسلط أعداء الدين من الكفار والمنافقين على المسلمين، قال ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟! فقال رسول الله ﷺ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ! وَلَيَنْزَعَنَّ الله من صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله في قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، فقال قائل يا رسول الله وما الْوَهْنُ؟ قال: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وحيث ظهر الكفار فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم، نصرهم الله كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥])(٢).

فبالله عليكم - أيها الكرام - كيف ينصرنا القوي العلاَّم؟! و يَهابنا أعداء الإسلام؟! وهذه البدع والمعاصي بيننا تُرتكب جهارا ونهارا! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمن نَقص إيمانه نقص نصيبه من النصر

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) الجواب الصحيح (٦/ ٤٥٠).

والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله أو بإدالة عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب أو فعل محرم، وهو من نقص إيمانه)[١].

فعلينا إذا أردنا النصر والتمكين على أعداء الدين، والنجاحَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة بإذن الله، أن نرجع لتحكيم ديننا الحنيف في أمورنا كلها، ونأمر بالطاعات وننهى عن المنكرات، قاصدين بذلك وجه رب البريات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسادهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره)[٢].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالله جل وعلا جعل للنصر أسبابا وجعل للخذلان أسبابا، فالواجب على أهل الإيمان في جهادهم وفي سائر شئونهم أن يأخذوا بأسباب النصر ويستمسكوا بها في كل مكان، في المسجد، وفي البيت، وفي الطريق، وفي لقاء الأعداء، وفي جميع الأحوال.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٢).
(٢) تفسير السعدي (ص٧٨٥).

فعلى المؤمنين أن يلتزموا بأمر الله، وأن ينصحوا لله ولعباده، وأن يحذروا المعاصي التي هي من أسباب الخذلان، ومن المعاصي التفريط في أسباب النصر: الأسباب الحسية التي جعلها الله أسبابا لا بد منها، كما أنه لا بد من الأسباب الدينية، فالتفريط في هذا أو هذا سبب الخذلان)[١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرد المسلمين إلى دينهم القويم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ويثبتهم على ذلك، ويَصرف عنهم كيد أعداء الدين من الكفار والمنافقين، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٨٣).

تحذير البشر

من خطر التشاؤم بشهر صفر

تحذير البشر من خطر التشاؤم بشهر صفر!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن نسبة العبد ما يَلْحقه من الضرر أو الأذى لغير فاعله الحقيقي وهو الله ﷻ، هو من باب التشاؤم الذي كان من الاعتقادات الباطلة والأوهام الزائفة عند أعداء الرسل وأهل الجاهلية، فقوم صالح عليه السلام تشاءموا منه، وقالوا: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل :٤٧]، وفرعون ومن معه تطيروا بموسى عليه السلام ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف :١٣١]، وكذلك كفار قريش كانوا يتشاءمون بالنبي ﷺ وبدعوته الكريمة وينسبون إليه ما يصيبهم من شر، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء :٧٨].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون، المعرضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم: أنهم إذا جاءتهم حسنة، أي: خَصْبٌ وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء :٧٨] وأنهم إن أصابتهم سيئة أي: جدب وفقر ومرض

وموت أولاد وأحباب قالوا: ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء :٧٨] أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد.

تطيروا برسول الله ﷺ، كما تطير أمثالُهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف :١٣١]، وقال قوم صالح: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل :٤٧]، وقال قوم ياسين لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس :١٨]، فلما تشابهت قلوبهم بالكفر، تشابهت أقوالهم وأفعالهم، وهكذا كل من نسب حصول الشر، أو زوال الخير، لما جاءت به الرسل أو لبعضه، فهو داخل في هذا الذم الوخيم)[(١)].

وقد رد الله عليهم هذا الاعتقادات الباطلة والأقوال الكاذبة، وبين لهم أن الخير والشر والنفع والضر هو من عنده سبحانه وبتقديره، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا بما جئت به - يعني نبينا ﷺ -، لأنه ليس فيما جاء به الرسول ما يقتضى الطيرة، فإنه كله خير محض لا شر فيه، وصلاح لا فساد فيه، وحكمة لا عبث فيها، ورحمة لا جور فيها)[(٢)].

وللأسف الشديد - أيها الأحبة الكرام - لقد توارث كثير من جهلة

(١) تفسير السعدي (ص١٨٨).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٣).

المسلمين اليوم عن أهل الجاهلية هذا الاعتقاد الفاسد، فأصبحوا يتشاءمون بالمرئي أو المسموع، أو بالأزمان والشهور، وبالأخص شهر صفر أو بيوم الأربعاء منه!.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره، فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى)[١].

فنجد بعضهم يمتنع في شهر صفر عن بعض الأعمال كالتجارة والسفر! والبعض الآخر عن عقد النكاح والزواج فيه! ظنا منهم أنهم لن يربحوا في تجارتهم، ولن يوفقوا في أنكحتهم! وهذا كله نتيجة الجهل بالدين وضعف عقيدة التوحيد في نفوسهم ومخالطة أهل البدع وقلة من يرشد الناس إلى المنهج القويم، ويبين لهم الطريق المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : (وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها)[٢].

نعم قد نهى نبينا ﷺ عن ذلك وحذر أمته منه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ،**

(١) لطائف المعارف (ص٧٥).
(٢) لطائف المعارف (ص٧٤).

ولا هَامَةَ، ولا صَفَرَ»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: («ولا صَفَرَ» قيل: إنه شهر صفر، كانت العرب يتشاءمون به ولا سيما في النكاح.

وقيل: إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر، وعلى هذا؛ فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام، وقيل: إنه نهي عن النسيئة، وكانوا في الجاهلية ينسئون، فإذا أرادوا القتال في شهر المحرم استحلوه، وأخروا الحرمة إلى شهر صفر، وهذه النسيئة التي ذكرها الله بقوله تعالى: ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، وهذا القول ضعيف، ويضعفه أن الحديث في سياق التطير، وليس في سياق التغيير، والأقرب أن صفر يعني الشهر، وأن المراد نفي كونه مشؤوما؛ أي: لا شؤم فيه، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر.

وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيا للوجود، لأنها موجودة ولكنه نفي للتأثير؛ فالمؤثر هو الله، فما كان منها سببا معلوما، فهو سبب صحيح، وما كان منها سببا موهوما، فهو سبب باطل، ويكون نفيا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحا، ولكونه سببا إن كان باطلا)[(٢)].

إن من ضرر التشاؤم - أيها الأفاضل - وعواقبه الوخيمة أنه ينقص توحيد العبد، وذلك لأنه يُضعف توكله على الله جل وعلا، ويفتح

---

(١) رواه البخاري (٥٣٨٠) واللفظ له ومسلم (٢٢٢٠).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٦٤).

عليه باب التعلق بغيره سبحانه، ويجعل للشيطان عليه سبيلا، وبالتالي يفتقد السكينة والطمأنينة من قلبه، والعياذ بالله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره، وامتنع بها مما عزم عليه: فقد قرع باب الشرك، بل وَلَجَه، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف، والتعلق بغير الله)[١].

أيها الأحبة الأفاضل: قد أراد بعض من يعاني من هذا الاعتقاد الفاسد مداواته فأخطأ الطريق وضل السبيل وعالج البدعة بالبدعة فخص شهر صفر دون بقية الشهور بالتفاؤل والخيرية وهذا كله من تلبيس الشيطان عليهم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأزمنة لا دخل لها في التأثير وفي تقدير الله عَزَّوَجَلَّ، فصفر كغيره من الأزمنة يقدر فيه الخير والشر، وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر أرَّخ ذلك وقال: انتهى في صفر الخير، وهذا من باب مداواة البدعة ببدعة، والجهل بالجهل، فهو ليس شهر خير ولا شهر شر)[٢].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبعض يقول: (صفر الخير) تفاؤلًا يردُّ ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه، وهذه لُوثة جاهلية من نفسه من نفس لم يصقلها التوحيد بنوره)[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٦٧).

(٣) معجم المناهي اللفظية (ص٣٤٠).

فمن أراد علاج الطِّيرة وإذهاب التشاؤم فعليه أن يَلزَم الأدوية الشرعية التي تفيده وتُذهب ما به بإذن الله، ومن ذلك:

١- أن يتوكل على الله حق التوكل وأن يمضي فيما عزم عليه، ولا يترك للشيطان مدخلا عليه، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، ثم قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وما مِنَّا إلا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)(١).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثبت عن النبي ﷺ أنه (نهى عن التطير)، وقال: «**لا طِيَرة**»؛ وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يتطيرون، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بالتوكل على الله؛ لأنه لا شيء في حكمه إلا ما شاء، ولا يعلم الغيب غيره)(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه لا يُعَدّ مشركًا شركًا يخرجه من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركا من هذه الناحية، والقاعدة: (إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببا؛ فإنه مشرك شركا أصغر.

وهذا نوع من الإشراك مع الله، إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعيا، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونيا، لكن لو اعتقد هذا

---

(١) رواه الترمذي (١٦١٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) التمهيد (٢٤ / ١٩٥).

المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله، فهو مشرك شركا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكا في الخلق والإيجاد.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يجوز للإنسان أن ترده الطيرة عن حاجته، وإنما يتوكل على الله ولا يبالي بما رأى أو سمع أو حدث له عند مباشرته للفعل أول مرة؛ فإن بعض الناس إذا حصل له ما يكره في أول مباشرته الفعل تشاءم، وهذا خطأ؛ لأنه ما دامت هناك مصلحة دنيوية أو دينية، فلا تهتم بما حدث)[(١)].

٢- أن يسأل الله تعالى أن ييسر له الخير ويبعد عنه شر الشيطان ووسوسته، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ من حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ**» قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ما كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: «**أن يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهم لاَ خَيْرَ إلا خَيْرُكَ، وَلاَ طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**»[(٢)].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فينبغي لمن طرقته الطيرة أن يسأل الله تعالى الخير ويستعيذ به من الشر ويمضي في حاجته متوكلا عليه)[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا كفارة لما يقع من الطيرة، ولكن يمضي مع ذلك ويتوكل على الله، وفيه الاعتراف بأن الطير خلق مسخر مملوك لله، لا يأتي بخير ولا يدفع شرًّا، وأنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا خير الله، فكل خير فيهما فهو من الله تعالى

---

(١) القول المفيد (١/ ٥٧٥-٥٧٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (١٠٥٦).

(٣) فيض القدير (٦/ ١٣٦).

تفضلاً على عباده، وإحسانًا إليهم وأن الإلهية كلها لله ليس فيها لأحد من الملائكة والأنبياء عليهم السلام شركة، فضلاً عن أن يشرك فيها ما يراه ويسمعه مما يتشاءم به)[١].

قال الشيخ الفوزان - حفظه الله -: (فالحاصل؛ أن الطيرة تُعالج بهذه الأمور الثلاثة:

أولاً: التوكُّل على الله.

ثانيًا: المُضِيُّ وعدم التأثر بها، ولا تظهر على تصرُّفاتك، وكأنها ما وُجدت.

والثالثة: أن تدعوَ بهذه الدعوات الواردة في الأحاديث، فإذا دعوتَ الله بهذه الدعوات فإن الله يعافيك من الطيرة ويُمدُّك بإعانته ونصره وتوفيقه)[٢].

فهذه الأوصاف الإيمانية والأدوية النبوية النافعة لمن أراد أن يتعالج من مرض التطير ويذهب عنه التشاؤم، بإذن الله.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يطهر قلوبنا وقلوبكم من مرض الشرك والبدعة، ويثبتنا وإياكم على التوحيد والسنة فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٧).

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٥).

احذروا من مشابهة النصارى في أعيادهم!

احذروا من مشابهة النصارى في أعيادهم!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية الصافية والكاملة لكل مصالح الدين والدنيا بالنهي عن مشابهة الكفار حتى في عاداتهم الظاهرة، لأن المشابهة في الظاهر تورث الموافقة في الشعائر والباطن، والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن المشاركة في الهَدْي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجد في نفسه نوع تَخَلُّقٍ بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضيا لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع)[1].

ولهذا حذرنا نبينا ﷺ أشد الحذر من مشابهتهم، فقال ﷺ: «مَنْ

(١) اقتضاء الصراط (١/ ١١).

تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة :٥١])[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم، وأفعالهم، ولباسهم، وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولم نُقَرَّرْ عليها)[(٣)].

ومما ينبغي على المسلم الموحد تَجَنُّبُه في هذه الأيام وتحذير إخوانه منه، هو الاحتفال الذي يقيمه النصارى يوم ٢٥ ديسمبر، ويسمونه عيد الميلاد أو (الكريسمس)، يزعم أعداء الله ورسوله ﷺ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد في هذا اليوم! ولا دليل صحيح يدل على زعمهم في ديننا الحنيف، بل حتى في كتبهم الباطلة خلاف في تعيين هذا اليوم!.

وحتى لو عرفنا تاريخ ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فليس من الدين الكريم الاحتفال بهذا اليوم وإظهار البهجة فيه، فالعلم به لا ينفع والجهل به لا يضر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فعامة أنواع العبادات

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٧٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٩).

والأعياد التي هم عليها - أي النصارى - لم يُنَزِّلْ بها اللهُ كتابا ولا بعث بها رسولا)[١].

ومن مظاهر هذا العيد الباطل المحدث في هذا اليوم:

١- شراء شجرة يسمونها بشجرة الميلاد: وهي شجرة صنوبرية مخروطية الشكل يقتنيها النصارى ويزينونها بالأضواء الملونة والتماثيل ويضعونها في منازلهم ومتاجرهم.

٢- لباس بعضهم لملابس حمراء ووضع لحية كثة بيضاء ويسمى عندهم بابا نويل (سانت كلوس) وهذه الصورة تعبر عن قس نصراني وكان على زعمهم يحب الفقراء واليتامى والأرامل ويتفقدهم في بيوتهم ويلقي الدراهم وهم لا يشعرون به وتروي أساطيرهم الكاذبة أنه كان يعيش في القطب الشمالي وأنه يأتي على عربة تجرها غزلان يحمل فيها الهدايا.

٣- تخصيص بعض الأطعمة فيه كوجبة الديك الرومي، التي تعتبر هي الأكلة الرئيسة في عيد الميلاد عندهم.

فأعيادهم الباطلة جمعوا فيها بين الكفر وذلك بزعمهم أن عيسى عليه السلام هو الله أو هو ابن الله قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، وبين الشهوة من التنعم بملذات الدنيا الفانية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة والباطل، ولا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١١).

العاجلة فعاقبتها إلى ألمٍ، فصارت زورا وحضورها شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده)[١].

أيها الأحبة الكرام: قد منَّ الله علينا بنعمة الإسلام ووفقنا لاتباع سنة خير الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، ففي ديننا الكريم ما يُغنينا عن مشابهة هؤلاء القوم في باطلهم، وموافقتهم في طريقتهم! فعلينا الابتعاد في هذا اليوم عن سعيهم الضال وفعلهم الباطل فلا نتشبه بهم ولا نغتر بصنيعهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم، لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نيران، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء، ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد، ولا إظهار زينة.

وبالجملة ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم)[٢].

ولا نشهد أعيادهم ولا نحضر أفراحهم، لأن الله جل وعلا نهانا عن

---

(١) اقتضاء الصراط (١/ ١٨٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٩).

ذلك، فقال سبحانه واصفا عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال جماعة من المفسرين: (هي أعياد المشركين)[(١)].

قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الفقيه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعيادهم، لأنهم على منكر وزور، وإذا خالط أهلُ المعروف أهلَ المنكر بغير الإنكار عليهم كانوا كالراضين به، المؤثرين له، فنخشى من نزول سخط الله على جماعتهم فيعم الجميع، نعوذ بالله من سخطه)[(٢)].

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا كان للنصارى عيد، ولليهود عيد، مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم، كما لا يشاركهم في شرعتهم، ولا في قبلتهم)[(٣)].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عن حكم مخالطة المسلمين لغيرهم في أعيادهم؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قائلا:** مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرمة؛ لِمَا في ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية، فإن مشاركتهم فيها تقتضي

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٠).

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٧٢٢).

(٣) تشبه الخسيس بأهل الخميس (ص٢٧).

إقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من الكفر، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية، فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت، فكيف وهي في الكفار؟ لذلك قال أهل العلم: إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم؛ لأن ذلك إقرار ورضا بما هم عليه من الدين الباطل، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان)[١].

ولا يحل لنا كذلك أن نبيع لهم ما يعينهم على منكرهم ولا نساعدهم عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يبايع المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس والبخور؛ لأن في ذلك إعانة على المنكر)[٢].

ولا نقدم لهم الهدايا ولا نقبل ما يقدمونه لنا من مأكلهم في عيدهم الباطل، قال ابن النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أن أقبح البدع وأشنعها موافقة المسلمين للنصارى في أعيادهم، بالتشبه بهم في مأكلهم، وأفعالهم، والهدية إليهم وقبول ما يهدونه من مأكلهم في أعيادهم)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم بإهداء أو مبايعة، وقالوا: إنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم، لا لحما ولا دما ولا ثوبا، ولا يعارون دابة، ولا يعاونون على شيء من دينهم، لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم وينبغي للسلاطين أن ينهوا

(١) مجموع الفتاوى الشيخ (٣/ ٣٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٢٠).
(٣) تنبيه الغافلين (ص٣٢٣).

المسلمين عن ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢])[(١)].

ولا يجوز لنا كذلك تهنئتهم بعيدهم؛ لأن في ذلك إقرارا لهم على منكرهم، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد، ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثما عند الله وأشد مقتا من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام، ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء، تجنبا لمقت الله وسقوطهم من عينه، وإن بُلي الرجل بذلك فتعاطاه دفعا لشر يتوقعه منهم فمشى إليهم ولم يقل إلا خيرا ودعا لهم بالتوفيق والتسديد فلا بأس بذلك، وبالله التوفيق)[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (مسألة: هل يجوز أن نهنئهم...؟

الجواب: أما التهنئة بالأعياد فهذه حرام بلا شك، وربما لا يسلم الإنسان من الكفر؛ لأن تهنئتهم بأعياد الكفر رضا بها، والرضا بالكفر كفر، ومن ذلك تهنئتهم بما يسمى بعيد (الكريسمس)، أو عيد

(١) مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٣٢).
(٢) أحكام أهل الذمة (١/ ٤٤١).

(الفِصْح) أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يجوز إطلاقًا، حتى وإن كانوا يهنئونا بأعيادنا فإننا لا نهنئهم بأعيادهم، والفرق أنّ تهنئتهم إيانا بأعيادنا تهنئة بحق، وأن تهنئتنا إياهم بأعيادهم تهنئة بباطل، فلا نقول: إننا نعاملهم بالمثل إذا هنؤونا بأعيادنا فإننا نهنئهم بأعيادهم للفرق الذي سبق.

وأما تهنئتهم بأمور دنيوية كما لو ولد له مولود، أو وجد له مفقود فهنأناه، أو بنى بيتًا فهنأناه، أو ما أشبه ذلك فهذه ينظر، إذا كان في هذا مصلحة فلا بأس بذلك، وإن لم يكن فيه مصلحة فإنه نوع إكرام فلا يهنَّؤون، ومن المصلحة أن يكون ذلك على وجه المكافأة، مثل أن يكون من عادتهم أن يهنِّئونا بمثل ذلك فإننا نهنئهم)[(١)].

وسئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما حكم الإسلام في تهنئة النصارى في أعيادهم؛ لأنه عندي خالي جاره نصراني يهنئه في الأفراح وفي الأعياد وهو أيضا يهنئ خالي في فرح أو عيد وكل مناسبة، هل هذا جائز تهنئة المسلم لنصراني والنصراني للمسلم في أعيادهم وأفراحهم؟ أفتوني جزاكم الله خيرا.

فكان الجواب: لا يجوز للمسلم تهنئة النصارى بأعيادهم؛ لأن في ذلك تعاونا على الإثم وقد نهينا عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] كما أن فيه توددا إليهم وطلبا لمحبتهم وإشعارا بالرضى عنهم، وعن شعائرهم وهذا لا يجوز، بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيين بغضهم؛ لأنهم يحادُّون الله جل وعلا ويشركون

(١) الشرح الممتع (٨/ ٧٥).

معه غيره ويجعلون له صاحبة وولدا)[١].

فعلينا - أيها الأفاضل - أن نسير على الصراط المستقيم وذلك بالتمسك بديننا القويم ففيه كل الخير والنفع، وأن نجتنب صراط الضالين وهم اليهود ومنهج المغضوب عليهم وهم النصارى فإن فيهما الضلال والانحراف.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفق المسلمين للتمسك بدينهم الحنيف ويثبتهم على ذلك، ويحفظهم من كيد أعداء الدين ويُبعد عنهم شر شياطين الإنس والجن فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٤٣٥).

وقفات مع اسم من أسماء رب البريات

وقفات مع اسم من أسماء رب البريات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن العبد المؤمن كلما ازداد معرفة بربه سبحانه وتعالى ازداد إيمانه وقوي يقينه، يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبحسب معرفته - أي العبد- بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن)[١].

وقد تتساءلون زاداكم الله حرصا عن طرق تحصيل هذه المعرفة، وكيف السبيل للوصول إليها؟

يجيبنا عن ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: (المعرفة بابان واسعان:

- باب التفكر والتأمل: في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله ﷺ.
- والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٤).

وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه.

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرُّده بذلك، وتعلُّقها بالخلق والأمر. فيكون فقيها في أوامره ونواهيه، فقيها في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١])[(١)].

فالإيمان بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وما تضمنته من معان جليلة وأسرار بديعة، يُنبت في قلب العبد المؤمن ثمارا مستطابة تنفعه في الدار العاجلة، وتفيده في الدار الآجلة بإذنه سبحانه، يقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا هي أفضل الأعمال شرفا وثمرا)[(٢)].

ولهذا يطيب لي - أيها الأفاضل - أن أقف معكم مع اسم كريم من أسماء الله جلَّ وعلا، جاءت به النصوص ودلَّت عليه الأخبار، لنفهم ونتدبر بعض معانيه ونستحضر بعض ثمرات الإيمان به، ألا وهو اسم الباري سبحانه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾.

إن اسمه سبحانه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ جاء ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر :٢٣].

---

(١) الفوائد (ص١٧٠).

(٢) شجرة المعارف والأحوال (ص١٨).

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه)[١].

وكذلك جاءت السنة الصحيحة بهذا الاسم الجليل، فعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع، مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه: «**سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»[٢].

أيها الأفاضل: إن اسم ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ خاص بالله جل وعلا، فهو صفة كمال ومدح له سبحانه، لأن في جبروته تعالى رحمة، فبجبروته قهر الجبابرة وأذل الأكاسرة.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : (هو الذي قهر الجبابرة من عُتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت)[٣].

أما بالنسبة للمخلوق الضعيف فهو صفة ذم ونقص نُهي عنها وحُذِّر منها، والنار موعده إذا اتصف بها، قال ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ . . .**»[٤].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان - حفظه الله -: (أي: خُصِّصْتُ بأهل

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٦).

(٢) رواه النسائي (١٠٤٩) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٣) شأن الدعاء (ص٥٣).

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

التكبر على عباد الله والتجبر والظلم للناس باحتقارهم، وغَمط حقوقهم)[١].

أيها الكرام: إن للإيمان باسم الله تعالى (الجبار) ثمرات يقطفها العبد المؤمن، ومن ذلك:

▪ إثبات صفة الجبروت لله ﷻ إثباتا يليق به سبحانه لا يشبهه في ذلك أحد من خلقه ولا يدانيه أحدٌ كما في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهي صفة ذاتية لله ﷻ وهي صفة مدح وكمال.

▪ التعبد لله تعالى ودعاؤه باسمه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾، فنتعبد الله باسمه سبحانه، فنقول: (عبد الجبار)، لكن لا يُتعبد بصفاته، فلا يقال: (عبد الجبروت)، كما أنه يُدعى اللهُ تعالى بأسمائه، فنقول: (يا جبار اجبر نقصي وارحمني)، لكن لا ندعو صفاته فنقول: (يا جبروت الله اجبريني!)، فالجبروت ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله جل وعلا، والصفة غير الموصوف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين)[٢].

▪ تعظيم الله ﷻ والخوف منه، والتواضع له بقبول أحكامه

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ١٩١).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٨١).

وامتثال أوامره وعدم التجبر والتعالي على الخلق، لأن هذا من خصائص الله سبحانه وتعالى، ولهذا لا يصح أن يسمى المخلوق به.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر، والأول والآخر والباطِن وعلام الغيوب)[١].

فعلينا - أيها الأحبة الأفاضل - الحرص على التدبر والوقوف عند معاني أسماء الله جَلَّ جَلَالُهُ الكريمة وصفاته العظيمة التي جاءت بها النصوص الصحيحة لقطف ثمارها والاستفادة منها بزيادة الإيمان وتقوية اليقين بإذن الله تعالى.

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم خوفه في السر والعلانية، وأن يوفقنا لتحقيق ثمرات الإيمان بأسمائه الجليلة وصفاته الكريمة، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص١٢٥).

تحذير أهل الإسلام

من الاحتفال بنهاية العام!

تحذير أهل الإسلام من الاحتفال بنهاية العام!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن في مثل هذا الوقت من كل عام تنشط بعض وسائل الإعلام الهدامة للدين والمفسدة لأخلاق وقيم المسلمين، سواء كانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة، للترويج للاحتفالات برأس السنة الميلادية!، ودعوة الناس إليها وتزيينها لهم.

وللأسف فإن بعض المسلمين يتأثر بهم وينخدع بكذبهم، فنراه ينجر وراء باطلهم ويحيي هذه الليلة!، مقلدا بذلك الكفار، مع أن نبينا ﷺ حذرنا أشد الحذر من مشابهتهم، وموافقتهم على باطلهم، فقال ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم، وأفعالهم، ولباسهم، وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولم

(١) رواه أبو داود (٣٨٧٢) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

نقرر عليها)[١].

إن المشركين في هذا اليوم، يطفئون الإنارة قبل نهاية السنة ثم يشعلونها عند دخول وقت السنة الجديدة متفائلين بزعمهم بالعام الجديد!، ويطلقون الألعاب النارية ابتهاجا بقدومه!، ويخصونه بتقديم الهدايا وزيارة الأصدقاء، وإقامة الاحتفالات، وغير ذلك من المعاصي والمنكرات.

أيها الأحبة: إن أعياد الكفار كلها لا خير فيها ولا منفعة، بل هي وبال عليهم وحسرة وندامة يوم القيامة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة والباطل، ولا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألمٍ)[٢].

أيها الكرام: قد منَّ الله علينا بنعمة الإسلام ووفقنا لاتباع سنة خير الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام، ففي ديننا الكريم ولله الحمد ما يُغنينا عن مشابهة هؤلاء في باطلهم!، وموافقتهم في منكرهم! وسلوك طريقتهم! فعلينا الابتعاد في هذا اليوم عن سعيهم الضال وفعلهم المنكر، فلا نتشبه بهم ولا نغتر بصنيعهم، ولا نحضر احتفالاتهم، ولا نعينهم عليها بأي شكل من الأشكال.

قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الفقيه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعيادهم، لأنهم على منكر وزور، وإذا خالط أهل المعروف أهل المنكر بغير الإنكار

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٩).
(٢) اقتضاء الصراط (١/ ١٨٣).

عليهم كانوا كالراضين به، المُؤْثرين له، فنخشى من نزول سخط الله على جماعتهم فيعم الجميع، نعوذ بالله من سخطه)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم، لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نيران، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء، ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد، ولا إظهار زينة.

وبالجملة: ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم)[٢].

ويقول الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يجوز للمسلم ولا المسلمة مشاركة النصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم بل يجب ترك ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم، والرسول عليه الصلاة والسلام حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم.

فعلى المؤمن وعلى المؤمنة الحذر من ذلك، ولا تجوز لهما المساعدة في ذلك بأي شيء؛ لأنها أعياد مخالفة للشرع فلا يجوز الاشتراك فيها، ولا التعاون مع أهلها، ولا مساعدتهم بأي شيء،

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٧٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٩).

لا بالشاي ولا بالقهوة ولا بغير ذلك كالأواني وغيرها، ولأن الله سبحانه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان)[١].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - حفظه الله -: (شَرَفٌ للمسلمين التزامُهم بتاريخ هجرة نبيهم محمد ﷺ، الذي أجمع عليه الصحابة ﷺ، وأرخوا به بدون احتفال، وتوارثه المسلمون من بعدهم منذ أربعة عشر قرنا إلى يومنا هذا؛ لذا فلا يجوز لمسلم التولي عن التاريخ الهجري والأخذ بغيره من تواريخ أمم الأرض، كالتاريخ الميلادي، فإنه من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

هذا ونوصي جميع إخواننا المسلمين بتقوى الله حق التقوى، وبالعمل بطاعته والبعد عن معاصيه، والتواصي بذلك والصبر عليه)[٢].

فعليكم يا أهل الإسلام أنْ تتمسكوا بالدين وأن تتبعوا هدي أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ، فإن في ذلك بإذن الله، النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وإياكم ثم إياكم من التشبه بالكفار، والاغترار بالملذات الفانية والتأثر بالمفسدين المحسوبين على المسلمين! فإن في ذلك الحرمان والخسران يوم الدين.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ (٦/ ٤٠٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/ ٤١٠).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ المسلمين في كل مكان، ويوفقهم لتحكيم كتابه العظيم، واتباع سنة نبيهم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، في شؤونهم كلها، ويُبعد عنهم شر الكائدين المفسدين من الكفار والمنافقين والفاسقين، فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أي الناس خير؟ وأيهم شر؟!

أي الناس خير؟ وأيهم شر؟!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الأعوام والشهور تمضي، والأيام والساعات تنقضي، وهي رأس مال الإنسان في هذه الحياة الفانية، فالسعيد من اغتنمها في الطاعات وأشغلها في إرضاء رب البريات، والشقي من ضيَّعها في المنكرات وأهدرها في المعاصي والمحرمات.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد - أوان قطع ثمر النخل - يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مُرِّها، والإخلاصُ والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعةُ فثمرةُ التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك)[١].

---

(١) الفوائد (ص١٦٤).

إن من نعم الله جلَّ جلاله على عبده وتوفيقه - أيها الأحبة - له أن يُطيل عمره ويُحسن عمله، فيُكثر من التزود مما ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ومن خذلان العبد وخسارته أن يمدَّ الله في عمره، ويرزقه العافية في جسده، ومع هذا يمضي حياته في المعصية والجري وراء اللذات الفانية، بلا مبالاة ولا اتعاظ بما يحصل حوله، نسأل الله العافية.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أيُّ الناس خير؟ قال: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**»(١).

قال الطيبي رحمه الله: (إن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر، فينبغي أن يتَّجِرَ فيما يربح فيه، وكلما كان رأس ماله كثيرا كان الربح أكثر، فمن انتفع بعمره بأن حَسُن عملُهُ فقد فاز وأفلح، ومن أضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسرانا مبينا)(٢).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فإذا كان خير الناس من طال عمره وحسن عمله؛ فإنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا أن يجعله ممن طال عمره وحسن عمله، من أجل أن يكون من خير الناس.

وفي هذا دليل على أن مجرد طول العمر ليس خيرًا للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأنه أحيانًا يكون طول العمر شرًّا للإنسان وضررًا عليه،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٥١٢).

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران :١٧٨]، فهؤلاء الكفار يُمْلِي الله لهم - أي يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات، لا لخير لهم ولكنه شر لهم - والعياذ بالله لأنهم سوف يزدادون بذلك إثمًا)[(١)].

إن المؤمن ليفرح أشد الفرح عندما يرى كبار السن من المسلمين تَلهج ألسنتهم بقراءة القرآن وذكر الله، وأوقفوا أنفسهم على طاعة الله والزيادة من العبادات والخيرات وأعرضوا عن ملذات الدنيا الفانيات.

وإنه ليحزن أشدَّ الحزن عندما يرى من بلغ الستين أو السبعين أو الثمانين من المسلمين غارقا في المعاصي متلهفًا وراء الدنيا متأثرا بمن هو أصغر منه مقلدا له في منكراته! لا يفكر في الموت وماذا أعدَّ له، ولا في الآخرة وماذا قدم لها، أمدَّ الله في عمره وأمهله، لعله يرجع ويتوب فيغتنم ما بقي من عمره بعد أن ضيع شبابه وأهدر أوقاته، قبل أن لا تكون له حجة

ولا ينفعه الندم، يوم تُنشر الصحف وتُعرض عليه أعماله وأقواله فلا يرى إلا ما قدم، نسأل الله السلامة والعافية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**»[(٢)].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٠٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٩).

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : («**أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ**» أي سلب عذر ذلك الإنسان فلم يُبْقِ له عذرًا يعتذر به كأن يقول: لو مُدَّ لي في الأجل لفعلت ما أُمِرْتُ به، فالهمزة للسلب أو بالغ في العذر إليه عن تعذيبه حيث «**أَخَّرَ أَجَلَهُ**» يعني أطاله «**حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**» لأنها قريبة من المعترك وهو سن الإنابة والرجوع وترقب المنية، ومظنة انقضاء الأجل، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار ولزوم الطاعات، والإقبال على الآخرة بكليته، ثم هذا مجاز من القول، فإن العذر لا يتوجه على الله، وإنما يتوجه له على العبد وحقيقة المعنى فيه: أن الله لم يترك له شيئا في الاعتذار يتمسك به: وهذا أصل الإعذار من الحاكم إلى المحكوم عليه، وقيل لحكيم: أي شيء أشد؟ قال: دُنُوُّ أجلٍ وسوءُ عمل)[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (والمعنى أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا عمر الإنسان حتى بلغ ستين سنة فقد أقام عليه الحجة، ونفى عنه العذر؛ لأن ستين سنة يُبْقِي اللهُ الإنسانَ إليها؛ يعرف من آيات الله ما يعرف، ولاسيما إذا كان ناشئًا في بلد إسلامي، لا شك أن هذا يؤدي إلى قطع حجته إذا لاقى الله عَزَّوَجَلَّ لأنه لا عذر له، فلو أنه مثلاً قصر في عمره إلى خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة، لكان قد يكون له عذر في أنه لم يتمهل ولم يتدبر الآيات، ولكنه إذا أبقاه إلى ستين سنة، فإنه لا عذر له، قد قامت عليه الحجة، مع أن الحجة تقوم على الإنسان من حين أن يبلغ)[(٢)].

---

(١) فيض القدير (١/ ٥٥٧).
(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٤١).

فيا من أطال الله عمرك وأمَدَّ بقائُك فجاوزت الشهور والسنين ولا تدري متى الرحيل، إن كنت ممن وُفِّقْتَ للخيرات فاشكر الله على الفضل الكبير واحْمَدْه على الخير الكثير، وسَلْه سبحانه الإخلاص والثبات حتى الممات، وإن كنت من أهل التقصير والتفريط، وضاع وقتك فيما لا ينفع! فبادر بالتوبة قبل فوات الأوان فأبوابها - ولله الحمد - مفتوحة للتائبين، واغتنم ما بقي من حياتك في طاعة ربك وإرضاء خالقك، وسَلْ الله جلَّ وعلا حسن الختام، فهو سبحانه لطيف كريم علاَّم.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن طال عمره وحسُن عمله، وحسُنَت عاقبته وخاتمته، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هكذا تسعد الأسرة المسلمة

هكذا تسعد الأسرة المسلمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن مما يجب علينا - أيها الأفاضل - أن نقابل نِعم الله علينا التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، بالشكر ونستعين بها على الطاعة والبر، ومن هذه النعم الكثيرة، أن جعل الله لنا بيوتا نسكن فيها، تقينا حر الصيف وتحمينا من برد الشتاء، نَنْعُم فيها بالسعادة والطمأنينة، وهذا كله من لطف الباري ﷻ ورحمته بنا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يُذَكِّر تعالى عباده نعمَه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:٨٠] في الدور والقصور ونحوها تُكِنُّكم من الحر والبرد وتستركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة)[(١)].

إن الأصل في بيت المسلم أنه يتميز عن غيره من البيوت بكثرة

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٤٥).

ذكر الله تعالى وإقام الصلوات وقراءة القرآن وغير ذلك من الطاعات التي ترضي رب البريات، فهو مدرسة للخير لا يقتصر نفعه على أسرته بل يعم حتى لمن هو خارج عنه.

إن مما ينبغي أن نعلمه - أيها الأحبة - أن صلاح المجتمع الإسلامي وعيش أفراده في محبة ومودة وتآخٍ يكون بصلاح أُسره، وسعادتها، وفساده وتشتت شمله ووجود الشحناء والبغضاء بين أفراده يكون بفساد أُسره وتعاستها، فالأسرة هي أساس المجتمع وأُسُّ سعادته أو تعاسته.

إن السعادة الحقيقة للأسرة المسلمة ليست في كثرة مالها وتنعمها في رغد العيش!، فهذه سعادة زائفة أمدية ليست مستمرة وإنما سعادتها الأبدية المستمرة، يكون في طاعتها لربها جلَّ وعلا، وذلك بامتثال أوامره والابتعاد عن نواهيه، فكل أفراد الأسرة مطالبون بالتعاون على تحقيق العبودية لرب البرية سبحانه وتعالى.

فالأب يؤدي ما فُرض عليه تجاه أسرته بنصحهم على فعل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة من الطاعات والبعد عما يضرهم فيهما من المحرمات، وأن لا يُقَصِّر في توفير حاجياتهم من الطعام والشراب وغير ذلك من المستلزمات، ولا يكون سيء الظن كثير المَنّ؛ لأنه يؤدي ما وجب عليه، وليعلم أن عائلته أمانة في عنقه سيُسأل عنها يوم القيامة، قال ﷺ: «**أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ**»(١).

(١) رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعلى المرأة أن تعي مسؤوليتها تجاه بيتها وتحرص على طاعة زوجها فيما يرضي ربها، وأن لا تكون المرأة كثيرة الخروج من البيت لا يقر لها قرار فيه!، بين الزيارات! والمجمعات! والحفلات!، فيؤثر ذلك على تربية أطفالها، وقد يكون سببا لتقصيرها في خدمة زوجها، ونظافة بيتها!، فتُسخط عليها خالقها.

وعليهما معا أن يُربيا ما رزقهم الله من ذرية على الصلاح والتمسك بالدين وحب سنة خير المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى توقير العلماء والكبار في السن والصالحين.

ولْيحذرا أن يجعلا بيتهما يَعُجُّ بالمعاصي والمنكرات، بدلا من الصلوات وقراءة القرآن والطاعات، فإن البيوت إذا خلت من ذكر الله صارت كأنها مقابر مظلمة، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «**مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»(١).

وعليهما معا أن يعلما أن العلاقة الزوجية التي جمعتهما ليست علاقة بهيمية شهوانية! وإنما هي علاقة كريمة إيمانية وهي من الوسائل الجالبة للمودة والرحمة بينهما، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ [النحل: ٧٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه امتن على بني آدم أعظم مِنَّة بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا من جنسهم

(١) رواه مسلم (٧٧٩).

وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا، وجعل الإناث أزواجًا للذكور، وهذا من أعظم المنن، كما أنه من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده)[١].

وعلى الأبناء أن يجازوا من أحسنوا إليهم وسهروا وتعبوا على راحتهم، ببرهم والمعروف إليهم بالقول والفعل، وطاعتهم في غير معصية الله جلَّ وعلا.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (والوالدان هم الأب والأم، والواجب على الإنسان أن يبر بهما، وأن يخدمهما بقدر ما يستطيع، وأن يطيعهما إلا ما فيه ضرر أو معصية لله عَزَّوَجَلَّ ، فإنه لا يطيعهما)[٢].

فالسعادة الحقيقية التي تستمر وتُرْسِي السكينة في القلب والانشراح في الصدر بين أفراد المجتمع أيها الكرام، هي في كون الأسرة المسلمة طائعة لأمر ربها سبحانه وذلك بتحقيق الواجبات والزيادة من الخيرات، مبتعدة عن نهيه جلَّ جلاله وذلك باجتناب المحرمات وسائر المعاصي والمنكرات.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُسعد أسر المسلمين ويغرس بين أفرادها المودة والألفة، ويُبعد عنهم شر كل ذي شر من شياطين الإنس والجن الذين يسعون في تشتيت الأسر وقطع أواصل المحبة بينها، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أضواء البيان (٢/ ٤١٢).
(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٩٠).

تذكير الأنام بحق الجار في الإسلام

تذكير الأنام بحق الجار في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد وصى ديننا الحنيف بالإحسان بالقول والفعل إلى الجار قريبا كان أو بعيدا، مسلما كان أو كافرا، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ . . .﴾ [النساء :٣٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في قوله: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء:٣٦]: أي: الجار القريب الذي له حقان: حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. (و) كذلك (الْجَارِ الْجُنُبِ) أي: الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أهل العلم: والجيران ثلاثة:

---

(١) تفسير السعدي (ص١٧٧).

١- جار قريب مسلم؛ فله حق الجوار، والقرابة، والإسلام.

٢- وجار مسلم غريب؛ فله حق الجوار، والإسلام.

٣- وجار كافر؛ فله حق الجوار، وإن كان قريبًا فله حق القرابة أيضًا)[١].

إن حسن معاملة الجار والإحسان إليه - أيها الأحبة - من علامات قوة الإيمان، فعن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**من كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فَلْيُحْسِنْ إلى جاره**»[٢].

وإن الإساءة إليه وظلمه دليل على ضعف الإيمان، فعن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ واللَّهِ لا يُؤْمِنُ**»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَه**»[٣].

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الحديث شديد في الحض على ترك أذى الجار، ألا ترى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أكد ذلك بقسمه ثلاث مرات أنه لا يؤمن من لا يأمن جارُه بوائقَه، ومعناه أنه لا يؤمن الإيمان الكامل، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة، فينبغي لكل مؤمن أن يحذر أذى جاره ويرغب أن يكون في أعلى درجات الإيمان، وينتهي عما نهاه الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحَضَّا العباد عليه)[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ١٧٥). (٢) رواه مسلم (٤٨).
(٣) رواه البخاري (٦٠١٦).
(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٩/ ٢٢٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (بَوائِقَه) : يعني غدره وخيانته وظلمه وعدوانه، فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن، وإذا كان يفعل ذلك ويوقعه فعلاً فهو أشد.

وفي هذا دليل على تحريم العدوان على الجار؛ سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، أما العدوان بالقول فأن يَسْمع منه جارُه ما يزعجه ويقلقه، كالذين يفتحون الراديو أو التلفاز أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحل له، حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتد عليهم، ولا يحل له أن يفعل ذلك.

وأما العدوان بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه، أو بالدق، أو ما أشبه ذلك مما يضره، ومن هذا أيضًا إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي، فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحل له.

إذًا يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متصفًا بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق)[(١)].

فللجار - أيها الكرام - شأنٌ عظيم في الإسلام، حتى قال رسولنا ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[(٢)].

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : (قيل: معناهُ أي يَأمُرني عَن الله بتوريث الجار من

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ١٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

جاره، وَهَذَا خرج مخرج المبَالغَة فِي شدَّة حفظ حق الْجَار)[١].

فعلى الجار - أيها الأحبة - أن يؤدي ما يجب عليه تجاه جاره من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بالرفق واللين، وأن يحفظ شرفه ويصون عرضه، وأن يعينه إذا استعان به، ويعوده إذا مرض، ويهنئه ويبارك له إذا أصابه خير، ويعزيه ويقف معه إذا أصابه ضُر، بل عليه حتى أن يُشركه أحيانًا في طعامه لما في ذلك من جلب المحبة وغرس المودة في النفوس، قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»[٢].

قال محمد بن علاَّن الشافعي رحمه الله: (ففي الحديث الحض على مكارم الأخلاق والإرشاد لمحاسنها، لما يترتب عليه من المحبة والألفة ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة، فقد يتأذى الجار بقِتار قِدْرِ جاره - أي برائحة قدر جاره - وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك، فتهيج من صغارهم الشهوة، ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيمًا أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم، وكل ذلك لَيَندفع بتشريكهم في شيء من الطبخ، فلا أقبح مِنْ مَنْعِ هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير)[٣].

فعلينا - أيها الأفاضل - إذا أردنا أن نعيش في مجتمع مسلم قوي مترابط يعمُّ فيه الخير وتسود فيه الأخوة بين أفراده أن نحافظ على

---

(١) عمدة القاري (٢٢/ ١٠٨).
(٢) رواه مسلم (٢٦٢٥).
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ١٣٦).

تعاليم ديننا الكريم، الذي أمرنا بكل ما فيه نفع لنا في الدنيا والآخرة، ونهانا عن كل ما فيه ضرر لنا، ومن ذلك الإحسان إلى الجار بالقول والعمل وعدم أذيته، فإن الجار متى أحسَّ بأن جاره يُحسن إليه اطمأن قلبه وانشرح صدره وارتاحت نفسه، ومتى شعر بخلاف ذلك ضاق صدره وعاش في همٍّ ووسوسة من جاره، فتحدث بالتالي فجوةٌ بينهما ويحصل التباعد والتنافر، وتنشأ بينهما الشحناء والبغضاء، والله المستعان.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويجعلهم في كل مكان متحابين متعاونين على الخير فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ماذا يريد أعداء الدين من نساء المسلمين؟!

ماذا يريد أعداء الدين من نساء المسلمين؟!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد كانت المرأة في الجاهلية تعاني من الظلم والقهر إلى أن جاء الإسلام بنوره، فأخرجها من قيود الذل والاستعباد والإهانة، وحفظ عرضها وصان شرفها، وحذر من المساس به ولو بكلمة، فجعلها كريمة عزيزة من ولادتها حتى مماتها، فيُنفق عليها ويعتنى بتربيتها إن كانت بنتًا، وتُكرم وتُوصل إن كانت أختًا، وتُعاشر بالمعروف ويُحسن إليها إن كانت زوجةً، وتبَرُّ وتطاع إن كانت أمًّا.

إن أعداء الدين أيها الأحبة لما رأوا انتشار الإسلام في كل بقاع الأرض ورجوع أبنائه إليه، لم يهدأ لهم بال ولم يقرَّ لهم قرار ولم يستقر لهم حال، فبحثوا عن أهم الأسباب التي أعانت على ذلك، فرأوا أن للمرأة المسلمة دورا كبيرًا وفعالا في ذلك فهي التي تربي أولادها ذكورا كانوا أو إناثا وهي التي تحثهم على العمل بتعاليم الدين وتحببهم في سنة خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فقالوا: إذا أردنا منع انتشار الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين،

فلابُدّ علينا من إفساد المرأة بشتى الطرق والوسائل، فسخروا كل ما يملكون من أجل أغراضهم الدنيئة هذه، واستعانوا على مكرهم بشياطين الجن والإنس وببعض من يحسب على المسلمين! لأنهم على علم أن الإفساد من الداخل أكثر تأثيرًا وأعظم ضررًا.

ورأوا أن من أهم الطرق التي تعينهم على مكرهم وتيسر لهم أهدافهم الخبيثة، هي وسائل الإعلام، بشتى أنواعها المرئية أو المسموعة أو المقروءة، فسخروها أولا في محاربة العفة والحياء، فصوروا المرأة بمفاتنها وجعلوا منها ممثلة أو راقصة أو مغنية، لتفتن الرجال ويتأثر بها النساء.

ولم يكتفوا بهذا فقط! بل تجرءوا على أكثر منه! حيث أصبحوا يثنون على المرأة المتبرجة وأنها تمثل الحضارة والازدهار، ويستهزئون وينتقصون المرأة المتحجبة المتمسكة بدينها، ويقولون: إنها تمثل التخلف وعدم التطور، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

بل إنهم هونوا وزينوا - أخزاهم الله - العلاقات المحرمة، فأصبحوا يصورون الزوج في بعض المسلسلات الساقطة! على أنه ظالم مستبد، لا يشعر بزوجته ولا يعطف عليها، ولا يؤدي واجباته تجاهها، ثم يأتون بالرجل الأجنبي، على أنه يشعر بهذه المرأة، ويُجمِّلون حديثه معها ويُلطفون عباراته أثناء مخاطبتها، فتصبح المرأة وقد تقلب قلبها وأحبت هذا الأجنبي! وكرهت زوجها وأبغضته لأنها تراه بخلافه، فيتهدم بيتها وتتشتت أسرتها ويضيع أولادها، والله المستعان.

وأنشأوا كذلك منظمات وجمعيات تعتني بزعمهم بحقوق المرأة وحريتها، وهي في حقيقة الأمر فاسدة مفسدة، تدعو المرأة للخروج من بيتها واختلاطها بالأجانب، وتصور لها أنها تساوي الرجل في جميع الحقوق، ولا فرق بينها وبينه حتى في القوامة! مع أن الباري سبحانه يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ . . .﴾ [النساء: ٣٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى أن الرِّجَال ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكَفِّهِنَّ عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع، وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجَلَد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء)[1].

إن مسؤولية دفع هذه الوسائل الهدامة والأفكار السيئة التي تريد إفساد المرأة المسلمة خاصة في هذا العصر - أيها الأفاضل - ليست

(١) تفسير السعدي (ص١٧٧).

خاصة فقط بالمرأة بل يشاركها فيها أولياء الأمر، والعلماء، وطلبة العلم، وسائر الصالحين الغيورين على هذا الدين.

فعلينا أن نحذر من هذه المخططات الخبيثة والشعارات الباطلة التي يرفعها أعداء الدين من الكفار والمفسدين كقولهم (تحرير المرأة)! وقصدهم بذلك تحريرها من الإسلام وإخراجها عن تعاليمه!، وكقولهم (النهضة بالمرأة) وحقيقة هذه الكلمة انحلال المرأة وجعلها متأثرة بالكافرات والفاسقات!، وكقولهم (حقوق المرأة)! ومرادهم مساواتها بالرجل في كل الحقوق حتى في القوامة!.

وعلى المرأة المسلمة أن تحمد الله على نعمة الإسلام وتتمسك بما أمرها بها دينها الحنيف من الحجاب والعفة وعدم الاختلاط بالأجانب، ولتعتني ببيتها وزوجها وأطفالها إن كانت متزوجة، ولتعلم وتتيقن أن السعادة الحقيقية غير المزيفة في ذلك، وأن هذا هو النجاح والفلاح بإذن الله في الدنيا والآخرة.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرد مخططات أعداء الدين، وأن يحفظ نساء وبنات المسلمين في كل مكان من كيد الكائدين من الكفار والمنافقين والمفسدين، وأن يوفقهم لتطبيق تعاليم الدين ويثبتهم على ذلك حتى الممات، فهو سبحانه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطر الابتداع على أمة الاتباع

خطر الابتداع على أمة الاتباع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن أي ابتداع في الدين الحنيف هو استدراك عليه، يزعم المبتدع بإحداثه أنَّ الشريعة لم تكتمل، وأن نبينا ﷺ ترك شيئا من الرسالة لم يبلغه!، فاحتاج الدين إلى إحداثه وابتداعه!!.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا)(١)

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ، فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم! وهذا فيه رَدٌّ للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟!.

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤).

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تَصُكُّ به وجوه أهل الرأي، وتُرْغِم به آنافهم، وتَدْحَضُ به حججهم)[١].

إن البدعة أيها الأفاضل هي: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يُقْصَدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[٢].

وقد شرح الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعريفه، فقال: (الطريقة في الدين)، فالطريقة والطريق والسبيل والسنن، هي بمعنى واحد، وهو ما رُسِم للسلوك عليه.

وإنما قُيِّدَتْ بالدين، لأنها فيه تُخترع وإليه يضيفها صاحبها، وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تُسَمَّ بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

(تضاهي الشرعية): يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

- منها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيدًا، وما أشبه ذلك.

- ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته).

---

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد (ص٣٨).
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٥١).

إلى أن قال: (يُقْصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)، هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها، وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف . . .[(١)].

أيها الأحبة: إن النصوص الشرعية قد تكاثرت في ذم البدع والتحذير منها وبيان ضررها على الأمة في الدنيا والآخرة، سواء كانت هذه البدع صغيرة أو كبيرة فكلها محرمة، وأنه ليست منها حسنة وسيئة.

يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لكن يجب أن نعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تَبَيُّنِ كونها بدعة، فليس في البدع - كما يتوهم البعض- ما هو رتبة المكروه فقط كيف ورسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**» أي: صاحبها)[(٢)].

أما ما شاع عند بعض الجهلة من الناس! أن البدعة على قسمين: حسنة وسيئة، فهذا التقسيم لا مستند له من الشرع؛ لأنه مصادم لما صرح به نبينا ﷺ بقوله: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٣)].

يقول الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقوله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» من

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٥١-٥٤) باختصار.

(٢) كتاب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص١٠٣).

(٣) رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يُرْجَع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة)(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن قوله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ**»: كلية عامة شاملة مُسَوَّرة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل)). وقال: (فكل ما ادُّعي أنه بدعة حسنة، فالجواب عنه بهذا، وعلى هذا، فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة، وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

إن هذا السيف الصارم، إنما صُنِعَ في مصانع النبوة، وصاغَه النبي ﷺ هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول: إنها حسنة، ورسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

ولهذا يقول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَإِنْ رَآهَا النَّاس حَسَنة)(٤).

إن خطر البدع - أيها الكرام - مهما كان صغر حجمها عظيم،

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).
(٣) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ ابن عثيمين (ص١٣).
(٤) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩).

وضررُها كبير في الدنيا والآخرة على المسلمين، ومن مفاسدها:

أولًا: الخروج عن هدي النبي ﷺ وسلوك طريقه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وبالتالي البعد عن الله ﷻ، قال أيوب السختياني رحمه الله: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بُعْدًا)(١).

لذلك كانت البدع مبعدة عن الدين الصحيح، وناقلة إلى الدين الباطل وهذا ما يريده الشيطان، لذا كان المبتدع عنده أحب، من العاصي المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، قال سفيان الثوري رحمه الله: (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، المعصية يُتَاب منها، والبدعة لا يُتَاب منها)(٢).

فالعاصي يعترف أنه عاص و يرجو أن يتوب بخلاف المبتدع، فإنه يعتبر أنَّ ما هو عليه من البدع دين وطاعة يتقرب بها إلى المولى ﷻ!.

ثانيًا: حبوط العمل وبطلانه، وذلك أنه لا بد من تحقق شرطين في العمل ليكون مقبولا عند الله سبحانه:

- الإخلاص لله تعالى فيه.
- والمتابعة فيه لرسول الله ﷺ.

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: (كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩).
(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦).

قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠])[٢].

ثالثًا: أن المبتدع تحجب عنه التوبة ما دام مُصِرًّا على بدعته غير تارك لها، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حتى يَدَعَ بِدْعَتَه**»[٣].

أما في الآخرة فصاحب البدعة موعود بالطرد والإبعاد من حوض المصطفى ﷺ كما في حديث: «**إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[٤].

فعلينا - أيها الأحبة - أن نَحذر من جميع البدع ولا نتهاون فيها، ولنُحذِّر المسلمين منها حتى لا يقعوا فيها فتفسد عليهم دنياهم وأخراهم، والله المستعان.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينشر السنة بين

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٢٨١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب (٥٤)

(٤) رواه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٦١٣٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المسلمين في كل مكان، ويرفع رايتها، ويُعزَّ أهلها، ويرزقنا وإياكم اتباعها؛ فإن في ذلك النجاح والفلاح، ويُميت البدع بينهم، ويهدي أهلها، ويخمد رايتها، ويجنبنا وإياكم العمل بها، فإن في ذلك الخذلان والحرمان، والله المستعان، فهو سبحانه ولي ذلك و القادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطر أهل الابتداع على أمة الاتباع

خطر أهل الابتداع على أمة الاتباع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الدين الحنيف هو رأس مال المسلم وأساسُ سعادته، فمن حفظه واعتنى بتقويته وصيانته مما قد يفسده فاز ونجح، ومن ضيعه وجعله عرضة للفتن والأهواء خاب وخَسِر في الدنيا والآخرة، ولهذا كان من دعائه ﷺ الذي علمه لأمته: «**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي...**»[(١)].

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذي هو حافظ لجميع أموري، فإن من فسد دينه فسدت جميع أموره وخاب وخسر في الدنيا والآخرة)[(٢)].

إن الصحبة - أيها الكرام - كالبيئة إما أن تكون نظيفة أو تكون ملوثة، فمعاشرة الأخيار من أهل السنة و الصلاح تورث النجاح والفلاح، ومصاحبة الأشرار من أهل البدع والفساد تورث الشر وتمنع

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فيض القدير (٢/ ١٣٧).

من كسب ما ينفع من العلوم النافعة و الأخلاق الفاضلة، فالطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، لهذا قال نبينا ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(١).

يقول المباركفوري رحمه الله: (الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده)(٢).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: (وهم - أي الأشرار- مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار)(٣).

لكن علينا أن نعلم - أيها الأحبة - أن الصاحب كلما كان أشد خطرا كان أشد ضررا، فلهذا كانت المفسدة المترتبة على مجالسة أهل الأهواء والبدع ومخالطتهم أعظم من المفاسد المترتبة على مجالسة أهل المعاصي والشهوات من أهل السنة، لأن ضرر العاصي على نفسه أما المبتدع فضرره على نفسه وعلى غيره، لأن فيها إبعادًا للمسلمين عن الدين الصحيح، ونقلهم إلى الدين الباطل وهذا ما يريده الشيطان

---

(١) روها أبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٢).

(٣) بهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص ٢٢١).

ولهذا كان المبتدع أحب إليه من العاصي المرتكب للكبائر، قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)[١].

وذلك بخلاف العاصي، فهو مقر بذنبه معترف بخطئه، يرجو عفو ربه سبحانه ومغفرته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم...)[٢].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: (أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف على المسلمين من أمر أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة يستحلون بها عقوبة من يخالفهم)[٣].

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهم - أي المبتدعة - أعظم ضررًا على الإسلام وأهله من أولئك - أي أهل المعاصي - لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه، وهم يتوهمون ويوهمون أنهم ينصرونه)[٤].

ولهذا كان تحذير سلفنا الصالح من مجالسة أهل الأهواء والبدع ومصاحبتهم أشد من تحذيرهم من مجالسة أهل المعاصي الشهوانية.

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٣).
(٣) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٤٥).
(٤) الصواعق المرسلة (٣/ ٢٨١).

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب)[١] .

ويقول أبو قلابة - عبد الله بن زيد الجرمي - (١٥٤هـ): (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويَلْبِسوا عليكم في الدين بعض ما لَبِسَ عليهم)[٢] .

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول : (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم و لا تسمعوا منهم)[٣] .

أيها الأفاضل : كما ينبغي أن نحذر من مجالسة أهل الأهواء كذلك يجب علينا أن نحذر كل الحذر من قراءة كتبهم خاصة لمن كان منا قليل العلم لا يعرف شبهات القوم، لأنهم يستعملونها في نشر أفكارهم الهدامة، ولنحذر من الاغترار بأنفسنا ونقول: أن مجرد القراءة لا تؤثر! بل هي مؤثرة وتجلب التعلق ومحبة صاحب الكتاب، ولنتيقن أن كتب أهل السنة ولله الحمد تغني عنهم.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (الواجب على الإنسان أن يتحرز من الفتن ولا سيما مطالعة الكتب المنحرفة فكريا أو خُلقيا؛ لأن بعض الناس يقرأ الكتاب ويقول: أنظر ما عنده، فإذا به يعصف به في الهاوية، ولهذا نحذر طالب العلم الصغير أن يقرأ كتب أهل البدع أو

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٣٨).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٣).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٣).

كتب أهل الضلال حتى يترعرع ويعرف أن عنده من العلم ما يدفع به شبهات هؤلاء)[١].

وكذلك علينا أن نحذر أشد الحذر من وسائل الإعلام المختلفة كالتلفاز والإذاعة والصحف والمجلات والشبكات المعلوماتية التي تبث أفكارهم وتنقل سمومهم، وتزين أقوالهم الباطلة وتزخرفها للناس، ولا نقول: إن مجرد المشاهدة أو السماع أو الاطلاع لا يؤثر! فالشبه خطافة والقلوب ضعيفة والسلامة لا يعدلها شيء، ودين المسلم أغلى ما يملك، فليحذر أن يسلمه لأهل الأهواء و الباطل، قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأسُ مال المؤمن دِينُهُ لاَ يُخَلِّفُهُ في الرِّحَالِ، ولا يَأْتَمِنُ عليه الرجال)[٢].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى و صفاته العليا أن يحفظ المسلمين في كل مكان من شرور البدع وأهلها، وأن يعزَّهم بالسنة ويجعلهم مرتبطين بالعلماء الربانيين الناصحين، المتبعين لهدي خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) التعليق على صحيح مسلم (ص٤٦٨).
(٢) الاستذكار لابن عبد البر (١/ ٣٢٤)

احذروا من بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

احذروا من بدعة الاحتفال بالمولد!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن في كل عام من شهر ربيع الأول في الثاني عشر منه - أيها الأحبة- يحتفل بعض المبتدعة، ومن اغتر بصنيعهم من الجهلة! بمولد النبي ﷺ زاعمين أن هذا من محبة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه، فنراهم يخصون هذا اليوم ببعض المظاهر، كالاجتماع لقراءة السيرة النبوية وترديد بعض الأناشيد التي لا تخلو من الغلو في النبي ﷺ الذي يؤدي إلى الشرك بالله ﷻ، وقد يصاحب ذلك بعض المنكرات كضرب المعازف والاختلاط بين الرجال والنساء وغير ذلك من المحرمات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: (ومن المواسم التي نسبوها للشرع وليست منه، ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى، ويسرفون في الوقود فيها... وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله، ولم يعهد عن السلف الصالح، فهو بدعة وضلالة)[1].

(١) الإبداع في مضار الابتداع (ص٢٧٢).

أيها الكرام: إن مما يُحزن كل غيور على السنة مُحِبٍّ لانتشارها بين الناس، أن يرى من هؤلاء التهاونَ حتى في تطبيق ما أوجبه الله عليهم! ومع هذا يجد عندهم تحمسا شديدا لتطبيق البدع وتزيينها للناس، والله المستعان

إن الغريب في هؤلاء! هو عدم إدراكهم أن تعظيم النبي ﷺ لا يكون بالبدع والخرافات والمعاصي و المنكرات وإنما هو بطاعته والاقتداء بهديه وهدي صحابته (رضوان الله عليهم).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه، وكان مدَّعيًا. فالصادق في حب النبي ﷺ مَنْ تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه)[(١)].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن تعظيم الرسول ﷺ وإظهار فضله وشأنه لا يكون بالبدع، بل باتباع شرعه وتعظيم أمره ونهيه والدعوة إلى سنته وتعليمها الناس في المساجد والمدارس والجامعات لا بإقامة احتفالات مبتدعة باسم المولد؛ لما تقدم من الأدلة الشرعية، ولما يقع فيها من الغلو والشرور الكثيرة، وربما صار فيها الاختلاط وشرب الخمور، بل قد يقع فيها ما هو أكثر من ذلك من الشرك الأكبر)[(٢)].

ألم يعِ هؤلاء! أن صنيعهم هذا ليس له أصل لا في الكتاب ولا في

---

(١) كتاب الشفا (٢/ ٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٧٦).

السنة، ولا كان عليه مَنْ هو أفضل منهم من أهل القرون المفضلة، مع شدة حبهم للنبي ﷺ، وحرصهم - رحمهم الله - على اتباع سنته.

قال الشيخ عمر بن علي الفاكهاني (٧٣٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكين بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطالون، وشهوةُ نفسٍ اغتنى بها الأكالون)[(١)].

وإن أول من أحدث بدعة المولد هم الفاطميون العُبَيْديون الرافضة في المائة الرابعة، قال المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي مواسم رأس السنة، ومواسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن، ومولد الحسين (رضي الله عليهم)...)[(٢)].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (أول من أحدثها هم الشيعة الباطنية وهم بنو عُبيد القَدّاح المعروفون بالفاطميين الذين ملكوا مصر والمغرب في المائة الرابعة والخامسة، وأحدثوا احتفالات كثيرة بالموالد، كمولد النبي ﷺ والحسين وغيرهما، ثم تابعهم غيرهم بعد ذلك، وهذا فيه تشبه بالنصارى واليهود في أعيادهم، وفيه إحياء لاجتماعات فيها كثير من المعاصي والشرك بالله، حتى ولو فعلها كثير من الناس، ذلك لأن الحق لا يُعْرف بالناس، وإنما يُعْرف الحق بالأدلة الشرعية في الكتاب والسنة.

---

(١) المورد في عمل المولد (ص٢١).

(٢) الخطط (٢/ ٤٣٦).

وقد نبه كثير من العلماء على ذلك منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشاطبي وآخرون رحمة الله عليهم، ومن استحسنها من بعض المنتسبين للعلم فقد غلط غلطا بينا لا تجوز متابعته عليه)[١].

ألم يعلموا! أن أهل السير والتاريخ اختلفوا فيما بينهم في تحديد شهر ويوم ولادة النبي ﷺ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أنه لو كان في هذا اليوم عبادة لكانت معلومة مشهورة لم يحصل فيها خلاف ولنقله إلينا الصحابة على وجه الدقة!.

مع أن أكثر أهل العلماء اتفقوا على أن مولد النبي ﷺ كان عام الفيل، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل)[٢].

وأن ولادته كانت يوم الاثنين لحديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ - فِيهِ**»[٣].

▪ **أيها الأحبة:** إن المشهور عند جمهور العلماء أن الثاني عشر من ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة هو تاريخ وفاة النبي ﷺ[٤].

فيقال لهؤلاء المبتدعة: أتحتفلون أنتم بمولد النبي ﷺ في الثاني

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٧٦).
(٢) زاد المعاد (١/ ٧٦).
(٣) رواه مسلم (١١٦٢).
(٤) فتح الباري (٨/ ١٣٠).

عشر من ربيع الأول على القول بأنه ولد فيه أم تحتفلون بوفاته؟!

▪**أيها الأفاضل الكرام**: إن الواجب علينا أن نقتدي بمن هم أفضل منّا وأكثر محبة للنبي ﷺ وهم الصحابة (رضوان الله عليهم) الذين لم يحتفلوا بهذه البدعة المضلة عن الدين والمبعدة عن رب العالمين، فليسعنا ما وسعهم و لنبتعد عنها، ولنحذر المسلمين منها ومن أهلها، ونحذر من الإعانة على إحيائها بأي شيء؛ لأن في ذلك تشجيعا عليها وتعاونا على الباطل والمنكر، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه: (لا يجوز الاحتفال بمناسبة ليلة القدر، ولا غيرها من الليالي ولا الاحتفال لإحياء المناسبات كليلة النصف من شعبان وليلة المعراج ويوم المولد النبوي، لأن هذا من البدع المحدثة التي لم تَرِدْ عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وقد قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيه أَمْرنا فَهُوَ رَدٌّ**»، ولا يجوز الإعانة على إقامة هذه الاحتفالات بالمال ولا بالهدايا، ولا توزيع أكواب الشاي، ولا يجوز إلقاء الخطب والمحاضرات فيها، لأن هذا من إقرارها والتشجيع عليها، بل يجب إنكارها و عدم حضورها...)[(١)].

ومَنْ كان منَّا على علم وغلب على ظنه السلامة من الفتن فعليه أن يذهب وينصح من أحدثها ممن عرف عنه أنه يحدثها وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، لعله يكون سببا بعون الله في اجتنابها، وأما مجرد شهود هذه البدعة من أجل التسلية والترويح عن النفس فهذا لا يجوز،

(١) فتاوى اللجنة (٢/ ٢٥٧).

وقد سئلت اللجنة الدائمة بإشراف الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن حضور الاحتفالات البدعية، كالاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة المعراج وليلة النصف من شعبان، لمن يعتقد عدم مشروعيتها لبيان الحق في ذلك؟

فكان الجواب:

أولا: الاحتفال بهذه الليالي لا يجوز، بل هو من البدع المنكرة.

ثانيا: غشيان هذه الاحتفالات وحضورها لإنكارها و بيان الحق فيها، وأنها بدعة لا يجوز فعلها: مشروع ولاسيما في حق من يقوى على البيان ويغلب على ظنه السلامة من الفتن.

أما حضورها للفرجة والتسلية والاستطلاع فلا يجوز، لما فيه من مشاركة أهلها في منكرهم، وتكثير سوادهم، وترويج بدعتهم)[1].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ المسلمين في كل مكان وأن يغرس في قلوبهم محبة السنة وأهلها، وبغض البدع وأهلها، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٢٦).

طريق الوصول إلى محبة الرسول ﷺ

قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : (فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه) .

الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ٢٢) .

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (لما كَثُر المدَّعون للمحبة، طُولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى) .

مدارج السالكين (٣/ ٨) .

طريق الوصول إلى محبة الرسول ﷺ[1]

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

---

(١) أصل هذا الكتاب أيضا عبارة عن مقالات نشرت في صحيفة الشرق القطرية، ثم طبعت في كتيب صغير وزع مجانا، ورأيت أن أطبعه في هذا الكتاب مرة أخرى ليُحفظ فيه وينتشر مع هذه المقالات، التي أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لقد أنقذنا الله ﷻ ببعثة المصطفى ﷺ من النار في الآخرة، وعصم بإرساله أرواحَنا وأعراضنا وأموالنا في الدنيا العاجلة، وأوجب لنا باتباعه الفلاح الأبدي والنعيم السرمدي كما وعدنا سبحانه وتعالى.

لكن أعداء الدين الإسلامي الحنيف من الكفار والمنافقين قديمًا وحديثًا غاظهم ما جاء به المصطفى ﷺ من البينات والهدى، فحاولوا تشويه الإسلام وتصويره على أنه دين إرهاب وغير ذلك من الادعاءات الباطلة التي حاولوا إلصاقها بالإسلام وهو منها براء.

فردَّهم الله على أعقابهم خائبين؛ لأن هذا الدين وحي من الله، وقد تكفل الله سبحانه بحفظه، فانقلب عليهم كيدهم وانتشر الإسلام في أنحاء العالم، وازداد عدد الداخلين فيه، فله سبحانه الحمد والمنة على ذلك.

لكن أعداء الله لم يهدأ لهم بال ولم يقر لهم قرار ولم يستقر لهم

حال لَمَّا رأوا الناس بفضل الله يدخلون في دين الله أفواجًا، فلِحقدٍ دفينٍ في صدورهم نطقت به أفواهُهم وأقلامهم حاولوا بشتى الوسائل والطرق وبزخرفة من الشيطان تشويهَ صورة خير المرسلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين، لعلمهم أن الطعن في سيد ولد آدم أجمعين والاستهزاء به هو طعن في ديننا الحنيف الذي أرسله به رب العالمين، فتارة نراهم يصورونه للناس برسومات مزعومة! وحاشا وكلا أن يكون كذلك - أخزاهم الله -، وتارة يجسدونه في أفلام ساقطة! وهو ﷺ أطهر وأكرم من هذا كله، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

إن هؤلاء الكفرة المجرمين، لم يعتبروا عند ارتكابهم هذه الأفعال الدنيئة بما جرى لأسلافهم من عقوبات عندما تعرضوا لنبي الرحمة ﷺ بالاستهزاء، ولشخصه الكريم بالازدراء.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نَصْرَانِي فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كَتَبْتُ له، فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأَصحابه لمَّا هرب منهم نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فحفروا له فأعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وقد لَفَظَتْهُ الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نَبَشُوا عن صاحبنا لما هرب منهم فَأَلْقَوْهُ، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لَفَظَتْهُ الأرض فَعَلِمُوا أَنَّهُ ليس من الناس فَأَلْقَوْهُ[1].

(١) رواه البخاري (٣٤٢١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفِن مرارًا، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله وأنه كان كاذبا، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وإن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وإن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب، إذا لم يُمْكِنِ الناسَ أن يقيموا عليه الحد)[(١)].

وما حدث لأسلاف هؤلاء من الذل والهوان، سيحدث بإذن الله لكل من تطاول بعدهم على مقام النبي الكريم ﷺ عاجلا أو آجلا، إذا لم يبادروا إلى التوبة بالدخول في الإسلام، وهذا مصداق قوله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذا وعد من الله لرسوله ﷺ، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل الله تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله، وقتله شَرّ قِتْلَة)[(٢)].

وكذا قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (أي إنّ مُبْغِضك يا محمد ﷺ ومُبْغِضَ ما

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٢/ ٢٣٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٣٥).

جئتَ به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذِكْرُه)[١].

فالله ﷻ وعظم سلطانه وعد بنصرة أنبيائه المرسلين وعباده المؤمنين، ولن يخلف الله سبحانه وعده، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعياء، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود، فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم، وأظهرهم الله تعالى عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إماما عادلا وحكما مقسطا، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يَقْبل إلا الإسلام، وهذه نصرة عظيمة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم)[٢].

إن مما يعجب منه المرء العاقل من حال هؤلاء الكفار! أنْ لو أنَّ أحدًا من المسلمين استهزأ برجل يعدونه رمزا للقومية، أو الوطنية، أو التطور، لقامت ثائرتهم، ولشنُّوا عليه حربًا إعلامية، ولرفعوا عليه

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٤).

القضايا في المحاكم الدولية!!.

فلماذا إذن يتعرضون لنبينا محمد ﷺ الذي هو قدوة للمسلمين وأسوة لكل الموحدين؟ !.

لكن إذا عُرِف السبب بطل العجب، لقد غاظهم كما ذكرنا اتساع رقعة الإسلام وازدياد عدد المسلمين، ورجوع كثير من المسلمين ولله الحمد للتمسك بدينهم الحنيف، فانفجر بركان حقدهم الذي كان مدفونًا في صدورهم وبدا ذلك من أفواههم وأقلامهم وما تخفي صدورهم أكبر، فقاتلهم الله أنى يؤفكون.

إن الإنكار على من استهزأ بمقام النبي ﷺ واجب على كل مسلم، كلٌّ بحسب استطاعته حكامًا ومحكومين، وبحسب الضوابط الشرعية، ومن لم يستطع أن ينكر بلسانه وقلمه، فعليه أن ينكر بقلبه وذلك ببغض أعداء الله وتعظيم مقام النبي ﷺ في قلبه تعظيمًا شرعيًّا لا غُلُوَّ فيه.

ولا يكون الإنكار بالتخريب والقتل والحرق وترويع الآمنين، حتى الكفار الذين دخلوا ديار المسلمين لأنهم مستأمنون، فعلينا أن نتقيد بتعاليم ديننا الحنيف في مثل هذه المواطن ونرجع إلى علمائنا الربانيين الناصحين لمعرفة ضوابط الإنكار، فهم -حفظهم الله ونفع بهم المسلمين- جمعوا بين حب المصطفى ﷺ والحث على نصرته، وتقدير المصالح العامة.

إن محاولة أعداء الدين تشويه صورة الإسلام والاستهزاء بخير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ما تزيدنا إلا حبًّا لنبينا ﷺ وتمسُّكًا بديننا

الحنيف، وبذل الغالي والنفيس في نشره والذود عنه، بإذن الله.

▪ **أيها الأحبة الكرام:** إن الله قد أوجب علينا نصرة نبينا ﷺ ومحبته، بل إن حُبَّه وتوقيره لابد أن يكون أكثر من حبنا وتوقيرنا لآبائنا وأمهاتنا وأولادنا والناس أجمعين، قال ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومعنى الحديث، والله أعلم: أن من استكمل الإيمان علم أن حق الرسول ﷺ وفضله آكدُ عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن بالرسول استنقذ الله أُمته من النار وهداهم من الضلال)(٢).

بل إن محبته ﷺ مُقدَّمة حتى على محبة النفس، قال عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»: فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(٣).

لكن ينبغي أن نعلم أن محبتنا لرسول الله ﷺ لا تكون أعلى من محبة الله جَلَّ جَلَالُهُ ولا مثلها، فمحبة الباري سبحانه وتعالى لا تدانيها محبة أي مخلوق حتى لو كان رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (١٤) ومسلم (٤٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١/ ٦٦).

(٣) رواه البخاري (٦٢٥٧) من حديث عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وإفراده سبحانه بها، فإن الواجب له من ذلك كله أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده، بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه، فيكون إلهُه الحقُّ ومعبوده أحبَّ إليه من ذلك كله، والشيء قد يُحَبُّ من وجه دون وجه، وقد يُحَبُّ لغيره، وليس شيء يُحَبُّ لذاته من كل وجه إلا الله وحده، ولا تصلح الألوهية إلا له)[١].

لكنْ لمحبة نبينا ﷺ علامات، ينبغي لكل من ادَّعاها أن يحققها حتى يُصدِّق فعله قوله .

ولهذا أحببت في هذا الكتيب أن أجمع أهم العلامات التي ينبغي أن تُوجد عند كل حامل لواء محبة النبي ﷺ، والتي تكون طريقًا يسير عليه كلُّ ساعٍ لتحقيق محبة النبي ﷺ بإذن الله .

سائلا الباري سبحانه وتعالى أن يعيننا وإياكم على تحقيقها، ويثبتنا جميعا على طريقها، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

ثمرات محبة النبي ﷺ

قبل أن نقف أيها الأفاضل معا على العلامات الدالة على محبة النبي ﷺ، ينبغي أن نعلم أن لهذه المحبة ثمرات يتلذذ بها المُحِب لنبيه ﷺ في الدنيا والآخرة بإذن الله .

(١) الجواب الكافي (ص ١٤٢).

فمن الثمرات التي يقطفها من محبته للمصطفى ﷺ في الدنيا العاجلة:

١- تذوق طعم الإيمان

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

قال القرطبي رحمه الله: (كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانا صحيحا لا يخلو عن وُجْدَان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا أو اشتهاه إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذةُ أمر يحصل عقيب إدراك المُلائم الذي هو المحبوب أو المشتهى)... ثم قال: (فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٦٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٠).

فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . . .

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار)[(١)].

ومن الثمرات التي يَجنيها في الآخرة بإذن الله:

٢- مرافقة نبينا ﷺ في الجنة

فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «**إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدَّ من قول النبي ﷺ: «**إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

وقال أنس رضي الله عنه: (فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ[(٢)])[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٥).

(٢) رواه البخاري (٥٨١٥)، ومسلم (٢٦٩٣).

(٣) وعلينا نحن أيضا أيها الأحبة أن نفرح بهذا الحديث ونقول كذلك: ونحن نحب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا ومعاوية، وكل الصحابة رضي الله عنهم، ونرجو الله أن نكون معهم ويجمعنا بهم في الجنة وإن لم نعمل مثل أعمالهم، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

علامات محبة النبي ﷺ

بعد أن عرفنا أيها الكرام أن محبة رسول الله ﷺ نَتاجها ضعفان في الدنيا والآخرة بعون رب العالمين، فيجب علينا أن نعلم أنها ليست مجرد شعارات تُردد على الألسن، ولا كلمات رنانة تُذكر، بل لها علامات وقرائن لا بد من وجودها حتى يصدق على من ادَّعاها أنه حقيقةً يحب رسوله ﷺ.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حُبه، وكان مُدَّعِيًا)(١).

وهذه أيها الكرام أهم العلامات التي ينبغي أن تتوفر فيمن يرفع راية محبة النبي ﷺ ويسير إلى تحقيقها كل محب له ﷺ:

١-معرفة سيرته ﷺ(٢)

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ٢٢).

(٢) ومن كتب السيرة المفيدة، التي يستفيد منها القارئ بإذن الله:

- السيرة النبوية لابن هشام، وهذا الكتاب يعتبر من أوائل كتب السيرة وأكثرها انتشارا، اختصره من كتاب السير والمغازي لابن إسحاق.

-زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم / ط. مؤسسة الرسالة، ويمتاز هذا الكتاب بأن المؤلف ذكر فيه الأحكام والفوائد الفقهية المستنبطة من السيرة.

- السيرة النبوية للحافظ ابن كثير/ ط. دار الفكر، وهذا الكتاب مُسْتَلٌّ من كتابه البداية والنهاية.

- مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب / ط. جامعة الإمام.، وهذا الكتاب من أجود الكتب المختصرة في السيرة، لأن الشيخ ضمَّنه بعض الاستنباطات المفيدة. =

إن كل قارئ لسيرة خير البشر ﷺ سيقف على شمائله وأحواله وكيف كان تعامله وأخلاقه مع الناس أجمعين من المسلمين والكفار، فتزداد محبته لنبيه ﷺ بذلك، ويسهل له بعدها الاقتداء بهديه ﷺ[١].

ولهذا كان السلف -رحمهم الله- حريصين جدًّا على تعليم أبنائهم سيرة المصطفى ﷺ ليتأسوا به، ويتربوا على حبه ﷺ منذ صغرهم.

فعن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (كنا نُعَلَّمُ مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن)[٢].

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان أبي يُعلِّمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعُدُّها علينا وسَرايَاه، ويقول: يا بني هذه مآثرُ آبائكم، فلا تُضيِّعوا ذكرها)[٣][٤].

= - الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري/ ط. مؤسسة الرسالة.

- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري / ط. مكتبة المعارف والحكم بالمدينة النبوية.

- السيرة النبوية للدكتور علي محمد الصلابي / ط. الأوقاف القطرية.

لكن ينبغي على القارئ في هذه الكتب أو في غيرها من كتب السير، التأكد من صحة الأحاديث والقصص والآثار التي تذكر فيها، فأصحابها لم يلتزموا فيها الصحيح فقط.

ولهذا من الكتب المعاصرة المفيدة في هذا الباب كتاب (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة للدكتور مهدي رزق الله أحمد / ط. دار زدني) حيث اجتهد صاحبه في الاعتماد على المرويات الصحيحة وحرص على توثيق النصوص، فجزاه الله خيرا.

(١) انظر مقدمة كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة (ص١٤-١٥) حيث ذكر صاحبه أهداف دراسة السيرة النبوية.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٥٩١).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٥٩٠).

(٤) أما الآن فنرى بعض الآباء والأمهات إلا من رحم الله، يعلمون أبناءهم سير الفنانين=

٢- الاقتداء به ﷺ

إن من ثمرات معرفة سيرته ﷺ والوقوف على أخباره أن نتأسيَ به ﷺ وهذا لا يكون إلا باتباعه في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالصادق في حب النبي ﷺ مَنْ تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه)(١).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لما كَثُر المدَّعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى)(٢).

=والممثلين واللاعبين حتى الكفار منهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فترى الطفل حافظا لاسم اللاعب واسم أبيه، مقلدا له في هيئته ومتأثرا بأخلاقه، والله المستعان.

ولو طلبت منه أن يذكر لك العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة رضي الله عنهم أو اسم أحدهم لما أجاب! والله المستعان.

فينبغي أن نتقي الله في أبنائنا وإخواننا ولا نربيهم على تقليد الكفار ومشابهتهم. فإن في ذلك إفسادهم وتضييعًا للأمانة، التي سنسأل عنها يوم القيامة، قال ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...».

وهذا الحديث رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولنُربيهم على حب نبينا ﷺ وحب الصحابة رضي الله عنهم والسير على تعاليم الإسلام، فإن في ذلك فلاحًا ونجاحًا لنا ولهم في الدنيا والآخرة بإذن الله.

(١) كتاب الشفا (٢ / ٢٢).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٨).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة، فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامةُ الصدق اتباعُ رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبةَ الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورَحِمَه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص)[(١)].

■ **ومن لوازم الاقتداء به ﷺ تعظيمه وتوقيره:** قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغير واحد: تعظموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: أي تسبحون الله ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ أي: في أول النهار وآخره)[(٢)].

ومن توقيره ﷺ وتعظيمه أن لا يُقَدَّم قولٌ على قوله ولا هَدْيٌ على هديه، كائنًا من كان، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال تعالى:

(١) تفسير السعدي (ص ١٢٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ، والتعظيم والاحترام له وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا: النهيُ الشديد عن تقديم قولِ غيرِ الرسول ﷺ على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعُها وتقديمُها على غيرها، كائنا من كان)[(١)].

■ **وكذلك من توقيره واحترامه ﷺ عدم رفع الصوت عند سماع حديثه؛** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]

قال حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أرى رفع الصوت عليه ﷺ بعد موته كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قرئ حديث وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن)[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٩٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٣٣٤).

٣- إحياء سنته ﷺ

ويكون ذلك بالدعوة إليها على بصيرة والصبر على ذلك، قال ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعِهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناسُ تبع لهم. والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضَمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغُ سنته إلى الأمة أفضلُ من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السُّنَن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه)(٢).

■ **ومن إحياء سنته ﷺ نصرتها بالغالي والنفيس**، والذب عنها وعن أهلها المتمسكين بها في أي مكان، وحفظها من تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، ورد شبهاتهم، وبيان أكاذيبهم للناس.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) جلاء الأفهام (ص ٤١٥).

٤- الإكثار من ذكره ﷺ والشوق لرؤيته

وذلك بالصلاة والسلام عليه في كل وقت، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن العبد كلما أكثَرَ مِنْ ذكرِ المحبوب، واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه، ومعانيه الجالبة لحبه: تضاعَفَ حُبُّه وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه. ولا شيءَ أقرَّ لعين المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره واستحضار محاسنه)[(١)].

٥- محبة أهل بيته ﷺ وكل أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

من مظاهر حبه ﷺ حُبُّ أهلِ بيته وأصحابِه وكلِّ من تمسك بسنته ومعرفةِ فضلهم والدفاعِ عنهم، وعداوةِ وبُغضِ كل من عاداهم وأبغضهم.

فأما أهل بيته، فقد أوصانا بهم خيرًا، فقال ﷺ: «**أما بعد، ألا أَيُّهَا الناس، فَإِنَّمَا أنا بشرٌ يُوشِكُ أَن يأتيَ رسول ربِّي فَأُجِيبَ وأنا تَارِكٌ فيكم ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فيه الهدى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ**

(١) جلاء الأفهام (ص٤٤٧).

وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، قال زيد بن أرقم رضي الله عنه : فَحَثَّ على كتاب الله وَرَغَّبَ فيه، ثم قال: «وَأَهلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ في أَهْلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي. . .»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يَذْكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقَهم، والامتناع من ظلمهم)[(٢)].

قال الحافظ المناوي رحمه الله : (أي في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثا للتأكيد)[(٣)].

أما محبة أصحابه رضي الله عنهم فلأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، وقد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وشَرَّفهم بذلك.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه. . .)[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٢) منهاج السنة النبوية (٧ / ٣١٨). (٣) فيض القدير (٢/ ١٧٤).

(٤) إسناده حسن، رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٨٤) والطبراني في الكبير (٨٥٨٢) من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حُبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٧): (رجاله مُوَثَّقُون)، وحَسَّنَ وَقْفَه العلامة الألباني في تخريجه على الطحاوية (ص ٥٣٠).

فأهل السنة والجماعة يحبون كل أصحاب رسول الله ﷺ ويوالونهم، ويمسكون عما شجر بينهم .

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن السنة تَوَلِّي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال النبي ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١)) (٢) .

فهذه أيها الكرام أهم العلامات التي على كل من رفع شعار محبة النبي ﷺ أن يكون متحلِّيًا بها، ملازما لها .

أيها الأحبة: لقد عرف الصحابة رضي الله عنهم أن هذه العلامات لابد أن تكون متوفرة في كل محب للنبي ﷺ حتى تُقطف ثمراتها في الدنيا والآخرة، فَحَقَّقُوها وضربوا بذلك أروعَ الأمثلة وسطروا أزكى المعاني، فكانوا لمن بعدهم من المؤمنين المحبين للنبي ﷺ قدوة، وكان في قصصهم عبرة .

كيف لا؟! وهم الذين صحبوا خير المرسلين ﷺ عن قرب،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) لمعة الاعتقاد (ص٣٢)

وسمعوه وهو يقول: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وكيف لا؟! وهم الذين رأوا كيف كانت أخلاقه وتعامله مع الناس، فتأثروا به واقتدوا بهديه واقتفوا أثره في كل شيء ﷺ.

ولما كانت محبتهم رضي الله عنهم للنبي ﷺ يُضرب بها المثل ويُتأسى بها كان لزاما علينا حتى نقتدي بهم وتزداد محبتنا لنبينا ﷺ أن نقف مع بعض النماذج النيرة والصفحات المضيئة التي أناروا بها درب كل محب للنبي ﷺ بعدهم.

ولهذا أحببت أيها الكرام في ختام هذه الذكرى أن أذكر لكم بعضًا منها، لعل الله بجوده وكرمه يجعل المطَّلع عليها، والمتدبر لمعانيها يزداد حُبًّا للنبي ﷺ، بإذن الله جل جلاله.

فمنها:

١- ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لقد كان هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه من أشد الصحابة حُبًّا لنبينا ﷺ، ولهذا كان أحبَّ الصحابة للنبي ﷺ(٢).

---

(١) الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) ولهذا قال ﷺ: «وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلاً غير رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ». رواه البخاري (٣٤٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. =

فمواقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي دلت على صدق حبه للنبي ﷺ كثيرة جدا، فمنها ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (فبينا نحن يوما جلوسٌ في بيتنا في نَحْرِ الظهيرة، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُقْبِلاً مُتَقَنِّعًا - مغطي رأسه - في ساعة لم يكن يَأْتِينَا فيها، قال أبو بكر: فِدًى له بأبي وَأُمِّي، والله إنْ جاء به في هذه الساعة لأمر، فجاء النبي ﷺ فاستأْذن فَأَذِنَ له فدخل، فقال حين دخل لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مِنْ عِنْدَكَ**»، قال: إنما هُمْ أَهْلُكَ بأبي أنت يا رسول اللّه قال: «**فإني قد أُذِنَ لي في الخروج**» قال: فَالصُّحْبَةُ بِأَبِي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال: فخذْ - بأَبي أنت يا رسول الله - إحدى رَاحِلَتَيَّ هاتين...)[(١)].

= قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشاركه فيها أحد). فتح الباري (٧/ ١٤).

فائدة:

قد يقال: هذا الحديث جاء فيه أنه لن يكون للنبي ﷺ من أمته خليل، وفي المقابل نجد أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (**أوصاني خليلي**) ومثله أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول: (**إن خليلي أوصاني**) فكيف الجمع بين ذلك؟

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (**أوصاني خليلي**) لا يخالف قوله ﷺ: «**لَوْ كنت مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً...**» لأن الممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلا، ولا يمتنع اتخاذ الصحابي وغيره النبيَّ ﷺ خليلا). شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢٣٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن المُعَلِّمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (النبي ﷺ خليل كل مؤمن، وإن لم يكن أحد من الخلق خليلا له ﷺ، لقوله: «**لَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلاً غير رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**»، والخليل كالحبيب، فكما أنه لا يلزم من كون إنسان حبيبك أن تكون حبيبه، فكذلك الخليل، والخلة أعظم من المحبة، فلا يلزم من نفي الخلة نفي المحبة) الأنوار الكاشفة (ص١٧٠).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٤٧٠).

فحبه الصادق للنبي ﷺ جعله يتمنى مرافقته في أصعب المواقف، بل لما أخبره ﷺ أنه سيكون رفيق دربه بكى من الفرح، حتى قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيتُ أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح)[١].

٢-عمر الفاروق رضي الله عنه

لقد كان هذا الصحابي الجليل أحب أصحاب رسول الله ﷺ إليه بعد أبي بكر ﷺ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بَعَثَهُ على جيشِ ذات السَّلاَسِلِ[٢]، فَأَتَيْتُهُ فقلت: أَيُّ الناس أَحَبُّ إِليك؟ قال: «**عَائِشَةُ**»، قلت: من الرِّجالِ؟ قال: «**أَبُوهَا**» قلت: ثُمَّ من؟ قال: «**عُمَرُ**»، فَعَدَّ رِجَالاً[٣].

ومحبة النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه كان لها أسباب ومن أهمها أن النبي ﷺ كان أحبَّ الناس لعمر رضي الله عنه بل محبته له كانت أكثر من نفسه التي بين جنبيه. فعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٦٩)

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل لأن بها ماء يقال له السَلْسَل، وذكر ابن سعد أنها وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام، قال: وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، وقيل كانت سنة سبع). فتح الباري (٨/ ٧٤).

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٢) ومسلم (٢٣٨٤) واللفظ له.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»(١).

٣- عمرو بن العاص رضي الله عنه

لقد كان هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه كغيره من الصحابة يُحب النبي ﷺ حُبًّا شديدًا، حتى قال وهو على فراش الموت رضي الله عنه: (ما كان أَحد أَحَبَّ إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أُطِيقُ أن أملأ عينيَّ منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصِفَهُ ما أطقتُ، لأَني لم أكن أملأ عينيَّ منه...)(٢).

٤- ثُمَامَةُ بن أُثَال رضي الله عنه (٣)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلا قِبَلَ نَجْدٍ، فجاءت برجل من بني حَنِيفَةَ يُقال له: ثُمَامَةُ بن أُثَال سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول اللّه ﷺ فقال:

(١) الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٢١).

(٣) ثُمامة بن أُثَال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول ابن حنيفة الحنفي، أبو أمامة اليمامي رضي الله عنه، ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة بعد ظهور مسيلمة الكذاب، فنصح قومه وذكرهم أن محمدا رسول الله ﷺ ولا نبي بعده. استشهد رضي الله عنه في قتال أهل الردة في البحرين سنة ١١هـ. الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٥٠)، الإصابة لابن حجر (١/ ٤١٠).

«**ماذا عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟**» فقال: عندي يا محمد خيرٌ إن تَقْتُلْ تَقْتُل ذَا دَم، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِم على شَاكر، وإن كنت تريدُ المال فَسَلْ تُعْطَ منه ما شئتَ، فتركَه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثُمَامَةُ؟**» قال: ما قلت لك، إنْ تُنْعِمْ تُنْعِم على شاكر، وإن تَقْتُلْ تَقْتُل ذا دم، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تُعْطَ منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد فقال: «**ماذا عندك يا ثُمَامَةُ؟**» فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنْعِمْ تُنْعِم على شاكر، وإن تَقْتُلْ تَقْتُل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقَ إلى نخلٍ قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل الْمسجد، فقال: أشهَدُ أن لا إله إلا الله وأشهد أَن محمدا عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إلي من وجهك، فقد أصبح وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوجوه كُلِّهَا إليَّ، والله ما كان من دين أَبْغَضَ إليَّ من دِينِك، فأصبح دينك أَحَبَّ الدِّين كُلِّه إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأَصبح بلدك أَحَبَّ البلاد كُلِّهَا إليَّ، وإن خَيْلَكَ أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشَّرَه رسول الله ﷺ، وأمره أَن يعتمر، فلما قَدِمَ مكة، قال له قائل: أَصَبَوْتَ؟ (١) فقال: لا، ولكني أَسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لاَ يَأْتِيكُمْ من اليمامة حَبَّةُ حِنْطَةٍ حتى يأْذن فيها رسول اللَّهِ ﷺ (٢).

لقد تغلغل حب النبي ﷺ في قلب هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه مباشرة بعد أن أخلص في إسلامه، ولهذا منع قريشًا من

(١) أي أَخَرَجْتَ عن دينك؟. مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤١١٤) ومسلم (١٧٤٦) واللفظ له.

الحنطة حتى يأذن النبي ﷺ، نصرةً وحبا له ﷺ، فارتفع بهذا الفعل بعد ذلك في أعين الصحابة رضي الله عنهم ، حتى قال عنه عمر رضي الله عنه : (لقد كان والله في عيني أصغر من الخنزير، وإنه في عيني، أعظمُ من الجبل)[١] .

▪ **فهذه أيها الأحبة:** نماذج لمحبة بعض الصحابة للنبي ﷺ، وإلا فالصحابة كلهم كما تقدم كانوا يحبون النبي ﷺ ويعظمونه ويفدونه بأغلى ما يملكون من النفس والمال والولد.

قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لقريش: (والله لقد وَفَدْتُ على الْملوك وَوَفَدْتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعظم أَصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، والله إن تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وجلدَه، وإذا أمرهم ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتَهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له)[٢] .

▪ **فعلينا أيها الكرام:** أن نقتدي بهم، ونقدم محبة نبينا ﷺ على كل شيء، ونسارع دائما لطاعته فيما أمر، والابتعاد عما نهى عنه وزجر، فإن في ذلك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، بإذن الله .

لكن ليحذرِ المحبُّ للنبي ﷺ أشد الحذر من أن يُجاوز المحبة إلى الغلو، فيُثبت للنبي ﷺ ما هو خاص بالباري سبحانه من الربوبية

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦) وحسنه العلامة الألباني في الإرواء (٥/ ٤٢).
(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩٧٦).

والألوهية والأسماء والصفات، فقد حذر ﷺ من ذلك.

فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

▪ **وختاما أيها الأحبة الكرام:** إن من أعظم أسباب تسلط الكفار علينا حتى وصلوا للاستهزاء بإمام المسلمين وأسوتهم ﷺ، ضَعْفَ تمسكنا بتعاليم الإسلام عقيدة وعبادة وتعاملا، فعلينا أن نرجع لتحكيم كتاب ربنا والسير على هدي نبينا ﷺ ومعرفة سنته وإحيائها بين المسلمين إذا أردنا القوة والتمكين، وسيهابنا أعداء الله بعد ذلك بإذن الله.

فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يردَّنا والمسلمين إليه رَدًّا جميلا، وأن يرزقنا وإياكم محبة النبي ﷺ محبةً مشروعة لا غلو فيها، ومحبة سنته، ومحبة أهل سنته، وأن يُذِلَّ كل من تطاول على هذا الدين الحنيف أو تطاول على سيد المرسلين ﷺ وأنْ يُرِيَنا فيه عجائب قدرته فيكون لمن بعده عبرة وآية، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥).

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث القدسية .

٣- فهرس الأحاديث النبوية .

٤- فهرس الآثار .

٥- فهرس الأبيات الشعرية .

٦- المصادر المعتمدة .

٧- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة

البقرة

[١٦٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ . . .﴾ ٢٧

[٢٠٣] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾ ١٧١، ١٧٤

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ﴾ ١٠٦

[٢١٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴾ ٢٢

آل عمران

[٣١] ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ . . .﴾ ٣٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٢٧

[١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ٥، ٣١٥

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ . . .﴾ ٥٠

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٢٣٠

[١٦٥] ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ . . .﴾ ٢٣٠

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٢

[١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾ ٩٢

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ ٨٤

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ . . .﴾ ٢٦٨

رقم الآية	الآية	الصفحة

النساء

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ٥، ٣١٥

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ٢٨٦

[٣٤] ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ ٢٢٣

[٣٦] ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا . . .﴾ ٢٧٨

[٤١] ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ ٥٧

[٧٨] ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ ٨٥

[٧٨] ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ ٢٣٤

[٧٨] ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ ٢٣٥

[١٣٠] ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾ ٢١٧

المائدة

[٢] ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٣

[٣] ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ ١٤٢، ٢٩٠

[٥١] ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ ٢٤٥

[٩٧] ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ ١٣٣

الأعراف

[١٣١] ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۚ﴾ ٢٣٤

الأنفال

[٢] ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ ١٥

رقم الآية	الآية	الصفحة

التوبة

[٣٧] ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ٢٣٧

[٤٩] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ ٩٤

[١١٤] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ ١١٧

[١١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١٨٨

يونس

[٦٢-٦٤] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ . . . إلى قوله . . . هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ١٩١

هود

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ٧٩

الرعد

[١١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ٢٢٩

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ ١٤

[٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ٤٥، ١٧٠

إبراهيم

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . .﴾ ٣٤، ١٣٤

[٤٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ . . .﴾ ٨٠

الحجر

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ ٢٩٦

رقم الآية	الآية	الصفحة

النحل

[٤٥-٤٧] ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ . . . إلى قوله . . . سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ ١٣

[٧٢] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً . . .﴾ ٢١٦، ٢٧٤

[٨٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ ٢٧٢

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً . . .﴾ ٤٣

الإسراء

[٢٣] ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ١٩٤

[٢٤] ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ ١٩٨

[٥٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ . . .﴾ ١١، ١٩، ٢٦

[١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ٥٦

الكهف

[١١٠] ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا . . .﴾ ١١٢، ١٣٦، ٢٩٥

مريم

[٤٧] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ ١١٨

[٥٨] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ١٤

الأنبياء

[٩٠] ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا . . .﴾ ١٤

رقم الآية	الآية	الصفحة

الحج

[٢٨] ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ ١٦٥، ١٦٦

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ١٣٥

[٣٤] ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ١٦١

المؤمنون

[١- ٢] ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ ١١١

النور

[٣١] ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٦٠

الفرقان

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ٨٨

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ٧٢

[٧٢] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ ٢٤٨

النمل

[٤٧] ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ ٢٣٤

القصص

[٨١] ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ . . .﴾ ٦٦- ٦٧

[٨٣] ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ ٧٦

رقم الآية	الآية	الصفحة

العنكبوت

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ . . .﴾ ١٩٤

الروم

[٢١] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا . . .﴾ ٣٤

لقمان

[١٨] ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ٦٦

الأحزاب

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ﴾ ٣٣١

[٧٠- ٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ . . . فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٥، ٣١٦

يس

[١٨] ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ ٢٣٥

الزمر

[٩] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ ١٨

[٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ٨٤

[٥٣] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ . . .﴾ ٢٠

غافر

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ٣١٩

[٦٠] ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ ٦٠

رقم الآية	الآية	الصفحة
الشورى		
[١١]	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	٢٥٧
[٤٠]	﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾	١٨١
الزخرف		
[٣٢]	﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾	٥٠
محمد		
[٧]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	١٩٢، ٢٣١
[٢١]	﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	١٨٨
الفتح		
[٩]	﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٣٢٨
[٢٩]	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾	٣١١
الحجرات		
[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٢٩
[٢]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ . . .﴾	٣٢٩
[١٣]	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾	٦٥
الذاريات		
[٥٦]	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٢٩٢
الحديد		
[١٦]	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	١٥

رقم الآية	الآية	الصفحة
[٢١]	﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	٢٥٥
	الحشر	
[١٠]	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا . . .﴾	٣٣٣
[٢٣]	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ . . .﴾	٢٥٥
	الجمعة	
[٨]	﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾	٨٦
	القلم	
[٤]	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	١١٩
	التغابن	
[٩]	﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾	٨٨
	الطلاق	
[٢]	﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٤٤
	المطففين	
[١٤]	﴿كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	٦٠
	الفجر	
[١-٢]	﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾	١٢٥
	الكوثر	
[٢]	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	١٦١
[٣]	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	٣١٨

فهرس الأحاديث القدسية

الأحاديث القدسية

الحديث	الصحابي	الصفحة
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري	أبو هريرة	٦٥
كُلُّ عمل بني آدَمَ له إلا الصيامَ	أبو هريرة	١٢٧
يا عبادي إني حَرَّمْتُ الظلم	أبو ذر	٧٨

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصحابي	الصفحة
ابعثها قياما مقيدة سنة محمد ﷺ	ابن عمر	١٦٤
اختار الله الزمان	أبو هريرة	١٥٢
اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فإن الْمَرْاةَ	أبو هريرة	٢٢٢
أتى رسول الله ﷺ على غِلْمَانٍ	أنس	٧٥
أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ	أبو هريرة	٨١
أما بعد ألا أيُّهَا الناس فَإِنَّمَا	زيد بن أرقم	٣٣١- ٣٣٢
أنَّ رَجُلاً زَارَ أخًا له في قَرْيَةٍ	أبو هريرة	١٧٨
أنَّ رَجُلاً قال لرسول الله ﷺ إِنَّ أُمَّهُ	ابن عباس	١٩٦
إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ	أبو هريرة	٢١٩
إذا قُمْتَ في صَلاَتِكَ فَصَلِّ	أبو أيوب الأنصاري	١١٣
إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ	أبو هريرة	١٩٦
أرْبَعٌ لاَ تَجُوزُ في الأَضَاحِيِّ	جابر	١٦٣
أعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ	أبو هريرة	٢٦٨
أفضل الصيام بعد رمضان	أبو هريرة	٢٠٢، ٢٠٣
ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكَبَائِرِ	أبو بكرة	١٩٧
ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر	زيد بن أرقم	١٤٤- ١٤٥

الحديث	الصحابي	الصفحة
ألا كلكم راع وكلكم مسؤول	ابن عمر	٣٨، ٢٧٣
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا	أبو هريرة	١٣٦
أوصاني خليلي	أبو هريرة	٣٣٥
أوصيكم بتقوى الله والسمع	العرباض بن سارية	١٥
أيُّ الناس أحَبُّ إِليك	عائشة	٣٣٦
أيُّما امرأة استعطرت	أبو موسى الأشعري	٣٨
أيام التشريق أيام أكل وشرب	نُبيشة الهذلي	١٧٢، ١٧٥
إن تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ	شداد بن الهاد	١٩٠
إن خليلي أوصاني	أبو ذر	٣٣٥
إن الرِّفْقَ لا يكون في شيء	أبو هريرة	٩٩
إنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة	ابن عمر	٨٠
إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ	أبو هريرة	٥٩
إن القبر أولُ منازل الآخرة	عثمان	٥٨، ٨٦
إن فيك لخصلتين يحبهما الله	الأشج عبد القيس	١١٧
إنَّ الله أوحي إلي أن تواضعوا	عياض بن حمار	٧٥
إنَّ الله ﷻ ليملي للظالم	أبو موسى الأشعري	٧٩
إنَّ الله لَيَرْضَى عن العبد أن يأكلَ	أنس	١٧٣
إنَّ الله كَتَبَ الإحسَان	شداد بن أوس	١٦٤- ١٦٥
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك	سهل بن سعد	٢٩٥
إني أشْتَهي أن أسْمَعَهُ من غيري	ابن مسعود	٥٧

الحديث	الصحابي	الصفحة
إنه ليس لنبي أن يدخل	سفينة	٣٦
إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	أبو هريرة	١٣٢
بحسب امرئ من الشر	أبو هريرة	٩٩
بدأ الإسلام غريبا	أبو هريرة	٩١
بسم الله والله أكبر اللهم منك	جابر	١٦٣- ١٦٤
بعث رسول الله ﷺ خيلا قِبَلَ نَجْدٍ	أبو هريرة	٣٣٧- ٣٣٨
بَلغوا عنِّي ولو آية	عبد الله بن عمرو	٣٣٠
بينما رجل يَتَبَخْتَرُ يمشي في بُرْدَيْهِ	أبو هريرة	٦٧
تحاجت الجنة والنار	أبو هريرة	٢٥٦
التسبيح للرجال والتصفيق للنساء	أبو هريرة	٣٦
التي تَسُرُّهُ إذا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إذا أمَرَ	أبو هريرة	٢٢٤- ٢٢٥
ثلاثةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ الله يوم القيامة	أبو هريرة	٦٧
ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ	أبو هريرة	٢٢٥
ثلاث من كن فيه	أنس	٢٧، ٣٢٣
حق المسلم على المسلم خمس	أبو هريرة	١٨١
حق المسلم على المسلم ست	أبو هريرة	٩٨
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لاِهْلِهِ	عائشة	٢٢٤
دعوة المظلوم مستجابة	أبو هريرة	٨١
الدين النصيحة	تميم الداري	٩٧
ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ له خَنْزَبٌ	عثمان بن أبي العاص	١١٣

الحديث	الصحابي	الصفحة
ذاك يوم ولدت فيه	أبو قتادة الأنصاري	٣٠٧
الرجل على دين خليله	أبو هريرة	٢٩٩
رمى رسول الله ﷺ الجمرةَ	جابر	١٧٢
سبحان ذي الجبروت والملكوت	عوف بن مالك	٢٥٦
سبعة يظلهم الله في ظله	أبو هريرة	٥٦
سنة أبيكم إبراهيم	زيد بن أرقم	١٥٥
صلوا كما رأيتموني أصلي	مالك بن الحويرث	١١٢، ١٣٥
صوم يوم التروية كفارة سنة	ابن عباس	١٥٤
صيام يوم عرفة أحتسب على الله	أبو قتادة الأنصاري	١٢٨
ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين	أنس	١٢٩، ١٥٤، ١٦١
طوبى لمن هُدي إلى لإسلام	فضالة بن عبيد	٥٢
الطيرة شرك	ابن مسعود	٢٣٩
عينان لا تَمَسُّهُمَا النار	ابن عباس	٥٧
فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ	أبو هريرة	٢١٨
فإذا كان الْعَامُ الْمُقْبِلُ إن شَاءَ الله	ابن عباس	٢٠٤، ٢١٢
فبينا نحن يوما جلوسٌ في بيتنا	عائشة	٣٣٥
قد اجتمع في يومكم هذا عيدان	أبو هريرة	١٦٨
قدم علينا النبي ﷺ ولأهل المدينة	أنس	١٦٠
فصل ما بين الحلال	محمد بن حاطب	٣٥
عظموا ضحاياكم	عمران بن حصين	١٥٥

الحديث	الصحابي	الصفحة
لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط	معقل بن يسار	٣٧
لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ	جابر	١٣٥
لَعن رسول ﷺ المتَشَبِّهين	ابن عباس	٣٦
لم يُرَخَّصْ في أيَّامِ التَّشْرِيقِ	عائشة -ابن عمر	١٧٥
اللهم أصلح لي ديني	أبو هريرة	٢٩٨
لو دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ	أبو هريرة	٧٥
لو كان لابن آدم واديان من مال	أنس	٥١
لو كنت مُتَّخِذًا خلِيلاً	أبو سعيد الخدري	٣٣٥
ليس الواصل بالمكافئ	عبد الله بن عمرو	١٨٠
لا تزول قدما عبد يوم القيامة	أبو برزة الأسلمي	٢٠٠
لا تدخل الملائكة بيتا فيه	أبو طلحة الأنصاري	٢٢١
لا تسبوا أصحابي	أبو سعيد الخدري	٣٣٣
لا تُطرُوني كما أطرت النصارى	عمر	٣٤٠
لا تغضب	أبو هريرة	١٣٧
لا تذبحوا إلا مسنة	جابر	١٦٢
لا تلعنه فإنه يجب الله ورسوله	عمر	٢٩
لا عدوى ولا طيرة	أبو هريرة	٢٣٦- ٢٣٧، ٢٣٩
لا والذي نفسي بيده حتى أكون	عبد الله بن هشام	٣٢١، ٣٣٦- ٣٣٧
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب	أنس	٣٢١، ٣٣٤
لا يجتمعان في قلب عبد	أنس	٢٠

الحديث	الصحابي	الصفحة
لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ	ابن مسعود	٦٦
لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ	جبير بن مطعم	١٨٠
لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مؤمنه	أبو هريرة	٢٢٣
كان رجل نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة	أنس	٣١٧
كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر	بريدة بن الحصيب	١٦٤
كان النبي ﷺ يصوم تسع	أم سلمة (يراجع)	١٢٧
الكبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس	ابن مسعود	٦٨
كُلْ فهذه الأيام التي كان	عمرو بن العاص	١٧٥
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر	ابن عباس	١٦٢
كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ	عبد الله بن عمرو	٩٠
كن ورعا تكن أعبد الناس	أبو هريرة	٥١
كنت أَمْشِي مع النبي ﷺ	أنس	١١٨
ما أصاب أحدا قط همٌّ ولا حَزنٌ	ابن مسعود	٤٧
ما رأيت النبيَّ ﷺ يتحرى صيام	ابن عباس	٢٠٤
ما رأيت رسول الله ﷺ صائما	عائشة	١٢٧
ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا	أبو هريرة	١٨١
ما زال جبريل يوصيني بالجار	ابن عمر	٢٨٠
ما عمل آدمي من عمل يوم النحر	عائشة	١٥٥
ما من أيام أحب إلى الله أن يُتعبد له	أبو هريرة	١٥٣
ما من أيام العمل الصالح فيها أحب	ابن عباس	١٢٦، ١٢٨، ١٥٢

الحديث	الصحابي	الصفحة
ما من مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً	علي	١٨٢
ما نَقَصت صدقةٌ من مال	أبو هريرة	٧٣
ما هذا الذي تصومونه	ابن عباس	٢١١
مَثَلُ البيت الذي يُذْكَرُ الله فيه	أبو موسى الأشعري	٢٧٤
من أحق الناس بحسن صحابتي	أبو هريرة	١٩٦
من تشبه بقوم فهو منهم	عبد الله بن عمرو	٢٤٤- ٢٤٥، ٢٦٠
من حَجَّ لِلَّهِ فلم يَرْفُثْ	أبو هريرة	١٢٧، ١٣٤
من حدث عني بِحديث	المغيرة بن شعبة	١٥٦
من رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ من حَاجَةٍ	عبد الله بن عمرو	٢٤٠
من سأل الله الشهادة بصدق	سهل بن حنيف	١٨٩
من سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ	أنس	١٧٩
من صام آخر يوم من ذي الحجة	ابن عباس	١٥٣
من صام العشر فله بكل يوم	ابن عباس	١٥٣
من صَنَعَ إليكم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ	ابن عمر	١٠٥
من عَادَ مَرِيضًا، أو زَارَ أخًا له	أبو هريرة	١٧٨
من عمل عملا ليس عليه أمرنا	عائشة	١٦٦
من لاَ يَشْكُرُ الناس لاَ يَشْكُرُ الله	أبو هريرة	١٠٥
من كان له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ	أم سلمة	١٢٩
من كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر	أبو شريح	٢٧٩
من كانت عنده مَظْلِمَةٌ لأخيه	أبو هريرة	٨٢

الحديث	الصحابي	الصفحة
والحج المبرور ليس له جزاء	أبو هريرة	١٢٦
وإياكم ومحدثات الأمور	العرباض بن سارية	٢١٣
وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ	أنس	١١٠
والله لا يُؤمن، والله لا يُؤمن	أبو شريح	٢٧٩
يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً	أبو ذر	٢٨١
يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها	رجل من الأنصار	١١٠
يا رسول الله أي الناس خير؟	أبو بكرة	٢٦٧
يا رسول الله متى الساعة؟	أنس	٣٢٤
يا أيها الناس إن ربكم واحد	جابر	٦٥
يا فاطمة قومي إلى أضحيتك	عمران بن حصين	١٥٥- ١٥٦
يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ	أبو قتادة الأنصاري	٢٠٤، ٢١٢
يُوشِكُ الْأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ	ثوبان	٢٣٠

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتبع طرق الهدى ولا يضرك	الفضيل بن عياض	٩٣
استوصوا بأهل السنة خيرا	سفيان الثوري	٩٢
أرى رفع الصوت عليه ﷺ بعد موته	حماد بن زيد	٣٢٩
إني لأعصي الله فأرى أثر ذلك	أحد السلف	٢٢٠
إن ذنوبي أهون علي من هذا	سفيان الثوري	٥٩
إن قوما طلبوا الغنى فحسبوا	أبو سليمان الداراني	٥٣
إن الله نظر في قلوب العباد	ابن مسعود	٣٣٢
إن للقلوب شهوة وإقبالاً	ابن مسعود	١٠١
إنِّي لأستحي من الله أن يضيق	معاوية	١١٩
التواضع أن تخضع للحق	الفضيل بن عياض	٧٤
الغريب في زماننا رجل صالح	إبراهيم الحربي	٩٢
لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم	الحسن البصري	٣٠١
لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تخالطوهم	أبو قلابة	٣٠١
لكنك إن قلت عشرا لم تسمع	الأحنف بن قيس	١١٩
كان أبي يُعلِّمنا مغازي	إسماعيل بن محمد	٣٢٦
كان يكون في مهنة أهله	عائشة	٧٤

الأثر	القائل	الصفحة
كل بدعة ضلالة	ابن عمر	١٤٣
كنا نُعَلَّمُ مغازي النبي ﷺ	علي بن الحسين	٣٢٦
ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا	أيوب السختياني	١٣٥- ١٣٦
ما كان أحد أحَبَّ إلي	عمرو بن العاص	٣٣٧
ما وضع الحلم عن شريف شرفه	معاوية	١٢٠
المؤمن يستر وينصح	الفضيل بن عياض	١٠٠
من عرف ربه أحبه	الحسن البصري	٢٩
من علامة سعادة أن تطيع	أبو عثمان الجيزي	١٩
من وعظ أخاه سرا فقد نصحه	الشافعي	١٠٠
النصح لله	ابن المبارك	٩٩
هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي	الإمام مالك	٧
هم الذين خصم الله بنور السنة	أيوب السختياني	١٥١
يعيش لها الجهابذة	ابن المبارك	١٥١

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
فلو أنَّا إذَا مُتْنَا تُرِكْنَا	أحد السلف	٨٧
هي القناعة لا ترضى بها	أحد السلف	٥٤

المصادر المعتمدة

المصادر المعتمدة

١- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح / ط . عالم الكتب .

٢- أحكام أهل الذمة لابن القيم / ط . دار الرمادي - السعودية .

٣- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي / ط . دار مكتبة الحياة .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط . دار الفكر- بيروت .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا/ ط . مكتبة الغرباء الأثرية -السعودية- .

٦- الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة للمعلمي / ط . عالم الكتب- السعودية .

٧- الإبانة الكبرى لابن بطة / ط . دار الراية -الرياض .

٨- الإبداع في كمال الشريعة وخطر الابتداع، للشيخ ابن عثيمين/ ط . نفقة فاعل خير

٩- إرواء الغليل للألباني / ط . المكتب الإسلامي .

١٠- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان / ط . مؤسسة الرسالة .

١١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية/ ط . دار عالم الكتب -بيروت .

١٢- الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ/ ط . المكتبة التوفيقية- مصر .

١٣- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر / ط . دار الكتب العلمية .

١٤- الاعتصام للشاطبي / ط . دار ابن الجوزي .

١٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم/ ط . دار ابن الجوزي .

١٦- الإنصاف في معرفة الراجح الخلاف للمرداوي/ ط . دار إحياء التراث العربي .

١٧- البداية والنهاية لابن كثير / ط . إحياء التراث .

١٨- البدع والحوادث للطرطوشي/ ط . دار ابن الجوزي .

١٩- البدع والنهي عنها لابن وضاح/ ط . مكتبة ابن تيمية - مصر .

٢٠- بدائع الفوائد لابن القيم / ط . مكتبة الباز - مكة .

٢١- بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط . دار الرشد -السعودية .

٢٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي / ط . دار الغرب .

٢٣- تاريخ الطبري للطبري / ط . دار التراث -بيروت .

٢٤- تحذير المسلمين من الابتداع في الدين لابن حجر البوطامي/ ط . دار الإمام البخاري - قطر .

٢٥- التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن عاشور/ ط . الدار التونسية للنشر .

٢٦- تحفة الأحوذي للمباركفوري/ ط . دار الكتب العلمية-بيروت .

٢٧- تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم/ ط . دار البيان-دمشق .

٢٨- التخويف من النار لابن رجب/ ط . مكتبة المؤيد-السعودية .

٢٩- تشبه الخسيس بأهل الخميس للذهبي / ط . دار عمار- الأردن .

٣٠- تفسير البغوي / ط . دار المعرفة - بيروت .

٣١- تفسير السعدي / ط . مؤسسة الرسالة .

٣٢- تفسير الطبري / ط . دار الفكر - بيروت .

٣٣- تفسير القرطبي / ط . دار الشعب- القاهرة .

٣٤- تفسير ابن كثير / ط . دار الفكر - بيروت .

٣٥- تقريب التهذيب لابن حجر / ط . دار الرشيد - سوريا .

٣٦- تلخيص كتاب الاستغاثة/ ط . دار الغرباء الأثرية-المدينة النبوية .

٣٧- التمهيد لابن عبد البر / ط . الأوقاف المغربية .

٣٨- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي / ط . دار ابن كثير -دمشق .

٣٩- التواضع والخمول لابن أبي الدنيا/ ط . دار الكتب العلمية-بيروت .

٤٠- التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي / ط . مكتبة الإمام الشافعي- السعودية .

٤١- تيسير اللطيف المنان للسعدي / ط . وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية .

٤٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير / ط . مكتبة البيان .

٤٣- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي .

٤٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط . مؤسسة الرسالة .

٤٥- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم / ط . دار الكتب العلمية .

٤٦- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام لابن القيم/ ط . دار العروبة - الكويت .

٤٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية / ط . دار العاصمة - السعودية .

٤٨- الجواب الكافي لابن القيم / ط .دار المعرفة .

٤٩- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني / ط .دار الفكر -بيروت .

٥٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان الشافعي/ ط . دار المعرفة- بيروت .

٥١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم/ ط . دار الكتب العلمية -بيروت .

٥٢- الزهد الكبير للبيهقي/ ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٥٣- زاد المعاد لابن القيم / ط . مؤسسة الرسالة .

٥٤- السلسلة الصحيحة والضعيفة للشيخ الألباني / ط .دار المعارف .

٥٥- سنن أبي داود / ط . المكتبة العصرية - بيروت-

٥٦- السنن الكبرى للبيهقي / ط .دار الكتب العلمية .

٥٧- سنن النسائي / ط .مكتب المطبوعات الإسلامية- دمشق .

٥٨- سنن ابن ماجة / ط . دار إحياء الكتب العربية .

٥٩- سير أعلام النبلاء للذهبي / ط . الرسالة .

٦٠- شأن الدعاء للخطابي / ط . دار الثقافة العربية - دمشق .

٦١- شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام/ ط . دار الفكر- بيروت .

٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي / ط . دار طيبة -السعودية .

٦٣- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط . دار الوطن -الرياض .

٦٤- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ ط . مكتبة الثقافة -القاهرة .

٦٥- شرح صحيح البخاري لابن بطال / ط . دار الرشد .

٦٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان / ط . دار العاصمة- الرياض .

٦٧- الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين / ط . دار ابن الجوزي .

٦٨- شعب الإيمان للبيهقي / ط . دار الرشد .

٦٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض / ط . دار الحديث -القاهرة .

٧٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم/ ط . دار الفكر .

٧١- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية / ط .

٧٢- الصحاح للجوهري / ط . دار العلم - بيروت .

٧٣- صحيح البخاري / ط . دار الأفكار .

٧٤- صحيح مسلم / ط . دار المغني .

٧٥- صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني/ ط . المكتب الإسلامي .

٧٦- صيد الخاطر لابن الجوزي / ط . دار القلم -دمشق .

٧٧- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم/ ط . دار العاصمة - الرياض .

٧٨- ضعيف الأدب المفرد للألباني / ط . دار الصديق للنشر والتوزيع .

٧٩- طبقات الكبرى لابن سعد / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٨٠- عارضة الأحوذي لابن العربي/ ط . دار إحياء التراث العربي-بيروت .

٨١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني/ ط . دار إحياء التراث العربي- بيروت .

٨٢- عيون الأخبار لابن قتيبة/ ط . دار الكتب العلمية- بيروت .

٨٣- غريب الحديث للخطابي / ط . جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

٨٤- فتاوى الشيخ ابن باز / إشراف وطباعة : محمد بن سعد الشويعر .

٨٥- فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية/ ط . رئاسة إدارة البحوث

العلمية والإفتاء .

٨٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط . دار المعرفة .

٨٧- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط . دار المنهاج .

٨٨- الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب / ط . دار عمار -الأردن .

٨٩- الفوائد لابن القيم/ ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٩٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني / ط . دار الكتب العلمية .

٩١- فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي / ط . المكتبة التجارية -مصر .

٩٢- قاعدة في المحبة لابن تيمية/ ط . مكتبة التراث الإسلامي- مصر .

٩٣- القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين/ ط . دار ابن الجوزي .

٩٤- القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد / ط . دار القلم -الكويت .

٩٥- اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي / ط . دار الكتب العلمية .

٩٦- لسان العرب لابن منظور / ط . دار صادر، بيروت .

٩٧- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب / ط . دار ابن حزم .

٩٨- الكامل في أسماء الرجال لابن عدي / ط .

٩٩- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي/ ط . دار الوطن .

١٠٠- لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي/ ط . الأوقاف السعودية .

١٠١- مجمع الزوائد للهيثمي / ط . مكتبة القدسي -القاهرة .

١٠٢- المجموع شرح المهذب للنووي / ط . دار الفكر - بيروت .

١٠٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط . مكتبة ابن تيمية .

١٠٤- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن -السعودية .

١٠٥- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة/ ط . المكتب الإسلامي .

١٠٦- مختار الصحاح للرازي / ط . مكتبة العصرية - بيروت .

١٠٧- مدارج السالكين لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي -بيروت .

١٠٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط . دار الفكر -بيروت .

١٠٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري / ط . دار الكتب العلمية .

١١٠- مسند الإمام أحمد / ط . الرسالة .

١١١- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض/ ط . مكتبة العتيقة .

١١٢- معالم السنن للخطابي / ط . المطبعة العلمية -حلب .

١١٣- معجم الكبير للطبراني / ط . مكتبة ابن تيمية -القاهرة- .

١١٤- معجم المناهي اللفظية لبكر بن عبد الله أبو زيد / ط .

١١٥- المغني لابن قدامة / ط . دار عالم الكتب .

١١٦- مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط . دار الكتب العلمية .

١١٧- المفردات غريب القرآن للأصفهاني / ط . دار القلم - دمشق .

١١٨- مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن .

١١٩- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم/ ط . مكتبة المطبوعات الإسلامية .

١٢٠- منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط . دار المعرفة .

١٢١- منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط . جامعة الإمام محمد بن سعود -السعودية .

١٢٢- الهم والحزن لابن أبي الدنيا/ ط . دار السلام - القاهرة .

١٢٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي / ط . دار الكتب العلمية .

١٢٤- المورد في عمل المولد، للفاكهاني . دار العاصمة - الرياض .

١٢٥- الموضوعات لابن الجوزي / ط . السلفية .

١٢٦- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ط . لمكتبة العلمية- بيروت .

١٢٧- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم/ ط . دار القلم- السعودية .

١٢٨- الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم/ ط . دار الكتاب العربي-بيروت .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٥
أنواع العبادة	٩
١- الخوف من الله	١٠
٢- الرجاء	١٧
٣- محبة العبد لله ﷻ	٢٥
ماذا يحدث في بعض أعراس المسلمين؟!	٣٣
لماذا نعاني من ضيق الصدر وعندنا العلاج؟!	٤١
النفس طمَّاعة فلنروِّضها على القناعة	٤٩
عندما قست قلوبنا جفت عيوننا	٥٥
لماذا تتكبر أيها المخلوق؟!	٦٣
هكذا ينبغي أن يكون المؤمن	٧١
أتدرون ما المفلس؟	٧٧
أين نحن من تذكر هذا؟	٨٣
هؤلاء هم الغرباء	٨٩
النصيحة	٩٥
١- هكذا ينبغي للناصح أن يكون	٩٦

الموضوع	الصفحة
٢- هذا ما يجب على المنصوح	١٠٣
هكذا نخشع في صلاتنا	١٠٩
ما أروع هذا الخلق في المؤمن	١١٥
قد جاءتكم أيام معدودات فتزودوا فيها من الطاعات	١٢٣
رسائل مهمة إلى حجاج الأمة	١٣١
مقالات عن شهر ذي الحجة	١٣٩
١- البيان لبدع شهر ذي الحجة	١٤٠
٢- أحاديث لا تصح في فضل شهر ذي الحجة	١٤٩
ماذا يجب على المضحي في يوم العيد	١٥٩
أيام التشريق فضائل وأحكام	١٦٩
هكذا ينبغي أن يكون التزاور بين المسلمين	١٧٧
الصدق مع الله	١٨٧
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا	١٩٣
فلنستقبل عامنا الجديد بالطاعات	١٩٩
يوم عاشوراء بين الممنوع! والمشروع	٢٠٧
أسباب كثرة الطلاق في المجتمعات الإسلامية	٢١٥
لماذا تراجعت مكانة المسلمين؟!	٢٢٧
تحذير البشر من خطر التشاؤم بشهر صفر	٢٣٣
احذروا من مشابهة النصارى في أعيادهم!	٢٤٣
وقفات مع اسم من أسماء رب البريات	٢٥٣

الموضوع	الصفحة
تحذير أهل الإسلام من الاحتفال بنهاية العام!	٢٥٩
أي الناس خير؟ وأيهم شر؟!	٢٦٥
هكذا تسعد الأسرة المسلمة	٢٧١
تذكير الأنام بحق الجار في الإسلام	٢٧٧
ماذا يريد أعداء الدين من نساء المسلمين؟!	٢٨٣
خطر الابتداع على أمة الاتباع	٢٨٩
خطر أهل الابتداع على أمة الاتباع	٢٩٧
احذروا من بدعة الاحتفال بالمولد النبوي	٣٠٣
طريق الوصول إلى محبة الرسول ﷺ	٣١١
مقدمة المؤلف	٣١٥
ثمرات محبة النبي ﷺ	٣٢٢
١- تذوق طعم الإيمان	٣٢٣
٢- مرافقة نبينا ﷺ في الجنة	٣٢٤
علامات محبة النبي ﷺ	٣٢٥
١- معرفة سيرته ﷺ	٣٢٥
٢- الاقتداء به ﷺ	٣٢٧
٣- إحياء سنته ﷺ	٣٣٠
٤- الإكثار من ذكره ﷺ والشوق لرؤيته	٣٣١
٥- محبة أهل بيته ﷺ وكل أصحابه رضي الله عنهم	٣٣١
١- ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٣٣٤

الموضوع	الصفحة
٢- عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٣٦
٣- عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٣٧
٤- ثُمَامَةُ بن أُثَال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣٣٧
الفهارس العامة للكتاب	٣٤١
فهرس الآيات القرآنية	٣٤٢
فهرس الأحاديث القدسية	٣٥١
فهرس الأحاديث النبوية	٣٥٣
فهرس الآثار	٣٦٢
فهرس الأبيات الشعرية	٣٦٥
المصادر المعتمدة	٣٦٧
فهرس الموضوعات	٣٧٩

المجموعة الثالثة

تنبيه الأمة
على مسائل وأحكام
شرعية مهمة

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري
الدوحة-قطر

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م

دار الإمام البخاري
الدوحة-قطر

جوّال: ٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨+
فاكس: ٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨+
المكتبة: ٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨+
Email: albukharibooks@gmail.com

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾. [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ .

[النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

يسعدني - أيها الأحبة الأفاضل - أن أقدم لكم بعد تيسير الله ﷻ المجموعة الثالثة من كتاب : **(تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة)** ، وهو مجموعة مقالات علمية متنوعة هامة ، نُشر بعضها في جريدة **(الشرق القطرية)** ، تطرقتُ فيها بفضل الله ﷻ إلى مسائل متنوعة في العقيدة ، والعبادات ، والأخلاق والسلوك ، وبيان علامات الفرقة الناجية المنصورة ، والأسباب المعينة على تجنب الفتن والثبات - بإذن الله تعالى - عند وقوعها ، إضافة إلى مواضيع أخرى كالتحذير من مكائد أعداء الدين لإفساد المسلمين خاصة ركائز الأمة وقوتها وهم شبابها ، وما يتعلق بالأخلاق وتزكية النفس ، وتحذير الناس من خطورة البدع والمعاصي .

فما كان في هذا الكتاب من صواب - أيها الأحباب - فهو من توفيق العزيز الوهاب ، فأحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحْصَى مَهما بُذلت الأسباب ، وما كان فيه من خطإٍ أو نسيانٍ ، فمن مصنفه ومن الشيطان ، فأستغفر الله الرحمن ، وأتوب إلى المنان .

فالله ﷻ (أبَى أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ)[١] .

فرحم الله أخًا مُحبًّا ناصحًا ، وجد وهنًا فنصح ، أو وجد خللًا فأصلح ، ومن مِنَّا أيها الكرام يسلم من الخطإ كما قال الإمام مالك رحمه الله : (هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي ، ونحن نخطئ ومن يسلم من الخطإ؟)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذا الكتاب مقيدَه وقارئَه ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨-٨٩] .

ويجزي خير الجزاء كلّ مَن أعان في طباعته ونشره وتوزيعه بين الناس خير الجزاء ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطيات / قطر)

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٤) .

(٢) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦) ، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦) .

(١)

الانْتِسَابُ للسّلَفِيّةِ لَيْسَ عَيْبًا أيُّهَا المُنْكِرُ!

الانتساب للسلفية ليس عيبًا ، أيها المُنكِر!

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد كان المسلمون – أيها الكرام – عند وفاة النبي ﷺ على الصراط المستقيم ، والحبل المتين ، والمنهج القويم ، عقيدتهم واحدة ، ومصدر تلقيهم الكتابُ والسنةُ ، إلا مَن أبطن نفاقًا وأظهر وِفاقًا .

لكن الله ﷻ لحكمة منه سبحانه قدَّر كونًا ظهور الفرق الضالة التي خالفت في باب الاعتقاد في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم ، كالخوارج والرافضة والقدرية ، وغيرهم من أهل الأهواء ، فزعموا أن منهجهم على الكتاب والسنة ؛ حتى يُفسدوا على عامة المسلمين دينهم الصحيح ، وفطرتهم السليمة ، لكن بفضل الله ﷻ تفطَّن سلفنا الصالح رضي الله عنهم لمكرهم وتدليسهم ، وبيَّنوا للناس الحق من الباطل ، والسنة من البدعة ، ووضعوا لهم علاماتٍ تميزهم عن هؤلاء ، ومن ذلك :

۞ إطلاقهم على أنفسهم ألقابًا استمدوها من نصوص الكتاب والسنة :

فمن ألقابهم : **(أهل السنة والجماعة)** ، وهذا الإطلاق ظهر في أواخر أيام

الصحابة رضي الله عنهم .

قال الإمام محمد بن سيرين (ت١١٠هـ) رحمه الله : (لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة ، قالوا : "سمُّوا لنا رجالكم" ؛ فينظر لأهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر لأهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[١] .

فلَقبُ أهل السنة والجماعة – أيها الأحبة الكرام – قديمٌ ، ولم يُعرف كما يظن البعضُ في أيام أئمة المذاهب الأربعة فقط! .

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد رحمهم الله ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة ... وأحمد بن حنبل إن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة ، فليس ذلك لأنه انفرد بقولٍ أو ابتدع قولًا ، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها)[٢] .

وبعد أن زعم كثير من أهل البدع أنهم من أهل السنة والجماعة! مع مخالفتهم الصريحة في باب الاعتقاد لهذا المنهج الرباني والوحي السماوي وارتباطهم بأشخاص معينين جعلوا الولاء والبراء فيهم ! لَقَّبَ أهلُ السنة والجماعة أنفُسَهُم (بالسلفيين) ؛ كي يتميزوا عن أهل الأهواء والبدع ، ويُبَيِّنُوا

(١) رواه مسلم في المقدمة (١/ ١٥) .

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠١) .

للناس أن دعوتهم ليست مُبتَدعة ولا حادثة ، وأنهم لا ينتمون لأي شخص مهما بلَّغت رتبتُه وعلَتْ مكانتُه ، فقدوتهم وإمامهم هو النبي ﷺ ، ثم سلفهم الصالح رضي الله عنهم .

فدعوتهم المباركة تدعو جميع الناس لتوحيد رب العالمين ، والسير على نهج النبي ﷺ وصحابته الكرام ومن جاء بعدهم من الهداة المهديين ، والتحاكم للإسلام الصافي في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ؛ لأن هذا هو معيار النجاح وطريق الفلاح بعون الله تعالى .

إن كلمة السلفي – أيها الأحبة الأفاضل – تدلّ من حيث اللغة على مَن تقدَّم وسَبَق بالعلم والإيمان والفضل والإحسان .

قال ابن منظور رحمه الله : (السلف أيضًا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل ... ، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح)[١] .

ومنه قول نبينا ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها : **(ولا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قد اقْتَرَبَ ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أنا لَكِ ...)**[٢] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (والسلف : المتقدِّم ، ومعناه : أنا مُتَقَدِّم قُدَّامك

---

(١) لسان العرب (٩/ ١٥٩) .

(٢) رواه البخاري (٥٩٢٨) واللفظ له ، ومسلم (٢٤٥٠)من حديث عائشة رضي الله عنها .

فَتُرُدِّين عَلَيَّ)[١] .

أما من الناحية الاصطلاحية ، فيقول الإمام الذهبي ﷺ : (فَالسِّلَفِيُّ مُسْتفَاد مَعَ السَّلَفِيّ - بفتحتين- وهو من كان على مذهب السلف)[٢] .

وسئلت اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية- حرسها الله- عن تفسير كلمة السلف ، وعن السلفيين ... ؟ .

فكان جوابهم-جزاهم الله خيرًا - : (السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ، ولما سُئل ﷺ عن الفرقة الناجية؟ ، قال : **(هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي)**[٣])[٤].

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢١) .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً)** ، قالوا : ومن هي يا رسول الله؟ قَالَ : **(مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)** . وحسنة الشيخ الألباني رحمه الله .

ويراجع في هذا الباب كتاب (المباحث العقدية في حديث الافتراق) لأحمد سردار وهو عبارة عن رسالة علمية - ماجستير- من مطبوعات الجامعة الإسلامية في ثلاث مجلدات ، حيث أجاد صاحبه في جمع طرق وروايات الحديث والكلام عليها مع نقل كلام العلماء فيها مع دراسة قيمة لمتن الحديث ، فجزاه الله خيرا وكتب أجره .

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١٦٤) .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقدًا ، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابه ، فإنه سلفي)[١] .

لكن من عادة المخالفين للحق المجانبين للصواب ، قديمًا وحديثًا ؛ بغض أهل الاتباع ومعاداتهم والوقيعة فيهم لاستنقاصهم وتنفير الناس منهم .

يقول الإمام أبو حاتم الرازي رحمه الله : (علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر)[٢] .

فنراهم يذمون هذه التسمية وهذا الإطلاق بحجج واهية!! كأنه مثلًا مُبتَدَعٌ وليس له أصل! وكذَبُوا واللهِ ؛ فإن الانتساب إلى السلف الصالح ليس بعيبٍ ولا بمبتَدَعٍ ولا جديدٍ ، وقد عُرف قديمًا وحديثًا انتسابُ العلماء للمنهج السلفي الرباني .

يقول الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام المحدث يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧ هـ) رحمه الله : (وما علمت يعقوب الفسوي إلا **سلفيًا**)[٣] .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٥٤) .

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٣) .

وقال أيضًا رحمه الله عن الإمام الدارقطني (ت٣٨٥هـ) رحمه الله : (لم يدخل الرجلُ أبدًا في علم الكلامِ ولا الجدالِ ، ولا خاض في ذلك ، **بل كان سلفيًا**)[١] .

ويقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله : (وإذا قيل : **السلف** أو **السلفيون** أو لجادتهم **السلفية** ؛ فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح : جميع الصحابة رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان ، دون من مالت بهم الأهواء ... والثابتون على منهاج النبوة نُسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك ؛ فقيل لهم : "**السلف ، السلفيون** ، والنسبة إليهم : **سلفي**" ، وعليه فإن لفظ السلف هنا ؛ يعني : "السلف الصالح" ، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق ، يعني : كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حتى ولو كان في عصرنا ، وهكذا ، وعلى هذا كلمة أهل العلم ، فهي نسبة ليس لها رسوم خرجت عن مقتضى الكتاب والسنة ، وهي نسبة لم تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول ، بل هي منهم وإليهم ، وأما من خالفهم باسم أو رسم ؛ فلا ، وإن عاش بينهم وعاصرهم)[٢] .

وبعضهم بعد أن علم أن هذه التسمية مشروعة مستمدة من الكتاب والسنة وليست حادثة ؛ زعم متبعًا لهواه أنها خاصة فقط بالمتقدمين وليست مستمرة ! .

يقول الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله : (ويتضح مما تقدم أن مدلول

---

(١) السير (١٦/ ٤٥٧) .

(٢) حكم الانتماء (ص٤٦) .

السلفية أصبح اصطلاحًا معروفًا يطلق على طريقة الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم ، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه ، فلم يعد إذًا محصورًا في دور تاريخي معين ، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة ، وهم أصحاب هذا المنهج ، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة أخذًا من قوله ﷺ : **"لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنَ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ"** [(١)])[(٢)] .

والبعض الآخر من الملبسين أنكرها بحجة أن فيها مدح وتزكية للنفس! وهذا مردود عليه .

وقد سئل الشيخ العلامة ابن باز ﷺ : (ما تقول فيمن تَسَمَّى بالسلفي والأثري ، هل هي تزكية؟ .

فأجاب ﷺ : (إذا كان صادقًا أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس ، مثل ما كان السلف يقول : "فلان سلفي ، فلان أثري" ، تزكية لا بد منها ، تزكية واجبة)[(٣)] .

---

(١) الحديث روي بنحو هذا اللفظ عند الإمام أحمد (٢٤/ ٣٦٣) ، والترمذي في سننه (٢١٩١) ، وابن ماجة (٦) ، من حديث قرة بن إياس المزني ﷺ ، وأصل الحديث في البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية ﷺ .

(٢) كتاب الصفات الإلهية (ص٥٤) .

(٣) من محاضرة مسجلة بعنوان : (حق المسلم) ، في ١٦/ ١ / ١٤١٣ هـ بالطائف .

ثم أيها المنُكِر لهذه التسمية الجاحد لإطلاقها ، ألم تعلم أن شعار أهل البدع قديمًا هو كراهيةُ انتحال مذهب السلف والتبرؤ منه ؟! .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : (شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف)[١] .

وأنه لا عيب ولا ذم مطلقًا على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه ؛ لأنه هو الحق ، وما دونه باطل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا)[٢] .

يقول العلامة صالح الفوزان – حفظه الله – : (السلفية هي السير على منهج السلف من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة في العقيدة والفهم والسلوك ، ويجب على المسلم سلوكَ هذا المنهج)[٣] .

أيها الأفاضل الكرام ، ممَّا ينبغي علمه كذلك ، أنه ليس كل من ادعى أنه على منهج السلف يُقرُّ على دعواه ، وينسب للسلف ، بل لابد من عَرْضِ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٩) .

(٣) الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة (ص١٠٣) .

معتقده ومنهجه على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ، فإن وافق ؛ قبلنا دعواه ، وإن خالف بيَّنا له ونصحناه بالرجوع للعلماء الربّانيين ؛ ليدلوه على الصواب ويرشدوه للحق ، ويزيلوا عنه الشبه ، وإن رفض وعارض ؛ ابتعدنا عنه ، فالسلامة لا يعدلها شيء ، والوقاية خير من العلاج .

يقول العلامة صالح الفوزان -حفظه الله- : (التسمي بالسلفية إذا كان حقيقة فلا بأس به ، أما إذا كان دعوى فلا يجوز له أن يتسمَّى بالسلفية وهو على غير منهج السلف)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم أيها الأحبة متمسكين بالدين ، ومتبعين لمنهج السلف الصالح في الاعتقاد والأقوال والأفعال ، فإن الفوز والخيرية في الدنيا والآخرة في اتباع من سلف ، والخسران والشر في اتباع من خالفهم ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة (ص١٣) .

(٢)

هؤلاء صدقًا هم أهل الحق والاتباع

هؤلاء صدقًا هم أهل الحق والإتباع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد كتب الله ﷻ في هذه الدنيا الفانية وقبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة الابتلاء والامتحان على أهل الحق والإتباع من أهل الشبهات والشهوات ، وذلك لحكمة منه سبحانه ألا وهي التفريق بين المطيع والعاصي ، والتمييز بين الخبيث والطيب ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران : ١٧٩] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (أي : ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التمييز حتى يميز الخبيثُ من الطيبُ ، والمؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ، ولم يكن في حكمته أيضًا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده ، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده ، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من أنواع الابتلاء

والامتحان ، فأرسل الله رسله وأمر بطاعتهم ، والانقياد لهم والإيمان بهم ، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم .

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين : مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين ، ومسلمين وكافرين ، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب ، وليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه)[١] .

لكن أهل السنة والجماعة هم أهل الصبر والثبات على الحق ، مهما اشتد عليهم البلاء وتكالب عليهم الأعداء ، فلا يُؤثر عليهم إقبال الدنيا على أصحاب الملذات والشهوات! ولا كثرة التفاف الناس على أصحاب البدع والشبهات!

بل يبلغون الحق للناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويدعون لكل فضيلة ويحاربون كل رذيلة ، لا تمنعهم هيبة الناس من الصدع به ونشره بعد علمهم به ، وذلك امتثالًا لقوله ﷺ : (**لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ الناس أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إذا عَلِمَهُ**)[٢] . فلا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، ولا ينظرون إلى الكثرة الهالكة ولا يحتقرون القلة السالكة .

قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله : (اتبع طرق الهدى ، ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين)[٣] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٥٨) .

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون ، فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حقٍّ لم يكونوا أقل الناس عددًا ، والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس ، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا)[١] .

فهم أهل ثبات واحتسابٍ ، مهما امتحنوا وابتلوا لن يرجعوا عن الحق المتمسكين به بإذن الله عز وجل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده ، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بأنواع الفتن وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة)[٢] .

وهم أهل صبرٍ على فعل الطاعات والتزود من الخيرات ، وعلى اجتناب المعاصي وترك المنكرات ، لعلمهم أن هذه الدنيا دار عمل وممر ، وأن الآخرة هي دار الجزاء والمستقر ، فكل أذى نزل بهم أو مصيبة حلت عليهم فستنقلب بعون الله الكريم إلى سعادة وسرور في دار النعيم المقيم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية كان ما يحصل

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠) .

له من الشر أعظم مما فر منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ﴾ [التوبة: ٤٩]، ومَن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيما وسرورا كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا)[1].

فيا من وفقك الله لاتباع الحق، ويَسَّر لك معرفة الصراط المستقيم، والسير عليه، وجنبك مضلات الفتن والأهواء، عليك أن تحمد الله سبحانه على هذه النعمة العظيمة، وتعلم أنك لابد أن تؤذى من أهل الشبهات والشهوات، فاثبُت على ما أنت عليه -ثبتك الله-، كما ثبت من كان قبلك من الأنبياء والصالحين، وأبشر بإذن الله ﷻ بما يسرك على صبرك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا.

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: (سننكم والله الذي لا إله إلا هو: بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٢).

لقوا ربهم ، فكذاكم -إن شاء الله- فكونوا)[١] .

وتيقن أنه إن كان للباطل جولة فللحق بعون الله تعالى دولة ، ولأهله النصر والتمكين من رب العالمين ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (قد سبقت كلمة الله ، التي لا مرد لها ولا مخالف لها ، لعباده المرسلين وجنده المفلحين ، أنهم الغالبون لغيرهم المنصورون من ربهم ، نصرا عزيزا ، يتمكنون فيه من إقامة دينهم ، وهذا بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله)[٢] .

وقال الشنقيطي رحمه الله : (هذه الآية الكريمة تدلّ على أن الرسل صلوات اللهِ وسلامه عليهم وأتباعهم منصورون دائمًا على الأعداء بالحجّة والبيان ، ومن أمر منهم بالجهاد منصور أيضًا بالسيف والسنان)[٣] .

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظ أهل الإتباع في كل مكان من شر الكائدين ويثبتهم على الحق وينفع بهم الإسلام والمسلمين ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سنن الدارمي (٢١٦) .

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٠٩) .

(٣) أضواء البيان (٦ / ٣٢١) .

(٣)

أسباب الثبات على الحق عند نزول الفتن

أسباب الثبات على الحق عند نزول الفتن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الفتن – أيها الأحبة – إذا تتابعت ، والمحن إذا ترادفت ، والبلايا إذا عظمت ؛ انجرف معها كثير من الناس إلا من عصمه الباري ﷻ منها ، وهم أهل الإيمان الراسخ الذين لا يصرفهم عن الحق صارف مهما كان أثره ، ولا يمنعهم من الصدع به مانع مهما كانت قوته ، فهم أشد الناس صبرًا على الحق ، بعون الله ﷻ مهما نزل بهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده ، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك ، وإن امتحنوا بأنواع المحن ، وفتنوا بأنواع الفتن ، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم ، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة)[1] .

(١) الفتاوى (٤/ ٥٠) .

ولهذا - أيها الكرام - لما عَرَف سحرةُ فرعون الحق ورأوا نوره الساطع لم يهتموا بوعيد فرعون ولم يلقوا لتهديده بالا ، لما قال لهم : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ٧١] .

فكان ردّهم عليه منبعثًا من قوة يقينهم وصلابة إيمانهم ، فقالوا : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه : ٧٢] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده ، المعظم المبجل وحده ، وأن ما سواه باطل ، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا ، هذا لا يكون ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ مما أوعدتنا به ، من القطع والصلب والعذاب . ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أي : إنما توعدنا به ، غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ، ينقضي ويزول ولا يضرنا ، بخلاف عذاب الله ، لمن استمر على كفره ، فإنه دائم عظيم)[١] .

إن من توفيق الباري ﷻ لعبده - أيها الكرام - أن ييسر له الأخذ بالأسباب التي بعونه سبحانه تعينه على الثبات عند هيجان الفتن وكثرة البلايا والمحن ،

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٠٩) .

فيُبصر طريق الحق فيسلكه ، ويعرف طريق الباطل فيتجنبه ، ومن أهم هذه الأسباب :

١ -اللجوء إلى الباري سبحانه والافتقار إليه ، فهو سبحانه العاصم من كل الفتن ، والعبد ليس له غنى عن ربه ﷻ مهما بلغت مكانته وعلت منزلته ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (بيَّن ﷻ في هذه الآية الكريمة تثبيتَه لنبيه ﷺ ، وعصمته له من الركون إلى الكفار)[١] .

ولهذا يستحب - أيها الأفاضل - لمن نزل به مكروب وكثرت عليه الخطوب أن يفوض أمره لله ﷻ ويعترف بضعفه ويدعو بما علمه النبي ﷺ ، حيث قال ﷺ : **(دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ ، اللهم رَحْمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أنت)**[٢] .

قال المناوي رحمه الله : (أي : لا تفوض أمري إلى نفسي لحظة قليلة قدر ما يتحرك البصر)[٣] .

٢- أن يسأل الله ﷻ الثبات على الدين القويم والصراط المستقيم ،

---

(١) أضواء البيان (٣/ ١٧٨) .

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٠) من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٦) .

فالمؤمن لا يأمن على نفسه من الزيغ بعد الهداية والانجرار مع الفتن بعد الوقاية ، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يقلبها كيف يشاء ، فعن أنس ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقول : **(يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ)** ، فقلت : يا رسول الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قال : **(نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)**[(١)] .

قال المناوي رحمه الله : (قال الحليمي : هذا تعليم منه لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين من سلب التوفيق ، غير آمنين من تضييع الطاعات ، وتتبع الشهوات)[(٢)] .

وكذا الاستعاذة من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال النبي ﷺ لأصحابه : **(تَعَوَّذُوا بِاللهِ من الْفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ)** ، فقالوا : (نَعُوذُ بِاللهِ من الْفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ)[(٣)] .

٣- الرجوع إلى العلماء الربانيين والأخذ بأقوالهم إذا هاجت الفتن ، فهم أبصر الناس بخطرها وأعلمهم بعواقبها وآثارها .

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : (الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) فيض القدير (٥/ ١٣٩) .

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧)من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

أدبرت عرفها كل جاهل)[١] .

وعلينا أن لا نعتقد أن كل من كان فصيحًا بليغًا في خطبته ، مشهورًا بين الناس بكثرة ظهوره على شاشات التلفاز أو كثرة محاضراته أو كتاباته أنه عالم يُرجع إليه في النوازل والفتن التي تنزل بالأمة ، فما زادت الفتن وحلَّت النقم إلى بعد أن ترك الناس الرجوع إلى العلماء الربانيين الراسخين ، وتوجهوا إلى الجهلة ، وأنصاف المتعلمين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (هذا تأديب من الله لعباده ، عن فعلهم هذا ، غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن ، وسرور المؤمنين ، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة ، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها ...)[٢] .

٤- الصبر والاستفادة من قراءة تراجم سلفنا الصالح رحمهم الله وأخذ العبرة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٦) .

(٢) تفسير السعدي (ص١٩٠) .

والعظة منها ، حيث كانوا كالجبال الشامخات لم تَهزهم الفتن ولم تحركهم المحن ، فثبتوا رغم ما حلَّ بهم ، فنفع الله بهم الإسلام والمسلمين .

يقول الإمام ابن القيم ﷺ – واصفًا حال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وموقفه مما نزل به من بلاء – : (وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط ، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا ، وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا وَأَسَرِّهم نفسًا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة)[1] .

فهذه – أيها الأحبة الأفاضل – أهم الوسائل وأفيد الطرق التي تعيننا بإذن الله على الثبات في مواطن الفتن وتقوي يقيننا إذا اشتدت الخطوب والمحن .

فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَقينا وإياكم شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه سبحانه وهو راض عنا ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) الوابل الصيب (ص ٧٠) .

(٤)

العزة والتمكين
لأولياء الله الصالحين

العزة والتمكين لأولياء الله الصالحين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد منَّ علينا ربنا العلام بنعم لا تعد ولا تحصى أيها الكرام ، وإن من أنفعها لنا في الدنيا والآخرة أن فضَّلنا على كثير من الأنام ، فهدانا سبحانه بفضله للإسلام ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾[آل عمران : ١١٠] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس ، وذلك بتكميلها لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به ، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك ، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم ، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس)[١] .

إن الناظر - أيها الأفاضل - في سير سلفنا الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يجد أنهم حافظوا على هذه النعمة العظيمة ، وبذلوا في ذلك

---

(١) تفسير السعدي (ص١٤٣) .

أغلى ما يملكون ، فضحوا بأنفسهم وأولادهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الدين ورفع راية المسلمين ، فضربوا بذلك أروع الأمثلة وسطروا أزكى المعاني والعبر ، فأصبحت قصصهم بعد ذلك تذكر ، وبطولاتهم تُروى حتى على لسان الأعداء وتُسطر ، والمتمعن لسيرهم العطرة وأخبارهم النيرة لا يستغرب منهم ذلك ، لماذا؟! .

لأنهم عرفوا أنه لا عزة ولا تمكين لهم في هذه الدنيا الفانية إلا بالتمسك بالدين واتباع هدي خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

يقول أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ : (إنا كنا أذلَّ قوم ، فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلبُ العزةَ بغير ما أعزَّنا الله به أذَلَّنا الله)[١] .

لكن مع مرور الأعوام وانقضاء الليالي والأيام وبالأخص في أيامنا الحاضرات تعلق كثير من المسلمين والمسلمات بالملذات ، وأصبحت قلوبهم تلهث وراء الشهوات ، وانتشرت بينهم البدع والمحدثات ، فصار أمر الدين عندهم من آخر الأولويات! إن لم يكن أمره يعد أصلا من الاهتمامات!! ولا حول ولا قوة إلا بالله رب البريات .

لكن المؤمن الغيور على دينه ، المتمسك بهدي نبيه ﷺ ، والمتبع لنهج سلفه الصالح مهما يرى من ترك المسلمين تعاليم الإسلام ، وتأثر كثير منهم

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠) ، وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٥١) .

بفكر الغرب الهدام ، وتضييع أكثر الواجبات ومن ذلك الصلوات ، وانتشار المنكرات ، وارتكاب المحرمات ، وتعلق الناس بأمور الدنيا الفانيات ونسيانهم لهاذم اللذات ، وتَسلط أعداء الدين من الكفار والمنافقين على المسلمين! ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين .

فإنه يعلم أولا أن هذا الأمر إنما هو ابتلاء قد قضاه الله ﷻ لحكمة منه سبحانه قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة ، وذلك حتى يتبين المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب والخبيث من الطيب ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

قال الإمام ابن كثير ﷺ : (أي لابد أن يعقد شيء من المحنة يظهر فيه وليه ، ويفضح به عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر ...)[(١)] .

لكن مع هذا يستعين برب الأرباب ويجتهد في بذل الأسباب ويسعى لحث الناس على الرجوع لدين العزيز الوهاب لأن في ذلك الخير والصواب ورضى التواب .

ويعلم أن العزة والتمكين لا تنال إلا بالتمسك بأوامر ربنا القوي المتين ،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٣) .

وبذل التضحية في سبيل نشر هذا الدين ، وأنه لابد أن يؤذى من خلال دعوته لدين ربه سبحانه وسنة نبيه ﷺ ومنهج سلفه الصالح ، فيصبر على ذلك ويحتسب ، ويعلم أن ما يقدمه لا يساوي إلا جزءًا يسيرًا من تضحيات من سبقه من الصالحين الغيورين على شرع رب العالمين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا ، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله ، بل اختار المعصية ، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة : ٤٩] .

ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله ، كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين ، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة ، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا ، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا)[١] .

وليتذكر المؤمن أن السعادة الحقيقة ليست في هذه الدنيا الفانية ، وإنما في الجنة التي قطوفها دانية ، ويُصبره على ذلك قول نبيه ﷺ : **(بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)**[٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٢) .

(٢) رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

في رواية من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قيل من هم يا رسول الله؟ قال : (**الذين يُصْلِحُونَ إذا أَفْسَدَ النَّاسُ**)[١] .

قال التوربشتي ﷺ : (يريد أن الإسلام لما بدأ في أول الوهلة نهض بإقامته والذب عنه ناس قليلون من الصحابة ، فشردوهم عن البلاد فأصبحوا غرباء ، أو فيصبح أحدهم معتزلًا مهجورًا كالغرباء ثم يعود آخرًا إلى ما كان عليه لا يكاد يوجد من القائلين به إلا الإفراد)[٢] .

قال الإمام ابن القيم ﷺ : (فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون ، المغبوطون ، ولقلتهم في الناس جدا سموا غرباء فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء ، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء ، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا ، فلا غربة عليهم)[٣] .

فيا أيها المتمسك بدينه ، المتبع لنهج سلفه الصالح رغم تكالب الأعداء وقلة الأعوان الأوفياء ، اصبر وصابر ولا تحزن لقلة الأتقياء ولا تغتر بكثرة الأشقياء .

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن (٣/ ٦٣٣) ، وصححه الألباني ﷺ في الصحيحة (١٢٧٣)

(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٦١) .

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٩٥) .

قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله : (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين)[١] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون ، فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا ، والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس ، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا)[٢] .

واعلم – سددك الله– أن صبرك وثباتك على دينك في أيام الفتن والبلايا والمحن أجره كبير وخيره كثير عند رب كريم غفور .

قال ﷺ : (**إن من وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فيه مِثْلُ قَبْضٍ على الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**) .

فقيل يا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ منهم؟ قال : (**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**)[٣] .

قال المناوي رحمه الله : (شبه المعقول بالمحسوس أي الصابر على أحكام الكتاب والسنة يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال مثل ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ويقبض عليها ، بل ربما كان أشد وهذا من

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧) .

(٣) رواه أبو داود (٤٣٤١) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٩٥٧) .

معجزاته فإنه إخبار عن غيب وقد وقع)[١] .

وتيقن -وفقك الله- أن الباطل وإن كان له جولة فإن للحق دولة ولأهله العزة والتمكين من رب العالمين حتى بعد مماتهم ، فالعاقبة في الدنيا والآخرة بإذن الله دائما للتقوى ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يثبتنا وإياكم على دينه ، وأن يجعلنا ممن يبذل الغالي والنفيس من أجل نصرة الحق ورفع رايته ، وأن يحفظ أهل الحق والإتباع في كل مكان وزمان من شر الكائدين من الكفار والمنافقين ، ويثبتهم على الحق وينفع بهم الإسلام والمسلمين ، فهو سبحانه رب العالمين وولي الصالحين المتقين .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) فيض القدير (٦/ ٤٥٦) .

(٥)

أف لذنوب الخلوات!!

أفٍّ لذنوب الخلوات!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الذي يخشى من نظر الناس إليه ، ولا يُبالي بنظر الباري سبحانه له ؛ فيكثر من المعاصي والمنكرات في الخلوات ، قد جعل الله ﷻ أهون الناظرين إليه ، قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وهذا من ضعف الإيمان ، ونقصان اليقين ، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله ، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة ، على عدم الفضيحة عند الناس ، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم ، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم ، وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم ، خصوصا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول)[1] .

إن لذنوب الخلوات – أيها الأحبة – عواقب وخيمة وأخطارًا جسيمة

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٠٠) .

في الدنيا والآخرة ، إذا لم يبادر صاحبها بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ ، فمن أضرارها في الدنيا بُغض قلوب المؤمنين له ونفرة نفوسهم عنه .

فعن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء ﷺ قال : (حَذَرَ امْرُؤٌ أن تُبْغِضَهُ قلوبُ المؤمنِين من حيث لا يشعر) ، ثم قال : (أتدري ما هذا؟) قلت : لا ، قال : (العبدُ يخلو بمعاصي الله ﷻ ، فَيُلْقِي الله بُغْضَهُ في قلوب المؤمنين من حيث لَا يَشْعُرُ)[١] .

وقال سليمان التيمي ﷺ : (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبحُ وعليه مذلَّته)[٢] .

وقال ابن الجوزي ﷺ : (ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق ﷻ إليهم في الخلوات ، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات ، فكانوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة لرؤيتهم ، ولا قلب يحن إلى لقائهم)[٣] .

وأما في الآخرة فهو متوعد بعقاب أليم وعذاب الشديد ، فعن ثوْبان ﷺ أن النبي ﷺ قال : (**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا من أُمَّتِي يَأْتُونَ يوم الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا الله ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا**) قال ثَوْبَانُ : يا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢١٥) .

(٢) التوبة لابن أبي الدنيا (ص ٣٣٠) .

(٣) صيد الخاطر (ص ٤٣) .

رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لنا جَلِّهِمْ لنا ، أَنْ لَا نَكُونَ منهم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؟! قال : **(أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ من اللَّيْلِ كما تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إذا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا)**[١] .

إن ذنوب الخلوات - أيها الأحبة الكرام - يمكن للمرء الحريص أن يتخلص منها بعون الله ﷻ ، وذلك ببذل الأسباب المعينة على ذلك بعد توفيق الباري ﷻ له ، ومن ذلك :

- أن يكثر من دعاء الباري سبحانه والتضرع إليه بأن يصرف عنه الوقوع في الذنوب والمعاصي ويغرس في قلبه بغضها .

فالدعاء - أيها الأفاضل - من أهم الوسائل المعينة على ذلك ، إذا توفرت الشروط التي من أسباب إجابة دعوة الداعي ، كصدق النية ، والابتعاد عن الذنوب قال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة)[٢] .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : (هذا من لطفه بعباده ، ونعمته العظيمة ، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأمرهم بدعائه ، دعاء العبادة ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٣) .

ودعاء المسألة ، ووعدهم أن يستجيب لهم ، وتوعد من استكبر عنها فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي : ذليلين حقيرين ، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ، جزاء على استكبارهم)[١] .

❁ أن يجتنب المعاصي مهما كان حجمها ، ويستحضر عند ارتكابها عِظم من يعصي ، والوعيد الشديد الوارد في ارتكابها كما جاء في حديث ثوبان ﷺ السابق .

❁ أن يتذكر عند قدرته على المعصية في السر ، وغياب أعين البشر عنه! أن هناك من يراه ، ويعلم سره وجهره ، لا يخفى عليه شيء من عمله مهما كان حجمه ، فعليه أن يستحي منه ويتقيه ، ألا وهو رب العزة ﷻ .

قال الشيخ السعدي ﷺ : (هو الرقيب : أي المطلع على ما في القلوب ، وما حوته العوالم من الأسرار والغيوب ، المراقب لأعمال عباده على الدوام ، الذي أحصى كل شيء ، وأحاط بكل شيء ، ولا يخفى عليه شيء وإن دق ، الذي يعلم ما أسرته السرائر ، من النيات الطيبة والإرادات الفاسدة)[٢] .

ولقد أحسن من قال :

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٤٠) .

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٥٨) .

إذا ما خلوتَ الدَّهر يومًا فلا تقل خلـوتُ ولكـن قُـل عـليَّ رقيـبُ
ولا تـحسبن اللهِ يَغفل ساعـةً ولا أن مـا يخفـى عليـه يَغيـبُ[1] .

ويعلم ويتيقن أنه سبحانه لحلمه الكامل لم يُعاجله بالعقوبة مع قدرته على ذلك ، وأن في إمهاله له فرصة للرجوع والتوبة .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وسبحان الحليم ، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، بل يعافيهم ويرزقهم ، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم) [2] .

۞ أن يتفكر في مجيء الموت وهو في حال فعل المنكرات ، وانتهاك الحرمات ، كيف سيقابل ربه عز وجل يوم القيامة ، ويعلم أن ذنوب الخلوات من أسباب سوء الخاتمة وأصل كل الانتكاسات ، والعياذ بالله .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك ، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت)[3] .

فما أحوجنا – أيها الكرام – أن نَصدق مع رب البريات ونصلح أنفسنا في الخلوات ، ونملأ قلوبنا بالخوف وتعظيم رب الأرض والسماوات ، فالقلب ما دام معظمًا للباري سبحانه وموقرا له ، فإنه يَظلُ عامرا بالإيمان واليقين ،

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٦) .
(٢) تفسير السعدي (ص ٧٩٠) .
(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٥٧) .

مبتعدًا عن سائر المعاصي والمنكرات في الخلوات والجلوات! التي هي مصدر كل شقاء وأصل كل بلاء والعياذ بالله .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم وسائر المسلمين تقواه في السر والعلانية ، ويجنبنا جميعا الذنوب والمحرمات الظاهرة والباطنة ، فإن في ذلك – بإذن الله تعالى – النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(٦)

كيف تتغلب بإذن علام الغيوب على المعاصي والذنوب ؟

كيف تتغلب بإذن علام الغيوب على المعاصي والذنوب ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن من الأمراض التي قد يبتلى بها كثير من المسلمين في هذه الحياة الزائلة والدنيا الفانية مرض الشهوات الذي هو داء عضال ومرض قتال عواقبه خطيرة وأضراره جسيمة ، يفسد القلوب ويضر الأجساد ، ويجر من سيطر عليه إلى المهالك ويجعل من تغلب عليه يعيش في ضيق واضطراب إذا لم تتداركه رحمة الله الخالق الوهاب ، ويسعى للتخلص منه ببذل الأسباب .

إن كثيرًا مِنّا – أيها الكرام – قد يحدِّثُ نفسه ويتساءل ؟ بعد أن عرف ضرر هذا المرض الخطير وتبعات هذا الداء العسير ، وعلم أن لذته إنما هي دقائق وساعات ثم يتبعها بعد ذلك الندم والحسرات!!!

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله :

تفنى اللذات ممن نال صفوتَها ... من الحياة ويبقى الخزي والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار[١]

فيقول المبتلى به كيف السبيل للتخلص من مرض الشهوات؟! ، وكيف الطريق لتجنب المعاصي والمنكرات؟!وكيف الابتعاد عن الذنوب والمحرمات؟! وكيف أتغلب على معاصي الخلوات والجلوات؟!! .

فالجواب – أيها الأحباب – : أن هذا الأمر يسير على من وفقه العلي الكبير وأخلص النية وصدق في طلبه وبذل الأسباب التي بعون الوهاب تبعده عن المحرمات وتقربه إلى التواب ، ومن أهمها :

۞ التوبة التي هي أساس كل نجاح ومصدر كل فلاح ، قال تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (وهذه الآية في سورة مدنية ، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه ، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم)[٢] [٣] .

---

(١) الغرباء للآجري (ص ٦٨) .

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٧٨) .

(٣) وسيأتي في المقال الذي يليه الكلام على ما يتعلق بالتوبة .

❁ **الدعاء الذي هو أعظم دواء وأنفع علاج لكل بلاء ،** فالخالق ﷻ أمرنا بالدعاء وتكفل لنا بالإجابة تفضلًا منه سبحانه ، إذا توفرت الشروط كصدق النية في الابتعاد عن الذنوب قال تعالى : ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (هذا من لطفه بعباده ونعمته العظيمة ، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأمرهم بدعائه ، دعاء العبادة ودعاء المسألة ، ووعدهم أن يستجيب لهم ، وتوعد من استكبر عنها فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠] أي : ذليلين حقيرين ، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ، جزاء على استكبارهم)[(١)] .

❁ **تذكر مراقبة الله ﷻ ،** وأنه سبحانه مطلع على عبده عالم بما يظهره وما يبطنه ، فلا يخفى عليه سبحانه شيء مهما صغر حجمه وبلغ قدره .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (هو الرقيب : أي المطلع على ما في القلوب ، وما حوته العوالم من الأسرار والغيوب ، المراقب لأعمال عباده على الدوام ، الذي أحصى كل شيء ، وأحاط بكل شيء ، ولا يخفى عليه شيء وإن دق ، الذي يعلم ما أسرته السرائر ، من النيات الطيبة والإرادات الفاسدة)[(٢)] .

❁ **الابتعاد عن المعاصي مهما كان حجمها ،** وعلى القلب أن يستحضر

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٤٠) .

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٥٨) .

عند ارتكابها عِظم من يعصي ، والتفكر في الوعيد الشديد الوارد فيمن ارتكبها ، لأن ملأ القلب من الخوف من الباري سبحانه وتذكر عظمته من أقوى الأسباب المعينة على الابتعاد عن المعاصي ، فلو نظرنا نجد أنه ما ارتكبت الذنوب وتعدى الخلق على حدود علام الغيوب إلا بعد ذهاب الخوف من القلوب .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (الخوف علامة صحة الإيمان ، وترحُّله من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه)[١] .

يقول المناوي رحمه الله : (القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي ، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي ، فإذا قل الخوف جدا واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء)[٢] .

❁ **مجاهدة النفس وهواها والصبر والاحتساب عند القيام بذلك** ، وذلك بترويضها على فعل الطاعات والبعد عن المنكرات ، لأن النفس أمارة بالسوء وهي منبع كل شر يحل بالإنسان .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه ،

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٥) .

(٢) فيض القدير (٢/ ١٣٢) .

علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء)[١] .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء ، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولًا ، ومجاهدة النفس تكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين ، على فعل الطاعات ، وعلى ترك المعاصي ؛ لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه ، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه ، فتحتاج النفس إلى مجاهدة لا سيما مع قلة الرغبة في الخير ، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة ؛ ليحملها على فعل الخير)[٢] .

وليعلم من صدقت نيته في مجاهدة نفسه أن الباري سبحانه لن يضيعه وبعون الله تعالى سيوفقه للتغلب عليها وكبح شهواتها وجعلها خاضعة لأوامر الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين جاهدوا فيه ، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد ، وأقسم على ذلك)[٣] .

◉ التذكر عند ارتكاب المعاصي والمنكرات أن هادم اللذات ومفرق الجماعات قد ينزل في أي وقت من الأوقات ، فكيف لو نزل بالمرء وهو متلبس

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٠) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥١) .

(٣) أضواء البيان (٦ / ١٦٣) .

بالمحرمات! غارق في الشهوات؟! فكيف سيكون حاله إذا بعث يوم القيامة على ما قبض عليه؟! وبأي جواب يجيب خالقه إذا سأله عن فعله ولماذا تجرأ على المحارم؟! ، نسأل الله العفو والعافية .

فعلينا – أيها الكرام – أن لا يطول أملنا وأن لا نغتر بصحتنا ولا بشبابنا ، فالموت إذا حلَّ فإنه لا يفرق بين صحيح وسقيم ولا بين صغير وكبير .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا ، ولا يغتر بالشباب والصحة ، فإن أقل من يموت الأشياخ ، وأكثر من يموت الشبان)[1] .

فهذه – أيها الأحباب – أهم الأسباب الإيمانية والوسائل الشرعية التي بإذن علام الغيوب نتغلب بها على المعاصي والذنوب ، فعلينا أن نسعى جاهدين في تحقيقها ونحث غيرنا وننصحهم بذلك .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للصواب ويعيننا على تحقيق هذه الأسباب فهو سبحانه الوهاب وعلى عباده غفور رحيم تواب .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) صيد الخاطر (ص ٦٣) .

(٧)

التوبـــة

التوبـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن المعاصي والذنوب أيها الكرام هي أصل كل بلاء ومصدر كل شقاء ينزل بالعبد ، ، إذا لم يتدارك نفسه بالتوبة والغفران قبل فوات الأوان ، وذلك قبل بلوغ الروح الحلقوم فحينئذ لا تنفع توبة ولا تجزي أوبة .

قال ﷺ : (**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ما لم يُغَرْغِرْ**)[١] .

قال المباركفوري رحمه الله : (أي ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم ، يعني : ما لم يتيقن بالموت ، فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يعتد بها)[٢] .

وأيضا قبل طلوع الشمس من مغربها ، قال ﷺ : (**ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا**)[٣] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٦٥) .

(٣) رواه أبو داود (٢٤٧٩) من حديث معاوية رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

أيها الأحبة ، إن التوبة فرض على الأعيان لا يستغني عنها إنسان مهما علت مكانته وارتفعت منزلته .

يقول القرطبي رحمه الله : (واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين لقوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١])[١] .

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : (فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة ، وهي الرجوع مما يكرهه الله ، ظاهرًا وباطنًا ، إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا ، ودل هذا أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة ، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا ، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة)[٢] .

فعلى العبدِ المؤمن أن لا تفارقه التوبة النصوح في كل وقت وحين ، في حلِّه وترحاله ، وهذا ليس عيبا بل هو من هدي الأنبياء وسنن المرسلين ، وطريق الصالحين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وليست التوبة نقصًا بل هي من أفضل الكمالات ، وهي واجبة على جميع الخلق)[٣] .

فيا أيها العاصي ، لا تيأس من رحمة الله ﷻ ، فإن خالقك ورازقك يفرح

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٩٠) .

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٦٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٥١) .

بتوبتك أشد من فرح وسعادة الواجد لدابته بعد فقدها ، قال ﷺ : (**واللهِ ؛ لله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ**)[١] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (وهذا فرح جود وإحسان ؛ لأنه ﷻ ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه ، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمة الله وإحسانه ، ويكره لهم ضد ذلك ، فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابا بينها لعباده وحثهم على سلوكها ، وأعانهم عليها ، ونهاهم عما ينافيها ويمنعها ، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها ، فإذا رجعوا إلى التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يقدر .

فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة ، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام وشراب وركوب ، فأيس منها ، وجلس ينتظر الموت ، فإذا هو بها واقفة على رأسه ، فأخذ بخطامها وكاد الفرح أن يقضي عليه ، وقال من الدهشة وشدة الفرح : (**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**) . فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصى العباد ثناءًا عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه عباده ، وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات ، كما تقدم أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات ،

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠) ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته ، فسببه الرحمة والإحسان ، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين)[١] .

فيا أيها المذنب ، احذر من التسويف وتأخير التوبة فإن هذا من تلبيس إبليس ، وبادر-وفقك الله- بالتوبة الصادقة عن كل الذنوب السابقة ، التي لا تقبل إلا بعد تحقق شروط ، وهي :

❁ **الإخلاص لله تعالى ،** بأن تبتغي بالتوبة وجه الله ﷻ ، تطلب بها مرضاته ومحبته ، والخوف من عذابه ، لا رياءً فيها ، ولا سمعةً ، ولا خوفًا من مخلوق ، ولا لغرض دنيوي .

❁ **الندم على فعل المعاصي والمنكرات ،** بحيث تشعر بحرقة وحزن وأسى في نفسك على ارتكابها ، وتتمنى أنك لم تفعل ذلك ، فالندم على ارتكاب المحرمات من أعظم أركان التوبة ، لأن باقي الأركان كترك المعصية ، والعزم على عدم العود إليها مترتبة على الندم ولهذا قال ﷺ : **(الندم توبة)**[٢] .

قال المناوي رحمه الله : (أي هو معظم أركانها ، لأنه متعلق بالقلب والجوارح تبع له ، فإذا ندم القلب انقطع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح)[٣] .

---

(١) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (ص٥٣) .

(٢) رواه ابن ماجة (٤٢٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٦٤) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فأما الندم فإنه لا تتحقق التوبة إلا به ، إذ من لم يندم على القبيح ، فذلك دليل على رضاه به ، وإصراره عليه)[١] .

❁ **الإقلاع عن المعصية ، وتركها والبعد عنها** ، وإن كنت قد ظلمت غيرك فبادر بالتخلص من خطيئتك وإرجاع الحقوق لأهلها في الدنيا قبل أن يُقتص منك يوم القيامة ويؤخذ من حسناتك ، وإذا انتهت ! طرحت عليك سيئات من ظلمته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**من كانت عنده مَظْلِمَةٌ لأخيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها ، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ من قبل أن يُؤْخَذَ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات أخيه فَطُرِحَتْ عليه**)[٢] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب)[٣] .

❁ العزم الأكيد الصادق في النفس على عدم العود إلى تلك المحرمات .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل ، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة ، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها ، وهذا الرجوع هو

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨٢) .

(٢) رواه البخاري (٦١٦٩) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٨٢) .

حقيقة التوبة ، ولما كان متوقفا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له)[١] .

أخي المذنب ، اعلم -سددك الله- أنك لو تبت وعزمت على ألا تعود إلى المعصية لكن غلبك الشيطان ونفسك الأمارة بالسوء فعاودت المعصية مرة ثانية فتوبتك الأولى صحيحة - بإذن الله تعالى - ، وعليك أن لا تيأس وجدد التوبة من المعصية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (ولو تاب العبد ، ثم عاد إلى الذنب قبل الله توبته الأولى ، ثم إذا عاد استحق العقوبة ، فإن تاب تاب الله عليه أيضًا ، ولا يجوز للمسلم إذا تاب ، ثم عاد ، أن يصر ، بل يتوب ، ولو عاد في اليوم مائة مرة)[٢] .

فعلينا جميعا - أيها الأحبة الكرام - أن نبادر في كل وقت وحين إلى التوبة والاستغفار ، فإن هذا هو النجاح والفلاح ، وأن نحذر التسويف والتأخير فإن هذا من تلبيس الشيطان وهو من الخسران والحرمان ، والله المستعان .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم من التائبين المنيبين له في كل وقت وحين ، فهو سبحانه ولي الصالحين والمتفضل على الخلق أجمعين .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٨) .

(٨)

هذا ما يجب على الآباء والأمهـــات!

هذا ما يجب على الآباء والأمهات!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الله ﷻ أسبغ بجوده وكرمه على عبادة - مع تقصيرهم- نعما كثيرة ، لا تُعد ولا تحصى ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل : ١٨] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ : عددًا مجردًا عن الشكر ﴿ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ فضلًا عن كونكم تشكرونها ، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات من جميع أصناف النعم ، مما يعرف العباد ، ومما لا يعرفون ، وما يدفع عنهم من النقم ، فأكثر من أن تحصى ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر ، مع إنعامه الكثير ، وكما أن رحمته واسعة ، وجوده عميم ، ومغفرته شاملة للعباد ، فعلمه محيط بهم) [(١)] .

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٣٧) .

ومن هذه النعم الكثيرة ، نعمة خص الله ﷻ بها من شاء من خلقه ولو كان فقيرًا ، ومنعها عمن يشاء ولو كان غنيًا ، ألا وهي نعمة الأولاد الذكور والإناث ، قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩-٥٠] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (هذه الآية ، فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى ، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء ، والتدبير لجميع الأمور ، حتى أن تدبيره تعالى ، من عمومه ، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد ، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد ، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء ، فمن الخلق من يهب له إناثًا ، ومنهم من يهب له ذكورًا ، ومنهم من يزوجه ، أي : يجمع له ذكورا وإناثا ، ومنهم من يجعله عقيما ، لا يولد له .

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ﴾ بكل شيء ، ﴿ قَدِيرٌ ﴾ على كل شيء ، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء ، وبقدرته في مخلوقاته)[1] .

أيها الأحبة الكرام ، إن بالشكر والإيمان تدوم النعم ، وبالجحود والعصيان تَحل النقم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

(١) تفسير السعدي (ص٧٦٢) .

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم : ٧] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي : لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها ، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي : كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ : وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها[١] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات ، أن يقابلوا نعم الله بالشكر ، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله ، وأن يحذروا كفران النعم)[٢] .

إن من شكر هذه النعمة أيها الأفاضل أن نعتني بتربية أولادنا على تعاليم ديننا الحنيف ، وأن نغرس في قلوبهم حب المصطفى ﷺ ، وحب سنته المطهرة كما كان يفعل سلفنا الصالح رحمهم الله حيث كانوا حريصين جدًا على تعليم أبناءهم سيرة نبينا ﷺ ليتأسوا به ، ويهتدوا بهديه .

فعن علي بن الحسين رحمه الله **قال** : (كنا نُعَلَّمُ مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن)[٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٤) .

(٢) أضواء البيان (٩/ ١١٢) .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٥٩١) .

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد رحمه الله : (كان أبي يُعلِّمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعُدَّها علينا وسَرايَاه ، ويقول : (يا بني هذه مآثرُ آبائكم فلا تُضيِّعوا ذكرها)[١] .

أما في زمنا هذا ، والله المستعان ، فنرى بعض الآباء والأمهات -إلا من رحم الله - بدل أن يحثوا أبنائهم على قراءة سيرة المصطفى ﷺ ، وسيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم وسيرة التابعين والعلماء الربانيين والصالحين ، نجدهم يعلمونهم سير الفنانين والممثلين واللاعبين ! حتى وإن كانوا من الكفار! وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فترى الطفل حافظًا لاسم اللاعب واسم أبيه ، مقلدًا له في هيئته ومتأثرًا بأخلاقه ، ولو طلبتَ منه أن يذكر لك أسماء العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة رضي الله عنهم أو اسم أحدهم لما أجاب عن ذلك! والله المستعان .

فينبغي أن نتق الله ﷻ في أبنائنا وبناتنا وأن لا نربيهم على تقليد الكفار ، ونحذرهم أشد التحذير من مشابهتهم ونبين لهم خطورة ذلك ، وعلينا أن نعلم أنهم أمانة في أعناقنا ، سنسأل عنها يوم القيامة ، قال ﷺ : (**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . .**)[٢] .

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي (١٥٩٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٧١٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له ، من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما .

ولنُربيهم على المحافظة على تعاليم الدين كالصلاة والصدق والأمانة واحترام الكبير وحب العلم والعلماء واختيار الرفقة الحسنة ، ولنحذرهم من المحرمات كإضاعة الصلاة والكذب وتضييع الأمانة ومصاحبة الأشرار وتقليد الفساق والكفار ، ومن سائر المعاصي والمنكرات ، فإن في ذلك فلاح ونجاح لنا ولهم في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى .

أيها الكرام ، إنه مما يُحزن اليوم ، ما نراه من شدة حرص بعض الآباء والأمهات على حضور أبناءهم للمدارس وأن لا يتغيبوا عنها ، وإذا حصل منهم ذلك قد يعاقبونهم! لكن وفي مقابل هذا والله المستعان ، لا نجد منهم نفس الحرص عليهم في حضور المساجد للصلوات وحلقات الذكر! فما بالنا نهتم بالأمور الدنيوية؟! ونترك ما ينفعنا وإياهم من الأمور الأخروية ! إن مما ينبغي أن نعلمه ، أن الطفل ينشأ في الغالب كما عوده المربي ، وصدق من قال :

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منّا على ما كانَ عوّدهُ أبوهُ

أيها الآباء ، أيتها الأمهات ، الله الله في أبنائكم ، احرصوا على تربيتهم التربية الإسلامية الصالحة ، واحذروا من وسائل الإعلام الهدامة للأخلاق والمفسدة للقيم ، التي تسعى جاهدة لإفساد فلذات أكبادكم عقائديا وأخلاقيا ، فنحن في زمن صار الآباء مع أبنائهم كالراعي مع الغنم إن غفل عنها أكلتها الذئاب! .

واعلموا -وفقكم الله- أن حصادكم من زرعكم ، وأن صلاح أبناءكم من الباقيات الصالحات التي تنفعكم بعد موتكم ، قال ﷺ : **(إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثة ، إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَة أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أو وَلَدٍ صَالِح يَدْعُو له)**[١] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (لأن غير الصالح لا يدعو لوالديه ولا يبرهما ، لكن الصالح هو الذي يدعو لوالديه بعد موتهما ولهذا يتأكد علينا أن نحرص غاية الحرص على صلاح أولادنا ، لأن صلاحهم صلاح لهم وخير لا حيث يدعون لنا بعد الموت)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ أبناء المسلمين في كل مكان من كيد الكائدين وشر المفسدين ، وأن يحببهم في دينهم القويم وسنة نبيه ﷺ الكريم ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) رواه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٦٧) .

(٩)

ضـــرر الربـــا

ضـــرر الربـــا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد منَّ الله ﷻ علينا أيها الكرام بنعمة الإسلام ، وأكرمنا بأفضل الشرائع والأحكام ، وأبان لنا الحلال والحرام ، وأمرنا بالطاعات والمسارعة في الخيرات وحذرنا من المعاصي والمحرمات ، ومن ذلك أكل الربا ، قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ لما فيه من الظلم وسوء العاقبة ، **والربا نوعان :**

ربا نسيئة : كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة ، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال سلم .

وربا فضل : وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلًا ، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة ، والإجماع على ربا النسيئة ، وشذ من أباح ربا الفضل

وخالف النصوص المستفيضة ، بل الربا من كبائر الذنوب وموبقاتها)[١] .

إن ظاهر صنيع المتعامل بالربا أيها الأفاضل أنه لم يرض بما أنعم الله ﷻ عليه ورزقه ، فأراد طمعًا وجشعًا منه الزيادة من المال ولو كانت الوسيلة إلى ذلك محرمة ، والعياذ بالله .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح ، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل ، بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل)[٢] .

ألم يعي المرابي الضعيف ! أنه قد أعلن الحرب على من خلقه وتكفل برزقه ، وهو رب العزة ﷻ ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله قد آذنه الله بحربه ، ولم يجئ هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد ، لأن كل واحد منهما مفسد في

---

(١) تفسير السعدي (ص١١٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣١) .

الأرض قاطع الطريق على الناس ، هذا بقهره لهم وتسلطه عليهم ، وهذا بامتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله)[١] .

إن للربا - أيها الأحبة - الأفاضل أخطار جسيمة وعواقب وخيمة على الفرد والمجتمع ، فكم بسببه تقطعت أواصل المحبة والإخاء وزادت بين المتعاملين به العداوة والبغضاء! وكم أثقل كاهل الفقراء بالديون! وكم حصل بسببه من محق للبركات وقطع للخيرات ، قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾يتلفه ، لكن **التلف نوعان** :

تلف حسي ، كأن يسلط على ماله آفة تفنيه ، إما أن يمرض ويحتاج إلى دواء ومعالجات ، أو يمرض أهله أو يسرق أو يحترق هذه عقوبة الدنيا ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾عقوبة حسية .

أو محق معنوي المال عنده يكيس أكياسًا لكنه كالفقير ، لا ينتفع به)[٢] .

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٥٥٩) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٢٦) .

فالربا مهما كثر في نظر صاحبه أيها الأفاضل فإن عاقبته إلى قلة ، قال ﷺ : **(الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فإن عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إلى قُلٍّ)**[١] .

قال المناوي رحمه الله : (أي أنه وإن كان زيادة في المال عاجلا يؤول إلى نقص ومحق آجلا ، بما يفتح على المرابي من المغارم والمهالك فهو مما يكون هباء منثورا)[٢] .

إن جرم الربا أيها الكرام فاق الزنا في القبح والشناعة ، بل حتى زنا المحارم ، والعياذ بالله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(الرِّبَا سَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا كَالَّذِي يَقَعُ عَلَى أُمِّهِ)**[٣] .

وعن عبد الله بن حَنْظَلَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وهو يَعْلَمُ أَشَدُّ من سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ زَنْيَةً)**[٤] .

هذا في درهم واحد فكيف بمن يأكلون آلاف الدراهم ؟! بل الملايين ؟! نسأل الله العافية .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : (معصية الرِّبَا من أَشَدِّ المعاصي ، لأن المعصية

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٥)من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥٤٢) .

(٢) فيض القدير (٤/ ٥٠) .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٥٢٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٨٥٣) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٢٥) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٨٥٥) .

التي تعدِل معصية الزنا التي هي في غاية الفظاعة والشَّنَاعة بمقدار العدد المذكور بل أشد منها ، لا شك أنها قد تجاوزت الحد في القبح)[١] .

أيها الأحبة الكرام ، لا تغتروا براتب الوظيفة الربوية ومميزاتها! وتيقنوا أن هذا النعيم مزيف ، وأن العاقبة للتقوى ، وأن مرتبا منشأه من حلال خير وأبرك من مرتب منشأه من حرام مهما كان مقداره ، واحذروا أشد الحذر ، فإن الوعيد ليس خاصا بآكل الربا وإنما يدخل فيه الموكل والكاتب والشاهد ، نسأل الله العافية .

فعن جابر ﷺ قال : **(لَعَنَ رسول اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وموكله وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ ، وقال : هُمْ سَوَاءٌ)**[٢] .

قال الإمام النووي ﷺ : (هذا تصريح بتحريم كتابة المبايعة بين المترابيين ، والشهادة عليهما وفيه تحريم الإعانة على الباطل ، والله أعلم)[٣] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُغني المسلمين بالحلال عن الحرام ، وبالطاعة عن المعصية ، ويُجنبهم الربا بكل أنواعه ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) نيل الأوطار (٥/ ٢٩٧) .

(٢) رواه مسلم (١٥٩٨) .

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١١/ ٢٦) .

(١٠)

خطر السحرة والمشعوذين على المسلمين

خطر السحرة والمشعوذين على المسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن مما يُحزن كل غيور على الدين أيها الأفاضل ، أن يرى انتشار الشرك والبدع والمعاصي في بلاد المسلمين ، ومن ذلك ما يُروجه شياطين الجن وأولياءهم من الإنس لمحاربة التوحيد ونشر الشرك والبدع ، حيث وظفوا لأفكارهم الخبيثة طرقا شتى وأساليب متنوعة ، من أخطرها وأشدها ضررا وفتكا بعض وسائل الإعلام المرئية والمقروءة ، التي تحاول التلبيس على الناس وتصوير الباطل لهم في قالب الحق! فهذه الفضائيات الفاسدة ، والمجلات المفسدة للدين والقيم والأخلاق تسعى جاهدة لتزيين المنكر ومن ذلك السحر! ، حيث جعلت من السحرة المشعوذين والكهان الكذابين مرجعا يُرجع إليهم عند حصول همٍّ أو تأخر مرغوب! ، فصورت للجهلة من الناس أن عند هؤلاء الدَّجالين العلاج من كل ما أصابهم ونزل بهم! ، فجعلوهم يتعلقون بهم ويتوكلون عليهم من دون الله ﷻ ، وكذبوا والله ، فإن الشفاء الحقيقي هو من رب العزة ﷻ ، ثم باتخاذ

الأسباب المشروعة لذلك .

إن الناظر في حال الأمة اليوم أيها الأحبة الكرام يجد أن استخدام السحر قد فشى وانتشر بين بعض أفرادها ، حتى صار بعض الجهلة خاصة بعض النساء! يُهرولون إليه ظانين أنَّ فيه المخرج مما أصابهم ، كعدم التوفيق في بعض شؤونهم ، أو كثرة الخصومات مع أزواجهم! وما علموا أن ذلك غير مشروع! وما يزيدهم في الحقيقة إلا مرضًا ، وهمًّا وغمًّا .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (الغم والهم والحزن أمراض للقلب ، وشفاؤها بأضدادها ، من الفرح والسرور ، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبرئ من مرضه ، وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر ولم يَزُلْ ، وأعقب أمراضا هي أصعب وأخطر)[١] .

ألم يعلموا أن ذهابهم إلى السحرة والمشعوذين للبحث عن العلاج! يقدح في توحيدهم ، ولذا حذر نبينا ﷺ من ذلك أشد التحذير ، فقال ﷺ : **(مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)**[٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : ("**كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**) : وجه ذلك : أن ما أنزل على محمد قال الله تعالى فيه : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩) .

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٤)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ، وهذا من أقوى طرق الحصر - لأن فيه النفي والإثبات - فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، فهو كافر كفرا أكبر مخرجا من الملة ، وإن كان جاهلا ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب ، فكفره كفر دون كفر) [١] .

ألم يدركوا ! أن السحر من أكبر الكبائر ، وأشد الجرائم التي تعود على صاحبها بالوبال والهلاك ، ولهذا جاء ذكره بعد الشرك بالله مباشرة ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**) ، قيل : يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال : (**الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلِّي يوم الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)[٢] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (فعمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع ... ، قد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا ، بل معصيته كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر ، وإلا فلا وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا)[٣] .

إن هؤلاء السحرة أيها الأفاضل مهما زخرفوا الباطل وزينوه للجهلة من

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٦١٥) ومسلم (٨٩) واللفظ له .

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٦) .

الناس وأظهروا النصح والإحسان لهم، فهم كذبة ومخادعون ولن يفلحوا أبدا حيثما كانوا وأينما حلوا، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: (أي لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض)[١].

وعملهم الفاسد هذا! وإن حصل له رواج بين الجهلة من الناس! فإن مآله إلى الزوال والاضمحلال بعون الكبير المتعال، ورب العزة سبحانه سيبطله، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فإنهم يريدون بذلك -أي السحرة- نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟، وهكذا كل مفسد، عمل عملا، واحتال كيدا، أو أتى بمكر، فإن عمله سَيَبطل ويَضمَحِل، وإن حصل لعمله رواج في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق)[٢].

فعلينا - أيها الكرام - أن لا نغتر بعملهم ولا نتأثر بباطلهم، وننظر في أعمالهم، هل وافقت الكتاب والسنة فأخذنا بها، أو خالفت فطرحناها وحذرنا منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا قال الأئمة لو رأيتم الرجل يطير

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٠).

(٢) تفسير السعدي (ص٣٧١).

في الهواء أو يمشي على الماء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي ، ولهذا يوجد كثير من الناس يطير في الهواء وتكون الشياطين هي التي تحمله لا يكون من كرامات أولياء الله المتقين)[١] .

وعلى من ولاه الله ﷻ أمور المسلمين أن يطهر العباد والبلاد من رجس هؤلاء الذين أفسدوا على المسلمين دينهم ، فيقيم عليهم الحد المشروع وهو الضرب بالسيف ، فعن عمر رضي الله عنه : (**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**)[٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية ؛ لأنهم يسعون في الأرض فسادًا ، وفسادهم من أعظم الفساد ؛ فقتلهم واجب على الإمام ، ولا يجوز للإمام أن يتخلف عن قتلهم؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وفي أرض غيرهم ، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم ، وارتدع الناس عن تعاطي السحر)[٣] .

أما من أصيب بالسحر ، فليعلم أنه ابتلاء من الله ﷻ ، فعليه أن يصبر ويحتسب ويخلص في الدعاء إلى الله ﷻ ، وليسلك الطرق الشرعية النافعة بعون الله ، كالرقية الشرعية عند من عرف بالتقوى والصلاح والبعد عن الشبهات ، وكذلك استعمال الحجامة .

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨٣) .

(٢) رواه أبو داود (٣٠٤٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) القول المفيد (١/ ٥١٠) .

فعن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**خَيْرُ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ**)[١] .

قال الإمام ابن القيم ﷺ : (واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة ، إذا استعملت على القانون الذي ينبغي)[٢] .

وكذلك على من وقاه الله تعالى شر السحر والسحرة أن يحمد الله ﷻ على هذه النعمة ، ويبذل الأسباب المعينة على حفظها كالبعد عن المحرمات بشتى أنوعها ، والحرص على الطاعات بالمحافظة على الصلوات في جماعة وكثرة قراءة القرآن ، والحرص على الإتيان بالأذكار ، خاصة أذكار الصباح والمساء.

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**من قال : لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له ، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ له مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عنه مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ له حِرْزًا من الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذلك حتى يُمْسِيَ ، ولم يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جاء به إلا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ منه**)[٣] .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٨٥)وصححه الشيخ الألباني ﷺ في صحيح الجامع (٣٣٢٣) .

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٢٦) .

(٣) رواه البخاري (٦٠٤٠)واللفظ له ، ومسلم (٢٦٩١) .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يكفي المسلمين شر الأشرار وأن يفضح السحرة بالليل والنهار ، ويرد كيدهم ويكسر شوكتهم ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١٠)

أسباب التأخر عن الزواج!

أسباب التأخر عن الزواج!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الزواج أيها الأفاضل من نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى على خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (ثم من تمام رحمته-أي سبحانه-ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ، وجعل بينهم وبينهن مودة : وهي المحبة ، ورحمة : وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة ، إما لمحبته لها ، أو لرحمته بها ، بأن يكون لها منه ولد ، أو محتاجة إليه في الإنفاق ، أو للألفة بينهما وغير ذلك)[١] .

فالزواج - أيها الكرام - هو من سنن الأنبياء والمرسلين والصالحين ، ومصالحه الجليلة ومنافعه الكثيرة تعم الرجال والنساء والأمة جمعاء ، فهو إعفاف للنفس عن المحرمات وتطهير للمجتمع من المنكرات .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٠)

يقول الإمام ابن قدامة ﷺ : (فإنه يشتمل على تحصين الدين وإحرازه ، وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وإيجاد النسل وتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة النبي ﷺ ، وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة)[١] .

ولذا تكاثرت النصوص الشرعية في الحث عليه والأمر به ، قال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء : ٣]

وقال ﷺ : (**يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فإنه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لم يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فإنه له وِجَاءٌ**)[٢] .

قال ابن بطال ﷺ : (ندب النبي ﷺ ، لأمته النكاح ، ليكونوا على كمال من أمر دينهم ، وصيانة لأنفسهم في غض أبصارهم وحفظ فروجهم لما يخشى على من زين الله في قلبه حب أعظم الشهوات ، ثم علم ﷺ ، أن الناس كلهم لا يجدون طولا إلى النساء ، وربما خافوا العنت بفقد النكاح فعوضهم منه ما يدافعون به سورة شهواتهم ، وهو الصيام .

(**فإنه له وِجَاءٌ**) ، والوجاء : القطع ، يعني : أنه مقطعة للانتشار وحركة العروق التي تتحرك عند شهوة الجماع)[٣] .

لكننا أيها الكرام وللأسف فمع هذا الترغيب الشرعي في الزواج وتلك

---

(١) المغني (٧/ ٥) .

(٢) رواه البخاري (١٨٠٦)ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٥) .

المصالح الكثيرة المترتبة عليه! إلا أننا نلاحظ اليوم في بلدان المسلمين قلة الإقبال على الزواج وبذل الجهد في تحقيقه ، وذلك يرجع لعدة أسباب ، منها :

◉ **عدم استحضار المقصود الشرعي من الزواج واحتساب أنه عبادة** وقربة لله ﷻ كإعفاء الشاب وإحصان الفتاة وإنجاب ذرية توحد الله تعالى وتعبده .

◉ **عدم قدرة الشاب على النفقة بسبب البطالة وغلاء المعيشة ،** أو بسبب تدني راتبه الشهري الذي لا يكفي لسد حاجيات الأسرة ، مما يجعل الشاب يبحث عن فرص عمل أفضل وبأجر أعلى ، وهذا قد يؤدي إلى تأخر زواجه ، وبالتالي كذلك يتأخر زواج الفتاة ، خاصة إذا أضيف إلى ذلك غلاء المهور الذي أصبح في عصرنا الحاضر قاصما للظهور! ، حيث نجد أن بعض أولياء الأمور يشترط على من يتقدم لابنته مئات الآلاف إذا أراد أن يتزوجها ، فكأنه يعرضها للبيع! ناسيا أن بفعله هذا يخالف هدي رسول الله ﷺ ، فعن عمر رضي الله عنه قال : (**ألا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ ، فإنه لو كان مَكْرُمَةً في الدُّنْيَا أو تَقْوَى عِنْدَ اللهِ ﷻ كان أَوْلَاكُمْ بِهِ النبي ﷺ** ...)[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته

---

(١) رواه النسائي (٣٣٤٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هنَّ خير خلق الله في كل فضيلة ، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة ، فهو جاهل أحمق وكذلك صداق أمهات المؤمنين وهذا مع القدرة واليسار ، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة)[١] .

❁ منع بعض الآباء بناتهم من الزواج بحجج واهية وإن تقدم لها الكفؤ !

خاصة إذا كانت البنت تعمل ! فدافع المنع عند البعض! هو الاستفادة من مال البنت! وللأسف نسي هؤلاء أن هذا الفعل محرم ، وهو داخل في الإعضال الذي نهى عنه الباري سبحانه : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

قال الإمام البغوي رحمه الله : (أي لا تمنعوهن عن النكاح والعضل : المنع وأصله الضيق والشدة)[٢] .

ومما يحزن أكثر أننا نجد اليوم أن بعض أولياء أمور النساء همهم فيمن تقدم لخطبة ابنتهم المال والجاه أو النسب ، بدل التمسك بالدين والصلاح ، وحُسن الخلق ، مخالفين قوله ﷺ : **(إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)**[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ١٩٤) .

(٢) تفسير البغوي (١/ ٢١٠) .

(٣) رواه الترمذي (١٠٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

قال الملا علي قاري رحمه الله : (لأنكم إن لم تزوِّجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج ، وأكثر رجالكم بلا نساء ، فيكثر الافتتان بالزنا ، وربما يلحق الأولياء عار ، فتهيج الفتن والفساد ، ويترتب عليه قطع النسب ، وقلة الصلاح والعفة)[1] .

◉ **منع أهل الفتاة تزويجها أو رفض الفتاة بنفسها الزواج رغبة في استكمال دراستها** ، أو لأنها تريد أن تعمل ! والخاطب يرفض ذلك ، فتقدم العمل والوظيفة على الزواج ، فتمر بها الأيام وتنقضي الشهور والأعوام ! ، وهي لم تتزوج حتى تكبر في السن! .

◉ **ما يقوم به الإعلام الفاسد والمفسد من بث المفاهيم المغلوطة عن الزواج والحياة الزوجية ومسألة تعدد الزوجات** ، وإظهار التنافر بين الزوجين أو بين أهل الزوجين ، فينفر الشاب والفتاة عن الزواج لكي لا يقع بينهما الخلاف! .

◉ **كثرة الملهيات والمفسدات وانتشار الفتن والمحرمات بين المسلمين** التي قد تجعل من غاص فيها يظن أنها تغنيه عن الزواج وتبعده عن المسؤولية .

فهذه – أيها الأحبة الكرام أهم الأسباب التي أدت إلى العزوف عن الزواج في المجتمعات الإسلامية ، فعلينا جميعا بعد سؤال الباري سبحانه العون

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٦) .

والسداد ، أن نسعى جاهدين لدفعها ، ونحرص على توفير كل الإمكانيات التي تعين على إحصان أبناءنا وبناتنا ليعم الخير والسعادة في بلداننا بعون الله .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ شباب وبنات المسلمين من شرور الفتن والمعاصي وأن ييسر أمر كل راغب في الزواج ويبارك لهم فيه ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١١)

أعطـوا الأجيـر حقـه!

أعطوا الأجير حقه!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الشريعة المطهرة أمرت بالوفاء بالعهود وأداء الحقوق ، سواء من العامل لصاحب العمل وذلك بأداء الأمانة والإتقان في العمل والمحافظة عليه ، قال ﷺ : **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)**[١] .

أو من صاحب العمل تجاه العامل وذلك بالإحسان إليه ودفع أجرته ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قبل أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ)**[٢] .

لكن مما يؤسفنا – أيها الأحبة الكرام – ما نراه ونسمعه في زمننا هذا ، من ظلم بعض الناس للأجراء والعمال وعدم إعطائهم حقوقهم بعد انتهائهم مما وكل إليهم ، وقد تنوعت طرق ظلم هؤلاء المساكين ، فتارة : بتكليفهم أكثر من طاقتهم ، وإما بتأخير أجرتهم أو الخصم منها دون وجه حق ، وحتى

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٨٠) .

(٢) رواه ابن ماجة (٢٤٤٣)وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

منعهم منها أحيانا ، والعياذ بالله .

فنرى العامل بعد أن ينتهي من إنجاز ما طلب منه ، وحين انتظار أجرته الشهرية ، نجد أن المستأجر أو صاحب العمل يماطل ويطمع ويؤخر حق هذا المسكين! أو يبحث عن أسباب تجعله يخصم من راتبه دون وجه حق! بل طمعا وجشعا ، وهذا دليل على قسوة القلب وعدم الخوف من الله ﷻ .

أترضى يا صحاب العمل أن يتأخر راتبك الشهري يوما واحدا؟!أو شهرا؟! أترضى أيها المستأجر أن يخصم من حقك؟!إذا لا يرضيك هذا! ، فكيف ترضى بتأخير راتب هذا المسكين! وعدم إعطاءه حقه! .

ألم تعلم أن من أخرت راتبه ومنعت حقه قد يكون تحته أسرة ينفق عليها وتنتظر أن يلبي لها حاجياتها .

أيها المانع لحق هؤلاء المظلومين حتى وإن كانوا كفارا! لا تغتر بنفسك ولا تتكبر على هؤلاء الفقراء ، وتذكر قدرة الله ﷻ عليك إذا أعجبك تسلطك وجبروتك على هؤلاء الضعفة! ، فعن أبي مسعود البدري ﵁ قال : (كنت أَضْرِبُ غُلَامًا لي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا من خَلْفِي : **(اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ)** ، فلم أَفْهَمْ الصَّوْتَ من الْغَضَبِ ، فلما دَنَا مِنِّي إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول : **(اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ)** ، فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ من يَدِي ، فقال : **(اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ على هذا الْغُلَامِ)** ، فقلت : لَا أَضْرِبُ

مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا)[١] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (فيه الحث على الرفق بالمملوك ، والوعظ والتنبيه على استعمال العفو وكظم الغيظ)[٢] .

وقال المناوي رحمه الله : (**أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ على هذا الْغُلَام**) : أي أقدر عليك بالعقوبة من قدرتك على ضربه ، لكنه يحلم إذا غضب وأنت لا تحلم إذا أغضبت[٣] .

إن للعمال المظلومين اليوم في كثير من بلدان المسلمين الذين سُرقت أموالهم! وأخذت حقوقهم؟! وأهينت كرامتهم بالضرب والسب والشتم! رب العزة عز وجل الذي سينصرهم ويُذل ويَكسر شوكة من ظلمهم ، وإن لم يجدوا من يطالب بحقوقهم ويقف معهم من المخلوقين! ، وكفى به سبحانه وتعالى ناصرا ومعينا ، قال صلى الله عليه وسلم : (**وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَام وَيَفْتَحُ لها أَبْوَابَ السَّمَاء ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**)[٤] .

أيها المماطل والجاحد لحقوق الآخرين ، اعلم أنك إذا لم تبادر بالتوبة الصادقة لله عز وجل ، وتعطي الحقوق لأهلها ، فإنك متوعَد بعقاب شديد وعذاب أليم يوم القيامة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**قال اللهُ : ثَلَاثَةٌ أنا**

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٩) .

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١١/ ١٣٠) .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٧٥) .

(٤) رواه الترمذي (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

خَصْمُهُمْ يوم الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى منه ولم يُعْطِ أَجْرَهُ)[١] .

قال المناوي رحمه الله : (ذكر الثلاثة ليس للتقييد فإنه خصم كل ظالم لكنه أراد التغليظ عليهم لغرابة قبح فعلهم)[٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (والثالث هذا الرجل الذي استأجر أجيرا فاستوفى منه وقام الأجير بالعمل كاملا ثم لم يعطه أجرته ومن ذلك ما يفعله بعض الناس اليوم في العمال الذي يأتون بهم من الخارج ، تجده يستأجره بأجرة معينة مثلا ستمائة ريال في الشهر ، ثم إذا جاء به إلى هنا ماطل به وآذاه ولم يؤت له حقه ، وربما يقول له تريد أن تبقى هنا بأربعمائة ريال وإلا سافرت ، هذا والعياذ بالله يكون الله خصمه يوم القيامة ، ويأخذ من حسناته ويعطيها هذا العامل ، لأن قوله إما أن تعمل بأربعمائة وإلا سفرتك ، هذا استأجره بستمائة ولم يعطه أجره ، فيدخل في هذا الوعيد الشديد ، وهؤلاء الذي يأتون بالعمال ولا يعطونهم أجورهم أو يأتون بهم وليس عندهم شغل ، ولكن يتركونهم في الأسواق ، ويقول اذهب وما حصلته فلي نصفه ، أو مثلا يقول اذهب وعليك في الشهر ثلاثمائة ريال أو أربعمائة ريال ، كل هذا حرام والعياذ بالله ، ولا يحل لهم ، وما أكلوه فإنه سحت ، وكل جسد نبت من السحت فالنار أولى به ، وهؤلاء الذين يأكلون أموال هؤلاء

---

(١) رواه البخاري (٢١١٤) .

(٢) فيض القدير (٣ / ٣١٥) .

العمال المساكين ، هؤلاء لا تقبل لهم دعوة والعياذ بالله ، يدعون الله فلا يستجيب لهم ؛ لأن النبي ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب .

ومطعمه حرام وملبسه حرام ، وغذي من حرام ، فأنى يستجاب له وما يأكل هؤلاء من أجور هؤلاء العمال أو يظلمونهم به ، فإنهم يأكلونه سحتا نسأل الله العافية)[١] .

فعلينا – أيها الأحبة – أن نرأف ونرحم على من كان تحتنا من العمال والمستأجرين ، وأن نعطي الحقوق لمستحقيها ونذكر من غفل عن ذلك بما يجب عليه ، ولنعلم أن العامل ليس كاملا فقد تقع منه بعض الأخطاء وتصدر منه بعض الهفوات ، فعلينا نصحه وإرشاده بالرفق واللين حتى وإن كان كافرا ، فلعلنا بحسن تعاملنا معه وصبرنا عليه نكون سببا بعون الله ﷻ في هدايته للإسلام . فالله أسأل أن يوفقنا وإياكم لفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين والإيفاء بالعهود وإعطاء الحقوق لأهلها ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٧٤) .

(١٢)

التذكير لكل من لم يبادر إلى صلاة الجماعة بالتبكير!

التذكير لكل من لم يبادر إلى صلاة الجماعة بالتبكير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن للصلاة في ديننا الحنيف أيها الأفاضل منزلة كبيرة ودرجة عظيمة ، فهي أحد أركان الإسلام ومن أهم مبانيه العظام ، يقول رسولنا ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : (**ألا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**) قلت : بلى يا رسول الله ، قال : (**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**)[1] .

وأول ما يحاسب عليه العبد ويُسأل عنه يوم القيامة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يوم الْقِيَامَةِ من عَمَلِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنْ انْتَقَصَ من فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قال الرَّبُّ ﷻ : انْظُرُوا هل لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ**

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

فَيُكَمَّلَ بها ما انْتَقَصَ من الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ على ذلك)[١] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (ولهذا كان من فضل الله ورحمته ونعمته وإحسانه ، أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات وقبلها وفي كل وقت ، إلا الأوقات المنهي عنها ، وذلك لأن الإنسان لابد أن يكون في صلاته خلل ، فيكمل بهذه النوافل)[٢] .

يقول المباركفوري رحمه الله : قال العراقي رحمه الله في شرح الترمذي : لا تعارض بينه وبين الحديث الصحيح (**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**)[٣] .

فحديث الباب محمول على حق الله تعالى وحديث الصحيح محمول على حقوق الآدميين فيما بينهم ، فإن قيل فأيهما يقدم محاسبة العباد على حق الله أو محاسبتهم على حقوقهم؟

فالجواب : (أن هذا أمر توقيفي ، وظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أولا المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد)[٤] .

ولهذه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة أمرنا شرعنا المطهر - أيها

---

(١) رواه الترمذي (٤١٣) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٠٣) .

(٣) رواه مسلم (١٦٧٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) تحفة الأحوذي (٢/ ٣٨٣) .

الأفاضل – بالقيام بها والمحافظة عليها بعد أن حدد لنا أوقاتها ، قال تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

قال الإمام البغوي رحمه الله : (أي واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها ، وإتمام أركانها)[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[النساء : ١٠٣] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (ذكر في هذه الآية الكريمة أن الصلاة كانت ولم تزل على المؤمنين كتابا أي : شيئا مكتوبا عليهم واجبا حتما ﴿ مَّوۡقُوتٗا ﴾ ، أي : له أوقات يجب بدخولها)[٢] .

أيها الأحبة الكرام ، مع أن النصوص الكثيرة والمتواترة جاءت بالأمر بالصلاة والحث على المحافظة عليها وأدائها في وقتها ، لكننا لو نظرنا اليوم لحال كثير من المسلمين - إلا من رحم الله– نجد أن هذه الفريضة العظيمة قد تنوعت صور تضييعها والتفريط فيها بينهم ، فمنهم من تركها بالكلية! ، ومنهم من يصليها فقط في المناسبات كالجمعة والعيدين!! والبعض الآخر يصليها أحيانا! ويتركها أحيانا أخرى!!ومنهم من يصليها في بيته! وقد لا يأتي

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٢٢٠) .

(٢) أضواء البيان (١/ ٢٧٩) .

إلى المسجد! أو يأتيه لكن نادرا جدا !!كيوم الجمعة! والبعض الآخر يؤديها في المساجد مع الجماعة ولله الحمد! ، لكن عندهم عدم اهتمام بمقدار ما أدركوا منها مع الإمام! فنراهم دائما متأخرين عنها! وقد زين لهم الشيطان هذا العمل! فيقول لكل واحد منهم : المهم أنك تدرك منها شيء! وأنت أحسن من الذين لا يأتونها مطلقا! ومن الذين لا يصلون أصلا! فينخدع بهذا التلبيس! ويتكاسل عن التبكير لها! ولهذا نجد عند هذا الصنف عدم الاهتمام بإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام! ويزداد الألم والحزن إذا رأينا أن من هؤلاء من ظاهره الصلاح والاستقامة! بل من طلاب العلم الذين هم أعلم من غيرهم بفضل التبكير إلى الصلوات! .

وهذا الصنف الأخير – أيها الأفاضل – وهم من يتأخر في الذهاب إلى المساجد ولا يهتم بإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام! هم الذين أردنا أن نقف معهم للحظات في هذه الكلمات ، لعلها تكون ذكرى وعظة لكاتبها وقارئها بإذن رب البريات .

أيها الأحبة الكرام ، لقد جاءت نصوص كثيرة في الحث على المسابقة إلى الخيرات والمسارعة في الطاعات ، ومن ذلك ما جاء في أمر المبادرة إلى الصلوات ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(لو يَعْلَمُ الناس ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لم يَجِدُوا إلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إليه ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ**

لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)[١] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ، ثم لم يجدوا طريقا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا في تحصيله ، ولو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاءوا إليه دفعة واحدة ، وضاق عنهم ، ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه)[٢] .

وقال ﷺ : (**من صلى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا في جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى ، كُتِبَتْ له بَرَاءَتَانِ ، بَرَاءَةٌ من النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ من النِّفَاقِ**)[٣] .

قال الملا علي قاري رحمه الله : (**كُتِبَتْ له بَرَاءَتَانِ ، بَرَاءَةٌ من النَّارِ**) أي : خلاصٌ ونجاةٌ منها يقال بريء من الدَّين والعيب خَلَص .

(**وَبَرَاءَةٌ من النِّفَاقِ**) **قال الطيبي** رحمه الله : (أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ، ويوفقه لعمل أهل الإخلاص ، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذب به المنافق ويشهد له بأنه غير منافق ، يعني بأن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، وحال هذا بخلافهم)[٤] .

---

(١) رواه البخاري (٥٩٠) ومسلم (٤٣٧) واللفظ له .

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٤/ ١٥٨) .

(٣) رواه الترمذي (٢٤١)من حديث أنس رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٤) مرقاة المفاتيح (٣ / ٢٠١) .

أيها المصلون ، يا من وفقكم الله ﷻ للصلاة في المساجد وشهود الجماعات ، لكن يحصل منكم التقصير في التبكير لهذه الفريضة العظيمة ، أما آن لنا جميعا أن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة! ونتساءل! لماذا نفوت تكبيرة الإحرام مع الإمام؟! لماذا لا نبادر إلى الجماعات بعد أن نسمع المؤذن ينادي إلى الصلوات؟! ألهذه الدرجة هانت علينا هذه العبادة العظيمة ؟! وصغرت في أنفسنا! ، كيف تركنا المجال للهوى والشيطان ، وقدمنا ما في أيدينا من الأمور الفانيات على ما عند الله ﷻ من الباقيات الصالحات؟! .

إن الجزاء – أيها الأفاضل – من جنس العمل ، وإننا سنسأل عن هذا التأخير وسنعاقب عليه يوم القيامة ، إذا لم نبادر بالتوبة والاستغفار لخالقنا ﷻ الغفار ، فعن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : **(لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عن الصَّفِّ الْأَوَّلِ حتى يُؤَخِّرَهُمْ الله في النَّارِ)**[(١)] .

قال العظيم آبادي ﵀ : (يعني لا يخرجهم من النار في الأولين أو أخرهم عن الداخلين في الجنة ، أولا بإدخالهم النار وحبسهم فيها)[(٢)] .

إن أرحم الراحمين جعل هذه العبادة العظيمة ملاذا للطائعين ومآلا للمستغفرين وقرة عين العابدين ، فعن أنس ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه أبو داود (٦٧٩) وصححه الشيخ الألباني ﵀ .

(٢) عون المعبود (٢/ ٢٦٤) .

(وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[١] .

قال الحافظ المناوي رحمه الله : (لأنه كان حالة كونه فيها مجموع الهم على مطالعة جلال الله وصفاته فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه)[٢] .

لقد عرف من سبقنا من الصالحين منزلة الصلاة وفضل التبكير إليها وشرف إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، فضربوا بذلك أروع الأمثلة وسطروا أزكى المعاني والعبر ، فكانوا لمن بعدهم من المؤمنين المحبين قدوة ، وكان في قصصهم عبرة .

فهذا الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله لم تفته تكبيرة الإحرام ولا يتخلف عن الصف الأول بفضل الله خمسين سنة ، يقول رحمه الله : (ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة)[٣] .

ويقول الإمام إبراهيم التيمي رحمه الله : (إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى ، فاغسل يدك منه)[٤] .

ويقول يحيى بن معين رحمه الله : سمعت وكيعا رحمه الله يقول : (من لم يدرك

---

(١) رواه النسائي (٣٩٤٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) فيض القدير (٣/ ٣٤٨) .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٢/ ١٦٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٨٤) .

التكبيرة الأولى ، فلا ترج خيره)[١] .

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله : (كان الأعمش قريبا من سبعين سنة ، لم تفته التكبيرة الأولى واختلفت إليه قريبا من ستين فما رأيته يقضي ركعة)[٢] .

بل إن بعضهم من شدة حرصه على الصلاة ، يعتبر أن الذهاب إليها بعد سماع النداء من التقصير في حقها .

فيقول الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله : (لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يدعى ، ائت الصلاة قبل النداء)[٣] .

والآثار عنهم رحمهم الله في هذا الباب أيها الأحبة كثيرة ، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والمنقول عن السلف في فضل التكبيرة الأولى آثارٌ كثيرةٌ)[٤] .

فعلينا – أيها الأفاضل – أن نستحضر دائما في قلوبنا عظمة الصلاة ، وأن نعزم من الآن على أن لا نتهاون في التبكير إليها ، وأن نحرص أشد الحرص على

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٧٤) .

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٤٩) .

(٣) التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٣١) .

(٤) التلخيص الحبير (٢ / ١٣١) .

أن لا نضيع تكبيرة الإحرام مع الإمام ، فإن في ذلك والله النجاح والفلاح والسعادة في الدارين بإذن رب العالمين .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه ويجعلنا من أهل السرور ، وأن يبعد عنا كل ما يشغلنا عن تطبيق تعاليم ديننا الحنيف من الشبهات والشهوات وأهل الشرور ، فهو سبحانه العزيز الغفور .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١٣)

لماذا التخلف والتأخر
عن صلاة الجمعة أيها المسلم !

لماذا التخلف والتأخر عن صلاة الجمعة أيها المسلم!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد خص الباري ﷻ أمة محمد ﷺ بيوم عظيم وموسم كريم ، أضل عنه اليهود والنصارى قبلهم وهداهم إليه بفضله سبحانه ، ألا وهو يوم الجمعة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**أَضَلَّ اللهُ عن الْجُمُعَةِ من كان قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ ، وكان لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ...**)[١] .

إن هذا اليوم المبارك أيها - الأحبة الكرام - هو عيد لأهل الإسلام ، وهو من أشرف الأيام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : (**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فيه خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ منها ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا في يَوْمِ الْجُمُعَةِ**)[٢] .

---

(١) رواه مسلم (٨٥٦) .

(٢) رواه مسلم (٨٥٤) .

ولهذه المكانة العظيمة والمزايا الكثيرة لهذا اليوم ، شرع الله تعالى للمسلمين فيه عبادات ، من أفضلها وأهمها اجتماعهم لأداء صلاة الجمعة في المساجد ، فهذه الصلاة العظيمة من بكر إليها وتحلى بأحكامها وآدابها كان له بعون الله تعالى أجر عظيم عند رب سبحانه كريم .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**من اغْتَسَلَ يوم الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بدنه ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فإذا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**)[1] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في توجيه اختصاص الجمعة بذلك : (أنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام ، وكان العيد مشتملًا على صلاة وقربان ، وكان يوم الجمعة يومَ صلاة ، جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلًا من القربان وقائمًا مقامه ، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان)[2] .

وقال ﷺ : (**لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يوم الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ من طُهْرٍ وَيَدَّهِنُ من دُهْنِهِ ، أو يَمَسُّ من طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فلا يُفَرِّقُ بين اثْنَيْنِ ، ثُمَّ**

(١) رواه البخاري (٨٤١) ومسلم (٨٥٠)واللفظ له .

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٩٩) .

يُصَلِّي ما كُتِبَ له ، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إلا غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى)[١] .

وقال نبينا ﷺ : (مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى وَفَضْلُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ)[٢] .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث فضل الجمعة : (وتبين بمجموع ما ذكرنا أن تكفير الذنوب من الجمعة إلى الجمعة مشروط بوجود جميع ما تقدم من غسل وتنظف وتطيب أو دهن ولبس أحسن الثياب والمشي بالسكينة وترك التخطي والتفرقة بين الاثنين وترك الأذى والتنفل والإنصات وترك اللغو)[٣] .

لكن مع هذا الحث الشديد والفضل الكبير على هذه الصلاة ، نرى بعض المسلمين لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها اهتماما! فإما أنهم يتخلفون عنها فلا يصلوها مع الجماعة! وإما أن منهم من يتأخر عنها! فيدرك فقط الخطيب وقد قام في الناس! أو يدرك الصلاة فقط دون الخطبة! أو يدرك جزءا من الصلاة فقط! أو قد يأتي والخطيب قد سلم! وهذا حرمان وتثبيط من الشيطان! ،

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣)من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٨٥٧)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٧٢) .

نسأل الله العافية .

أيها المتخلف عن صلاة الجمعة بلا عذر شرعي! وإنما بسبب نوم بعد سهره ليلتها! أو بسبب كسل منعه من حضورها! أو بسبب الاستغراق في الذنوب والمعاصي! .

ألم تعلم أنك قد ارتكبت جرما عظيما وإثما كبير بصنيعك هذا!

ألم يبلغك قول نبيك ﷺ : (**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن وَدْعِهِمْ**[1] **الْجُمُعَاتِ ، أو لَيَخْتِمَنَّ الله على قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الْغَافِلِينَ**)[2] .

وقوله ﷺ : (**من تَرَكَ ثَلاثَ جُمُعَاتٍ من غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ**)[3] .

فاحذر أشد الحذر من هذا الوعيد الشديد! وبادر بالتوبة والرجوع إلى العزيز الحميد قبل أن ينقضي أجلك فلا تنفع توبتك! .

ويا أيها المتأخر عن صلاة الجمعة! لماذا هذا الكسل؟ وقلة الاهتمام بشأن هذه الصلاة العظيمة؟ ولماذا هذه الاستهانة بفضل التبكير ؟! .

ألم تعلم أن الجزاء من جنس العمل ، وأنك ستعاقب على ذلك ، فعن

---

(١) تركهم . شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٥٢) .

(٢) رواه مسلم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٧٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٤٤) .

عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : **(لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عن الصَّفِّ الْأَوَّلِ حتى يُؤَخِّرَهُمْ الله في النَّارِ)**[١] .

قال العظيم آبادي ﵀ : (يعني لا يخرجهم من النار في الأولين أو أخرهم عن الداخلين في الجنة ، أولا بإدخالهم النار وحبسهم فيها)[٢] .

ألم تعلم! أنك لن تكتب مع الحاضرين لصلاة الجمعة إذا أتيت وقد صعد الإمام للمنبر ليذكر الناس ويعظهم ، فعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : **(إذا كان يَوْمُ الْجُمُعَةِ كان على كل بَابٍ من أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، فإذا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوْا الصُّحُفَ وجاءوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)**[٣] .

فيا أخي المسلم ، اتقِ الله ﷻ ، ولا تفرط في هذه الصلاة العظيمة بالتخلف عن شهودها ، أو التأخر عنها ، وخذ بالأسباب التي تعينك على التبكير إليها بسؤال الباري سبحانه التوفيق لذلك ، ثم مجاهدة النفس على ذلك واستشعار فضل التبكير ، واختيار الرفقة الصالحة التي تعينك على ذلك ، وقراءة نماذج من سير السلف الصالح وكيف كان هديهم في التبكير لصلاة الجمعة ، فاحرص -وفقك الله- على اجتناب المعاصي والمنكرات وبادر

---

(١) رواه أبو داود (٦٧٩) وصححه الشيخ الألباني ﵀ .

(٢) عون المعبود (٢/ ٢٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٨٥٠) .

بالإتيان بالطاعات وسارع في الخيرات .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (ينبغي للإنسان العاقل الحازم المؤمن أن ينتهز سبل الخير ، وأن يحرص غاية الحرص على أن يأخذ من كل باب منها بنصيب حتى يكون ممن سارع في الخيرات ، وجنى ثمرات هذه الأعمال الصالحة ، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته ، إنه جواد كريم)[1] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفق جميع المسلمين لما يحبه ويرضاه ، وأن يصرف عنهم السوء والفحشاء ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٠٧) .

(١٤)

النفـــس !

النفس !

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن نفس الإنسان أيها الأحبة الكرام دائما ما ترغبه إلى اتباع الشهوات والسعي وراء الملذات ، وتثبطه عن فعل الطاعات والتزود من الخيرات ، فهي من أعوان الشيطان على محاربة الإنسان .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء)[١] .

فهذه النفس إذا لم يهذبها صاحبها بالدين ويعودها على البحث عن رضى رب العالمين ، واتباع هدي خير المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، فإنها تجره إلى كل قبيح ، وتبعده عن كل فعل صحيح ، فتلقي به في المهالك وتجعله يبوء بالخسران والحرمان ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

يقول الإمام الطبري رحمه الله : (إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ،

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٠) .

وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله)[١] .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (تأمر صاحبها بما تهواه : من شهوات الغي واتباع الباطل فهي مأوى كل سوء وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه)[٢] .

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ : أي : لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء ، أي : الفاحشة ، وسائر الذنوب ، فإنها مركب الشيطان ، ومنها يدخل على الإنسان)[٣] .

لكن الناس أيها الأحبة الكرام على صنفين ، فمنهم من يتغلب على نفسه فيقودها إلى ما يحب الله ويرضى ، ومنهم من تغلبت عليه نفسه! فجرته وراء شهواتها وأغرقته في نزواتها فضيعت أوقاته في المعاصي والذنوب فأهلكته ، نسأل الله العافية .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فإن الناس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها ، وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم)[٤] .

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١) .

(٢) إغاثة اللهفان (ص ٧٧) .

(٣) تفسير السعدي (ص ٤٠٠) .

(٤) إغاثة اللهفان (ص ٧٥) .

وقد أشار إلى هذين القسمين من الناس نبينا ﷺ ، حيث قال ﷺ : (**كُلُّ الناس يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا**)[١] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى بإتباعهما فيوبقها أي : يهلكها ، والله أعلم)[٢] .

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله : (ودل الحديث : على أن كل إنسان إما ساع في هلاك نفسه أو في فكاكها ، فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله ، وأعتقها من عذابه ومن سعى في معصية الله تعالى فقد باع نفسه بالهوان ، وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه)[٣] .

أيها الأفاضل إن من تيسير الباري سبحانه لعبده وتوفيقه له أن يعينه على كبح نفسه عما تريد من الشهوات وترغب من الملذات ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف : ٥٣]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ فنجاه من نفسه الأمارة حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها ، منقادة لداعي الهدى ، متعاصية عن داعي الردى ، فذلك ليس من النفس ، بل من فضل الله ورحمته بعبده .

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٣ / ١٠٢) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٢٢٠) .

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ أي : هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي ، إذا تاب وأناب .

﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول توبته ، وتوفيقه للأعمال الصالحة)[١] .

فعلى العبد الحريص أن يبذل أيضًا الأسباب التي تعينه على التغلب على نفسه الأمارة بالسوء من فعل الطاعات والسعي في الخيرات وتجنب المحرمات والابتعاد عن المنكرات ، ويصبر على جهاد نفسه ويحتسب ذلك عند الله ﷻ ، فإن هذا الأمر متعب وشاق .

وعليه أن يعلم أن جهاده لما يضره في آخرته من هوى نفسه والشيطان والسعي وراء الدنيا الفانية له ثمرة عظيمة بعونه سبحانه وهو الفوز بجنة قطوفها دانية ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا ، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد)[٢] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٠٠) .

(٢) الفوائد (ص ٥٩) .

فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأن يوفقنا لكل عمل يقربنا إليه سبحانه ، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١٥)

ما أصعب مجاهدة النفس!

ما أصعب مجاهدة النفس!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن من أصعب أنواع الجهاد وأشقها على العبد أن يخضع نفسه لطاعة الله ﷻ ، ويبعدها عن الشهوات المحرمة ، فهذا الجهاد دائم ومستمر مع العبد ، لا ينفك عنه ما دام أن نفسه بين جنبيه ، قال ﷺ : (**الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللهِ ﷻ**)[١] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات ، أمارة بالسوء ، سريعة التأثر عند المصائب ، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله ، وثباتها عليها ، ومجاهدتها عن معاصي الله ، وردعها عنها ، وجهادها على الصبر عند المصائب ، وهذه هي الطاعات : امتثال المأمور ، واجتناب المحظور ، والصبر على المقدور ، فالمجاهد حقيقة : من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها)[٢] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٢)من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٤٩) .

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢١) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء ، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولًا ، ومجاهدة النفس تكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين ، على فعل الطاعات ، وعلى ترك المعاصي ؛ لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه ، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه ، فتحتاج النفس إلى مجاهدة لا سيما مع قلة الرغبة في الخير ، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة ؛ ليحملها على فعل الخير)[١] .

إن هذا الجهاد الداخلي – أيها الأحبة الكرام – مقدم على جهاد العدو الخارجي ، بل إن الانتصار على العدو الخارجي متوقف على محاربة وقهر العدو الداخلي .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج وأصلا له ، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه ، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه! لم يجاهده! ولم يحاربه في الله! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج)[٢] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥١) .

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦) .

وقال أيضًا رحمه الله : (سمعت شيخنا -أي ابن تيمية رحمه الله -يقول : جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين ، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولا)[١] .

إن من أهم ما يفسد نفس العبد ويحرمها التوفيق ويفتح عليها باب الخذلان أيها الكرام أن يتركها سائرة وراء هواها ، حيث قادها تبعته لا يرعاها ولا يوجهها إلى ما ينفعها في الدنيا والآخرة .

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله : (من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات ، انقطعت عنه موارد التوفيق)[٢] .

فاتباع الهوى أيها الأفاضل ما قارن شيئا إلا أفسده ، فهو مصدر كل شقاء نزل بالعبد ، وسبب كل بلاء حصل له .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (الهوى ما خالط شيئا إلا أفسده فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء ، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة ، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق ، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور ، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى

---

(١) روضة المحبين (ص٤٨٧) .

(٢) روضة المحبين (ص٤٧٩) .

خيانة الله والمسلمين ، حيث يولي بهواه ويعزل بهواه ، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة ، فما قارن شيئا إلا أفسده)[١] .

إن العبد الحريص على طاعة ربه سبحانه ، يمكنه بعد عون الله ﷻ له أن يقهر نفسه الأمارة بالسوء ويتغلب على هواه وذلك ببذل الأسباب المعينة على ذلك من الإخلاص ، وطلب الهدى واتباع الحق والعمل به والسعي دائما لفعل الخيرات والتزود من الطاعات واجتناب سائر المعاصي والمنكرات ، وينبغي للعبد كذلك أن يكون حريصا على صون نفسه من كل ما يضرها كوسوسة الشيطان ، فلا يفسح بابًا يدخل منه الشيطان ، فيتمكن ويلبس عليه فيغرقه في واد الشبهات ويرمي به في مستنقع الشهوات ، نسأل الله العافية .

وعليه أن يدفع وسوسته ويجاهد نفسه على عدم الامتثال للباطل الذي يزخرفه وللشهوة التي يزينها .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : وأما جهاد الشيطان فمرتبتان :

إحداهما : جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .

الثانية : جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات ، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

(١) روضة المحبين (ص ٤٧٤) .

[السجدة : ٢٤] فأخبر ﷻ أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات)[١] .

وعلى كل من بذل الأسباب وسعى في رضى رب الأرباب أن يتيقن تماما أن جهده بعون الوهاب لن يذهب سدى من غير صواب ، وسيصل إلى المبتغى ويتغلب على هواه وينتصر على الشيطان الرجيم بإذن ربه سبحانه الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

قال الشيخ السعدي ﷺ : (فكل من اجتهد في الخير هداه الله الطريق الموصلة إليه)[٢] .

وقال الشيخ الشنقيطي ﷺ : (ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الذين جاهدوا فيه ، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد ، وأقسم على ذلك)[٣] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم أيها الأفاضل لمجاهدة أنفسنا على فعل الطاعات وترك المحرمات ، وأن يرزقنا معرفة الحق والسير عليه ، والعلم بالباطل واجتنابه ، ويبعد عنا اتباع الهوى ويحفظنا من الشبهات والشهوات ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) زاد المعاد (٣/ ١٠) .

(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٤٧) .

(٣) أضواء البيان (٦ / ١٦٣) .

(١٦)

احذروا من فتنة المال!

احذروا من فتنة المال!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد بين نبي الرحمة ﷺ لأمته كل ما ينفعها ، وحذرها من كل فتنة تضرها وتجعلها تنشغل بالعاجل الفاني عن الآجل الباقي ، ومن ذلك فتنة عظيمة تميل إليها القلوب ، وتحبها النفوس ، الانشغال الزائد بها من أسباب التفريق بين الأرحام وقطع المحبة بين كثير من الناس والوئام ، فتنة أوقعت بين الكثير العداوة والبغضاء ، وجعلت أصحابها في محنة وشقاء بعد أن كانوا في طمأنينة وسعادة وهناء ، ألا وهي فتنة المال ، يقول ﷺ : (**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**)[١] .

قال المناوي رحمه الله : (أي : الالتهاء به لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة ويُنسي الآخرة)[٢] .

وقال ﷺ : (**فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ**

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٦) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) فيض القدير (٢/ ٥٠٧) .

عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ)[١] .

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ : (لما كان الناس إلى الفقر أقرب ، كانوا لله أتقى وأخشع وأخشى ، ولما كَثُر المال ؛ كثُر الإعراض عن سبيل الله ، وحصل الطغيان ، وصار الإنسان الآن يتشوف لزهرة الدنيا وزينتها ... سيارة ، بيت ، فرش ، لباس ، يباهي الناس بهذا كله ، ويعرض عما ينفعه في الآخرة ، وصارت الجرائد والصحف وما أشبهها لا تتكلم إلا بالرفاهية وما يتعلق بالدنيا ، وأعرضوا عن الآخرة ، وفسد الناس إلا من شاء الله ، فالحاصل أن الدنيا إذا فتحت- نسأل الله أن يقينا وإياكم شرها - أنها تجلب شرًّا وتُطغي الإنسان)[٢] .

أيها الأحبة ، لا شك ولا ريب أن المال في هذه الدنيا هو عصب الحياة يستعان به على تحقيق المصالح وجلب المنافع في الدنيا كالإنفاق على النفس وعلى الأسرة والاستغناء عن سؤال الناس وإنفاقه في وجوه الخير التي بعون الله تعالى تنفع في الآخرة ، فمن كان هذا قصده راعى في ماله حق خالقه سبحانه وحق العباد ، وجعله وسيلة يستعين به على فعل الطاعات ، والازدياد من الخيرات فكان ثمرة ذلك النجاح والفلاح بإذن الله ، قال ﷺ :

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٨) واللفظ له ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ .

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٦١) .

(نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ-وفي رواية(للعبد)-الصَّالِحِ)[١] .

قال الملا علي قاري ﷺ : (المرء الصالح) "وهو من يراعي حق الله وحق عباده" [٢] .

وأما من ساء قصده! فمال عن المشروع وصار همه من جمع المال ممنوع! ، كالمباهاة والتعالي على الخلق ومنع الحقوق! والإنفاق في المعاصي والمحرمات بتزيين الشيطان! فقد باء بالخسران والحرمان! .

يقول ابن الجوزي ﷺ : (وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده ، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده)[٣] .

أيها الأحبة الكرام ، إن الله ﷻ خلقنا في هذه الدنيا الفانية لمقصود أعظم ألا وهو عبادته سبحانه وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال الإمام النووي ﷺ : (وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة فحق عليهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٩٧)من حديث عمرو بن العاص ﷺ ، وصححه الشيخ الألباني ﷺ في مشكاة المصابيح (٣٧٥٦) .

(٢) مرقاة المفاتيح (٧ / ٢٩٦) .

(٣) تلبيس إبليس (ص ٢٢١) .

الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة ، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد ، ومركب عبور لا منزل حبور ، ومشروع انفصام لا موطن دوام ، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد ، وأعقل الناس فيها هم الزهاد)[٤] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : (فأخبر أنه لم يخلق الجن والإنس لحاجة منه إليهم ، ولا ليربح عليهم ، لكن خلقهم جودا وإحسانا ليعبدوه فيربحوا هم عليه كل الأرباح)[٥] .

فلنحذر إذا أشد الحذر من أن يكون همنا وغايتنا اللهث وراء تحصيل المال الزائل ، فإن هذا الحرص مذموم ، وهذا السعي منبوذ ، قال ﷺ : (**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إلا التراب وَيَتُوبُ الله على من تاب**)[٦] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (فيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها ، ومعنى(**لا يملأ جوفه إلا التراب**) : أنه لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره)[٧] .

وعلى المسلم أن يلزم القناعة إذا أراد نيل السعادة ، ويرضى بما كتب

---

(٤) رياض الصالحين (ص٣) .

(٥) طريق الهجرتين (ص٢٢٢) .

(٦) رواه البخاري (٦٠٧٥) ومسلم (١٠٤٨)واللفظ له من حديث أنس رضي الله عنه .

(٧) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٣٩) .

الله تعالى له ، ويُسلم بما قُسم له ، ويشكر الله ﷻ على ما رزقه ويسأله المزيد من فضله ، قال ﷺ : **(كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ...)**[١] .

قال المناوي رحمه الله : (لأن العبد إذا قنع بما أعطاه الله رضي بما قسم له وإذا رضي شكر فزاده الله من فضله جزاء لشكره وكلما زاد شكرا ازداد فضلًا)[٢] .

وعليه أن يتحرى الحلال في كسبه ويبتعد عن المحرمات ويتقي الشبهات فإنه يوم القيامة سيقف أمام خالقه سبحانه وسيسأل عن ماله ، قال ﷺ : **(لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ ، عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أبلاه)**[٣] .

فعلينا جميعًا – أيها الأفاضل – أن نحمد الله ﷻ على الصحة والعافية ، وأن نشكره على ما رزقنا ، ونرضى بما قسمه لنا ، ونحرص دائما على الكسب الحلال وبذل المال فيما ينفع في الدنيا والآخرة ، ونبتعد عن الكسب الحرام وتضييع المال فيما يضر ، ونجتنب الشبهات مهما كانت ، فكل ما نفعله سيكتب في صحيفة أعمالنا ، وسنسأل عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولنعلم أن المال يُقبل ويُدبر فكم من غني صار فقيرا ، وكم

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢١٧)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) فيض القدير (٥/ ٥٢) .

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

من فقير صار غنيا ، والله ﷻ هو المعطي والمانع .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يكفينا بحلاله عن حرامه وبفضله عما سواه ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١٧)

لمـــاذا طـــول الأمـــل ؟!

لماذا طول الأمل ؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن من الأمراض التي إذا تمكنت من القلب أفسدته ، ومن المرء أهلكته ، داء يجعل من أصابه يعيش في عالم الخيال والأوهام ، مرض من أبتلي به ساء العمل ألا وهو (**طول الأمل**) .

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : (ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل)[١] .

إن هذا الداء العضال والمرض القتال يجعل صاحبه شديد الحرص على الدنيا ، معرضا عن الآخرة ، فلهذا أعيا العلماء الأطباء وحير الحكماء .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله : (داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء بل أعيا

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص ٨٢) .

الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء)[١] .

لقد خدع هذا الداء الكفار وجر عليهم الحسرة والندم بعد موتهم ، بعد أن جعلهم يظنون أنهم لن يفارقوا هذه الدنيا الفانية والحياة الزائلة ، فألهاهم عن عبادة الله ﷻ وتوحيده ومنعهم من اتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (هدد الله تعالى الكفار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيه ﷺ أن يتركهم يأكلون ويتمتعون ، فسوف يعلمون حقيقة ما يؤول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم)[٢] .

أيها الأفاضل ، إن طول الأمل جر الكثير من الناس -إلا من رحم الله- إلى التسويف وتأخير التوبة ، وإلى ارتكاب المحرمات والابتعاد عن الطاعات بزخرفة شيطانية ألا وهي غدا أعمل! غدا أصلي ! غدا أحج! غدا أعمل الطاعات! .

وكان أحرى بهم لما طال عمرهم واقترب أجلهم أن ينقص أملهم ، وأن لا يغتروا بزخرف الدنيا الكاذب ويتذكروا وصية نبيهم ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما : **(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)** .

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣) .

(٢) أضواء البيان (٢/ ٢٥٣) .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : (إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ مِنْ صِحَّتِكَ لمرضك ، ومن حياتك لموتك)[١] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل)[٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (يعني : كن كالغريب الذي يداخل الناس ولا يهتم بالناس ، ولا يعرف بين الناس ، أو كأنك عابر سبيل تريد أن تأخذ ما تحتاجه في سفرك وأنت ماش .

وهذا التمثيل الذي ذكره النبي ﷺ هو الواقع ؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر ، فالدنيا ليست دار مقر ؛ بل هي دار ممر ، سريعٌ راكبه لا يفتر ليلًا ولا نهارًا ، فالمسافر ربما ينزل منزلًا فيستريح ، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل ، هو دائمًا في سفر ، كل لحظة فإنك تقطع بها شوطًا من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة .

فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير ، أليس ينتهي بسرعة!

الجواب : بلى ، ولهذا قال الله ﷻ : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٩) .

ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] .

وينبغي للإنسان أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضي ، فالذي مضى كأنه لا شيء ، حتى أمسك الأدنى ، كأنك لم تمر به ، أو كأنه حلم ، وكذلك فما يستقبل من دنياك ، فهو كالذي تقدم ، ولهذا لا ينبغي الركون إلى الدنيا ولا الرضا بها ؛ وكأن الإنسان مخلد فيها .

ولذلك كان ابن عمر ﷺ يقول : (**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء**) فإنك قد تموت قبل أن تمسي . (**وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**) فإنك قد تموت قبل أن تصبح ، ولكن انتهز الفرصة ، لا تؤخر العمل ، لا تركن إلى الدنيا فتؤمل البقاء مع أنك لا تدري . (**وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك**) انتهز الصحة ، انتهز الحياة ، فإنك قد تمرض فتعجز ، وقد تفتقر فتعجز ، وقد تموت فينقطع عملك)[١] .

أيها الكرام ، قد علمنا النبي ﷺ أن أمته ستصاب بهذا الداء فحذرهم منه وأخبرهم أنه سيهلكهم إذا استولى عليهم ، فقال ﷺ : (**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل**)[٢] .

وحذرنا أيضًا سلفنا الصالح (رحمهم الله) منه ، لأنهم يعلمون أنه يُعلق

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٧٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٠) وحسنه الشيخ الألباني ﷺ في صحيح الجامع (٣٨٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ .

صاحبه بالدنيا الفانية ويشغله عن الآخرة الباقية .

قال علي رضي الله عنه : (ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرَة ، وارتحلتِ الآخرةُ مُقْبِلَة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنَّ اليومَ عَمَلٌ ولا حساب ، وَغَدًا حسابٌ ولا عَمَلٌ)[١] .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (لا يطولنَّ عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم)[٢] .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : (إن من الشقاء طول الأمل ، وإن من النعيم قصر الأمل)[٣] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : (ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل)[٤] .

أيها الأحبة ، إن مما يعيننا بإذن الله على علاج هذا الداء العضال والمرض القتال تذكر الموت وسكرته والقبر وضمته والعلم بأن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت فهي قصيرة ، إن الموت لا يخشى أحدا ولا

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) .

(٢) رواه مسلم (١٠٥٠) .

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص ٧٦) .

(٤) حادي الأرواح (ص ٤٨) .

يُبقي على أحد ، ولا يُفرق بين أحد ، لا يعرف صديقا ، ولا يميز بين كبير ولا صغير ، ولا صحيح ولا سقيم ، فكلهم لكأسه شارب ولو طال بهم المدى وعمَّروا سنينًا .

فلا محيص عن الموت ولا مفر لنا منه ، يُلاحقنا في أي مكان كنا ، في البر أو البحر أو الجو ولو تحصَّنا منه وبذلنا الجهد في ذلك ، قال ﷻ : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء : ٧٨] .

قال الإمام الطبري رحمه الله : (فإن الموت بإزائكم أين كنتم وواصل إلى أنفسكم حيث كنتم ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة)[١] .

فلا مرد للموت الواقع من دافع ، ولا ينفع في تأخيره شافع ، يحاول الإنسان أن يبتعد عنه ويهرب منه ، لكنه ملاقيه لا محالة ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [الجمعة : ٨] .

أيها الأفاضل ، عندما تركنا ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات تعلقنا بالشهوات وفرِحنا بالملذات ، فلم نستعد للموت! لاغترارنا بصحتنا وفَرِحنا بشبابنا ، والله المستعان .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا ، ولا يغتر بالشباب والصحة ، فإن أقل من يموت الأشياخ ، وأكثر من

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٢) .

يموت الشبان)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، وأن يعيذنا وإياكم من طول الأمل والاغترار بزخرف الدنيا ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) صيد الخاطر (ص ٦٣) .

(١٨)

تكالب أعداء الدين

لإفساد ركائز المسلمين!

تكالب أعداء الدين لإفساد ركائز المسلمين!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن أعداء الدين من الكفار والمنافقين قديمًا وحديثًا لم يهدأ لهم بال ولم يقر لهم قرار ولم يستقر لهم حال لما رأوا أن عماد الأمة الإسلامية المباركة وسبب نهضتها ومنبع قوتها ومبعث عزها وفخرها هم شبابها ذكورا كانوا أو إناثا ، فحاولوا بشتى الوسائل والطرق إفساد الشباب والفتيات بشتى أنواع الفتن والمغريات ، فرأوا -أخزاهم الله- أن من أهم الطرق وأنجع الوسائل التي تعينهم على تغيير أخلاق ركائز الأمة وتبدل عقيدتهم وتفسد قيمهم الإسلامية ، هي وسائل الإعلام ، بشتى أنواعها المرئية أو المسموعة أو المقروءة ، فسخروها أولا في محاربة العفة والحياء ، وصوروا المرأة بمفاتنها وجعلوا منها ممثلة! أو راقصة! أو مغنية! ، لتفتن الرجال وتتأثر بها النساء .

وأشغلوا بعض الشباب المسلم بالملهيات وزينوا لهم الملذات فأوقعوهم في المحرمات كارتكاب الجرائم وشرب المسكرات وتعاطي المخدرات ،

بل جروهم إلى أخطر وأشنع من ذلك وهو القول بأفكار منحرفة إلحادية ، والعياذ بالله .

إن أعداء الدين بعد أن تمكنوا من السيطرة على بعض ضعاف النفوس! من شباب هذه الأمة المباركة ، استعملوهم كأدوات لهم في التأثير على باقي المسلمين ، لعلمهم أن الإفساد من الداخل أشد تأثيرا وأعظم ضررا من الإفساد من الخارج .

فنراهم -رد الله كيدهم- يقومون بإنشاء قنوات مرئية بمساعدة أعوانهم المفسدين! أو بإصدار مجلات مقروءة ساقطة ليبثوا من خلالها للمسلمين أفكارهم الخبيثة وأغراضهم الدنيئة ، وأنشأوا كذلك في كثير من بلدان المسلمين! منظمات وجمعيات تعتني بزعمهم بحقوق المرأة وحريتها ، وهي في حقيقة الأمر تدعو لتحريرها من الإسلام وإخراجها عن تعاليمه الكريمة ، فهذه المنظمات المفسدة تدعوا المرأة المسلمة التي أكرمها الله تعالى بالإسلام وجعلها عفيفة للخروج من بيتها واختلاطها بالأجانب ، وتصور لها أنها تساوي الرجل في جميع الحقوق ، ولا فرق بينها وبينه حتى في القوامة! مع أن الباري سبحانه يقول : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ... ﴾ [النساء : ٣٤] .

أيها الإخوة ، أيتها الأخوات من الشباب ، عليكم أن لا تغتروا -سددكم

الله- بهذه المخططات الخبيثة والشعارات المزيفة الباطلة ، وكونوا حصنا يحمي هذه الأمة المباركة من كيد الفجار وإفساد الأشرار ، فأنتم -حفظكم الله- ثروتها التي لا تقدر بثمن ولا يمكن أن تعوض إذا خسرتها .

فاغتنموا أوقاتكم - زادكم الله حرصًا- فيما يحب الله ﷻ ويرضاه ، فإن الأعوام تمضي والساعات تنقضي ، وقد كنتم بالأمس القريب أطفالا وستصبحون بعد أن كنتم شبابًا كهولًا ثم شيوخًا ، فالأعمار تمر مر السحاب وغدًا عنها سيسألكم العزيز الوهاب فماذا أنتم قائلين؟ وبما عن السؤال مجيبين ؟! .

قال رسول الله ﷺ وهو يعظ رجلًا : (اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)[1] .

قال الحافظ الحكمي رحمه الله : (يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة ، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد ، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ، ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال في زمن الفرصة والإمهال ، فإن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٧٧) .

بعد كل شباب هرمًا ، وبعد كل صحة سقمًا ، وبعد كل غنى فقرًا وبعد كل فراغ شغلًا ، وبعد كل حياة موتًا ، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم ، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم ، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر ، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات ، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ويطلب الكرة وهيهات وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات)[١] .

وأعلموا -رعاكم الله- أن الله ﷻ خلقكم لأمر عظيم وغاية حميدة فعيشوا من أجلها وموتوا من أجلها واسعوا لتحقيق ثمارها ونشرها بين الناس ألا وهي عبادته سبحانه وحده لا شريك له ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة فإنها دار نفاد لا محل إخلاد ومركب عبور لا منزل حبور ومشروع انفصام لا موطن دوام فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العبَّاد وأعقل الناس فيها هم الزُّهاد)[٢] .

---

(١) معارج القبول (٢/ ٧١١-٧١٢) .

(٢) رياض الصالحين (ص٣) .

وعلينا أيها الأحبة جميعا من آباء وأمهات ، وسائر الصالحين والغيورين على هذا الدين ، أن نتكاتف ونتعاون على دفع هذه الوسائل الخبيثة والأفكار السيئة التي يستعملها أهل الإجرام لإفساد مخزون هذه الأمة المباركة ، فلنقف جميعا مع إخواننا وأخواتنا الشباب فيما يواجهونه من حملة بغيضة شعواء ، ولنذكرهم دائما أنه لا ملجئ ولا نجاة لهم من حبال الأعداء المفسدين إلا العودة إلا رب العالمين والتمسك بهذا الدين القويم والسير على هدي نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ونساءه أمهات المؤمنين العفيفات الطاهرات ، وسلفنا الصالح الأتقياء ، وأن يحذروا أشد الحذر من كل الطرق الهدامة للدين والمفسدة للأخلاق ولقيم المسلمين .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ المسلمين في كل مكان من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأن يجعلهم هداة مهتدين ينتفع بهم العباد وتستفيد منهم البلاد ، فهو سبحانه ولي ذلك والرؤوف بالعباد .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١٩)

وما نرسل بالآيات إلا تخويفا

وما نرسل بالآيات إلا تخويفا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن للمعاصي والمنكرات أيها الأحبة تبعات وخيمة وأخطارا جسيمة ، تلحق بأهلها إذا لم يبادروا بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ ، فهذه الذنوب قد أفسدت النفوس وأعمت القلوب ، وأهلكت الديار ، وأذلت أمما قد سبقت في الأمصار ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (ومن آثار الذنوب والمعاصي : أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء ، والزرع والثمار والمساكِن)[1] .

لأن أصحابها لم يمتثلوا لأوامر ربهم سبحانه الذي نهاهم عن فعلها ، وحذرهم من الاجتراء عليها ، فاقترفوا السيئات وجاهروا بالمحرمات ، وأفسدوا في البر والبحر والجو بالمنكرات ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] .

---

(١) الجواب الكافي (ص ٤٢) .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (أي : استعلن الفساد في البر والبحر ، أي : فساد معايشهم ونقصها ، وحلول الآفات بها ، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك ، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها)[١] .

مع أن خالقهم عز وجل ذكَّرهم بحال من قبلهم ، حيث حلَّ عليهم العقاب ونزل بهم العذاب ، فتبدلت عليهم الأحوال وصاروا مضربا للأمثال ، بعد أن بدلوا الأمن والاطمئنان بالكفر والطغيان ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (وعلى كل حال ، فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل ، وألا يقابل نعم الله بالكفر والطغيان ، لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة ، ولكن الأمثال لا يعقلها عن الله إلا من أعطاه الله علمًا)[٢] .

أيها الأحبة الكرام ، إن من لطف رب العزة وتمام قدرته وكمال حلمه وكرمه بخلقه أنه لا يعاجلهم بالعقوبة بل يمهلهم ليتوبوا ويرجعوا عما قدمت أيديهم .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٤٣) .

(٢) أضواء البيان (٢ / ٤٥٩) .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (وسبحان الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، بل يعافيهم ويرزقهم ، كأنهم ما عَصَوه مع قدرته عليهم)[١] .

فيرسل لهم سبحانه النذر ويذكرهم ﷻ بالآيات ، فيبعث عليهم الفيضانات المهلكة والرياح المروعة والزلازل المدمرة ، لعلها تُحيي قلوبا مرضت بالذنوب والمحرمات ، فيتوب أصحابها لرب البريات ويتركوا المعاصي والمنكرات ، فيقبلوا على فعل الطاعات والتزود من الخيرات .

فهذه الآيات التي يرسلها الواحد الجبار كالزلازل والبراكين ، ليست للتسلية وإنما للعظة والاعتبار ، والرجوع للواحد القهار ، ولكن بعض الجهلة من المسلمين ممن قلَّ فيهم الوازع الديني! وطغى عليهم الجانب العقلي! والتأثر بالكفار! وبمساعدة وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة! أرادوا قلب الحقائق والتلبيس على الناس ، وإبعادهم عن دينهم ، فزعموا أن ما يحدث من هذه الآيات كالزلازل والفيضانات ما هي إلا كوارث طبيعية وظواهر جغرافية عادية! وأن هناك بلدانا أمنع من أن تحل بهم هذه الآيات الربانية والنذر السماوية! لأنهم ليسوا على خطها أو لاستعدادهم لها! .

أيها الأفاضل الكرام ، أنصدق هؤلاء! الكذبة! أم نصدق أصدق القائلين ! الذي أخبرنا أنه يرسل هذه الآيات للناس من باب التهديد والوعيد الشديد ،

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٩٠) .

لعلهم إليه سبحانه يرجعون، ويرتدعوا عما هم عليه متجرئون! ، فقال تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء : ٥٩] .

قال قتادة رحمه الله : (إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون)[١] .

فعلينا – أيها الكرام– أن لا نلتفت لهؤلاء الجهلة! وأن نبادر إلى التوبة النصوح ، و نسارع في الأوبة والغفران قبل فوات الأوان ، فإن في ذلك النجاح والفلاح ، ونحذر أشد الحذر من التسويف والتأخير فإن هذا من تلبيس الشيطان وهو من الخسران والحرمان ، والله المستعان .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : (فالواجب عند الزلازل وغيرها من الآيات والكسوف والرياح الشديدة والفيضانات ، البدار بالتوبة إلى الله سبحانه ، والضراعة إليه وسؤاله العافية ، والإكثار من ذكره واستغفاره)[٢] .

وعلينا كذلك – أيها الأفاضل – أن نعلم أن من حكمة ربنا سبحانه أن العذاب إذا نزل بقوم قد فشت بينهم المنكرات وجاهروا بالمحرمات وعصوا رب الأرض والسماوات فإنه يعم ، لكنه لطائعهم وأهل الصلاح فيهم بإذن الله رحمة ومطهرة ، ولعاصيهم ولأهل الفساد عذابا وعبرة ، فعن

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٢١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ١٥١) .

أم المؤمنين أم سلمة ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**إذا ظَهَرَتِ المعاصي في أمتي عَمَّهُمُ اللهُ ﷻ بِعَذَابٍ من عِنْدِهِ**) ، فقلت : يا رسول الله أَمَا فيهم يومئذ أُنَاسٌ صالحون؟! قال : (**بَلَى**) ، قالت : فكيف يصنع بأولئك؟ قال : (**يُصِيبُهُمْ ما أَصَابَ الناس ثُمَّ يَصِيرُونَ إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**)[١] .

فعلينا جميعا أيها الأحبة أن نبذل الوسع في نصح المسلمين وحثهم على الرجوع إلى الدين القويم ، وسنة أفضل المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ونُذكِّرهم دائما بفضل الطاعات ، ونحذرهم من شؤم المحرمات ، ونقص عليهم أنباء من عصى رب العالمين وكذب المرسلين لعلهم بها يتعظون ، وعن المحرمات يبتعدون ، وإلى الخيرات يقبلون ، والهداية والتوفيق من عند العزيز الوهاب .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يغفر لنا جميعا ذنوبنا ويكفر عن سيئاتنا وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٠٤) وصححه الشيخ الألباني ﵀ في السلسلة الصحيحة (٣١٥٦) .

(٢٠)

نـــور العلـــم

نـــور العلـم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن أفضل ما صرفت فيه الأوقات وأحسن ما عُمِّرت به الساعات وبُذلت فيه الطاقات هو طلب العلم الشرعي النافع الذي يرفع الله سبحانه مكانة صاحبه ويُعلي درجاته في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

قال القرطبي رحمه الله : (أي في الثواب في الآخرة ، وفي الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن ، والعالم على من ليس بعالم)[١] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (ولم يعين ﷺ الدرجات لأن هذه الدرجات بحسب ما مع الإنسان من الإيمان والعلم ، كلما قوي الإيمان وكلما كثر العلم وانتفع الإنسان به ونفع غيره ، كان أكثر درجات)[٢] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٩) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤١٩) .

إن من توفيق الباري ﷻ لعبده أيها الأفاضل أن ييسر له الأخذ من ميراث الأنبياء وزاد الأتقياء ، الذي هو قائد لتقوى الله تعالى وذلك بفعل الطاعات والتزود من الخيرات ومانع من ارتكاب المحرمات والتجرؤ على المنكرات ، والذي هو أفضل مكتسب وأعلى منتسب ، قال ﷺ : **(من يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ)**[١] .

قال ابن بطال رحمه الله : (وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم ، وإنما ثبت فضله ، لأنه يقود إلى خشية الله ، والتزام طاعته ، وتجنب معاصيه)[٢] .

أيها الأحبة الكرام ، يكفي معلم الناس الخير ، الداعي للتمسك بالكتاب والسنة أنه ينتفع بعلمه بعد موته بعون الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)**[٣] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له ، إلا في هذه الأشياء الثلاثة ، لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه ، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف ،

---

(١) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٤) .

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) .

وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف)[١] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله مبينًا مكانة العلم ورفعته - : (فيا لها من مرتبة ما أعلاها ومنقبة ما أجلها وأسناها أن يكون المرء في حياته مشغولا ببعض أشغاله ، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالا متفرقة ، وصحف حسناته متزايدة يملى فيها الحسنات كل وقت ، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب ، تلك والله المكارم والغنائم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وعليه يحسد الحاسدون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويسبق السابقون إليها ، وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات)[٢] .

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله : (فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن ، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض ، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته)[٣] .

أيها الكرام إن مما يشرف العلماء الربانيين الأصفياء أن بهم يهتدي الحيران في الظلماء ، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (هم في الأرض - أي العلماء- بمنزلة النجوم

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (١١/ ٨٥) .

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٢١) .

(٣) تفسير السعدي (ص٤٠٧) .

في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب . .)[١] .

فعلينا - أيها الأفاضل - أن نتذكر دائما ما جاء في النصوص الكثيرة في بيان مكانة العلم والعلماء وفضل تحصيله ، وضرر الجهل والتنفير عنه .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فلو ظهرت صورة العلم للأبصار لزاد حسنها على صورة الشمس والقمر ، ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها أقبح منظر ، بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل ومسبب عنه ، وكذلك كل خير يكون إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة ، وكل شر وفساد حصل في العالم ويحصل إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة ، فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل)[٢] .

فلنبادر - أيها الأحبة الكرام - في بذل الأسباب لتحصيل العلم الشرعي الذي ينفعنا ، سائلين الله ﷻ العون والتوفيق إلى ذلك ، مذكرين أنفسنا دائما بالإخلاص لله ﷻ في طلبنا له ، وأن لا نفتر ولا نكسل ولا نسوف في طلبه فهو عبادة ، ولنستحضر قول رسولنا ﷺ : (**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ له بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ**)[٣] .

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٩) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٦) .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (سلوك الطريق يشمل **الطريق الحسي** : الذي تقرعه الأقدام مثل أن يأتي الإنسان من بيته إلى مكان العلم سواء كان مكان العلم مسجدا أو مدرسة أو كلية أو غير ذلك ، ومن ذلك أيضًا الرحلة في طلب العلم ، أن يرتحل الإنسان من بلده إلى بلد آخر يلتمس العلم ، فهذا سلك طريقا يلتمس فيه علما وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ في حديث واحد مسيرة شهر كامل على الرواحل على الإبل سار من بلده إلى بلد مسيرة شهر من أجل حديث واحد رواه عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ .

أما الثاني : فهو الطريق المعنوي ، وهو أن يلتمس العلم من أفواه علماء ومن بطون الكتب ، فالذي يراجع الكتب للعثور على حكم مسألة شرعية ، وإن كان جالسا على كرسيه ، فإنه قد سلك طريقا يلتمس فيه علما ، ومن جلس إلى شيخ يتعلم منه فإنه قد سلك طريقا يلتمس فيه علما ، ولو كان جالسا ، فسلوك الطريق ينقسم كما سمعتم إلى قسمين : قسم يراد به الطريق الذي تقرعه الأقدام ، والثاني يراد به الطريق الذي يتوصل به إلى العلم وإن كان جالسا .

(من سلك هذا الطريق سهل الله له به طريقا إلى الجنة) : لأن العلم الشرعي تعرف به حكم ما أنزل الله تعرف به شريعة الله تعرف به أوامر الله ، تعرف به نواهي الله ، فتستدل به على الطريق الذي يرضى الله عز وجل ، ويوصلك

إلى الجنة وكلما ازددت حرصا في سلوك الطرق الموصلة إلى العلم ازددت طرقا توصلك إلى الجنة .

وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة ، ولا سيما الشاب الذي يحفظ سريعا ويمكث في ذهنه ما حفظه ينبغي له أن يبادر الوقت ، يبادر العمر قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك)[١] .

فهذه - أيها الأحبة - ذكرى يسيرة لشرف العلم ومكانته ، أردت من خلالها أن أذكر نفسي أولا لعل الله بجوده وكرمه ينفعني بها ، ثم كل سالك لطريق العلم حتى يحمد الله ﷻ أن وفقه لهذا الفضل العظيم والشرف الكبير ، ويسأله سبحانه الثبات على ذلك ، ثم كل من أراد أن يتعلم ويرفع الجهل عن نفسه لعلها تكون بعون الله حافزا ومعينا له على ذلك .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٣٣) .

(٢١)

ظـلام الجهـل

ظلام الجهل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الجهل أيها الكرام داء قتال ومرض عضال ، يحجب صاحبه عن الهدى والخيرات ويُوقعه في المهالك والمنكرات ، فهو طريق مظلم ، ثماره قبيحة ،

يؤذي صاحبه قبل غيره ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان

نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني[1] .

إن من مظاهر الجهل التي عمَّت في حاضرنا والله المستعان ، هجر القرآن العظيم وسنة النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فأصبحت أحكامهما في الغالب - إلا من رحم الله - لا تطبق بين المسلمين ، بل حتى القرآن الكريم الذي هو كلام رب العزة ﷻ أصبح عند كثير من الناس - إلا من رحمه الله - لا يقرأ إلا في أوقات معينة ! بل بعضهم هجره بالكلية ، والله

(١) الكافية الشافية (ص٢٦٥) .

المستعان ، وبعض من يُسرت له القراءة ، قلَّ عنده التدبر والتفكر في معانيه ، بل أصبح القرآن عند بعضهم زينة يُعلق في الجدران والسيارات ، نسأل الله العافية ، حتى سنة المصطفى ﷺ ترك الكثير - إلا من رحم الله- حفظها ومدارستها ، والله المستعان .

ولهذا أيها الأحبة، يَحزن المؤمن الغيور المحب للخير عندما يرى ويسمع انتشار الشرك والبدع ، والمعاصي بين المسلمين ، ويُشاهد رواج الأحاديث الموضوعة والضعيفة وذيوعها بينهم ، وهذا كله أيها الكرام بسبب مضار الجهل وظلمته ، التي كانت نتاج ترك التعلم وهجر حلق العلم والبعد عن العلماء وطلبة العلم الثقات .

فلو نظرنا لحال كثير من المسلمين اليوم ، نجد منهم -إلا من رحم الله- الحرص على الدنيا والسعي وراءها كأنها عندهم دار مستقر لا دار ممر! ، والنبي ﷺ حذرنا من هذا الحرص الذي يجعل صاحبه متعلق بالدنيا بعيد عن الآخرة ، فقال رسول الله ﷺ : **(لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إلا التراب وَيَتُوبُ الله على من تاب)**[1] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (فيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها ، ومعنى **(لا يملأ جوفه إلا التراب)** : أنه لا يزال حريصا على

(١) رواه البخاري (٦٠٧٥) ومسلم (١٠٤٨) و اللفظ له ، من حديث أنس رضي الله عنه .

الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره)[١] .

أو أنهم صار همهم البحث عمن ينفس عنهم ويروح عن نفوسهم! من سماع القصص والنكت من بعض الدعاة المعاصرين! الذين ابتلينا بهم! ، حيث أعانوا هؤلاء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في البعد عن العلم الشرعي وساهموا في انتشار الجهل والبدع بينهم! ، فإذا نظرنا لمجالس العلم والعلماء نرى قلة الحضور ونقص الإقبال عليها! وإذا شاهدنا مجالس من لبس لباس المشايخ واقتحم ميدان النصح والدعوة من غير زاد ولا عتاد ، نرى كثرة الإقبال وتوافد الناس عليهم! فقد يتعجب المرء من ذلك ويتساءل ! لكن كما قيل : إذا عرف السبب بطل العجب! .

إن هؤلاء الدعاة كما يزعمون! تركوا هدي الأنبياء ووظيفة الأتقياء ونهج الأصفياء من دعوة الناس إلى ما يحتاجونه وينفعهم في أخراهم ودنياهم ، كالتوحيد والعلم بالسنة والعمل بالطاعات ، وتحذيرهم مما يضرهم كالشرك والبدع والاجتراء على المنكرات ، فالتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل سبحانه رسله وأنزل ﷻ كتبه ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (فكل الرسل ، الذين من قبلك مع كتبهم ،

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٣٩) .

زبدة رسالتهم وأصلها ، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبيان أنه الإله الحق المعبود ، وأن عبادة ما سواه باطلة)[١] .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد ، وذكر صفات الرب ﷻ ، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه ، وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ، ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وخفي نور النبوة ، وصارت الشرائع والأوامر رسوما ، تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغي الإخلال بها ، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع ، والفقر وعلم البديع فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها)[٢] .

وصار همهم ما يطلبه الناس من القصص والفكاهات ! ليجمعوا أكبر عدد منهم! . والشيطان حتى يشغل الناس عن العلم الشرعي الصحيح ، يُزين لهم مجالس القصص ويرغبهم فيها! والله المستعان .

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٢١) .

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٢٣) .

وهذا لا يعني - أيها الكرام - أننا نذم ذكر القصص في المحاضرات والمواعظ ، وإنما نذم وننهى عن كثرتها ، التي صرفت الناس عن الأهم ، وهو تحقيق التوحيد والبعد عن الشرك والبدع والمعاصي .

فعلينا أيها الأفاضل أن نحث أنفسنا ، ونشجع غيرنا على طلب العلم الشرعي ونسعى بكل الوسائل المشروعة في تحصيله ، وأن نَحذر ، ونُحذر المسلمين من خطورة الجهل وظلامه ، الذي هو سبب كل داء ومصدر كل شقاء ، فكل خير في العالم هو من آثار العلم النافع ، وكل شر وفساد من عواقب الجهل الضار .

يقول الإمـام ابـن القيم رحمه الله : (فلو ظهرت صـورة العلم للأبصار لزاد حسنها على صورة الشمس والقمر ، ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها أقبح منظر ، بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل ومسبب عنه ، وكذلك كل خير يكون إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة ، وكل شر وفساد حصل في العالم ويحصل إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة ، فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل)[١] .

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يحبب إلينا العلم النافع والعمل الصالح ، ويعلمنا وإياكم ما ينفعنا في الدنيا والآخرة ، وأن ينفعنا بما علمنا ويجعله حجة لنا يوم نلقاه ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٦) .

(٢٢)

ما أخطر هذا الداء!

ما أخطر هذا الداء!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن العبد المخلوق الضعيف قد يتعرض لأمراض تجعله يغتر بنفسه ، وينسى فضل خالقه ﷻ عليه ، وتؤدي به إلى احتقار غيره واستنقاصهم! ، ومن هذه الأمراض الخطيرة والآفات المهلكة التي قد يبتلى بها ، مرض **(العجب!)** .

قال نبينا ﷺ : **(ثلاث مهلكات ؛ شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء برأيه)**[1] .

إن هذا الداء العضال والمرض القتال أيها الكرام يُصيب من نزل به ، وتمكن من قلبه بالخسران ، ويُبعده عن الخير وطاعة المنان ، فيقع في العصيان! ويبوء بعد ذلك بالحرمان ، ويصيبه الخذلان! ، نسأل العفو

---

(١) رواه البزار في مسنده (١٣/ ٤٨٦) من حديث أنس ﷺ ، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) .

والعافية من الرحمن .

قال أبو وهب المروزي رحمه الله : (سألت ابن المبارك ما الكِبْر؟ قال : أن تزدري الناس ، وسألته عن العجب؟ قال : أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك ، قال : ولا أعلم في المصلين شيئا شر من العجب)[١] .

قال القرافي رحمه الله : (وسر تحريم العجب أنه سوء أدب على الله تعالى ، فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده ، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده ، لا سيما عظمة الله تعالى ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] أي : ما عظموه حق تعظيمه ، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه ، وهو مطلع عليه وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه)[٢] .

لقد خاف نبي الرحمة ﷺ أيها الأفاضل على أمته من هذا الداء السيء ، وحذرهم منه أشد التحذير ، فقال ﷺ : **(لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكثر من ذلك ، العُجب العجب)**[٣] .

قال المناوي رحمه الله : (كرره -أي العجب- زيادة في التنفير ومبالغة في التحذير ، وذلك لأن العاصي يعترف بنقصه فيرجى له التوبة ، والمعجب

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٨٢٦٠) .
(٢) الفروق (٤/ ٣٨٦) .
(٣) رواه البزار في مسنده (١٣/ ٥٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٥٨) .

مغرور بعمله فتوبته بعيدة)[١] .

إن المعجب بنفسه أيها الأحبة المادح لها المغرور بها ، سيقع مع الأيام في مرض هو من ثمار هذا الداء المذموم ، وهو أكثر ضررا وأعظم خطرا منه ، ألا وهو داء (**الكِبْر**) ، الذي يؤدي بصاحبه إلى المهالك ويجره إلى المساوئ ، نسأل الله العافية .

يقول الغزالي رحمه الله : (اعلم أن آفات العجب كثيرة ، فإن العجب يدعو إلى الكبر ، لأنه أحد أسبابه ... فيتولد من العجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى ، هذا مع العباد ، وأما مع الله تعالى ، فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها ، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها ، لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها ، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه ، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له)[٢] .

ويقول أبو العباس القرطبي رحمه الله : (إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله تعالى فإن رفعها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم)[٣] .

أيها الأحبة ، إن من أنواع البلايا والفتن التي تكثر في هذه الأمة والتي هي من

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣١٢) .

(٢) إحياء علوم الدين (٣ / ٣٧٠) .

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٦١) .

العلامات الدالة على قرب الساعة ، وفساد الناس ، إعجاب كل ذي رأي برأيه ، وكل ذي عمل بعمله ولو كانت الأفعال والأقوال مخالفة للصواب الذي أمر به العزيز الوهاب ، فنرى من أصيب بهذا الداء! متصلبا في رأيه متبعا لهواه وما يملي عليه الشيطان! وإن كانت مخالفته ظاهرة لكل الناس . فيا من ابتليت بهذا الداء !عليك أن تسارع في علاجه وتأخذ بالدواء ، قبل أن تهلك كما هلك من اغتر بنفسه ، وأُعجب بعمله ، ونسي أن هناك من خلقه ورزقه ، فكان لمن بعده عبرة ، وأصبحت قصته ذكرى يَنتفع بها من كان له قلب سليم ويتعظ بسماعها من كان على الصراط المستقيم ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (جزاء من جنس عمله ، فكما رفع نفسه على عباد الله ، أنزله الله أسفل سافلين ، هو ما اغتر به من داره ، وأثاثه ، ومتاعه)[(١)] .

وقال ﷺ : **(بينما رجل يَتَبَخْتَرُ يمشي في بُرْدَيْهِ قد أَعجبته نَفْسُهُ ، فخسف الله به الْأَرض ، فهو يَتَجَلْجَلُ[(٢)] فيها إلى يوم القيامة)**[(٣)] .

فعليك يا من أصابك هذا الداء! المبادرة بالتوبة والاستغفار ، وأن تذكر نفسك بأصلها ، فهي لن تعدوا قدرها! ، فإن أولها نطفة! وآخرها جيفة!

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٤) .

(٢) يتحرك وينزل مضطربا . الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ٦٤) .

(٣) رواه البخاري (٥٤٥٢) ومسلم (٢٠٨٨) و اللفظ له ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واحرص على كل ما ينفعك ويقربك إلى خالقك سبحانه ، وأكثر من فعل الطاعات وتزود من الخيرات ، وابتعد عن الذنوب والمعاصي والمنكرات .

قال الشافعي رحمه الله : (إذا أنت خفت على عملك العجب ، فاذكر رضا من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب ، وأي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ، فإنك إن ذكرت في واحدة من هذه الخصال ، صغر في عينيك ما قد عملت)[١] .

ومما ينبغي علينا أن نعلمه أيها الأحبة الكرام أنه ليس من باب العجب الفرح بالطاعة وبغض السيئة ، لأن المعجب بنفسه لا يبغض ولا تسوئه المعصية بخلاف المؤمن ، فإنه يفرح بتأدية الطاعات ويحمد الله ﷻ على توفيقه ويسأله سبحانه المزيد من فضله والتوفيق للخيرات ، ويحزن عند ارتكابه المنكرات وتجرئه على المحرمات ، قال ﷺ : (**من سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلك الْمُؤْمِنُ**)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم الأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة وأن يجنبنا العجب والكِبْر وسائر الأخلاق السيئة ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٥١/ ٤١٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢٣)

وقفات إيمانية

مع سورة من كلام رب البرية

- الزلزلة -

وقفات إيمانية مع سورة من كلام رب البرية

- الزلزلة -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين ، أنزله ﷻ على سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، شهد به سبحانه على صدق رسالة خاتم النبيين ، وكذب به أعدائه الحاقدين ، وخُتمت به الكتب السابقة ، وتَكفل ﷻ بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (أي : في حال إنزاله وبعد إنزاله ، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم ، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته ، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ، ومعانيه من التبديل ، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين ، وهذا من أعظم آيات الله

ونعمه على عباده المؤمنين)[١] .

إن هذا القرآن العظيم أيها الكرام هو الصراط المستقيم والمنهج القويم ، والنور المبين للمسلمين ، فمن طلب العزة في غيره أصابه الذُل ، ومن بحث عن الرفعة في غيره وضعه الله ﷻ ، ومن اهتدى بغير هديه ضل ، قال ﷺ : (**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ...**)[٢] .

لقد أحببتُ – أيها الأفاضل – أن أقف معكم على معاني سورة كريمة جليلة ، قليلة الحروف ، حيث أن عدد آياتها ثمان ، لكنها عظيمة المعاني ، وهي سورة مدنية ، اشتملت على العظات والعبر ، والترغيب والترهيب والتذكير بيوم الوعيد ، وكان نبينا ﷺ يقرأ بها أحيانا ويرددها في ركعتي الفجر ، فعن معاذ بن عبد الله الجهني أَنَّ رجلا من جُهَيْنَةَ أخبره أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يَقْرَأُ في الصُّبْحِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]في الرَّكْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا ، فلا أَدْرِي أَنَسِيَ رسول اللهِ ﷺ أَمْ قَرَأَ ذلك عَمْدًا[٣] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (ونص أحمد على أنه جائز في الفرض من غير كراهة)[٤] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٢٩) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٧) .

(٣) رواه أبو داود (٨١٦)وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٤) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٤٦٩) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وأما قراءة سورة واحدة في الركعتين معا ، فقلما كان يفعله)[١] .

وقد أخبرنا الرب جل جلاله في آيات هذه السورة الكريمة أن الأرض ستتزلزل وتضطرب ، ولهذا سميت بسورة الزلزلة ، قال سبحانه : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة : ١] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أي : تحركت من أسفلها)[٢] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (يخبر تعالى عما يكون يوم القيامة ، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج ، حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم ، فتندك جبالها وتسوى تلالها وتكون قاعا صفصفا لا عوج فيه ولا أمت)[٣] .

فتُخرج الأرض بعد ذلك ما كان في باطنها من الأموات والكنوز ، قال تعالى : ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة : ٢] .

قال الإمام البغوي رحمه الله : (أي : موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها)[٤] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (يعني ألقت ما فيها من الموتى ، قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ

---

(١) زاد المعاد (١/ ٢٦٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٠) .

(٣) تفسير السعدي (ص٩٣٢) .

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٥١٥) .

ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ [الحج : ١] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴾ [الانشقاق : ٣-٤])[١] .

جاء عند الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**تقيء الأرض أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فيقول : في هذا قَتَلْتُ! وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فيقول : في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي! وَيَجِيءُ السَّارِقُ فيقول : في هذا قُطِعَتْ يَدِي! ، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئا**)[٢] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (أي تُخرج الكنوز المدفونة فيها ، قال ابن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده ، وفلذة واحدة ، وجمعها فلذ وأفلاذ : وهي القطع المقطوعة طولا ، وسمي ما في باطن الأرض كبدا تشبيها بالكبد الذي في بطن البعير ، وكذلك قوله(**تقيء**) ، وقيئها : إخراجها ، و(**الأسطوان**) : العمود ، والأساطين : الأعمدة ، ويحتمل أن يكون هذا قبيل القيامة وهم في شغل ، ويحتمل أن يكون في القيامة)[٣] .

وقال الإمام النووي رحمه الله : (ومعنى الحديث التشبيه أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها ، و(**الأسطوان**) بضم الهمزة والطاء وهو جمع

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٠) .

(٢) صحيح مسلم (١٠١٣) .

(٣) كشف المشكل (٣/ ٥٧١) .

أسطوانة وهي السارية والعمود وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته)[١] .

فعندئذ يتساءل المخلوق الضعيف بعد أن أصابته الدهشة! ونزلت به الحيرة! ما الذي جرى للأرض؟! لماذا اهتزت؟! ما الذي يَحدث ؟! ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه ، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها)[٢] .

ولقد وقع الخلاف بين العلماء في من السائل يومئذ؟

يقول ابن الجوزي رحمه الله : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ **فيه قولان :**

أحدهما : أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن وهذا قول من جعلها من أشراط الساعة ، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة ، فسأل بعضهم بعضا حتى أيقنوا .

والثاني : أنه الكافر خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٧ / ٩٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٠) .

المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها ، لأنه لا يؤمن بالبعث ، فلذلك يسأل[١] .

فتحدثهم بعد أن أمرها خالقها سبحانه عما قدموا عليها من أعمال مهما كان حجمها ، خير كانت أو شرا ، ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٤-٥] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (أي : تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر ، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم ، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) ، أي : وأمرها أن تخبر بما عمل عليها ، فلا تعصي لأمره)[٢] .

فبعد ذلك ينصرف الناس أشتاتا متفرقين ، من موقف الحساب ليروا ما يجازيهم العزيز الحكيم عليه بحسب ما قدمت أيديهم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة : ٦] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (أي فرقا جمع شت ، قيل : عن موقف الحساب فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[الروم : ١٤] ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾[الروم : ٤٣] ،

---

(١) زاد المسير (٩/ ٢٠٣) .

(٢) تفسير السعدي (ص٩٣٢) .

وقيل : يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب)[١] .

فيجزى كل عبد على ما قدم مهما كان حجمه ، وإن كان مثقال ذرة ، قال سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وهذا شامل عام للخير والشر كله ، لأنه إذا رأى مثقال الذرة ، التي هي أحقر الأشياء ، وجوزي عليها ، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] ، ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ [الكهف : ٤٩] ، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا والترهيب من فعل الشر ، ولو حقيرا)[٢] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال : (**الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ ، لِرَجُلٍ أَجْرٌ ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ ، فَأَمَّا الذي له أَجْرٌ ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ لها في مَرْجٍ أو رَوْضَةٍ ، فما أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا[٣] ذلك من الْمَرْجِ[٤] وَالرَّوْضَةِ ، كان له حَسَنَاتٍ وَلَوْ أنها قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أو شَرَفَيْنِ ،**

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠ / ١٤٩) .

(٢) تفسير السعدي (ص ٩٣٢) .

(٣) الحبل الذي تربط فيه . الشرح على صحيح مسلم (٧/ ٦٦)

(٤) الأرض الواسعة ذات نبات كثير . النهاية لابن الأثير (٤/ ٣١٥) .

كانت آثَارُهَا وَ أَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ له ، وَلَوْ أنها مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ منه ولم يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كان ذلك حَسَنَاتٍ له ، فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا ولم يَنْسَ حَقَّ اللهِ في رِقَابِهَا ، ولا ظُهُورِهَا فَهِيَ له سِتْرٌ ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا ورياء وَنِوَاءً ، فَهِيَ على ذلك وِزْرٌ) ، فسئل رسول اللهِ ﷺ عن الْحُمُرِ؟ قال : **(ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فيها إلا هذه الْآيَةَ الْفَاذَّةَ[١] الْجَامِعَةَ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾)**[٢] .

قال العيني رحمه الله : (قال الخطابي : سئل عن صدقة الحمر وأشار إلى الآية بأنها جامعة لاشتمال اسم الخير على أنواع الطاعات ، وجعلها فاذة لخلوها عن بيان ما تحتها من تفصيل أنواعها ، وجمعت على انفرادها حكم الحسنات والسيئات المتناولة لكل خير ومعروف ، ومعناه : أن من أحسن إليها أو أساء رآه في الآخرة ، وقيل : إنما قيل : إنها فاذة إذ ليس مثلها آية أخرى في قلة الألفاظ وكثرة المعاني ، لأنها جامعة بين أحكام كل الخيرات والشرور ، وكيفية دلالة الآية على الجواب هي أن سؤالهم أن الحمار له حكم الفرس أم لا ؟ فأجاب : بأنه إن كان لخير فلا بد أن يجزى جزاءه ، ويحصل له الأجر وإلاَّ فبالعكس)[٣] .

---

(١) قليلة النظير . الشرح على صحيح مسلم (٧/ ٦٦) .

(٢) رواه البخاري (٤٦٧٨) واللفظ له ، ومسلم (٩٨٧) .

(٣) عمدة القاري (١٢/ ٢١٦) .

وفي ختام هذه الذكرى ، التي أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أحببت أن أوصي نفسي وإياكم أيها الأفاضل بالعناية والحرص على كتاب الله ﷻ ، حفظا ومراجعة وتدبرا ، فإنه حياة القلوب وسكينة النفوس ونور الصدور .

قال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي رحمه الله : (ينبغي لتالي القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم ، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر ، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه)[١] .

والحذر كل الحذر أيها الكرام أن يكون هدفنا فقط قراءة حروفه وحفظه ، دون الغوص في كنوزه ومعانيه ، فقد عاب الله على المنافقين لما أعرضوا عن تدبر كتابه العزيز ، فقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه)[٢] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص٤٦) .

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : (فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن ، وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] ، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لي ولكم أيها الكرام ، أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونورنا صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧) .

(٢٤)

الحذر من مكر الله ﷻ !

الحذرمن مكر الله ﷻ !

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن بعض من أغدق الله ﷻ عليهم بالصحة في الأبدان والسعة في الرزق والأمن في الأوطان مع ما يرتكبون من المعاصي والآثام ، والتجرؤ على ما حرم عليهم الملك العلام ، ليظنون أن تتابع هذه النعم وتزايد هذه المنن ، لهو دليل على حب المنان ورضى الرحمن! فأصابهم بسبب ذلك العُجب ، وتسلط عليهم الغرور وأَنستهم أنفسهم وتزيين الشيطان أن حقيقة هذا الأمر ما هو إلا استدراج! انخدع به من كان قبلهم! فأخذهم رب العزة ﷻ أخذ عزيز مقتدر ، فتركهم لمن خلفهم عبرة ولغيرهم عظة! ، قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي : أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي

: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم عياذا بالله من مكره ولهذا قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ أي : على غفلة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ أي : آيسون من كل خير)[١] .

إن هؤلاء الغافلون! قد غرتهم الحياة الدنيا ، وتعلقت قلوبهم بها بعد أن رأوا زخرفها الفاني يُقبل عليهم ، فغفلوا عن تحذير المصطفى ﷺ ، الذي أخبر أن إقبال الدنيا على أهل المعاصي والذنوب إنما هو في الحقيقة استدراج من علام الغيوب ، قال ﷺ : **(إذا رَأَيْتَ الله يعطي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا على مَعَاصِيهِ ما يُحِبُّ فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ)**[٢] .

أيها الأحبة ، إن ترك فعل الطاعات والاسترسال في المعاصي والمنكرات مع الاتكال فقط على رحمة الكبير المتعال ، هو في الحقيقة أمن من مكر الله تعالى ، وهو الذي حذرنا منه سبحانه ، فقال : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ **[الأعراف : ٩٧-٩٩]** .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٣) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٤٥)من حديث عقبة بن عامر ﷺ ، وصححه الشيخ الألباني﵀ في السلسلة الصحيحة (٤١٣) .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وهذه الآية الكريمة ، فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان ، بل لا يزال خائفا وجلا ، أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان ، وأن لا يزال داعيا بقوله : **(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)** ، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن ، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة)[١] .

أيها الأفاضل الكرام ، علينا أن نحمد ربنا سبحانه وخالقنا عز وجل ، الذي حلمه وسع السماوات والأرض ، حيث أمهلنا جميعا لنتوب ولم يعاجلنا سبحانه بالعقوبة إذا عصيناه ، ولو شاء لأخذنا بذنوبنا فور صدورها منا .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وسبحان الحليم ، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، بل يعافيهم ويرزقهم ، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم)[٢] .

وعلينا أن نحذر أشد الحذر من الإصرار على المعاصي والتهاون فيها مهما كان حجمها ، فالذنوب مهما كانت فإن ثمارها سيئة وعواقبها وخيمة على أصحابها ، وقد حذرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم من استصغارها ، الذي يولد بعد ذلك الاستهتار بها ، فقال صلى الله عليه وسلم : **(إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ ، حتى انضجوا خُبْزَتَهُمْ ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ**

(١) تفسير السعدي (ص ٢٩٨) .

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٩٠) .

الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بها صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ)[١] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه ، وذلك علامة الهلاك فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله)[٢] .

وعلينا أن نبادر وفقكم الله ، إلى التوبة والاستغفار ، ونخشى أن نؤخذ بذنوبنا من العزيز الجبار ، لأن المؤمن هو الذي يخاف من ذنبه مهما كان حجمه والفاجر هو الذي لا يبالي مهما كان ذنبه ، ودخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في سياق الموت فقال : كيف تجدك؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : (**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنَه مما يخاف**)[٣] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا ، وأشار الراوي بيده فوق أنفه)[٤] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٨٩) .

(٢) الجواب الكافي (ص ٣٨) .

(٣) رواه ابن ماجة (٤٢٦١)من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥٩٤٩) .

قال ابن الجوزي ﷺ : (إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من العقوبة ، لأنه على يقين من الذنب ، وليس على يقين من المغفرة ، والفاجر قليل المعرفة بالله ، فلذلك قل خوفه فاستهان بالمعاصي)[١] .

اللهم إنا نعوذ بك من أمن مكرك ونسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تجنبنا الشرور وتجعلنا من أهل السرور يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى بقلب سليم ، فأنت سبحانك قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٢٨٧) .

(٢٥)

لسانك إلى أين ؟!

لسانك إلى أين ؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد خلق الباري ﷻ العبد في أحسن صورة وأعدل قامة فجعله أحسن المخلوقات هيئة ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[التين : ٤] .

قال ابن العربي رحمه الله : (ليس لله تعالى خلقٌ هو أحسن من الإنسان فإن الله خلقه حيًّا عالمًا ، قادرًا مريدًا متكلمًا ، سميعًا بصيرًا ، مدبرًا حكيمًا)[١] .

فتفضل ﷻ على عبده بعد أن خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ومن ذلك نعمة الجوارح كالسمع والبصر والنطق وغير ذلك من الأعضاء التي أنعم بها الباري سبحانه على الإنسان .

ومن أجل هذه الأعضاء وأكثرها تأثيرا على حياة العبد ، جارحة إذا استقامت تبعتها باقي الجوارح فاعتدلت وكان لصاحبها بذلك الخير والسعادة ،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤١٥) .

وإذا مالت وفسدت انحرفت بسببها باقي الجوارح ، فكان لصاحبها بذلك الشر والشقاوة ، فهي مع صغر حجمها قد تنفع صاحبها أو قد تضره ، فإذا سخرت في فعل الطاعات والزيادة من الخيرات سيكون صاحبها من أولياء الرحمن ، فيفوز بعون المنان بالجنان ، وقد تضيع في المعاصي والمنكرات فيكون صاحبها من أولياء الشيطان فيبوء بالخسران والحرمان ألا وهي جارحة اللسان .

يقول ﷺ : (**من يَضْمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ له الْجَنَّةَ**)[١] .

قال ابن بطال رحمه الله : (دل بهذا الحديث أن أعظم البلاء على العبد في الدنيا اللسان والفرج ، فمن وقى شرهما فقد وقى أعظم الشر)[٢] .

أيها الأحبة الكرام إن مما يجب على كل مسلم أن يستعمل لسانه في زيادة الإيمان وذلك بطاعة الرحمن وذكر الباري سبحانه في كل الأحيان ، وقراءة القرآن ، وعليه أن يحفظه من العصيان ولا يطلق له العنان في الغيبة والنميمة والكذب والبهتان فيجعله من جند الشيطان فيؤدي به إلى المهالك ويجره إلى النيران فيحصد عندئذ ما نطق به اللسان ، قال ﷺ : (**وَهَلْ يَكُبُّ الناس في**

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٨٦) .

النَّارِ على وُجُوهِهِمْ ، أو على مَنَاخِرِهِمْ ، إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)[١] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته ، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شرًا من قول أو عمل حصد غدًا الندامة ، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم ، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله ﷻ ، ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله ﷻ ، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر ، كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها)[٢] .

قال الإمام أبو حاتم بن حبان رحمه الله : (لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه)[٣] .

أيها الأفاضل إن المؤمن هو الذي لا يترك المجال للسانه بالتحدث قبل

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٧٤) .

(٣) روضة العقلاء (ص٤٩) .

أن يفكر في الشيء الذي سيقوله ، هل فيه نفع وخير له ولغيره؟ أم فيه ضر وشر ! ، لأنه يعلم ما يصدر منه ولو كان يسيرا سيكتب عليه وسيسأل عنه يوم القيامة ، ويعلم أن الكلمة اليسيرة قد تنفعه يوم القيامة إذا كانت في مرضاة الله تعالى فترفعه درجات ، وقد تضره إذا كانت في سخطه سبحانه فتهوي به دركات ، فعن عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لها بَالًا يرفع الله بها دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ من سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لها بَالًا يهوى بها في جَهَنَّمَ**)[١] .

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ : (إن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ويعني كلمة ترضي الله ، قرآن ، تسبيح ، تكبير ، تهليل ، أمر بالمعروف ، نهي عن المنكر ، تعليم علم ، إصلاح ذات البين ، وما أشبه ذلك ، يتكلم بالكلمة ترضي الله ﷻ ولا يلقي لها بالًا ، يعني أنه لا يظن أنها تبلغ به ما بلغ ، وإلا فهو قد درسها وعرفها وألقى لها البال ، لكن لا يظن أن تبلغ ما بلغت يرفع الله له بها درجات في الجنة ، وعلى ذلك رجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالًا يهوي بها في النار ، لأنه تكلم بها ولا ظن أن تبلغ ما بلغت)[٢] .

قال الإمام النووي ﷺ : (اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه

---

(١) رواه البخاري (٦١١٣) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٢٠) .

في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير أو غالب في العادة والسلامة لا يعدلها شيء)[١] .

فعلينا أيها - الأحبة الكرام - أن نؤدي شكر هذه الجارحة ونستعملها فيما ينفع ويزيد في الإيمان ، ونتعاهدها بالنصح والتوجيه لتكون لنا سببا في الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة والله تعالى هو المستعان ، وأن نحذر من جعلها سببا في العصيان والطغيان وعونا للشيطان فنبوء بالخذلان وغضب الرحمن ، نسأل العفو والعافية من المنان .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يشغلنا بذكره وطاعته ويطهر ألسنتنا من الكذب والنميمة والغيبة ومن كل ما يغضبه ويسخطه فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) الأذكار (ص ٢٦٢) .

(٢٦)

نِعِمُ اللّه ﷻ

بين الشكور والكفور !!

نِعَمُ اللّٰه ﷻ بين الشكور والكفور!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن نعم الله ﷻ التي أكرم بها عباده قد تنوعت وتعددت ، ولا يمكن لأي مخلوق مهما كان أن يحصيها ، ولا يحصرها ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النحل : ١٨-١٩]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ : (عددًا مجردًا عن الشكر ﴿ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ : فضلا عن كونكم تشكرونها ، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات من جميع أصناف النعم ، مما يعرف العباد ، ومما لا يعرفون ، وما يدفع عنهم من النقم ، فأكثر من أن تحصى .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ : يرضى منكم باليسير من الشكر ، مع إنعامه الكثير ، وكما أن رحمته واسعة ، وجوده عميم ، ومغفرته شاملة للعباد ،

فعلمه محيط بهم)[١] .

أيها الأحبة ، لقد أخبرنا ربنا سبحانه المنان أن دوام هذه النعم وزيادتها يكون بالشكر والإيمان ، لا بجحودها والعصيان ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) أي : لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها(**ولئن كفرتم**)أي : كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) : وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها)[٢] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات ، أن يقابلوا نعم الله بالشكر ، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله ، وأن يحذروا كفران النعم)[٣] .

لكن شكرها لا يكون فقط باللسان! كما يظن بعض الجهال! ، بل لابد أن يكون كذلك بالقلب والأركان .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٣٧) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٤) .
(٣) أضواء البيان (٩/ ١١٢) .

نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافا وعلى قلبه : شهودا ومحبة وعلى جوارحه : انقيادا وطاعة ، والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وأن لا يستعملها فيما يكره . فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها ، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة ، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور)[١] .

أيها الأفاضل الكرام ، لقد توسعت علينا الدنيا الفانية في هذا الزمان مقارنة بمن سبقنا من الأهل والأصحاب والإخوان ، فكثرت أسباب الراحة وزادت وسائل الاطمئنان ، فانقسم الناس تجاه هذه النعم قسمان :

قسم شكروا عليها رب البريات ، فاستعملوها في الطاعات واستعانوا بها على الخيرات .

وآخرون جحدوها واستغلوها في ارتكاب المعاصي والتجرؤ على المحرمات! فأغضبوا رب الأرض والسموات .

وهؤلاء تناسوا! أن عاقبة جحد النعم وخيمة وأخطارها جسيمة ، وأنه متى بُدل الشكران بالكفران وانتهكت محارم المنان ، كان ذلك نذير شؤم وخسران على أهل العصيان ، إذا لم يسارعوا بالتوبة والاستغفار من الرحمن ،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤) .

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وهذه القرية هي : مكة المشرفة ، التي كانت آمنة مطمئنة ، لا يهاج فيها أحد ، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنعرة العربية ، فحصل لها في مكة من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع ،كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر ، ولكن يسر الله لها الرزق ، يأتيها من كل مكان ، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه ، يدعوهم إلى أكمل الأمور ، وينهاهم عن الأمور السيئة ، فكذبوه ، وكفروا بنعمة الله عليهم ، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه ، وألبسهم ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ﴾ الذي هو ضد الرغد ، ﴿وَٱلْخَوْفِ ﴾ الذي هو ضد الأمن ، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم ، وعدم شكرهم)[1] .

إن الناظر من أهل التقوى في حال المسلمين اليوم في كثير من البلدان - إلا من رحم الرحمن- ليرى أن المحرمات من البدع والمنكرات أصبحت ظاهرة بينهم للعيان ، وأن كثيرًا منهم أصبح عندهم تساهل ومجاهرة

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥١) .

بالعصيان! حتى صاروا من جنود الشيطان! يستعملهم في نشر الفساد ومضايقة أهل الصلاح والإيمان ، والله المستعان .

إننا والله - أيها الكرام - لنخشى أن يكون ما نحن فيه من الأمان في الأوطان والسعة في الرزق والصحة في الأبدان بعد انتشار الفجور بيننا وكثرة العصيان ما هو إلا نوع من الاستدراج الذي حذر منه رسول العزيز العلام ، حيث قال ﷺ : **(إذا رَأَيْتَ اللهِ يعطي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا على مَعَاصِيهِ ما يُحِبُّ فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ)**[(١)] .

الاستدراج الذي انخدع به من كان قبلنا! فغرتهم الأماني وأعجبتهم أنفسهم ، فأخذهم رب العزة ﷻ بذنوبهم ، فتركهم لنا عبرة وعظة! ، قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي : أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ : أي : فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم عياذا بالله من مكره ولهذا قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ : أي : من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ أي : على غفلة ﴿ فَإِذَا هُم

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٤٥)من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤١٣)

مُّبْلِسُونَ ﴾ أي : آيسون من كل خير)[١] .

أيها الأفاضل ، إن مما يجب علينا أن نعلمه أن نفع شكرنا لربنا ﷻ على أي شيء أنعم به علينا هو راجع إلينا وحدنا ، وذلك ليزيدنا سبحانه من فضله ويبارك لنا فيما رزقنا ، لا له ﷻ ، لأنه ﷻ هو المتكرم علينا والغني عنا ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان : ١٢].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : (﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾: لأن نفع ذلك راجع إليه وفائدته حاصلة له ، إذ به تستبقى النعمة وبسببه يستجلب المزيد لها من الله سبحانه ،﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ : أي : من جعل كفر النعم مكان شكرها ، فإن الله غنى عن شكره غير محتاج إليه ، حميد مستحق للحمد من خلقه لإنعامه عليهم بنعمه التي لا يحاط بقدرها ولا يحصر عددها ، وإن لم يحمده أحد من خلقه ، فإن كل موجود ناطق بحمده بلسان الحال)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين والذاكرين له في كل وقت وحين ، فهو سبحانه المتفضل على عباده أجمعين ، وهو إله الأولين والآخرين وولي الصالحين .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٣) .

(٢) فتح القدير (٤/ ٢٣٧) .

(٢٧)

إياك والتبذير أيها المسلم !

إياك والتبذير أيها المسلم !

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن مما يجب على العبد المسلم تجاه نعم الله ﷻ عليه التي لا تعد ولا تحصى ، كنعمة المال أن يقوم بشكرها وذلك باستغلالها فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، وعليه أن يحذر من وضعها في غير محلها كاستعمال المال في فعل المنكرات أو نشر المحرمات ، وليحذر كذلك أيضًا من تبذيره وإسرافه ومن البخل به والتعلق به ، فلا إفراط ولا تفريط ولا انحراف به عن الوجه المشروع .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وانحراف الإنسان في ماله وذلك بأحد أمرين : إما أن ينفقه في الباطل ، الذي لا يجدي عليه نفعا ، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض ، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله وإخراجها للصد عن سبيل الله ، وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات)[1] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٣٣٦) .

أيها الأحبة الكرام ، إننا سنقف يوم القيامة أمام خالقنا ﷻ ويسألنا عن كل أعمالنا صغيرة كانت أو كبيرة ، فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ ، عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أبلاه)**[1] .

أيها الأفاضل ، إن مما يُحزن كل مؤمن غيور على دينه محب لجميع إخوانه المسلمين ما يراه ويسمعه من الأمراض التي حلت بخير الأمم ، أدت بها إلى التشتت والضعف وتسلط الأعداء عليها ، ومن أخطر هذه الأمراض وأفتكها ، تركهم الرجوع إلى كتاب الله ﷻ وابتعادهم عن سنة نبيهم ﷺ ، إضافة إلى انتشار البدع والمحدثات والشهوات بينهم وغير ذلك من المنكرات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الأمراض التي فشت وانتشرت بين بعض أفراد الأمة الإسلامية خاصة بين أغنيائها وقد حذرنا منها ﷺ تضييع المال فيما لا يعود نفعه لا في أمور الدين ولا في الدنيا ، فعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : قال رسول ﷺ : **(إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وقال وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)**[2] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٠) ومسلم (٥٩٣) و اللفظ له .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (وأما إضاعة المال فيكون من وجوه أمهاتها **أربعة** :

أحدهما : أن يتركه من غير حفظ له فيضيع .

والثاني : أن يتلفه إما بتركه إذا كان طعاما حتى يفسد ، أو يرميه إن كان يسيرا كبرا عن تناول القليل ، أو بأن يرضى بالغبن ، أو بأن ينفق في البناء واللباس والمطعم ما هو إسراف .

والثالث : أن ينفقه في المعاصي ، فهذا تضييع من حيث المعنى .

والرابع : أن يسلم مال نفسه إلى الخائن ، أو مال اليتيم إليه إذا بلغ مع علمه بتبذيره)[1] .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (كره وحرم ليس بينهما فرق ؛ لأن الكراهة في لسان الشارع معناها التحريم ... ، وأما إضاعة المال فهو بذله في غير فائدة لا دينية ولا دنيوية ؛ لأن هذا أيضًا إضاعة له لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] . فالمال قيام للناس ؛ تقوم به مصالح دينهم ودنياهم ، فإذا بذله الإنسان في غير ذلك فهذا إضاعة له ، وأقبح من ذلك أن يبذله في محرم ، فيرتكب في هذا محظورين :

المحظور الأول : إضاعة المال .

---

(١) كشف مشكل الصحيحين (٤/ ١٠٢) .

والمحظور الثاني : ارتكاب المحرم .

فالأموال يجب أن يحافظ عليها الإنسان ، وألا يضعها وألا يبذلها إلا فيما فيه مصلحة له دينية أو دنيوية)[١] .

ومن التبذير ما نراه ونسمعه من مجاوزة الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس والمركب وغير ذلك من أمور الدنيا الفانية اليوم من بعض الأفراد ، حتى أصبح مآل كثير من الأطعمة إلى النفايات والقمامات ، وإخوانهم في كثير من البلدان الإسلامية لا يجدون ما يأكلونه ولا يشربونه ولا يلبسونه ، ولا ما يقضون به الحاجيات ، والله المستعان .

إن التبذير – أيها الكرام – هو معصية للمنان وطاعة للشيطان الذي هو عدو للرحمن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ : أي : في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ، ولهذا قال : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ : أي : جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته) [٢] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢١١- ٢١٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٨) .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : (لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة ، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك ، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير ، والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ، ويمدح عليه ، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار)[١] .

أيها المضيع لمالك في غير وجه حق ، اعلم هداك الله أن التبذير هو من أسباب محق البركات وزوال النعم والخيرات ، لأنك لم تشكر الباري سبحانه بوضع مالك في مكانه الصحيح ، فعليك وفقك الله أن تتوب إلى الله ﷻ وتحافظ وتشكر نعمة الله عليك وتستغلها فيما يعود نفعه عليك في الدنيا والآخرة ، وتجانب المبذرين الجاهلين .

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله : (ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها ، فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وما يقرب منه تعالى)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم أيها الأحبة التوسط والقصد في أمورنا كلها ويوفقنا لكل ما كان لنا فيه النجاح والفلاح ، ويجنبنا التبذير والإسراف والبخل ويبعدنا عن كل ما كان فيه الخسران والحرمان ، فهو سبحانه الرحمن وعلى عباده المنان .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٦) .

(٢) البحر المحيط (٦ / ٢٧) .

(٢٨)

الأسباب المعينات

على تحقيق اللذة في الطاعات

الأسباب المعينات
على تحقيق اللذة في الطاعات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد تذوق من كان قبلنا من الصالحين طعم العبادة فاطمأنت قلوبهم عند قيامهم بالطاعات واستراحت نفوسهم عند إتيانهم بالعبادات ، فهذا نبينا ﷺ يقول لبلال رضي الله عنه : **(يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)**[١] .

قال ابن الأثير رحمه الله : (أذن بالصلاة نسترح بأدائها من شغل القلب بها)[٢] .

وكان يقول ﷺ : **(وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)**[٣] .

قال الحافظ المناوي رحمه الله : (لأنه كان حالة كونه فيها مجموع الهم على

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥)من حديث رجل من خزاعة ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٧٤) .

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)** ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله .

مطالعة جلال الله وصفاته فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه)[١] .

وهذا معاذ بن جبل ﷺ يقول لما حضره الموت : (اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر)[٢] .

وقال أحد السلف ﷺ : (مساكين أهل الدنيا! خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ! قيل : وما أطيب ما فيها؟ قال : محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته)[٣] .

ويقول الإمام ابن القيم ﷺ واصفًا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع

---

(١) فيض القدير (٣/ ٣٤٨) .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٣٩) .

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٧٢) .

كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة)[١] .

أيها الأحبة الكرام ، قد حل بكثير منا في هذا الزمان بأن حرمنا اللذة أثناء تعبدنا لله ﷻ ، فالواحد منا يصلي ويصوم ويتصدق ويطلب العلم ويفعل غير ذلك من العبادات لكنه لا يجد في قلبه حلاوة لهذه الطاعات! .

كلٌ منا يطرح على نفسه هذا السؤال ؟ أين اللذة في العبادة؟! لماذا لا نشعر بها ؟! ما سبب فقدها والحرمان منها ؟! .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه ، فإن الرب تعالى شكور ، يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين ، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول ، والقصد : أن السرور بالله وقربه وقرة العين به تبعث على الازدياد من طاعته وتحث على الجد في السير إليه)[٢] .

إن لذة الطاعة وطعم العبادة أيها الكرام لا تشترى بالمال ، ولا تتحقق بتوفر سبل الراحة في هذه الدنيا الفانية ، وإنما يجدها العبد الأواب بتوفيق العزيز الوهاب ، وسعيه لتحقيق ما يعين على ذلك من الأسباب .

---

(١) الوابل الصيب (ص٧٠) .

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٦٨) .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه ، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه ، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه ، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا)[١] .

نعم من حقق الأسباب بعد توفيق الرب ﷻ الوهاب فإنه سيجد في قلبه بعون رب البريات أثرا للعبادات ولذة في القربات :

١ - **أول هذه الأسباب** - أيها الأحباب - علينا أن نكثر من دعاء الرب ﷻ دائما أن يوفقنا لفعل ما يحبه سبحانه ويرضاه ويتكرم علينا بالتلذذ في ذلك ، وأن يبعدنا عن كل ما يكرهه ويسخطه ويتفضل علينا ببغض ذلك ، لأنه سبحانه هو الذي أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة ، حيث قال ﷻ : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة)[٢] .

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٦٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٣) .

٢- ومن أهم هذه الأسباب ، الإخلاص في عبادة الله ﷻ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (فمن كان مخلصا في أعمال الدين يعملها لله ، كان من أولياء الله المتقين أهل النعيم المقيم ، كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس : ٦٢-٦٤])[1] .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : (الإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك)[2] .

وتحقيق متابعة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا ، فإن العبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه الرب ﷻ ، وعلى سنة رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨) .

(٢) الفوائد (ص١٦٤) .

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠])[١] .

٣- ومن الأسباب كذلك المهمة ، مجاهدة النفس على فعل الطاعات والتزود من الخيرات ، حتى وإن وجدت مشقة عند الإتيان بها ، فعلينا أن نتحمل ونتذكر ما عند الله ﷻ من نعيم مقيم ، و نعلم أن هذا النعيم لا يدرك بالراحة والكسل ! ، وإنما بالجد والصبر والاجتهاد .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب ، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة ، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا همَّ له ، ولا لذة لمن لا صبر له ولا نعيم لمن لا شقاء له ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا ، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد ، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة ، والله المستعان ، ولا قوة إلا بالله)[٢] .

وأيضا البعد عن المحرمات التي هي سبب كل وباء ومصدر كل شقاء ومن أقوى الأسباب المانعة من وجود حلاوة الطاعات ولذة العبادات .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢ / ١٥) .

سُئِلَ وهيب بن الورد المكي (ت١٥٣هـ) رحمه الله : (أيجد لذة الطاعة من يعصي؟ قال : (ولا من همَّ -أي بالمعصية-)[١] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (ومنها أنه يحرم - أي العاصي - حلاوة الطاعة ، فإذا فعلها لم يجد أثرها في قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الإيمان والعقل والرغبة في الآخرة ، فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولابد)[٢] .

وعلينا أن نكثر من ذكر الله ﷻ وقراءة القرآن مع تدبر معانيه في كل وقت وحين ، لأن بذكره ﷻ تنشرح الصدور وتحيا النفوس وتذاب القسوة عن القلوب ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره -سبحانه- ، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته ، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له ، يكون ذكرها له ، هذا على القول بأن ذكر الله ، ذكر العبد لربه ، من تسبيح ، وتهليل ، وتكبير وغير ذلك)[٣] .

---

(١) صيد الخاطر (ص٦٦) .

(٢) طريق الهجرتين (ص٤١١) .

(٣) تفسير السعدي (ص ٤١٧) .

فهذه - أيها الأحباب - أهم الأسباب التي علينا أن نسعى دائما في تحقيقها والصبر عليها إذا أردنا التلذذ بالطاعات وتذوق طعم العبادات التي أمرنا بها رب الأرض والسموات .

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن لا يحرمنا اللذات عند إتياننا بالطاعات وحرصنا على الخيرات فهو سبحانه قريب مجيب سميع الدعوات .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٢٩)

أيهما تريد أيها المسلم ؟

أيهما تريد أيها المسلم ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن كل مخلوق – أيها الأحبة الأفاضل – مهما طال عمره وامتد أجله ، الموت نازل بساحته ، والفناء لاحق به في أي مكان كان ولو تحصن وبذل الجهد للفرار منه! ، قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء : ٧٨]

قال الإمام الطبري رحمه الله : (فإن الموت بإزائكم أين كنتم وواصل إلى أنفسكم حيث كنتم ، ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة)[١] .

ولو جعل الله ﷻ البقاء لأحد لكان لأنبيائه المطهرين وعباده الصالحين ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

فالموت – أيها الكرام – لا يخشى أحدًا ولا يُبقي على أحد ، ولا يُفرق بين

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٢) .

أحد، لا يعرف صديقا، ولا يميز بين كبير ولا صغير، ولا صحيح ولا سقيم، فهو نازل بهم كلهم، ولو طال بهم المدى وعمَّروا سنينا.

قال ابن الجوزي رحمه الله: (يجب على من لا يدري متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان)[١].

فلا مرد للموت الواقع من دافع، ولا ينفع في تأخيره شافع، يحاول الإنسان أن يبتعد عنه ويهرب منه! ، لكنه لا محالة ملاقيه ولكأسه ساقيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[الجمعة: ٨].

أيها الأحبة، لقد شاء الباري جل جلاله لحكمة منه أن لا يجعل للعبد مهما كان! قدرةً ولا علما كيف يختم له، وإن كانت أوقاته يقضيها في الصالحات أو يضيعها في المحرمات، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إن الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى الناس عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى الناس عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وهو من أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا)**[٢].

قال ابن بطال رحمه الله: (في تغييب الله عن عباده خواتيم أعمالهم حكمة بالغة

---

(١) صيد الخاطر (ص ٦٣).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم (١١٢).

وتدبير لطيف ، وذلك أنه لو علم أحد خاتمة عمله لدخل الإعجاب والكسل من علم أنه يختم له بالإيمان ، ومن علم أنه يختم له بالكفر يزداد غيًا وطغيانًا وكفرًا فاستأثر الله تعالى بعلم ذلك ليكون العباد بين خوف ورجاء ، فلا يعجب المطيع لله بعمله ولا ييأس العاصي من رحمته ، ليقع الكل تحت الذل والخضوع لله والافتقار إليه)[١] .

لكن الموت عند نزوله بساحة الخلق لا يجدهم سواء ، وهذا من عدل الحكيم العليم ﷻ الذي لا يظلم أحدا من خلقه .

فالقسم الأول : من تأتيه منيته وهو بعيد بفضل الله تعالى عن المنكرات مقبل على الطاعات مخلص في أعماله لرب البريات .

فعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**) ، فقيل كيف يَستعمله يا رسول الله؟ قال : (**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قبل الْمَوْتِ**)[٢] .

قال الملا علي قاري ﷺ : (أي حتى يموت على التوبة والعبادة ، فيكون له حسن الخاتمة)[٣] .

وعن حذيفة ﷺ **قال** : أَسْنَدْتُ النبي ﷺ إلى صدري فقال : (**من قال** :

---

(١) شرح صحيح البخاري (١٠ / ٢٠٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٢) ، وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

(٣) مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٧١) .

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ له بها دخل الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ له بها دخل الْجَنَّةَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ له بها دخل الْجَنَّةَ)[١] .

فيوفقهم خالقهم سبحانه إلى نطق الشهادتين قبل موتهم ، ومن ختم لهم بذلك كان نصيبهم الجنان بإذن الرحمن ، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(من كان آخرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إلا الله دخل الْجَنَّةَ)**[٢] .

ويجمع الله ﷻ في قلوبهم بين الرجاء في عفوه ومغفرته سبحانه ، وبين والخوف أن يعذبهم ﷻ على ما قدمت أيديهم من الذنوب والمعاصي .

فعن أنس ﷺ قال : دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في سياق الموت فقال : **(كيف تجدك؟)** ، فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : **(لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنَه مما يخاف)**[٣] .

وأما القسم الثاني من الناس : فهم الذين غرتهم الحياة الفانية فألهتم عن ذكر الله ﷻ بزخرفها الزائل ، فنسوا الحساب يوم يقفون بين يدي الله ﷻ شديد العقاب ، فتركوا الواجبات وتعدوا على المحرمات ، وجاهروا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥ / ٣٩١) وصححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥) .

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

(٣) رواه ابن ماجة (٤٢٦١) ، وحسنه العلامة الألباني ﷺ .

بالمنكرات وانتهكوا الحرمات ، فجاءهم الموت وهم في غفلة قبل التوبة ، فساءت والعياذ بالله خاتمتهم .

قال عبد الحق الاشبيلي ﷺ (ت٥٨١ هـ) : (وَاعْلَم أَن سوء الخاتمة أعاذنا الله منْها لا يكون لمن استقام ظَاهره وَصلح بَاطِنه ، وَإِنَّمَا يكون ذَلِك لمن كان له فساد فِي الْعقل وإصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ويثب عليه قبل الإنابة ويأخذه قبل إصلاح الطوية ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة ، والعياذ بالله)[١] .

وقال الإمام ابن رجب ﷺ : (خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك ، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت)[٢] .

فخذلتهم الذنوب والمعاصي والشهوات عندما جاءهم ملك الموت المرسل من رب الأرض والسماوات ، وحلت بهم المنيَّات .

قال الإمام ابن كثير ﷺ : (إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف

---

(١) العاقبة في ذكر الموت (ص ١٨٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٥٧) .

الإيمان فيقع في سوء الخاتمة، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩])[١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾: يزين له الباطل ويقبح له الحق ويعده الأماني ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه حين قضي الأمر وفرغ الله من حساب الخلق ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان، وليتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، وليوال من ولايته فيها سعادته، وليعاد من تنفعه عداوته وتضره صداقته، والله الموفق)[٢].

فعلينا أيها الكرام بعد أن عرفنا أن الناس ليسوا سواء عند نزول المنية بهم، أن نسأل الله ﷻ في كل وقت وحين أن يختم لنا بالأعمال الصالحة التي تنفعنا بإذنه سبحانه يوم نلقاه، ولنبذل الأسباب المعينة على ذلك من فعل الطاعات والتزود من الخيرات، وإصلاح الباطن والظاهر، والتوبة والغفران قبل فوات الأوان، لأن الروح إذا بلغت الحلقوم فلا تنفع عندئذ توبة ولا

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ١٦٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٨٢).

تجزي أوبة ، قال ﷺ : (إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ما لم يُغَرْغِرْ)[١] .

قال المباركفوري رحمه الله : (أي ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم ، يعني : ما لم يتيقن بالموت ، فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يعتد بها)[٢] .

ولنتذكر الموت وسكرته والقبر وضمته ولنتيقن بأن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت فهي قصيرة .

وصدق الإمام ابن القيم رحمه الله **إذ قال في وصيته** : (اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة ، والثمن موجود والبضائع رخيصة ، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن : ٩] ، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان : ٢٧])[٣] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم أيها الكرام لحسن الختام ، فهو سبحانه العزيز القادر العلام .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٧)من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٦٥) .

(٣) الفوائد (ص ٤٩) .

(٣٠)

لماذا الكسل عند العمل بالسنة؟!

والاجتهاد عند العمل بالبدعة؟!

لماذا الكسل عند العمل بالسنة؟!
والاجتهاد عند العمل بالبدعة؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن المتأمل في حال كثير من المسلمين اليوم - إلا من رحم الله- أيها الأحبة يجد منهم التهاون والتكاسل في تطبيق السنة ونشرها بين الناس بل قد يكون ذلك حتى فيما هو واجب عليهم ، لكن ومع هذا وللأسف نرى منهم تحمسا شديدا في العمل بالبدع والحرص على الإتيان بها! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ألم يدرك هؤلاء! أن من عواقب البدع والمحدثات هجر وإماتة السنن بين الناس .

قال عبد الله بن عباس ﷺ: (ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن)[1] .

---

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٩٢) .

ألم يعلموا! أن صنيعهم هذا هو أحب إلى إبليس اللعين من معصية رب العالمين .

قال سفيان الثوري رحمه الله : (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)[١] .

فالشيطان الرجيم - أيها الكرام - يسعى بكل الطرق وشتى الوسائل لإبعاد الخلق عن الطريق المستقيم ، وذلك إما بتزهيدهم في السنن والطاعات ، أو بتزيين البدع لهم والمنكرات ، فهو لا يبالي بأيهما فاز وظفر ، لأن المهم عنده هو إبعاد الناس عن الدين القويم وعصيانهم لربهم العظيم .

قال ابن القيم رحمه الله : (قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه **نزغتان** : إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلو ، ولا يبالي بأيهما ظفر)[٢] .

ألم يعوا !أن بدعهم مردودة عليهم وأن ديننا الحنيف منها براء ، قال رسول الله ﷺ : (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[٣] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ، ولم

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦) .

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١١٦) .

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ..

يكن له أصل من الدين يرجع إليه ، فالدين بريء منه)[١] .

وأن كلها انحراف وضلال وإن استحسنوها وقبلها منهم بعض الجهلة من الناس! .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[٢] .

إن المحدثين في الدين أيها الكرام يظنون أن حبهم الشديد للبدع واجتهادهم والحرص عليها هو الذي يقربهم من الله ﷻ ، وأنساهم الشيطان اللعين أن ذلك في الحقيقة ما يزيدهم إلا بعدا عن الباري ﷻ ، قال سبحانه : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم : ٣٢] .

قال الإمام الطبري رحمه الله : (أي : (كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول : بما هم به متمسكون من المذهب فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم)[٣] .

قال أيوب السختياني رحمه الله : (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا)[٤] .

---

(١) جامع العلوم و الحكم (٢/ ١٢٨) .

(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٩) .

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣) .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩) .

فيا من ابتليت بالعمل بالمحدثات ودعوة الناس إلى البدع والخرافات اعلم أنك تزعم بفعلك هذا الشنيع أن ديننا العظيم لم يُكمِّله ربنا العزيز الحكيم! وأن نبينا ﷺ الكريم لم يؤدي كل الرسالة! ولم يبلغ كل الأمانة! فاحتاج الناس لإحداثك ومنكراتك! حتى يكتمل الدين! .

قال إمام دار الهجرة مالك رحمه الله : (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ دينا ؛ فلا يكون اليوم دينا)[١] .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!إن كان من الدين في اعتقادهم ؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم ! وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين ؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين ؟! .

وهذه حجة قاهرة ، ودليل عظيم ، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدا ، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي ، وترغم به آنافهم ، وتدحض به حججهم)[٢] .

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٤) .

(٢) القول المفيد في أدلة الاجتهاد و التقليد (ص٣٨) .

إن الذي يجب علينا أيها الأفاضل أن نعرض كل عمل رأيناه أو سمعنا به على السنة الصحيحة الثابتة عن المصطفى ﷺ ، فما وافقها أخذناه وما خالفها طرحناه ، ولنحذر أشد الحذر من أن ندع للشيطان مدخلا يُلبس به علينا ، فيجعلنا نغتر ونتأثر بشدة تمسك أهل الأهواء ببدعهم! بحجة أنهم أهل خير وصلاح ، فالعبرة كل العبرة والشرف كل الشرف والصلاح كل الصلاح والخير كل الخير بالتمسك بالسنة والعمل بها ودعوة الناس إليها في كل وقت وحين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (قال الأئمة : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشى على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي ، ولهذا يوجد كثير من الناس يطير في الهواء وتكون الشياطين هي التي تحمله) ![1] .

إن سلفنا الصالح رحمهم الله علموا أن بعض الناس قد يلبس عليهم الشيطان فيغتروا بالبدع عندما يروا أصحابها مجتهدين فيها متمسكين بها ، فحذروا من ذلك ونصحوا الناس وبينوا لهم أن العمل القليل في السنة خير من العمل الكثير في البدعة ، وأن خير الأعمال ما وافق السنة .

فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في بدعة)[2] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨٣) .

(٢) السنة للمروزي (ص٣٠) .

ويقول أبي بن كعب ﷺ : (إن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم)[١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق حتى يكون العمل كل ما كان أشق كان أفضل كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء ، لا ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله ، فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة ، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل)[٢] .

فعلينا - يا أيها الأفاضل - أن نبين للناس الدين الصافي ونحثهم على التمسك بالسنن والاجتهاد عند العمل بها ، وأن نبين لهم أنهم لابد عليهم أن يرجعوا في أمور دينهم إلى أهل الحق والإتباع ، فإن في ذلك النجاح والفلاح ، وأن نحذرهم من شرور البدع وننفرهم منها ومن القرب من أهل الشر والابتداع فإن مجالستهم والأخذ عنهم معصية للرحمن وعاقبة ذلك

---

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٥٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨١) .

الخسران والحرمان .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينشر السنة بين المسلمين ويرفع رايتها ويعزَّ في كل مكان وزمان أهلها وأن يخمد البدع بينهم وينكس رايتها ويهدي أهلها ، فإنه سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٣١)

تحذير المسلمين
من الظن السيء بالآخرين!

تحذير المسلمين
من الظن السيء بالآخرين!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن وسائل وطرق الشيطان اللعين للإفساد بين المسلمين وتفريق شملهم كثيرة ، ومن أهم ما يلجأ إليه ويعتمد عليه في نشر العداوة والبغضاء وقطع أواصل المحبة بينهم والإخاء ، وهو أن يجعل بعضهم يتهم بعضا بلا بينة ولا برهان ، وذلك بأن يقذف بينهم أكذب الحديث ، الذي هو مجرد توهم وخيال لا حقيقة له في واقع الحال .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله)[1] .

لقد نهانا ربنا ﷻ أيها الأفاضل عن سوء الظن لما فيه من ظلم وتعدي على الآخرين بغير وجه حق ، فقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٣) .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (نهى الله ﷻ عن كثير من الظن السيء بالمؤمنين ، حيث قال : ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة ، فإن بقاء ظن السوء بالقلب ، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك ، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي ويفعل ما لا ينبغي ، وفي ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلافها منه)[١] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وليس كل الظن إثما ، فالظن المبني على قرائن تكاد تكون كاليقين لا بأس به ، وأما الظن الذي بمجرد الوهم فإن ذلك لا يجوز ، فلو فرضنا أن رجلا رأى مع رجل آخر امرأة ، والرجل هذا ظاهره العدالة ، فإنه لا يحل له أن يتهمه بأن هذه المرأة أجنبية منه ، لأن هذا من الظن الذي يأثم به الإنسان .

أما إذا كان لهذا الظن سبب شرعي فإنه لا بأس به ولا حرج على الإنسان أن يظنه ، والعلماء قالوا : يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة)[٢] .

وحذرنا منه كذلك نبينا ﷺ ، حيث قال : (**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث ...**)[٣] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٠١) .

(٢) فتاوى إسلامية (٤/ ٥٣٧) .

(٣) رواه البخاري (٤٨٤٩) ومسلم (٣٥٦٣) واللفظ له ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال القرطبي ﷺ : (الظن هنا وهو التهمة ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة التي لا سبب لها يوجبها ، كمن يُتَّهم بالفاحشة أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك)[١] .

قال الصنعاني ﷺ : (المراد بقوله ﷺ : **(إياكم والظنَّ)** سوء الظنِّ به تعالى ، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين وقوله : **(فإن الظن أكذب الحديث)** سماه حديثًا ؛ لأنَّه حديث النفس ، وإنما كان الظنُّ أكذب الحديث ؛ لأنَّ الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة ، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره . وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء ، فيخفى على السامع كونه كاذبًا بحسب الغالب ، فكان أكذب الحديث)[٢] .

إن لسوء الظن أيها الأحبة الكرام عواقب وخيمة وأخطار جسيمة تظهر على الظواهر بعد أن امتلأت به السرائر والبواطن ، فبسببه تقطعت صلة الأرحام وانتشرت العداوة والبغضاء بين الأهل والأقرباء! وبسببه كذلك تفرقت الأسر وتشتت الأبناء بعد أن كانوا يعيشون في محبة وإخاء !و انتشرت شائعات واتهمت نيات! وكم بسببه انتشر بين المسلمين التحاسد والشحناء بعد أن كانوا في ألفة وإخاء .

قال المهلب ﷺ : (التباغض والتحاسد أصلهما سوء الظن ، وذلك أن

---

(١) المفهم (٦/ ٥٣٤) .

(٢) سبل السلام (٤/ ١٩٠) .

المباغض والمحاسد يتأول أفعال من يبغضه ويحسده على أسوأ التأويل)[١] .

إن سوء الظن - أيها الأفاضل - يعاني من مرض فتاك في قلبه سيردي به إلى المهالك ويجعله يبوء بالخسران والحرمان إذا لم تتداركه رحمة المنان ويتخذ الأسباب الشرعية والأدوية الإيمانية التي بعون الوهاب يتخلص بها من هذا الداء العضال والمرض القتال ويوفق إلى الصواب ، ومن أهمها :

◉ **التوبة والاستغفار من رب العالمين في كل وقت وحين ،** فالتوبة هي فرض على الأعيان ولا يستغني عنها إنسان وإن كان عالي الشأن .

قال القرطبي رحمه الله : (واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين لقوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١])[٢] .

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : (فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة ، وهي الرجوع مما يكرهه الله ، ظاهرا وباطنا ، إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا ، ودل هذا ، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة ، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا ، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة)[٣] .

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٦١) .

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٩٠) .

(٣) تفسير السعدي (ص ٥٦٧) .

◉ **تطهير نفسه من كل الشوائب** ، وذلك بأن يكون قلبه تجاه إخوانه صافيًا من الحسد والغش والحقد وكل الأمراض التي تعصف به ، وإذا وقع في نفسك سوء ظن تجاه الأهل والإخوان فلتعلم أن هذا من الشيطان الذي يريد أن يوقعك في عمل أهل العصيان ويبعدك عن طاعة الرحمن .

قال الغزالي رحمه الله : (إذا وقع في قلبك ظن السوء فهو من وسوسة الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى : ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات : ٦] ، فلا يجوز تصديق إبليس فإن كان هناك قرينة تدلّ على فساد واحتمل خلافه لم تجز إساءة الظن)[١] .

◉ **أن لا يتسرع في الحكم على الآخرين** ، بل لا بد عليه أن يحمل ما يسمعه ويراه منهم على المحمل الحسن ما لم يتبين خلاف ذلك بالقرائن القوية والشواهد البينة .

قال الفاروق عمر رضي الله عنه : (لا يحل لامرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظنَّ بها سوءا ، وهو يجد لها في شيء من الخير مصدرا)[٢] .

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : (كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول

---

(١) الأذكار للنووي (ص ٢٧٤) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٢٠) .

الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد له في الخير محملا)[١] .

وقال الحارث المحاسبي رحمه الله : (احم القلب عن سوء الظن بحسن التأويل)[٢] .

وإذا رأى وتأكد أن هذه الأقوال والأفعال الصادرة من إخوانه مخالفة للشرع فعليه أن يؤدي ما يجب عليه تجاههم من النصح والبيان لا الهجر والقطعان ، ويراعي الحكمة والرفق في نصحه ، قال ﷺ : (**الدين النصيحة** (قيل لمن يا رسول الله؟ قال : (**لله ولكتابه ولرسوله لأئمة المسلمين وعامتهم**)[٣] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام)[٤] .

◉ **عليه دائما أن يهذب نفسه ويتهمها قبل الآخرين** ، لأنها أمارة بالسوء ، وهي مركب الشيطان التي منها يدخل على الإنسان قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

يقول الإمام الطبري رحمه الله : (إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ،

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٢٣) .

(٢) رسالة المسترشدين (ص٨٩) .

(٣) رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٤) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ٣٧) .

وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله)[١] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (ليظنَّ - أي العبد - السوء بنفسه التي هي مأوى كلِّ سوء ، ومنبع كلِّ شرٍّ ، المركبة على الجهل والظلم)[٢] .

◉ مصاحبة الأخيار والابتعاد عن الأشرار الذين ابتلوا بسوء الظن ، لأن الصحبة كالبيئة إما أن تكون نظيفة أو تكون ملوثة وهي مؤثرة في الإصلاح والإفساد .

قال المباركفوري رحمه الله : (الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده)[٣]

ويقول الإمام ابن حبان البستي رحمه الله : (الواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبًا ، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر)[٤] .

فهذه - أيها الأحباب - أهم الأسباب التي تعيننا بإذن رب الأرباب على التخلص من هذا المرض المشين والتغلب على إبليس اللعين بإذن أرحم الراحمين ، فعلينا أن نحرص عليها ونحث غيرنا على التمسك بها ونحذر أشد الحذر من أن نترك مدخلا للشيطان الذي يسعى جاهدا في أن يوقعنا في

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١) .

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٣٥) .

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٢) .

(٤) روضة العقلاء (ص١٠٠) .

العصيان وغضب الرحمن فنبوء بالخسران والحرمان .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يطهر قلوبنا جميعا من سوء الظن ومن كل الأمراض التي تفسده وتعصف به ، فهو سبحانه رب القلوب وعلام الغيوب .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٣٢)

أوقات المسلمين إلى أين ... ؟!

أوقات المسلمين إلى أين ... ؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن مما ابتلي به كثير من المسلمين اليوم أيها الأحبة الكرام هو عدم المبالاة في أين تنفق الأوقات! وأين تُنفق الساعات واللحظات! هل تعمر بالخير وطاعة الرحمن؟ أو تصرف في اتباع الهوى وطاعة الشيطان؟!! .

فنرى بعضهم مضيعا لوقته بين وسائل الاتصال الحديثة كشبكات التواصل – التويتر! والفيسبوك! والرسائل عبر الجوالات! وغيرها من وسائل الاتصال!– التي وللأسف لم يستغلها الكثير من شباب المسلمين سواء من الإناث أو من الذكور فيما ينفعهم! بل أصبحت داء عضالًا ومرضًا قتالًا ، هدّمت أخلاق الكثير وأفسدت قيمهم وتربيتهم الإسلامية! فشغلتهم عن ذكر الله ﷻ وعن الصلاة وغير ذلك من الواجبات ، إلى درجة أنهم أصبحوا من شدة التعلق بها يصعب عليهم مفارقتها لا في حلهم ولا في ترحالهم! !!

فبدل أن يستغلوها فيما ينفعهم وفي نشر الخير بين المسلمين! أصبحت

هذه الوسائل مصدر كل شقاء وسبب كل بلاء عند الكثير منهم!! ، والله المستعان .

والبعض الآخر وخاصة من الشباب غرقوا في ملذات أخرى ، وصرفتهم الشهوات عن طاعة رب البريات ، فأوقعتهم في المنكرات والمحرمات ، ومن هذه الملهيات داء هذا العصر ، ألا وهو كرة القدم[١] التي بدل أن تكون سببًا في نشر الخير والتسامح ووسيلة مباحة للترفيه ، أصبحت تعج بالمنكرات ككشف العورات وإضاعة الصلوات وغير ذلك من الواجبات ، وصارت مصدرا للشحناء والبغضاء والتعصب الذي جر حتى إلى الاقتتال من أجل هذا الفريق أو ذاك! ويزداد الألم ويشتد الحزن والحسرة عندما نرى أن هذه الفرق التي يتعصب لها من بلاد الكفار! .

فالغيور على دينه والحريص على المسلمين يتساءل في نفسه ، ألهذه الدرجة وصل الحال بكثير من أبنائنا؟!أين عقيدة الولاء والبراء؟ هل ماتت! أين الحب في الله والبغض في الله؟! أمحي! من القلوب؟! .

إن الكثير من أبنائنا اليوم أصبحت تربيتهم على غير الكتاب والسنة ، وفهم سلف الأمة! وليس قدوتهم نبينا ﷺ ولا سلفنا الصالح ! ، وإنما صار تعلقهم باللاعبين والفنانين والممثلين وغير ذلك من الفسقة والمجرمين

(١) راجع في هذا الباب رسالة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان (كرة القدم بين المصالح و المفاسد الشرعية/ ط . دار ابن حزم) .

أعداء الدين! ، حيث اغتروا بمظاهرهم الكاذبة! فقلدوهم في كل شيء !حتى في ملبسهم ومظهرهم الخارجي! .

ويزداد العجب أنك إذا سألت شابًا من المسلمين عن اسم أحد العشرة المبشرين بالجنة لم يجيبك! بل حتى على أشهر غزوات النبي ﷺوسيرته العطرة!

لكن مع هذا تجده على إطلاع تام! بسيرة اللاعب فلان! أو الفنان أو الممثلة أو الفنانة فلانة! بل حتى على أدق التفاصيل عنهم! ويفتخر بذلك ويعتز! انقلبت والله الموازين! أين شبابنا اليوم الذين أكثرهم ألهتهم اللذات والشهوات من الأغاني والألحان ، وغرتهم الأماني وسيطر عليهم الشيطان! من شباب الرعيل الأول الصالح الذين كان يضرب بهم المثل في الشجاعة وحب الجهاد في سبيل الله لنصرة هذا الدين ، وطاعة الرحمن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وتجد أيضًا في مقابل ذلك الكثير من نساء المسلمين-إلا من رحم الله- أوقاتهن ضائعة في المنتزهات أو الأسواق والمجمعات! أو الحفلات! أو مشاهدة المسلسلات! مع ما فيها من المنكرات! ، كترك الحشمة والحجاب الشرعي والاختلاط بين الرجال والنساء ، وتهديم القيم والأخلاق ومنع الفضيلة ونشر الرذيلة! مضيعين بذلك حق الله ﷻ عليهن ، الذي أمرهن

بفعل الطاعات ونهاهن عن ارتكاب الذنوب والمنكرات ، بل ضيعن حتى حق أزواجهن وأبنائهن من حسن الرعاية والقيام بشؤون بيوتهن! حتى أدى ذلك لتشتت الأسر وفساد الأبناء! وإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا ، إن طال الليل فبحديث لا ينفع ، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر ، وإن طال النهار فبالنوم ، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق ، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم ، وما عندهم خبر ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود ، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل ، إلا أنهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة ، فالمتيقظون منهم يتطلعون إلى الأخبار بالنافق هناك ، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم ، والغافلون منهم يحملون ما اتفق ، وربما خرجوا لا مع خفير ، فكم ممن قد قطعت عليه الطريق فبقي مفلسًا ، فالله الله في مواسم العمر ، والبدار البدار قبل الفوات)[1] .

إن الذي يحزن القلب ويدمي العين أيها الأفاضل ، أنك إذا أنكرت على بعض هؤلاء وذكرته أن وقتهم ما هو في الحقيقية إلا عمرهم الذي سيسألون عنه يوم القيامة ، وقلت لهم عليكم أن تستغلوه فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة ، واحذروا من التسويف والاغترار بالصحة والعافية ، فإن الموت لا يفرق بين صحيح ولا بين سقيم ولا صغير ولا كبير ، وحذرتهم من اتباع هوى النفس

(١) صيد الخاطر (ص٤٦) .

والشيطان ، فإنهما سبب لهلاك كل إنسان! أخذتهم العزة بالإثم وردوا عليك وقالوا هذا تشدد! وعلينا أن نروح على أنفسنا ولا نضيق عليها! فماذا سنأخذ من هذه الدنيا! ، وغير ذلك من العبارات الرنانة التي زينها لهم الشيطان وقد يرددوا عبارة ساعة! وساعة! .

قال ابن القيم رحمه الله : (وقتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر مر السحاب ، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة ، كان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته)[1] .

أيها الأحبة الكرام ، نعم إن من سماحة الشريعة الغراء وكمالها أنها حثت الفرد على أن يتمتع بالمباحات ، ويخفف عن نفسه من الضائقات ، لكن بشرط أن لا يجره ذلك إلى ارتكاب المحرمات أو يشغله عن فعل الواجبات ، قال تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [القصص : ٧٧] .

قال ابن كثير رحمه الله : (أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس

---

(١) الجواب الكافي (ص١٠٩) .

والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ولِزَوْرك عليك حقًّا ، فآت كل ذي حق حقه)[١] .

قال ﷺ : (**إن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا ، فأعط كل ذي حق حقه**)[٢] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ("**وإن لنفسك عليك حقًّا**" أي : تعطيها ما تحتاج إليه ضرورة البشرية مما أباحه الله للإنسان من الأكل والشرب والراحة التي يقوم بها بدنه ليكون أعون على عبادة ربه)[٣] .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها ، أن الله ﷻ له حق فيُعطى حقه ﷻ ، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها ، وللأهل حق فيعطون حقوقهم ، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم ، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة ، ويتعبد لله براحة لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها ملَّ وتعب ، وأضاع حقوقا كثيرة)[٤] .

لكن العاقل – أيها الكرام – يعلم أن الله ﷻ لم يخلقه لأنه في حاجة له ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٠) .

(٢) رواه البخاري (١٨٦٧)من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه .

(٣) فتح الباري (٣ / ٣٨) .

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٣٦) .

ولا خلقه كالبهائم يأكل ويشرب وينام! وإنما أوجده لغاية حميدة ، وهي عبادته سبحانه ﷻ ، وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة فإنها دار نفاد لا محل إخلاد ومركب عبور لا منزل حبور ومشروع انفصام لا موطن دوام فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد وأعقل الناس فيها هم الزهاد)[١] .

فلهذا نجد أن الكيس الفطن يتزود من دنياه لأخراه ويستغل أوقاته في الطاعات والتزود من الخيرات التي تنفعه يوم القيامة بإذن رب الأرض والسموات ، ويجعل هذه الدنيا الفانية مطية ومعينا له على الآخرة الباقية ، لأنه يعلم أن داره هذه ما هي إلا دار ممر وابتلاء ، لا دار مستقر ورخاء! .

قال بشر بن الحارث رحمه الله : (مررت برجل من العُبَّاد بالبصرة ، وهو يبكي ، فقلت : ما يُبكيك؟ فقال : أبكي على ما فرطت من عمري ، وعلى يومٍ مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي)[٢] .

---

(١) رياض الصالحين (ص٣) .

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١/ ٣٧) .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك لنا وللمسلمين في أوقاتنا وأعمارنا ، ويجعلنا ممن يستغلها فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويحفظنا من كل الشرور فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٣٣)

البيان لخطر المعازف والألحان

البيان لخطر المعازف والألحان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن أعداء الدين اليوم من الكفار والمنافقين والمفسدين يسعون بكل الطرق لإفساد المسلمين ، فنراهم يبذلون وسعهم في نشر كل رذيلة وهدم كل فضيلة ، مستعينين على ذلك بأساليب متنوعة ، ومن ذلك وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة المنحرفة التي تسعى جاهدة لإفساد الشباب والفتيات بجميع أنواع الفتن والمغريات! فوضعوا عليها من تتلمذ على أيديهم من عباد الدينار والدرهم والشهوات ، فصورت هذه الوسائل الهدامة الباطل حقًّا والمنكر خيرا! ، والتمسك بالدين غلوا وتشددا! ، والانحراف عن الهدي القويم تفتحا وحضارة! وكذبوا والله مهما حرفوا وبدلوا واغتر بهم ضعاف النفوس! .

ومن الوسائل التي رأوا كذلك أنها مؤثرة ومساعدة على إفساد المسلمين وخاصة منبع قوة هذه الأمة وسبب نهضتها وهم شبابها ، المعازف والألحان

التي هي منبع كل شر ومصدر كل شقاء وسبب كل بلاء حصل في هذه الأمة ، فما انتشرت الجرائم والمنكرات ، وشربت المسكرات وانتشرت بين الشباب المخدرات إلا بسببها! .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : (المعازف هي خمر النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات ، حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم ، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون ، وهذه الثلاثة موجودة كثيرًا في أهل سماع المعازف)[١] .

إن الأغاني اليوم وللأسف تغلغلت في بيوت كثير من المسلمين! وافتتن بها الكثير فصارت مسيطرة على قلوبهم وعقولهم ، لا تفارقهم لا في حلهم ولا في ترحالهم! حتى صارت تؤثر على ضعاف النفوس أكثر من القرآن بل تجاوزت ذلك إلى درجة أن كثيرًا من الشباب والفتيات أصبحوا متعلقين بالفنانين والفنانات! لدرجة أن أحدهم يذرف الدمع إذا سمع المغني أو المغنية فلانة! ، . والعجب يشتد! والحيرة تكثر! عندما نرى ونسمع أن حب الغناء والتعلق به وصل حتى إلى الصغار والصغيرات! فالشيطان لم يترك أحدا إلا زين له هذه الملهيات! .

فعن عبد الله بن دينار ﵀ **قال** : (مر ابن عمر ﵄ بجارية صغيرة تغني فقال :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤١٧) .

(لو ترك الشيطان أحدًا ترك هذه!)[١] .

وهذا كله بسبب تفريط الآباء والأمهات! ، فأين الحرص اليوم على الأبناء والبنات ، لقد ترك الكثير منهم للذئاب المفترسة! تنهشهم وتجرهم إلى المحرمات! وتربيهم على التأثر بالفنانين والفنانات! والتعلق بالمطربين والمطربات! بدل الصالحين والصالحات! أين هم من حرص أسلافهم على فلذات أكبادهم! .

فهذا عمر بن عبد العزيز ﷺ يكتب إلى مؤدب ولده : (ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بِدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ﷻ ، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء العشب)[٢] .

أما أعراس الكثير من المسلمين اليوم - إلا من رحم الله- فأصبحت إضافة إلى ما تعج به من المحرمات كالاختلاط! نرى أصحابها يتنافسون على جلب المغنيين والمغنيات ، والراقصات! ، الذين يحيون الليل كله بالمنكرات! ، ويدفعون لهم أموالا طائلة من أجل إحياء هذه السهرات! ، ومن قصرت نفقاته وقلَّت أمواله على الإتيان بهؤلاء المفسدين والمفسدات! ، استعانوا بأشرطة المطربين والمطربات! التي قد يصل صداها إلى خارج

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٣) .
(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص ٢٨٩)

قاعات الاحتفلات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب البريات .

إن لهذا الشر المستطير وهذا الداء الخطير التي ابتليت به الأمة الإسلامية اليوم عواقب وخيمة وأخطار جسيمة ، حيث صدت هذه المعازف ! عن فعل الطاعات وأعانت على نشر الفجور والمحرمات ، حتى أصبح الكثير من الشباب حتى الأطفال! ينامون على أصوات الألحان بدل الذكر والقرآن! فبدلوا وحي الرحمن بمزمار الشيطان! فزاد منهم الإثم والعصيان! وقل فيهم الإيمان وهجر بسب ذلك كلام المنان! يقول الإمام ابن القيم رحمه الله

حب الكتاب وحب الحان الغنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بشرائع الإيمان

واللهو خف عليهم لما رأوا ... ما فيه من طرب ومن ألحان[1]

قال الشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله : (وهو من مكائد الشيطان التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة هو الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن)[2] .

إن هذه المعازف والألحان قد جعلت اليوم الكثير من المسلمين يلهث

---

(١) النونية (٣٢٦) .

(٢) شرح قصيدة ابن القيم (٢/ ٥٢١) .

وراء المنكرات ، ويسارع في إرضاء النفس بالملذات والشهوات حتى أصبح من الشباب من هو متأثر بالكفار الأشقياء ومتشبه في المشي والكلام بالنساء! بعيد عن هدي خير الأنبياء ﷺ ، وعن صفات الرجال الأتقياء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا لا يستغرب !إذا عرفنا أن من مخلفات مزمار الشيطان! غرس النفاق في قلب الإنسان .

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (الغناء ينبت النفاق في القلب)[١] .

ألم يعلم هؤلاء المفسدين! ومن تأثر من ضعفاء النفس من المسلمين! أن الغناء محرم في وحي رب العالمين ، وسنة خير المرسلين ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان : ٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (نزلت في الغناء وأشباهه)[٢] .

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (هو الغناء والذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات)[٣] .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٨) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحريم آلات الطرب (ص١٠) .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢١) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحريم آلات الطرب (ص١٤٣) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٤٦٨) والطبري في تفسيره (٢١/ ٦١) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحريم آلات الطرب (ص١٤٣) .

يقول الشيخ السعدي ﷺ : (﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ من هو محروم مخذول (يشتري) أي : يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء .

﴿ لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي : الأحاديث الملهية للقلوب الصادة لها عن أجل مطلوب ، فدخل في هذا كل كلام محرم وكل لغو وباطل ، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان ومن أقوال الرادين على الحق المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق ومن غيبة ونميمة ، وكذب ، وشتم ، وسب ، ومن غناء ومزامير شيطان ، ومن الماجريات الملهية التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا ، فهذا الصنف من الناس يشتري لهو الحديث عن هدي الحديث ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ الناس ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي : بعدما ضل هو في فعله أضل غيره ، لأن الإضلال ناشئ عن الضلال ، وإضلاله في هذا الحديث صده عن الحديث النافع والعمل النافع ، والحق المبين ، والصراط المستقيم ، ولا يتم له هذا حتى يقدح في الهدى والحق الذي جاءت به آيات الله .

﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ : يسخر بها وبمن جاء بها ، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه ، والقدح في الحق والاستهزاء به وبأهله ، أضل من لا علم عنده وخدعه بما يوحيه إليه من القول الذي لا يميزه ذلك الضال ، ولا يعرف حقيقته ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ : بما ضلوا وأضلوا ، واستهزؤوا بآيات الله ، وكذبوا الحق الواضح)[1] .

(١) تفسير السعدي (ص ٦٤٧) .

أما السنة الصحيحة ، فعن أبي مالك أو أبي عامر الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (**لَيَكُونَنَّ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ**[١] ، **وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ** ...)[٢] .

وعن عمران بن الحصين ﷺ أَن رسول الله ﷺ قال : (**في هذه الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ** ، فقال رَجُلٌ من الْمُسْلِمِينَ : يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال : (**إذا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ**[٣] ، **وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ**)[٤] .

قال الشيخ الفوزان- حفظه الله- : (والمعازف هي آلات اللهو بجميع أنواعها ، فذمهم النبي ﷺ على استحلالها وقرن ذلك باستحلال الحر وهي الفروج يعني استحلال الزنا وباستحلال الحرير والخمر وتوعدهم بالخسف والمسخ مما يدل على شناعة استباحة المعازف)[٥] .

وقال أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ : (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة)[٦] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات

---

(١) أي الفرج - الزنا- . فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٢٦٨) .

(٣) أي المغنيات . تحفة الأحوذي (٤/ ٤١٩)

(٤) رواه الترمذي (٢٢١٢) وصححه العلامة الألباني رحمه الله .

(٥) الجواهر من خطب المنابر (٢/ ٥٩٠) .

(٦) رواه البزار في مسنده (١٤/ ٦٢) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٢٧) .

اللهو كلها حرام)[١] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (وإذا كان الزمر الذي هو أخف آلات اللهو حراما فكيف بما هو أشد منه ، كالعود والطنبور واليراع لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك فأقل ما فيه : أنه من شعار الفساق وشاربي الخمور)[٢] .

فعلى من ابتلي بسماع المعازف والألحان أن يتركها ويتوب من كل أنواع العصيان قبل فوات الأوان ، وأن ينشغل بما ينفعه وبتقوية الإيمان بالطاعات كالذكر وقراءة القرآن ، وعليه أن يسأل العفو والغفران من العزيز الرحمن فهو سبحانه الديان .

وعلى من نجاه الباري ﷻ من فتنتها ، أن يسأله سبحانه الثبات على ذلك ، وليحذر أشد الحذر من مجالسة أهلها أو أن يستدرجه الشيطان لسماع شيء منها من باب التجربة! ، وعليه أن ينصح من رآه قد ابتلي بها ، وإذا خاف على نفسه أن يتأثر به وعلم أنه لا يؤثر عليه ، فليبتعد فإن السلامة لا يعدلها شيء ، وعليه مع هذا أن يدعوا الله ﷻ لمن ابتلي بها أن يهديه ويخلصه من فتنتها .

قال نافع مولى ابن عمر رحمه الله **أن ابن عمر** رضي الله عنهما سمع صَوْتَ زَمَّارَةِ رَاعٍ فَوَضَعَ إصبعيه فِي أُذُنَيْهِ وَعَدَلَ رَاحِلَتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وهو يقول : يا نافع أَتَسْمَعُ؟ فأقول :

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧٦) .

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٨) .

نعم ، فيمضي حتى قلت : لاَ ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ وأعاد رَاحِلَتَهُ إلى الطريق وقال : (رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَمِعَ صَوْتَ زَمَّارَةِ رَاعٍ فَصَنَعَ مِثْلَ هذا)[١] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال ، فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم؟!)[٢] .

وقال ابن قدامة رحمه الله : (إذا دعي إلى وليمة فيها معصية كالخمر والزمر والعود ونحوه ، وأمكنه الإنكار وإزالة المنكر ، لزمه الحضور والإنكار ، لأنه يؤدي فرضين : إجابة أخيه المسلم وإزالة المنكر ، وإن لم يقدر على الإنكار لم يحضر ، وإن لم يعلم بالمنكر حتى حضر أزاله ، فإن لم يقدر انصرف)[٣] .

فالله أسأل بأسمائه والحسنى وصفاته العليا أن يبعد المسلمين والمسلمات عن المعازف والألحان وكل أنواع العصيان ، ويجعل قلوبهم متعلقة بالقرآن ، وكل ما يقوي الإيمان فهو سبحانه المنان .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٨) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تحريم آلات الطرب (ص١١٦) .

(٢) تلبيس إبليس (ص ٢٨٦) .

(٣) المغني (٧/ ٢١٤) .

(٣٤)

أيهما أشد عليك؟!

أيهما أشد عليك؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن كثيرًا منا -أيها الأفاضل - إذا دخل فصل الصيف اشتكى من شدة حره وبذل الأسباب التي تقيه من كربه ، وذلك باستعمال الوسائل المعينة على ذلك ، والذهاب إلى الأماكن الباردة باذلا في ذلك الغالي والنفيس! .

وهذا - بإذن الله - لا محظور فيه ، إذا لم تخالطه المنكرات مثل الاختلاط وكشف العورات ، وإضاعة الواجبات كالصلوات ، فإن من سماحة الشريعة المباركة أنها شرعت للمسلم التمتع بالمباحات ، شريطة أن لا تكون وسيلة للمحرمات أو سببا في ترك الطاعات ، قال تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [القصص : ٧٧] .

قال ابن كثير رحمه الله : (أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًا ، ولأهلك

عليك حقًا ولِزَوْرك عليك حقًا ، فآت كل ذي حق حقه)[١] .

إن شدة حر الصيف وبرد الشتاء أيها الأفاضل هما نَفس من أنفاس النار كما أخبر بذلك نبينا ﷺ ، حيث قال : (**اشْتَكَتْ النَّارُ إلى رَبِّهَا ، فقالت : يا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ ، فَهْوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الزَّمْهَرِيرِ**)[٢] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (فالمحققون من العلماء على أن الله أنطقها بذلك نطقًا حقيقيًا ، كما ينطق الأيدي والأرجل والجلود يوم القيامة ، وكما أنطق الجبال وغيرها من الجمادات بالتسبيح والسلام على رسول الله ﷺ ، وغير ذلك مما يسمع نطقه في الدنيا)[٣] .

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : (النفس المذكور ينشأ عنه أشد الحر في الصيف)[٤] .

وقال الحافظ العيني رحمه الله : (فإن المراد منه جهنم وليس المراد نفس النار ، لأن جهنم فيها النار وفيها الزمهرير ، وهو البرد الشديد ، والضدان لا يجتمعان ، ولفظ جهنم يشملهما ، وعلى غير ذلك من أنواع العذاب أعاذنا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٠) .

(٢) رواه البخاري (٥١٢) ، ومسلم (٦١٧) واللفظ له ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٧٠) .

(٤) فتح الباري (٢/ ١٩) .

الله من ذلك برحمته)[١] .

لكن الكيس الفطن أيها الكرام هو الذي تحدثه نفسه ويتساءل إذا كان هذه الشدة في حر الدنيا الفانية! فكيف بشدة حر جهنم الباقية ؟! فيعتبر ويتعظ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٤] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) للعباد بنعمة ربهم وتذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين وجعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم . (وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) ، أي : المنتفعين أو المسافرين ، وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر أعظم من غيره ، ولعل السبب في ذلك لأن الدنيا كلها دار سفر ، والعبد من حين ولد ، فهو مسافر إلى ربه ، فهذه النار جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار ، وتذكرة لهم بدار القرار ، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده ، وشكره وعبادته ، أمر بتسبيحه وتعظيمه ، فقال : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أي : نزه ربك العظيم ، كامل الأسماء والصفات ، كثير الإحسان والخيرات ، واحمده بقلبك ، ولسانك ، وجوارحك ، لأنه أهل لذلك ، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ، ويطاع فلا

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ١٦٤) .

يعصى[١] .

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (أي نذكر الناس بها في دار الدنيا إذا أحسوا شدة حرارتها ، نار الآخرة التي هي أشد منها حرًا لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار)[٢] .

فإذا زينت له نفسه المعصية! تذكر دائما نار الآخرة الحامية! التي هي أضعاف نار الدنيا الفانية ، قال ﷺ : (**نَارُكُمْ جُزْءٌ من سَبْعِينَ جُزْءًا من نَارِ جَهَنَّمَ**) ، فقيل يا رسول الله إن كانت لكافيةً ، قال : (**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**)[٣] .

قال الغزالي رحمه الله : (نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه)[٤] .

ولهذا كان – أيها الأفاضل – من سبقنا من الصالحين إذا رأوا نار الدنيا اضطربت أنفسهم وتغيرت أحوالهم ، وتذكروا نار يوم الدين الذي لا نجاة منها إلا بفضل أرحم الراحمين ثم ببذل الأسباب التي تنفعه بإذن رب العالمين .

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٣٥) .

(٢) أضواء البيان (٧/ ٥٣٦) .

(٣) رواه البخاري (٣٠٩٢)واللفظ له ، ومسلم (٢٨٤٣)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣١) .

قال سعد بن الأخرم الطائي رحمه الله : (كنت أمشي مع ابن مسعود فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديدًا من النار فقام ينظر إليه ويبكي)[١] .

لكن أهل العصيان بدل أن يعتبروا بشدة الحر ويتفكروا في حال يوم المقر ، غلَّبوا أهوائهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فجاهروا بالمعاصي والمحرمات ، وتركوا فعل الواجبات والطاعات ونسوا أن حياتهم في الحقيقة ما هي إلا لحظات! وستنقطع عنهم اللذات وتنصرف عنهم الشهوات وتبقى لهم الحسرات ، وعند وقوفهم أمام رب البريات سيسألهم عما كان منهم في كل الأوقات ، قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : (هذا سؤال توبيخ يسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإيمان ، فيقال لهم لم عصيتم وتركتم الإيمان ، فتظهر فضيحتهم عند تعذر الجواب)[٢] .

أيها الأفاضل ، ينبغي علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ، وأن نقف وقفة صادقة ، وليسأل كل منا نفسه سؤالا مهما! ، ألا وهو إذا كنا لا نحتمل حر الدنيا! ونستعين بكل الوسائل الحديثة للتخلص والتخفيف منها! ،

---

(١) التخويف من النار لابن رجب (ص ٢٥) .

(٢) زاد المسير (٤/ ٤١٩) .

فكيف سنتحمل شدة حر الآخرة ؟! ولماذا لا نبذل الأسباب التي تقينا بإذن الله ﷻ منها؟! .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا إلى الخيرات وعمل الصالحات واستغلال الأوقات ، وأن يجعلنا ممن يخشاه في الجلوات والخلوات ، فهو سبحانه غفور قريب يجيب الدعوات .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٣٥)

وسائل الإعلام! وحب الشهرة!!

وسائل الإعلام! وحب الشهرة!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد تعددت اليوم أيها الأفاضل وسائل الإعلام والاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة! ، وهذا التنوع والكثرة وللأسف أشغل الكثير من الناس عن واجباتهم وصدهم عما ينفعهم ، فنرى البعض منهم يضيع وقته بينها دون فائدة حقيقية ترجع عليه! وإنما لإرضاء هوى النفس! وقتل الوقت! ، حتى أصبحت من أهم المعوقات التي صدت الكثير من شباب المسلمين عن العلم الشرعي والجلوس بين يدي العلماء والأخذ عنهم ، فبدل أن يصبح الواحد منهم من المتعلمين! صار يفتخر أنه من المغردين!! ، بل لكثرة الانشغال بها هجر بعضهم حتى كلام رب العالمين!!والله المستعان .

بل أصبحت سببا في انتكاس وانحراف كثير من شباب المسلمين حتى من المستقيمين! لعدم استغلالها فيما ينفع! ولاحتواء أكثرها على ما يفسد الدين ويهدم القيم وأخلاق المسلمين ، من الأفكار الهدامة ، والصور

والأفلام والمسلسلات الساقطة ، وغير ذلك من المحرمات! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

وهذا لا يعني - أيها الكرام - أنه لا خير ولا نفع فيها ، بل ولله الحمد لا تخلو من ذلك ، ولهذا نجد أن من المسلمين من أحسن استغلالها ، وصرفها فيما يرجع عليه وعلى الآخرين بالنفع كالدعوة إلى الله ﷻ ، وإيصال الحق للناس وغير ذلك من الطاعات ، فجزاهم الله خيرا وكتب أجرهم .

لكن لو نظرنا في حال بعض!من استغلها في الدعوة إلى الله ﷻ! نجد أن منهم من ابتلي بنوع آخر من الأمراض الذي قد يؤدي إلى هلاكه! إذا لم يتداركه الله ﷻ بفضله ، ويراجع نفسه ويعالجها مما حلَّ بها! ، وهذا البلاء هو مرض قتال وداء عضال! ألا وهو حب الشهرة والظهور! ، وإن كانت الشهرة ليس الأصل فيها الذم ، وإنما العيب والذم على من يسعى في طلبها ويبذل جهده للتحلي بها بين الناس! .

قال الإمام أحمد رحمه الله : (من بُلي بالشهرة ، لم يأمن أن يفتنوه)[1] .

فاليوم - أيها الأفاضل - نرى ونسمع العجائب من بعض الدعاة - إلا من رحم الله- ، فنشاهد بعضهم يفرح ويفتخر بكثرة مشاهديه ومريديه! ومن يرتقب ويتقصى أخباره على وسائل الإعلام ومواقع الاتصال! ، حتى

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٣٣) .

أصبحنا نسمع أن الداعية الفلاني! والشيخ الفلاني! يصرح ابتهاجًا وفرحًا! والآخر يحتفل أن متابعيه وصلوا إلى مليون! أو مليونين! أو أكثر! على مواقع التواصل! .

فأين هؤلاء! أيها الأفاضل من هدي من سبقهم من الصالحين الربانيين ، الذين جمعوا بين العلم والعمل والخوف على أنفسهم من الاغترار والفتن .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا ، وإذا عَملُوا شُغلوا ، وإذا شغلوا فُقِدوا ، وإذا فقدوا طُلبوا ، وإذا طلبوا هَربوا)[١] .

ولهذا حذروا رحمهم الله أشد الحذر من السعي لتحصيل الشهرة ، رغبة منهم في طلب الإخلاص والبعد عن مواطن الرياء والعجب .

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله : (إياك والشهرة ؛ فما أتيت أحدًا إلا وقد نهاني عن الشهرة)[٢] .

ويقول بشر بن الحارث رحمه الله : (إذا عُرفت في موضعٍ فاهرب منه ، وإذا رأيت الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضعٍ لزمه ، واشتهى ذلك فهو يحب الشهرة)[٣] .

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٣٣١) .
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٧/ ٢٣) .
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/ ٢٠٦) .

وتذاكر سفيان الثوري مع الفضيل بن عياض ﷺ فبكيا ، فقال سفيان الثوري ﷺ : (إني لأرجو أن يكون مجلسي هذا أعظم مجلس جلسناه بركة) ، فرد الفضيل ﷺ : قال : (ترجو!؟ ، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي وتزينت لك به ، فعبدتني وعبدتك) ، فبكى سفيان حتى علا نحيبه ، ثم قال : (**أحييتني أحياك الله**)[1] .

ونرى البعض الآخر! يتسابق من أجل الظهور على تلك القناة أو الأخرى! وتكون الحصرية لبرنَّامجه أو لقائه! بمبلغ كذا!! ، حتى لا يهتم لماهية هذه القناة ومن يشرف عليها! ويزداد الحزن ويكثر الأسى! عندما نرى أن بعض القنوات التي يظهرون عليها هي قنوات يستعملها أعداء الدين للإفساد ، وهدم كل فضيلة ونشر كل رذيلة بين المسلمين! ، وإذا نصحت بعض هؤلاء الدعاة! وأنكرت عليه ، وذكرته أن ظهورك على هذه القناة الساقطة! هو تشهير وتزكية لها! خاصة أن برنامجك عليها! قد يُسبق أو في أثناءه أو بعده مباشرة بإعلانات وإشهارات تحتوي على المنكرات! ، وهذا الذي تريده هذه القنوات! فبدل أن يتقبل ويراعي هذه المفاسد!أنكر عليك واتهمك بالتشدد! ، وأن عمله هذا من قبيل الإصلاح! .

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٦٤) .

بالله عليكم - أيها الأحبة - أي إصلاح! وأي صلاح ظهر على هذه القنوات المفسدة! بل إن فسادها وإفسادها للمسلمين زاد وانتشر! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

وإذا رأينا البرامج الدينية التي يقدمها اليوم بعض من يرى أن الظهور على هذه القنوات هو لمصلحة! خاصة من اقتحم منهم ميدان النصح والدعوة من غير زاد ولا عتاد! نجد أنه يغلب عليها القصص والفكاهة! كأنهم يريدون التخفيف عن المشاهد والترويح عنه! لا افادته! وإذا سمعت بعضهم يفتي تحتار وتتعجب! لبعد فتاواه عن الورع والتأصيل العلمي والمنهج السلفي! .

ولهذا لا ينبغي أن نتعجب من كثرة إقبال الناس اليوم عليهم! فأكثر الناس-إلا من رحم الله- لا ينظرون إلى حال من يفتيهم ويخبرهم عن أمور دينهم! هل هو أهل لذلك؟!ومن زكاه من العلماء الربانيين؟! هل هو مرجع خاصة عند النوازل التي تحل بالأمة؟!بقدر ما ينظرون إلى شهرته! وكثرة أتباعه والمتأثرين به وأسلوبه وكثرة المحفوظات والمعلومات! .

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله : (والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا ، ولو ظهر لهم من يدعي النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ، أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياعا)[1] .

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٤) .

ويبقى السؤال المطروح في نفس كل غيور على الدين محب لسنة خير الأنبياء والمرسلين ، أين الكثير من الدعاة! والوعاظ!! اليوم من منهج الأنبياء ووظيفة الأتقياء وطريقة الأصفياء ، وهو الدعوة إلى توحيد رب العالمين ، الذي أرسل الله ﷻ من أجله الرسل وأنزل الكتب ، قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : (فكل الرسل ، الذين من قبلك مع كتبهم ، زبدة رسالتهم وأصلها ، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبيان أنه الإله الحق المعبود ، وأن عبادة ما سواه باطلة)[١] .

أين دعوتهم إلى ما يحتاجه الناس من الحث على التمسك بالسنة والبعد عن البدع وأهلها والترغيب على طلب العلم النافع الذي ينفعهم بإذن الله ﷻ في الدنيا والآخرة؟!لا إلى ما يطلبونه من القصص والنكت! والفتاوى التي توافق الأهواء! .

أيها الدعاة الأفاضل ، يا من تصدى لتعليم الناس وحثهم على الخير ، اتقوا الله ﷻ في أنفسكم ، واعلموا أن العمل إذا كان لله تعالى دام واتصل ونفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، بإذن الباري سبحانه ، وإذا كان لغير الله تعالى انقطع وانفصل وكان وبالا على صاحبه في الآخرة ، وإن ظهر شيء من

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٢١) .

نفعه في الدنيا ، فإنه مع مرور الأيام وانقضاء الساعات والأعوام سيضمحل ويزول ، ولا يبقى بعده إلا الحسرات والندم على ما مضى وفات ، فاخلصوا في أعمالكم واتبعوا سنة نبيكم ﷺ ، وهدي من سبقكم من الصالحين ، لا تنقطعوا عن طلب العلم والرجوع إلى العلماء الربانيين ، وكونوا للناس هداة مهتدين ، ولا تعاونوا من حيث لا تشعرون على هدم الدين! فإن العلم الذي تحملونه أمانه ، فأدوه على الوجه المطلوب ، بإبلاغ وإرشاد الناس إلى ما ينفعهم في الدارين ، واحذروا أشد الحذر أن تبيعوه بعرض الدنيا الفانية! لأنكم ستقفون أمام من وهبكم إياه وسيسألكم عنه! فأعدوا للسؤال جوابا وللجواب صوابا ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد ، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم ، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه ، مما علمه الله ولا يكتمهم ذلك ، ويبخل عليهم به ، خصوصا إذا سألوه أو وقع ما يوجب ذلك ، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه ، ويوضح الحق من الباطل ، فأما الموفقون فقاموا بهذا أتم القيام ، وعلَّموا الناس مما علمهم الله ابتغاء مرضاة ربهم ، وشفقة على الخلق ، وخوفا من إثم الكتمان ، وأما الذين أوتوا الكتاب من اليهود

والنصارى ومن شابههم ، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم ، فلم يعبأوا بها فكتموا الحق وأظهروا الباطل ، تجرؤوا على محارم الله ، وتهاونوا بحقوقه تعالى وحقوق الخلق ، واشتروا بذلك الكتمان (ثَمَنًا قَلِيلًا) ، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات ، والأموال الحقيرة من سفلتهم المتبعين أهواءهم المقدمين شهواتهم على الحق (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) : لأنه أخس العوض والذي رغبوا عنه-وهو بيان الحق الذي فيه السعادة الأبدية والمصالح الدينية والدنيوية- أعظم المطالب وأجلها ، فلم يختاروا الدني الخسيس ويتركوا العالي النفيس! إلا لسوء حظهم وهوانهم وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له)[١] .

وأحببت في ختام هذه الذكرى التي أسأل الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا وإياكم بها أن أذكر لكم بعض ما جاء عن السلف الصالح (رحمهم الله) في ذم البحث عن الشهرة وحب الظهور بين الناس ، ومن ذلك :

- **قال إبراهيم بن أدهم** رحمه الله : (ما صدق اللهِ عبدٌ أحب الشهرة)[٢] .
- **وقَالَ أَيُّوْبُ السختياني** رحمه الله : (مَا صَدَقَ عَبْدٌ قَطُّ ، فَأَحَبَّ الشُّهرَةَ)[٣] .

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٦٠)

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣١) .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٠) .

◉ **وقال أيضًا** رحمه الله : (ذُكرت في الناس ولا أحب أن أذكر)[١] .

◉ **ويقول مطرف بن عبد الله الشخير** رحمه الله : (لأن أبيت نائما وأصبح نادما ، أحب إلي من أبيت قائما وأصبح مُعجبًا)[٢] .

◉ **يقول الإمام الذهبي** رحمه الله **معلقا على كلامه** : (لا أفلح والله من زكى نفسه أو أعجبته)[٣] .

◉ **وقال بشر بن الحارث** رحمه الله : (لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس)[٤] .

◉ **وهذا محمد بن يوسف الأصبهاني** رحمه الله كان لا يشتري خبزه من خباز واحد ، وكان يقول : (لعلهم يعرفونني فيحابوني فأكون ممن يعيش بدينه)[٥] .

◉ **ويقول رجاء بن أبي سلمة** رحمه الله : نبأت أن ابن محيريز دخل على رجل من البزازين يشتري شيئا فقال له رجل حاضر : أتعرف هذا ؟ هذا ابن محيريز ، فقال ابن محيريز رحمه الله : (إنما جئنا لنشتري بدراهمنا ليس بديننا)[٦] .

---

(١) السير للذهبي (٦/ ٢٢) .

(٢) الزهد لابن المبارك (٤٤٨) .

(٣) السير (٤/ ١٩٠) .

(٤) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (٧٢) .

(٥) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٠٠) .

(٦) الحلية لأبي نعيم (٥/ ١٣٩) .

❁ **وقال الإمام الذهبي** رحمه الله : (ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد ، فإن أعجبه كلامه فليصمت ، فإن أعجبه الصمت فلينطق ، ولا يفتر عن محاسبة نفسه ، فإنها تحب الظهور والثناء)[١] .

فهذه – أيها الكرام – بعض الآثار والأخبار التي تروى عن هؤلاء الأئمة الأعلام ، فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا وإياكم بها ، وأن يجنبنا الرياء والشهرة والسمعة وحب الظهور وكل أنواع الشرور ، وأن يجعلنا وإياكم من أهل السرور ، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٤) .

(٣٦)

العجلة أمُّ الندامة!!

العجلة أُمُّ الندامة!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن من علامات أهل الفضل والصلاح والنجاح أيها الأحبة الكرام ، المسارعة إلى الطاعات والحرص على الخيرات والمسابقة في القربات ، وهذا كله من أجل رفع الدرجات ودخول الجنات بإذن رب الأرض والسموات ، ولهذا أثنى عليهم رب البريات ، فقال سبحانه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

يقول أبو بكر الجصاص رحمه الله : (الخيرات هنا الطاعات يسارع إليها أهل الإيمان بالله ، ويجتهدون في السبق إليها رغبة فيها ، وعلما بما لهم بها من حسن الجزاء)[١] .

ولكننا اليوم - أيها الأفاضل - بدل أن نقتدي بهؤلاء الأتقياء ونسير على طريق من سبقنا من الأصفياء ، فنتعجل ونبادر في فعل الخيرات

(١) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٩٣) .

ونتحلى بالحلم والصبر والأناة! ، أصبح الكثير منا -إلا من رحم الله- يتعجل فيما يفضي إلى نشر العداوات وقطع الصلات وتفريق الأسر والجماعات ، وذلك بنشر الأخبار وإصدار الأحكام بلا تثبت واستعلام! ، وغير ذلك من أنواع وصور العجلة المذمومة .

يقول الصنعاني ﷺ : (العجلة هي السرعة في الشيء ، وهي مذمومة فيما كان المطلوب فيه الأناة محمودة فيما يطلب تعجيله من المسارعة إلى الخيرات ونحوها ، وقد يقال لا منافاة بين الأناة والمسارعة فإن سارع بتؤده وتأن فيتم له الأمران ، والضابط أن خيار الأمور أوسطها)[١] .

مع أن نبينا ﷺ حذرنا من هذا الداء العضال والمرض القتال وأخبرنا أنه منافي للإيمان وبين لنا أنه من تزيين وزخرفة الشيطان ، فقال ﷺ : (**التأني من الله والعجلة من الشيطان**)[٢] .

قال المناوي ﷺ : (التأني(**من الله تعالى**) أي : مما يرضاه ويثيب عليه (**والعجلة من الشيطان**) أي : هو الحامل عليها بوسوسته ، لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب)[٣] .

---

(١) سبل السلام (٤/ ٢٠١) .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٢٥٦)من حديث أنس ﷺ ، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ في صحيح الترغيب (١٥٧٢) .

(٣) فيض القدير (٣/ ١٨٤) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (ولهذا كانت العجلة من الشيطان ، فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم ، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها ، وتجلب عليه أنواعا من الشرور ، وتمنعه أنواعا من الخير ، وهي قرين الندامة ، فقل من استعجل إلا ندم ، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة)[١] .

قد تنوعت -وللأسف- صور العجلة في أمور المسلمين اليوم ، فمنهم من يتعجل في نقل الأخبار التي يسمعها دون أن يتأكد من صحتها! فترجع عواقب هذا الصنيع عليه مع الأيام ويصبح عرضة للطعن فيه والاتهام! .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا ، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سمع**)[٢] .

يقول ابن الجوزي رحمه الله : ("**كَذِبًا**" أي : تكذيبا ، وذلك لأن من حدث بكل ما سمع من غير أن يميز بين ما تقبله العقول مما لا تقبله ، أو من يَصلح أن يسمع ما يحدث به ممن لا ، نُسب إلى الكذب)[٣] .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (يعني أن الإنسان إذا صار يحدث بكل ما سمع من غير تثبت وتأن ، فإنه يكون عرضة للكذب ، وهذا هو الواقع ولهذا

---

(١) الروح (ص ٢٥) .

(٢) رواه مسلم (٥) .

(٣) كشف المشكل الصحيحين (٣/ ٥٥٠) .

يجيء إليك بعض الناس يقولون : صار كذا وكذا ، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن ، أو يأتي إليك ويقول : قال فلان كذا وكذا ، فإذا بحثت وجدت لم يقل)[١] .

ومنهم من يسرع في إلقاء الأحكام على الآخرين بعد كل خبر سمعه! دون أن يتريث ويتمهل!مع أن الباري ﷻ أمر بالتأني والتثبت قبل الحكم على الناس ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] .

قال الشيخ السعدي ﷺ : ﴿ وهذا أيضًا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق ﴿ بِنَبَإٖ ﴾ ، أي : خبر أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجردا ، فإن في ذلك خطرا كبيرا ، ووقوعا في الإثم ، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل ، حكم بموجب ذلك ومقتضاه ، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة ، بل الواجب عند سماع خبر الفاسق ، التثبت والتبين ، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه ، عمل به وصدق ، وإن دلت على كذبه ، كذب ولم يعمل به)[٢] .

ومن الأحكام التي أصبحت تطلق عند بعض الرجال! ولا يلقون عند النطق

---

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٨٥) .

(٢) تفسير السعدي (ص ٨٠٠) .

بها بال ولا يتفكرون في عاقبة ذلك والمآل ، هي لفظة (**الطلاق**) التي أصبحت وللأسف ألعوبة تجري على الألسنة! ، بل أدت العجلة والاستهتار بها إلى تعليق بعض الأمور الدنيوية عليها ، كأن يقول الرجل لنفسه أو لغيره امرأتي طالق إن حصل منك كذا أو إن فعلت أنا كذا! أو يقول لزوجته أنت طالق إن قمت بكذا! أو عملت كذا! مع أن الطلاق شأنه عظيم عند الله ﷻ ، لهذا يستوي في حكمه القاصد والهازل ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ النِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ والرجعة**)[١] .

قال الإمام الخطابي ﷺ : (اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل ، فإنه مؤاخذ به ، ولا ينفعه أن يقول كنت لاعبًا أو هازلًا أولم أنو به طلاقًا ، أو ما أشبه ذلك من الأمور)[٢] .

والبعض الآخر! يستعجل الإجابة إذا دعا ربه سبحانه الكريم ، فإذا تأخرت عنه! لحكمة يعلمها الباري ﷻ ، أو لوجود مانع من إجابة الدعوات كالأكل من المحرمات وترك الطاعات! ، فبدل أن يتوب ويستغفر ويتيقن أن كل شيء بقضاء الله وقدره ويستمر في الدعاء إلى أن يقضي الله أمر كان مفعولا! نراه يتضجر ويتضايق ويعترض ويقول في نفسه دعوت ولم يُستجب لي ! .

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٩) ، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ .

(٢) معالم السنن (٣/ ٢٤٣) .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ ما لم يَعْجَلْ فيقول قد دَعَوْتُ فلا أو فلم يُسْتَجَبْ لي**)[١] .

قال ابن بطال ﷺ : (قال بعض العلماء : قوله : (**ما لم يَعْجَلْ**) يعنى : يسأم الدعاء ويتركه فيكون كالمان بدعائه ، وأنه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة ، فيصير كالمبخل لربّ كريم ، لا تعجزه الإجابة ، ولا ينقصه العطاء ، ولا تضره الذنوب)[٢] .

أيها الداعي ، اعلم -وفقك الله- أن الكريم الحليم الذي أمرك بالدعاء ووعدك بالإجابة لن يضيع دعوتك وستجد ثمرتها بعون الله في الدنيا أو في الآخرة إذا توفرت فيها الشروط وانتفت عنها الموانع ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قال : (**ما من مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ ليس فيها أثم وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ ، إلا أَعْطَاهُ اللهُ بها إِحْدَى ثَلاَثٍ ، إما أَنْ تُعَجَّلَ له دَعْوَتُهُ ، وإما أَنْ يَدَّخِرَهَا له فِي الآخِرَةِ ، وإما أَن يصرف عنه مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**) ، قالوا : إِذًا نُكْثِرُ قال : (**اللهُ أَكْثَرُ**)[٣] .

قال ابن الجوزي ﷺ : (تأملت حالة عجيبة وهي أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو ، ويبالغ ، فلا يرى أثرًا للإجابة .

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨١) ومسلم (٢٧٣٥) .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٠٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٨) وصححه الشيخ الألباني ﷺ في صحيح الترغيب (١٦٣٣) .

فإذا قارب اليأس نظر حينئذ إلى قلبه ، فإن كان راضيًا بالأقدار ، غير قنوط من فضل الله ﷻ ، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذ لأن هناك يصلح الإيمان ويهزم الشيطان ، وهناك تبين مقادير الرجال .

وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وكذلك جرى ليعقوب عليه السلام فإنه لما فقد ولدًا وطال الأمر عليه لم ييأس من الفرج فأخذ ولده الآخر ولم ينقطع أمله من فضل ربه : ﴿ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف : ٨٣] . وكذلك قال زكريا عليه السلام : ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] .

فإياك أن تستطيل مدة الإجابة ، وكن ناظرًا إلى أنه المالك وإلى أنه الحكيم في التدبير والعالم بالمصالح ، وإلى أنه يريد اختبارك ليبلو أسرارك ، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك ، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك إلى غير ذلك ، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس ، وكل واحدة من هذه الأشياء تقوي الظن في فضله ، وتوجب الشكر له)[1] .

أو يستعجل من الله ﷻ النصر والتمكين على أعداء الدين ، فيلقي نفسه في المهالك! دون مراعاة المصالح! أو حتى من أن يحقق الوسائل والأسباب

---

(١) صيد الخاطر (ص٤٠) .

المعينة على ذلك ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد : ٧] .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : (فالله ﷻ جعل للنصر أسبابا وجعل للخذلان أسبابا ، فالواجب على أهل الإيمان في جهادهم وفي سائر شئونهم أن يأخذوا بأسباب النصر ويستمسكوا بها في كل مكان في المسجد وفي البيت وفي الطريق وفي لقاء الأعداء وفي جميع الأحوال .

فعلى المؤمنين أن يلتزموا بأمر الله ، وأن ينصحوا لله ولعباده ، وأن يحذروا المعاصي التي هي من أسباب الخذلان ، ومن المعاصي التفريط في أسباب النصر : الأسباب الحسية التي جعلها الله أسبابا لا بد منها ، كما أنه لا بد من الأسباب الدينية ، فالتفريط في هذا أو هذا سبب الخذلان)[1] .

فهذه بعض الصور - أيها الأحبة الكرام - التي نرى وللأسف أن الاستعجال فيها يكثر بين الكثير من المسلمين دون المبالاة بالنتائج والعواقب ، فعلينا جميعا أن نكون من المسارعين في الخيرات وأن نتحلى بالرفق والتأني في كل الأوقات ، وأن نحذر من العجلة المذمومة في شؤوننا كلها لأنها أخطارها جسيمة وعواقبها وخيمة ، وعلينا أن نعلم أن الغالب من تمهل سلم ومن تعجل ندم .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٨٣) .

يقول بعض الحكماء : (إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أُمَّ الندامة ؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقدر ، ويَحمَدُ قبل أن يجرِّب ، ويذمُّ قبل أن يَخْبُر ، ولن يصحب هذه الصفَةَ أحدٌ إلا صحب الندامة ، واعتزل السلامة)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم حسن الأخلاق ومن ذلك التأني والحلم في أمورنا ويُبعد عنا شرورها ومن ذلك الغضب والاستعجال فهو سبحانه الكبير المتعال .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) زهر الآداب للقيرواني (٢/ ٢٥٧) .

(٣٧)

أين غابت
هذه السنة اليوم؟!

أين غابت هذه السنة اليوم؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

لقد اعتنت شريعتنا الإسلامية الكاملة بكل ما يفيد المسلم في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك ما جاء في حثه على السواك في كل وقت وحين ، خاصة في بعض المواضع التي جاء التنصيص فيها عليه في السُنَّة النبوية .

يقول الإمام النووي ﷺ : (ثم إن السواك مستحب في جميع الأوقات ، ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا :

إحداها : عند الصلاة .

والثاني : عند الوضوء .

والثالث : عند قراءة القرآن .

والرابع : عند الاستيقاظ من النوم .

والخامس : عند تغير الفم .

وتغيره يكون بأشياء : منها ترك الأكل والشرب ، ومنها أكل ماله رائحة كريهة ، ومنها طول السكوت ، ومنها كثرة الكلام)[١] .

لقد بين لنا أيها الأفاضل نبينا ﷺ فضل استعمال السواك وثمرات ذلك في الدنيا والآخرة ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**)[٢] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (يعني : يطهر الفم من الأوساخ والأنتان ، وغير ذلك مما يضر ، وقوله : (**للفم**)يشمل كل الفم الأسنان واللثة واللسان ، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه[٣] .

الفائدة الثانية : (مرضاة للرب) ، أي أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك)[٤] .

إن السواك – أيها الأحبة الكرام – سُنَّة مؤكدة في حق الرجال والنساء معا ، وذلك لترغيبه ﷺ فيه ، وجعله من سنن الفطرة ، ومواظبته ﷺ عليه في جميع أحواله ، كعند دخوله إلى البيت ، وعند قيامه من النوم ، وعند الوضوء ،

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٣/ ١٤٢) .

(٢) رواه النسائي (٦) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) رواه مسلم (٢٥٤) .

(٤) شرح رياض الصالحين (٥/ ٢٢٦) .

وعند الصلوات .

ولم يترك نبينا ﷺ السواك حتى في المرض الذي مات فيه ، بل كان آخر ما فعل قبل موته ﷺ .

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صَدْرِي ومع عبد الرحمن سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ به فَأَبَدَّهُ رسول الله ﷺ بَصَرَهُ[١] ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فقَضمتُه[٢] وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إلى النبي ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ فما رأيت رسول الله ﷺاسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ منه ، فما عَدَا أَنْ فَرَغَ رسول اللهِ ﷺ رفع يَدَهُ أو إِصْبَعَهُ ثُمَّ قال : (**في الرَّفِيقِ الأعلى ثَلَاثًا ثُمَّ قَضَى**)[٣] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وفيه دلالة على تأكد أمر السواك لكونه ﷺلم يخل به مع ما هو فيه من شاغل المرض)[٤] .

فلرحمته ﷺ وشفقته على أمته لم يأمرها بالسواك أمر إيجاب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي**

---

(١) أي مدَّ نظره إليه . عمدة القاري (١٨/ ٦٥) .

(٢) أي مضغته . عمدة القاري (١٨/ ٦٥) .

(٣) رواه البخاري (٤١٧٤) .

(٤) فتح الباري (٢ / ٣٧٧) .

لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ)[١] .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : (فيه دليل على أن السواك ليس بواجب وأنه اختيار ، لأنه لو كان واجبا لأمرهم به ، شق عليهم أو لم يشق)[٢] .

أيها الكرام ، إن مما يُحزن كل غيور على دينه ، محب لسُنَّة نبيه ﷺ ، أن يرى أن هذه السُنَّة المؤكدة مع كثرة ما روي عن النبي ﷺ فيها قولا وفعلا ، مهجورة عند الكثير من المسلمين! خاصة عند بعض من يعتبرون قدوة لغيرهم ، كأئمة المساجد! وطلبة العلم!.

يقول الإمام ابن الملقن رحمه الله : (هذا آخر ما قصدته وإبراز ما أردته فيما يتعلق بالسواك ، وهو مهم جدًّا ، وقد اجتمع بحمد الله وعونه من الأحاديث من حين شرع المصنِّف في ذكر السواك إلى هذا المكان زيادة على مائة حديث كلَّها في السواك ومتعلقاته ، وهذا عظيم جسيم ، فواعجبًا !!سُنَّة واحدة تأتي فيها هذه الأحاديث ويهملها كثير من النَّاس! ، بل كثير من الفقهاء المشتغلين!! ، وهي خيبة عظيمة ، نسأل الله المعافاة منها)[٣] .

ويزداد الألم وتكثر الحسرة أيها الأحبة ، عندما ترى الكثير من الناس! بل وحتى منهم بعض الأئمة! يتقدمون إلى الصلاة ولا يأتون بهذه السُنَّة النبوية

---

(١) رواه البخاري (٦٨١٣) .

(٢) كتاب الأم (١/ ٢٣) .

(٣) البدر المنير (٢/ ٦٨) .

التي الحث عليها في هذا الموطن آكد!! .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي أو على الناس لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مع كل صَلَاةٍ)**[١] .

قال ابن دقيق العيد رحمه الله : (الحكمة في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة ، كونها حالا تقرب إلى الله فاقتضى أن تكون حال كمال ، ونظافة إظهارا لشرف العبادة)[٢] .

لماذا - أيها الكرام - لا نحيي بيننا هذا السُنَّة الكريمة خاصة عند قيامنا للصلاة؟!مع أن أكثرنا يحفظ هذا الحديث! أين نحن ممن سبقنا من الصالحين؟! فهذا زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أحد رواة هذا الحديث كما عند الإمام الترمذي رحمه الله (كان يَشْهَدُ الصَّلَوَاتِ في الْمَسْجِدِ وَسِوَاكُهُ على أُذُنِهِ مَوْضِعَ الْقَلَمِ من أُذُنِ الْكَاتِبِ لَا يَقُومُ إلى الصَّلَاةِ إلا استن ثُمَّ رَدَّهُ إلى مَوْضِعِهِ)[٣] .

فيا أيها الداعي إلى الله عز وجل ، اعلم أن الناس يراقبون أقوالك وأفعالك وكل حركاتك! وهذا لا يعني أنك ترائيهم في عملك! وتجاملهم على دينك! بل يجب أن تسأل الله تعالى دائما الإخلاص في أعمالك ، وعليك أن تكون

---

(١) رواه البخاري (٨٤٧) واللفظ له ، ومسلم (٢٥٢) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣٧٦) .

(٣) سنن الترمذي (١/ ٣٥)

لهم قدوة صالحة تحيي بينهم سنن المصطفى ﷺ ، ومن ذلك سُنَّة السواك ، وتَذكر دائما عند قيامك بذلك ، قول نبينا ﷺ : (**من سَنَّ في الْإِسْلام سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ من عَمِلَ بها بَعْدَهُ من غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ من أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ...**)[(١)] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وفي هذا الحديث الترغيب في فعل السنن التي أميتت وتركت وهجرت ، فإنه يكتب لمن أحياها أجرها وأجر من عمل بها)[(٢)] .

واحذر-سددك الله-أن تكون ممن يدعو الناس للخير ويحثهم على الحرص على السنن ، وهو عن ذلك بعيد! فإن في ذلك الوعيد الشديد! ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (أي : لم تقولون الخير وتحثون عليه ، وربما تمدحتم به ، وأنتم لا تفعلونه ، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه ، وأنتم متلوثون متصفون به ، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟

أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟

ولهذا ينبغي للآمر بالخير ، أن يكون أول الناس إليه مبادرة ، والناهي عن

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٤٥) .

الشر ، أن يكون أبعد الناس عنه)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لاتباع السُنَّة والعمل بها في أمورنا كلها وإحياءها بين الناس ، وأن يجعل قلوب المسلمين محبة مقبلة على السنن وأهلها ، ومبغضة مبتعدة عن البدع وأهلها ، فإن في ذلك بعون الله ﷻ النجاح والفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة ، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) تفسير السعدي (ص ٨٥٨) .

(٣٨)

بمَ يفرح الكثير
من أبناء الأمة اليوم؟!!

بمَ يفرح الكثير من أبناء الأمة اليوم؟!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن حالنا اليوم! أيها الأفاضل يُدمي العين ويُحزن القلب ! فقد أصبحنا – ولا حول ولا قوة إلا بالله– أضعف الأمم بعد أن كنا أقواها ! وصرنا تابعين بعد أن كنا متبوعين! وأصبحنا عرضة للتسلط والاستهزاء! بعد أن كنا أعزة أقوياء! .

ضيع الكثير من المسلمين أوقاتهم في الملهيات وصرفوها في الشهوات واتباع الملذات ، خاصة من الشباب والفتيات! وأصبح الكثير منهم يشتكي من الفراغات!!التي أدت إلى تسلط الشيطان ، والانغماس في الهوى والعصيان! .

وهذا كله بسبب ترك الرجوع إلى الوحيين ، والبعد عن الدين ، وانحراف الكثير من الشباب عن المنهج القويم والصراط المستقيم ، قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : (بين تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله ﷻ ، والمعنى : أنه لا يسلب قومًا نعمة أنعمها عليهم ، حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح)[(١)] .

أيها الأحبة ، إن أُمتنا اليوم تعيش واقعا مريرا مؤلما! ليس بسبب تكالب أعداء الدين عليها فقط! ، بل حتى بسبب الكثير من أبنائها! حيث انقلبت عندهم الموازين! مقارنة بمن سبقهم من الصالحين! .

فبعد أن كانت الأمة تعتز بشباب باعوا الغالي والنفيس من أجل نصرة هذا الدين العظيم ، والذود عن حمى المسلمين ، أصبحت الآن تفرح بمن يضحي ويبذل في سبيل الفن والتمثيل! .

وبعد أن كانت تفتخر بمن يموت من أجل كلمة التوحيد ، ويُضرب المثل بشجاعته وتحكى قصصه وتروى أخباره للصغار حتى يعرفوا عظمة هذا الدين الذي من أجله يهون كل شيء! أصبح منها اليوم -إلا من رحم الله- يُبجل من يموت في سبيل الفن والطرب والغناء! ويسمى زورا وبهتانا

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٢٣٧) .

فخلاصة ذلك أن الأمة الكريمة بعد أن كانت تفرح بالصالحين من العلماء الربانيين وطلبة العلم الحريصين ومن الزهاد والمجاهدين ، أصبح الكثير من أفرادها اليوم يفتخر بالمفسدين وأعوان الشياطين الذين يسعون جاهدين لهدم الأخلاق وقيم المسلمين .

أيها الكرام ، إن تغير وتبدل فرح الكثير من أبناء الأمة اليوم من فرح شرعيّ إلى فرح شهوانيّ! ، لا يعني من ذلك أنه لا يوجد في أُمتنا في وقتنا الحاضر من يسعد ويفتخر بالأتقياء ويبجل ويُكرمُ الأصفياء ، ويُبغض الأشقياء ، وكل من يحارب الدين من الأعداء ، فالحمد لله فالأمة التي هي خير الأمم ، لا تنعدم من هؤلاء الشرفاء الذين هم أهل الصبر والثبات مهما كان حجم الابتلاء ، فهم لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، ولا ينظرون إلى الكثرة الهالكة! ولا يحتقرون القلة السالكة .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون ، فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا ، والناس على خلافهم ، فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس ، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا)[1] .

وهؤلاء عرفوا أنه لا عزة ولا تمكين إلا بإذن رب العالمين ، ثم بالتمسك

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧) .

بالدين واتباع هدي خير المرسلين ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها ، لعباده المرسلين وجنده المفلحين ، أنهم الغالبون لغيرهم المنصورون من ربهم نصرًا عزيزًا ، يتمكنون فيه من إقامة دينهم ، وهذا بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله)[١] .

فعليكم يا من نجاكم الله ﷻ من هذه الفتن ووفقكم للحق والعمل بالسنن أن تشكروا الله تعالى على هذه المنن ، وتخلصوا وتصبروا وتحتسبوا ، وتدعوا المسلمين بالرفق والحكمة إلى ما ينفعهم وتحذروهم مما يضرهم ، وتذكروهم بحال من سبقهم من الصالحين الذين ما سادوا ولا تمكنوا بين الأمم إلا بتمسكهم بالصراط المستقيم والمنهج القويم .

قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (إنا كنا أذلَّ قوم ، فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلبُ العزةَ بغير ما أعزَّنا الله به أذَلَّنا الله)[٢] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يردَّ المسلمين إلى دينهم ردا جميلا ، وأن يُبعد عنهم الأهواء والشرور ، ويُثبت وينفع بالمتمسكين

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٠٩) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥١) .

منهم بالهدي القويم والصراط المستقيم ، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٣٩)

سهام الليل

لا تخطئ أيها الظالم!!

سهام الليل
لا تخطئ أيها الظالم!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن الباري ﷻ لكمال عظمته وعدله حرم الظلم على نفسه ، وجعله كذلك بين عباده محرما ، فعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : (**يا عبادي إني حَرَّمْتُ الظلم على نفسي ، وجعَلْتُهُ بينكم مُحَرَّمًا ، فلا تَظَالَمُوا ...**)[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا ، وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا ، وهو : العدل في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض)[٢] .

لكن بعض المخلوقين! لم يأتمروا بأمره سبحانه ولم يبتعدوا عن نهيه ، فأعجبتهم أنفسهم وغرتهم قوتهم! وطغى عليه حب الذات ، فتعدوا على

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦٧) .

غيرهم من المستضعفين ، إما بالضرب أو بأخذ أموالهم بغير حق ، أو بالكلام في أعراضهم!!! .

يقول ابن الجوزي رحمه الله : (اعلم أن الظلم يشتمل على معصيتين عظيمتين :

إحداهما : أخذ مال الغير بغير حق . **والثانية** : مبارزة الأمر بالعدل بالمخالفة ، وهذه المعصية فيه أدهى ؛ لأنه لا يكاد يقع الظلم إلا للضعيف الذي لا يقدر على الانتصار إلا بالله عز وجل)[١] .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : (الظلم -يكون-بأكل أموال الناس ، وأخذها ظلما ، وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء)[٢] .

ولو كانت قلوبهم مستنيرة بالإيمان والخوف من الرحمن!لما تمكن منهم الشيطان وزين لهم هذا العصيان! ، يقول ابن الجوزي رحمه الله : (وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب ، ولو استنار بنور الهدى لنظر في العواقب)[٣] .

ونسي هؤلاء الضعفة! الذي اغتروا بأنفسهم! أن الله عز وجل ليس بغافل عما يعملون! وإنه سبحانه لكمال عظمته وحلمه ، يترك لهم المجال لعلهم يتوبون ويرجعون للكبير المتعال ، فإذا هم استمروا في طغيانهم ، فإنهم

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٥٥٩) .

(٢) الكبائر (ص ١٠٤) .

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٥٦٠) .

بظلمهم سيأخذون ولن ينفعهم حينئذ ما به يعتذرون ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (حيث أمهلهم ، وأدر عليهم الأرزاق وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين ، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم ، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثما ، حتى إذا أخذه لم يفلته)[(١)] .

قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ الله ليملي للظالم ، حتى إذا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ**) ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢])[(٢)] .

قال الحافظ المناوي رحمه الله : (وفيه تسلية للمظلوم ، ووعيد للظالم ، وأنه لا يغتر بالإمهال فإنه ليس بإهمال)[(٣)] .

أيها - الأحبة الكرام - إن للظلم عاقبة وخيمة وأخطارا جسيمة ، فكم من ظالم! تكبر وتجبر وسعى في الأرض فسادا ، وظن أنه لا يَهلِك ، فأخذه الجبار أخذ عزيز مقتدر ، وجعله لمن بعده آية ، وفي قصته عبرة ، وكم من ديار أُهلكت بسببه ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٢٧) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٠٩) ومسلم (٢٥٨٣) واللفظ له ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) فيض القدير (٢/ ٤) .

لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾[الكهف : ٥٩] .

قال الشنقيطي رحمه الله : (بين - الله ﷻ في هذه الآية الكريمة : أن القرى الماضية لما ظلمت بتكذيب الرسل والعناد واللجاج[١] . في الكفر والمعاصي أهلكهم الله بذنوبهم)[٢] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة)[٣] .

أيها الظالم !يا من أعجبتك نفسك تذكر قدرة الله ﷻ عليك عند اغترارك بقدرتك على الضعفاء والمساكين! وتذكر أن لهؤلاء الضعفة سلاحا لن تستطيع التغلب عليه مهما بذلت واجتهدت!! ، فهي سهام سيصلك تأثيرها إذا لم تبادر إلى الجبار بالتوبة والاستغفار ، طال بك الأجل أم قصر ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : (**وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الْغَمَام وَيَفْتَحُ لها أَبْوَابَ السَّمَاء ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**)[٤] .

قال القاري رحمه الله : (والمعنى لا أضيع حقك ، ولا أرد دعاءك ، ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد لعلهم يرجعون عن الظلم

---

(١) الخصومة الشديدة .

(٢) أضواء البيان (٣ / ٣١٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣) .

(٤) رواه الترمذي (٢٥٢٦) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة ، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله)[١] .

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)[٢] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فالمظلوم يستجيب الله دعاءه حتى ولو كان كافرًا فلو كان كافرًا وظلم ودعا على من ظلمه أجاب الله دعاءه ، لأن الله حكم عدل ﷻ ، يأخذ بالإنصاف والعدل لمن كان مظلومًا ولو كان كافرًا ، فكيف إذا كان مسلمًا؟)[٣] .

كيف يا هذا!! يهنأ لك العيش ويطيب لك النوم! وأعين المظلومين المستضعفين ساهرة تدعو عليك!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (فأين من هو نائم وأعين العباد ساهرة تدعو الله له ، وآخر أعينهم ساهرة تدعو عليه)[٤] .

وصدق من قال :

---

(١) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٣٠) .

(٢) رواه البخاري (٢٣١٦) واللفظ له ، ومسلم (١٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٨٥) .

(٤) طريق الهجرتين (ص٥٢٥) .

أَتَـــهزَأُ بالـدعاء وتَــزدَريه وما يُدريك ما صنعَ الدعاءُ
سهام الليل لا تُخطي ولكنْ لها أمدٌ وللأمد انـقضاءُ[١].

فبادر -وفقك الله- بالتوبة للغفور الرحمن وتخلص من مظلمتك، وتحلل ممن ظلمته قبل فوات الأوان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من كانت عنده مَظْلِمَةٌ لأخيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ من قبل أن يُؤْخَذَ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات أخيه فَطُرِحَتْ عليه**)[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (في الدنيا يمكن أن يتحلل الإنسان من المظالم التي عليه بأدائها إلى أهلها، أو استحلالهم منها، لكن في الآخرة ليس هناك شيء إلا الأعمال الصالحة، فإذا كان يوم القيامة أقتص من الظالم للمظلوم من حسناته؛ يؤخذ من حسناته التي هي رأس ماله في ذلك اليوم، فإن بقي منه شيء وإلا أخذ من سيئات المظلوم وحملت على الظالم والعياذ بالله، فازداد بذلك سيئات إلى سيئاته.

وظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض، سواء علم أم لم يعلم، وذلك كأن المظالم إما أن تكون بالنفس،

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ٥٢٧).
(٢) رواه البخاري (٦١٦٩).

أو بالمال ، أو بالعرض)[١] .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يهدي الظالمين للحق ، ويغفر لهم ويتجاوز عنهم ، ويبعدنا وإياكم عن كل الشرور ، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٠٩) .

(٤٠)

شهر الخيرات على الأبواب

فاستعدوا له أيها الأحباب

شهر الخيرات على الأبواب فاستعدوا له أيها الأحباب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إن شهر رمضان أيها الكرام هو شهر الرحمات وموسم الخيرات ، فيه يزداد البذل والعطاء ويكثر الجود والسخاء ، وقلوب المتقين دائما له تَحن وعلى فراقه تَئن .

كان نبينا ﷺ يفرح بقدومه ويزف بُشرى حلوله لأصحابه رضي الله عنهم ، فيقول ﷺ : **(أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله ﷻ عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغَل فيه مَرَدَةُ الشّياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، مَن حُرم خيرَها فقد حُرم)** [(١)] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : (كيف لا يُبشّر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يُبشّر المذنب بغلق أبواب النيران؟!كيف لا يُبشّر العاقل بوقت يغل

---

(١) رواه النسائي (٢١٠٦)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله .

فيه الشّياطين؟! من أين يشبه هذا الزمان زمان)[١] .

لكن الناظر في حال الأمة اليوم أيها الأحبة الأفاضل ، يجد أنهم ليسوا على قلب رجل واحد في الاستعداد لهذا الشهر العظيم والموسم الكريم ، فمنهم ولله الحمد من يفرح بقدوم شهر القرآن والتوبة والغفران ، الذي يعتق فيه الرحمن بفضله عبادا له من النيران ، فيحيون سنة سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ويتزودون فيه من أنواع البر والإحسان ، ويحمدون الله ﷻ على هذه النعمة ويكثرون من الشكران .

ومنهم!!من لبس عليه الشيطان فيترك أو يزهد!! فيما هو فيه مشروع ويجتهد في الممنوع!! فيفعل فيه البدع والمحدثات وغير ذلك من الشبهات ! ، كالاحتفال بالنصف منه أو ما يسمى في بعض البلدان بـ(**القريقعان**)! - وتسميتها مأخوذة من قرع الأطفال للأبواب طلبا للحلوى ، ولها مظاهر خاصة بها كتحضير أصناف الأكل ، ولبس ملابس تراثية ، وتخصيصها بتبادل الهدايا وإقامة المهرجانات ، وغير ذلك مما يحدث فيها من المنكرات-مع أن العلماء الأجلاء حذروا من ذلك وبينوا أن ذلك من المحرمات .

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله **ما نصه :** (الاحتفال في ليلة الخامس عشر من رمضان أو في غيرها

---

(١) لطائف المعارف (ص١٥٨) .

بمناسبة ما يسمى مهرجان القرقيعان بدعة لا أصل لها في الإسلام (**وكل بدعة ضلالة**) فيجب تركها والتحذير منها ، ولا تجوز إقامتها في أي مكان ، لا في المدارس ولا المؤسسات أو غيرها ، والمشروع في ليالي رمضان بعد العناية بالفرائض الاجتهاد بالقيام وتلاوة القرآن والدعاء)[١] .

أو كالاحتفال بذكرى غزوة بدر! في السابع عشر من رمضان من كل عام ، فتقام فيها الاحتفالات في المساجد وفي القاعات العامة ، ويتخلل هذه الاحتفالات أناشيد زعموا أنها إسلامية! وكذلك تكريم بعض الحضور وإلقاء الخطب والمحاضرات عن غزوة بدر ، مع أن تخصيص هذه الليلة بالاجتماع والذكر وإلقاء القصائد بدعة .

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ : (فلا يحتفل بذكرى غزوة بدر ولا غيرها من الغزوات العظيمة ، سواء كانت هذه الانتصارات في عهد النبي ﷺ أو بعده)[٢] .

أو تخصيص ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان على أنها ليلة القدر باحتفالات أو بكثرة تلاوة القرآن ، والاجتماع في المساجد وتوزيع الجوائز وغير ذلك مما يحدثونه .

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٥٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٩١) .

مع أن النبي ﷺ لم يكن يحتفل بها ولا أصحابه رضي الله عنهم ولا القرون المفضلة احتفلوا بها ، بل كانوا يتحرونها في الليالي الأوتار من العشر الأخيرة من رمضان ، فيكثرون فيها الصلاة والدعاء وقراءة القرآن .

وهؤلاء!! أحب إلى الشيطان من أهل العصيان! .

يقول سفيان الثوري رحمه الله : (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)[1] .

ومنهم! ، من يجعله فرصة لإحياء لياليه بالسهرات وحضور الحفلات وشهود المهرجانات التي فيها مضيعة للأوقات ، والغالب أنها لا تخلوا من المنكرات ، وهو عندهم شهر التنعم بما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات .

ومنهم!! من لا يفرح أصلا بقدومه! لأنه قد يمنعهم من بعض التجارات! والتمتع في نهاره بالشهوات! ويحجبهم عما تعودوا عليه من السفرات! ، فيتمنون أن يتخلصوا منه في أقرب الأوقات! نسأل العفو والعافية من رب البريات .

فشتان والله بين هؤلاء !!! .

أيها الأحبة الأفاضل ، إن الله ﷻ إذا أكرمنا هذه السنة بإدراك شهر رمضان- ونسأله سبحانه ذلك- ، فإن علينا أن نقابل ذلك بالشكر والتقوى ،

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦) .

لأن النعم تزداد بإذن الرحمن بالشكر والإيمان ، وتزول وتتحول إلى نقم بالجحود والعصيان ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم : ٧] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات ، أن يقابلوا نعم الله بالشكر ، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله ، وأن يحذروا كفران النعم)[١] .

وشكرنا للباري عز وجل ينبغي أن لا يكون فقط باللسان! كما هو حال الكثير منا! ، بل لابد أن يكون كذلك بالقلب والأركان ، وذلك بتطهير قلوبنا من كل الآفات وألسنتنا وجوارحنا من كل المنكرات ، ونسعى في فعل الطاعات والتزود من الخيرات ، وأن نعزم على التوبة الصادقة من كل الذنوب السابقة .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافا وعلى قلبه : شهودا ومحبة وعلى جوارحه : انقيادا وطاعة ، والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وأن لا يستعملها فيما يكره . فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها ، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة ، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه

---

(١) أضواء البيان (٩/ ١١٢) .

إليها يرجع وعليها يدور)[١] .

إن الصائم – أيها الكرام – ينبغي أن يظهر عليه ثمرة الصيام والقيام وهي تقوى العزيز العلام ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه فمما اشتمل عليه من التقوى : أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقربا بذلك إلى الله راجيا بتركها ثوابه ، فهذا من التقوى ، ومنها : أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه ، لعلمه باطلاع الله عليه ، ومنها : أن الصيام يضيق مجاري الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي ، ومنها : أن الصائم في الغالب تكثر طاعته ، والطاعات من خصال التقوى ، ومنها : أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين ، وهذا من خصال التقوى)[٢] .

إن الصيام الشرعي الذي تقطف منه ثمرة التقوى أيها الأحبة له تأثير على باطن الصائم وظاهره ، فنراه طائعا لأوامر الله ﷻ ساعيا في تحقيقها مبتعدًا

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤) .

(٢) تفسير السعدي (ص٨٦) .

عن نواهيه سبحانه حريصا على اجتنابها .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى)[١] .

لكن الكثير منا - أيها الأفاضل ، إلا من رحم الله- يمتنع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس سواء كان ذلك في صيام الفرض أو النفل ، لكننا لا بد أن نسأل أنفسنا! هل حققنا الغاية المرجوة من الصيام ألا وهي : (**تقوى الله** ﷻ)؟! ، هل حبسنا ألسنتنا عن التحدث في أعراض الناس؟! ، هل صُنَّا أسماعنا وحمينا أبصارنا عن الحرام؟! ، والله المستعان .

قال جابر رضي الله عنه : (إذا صُمتَ فليَصُم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليَكُن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ، ويوم فطرك سواء)[٢] .

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٩) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧١) .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : (ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا ، فهو خير إلى خير)[١] .

أيها الأفاضل ، ينبغي أن نعلم أنه إذا لم تترتب آثار التقوى على الصائم ، فإن صيامه يعتبر ناقصا ، ولا يقال : أنه باطل ، فهو صحيح ، ولا يؤمر بإعادته ، لكنه يؤجر على صيامه بقدر ما حقق من التقوى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[٢] .

قال ابن بطال رحمه الله : (قال المهلب : فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور ، كما يمسك عن الطعام والشراب ، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه)[٣] .

وقال ابن المنير رحمه الله : (هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئا طلبه منه فلم يقم به لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول السالم منه)[٤] .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ٢٣٠) .

(٢) رواه البخاري (١٨٠٤) .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٢٣) .

(٤) فتح الباري (٤/ ١١٧) .

قال ﷺ : (رُبَّ صَائمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِهِ إلّا الجُوعُ وَرُبّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إلّا السّهَرُ)[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فان قول الزور والعمل به في الصيام أوجب إثما يقابل ثواب الصوم وقد اشتمل الصوم على الامتثال المأمور به والعمل المنهي عنه فبرئت الذمة للامتثال ووقع الحرمان للمعصية)[٢] .

فالله الله – أيها الأحباب – في اغتنام هذا الشهر الذي هو على الأبواب فيما يرضي العزيز الوهاب ، والسعي فيه دائما لعمل الصواب وطاعة التواب ، ولنحذر أشد الحذر ونحذر الناس من كل الملهيات التي تمنع عن الطاعات وتجر إلى المحرمات ، وخاصة من بعض وسائل الإعلام المرئية ! التي لا تتقي الله في المسلمين ولا تراعي عظمة هذا الشهر الجليل ، وتسعى دائما جاهدة لإفسادهم ، وذلك بنشر كل رذيلة والمنع من كل فضيلة حتى في شهر رمضان – ولا حول ولا وقوة إلا بالله– ، وذلك ببث الأفلام والمسلسلات الهابطة والبرامج والحفلات والأغاني الساقطة ، وإشغال الصائمين عن قراءة القرآن وعبادة الرحمن ، والله المستعان .

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لإدراك هذا

---

(١) رواه ابن ماجة (١٦٩٠)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله .

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٣) .

الشهر العظيم ، ويجعلنا فيه ممن يحرص على التزود من الخيرات وفعل الطاعات التي تقوي الإيمان وتكون بعون المنان سببا للعتق من النيران ، وأن يحفظ ﷻ المسلمين دائما وفيه من كيد الأشرار ومكر الفجار ، فهو سبحانه ولي ذلك والعظيم الجبار .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهارس عامة

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث القدسية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- المصادر المعتمدة .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الصفحة
	البقرة :	
[١٨٣]	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾	٣٣١
[٢١٤]	﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾	٣٠٠
[٢٣٢]	﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٩١
[٢٣٨]	﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾	١٠٤
[٢٧٥]	﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	٧٤
[٢٧٦]	﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾	٧٦
[٢٧٨-٢٧٩]	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾	٧٥
	آل عمران :	

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٣٠]	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾	١٨٦
[١٠٢]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	٥
[١١٠]	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	٣٤
[١٧٩]	﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	٢٠
[١٨٧]	﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	٢٨٨

النساء :

[١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	٥
[٣]	﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ﴾	٨٩

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٥]	﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾	٢١٤
[٣٤]	﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾	١٤٩
[٧٨]	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾	١٤٥
[٨٢]	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	١٨٨
[٨٣]	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٣٠
[١٠٣]	﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾	١٠٣
[١٠٨]	﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾	٤٢
	المائدة :	
[٣]	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	٢٣٩
[١١٨]	﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١٨٩

رقم الآية	السورة	الصفحة
	الأنعام :	
[٤٤]	﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾	١٩٢
	الأعراف :	
[٩٧-٩٩]	﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	١٩٣
	التوبة :	
[٤٩]	﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ ﴾	٢٣ ، ٣٧
	يونس :	
[٦٢-٦٤]	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٢٢٦
[٨١]	﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	٨٣

رقم الآية	السورة	الصفحة
	هود :	
[١٠٢]	﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾		٣٢٠
	الرعد :	
[١١]	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾		٣١٣
[٢٨]	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾		٢٢٤
	إبراهيم :	
[٧]	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾		٣٣٠
[٢٢]	﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		٢٣٣
[٤٢]	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾		٣٢٠

رقم الآية	السورة	الصفحة
	الحجر :	
[٣]	﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	١٤١
[٩]	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	١٨٠
[٩٢ - ٩٣]	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٧٨
	يوسف :	
[٥٣]	﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٢٠
[٨٣]	﴿ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ﴾	٣٠٠
	النحل :	
[١٨]	﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٦٦ ، ٢٠٤
[١١٢]	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾	١٥٥

رقم الآية	السورة	الصفحة
	الإسراء:	
[٢٧]	﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾	٢١٥
[٥٩]	﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾	١٥٧
[٧٤]	﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾	٢٨
	الكهف:	
[٤٩]	﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ﴾	١٨٦
[٥٩]	﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾	٣٢٠
[١١٠]	﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾	٢٢٢
	مريم:	
[٤]	﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾	٣٠٠
	طه:	
[٦٩]	﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾	٨٣

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٧١]	﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾	٢٧
[٧٢]	﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٧
	الأنبياء :	
[٢٥]	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٢٨٧
	الحج :	
[١]	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾	١٨٢
	المؤمنون :	
[٦١]	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾	٢٩٤
	النور :	
[٣١]	﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٢٤٧

رقم الآية	السورة	الصفحة
	الفرقان :	
[٢٧]	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾	٢٣٤
[٢٩]	﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾	٢٣٣
	النمل:	
[٦٥]	﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٨١
	القصص:	
[٧٧]	﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾	٢٥٨
[٨١]	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾	١٧٧
	العنكبوت:	
[٦٩]	﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾	٥٤
	الروم:	
[١٤]	﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾	٢٣٨

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٢١]	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٨٨
[٣٢]	﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٢٣٨
[٤١]	﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	١٥٤
[٤٣]	﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾	١٨٥

لقمان :

[٦]	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	٢٦٨
[١٢]	﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾	٢٠٩

السجدة :

[٢٤]	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	١٢٩

الأحزاب :

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٧٠-٧١]	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾	٥
	الصافات :	
[١٧١-١٧٣]	﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾	٣١٥
	الزمر :	
[٣٠]	﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٢٢٨
[٦٧]	﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾	١٧٥
	غافر :	
[٦٠]	﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾	٤٤
	الشورى :	
[٤٩-٥٠]	﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾	٦٧
	محمد :	

رقم الآية	السورة	الصفحة
[٧]	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	٣٠١
	الحجرات :	
[٦]	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ﴾	٢٤٨
[١٢]	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾	٢٤٤
	الذاريات :	
[٥٦-٥٨]	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	٢٦٠
	الواقعة :	
[٧١-٧٤]	﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَـٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَـٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	٢٧٦
	المجادلة :	

رقم الآية	السورة	الصفحة
[١١]	﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾	١٦٠
	الصف:	
[٢ - ٣]	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣٠٩
	الجمعة:	
[٨]	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ﴾	١٤٥
	التغابن:	
[٩]	﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ ﴾	٢٣٤
	النازعات:	
[٤٦]	﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾	١٤٢
	الانشقاق:	
[٣-٤]	﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾	١٨٣
	التين:	
[٤]	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	١٩٨
	الزلزلة:	

رقم الآية	السورة	الصفحة
[١]	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	١٨١
[٢]	﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾	١٨٢
[٣]	﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾	١٨٤
[٤-٥]	﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾	١٨٥
[٦]	﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾	١٨٥
[٧-٨]	﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	١٨٦

الأحاديث القدسية

الحديث	الصحابي	الصفحة
ثَلَاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يوم الْقِيَامَةِ	أبو هريرة	٩٨
يا عبادي إني حَرَّمْتُ الظلم	أبو ذر	٣١٨

الأحاديث النبوية

الحديث	الصحابي	الصفحة
اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ	معاذ بن جبل	٣٢٢
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ	أبو هريرة	٨٢
اشْتَكَتْ النَّارُ إلى رَبِّهَا	أبو هريرة	٢٧٥
اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ	أبو مسعود البدري	٩٧
اغتنم خمسا قبل خمس	ابن عباس	١٥٠
أتاكم رمضان شهر مبارك	أبو هريرة	٣٢٦
أَضَلَّ الله عن الْجُمُعَةِ من كان قَبْلَنَا	أبو هريرة	١١٢
أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ	ابن عمر	٩٦
ألا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ	معاذ بن جبل	١٠٢
ألا كلكم راع وكلكم مسؤول	ابن عمر	٦٩
إذا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ	أنس	٢٣٠

الحديث	الصحابي	الصفحة
إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ	أبو هريرة	٩١
إذا رَأَيْتَ اللَّهَ يعطي الْعَبْدَ	عقبة بن عامر	١٩٣
إذا ظَهَرَتِ المعاصي في أمتي	أم سلمة	١٥٨
إذا كان يَوْمُ الْجُمُعَةِ	أبو هريرة	١١٦
إذا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ	أبو هريرة	٧١
إن أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يوم الْقِيَامَةِ	أبو هريرة	١٠٢
إن أول ما يقضي بين الناس	ابن مسعود	١٠٣
إن الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى الناس	سهل بن سعد الساعدي	٢٢٩
إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ	أبو هريرة	٢٠١
إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا	المغيرة بن شعبة	٢١٣
إن الله يحب إذا عمل أحدكم	عائشة	٩٦
إنَّ الله ليملي للظالم	أبو موسى الأشعري	٣٢٠
إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ	ابن عمر	٢٣٤
إن لربك عليك حقا	أبو جحيفة	٢٥٩
إن من ورائكم أيام الصبر	أبو ثعلبة الخشني	٣٩

الحديث	الصحابي	الصفحة
إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً	كعب بن عياض	١٣٢
إني قد تركت فيكم شيئين	أبو هريرة	١٨١
إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ	أبو هريرة	٢٤٥
إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ	سهل بن سعد الساعدي	١٩٤
بدأ الإسلام غريبا	أبو هريرة	٣٧
بينما رجل يَتَبَخْتَرُ يمشي في بُرْدَيْهِ	أبو هريرة	١٧٧
التأني من الله	أنس	٢٩٥
تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ من الْفِتَنِ	زيد بن ثابت	٢٩
تقيء الأرض أَفْلَاذَ كَبِدِهَا	أبو هريرة	١٨٣
ثلاث مهلكات	أنس	١٧٤
ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ	أبو هريرة	٢٩٨
حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا	أنس	٢١٨
خَيْرُ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ	سمرة بن الجندب	٨٥
خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ	أبو هريرة	١١٢

الحديث	الصحابي	الصفحة
الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ	أبو هريرة	١٨٦
دِرْهَمُ رِباً يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ	عبد الله بن حنظلة	٧٧
دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ	أبو بكرة الثقفي	٢٨
الدين النصيحة	تميم الداري	٢٤٩
الذين يُصْلِحُونَ إذا أفسد الناس	ابن مسعود	٣٨
الربا سبعون بابا	أبو هريرة	٧٧
الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فإن عَاقِبَتَهُ	عبد الله بن مسعود	٧٧
رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ صَوْتَ	ابن عمر	٢٧٢
رُبَّ صَائمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِهِ	أبو هريرة	٣٣٤
سمع النبي ﷺ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ	رجل من جهينة	١٨١
السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ	عائشة	٣٠٥
صلاح أول هذه الأمة	عبد الله بن عمرو	١٤٣
صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة	أنس	٢٧٠
فَوَ اللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ	عمرو بن عوف	١٣٢

الحديث	الصحابي	الصفحة
في هذه الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ	عمران بن الحصين	٢٧٠
في الرَّفِيقِ الأعلى ثَلَاثًا	عائشة	٣٠٦
لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا	جابر	٧٨
لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا من أُمَّتِي	ثوبان	٤٣
لو كان لابن آدم واديان	أنس	١٣٥
لو لم تكونوا تذنبون	أنس	١٧٥
لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ	أبو هريرة	٣٠٦
لو يَعْلَمُ الناس ما في النِّدَاءِ	أبو هريرة	١٠٥
لَيَكُونَنَّ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ	أبو مالك الأشعري	٢٧٠
لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن وَدْعِهِمْ الْجُمُعَاتِ	أبو هريرة	١١٥
لا تزول قدما عبد يوم القيامة	أبو برزة الأسلمي	١٣٦
لا تزال طائفة من أمتي منصورين	قرة بن إياس	١٦
لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يوم الْجُمُعَةِ	سلمان الفارسي	١١٣
لا يجتمعان في قلب عبد	أنس	٢٣١

الحديث	الصحابي	الصفحة
لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عن الصَّفِّ الْأَوَّلِ	عائشة	١٠٧
لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ الناس	أبو سعيد الخدري	٢١
كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا	أبو هريرة	٢٩٦
كُلُّ الناس يَغْدُو	أبو مالك الأشعري	١٢٢
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ	عبد الله بن عمر	١٤١
كن ورعا تكن أعبد الناس	أبو هريرة	١٣٦
ما من مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ	أبو سعيد الخدري	٢٩٩
الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ	فضالة بن عبيد	١٢٦
مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ	أبو هريرة	١١٤
من اغْتَسَلَ يوم الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ	أبو هريرة	١١٣
مَن أتى كاهناً فصدَّقهُ	أبو هريرة	٨١
من أحدث في أمرنا هذا	عائشة	٢٣٧
من تَرَكَ ثَلاثَ جُمُعَاتٍ	أسامة بن زيد	١١٥
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا	أبو هريرة	١٦٣

الحديث	الصحابي	الصفحة
من سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ	ابن عمر	١٧٨
من سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً	جرير بن عبد الله	٣٠٩
من صلى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا	أنس	١٠٦
من قال: لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له	أبو هريرة	٨٥
من قال لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ	حذيفة	٢٣٠
من كان آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إلا الله	معاذ بن جبل	٢٣١
من كانت عنده مَظْلِمَةٌ لأخيه	أبو هريرة	٣٢٣
من لم يدع قول الزور	أبو هريرة	٣٣٣
من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا	معاوية	١٦١
من يَضْمَنْ لِي ما بين لَحْيَيْهِ	سهل بن سعد الساعدي	١٩٩
نَارُكُمْ جُزْءٌ من سَبْعِينَ جُزْءًا	أبو هريرة	٢٧٧
الندم توبة	ابن مسعود	٦١
نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ	عمرو بن العاص	١٣٣
هم من كان على مثل ما أنا عليه	عبد الله بن عمرو	١٣

الحديث	الصحابي	الصفحة
والله لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ	أبو هريرة	٥٩
وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله	أبو هريرة	٣٢١
ولا أَرَى الْأَجَلَ إلا قد اقْتَرَبَ	عائشة	١٢
ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ	معاوية	٥٨
وَهَلْ يَكُبُّ الناس في النَّارِ	معاذ بن جبل	١٩٩
يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها	رجل من خزاعة	٢١٨
يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من اسْتَطَاعَ	ابن مسعود	٨٩
يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ ما لم يَعْجَلْ	أبو هريرة	٢٢٩

الآثـــار

الأثر	القائل	الصفحة
اتبع طرق الهدى ولا يضرك	الفضيل بن عياض	٣٩
احم القلب عن سوء الظن	الحارث المحاسبي	٢٤٩
ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرَة	علي بن أبي طالب	١٤٤
الاقتصاد في السنة	ابن مسعود	٢٤٠
ألا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ	عمر	٩٠
أن اقتلوا كل ساحر وساحرة	عمر	٨٤
أيجد لذة الطاعة من يعصي	وهيب بن الورد المكي	٢٢٣
إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساء	ابن عمر	١٤٢
إذا رأيت الرجل يتهاون في	إبراهيم التيمي	١٠٨
إذا أنت خفت على عملك العجب	الشافعي	١٧٨
إذا عُرفت في موضعٍ فاهرب منه	بشر بن الحارث	٢٨٤
إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك	ابن تيمية	٢٢٠
إذا صُمتَ فليَصُم سمعك وبصرك	جابر	٣٣٢

الأثر	القائل	الصفحة
إنا كنا أذلَّ قوم	عمر	٣١٥
إني لأرجو أن يكون مجلسي	سفيان الثوري	٢٨٥
إن اقتصادا في سبيل وسنة	أبي بن كعب	٢٤١
إن الرجل ليصيب الذنب	سليمان التيمي	٤٣
إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء	قتادة	١٥٧
إن المؤمن يرى ذنوبه	ابن مسعود	١٩٥
إن من الشقاء طول الأمل	الفضيل بن عياض	١٤٤
إنما جئنا لنشتري بدراهمنا	ابن محيريز	٢٩٠
إياك والشهرة	سفيان الثوري	٢٨٤
إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها	أحد الحكماء	٣٠٢
البدعة أحب إلى الشيطان	سفيان الثوري	٢٣٧
بلغني أن العلماء فيما مضى	الفضيل بن عياض	٢٨٤
التباغض والتحاسد أصلهما	المهلب	٢٤٦
تحركت من أسفلها	ابن عباس	١٨٢
حَذَرَ امْرُؤٌ أن تُبْغِضَهُ قلوبُ	أبو الدرداء	٤٣

الأثر	القائل	الصفحة
ذُكرت في الناس ولا أحب أن أذكر	أيوب السختياني	٢٩٠
سألت ابن المبارك ما الكِبْر؟	أبو وهب المروزي	١٧٥
سننكم والله الذي لا إله إلا هو	الحسن البصري	٢٣
علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر	أبو حاتم الرازي	١٤
الغناء ينبت النفاق في القلب	ابن مسعود	٢٦٨
الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم	الحسن البصري	٢٩
لأن أبيت نائما وأصبح نادما	مطرف بن عبد الله	٢٩٠
لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى	سفيان بن عيينة	١٠٩
لعلهم يعرفونني فيحابوني	محمد بن يوسف الأصبهاني	٢٩٠
لم يكونوا يسألون عن الإسناد	محمد بن سرين	١١
اللهم إنك تعلم أني لم أكن	معاذ بن جبل	٢١٩
لو رأيتم الرجل يطير في الهواء	أحد السلف	٢٤٠
ليكن أول ما يعتقدون من أدبك	عمر بن عبد العزيز	٢٦٦
لا أفلح والله من زكى نفسه أو أعجبته	الذهبي	٢٩٠
لا يحل لامرئ مسلم سمع من أخيه	عمر	٢٤٨

الأثر	القائل	الصفحة
لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب	بشر بن الحارث	٢٩٠
لا يطولنَّ عليكم الأمد	أبو موسى الأشعري	١٤٤
ليس تقوى الله بصيام النهار	عمر بن عبد العزيز	٣٣٣
كان أبي يُعلِّمنا مغازي رسول الله ﷺ	إسماعيل بن محمد	٦٩
كان الأعمش قريبا من سبعين سنة	وكيع	١٠٩
كتب إلي بعض إخواني	سعيد بن المسيب	٢٤٨
كل بدعة ضلالة	ابن عمر	٢٣٨
كنا نُعَلَّمُ مغازي النبي ﷺ	علي بن الحسين	٦٨
كنت أمشي مع ابن مسعود فمر بالحدادين	سعد بن الأخرم الطائي	٢٧٨
ما ازداد صاحب بدعة	أيوب السختياني	٢٣٨
ما أطال عبد الأمل	الحسن البصري	١٤٠
مَا صَدَقَ عَبْدٌ قَطُّ، فَأَحَبَّ الشُّهرَةَ	أيوب السختياني	٢٨٩
ما صدق اللهَ عبدٌ أحب الشهرة	إبراهيم بن أدهم	٢٨٩
ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ	سعيد بن المسيب	١٠٨
ما يأتي على الناس عام	ابن عباس	٢٣٦

الأثر	القائل	الصفحة
مر ابن عمر بجارية صغيرة	عبد الله بن دينار	٢٦٥
مررت برجل من العُبَّاد بالبصرة	الحارث المحاسبي	٢٦٠
مساكين أهل الدنيا	أحد السلف	٢١٩
من ابتدع في الإسلام بدعة	مالك	٢٣٩
من استحوذ عليه الهوى	الفضيل بن عياض	١٢٨
من بلي بالشهرة	أحمد بن حنبل	٢٨٣
من لم يدرك التكبيرة الأولى	وكيع	١٠٨
هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي	مالك	٧
والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا	ابن قتيبة	٢٨٦
نزلت في الغناء وأشباهه	ابن عباس	٢٦٨
ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد	الذهبي	٢٩١

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
أَتَـهزَأُ بالـدعاء وتَـزدَريه	أحد السلف	٣٢٣
إذا ما خلوتَ الدَّهر يوما فلا تقل	أحد السلف	٤٦
تفنى اللذات ممن نال صفوتَها	سفيان الثوري	٥٠
حب الكتاب وحب الحان الغنا	ابن القيم	٢٦٧
والجهل داء قاتل وشفاؤه	ابن القيم	١٦٨
وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منّا	أحد السلف	٧٠

المصادر المعتمدة

١ - الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة للشيخ الفوزان/ ط. دار سحاب السلفية -مصر.

٢ - الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح / ط. عالم الكتب- السعودية.

٣ - الأم للشافعي / ط. دار المعرفة - بيروت.

٤ - أحكام القرآن لابن العربي / ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥ - أحكام القرآن للجصاص / ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦ - الأذكار للنووي / ط. دار الفكر - بيروت.

٧ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٨ - الإبانة الكبرى لابن بطة / ط. دار الراية -الرياض.

٩ - إحياء علوم الدين للغزالي / ط. دار المعرفة - بيروت.

١٠ - الاعتصام للشاطبي / ط. دار ابن الجوزي - الرياض.

١١ - إعلام الموقعين لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم/ ط. دار ابن الجوزي - الرياض.

١٣ - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي / ط. دار الفكر - بيروت.

١٤ – البداية والنهاية لابن كثير / ط. إحياء التراث– بيروت.

١٥ – البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن / ط. دار الهجرة - السعودية.

١٦ – بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط. دار الرشد –السعودية.

١٧ – تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ط. المكتب الإسلامي– بيروت.

١٨ – تاريخ دمشق لابن عساكر / ط. دار الفكر - بيروت.

١٩ – التبصرة لابن الجوزي / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠ – تحريم الآلات الطرب للألباني / ط. مؤسسة الريان– بيروت.

٢١ – تحفة الأحوذي للمباركفوري / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٢ – التخويف من النار لابن رجب / ط. مكتبة المؤيد - السعودية.

٢٣ – تفسير البغوي / ط. دار المعرفة – بيروت.

٢٤ – تفسير السعدي / ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٥ – تفسير الطبري / ط. دار الفكر - بيروت.

٢٦ – تفسير القرطبي / ط. دار الشعب– القاهرة.

٢٧ – تفسير ابن كثير / ط. دار الفكر – بيروت.

٢٨ – تلبيس إبليس لابن الجوزي / ط. دار الفكر -بيروت.

٢٩ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر / ط. مؤسسة قرطبة - مصر.

٣٠ - التمهيد لابن عبد البر / ط. الأوقاف المغربية.

٣١ - التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي / ط. دار طيبة - الرياض.

٣٢ - التواضع والخمول لابن أبي الدنيا / ط. دار الكتب العلمية .

٣٣ - التوبة لابن أبي الدنيا/ ط. مكتبة القرآن- مصر.

٣٤ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح نونية ابن القيم لأحمد بن إبراهيم ابن عيسى/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٣٥ - التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي / ط. مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.

٣٦ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي / ط. مكتبة المعارف - الرياض.

٣٧ - جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٨ - الجواب الكافي لابن القيم / ط. دار المعرفة - بيروت.

٣٩ - الجواهر من خطب المنابر / ط. مكتبة الرشد - السعودية.

٤٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم/ ط. المدني - القاهرة.

٤١ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني / ط. دار الفكر -بيروت.

٤٢ – حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب للشيخ بكر أبو زيد/ ط. دار ابن الجوزي– السعودية.

٤٣ – رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي / ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - سوريا.

٤٤ – الروح لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٥ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦ – روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم/ ط. دار الكتب العلمية –بيروت.

٤٧ – رياض الصالحين للنووي / ط. الرسالة– بيروت.

٤٨ – زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي / ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٩ – زاد المعاد لابن القيم / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٠ – الزهد للإمام أحمد / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٥١ – الزهد لابن المبارك/ ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٢ – زهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني / ط. دار الجيل– بيروت.

٥٣ – سبل السلام في شرح بلوغ المرام للصنعاني/ ط. دار ابن الجوزي– السعودية.

٥٤ – السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني / ط. دار المعارف– السعودية.

٥٥ – السنة للمروزي / ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٥٦ – سنن أبي داود / ط. المكتبة العصرية - بيروت.

٥٧ – سنن الترمذي / ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت.

٥٨ – سنن الدارمي / ط. دار المغني – السعودية.

٥٩ – السنن الكبرى للبيهقي / ط. دار الكتب العلمية –بيروت.

٦٠ – سنن النسائي / ط. مكتب المطبوعات الإسلامية– دمشق.

٦١ – سنن ابن ماجة / ط. دار إحياء الكتب العربية– بيروت.

٦٢ – السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني/ ط. دار العاصمة - الرياض.

٦٣ – سير أعلام النبلاء للذهبي / ط. الرسالة –بيروت.

٦٤ – شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي / ط. دار طيبة –السعودية.

٦٥ – شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط.دار الوطن –الرياض.

٦٦ – شرح السنة للبغوي / ط. المكتب الإسلامي - دمشق.

٦٧ – شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ ط.مكتبة الثقافة -القاهرة.

٦٨ – شرح صحيح البخاري لابن بطال / ط. دار الرشد– السعودية.

٦٩ – شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين/ ط. دار ابن الجوزي - الرياض.

٧٠ – شعب الإيمان للبيهقي / ط. دار الرشد–السعودية.

٧١ – صحيح البخاري / ط. دار الأفكار –بيروت.

٧٢ – صحيح مسلم / ط. دار المغني –السعودية.

٧٣ – صحيح الجامع للألباني / ط. المكتب الإسلامي –بيروت.

٧٤ – صحيح الترغيب والترهيب للألباني / ط. مكتبة المعارف - الرياض.

٧٥ – الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي/ ط. الجامعة الإسلامية - المدينة.

٧٦ – صيد الخاطر لابن الجوزي / ط. دار القلم –دمشق.

٧٧ – الطبقات الكبرى لابن سعد / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٨ – طريق الهجرتين لابن القيم/ ط. دار السلفية – مصر.

٧٩ – العاقبة في ذكر الموت للإشبيلي / ط. مكتبة الأقصى– الكويت.

٨٠ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني/ ط.دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٨١ – عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٢ – الغرباء للآجري / ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٨٣ – الفتاوى الإسلامية / ط. درا الوطن – السعودية.

٨٤ – فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية/ ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٨٥ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط. دار المعرفة –بيروت.

٨٦ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب/ ط. مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.

٨٧ – فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي/ ط. دار ابن الجوزي– السعودية.

٨٨ – فتح القدير للشوكاني/ ط. دار ابن كثير - دمشق.

٨٩ – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط. دار المنهاج.

٩٠ – الفروق للقرافي / ط. عالم الكتب.

٩١ – الفوائد لابن القيم/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٢ – فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي / ط. المكتبة التجارية –مصر–.

٩٣ – القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين / ط. دار ابن الجوزي .

٩٤ – القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للشوكاني / ط. دار القلم –الكويت.

٩٥ – قصر الأمل لابن أبي الدنيا / ط. دار ابن حزم –بيروت.

٩٦ – القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي/ ط. دار الصميعي - الرياض.

٩٧ – لسان العرب لابن منظور / ط. دار صادر – بيروت.

٩٨ – لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، لابن رجب الحنبلي / ط . دار ابن حزم – بيروت .

٩٩ – الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم / ط. عالم الفوائد– السعودية.

١٠٠ – الكبائر للذهبي / ط. دار الندوة الجديدة - بيروت.

١٠١ - كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي / ط. دار الوطن - السعودية.

١٠٢ - المجالسة وجواهر العلم للدينوري / ط. دار ابن حزم - بيروت.

١٠٣ -المعجم الكبير للطبراني / ط . مكتبة ابن تيمية - القاهرة-.

١٠٤ مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. مكتبة ابن تيمية - مصر.

١٠٥ - مجموع فتاوى الشيخ ابن باز / أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٠٦ - مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن - السعودية.

١٠٧ - مختصر منهاج القاصدين لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي/ ط. المكتب الإسلامي - بيروت.

١٠٨ - مدارج السالكين لابن القيم / ط. دار الكتاب العربي -بيروت.

١٠٩ - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي / ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

١١٠ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط. دار الفكر -بيروت.

١١١ - المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري / ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٢ - مسند أبي يعلى الموصلي / ط. دار المأمون للتراث - دمشق.

١١٣ - مسند الإمام أحمد / ط. الرسالة - بيروت.

١١٤ - مسند البزار / ط. مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية.

١١٥ - مصنف ابن أبي شيبة / ط. مكتبة الرشد - الرياض.

١١٦ - مشكاة المصابيح للتبريزي / ط. المكتب الإسلامي - بيروت.

١١٧ - معارج القبول بشرح سلم الوصول للحافظ الحكمي/ ط. دار ابن القيم- الدمام.

١١٨ - معالم السنن للخطابي / ط. المطبعة العلمية -حلب.

١١٩ - المغني لابن قدامة / ط. دار عالم الكتب- السعودية.

١٢٠ - مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢١ - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي / ط. دار ابن كثير - دمشق.

١٢٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي / ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢٣ - منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط. دار المعرفة - بيروت.

١٢٤ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود -السعودية.

١٢٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ط. المكتبة العلمية - بيروت.

١٢٦ - نيل الأوطار للشوكاني / ط. دار الحديث - مصر.

١٢٧ - الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم/ ط.دار الكتاب العربي-بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
الانتساب للسلفية ليس عيبا! أيها المُنكِر! ٩
هؤلاء صدقاً هم أهل الحق والإتباع ١٩
أسباب الثبات على الحق عند نزول الفتن ٢٥
العزة والتمكين لأولياء الله الصالحين ٣٣
أفٍّ لذنوب الخلوات!!. ٤١
كيف تتغلب بإذن علام الغيوب على المعاصي والذنوب!! ٤٩
التوبـــة ٥٧
هذا ما يجب على الآباء والأمهـــات! ٦٥
ضـــرر الربـــا ٧٣
خطر السحرة والمشعوذين على المسلمين ٧٩
أسباب التأخر عن الزواج! ٨٧
أعطـــوا الأجيـــر حقـــه! ٩٥
التذكير لكل من لم يبادر إلى صلاة الجماعة بالتبكير! ١٠١
لماذا التخلف والتأخر عن صلاة الجمعة أيها المسلم؟! ١١١
النفـــس! ١١٩

ما أصعب مجاهدة النفس! ١٢٥
احذروا من فتنة المال! ١٣١
لمـــاذا طـــول الأمـــل ؟! ١٣٩
تكالب أعداء الدين لإفساد ركائز المسلمين! ١٤٧
وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ١٥٣
نـــــور العلـــم ١٥٩
ظـــلام الجهـــل ١٦٧
ما أخطر هذا الداء! ١٧٣
وقفات إيمانية مع سورة من كلام رب البرية ١٧٩
الحذر من مكر الله جلَّ وعلا ! ١٩١
لسانك إلى أين ؟! ١٩٧
نِعَمُ الله عز وجل بين الشكور والكفور!! ٢٠٣
إياك والتبذير أيها المسلم ! ٢١١
الأسباب المعينات على تحقيق اللذة في الطاعات ٢١٨
أيهما تريد أيها المسلم ؟ ٢٢٧
لماذا الكسل عند العمل بالسنة؟! والاجتهاد عند العمل بالبدعة؟! ٢٣٥
تحذير المسلمين من الظن السيء بالآخرين!. ٢٤٣
أوقات المسلمين إلى أين..؟! ٢٥٣
البيان لخطر المعازف والألحان..... ٢٦٣
أيهما أشد عليك؟! ٢٧٣

وسائل الإعلام! وحب الشهرة!! ٢٨١
العجلة أُمُّ الندامة!! ٢٩٣
أين غابت هذه السُنَّة اليوم؟! ٣٠٣
بمَ يفرح الكثير من أبناء الأمة اليوم؟!! ٣١١
سهام الليل لا تخطئ أيها الظالم!! ٣١٧
شهر الخيرات على الأبواب فاستعدوا له أيها الأحباب ٣٢٥
فهارس عامة ٣٣٤
فهرس الآيات القرآنية ٣٣٩
الأحاديث القدسية ٣٣٣
الأحاديث النبوية ٣٥٣
الآثـــــار ٣٦٣
فهرس الأبيات الشعرية ٣٦٩
المصادر المعتمدة ٣٧١
فهرس الموضوعات ٣٨١

المجموعة الرابعة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام

شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
albukharibooks@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

و أشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

يطيب لي -أيها الأفاضل الكرام- أن أقدم لكم المجموعة الرابعة من كتاب

«**تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة**»، وهو عبارة كذلك عن مقالات علمية متنوعة تطرقتُ فيها بفضل رب الأرض والسماوات إلى مواضيع هامة [١] في باب الاعتقاد والعبادات، والأخلاق، والحث على الإخلاص والصدق مع رب العالمين، ووجوب الرجوع إلى تحكيم الوحيين، وأشرتُ فيها إلى العواقب الوخيمة والأخطار الجسيمة التي تترتب على الخروج على ولاة أمور المسلمين، وحذرتُ فيها كذلك من مكر أعداء الدين، وضرر أهل البدع المحْدِثِين، وبينتُ فيها خطرَ انتشار البدع والمحدثات وظهور المعاصي والمنكرات على الأفراد والمجتمعات، إلى غير ذلك مما يُسِّر لي جمعه والتنبيه عليه بفضل رب البريات.

فما كان في هذه المقالات من صواب -أيها الأحباب- فهو من توفيق العزيز الوهاب، وأحمده سبحانه وأشكره على أنه وفقني لجمع هذا الكتاب.

وما كان فيها من خطأ أو سهوٍ أو نسيانٍ فمن مصنفه المقصر ومن الشيطان، وأستغفر على ذلك الغفور الرحمٰن، وأتوب إلى العليم المنان، والله وحده هو المستعان.

فالله ﷻ «أبى أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ»[٢].

---

(١) وأثناء كتابة هذه المقالات، جاءنا نبأ وفاة أحد الأئمة الأعلام في هذا الزمان، وهو فضيلة الشيخ العلامة الفقيه زيد بن هادي المدخلي ﷺ، فيسر الله ﷻ كتابة نبذة يسيرة عنه، جعلتها في مقدمة هذا الكتاب، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ ويتجاوز عنا وعنه، فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٤).

فرحم الله أخًا محبًّا ناصحًا، وجد وهْنًا فنصح، أو وجد خللًا فأصلح، ومَن منَّا -أيها الكرام- يسلم من الخطأ والسهو والنسيان؛ كما قال الإمام مالك رحمه الله: «**هكذا حفظنا، وهكذا وقع في كتابي، ونحن نخطئ، ومن يسلم من الخطأ؟**»[١]

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن يَنفع بهذا الكتاب مُقيده وقارئه، ويجعل ما سُطر فيه خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي كلَّ من أعان على طباعته ونشره وتوزيعه بين المسلمين خير الجزاء، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه:

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطيات / قطر)

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦)، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦).

رَحِمَكَ اللهُ الْبَارِي، أَيُّهَا الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ

رَحِمَكَ اللهُ الْبَارِي،
أَيُّهَا الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كم فرَّق الموت بين الأحباب، وفصل بين الإخوة والأصحاب!

بعد أن كانوا كلهم فوق الأرض! فأصبح منهم من هو اليوم تحت التراب.

ومن بقي منهم فلا محالة أنه لاحق بهم كما قدَّر ذلك العزيز الوهاب، حيث قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة» (١).

إن المؤمن -أيها الأحبة الكرام- ليُصاب بالحزن إذا بلغه موت أحد الصالحين في أي بلد من أقطار المسلمين، ويشتَدُّ حزنه وتأثره إذا علم بموت أحد العلماء

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).

الربانيين الذين عُرِفوا بالتمسك بالوحيين على فهم السلف الصالحين، لكن المؤمن لا يقول إلا ما يرضي رب العالمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول الإمام أيوب السختياني ﷺ: «إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي» [(١)].

كيف لا يصاب المؤمن بالحزن على فقدان من هم منارات الهدى ومصابيح الدُّجى، وحُراس العقيدة وحفاظ السنة؟!

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب»[(٢)].

كيف لا يحزن المؤمن على موت من تصدوا في حياتهم لبيان البدع والمحدثات والتحذير من ارتكاب المعاصي والتذكير بخطر المنكرات؟!

كيف لا يتأثر المؤمن بذهاب من وقفوا حصنًا منيعًا أمام الفتن والشبهات، فردوها، وبينوا للمسلمين ضررها وحذروا من أهلها وحملة راياتها؟!

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرسُ العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[(٣)].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٣/ ٩).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٩).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

إن مما ينتج عن موت العلماء -أيها الأفاضل- قلة العلم، وكثرة الجهل، وتصدر المتعالمين الذين يتضرر بسببهم عوام المسلمين، كما أخبر بذلك سيد المرسلين، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الناس، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حتى إذا لم يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[(١)].

يقول العيني رحمه الله: «إن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء، أو يمحوه من صدورهم، بل يقبضه بقبض أرواح العلماء وموت حملته»[(٢)].

يقول الإمام مالك رحمه الله: بكى ربيعةُ يومًا بكاءً شديدًا، فقيل له: «أمصيبةٌ نزلت بك؟» فقال: «لا، ولكن استفتي من لا علم عنده، وظهر في الإسلام أمر عظيم»[(٣)].

لقد فقدت الأمةُ الإسلاميةُ -أيها الأحبة الكرام- أحدَ الأعلام الذين استفاد من دروسه وكتبه وأشرطته -في مشارق الأرض ومغاربها- الكثير من الأنام؛ فنفع بهم العزيز العلَّام أهل الإسلام.

عالمٌ ربانيٌّ فقيهٌ معروفٌ بتمسكه بمنهج السلف الصالح، ودعوة الناس إليه ، كما نحسبه والله حسيبه.

كان لا يحب تسليط الأضواء عليه، ولا يبحث عن الشهرة، ولا الظهور في وسائل الإعلام!!.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٧٧٣) واللفظ له.

(٢) عمدة القاري (٢/ ١٣١).

(٣) الباعث على إنكار البدع لأبي شامة المقدسي (ص١٧٥).

عُرضت عليه المناصب فأباها! وتصدى البدع فطمسها ومحاها! فعن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه.

إنه العلامة الفقيه الإمام «**زيد بن محمد بن هادي المدخلي** ﷾»[(١)] من قبيلة المداخلة المشهورة في منطقة جازان بجنوب المملكة العربية السعودية.

ولد ﷾ عام سبعٍ وخمسين وثلاثِ مئةٍ وألفٍ للهجرة [١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م].

ترعرع ﷾ في أسرة محافظة محبة للخير وأهل الصلاح، حيث تربى منذ صغره على حب العلم وأهله، فحرص على حفظ القرآن وحضور مجالس العلماء.

ومن أبرز من استفاد منهم من الأئمة الأجلاء والمشايخ الفضلاء: الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٦٠هـ)، والشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي (ت١٤٢٩هـ) ﷾، وغيرهم كثير ﷾ .

لقد عُرف عن الشيخ ﷾ حرصه الشديد على توجيه طلاب العلم الشرعي خاصة، والمسلمين عامة، على التمسك بمنهج السلف وحثهم على طلب العلم، وقراءة كتب السلف، فكانت له دورات علمية عديدة في علوم شرعية متنوعة؛ كالتفسير والعقيدة والحديث والفقه، وبفضل الله استفاد بحضورها وسماع أشرطتها خلقٌ كثيرٌ لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ.

---

(١) هناك ترجمة موجزة للشيخ ﷾ جمعها الشيخ فواز بن علي المدخلي -وفقه الله- وهي منشورة على شبكة سحاب السلفية.

قال عنه شيخنا المحدث العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله- بعد أن بلغه وفاته: «هو عالم فاضل مشتغل بالعلم وحافظ، كان يغتنم وقته فيما يعود عليه بالخير، وكان شغله الشاغل العلم تأليفًا وتدريسًا، وكان من خيار الناس، كما نحسب والله حسيبه، غفر الله له ورحمه، ولا فتننا بعده»[(١)].

وقال عنه كذلك الشيخ العلامة ربيع المدخلي-حفظه الله-بعد وفاته: « لقد كان ﵀ جبلًا في السنة، وفي الدعوة إلى الله ﷻ، ونسأل الله أن يخلفه بخير»[(٢)].

وقال عنه كذلك الشيخ العلامة صالح اللحيدان -حفظه الله- بعد وفاته: «نِعْمَ الرجل-رحمة الله عليه-علمًا، وفيما أعتقدُ صلاحًا وتُقى، وكان قد أسس مدرسة سلفية هناك -أي في صامطة (جنوب المملكة العربية السعودية)- وهو من خيرة أهل العلم، أدرك الشيخ القرعاوي، ولكنه أكثر علاقة بالشيخ حافظ- أي الحكمي- تلميذ القرعاوي- رحمة الله على الجميع...»[(٣)].

ولم ييسر الله ﷻ لي التتلمذَ على يديه والنهل من علمه الغزير، لكن وفقني الباري ﷻ لسماع أشرطته وقراءة بعض مؤلفاته، وأنعم الباري سبحانه عليَّ بحضور مجلسًا مباركًا بمدينة رسول الله ﷺ جمع بينه وبين الشيخ العلامة مفتي

---

(١) [كما في درس شرح صحيح مسلم / الخميس ١٢/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ] وهو على موقع شبكة سحاب السلفية.

(٢) [كما في بداية شرحه على كتاب معارج القبول للحافظ الحكمي ﵀ وذلك عصر يوم الجمعة / ١٣/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ/]،وهو على موقع شبكة سحاب السلفية.

(٣) [كما في درس شرح مختصر صحيح مسلم للمنذري / الخميس ١٦/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ]، وهو على موقع شبكة سحاب السلفية.

الجنوب أحمد بن يحيى النجمي ﷺ وبحضور جمع كبير من المشايخ وطلاب العلم السلفيين، فرأيتُ في هذا المجلس المبارك من الشيخين ﷺ علمًا غزيرًا وتواضعًا كبيرًا، حتى كان من تواضع الشيخ زيد بن هادي المدخلي ﷺ أنه كان إذا سُئل عن مسألةٍ فقهيةٍ أجاب عنها مبينًا الراجح فيها، ويقول أحيانا: «**هذا اختيار شيخنا الشيخ أحمد بن يحيى النجمي**» والشيخ النجمي ﷺ حاضرًا معه.

لقد كنتُ إذا نظرتُ إلى الشيخ زيد المدخلي ﷺ أقول في نفسي: ما أشبه سمته وتواضعه بالعلامة بقية السلف الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-!!.

لقد أصيب الشيخ ﷺ بوعكة صحية أدخلته المستشفى، وشاء الله ﷻ أن يفارق على إثرها هذه الدنيا الفانية يوم الخميس ١٢/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ بعد سنوات من البذل والعطاء ونشر العلم، فإن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك -أيها الإمام الفقيه- لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي الله ﷻ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ودفن ﷺ بعد عصر الجمعة ١٣/ جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ، وقد حضر جنازته جمع غفير لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ، وعلى رأسهم أمير ووجهاء المنطقة، إضافة إلى عدد من العلماء الأجلاء والمشايخ الفضلاء، والكثير من طلاب العلم، ومحبي الشيخ ﷺ.

يقول الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- بعد الفراغ من دفن الشيخ زيد ﷺ: « كان آخر حديث شرحه الشيخ زيد ﷺ يوم الاثنين (**من أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ**

أَحَبَّ اللهَ لِقَاءَهُ...)[١] .

قلتُ – أي الشيخ محمد (وفقه الله)–: «نسأل الله أن يكون منهم ﷺ وأن يجعلنا منهم إن ربنا لسميع قريب مجيب الدعاء»[٢]

لقد ترك الشيخ ﷺ بعد وفاته كتبًا قيمة لا يستغني عنها طالب العلم منها:

«**الأفنان الندية شرح منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية للحافظ الحكمي**» في تسعة أجزاء.

وكتاب «**قطف الجنى المستطاب شرح عقيدة المجدد محمد بن عبد الوهاب**».

وكتاب «**قطوف من نعوت السلف ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل**».

وكتاب «**الإرهاب وآثاره السيئة على الأفراد والأمم**».

وكتاب «**أسباب استقامة الشباب وبواعث انحرافهم**».

وغير ذلك من المؤلفات المفيدة التي رأت النور، ومنها ما هو تحت الطبع، وسيصدر بإذن الله تعالى قريبا.

فرحم الله الشيخ زيد المدخلي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجعل ما يُستفاد من إرثه المبارك في موازين حسناته، وحفظ لنا من بقي من العلماء الربانيين المتمسكين على منهج من سبقهم من الصالحين كالشيخ العلامة

---

(١) رواه البخاري (٦١٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٣)من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» .

(٢) منقول من موقع شبكة سحاب السلفية.

صالح الفوزان، والشيخ العلامة صالح اللحيدان، والشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ العلامة عبد المحسن العباد -حفظهم الله-، وغيرهم من العلماء الأجلاء، وطلبة العلم النبلاء الذين عُرفوا بحب السنة ونصرة أهلها في كل مكان.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ أن يُثبتنا وإياكم على دينه، وأن يجزي عنا علماءنا الأموات منهم والأحياء خير الجزاء، وأن يرحم الشيخ زيد بن هادي المدخلي وكل من سبقه من العلماء الربانيين وطلبة العلم المخلصين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هَذَا مَا يَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْاتِّبَاعِ !!

هَذَا مَا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَالْاتِّبَاعِ !!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن زماننا هذا -أيها الأحبة الكرام- قد كثرت فيه الفتن وازدادت المحن، واشتد فيه البلاء، وتكالب على أهل الإسلام الأعداءُ، وارتفعت رايات أهل البدع في الكثير من البلدان! وظهرت المعاصي وفشت في غالب الأوطان! والله المستعان.

أصبحت أوقات الكثير من المسلمين تُصرف في تحصيل الشهوات! وهمومهم منصبة على تحقيق الملذات!!

قلَّ فيه -أيها الأفاضل- من يدعو الناس إلى التمسك بالدين واتباع هدي خير المرسلين، ويحثهم على فعل الطاعات والتزود من الخيرات، ويحذرهم من البدع والمحدثات، ويبين لهم خطر المعاصي وارتكاب المنكرات!.

يقول الإمام النووي ﷺ: «واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر قد ضِيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبثُ؛ عم العقابُ الصالحَ والطالحَ، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣]، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابنَّ من ينكر عليه لارتفاع مرتبته...»[(١)].

فمن رزق علما - أيها الأحباب- فعليه أن يؤدي زكاته كما أمره بذلك رب الأرباب، ومن ذلك أن يُرشد الناس للحق والصواب، ويحذرهم من كل باطل وما يخالف دين العزيز الوهاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الدالات على الحق المظهرات له.

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على

(١) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ٢٤).

أهل العلم بأن يبينوا للناس ما مَنَّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: «كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله»، فأولئك ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته حتى الحوت في جوف الماء؛ لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزله الله مضاد لأمر الله مشاق لله، يُبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها ويعميها، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد»[(١)].

فمما ينبغي على العلماء الربانيين والدعاة الصادقين أن ينصحوا للمسلمين، ولا يخشوا في ذلك من المخالفين! ولا من كثرة أعداء الدين، ولا تحالف أهل الباطل المنحرفين.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قام خَطِيبًا فَكَانَ فِيمَا قال: «**ألا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ الناس أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إذا عَلِمَهُ**»[(٢)].

فما قويت البدع وانتشرت خاصة في بعض الأمصار- أيها الكرام- إلا وكان من أهم أسباب ذلك: ترك التحذير منها، وبيان خطرها وضررها على المسلمين.

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٧).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠٠٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة»[(١)].

وما برز وظهر أهل الباطل المنحرفين في كثير من بلدان المسلمين، وتصدر أهل الجهل المتعالمين للتكلم في أمور الدين؛ إلا بسبب سكوت بعض أهل الحق المصلحين.

يقول الإمام عبد العزيز بن باز ﷺ: «فلا يجوز لأهل العلم السكوت وترك الكلام للفاجر والمبتدع والجاهل؛ فإن هذا غلط عظيم، ومن أسباب انتشار الشر والبدع، واختفاء الخير وقلته، وخفاء السنة.

فالواجب على أهل العلم أن يتكلموا بالحق، ويدعوا إليه، وأن ينكروا الباطل ويحذروا منه، ويجب أن يكون ذلك عن علم وبصيرة»[(٢)].

فلما سكت أهل الحق عن الباطل؛ ظن الكثير من عوام المسلمين أنَّ أهل الباطل هم على الحق!

فإذا كتم العلماء وأصحاب الحق -أيها الأحبة الكرام- الصواب ولم يبينوه للناس، فمتى يتعلم الجاهل؟! وكيف يجتنب الباطل ويحذر من أهله؟!

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهمًا وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره؛ ترتب على ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٢٢٤).

من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة ليهتدي المهتدون ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين»[(١)].

فيا من وفقك أرحم الراحمين لمعرفة الحق والتمسك بهدي خير المرسلين على فهم سلفنا الصالحين، عليك أن تُكثر من شكر الله ﷻ على هذه النعمة العظيمة، وتسأله الثبات عليها حتى الممات.

واحذر من أن تضعف أمام ما قد يُصيبك من ابتلاء، وإياك أن تتأثر بظهور الباطل وكثرة أهله؛ فتترك ما يجب عليك من دعوة الناس للحق وإرشادهم إلى ما ينفعهم في الدارين.

واعلم أن الواجب والأولى بأهل الهدى المتبعين أن يضحوا بالغالي والنفيس من أجل نشر هذا الدين بين الناس أجمعين وبيان الحق للمسلمين؛ لأنهم هم أولياء رب العالمين

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء

(١) تفسير السعدي (ص١٤٣).

وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة»[١].

وتيقن- ثبتك الله-أن الباطل إن كانت له جولة؛ فإن للحق دولة وعزة وتمكين من أرحم الراحمين، يقول تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كان باطل قِيل وجُودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدمغه فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، أي: مضمحل فانٍ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مُبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق؛ إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه، فإذا هو مُتبين بطلانه لكل أحد»[٢].

فامض في طريقك -نفع الله بك- ولا تحزن ولا تيأس من قلة الأعوان.

واصبر على ما قد يُصيبك في الطريق الذي سلكته، فإنه طريق ليس مفروشًا بالورود!

واحرص على إفادة إخوانك المسلمين وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وتحلَ بالحكمة والرفق في نصحهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٢٠).

يقول الإمام ابن باز ﷺ: «هذا العصر عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة.

الناس أكثرهم في جهل، في غفلة، إيثار للدنيا، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس وحتى يعلموا، ونسأل الله للجميع الهداية»[(١)].

فالله نسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يثبتنا وإياكم على الطريق المستقيم والمنهج القويم، وأن يجعلنا ممن يصدع بالحق ويرشد الناس إليه ولا يخاف في ذلك لومة اللائمين! فإنه سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٨٨).

مَا الَّذِي تَحْتَاجُهُ أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ؟

مَا الَّذِي تَحْتَاجُهُ أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ؟

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد فقدت الأمة الإسلامية قبل بضع سنين جماعة من العلماء الراسخين والأئمة المصلحين، كالشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين وغيرهم كثير-رحمهم الله أجمعين-، حيث جعلهم الباري ﷻ سدًّا منيعًا أمام الفتن والشبهات والبدع والمحدثات، فنفع الله ﷻ بهم العباد والبلاد.

وحمل الراية بعدهم علماء أجلاء ومشايخ فضلاء، كالشيخ الفوزان والشيخ اللحيدان، والشيخ عبد المحسن العباد، وغيرهم ولله الحمد كثير-حفظهم الله أجمعين-، ممن هم حراس العقيدة، وحفاظ السنة، ومنارات الهدى ومصابيح الدجى، الذين هم بمنزلة النجوم في السماء وبهم يهتدي الحيران في الظلماء.

إن أمتنا اليوم -أيها الأحبة الكرام- في حاجة ماسة إلى العلماء الربانيين وإلى طلاب العلم المجدِّين الخيِّرين، أكثر من حاجتها لأطباء ومهندسين وغيرهم من الدنيويين، حيث يدعون الناس إلى توحيد رب العالمين واتباع سنة خير

المرسلين، ويحذرونهم من شبهات المبطلين وزيغ المنحرفين، خاصة مع ما نراه من كثرة الفتن وازدياد المحن، وقلة العلم وانتشار الجهل والظلم، والله المستعان.

لذا -أيها الأفاضل- على كل غَيُورٍ على الدين، مُحِب لنشر الخير بين المسلمين أن يحرص على طلب العلم الشرعي النافع، الذي به -بإذن الله الرحمٰن- يُنْقِذُ نفسه من الفتن وسبل الشيطان، وعليه أن يحث غيره من المسلمين، وبالأخص المقربين كالآباء والأبناء والإخوان وسائر المقربين.

لأن العلم الشرعي النافع -أيها الكرام- هو ميراث الأنبياء وطريق الأصفياء وزاد الأتقياء، وهو أفضل مكتسب وأعلى منتسب، فعن معاوية ﷺ قال: قال ﷺ: «**من يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

يقول ابن بطالﷺ: «وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله؛ لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه»(٢).

ويقول الإمام ابن القيم ﷺ **-مبينًا مكانة العلم وفضله-**: «فيا لها من مرتبة ما أعلاها! ومنقبة ما أجلها وأسناها! أن يكون المرء في حياته مشغولًا ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالًا متفرقة، وصحف حسناته متزايدة يملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون،

---

(١) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٤).

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويستبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات»[(١)].

أيها الأفاضل الكرام، إن سبب تفضيل العلم الشرعي النافع على غيره من العلوم الفانية؛ هو أنه من أقوى الأسباب المعينة على طاعة الوهاب وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنكرات.

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «وإنما فضل العلم على غيره لأنه يُتقى به الله»[(٢)].

ولهذا، فإن الأصل في طالب العلم أن يكون من أخشى الناس لرب البريات، وأبعدهم عن المحرمات، وأتقاهم للشبهات، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»[(٣)].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية،

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٢١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٤).

وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته، هم أهل كرامته»[١].

أيها الأفاضل الكرام، إننا كما نعاني اليوم من قلة إقبال المسلمين عمومًا وأهل الاستقامة خصوصًا على مجالس العلماء ودروس طلاب العلم النجباء، وانصرافهم عن تحصيل العلم الشرعي النافع، وانشغالهم -إلا من رحم الله- بأمور دنيوية ولذات فانية! مع أننا في دار ممر، لا دار مستقر! والله المستعان، نُعاني كذلك - وللأسف- من مرض خطير وشر مستطير أصاب بعض من يحمل شيئًا من ميراث البشير النذير، وهو الانفصام الظاهر بين العلم والعمل!! وإن كان هذا الداء العضال، والمرض القتال قد حذر من خطورته من سبقنا من الصالحين الأخيار لما رأوا أنه بدأ في زمانهم بالانتشار.

حيث يقول الإمام الذهبي رحمه الله: «وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل!! فحسبنا الله ونعم الوكيل»[٢].

لكنه في وقتنا الحاضر عم شره وزاد ضرره، حتى أصبح حديث العامة قبل الخاصة، والله المستعان.

إننا والله لنحزن -أيها الأحبة- عندما نرى السمت والتحلي بحسن الخلق قاصرا عند بعض عوام المسلمين، ولا نشاهده عند بعض المستقيمين، خاصة من كان منهم من حملة العلم!!

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٨٩).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١).

وإننا -والله- لنفرح جدًّا ونحمد الباري سبحانه عندما نشاهد الحرص على نشر المعروف والخير وما ينفع الأمة، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى، ونخجل في نفس الوقت عندما لا نراه عند بعض المتعلمين وبالأخص من كان من الميسورين!!.

وإننا صدقًا لنسعد من مبادرة بعض المسلمين إلى الصفوف الأولى في صلاة الجماعة والتبكير إلى الصلوات، والحرص على قراءة القرآن، والنوافل من صلاة وصيام، ونأسف مِن تخلف بعض حملة العلم وتأخرهم وعدم حرصهم على ذلك!!!.

فكيف بالله عليكم يكون طالب العلم قدوة لغيره من المسلمين، وهم يرونه مقصرًّا في النوافل والمستحبات، بل قد يكون ذلك حتى في الواجبات؟!.

أليس الواجب والأجدر -أيها الأفاضل- أن يكون طلاب العلم والمستقيمين من السابقين الأولين لكل أنواع الطاعات والخيرات والقربات؟!.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل»[(١)].

أيها الكرام، إننا لا نعني بكلامنا هذا أن طالب العلم لا يقع في الخطأ، بل هو كغيره من المسلمين يقع منه التقصير، لأنه ليس بمعصوم من الذنوب والزلل!.

لكن الذي يُحزن ويؤسف أن يستمر في خطئه، دون أن يعالجه ويتخلص منه،

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠).

حتى يصبح علامة عليه، يذمه بسببه العوام.

وقد يكون ذلك مدخلًا لأهل الانحراف والشهوات للتحذير من الاستقامة والطعن في دين رب البريات، والله المستعان.

فيا من يسر الله ﷻ لك سبل تحصيل العلم، ووفقك لنيل شيء منه، عليك أن تحمد الباري ﷻ على هذه النعمة العظيمة، وتجاهد نفسك وتخلص له ﷻ، وتجتهد في العمل به وأن تكون قدوة لغيرك لأنك تمثل نبيك ﷺ.

وتذكر -سددك الله وثبتك- أنك ستقف أمام خالقك، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨-٨٩]، وسيسألك عن علمك الذي كنت تعلمه في الدنيا ماذا عملت به؟، فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال:، قال رسول ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ، عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أبلاه**»(١).

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»(٢).

فأمتنا الإسلامية اليوم -أيها الأحبة الكرام- في حاجة ماسة واللهِ إلى علماء ربانيين وطلاب علم عاملين وأهل خير وصلاح مخلصين، يقودونها إلى بر الأمان، ويذكرونها أن حقيقة النجاح والفلاح والتقدم والازدهار بين الأمم تكون

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) صيد الخاطر (ص٢).

بالتمسك بالوحيين، والابتعاد عما يفسد الدين من شبهات وشهوات وسائر المنكرات، والبراءة من الكفار والمنافقين وسائر المفسدين والمنحرفين.

وأن ما أصاب أمتنا اليوم من ضعف وتفرق وتسلط من أعداء الدين إنما هو بسبب الابتعاد عن الوحيين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي...**»[(١)].

يقول المناوي ﷺ: «أنهما -أي الكتاب والسنة- الأصلان اللذان لا عدول عنهما، ولا هدى إلا منهما، والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما واعتصم بحبلهما، وهما الفرقان الواضح والبرهان اللائح بين المُحق إذا اقتفاهما، والمبطل إذا خَلَاهما، فوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة متعين معلوم من الدين بالضرورة»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل الأمة الإسلامية تتمسك بدينها القويم، وتتبع سنة نبيها الكريم، وأن يُبعد بحوله سبحانه وقوته عن المسلمين كل المفسدين وأولياء الشيطان الرجيم، فهو ﷻ ولي ذلك، والعزيز الحكيم.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢)، وصححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) فيض القدير (٣/ ٢٤١).

كَمَا تَكُونُوا؛ يُوَلَّ عَلَيْكُم!!

كَمَا تَكُونُوا؛ يُوَلَّ عَلَيْكُم!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الأصل -أيها الأفاضل- في الذي يتولى أمور المسلمين أن يخاف الله ﷻ فيهم، فيعدل بينهم، ولا يظلمهم ولا يتعدى عليهم، ولا يستأثر بالخيرات لنفسه، أو يعطي بعضهم ويمنع الآخرين؛ لأنه مستأمن عليهم، والله ﷻ سيسأله عنهم يوم القيامة.

فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ...**»[(١)].

يقول الإمام النووي ﷺ: «قال العلماء: الراعي، هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢١٣).

ولكنَّ العليم الجبار لحكمة منه سبحانه قدر كونًا أن يتسلط بعض حكام المسلمين على شعوبهم، فيخالفوا ما أمروا به تجاههم من عدل وإنصاف فيهم، فيكون منهم الظلم والتعدي والاستئثار، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا...**»[١].

يقول القاضي عياض ﷺ: «أي يستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويفضل غيركم عليكم نفسه، ولا يجعل لكم في الأمر نصيب»[٢].

أيها الأحبة الكرام، إن من رحمة نبينا ﷺ بنا أنه دلَّنا على كل ما فيه النفع والسرور، وحذرنا من كل ما فيه الضرر والشرور في هذه الدنيا الفانية وفي الآخرة الباقية، ومن ذلك أنه ﷺ بيَّن لنا أن ظلم الولاة وجورهم واستئثارهم بالأموال وعدم صرفها لأصحابها لا يمنع ذلك من السمع والطاعة لهم وعدم الخروج عليهم؛ ولهذا قال ﷺ للصحابة ﷺ بعد أن سألوه، وقالوا له: «كَيْفَ تَأْمُرُ من أَدْرَكَ مِنَّا ذلك؟» فقال ﷺ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الذي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ**»[٣].

يقول الإمام النووي ﷺ: «وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالمًا عسوفًا، فيُعْطى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤٤)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

(٢) مشارق الأنوار (١/ ١٨).

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٤)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

(٤) الشرح على صحيح مسلم (١٢/ ٢٣٢).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قوله ﷺ: **(تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الذي عَلَيْكُمْ)** يعني: لا يمنعكم استئثارهم بالمال عليكم أن تمنعوا ما يجب عليكم نحوهم من السمع والطاعة، وعدم الإثارة وعدم التشويش عليهم، بل اصبروا واسمعوا وأطيعوا ولا تنازعوهم الأمر الذي أعطاهم الله.

(وَتَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ) أي: اسألوا الحق الذي لكم من الله، أي: اسألوا الله أن يهديهم حتى يؤدوكم الحق الذي عليهم لكم، وهذا من حكمة النبي ﷺ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام عِلَم أن النفوس شحيحة، وأنها لن تصبر على من يستأثر عليهم بحقوقهم، ولكنه عليه الصلاة والسلام أرشد إلى أمر قد يكون فيه الخير، وذلك بأن نؤدي ما علينا نحوهم من السمع والطاعة وعدم منازعة الأمر وغير ذلك، ونسأل الله الذي لنا، وذلك إذا قلنا: «اللهم اهدهم حتى يعطونا حقنا»، كان في هذا خير من جهتين.

وفيه دليل على نبوة الرسول ﷺ؛ لأنه أخبر بأمر وقع، فإن الخلفاء والأمراء منذ عهد بعيد كانوا يستأثرون بالمال، فنجدهم يأكلون إسرافًا، ويشربون إسرافًا، ويلبسون إسرافًا، ويسكنون إسرافًا ويركبون إسرافًا، وقد استأثروا بمال الناس لمصالح أنفسهم الخاصة، ولكن هذا لا يعني أن ننزع يدًا من طاعة، أو أن ننابذهم، بل نسأل الله الذي لنا، ونقوم بالحق الذي علينا.

وفيه- أيضًا -استعمال الحكمة في الأمور التي قد تقتضي الإثارة، فإنه لا شك أن استئثار الولاة بالمال دون الرعية يوجب أن تثور الرعية وتطالب بحقها، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بالصبر على هذا، وأن نقوم بما يجب علينا، ونسأل الله الذي لنا»[1].

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٢٨٠).

وسبب تحذيره ﷺ من الخروج على ولاة الأمر، وأمره لأمته بعدم كسر عصا الطاعة؛ لعلمه بأن الخروج هو فتنة عظيمة وشر كبير، يؤدي إلى قتل الأنفس البريئة وانتهاك الأعراض وإضعاف شوكة المسلمين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإنه أَسَاسُ -أي الإنكار على الولاة والملوك بالخروج عليهم- كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، .... ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على مُنْكَرٍ فطلب إزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ منه ما هو أكبر منه»(١)

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة التي خالفوا فيها أهل البدع والأهواء أنهم: «**يرون طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله** ﷻ، **وإن جاروا وظلموا ولا ينازعونهم الملك**».

يقول عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله: «فطاعة ولي الأمر وترك منازعته طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا هو فصل النزاع بين أهل السنة وبين الخوارج والرافضة»(٢).

أيها الأفاضل، إن الذي أحببتُ أن أتطرق إليه في هذا المقال - الذي أسأل الله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه- هو أن أجيب عن سؤال يتردد في ذهن الكثير من المسلمين، لكن -وللأسف- نجد أن بعضهم يجهل الجواب عنه مع وضوحه!! والبعض الآخر تغافلوا عنه وأهملوه!!

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٤).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٩٢).

ألا وهو: ما سبب تسلط وظلم بعض ولاة أمر المسلمين وعمالهم للرعية!!خاصة في وقتنا الحاضر؟!!، ولماذا لا يتولىٰ الأخيار علىٰ المسلمين بدل الأشرار!!؟.

فالجواب -أيها الأحباب- سهل علىٰ من وفقه العزيز الوهاب للصواب، ألا وهو أننا وللأسف -إلا من رحم الله ﷻ- السبب الرئيسي في هذا الداء !!.

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «فهل آن للذين يتجنون بالشكوى من ولاة أمورهم أن يعقلوا عن الله سننه وحكمته؛ فيعلموا أن الداء ليس في الحكام والولاة فقط، وإنما الداء في الأمة والصورة المصغرة التي استأمنه الله من أمانات، وأن الولاة إنما هم من أفراد الأمة والصورة المصغرة التي تمثل الأمة وتصورها، ولكن أكثر الناس لا يعقلون»[(١)].

فكيف -بالله عليكم أيها الأحباب- يتولىٰ علينا أهل الصلاح والإيمان؛ ونرى أنواع الشرك بالواحد المنان قد فشىٰ في كثير من البلدان، من دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم والذبح لغير الرحمٰن؟!

ونشاهد البدع والمحدثات يؤتىٰ بها وترفع لها الرايات، ولا إنكار ولا نهي عن ذلك حتىٰ من بعض من يُعد من الدعاة!! إلا من رحمه رب البريات!.

وكيف يحكمنا أهل الخيرات، والكثير من المسلمين مفرط في الواجبات حتىٰ بالإتيان بالصلوات؟!

---

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن (ص ١١٦).

وكيف يتولى أمرنا أهل الطاعات؛ وبيوتنا أصبحت تعجُّ بالمنكرات، من أكل الربا والمحرمات، وارتفاع أصوات المعازف، ووضع الصور والمجسمات؟!

كيف يتولى أمرنا أهل الصلاح، والكثير من المسلمين والمسلمات غارق في الشهوات والملذات والملهيات؟!.

يقول الإمام عبد الرحمٰن بن مهدي رحمه الله: «كتب أخو محمد بن يوسف إلى أخيه يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه محمد: «يا أخي، بلغني كتابك، وأنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن ينكر العقوبة، وما أرى ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب»[(١)]

فهل ولاة أمر المسلمين وعمالهم هم الذين ألزمونا بارتكاب المحرمات؟

أم أننا نحن الذين تركنا الطاعات وتجرئنا على حدود رب الأرض والسماوات؟.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أما والشعب كما نعلم الآن؛ أكثرهم مفرط في الواجبات، وكثير منتهك للحرمات، ثم يريدون أن يولي الله عليهم خلفاء راشدين، فهذا بعيد»[(٢)] .

أيها الأحبة الكرام، إن من عدل الله عز وجل وحكمته أن يكون ولاة أمر الناس على حسب أعمالهم، فإذا غلب عليهم الخير والصلاح تولى عليهم خيارهم، وإذا كثر

---

(١) طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٢٤).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣٣).

فيهم المنكر والظلم تولى أمرهم شرارهم، فولاتهم على قدر أعمالهم.

يقول الإمام الطرطوشي رحمه الله: «لم أزل أسمع الناس يقولون: «أعمالكم عمالكم، كما تكونوا يولَّ عليكم»، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]»[(١)].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة، فحكمة الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فضلًا عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم»[(٢)].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله **في تفسيره للآية:** «كذلك من سنَّتنا، أن نولي كل ظالم ظالمًا مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها، والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج:١٠]، ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولى عليهم ظلمةً يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين، كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة

---

(١) سراج الملوك (ص٩٤).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٤).

عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف»[(١)].

إن الكثير من المسلمين اليوم يتمنون أن يحكم وُلَّاتُهُم بالعدل والإنصاف! ونجد أن منهم- إلا من رحم الله ﷻ- لا يعدل ولا يعطي حق الآخرين، حتى من أقرب الناس إليه كأهله وأقربائه!!

يقول عبد الملك بن مروان رحمه الله: «أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل اللّه أن يعين كلًّا على كلٍّ»[(٢)].

فعلينا -أيها الأحبة الكرام- أن نبتعد عن الظلم والعصيان، ونرجع إلى طاعة الرحمٰن؛ إذا أردنا أن يتولى أمرنا أهلُ الصلاح والإيمان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن غيَّر -أي العبدُ- المعصيةَ بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز»[(٣)].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «إذا غير العباد، ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء، إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٢٧٣).
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (ص ٤).
(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).
(٤) تفسير السعدي (ص ٤١٤).

وعلينا أن نرجع دائمًا -أيها الأفاضل- إلى العلماء الربانيين الذين عُرفوا بالتمسك بالوحيين، وهدْي من سبقهم من الصالحين، ولهذا نجدهم يحثون المسلمين على عدم الخروج على ولاتهم، وإن جاروا عليهم وظلموهم؛ لِما يترتب على ذلك من خطر جسيم، وشر عظيم، من سفكٍ للدماء، والتعدي على الأبرياء، وفرح الأعداء، فالعلماء الأتقياء هم أعلم بآثار الفتن وأبصر بعواقبها من الجهلة الدهماء.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»[(١)].

ولنحذر أشد الحذر من الجهلة وأنصاف المتعالمين الذين يشجعون على الثورات، ويؤيدون المظاهرات والاعتصامات، التي ما جرَّت على المسلمين إلا الويلات، فإن الناظر عبر التاريخ يجد أن الخروج على ولاة الأمور لم يتولد عنه إلا كل ضرر وشرور.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «لو أن الناس إذا ابْتُلُوا من قِبَلِ سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يُفْرَج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فَواللهِ ما جاؤوا بيوم خير قط ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[الأعراف:١٣٧]»[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٦).

(٢) الشريعة للآجري (١/ ٣٧٤).

كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير...»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَرُدَّنا جميعًا إلى تطبيق تعاليم الإسلام، ويُبعدنا عن المعاصي والآثام، ويولي على المسلمين من يُطبِّق فيهم هدي خير الأنام، فهو سبحانه القادر على ذلك، والحكيم العلَّام.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٧).

هَذَا مَا يُرِيدُهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ

فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ!!

هَذَا مَا يُرِيدُهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ أمتنا اليوم -أيها الأحبة الكرام- تمر بوقت عصيب جدًّا؛ حيث تكالب عليها الأعداء، وتحالف عليها البُغَضَاء! من أجل إفساد دينها الحنيف، فوظفوا لذلك كل ما يملكون من جهد ومال، والله المستعان.

ولقد سلك أعداء الدين طرقًا متنوعة لبث أفكارهم المنحرفة! ومحاربة الإسلام وإفساد المسلمين!

ومن أخطرها وأشدها فتكًا: وسائل الإعلام والاتصال بأنواعها!!

فصوروا المرأة المسلمة بمفاتنها، وجعلوا منها ممثلة! ومغنية! وراقصة! وأثنوا على تبرجها!! وزينوا لها الاختلاط بالأجانب! وأنها تساوي الرجال في جميع الحقوق والواجبات!!وزعموا أن ذلك يمثل الحضارة والازدهار! وتنقصوا من مكانة العفيفة المتحجبة الملتزمة بأمر رب البريات والبعيدة عن المحرمات،

وقالوا: إن ذلك يمثل التخلف والرجعية وعدم التطور!!.

وأبعدوا شباب الأمة عن تعاليم الإسلام؛ وذلك بتزيين المعاصي والآثام من شرب المسكرات، وتعاطي المخدرات وغير ذلك من المنكرات والملهيات!!.

وكذلك أنشأوا لنشر سمومهم جمعيات حقوقية في بُلداننا! تُصرف عليها أموالٌ طائلةٌ! وتزعم زورًا وبهتانًا أنها تحرص على حقوق الإنسان! وتحارب الظلم والاضطهاد!

وللأسف -أيها الأفاضل- قد انخدع بهؤلاء المفسدين من هم من أبناء ديننا!! فصاروا لهم أدوات!! يستعملونهم في نشر المنكرات، والله المستعان.

إن أعداء الدين من الكفار والمنافقين اليوم لم يكتفوا بإبعاد الكثير من المسلمين عن تعاليم دينهم الحنيف، وإماتة عقيدة الولاء والبراء في قلوبهم! بل نراهم يسعون بشتى الطرق والوسائل لإثارة الفوضى ونشرها في البلدان الإسلامية، وذلك من أجل نشر التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وإضعاف شوكتهم وإشغالهم بأنفسهم!!

و قد تمكنوا -وللأسف- من تحقيق هذا المخطط الخبيث في بعض بلدان المسلمين اليوم، فقد أريقت فيها الدماء! وانتهكت الأعراض! وسلبت الأموال! مع أن البشير النذير قد حذرنا من ذلك أشد التحذير، فقال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» (١).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يعني أن المسلم حرام على المسلم في هذه الأمور الثلاثة، أي في كل شيء؛ لأن هذه الأمور الثلاثة تتضمن كل شيء.

الدم: كالقتل والجراح وما أشبهها.

والعرض: كالغيبة.

والمال: وكأكل المال، وأكل المال له طرق كثيرة؛ منها السرقة، ومنها الغصب- وهو أخذ المال قهرًا - ومنها أن يجحد ما عليه من الدين لغيره، ومنها أن يدعي ما ليس له وغيره ذلك.

وكل هذه أشياء حرام، ويجب على المسلم أن يحترم أخاه في ماله ودمه وعرضه»[(١)].

أيها الكرام، إن مما يجب علينا اليوم أن نحذر منه تلك الأفكار الخبيثة التي يبثها أعداء الدين من أجل الإخلال بالأمن في ديار المسلمين ونشر الخوف والاضطرابات بينهم.

ومن تلك الأفكار المسمومة التي ما جرَّت على المسلمين إلا الويلات! والتي كانت سببًا في تأجيج نار الفتنة وانتشار القتل والفوضى في كثير من بلدان المسلمين، والتي أقيمت من أجلها الندوات! وسُيرت بسببها المظاهرات! ونُظمت للمطالبة بها الاعتصامات! ورفعت لها الرايات! هي المطالبة بالحريات!!.

وللأسف أي حرية أرادوا؟!

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٨٨).

أيها المسلم، إياك أن تنخدع بهذا الشعار الذي ظاهره الرحمة والعيش في رغد، وباطنه العذاب ومخالفة أوامر العزيز الوهاب، وهو سبب في انتشار الفتن وازدياد المحن!.

أتظن -حفظك الله- أن أعداء الدين من الكفار والمنافقين! يبحثون لك عن الرخاء والتطور والازدهار؟!.

كلا والله، بل يريدون -أولًا- إفساد دينك الذي هو عصمة أمرك، وإبعادك عن اتباع ما أمرك به الجبار!.

ويسعون لنشر الشحناء وقطع أواصل المحبة والإخاء بين المسلمين الذين هم من قُطر واحد !

فإذا أردت-سددك الله-أن تعرف مكر هؤلاء؛ فاقرأ قول الله ﷻ:﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[(١)].

أيها الأحبة الكرام، علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: ماذا جلبت مثل هذه الشعارات الكاذبة اليوم للمسلمين؟!

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٥).

والله، لم نستفد منها إلا الاستخفاف بالدماء! وانتشار القتل والدمار، وعدم الأمن والاستقرار !!

أيها الأفاضل، إننا لا ننكر وجود بعض أنواع الظلم والتعدي من بعض ولاة أمور المسلمين ! ومنعهم لبعض حقوق رعيتهم! فهذا أمر واقع نراه ونسمعه، قد قدره الله ﷻ كونًا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا لحكمة منه سبحانه وتعالى، وقد أخبرنا عنه كذلك نبينا ﷺ فقال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا...**»[(١)].

يقول القاضي عياض رحمه الله: «أي يستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويفضل غيركم عليكم نفسه، ولا يجعل لكم في الأمر نصيب»[(٢)].

فكيف تكون إزالة هذا المنكر؟!! هل تكون بالتوبة والرجوع إلى رب البريات، وبالتخلص مما نرتكبه من المحرمات، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

أم تكون بمشابهة الكفار والخروج في مسيرات ومظاهرات؟!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن غيَّر- أي العبدُ- المعصية بالطاعة؛ غير الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز»[(٣)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أمَا والشعب -كما نعلم الآن- أكثرهم مفرط

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤٤)ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) مشارق الأنوار (١/ ١٨).

(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).

في الواجبات، وكثير منتهك للحرمات، ثم يريدون أن يولي الله عليهم خلفاء راشدين، فهذا بعيد»[١] .

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «ديننا ليس دين فوضى، ديننا دين انضباط، دين نظام، دين سكينة، والمظاهرات ليست من أعمال المسلمين، وما كان المسلمون يعرفونها، ودين الإسلام دين هدوء ودين رحمة لا فوضى فيه ولا تشويش ولا إثارة فتن، هذا هو دين الإسلام، والحقوق يتوصل إليها دون هذه الطريقة، بالمطالبة الشرعية والطرق الشرعية.

هذه المظاهرات تحدث فتنا كثيرة، تحدث سفك دماء وتحدث تخريب أموال، فلا تجوز هذه الأمور»[٢].

إن المرء -أيها الأفاضل- ليعجب من الذين يشجعون الثورات! ويؤيدون المظاهرات والاعتصامات! ويؤيدون الخروج على الولاة! مع أن ذلك لم يجر على المسلمين قديمًا وحديثًا إلا المآسي والويلات!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإنه أَسَاسُ - أي الإنكار على الولاة والملوك بالخروج عليهم-كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، .... ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على مُنْكَرٍ فطلب إزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ منه ما هو أكبر منه»[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣٣).

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (ص ٢٣٢).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٤).

والعجب أيضًا -أيها الكرام- ممن يُقبل عند حدوث النوازل والمحن ! على الجهلة! والمتعالمين! ويترك الرجوع إلى العلماء الراسخين الربانيين! مخالفًا بذلك ما أمره به رب العالمين: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء:٨٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها...»[(١)].

فعلينا -أيها الأحبة الأفاضل- أن نترك كل الأفكار المنحرفة المستوردة من خارج الإسلام! وأن نتمسك بتعاليم ديننا الحنيف الذي أعزنا الله ﷻ به.

يقول أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه: «إنا كنا أذلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلبُ العزةَ بغير ما أعزَّنا الله به أذَلَّنا الله»[(٢)].

ولنجتهد في تحقيق ما خلقنا من أجله في هذه الدنيا الفانية، وهو عبادة الباري ﷻ كما أمرنا سبحانه وشرع، يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(١) تفسير السعدي (ص١٩٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥١).

مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾

[الذاريات: ٥٦-٥٨].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة؛ فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يربط المسلمين بعلمائهم الربانيين العاملين، الذين عُرفوا باتباع هدي خير المرسلين، وأن يُبطل مخططات أعداء الدين، وأن يحفظ المسلمين من كيد المفسدين، فهو سبحانه أرحم الراحمين وولي المتقين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رياض الصالحين (ص٣).

تَذْكِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ!!

تَذْكِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ أمتنا اليوم -أيها الأحبة الكرام- تمر بمرحلة عصيبة لم تشهدها من قبل! فقد تراجعت مكانتها بين الأمم! وضعفت شكوتها مقارنة بحالها المتقدم! فبعد أن كانت قائدة، أصبحت منقادة! وبعد أن كانت لها عزة ومكانة! صارت مُهانة ! فتكالب عليها الأعداء! وتسلط عليها البُغَضَاء!!!

أتعلمون لماذا أيها الأعزاء ؟!

لأنَّ الكثير من أبنائها الذين هم حملة رايتها وأساس عزها ومنبع قوتها، قد حلت بهم الأمراض ونزلت بهم الأدواء! فابتعدوا عن تعاليم دين الإسلام وهدي خير الأنام وأكثروا من البدع والمحدثات والمعاصي والآثام.

فمن المسلمين -إلا من رحمه أرحمُ الراحمين، أيها الأفاضل- من كبلته الذنوب والمنكرات، وأغرق نفسه في الملذات والشهوات، فأثَّر على نفسه وتأثر به غيره من ضعفاء النفوس! فخالفوا بذلك أوامر رب الأرض والسماوات

الذي أمرهم بالابتعاد عن المحرمات وفعل الطاعات والمسابقة للخيرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء»[(١)].

وهذا لا يعني أن غيرهم لا يقع في الزلات!! فلا عصمة لأحد من المسلمين من التقصير إلا من حفظه العلي القدير.

لكن هؤلاء أسرفوا على أنفسهم! فصرفوا جلَّ أوقاتهم فيما يُغضب خالقهم ويُبغض رازقهم!!.

لكن هذا الصنف -أيها الكرام- مع ما يرتكبه - هداه الله- من تجاوزات وما يقع فيه من خطيئات؛ إلا أن الكثير منهم إذا ذكَّرته أن الطريق الذي يسلكه ليس بصواب وأن عليه أن يُبادر بالتوبة والرجوع إلى العزيز الوهاب، اعترف بذنبه

(١) تفسير السعدي (ص٤٤٧).

وأقرَّ بمخالفة أوامر خالقه سبحانه.

و أما الصنف الثاني -أيها الأفاضل- فهم أعظم ضررًا وأشد خطرًا على الأمة من الصنف الأول بالإجماع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم...»[(١)].

لأن إفسادهم يكون في الدين القويم والصراط المستقيم الذي جاء به نبينا ﷺ الكريم، فيُضلون الخلق ويظنون أنهم على حقٍّ، يزعمون أنهم يخدمون الدين وهم في الحقيقة فيه من المفسدين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فهم-أي المبتدعة-أعظم ضررا على الإسلام وأهله من أولئك- أي أهل المعاصي-لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه، وهم يتوهمون ويُوهمون أنهم ينصرونه»[(٢)].

لذا كانوا أحب إلى إبليس اللعين من الآخرين!

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٢٨١).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعنى قولهم **(أن البدعة لا يُتاب منها)**: أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب.

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»[(١)].

فيَبثون في الناس أفكارهم الهدامة لإبعادهم عن منهج الحق والاستقامة، فيصرفون الكثير من العوام عما هو مشروع من الطاعات والقربات، ويزينون لهم ما هو ممنوع! من البدع والمحدثات!!

ويسلكون في نشر باطلهم طرقًا متنوعة وأساليب مختلفة! ومن أخبثها وأخطرها ما ينتهجه بعضهم من قطع حبل التواصل الذي بين عوام المسلمين وعلمائهم الربانيين الذين هم ورثة الأنبياء والسلف الصالحين، وذلك بالتنفير منهم ورميهم بما ليس فيهم من عيوب ونقائص! ومنهم من يزعم زورًا وبهتانًا أن هؤلاء العلماء لا يفقهون واقع الأمة اليوم وما يدور في الخفاء!!

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩).

يقول الشيخ الألباني ﷺ: «لئن كان في الخروج على الحُكّام من الشّرِّ ما برهن عليه تواطؤ النصوص الشرعية مع الأخبار الواقعية، كما ظهر من صنيع حدثاء الأسنان في كل الأزمان، فشر منه الخروج على العلماء بإهدار حقهم، وعدم اعتماد فتاواهم إلا ما وافق أهواء الحركيين، واستصغار شأنهم في السياسة، ورميهم بعلماء بيت الوضوء! وما أشبهها من الألقاب التي يَنْبِز بها المبتدعة صاغرًا عن صاغر العلماء السلفيين كابرًا بعد كابر؛ وفي هذا إهدار للشريعة بتجريح حملتها وشهودها، والله الموعد»[(١)].

فما الذي كسبه بعض أهل الإسلام من وراء الإتيان بالبدع والمحدثات غير الحرمان والخسران والبعد عن دين الله العلَّام؟!

يقول الإمام أيوب السختياني ﷺ: «ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا»[(٢)].

وما الذي جنته الأمة الإسلامية اليوم من تحريض وفتاوى أصحاب فقه الواقع المزعوم! الذين أشعلوا نار الثورات! وأيدوا الخروج في المظاهرات! وشجعوا على الاعتصامات! غير الويلات والندم والحسرات ؟!!

فأصبح المسلم يقتل أخاه في الدين ! وينتهك عرضه! ويستبيح ماله!! من أجل ماذا ؟!

---

(١) مدارك النظر للشيخ عبد المالك الرمضاني (ص٢٣٢).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩).

حرية ! وشرعية! وتعديل دساتير وضعية! والمطالبة بديمقراطية كفرية!! ولا حول ولا قوة إلا بالله رب البرية.

فليت قومي يعلمون !!

أن الذي يُبصر الفتن إذا جاءت والمحن إذا هاجت هم العلماء الأتقياء ورثة الأنبياء، لا الدهماء! ولا المتعالمين الجهلاء!

يقول الإمام الحسن البصري ﷺ: «الفتنة إذا أقبلت عَرَفها كل عالم، وإذا أدبرت عَرَفها كل جاهل»[(١)].

وليت قومي يفرقون !!

بين أهل العلم الراسخين على المنهج القويم! والدعاة المتحمسين المنحرفين عن الصراط المستقيم!!

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًّا، لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات بل إذا وردت عليه ردها حرسُ العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[(٢)].

ليت قومي يمتثلون !!

فيرجعون عند نزول المحن، وازدياد الفتن إلى العلماء الراسخين الربانيين ممتثلين بذلك ما أمرهم به رب العالمين: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء:٨٣].

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها...»[(١)].

وهذا لا يعني -أيها الأحبة- أنه ليس في الأمة من وقاه رب البريات فتن الشهوات والشبهات، فالحمد لله لا تخلو أمتنا من هؤلاء الصالحين، الذين نسأل رب العالمين أن يحفظهم ويُكثر عددهم في المسلمين، فمن وَفقه العزيز العلَّام أن يكون من هؤلاء الكرام فليحمد ربه ﷻ على هذا الإنعام، وليكثر من طاعته وشكره على الدوام.

وعليه أن يُحصن نفسه بالعلم ولا يتوقف! بل يبذل الوسع في الازدياد، ولا ينسى حق إخوانه عليه من بذل النصح والإرشاد كما أوصاه بذلك خير العباد.

فعن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن ؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»[(٢)]

---

(١) تفسير السعدي (ص١٩٠).

(٢) رواه مسلم (٥٥).

يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل»[(١)].

وعليه أن يستحضر عظم هذا العمل الكبير، لأن بذل النصح للمسلمين وتذكيرهم بأنواع الخير هو من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى العليم الخبير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنَّ أَعْظَمَ ما عُبِد الله به نصيحة خلقه»[(٢)].

ومن أهم ما يُذكرهم به: أنهم خُلقوا لأمر عظيم، وغرض كريم؛ وهو عبادة العزيز الحكيم، فعليهم أن يحققوا ما أمروا به ووجدوا من أجله، وأن يحذروا أشد الحذر من المعاصي! والبدع! والباطل! والابتداع! و ليسلكوا طريق الطاعة ويتمسكوا بالسنة والحق والإتباع.

وليربطهم بمصابيح الدجى ومنارات الهدى، فإن الخير كل الخير في الرجوع

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥).

إليهم والأخذ بنصحهم؛ خاصة عند حدوث النوازل وازدياد الفتن والقلاقل، والشر كل الشر في البعد عنهم والتأثر بالصغار المتحمسين! وأصحاب الأهواء المضلين !!

وليراعي عند تذكير إخوانه بالصواب ما ينبغي في النصح من شروط وأسباب وآداب.

ومن أهمها: أن يكون هذا العمل الكريم خالصًا لوجه الله ﷻ العليم، وكذلك الرفق واللين مع المسلمين، والأفضل أن تكون النصيحة في السر، فإن ذلك أرجى لقبول الحق والعمل بمضمونه.

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا»[(١)].

وليحذر أشد الحذر من كثرة مجالسة أهل الباطل؛ لأن كثرتها يتولد عنها المؤانسة! والمجانسة!، خاصة مع أصحاب البدع والشبهات! فالقلوب ضعيفة والسلامة لا يعدلها شيء.

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب»[(٢)].

ويقول أبو قلابة – عبد الله بن زيد الجرمي – رحمه الله: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٨٢).

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٣٨).

تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم في الدين بعض ما لَبِسَ عليهم»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يهدي الأمة الإسلامية جمعاء إلى كل ما فيه خير وسعادة ومحبة وإخاء، وأن يحفظ علماءنا الأجلاء ومشايخنا الفضلاء، ويجزيهم عنا خير الجزاء، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) شرح أصول الاعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٣).

وَقَفَاتٌ

عِنْدَ صَبْرِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ

وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ثَبَاتٍ

وَقَفَاتٌ عِنْدَ صَبْرِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ثَبَاتٍ

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن قوة يقين العبد وثبات إيمانه على الحق يظهر جليًّا عند تتابع الفتن وترادف البلايا والمحن، فهناك تظهر حقيقة ثقته بالله ﷻ، وصدق توكله عليه سبحانه.

فأهل الإيمان الصادق الراسخ في القلوب لا يصرفهم عن الحق صارف مهما كان أثره، ولا يمنعهم من الصدع به مانع مهما كانت قوته، وتأثيره على من خالفه.

أيها الأحبة الكرام، لقد كرر الباري سبحانه خبر سحرة فرعون في كتابه العزيز في أكثر من سورة؛ لأنهم ضربوا في الثبات على الدين وقوة اليقين برب العالمين -رغم تهديد فرعون اللعين- أفضل الأمثلة، وسطروا لنا أروع القصص .

فلقد أرسل عدو الله في طلبهم، بعد أن جاءه موسى عليه السلام ودعاه للإيمان بالعزيز الرحمٰن، وترك ما يدَّعيه من كذب وطغيان، وأظهر عليه السلام دعوته بالبينات التي أيده

بها رب البريات، ومن ذلك العصا التي ألقاها موسى أمامه، فأصبحت بإذن الله ﷻ ثعبانًا مبينًا، فظن فرعون وزبانيته أن الذي جاء به موسى عليه السلام ما هو إلا من قبيل السحر الذي يريد أن يصرفهم به عن دينهم! فاتفق فرعون مع أشياعه أن يبطلوا ما جاء به موسى عليه السلام، فأرسل فرعون في المدائن حاشرين؛ ليجمعوا له كل سحار عليم .

فجاء السحرة مسرعين راغبين في الدنيا الفانية، بعد أن اتفقوا على الاجتماع في ميقات يوم معلوم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[الشعراء: ٤١].

وازداد شغفهم بعد أن وعدهم اللعين بأن يكونوا كذلك من المقربين و﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[الشعراء:٤٢].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي: وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي»[(١)].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «وعدهم الأجر والقربة منه؛ ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكل مقدورهم، في معارضة ما جاء به موسى»[(٢)].

فلما سمعوا بما وعدهم به فرعون اللعين من حطام الدنيا الزائلة! فرحوا بذلك أشد الفرح! وأقبلوا على موسى عليه السلام يتحدونه فقالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾[الأعراف:١١٥] ظانين أن ما عندهم من باطل أقوى مما

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٥).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٩١).

عنده من الحق!! فقال لهم موسى عليه السلام وهو واثق بربه ﷻ، متيقنًا أن ما جاء به هو الصدق من خالقه سبحانه العظيم، وأن ما عندهم هو الكذب وزخرفة الشيطان الرجيم﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾[الأعراف: ١١٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قيل الحكمة في هذا- والله أعلم- ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم ومحالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له، والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس»(١).

فلما ألقوا ما عندهم من الدجل! اغتر بهم الجهلة من الناس، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف:١١٦].

لأن الجهلة من الناس يتأثرون بالباطل! وينخدعون بزيفه! ويتناسون دائمًا أن العمل الفاسد مآله إلى الزوال والاضمحلال بعون الله الكبير المتعال، وإن كان له في بعض الأمكنة أو الأزمنة جولة فإن للحق عليه بعون الله ﷻ دولة، ولأهله النصر والتمكين من رب العالمين، فالعاقبة -بإذن أرحم الراحمين- لأهل الصلاح المتقين، الذين لا يؤثر عليهم الباطل، ولا يتزعزع يقينهم وإيمانهم بخالقهم وناصرهم سبحانه، ولهذا قال لهم موسى عليه السلام متيقنًا بنصر الله ﷻ له، غير مبالٍ بتأثر الجهلة من الناس بباطلهم، ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس:٨١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فإنهم يريدون بذلك-أي السحرة-نصر الباطل على

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٨).

الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟ وهكذا كل مفسد، عمل عملًا، واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن عمله سَيَبطل ويَضمَحِل، وإن حصل لعمله رواج في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق»[(١)].

فأوحى رب العزة ﷻ لنبيه الكريم بعد أن ثبته في هذا الموقف العظيم أن لا تغتر بالذي تراه، وألقِ ما في يدك تبطل بإذني ما زعموا من كذب وطغيان، وتبين للناس أن ما جئت به هو صدق من الرحمٰن، فقال سبحانه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٨-٦٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنده والقاهر لهم»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «كيدهم ومكرهم -أي السحرة-، ليس بمثمر لهم، ولا ناجح فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل ويخيلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله، وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع»[(٣)].

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أي: لا يفوز ولا

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٧١).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٨٦).
(٣) تفسير السعدي (ص ٥٠٩).

ينجو حيث أتى من الأرض»[(١)].

فعلم السحرة يقينًا بعد ما رأوا أن سحرهم قد تلاشى وباطلهم قد اضْمَحَلَّ وزال، أن الذي جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر ولا بكذب، وأنه من الله ﷻ، فبادروا للإيمان مباشرة بالملك الديان، قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «عندما عاينوا من عظيم قدرة الله ساقطين على وجوههم سجدًا لربهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقولون: صدقنا بما جاءنا به موسى، وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبر ذلك كله ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[الأعراف: ١٢٢] لا فرعون»[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «فظن فرعون أنه يستنصر بالسحار على رسول عالم الأسرار!! فخاب وخسر الجنة واستوجب النار»[(٣)].

فلما رأى عدو الله فرعون هذا الموقف من السحرة، وكيف صاروا من أهل الإيمان بعد أن كانوا من أهل الإفك والطغيان، بدأ يلقي عليهم أنواع التهديد، ويتوعدهم بأشد أنواع الوعيد، زاعمًا هذا المفتري الكذاب أنه أشد عذابًا من الرب العزيز الحميد، فقال لهم: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ٧١].

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٨).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «هددهم مقسمًا على أنه يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف: يعني اليد اليمنى والرجل اليسرى مثلًا، لأنه أشد على الإنسان من قطعهما من جهة واحدة، لأنه إن كان قطعهما من جهة واحدة يبقى عنده شق كامل صحيح، بخلاف قطعهما من خلاف . فالجنب الأيمن يضعف بقطع اليد، والأيسر يضعف بقطع الرجل كما هو معلوم، وأنه يصلبهم في جذوع النخل، وجذع النخلة هو أخشن جذع من جذوع الشجر، والتصليب عليه أشد من التصليب على غيره من الجذوع»[(١)] .

فكان ردُّهم عليه بعد أن قوي يقينهم واشتد إيمانهم، ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾[طه: ٧٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولما تمكن الإيمان من قلوبهم علموا أن عقوبة الدنيا أسهل من عقوبة الآخرة وأقل بقاء، وأن ما يحصل لهم في الآخرة من ثواب الإيمان أعظم وأنفع وأكثر بقاء» [(٢)].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «لما عرف السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل، ما يدركون به الحقائق، أجابوا بقولهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا، هذا لا يكون ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ مما أوعدتنا به، من القطع والصلب والعذاب.

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٦٣).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٨٩).

﴿إِنَّمَا نَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم»[(١)].

أيها الأحبة الأفاضل، إن في ثبات هؤلاء السحرة رغم ما سيحل بهم من هذا العدو الظالم، لدليل ظاهر على أن الإيمان إذا قوي في القلب ازداد به يقين العبد بربه ﷻ، ولهذا ثبت الأنبياء والأتقياء والأصفياء في أشد مواطن المحن والبلاء، فلم يغيروا دينهم ولم يبدلوا عقيدتهم ويتركوا دعوتهم رغم ما نزل بهم من أنواع الابتلاء.

فهذا إبراهيم عليه السلام عندما ألقاه أعداء الجبار في النار ما كان منه إلا الثبات وتفويض أمره لرب الأرض والسماوات، متيقنًا أن أرحم الراحمين لن يُضيع أنبياءه المرسلين ولا عباده الصالحين، فقال عليه السلام: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**».

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «(**حسبنا الله ونعم الوكيل**) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾[آل عمران:١٧٣]»[(٢)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فينبغي لكل إنسان رأى من الناس جمعًا له، أو عدوانًا عليه، أن يقول:(**حسبنا الله ونعم الوكيل**) فإذا قال هكذا كفاه الله شرهم، كما كفى إبراهيم ومحمدًا عليهما السلام، فاجعل هذه الكلمة دائمًا على بالك، إذا رأيت

---

(١) تفسير السعدي (ص٥٠٩).

(٢) رواه البخاري (٤٢٨٧).

من الناس عدوانًا عليك فقل: (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) يكفك الله ﷻ شرهم وهمهم»[(١)].

فردَّ الله ﷻ كيد الكافرين، وحفظ عبده من مكر المجرمين، وجعل مخالفيه هم الأخسرين، وأمر سبحانه النار أن تكون عليه بردًا وسلامًا، بعد أن أراد أعداءه أن تكون حرًّا وإيلامًا، فقال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فكانت عليه بردًا وسلامًا، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه»[(٢)].

وهذا المصطفى ﷺ لما خرج مهاجرًا إلى المدينة فارًّا من بطش كفار قريش، ومعه الصديق رضي الله عنه، تبعهم أعداء الدين فدخل ﷺ ورفيقه رضي الله عنه غار ثور، فجعل الكفار يترددون حوله ولم يروه؛ لأن الله ﷻ أعماهم عن الغار، فلما رأى الصديقُ رضي الله عنه ترددهم وقُرب أعداء الدين منهما؛ خشي أن يكشفوا مكانهما، فقال لنبي الله ﷺ: (يا رسول الله، لو أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ) فقال له ﷺ متيقنا بحفظ ربه ﷻ له: «**يا أَبَا بَكْرٍ ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا**»[(٣)].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وفيه -أي الحديث- بيان عظيم توكل النبي ﷺ حتى في هذا المقام، وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجل مناقبه، والفضيلة من

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٥٧).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٢٧).

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٣) ومسلم (٢٣٨١) واللفظ له، من حديث أنس رضي الله عنه.

أوجه: منها هذا اللفظ، ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله، ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله، وملازمة النبي ﷺ، ومعاداة الناس فيه، ومنها جعله نفسه وقاية عنه، وغير ذلك»[(١)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والله ظننا لا يغلبهما أحد، ولا يقدر عليهما أحد، وفعلًا هذا الذي حصل؛ ما رأوهما مع عدم المانع، فلم يكن هناك عِشٌّ كما يقولون ولا حمامة وقعت على الغار، ولا شجرة نبتت على فم الغار!! وما كان إلا عناية الله ﷻ؛ لأن الله معهما»[(٢)].

فعلينا -أيها الأفاضل- أن نستفيد من هذه القصص التي دلت على صدق اليقين برب العالمين الذي كان من السحرة والنبيين رغم ما حلَّ بهم من بلاء، ونجعلها لنا عبرة نتذكرها عندما تنزل بنا البلايا والمحن، ولنحذر أن نضعف أمام الباطل وزخرفته مهما كثر أتباعه ولنفوض دائمًا أمورنا لخالقنا سبحانه، فإننا إذا صدقنا معه ﷻ وأخلصنا في عبادته فلن يضيعنا أبدًا.

ولنتصفح دائمًا تراجم سلفنا الصالح، خاصة ممن اشتهر أنهم امتحنوا وعذبوا ليتركوا دينهم وعقيدتهم الصافية، كالإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم كثير رحمهم الله، فأبوا إلا الصبر والثبات؛ لعلمهم أن ما عند الله ﷻ خير وأبقى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أحدٌ من

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (١٥/ ١٥٠).

(٢) شرح رياض صالحين (١/ ٣٣٠).

علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة»[١].

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ أن يقوي إيماننا ويزيد يقيننا به سبحانه، وأن يَقينا وإياكم شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه سبحانه وهو راضٍ عنا، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).

إِلَىٰ مَتَىٰ وَنَحْنُ نُعَانِي مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ؟!!

إِلَى مَتَى وَنَحْنُ نُعَانِي مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ؟!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الكثير منا في هذا الزمان -أيها الأحبة الكرام- مبتلى بداء خطير وشر مستطير ألا وهو قسوة القلب وعدم تأثره عند ذكر العزيز القدير.

فأصبحنا لا نرى -والله المستعان- أثرًا للعبادات علينا، فنخرج من الصلاة كما دخلنا فيها!!

ونقرأ كلام الجبار فلا تدبر لمعانيه ولا اعتبار بحال من كان قبلنا من الأشرار!!.

نطالع سيرة المصطفى ﷺ ونقرأ أخبار أصحابه -رضوان الله عليهم- فلا اقتداء بهم! ولا اهتداء!!.

نرى ونسمع ما يجري حولنا من الأمارات كالزلازل والأعاصير والفيضانات! فلا نخاف ولا نخشى من هذه الآيات البينات التي يرسلها رب الأرض والسماوات!!

نسمع للخطب والمواعظ في المساجد وعبر الصوتيات! فلا قلب يرق ولا عين تدمع من هذه العظات!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «متى رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مُسخ !!

ومتى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل فيه حب المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فاعلم أنه قد خسف به!!

ومتى أُقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب»[1].

أصبحت همومنا منصبة في تحصيل الملذات والسعي وراء الشهوات!!حتى ضيعنا بسبب ذلك الكثير من العبادات وفرطنا في الواجبات!!.

بل تجرأنا حتى على فعل المنكرات وارتكاب المحرمات دون خوف من رب البريات!!.

وللأسف! لم نستحضر عند إتيانها أن الشهوات مهما بلغت وكثرت، فإن لذاتها تنقضي وساعاتها تمضي، ولا يعقبها بعد ذلك إلا الندم والحسرات!!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، مثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الداعية منك إليها، ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٧٤٣).

وألمها»[١].

إنّ بعضنا اليوم -أيها الأفاضل- قد يهتم بإصلاح ظاهره وتحسين مظهره ولا يُلقي بالًا ولا يعطي اهتمامًا لباطنه الذي هو سبب فلاحه وأساس نجاحه!!

فنرى منا من إذا أصابه مكروه أو أذى في جسده سارع إلى طبيب الأبدان، حتى وإن أدى ذلك لترك الأحبة والأوطان! وإنفاق أغلى الأثمان!.

بل نراه شديد الحرص على معرفة سبب الداء! كثير السؤال عن طرق تحصيل الدواء! وعن سبل الوقاية في المستقبل من الأدواء!!

أما إذا أُصِبْنا بقسوة القلوب! وابتلينا بالبعد عن علَّام الغيوب، فبسبب المعاصي والذنوب! ومع ذلك لا نرى من أنفسنا شدة الحرص على علاج هذا المرض الفتاك! الذي يؤدي بنا إلى الهلاك!!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله»[٢].

إنَّ قسوة القلوب التي نُعاني منها -أيها الكرام- هي من أسباب قحط عيوننا وجفاف دموعنا، فقلوبنا اليوم ذهب منها اللين وقلَّت فيها الرحمة، وهجرها الخشوع، وابتعد عنها الخوف والخضوع!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «الخوف -أي من الله- علامة صحة الإيمان،

---

(١) الفوائد (ص ١٩٢).

(٢) الفوائد (ص٩٧).

وترحُّلُه من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه»[(١)].

ألم يَأنِ لنا -أيها الأحبة الكرام- أن نقف مع قلوبنا وقفة صادقة للحظات!! فنعالجها مما ابتليت به من زلات!! ونخوفها من رب الأرض والسماوات، ونتعاهدها في كل الأوقات، فنجعلها أساسًا للطاعات ومنبعًا للخيرات!! وذلك قبل ألا ينفعنا الندم، ولا تشفع لنا الحسرات!!

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: ألم يأت الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟

وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٥).

﴿مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذَكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين»[(١)].

ألم يحن الوقت بعد -أيها الكرام- لنتدبر معاني هذه الآية الكريمة ونعمل بما تضمنته من عظة عظيمة، ونلبي نداء أرحم الراحمين ونقتدي بمن سبقنا من سلفنا الصالحين.

فهذا الصحابي الجليل العابد عبد الله بن عمر ﷺ : «كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء»[(٢)].

وهذا الإمام الزاهد العابد الفُضَيل بن عياض ﷺ (ت ١٨٧ هـ): «كان شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس-يقعان في خراسان-، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذا سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فُضَيْلًا على الطريق يقطع علينا.

قال ﷺ: ففكرت، وقلت: «أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك،

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٤٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١١٨).

وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام»[١].

أين نحن من تذكر الموت وسكرته؟! والقبر وضمته؟! والنار وسعيرها؟!.

إنَّ الموت لا مرد له من دافع، ولا ينفع في تأخيره شافع، ولا يعرف صديقًا، ولا يُفَرِّقُ بين كبير ولا صغير، ولا بين صحيح وسقيم، فكلهم لا محالة ملاقيه مهما امتد بهم الأجل وطال بهم العمر، يقول تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء:٧٨].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «فإن الموت بإزائكم أين كنتم، وواصل إلى أنفسكم حيث كنتم، ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة»[٢].

إلى متى نؤخر التوبة ونطيل الأمل! ونغتر بالأماني! ونسيء العمل! أنسينا الاستعداد للمرتحل! مع نقص أعمارنا واقتراب الأجل؟!!

أين العمل بوصية نبينا ﷺ: «**كن في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[٣].

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغي أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل»[٤].

فالبدار البدار -أيها الأحبة والإخوان- قبل فوات الأوان! لعلاج قلوبنا مما

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٧٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) جامع العلوم والحكم (ص٣٧٩).

حلَّ بها من ضعف وهوان! حتى أصبحت منقادة للهوى والشيطان! ولا تتأثر بذكر الرحمٰن! والله المستعان.

ولنسلك في ذلك الطرق الشرعية والوسائل الإيمانية، وأولها التوبة والرجوع إلى رب البرية، والمبادرة إلى الطاعات والمسارعة في الخيرات وكل السبل المرضية، والبعد عن المحرمات والمنكرات وكل الطرق الرديَّة، ولنعلق قلوبنا بالآخرة لا بالدنيا الدّنِيَّة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى، وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن-أي البصري-: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال: (أَذِبْه بالذكر)، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله ﷻ»[1].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن يطهر قلوبنا جميعًا من النفاق والرياء وسائر الأدواء والأوباء، وأن ييسر لنا فعل الطاعات والتزود من الخيرات، وأن يجنبنا ارتكاب المعاصي والآثام، ويوفقنا لحسن الختام، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز العلَّام.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الوابل الصيب (ص٩٩).

الْحِكْمَةُ مِنْ وُقُوعِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْعِصْيَانِ

الْحِكْمَةُ مِنْ وُقُوعِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْعِصْيَانِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما قدره كونًا علَّام الغيوب أنه سبحانه لم يجعل لعباده المؤمنين عصمة من الخطايا والذنوب، فلابد أن يقع منهم التقصير مهما بلغت مكانتهم وعلت منزلتهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس في المؤمنين إلا من له ذنب من ترك مأمور أو فعل محظور كما قال ﷺ: «**كُلُّ بني آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[(١)])[(٢)].

ويقول المناوي رحمه الله: «فلابد أن يجري على العبد ما سبق به القدر، فكأنه قال لابد لك من فعل الذنوب لأنها مكتوبة عليك، فأحدث توبة فإنه لا يؤتى العبد من

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٤٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) رسالة في التوبة (ص٢٥٨).

فعل المعصية وإن عظمت، بل من ترك التوبة»[(١)].

لكنَّ المؤمنين الأبرار -أيها الأحبة الكرام- يعلمون أن المعاصي هي داء خطير وشر مستطير على العباد والبلاد، فينتابهم بعد إتيانها الندم والعزم على عدم العود إليها، ويبادرون بالتوبة والذكر والاستغفار إلى العزيز الجبار، يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥].

يقول الشيخ السعدي ﵀: «أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك؛ بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»[(٢)].

بخلاف غيرهم من الفجار والأشرار! فلا نرى على وجوههم الحسرات ولا الندم على ما ارتكبوا من المحرمات؛ لأن هدفهم السعي وراء الملذات! والركض خلف الشهوات! لذا نجد عندهم الاستصغار للمنكرات.

يقول عبد الله بن مسعود ﵁: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه! فقال به هكذا، وأشار الراوي بيده فوق أنفه»[(٣)].

يقول ابن الجوزي ﵀: «إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من العقوبة؛

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٢).

(٢) تفسير السعدي (ص ١٤٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥٩٤٩).

لأنه على يقين من الذنب، وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله، فلذلك قل خوفه فاستهان بالمعاصي»[(١)].

وعلى الرغم من ضرر المعاصي بأنواعها، إلا أن فعل المؤمن لها أحيانًا قد يرجع عليه بفوائد وعوائد مُتَعَدِيَّة بإذن الله ﷻ، ومن أهمها:

١-إكثاره بعدها من التوبة والاستغفار والخضوع والانكسار للعزيز الغفار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو لم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهم**»[(٢)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فلابد للإنسان من ذنب، ولكن ماذا يصنع؟ يجب عليه إذا أذنب ذنبا أن يرجع إلى الله، ويتوب إليه، ويندم ويستغفر حتى ينمحي عنه ذلك الذنب»[(٣)].

٢-ولولا الذنب -أيها الكرام- لأصيب المؤمن بداء عُضَال ومرض قتَّال، حيث يبوء من ابتلي به بالحرمان والخسران، ألا وهو «**داء العجب**»، فعن أنس رضي الله عنه أن نبينا ﷺ قال: «**لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكثر من ذلك، العُجب العجب**»[(٤)].

يقول المناوي رحمه الله: «كرره-أي العجب- زيادة في التنفير ومبالغة في التحذير، وذلك لأن العاصي يعترف بنقصه فيرجى له التوبة، والمعجب مغرور بعمله

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٢٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٩).

(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٦٠٤).

(٤) رواه البزار في مسنده (١٣/ ٥٢٤)،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٥٨).

فتوبته بعيدة»[١].

٣-ولولا الذنوب!! لما جاهد المؤمن نفسه والشيطان على الازدياد من الحسنات ليمحو بإذن الله تعالى وفضله ما قدمه من السيئات، ولما اجتهد في إخلاص النية لرب البرية فنال بسبب ذلك المكانة المرضية والدرجات العليَّة، يقول تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت:٦٩].

يقول الشيخ الشنقيطي ﷺ: «ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الذين جاهدوا فيه، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك»[٢].

فهذه من أهم الثمار النافعة والمتعدية التي ينبغي للمؤمن أن يَجنيها بعد ارتكابه للذنوب! وهذا لا يعني -أيها الأحبة الكرام- أنه يُشرع له فعل المحرمات من أجل أن يَقطف هذه الثمار! بل لا بد عليه أن يحذر ما أمكنه من فعل المعاصي والتهاون فيها! وإذا غلبته نفسه الأمارة بالسوء وتجرأ على فعلها! فليبادر إلى إصلاح ما أفسد! ولا يمل من التوبة والاستغفار، وإن تكرر منه فعل الآثام! ما دامت نفسه بين جنبيه! وأبواب التوبة ولله الحمد مفتوحة، وليحذر أشد الحذر من تلبيس وتيئيس إبليس له، الذي يسعى جاهدًا ليُقنطه من رحمة العزيز الغفار.

قيل للإمام الحسن البصري ﷺ: «ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود؟! فقال ﷺ: «ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا!، فلا تملوا من الاستغفار»[٣].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣١٢).

(٢) أضواء البيان (٦ / ١٦٣).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٦٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ولو تاب العبد، ثم عاد إلى الذنب قبل الله توبته الأولى، ثم إذا عاد استحق العقوبة، فإن تاب تاب الله عليه أيضًا، ولا يجوز للمسلم إذا تاب، ثم عاد، أن يصر، بل يتوب، ولو عاد في اليوم مائة مرة»[(١)].

وعليه كذلك أن يتقي الشبهات، ويبتعد عن كل ما يجعله يقع في المحرمات من الشهوات والملذات، وإذا حدثته نفسه الأمارة بالسوء بارتكاب المنكرات! فليتذكر عظمة رب الأرض والسماوات، لأنه -أيها الكرام- ما ارتكبت الذنوب وتعدى الخلق على حدود علَّام الغيوب إلا بعد ذهاب الخوف من القلوب.

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «الخوف علامة صحة الإيمان، وترحُّله من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه»[(٢)].

ويقول المناوي ﷺ: «القلب إذا امتلأ من الخوف -أي من الله- أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلَّ الخوف جدًّا واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء»[(٣)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن يخافه في السر والعلن، وأن يوفقنا إلى كل خير وسرور، وأن يبعدنا عن سائر الشرور، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٥).

(٣) فيض القدير (٢/ ١٣٢).

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّ خُلُقَ الْعَفْوِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّ خُلُقَ الْعَفْوِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنّ من الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة التي ينبغي على كل مسلم أن يتحلى بها هي صفة العفو وهي: «التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه»[(١)].

لماذا أيها الأحبة الكرام؟!

لأنَّ اللهَ ﷻ يُحبها، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ ﷻ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ**»[(٢)].

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «وهو سبحانه لمحبته للعفو والتوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم إليه، واستغفارهم، وطلبهم عفوه ومغفرته»[(٣)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٣٨)،وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (١٦٣٨).

(٣) شفاء العليل (١/ ١١٦).

فكيف لا يحب الباري ﷻ هذه الصفة الحميدة والخُلق الرفيع؟!

ومن أسمائه سبحانه «**العفو**»، ومن صفاته ﷻ صفة «**العفو**»، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[الحج: ٦٠].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: يعفو عن المذنبين؛ فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم؛ فيزيلها، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو، والمغفرة»(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

«وهو العفُوُّ فعفوُهُ وسِعَ الوَرَى لولاه غَارَ الأرضُ بالسُّكان»(٢).

يقول الشيخ خليل الهراس رحمه الله: «أي: ولولا كمال عفوه وسعة حلمه لغارت الأرض بأهلها لكثرة ما يرتكب من المعاصي على ظهرها»(٣).

ولأن هذه الخصلة الكريمة -أيها الأفاضل- كان يتحلى بها من سبقنا من الأنبياء والمرسلين ومن جاء بعدهم واتبع هديهم من العلماء والصالحين.

فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لقوا من أقوامهم ما لاقوه من سوء المعاملة! والتحريض عليهم! بل وصل الأمر إلى التعدي عليهم وضربهم! ومع

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٥٤٣).

(٢) الكافية الشافية (ص٢٠١).

(٣) الشرح على نونية ابن القيم (٢/ ٨١).

هذا لم ينتقموا لأنفسهم! بل صبروا على الأذى الذي طالهم في سبيل نشر دعوتهم، وبذلوا وسعهم في بيان الحق لمن أرسلوا إليهم، وقابلوا إساءات أقوامهم بالصبر والشفقة عليهم ودعاء الله تعالى لهم.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ **قال:** كأنِّي أَنْظُرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نَبِيًّا من الأنبياء ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهه ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(١).

يقول الإمام النووي ﷺ: «فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبُّر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا ﷺ مثل هذا يوم أحد»(٢).

ويقول الإمام ابن القيم ﷺ: (تأمل حال النبي ﷺ الذي حكى عنه نبينا ﷺ «أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت(٣) الدم عنه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه؟.

أحدها: عفوه عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٠) ومسلم (١٧٩٢)، واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٢/ ١٥٠).

(٣) أي: «يمسحه ويُزيله» كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٣٠٦).

الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: «**اغفر لقومي**» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي، فهبه لي)[1].

وهذا نبينا ﷺ آذاه قومه وأخرجوه من داره التي تربى فيها، وسعوا جاهدين لقتله، وادعوا زورًا وبهتانًا بأنه شاعر! وأنه كاهن! وأنه ساحر! وغير ذلك من التهم الباطلة! التي هو منها ﷺ براء.

ومع هذا صبر عليهم ولم ينتقم ﷺ لنفسه منهم؛ بل تمنى لهم الهداية إلى الإسلام، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يوم أُحد؟ فقال: «**لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابنِ عبد يَالِيلَ بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ.**

فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي، فلم أَسْتَفِقْ إلا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فقال: إِنَّ اللهَ ﷻ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك، وما رُدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

قال: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فسلم عَلَيَّ، ثُمَّ قال: يا محمد إِنَّ اللهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك، وأنا مَلَكُ الْجِبَالِ وقد بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فما شِئْتَ؟ إن

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٨).

شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ[١].

فقال له رسول اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا»[٢].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالشاهد أن رسول الله ﷺ كان يُؤذى أشد الأذى، ومع ذلك يعفو ويصفح ويتأنى ويترجى، فبلَّغه الله -ولله الحمد- مراده وحصل له النصر المبين المؤزر.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لاسيما إذا أوذي في الله؛ فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج»[٣].

وهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام حسده أخوته لمكانته من أبيه؛ فاجتمعوا على التخلص منه، فألقوه في البئر، فنَجَّاهُ الباري جل جلاله من كيدهم، وتفضل عليه سبحانه بأن وهبه قوة وسلطانًا، بعد ابتلاء وصبر، فلما وقع إخوته بين يديه لم ينتقم منهم، بل عفا عنهم وسامحهم على ما كان منهم تجاهه، فقال لهم -بعد أن اعتذروا منه عما كان منهم، كما أخبرنا بذلك ربنا جل جلاله-: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد

---

(١) هما الجبلان اللذان بينهما مكة. غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٧٨).

(٢) رواه البخاري (٣٠٩٥) ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٠٥).

عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾»[١].

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خاض من خاض في عرض ابنته الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، ومنهم ابن خالته مِسْطَح بن أُثاثه[٢] رضي الله عنه قبل أن تنزل براءتها من فوق سبع سموات، وكان الصديق يُنفق على مِسْطَح رضي الله عنه، فلما بلغه ما يقول في الصديقة رضي الله عنها منع عنه ما كان يُعطيه إياه، فأنزل الله عز وجل بعد أن برأها سبحانه مما رميت به رضي الله عنها ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح بن أثاثه بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال ...

فلما أنزل الله براءةَ أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على مَن أقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو مِسْطَح بن أثاثه، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٠).

(٢) **يقول الإمام الذهبي** رحمه الله: «إياك يا جريء! أن تنظر إلى هذا البدري شزرًا - أي: بغضب وحقد- لهفوة بدت منه،فإنها قد غُفرت، وهو من أهل الجنة.

وإياك يا رافضي! أن تلوح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النص في براءتها فتجب لك النار».

سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٨)

ينفق عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زَلَق زَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحد عليها، وكان الصديق ﷺ معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب.

فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك.

فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب -يا ربنا -أن تغفر لنا.

ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصدّيق هو الصديق ﷺ وعن بنته»[(١)].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ رغم ما ألحقه به أعداؤه من أذى وظلم وعدوان، كان ﷺ يقول: «فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله؛ فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كان الرجل مشكورًا على سوء عمله لكنت أشكر كل من كان سببًا في هذه القضية، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٧).

وآلائه وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له»[(١)].

ولقد أوذي ﷺ أشد الأذى من بعض القضاة! الذين كانوا سببا في سجنه وتعذيبه، فلما ضعفت شوكة خصومه وأراد السلطان أن ينتقم له منهم فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارًا.

فقال له شيخ الإسلام ﷺ: «من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي».

وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح، حتى قال عنه أشد أعدائه القاضي ابن مخلوف المالكي: «ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[(٢)].

فيا أيها الأفاضل الكرام، هذه فقط نماذج يسيرة تُوضح لنا ما كان عليه من سبقنا من التحلي بخلق العفو والتسامح عن الآخرين، فلماذا لا نقتدي بهداهم ونسير على طريقهم؟!

لماذا لا نُحاول أن نقدم دائمًا العفو والتسامح الذي نؤجر عليه عند العزيز العلَّام، وهو من شيم الكرام! على نصرة النفس! وحب الانتقام! ممن تعدَّى علينا من الأنام؟!.

ألم نقرأ قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص٢٨١).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٥٤).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق بالعفو عنه وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به.

وفي جعل أجر العافي على الله، ما يُهيج على العفو، وأن يعامل العبدُ الخلقَ بما يحب أن يعامله اللهُ به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل»[(١)].

أين نحن من الذين وصفهم العزيز الحكيم في كتابه الكريم، حيث قال عنهم سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]؟!!

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «دلت هذه الآية على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس، من صفات أهل الجنة، وكفى بذلك حثًّا على ذلك، ودلت أيضًا: على أن ذلك من الإحسان الذي يحب الله المتصفين به»[(٢)].

إن الجزاء -أيها الكرام- من جنس العمل! فمن يريد العفو والصفح يوم القيامة من العزيز العلَّام، فعليه كذلك أن يعفو ويتجاوز عمن أخطأ في حقه وتعدى عليه من الأنام!.

إن إيثار العبد -أيها الأحبة الأفاضل- للعفو والصفح على العقاب والتأنيب ما

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٦٠).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٤٨٧).

يزيده إلا علوًّا في المكانة بين الناس في الدنيا ورفعة عند العزيز الرقيب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا**»(١).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «فيه وجهان:

أحدهما: أنه على ظاهره، وأن من عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.

والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك»(٢).

إن السعادة والطمأنينة الحقيقية هي في العفو والصفح، وليست في حب الانتقام للنفس من البرية!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وفي الصفح والعفو والحلم؛ من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها، عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام»(٣).

وبعد أن عرفنا -أيها الكرام- فضل هذه الخصلة الحميدة والصفة الرفيعة، وأنها كانت من شيم الأنبياء، ومن تَمسَّك بهديهم من العلماء والأتقياء، فعلينا جميعًا أن نسعى لتحقيقها، ونسأل الله ﷻ دائمًا العون على ذلك، ولنجاهد أنفسنا دائمًا على تقديم العفو على من أساء إلينا، وترك الانتقام وحب الانتصار للنفس.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٤١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣١٩).

يقول ابن حبان ﷺ: «الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سبب لنماءِ الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإياكم محاسن الأخلاق ومكارمها ومنها العفو، وأن يصرف عنا شرورها ومساوئها ومنها الغضب وحب الانتقام للذات!، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسماوات.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) روضة العقلاء (ص١٦٦).

أُكْذُوبَةُ غَدِيرِ خُمٍّ!!!

أُكْذُوبَةُ غَدِيرِ خُمٍّ!!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الإحداث والاختلاق في الدين من سمات أهل الأهواء والبدع، وهذا كله من أجل خدمة ضلالاتهم! وما يدعون الناس إليه من باطل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وأما أهل الأهواء ونحوهم فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلًا لا ثقة ولا معتمد وأهون شيء عندهم الكذب المختلق»[(١)].

ومن أشهر من امتاز بالكذب والبهتان من أهل البدع والضلال قديمًا وحديثًا الرافضة، حتى إن المرء المسلم ليتعجب من كثرة كذبهم!! حتى أصبح ذلك من سماتهم الظاهرة، عند العامة فضلًا عن الخاصة، وهذا بسبب أقوالهم وأفعالهم التي تخالف الفطر والعقول السليمة فضلًا عن النصوص الشرعية الصحيحة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم؛ ولهذا كان أئمة

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٧٩).

الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب»[١].

وقد يتساءل المسلم -أيها الأحبة الكرام- عن سبب انتشار الكذب فيهم مقارنة بغيرهم من أهل البدع والأهواء ؟!

فيقول شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله: «لما كان أصل مذهبهم مستندًا إلى جهل، كانوا أكثر الطوائف كذبًا وجهلًا»[٢].

وأما عن سبب إباحتهم للكذب وتقديسهم له؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله: «وتعمُّد الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك حيث يقولون ديننا التقية!! وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه وهذا هو الكذب والنفاق»[٣].

إن هؤلاء الروافض هم قوم عميان!! بحيث لم يكتفوا بالكذب والبطلان الذي زينه لهم الشيطان، وإنما تعمدوا أيضًا رد الأخبار الصحيحة الصريحة التي جاءت في شريعة المنان! فأولوها تأويلًا يُبقي العاقل حيران! أو ردوها بزعم أنها تخالف ما عندهم من حق! وهو في الحقيقة بهتان! ففاقوا جميع أهل الأهواء والخذلان في إدخال الكذب والزور على دين الرحمٰن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنهم -أي الرافضة- أدخلوا في دين الله من الكذب على رسول الله ﷺ ما لم يكذبه غيرهم، وردوا من الصدق ما لم يرده

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٩).
(٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٧)
(٣) منهاج السنة النبوية (١/ ٦٨).

غيرهم، وحرفوا القرآن تحريفًا لم يحرفه غيرهم»[١].

ومن بين ما أحدثه الرافضة: ما يكون في الثامن عشر من ذي الحجة من الاحتفال بعيد الغدير، نسبة لغدير خم وهو موضع ماء بين مكة والمدينة، الذي جاء ذكره في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه حيث قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي...**»[٢].

إن هذا الحديث ليس فيه دلاله على ما يزعمون زورًا وبهتانًا أن الرسول ﷺ عهد في ذلك اليوم وفي ذلك الموضع لعلي رضي الله عنه بالخلافة ! بل هو دليل عند أهل السنة والجماعة على وجوب محبة علي رضي الله عنه وآل بيت النبي ﷺ، وتوقيرهم وعدم الطعن فيهم.

يقول المناوي رحمه الله: « (**أذكركم الله في أهل بيتي**) أي: في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثا للتأكيد» [٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما علي رضي الله عنه فإن أهل السنة يحبونه

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) فيض القدير (٢/ ١٧٤).

ويتولونه ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»[(١)].

قد يقول السائل: فما الدليل على مشروعية هذا الاحتفال البدعي! من هذا الحديث؟!

فالجواب: أن الرافضة -أخزاهم الله-لم يكتفوا بالحديث كما جاء! بل زادوا فيه وبدلوا لتحقيق أهدافهم الخبيثة!!!

ولهذا يقول الألوسي رحمه الله: «وقد زادوا فيه إتمامًا لغرضهم زيادات منكرة، ووضعوا في خلاله كلمات مزورة، ونظموا في ذلك الأشعار، وطعنوا على الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- بزعمهم أنهم خالفوا نص النبي المختار ﷺ»[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الرافضة غالب حججهم أشعار تليق بجهلهم وظلمهم، وحكايات مكذوبة تليق بجهلهم وكذبهم، وما يُثبت أصول الدين بمثل هذه الأشعار، إلا من ليس معدودا من أولي الأبصار»[(٣)].

إن في مثل هذا اليوم من كل سنة! يجتمعون لإحياء ذكراه، فمن حج منهم اجتمع في ذلك المكان! ومن لم يحج احتفل في مكانه؛ لأن هذا اليوم عندهم من أفضل الأعياد، ولهذا يلقبونه بالعيد الأكبر!!

وإن أول من أحدث هذه البدعة الشنيعة هو: معز الدولة أحمد بن بويه (ت٣٥٦هـ) وهو أول من تملك من سلاطين الدولة البويهية، وهي دولة شيعية

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ١٨).

(٢) روح المعاني (٦/ ١٩٣).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/ ٦٦).

قامت في الجزء الغربي من إيران والعراق.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «وفي عشر ذي الحجة - أي سنة٣٥٢هـ - أمر معز الدولة ابن بويه بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدَّبادب[١] والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء، وعند الشُّرَط- أي الشرطة-، فرحًا بعيد الغدير-غدير خم-فكان وقتًا عجيبًا مشهودًا، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة»[٢].

وقال المقريزي رحمه الله: «اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدًا مشروعًا، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عُرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذٍ عيدًا» [٣].

وقد ذكر العلماء بعض مظاهر هذا الاحتفال المبتدع، ومنهم الإمام المقريزي رحمه الله، حيث قال: «ومن سنتهم في هذا العيد أن يحيوا ليلته بالصلاة، ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح»[٤].

ويقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله: «ويظهرون من أنواع الفرح

---

(١) الطبل. لسان العرب (١/ ٣٧٢).

(٢) البداية و النهاية (١١/ ٢٤٣).

(٣) الخطط المقريزية (٢/ ٢٥٥).

(٤) الخطط المقريزية (٢/ ٢٥٥).

والسرور، وتنويع الموائد وإغلاق الدوائر والمتاجر وإلقاء الخطب والمحاضرات في المآتم ما يعجز الكتاب عن بيانه»[١].

ومن المنكرات الشنيعة في هذا الاحتفال أنهم يسبون فيه الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن تبعهم بإحسان من أهل الإيمان، وهم مع ذلك يوالون اليهود والنصارى أعداء الرحمٰن!! فإن هذا والله من الخسران والحرمان، والله المستعان.

يقول شيخ الإسلام ﵀: «فإنهم -أي الرافضة- أعظم ذوي الأهواء جهلا وظلما، يعادون خيار أولياء الله تعالىٰ من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان -رضي الله عنهم ورضوا عنه- ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين، وأصناف الملحدين كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين»[٢].

لقد بين العلماء ﵃ -أيها الأحبة الأفاضل- حكم الاحتفال بهذا العيد المحدث، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «إنما الغرض أن اتخاذ هذا اليوم- أي: عيد الغدير- عيدًا محدثٌ لا أصل له، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك اليوم عيدًا، حتىٰ يحدث فيه أعمالًا.

إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع لا الابتداع، وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة: مثل يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين،

---

(١) تحذير المسلمين من الابتداع في الدين (ص١٥٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٢٠).

ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ أمثال تلك الأيام أعيادًا»[١] .

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله: «ولا يخفى على من ملك ذرة من العلم أن هذا عيد مبتدع، لا أصل له في الدين، ولا سند له في شريعة سيد المرسلين، لا من القرآن ولا من السنة ولا من فعل الصحابة ولا أهل البيت المطهرين رضوان الله عليهم أجمعين إذ لم يجعلوا ذلك اليوم عيدًا، ولا احتفلوا به وليس في دين الإسلام إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى»[٢].

فيا أيها الأحبة الكرام، إن مما يجب على أهل الإسلام أن يحذروا من الرافضة اللئام! وعليهم أن لا يغتروا بهم! ولا ينخدعوا بحسن أخلاقهم! وإظهارهم محبة الصحابة! فإن الكذب ديدنهم! والغدر والخيانة سمتهم! فينبغي علينا أن نحذر منهم أشد الحذر، ونحذر المسلمين منهم!!

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب، والخيانة وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم»[٣].

ولنحذر من حضور أعيادهم البدعية إن دعينا إليها!! أو بداعي الفرجة والتسلية والاستطلاع؛ فإنها لا تخلوا من المحرمات، بل ومن الشركيات! فإن الشبه خطافة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٤).

(٢) تحذير المسلمين من الابتداع في الدين (ص١٥٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/ ٤٢٥).

والقلوب ضعيفة!

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ السنة وأهلها في كل مكان من كيد الكفار ومكر الأشرار وإفساد الفجار.

وأن يجعل رايتها خفَّاقَةً في كل الأمصار وأهلها أعزة في كل الأقطار، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الجبار.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الْابْتِلَاءُ طَرِيقُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ بِإِذْنِ رَبِّ الْعَالَمِين

الْابْتِلَاءُ طَرِيقُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ بِإِذْنِ رَبِّ الْعَالَمِين

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما كتبه الرحمٰن على أهل الصلاح والإيمان في هذه الدنيا الفانية أنهم يُصابون بأنواع البلايا والامتحان، لكن من عدله سبحانه ورحمته بعباده أن كلًّا منهم يُبتلى على حسب إيمانه، وقوة يقينه.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كان دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كان في دِينِهِ رِقَّةٌ، ابتلي على حَسَبِ دِينِهِ، فما يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حتى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأرض ما عليه خَطِيئَةٌ**»[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل، أنهم مخصوصون بكمال الصبر، وصحة الاحتساب، ومعرفة أن

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

ذلك نعمة من الله تعالى، ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم»[١].

ويقول المناوي رحمه الله: «لأن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر، فبلاؤه أشد، ولهذا ضوعف حد الحر على العبد، فهم معرضون للمحن والمصائب وطروق المنغصات والمتاعب»[٢].

أيها الأحبة الكرام، إن مما يجب علينا أن نعلمه أن المؤمن مبتلى في هذه الدنيا الفانية، وقد يكون ذلك في أمور دنياه، كأن يُصاب بالأمراض والأوباء، وفقدان الأقارب والأصدقاء، وكذلك بالنقص في الأموال وعدم الرزق بالأبناء، وغير ذلك من أنواع الابتلاءات التي تصيب المؤمن في دار الممر لا المستقر.

وما أصاب المؤمن من هذه الأمور هو في الحقيقة تهذيب له من المعاصي والذنوب وليست تعذيب؛ لأن له بها رفعة في الدرجات عند رب البريات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حتى يَلْقَى اللهَ وما عليه خَطِيئَةٌ**»[٣].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٩)

(٢) فيض القدير (١/ ٥١٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

ونقاه وصفاه، أهلَّه لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه»[١].

وقد يكون الابتلاء الذي يصيب المؤمن في دينه، وهذا أشد من الابتلاء السابق، لأن الله ﷻ خلق عباده في هذه الدنيا لأمر عظيم وغاية حميدة ألا وهي عبادته سبحانه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العبَّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهاد»[٢].

ومن صور الابتلاء في الدين -أيها الكرام- أن يُساوم العبد على تركه أو تبديله أو تحريفه، وقد يكون ذلك من الكفار، أو المنافقين، أو ممن له سلطة من أهل البدع المارقين، كما حصل للأنبياء والمرسلين، وكذلك لبعض أئمة المسلمين ومن تبعهم بإحسان من الصالحين.

فينبغي على كل من وفقه الله ﷻ للتمسك بدينه، واتباع سنة نبيه ﷺ أن يتيقن أنه سلك طريق العبودية الذي يُرضي رب البرية، وهو الموصل في النهاية إلى السعادة الحقيقية، فليقوي يقينه وثقته بربه ﷻ، وليُخلص في أعماله لخالقه

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٥).

(٢) رياض الصالحين (ص٣).

سبحانه، وليعلم أن هذا السبيل ليس مفروشًا بالأشجار والورود، وليُوطن نفسه على أنواع الامتحان والابتلاء التي سيتعرض لها بسبب سلوكه إياه من الغرباء بل حتى من نفسه والأقرباء.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «يا مخنَّثَ العزم أين أنت والطريق؟ طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ، تزها أنت باللهو واللعب»[(١)].

فاصبر- ثبتك الله-على ما يُصيبك فيه من أنواع المصائب والخطوب واسأل الثبات من علَّام الغيوب، وكن كالجبل الشامخ أمام ما نزل بك من الكروب، وإياك أن تُبدل أو تُميع دينك الذي يوصلك يوم القيامة -بإذن الله ﷻ- إلى جنات قطوفها دانية، بلذات وشهوات زائلة في هذه الدنيا الفانية، فمهما اشتد بك الحال فاعلم أن لك المآل بإذن الكبير المتعال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فرَّ منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾[التوبة:٤٩]، ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز

(١) الفوائد (ص ٤٢).

في معصية الله، كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا»[(١)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه، كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق:(**حُفَّت الجنة بالمكارة وحُفَّت النار بالشهوات**)[(٢)]»[(٣)].

ولتتيقن -أيها المؤمن- أن ما أصابك هو سبب -بإذن أرحم الراحمين- لنيل العزة والتمكين، التي لا تُكتسب إلا بالتمسك بأوامر رب العالمين، وبذل التضحية في سبيل نشر هذا الدين.

قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟

فقال رحمه الله: «التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه، وآتاه مُلْكًا، والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[يوسف: ٥٦]، وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مُكن، قال الله تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٩٥).

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[الأنبياء: ٨٤]»[(١)].

واعلم -أيها المبتلى في دينه- أن ما أصابك هو في الحقيقة منحة من خالقك وليس محنة، وأن البلية التي نزلت بك ستتحول بإذن رب البرية إلى عطية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا عَظُمَت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سببًا لعلو الدرجة وعظيم الأجر»[(٢)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «سبحانه لم يرسل إليه - أي العبد -البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه»[(٣)].

وابتلاؤك هو أمر كتبه الله ﷻ عليك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك لحكمة منه سبحانه، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٧٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التمييز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، ولم يكن في حكمته أيضًا أن يطلع عباده على

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٦).

(٢) الاستقامة (٢/ ٢٦٠).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٩٤).

الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم، فانقسم الناس بحسب إتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه»[(١)].

فلا تظهر لك حقائق الناس وتتبين أحوالهم، إلا في أوقات الفتن والمحن، ففيها يَبرز أهل الإيمان ويظهر أولياء الرحمٰن الذين يذبون عن دينه وينصرون أولياءه، وكذلك ينكشف أولياء الشيطان الذين يسعون لإفساد المسلمين، وإبعادهم عن دين رب العالمين.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه»[(٢)].

فيا أيها المتمسك بدينه، المتبع لنهج سلفه الصالح رغم تكالب الأعداء، وقلة الأعوان الأوفياء، اصبر وصابر، ولا تحزن لقلة الأتقياء، ولا تغتر بكثرة الأشقياء.

يقول الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ١٥٨).

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (ص٤٥٣).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣).

ويقول الإمام ابن القيمرحمه الله: «وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا، والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددا» [١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يثبتنا وإياكم على دينه القويم، وسنة نبيه ﷺ الكريم، وأن يجعلنا ممن يبذل الغالي والنفيس من أجل نصرة الحق وأهله في كل الأقطار، ورفع رايته في الأوطان والأمصار، وأن يحفظ أهل الحق والاتباع في كل مكان وزمان من شر الكائدين من الكفار والمنافقين وأهل البدع المارقين، ويثبتهم على الحق وينفع بهم الإسلام والمسلمين، فهو سبحانه رب العالمين وولي الصالحين المتقين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧).

أيُّ اللَّذَتَيْنِ تُرِيدُ؟!

أيُّ اللَّذَتَيْنِ تُرِيدُ؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ كلَّ امرئ في هذه الدنيا الزائلة! يهتم بِسُبُلِ تحصيل السعادة والسرور ويحرص على الابتعاد عن طرق الشقاوة والشرور!!.

لكن مما ينبغي أن نعلمه -أيها الأحبة الكرام- أن السعادة التي يبحث عنها الناس ليست سواء! وذلك لاختلاف مفهومها عندهم.

فاللذة والسعادة التي يسعى المؤمن المطيع لربه ﷻ لتحقيقها والتنعم بها، ليست كالسعادة واللذة! التي يلهث العاصي وراء تحصيلها!!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثارًا محبوبة لذيذة طيبة لذتها فوق لذة المعصية بأضعاف مضاعفة لا نسبة لها إليها، وجعل للسيئات والمعاصي آلامًا وآثارًا مكروهة وحزازات[١] تربو على لذة تناولها بأضعاف مضاعفة»[٢].

---

(١) وجع في القلب. مختار الصحاح للرازي (ص٥٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٢٣).

لذا -أيها الأفاضل- نرى أن المؤمن يعيش دائمًا منشرح الصدر مطمئن القلب، لماذا ذلك ؟!

لأنه حريص على فعل الخيرات، بعيد عن المنكرات، دائم الذكر لرب البريات، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره -سبحانه- فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير وغير ذلك»[(١)].

لأنه قد ذاق قلبه حلاوة الإيمان، وثمرة توحيد الرحمٰن، وإخلاص العبادة للملك الديان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب»[(٢)].

ويعلم أن النعيم المقيم لا يدرك إلا بتوفيق العزيز الحكيم ثم بالمرور على جسر التعب وبذل التضحيات وهجر الشهوات!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والتعب بالطاعة ممزوج بالحسن، مثمر للذة

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٧).

والراحة، فإذا ثقلت على النفس ففكر في انقطاع تعبها وبقاء حسنها ولذتها وسرورها ووازن بين الأمرين وآثر الراجح على المرجوح»[١].

وإذا ابتلي بفعل المحرمات والتقصير في الطاعات، أصابه بعد ذلك الندم على ارتكاب هذه الخطيئات، وعَزم على عدم العود إلى هذه العثرات، وبادر بالتوبة والاستغفار لرب الأرض والسماوات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدا، ولا يكمل بها فرحه بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه»[٢].

وإن شعر بضيق في صدره وقسوة في قلبه أزال ذلك وأذابه بذكر الله تعالى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى، وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال:(أذبه بالذكر)، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة، كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل»[٣].

أما العاصي المذنب -أيها الكرام- فهو دائمًا منقبض الصدر متوتر القلب! لماذا ؟!

---

(١) الفوائد (ص ١٩٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٠).

(٣) الوابل الصيب (ص ٩٩).

لأنه كثير المنكرات قليل الخيرات، بعيد عن ذكر رب البريات، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف:٣٦].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره فقال:﴿وَمَن يَعْشُ﴾أي: يعرض ويصد ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمٰن عباده، فمن قبلها فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقيض له الرحمٰن شيطانًا مريدًا، يقارنه، ويصاحبه، ويعده، ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزًّا»[(١)] .

قد غرته اللذة الفانية للمعاصي والشهوات! وتناسى أن بعد انقضائها سيصاب بالآلام وتحل به الحسرات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها مثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الداعية منك إليها ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها وألمها»[(٢)].

ولم يعلم أن اللذة الحقيقية والسعادة الأبدية هي في طاعة رب البرية لا في ارتكاب المعصية!!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن

(١) تفسير السعدي (ص ٧٦٦)

(٢) الفوائد (ص ١٩٢).

الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له»[١].

فحُرم أيضًا بسبب الذنوب والمحرمات من الشعور بلذة الطاعات.

سُئِلَ وهيب بن الورد المكي (ت١٥٣هـ) رحمه الله: « أيجد لذة الطاعة من يعصي؟ قال: ولا من همَّ -أي بالمعصية-»[٢].

فيا من ابتلي بفعل المنكرات، وغرته الشهوات، تذكر أن لذاتها تنقضي وشهواتها تنتهي! والعواقب بعدها وخيمة والتبعات جسيمة! تَلحق بصاحبها ولو بعد حين! إذا لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى الرب عز وجل، وتيقن أنه لا خير في الحقيقة في لذة من بعدها نار.

يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله:

تفنى اللذات ممن نال صفوتَها ... من الحياة ويبقى الخزي والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار[٣]

فبادر -وفقك الله-إلى التوبة النصوح التي هي طريق النجاح وسبيل الفلاح، فإن خالقك عز وجل يفرح بتوبتك، ويجزيك عنها فضلًا منه سبحانه وتكرمًا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والله لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ**»[٤].

---

(١) روضة المحبين (ص٣٦٢).

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٦٦).

(٣) الغرباء للآجري (ص ٦٨).

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٠)ومسلم (٢٦٧٥)واللفظ له.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «وهذا فرح جود وإحسان؛ لأنه ﷻ ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمة الله وإحسانه، ويكره لهم ضد ذلك»(١).

واحذر-سددك الله-من تسويف التوبة وتأخيرها! فإن هذا من تلبيس الشيطان وهو من الخسران والحرمان، والله المستعان.

وتأكد وتيقن -بصرك الله- من أن اللذة التي تجنيها من وراء توبتك لا تقارن أبدا بما تجده من لذة بعد ارتكابك للمعصية!.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فلو علم العاصي أن لذة التوبة وفرحتها يزيد على لذة المعصية وفرحتها أضعافًا مضاعفة لبادر إليها أعظم من مبادرته إلى لذة المعصية»(٢).

ويا من وفقت لفعل القربات واجتناب المنكرات، ورزقت حلاوة ولذة الطاعات، تذكر دائمًا-ثبتك الله-أن هذا كله من توفيق رب البريات، فأدم شكره على ما منَّ به عليك من الخيرات، وإياك أن يُصبك العجب، فإنه داء عضال ومرض قتال، فتحرم بسببه من النعيم الذي أنت فيه، بإذن وعدل الكبير المتعال.

فهذا باختصار بعض ما يذكر في الفرق بين ما يوجد في القلوب من اللذات، وما يَعْقُبُ ذلك من انشراحٍ وسرورٍ، أو انقباض وشرور، فعلى العاقل أن ينظر بتمعن

---

(١) التنبيهات اللطيفة (ص٥٣).

(٢) الروح (ص ٢٤٨).

أيهما يختار -أيها الأحبة الأخيار- وليتأكد أن الشهوات مهما بلغت فلذاتها أمدية وحسراتها باقية، والطاعات مهما قلت فلذاتها نافعة وفوائدها أبدية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّة»[١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يوفقنا وإياكم لهداه، ويجعل عملنا في رضاه، وأن يجعلنا جميعًا من أهل العبودية؛ لنفوز بالسعادة الأبدية، فهو سبحانه ولي ذلك ورب البرية.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٣١).

حَثُّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ اغْتِنَامِ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ

حَثُّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى اغْتِنَامِ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الموفق أيها -الأحبة الكرام- من اغتنم كل أعوامه وأيامه وساعاته التي كتبها الله ﷻ له فيما يحب الباري ﷻ ويرضى، وزاد حرصه واهتمامه على الشهور والأيام التي فضلها الحكيم العلَّام، فهو سبحانه العزيز القهار يخلق ما يشاء ويختار.

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «وجعل الله سبحانه وتعالى لبعض الشهور فضلًا على بعض كما قال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[التوبة:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[البقرة:١٩٧].

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة:١٨٥].

كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر... وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالىٰ فيه وظيفة من وظائف طاعاته يُتقرب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلىٰ مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسىٰ أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات»[(١)].

ويقول الإمام البهوتي رحمه الله: «وتُضاعف الحسنة والسيئة بمكان وزمان فاضل»[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالحسنة تضاعف بالكمِّ وبالكيف، وأما السيئة فبالكيف لا بالكم؛ لأن الله تعالىٰ قال في سورة الأنعام وهي مكية ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥]، ولم يقل نضاعف له ذلك، بل قال: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾فتكون مضاعفة السيئة في مكة، أو في المدينة مضاعفة كيفية»[(٣)].

ومن هذه الشهور التي فضلها وعظمها الحكيم الغفور ورتب عليها الأجور، وحذر من صرفها في المعاصي والشرور، الأشهر الحرم وهي: المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة، فعن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الزَّمَانَ**

---

(١) لطائف المعارف (ص٢٢٥).

(٢) الروض المربع (١/ ٢٦٩).

(٣) الشرح الممتع (٧/ ٢٢٧).

قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرُ مُضَرَ الذي بين جُمَادَى وَشَعْبَانَ»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده، وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة، حتى اختلط عليهم الأمر وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم، وقد تطابق الشرع وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السماوات والأرض»(٢).

وهذه الأشهر المباركة هي التي أشار إليها الباري ﷻ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب الذنوب، لأن الله سبحانه إذا عظم شيئًا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٥) ومسلم (١٦٧٩) واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١١/ ١٦٨).

من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ، كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال»[(١)].

أيها الأحبة الكرام، إن من الأوقات الفاضلة التي تمر بالمؤمن وينبغي له أن يستعد لها ويغتنمها في الطاعات، وأن لا يضيعها في اللهو والملذات، في هذه الأشهر الحرم المباركة هي العشر من ذي الحجة، التي أقسم الله بها في كتابه العزيز تعظيمًا لشأنها وتنبيهًا على فضلها، قال ﷻ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢].

والذي عليه أكثر أهل التفسير أنها هذه العشر المذكورة هي العشر من ذي الحجة.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «وهو الصحيح»[(٢)].

قد امتازت -أيها الأفاضل- هذه الأيام المباركة عن غيرها أن فيها اجتمع الكثير من الأعمال الصالحة والعبادات الفاضلة.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج،

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١٣٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٧).

ولا يتأتى ذلك في غيره»[١].

أيها الأحبة الكرام، إن الكثير من المسلمين في هذه الأيام المباركة لن يتيسر لهم الإتيان بأحب الأعمال إلى الله ﷻ وهو قصد بيته الحرام لأداء مناسك الحج، إما لعدم ملك الزاد والراحلة، أو لوجود أعذار أخرى شرعية مانعة لهم من قصد الكعبة المشرفة التي قلوب المتقين لها تحن وبالبعد عنها تئن، لكن من كرم الباري سبحانه وجوده على عباده المؤمنين أن يسر لهم الاستفادة منها والإكثار من الخيرات فيها كل بحسب استطاعته وقدرته.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين فمن عجز عن الحج في عام قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج»[٢].

فعلى من لم يوفق للذهاب لأداء مناسك الحج، أن لا يدع هذه الأيام المباركة تمر عليه دون استغلالها في فعل الطاعات والتزود من الخيرات، فالأعمال الصالحة فيها مطلوبة والأجور فيها بفضل العزيز الكريم مضاعفة.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**»يعني: العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل

---

(١) فتح الباري (٢/ ٤٦٠).

(٢) لطائف المعارف (ص٢٧٢).

الله ؟!قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء**»[(١)].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث تعظيم قدر الجهاد وتفاوت درجاته، وأن الغاية القصوى فيه بذل النفس لله، وفيه تفضيل بعض الأزمنة على بعض كالأمكنة وفضل أيام عشر ذي الحجة على غيرها من أيام السنة» [(٢)].

فسلفنا الصالح رحمهم الله -أيها الأفاضل- عرفوا قيمة هذه الأيام المباركات، فعظموها واستغلوها فيما يُرضي رب البريات.

فعن أبي عثمان النهدي رحمه الله **قال:** «كانوا يعظمون ثلاث عشرات؛ العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان» [(٣)].

ومن أهم الأعمال الصالحة التي رغب فيها الشرع الكريم، في هذه الأيام الجليلة والتي ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها:

١-الإكثار من الصيام فيها:

دون صيام يوم النحر، فإن صومه محرم، أما غيره من أيام العشر فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصومها، فعن هُنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج[(٤)] النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل**

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٦٠).

(٣) قيام رمضان للمروزي (ص ٥٦).

(٤) في بعض الروايات أنها أم سلمة رضي الله عنها.

شهر، أول اثنين من الشهر وخميسين»[(١)].

و لقد كان سلفنا الصالح ﷺ -أيها الأفاضل- يحرصون على صيامها.

يقول الإمام ابن رجب ﷺ: «وممن كان يصوم العشر عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-»[(٢)].

قد يقال -أيها الأحبة الكرام-: إن هذا الحديث الصحيح-أي حديث بعض أزواج النبي ﷺ- يعارضه ما جاء عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما رأيت رسول الله ﷺ صائما في العشر قط**»[(٣)].

فالجواب عن هذا، قد ذكره جماعة من أهل العلم، منهم الإمام البيهقي ﷺحيث قال بعد أن ساق الحديثين: «والمثبت-أي ما جاء في إثبات الصيام- أولى من النافي مع ما مضى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الحديث الذي جاء في عموم فضل العمل الصالح ومنها الصيام»[(٤)].

ويقول الإمام النووي ﷺ: «قال العلماء هذا الحديث -أي حديث عائشة رضي الله عنها- مما يوهم كراهة صوم العشر، والمراد بالعشر هنا الأيام التسعة من أول ذي الحجة، قالوا: وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هي مستحبة استحبابًا شديدًا لاسيما التاسع منها وهو يوم عرفة، وقد سبقت الأحاديث في فضله، وثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل**

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٣٧) وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٢) لطائف المعارف (ص٢٦٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١١٧٦).

(٤) السنن الكبرى (٤/ ٢٨٥).

منه في هذه يعني: **العشر الأوائل من ذي الحجة...**»[(١)]، فيتأول قولها لم يصم العشر أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أنها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر»[(٢)].

أما يوم عرفة فصيامه لغير الحاج فمستحب، وينبغي على كل مسلم حريص على الخير أن لا يضيعه لما فيه من الأجر العظيم والفضل الكبير، لذا حث ﷺ على صيامه وذكر الأجر المترتب على ذلك، فقال ﷺ: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده**»[(٣)].

٢-كثرة ذكر الباري سبحانه وتعالى فيها:

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «وأما استحباب الإكثار من الذكر فيها فقد دل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، فإن الأيام المعلومات هي أيام العشر عند جمهور العلماء»[(٤)].

ومن أنواع الذكر المستحب في هذه الأيام: الجهر بالتكبير المطلق، الغير جماعي للرجال، أما المرأة فتخفيه، وللأسف فإن التكبير في هذا الزمان، أصبح من السنن المهجورة!، فلا تكاد تسمعه بين المسلمين إلا نادرًا!، ولا يفعله إلا القليل منهم! والله المستعان، بخلاف ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٨ / ٧٢).

(٣) رواه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) لطائف المعارف (ص٢٦٣).

يقول الإمام البخاري رحمه الله: «كان ابن عمر، وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما»[(١)].

٣- ذبح الأضحية:

وهي سنة مؤكدة خاصة في حق ذوي اليسار، فينبغي إحياء هذه الشعيرة بين المسلمين تأسيًا بالنبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: «**ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى**»[(٢)].

وكلما كانت الأضحية أعلى قيمة كانت -بإذن الله عز وجل- أكثر أجرًا، وعلى من أراد أن يضحي أن لا يأخذ شيئًا من شعره أو ظفره بعد دخول العشر إلى أن يذبح أضحيته، لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من كان له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فإذا أُهِلَّ هلال ذي الحجة، فلا يَأخذنَّ من شَعْرِهِ، ولا من أظفاره شيئا حتى يُضَحِّيَ**»[(٣)].

فهذه أهم الأعمال الصالحة -أيها الأحبة الكرام- التي ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها ويسعى جاهدًا في تحقيقها.

وله كذلك أن يكثر من أعمال البر التي هي مطلوبة في كل وقت وحين، خاصة في هذه العشر المباركة، كالصدقة على الفقراء والمساكين، وصلة الأرحام والصالحين، وغير ذلك من الأعمال الطيبة التي تنفعه بإذن الله عز وجل، وتكون سببًا في رفع درجاته عند الله عز وجل.

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٦).

(٣) رواه مسلم (١٩٧٧).

أيها الأحبة الكرام، إن مما يجب كذلك على المسلم في هذه الأيام المباركات أن يبتعد عن البدع والخرافات التي أحدثها أهل الجهل والشبهات، الذين لم يكتفوا بما شرع لهم رب الأرض والسماوات! فأقبلوا على البدع والمحدثات، فعليه أن يجتنبها ويحذر إخوانه من هذه الضلالات، ومن ذلك:

١-بدعة التعريف: وهي اجتماع بعض الناس في المساجد عشية يوم عرفة من كل سنة في غير عرفة، لا لأمر عارض بل يجعلون ذلك سنة راتبة، فيفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، ولقد أنكر السلف الصالح رحمهم الله هذا الصنيع قديمًا.

قال الإمام عبد الله بن وهب رحمه الله: «سمعت مالكًا - أي الإمام مالك رحمه الله- يُسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر، واجتماعهم للدعاء، فقال: ليس هذا من أمر الناس، وإنَّما مفاتيح هذه الأشياء من البدع»[(١)].

وروى الإمام محمد بن وضَّاح القرطبي (ت ٢٨٧هـ) رحمه الله عن أبي حفص المدني قال: «اجتمع الناس يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ، يدعون بعد العصر، فخرج نافع مولى ابن عمر من دار آل عمر، فقال: «أيها الناس إن الذي أنتم عليه بدعة، وليست بسنة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا، ثم رجع فلم يجلس، ثم خرج الثانية ففعل مثلها ثم رجع»[(٢)].

وقال الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي(ت٥٢٠هـ) رحمه الله:

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١١٥).

(٢) البدع و النهي عنها لابن وضاح (ص ٩٣).

«فاعلموا-رحمكم الله- أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة، لا في غيرها ولا منعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالىٰ، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنَّة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع والدعاء، فيتداعىٰ الأمر إلىٰ أن يدخل في الدين ما ليس منه، وقد كنت ببيت المقدس، فإذا كان يوم عرفة حشر أهل السواد وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد، مستقبلين القبلة مرتفعة أصواتهم بالدعاء، كأنه موطن عرفة، وكنت أسمع سماعًا فاشيًا منهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات، فإنها تعدل حجَّة، ثم يجعلونه ذريعة إلىٰ إسقاط فريضة الحج إلىٰ بيت الله الحرام»[(١)].

٢ -ومن البدع كذلك التي ينبغي التنبيه عليها ما يفعله بعض المسلمين حيث نجدهم خاصة في التكبير المقيد بدبر الصلوات في أيام التشريق أو عيد الأضحىٰ يكبرون بصوت جماعي، مخالفين بذلك هدي النبي ﷺ وأصحابه- رضوان الله عليهم-.

وقد سئل الشيخ ابن باز ﷺ، فقيل له: ما حكم التكبير الجماعي في العيدين وبعد الصلوات علما بأنه يذكر الناس بهذه الشعيرة المباركة؟.

فأجاب ﷺ: «يكبرون، كلٌّ يكبر في صَفِّهِ، وفي الطريق، لكن ليس علىٰ صفة جماعية؛ لأن هذا بدعة لا أصل له، وإلا الكل يكبر، هذا يكبر وهذا يكبر، وبهذا يتذكر الناس ويستجيب الناس، أما كونه بلسان واحد من جماعة هذا لا أصل له،

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١١٦).

وهو التكبير الجماعي أو التلبية الجماعية، لا يشرع هذا، لكن الكل يلبي، أما أن يكبر من تحرى أن يبدأ الصوتُ بصوت أخيه وينتهي مع صوت أخيه هذا لا أصل له، ولا نعلمه عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم- ومن فعل هذا يخشى عليه من الإثم؛ لأنه بدعة»[١].

فعلينا -وفقنا الله وإياكم لمرضاته- أن نَلتزم بما جاء في الكتاب والسنة، فإنه -ولله الحمد- يُغني عن كل البدع والمحدثات، التي هي مضلة عن الدين، ومبعدة عن رب العالمين، وأن نحرص على اغتنام هذه الأيام المباركات في طاعة رب البريات، والتزود من الخيرات، ولنحذر من التسويف والكسل، فإن الأيام تمضي والساعات تنقضي، ولعلنا لا نوفق لإدراكها في السنة القادمة، والله المستعان.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يوفقنا وإياكم لكل ما فيه الخير والصلاح لنا في الدنيا والآخرة، ويُبعدنا جميعًا عن السيئات والشرور، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٠).

وَقَفَاتٌ مَعَ يَوْمِ عَرَفَات

وَقَفَاتٌ مَعَ يَوْمِ عَرَفَات

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ يوم عرفة -أيها الأحبة الكرام- من أفضل أيام العام، وأحبها للملك العلَّام، فهو اليوم المشهود الذي ذُكر في كتاب ربنا المعبود، قال سبحانه: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٢-٣].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة، وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة؛ لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة، قال الواحدي: «وهذا قول الأكثر»[(١)].

ويؤيد ما ذهب إليه الأكثر، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ**»[(٢)].

---

(١) فتح القدير (٥/ ٤١١).

(٢) الترمذي في سننه (٣٣٣٩)،وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

إنَّ هذا اليوم المبارك -أيها الأفاضل- اجتمع فيه فضل الزمان والمكان بالنسبة لحجاج بيت الرحمٰن، فهم يقفون في وقت واحد على صعيد عرفة، بعد أن قدموا من كل الأقطار، وجاؤوا من كل البلدان والأمصار، نراهم قد اجتمعوا فيه وهمهم واحد وهو التضرع والاستغفار وطلب الرحمة من العزيز الغفار.

إنَّ هذا الاجتماع المبارك الذي يحصل منهم في هذا اليوم الفاضل؛ يُفرح الغفور المنان، ويُبغض ويُحزن عدو الله الشيطان وكل أولياءه من الإنس والجان.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة، يحزن لها الشيطان فإنه ما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة؛ لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة مستحقة أن يقسم الله بها»[(١)].

فيُباهي المولى العلَّام بهم ملائكته الكرام، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**إن الله عز وجل يُباهي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فيقول: انْظُرُوا إلى عبادي أتوني شُعْثًا غُبْرًا**»[(٢)].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فَلَلَّه كم به من ذنب مغْفور، وعثرة مُقالة، وزلة معفو عنها، وحاجة مقضية، وكربة مفروجة، وبلية مرفوعة، ونعمة متجددة، وسعادة مكتسبة، وشقاوة ممحوة، كيف وهو الجبل المخصوص بذلك الجمع الأعظم! والوفد الأكرم، الذين جاؤوا من كل فج عميق وقوفًا لربهم، مستكينين

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٤)،وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

لعظمته خاشعين لعزته، شُعْثًا غبرًا حاسرين عن رؤوسهم، يستقيلونه عثراتهم، ويسألونه حاجاتهم، فيدنو منهم ثم يباهي بهم الملائكة، فلله ذاك الجبل وما ينزل عليه من الرحمة والتجاوز عن الذنوب العظام»[(١)].

فيمُنُّ عليهم الرحمٰن بالغفران والعتق من النيران، فعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا من النَّارِ من يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ، فيقول: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ**»[(٢)].

قال الإمام النووي ﵀: «هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة»[(٣)].

ويقول الملا علي قاري ﵀: «(**ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ**):أي شيء أراد هؤلاء حيث تركوا أهلهم وأوطانهم، وصرفوا أموالهم وأتعبوا أبدانهم، أي ما أرادوا إلا المغفرة والرضا والقرب واللقاء، ومن جاء هذا الباب لا يخشى الرد، أو التقدير ما أراد هؤلاء فهو حاصل لهم، ودرجاتهم على قدر مراداتهم ونياتهم...»[(٤)].

فعلى من وُفِّق لأداء مناسك الحج هذا العام والاجتماع في هذا المكان المبارك؛ أن يحمد الله ﷻ على هذه النعمة العظيمة والمنحة الجليلة، وينوي بعمله هذا وجه الله الكريم، وليحذر من الرياء والافتخار، وليبتعد عن كل ما يَخرم حجه وينقص أجره من البدع، واللغو والرفث، فإن ذلك ينافي الحج المبرور، وليحرص على

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١٧).

(٤) مرقاة المفاتيح (٥/ ٥١٠).

تحقيق الإتباع، وسؤال أهل الذكر من أهل السنة إذا أشكل عليه شيء، وليجتنب أهل الأهواء، والابتداع.

إنَّ من كرم الباري ﷻ على عباده أجمعين -أيها الأحبة الأفاضل- أن جعل فضل هذا اليوم وشرفه يلحق أيضًا بغير حجاج بيته الحرام، فيجتمع لهم كذلك فيه فضل الزمان، ويستحب لهم كذلك المسارعة في الطاعات من ذكر وصدقة وصلة رحم، وغير ذلك من أنواع الخيرات، لعموم ما جاء في فضل العشر من ذي الحجة ويوم عرفة منها.

فعن عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**» -يعني: العشر- قالوا: «يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟!» قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء**»(١).

يقول الحافظ ابن رجب ﷺ: «لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمرِه، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في عام قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج»(٢).

وإنَّ من أهم ما يُستحب لهم فيه: صيام يومه؛ لذا ينبغي على كل مسلم أن

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩).

(٢) لطائف المعارف (ص٢٧٢).

لا يُضَيِّعَ ذلك، لما فيه من الأجر العظيم والفضل الكبير، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده**»[(١)] .

يقول الإمام النووي رحمه الله: «معناه يكفر ذنوب صائمه في السنتين، قالوا: والمراد بها الصغائر، وسبق بيان مثل هذا في تكفير الخطايا بالوضوء، وذكرنا هناك أنه إن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات»[(٢)].

لكن مما يثير الحيرة والاستغراب -أيها الأحباب- أن نجد من المسلمين من يضيع هذا اليوم المبارك في الشهوات والملذات!!، فتمر عليه ساعاته كباقي الأوقات!! دون أن يستشعر عظمته ومكانته عند رب البريات.

ومنهم من لم يكتف بما شرعه الوهاب، ونجد منه اجتهادًا في ارتكاب البدع والمحدثات التي تخالف ما جاء بها خير البريات، ونسي هؤلاء أن الخير كل الخير في السنة والاتباع، والشر كل الشر في الإحداث والابتداع، وما علموا أن البدع هي مضلة عن الدين، مبعدة عن رب العالمين.

يقول الإمام أيوب السختياني رحمه الله: «ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدا»[(٣)].

ومن هذه المخالفات التي يرتكبها بعض المسلمين في هذا اليوم المبارك،

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٨ / ٥١).

(٣) الحلية لأبي نعيم (٣/ ٩).

اجتماعهم في المساجد عشية يوم عرفة من كل سنة في غير عرفة، لا لأمر عارض بل يجعلون ذلك سنة راتبة، فيفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهذه البدعة التي تسمى عندهم بـ «**التعريف**».

مع أن هذا العمل أنكره السلف الصالح ﷺ قديمًا، وبينوا أنه ليس من هدي سيد المرسلين، ولا من نهجه القويم.

يقول عبد الله بن عون ﷺ: «شهدت إبراهيم النخعي سئل عن اجتماع الناس عشية عرفة؟، فكرهه، وقال: «**محدث**»[(١)].

ويقول الإمام عبد الله بن وهب ﷺ: «سمعت مالكًا - أي الإمام مالك ﷺ- يُسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر، واجتماعهم للدعاء، فقال: «**ليس هذا من أمر الناس، وإنَّما مفاتيح هذه الأشياء من البدع**»[(٢)].

وروى الإمام محمد بن وضَّاح القرطبي (ت ٢٨٧هـ) ﷺ عن أبي حفص المدني قال: «اجتمع الناس يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ، يدعون بعد العصر، فخرج نافع مولى ابن عمر من دار آل عمر، فقال: أيها الناس إن الذي أنتم عليه بدع، وليست بسنة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا، ثم رجع فلم يجلس، ثم خرج الثانية ففعل مثلها ثم رجع»[(٣)].

---

(١) البدع و النهي عنها لابن وضاح القرطبي (ص ١١٩).

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص١١٥).

(٣) البدع و النهي عنها لابن وضاح (ص٩٣).

وقال الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي (ت٥٢٠هـ) رحمه الله:

«فاعلموا-رحمكم الله- أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة، لا في غيرها ولا منعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالى، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنَّة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع والدعاء، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه، وقد كنت ببيت المقدس، فإذا كان يوم عرفة حشر أهل السواد وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد، مستقبلين القبلة مرتفعة أصواتهم بالدعاء، كأنه موطن عرفة، وكنت أسمع سماعًا فاشيًا منهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات، فإنها تعدل حجَّة، ثم يجعلونه ذريعة إلى إسقاط فريضة الحج إلى بيت الله الحرام»[(١)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المداومة في الجماعات على غير السنن المشروعة بدعة، كالأذان في العيدين، والقنوت في الصلوات الخمس، والدعاء المجتمع عليه أدبار الصلوات الخمس، أو البَرْدَين منها، **والتعريف المداوم عليه في الأمصار**، والمداومة على الاجتماع لصلاة تطوع، أو قراءة أو ذكر كل ليلة، ونحو ذلك، فإن مضاهاة غير المسنون بالمسنون بدعة مكروهة كما دل عليه الكتاب والسنة والآثار والقياس»[(٢)].

ومن البدع كذلك: تخصيصه-أي :يوم عرفة- بأعمال أخرى كالذبح! وقد

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٧).

سُئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ العلامة ابن باز ﷺ عن ذلك، فقال السائل: «ما حكم الشرع في أناس يقومون بذبح ذبيحة يوم عرفة، بصفة مستمرة وهم من غير الحجاج، ويسمون هذه الذبيحة (إعرافه)، ويذبحونها على نية أمواتهم من الأقرباء، مثل أحد الوالدين أو الأبناء أو الإخوان؟

فكان جوابهم -كتب الله أجرهم-: «اعتياد الذبح في يوم عرفة على أنه قربة لا يجوز؛ لأنه بدعة، سواء نوى أن يكون ثواب هذه الذبيحة للأموات أو غيرهم؛ لأن هذا لا دليل عليه من الشرع، وقد قال النبي ﷺ: **(من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)**[(١)]»[(٢)].

فعلينا -أيها الأحبة- أن نتمسك بهدي نبينا ﷺ، وليسعنا صيام هذا اليوم المبارك كما وسِع سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين- ولنكثر فيه من الأعمال الصالحة التي تقربنا من رب العالمين، ومن ذلك الذكر والدعاء، ولنبتعد عن التقيد بأعمال لم يأت الشرع بها كتخصيص أمكنة للاجتماع أو أذكار معينة عند الدعاء، فالخير كل الخير في اتباع السلف، والشر كل الشر في ابتداع الخلف.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا لاستغلال هذا اليوم المبارك فيما يحب ويرضى، ويجنبنا البدع والمحدثات وسائر المنكرات، وأن ينشر سبحانه السنة بين المسلمين في كل مكان، ويرفع رايتها، ويُعزَّ أهلها، ويرزقنا

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة ﷺ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٦٩).

وإياكم إتباعها فإن في ذلك النجاح والفلاح، ويُميت البدع بينهم، ويهدي أهلها، ويخمد رايتها، ويجنبنا وإياكم العمل بها، فإن في ذلك الخذلان والحرمان، والله المستعان، فهو سبحانه العزيز المنان.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وَقَفَاتٌ مَعَ مَا يُفْعَلُ فِي عيدِ الْأَضْحَىٰ مِنْ مُخَالَفَاتٍ

وَقَفَاتٌ مَعَ مَا يُفْعَلُ فِي عيدِ الْأَضْحَى مِنْ مُخَالَفَاتٍ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنّ يوم عيد الأضحى -أيها الأحبة الكرام- هو يوم عظيم تفضل علينا به ربنا ﷻ الكريم، فهو من أعظم الأيام عند ربنا العلَّام.

فعن عبد الله بن قُرْطٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ**»(١).

قال المناوي رحمه الله: «لأنه- أي يوم النحر- يوم الحج الأكبر، وفيه معظم أعمال النسك (**ثم يوم القرّ**) ثاني يوم النحر لأنهم يَقِرُّون فيه أي: يُقيمون ويستحمون مما تعبوا في الأيام الثلاثة...»(٢).

فهو -أيها الأفاضل- يوم الحج الأكبر بالنسبة لحجاج بيت الله الحرام، حيث يؤدون فيه معظم مناسك الحج من رمي الجمار وذبح الهدي والطواف وحلق

---

(١) رواه أبو داود (١٧٦٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) فيض القدير (٢/ ٣).

شعر الرأس.

وأما بالنسبة لغيرهم من المسلمين، فهو يوم يُشرع لهم فيه عبادات جليلة كذكر الله ﷻ ورفع الأصوات بالتكبير، ومن أفضل الأعمال الصالحة التي تُشرع فيه، التقرب إلى الله ﷻ بذبح الأضحية، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر: ٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته، والشح به»(١).

إن المضحي في هذا اليوم المبارك هو مقتدي بسنة خير المرسلين والأنبياء وسيد الصالحين والأتقياء.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «**ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى**»(٢).

لكن -أيها الأفاضل- إن مما يُحزن كل غيور على السنة محب لنشرها بين الناس ما يراه ويسمعه من انتشار المخالفات بين المسلمين في هذا اليوم المبارك من بدع ومحدثات ومعاصي ومنكرات.

ويزداد الحزن ويكثر الأسى -أيها الكرام- إذا علمنا أن هذه المخالفات التي

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣٦).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٠) و اللفظ له، ومسلم (١٩٦٦).

تحدث في هذا اليوم المبارك قد تكون من بعض المسلمين! الذين كان منهم الحرص والاجتهاد في طاعة رب العباد في الأيام التي سبقت العيد من أيام ذي الحجة، ونسي هؤلاء أن المخالفة بعد الامتثال والمعصية بعد الطاعة عمى بعد بصيرة وضلال بعد الهدى، وأن هذا ليس من شكر ما أنعم الله عليهم به من توفيقهم لإدراك هذه الأيام المباركة وتيسير لهم الأعمال الصالحة.

قال الشيخ الشنقيطي ﷺ: «وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»[(١)].

فشكرها -أيها الأفاضل- لا يكون فقط باللسان! كما يظن بعض الجهال!، بل لابد أن يكون كذلك بالقلب والأركان.

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعة، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»[(٢)].

---

(١) أضواء البيان (٩/ ١١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤).

إن الناظر من أهل التقوى في حال المسلمين اليوم في كثير من البلدان- إلا من رحمه الرحمٰن- ليرى أن المحرمات من البدع والمنكرات أصبحت ظاهرة بينهم للعيان، وأن كثيرا منهم أصبح عندهم تساهل ومجاهرة بالعصيان! حتى صاروا من جنود الشيطان! الذين يستعملهم في نشر الفساد ومضايقة أهل الصلاح والإيمان، والله المستعان.

ومن هذه البدع والخرافات المنتشرة بين بعض المسلمين ! في هذا اليوم المبارك:

١-ما يفعله بعض الجهلة من الناس من التوضؤ لأجل الأضحية، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة السعودية[(١)]: «فمن توضأ من أجل ذبح أضحيته فهو جاهل مبتدع».

٢- لطخ الجباه بدم الأضحية، وقد جاء كذلك في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلي: (لا نعلم للطخ الجباه بدم الأضحية أصلًا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا نعلم أن أحدًا من الصحابة فعله، فهو بدعة، لقوله ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٢)])[(٣)].

فأهل الأهواء والجهل لم يكتفوا بكونها سنة وأنها ثابتة عن نبينا ﷺ، بل وضعوا لها أحاديث تدل على فضل خاص بها، ورتبوا على ذلك أجور، مع أن كل ذلك

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١١/ ٤٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨)من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١١/ ٤٣٣).

لم يثبت!!

يقول ابن العربي رحمه الله: «ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، وقد روى الناس فيها عجائب لم تصح»[(١)].

أيها الأفاضل، إن مما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن إخراج قيمة الأضحية أو إرسالها إلى بلد آخر فعل مخالف للسنة؛ لأن في ذلك فوات لمصالح كثيرة متعلقة بالأضحية كإظهارها في البيوت، وشعور المسلم بالتعبد إلى الله تعالى عند الذبح، وأيضا مباشرة المضحي الذبح بنفسه تأسِّيًا برسول الله ﷺ، والمضحي كما تقدم مأمور بالأكل من أضحيته، وأقل أحوال الأمر الاستحباب، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[الحج: ٢٨].

فإذا أرسلها فلن يمتثل لهذا الأمر، وكذلك سيبقى المضحي معلَّقًا متى يقص شاربه ويُقلّم أظفاره، لأنه لا يدري أَذُبحت أضحيته أم لا ؟

وهل ذُبحت يوم العيد أو في الأيام التي تليه؟ وأيضًا لا يستطيع المضحي التأكد من الأضحية التي اشتريت في البلد الذي أرسلت إليه هل توفرت فيها الشروط المجزئة أو لا ؟

فلهذا علينا أن نحرص على أن نُظهِر هذه الشعيرة في بيوتنا، ونربي أبناءنا على حبها.

أما الصدقة -ولله الحمد- فبابها مفتوح، فمن أراد أن يتصدق وينفع إخوانه

---

(١) عارضة الأحوذي (٦/ ٢٨٨)

الفقراء من المسلمين فليرسل لهم مالًا غير قيمة الأضحية، فإن الشيطان يريد بشتى الطرق والوسائل أن يميت هذه السنة المباركة التي ينبغي إظهارها بين المسلمين.

وبعدم جواز إرسال قيمة الأضحية أفتت بذلك اللجنة الدائمة[١]، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله.[٢]

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام، أن السنة في حق المضحي أن لا يأكل شيئًا يوم العيد حتى يرجع من الصلاة ويأكل من أضحيته، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يَطعم، ويوم النحر لا يأكل حتى يرجع فيأكل من نُسيكته**»[٣].

٣- ومن البدع كذلك التي ينبغي التنبيه عليها؛ ما يفعله بعض المسلمين في هذا اليوم حيث نجدهم خاصة في التكبير المقيد بدبر الصلوات في أيام التشريق أو عيد الأضحى يكبرون بصوت جماعي، مخالفين بذلك هدي النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله، فقيل له: ما حكم التكبير الجماعي في العيدين بعد الصلوات علمًا بأنه يذكر الناس بهذه الشعيرة المباركة؟.

فأجاب رحمه الله: «يكبرون، كلٌّ يكبر في صَفِّه، وفي الطريق، لكن ليس على صفة

---

(١) فتاوى الدائمة (١٠/ ٤٦٣).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢٥/ ٦٢).

(٣) رواه الترمذي (٥٤٢) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

جماعية؛ لأن هذا بدعة لا أصل له، وإلا الكل يكبر، هذا يكبر وهذا يكبر، وبهذا يتذكر الناس ويستجيب الناس، أما كونه بلسان واحد من جماعة هذا لا أصل له، وهو التكبير الجماعي أو التلبية الجماعية، لا يشرع هذا، لكن الكل يلبي، أما أن يكبر من تحرى أن يبدأ الصوت بصوت أخيه وينتهي مع صوت أخيه هذا لا أصل له، ولا نعلمه عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم- ومن فعل هذا يخشى عليه من الإثم؛ لأنه بدعة»[(١)].

٤- وأيضا من المحدثات المشهورة في هذا اليوم، تخصيص القبور بالزيارة.

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله فقال له السائل: أهل مسجدنا يخرجون جميعًا بعد كل صلاة عيد إلى زيارة القبور جماعة، ما الحكم في هذا ؟.

فأجاب رحمه الله: «ليس لهذا أصل، الخروج إلى القبور بعد صلاة العيد عادة لبعض الناس، فإذا زاروا القبور يوم العيد أو يوم الجمعة أو في أي يوم، ما فيه يوم مخصوص لا بأس، أما تخصيص يوم العيد، أو تخصيص يوم الجمعة، أو تخصيص يوم آخر فلا، ليس له أصل، ولكن السنة أن يزوروا القبور بين وقت وآخر على حسب التيسير إذا كان وقتهم يسمح، في يوم الجمعة، في يوم العيد، في أوقات أخرى يفعلون، أما أن يظنوا أن لهذا اليوم خصوصية فلا»[(٢)].

٥- وكذلك صيام يوم العيد بنية الزهد والعبادة، مع أن نبينا ﷺ نهى عن ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم يومين: يوم**

(١) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٠).

(٢) فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٧٤).

الفطر ويوم النحر»[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين اليومين بكل حال، سواء صامهما عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك»[(٢)].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «والحكمة في النهي عن صوم العيدين أنّ فيه إعراضًا عن ضيافة الله تعالى لعباده كما صرح بذلك أهل الأصول»[(٣)].

ومن المعاصي والمنكرات المنتشرة في هذا اليوم المبارك -أيها الكرام- ما نراه من عدم حشمة بعض النساء -هداهنَّ الله-، واختلاطهم ومصافحتهم لغير المحارم، مع أنه ﷺ حذر من ذلك أشدَّ التحذير، فقال ﷺ: «**لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يَمَسَّ امرأة لا تحل له**»[(٤)].

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «وفي الحديث وعيد شديد لمن مس امرأة لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء لأن ذلك مما يشمله المس دون شك»[(٥)].

وبعض المسلمات-هداهن الله- يخرجن من بيوتهن متطيبات متعطرات مخالفين بذلك نهي رسول خير البريات حيث قال ﷺ: «**أيُّما امرأة استعطرت**

---

(١) رواه البخاري (١١٩٧) ومسلم (١١٣٨).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٨/ ١٥).

(٣) نيل الأوطار (٨/ ٤٥٩).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٣) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).

(٥) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٨).

فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»[١] .

قال المناوي رحمه الله: «أي كالزانية في حصول الإثم وإن تفاوت لأن فاعل السبب كفاعل المسبب، قال الطيبي: «شبه خروجها من بيتها متطيبة مهيجة لشهوات الرجال، التي هي بمنزلة رائد الزنا بالزنا مبالغة وتهديدًا وتشديدًا عليها»[٢] .

إضافة إلى ما يصدر وما نسمعه في هذا اليوم من بعض البيوت والسيارات من تشغيل المعازف والألحان التي حرمها الرحمٰن، والتي هي منبع كل شر ومصدر كل شقاء وسبب كل بلاء حصل في هذه الأمة، فما انتشرت الجرائم والمنكرات، وشربت المسكرات وانتشرت بين الشباب المخدرات إلا بسببها!.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المعازف هي خمر النفوس، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حُمَيَّا الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات، حَلَّ فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون، وهذه الثلاثة موجودة كثيرًا في أهل سماع المعازف»[٣].

أيها الأحبة الأفاضل، إن شريعتنا المطهرة لا تمانع من إظهار الفرح واللعب المباح في هذا اليوم المبارك، بل هو أمر مرغوب فيه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان يوم عيد، يلعب السُّودَانُ بِالدَّرَقِ[٤] والحراب، فإما سألت النبي ﷺ، وإما قال:

---

(١) رواه النسائي (٥١٢٦)من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) فيض القدير (٣/ ١٤٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤١٧).

(٤) الترس . لسان العرب (١٠/ ٩٥).

«تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟» فقلت: نعم، فأَقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة» حتى إذا مللت، قال:«حسبك؟» قلت: نعم، قال: «فاذهبي»)[١].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي هذا الحديث من الفوائد، مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة»[٢].

ويقول أيضًا رحمه الله: «وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين»[٣].

وأيضا ما نراه ونسمعه من مجاوزة الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس، حتى أصبح مآل كثير من الأطعمة إلى النفايات والقمامات، وإخوانهم في كثير من البلدان الإسلامية لا يجدون ما يأكلونه ولا يشربونه ولا يلبسونه، والله المستعان.

مع أن التبذير -أيها الكرام- هو معصية للمنان وطاعة للشيطان الذي هو عدو للرحمٰن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[الإسراء: ٢٧].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير، والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها، ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد

---

(١) رواه البخاري (٩٤٩) ومسلم (٨٩٢).

(٢) فتح الباري (٣/ ٥١٤).

(٣) فتح الباري (٣/ ٥١٤).

الرحمٰن الأبرار»[١].

فيا أيها الأحبة، إن هذا اليوم المبارك هو فرصة لوصل الأرحام التي قطعت وتقريب القلوب التي تباعدت، وأيضًا علينا أن نتذكر عند تقبيل أبنائنا واجتماعنا على الطعام، اليتامى الذين لا يجدون ابتسامة، والفقراء الذي لا يجدون طعامًا، وهذا لا يعني أن نجعل هذا اليوم حزنًا، بل علينا أن نحسن إليهم ونواسيهم، ولأن المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، قال ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٢].

فعلينا -أيها الأفاضل- والكرام أن نبتعد عن البدع والآثام في أعظم الأيام عند العلَّام، ولنحرص أن نكون فيه من الذاكرين ومن الشاكرين لرب العالمين، ولنجتهد فيه على إحياء سنن خير المرسلين، وعلى نشرها بين المسلمين.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يجنبنا وإياكم المعاصي والمحدثات وكل أنواع المخالفات، وأن يجعلنا ممن يتبع ويحيي سنة خير البريات، فهو سبحانه قريب مجيب للدعوات.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

مَاذَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعَشْرِ

مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؟!

مَاذَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما يجب دائمًا على المؤمن -أيها الأفاضل- أن يتعاهد نفسه التي بين جنبيه، فيُخضعها على تنفيذ ما حث عليه الباري ﷻ وأمر، والبعد عما نهى عنه وزجر، وذلك بِحَثها على فعل الطاعات، والمسابقة في الخيرات، وأن يكون ذلك كله لوجه رب الأرض والسماوات، واجتناب الذنوب والمحرمات، فهذا هو الجهاد الدائم والمستمر مع العبد مادام أن الموت لم ينزل بساحته، والروح لم تفارقه.

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ**»[(١)].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٢)،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٤٩).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات، أمارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة: من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»[(١)].

أيها الأحبة الكرام، قد يسر لنا الملك العلَّام إدراك أفضل أيام العام، فأودع فيها أهل الإسلام ما شاء الكبير المتعال من أقوال وأفعال، فمنهم من استغلها، فسعى واجتهد في تحصيل الأعمال الصالحة، ومنهم من ضيعها في الشهوات والملذات، ومنهم من أسرف فيها من المنكرات ولم يراعِ مكانتها وعظمتها عند رب البريات!!

فيا من استثمرتها في التزود من الخيرات، وحصنت فيها نفسك من المحرمات، اعلم-رعاك الله-أن الأعمال الصالحة ليست محدودة بأوقات، وإن من علامات قبول الحسنات فعل الحسنات بعدها، لأن ارتكاب المعاصي بعد الإحسان، لهو من جحد نعم المنان، وإنه لعمى بعد بصيرة وضلال بعد هدى، والعياذ بالله.

فيا من حججت بيت الله الكريم، يا من يسر لك الباري قصد بيته العظيم، عليك أن تحمد المنان وتشكر الرحمٰن على منه وكرمه عليك؛ لأن بالشكر والإيمان

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢١).

تدوم النعم، وبالجحود والعصيان تَحل النقم.

واعلم -وفقك الله- أن من ثمرات حجك، أن ترجع أفضل حالًا مما كنت قبله، فتبتعد عن المعاصي والآثام وتجتهد في عبادة وطاعة الملك العلَّام، فهذا هو الحج المبرور الذي أخبر عنه خير الأنام، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ: «**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(١)].

يقول الإمام النووي ﷺ: «ومن علامة القبول أن يرجع - الحاجُّ- خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي»[(٢)].

ويقول الشيخ العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «من علامات الحج المبرور، أن يرجع صاحبه أحسن حالًا في دينه مما كان قبل ذلك، بأن يرجع تائبًا إلى الله ﷻ مستقيمًا على طاعته، ويستمر على هذه الحالة، ويكون الحج منطلقًا له إلى الخير، ومنبهًا له إلى تصحيح مساره في حياته»[(٣)].

وقد سئل الإمام الحسن البصري ﷺ**عن علامة الحجّ المبرور؟ فقال** ﷺ: «أن يرجع العبد زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة»[(٤)].

ويا أيها الأحبة الأفاضل، يا من لم ييسر لكم الباري هذه السنة قصد بيته الحرام، ووفقكم لاغتنام العشر المباركة من ذي الحجة فاجتهدتم في الصيام وأكثرتم من

---

(١) رواه البخاري (١٦٨٣)ومسلم (١٣٤٩).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٩/ ١١٩).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ (٢/ ٤٩٥).

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ١٩٧).

أنواع البر والإحسان وابتعدتم عن سبل الشيطان والعصيان، اعلموا- نفع الله بكم-أن امتناعكم عن المعاصي والذنوب في تلك الأيام المباركة لدليل على قدرتكم بعون الله ﷻ على الابتعاد عنها طيلة حياتكم، فلا تتركوا لأعدائكم من النفس الأمارة بالسوء، وأولياء شياطين الجن والإنس مجالًا لإفساد ما قدمتموه من أعمال صالحة تنفعكم -بإذن مولاكم- في حياتكم وبعد موتكم، واحذروا من أن تتبدل أحوالكم بعد أن اجتهدتم في طاعة ربكم.

فالعمل الصالح -أيها الكرام- ليس محصورًا في أوقات معينة!!-وإن كان في بعضها أفضل- وإنما يكون في جميع الأوقات وفي كل اللحظات، والمؤمن الحق هو الذي يستمر في طاعة ربه ﷻ حتى تأتيه منيته، يقول تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: الموت، أي: استمر-يا محمد ﷺ- في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبًا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليمًا كثيرًا»[(١)].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «هذه الآية الكريمة تدل على أن الإنسان ما دام حيًّا وله عقل ثابت يميز به، فالعبادة واجبة عليه بحسب طاقته، فإن لم يستطع الصلاة قائمًا فليصل قاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب...»[(٢)].

ويقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «والله ما المؤمن بالذي يعمل شهرًا أو

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٣٥).

(٢) أضواء البيان (٢/ ٣٢٤).

شهرين أو عامًا أو عامين، لا والله ما جعل الله لعمل المؤمن أجلًا دون الموت»[١].

أيها المسلم الكريم، يا من فرطت في العشر المباركة وغيرها من الأيام، وأكثرت من المعاصي والآثام، لا تقنط من رحمة الغفور العلَّام، وبادر بالتوبة والغفران والرجوع إلى العزيز المنان، فأبواب التوبة -ولله الحمد- مفتوحة قبل فوات الأوان.

وتيَقن-بارك الله فيك- أنك مهما أذنبت وأكثرت على نفسك وأسرفت، لا تقنط ولا تيأس؛ فرحمة الله ﷻ أوسع من ذلك كله، ولهذا دعاك سبحانه إلى التوبة والاستغفار، وأخبرك في كتابه العزيز أنه يغفر الذنوب جميعًا مهما بلغت، لأنه سبحانه هو العزيز الغفار، لكن بشرط أن ترجع إليه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فيه نهي عن القنوط من رحمة الله تعالى، وإن عظمت الذنوب وكثرت، فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه، ولا أن يُقَنِّط الناس من رحمة الله، قال بعض السلف: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يُؤْيِس الناس من رحمة الله، ولا يُجَرِّيهم على معاصي الله.

والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنوبه، وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها ،

(١) الزهد للإمام أحمد (ص٢٧٢).

والشيطان قد استحوذ عليه، فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، وهذا يعتري كثيرا من الناس»[(١)]

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «المراد بالإسراف الإفراط في المعاصي والاستكثار منها، ومعنى ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾: لا تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ من مغفرته، ثم لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط»[(٢)].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير وكبير، وأنه جعل الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تجُبُّ ما قبلها»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٩).

(٢) فتح القدير (٤/ ٤٦٩).

(٣) الحق الواضح المبين (ص٥٥).

فالتوبة والاستغفار -أخي المذنب- هي طريق كل نجاح ومصدر كل فلاح في الدنيا والآخرة، وهذا الطريق لا يستغني عنه كل مسلم مهما كانت مكانته وعلا شأنه.

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ودل هذا، أن كل مؤمن، محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعًا»(١).

فاحذر أشد الحذر -وفقك الله- من التسويف في التوبة وتأخيرها، لأن ذلك من تلبيس الشيطان الذي يريد أن يصدك عن طاعة الرحمٰن، لتبوء بالحرمان والخسران، وعليك أن تعزم على عدم العود إلى تلك المحرمات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة، ولما كان متوقفا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له»(٢).

فيا أيها الأحبة الكرام، علينا جميعًا أن نغتنم ما بقي من أعمارنا فيما يُرضي ربنا ﷻ، لأن الموت إذا جاء لا يخشى أحدًا، ولا يُفرق بين أحد، ولا يعرف صديقًا، ولا يميز بين كبير ولا صغير، ولا صحيح ولا سقيم، فهو يصل إلى الناس في كل

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٦٧).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٢).

مكان، في البر أو البحر أو الجو، ولو تحصَّنوا منه، قال ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء: ٧٨].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «فإن الموت بإزائكم أين كنتم وواصل إلى أنفسكم، حيث كنتم ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة»(١).

ولنحذر أشد الحذر من داء عضال ومرض قتال، الذي إذا تمكن من القلب أفسده، ومن المرء أهلكه.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: «داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء»(٢).

من ابتلي به أساء العمل، وتمادى في الخطأ والزلل!! ألا وهو طول الأمل.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل»(٣).

فإن مفتاح كل خير وسرور في امتثال أوامر العزيز الغفور، وذلك بالبعد عن المعاصي والذنوب، والإقبال على طاعة علَّام الغيوب، وكذلك في عدم تعليق القلوب بأمور الدنيا الفانية، وربطها بالأمور الأخروية الباقية.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣).

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص٨٢).

خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل»[١].

فالله أسال بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم -أيها الأحباب- لكل ما فيه خير وصواب، ويُبعدنا عن الذنوب والمعاصي التي هي سبب كل بلاء ومصدر كل شقاء، وأن يجعلنا ممن يخافه في السر والعلانية، ويرزقنا الثبات عند الممات فإنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) حادي الأرواح (ص ٤٨).

نَصِيحَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِكُلِّ

أُخْتٍ مُسْلِمَةٍ عَفِيفَةٍ!!

نَصِيحَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِكُلِّ أُخْتٍ مُسْلِمَةٍ عَفِيفَةٍ!!

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن أعداء الدين من الكفار والمنافقين!! وضعوا لهم مخططات خبيثة وطرقًا دنيئة لإفساد المرأة المسلمة، فحاربوها في عفتها وحيائها واستعانوا على ذلك ببعض من يُحسب على المسلمين؛ لأنهم يعلمون أن الإفساد من الداخل أشد تأثيرا من الإفساد الخارج، فرفعوا شعارات باطلة سوقتها لهم بعض وسائل الإعلام الفاسدة بشتى أنواعها المرئية والمسموعة والمقروءة التي تسعى بكل ما تملك لإفساد نساء وشابات المسلمات بل وصل بهم الأمر إلى الاستهزاء بحجابهن الشرعي الذي فرضه الله ﷻ عليهن، فنراهم عند ذكره- قاتلهم الله- يسخرون منه! ويزعمون أنه يشير إلى التخلف وعدم التقدم! وأنه بمثابة قفص لمن ترتديه! وفي المقابل يثنون على المرأة الفاسقة المتبرجة! ويجعلونها مثالًا للتطور والازدهار!!وأنه يجب على المسلمات أن يقتدين بها ويسلكن طريقها!!.

أيتها الأخت المسلمة العفيفة-ثبتك الله-، عليك أن تحمدي الله ﷻ على نعمة الإسلام، وعلى نعمة الهداية والأخذ بتعاليم دين العلَّام.

واحذري أشد الحذر مما تبثه بعض وسائل الإعلام، وإياك والتأثر بالفاسقات والماجنات والممثلات والمغنيات، فإن الاغترار بهن يوقعك في المعاصي والمحرمات، وليكن قدوتك أمهات المؤمنين والمؤمنات والصحابيات الجليلات كسمية بنت خياط[١] وأم عُمارة نسيبة بنت كعب[٢] رضي الله عنهن وغيرهنَّ ممن ضربن أجمل الأمثلة وسطرنَّ أروع البطولات في التضحية من أجل نشر دين رب البريات، وكذلك لا تنسي التابعيات الكريمات كالعالمة الفقيهة أم الدرداء الصغرى[٣]، والعالمة العابدة حفصة بنت سيرين[٤]، وغيرهن من العابدات

---

(١) الصحابية الجليلة ، أول شهيدة في الإسلام، ومن أول المبايعات للنبي ﷺ ، وهي زوج ياسر بن عامر العنسي، وأم عمار بن ياسر رضي الله عنهم ، بذلت روحها رضي الله عنها لإعلاء دين الله ﷻ، حيث قتلها اللعين أبو جهل بعد أن طعنها بحربة، ففاضت روحها لخالقها جل جلاله. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٨/ ١٩٠).

(٢) الفاضلة، المجاهدة، الأنصارية، شهدت رضي الله عنها- ليلة العقبة و غزوة أحد وغير ذلك من المشاهد ، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ١٣هـ.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٢٧٩).

(٣) زوجة أبي الدرداء رضي الله عنه- عويمر بن مالك الأنصاري- (ت٣٢هـ)،قيل أن اسمها رضي الله عنها «هجيمة» ،وقيل «جهيمة» بنت حيي الأوصابية الدمشقية، ليس لها رضي الله عنها صحبة، وإنما الصحبة هي لأم الدرداء الكبرى رضي الله عنها واسمها «خيرة بنت أبي حدرد الأنصارية رضي الله عنها.

روت رضي الله عنها عن جماعة من الصحابة منهم كزوجها أبي الدرداء ، وسلمان الفارسي،وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم.

كانت رضي الله عنها تعرف بالفقه،والزهد، وكثرة العبادة و الذكر، توفيت رضي الله عنها كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (٢/ ٧٥٦) سنة إحدى وثمانين للهجرة.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٢٧٧).

(٤) أم الهذيل الأنصارية البصرية، كانت رضي الله عنها تعرف بالعلم والعبادة والزهد.

الصالحات.

اقرئي -حفظك الله- أخبارهن العطرة، وخذي من سيرتهن النيرة، فهن -جزاهن الله خيرًا- أحسن من يتبعن وأفضل من يُقتدى بهن، اجتهدي في تحصين نفسك بطلب العلم الشرعي النافع الذي بعون العزيز الغفور يقيك من كل الشرور.

وإياك -رعاك الله- من الشعارات المزيفة التي يرفعها أعداء الدين تحت غطاء جمعيات حقوقية! مُفْسِدَة!!، كحرية المرأة، والمساواة بينها وبين الرجل! وأنه لا حرج في الاختلاط بالرجال الأجانب!! فلا تغتري بها، فإن ظاهرها سرور، وباطنها يحتوي على الشرور.

تذكري -ثبتك الله- إذا زينوا لك هذه المحرمات كالمساواة مع الرجال!! قول رب البريات: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[النساء: ٣٤].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى أن ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهنَّ بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهنَّ بذلك، وقوامون عليهنَّ أيضًا بالإنفاق عليهنَّ، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾

روت عن جماعة منهم من الصحابة، كمولاها أنس بن مالك ، وأم عطية وغيرهم رضي الله عنهم واستفاد من علمها جماعة من السلف كأخيها محمد بن سيرين ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وأيوب بن أبي تميمة السختياني وغيرهم كثير رحمهم الله.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «كان وفاتها بعد المائة». سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧).

أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهنَّ.

فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع، وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء»[(١)].

فحفظك الله -أيتها العفيفة- من مكر أعداء الدين من الكفار والفجار والمنافقين، وجعلكِ ربُّ العالمين من الهداة المهتدين اللائي ينتفع بهن الإسلام والمسلمين، فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير السعدي (ص١٧٧).

تَذْكِيرُ أُولِي الأَبْصَارِ

بِمَا يُشْرَعُ مِنْ أَذْكَارٍ عِنْدَ

نُزُولِ الْأَمْطَارِ

تَذْكِيرُ أُولِي الأَبْصَارِ بِمَا يُشْرَعُ مِنْ أَذْكَارٍ عِنْدَ نُزُولِ الْأَمْطَار

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ نعم الله الواحد القهار على عباده -أيها الأحبة الأخيار- لا تعد ولا تحصى، ومن ذلك نزول الأمطار الذي فوائده وعوائده تعود على كل مخلوقات اللطيف الغفار، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرًا فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقًا لهم غذاء وأقواتًا»[(١)].

لكن بعض الجهلة من الناس -أيها الأفاضل- بدل أن يقابلوا هذه النعمة العظيمة بالحمد والشكران وطاعة المنان!! نراهم يبادرونها بالجهل والعصيان

(١) تفسير الطبري (١/ ١٦٢).

وطاعة الشيطان!!

فبعضهم بدل أن ينسب هذا الفضل الكبير إلى رب البرية، نسمعه يضيفه من جهله إلى الحوادث الطبيعية! فيزعم أن نزول الأمطار هو بسبب المنخفضات الجوية أو ما يحصل من تغيرات مناخية، مع أن نبينا ﷺ قد حذَّر من هذه الأقوال الباطلة والاعتقادات الرديَّة.

فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تَدْرُونَ مَاذَا قال رَبُّكُمْ؟**»، قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «**قال:أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا من قال:مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا من قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «إن اعتقد أن الكوكب هو الذي يأتي بالمطر فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة، وإن اعتقد أن الكوكب سبب، وأن الخالق هو الله عز وجل فهذا كفر بنعمة الله وليس كفرًا مخرجًا عن الملة، وفي هذا الحديث نعرف أنه ينبغي للإنسان إذا جاء المطر أن يقول مطرنا بفضل الله ورحمته»[(٢)].

إن من أسباب انتشار هذه الأفكار المنحرفة والاعتقادات الباطلة -أيها الكرام- هي السموم التي تبثُّها بعض وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة!

---

(١) رواه البخاري (٨١٠) ومسلم (٧١) واللفظ له.

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٤٧٦).

والتي لها صلة وتمويل من أعداء الدين! أو ممن قلَّ فيهم الوازع الديني! فطغى عليهم الجانب العقلي! فهؤلاء بقصد أو بغير قصد يُريدون قطع صلة المسلمين بربهم ﷻ، وذلك إما بصدهم عن شكر خالقهم تعالى على نعمه الكثيرة، ومن ذلك نزول الأمطار، أو بتهوين ما يحدث في الكثير من الأمصار من البراكين والفيضانات التي أرسلها عليهم العزيز الجبار.

فيزعم هؤلاء زورًا وبهتانًا!! أن ما يحدث من هذه الآيات ما هو إلا من قبيل الكوارث الطبيعية والظواهر الجغرافية العادية! وهناك بلدانًا أمنع من أن تحل بهم هذه الآيات! لأنهم ليسوا على خطها أو لاستعدادهم لها!.

ونسي هؤلاء الجهال!! أن الكبير المتعال إنما يرسل هذه الآيات الربانية والنذر السماوية على عباده للعظة والاعتبار! لا للتسلية والاستهتار!.

إنَّ هذا الغيث الذي يُنزله علينا رب البريات لدليل قاطع وبرهان ساطع على عظمة رب الأرض والسماوات الذي نعمه تترى على جميع المخلوقات، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[الحج:٦٣].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «هذا حثٌّ منه تعالى وترغيب في النظر بآياته الدالة على وحدانيته، وكماله، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك. **(أن الله أنزل من السماء ماء)**وهو: المطر، فينزل على أرض خاشعة مجدبة قد اغبرت أرجاؤها ويبس ما فيها من شجر ونبات، ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ قد اكتست من كل زوج كريم وصار لها بذلك منظر بهيج، إن الذي أحياها بعد موتها

وهمودها، لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميمًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء وخفياتها وسرائرها، الذي يسوق إلى عباده الخير ويدفع عنهم الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه أنه يُري عبده عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه أنه يعلم مواقع القطر من الأرض وبذور الأرض في بواطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات»[(١)].

إنَّ على كل مسلم -أيها الأفاضل- أن يحرص أشد الحرص على هدي نبيه ﷺ، وذلك بأن يتأسى بأقواله وأفعاله عند نزول المطر، ومن ذلك:

١-أن يُكثر من الاستغفار، ويدعو الوهاب عند رؤية الرياح والسحاب:

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتْ الرِّيحُ قال: «**اللهم إني أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ ما فيها، وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّهَا، وَشَرِّ ما فيها، وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ**»، قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ[(٢)] تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فإذا مَطَرت سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك في وجهه، فَسَأَلْتُهُ؟ فقال: «**لَعَلَّهُ يا عَائِشَةُ كما قال قَوْمُ عَادٍ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾**[الأحقاف:٢٤]»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٤٤).

(٢) تهيأت للمطر. لسان العرب لابن منظور (١١/ ٢٢٨).

(٣) رواه مسلم (٨٩٩).

يقول الإمام النووي ﷺ: «فيه الاستعداد بالمراقبة لله، والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف»(١).

إن من حكمة رب الأرض والسماوات -أيها الإخوة والأخوات- أن العذاب إذا نزل بقوم قد فشت بينهم المنكرات وجاهروا بالمحرمات يعم، لكن من رحمة الله ﷻ أنه لطائعهم وأهل الصلاح فيهم رحمة ومطهرة، ولعاصيهم ومفسدهم عذابا وعبرة.

فعن أم المؤمنين أم سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظَهَرَتِ المعاصي في أمتي عَمَّهُمُ الله ﷻ بِعَذَابٍ من عِنْدِهِ**»، فقلت: «يا رسول الله، أَمَا فيهم يومئذ أُنَاسٌ صالحون؟!» قال: «**بَلَى**»، قالت: «فكيف يصنع بأولئك؟» قال: «**يُصِيبُهُمْ ما أَصَابَ الناس ثُمَّ يَصِيرُونَ إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**»(٢).

٢- أن يأتي بالأدعية الواردة عند نزول المطر:

ومن ذلك ما جاء عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «**صَيِّبًا نَافِعًا**»(٣).

قال الإمام ابن بطال ﷺ: «فيه: الدعاء في الازدياد من الخير والبركة فيه والنفع به»(٤).

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٦/ ١٩٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٠٤) وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٣١٥٦).

(٣) رواه البخاري (٩٨٥).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٢٢).

وإذا تخلل نزول المطر سماع صوت الرعد، فالأولى أن يأتي بما ثبت عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «**سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته**»، ثم يقول: «**إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض**»[(١)].

٣- أن يَتبَرَّك بالغيث عند أول نزوله:

فعن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رسول الله ﷺ ثَوْبَهُ حتى أَصَابَهُ من المطر، فقلنا: يا رسول الله لِمَ صَنَعْتَ هذا؟ قال: «**لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**»[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «معنى (**حسر**)كشف، أي: كشف بعض بدنه، ومعنى (**حديث عهد بربه**)أي: بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها»[(٣)].

٤-أن يدعو أثناء المطر إذا خشي أن يكون ضرره أكثر من نفعه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فادع الله، فدعا رسول الله ﷺ فَمُطِرُوا من جمعة إلى جمعة، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تَهَدَّمَتِ

---

(١) روى الإمام البخاري في كتابه الأدب المفرد (٧٢٣)وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٥٦٠).

(٢) رواه مسلم (٨٩٨).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (٦/ ١٩٥).

الْبُيُوتُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم على رؤوس الْجِبَالِ وَالْآكَامِ**[١] **وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَانْجَابَتْ عن الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ**[٢]»[٣].

يقول الإمام ابن بطال رحمه الله: «فيه الدعاء إلى الله في الاستصحاء كما يُدعى في الاستسقاء؛ لأن كل ذلك بلاء يُفزع إلى الله في كشفه»[٤].

ويقول الإمام النووي رحمه الله: «وفيه أدبه ﷺ في الدعاء، فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة، بحيث يبقى نفعه وخصبه وهي بطون الأودية وغيرها من المذكور»[٥].

أيها الأحبة الأفاضل، إن نعم الله عز وجل قد تذهب وتزول بالكلية، وقد تبقى ونخالطها ونراها!!، ولكن البركة تُنزع منها وهذا كله بسبب الذنوب والمعاصي، فتصبح مع كثرتها لا يشعر بها الإنسان ولا يجد بركتها!!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن عقوباتها -أي المعاصي-أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة أنها

---

(١) الجبل الصغير . فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢/ ٥٠٥)

(٢) :خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه.فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢/ ٥٠٥).

(٣) رواه البخاري (٩٧١) واللفظ له، ومسلم (٨٩٧).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ١٢).

(٥) الشرح على صحيح مسلم (٦/ ١٩٣).

تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق»[١].

ولهذا كان الجدب والقحط الحقيقي ليس في عدم نزول المطر، وإنما هو في ذهاب بركة الماء النازل من السماء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَتِ السَّنَةُ** -أي القحط- **بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، ولا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شيئا**»[٢].

يقول المناوي رحمه الله: «فليس عام القحط الذي لا تمطر السماء فيه مع وجود البركة، بل أن تمطر ولا تنبت»[٣].

فعلينا -أيها الأفاضل الكرام- إذا أردنا أن نرضي العزيز العلَّام؛ أن نبتعد عن المعاصي والآثام، وأن نجتهد في إحياء ما ثبت من سنة خير الأنام، ومن ذلك عند نزول الأمطار.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يغيث قلوب المسلمين بالإيمان، ويجعلهم دائمًا من أهل الذكر والشكران، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز المنان.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الجواب الكافي (ص٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٤).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣١).

تَذْكِيرُ الْغَافِلِينَ بِخَطِرِ تَتَبُّعِ عُيُوبِ الْمُسْلِمِينَ

تَذْكِيرُ الْغَافِلِينَ بِخَطَرِ تَتَبُّعِ عُيُوبِ الْمُسْلِمِينَ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ من سعادة المرء الحقيقية -أيها الأحبة- أن يُجاهد نفسه التي بين جنبيه، فيلزمها بطاعة رب البريات ويحثها على المسارعة في الخيرات، ويزجرها عن فعل المعاصي والمنكرات، لأنه يعلم أنها مصدر كل شقاء وأصل كل بلاء.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فمن عرف حقيقة نفسه، وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء»[(١)].

وإن من شقاوته -أيها الأفاضل- أن تشغله بما لا ينفعه لا في الدنيا، ولا في الآخرة، بل قد تشغله بما يرجع عليه بالحرمان والخسران، ومن ذلك أن تجعله يصرف وقته في البحث عن عيوب الآخرين والتفتيش عن أسرارهم! وتنسيه عيوبه

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٠).

وزلاته وعثراته!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول علامة السعادة، والثاني علامة الشقاوة»(١).

إن الكثير من المسلمين اليوم -إلا من رحمه الكبير المتعال- قد أصيبوا -أيها الكرام- بداء قتال ومرض عُضَال، ألا وهو داء تتبع العورات وتشهير الزلات التي يقع فيها إخوانهم من المسلمين! مع غفلتهم عن عيوبهم!.

لذا أصبحت مجالسهم -إلا من رحم الله- عامرةً بالغيبة والنميمة والاستهزاء واستحقار الآخرين وتتبع أخطائهم، بدل شكر نعم الله ﷻ، وذكره سبحانه وتعالى، والمدارسة والتذكير بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «من عرف الشرع كما ينبغي وعلم الرسول ﷺ وأحوال الصحابة وأكابر العلماء علم أن أكثر الناس على غير الجادة.

وإنما يمشون مع العادة، يتزاورون فيغتاب بعضهم بعضًا، ويطلب كل واحد منهم عورة أخيه، ويحسده إن كانت نعمة، ويشمت به إن كانت مصيبة، ويتكبر عليه إن نصح له، ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا، ويأخذ عليه العثرات إن أمكن»(٢).

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٧١).

(٢) صيد الخاطر (ص٩٦).

إن الذي يسعى إلى تشويه سمعة المسلمين، ونشر عيوبهم بين الآخرين، والطعن في أعراضهم! لتنفير الناس عنهم، قد غلبته نفسه الأمارة بالسوء! وأعماه حسده وبغضه لإخوانه، حتى نسي! أو تناسى! تحذير نبينا ﷺ من هذا الخلق المشين!

فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «**يا مَعْشَرَ من قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، ولم يُفْضِ الْإِيمَانُ إلى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنه من تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ في جَوْفِ رَحْلِهِ**»[(١)].

ألم يدرك!! صاحب هذا الفعل الذميم!! أن انشغاله بعيوب غيره! سيحرمه من معرفة زلات نفسه وعيوبها! وأن اهتمامه بإصلاح عيوبه! سيصرفه عن تتبع هفوات غيره!.

يقول الإمام ابن حبان ﷺ: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وأن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه...»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٣)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٢) روضة العقلاء (ص ١٢٥).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس ...»[(١)].

أولم يعلم!! أن من أسباب مرض القلب وقسوته! أن ينشغل عن ذكر الله ﷻ بذكر عورات الناس!

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء»[(٢)].

ألم يبلغه أن الجزاء من جنس العمل؟! وأن من يعمل سوءً يجز به! فمن سعى لكشف عيوب أخيه المسلم؛ عاقبه الله تعالى بإظهار عيوبه وكَشف عوراته، ومن ستر على إخوانه ستر الله سبحانه عليه في الدنيا والآخرة.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ يوم الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ الله عَوْرَتَهُ، حتى يَفْضَحَهُ بها في بَيْتِهِ**»[(٣)].

يقول محمد بن عبد الله بن شاذان رحمه الله: **سمعت زادان المدائني** رحمه الله **يقول**: «رأيت أقوامًا من الناس لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس، فستر الله عيوبهم وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقوامًا لم تكن لهم عيوب، اشتغلوا بعيوب الناس

---

(١) الفوائد (ص ٥٧).

(٢) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (٢٠٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فصارت لهم عيوب»[١].

إن من الواجب على كل مسلم -أيها الأحبة الكرام- أن يكون ناصحًا لإخوانه، مذكرًا لهم بما ينفعهم، ومحذرًا لهم مما يضرهم في الدنيا والآخرة، ممتثلًا في ذلك قول نبينا ﷺ: «**الدين النصيحة**» قيل لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «وأما نصيحة عامة المسلمين-وهم من عدا ولاة الأمر- فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل»[٣].

وعليه أن يستحضر عند ذلك إخلاص النية لله تعالى، مع مراعاة شروط النصيحة وآدابها، ومن أهمها أن يكون لينًا رفيقًا بهم، مع حرصه على أن يكون بذل النصح لهم في السر، لأن ذلك أرجى لتحقيق مراده بعون الله تعالى، وهذا

---

(١) عيوب النفس لأبي عبد الرحمٰن السلمي (ص١٢).

(٢) رواه مسلم (٥٥)من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٩).

الذي كان عليه سلفنا الصالح.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرًّا»[١].

قيل لمسعر بن كدام رحمه الله: «تحب من يخبرك بعيوبك؟» فقال: «إنْ نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإنْ قرعني في الملأ فلا»[٢].

لأن الجهر بالنصيحة -أيها الكرام- وإظهارها للعلن دون مصلحة راجحة، يعتبر من الفضح والتعيير لا من النصح والتغيير.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزَانَه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه»[٣].

ويقول الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن يَستر ويَنصح، والفاجر يَهتِك ويُعيِّر»[٤].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح، وهو أن النصح يقترن به الستر، والتعيير يقترن به الإعلان»[٥].

فعلينا -أيها الأفاضل- أن نبذل النصح والتذكير فيما بيننا، وأن نشغل أنفسنا

---

(١) جامع العلوم و الحكم (ص٨٢).

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٣٧١).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٤٠).

(٤) جامع العلوم و الحكم لابن رجب (ص٨٢).

(٥) الفرق بين النصيحة و التعيير لابن رجب (ص٣٦).

بما ينفعنا في الدنيا والآخرة، ولنحذر أشد الحذر من تتبع الهفوات! وترقب الزلات! فإن الوقت يمضي والساعات تنقضي، وأحدنا لا يعلم متى ينزل الموت بساحته، والله المستعان.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُشغلنا وإياكم في طاعته، ويُبعدنا عن معصيته، وأن يهدينا جميعًا لأحسن الأخلاق، فهو سبحانه العزيز الرزاق.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صيد الخاطر (ص٢).

بِهَذَا ارْتَفَعَ الْقَوْمُ؟!

بِهَذَا ارْتَفَعَ الْقَوْمُ؟!

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنّ المُتَصَفِّحَ -أيها الأفاضل- في تراجم سلفنا الصالح، والمتتبع لأخبارهم ليرى فيها الشيء العُجَاب، وقد يتساءل عن هؤلاء الأعلام، كيف بعد فضل العزيز العلَّام، وصلوا لهذا المقام؟ وصاروا قدوة لأهل الصلاح من الأنام؟!

إن المتمعن في أحوال هؤلاء الكرام، والناظر في أوقاتهم كيف كانت تُصرف، ليعلم أن وصولهم لهذه المقامات العالية والمكانات الرفيعة لم يكن بعد فضل الله ﷻ عليهم إلا بمرورهم على جسر التعب والتضحية، وتقديمهم الغالي والنفيس من أجل نصرة هذا الدين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إذ المصالح والخيرات وَاللَّذَّات والكمالات كلهَا لا تُنال إِلَّا بحظ من الْمَشَقَّة، ولا يعْبر إليها إِلَّا على جسر من التَّعَب، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النَّعيم لا يُدْرك بالنعيم، وإن من آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة، وإِن بِحَسب ركُوب الْأَهْوَال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همَّ له، ولا لَذَّة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء لَهُ، ولا راحة لمن

لا تَعب له، بل إذا تَعب العَبْد قليلًا استراح طَويلا، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قَادَهُ لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النَّعيم الْمُقِيم، فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله، وكلما كانت النُّفُوس أشرف والهمة أعلى كان تَعب الْبدن أوفر وحظه من الرَّاحَة أقل، كما قال المتنبي:

وَإِذا كَانَت النُّفُوس كِبَارًا تعبت فِي مرادها الْأَجْسَامُ»[(١)].

إن من أهم الأسباب التي أدت لرفعة شأن القوم وإعلاء ذكرهم بعد توفيق الباري سبحانه لهم -أيها الأحباب- إخلاصهم لله ﷻ في أعمالهم، وصدقهم مع الله ﷻ في أعمالهم -فيما نحسبهم والله حسيبهم- واتباعهم للنبي ﷺ وبعدهم عن البدع والشبهات.

فقد ذُكر عند الإمام أحمد رحمه الله: الصدق والإخلاص؟ فقال: «**بهذا ارتفع القوم**»[(٢)].

أيها الكرام، إن الصدق مع الله ﷻ ليس هو مجرد عبارات يرددها القائل!، ولا شعارات يرفعها المدَّعي! وإنما تظهر حقيقته في طاعة الله ﷻ، وطاعة نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره....، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره»[(٣)].

يقول الإمام أبو زرعة رحمه الله: «قلت لأحمد بن حنبل: كيف تخلصت من سيف

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥).

(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٦١).

(٣) الفوائد (ص١٨٦).

المعتصم وسوط الواثق؟».

فقال لي: «يا أبا زرعة، لو جعل الصدق على جرح لبرأ»[١] .

إن همم هؤلاء القوم -أيها الأفاضل- لم تُصرف في حطام هذه الدنيا الفانية، ولا في شهواتها الزائلة، لأنهم عرفوا حقيقتها !! واتبعوا أمر النبي ﷺ الذي حذر من الحرص الذي يؤدي بصاحبه للتعلق بالدنيا، والبعد عن الآخرة، حيث قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إلا التُراب وَيَتُوبُ الله على من تاب**»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: «فيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها، ومعنى (**لا يملأ جوفَه إلا الترابُ**): أنه لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره»[٣].

وإنما صرفوا معظم أوقاتهم وعمروا أكثر ساعاتهم، وبذلوا أعلى طاقاتهم في طلب العلم الشرعي النافع.

فهذا الإمام علي بن المديني رحمه الله **يقول:** «قيل للشعبي من أين لك هذا العلم كلُّه ؟ **فقال** رحمه الله: «بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب»[٤] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥/ ٣٢١).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٥) ومسلم (١٠٤٨)واللفظ له،من حديث أنس رضي الله عنه

(٣) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٣٩).

(٤) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص ١٩٦).

ويقول الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله: «سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قدمي زيادةً على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته...»[(١)].

وهذا الحافظ ابن منده، أبو عبد الله رحمه الله، محدث الإسلام، رحل في طلب العلم وعُمُره عشرون سنة، ورجع وعُمُره خمس وستون سنة، وكانت رحلته خمسًا وأربعين سنة.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثًا منه، مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ»[(٢)].

وهذا الحرص الشديد من هؤلاء الأعلام على طلب العلم وتحصيله، لا يُستغرب؛ لأنهم عرفوا أن الله عز وجل يرفع مكانة صاحبه، ويُعلي درجاته في الدنيا قبل الآخرة، يقول سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «أي في الثواب في الآخرة، وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم»[(٣)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولم يعين عز وجل الدرجات لأن هذه الدرجات بحسب ما مع الإنسان من الإيمان والعلم، كلما قوي الإيمان وكلما كثر العلم

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣٥٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٩).

وانتفع الإنسان به ونفع غيره، كان أكثر درجات»[١].

إن القوم -رحمهم الله- لم يقتصروا على طلب العلم فقط! وإنما ترجموا علمهم على واقعهم، فجمعوا بينه وبين العمل به، فنرى ثمراته ظاهرة على أحوالهم وأقوالهم، فكان يضرب بهم المثل كذلك في العبادة والحرص على طاعة الله ﷻ.

فعن القاسم بن محمد ﷺ قال: «كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأي شيء فُضِلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟! إن كان يصلي، إنا نصلي!، ولئن كان يصوم، إنا لنصوم! وإن كان يغزو، فإنا لنغزو!، وإن كان يحج إنا لنحج! قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يَستصبح، فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة»[٢].

ومع ما كان منهم -رحمهم الله- من شدة الحرص على العلم والعمل والعبادة كان منهم الخوف على أنفسهم أن تُسلبَ منهم هذه النعم.

فعن محسن بن موسى ﷺ قال: «كنت عديل سفيان الثوري إلى مكة فرأيته يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله بكاؤك هذا خوفا من الذنوب؟

---

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤١٩).

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ١٤٥).

قال: فأخذ عودًا من المحمل فرمى به فقال: إن ذنوبي أهون عليَّ من هذا ولكني أخاف أن أُسْلب التوحيد»[١].

فبعد أن عرفنا -أيها الأحباب- كيف ارتفع ذكر من سبقنا من الصالحين حتى بعد مماتهم، وأن ذلك لم يكن بالراحة والفتور! وإنما كان بطاعتهم لرب البريات، وحرصهم على الخيرات، وبعدهم عن المعاصي والمنكرات، وحرصهم الشديد على اغتنام الأوقات.

فعلينا إذا أردنا أن نصل إلى ما وصل إليه القوم- بإذن الله ﷻ وفضله- أن نبذل الأسباب المعينة على ذلك، كتحقيق العبادة، والحرص على اتباع وإحياء سنة خير المرسلين ﷺ، والجد والاجتهاد في تحصيل العلم الشرعي النافع، وملأ أوقاتنا بما يعود علينا خيره، وعدم التعلق بالدنيا الفانية، وصرف القلوب للآخرة الباقية.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح ولكل أنواع الخيرات، وأن يُبارك لنا في الأوقات، فهو سبحانه قريب مجيب الدعوات.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٨٦٥).

الْقَوْلُ الْمُسْتَنِيرُ فِي

ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِاسْمِ اللهِ

جَلَّ وَعَلَا السِّتِّيرِ

الْقَوْلُ الْمُسْتَنِيرُ فِي ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِاسْمِ اللهِ ﷻ السَّتِّيرِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنّ من رحمة الله ﷻ بعباده وكمال حلمه عليهم؛ أنه سبحانه لا يعاجلهم بالعقوبة بعد ارتكابهم المحرمات، بل يمهلهم لعلهم يتوبون ويرجعون إلى رب البريات.

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم»(١).

لأنه ﷻ ستير يحب الستر على عباده، فلا يعاقبهم بالفضائح مع أنهم يجاهرونه بالقبائح، فعن يعلى بن أمية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فإذا اغْتَسَلَ أحدكم فَلْيَسْتَتِرْ**»(٢).

يقول الطيبي ﷺ: «يعني: إن الله ﷻ تارك للقبائح ساتر للعيوب والفضائح»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٩٠).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٠١٢)،وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٣) مرقاة المفاتيح (٢/ ١٣٧).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهـو الحيـيُّ فليـس يفضـح عبـده ... عنـد التـجاهر منـه بالعصيـان

لكـنه يُـلقي علـيه سترَه ... فهـو السـتير وصاحـب الغفـران[1]

إن من أهم الثمرات التي يجب أن نقطفها من إيماننا بهذا الاسم الكريم أيها الأحبة الأفاضل:

١ - أن نثبت لله ﷻ « صفة الستر » :

وهي من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى كما جاء في السنة الصحيحة كما تقدم، وهذا الإثبات يليق به ﷻ، لا يشابهه في هذه الصفة الكريمة أحد من خلقه ولا يدانيه، مهما بلغت منزلته وعلت درجته، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك»[2].

وكذلك أن نتعبد الله ﷻ باسمه الكريم الستير، فنقول: «**عبد الستير**»، ولا يقال «**عبد الستار**»؛ لأن «الستار» ليس من أسماء الله الحسنى كما هو شائع عند بعض الناس!

---

(١) الكافية الشافية (١٨٩).

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٥٤).

وعلينا أن ندعو الله ﷻ الكريم بهذا الاسم الجليل فنقول: «يا ستير، استر علينا في الدنيا والآخرة»، لكن لا يُتعبد الله سبحانه بصفاته فيقال: «عبد الستر» ، كما أننا لا ندعو صفاته ﷻ فنقول: «يا ستر الله استرينا»، فصفة الستر ليست هي الله ﷻ، بل هي صفة من صفاته سبحانه وتعالى الفعلية المتعلقة بالمشيئة، والصفة غير الموصوف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين»[(١)] .

٢- أن نتحلى بصفة «الستر»:

والتي هي من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي ينبغي على المؤمن أن يتصف بها، ومن ثمرات التحلي بها -أيها الكرام- أن يستر العبد على نفسه، فلا يجاهر الناس بالمعاصي والذنوب التي سترها عليه علَّام الغيوب.

يقول الإمام البيهقي ﷺ: «الستير، يعني أنه ساتر يستر على عباده كثيرًا ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم والله أعلم»[(٢)].

فعلى المذنب أن يبادر بالتوبة والاستغفار، وليحذر من الاستخفاف

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٨١).

(٢) الأسماء والصفات (١/ ١٦٨).

بأوامر الجبار بالفرح والمجاهرة بالمحرمات التي سترها عليه رب الأرض والسماوات!! فقد جاء في ذلك الوعيد الشديد والتحذير الأكيد، فقد قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِين، وَإِنَّ من الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وقد سَتَرَهُ الله عليه فَيَقُولَ: يا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وقد بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه**»(١).

يقول ابن بطال رحمه الله: «وفي المجاهرة بالمعاصي استخفاف بحق الله وحق رسوله ﷺ، وضرب من العناد لهما»(٢).

وكذلك يستر على المسلمين، فإذا وجدهم قد خالفوا أوامر المنان وتلبسوا بالعصيان، فلا يفضحهم!! بل ينصحهم ويذكرهم بالرحمٰن، ويحذرهم من هوى النفس ونزغة الشيطان؛ فإن له على ذلك الأجر الكبير من العلي القدير.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**من سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يوم الْقِيَامَةِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(٤).

أما إن كان صاحب العصيان من أهل الشرور والطغيان، فلابد من التحذير منه ورفع أمره لمن له عليه سلطان.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٢٦٣).

(٣) رواه البخاري (٢٣١٠) ومسلم (٢٥٨٠) واللفظ له.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٦٩).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالستر قد يكون مأمورًا به محمودًا، وقد يكون حرامًا، فإذا رأينا شخصًا على معصية، وهو رجلٌ شرير مُنْهَمِكٌ في المعاصي، لا يزيده الستر إلا طغيانًا؛ فإننا لا نستره، بل نبلغ عنه حتى يُردع ردعًا يحصل به المقصود.

أما إذا لم تبدر منه بوادر سيئة، ولكن حصلت منه هفوة، فإن من المستحب أن تستره ولا تبينه لأحد، لا للجهات المسؤولة ولا لغيرها، فإذا سترته ستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك أيضًا أن تستر عنه العيب الخلقي، إذا كان فيه عيب في خلقته كجروح مؤثرة في جلده أو برص أو بهق أو ما أشبه ذلك، وهو يتستر ويحب ألا يطلع عليه الناس فإنك تستره، إذا سترته سترك الله في الدنيا والآخرة.

وكذلك إذا كان سيئ الخلق لكنه يتظاهر للناس بأنه حسن الخلق وواسع الصدر، وأنت تعرف عنه خلاف ذلك، فاستره.

فمن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة فالستر كما قلت بالنسبة للأعمال السيئة التي يقوم بها الإنسان ينقسم إلى قسمين:

قسم يكون من شخص منهمك في المعاصي مستهتر، فهذا لا نستر عليه.

وقسم آخر حصل منه هفوة، فهذا هو الذي نستر عليه.

أما الأمور الأخرى فالستر فيها أكمل وأفضل، والله المستعان»[(١)].

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٦٨).

ولنحذر -أيها الكرام- أشد الحذر من السعي وحب إشاعة الفواحش بين المسلمين، فإن الرحمٰن نهانا عن هذا العمل الجبان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله ؟وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة، وكل هذا من رحمة الله لعباده المؤمنين وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»[(١)].

٣-أن نفرد الله ﷻ بالعبادة ونحبه ونعظمه ونشكره:

لأنه سبحانه تفضل علينا وستر عيوبنا مع كثرة معاصينا وذنوبنا، فلو كشف سبحانه عنا الستر لنفر منا الخلق أجمعين! حتى لو كان من أقرب الأقربين!!

فلو كان للذنوب روائح -أيها الأحباب- فهل يبقى لنا أصحاب؟!

يقول الإمام محمد بن واسع ﷺ: «لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي»[(٢)].

فهذه -أيها الأفاضل- من أهم الفوائد الإيمانية والثمرات الزكية التي ينبغي للعبد المسلم أن يحرص على قطفها من شجرة إيمانه باسم الله ﷻ «الستير»،

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٦٤).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٤٩).

فعلينا جميعًا أن نسعى على تحقيقها قدر الإمكان، سائلين العون والسداد من الغفور المنان.

ومما ينبغي التذكير به في هذا المقام؛ أن علينا أن لا نترك سؤال أرحم الراحمين أن يستر علينا عيوبنا في الدارين، وهذا كان هدي نبينا وقدوتنا محمد ﷺ.

فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يُمْسِي وحين يُصْبِحُ: (**اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهم اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهم احْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي**»[(١)].

يقول المناوي رحمه الله: «(**اللهم استر عورتي**) أي: عيوبي وخللي وتقصيري والعورة سوءة الإنسان، وكل ما يستحيي من ظهوره، وهذا وما أشبهه تعليم للأمة»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويُيسر أمورنا، ويوفقنا لكل ما فيه صلاح وفلاح في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) فيض القدير (٢/ ٣١٨).

مَجَالِسُ الْعِلْمِ بَيْنَ الْأَمْسِ! وَالْيَوْمِ!!

مَجَالِسُ الْعِلْمِ بَيْنَ الْأَمْسِ! وَالْيَوْمِ!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ حِلَق العلم وموائد العلماء -أيها الأحبة الكرام- هي من أرفع المجالس قدرًا وأكثرها أجرًا عند الباري ﷻ، وكيف لا؟!.

وهي طريق الأصفياء، وزاد الأتقياء، وميراث الأنبياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه **أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال:** «يا أهل السوق ما أعجزكم؟» ، قالوا: «وما ذاك يا أبا هريرة؟» .

قال: «ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسَّم وأنتم ها هنا! لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه!». قالوا: وأين هو؟

قال: «في المسجد»، فخرجوا سراعًا إلى المسجد ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا.

فقال لهم: «ما لكم؟»، قالوا: «يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه

شيئا يُقسَّم!» .

فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه: «أما رأيتم في المسجد أحدًا؟» قالوا: «بلى، رأينا قومًا يصلون، وقوما يقرأون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام» .

فقال لهم أبو هريرة رضي الله عنه: «ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ»[(١)].

وكيف لا -أيها الأفاضل والإخوان- وهي مجالسٌ من رياض الجنان!! يُحبها الرحمٰن، ويحفظ أصحابها من كل سوء وخذلان، ويُجازيهم عنها بالأجر والإحسان.

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحدٌ، فَوَقَفَا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فُرْجَةً في الْحَلْقَةِ فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خَلْفَهُمْ، وأما الثالث فَأَدْبَرَ ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخْبِرُكُمْ عن النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إلى اللهِ فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله منه، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه**»[(٢)] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فلو لم يكن لطالب العلم إلا أن الله يُؤويه إليه ولا يُعرِض عنه لكفى به فضلًا»[(٣)] .

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث فضل ملازمة حلق العلم، والذكر

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٥)، وحسنة الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٨٣).

(٢) رواه البخاري (٦٦) ومسلم (٢١٧٦) و اللفظ له.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٣).

وجلوس العالم والمذَكِر في المسجد»[١].

وكيف لا ؟! وبأهلها يُباهي العزيز العلَّام ملائكته الكرام.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن معاوية رضي الله عنه خرج على حلقة في المسجد، فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟.

قالوا: جلسنا نذكر الله.

قال: آللهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلا ذَاكَ؟.

قالوا: والله ما أَجْلَسَنَا إلا ذاك.

قال: أما إني لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكم، وما كان أَحَدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أَقَلَّ عنه حديثًا منِّي، وإنَّ رسول الله ﷺ خَرَجَ على حَلْقَةٍ من أصحابه، فقال: «**ما أَجْلَسَكُمْ ؟**»، قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ على ما هدانا للإسلام، وَمَنَّ به علينا، قال: «**آللهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلا ذَاكَ**»، قالوا: والله ما أَجْلَسَنَا إلا ذاك، قال: «**أَمَا إني لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ**»[٢].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فهؤلاء كانوا قد جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلائه، ويثنون عليه بذلك ويذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل العظيم إذ هداهم له، ومنَّ عليهم برسوله ﷺ، وهذا أشرف علم على الإطلاق، ولا يعني

---

(١)) فتح الباري (١/ ١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠١).

به إلا الراسخون في العلم، فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله ودينه ورسوله، ومحبة ذلك وتعظيمه، والفرح به وأحرى بأصحاب هذا العلم أن يُباهي الله بهم الملائكة»[(١)].

لقد عرف سلفنا الصالح ﷺ -أيها الأحبة الكرام- قيمة هذه المجالس المباركة وفضلها، وأنها من أقوى الأسباب التي تُعين على إحياء القلوب، والتقرب من علَّام الغيوب، وهي من أفضل طرق النجاح ووسائل الفلاح في الدارين -بإذن رب العالمين-.

فصرفوا فيها معظم أوقاتهم، وعمَّروا بها أكثر ساعاتهم، وبذلوا في الحرص على حضورها أقصى جهدهم وأعلى طاقاتهم حتى تركوا من أجل طلب العلم الأوطان والديار، وارتحلوا في تحصيله بين الأقطار والأمصار.

فهذا الحافظ الإمام ابن منده، أبو عبد الله الأصبهاني (ت٣٩٥هـ) ﷺ، محدث الإسلام، وأحد الأئمة الأعلام رحل في طلب العلم وعُمُره عشرون سنة، ورجع وعُمُره خمس وستون سنة، وكانت رحلته خمسًا وأربعين سنة.

يقول الإمام الذهبي ﷺ: «ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثًا منه، مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ»[(٢)].

وهذا الإمام جرير بن حازم (١٧٠هـ)ﷺ يقول: «جلست إلى الحسن -أي

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠).

البصري- سبع سنين لم أخرم منها يومًا واحدًا، أصوم وأذهب إليه»[١].

وهذا الإمام عبد الرحمٰن ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ﷺ صاحب الجرح والتعديل يقول: «كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة، فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكنا إصلاح هذه السمكة ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى على السمكة ثلاثة أيام وكادت أن تتغير فأكلناها نيئة، لم يكن لنا فراغ أن نشوي السمك. ثم قال: «إن العلم لا يستطاع براحة الجسد»[٢].

وهذا الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) ﷺ كان يحضر في اليوم اثني عشر درسا، ويقول عن نفسه: «كنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله تعالى في وقتي»[٣].

فهذه التضحيات -أيها الكرام- التي بذلها سلفنا الصالح ﷺ في سبيل تحصيل أفضل مطلب وأسمى مقصد وهو العلم الشرعي، قد لا تُستغرب!!؛ لأنه من عرف قيمة الشيء ضحى من أجله!!

فهم عرفوا فضل العلم الشرعي ومكانته، وأنه لا ينال إلا بالمرور على جسر التعب والمشقة! لا بالراحة والأماني!!.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي (٣٠/ ١٨٨).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٠).

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٧٠).

لذا كانت مجالس العلماء وحلق الذكر في زمانهم عامرة، حيث كانوا يتسابقون إليها للتفقه في الدين وسماع حديث خير المرسلين -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-.

إن كل مؤمن محب للخير لأمته -أيها الأفاضل- ليَحزن أشد الحزن عندما يرى أن الإقبال على طلب العلم الشرعي اليوم قليل! وأن الحرص على رفع الجهل لا يكون إلا من عدد من المسلمين ضئيل!

فأكثر مجالس العلم اليوم قد هُجرت! وغالب موائد العلماء الربانيين قد تُركت! حتى ممن ينبغي عليهم أن يحرصوا على شهودها!! حتى أصبحت اليوم لأهلها تحن! وعلى فراقهم تأن! والله المستعان.

فأين الذين كانوا يتسابقون على هذه المجالس المباركة ؟!.

وأين الذين كانوا يتنافسون على حضور حلق العلم النافعة ؟!.

أين الذين كانوا ينسخون الأحاديث النبوية، ويدونون الفوائد العلمية؟.

أين حفاظ كلام رب العالمين، والمتون بأنواعها والصحيحين؟!.

لماذا هذا الزهد فيها؟! والإعراض عن حضورها؟!، وقلة الإقبال إليها!!.

فما الذي شغل أهل الإسلام عن حضور المجالس التي يُحبها العزيز العلَّام؟!.

فأين تُقضى أيام المسلمين ؟ وكيف تُصرف أوقاتهم؟!.

إن الأسباب كثيرة! والنتيجة واحدة!!.

فمنهم من غرتهم الملذات! وتغلبت عليهم النفس والشهوات! فتركوا مجالس الخير والبركات!!.

ومنهم من لا يستحضر شرف طلب العلم، وأجر حضور مجالسه! وأنه من أجل القربات لرب البريات! فيكسل! ولا يحرص على الذهاب إلى مجالس النفع والخيرات!!.

ومنهم من شغلته وسائل التواصل الحديثة والاتصالات! عن حضور مجالس العلماء والتفقه في دين رب الأرض والسماوات!.

ولا ننسى أيضًا -أيها الأفاضل- أن بعض من اقتحم ميدان النصح والدعوة من غير زاد ولا عتاد! هم سبب كذلك في هجران مجالس العلم التي تُعقد في بيوت الله ﷻ، حيث زهدوا الناس فيها، -قصدوا ذلك، أو لم يقصدوا!!-، وعوضوهم عنها بمجالس يغلب عليها القصص وتكثر فيها الفكاهة! والتنفيس!! فأصبح الكثير من المسلمين- إلا من رحمه رب العالمين- عن مجالس العلماء معرضين! وإلى مجالس هؤلاء مقبلين!!.

أيها الأحبة، إننا لا ننكر أن في أمتنا اليوم من لا يزال -ولله الحمد- حريصًا على الأخذ من ميراث الأنبياء ويبذل جهده في الاقتداء بمن سبقه من الأتقياء، ثبتهم الله على هذا الطريق، وجزاهم على ذلك خير الجزاء.

فعلى هؤلاء الأصفياء من العلماء الأتقياء وطلبة العلم النجباء أن يحمدوا الله ﷻ على هذا الاصطفاء، وأن لا ييأسوا ولا يحزنوا من قلة الأعوان وعدم تشجيع

الأصحاب والإخوان!، وعليهم أن يواصلوا في طلب العلم، وليحرصوا على العمل به، وليبذلوا وسعهم في حث المسلمين على التفقه في الدين، وليخلصوا في ذلك لرب العالمين ولا يهتموا بعدد الحاضرين.

فعن الإمام عبد الرحمٰن بن مهدي ﷺ **قال:** (كنت أجلس يوم الجمعة في مسجد الجامع، فيجلس إليَّ الناس فإذا كانوا كثيرًا فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: «هذا مجلس سوء لا تعد إليه»، قال: فما عدت إليه)[(١)].

وليتذكروا دائمًا أن التوفيق لسلوك هذا الطريق الكريم هو تَفَضّلٌ من العزيز الحكيم.

فعن معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين**»[(٢)].

يقول ابن بطال ﷺ: «وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه»[(٣)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يُفقهنا وإياكم في دينه، ويجعل موائد العلم ومجالس العلماء عامرة بالمسلمين، ويجزي عنا خير الجزاء علماءنا الربانيين، وطلبة العلم المجتهدين المجدِّين، فهو سبحانه ولي ذلك وأكرم الأكرمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٢).

(٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١/ ١٥٤).

مَاذَا قدَّمْنَا لِحَيَاتِنَا؟!

مَاذَا قدَّمْنَا لِحَيَاتِنَا؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما هو ملاحظ في زماننا هذا -أيها الأحبة الكرام- تقارب الشهور والأعوام وسرعة مرور الأيام، حتى أصبحنا لا نجد لها طعمًا! ولا نشعر فيها ببركة !، وهذا مصداق ما أخبر به نبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام-.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وهو الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حتى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ**»(١).

يقول القاضي عياض رحمه الله: «المراد بقصره عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلًا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة»(٢).

وقد بين لنا نبينا ﷺ كيفية هذا التقارب، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ**

---

(١) رواه البخاري (٩٨٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١٧).

كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ[١]»[٢].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فالذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا فإنا نجد من سرعة مَرِّ الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا»[٣].

أيها الأفاضل، إن مع ما يشير إليه هذا التقارب في الزمان من قرب زوال هذه الحياة الفانية! واقتراب الحياة الباقية! إلا أن الكثير منا- إلا من رحمه الله- قد يُضيع وقته فيما لا يعود عليه نفعه بل قد يضره! مع أن أوقاتنا هي أعمارنا وهي أغلى ما نملك في هذه الدنيا الفانية.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرةً بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرةً فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين.

اليوم- مع الأسف الشديد- أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلة وفي ترف، ينظرون ما يترف به أبدانهم وإن أتلفوا أديانهم»[٤].

لقد غرتنا الأماني! وأعجبتنا الملذات! وغلبت علينا الشهوات، وأطلنا الأمل !

---

(١) الشعلة الواحدة من النار . جامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ٤٠٠)

(٢) رواه الترمذي (٢٣٣٢)،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٦).

(٤) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٠).

فأسأنا العمل! ونسينا أن هذه الدنيا ما هي إلا دار ممر! وأن الحياة الحقيقية التي ينبغي لكل البرية أن يهتموا بها ويحرصوا على التزود لها لهي الحياة الأخروية.

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «إن الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء»[(١)].

فكل عبد -أيها الأحبة- سيتمنى يوم الحساب أن لو عمل في دنياه ما ينفعه في أخراه، فيقول كما أخبرنا العزيز الغفور: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

يقول الإمام الطبري ﷺ: «يقول تعالى ذكره مُخبرًا عن تلهف ابن آدم يوم القيامة وتندمه على تفريطه في الصالحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه التي لا موت بعدها»[(٢)].

ويقول الإمام ابن كثير ﷺ: «يعني: يندم على كل ما أسلف منه من المعاصي إن كان عاصيًا، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعًا»[(٣)].

فيتمنى كل مطيع لرب البريات لو تزود من الخيرات وزاد من الطاعات، ولم يفرط في أي لحظة من اللحظات!.

ويندم المذنب على ما اقترفت يداه من المحرمات! وما ارتكب من المنكرات! وما ضيع من الأوقات في معصية رب الأرض والسماوات!!

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ١٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١١).

قال الإمام الحسن البصري ﷺ لرجل في جنازة: « أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا كان يعمل صالحا ؟قال: نعم، قال: إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك»[(١)].

أيها الأفاضل، كم فرق الموت بين الأحباب، وفصل بين الإخوة والأصحاب! بعد أن كانوا كلهم فوق الأرض! فأصبح منهم من هو اليوم تحت التراب، ومن بقي منهم! فلا محالة أنه لاحق بهم كما قدَّر ذلك العزيز الوهاب حيث قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠].

يقول الإمام ابن كثير ﷺ: «ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة»[(٢)].

لماذا لا يسأل من بقي ينتظر دوره! ولم تأته بعد منيته نفسه هذا السؤال؟! قبل أن يقف أمام الكبير المتعال، فيقول في نفسه: ما الذي قدمته لحياتي الأبدية؟ ولم لا اغتنم ما بقي من عمري في هذه الحياة الأمدية! لما ينفعني ويُرضي عني رب البرية؟!.

يقول الإمام الحسن البصري ﷺ: «حق على كل من يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي رب العالمين مشهده، أن يطول حزنه»[(٣)].

نعم، حري به أن يغتنم ما بقي من عمره فيما يرضي خالقه، قبل أن يغادر إلى دار الجزاء والمستقر، فلا ينفعه بعد ذلك الندم والحسرات على ما فرط من لحظات

---

(١) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصفهاني (٢/ ٥١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).

(٣) الكنى والأسماء للدولابي (٣/ ١٠٠٥).

وضيع من أوقات، فيقول بعد أن يقف أمام رب الأرض والسماوات:﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله، فيطلب الرجعة إلى الدنيا لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها، وإنما ذلك ليقول: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾من العمل، وفرطت في جنب الله»[(١)].

فإلى متى منا -أيها الأحبة- الغفلة والإساءة في العمل؟!

ألا نعتبر بموت من سبقنا من الإخوة والأصحاب والأهل ؟!

لماذا نسوف في التوبة والرجوع إلى الله ﷻ !!

فلنبادر إلى الله ﷻ ونعلق قلوبنا بالآخرة! ولنجتنب التسويف في التوبة! ولنحذر من طول الأمل!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة، والثمن موجود والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لاتصل فيها إلى قليل ولا كثير، ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[التغابن: ٩]، ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»[(٢)].

فالله الله -أيها الأفاضل والإخوان- في الرجوع إلى العزيز الرحمٰن، والبعد

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٥٩).

(٢) الفوائد (ص٤٩).

عن الهوى والشهوات وكل مسالك الشيطان، قبل فوات الأوان، ولنسلك في ذلك الطرق المرضية، ونستعد للحياة الأبدية بالأعمال الصالحة وكل ما يُرضي رب البرية.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، وأن يُبعد عنا شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا ممن يستثمر دنياه لأخراه، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إِلَىٰ مَتَىٰ؟!

وَنَحْنُ نُقَصِّرُ فِي

الْوَاجِبَاتِ؟! ونُفَرِّطُ فِي

الْمُسْتَحَبَّاتِ؟!

إِلَى مَتَى؟! وَنَحْنُ نُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبَاتِ؟! ونُفَرِّطُ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الشيطان الرجيم ليسعى بكل الوسائل وشتى الطرق -أيها الأحبة الكرام- لإبعاد الناس عن ربهم العظيم؛ وذلك بصرفهم عما جاء به نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فإما يريد أن يجعلهم في دينهم القويم من الغالين المتشدِّدين، أو من المقصِّرين المفرِّطين، فهو لا يبالي بما يظفر من الصنفين؛ لأن همه هو انحراف الناس عن الصراط المستقيم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر»[(١)].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٠).

إن الكثير منا اليوم -أيها الأفاضل، إلا من رحمه الحليم- لمقصر في تحقيق الأمر العظيم والغرض الكريم الذي خلقه من أجله العزيز العليم، يقول السميع الحكيم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا من أجله...»[(١)].

فقد تنوعت صور الإفراط والتقصير في تحقيق عبادتنا للعلي الكبير !!!.

فمنَّا - إلا من رحمه المنان- من غلبته نفسه وتمكن منه هواه وتسلط عليه الشيطان فقصر أو ترك ما أوجبه عليه الرحمٰن وجعل نفسه عاكفة على البدع!! والفسوق والعصيان! والله المستعان.

فأين حرصنا على الإتيان بأركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام وحج بيت الله الحرام ؟!

فكيف -أيها الكرام- يستقيم لنا الإسلام ويقوى لنا الإيمان؟! ونحن نُفرط ونُقصر في تحقيق هذه المباني العظام! وكل ما أمرنا به العزيز العلَّام!!.

هل نريد أن نكون من أهل السعادة والسرور! ونحن نقابل النعم التي يَمن علينا بها العفو الغفور بالمحدثات والمعاصي والشرور ؟!.

إنَّ من رحمة علَّام الغيوب أنه لم يُعَاجِلنا بالعقوبةِ مع ما تُقدمه أيدينا من الذنوب!! بل سبحانه يَسترُ على ما يقع منا من العيوب! ويعافينا ويمهلنا لعلنا

(١) رياض الصالحين (ص٣).

نرجع فنستغفر ونتوب!!.

مع أنه ﷻ على ذلك قدير، ولو أخذنا بمعاصينا !!وما كان منا من تقصير! كان عدلًا منه سبحانه ولم يظلمنا؛ لأنه جاءنا منها التحذير! وعلى خطرها وأضرارها تذكير !!.

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم»[(١)].

فعلى من كان من هذا الصنف من المسلمين أن يُبادر بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى أرحم الراحمين، وليحافظ على دينه الذي هو عصمة أمره وسبب نجاته، وليحذر أشد الحذر من الاستمرار والاسترسال في ترك ما أمره به الكبير المتعال مع فعله للمحرمات والأمن من مكر رب الأرض والسماوات، فإن العذاب قد يأتيه ويحل به الضرر! والموت قد يُفاجئه وهو لا يشعر! فلا يجد بعد ذلك إلا الحسرة والألم ولا ينفعه ندم!!.

يقول عبد الحق الإشبيلي ﷺ: «واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ويثب عليه قبل الإنابة ويأخذه قبل إصلاح الطوية، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٩٠).

(٢) العاقبة في ذكر الموت (ص١٨٠).

وهناك من المسلمين والمسلمات -ولله الحمد- من وفقه رب البريات ويسَّرَ له عمل الفرائض وفعل الواجبات، ونراه باذلَ الجهد في ترك المحرمات والابتعاد عن المنكرات، إلا أن عنده تفريط في الإتيان بالرواتب والمستحبات! وقد يُكثر من فعل المكروهات!.

ومن كان من هذا الصنف -أيها الأحباب- عليه أن يُكثر من شكر العزيز الوهاب، ويجتهد في حفظ ما وفق إليه من صواب، وليحذر أشد الحذر من تضييع النوافل لأنها سياج الفرائض وحصنها المنيع، وفي إهمالها مدخل للشيطان للتفريط فيما أوجب عليه الرحمٰن.

فلإبليس اللعين خطوات! حيث يبدأ أولًا بالتزهيد في العمل بالسنن والخيرات! حتىٰ إذا تمكن من العبد!! شغله وصرفه بعد ذلك عن فعل الفرائض والواجبات، ولقد حذرنا من ذلك رب الأرض السماوات، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة: ١٦٨] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «العدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم»[(١)].

فعلينا أن نحرص علىٰ فعل السنن والمستحبات كما نحرص علىٰ الإتيان بالفرائض والواجبات كما كان هدي من سبقنا من الصالحين أهل الخيرات.

فعن النعمان بن سالم رحمه الله عن عمر بن أوس رحمه الله، قال: حدثني عنبسة بن أبي

(١) تفسير السعدي (ص٩٤).

سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتسار إليه، قال: سمعت أم حبيبة ﵂ تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِي لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**».

قالت أم المؤمنين أم حبيبه ﵂: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وقال عنبسة: فما تَركتُهنَّ منذ سمعتهنَّ من أم حبيبة ﵂.

وقال عمرو بن أوس: ما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من عنبسة.

وقال النعمان بن سالم: ما تَركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من عمرو بن أوس»[(١)].

وقد جاء بيان أوقات هذه الصلوات، فعن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ**»[(٢)].

وهذا عبد الله بن عمر ﵄ كان يصلي على الجنازة ثم ينصرف ولا يتبعها ظانًّا أن هذا هو كمال السنة، ولم يعلم بما جاء في الفضل الوارد في إتباعها حتى تدفن، فلما بلغه حديث أبي هريرة ﵁ ندم على ما فوت من حسنات وأجور مضاعفات.

فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، أنه كان قاعدًا عند عبد الله بن عمر ﵄ إذ طلع خَبَّابٌ صَاحِبُ الْمَقْصُورَةِ، فقال: يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو

---

(١) رواه مسلم (١٧٢٧).

(٢) رواه الترمذي (٤١٧)، وصححه الشيخ الألباني ﵀.

هريرة؟! إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَرَجَ مَعَ جِنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ**»؟ فأرسل ابن عمر خبابًا إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها بيده حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصى التي كانت في يده الأرض، ثم قال: (**لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ**)[(١)].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وفيه ما كان الصحابة عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم ، والتأسف على ما يفوتهم منها وإن كانوا لَا يَعْلَمُونَ عِظَم مَوْقِعه»[(٢)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولما بلغ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هذا الحديث قال: **(لقد فرطنا في قراريط كثيرة)**، ثم صار بعد ذلك لا يرى جنازة إلا تبعها رضي الله عنه؛ لأن هذه غنيمة؛ غنيمة أن يحصل الإنسان مثل الجبلين العظيمين في عمل يسير، هذا الأجر متى يلقاه ؟ يلقاه في يوم هو أحوج ما يكون إليه ؛ في يوم ليس عنده درهم ولا دينار ولا متاع ولا قرابة ولا زوجة تنفعه يوم القيامة إلا العمل الصالح، فهو إذا تبع الجنازة حتى يصلى عليها، ثم حتى تدفن، فله قيراطان مثل الجبلين العظيمين أصغرهما مثل أحد»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٢٢٤) ومسلم (٢٢٣٨) واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٣/ ٣٦٣).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٩٨).

ويقول الإمام عبد الرحمٰن بن مهدي رحمه الله: «سمعت سفيان الثوري يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة»[(١)].

فعلينا أن نقتدي بهؤلاء الأصفياء ولنحرص ولا نتهاون، ولا نُفرط في سنة خير الأنبياء، فلنعمل بها ولنحييها بين الأحباب والأصحاب فإن هذا هو هدي الأتقياء وسبيل الأوفياء.

وينبغي أن نعلم أن فعل العبد للواجبات وإتيانه بالمستحبات لهو دليل على حرصه على اتباع سنة خير البريات، وهو من ثمرات محبته لرسول رب الأرض والسماوات .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا وأطعته أمرًا، وأجبته دعوة، وآثرته طوعًا، وفَنَيْتَ عن حكم غيره بحكمه، وعن محبةِ غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تَتَعَنَّ وارجع من حيث شئت، فالتمس نورًا فلست على شيء»[(٢)].

فالبَدار البَدار -أيها الإخوة والأخوات- لاغتنام ما بقي من أعمارنا من أيام وساعات واستثمارها في الخيرات، قبل أن لا ينفعنا الندم وتجزي عنا الحسرات.

ولنحرص وفقكم رب البريات على فعل الطاعات من الواجبات والمستحبات، ولنحذر من التسويف في التوبة والإكثار من عمل المحرمات والوقوع في الزلات

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٤٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٧).

واستصغار المنكرات والانشغال بالملذات والشهوات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله»[1].

فالله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم وكل المسلمين من الصالحين السابقين الحريصين على كل ما ينفعنا في الدارين، ويُجنبنا كل ما يضرنا في دنيانا ويوم الدين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الجواب الكافي (ص٣٨).

تَمَهَّلْ قَلِيلًا!! يَا مَنْ تُغَرِّدُ!!

تَمَهّلْ قَلِيلًا!! يَا مَنْ تُغَرِّدُ!!

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد تعددت اليوم -أيها الأحبة الكرام- طرق التواصل بين الناس، فلم تصبح قاصرة على الجوالات فقط كما كانت من قبل! بل تعدت إلى وسائل أخرى أكثر تطورًا منه، ومن ذلك ما يسمى بـ «**التويتر**» ، حيث انتشرت هذه الوسيلة انتشارًا واسعًا، وتزايد عدد مستخدميها بشكل كبير خاصة في السنوات الأخيرة.

إن استعمال هذه الوسيلة اليوم بين المسلمين لم يصبح قاصرًا على فئة معينة من الناس! ولا على عمر محدد! بل تنوع مريدوها، فأصبحت مستعملة من أهل الصلاح وأهل الفساد ! ومن الأغنياء، والكثير من الفقراء! ومن الصغار وكذلك الكبار! بل إن أكثر من يستعملها اليوم هم من الشباب ذكورًا كانوا أو إناثًا!!.

أيها الأفاضل، إن الكثير من أعداء الدين من الكفار والمنافقين والمفسدين قد اتخذوا من هذه الوسيلة سبيلًا لنشر أفكارهم الهدامة! ومخططاتهم الخبيثة!

من أجل محاربة الإسلام وإفساد المسلمين، فكانت لهم طريقًا لنشر كل رذيلة! ومحاربة كل فضيلة! أخزاهم الله ورد كيدهم.

و أيضًا جعلها بعض أهل البدع المارقين منبرًا يبثون من خلالها ضلالاتهم الباطلة! وأهواءهم المنحرفة! فأفسدوا على بعض المسلمين دينهم القويم، وأبعدوهم عن الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

أيها الكرام، إننا لا ننكر النفع الذي في هذه الوسيلة الحديثة! وأن هناك من استغلها -جزاه الله خيرًا- فيما يعود عليه وعلى غيره -بإذن الله ﷻ- بالخير في الأمور الدنيوية والأخروية، وأنها كانت في بعض الأحيان سببًا في إرشاد بعض الناس إلى ما ينفعهم ويُبصرهم بالحق، ولله الحمد.

لكن مما يحزن -أيها الأحبة- ما نراه ونسمع به من التساهل! والتوسع الزائد! الذي أصبح عند بعض من يريد استغلال هذه الوسيلة فيما ينفع المسلمين.

ومن ذلك أنها أصبحت تُقضى فيها الكثير من الأوقات! وتُصرف فيها العديد من الساعات!! حتى على حساب قراءة القرآن! وذكر رب البريات! بل إن بعضهم قد فرَّط بسببها في حضور مجالس العلم وشهود موائد العلماء، بل كانت سببًا حتى في التفريط في بعض الواجبات!.

فيا من وفقك الله ﷻ، واستغللت هذه الوسيلة في النصح والإرشاد وما يعود بالنفع على العباد، احذر أشد الحذر من كثرة التوسع فيها! فإنها قد تجرك إلى تفريط في ما هو أهم! بل قد تؤدي بك إلى الوقوع فيما لا يحبه الباري سبحانه

ولا يرضاه، وهذا كله من خطوات إبليس اللعين الذي يريد أن يبعدك عن رب العالمين.

ومن ذلك عدم اكتراث البعض في وضع بعض الصور والمقاطع المرئية! مع ما فيها من مخالفات شرعية! فبدل أن تكون سببًا في الهداية! تصبح معينًا على الانحراف والغواية!!

وكذلك ما يكون من البعض من التساهل في مخاطبة النساء، وكذلك حتى من بعض النساء في التواصل مع الرجال! حتى وإن كان ذلك في سبيل الدعوة! ونشر العلم! وقد تُستعمل بينهم أحيانًا بعض الرموز التعبيرية!! كوضع القلوب! أو ما يُوحِي بالابتسامة! فالحذر الحذر، فإن الرموز مؤثرة ومعبرة عن الألفاظ!.

فينبغي تجنب هذا كله؛ لأنه من اتباع خطوات الشيطان التي نهانا عن سلوكها الرب ﷻ الرحمٰن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن مَكايده أنَّه يسحرُ العقلَ دائمًا حتى يَكِيدَه ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة! وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين! وكم روج من

الزغل على العارفين!»[١].

يا من تغرد! تمهل قليلا!!!

واسأل نفسك!! لماذا أغرد؟!.

هل من أجل أن يستفيد الناس! فأكون بعون الله ﷻ سببًا في توجيههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة؟!

أو من أجل البحث عن الشهرة! وثناء الناس؟!.

اعلم -سدَّدَكَ الله-أن هذا الهدف الأخير يقدح في الإخلاص! وينافي الصدق مع الباري ﷻ.

يقول إبراهيم بن أدهم رحمه الله: «ما صدَقَ الله عبدٌ أحبَّ الشهرة»[٢].

احذر-وفقك الله-من أن تغتر بكثرة من يتابعك! ويستقصي أخبارك!.

يقول الإمام الذهبي رحمه الله: «لا أفلح واللهِ من زكَّى نفسه أو أعجبته»[٣].

و لا تحزن -ثبَّتك الله-من قلة من يتابعك! فإن الحق لا يعرف بالكثرة!

يقول الإمام الفُضيل بن عياض رحمه الله: «اتبع طرق الهدى ولا يضرُّك قلةَ السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغْتَرَّ بكثرة الهالكين»[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٠).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣).

ويقول الإمام ابن القيمرحمه الله: «وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا، والناس على خلافهم، فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا»[١] .

اجعل غايتك إرشاد الناس إلى ما يحتاجونه! لا إلى ما يطلبونه!!.

ومن أهم ما يحتاجه الناس دعوتهم إلى توحيد رب العالمين، وإلى التمسك بسنة خير المرسلين، وتحذيرهم من البدع وأهلها وكل المنحرفين، لكن ينبغي أن يكون ذلك بالحكمة، وبأسلوب حكيم.

رغِّب المسلمين في التفقه في الدين، وحُثَّهم على الرجوع إلى العلماء الربانيين؛ لأن في ذلك النجاح والفلاح في الدارين بإذن أرحم الراحمين.

ابتعد - زادك الله حرصًا- عن فضول الكلام! فما الذي يستفيده الناس من قولك في تغريدتك: أكلت كذا ! وذهبت إلى كذا! واشتريت كذا!! غير أن تشغل نفسك وغيرك عن الأهم!.

تَذكَّر قبل أن تُغرد: أن كل ما تكتبه ستسأل عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم! فاحذر من أن تكتب شيئًا يعود وقوفك بين يدي ربِّ البريات بالندم والحسرات!

يقول الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «ومن أيقن أنه مسئول عما ألَّف وعمَّا كتب لم يعمل

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧).

الشيء وضده، ولم يستفرغ مجهوده في تثبيت الباطل عنده»[(١)].

ويقول الشاعر رحمه الله:

وما مِنْ كاتِبٍ إلا استبْقَى كتابتَه وإنْ فنيَتْ يداهُ
فلا تكتُبْ بخطّكِ غيْرَ شيءٍ يسرُّك في القيامَة أنْ تراهُ[(٢)]

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يشغلنا وإياكم في طاعته، وأن يجنبنا الأهواء وكل أنواع الشرور، ومن ذلك العجب والرياء والشهرة وحب الظهور!، فإنه سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٥٩).

(٢) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٣١).

لِمَاذَا يَنْتَكِسُ الْبَعْضُ بَعْدَ الْاسْتِقَامَةِ؟!

لِمَاذَا يَنْتَكِسُ الْبَعْضُ بَعْدَ الْاسْتِقَامَةِ؟!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الله ﷻ العلَّام قد منَّ على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى -أيها الكرام- وإن من أهمها: ما تفضل به على بعض الأنام بأن هداهم للإسلام، وجعلهم من أتباع سيد الأنام -عليه أفضل الصلاة والسلام-، يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن...»[(١)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣).

نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالىٰ أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلىٰ...»[١].

وإن من هؤلاء العباد -أيها الأفاضل- من زادهم الله تعالىٰ من فضله وأنعم عليهم بجوده وكرمه ووفقهم لأمرٍ هو أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة؛ ألا هو «**الاستقامة علىٰ دينه**»، فجعلهم سبحانه ممن امتثلوا ما به أمر، واجتنبوا ما نهىٰ عنه ﷻ وزجر، وجعل قلوبهم متعلقة في الحياة الباقية، وزهدهم في هذه الدنيا الفانية!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «أعظم الكرامة لزوم الاستقامة»[٢].

ويقول الإمام ابن القيم ﷺ: «فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله علىٰ حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلىٰ أمر الله»[٣].

وهذا -أيها الأحبة- دليل علىٰ محبة الباري سبحانه لهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يحبُّ، ولا يُعطي الإيمان إلا من أحبَّ**»[٤].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٣).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٠٥).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٠٥).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٨)،وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٢٧١٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس كل من أعطي مالًا أو دنيا أو رئاسة كان ذلك نافعًا له عند الله، منجيًا له من عذابه، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»(١).

أيها الأفاضل الكرام، إن مما ينبغي أن نعلمه أن بالشكر والإيمان تدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحل وتزداد النقم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧].

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»(٢).

أيها الأحبة والإخوان، إن نعمة الاستقامة والتمسك بدين الرحمٰن ينبغي على كل من وُفق إليها وذاق طعمها أن يشكر عليها المنان بالقلب واللسان والأركان.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعةً، والشكر مبني على خمس قواعد:

١. خضوع الشاكر للمشكور.

٢. وحبه له.

٣. واعترافه بنعمته.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٤٧).

(٢) أضواء البيان (٩/ ١١٢).

٤. وثناؤه عليه بها.

٥. وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»[(١)].

ويقول الشيخ السعدي ﷺ: «الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا كما تقدم وبذلك يتم التوحيد ، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء .

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله ، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره كما هو جار على ألسنة كثير من الناس ،فهذا يجب على العبد أن يتوب منه ، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها وأن يجاهد نفسه على ذلك ،ولا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا ، فإنّ الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره والتحدث بها والثناء على الله بها والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أعلم»[(٢)].

إن بسبب ضياع هذا الأصل العظيم عند بعض من ذاق طعم الاستقامة! نتج عن ذلك ما يُحزن قلب كل مؤمن محب للخير مبغض للشر ألا وهو وقوعهم في

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤).

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص٣٦).

الانتكاسة بعد أن كانوا في طريق الهداية والاستقامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المستقيم على دين الله ﷻ، اعلم -سددك الله- أنه ليس لك غنى عن ربك ﷻ مهما علت مكانتك وارتفعت منزلتك، فقد قال خالقك ﷻ لنبيك ﷺ الذي هو أفضل الخلق وسيد البشر: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٤].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «النبي ﷺ وهو أكمل الخلق، قال الله له: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ فكيف بغيره؟!»[(١)].

فقلبك -أيها المستقيم، ثبتك الله- وقلوب العباد أجمعين هي بيد رب العالمين، فاحذر من اغترارك بنفسك والعجب بعملك، وعليك أن تسأل دائمًا أرحم الراحمين أن يثبتك على الاستقامة في الدين كما كان يفعل أفضل الأنبياء وخير المرسلين، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يُكْثِرُ أن يقول: «**يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ**»، فقلت: «يا رسول الله، آمَنَّا بك وبما جئت به فهل تَخَافُ علينا؟!» قال: «**نعم إِنَّ الْقُلُوبَ بين إصبعين من أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[(٢)].

يقول المناوي رحمه الله: «قال الحليمي رحمه الله: هذا تعليم منه لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين من سلب التوفيق غير آمنين من تضييع الطاعات، وتتبع الشهوات»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٤٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) فيض القدير (٥/ ١٣٩).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن العبد إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب، وأنه يحول بين المرء وقلبه، وأنه تعالى كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويَخفض من يشاء، فما يؤمنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه، ويزيغه بعد إقامته، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨]، فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لا يزيغ قلوبهم»[(١)].

أيها المستقيم، إن مع سؤالك للباري عز وجل واللجوء إليه، عليك أن تبذل الأسباب التي تعينك على المحافظة على هذه النعمة العظيمة، وذلك بإخلاص العبادات لرب البريات، والإتيان بالطاعات والحرص على فعل الواجبات والإكثار من النوافل والمستحبات، والمسارعة إلى أنواع البر والخيرات.

واعلم- زادك الله حرصًا-أن من أهم الوسائل التي تعينك على الثبات حتى الممات -بإذن رب الأرض والسماوات- أن تحرص على طلب العلم الشرعي على يد العلماء الربانيين وطلبة العلم المجتهدين، فإن العلم الشرعي من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه سبحانه، ومن أهم الوسائل المعينة على تقوية الإيمان بالله عز وجل الرحمٰن.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «وبحسب معرفته- أي العبد-بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى

(١) طريق الهجرتين (ص ٤٣١).

ذلك:تدبر صفاته وأسمائه من القرآن»[١] .

وعليك –وفقك الله– أن تحرص على الرفقة الصالحة التي تعينك على طاعة ربك ﷻ، وإياك من مجالسة أصحاب السوء، فالصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وفساده، فمعاشرة الأخيار تورث الفلاح والنجاح، ومصاحبة الأشرار تورث الحرمان والخسران، وقد قال نبيك ﷺ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[٢] وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[٣].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «فيه تمثيله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجْرُه وبِطَالَتُه ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»[٤].

وعليك–حفظك الله–أن تجتنب المحرمات وتبتعد عن الشبهات والمنكرات سواء كانت في الجلوات أو الخلوات، فالذنوب مهما كان حجمهما فهي تؤدي إلى الانتكاسات! ولذتها مهما حصلت تبقى للحظات!! ثم يَعقبها الندم والحسرات.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٤)

(٢) يُعطيك. الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٧٨).

(٣) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨)من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٧٨).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، مثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الداعية منك إليها، ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها وألمها»(١).

وإياك أن تحتقر شيئا من المعاصي والمحرمات فإنه ذلك من المهلكات!

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حتى انضجوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بها صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»(٢).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله»(٣).

وإن راودتك نفسك على الذنب بعد أن هجرته! فضعفت! وارتكبته من جديد! فراجع نفسك! وابحث عن الأسباب! فلعله بقي عندك بعض الشوائب! التي جعلتك تعصي العزيز الوهاب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنَّ العبد إنما يعودُ إلى الذَّنب؛ لبقايا في نفسه، فمَن خَرَّجَ مِن قلبه الشبهة والشهوة؛ لم يعد إلى الذنب»(٤).

---

(١) الفوائد (ص ١٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣١) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٨٩).

(٣) الجواب الكافي (ص ٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٨).

فجاهد نفسك-وفقك الله- وتَخَلّصْ من هذه الشوائب قبل أن تزداد؛ فتجرك إلى ما ستندم عليه يوم المَعَادِ! يوم الوقوف بين يدي رب العباد.

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه»[(١)].

فلا تيأس من رحمة العزيز الغفار، ولا تملَّ من التوبة والاستغفار، وإن أكثرت من معصية العلي الجبار، ما دامت نفسك بين جنبيك! وأبواب التوبة -ولله الحمد مفتوحة- ولتحذر أشد الحذر من تلبيس وتيئيس إبليس، فإنه يسعى جاهدًا ليُقنط العباد من رحمة رب الأشهاد.

قيل للإمام الحسن البصري ﷺ: «ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود؟!

فقال ﷺ: «ودَّ الشيطانُ لو ظفر منكم بهذا! فلا تملوا من الاستغفار»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يهدي كل المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يصرف عنهم كيد الفجار ومكر الأشرار، وأن يثبت أهل الاستقامة على دينهم ويجعلهم لغيرهم هداة مهتدين، فهو سبحانه ولي ذلك ورب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) عدة الصابرين (ص ٥٠).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٦٥).

أَيْنَ نَحْنُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ؟!!

أَيْنَ نَحْنُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ؟!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ من أهمَّ الصلوات المستحبات التي يُتقرب بها إلى رب البريات بعد الواجبات -أيها الإخوة والأخوات- هي صلاة الليل، التي هي من أجل القربات ومن أفضل الطاعات كما أخبر بذلك رسول رب الأرض والسماوات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ**»(١).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم»[(١)].

لذا كانت هذه الصلاة -أيها الأحبة الكرام- دأب الأنبياء والمرسلين وطريق العبَّاد والصالحين للقرب من رب العالمين.

فعن أبي أمامة الباهليرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وهو قُرْبَةٌ إلى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ**»[(٢)].

يقول المناوي رحمه الله: «معناه أن قيام الليل قربة تقربكم إلى ربكم، وخصلة تكفر سيئاتكم وتنهاكم عن المحرمات»[(٣)].

وسَيُجازي الرحيم العلَّام من فضله هؤلاء الكرام وسيدخلهم برحمته إلى الجنان على ما كان منهم من قيام، وسهر في ذكره واستغفاره والناس نيام.

قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل، بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٨/ ٥٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٤)وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٤٤).

مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[١].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي:ترتفع جنوبهم وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو: الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى، ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي:جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه»[٢].

أيها الأفاضل الكرام، إن الكثير منا وللأسف! حتى من طلاب العلم -إلا من رحمه الله- مفرطٌ في هذه العبادة العظمية! مقصر في الإتيان بها! رغم علمه بفضلها ومكانتها بين العبادات!!.

فإلى متى نَظل نُقصر في اغتنام ما بقي من أعمارنا من أيام وساعات؟!ولا نستثمر ما بقي من أوقاتنا في فعل الخيرات؟!.

إلى متى لا نقف مع أنفسنا! ولو لبعض لحظات! ونحاسبها على ما يكون منها من تقصير وزلات؟!.

لماذا لا نبحث بصدق عن الأسباب التي منعتنا من صلاة الليل والوقوف بين يدي رب البريات في أشرف الأوقات؟!

---

(١) حادي الأرواح (ص١٩١).

(٢) تفسير السعدي (ص ٦٥٥).

هل صدقنا مع أنفسنا حقا في الرغبة في القيام بين يدي الباري ﷻ في الليل والناس نيام؟!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به هو العليم الحكيم»(١).

فوالله -أيها الكرام- لو صدقنا مع أرحم الراحمين حق الصدق لوفقنا لعمل ما نريد من الطاعات؛ لأنه سبحانه لن يضيع عباده المؤمنين الصادقين، يقول تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[محمد:٢١].

ولكتب لنا ربنا ﷻ بجوده وكرمه أجر القيام وإن لم نتمكن من ذلك بسبب غلبة النوم!.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أتى فِرَاشَهُ وهو يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي من اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حتى أَصْبَحَ، كُتِبَ له ما نَوَى، وكان نَوْمُهُ صَدَقَةً عليه من رَبِّهِ** ﷻ»(٢).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ليس للعبد شيء أنفع من صدقه مع ربه في جميع

---

(١) الفوائد (ص ٩٧).

(٢) رواه النسائي (١٧٨٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

أموره...، ومن صَدَقَ الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره»[١].

إن ما نرتكبه -أيها الأحبة- من محرمات! وما نتجرأ عليه من منكرات! لمن أهم الأسباب التي حرمتنا من القيام بالليل بين يدي رب الأرض والسماوات.

فقد قال رجل للإمام الحسن البصري ﷺ: يا أبا سعيد إني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأتخذ طهوري فما بالي لا أقوم؟

فقال له ﷺ: «ذنوبك قيدتك يا ابن أخي»[٢].

ويقول الفضيل بن عياض ﷺ: «إذا لم تقدر على قيام الليل! وصيام النهار!، فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك»[٣].

نعم، صَدَقَا ﷺ لقد قيدتنا ذنوبنا! وحرمنا بسببها من التوفيق! كيف لا ؟! وقد منعت من هم أفضل منا علمًا وعملًا.

يقول الإمام سفيان الثوري ﷺ: «حُرمت قيام الليل بذنب أحدثته خمسة أشهر»[٤].

لقد أطعنا أنفسنا وتركناها تقودنا إلى ما تهواه من اتباع الشهوات والسعي وراء الملذات حتى ثبطتنا عن فعل الطاعات والتزود من الخيرات.

---

(١) الفوائد (ص١٨٦).

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٧٥).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٨/ ٩٦).

(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٧).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «تأمر صاحبها- أي النفس-بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها -أي صاحبها- قادته إلى كل قبيح وكل مكروه»[(١)].

ولأننا تركنا أنفسنا تلهث وراء الشهوات! وتسعى خلف الملذات! دون أن نحاسبها عما تقع فيه من الزلات؛ فسدت قلوبنا! وجفت دموعنا! وابتعدنا عن خالقنا ﷻ.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومتى أُقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى، فاعلم أن قحطها من قسوة القلب، وأبعد القلوب من الله: القلب القاسي»[(٢)].

وإن من الأسباب التي تعيننا على الصلاة بالليل، -أيها الأفاضل- أن نحرص على إعطاء أبداننا حظها في النهار، ومن ذلك أن نقيل في الظهيرة، لأن القيلولة تُعين على تقوية البدن وتساعد على قيام الليل؛ ولذا جاء الشرع باستحبابها، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**»[(٣)].

يقول المناوي رحمه الله: «وعمل السلف والخلف على أن القيلولة مطلوبة لإعانتها على قيام الليل، قال حجة الإسلام: وإنما تطلب القيلولة لمن يقوم الليل ويسهر في الخير فإن فيها معونة على التهجد كما أن في السحور معونة على صيام النهار

---

(١) إغاثة اللهفان (ص٧٧).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٧٤٣).

(٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان (٥/ ١٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٦٤٧).

فالقيلولة من غير قيام الليل كالسحور من غير صيام النهار»[١].

وقد مر الإمام الحسن البصري ﷺ بقوم في السوق فرأى منهم مارًّا فقال: أما يقيل هؤلاء ؟ قالوا: لا، قال: «إني لأرى ليلهم ليل سوء»[٢].

وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ﷺ: «القائلة من عمل أهل الخير، وهي مُجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل»[٣].

وإن من الأسباب المعينة كذلك على القيام -أيها الكرام- اجتناب السهر فيما لا فائدة فيه!

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا سَمَرَ إلا لِمُصَلٍّ أو مُسَافِرٍ**»[٤].

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «السمر -أي السهر- بعدها -أي صلاة العشاء- ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره»[٥].

وكذلك -أيها الأحبة- علينا أن نحافظ على هدي نبينا ﷺ في نومه وذلك بالإتيان بالأذكار المشروعة الثابتة عنه ﷺ، وأيضا أن نحرص على أن ننام على

---

(١) فيض القدير (٤/ ٥٣١).

(٢) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ١١٩).

(٣) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ١١٩).

(٤)) رواه الترمذي (٢٧٣٠)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٥) إعلام الموقعين (٣/ ١٤٨).

شقنا الأيمن كما كان يفعل ﷺ.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر، فإذا نام الرجل على الجنب الأيسر استثقل نومًا، لأنه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه منه، فإذا نام على شقه الأيمن، فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله إليه، ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل، فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن!، والله أعلم»[(١)].

فالبدار البدار -أيها الإخوة والأخوات- لاغتنام ما بقي من أعمارنا من أيام وساعات واستثمارها في الخيرات، قبل أن لا ينفعنا الندم ولا تجزي عنا الحسرات، ولنبادر بالتوبة والرجوع قبل فوات الأوان إلى العزيز الرحمٰن.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «كلامك مكتوب وقولك محسوب وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب»[(٢)].

ولنحرص أشد الحرص على فعل الطاعات من الواجبات والمستحبات، ولنجتنب التسويف في التوبة والإكثار من عمل المحرمات! والانشغال بالملذات!

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٢٢).

(٢) التبصرة (٢/ ٢٧٢).

والشهوات! ولنحذر أشد الحذر من استصغار المنكرات!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إنَّ العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله»[(١)].

ولنبذل -أيها الأحباب- ما شُرع لنا من أسباب ولنتيقن تمامًا أنَّ العزيزَ الوهابَ لن يخذلنا أبدًا! بل سيوفقنا بجوده وكرمه إلى كل خير وصواب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «علَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لفعل الطاعات والتزود من الخيرات ومن ذلك أن يعيننا على صلاة القيام، وأن يجنبنا ارتكاب المحرمات وفعل المنكرات وكل أنواع الآثام، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز العلَّام.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٨).

(٢) الفوائد (ص ٥٩).

تَنْبِيهَاتٌ لِمَا فِي الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ آفَاتٍ!!!

تَنْبِيهَاتٌ لِمَا فِي الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ آفَاتٍ!!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ من كمال الشريعة وسماحتها -أيها الأحبة الكرام- أنها أمرت العبد بالاعتناء بجسده، وإعطاءه ما يحتاج إليه، ليتقوى على عبادة الله ربه سبحانه، فقد قال نبينا ﷺ: «**ولِنَفسِك عَلَيْكَ حَقًّا**...»[(١)].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «**(لنفسك عليك حقا)**أي: تعطيها ما تحتاج إليه ضرورة البشرية مما أباحه الله للإنسان من الأكل والشرب والراحة التي يقوم بها بدنه، ليكون أعون على عبادة ربه»[(٢)].

أيها الأحبة الكرام، إنه لا يُذم من اعتنى بظاهره وبذل الأسباب في تقوية بدنه! وإنما يُعاب من جعل ذلك غايته وأكبر همه! حتى أصبح يهتم بالأكل والشرب

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٧)من حديث أبي جحيفة -وهب بن عبد الله السوائي- رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري (٣ / ٣٨).

والنوم! واشتغل بسبب ذلك عن الغاية الحميدة التي خلقه الله ﷻ من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فأخبر أنه لم يخلق الجن والإنس لحاجة منه إليهم، ولا ليربح عليهم، لكن خلقهم جودا وإحسانا ليعبدوه فيربحوا هم عليه كل الأرباح»(١).

إن من الآفات التي نعاني منها اليوم! ما نراه ونسمعه من مجاوزة بعض المسلمين! الاعتدال في المأكل والمشرب! مع أن هذا الفعل -أيها الكرام- ليس من سمات أهل الطاعة والإيمان! وإنما هو من صفات أهل الكفر والطغيان!

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(٢).

يقول القاضي عياض رحمه الله: «أراد به أن المؤمن يقل حرصه وشرهه على الطعام، ويبارك له في مأكله ومشربه، فيشبع من قليل، والكافر يكون كثير الحرص شديد الشره، لا مطمح لبصره إلا إلى المطاعم والمشارب كالأنعام»(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قيل المراد حض المؤمن على قلة الأكل إذا علم أن كثرة الأكل صفة الكافر، فإن نفس المؤمن تَنفر من الاتصاف بصفة

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٢٢).

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٨) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٠).

(٣) مرقاة المفاتيح للملا علي قاري (٨ / ٩٢).

الكافر، ويدل على أن كثرة الأكل من صفة الكفار»[١].

أيها الأحبة الأفاضل، إن في المبالغة في الأكل والشرب تبعات سيئة! وعواقب وخيمة! تعود على قلب العبد وبدنه!!.

ومن ذلك فساد القلب وقسوته!!!.

يقول الإمام سفيان الثوري ﷺ: «إياكم والبِطْنَةُ[٢] فإنها تُقسي القلب»[٣].

ويقول الإمام الفضيل بن عياض ﷺ: «خصلتان تُقسيان القلب كثرة النوم، وكثرة الأكل»[٤].

ويقول الإمام ابن رجب ﷺ: «قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك»[٥].

وكذلك أيضًا الإكثار من النوم!!.

يقول عثمان بن زائدة ﷺ: (كتب إلي سفيان الثوري ﷺ: «إن أردت أن يصحَّ جسمك، ويقلَّ نَومك؛ فاقلل من الأكل»)[٦].

ومن ذلك ذهاب الخشوع في الصلوات! والكسل عند أداء العبادات!! وغير

---

(١) فتح الباري (٩/ ٥٣٩).
(٢) امتلاء البطن من الطعام . لسان العرب (١٣/ ٥٢).
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٧/ ٧٨).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٤٢).
(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٦).
(٦) حلية الأولياء (٧/ ٧).

ذلك من الآفات!.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «الشَّبع يُوجب تَرَهُّل البدن وتكاسله، وكثرة النوم وبلادة الذهن، وذلك بتكثير البخار في الرأس حتى يغطي موضع الفكر والذكر، والبطنة تذهب الفطنة وتجلب أمراضا عسرة، ومقام العدل أن لا يأكل حتى تصد الشهوة وأن يرفع يده وهو يشتهي الطعام، ونهاية المقام الحسن قوله عليه الصلاة والسلام: (**ثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ**)، والأكل على مقام العدل يصح البدن، ويبعد المرض، ويقلل النوم، ويخفف المؤنة»[(١)].

فينبغي أن نعلم أيضًا -أيها الكرام- أن المعدة هي بيت الداء!والتقليل من الطعام هو رأس الدواء؛ لذا قال رسولنا ﷺ: «**ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ، بِحَسْبِ بن آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[(٢)].

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «يا بن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلث بطنك، ودع الثلث للتفكر والتنفس»[(٣)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠)من حديث المقدام بن مَعْدِ يكرب رضي الله عنه،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) البخلاء للجاحظ (٢/ ٢١).

حامل الحمل الثقيل»[(١)].

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها وقد روى أن ابن أبي ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيادلة، وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التُّخم»[(٢)].

فهذه -أيها الأحبة- بعض الأمراض والآفات التي يصاب بها من يُكثر من الأكل والشراب!!، فعلينا أن تجتنب المبالغة في الطعام! وهذا لا يعني أننا نُفرط فيه مطلقا! وإنما ينبغي علينا أن نأخذ منه بقدر الحاجة!ولننوي الاستعانة به على عبادة الله ﷻ.

يقول الحليمي رحمه الله: «وكل طعام حلال فلا ينبغي لأحد أن يأكل منه ما يثقل بدنه، فيحوجه إلى النوم، ويمنعه من العبادة، وليأكل بقدر ما يسكن جوعه، وليكن غرضه من الأكل أن يشتغل بالعبادة ويقوى عليها»[(٣)].

ولنحذر أشد الحذر من الإسراف والتبذير! فإن في ذلك معصية للرحمٰن وطاعة للشيطان! وقد حذر من ذلك المنان، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء:٢٧].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة،

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٥).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٢٢).

فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير، والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويَمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمٰن الأبرار: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[الفرقان:٦٧]» (١).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهْليهم فيقصرون، فلا يكفونهم بل عدلا خيارا وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾» (٢).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يُوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه من الطاعات، وأن يُجنبنا جميع ما يُبغضه من المنكرات، وكذلك كل ما يكون سببا للمحرمات، فإنه سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسماوات.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٢٦).

وُجُوبُ التَّثَبُّتِ وَالثَّبَاتِ

عِنْد انْتِشَارِ الشَّائِعَاتِ!!!

وُجُوبُ التَّثَبُّتِ وَالثَّبَاتِ عِنْد انْتِشَارِ الشَّائِعَاتِ!!

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما ابتليت به الدول الإسلامية اليوم -أيها الأحبة الكرام- أن الأخبار والشائعات أصبحت تُنقل على ألْسُنِ البعض! من غير تثبت ولا رويَّة! خاصة مع تنوع وسائل الاتصال والإعلام السمعية والبصرية التي أصبحت لذلك مطية!!.

فما أكثر ما يُنشر على بعض القنوات الفضائية! والجرائد اليومية! والمجلات الأسبوعية! والشهرية !والشبكات! ومواقع التواصل الاجتماعية! مما لا أصل لها! وإنما هو كذب قد يراد به إحداث الفتن والاضطرابات في المجتمعات الإسلامية!!.

إن هذه الشائعات -أيها الأفاضل- التي لا يُعرف صحيحها من سقيمها! لم يصبح نشرها-وللأسف- قاصرًا على الكبار! بل تعدى ذلك حتى إلى الصغار!

والذي يُحزن المؤمن أكثر! عندما يرى أن ممن يساهم في نقلها أيضًا! بعض الأخيار! وليس فقط من أهل الفسق الفجار!!.

أيها الأفاضل، إن مما أمرنا به رب البرية أن لا نتعجل في قبول كل خبر يُنقل! بل لا بد علينا أن نتبين ونتثبت ونتحلى بالرويَّة! خاصة فيما ينقله من هو على غير استقامة! ولا طريقة مرضية! لما قد يترتب على قبول ونقل ما سمعناه منه! من مفاسد عظيمة وأخطار جسيمة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جُعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عُمل به وصُدق، وإن دلت على كذبه، كُذب، ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا»[(١)].

وكذلك -أيها الكرام- ما أمرنا به خير الأنام -عليه أفضل الصلاة والسلام- أن نحذر من نشر كل ما نسمعه بين أهل الإسلام! حتى نتأكد من صحته حتى لا نقع في الآثام!

(١) تفسير السعدي (ص ٧٩٩).

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سمع**»[(١)].

يقول الإمام ابن حبان ﷺ: «في هذا الخبر زجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم على اليقين صحته»[(٢)].

ويقول الحافظ المناوي ﷺ: «أي:إذا لم يتثبت لأنه يسمع عادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع لا محالة يكذب، والكذب الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه، وإن لم يتعمد، لكن التعمد شرط الإثم...»[(٣)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «يعني أن الإنسان إذا صار يُحدث بكل ما سمع من غير تثبت وَتَأَنٍّ، فإنه يكون عرضة للكذب، وهذا هو الواقع ولهذا يجئ إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن!، أو يأتي إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته لم يقل!»[(٤)].

وكذلك قال نبينا ﷺ: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»[(٥)].

يقول الإمام الخطابي ﷺ: «وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء حُكي عن الألسن على سبيل البلاغ، فذمَّ النبي ﷺ من الحديث

---

(١) رواه مسلم (٥).

(٢) المجروحون من المحدثين لابن حبان (١/ ٩).

(٣) فيض القدير (٥/ ٢).

(٤) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٨٥).

(٥) رواه أبو داود (٤٩٧٢) من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك فلا يروونه حتى يكون معزيًا إلى ثبت، ومرويًا عن ثقة»[١].

فيا من تنقل كل ما تسمعه من أخبار! ويا من تنشرها دون تثبت بين الأنام! ألا تعي ما قد يترتب على بعض ما تنشر من مفاسد وآثام! وأنك مع مرور الأيام ستصبح عرضة للطعن والاتهام!.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة، فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل، وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا ؟.

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي»[٢].

ألم يبلغك أن التثبت والبيان فيما يُنْقَل! هو من صفات أهل الإيمان؟!!.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «المؤمن وقاف مُتبين» [٣].

ألا تعلم أنه ينبغي على المسلمين أن يرجعوا إلى العلماء الربانيين وأهل الرأي الناصحين عند حدوث أمور مهمة وانتشار الأخبار والشائعات في الأمة! كما أمر

---

(١) معالم السنن (٧/ ٢٦٧).

(٢) تفسير السعدي (ص١٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٢).

بذلك رب العالمين وأرحم الراحمين، حيث قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٨٣].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «قوله:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة»(١).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا، غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورًا لهم وتحرزًا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه.

ولهذا قال:﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم، وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٠).

أن يولي من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أو لا؟ فيحجم عنه»[(١)].

فعلى كل مسلم أن يعلم أن كل ما يقوله وينشره هو مكتوب عند العزيز الجبار، فليتق الله ﷻ حق تقاته، وليتورع عن نشر الشائعات وما لم يثبت من الأخبار؛ لأن هذا ليس من هدي الأبرار! وإنما هو طريق ودأب الأشرار! وليتأكد من صحة ما يبلغه! من أهل الصدق الأخيار.

وإن ساهم في نشر الأخبار قبل التبين والتثبت من صحتها! فليبادر إلى إصلاح ما أفسد! والتوبة والرجوع إلى العزيز الغفار.

يقول ابن الجوزي ﷺ: «كلامك مكتوب وقولك محسوب وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب»[(٢)]

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ بلاد المسلمين من كل الشرور، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الطاعة والسعادة والسرور، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تفسير السعدي (ص١٩٠).

(٢) التبصرة (٢/ ٢٧٢).

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِحَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ فِي الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِحَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ فِي الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما أخبرنا به نبي الرحمٰن -أيها الأحبة والإخوان- أن المحبة في الله ﷻ هي من أوثق عرى الإيمان، وهي من الطرق الموصلة إلى رضا العزيز المنان، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَوثقُ عُرى الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله**»[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنَّ تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يُحبَّ إلا لله، ولا يُبغضَ إلا لله، ولا يوالى إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يحبَّ ما يحبه الله، ويبغض ما أبغضه...»[(٢)].

فمما يُفرح المؤمن -أيها الكرام- أن يرى هذه المحبة سائدة بين أهل الإسلام! لعلمه بما ينتج عنها من ثمرات إيمانية يحبها رب البرية، ومن فوائد

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٨٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٣٠٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٧).

عظيمة مرضية تعود على أبناء الأمة الإسلامية في هذه الدار الفانية، وفي الحياة الأخروية، ومن ذلك:

١-محبة الله ﷻ للمتحابين فيه:

فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**قال الله ﷻ: وَجَبَتْ محبتي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه، قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لي في هذه الْقَرْيَةِ، قال: هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا(٢)؟، قال: لاَ غير أني أَحْبَبْتُهُ في اللهِ ﷻ، قال: فَإِنِّي رسول اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قد أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فيه**»(٣).

يقول الإمام النووي ﷺ: «في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد»(٤).

٢- ما يُوجد في القلوب من حلاوة الإيمان ولذة عبادة الرحمٰن:

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، من كان الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلا**

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٣٣)، وصححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح الترغيب (٢٥٨١).

(٢) أي: تقوم عليها وتسعى في صلاحها وتصلها . مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٢٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٤) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٤).

لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله منه، كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[١].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام»[٢].

ويقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كمَّلَها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي»[٣].

٣-أن الله عز وجل يُظل المتحابين فيه في ظله يوم لا ظل إلا ظله عز وجل:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال: إني أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما**

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ١٣).

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/ ٤٥).

تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[١].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «(وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه) معناه: اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله، أي: كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما، وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما، وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله، وبيان عظم فضله وهو من المهمات، فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان»[٢].

٤-أن المرء يحشر مع من أحب يوم القيامة، وإن كان الذي يُحبه في الله تعالى أعلى منه درجة وأرفع منه منزلة:

فعن أنس رضي الله عنه قال: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبي ﷺ عن السَّاعَةِ؟، فقال: «مَتَى السَّاعَةُ؟» قال: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لها؟**» قال: «لَا شَيْءَ إلا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ»، **فقال: «أنت مع من أَحْبَبْتَ»**.

فقال أنس رضي الله عنه: فما فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بقول النبي ﷺ أنت مع من أَحْبَبْتَ، فَأَنَا أُحِبُّ النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إيَّاهم وإِن لم أعمل بمثل أعمالهم)[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: «يا رسول

---

(١) رواه البخاري (٦٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٠).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٧/ ١٢١).

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩).

الله، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا، ولم يلحق بهم؟» فقال النبي ﷺ: «**المرءُ مع من أحبَّ**»[(١)]..

يقول ابن بطال رحمه الله: «فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله، فإن الله جامع بينه وبينه في جنته، ومُدخِلَه مُدخَلَه وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (**ولم يلحق بهم**) يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى- والله أعلم- أنه لما كان المحب للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملًا من أعمال القلوب واعتقادًا لها، أثاب الله معتقِدَ ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء»[(٢)].

أيها الأحبة الكرام، بعد أن عرفنا أهم الثمرات النافعة والطيبة التي تُقطف من شجرة المحبة في الله عز وجل، ينبغي أن نعلم أن المحبة الحقيقية في الله تعالى ليست مجرد عبارات تُردد! ولا هي شعارات تُرفع!! وأنها لا تكون متخفية وراء مطامع دنيوية ولا مصالح شخصية، فمن أحب إنسانًا من أجل ذلك! فمحبته له ليست من أجل رب البرية!!.

سئل الإمام أحمد رحمه الله **عن الحب في الله؟ فقال** رحمه الله: «هو أن لا تحبه لطمع في دنياه»[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أحب إنسانًا لكونه يعطيه فما أحب إلا

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٣٣٣).

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٥٧).

العطاء، ومن قال: أنه يحب من يعطيه لله، فهذا كذب ومحال وزور من القول، وكذلك من أحب إنسانًا لكونه ينصره، إنما أحب النصر لا الناصر، وهذا كله من اتباع ما تهوى الأنفس، فإنه لم يحب في الحقيقة إلا ما يصل إليه من جلب منفعة أو دفع مضرة، فهو إنما أحب تلك المنفعة ودفع المضرة، وإنما أحب ذلك لكونه وسيلة إلى محبوبه، وليس هذا حبًّا لله ولا لذات المحبوب، وعلى هذا تجري عامة محبة الخلق بعضهم مع بعض، وهذا لا يثابون عليه في الآخرة ولا ينفعهم، بل ربما أدى ذلك إلى النفاق والمداهنة، فكانوا في الآخرة من الأخلاء الذين بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وإنما ينفعهم في الآخرة الحب في الله ولله وحده، وأما من يرجو النفع والنصر من شخص ثم يزعم أنه يحبه لله، فهذا من دسائس النفوس ونفاق الأقوال»[(١)].

ولهذا فإن المحبة الحقيقية في العزيز العلَّام -أيها الكرام- لا تزيد ولا تَنقص بأسباب دنيوية فانية!

يقول الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله: «حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء»[(٢)].

فعلى كل من أحب مؤمنًا في الله تعالى -أيها الأحبة الكرام- أن يُعلمه بذلك، لأن ذلك مما يزيد في أواصر المحبة ويقوي روابط الإخوة في الله سبحانه.

فعن أنس رضي الله عنه قال: (أَنَّ رَجُلًا كان عِنْدَ النبي ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فقال: «يا رسول

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٠٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٦٢)

الله، إني لَأُحِبُّ هذا»، فقال له النبي ﷺ «أَعْلَمْتَهُ؟»، قال: «لَا»، قال: «أَعْلِمْهُ»، قال: فَلَحِقَهُ فقال: «إني أُحِبُّكَ في اللهِ»، فقال: «أَحَبَّكَ الذي أَحْبَبْتَنِي له»)[١].

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «وفيه -أي الحديث- مشروعية الإعلام بالحب لأن في ذلك بعثًا على الوداد من الجانب الآخر وبه يكون التراحم والتعاطف وينبغي أن يكون الجواب كما تضمنه الحديث ومن أحبه الله سبحانه وتعالى فقد فاز»[٢].

وعلى المتحابين في الله عز وجل -أيها الأفاضل- أن يَسعوا لتحقيق ما تَستوجبه هذه المحبة الدينية من التناصح والتذكير في الله عز وجل، والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، وأن يجتهد كل واحد منهما في خدمة الآخر والوقوف معه خاصة عند الحاجة، وليتذكرا دائمًا قول نبينا ﷺ: «**مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ، إِلا كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ**»[٣].

يقول المناوي رحمه الله: «(**أشدهما حبا لصاحبه**)أي: في الله تعالى لا لغرض دنيوي، والضابط أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته نفاق»[٤].

فعلى كل من وفقهم الله رب البرية إلى تحقيق هذه المحبة الدينية أن يشكروه

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني (ص ٢٨٩).

(٣) رواه ابن حبان (٥٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسة الصحيحة (٤٥٠).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٤٦).

سبحانه على ما منَّ عليهم من فضله، وأنعم عليهم بكرمه، وعليهم أن يبتعدوا عن كل ما يَقدح في هذه المحبة، كأن تشوبها بعض الأطماع الدنيوية أو الأغراض الشخصية، وليحذروا أشد الحذر من أن يدخل بينهم الشيطان! فيجرهم إلى الآثام والعصيان! وذلك بأن يجعل قلوبهم متعلقة ببعض!! ويصرفها عن التعلق ومحبة العزيز الرحمٰن! فإن حصل ذلك! فإنه من الخذلان والخسران!.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «أعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو مُعرَّض للزوال والفوات، ومَثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت»(١).

وكذلك عليهم أن يحذروا من ارتكاب المعاصي والذنوب فإنها كذلك تؤدي إلى إفساد وقطع أواصر المحبة بين المتحابين في علَّام الغيوب.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما توادَّ اثنان في الله جل وعز أو في الإسلام، فَيُفَرقُ بينهما إلا بذنب يُحدثُه أحدُهُما**»(٢).

يقول الإمام المُزَني رحمه الله: «إذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنبًا، وإذا وجدت منهم زيادة وُدٍّ فذلك لطاعة أحدثتها فاشكر الله تعالى»(٣).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤١٣)،وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٠٣).

(٣) فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٣٨).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل محبة المؤمنين لبعضهم البعض خالصة لوجهه الكريم، وأن يُبعد عنها كل ما يقدح فيها من شوائب وشرور، فهو سبحانه ولي ذلك، والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَحْكَامِ وَفَضْلِ إِفْشَاءِ السَّلَامِ

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَحْكَامِ وَفَضْلِ إِفْشَاءِ السَّلَامِ

الحمد لله ربِّ العالمين، و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و على آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ إفشاء السلام[١] من أهم أسباب انتشار المحبة وظهور المودة بين أهل الإسلام؛ كما أخبرنا بذلك نبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام-.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَلَا أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[٢].

---

(١) إن من أسماء الله جل وعلا الثابتة له بالقرآن و السنة اسم « **السلام**»، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾[الحشر: ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لنا رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «**إِنَّ اللهَ هو السَّلَامُ**». رواه البخاري (٨٣١) ومسلم (٤٠٢) واللفظ له.

يقول الإمام ابن كثير ﷺ: « (**السلام**) أي: السالم من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله».تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤)

(٢) رواه مسلم (٥٤).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفى إفشائه تَمَكَّنُ ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حُرمات المسلمين»[(١)].

ويقول ابن العربي رحمه الله: «من فوائد إفشاء السلام حصول المحبة بين المتسالمين وكان ذلك لما فيه من ائتلاف الكلمة لتعم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين، و إخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سُمعت أَخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها»[(٢)].

إن العمل بهذا الهدي النبوي الكريم والحرص على إظهاره في كل وقت وحين، له أثر طيب يعود على نفوس المسلمين، فهو يؤدي إلى مد جسر التواصل وحبل التآلف بين أفراد أمة خير المرسلين.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «والسلام من محاسن الإسلام، فإن كل واحد من المتلاقين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير، ويتبع ذلك من البشاشة وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة، ويزيل الوحشة والتقاطع»[(٣)].

فالمؤمن -أيها الأحبة الكرام- يفرح عندما يرى الراكب من المسلمين يُسلم

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ٣٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٨).

(٣) بهجة قلوب الأبرار (ص ١١٣).

على الماشي والماشي على القاعد، والقليل منهم على الكثير، والصغير منهم على الكبير، تطبيقًا منهم بما حثَّ عليه خير الأنام، وطلبًا للأجر من ذي الجلال والإكرام.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ على الْمَاشِي، وَالْمَاشِي على الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ على الْكَثِيرِ**»(١).

يقول الطيبي ﷺ: «فالراكب يسلم على الماشي وهو على القاعد للإيذان بالسلامة وإزالة الخوف، والقليل على الكثير للتواضع، والصغير على الكبير للتوقير والتعظيم»(٢).

ويزداد فرحه أيضًا عندما يُشاهد الكبار يُلقُونَ السلام على الصغار، عملًا بهدي النبي المختار، فعن أنس ﷺ: «**أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ على غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عليهم**»(٣).

يقول الإمام النووي ﷺ: «ففيه استحباب السلام على الصبيان المميزين، والندب إلى التواضع، وبذل السلام للناس كلهم، وبيان تواضعه ﷺ وكمال شفقته على العالمين، واتفق العلماء على استحباب السلام على الصبيان»(٤).

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: « فائدة السلام على الصبيان:

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٨) ومسلم (٢١٦٠) و اللفظ له.

وفي رواية عند الإمام البخاري (٥٨٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا زيادة: (**يُسَلِّمُ الصغير على الكبير**).

(٢) مرقاة المفاتيح للملا علي قاري (٨/ ٤٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢١٦٨).

(٤) الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٩).

أولا: اتباع السنة؛ سنة النبي ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١].

ثانيًا: التواضع، حتى لا يظن الإنسان بنفسه، ويشمخ بأنفه ويعلو برأسه، يتواضع ويُسلم على الصبيان، وقد قال النبي ﷺ: «**ما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»(١).

ثالثًا: تعويد الصبيان على محاسن الأخلاق، لأن الصبيان إذا رأوا الرجل يمر بهم ويسلم عليهم تعودوا ذلك، واعتادوا هذه السنة المباركة الطيبة.

رابعا: أن يجلب المودة للصبي، يعني أن الصبي يحب الذي يُسلم عليه ويفرح بذلك، وربما لا ينساها أبدًا، لأن الصبي لا ينسى ما مرَّ به.

هذه من فوائد السلام على الصبيان، فينبغي لنا إذا مررنا على صبيان يلعبون في السوق أو جالسين يبيعون شيئًا أو ما أشبه ذلك أن نُسلم عليهم لهذه الفوائد التي ذكرناها»(٢).

ويَنشرح صدر المؤمن -أيضًا أيها الأفاضل- عندما يَبلغه بأن إلقاء السلام ليس قاصرًا على عموم المسلمين بل يُؤتى به كذلك بين الأهل وعند زيارة الأقارب، فيسمع بأن الرجل يُسلم على محارمه من النساء عند اللقاء، وكذلك المرأة، ويُلقي المسلم أيضًا السلام على العجائز من النساء من غير المحارم، وكذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤١٧).

المرأة على الكبار في السن من الرجال، لكن بشرط الأمن من الفتنة والوقوع في الآثام! فعن سهل بن سعد الأنصاري ﷺ قال: « كانت لنا عَجُوزٌ تُرْسِلُ إلى بُضاعةَ[١] فَتَأْخُذُ من أُصُولِ السِّلْقِ[٢] فَتَطْرَحُهُ في قِدْرٍ، وَتُكَرْكِرُ[٣] حَبَّاتٍ من شَعِيرٍ، فإذا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، انْصَرَفْنَا وَنُسَلِّمُ عليها، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا فَنَفْرَحُ من أَجْلِهِ»[٤].

يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «السلام على المحارم من النساء و الزوجات سنة، والمحارم يعني التي لا يحل لك أن تتزوج بها، فتسلم عليها، ولا حرج في ذلك، تسلم على زوجتك، على أختك، على عمتك، على بنت أخيك، على بنت أختك، ولا حرج في هذا، أما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تُسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق، وهذا هو الصواب، ولكن لو أتيت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وسلمت فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة»[٥].

ولكن على المسلم -أيها الكرام- أن لا يبدأ الكافر مهما كان بالسلام؛ لأن في ذلك مخالفة لتعاليم الإسلام، ولما أمر به خير الأنام، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ

---

(١) بئر حولها نخل وزرع. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٢٧٦).

(٢) نوع من الشجر. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٤١٨).

(٣) تَطحن. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٢٧٦).

(٤) رواه البخاري (٥٨٩٤).

(٥) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤١٨).

رسول الله ﷺ قال: «**لَا تبدءوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ**»(١).

يقول المناوي رحمه الله: «لأن السلام إعزاز وإكرام ولا يجوز إعزازهم ولا إكرامهم، بل اللائق بهم الإعراض عنهم، وترك الالتفات إليهم، تصغيرًا لهم وتحقيرًا لشأنهم»(٢).

ويَسعدُ المؤمنُ -أيضًا أيها الأحبة والإخوان- عندما يسمع أن أهل الإسلام يأتون بالصيغة الكاملة الثابتة عند السلام لما في ذلك من خير كثير كما أخبرنا بذلك البشير النذير.

فعن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» فَرَدَّ عليه السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ فقال النبي ﷺ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جاء آخَرُ فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ» فَرَدَّ عليه فَجَلَسَ فقال: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جاء آخَرُ فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» فَرَدَّ عليه فَجَلَسَ فقال: «**ثَلَاثُونَ**»(٣).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ما الحكمة في اقتران الرحمة والبركة بالسلام؟

الجواب عنه: أن يقال لما كان الإنسان لا سبيل له إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٧).

(٢) فيض القدير (٦/ ٣٨٦).

(٣) رواه أبو داود (٥١٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

أحدها: سلامته من الشر ومن كل ما يُضاد حياته وعيشه.

والثاني: حصول الخير له.

والثالث: دوامه وثباته له.

فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة.

لقد شرعت التحية متضمنة للثلاثة، فقوله: (سلامٌ عليكم) يتضمن السلامة من الشر، وقوله: (ورحمة الله) يتضمن حصول الخير، وقوله: (وبركاته) يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره، ومن هنا يعلم حكمة اقتران اسمه الغفور باسمه الرحيم في عامة القرآن.

ولما كانت هذه الثلاثة مطلوبة لكل أحد، بل هي متضمنة لكل مطالبه، وكل المطالب دونها ووسائل إليها وأسباب لتحصيلها، جاء لفظ التحية دالًا عليها بالمطابقة تارة، وهو كمالها، وتارة دالًا عليها بالتَّضَمّن، وتارة دالًا عليها باللزوم فدلالة اللفظ عليها مطابقة: إذا ذكرت بلفظها، ودلالته بالتضمن: إذا ذكر السلام والرحمة، فإنهما يتضمنان الثالث، ودلالته عليها باللزوم: إذا اقتصر على السلام وحده، فإنه يستلزم حصول الخير وثباته إذ لو عدم لم تحصل السلامة المطلقة فالسلامة مستلزمة لحصول الرحمة كما تقدم تقريره.

قد عُرف بهذا فضل هذه التحية وكمالها على سائر تحيات الأمم، ولهذا اختارها الله لعباده، وجعلها تحيتهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام.

وقد بان لك أنها من محاسن الإسلام وكماله، فإذا كان هذا في فرع من فروع

الإسلام وهو التحية التي يعرفها الخاص والعام، فما ظنك بسائر محاسن الإسلام؟!!»[١].

وتزداد فرحته -أيها الكرام- عندما يرى اقتران المصافحة مع بذل السلام بين أهل الإسلام، لما في ذلك من أجر كبير عند العزيز القدير.

فعن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إلا غُفِرَ لَهُمَا قبل أَنْ يَفْتَرِقَا**»[٢].

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمنَ إذا لقيَ المؤمنَ فسلَّمَ عليه، وأخذَ بيدِهِ فصافَحَهُ، تَنَاثَرتْ خَطَايَاهُمَا كما يَتَنَاثَرُ وَرَقُ الشَّجر**»[٣].

ولهذا كان الصحابة الكرام -أيها الأفاضل- يحرصون عليها، ولا يُفَرِّطُون فيها، فعن قتادة بن دعامة السدوسي ﷺ قال: قلت لأنس بن مالك ﷺ: «أَكَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النبي ﷺ» ؟ قال: «نعم»[٤].

يقول ابن بطال ﷺ: «المصافحة حسنة عند عامة العلماء»[٥].

ويقول الإمام النووي ﷺ: «المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقي»[٦].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٧٢٧)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٨٤)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٥٢٦).

(٤) رواه البخاري (٥٩٠٨).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٤).

(٦) فتح الباري (١١/ ٥٥).

لكنَّ على المسلم أن يحذر أشدَّ الحذر من مصافحة النساء الأجانب! لأن ذلك من كبائر الذنوب وسبب في غضب علَّام الغيوب.

فعن معقل بن يسار ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لأَن يُطعَنَ في رأس رجُلٍ بِمِخيطٍ من حديدٍ، خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تَحِلُّ له**»(١).

يقول الشيخ الألباني ﷺ: «و في الحديث وعيدٌ شديدٌ لمن مسَّ امرأةً لا تحلُّ له، ففيه دليلٌ على تحريم مصافحة النساء لأن ذلك مما يشمله المسّ دون شك، وقد بلي بها كثير من المسلمين في هذا العصر وفيهم بعض أهل العلم، ولو أنهم استنكروا ذلك بقلوبهم، لهان الخطب بعض الشيء، ولكنهم يستحلون ذلك، بشتى الطرق و التأويلات، وقد بلغنا أن شخصيةً كبيرةً جدًّا في الأزهر قد رآه بعضهم يصافح النساء، فإلى الله المشتكى من غربة الإسلام .

بل إن بعض الأحزاب الإسلامية، قد ذهبت إلى القول بجواز المصافحة المذكورة، وفرضت على كل حزبي تَبَنِّيهِ، و احْتَجّت لذلك بما لا يصلح، معرضةً عن الاعتبار بهذا الحديث، والأحاديث الأخرى الصريحة في عدم مشروعية المصافحة»(٢).

ولكن -أيها الأحبة والإخوان- إن مما يُحزن المؤمن جدًّا في هذا الزمان! أن مع ما في هذا الهدي النبوي الكريم من خير وإحسان! وعبادة للرحمٰن! إلا أنه

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٣)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٤٨).

ترك من بعض أهل الإسلام! في كثير من البلدان!! أو أصبح بعضهم! لا يُلقي السلام إلا على من يعرفه من الأنام!!.

وهذا من علامات الساعة -أيها الكرام- كما أخبرنا بذلك رسول العزيز العلَّام عليه أفضل الصلاة والسلام، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أن يُسَلِّمَ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ لاَ يُسَلِّمُ عليه إلا لِلْمَعْرِفَةِ**» (١).

فاعلم أيها المسلم-وفقك الله-أن إفشاءك السلام لا ينبغي أن يكون قاصرًا على من تعرفه من المسلمين دون الآخرين! لأن هذا يُخالف ما أمرنا به خير المرسلين.

فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أَنَّ رَجُلًا سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ على من عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ**»(٢).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «ومعنى (تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) أي: تسلم على كل من لقيته عرفته أم لم تعرفه، ولا تخص به من تعرفه كما يفعله كثيرون من الناس، ثم إن هذا العموم مخصوص بالمسلمين، فلا يسلم ابتداء على كافر» (٣).

ومما يُحزن -أيها الأفاضل- أن بعض المسلمين اليوم! تركوا سنة إفشاء السلام عند الالتقاء!، وأبدلوها بألفاظ غربية! أو بعبارات عرفية!!.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٠٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٤٨).

(٢) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) واللفظ له.

(٣) الشرح على صحيح مسلم (٢ / ١٠).

ومنهم! من اكتفى بالتحية بجرس السيارات! أو بالأكف والإشارات! دون التلفظ بالسلام! مع أن هذا الفعل ليس من هدي المسلمين وإنما هو من سمات أعداء الدين.

فعن ابن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ولا بِالنَّصَارَى، فإنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكُفِّ**»[(١)].

قال الملا علي قاري ﷺ: «والمعنى لا تشبهوا بهم جميعًا في جميع أفعالهم خصوصاً في هاتين الخصلتين، ولعلهم كانوا يكتفون في السلام أو رده أو فيهما بالإشارتين من غير نطق بلفظ السلام الذي هو سنة آدم، وذريته من الأنبياء والأولياء»[(٢)].

وفي الختام -أيها الكرام- يجب على من كان من أهل الإسلام إذا سمع من أخيه تحية السلام، أن يردَّها عليه، والأفضل أن يكون الرّدُّ بأحسن مما سمع! امتثالًا لما أمره به العزيز العلَّام، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء: ٨٦].

يقول الإمام البغوي ﷺ: «واعلم أن السلام سنة، ورد السلام فريضة، وهو فرض على الكفاية.

وكذلك السلام سنة على الكفاية، فإذا سلم واحد من جماعة كان كافيًا في السنة

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ.

(٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ٤٧٠).

وإذا سلم واحدٌ على جماعة وردَّ واحدٌ منهم سقط الفرض عن جميعهم»[(١)].

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: «ففقهُ الآية أن يقال: أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة مُرَّغَب فيها ورده فريضة»[(٢)].

ويقول الإمام النووي رحمه الله: «وأما جواب السلام فهو فرض بالإجماع، فإن كان السلام على واحد، فالجواب: فرض عين في حقه، وإن كان على جميع فهو فرض كفاية، فإذا أجاب واحد منهم أجزأ عنهم، وسقط الحرج عن جميعهم، وإن أجابوا كلُّهم كانوا كلُّهم مُؤدِّين للفرض، سواءٌ ردُّوا معـًا أو متعاقبين، فلو لم يجبه أحد منهم أثموا كلهم، ولو ردَّ غيرُ الذين سلَّم عليهم لم يسقط الفرض والحرج عن الباقين»[(٣)].

أما إذا سمع المسلم من الكافر السلام! فعليه أن يقتصر في الرد عليه بما أمره به خير الأنام، فعن أنس رضي الله عنه قال: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**»[(٤)].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «اتفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلموا، لكن لا يقال لهم (وعليكم السلام) بل يقال: (عليكم) فقط، أو (وعليكم)، وقد جاءت الأحاديث التي ذكرها مسلم (عليكم)، (وعليكم) بإثبات الواو وحذفها،

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٤٥٨).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٨).

(٣) المجموع شرح المهذب (٤/ ٤٩٩).

(٤) رواه البخاري (٥٩٠٣) ومسلم (٢١٦٣) واللفظ له.

وأكثر الروايات بإثباتها وعلى هذا في معناه وجهان:

أحدهما: أنه على ظاهره، فقالوا: عليكم الموت، فقال: وعليكم أيضًا، أي: نحن وأنتم فيه سواء، وكلنا نموت.

والثاني: أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك، وتقديره: وعليكم ما تستحقونه من الذم، وأما حذف الواو فتقديره بل عليكم السام [(١)]»[(٢)].

فهذه -أيها الأحبة الكرام- من أهم الأحكام المتعلقة بإفشاء السلام، فعلينا أن نعمل بها وندعو إليها وننشرها بين أهل الإسلام، راجين الثواب والمغفرة من ذي الجلال والإكرام.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل المسلمين دائمًا عاملين ومتمسكين بهدي خير الأنام، وأن يحفظهم من المعاصي والآثام، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز العلَّام.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أي: الموت . كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/ ٥٦٨).

روى البخاري (٦٠٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥)عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النبي ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قال: «**وَعَلَيْكُمْ**».

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٤).

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
بِفَضْلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و على آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مما عُرف به العرب قبل الإسلام -أيها الكرام- حرصُهم على إكرام الضيف وإطعام الطعام، ولهذا كان يُضرب المثل بمن اشتهر منهم بذلك بين الأنام.

يقول الإمام ابن حبان ﷺ: «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسؤدد وانقاد له قومه ورحل إليه القريب والقاصي لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف، والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قِرَى الضيف وإطعام الطعام، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين»[(١)].

ولقد أكد ديننا الحنيف على هذه الخصلة الكريمة والصفة الحميدة وحث عليها، لما فيها من كسب القلوب وتقريب الناس إلى دين علَّام الغيوب.

---

(١) روضة العقلاء (ص ٢٥٩).

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «إطعام الطعام وهو من العادات الجميلة التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ثم جاء الإسلام و أكد ذلك أيُّما توكيد»[(١)].

فكانت هذه الخصلة من أوائل ما أوصى به خير المرسلين بعد أن دعا الناس إلى التوحيد وعبادة رب العالمين، لما فيها من خير كثير وفضل كبير يعود على المسلمين، وعلى كل من حرص على ذلك في الدارين.

فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا الناس أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تدخلون الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[(٢)].

يقول المناوي رحمه الله: «(**وأطعموا الطعام**) للبر والفاجر (**وأفشوا السلام**) أي: أظهروه وعموا به الناس ولا تخصوا المعارف (**تدخلوا الجنة بسلام**) أي: فإنكم إذا فعلتم ذلك ومتم عليه دخلتم الجنة آمنين لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ على من عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ**»[(٤)].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وفي هذه الأحاديث جمل من العلم، ففيها الحث على إطعام الطعام والجود، والاعتناء بنفع المسلمين والكف عما يؤذيهم بقول أو فعل بمباشرة أو سبب، والإمساك عن احتقارهم، وفيها الحث على تألف

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٦٧).

(٤) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) واللفظ له

قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم وَتَوَادِّهم..»[١].

فأصبح -أيها الأحبة الكرام- بذل الطعام للأنام من صفات الأخيار، وعلامات الأبرار، كما أخبرنا بذلك العزيز الجبار، حيث قال العزيز الغفار: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الانسان: ٨].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدًا إلى الله ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم له وشهوتهم له»[٢].

وكذلك كما أخبرنا به النبي المختار، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**خِيَارُكُمْ من أَطْعَمَ الطَّعَامَ**» [٣].

يقول الإمام ابن حبان رحمه الله: «إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام، والمواظبة على قِرى الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ومن أعظم مراتب ذوي الحجى، ومن أحسن خصال أولي النهى، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب، وقصده الراضي والعاتب، وقِرى الضيف يرفع المرء وإن رقَّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته، ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر»[٤].

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٢/ ١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٤).

(٤) روضة العقلاء (ص ٢٥٨).

قد يقول القائل -أيها الأفاضل- لقد حثَّ شرعنا الكريم كما في ظاهر هذه النصوص على إطعام الطعام وبذله للأنام مطلقًا سواء كانوا أتقياء برره، أو كانوا عصاة فجرة، فكيف نجمع بينها وبين ما جاء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ**»[(١)]؟

يقول المناوي رحمه الله: «وأما خبر (**لا يأكل طعامك إلا تقي**)، فالمراد غير الضيافة مما هو أعلى في الإكرام من مؤاكلتك معه، وإتحافك إياه بالظرف واللطف» [(٢)].

ويقول العظيم آبادي رحمه الله: «(**ولا يأكل طعامك إلا تقي**) أي: متورع، والأكل وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام، فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيًّا».

قال الخطابي رحمه الله: «إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

ومعلوم أن أسراهم كانوا كفارًا غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر عليه السلام من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب»[(٣)].

ويقول الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: «(**لا يأكل طعامك إلا تقي**) أي: لا تدعو إلى طعامك إلا الأخيار، لا تدعوا الفساق والكفار، قال العلماء: هذا فيما يختاره

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢٦٠).

(٣) عون المعبود (١٣/ ١٢٣).

الإنسان ويتخذه عادةً له.

أما الضيوف فلهم شأن آخر، الضيوف لا مانع من أن يقدم لهم الطعام، وإن كانوا ليسوا أتقياء»[(١)].

إن إطعام الطعام -أيها الأحبة الكرام- ليس قاصرًا كما يظن البعض فقط على الأهل والأبناء و على المساكين والفقراء، وإنما هو أوسع من ذلك كما أخبرنا سيد الأنبياء وإمام الأتقياء.

فيُطعم ويُكرم المرء ضيفه بما يستطيع؛ لأن هذا مما يجب عليه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» [(٢)].

يقول ابن الجوزي ﷺ: «وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له» [(٣)].

ويقول العلامة عبد العزيز بن باز ﷺ: «فإكرام الضيف مأمور به شرعاً ولو كان غير مسلم، وفي إكرامه دعوة إلى الإسلام، وتوجيه له إلى الخير ليعرف محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق»[(٤)].

ويحرص المرء أيضًا على إطعام جاره الذي أمر بالإحسان إليه واحترامه، فعن

---

(١) منقول من موقع الشيخ ابن باز ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٢) ومسلم (٤٧).

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين (ص ٦٠).

(٤) منقول من موقع الشيخ ابن باز ﷺ.

أبي ذَرٍّ ﷺ قال: «**إِنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصَانِي إذا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ثُمَّ انظر أَهْلَ بَيْتٍ من جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ منها بِمَعْرُوفٍ**» (١).

قال محمد بن علاَّن الشافعي ﷺ: «ففي الحديث الحض على مكارم الأخلاق والإرشاد لمحاسنها، لما يترتب عليه من المحبة والألفة ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة، فقد يتأذى الجار بقتار قِدْرِ جاره -أي برائحة قدر جاره- وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك، فتهيج من صغارهم الشهوة، ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيماً أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم، وكل ذلك لَيَندفع بتشريكهم في شيء من الطبخ، فلا أَقبح مِن مَنْعِ هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير»(٢).

وعلى المسلم أن يستحضر عند إطعامه للآخرين أنه يتعبد بذلك لرب العالمين، فعليه أن يحذر أشد الحذر من العجب والرياء وغير ذلك من مفسدات الأعمال !وليُخلص في عمله للكبير المتعال، و عليه أيضًا أن يجتنب التبذير وإضاعة المال فإن ذلك ليس أبدًا! من الكرم! والجود!، وإنما هو معصية للعزيز الودود.

يقول الإمام ابن الجوزي ﷺ: «**وأما إضاعة المال فيكون من وجوه أمهاتها أربعة:**

أحدهما: أن يتركه من غير حفظ له فيضيع .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ١٣٦).

والثاني: أن يتلفه إما بتركه إذا كان طعامًا حتى يفسد، أو يرميه إن كان يسيرًا كبرًا عن تناول القليل، أو بأن يرضى بالغبن، أو بأن ينفق في البناء واللباس والمطعم ما هو إسراف.

والثالث: أن ينفقه في المعاصي، فهذا تضييع من حيث المعنى .

والرابع: أن يُسلِّم مال نفسه إلى الخائن، أو مال اليتيم إليه إذا بلغ مع علمه بتبذيره»[(١)].

فعلينا -أيها الأحبة والإخوان- أن نحرص جميعًا على بذل الطعام خاصة لأهل الإسلام، كلٌّ منَّا على قدر الإمكان، لأن هذا من علامات أهل الإيمان، وسينفعنا يوم نلقى الرحمٰن بإذن المنان.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، من فعل الطاعات والتزود بالخيرات، وأن يجنبنا كل ما يبغضه ويأباه، من ارتكاب للمحرمات ووقوع في المنكرات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسماوات.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ١٠٢).

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
بِخَطَرِ الْكَذِبِ فِي الْكَلَامِ

تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِخَطَرِ الْكَذِبِ فِي الْكَلَامِ

الحمد لله ربِّ العالمين و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و على آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لقد ابتلي بعض المسلمين اليوم -أيها الأفاضل- بداء عضال ومرض قتال، ألا وهو داء الكذب!.

يقول الإمام النووي رحمه الله : «اعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواء تعمدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد»[(١)].

إنّ عواقب الكذب -أيها الأحبة الكرام- وخيمة، وأخطاره جسيمة، حيث لا تقتصر على الفرد فقط! بل يرجع ضرره وتعود مفاسده كذلك على المجتمعات.

يقول الماوردي رحمه الله : «الكذب جماع كُلِّ شَرٍّ وأصل كُلِّ ذَمٍّ؛ لسوء عواقبه وخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لأَنَّه يُنْتِجُ النَّميمة، والنَّميمة تُنْتِجُ البغضاء، والبغضاء تؤول إلى

(١) الأذكار (ص ٣٠٢).

العداوة، وليس مع العداوة أَمْنٌ ولا راحَةٌ»[١].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «الكذب متضمن لفساد نظام العالم، ولا يمكن قيام العالم عليه لا في معاشهم ولا في معادهم، بل هو متضمن لفساد المعاش والمعاد، ومفاسد الكذب اللازمة له معلومة عند خاصة الناس وعامتهم، كيف وهو منشأ كل شر، وفساد الأعضاء لسان كذوب، وكم أزيلت بالكذب من دول وممالك، وخربت به من بلاد، واستلبت به من نعم، وتقطعت به من معايش، وفسدت به مصالح، وغرست به عداوات، وقطعت به مودات، وافتقر به غني، وذلَّ به عزيز، وهتكت به مصونة، ورميت به محصنة، وخلت به دور وقصور، وعمرت به قبور، وأزيل به أنس، واستجلبت به وحشة، وأفسد به بين الابن وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأحال الصديق عدواً مبيناً، ورد الغني العزيز مسكيناً، وهل ملئت الجحيم إلا بأهل الكذب الكاذبين على الله، وعلى رسوله، وعلى دينه، وعلى أوليائه، المكذبين بالحق حمية وعصبية جاهلية»[٢].

إنَّ هذه الخصلة القبيحة والآفة المذمومة، ليست من صفات أهل الإيمان! بل هي من علامات أهل النفاق كما أخبرنا بذلك رسول العزيز الرزاق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا اؤتمن خَانَ**»[٣].

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٣٢١).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (٥٩)، واللفظ له.

يقول الإمام النووي رحمه الله: «الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يُرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار» [(١)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق، فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب»[(٢)].

إن الكذب -أيها الأحبة والإخوان- سوف يَجُرُّ بصاحبه يوم القيامة إلى النيران إذا لم يبادر بالتوبة والرجوع إلى العزيز الرحمٰن ويتخلَّص منه قبل فوات الأوان.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فإن الْكَذِبَ يهدي إلى الْفُجُورِ**»[(٣)].

يقول المناوي رحمه الله: «أي :يؤدي ويَجُرُّ إلى الميل عن الاستقامة، والانبعاث في المعاصي» [(٤)].

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس فيما دون الصدق من الحديث

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٢ / ٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٣) و مسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٤) فيض القدير (٣ / ٦).

خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك» [(١)].

ويتضاعف إثم الكذب ويزداد؛ إذا قَرَنَهُ صاحبه بالقسم برب العباد!! وهذه هي التي تسمىٰ بـ«يمين الغموس» .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اليمين الغموس : وهو أن يحلف- أي صاحبها-كاذبًا عالمًا بكذب نفسه، فهذه اليمين يأثم بها باتفاق المسلمين، وعليه أن يستغفر الله منها، وهي كبيرة من الكبائر، لاسيما إن كان مقصوده أن يظلم غيره» [(٢)].

وكذلك يتضاعف جرمه -أيها الأخيار- إذا كان الكذب علىٰ الرسول المختار، بأن يُنسب إليه ﷺ ما لم يصح عنه من أخبار!؛ لأن في ذلك إفساد لدين العزيز الجبار.

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيس كَكَذِبٍ علىٰ أَحَدٍ، من كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ**»[(٣)].

يقول المناوي رحمه الله : «إن الكذب عليه ﷺ أعظم أنواع الكذب، لأدائه إلىٰ هدم قواعد الدين وإفساد الشريعة وإبطال الأحكام (**فمن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا**) أي: غير مخطئ في الإخبار عني بالشيء علىٰ خلاف الواقع (**فَلْيَتَبَوَّأْ**) أي: فليتخذ لنفسه (**مَقْعَدَهُ من النَّارِ**) مسكنه، أمر بمعنىٰ الخبر، أو بمعنىٰ التحذير، أو التهكم، أو

---

(١) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (ص ٢٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٢٨).

(٣) رواه البخاري (١٢٢٩) واللفظ له، ومسلم (٤).

الدعاء على فاعل ذلك، أي: بوأه الله ذلك، واحتمال كونه أمرًا حقيقة، والمراد (**من كَذَبَ عَلَيَّ**) فليأمر نفسه بالتبوؤ بعيدًا، وهذا وعيد شديد يفيد أن الكذب عليه من أكبر الكبائر» [(١)].

إن الكذاب -أيها الأحباب- يعيش دائمًا في قلق واضطراب لعدم تعلق قلبه برب الأرباب، بخلاف الصادق فهو دائمًا في طمأنينة وانشراح في الصدر لارتباط قلبه بالعزيز المقتدر.

فعن الحسن بن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»[(٢)].

يقول المناوي رحمه الله : (**إنَّ الصدق طمأنينة**) أي: يطمئن إليه القلب ويسكن، وفيه إضمار أي: محل طمأنينة أو سبب طمأنينة، (**وإنَّ الكذب ريبة**) أي: يقلق القلب ويضطرب» [(٣)].

إن مما ينبغي على كل مسلم أن يحفظ لسانه من الكذب والغيبة و النميمة وسائر أنواع العصيان! لأنه سيسأل عنه يوم وقوفه بين يدي العزيز الرحمٰن، وأن يحذر من أن يُطلق له العنان! لأنه سيجره إذا لم يتداركه إلى النيران!.

فعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**وَهَلْ يَكُبُّ الناس في النَّارِ على**

---

(١) فيض القدير (٢/ ٤٧٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٣) فيض القدير (٣/ ٥٢٩).

وُجُوهِهِمْ، أو على مَنَاخِرِهِمْ، إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» [(١)].

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله : «والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرًّا من قول أو عمل حصد غدًا الندامة، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل به الناس النار النطق بألسنتهم، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك، وهو أعظم الذنوب عند الله ﷻ، ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله ﷻ، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر، كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قول يقترن بها يكون معينًا عليها»[(٢)].

وليحذر أشد الحذر من التهاون في أمر الكذب! لأجل إرضاء الناس أو إضحاكهم! فإن هذا الفعل ليس بحميد! و الوعيد فيه شأنه شديد.

فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«وَيْلٌ لِلَّذِي يحدث فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ له، وَيْلٌ له»** [(٣)].

يقول المناوي رحمه الله : «كرره إيذانًا بشدة هلكته، وذلك لأن الكذب وحده رأس

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٧٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

كل مذموم وجماع كل شر» [١].

وليجتنب كذلك الكذب عند المزاح والهزل! لأن ذلك مخالف لهدي رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأمزح، ولا أقول إلا حقًا**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا، قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**»[٣].

وينبغي أن نعلم أيضًا -أيها الأحبة الأخيار- أنه لا يجوز كذلك أن يكذب الكبار على الصبية الصغار، بأن يعدوهم بفعل شيء ثم لا يوفون! لأن هذا ليس من صنيع ولا هدي المتقين الأبرار.

فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا ورسول الله ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فقالت: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيه ؟**»، قالت: أُعْطِيه تَمْرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّكِ لو لم تعطيه شيئا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ**»[٤].

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «لا يصلح الكذب في جِدٍّ، ولا هَزْلٍ، ولا أن يَعِدَ أحدكم ولده شيئا ثم لا ينجز له»[٥].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٨٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٩٤).

(٣) رواه الترمذي (١٩٩٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٤) رواه أبو داود (٤٤٩١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في صحيح الأدب المفرد (٣٨٧).

فعلينا -أيها الأفاضل- أن نحرص على الصدق الذي يهدي إلى كل بر وسرور، ونحذر أشد الحذر من الكذب الذي يجر إلى كل بلاء وفجور، ولنحفظ ألسنتنا من كل الشرور، فإن في ذلك النجاح والفلاح في الدارين بإذن العزيز الغفور.

يقول أبو حاتم رحمه الله: «إن الله جل جلاله فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق، وما يعود عليه نفعه في داريه، لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقًا فصدقًا وإن كذبًا فكذبًا»[(١)].

وكذلك علينا -أيها الكرام- أن نمتثل بما أمرنا به خير الأنام الذي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلا ننشر كل ما نسمعه بين أهل الإسلام! قبل أن نتأكد من صحته لئلا نقع في الآثام!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سمع**»[(٢)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يعني أن الإنسان إذا صار يُحدث بكل ما سمع من غير تثبت وتَأنٍّ، فإنه يكون عرضة للكذب، وهذا هو الواقع ولهذا يجيء إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن! أو يأتي

---

(١) روضة العقلاء (ص ٥١).

(٢) رواه مسلم (٥).

إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته لم يقل!»[١].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لطاعته وأن يُعيننا على فعل كل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك الصدق، وأن يجنبنا كل ما يبغضه ويأباه، ومن ذلك الكذب، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ١٨٥).

تَحْذِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُزَاحِ فِي الْكَلَامِ

تَحْذِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُزَاحِ فِي الْكَلَامِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و على آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن التلطف في الكلام عند التحدث مع الأهل والأنام -أيها الكرام- مطلوبٌ في دين العزيز العلَّام؛ لما فيه من كسب للقلوب وتقريب الناس من دين علَّام الغيوب.

فهذا نبينا ﷺ رسول رب العالمين، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين كان يُمازح أهله ، ويداعب أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

فعن أنس رضي الله عنه : (أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا وكان يهدي إلى النبي ﷺ هديةً من البادية، فيُجهزُهُ النبي ﷺ إذا أراد أن يَخرج فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ زاهرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ**»، وكان رسول الله ﷺ يُحبُّه، وكان رجلًا دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يُبصره، فقال: من هذا؟! أرسلني. فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألُو ما ألصَقَ ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فجعل النبي ﷺ يقول: «**من يشتري هذا العبد؟**» فقال الرجل: يا

رسول الله إذا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: «**لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**» أو قال «**أنت عند الله غَالٍ**» (١).

يقول الملا علي قاري رحمه الله: «ووجه تسميته عبداً ظاهر، فإنه عبد الله، ووجه الاستفهام عن الاشتراء الذي يُطلق لغة على مقابلة الشيء بالشيء تارة، وعلى الاستبدال أخرى، أنه أراد من يقابل هذا العبد بالإكرام ، أو من يستبدله مني بأن يأتيني بمثله» (٢).

لكنَّ نبينا ﷺ كان -أيها الأفاضل- لا يقول في مزاحه إلا حقًّا وصدقًا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إني لأمزح، ولا أقول إلا حقـًا**»(٣).

يقول المناوي رحمه الله: «(**إني لأمزح**) أي: بالقول وكذا بالفعل وتخصيصه بالأول ليس عليه معول (**ولا أقول إلا حقًّا**) لعصمتي عن الزلل في القول والعمل»(٤).

فالأصل في الـمُزاح -أيها الأحباب- أنه جائز وقد يكون مندوب إليه أحيانًا بين الأهل والأصحاب بشرط أن لا تكون فيه مخالفة للدين، أو يؤدي إلى مفسدة بين المسلمين.

يقول أبو البركات الغزي رحمه الله: «المزاح مندوب إليه بين الإخوان، والأصدقاء والخلان، لما فيه من ترويح القلوب، والاستئناس المطلوب، بشرط أن لا يكون

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل (٢٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩ / ١١١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٩٤).

(٤) فيض القدير (٣ / ١٣).

فيه قذف ولا غيبة، ولا يحرك الحقود الكمينة»[١].

فإذا كان في المزاح ما يُؤذي الآخرين، ويُورث الشحناء والبغضاء بين المسلمين، ويُشغل ويصرف عن عبادة أرحم الراحمين فيصبح حكمه التحريم .

يقول الإمام النووي رحمه الله : «قال العلماء المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويُداوم عليه، فإنه يُورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالىٰ، والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلىٰ الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوقار، فأما ما سَلِم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادر من الأحوال، لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا مانع منه قطعا بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة»[٢].

فعلىٰ المسلم -أيها الأحبة الكرام- أن يُقيد مُزاحه بضوابط شرعية ويبتعد فيه عن كل ما يُغضب رب البرية، ومن ذلك:

١-أن يبتعد أشد البعد عن المزاح الذي قد يجره إلىٰ الاستهزاء بالدين، أو بسنة خير المرسلين، أو بعباد الله الصالحين:

وذلك باستنقاص هديهم الظاهر؛ كالاستهزاء بالحجاب، أو اللحية، أو رفع الثوب، أو السواك، أو غير ذلك ممن هم اتبعوا فيه تعاليم دين الإسلام وهدي خير الأنام .

---

(١) المراح في المزاح لأبي البركات الغزي (ص ٣٥).

(٢) الأذكار (ص٢٥٨).

فإن ذلك من نواقض الإسلام وهو من أخطر الآثام ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يُكفر به صاحبه بعد إيمانه»(١).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «إن الاستهزاء بالله ورسوله، كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة»(٢).

٢-وكذلك عليه أن يجتنب المزاح فيما لا يجوز فيه التهاون:

كالتلفظ بالطلاق، فإن حكمه يستوي فيه القاصد والهازل عند الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ، النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ والرجعة**»(٣).

قال الخطابي رحمه الله: «اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل، فإنه مؤاخذ به، ولا ينفعه أن يقول: كنت لاعبًا أو هازلاً أولم أنو به طلاقًا، أو ما أشبه ذلك من الأمور»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٢٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٤٢).

(٣) رواه أبو داود (٢١٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٤) معالم السنن (٣/ ٢٤٣).

و ليجتنب كذلك المزاح الذي يكون فيه رفع السلاح، أو الإشارة بحديدة أو نحوهما في وجه أخيه المسلم.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «**لا يُشِيرُ أحدكم إلى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فإنه لَا يدرى أحدكم لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ فَيَقَعُ في حُفْرَةٍ من النَّارِ**» (١).

يقول الحافظ ابن حجر ﷺ : «وفي الحديث النهي عما يفضي إلى المحذور، وإن لم يكن المحذور محققا سواء كان ذلك في جد أو هزل» (٢).

٣- وليحذر المسلم أشد الحذر من الكذب في المزاح من أجل إرضاء الناس أو إضحاكهم:

فإن هذا الفعل ليس بحميد! و الوعيد فيه شأنه شديد، فعن معاوية بن حيدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **وَيْلٌ لِلَّذِي يحدث فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ له، وَيْلٌ له**» (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : «المتحدث بأحاديث مفتعلة ليضحك الناس أو لغرض آخر فإنه عاص لله ورسوله» (٤).

ويقول المناوي ﷺ : «كرره إيذانًا بشدة هلكته؛ وذلك لأن الكذب وحده رأس

---

(١) رواه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٦١٧) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني ﷺ.

(٤) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٥٦).

كل مذموم وجماع كل شر» [١].

ويقول الإمام الصنعاني رحمه الله : « الحديث دليل على تحريم الكذب لإضحاك القوم، وهذا تحريم خاص ، ويحرم على السامعين سماعه إذا علموه كذبا، لأنه إقرار على المنكر بل يجب عليهم النكير أو القيام من الموقف»[٢].

٤-وليجتنب كثرة المزاح الذي يجر إلى كثرة الضحك الذي ينتج عنه قسوة القلب وموته ، وضيق الصدر:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **لا تُكْثِرْ الضَّحِكَ، فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ** »[٣].

يقول المباركفوري رحمه الله : « أي تصيره مغمورًا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها مكروها »[٤].

ويقول المناوي رحمه الله: «الضحك المميت للقلب ينشأ من الفرح والبطر بالدنيا، وللقلب حياة وموت، فحياته بدوام الطاعة، وموته بإجابة غير الله من النفس والهوى والشيطان، بتواتر أسقام المعاصي تموت الأجسام بأسقامها، واقتصر من أسباب موته على كثرة الضحك، وهو ينشأ عن جميعها لانتشائه من حب

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٨٤).

(٢) سبل السلام (٤/ ٢٠٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٥٠) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

(٤) فيض القدير (٥/ ٥٢).

الدنيا، وحبها رأس كل خطيئة»[١].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : «قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة:

١. الأكل.

٢. والنوم .

٣. والكلام .

٤. والمخالطة.

كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ»[٢].

فعلى العبد المسلم أن يمازح ويداعب أهله وأصحابه وإخوانه أحيانًا لكسب مودتهم وجلب محبتهم لكن دون أن يقع في محاذير شرعية تُخالف تعاليم دين رب البرية.

وعليه أن يحذر أشد الحذر -أيها الكرام- من أن ينشغل بالمزاح ولهو الكلام عما خُلق من أجله وأُمر بتحقيقه وهو عبادة العزيز العلام، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] .

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٨٧).

(٢) الفوائد (ص ٩٧).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد»[(١)].

فينبغي علينا جميعًا -أيها الأحبة- أن لا نضيع أوقاتنا فيما لا يعود علينا بالنفع ! فإن الأعمار تنقضي والساعات تمضي، ولا يدري أحدنا متى تأتيه منيته! وينزل الموت بساحته!، والله المستعان.

يقول ابن الجوزي رحمه الله : «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا جميعا إلى مرضاته، وأن يجنبنا ما يُصرفنا ويُشغلنا عن عبادته، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر على توفيقنا لكل ما يعيننا على طاعته.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رياض الصالحين (ص٣).

(٢) صيد الخاطر (ص٢).

الْابْتِلَاءُ بِمَرَضِ الْبَدَنِ

وَالْحِكْمَةُ مِنْهُ!!

الْابْتِلَاءُ بِمَرَضِ الْبَدَنِ وَالْحِكْمَةُ مِنْهُ!!

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و على آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الابتلاء بأنواع البلايا والمحن في هذه الدنيا الفانية -أيها الأحبة الكرام- مما كتبه العزيز العلَّام على الأنام، خاصة من هم من أهل الإسلام، قال تعالى:﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الأنبياء: ٣٥].

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»[(١)].

لكن لعدل أرحم الراحمين، ورحمته بعباده المسلمين -أيها الأفاضل- أنه يبتليهم على حسب إيمانهم، وقوة يقينهم وصبرهم.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أَيُّ الناس أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كان دِينُهُ صُلْبًا**

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٥).

اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كان في دِينِهِ رِقَّةٌ، ابتلي على حَسَبِ دِينِهِ، فما يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرض ما عليه خَطِيئَةٌ»[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء:والحكمة في كون الأنبياء أشدُّ بلاء ثم الأمثل فالأمثل، أنهم مخصوصون بكمال الصبر، وصحة الاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى؛ ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم»[(٢)].

ويقول المناوي رحمه الله: «لأن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر، فبلاؤه أشد، ولهذا ضوعف حد الحر على العبد، فهم معرضون للمحن والمصائب وطروق المنغصات والمتاعب»[(٣)].

وإن الأمراض والأدواء -أيها الأحبة والإخوان- هي من أنواع المحن والبلاء التي يُصاب بها عباد الرحمٰن في دار الفناء!!!

لكن مما ينبغي علينا أن نعلمه -أيها الأخيار- أن في إصابة المسلم بالأمراض فوائد وثمار يرجع نفعها عليه في الدنيا والآخرة -بإذن العزيز الغفار-.

فهذه الأمراض التي تَحِلُّ بالعبد قد تكون عقوبةً له على ذنب ارتكبه! أو على واجب ضيَّعَه! فيُقدِّر علام الغيوب أن يُصاب المسلم بمرض ما؛ ليكون ذلك سببًا له في أن يتوب.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٩).

(٣) فيض القدير (١/ ٥١٨).

فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ له الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا، وإذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عنه بِذَنْبِهِ حتى يُوَافِيَ بِهِ يوم الْقِيَامَةِ**» (١).

يقول المناوي ﷺ: «(**عجَّل**) بالتشديد أسرع، (**له العقوبة**) بصب البلاء والمصائب عليه، (**في الدنيا**) جزاءً لما فرط منه من الذنوب، فيخرج منها وليس عليه ذنب يُوافى به يوم القيامة»(٢).

ويقول الإمام ابن القيم ﷺ: «ابتلاء المؤمن كالدواء له، يُستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيَستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة»(٣).

وقد يصاب المؤمن بالأمراض ولا يكون فيها عقوبة له وتعذيب! وإنما تنقية له من المعاصي والذنوب وتهذيب، وله بها رفعة في الدرجات عند رب البريات.

فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حتى يَلْقَى اللهَ وما عليه خَطِيئَةٌ**»(٤).

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذَّبه

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

(٢) فيض القدير (١/ ٢٥٨).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

ونقاه وصفاه، وأهلَه لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه»[(١)].

وعن عائشة ﵂ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من مُصِيبَةٍ يُصَابُ بها الْمُسْلِمُ إلا كُفِّرَ بها عنه، حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»[(٢)].

يقول الإمام النووي ﵀: «فيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإنْ قلَّت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات، وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء»[(٣)].

ويقول الإمام ابن عبد البر ﵀: «الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض والأسقام، وهذا أمر مجتمع عليه والحمد لله»[(٤)].

أيها المسلم الكريم، عليك أن تعتقد أن ما أصابك في هذه الدنيا من البلاء والمحن لم يكن ليُخطئك! وما أخطأك لم يكن ليُصيبك!

فعن أُبَيِّ بن كعب ﵁ أن النبي ﷺ قال له: «**ما أَصَابَكَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ ما أخطاك لم يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ...**»[(٥)].

قال الملا علي قاري ﵀: «فيه الحث على التوكل والرضا، ونفي الحول

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٥).

(٢) رواه البخاري (٥٣١٧)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٨).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢٣/ ٢٦).

(٥) رواه أبو داود (٤٦٦٩)، وصححه الشيخ الألباني ﵀.

والقوّة عنه، إذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة، وعسر ويسر، وخير وشر، ونفع وضر، وأجل ورزق، إلا ويتعلق بقدره وقضائه قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، جرى قلم القضاء بما يكون»[(١)].

وقال العظيم آبادي ﷺ: «**(ما أصابك)** من النعمة والبلية أو الطاعة والمعصية مما قدره الله لك أو عليك **(لم يكن ليخطئك)** أي: يجاوزك **(وأن ما أخطأك)** أي:من الخير والشر**(لم يكن ليصيبك)**»[(٢)].

فيا من ابتُليت بمرض ما! أو بأمراض! اعلم- شفاك الله-أن ذلك في الحقيقة هو منحة لك لا محنة -بإذن الله تعالى-؛ لذا يجب عليك أن تصبر على ما نزل بك من البلاء وتحتسب المشقة التي حلت بك عند العزيز المقتدر، وإياك والجزع والسخط وكل ما ينفي الصبر، وتذكر قول نبيك ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مع عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رضي فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وينبغي للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبًا، مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذُلٍّ وأذى الخلق له، فإن الصبر على المصائب واجب...»[(٤)].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٩٢).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٣٠٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، من حديث أنس ﷺ، وصححه الشيخ الألباني ﷺ .

(٤) مجموع الفتاوى (٨ / ١٩١).

وتذكر كذلك قوله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا له**»(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «الصبر:

١. حبس النفس عن التَّسَخُّط بالمقدور.

٢. وحبس اللسان عن الشكوى.

٣. وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته» (٢).

واحرص-رعاك الله-على التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله ﷻ، وأكثر من الدعاء و التضرع لله تعالى، فإن الدعاء سبب في رد ورفع البلاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء الاستغفار والصدقة والعتق، والله أعلم»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٢) الوابل الصيب (ص ١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٦).

وكذلك عليك الرقية بالقرآن وبما ثبت من سنة رسول الله ﷺ، والإكثار من فعل الطاعات كالصدقة وإعانة الفقراء والمساكين والوقوف مع المحتاجين وسائر أنواع الخير والقربات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء والتضرع إلى الله والتوبة، و التداوي بالقرآن الكريم، وتأثيره أعظم من الأدوية، لكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه» (١).

واعلم -ثبتك الله- أن الشفاء هو بيد الله ﷻ وحده لا شريك له، لذا قال إبراهيم عليه السلام كما أخبر عنه العزيز العلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يُقدر من الأسباب الموصلة إليه» (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ كان إذا عَادَ مَرِيضًا يقول: «**أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ الناس، اشْفِهِ أنت الشَّافِي لَا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» (٣).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ففي هذه الرقية تَوَسُّلٌ إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فَتَضَمَّنَت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته» (٤).

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٩).

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٥) ومسلم (٢١٩١) واللفظ له.

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨٨).

وهذا لا يعني أنك لا تبذل الأسباب المشروعة للعلاج كزيارة الأطباء وتناول الأدوية فذلك مطلوب، ولا منافاة أبدًا بين اتخاذ الأسباب مع الاعتقاد أنها ليست مؤثرة بذاتها، وبين الصبر والتوكل على العزيز الوهاب.

لكن احذر أشد الحذر-وفَّقك الله- من اللجوء إلى وسائل غير مشروعة في العلاج أو استعمال أدوية محرمة؛ لأن ذلك من الآثام و ليس من دين الإسلام.

فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا ولا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(١).

يقول الإمام ابن القيم ﷺ: «وها هنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها، فإن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، فإن النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها، والمبارك من الناس أينما كان هو الذي يُنتفع به حيث حَلَّ، ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها، وتلقي طبعه لها بالقبول، بل كلما كان العبد أعظم إيمانًا كان أكره لها وأسوأ اعتقادًا فيها، وطبعه أكره شيء لها، فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء»(٢).

وتذكر أنّ من رحمة الباري ﷻ ولطفه بعباده المؤمنين أنه سبحانه يكتب لهم أثناء مرضهم أجر ما كانوا يعملون من الأعمال الصالحة في حال الصحة.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا مَرِضَ الْعَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ**

(١) رواه أبو داود (٣٨٧٤)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٥٧)

له مِثْلُ ما كان يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»[١].

قال ابن بطال رحمه الله: «وليس هذا الحديث على العموم، وإنما هو لمن كانت له نوافل وعادة من عمل صالح فمنعه الله منها بالمرض أو السفر وكانت نيته لو كان صحيحًا أو مقيمًا أن يدوم عليها ولا يقطعها؛ فإن الله يتفضل عليه بأن يكتب له أجر ثوابها حين حبسه عنها، فأما من لم يكن له تنفل ولا عمل صالح فلا يدخل في معنى الحديث ؛ لأنه لم يمنعه مرضه من شيء فكيف يكتب له ما لم يكن يعمله»[٢].

واعلم -شفاك الله-أن الله ﷻ لعله ابتلاك بالمرض لتعرف قيمة الصحة والعافية، فهذه النعمة العظيمة لا يعرفها إلا من فقدها! فإذا منَّ الله عليك بعد ذلك بالصحة فاغتنمها واستَغِلَّها فيما يعود عليك بالنفع في الدارين بإذن رب العالمين.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ: شَبَابَكَ قَبل هَرِمِكَ، وصِحَتَكَ قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبل شُغلِكَ، وَحياتَكَ قبل موتِكَ**»[٣].

يقول المناوي رحمه الله: «(**اغتنم خمسا قبل خمس**) أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة: (**حياتك قبل موتك**) أي: اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك، فإنّ من مات انقطع عمله (**وصحتك قبل سقمك**) أي: العمل حال الصحة فقد يعرض

---

(١) رواه البخاري (٢٨٣٤).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٥٤).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١).

مانع كمرض(**وفراغك قبل شغلك**)أي:فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أوّل منازلها القبر(**وشبابك قبل هرمك**)أي: فعل الطاعة حال قدرتك وقوّتك قبل هجوم الكبر عليك(**وغناك قبل فقرك**)أي:التصدّق بفضول مالك قبل عروض جائحة تتلف مالك، فتصير فقيرا في الدارين، فهذه الخمسة لا يُعرف قدرها إلا بعد زوالها»[(١)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ المسلمين في كل مكان من كل الشرور، وأن يشفي مرضاهم وأن يُعافي مُبتلاهم فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الغفور.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٧٧).

الفهارس العامة للكتاب:

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- الأحاديث القدسية

٣- فهرس الأحاديث النبوية.

٤- فهرس الآثار .

٦-فهرس الأبيات الشعرية.

٧- المصادر المعتمدة.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية الصفحة

البقرة:

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾[٢٢] ١٨٨

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[١٢٠] ٥١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾[١٥٩] ٢١

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[١٨٥] ١٣٦

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾[١٩٧] ١٣٦

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾[١٦٨] ..... ٢٤٣، ٢٥٢

آل عمران:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[٨] ٢٦٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١٠٢] ٥

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ﴾[١٣٤] ١٠٤

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾[١٣٥] ٩١

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[١٧٣] ٧٦

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[١٧٩] ١٢٣

النساء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[١] ٥

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[٣٤] ١٨٤

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[٤٣] ٩٧

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[٧٨] ..... ٨٧ - ١٧٩

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[٨٣] ..... ٥٤- ٦٤، ٢٩٠

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[٨٦] ٣١٤

المائدة:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾[٣] ٢٥٨

الأنعام:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[١٢٩] ٤٢

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[١٦٠] ١٣٧

الأعراف:

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾[١١٥] ٧١

﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[١١٦] ٧٢

﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ....﴾[١٢٠-١٢٢] ٧٤

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[١٣٧] ٤٤

التوبة:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣٦] ..... ١٣٦، ١٣٨

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ ...﴾[٤٩] ١٢١

﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ...﴾[٦٥-٦٦] ٣٣٩

يونس:

﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ ...﴾[٨١] ٧٢

يوسف:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٥٦] ١٢٢

﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[٩٢] ١٠٠

الرعد:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١١] ٤٣
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢٨] ١٢٩

إبراهيم:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٧] ٢٦٠

الحجر:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[٩٩] ١٧٥

النحل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ...﴾[٩٠] ٥٩

الإسراء:

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ...﴾[٢٧] ..... ١٦٩، ٢٨٢
﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[٧٤] ٢٦٢

طه

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ ...﴾[٦٨-٦٩] ٧٣
﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ ...﴾[٧١] ٧٤

﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾[٧٢] ٧٥

الأنبياء:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[١٨]..... ٢٥

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٥]..... ٣٤٦

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٦٩]..... ٧٧

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[٨٤] ١٢٣

الحج:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١٠]..... ٤٢

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٥] ١٣٧

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[٢٨]..... ١٦٤

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[٢٨]..... ١٤٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٦٠]..... ٩٧

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[٦٣] ١٩٠

المؤمنون:

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٩٩-١٠٠] ٢٣٦

النور:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ .... ﴾[١٩] ٢١٩
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ .... ﴾[٢٢] ١٠١
﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ .... ﴾[٦٣] ٢١

الفرقان:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[٢٧] ٢٣٦
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ..... ﴾[٦٧] ٢٨٣

الشعراء

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[٤١] ٧١
﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[٤٢] ٧١
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[٨٠] ٣٥٣
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٨٨-٨٩] ٣٣

العنكبوت:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٦٩] ..... ٩٣، ٢٧٦

السجدة:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ... ﴾[١٦-١٧] ٢٦٩

الأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا...﴾[٧٠-٧١] ٥

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ...﴾[٢١] ٣٠٧

فاطر:

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢٨] ٣٠

الزمر:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣٠] ..... ١٠، ٢٣٥

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ...﴾[٥٣] ١٧٦

الشورى:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١١] ٢١٥

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٤٠] ١٠٣

الزخرف:

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[٣٦] ١٣١

الأحقاف:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[٢٤] ١٩١

محمد:

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ... ﴾[٢١].....٢٠٧، ٢٧١.

الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ... ﴾[٦].....٢٨٧

الذاريات:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾[٥٦-٥٨] ..... ٥٥، ١٢٠، ٢٤١، ٢٧٩، ٣٤٢

الحديد:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ... ﴾[١٦] ٨٥

المجادلة:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[١١].....٢٠٩

التغابن:

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[٩]..... ٢٣٦

الإنسان

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾[٨] ..... ٣٢٠، ٣٢١

البروج:

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾[٢-٣] ١٥٠

الفجر:

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾[١-٢] ١٣٩

﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[٢٤]..... ٢٣٤

الكوثر:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[٢]..... ١٦١

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصحابي	الصفحة
إذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ له	أنس	٣٤٨
إذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ في نَفْسِهِ	أنس	٣٤٨
إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ	أنس	٣١٥
الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ،	سعد بن أبي وقاص	٣٤٦
إذا ظَهَرَتِ المعاصي في أمتي	أم سلمة	١٩٢
إذا مَرِضَ الْعَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ له مِثْلُ	أبي موسىٰ الأشعري	٣٥٣
أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ الناس، اشْفِهِ	عائشة	٣٥٢
اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ: شَبَابَكَ	عبد الله بن عباس	٣٥٤
أفضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ	أبو هريرة	٢٦٨
ألا أُخْبِرُكُمْ عن النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ	أبو واقد الليثي	٢٢٣
ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر	زيد بن أرقم	١١٠
ألا كلكم راع وكلكم مسؤول	ابن عمر	٣٦
ألا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ	أبو سعيد الخدري	٢٢
أَمَا إني لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ	معاوية	٢٢٤

إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ ..... عبد الله بن قُرْطٍ ١٦٠
إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ ..... أبو بكرة الثقفي ١٣٨
إِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ..... الحسن بن علي ٣٣٠
إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ ..... أبو الدرداء ٣٥٣
إِنَّ اللهَ عز وجل عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ ..... عبد الله بن مسعود ٩٦
إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ..... عبد الله بن عمرو ١٢
إِنَّ الله يُعطي الدنيا من يُحبُّ ..... عبد الله بن مسعود ٢٥٩
إِنَّ اللهَ ﷻ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ..... يعلى بن أمية ٢١٤
إن اللهَ ﷻ يُباهي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ ..... عبد الله بن عمرو ١٥١
إن المؤمنَ إذا لقيَ المؤمنَ فسلَّمَ ..... حذيفة ٣١١
إِنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصَانِي إذا طَبَخْتَ ..... أبو ذَرٍّ ٣٢٣
أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ ..... أبو هريرة ٢٩٥
أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبي ﷺ عن السَّاعَةِ ..... أنس ٢٩٧
أَنَّ رَجُلًا كان عِنْدَ النبي ﷺ ..... أنس ٢٩٩
أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر .... عائشة ١٩٢
أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم ..... أبو سعيد الخدري ١٦٦
إِنَّ زاهرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ ..... أنس ٣٣٦
إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مع عِظَمِ الْبَلَاءِ ..... أنس ٣٥٠
إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليس كَكَذِبٍ على أَحَدٍ .... المغيرة بن شعبة ٣٢٩
إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أن يُسَلِّمَ الرَّجُلُ .. عبد الله بن مسعود ٣١٣

إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ ..... عبد الله بن مسعود ٣٧
إني لأمزح، ولا أقول إلا حقًا..... ابن عمر..... ٣٣٢، ٣٣٧
أوثقُ عرى الإيمان الحبُّ في الله ..... البراء بن عازب..... ٢٩٤
أَوَلَا أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ ..... أبو هريرة..... ٣٠٤
إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ..... عبد الله بن مسعود ٣٢٨
إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ..... سهل بن سعد الساعدي..... ٢٦٥
آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَبَ..... أبو هريرة ٣٢٧
أَيُّما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ... أبو موسى الأشعري ١٦٧
أَيُّهَا الناس أَفْشُوا السَّلَامَ..... عبد الله بن سلام ٣١٩
بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا ..... حذيفة بن اليمان..... ٢٨٨
تركت فيكم شيئين لن تضلوا ..... أبو هريرة..... ٣٤
ترى المؤمنين في تراحمهم ..... النعمان بن بشير ١٧٠
تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ ..... عائشة ١٦٩
تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ ..... عبد الله بن عمرو..... ٣١٣، ٣١٩
ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ ..... أبو هريرة..... ٣٣٩
ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ ..... أنس ٢٩٥
جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال: ..... عمران بن حصين..... ٣٠٩
حُفَّت الجنة بالمكارة ..... أنس..... ١٢٢
خِيَارُكُمْ من أَطْعَمَ الطَّعَامَ ..... صهيب الرومي ٣٢٠
دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا ورسول الله ﷺ قَاعِدٌ ... عبد الله بن عامر ٣٣٢

الدين النصيحة ..... تميم الداري ..... ٦٤، ٢٠٢
رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ..... عبد الله بن مسعود ٩٨
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله في ظِلِّهِ ..... أبو هريرة ٢٩٦
صيام يوم عرفة أحتسب على الله..... أبو قتادة الأنصاري..... ١٤٣، ١٥٤
ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين..... أنس..... ١٤٤، ١٦١
عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ..... صهيب الرومي..... ٣٥١
عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ..... أبو أمامة الباهلي..... ٢٦٩
فَحَسَرَ رسول الله ﷺ ثَوْبَهُ ..... أنس..... ١٩٣
قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ..... أنس ٢٧٣
كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتْ الرِّيحُ ..... عائشة ١٩١
كان النبي ﷺ يصوم تسع ..... أم سلمة ١٤٢
كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر ..... بريدة بن الحصيب..... ١٦٥
كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سمع أبو هريرة ٣٣٣
كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ ..... أبو هريرة ٢٨٨
كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ..... أبو هريرة..... ٤٩
كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِين ..... أبو هريرة ٢١٧
كُلُّ بني آدَمَ خَطَّاءٌ ..... أنس..... ٩٠
كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ..... عبد الله بن عمر ٨٧
لَا تبدءوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ... أبو هريرة ٣٠٩
لا تزول قدما عبد يوم القيامة ..... أبو برزة الأسلمي ٣٣

لا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ولا بِالنَّصَارَى ..... عبد الله بن عمرو ٣١٤
لا تصاحب إلا مؤمنا ..... أبو سعيد الخدري ٣٢١
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ..... أنس ٢٣٢
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتىٰ يُقْبَضَ الْعِلْمُ ..... أبو هريرة ٢٣٢
لا تُكْثِرْ الضَّحِكَ ..... أبو هريرة ٣٤١
لَا سَمَرَ إلا لِمُصَلٍّ أو مُسَافِرٍ ..... ابن مسعود ٢٧٤
لا يُشِيرُ أحدكم إلىٰ أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ ..... أبو هريرة ٣٤٠
لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط ..... معقل بن يسار ١٦٧
لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ..... عائشة ٩٩
اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ في ..... عبد الله بن عمر ٢٢٠
اللهم علىٰ رؤوس الْجِبَالِ ..... أنس ١٩٤
لو كان لابن آدم واديان ..... أنس ٢٠٨
لو لم تكونوا تُذنبون لخشيت ..... أنس ٩٢
لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا ..... أبو هريرة ١٩٥
ما أَصَابَكَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ..... أبي بن كعب ٣٤٩
مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ ..... أنس ٣٠٠
ما توادَّ اثنان في الله جل وعز ..... أنس ٣٠١
ما رأيت رسول الله ﷺ صائما في العشر .. عائشة ١٤٢
ما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا ..... أبو هريرة ..... ١٠٥، ٣٠٧
مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..... أبو هريرة ٣٢٢

ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ ..... المقدام بن مَعْدِ يكرب ٢٨١
ما من أيام العمل الصالح فيها أحب..... عبد الله بن عباس.. ١٤٠، ١٤٣، ١٥٣
ما من مُصِيبَةٍ يُصَابُ بها الْمُسْلِمُ ..... عائشة ٣٤٩
ما من يَوْمٍ أَكْثَرَ من أَنْ يُعْتِقَ الله ..... عائشة ١٥٢
ما يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ ..... أبو هريرة ١١٩
مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ... أبو موسى الأشعري..... ٢٦٤
الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ ..... فضالة بن عبيد ١٧٢
المرءُ مع من أحبَّ ..... ابن مسعود ٢٩٨
ما من مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ ..... البراء بن عازب..... ٣١١
من أتى فِرَاشَهُ وهو يَنْوِي أَنْ يَقُومَ ..... أبو الدرداء ٢٧١
من أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ ..... عبادة بن الصامت..... ١٥
مَنْ خَرَجَ مَعَ جِنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا ..... أبو هريرة ٢٤٥
من سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ..... عبد الله بن عباس ٢٠١
من سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يوم القيامة ..... عبد الله بن عمر ٢١٧
مَنْ صَلَّى اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً ..... أم حبيبة ٢٤٤
مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَي عَشْرَةَ ..... أم حبيبة ٢٤٤
من عمل عملا ليس عليه أمرنا..... عائشة..... ١٥٧، ١٦٣
من كان له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ ..... أم سلمة ١٤٤
من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يفقهه في الدين ..... معاوية..... ٢٩، ٢٢٩
الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ في معي وَاحِدٍ..... عبد الله بن عمر ٢٧٩

هل تَدْرُونَ مَاذَا قال رَبُّكُمْ ..... زيد بن خالد الجهني ١٨٩
والحج المبرور ليس له جزاء ..... أبو هريرة ١٧٤
وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو لم تُذْنِبُوا ..... أبو هريرة ٩٢
والله لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ ..... أبو هريرة ١٣٢
وَجَبَتْ محبتي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ..... معاذ بن جبل ٢٩٥
ولنفسك عليك حقا ..... أبو جحيفة ٢٧٨
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله في الدنيا ..... أبو هريرة ٢١٧
ويل للذي يحدث فيكذب ..... معاوية بن حيدة ..... ٣٣١، ٣٤٠
يا أَبَا بَكْرٍ ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ ..... أنس ٧٧
يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً ..... سعد بن أبو وقاص ١١٨
يا مَعْشَرَ من قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ ..... ابن عمر ٢٠٠
يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي ..... أنس ٢٦٢
يسلم الراكب ..... أبو هريرة ٣٠٦
يكب الناس ..... معاذ بن جبل ٣٣٠
الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ..... أبو هريرة ١٥٠

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتبع طرق الهدى ولا يضرك	الفضيل بن عياض	١٢٤، ٢٥٣
أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا	الحسن البصري	٢٣٥
أَذِبْه بالذكر	الحسن البصري	٨٨
أما يقيل هؤلاء	الحسن البصري	٢٧٤
أن لا تحبه لطمع في دنياه	الإمام أحمد	٢٩٨
أنصفونا يا معشر الرعية	عبد الملك بن مروان	٤٣
أول سنة خرجت في طلب الحديث	أبو حاتم الرازي	٢٠٩
أيجد لذة الطاعة من يعصي	وهيب بن الورد المكي	١٣٢
أيها الناس، إن الذي أنتم عليه بدعة	نافع مولى ابن عمر	١٤٥
إذا لم تقدر على قيام الليل	الفضيل بن عياض	٢٧٢
إذا وجدت من إخوانك جفاء	المزني	٣٠١
إنا كنا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام	عمر	٥٤
إن أردت أن يصحَّ جسمك	سفيان الثوري	٢٨٠

إن ذنوبي أهون عليَّ من هذا ..... سفيان الثوري ٢١١
إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه ..... ابن مسعود ٩١
إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم ..... مسعر بن كدام ٢٠٣
إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض..... عبد الله بن الزبير ١٩٣
إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة .... أيوب السختياني ١١
إياكم والبِطْنَةُ فإنها تُقسي القلب ..... سفيان الثوري ٢٨٠
البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية .... سفيان الثوري..... ٦٠
بكى ربيعة يوما بكاء شديدًا ..... الإمام مالك ١٢
بهذا ارتفع القوم..... الإمام أحمد..... ٢٠٧
جلست إلى الحسن البصري سبع سنين ... جرير بن حازم ٢٢٥
حُرمت قيام الليل بذنب أحدثته ..... سفيان الثوري..... ٢٧٢
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ..... عبد الله بن عباس ٧٦
حق على كل من يعلم أن الموت مورده ... الحسن البصري..... ٢٣٥
حقيقة الحب في الله ..... يحيى بن معاذ ٢٩٩
خصلتان تُقسيان القلب ..... الفضيل بن عياض ٢٨٠
ذنوبك قيدتك يا ابن أخي ..... الحسن البصري..... ٢٧٢

الذي يفوق الناس في العلم ..... الحسن البصري.....٣٢
رأيت أقواما من الناس لهم عيوب..... زادان المدائني ٢٠١
شهدت إبراهيم النخعي سُئل..... عبد الله بن عون ١٥٥
القائلة من عمل أهل الخير ..... ابن أبي فروة ٢٧٤
الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم..... الحسن البصري.....٤٤، ٦٣
عليكم بذكر الله فإنه شفاء .....عمر بن الخطاب ٢٠١
قيل للشعبي من أين لك هذا العلم .....علي بن المديني ٢٠٨
قد فرطنا في قراريط كثيرة..... عبد الله بن عمر ٢٤٥
لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم .... الحسن البصري.....٤٤
لو كان يوجد للذنوب ريح ..... محمد بن واسع ٢١٩
ليس فيما دون الصدق من الحديث .....عمر بن الخطاب ٣٢٨
ليس هذا من أمر الناس..... الإمام مالك.....١٤٥، ١٥٥
ليس ينبغي لمن عمل .....محمد بن يوسف ٤١
لا أفلح والله من زكى نفسه ..... الذهبي.....٢٥٣
لا تُجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ....ابن عباس ٦٦
لا تُجالسوا أهل الأهواء..... أبو قلابة ٦٦

لا يصلح الكذب في جِدٍّ، ولا هَزْلٍ..... عبد الله بن مسعود ٣٣٢
كانوا يعظمون ثلاث عشرات..... أبو عثمان النهدي ١٤١
كنا في مصر سبعة أشهر..... ابن أبي حاتم..... ٢٢٦
كنا نسافر مع ابن المبارك ..... القاسم بن محمد..... ٢١٠
كنت أجلس يوم الجمعة في مسجد ..... عبد الرحمٰن بن مهدي..... ٢٢٩
ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا..... أيوب السختياني..... ٦٢، ١٥٤
ما أطال عبد الأمل ..... الحسن البصري..... ١٧٩
ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث..... سفيان الثوري..... ٢٤٦
ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة ..... إبراهيم بن أدهم..... ٢٥٣
المؤمن وقاف مُتبين ..... الحسن البصري..... ٢٨٩
المؤمن يستر وينصح ..... الفضيل بن عياض ٢٠٣
من وعظ أخاه سرا فقد نصحه..... الشافعي ٢٠٣
الناس ما داموا في عافية..... الحسن البصري..... ١٢٤
نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم.. ابن عباس ٣٤٦
وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة ..... الذهبي ٣١
وإنما فضل العلم على غيره لأنه..... سفيان الثوري..... ٣٠

ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا .....الحسن البصري.....٩٣، ٢٦٦

والله ما المؤمن بالذي يعمل شهرا .....الحسن البصري ١٧٥

هكذا حفظنا وهكذا وقع في كتابي ..... الإمام مالك ٧

يا بن آدم كل في ثلث بطنك..... الحسن البصري.....٢٨١

يا أبا زرعة لو جعل الصدق ..... الإمام أحمد.....٢٠٨

يا أهل السوق ما أعجزكم..... أبو هريرة ٢٢٢

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
تفنى اللذات ممن نال صفوتَها	سفيان الثوري	١٣٢
وَإِذا كَانَت النُّفُوس كبارًا	المتنبي	٢٠٧
وما مِنْ كاتِبٍ إلا استبْقَى	أحد الشعراء	٢٥٥
وهو الحيُّ فليس يفضح عبده	ابن القيم	٢١٥
وهو العفُوُّ فعفوُهُ وسِعَ الوَرَى	ابن القيم	٩٧

المصادر المعتمدة

المصادر المعتمدة

[١] الإبانة الكبرى لابن بطة / ط. دار الراية -الرياض.
[٢] اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم / ط. دار الرشد - السعودية.
[٣] الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للفوزان/ ط.دار المنهاج- السعودية.
[٤] إحياء علوم الدين للغزالي / ط. دار المعرفة - بيروت.
[٥] أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصفهاني / ط. دار الكتاب العربي - بيروت.
[٦] أدب الدنيا والدين للماوردي/ ط.دار مكتبة الحياة-مصر.
[٧] الأدب المفرد للبخاري / ط. دار البشائر الإسلامية - بيروت.
[٨] الأذكار للنووي/ ط. دار الفكر- بيروت.
[٩] الاستقامة لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض.
[١٠] الأسماء والصفات للبيهقي / ط. مكتبة السوادي - السعودية.
[١١] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
[١٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط.دار الفكر- بيروت.
[١٣] الاعتصام للشاطبي / ط. دار ابن الجوزي - السعودية.
[١٤] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم / ط. دار الجيل - بيروت.

[١٥] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم/ ط.دار ابن الجوزي- السعودية.

[١٦] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية/ ط. دار عالم الكتب -بيروت.

[١٧] الباعث على إنكار البدع لأبي شامة المقدسي / ط.دار الهدى -مصر.

[١٨] البخلاء للجاحظ / ط. دار الفكر العربي - بيروت.

[١٩] البداية والنهاية لابن كثير / ط. مكتبة المعارف -بيروت.

[٢٠] بدائع الفوائد لابن القيم / ط. مكتبة الباز - السعودية.

[٢١] البدع والنهي عنها لابن وضاح/ ط.مكتبة ابن تيمية - مصر.

[٢٢] بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط.دار الرشد -السعودية.

[٢٣] البيان والتبيين للجاحظ / ط . مكتبة الخانجي - مصر.

[٢٤] تاريخ دمشق لابن عساكر / ط. دار الفكر - بيروت.

[٢٥] تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ط.المكتب الإسلامي- بيروت.

[٢٦] التبصرة لابن الجوزي / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

[٢٧] تحذير المسلمين من الابتداع في الدين لابن حجر البوطامي/ ط.دار الإمام البخاري - قطر.

[٢٨] تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني / ط. دار القلم - سوريا.

[٢٩] تذكرة الحفاظ للذهبي / ط. دار المعارف العثمانية.

[٣٠] تفسير ابن كثير / ط. دار الفكر - بيروت.

[٣١] تفسير السعدي / ط. مؤسسة الرسالة .

[٣٢] تفسير الطبري / ط. دار الفكر - بيروت.

[٣٣] تفسير القرطبي / ط. دار الشعب- القاهرة.
[٣٤] تقريب التهذيب لابن حجر / ط.دار الرشيد - سوريا.
[٣٥] تلخيص كتاب الاستغاثة لابن كثير/ ط.دار الغرباء الأثرية - السعودية.
[٣٦] التمهيد لابن عبد البر/ ط. الأوقاف المغربية.
[٣٧] التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي / ط. دار طيبة -الرياض.
[٣٨] تهذيب الكمال للمزي / ط. الرسالة - بيروت.
[٣٩] التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي/ ط.مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.
[٤٠] جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير/ ط.مكتبة البيان - سوريا.
[٤١] جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة. -بيروت.
[٤٢] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ط. دار ابن الجوزي - السعودية.
[٤٣] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم / ط.دار الكتب العلمية-بيروت.
[٤٤] الجواب الكافي لابن القيم / ط.دار المعرفة -بيروت.
[٤٥] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح / ط. دار الكتب العلمية -بيروت.
[٤٦] الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي / ط. دار ابن القيم -السعودية.
[٤٧] حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني / ط.دار الفكر -بيروت.
[٤٨] الحوادث والبدع للطرطوشي / ط. دار ابن الجوزي - السعودية.
[٤٩] الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم

النجدي / ط. دار القاسم – السعودية.

[٥٠] رحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي/ ط.دار الكتب العلمية – بيروت.

[٥١] رسالة في التوبة لابن تيمية / ط. مصر.

[٥٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٥٣] الروح لابن القيم / ط . دار الكتب العلمية – بيروت.

[٥٤] الروض المربع للبهوتي / ط. مؤسسة الرسالة –بيروت.

[٥٥] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

[٥٦] روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

[٥٧] زاد المعاد لابن القيم / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

[٥٨] الزهد للإمام أحمد / ط. دار الفكر – بيروت.

[٥٩] سراج الملوك للطرطوشي / ط. دار العاذرية – السعودية.

[٦٠] السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني / ط.دار المعارف– السعودية.

[٦١] سنن ابن ماجة / ط. دار إحياء الكتب العربية –بيروت.

[٦٢] سنن أبي داود / ط. المكتبة العصرية – بيروت.

[٦٣] سنن الترمذي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٦٤] السنن الكبرى للبيهقي / ط.دار الكتب العلمية – بيروت.

[٦٥] سنن النسائي / ط.مكتب المطبوعات الإسلامية– دمشق.

[٦٦] سير أعلام النبلاء للذهبي / ط. الرسالة –بيروت.

[٦٧] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي / ط.دار طيبة –السعودية.
[٦٨] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ ط.مكتبة الثقافة –القاهرة.
[٦٩] شرح القصيدة النونية لخليل الهراس / ط.دار الكتب العربية –بيروت.
[٧٠] شرح الممتع للشيخ ابن عثيمين / ط. دار ابن الجوزي– السعودية.
[٧١] شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط.دار الوطن –الرياض.
[٧٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال / ط. دار الرشد– السعودية.
[٧٣] الشريعة للآجري / ط. دار الوطن – السعودية.
[٧٤] شعب الإيمان للبيهقي / ط. دار الرشد– السعودية.
[٧٥] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم / ط. دار الفكر – بيروت.
[٧٦] صحيح الأدب المفرد للألباني / ط. دار الصديق – السعودية.
[٧٧] صحيح البخاري / ط. دار الأفكار – بيروت.
[٧٨] صحيح الترغيب والترهيب للألباني / ط.دار المعارف – السعودية.
[٧٩] صحيح مسلم / ط. دار المغني – السعودية.
[٨٠] صفة الصفوة لابن الجوزي / ط. دار المعرفة – بيروت.
[٨١] الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا/ ط.دار الكتاب العربي – بيروت.
[٨٢] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم / ط. دار العاصمة –السعودية.
[٨٣] صيد الخاطر لابن الجوزي / ط.دار القلم –دمشق.
[٨٤] طبقات الحنابلة لأبي يعلى / ط. دار المعرفة – بيروت.
[٨٥] طبقات الكبرى لابن سعد / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

[٨٦] طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني / ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

[٨٧] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم/ ط.دار ابن القيم - السعودية.

[٨٨] عارضة الأحوذي لابن العربي / ط. دار إحياء التراث العربي -بيروت.

[٨٩] العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي / ط. دار الأقصى - الكويت.

[٩٠] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

[٩١] العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي/ ط .دار الكاتب العربي - بيروت.

[٩٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني / ط. دار إحياء التراث العربي -بيروت.

[٩٣] عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي/ ط.دار الكتب العلمية-بيروت.

[٩٤] عيوب النفس ومداواتها لأبي عبد الرحمٰن السلمي/ ط. مكتبة الصحابة-مصر.

[٩٥] عيون الأخبار لابن قتيبة / ط. دار الكتب المصرية.

[٩٦] غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني/ ط.دار الكتب العلمية- بيروت.

[٩٧] الغرباء للآجري / ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

[٩٨] غريب الحديث لابن الجوزي / ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

[٩٩] فتاوى الشيخ ابن باز / إشراف وطباعة:محمد بن سعد الشويعر.

[١٠٠] فتاوى الشيخ صالح الفوزان / ط.دار ابن خزيمة – السعودية.

[١٠١] فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية/ ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء– بالسعودية.

[١٠٢] فتاوى نور على الدرب لابن باز / ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء– السعودية.

[١٠٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط. دار المعرفة .

[١٠٤] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني / ط. دار ابن كثير – دمشق.

[١٠٥] فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط. دار المنهاج – السعودية.

[١٠٦] الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب / ط.دار عمار –الأردن.

[١٠٧] الفوائد لابن القيم/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

[١٠٨] فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي / ط. المكتبة التجارية – مصر.

[١٠٩] قصر الأمل لابن أبي الدنيا / ط. دار ابن حزم – بيروت .

[١١٠] القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي/ ط. دار الرشد – السعودية.

[١١١] قوت القلوب لأبي طالب المكي / ط. دار الكتب العلمية –بيروت.

[١١٢] القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي/ ط. دار المغني – السعودية.

[١١٣] قيام رمضان للمروزي / ط. دار الاعتصام – مصر.

[١١٤] الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم / ط. مكتبة ابن

تيمية –مصر.
[١١٥] كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي / ط.دار الوطن – السعودية.
[١١٦] الكنى والأسماء للدولابي / ط .دار ابن حزم – بيروت.
[١١٧] لسان العرب لابن منظور / ط. دار صادر – بيروت.
[١١٨] لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب / ط. دار ابن حزم –بيروت.
[١١٩] المجرحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان / ط. دار الوعي –سوريا.
[١٢٠] مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. مكتبة ابن تيمية .
[١٢١] مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن –السعودية .
[١٢٢] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الأصفهاني / ط. دار القلم – بيروت.
[١٢٣] مختار الصحاح للرازي / ط.مكتبة العصرية – بيروت.
[١٢٤] مختصر قيام الليل للمروزي / ط. دار الكتب العلمية –بيروت.
[١٢٥] مدارج السالكين لابن القيم / ط. دار الكتاب العربي –بيروت.
[١٢٦] مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية لعبد الملك رمضاني / ط. مكتبة الفرقان –الإمارات.
[١٢٧] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط.دار الفكر – بيروت.
[١٢٨] المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري / ط. دار الكتب العلمية –بيروت.

[١٢٩] مسند الإمام أحمد / ط. الرسالة – بيروت.
[١٣٠] مسند البزار / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.
[١٣١] مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض / ط.مكتبة العتيقة.
[١٣٢] مصنف ابن أبي شيبة / ط. مكتبة الرشد –السعودية.
[١٣٣] معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي / ط. المطبعة العلمية – سوريا.
[١٣٤] معجم الأوسط للطبراني / ط. دار الحرمين – مصر.
[١٣٥] معجم الكبير للطبراني / ط. مكتبة ابن تيمية –القاهرة–.
[١٣٦] مفتاح دار السعادة لابن القيم / ط. دار الكتب العلمية .
[١٣٧] منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط.جامعة الإمام محمد بن سعود – السعودية.
[١٣٨] منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط. دار المعرفة .
[١٣٩] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي / ط. دار الكتب العلمية.
[١٤٠] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ط. لمكتبة العلمية– بيروت.
[١٤١] نيل الأوطار للشوكاني / ط. دار ابن الجوزي – السعودية.
[١٤٢] الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم/ ط.دار الكتاب العربي– بيروت.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمةُ المؤلفِ	٥
رَحِمَكَ اللهُ الْبَارِي، أَيُّهَا الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ	٩
هَذَا مَا يَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْاتِّبَاعِ !!	١٩
مَا الَّذِي تَحْتَاجُهُ أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ؟	٢٧
كَمَا تَكُونُوا؛ يُوَلَّ عَلَيْكُم!!	٣٥
هَذَا مَا يُرِيدُهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ!!	٤٧
تَذْكِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الصِّنْفَيْنِ!!	٥٧
وَقَفَاتٌ عِنْدَ صَبْرِ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ثَبَاتٍ	٦٩
إِلَىٰ مَتَىٰ وَنَحْنُ نُعَانِي مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ؟!!	٨١
الْحِكْمَةُ مِنْ وُقُوعِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْعِصْيَانِ	٨٩
تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّ خُلُقَ الْعَفْوِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ	٩٥
أُكْذُوبَةُ غَدِيرِ خُمٍّ!!!	١٠٧
الْابْتِلَاءُ طَرِيقُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ بِإِذْنِ رَبِّ الْعَالَمِين	١١٧

أيُّ اللَّذَتَيْنِ تُرِيدُ؟! ١٢٧
حَثُّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ اغْتِنَامِ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
مِنْ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ ١٣٥
وَقَفَاتٌ مَعَ يَوْمِ عَرَفَات ١٤٩
وَقَفَاتٌ مَعَ مَا يُفْعَلُ فِي عيدِ الْأَضْحَىٰ مِنْ مُخَالَفَاتٍ ١٥٩
مَاذَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؟! ١٧١
نَصِيحَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِكُلِّ أُخْتٍ مُسْلِمَةٍ عَفِيفَةٍ!! ١٨١
تَذْكِيرُ أُولِي الأَبْصَارِ بِمَا يُشْرَعُ مِنْ أَذْكَارٍ عِنْدَ نُزُولِ الْأَمْطَارِ ١٨٧
تَذْكِيرُ الْغَافِلِينَ بِخَطَرِ تَتَبُّعِ عُيُوبِ الْمُسْلِمِينَ ١٩٧
بِهَذَا ارْتَفَعَ الْقَوْمُ؟! ٢٠٥
الْقَوْلُ الْمُسْتَنِيرُ فِي ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِاسْمِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا السِّتِّيرِ ٢١٣
مَجَالِسُ الْعِلْمِ بَيْنَ الْأَمْسِ! وَالْيَوْمِ!! ٢٢١
مَاذَا قَدَّمْنا لِحَيَاتِنَا؟! ٢٣١
إِلَىٰ مَتَىٰ! وَنَحْنُ نُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبَاتِ؟! ونُفَرِّطُ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ؟! ٢٣٩
تَمَهَّلْ قَلِيلًا!! يَا مَنْ تُغَرِّدُ!! ٢٤٩
لِمَاذَا يَنْتَكِسُ الْبَعْضُ بَعْدَ الْاسْتِقَامَةِ؟! ٢٥٧
أَيْنَ نَحْنُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ؟!! ٢٦٧

تَنْبِيهَاتٌ لِمَا فِي الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ آفَاتٍ!!! ٢٧٧
وُجُوبُ التَّثَبُّتِ وَالثَّبَاتِ عِنْد انْتِشَارِ الشَّائِعَاتِ!!! ٢٨٥
تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِحَقِيقَةِ الْمَحَبَّةِ فِي الْعَزِيزِ الْعَلَّامِ ٢٩٣
تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِأَحْكَامِ وَفَضْلِ إِفْشَاءِ السَّلَامِ..... ٣٠٣
تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ٣١٧
تَذْكِيرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِخَطَرِ الْكَذِبِ فِي الْكَلَامِ ٣٢٥
الْابْتِلَاءُ بِمَرَضِ الْبَدَنِ وَالْحِكْمَةُ مِنْهُ!! ٣٤٥
الفهارس العامة للكتاب:..... ٣٥٧
فهرس الآيات القرآنية ٣٥٩
فهرس الأحاديث النبوية ٣٦٩
فهرس الآثار ٣٧٧
فهرس الأبيات الشعرية ٣٨٣
المصادر المعتمدة ٣٨٥
فهرس الموضوعات ٣٩٥

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام

شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

دار الإمام البخاري
لِلنشرِ والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
albukharibooks@gmail.com

المجموعة الخامسة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يُسعدني- أيها الأفاضل الكرام- أن أَضع بين أيديكم- بعد تيسير رب البرية- المجموعة الخامسة من كتاب: «**تَنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة**»، وهو عبارة كذلك عن مَقَالَات عِلمِيَّة، ونصائح تربويَّة، ورسائل توجيهيَّة إلى أبناء أُمَّتِنا الإسلاميَّة.

فما كان في هذا الكتاب من صواب- أيُّها الأحباب- فهو من توفيق العزيز الوهاب، وما كان فيه مِن خَطَأ، أو سَهْوٍ، أو نسيانٍ؛ فمن مُصنِّفه المقصِّر، وأستغفر على ذلك الغَفور المُقتدر.

فاللهُ جَلَّوَعَلَا «**أبى أن يَكْسُوَ ثَوْبَ العِصْمَةِ لِغَيْرِ الصَّادِقِ المصدوق، الذي لَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ﷺ**»(١).

فرحمَ اللهُ سبحانه أخًا مُحبًّا ناصحًا، وجد وَهْنًا فنصح، أو وجد خللًا فأصلح، ومَن منَّا- أيها الإخوة والأخوات- يَسلم من الخطأ والوقوع في الزَّلات!

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/٣٩٤).

يقول الإمامُ مَالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا حَفِظْنَا وهكذا وقع في كتابي، ونحن نُخطئ، ومَن يَسلمُ من الخطأ؟»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا أن يَنفع بهذه المَقالات مُقيِّدَها وقارئَها، وأن يجعل ما سُطر فيها خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي كُلَّ من أعان على طباعة الكتاب ونشره وتوزيعه بين المسلمين خير الجزاء، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير!

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطيات/ قطر)

(١) «فتح المغيث» للسخاوي (١٦/٢)، «شرح الموطأ للزرقاني» (١١٦/٣).

الإخلاص

سبيل الخلاص

الإخلاص سبيل الخلاص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أهمِّ ما ينبغي على كل مسلم أن يحققه: الإخلاصَ، **يقول القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقته- أي: الإخلاص- تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين»(١).

لماذا أيُّها الأحبةُ الكِرَام؟

لأن العزيز العَلَّام أمر به الأنام، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن لم يُخلص لله في عبادته لم يفعل ما أُمر به، بل الذي أتى به شيءٌ غير المأمور به، فلا يَصح ولا يُقبل منه»(٢).

فالإخلاص- أيها الأفاضل- هو أساس دِين رَبِّ العَالَمِين، **قال**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/١٤٦).

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩١).

أبو العَالِيَة رَحِمَهُ اللَّهُ: « أُسِّسَ الدِّينُ على الإخلاص لله وحده لا شريك له»(١).

وهو شرط في صحة العمل وقبوله من المسلمين، **يقول صِدِّيق حَسَن خَان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا خلاف في أن الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله»(٢).

فلا يَقبل الرحمنُ عملَ عبد كائنًا من كان إلا به، فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إلا ما كان له خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(٣).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا)** أي: عن الرياء والسمعة **(وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)** ومن أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والآخرة فحظه ما أراد، وليس له غيره، والرياءُ من أكبر الكبائر وأخبث السرائر، شَهِدَتْ بِمَقْتِهِ الآياتُ والآثارُ، وتواترت بِذَمِّهِ القصصُ والأخبارُ، ومَن استحيا من الناس ولم يستَحِ من الله فقد استهان به، وويلٌ لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بِجَنَانِهِ»(٤).

وهو من أهم الأسباب المعينة على تقوية إيمان العبد بالعزيز الوهاب، **يقول شيخ الإسلام ابن تَيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما قَوِي إخلاصُ دينه لله

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/٢٢٠).
(٢) «الدين الخالص» (٢/٣٨٥).
(٣) رواه النسائي (٣١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٢).
(٤) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٠/٢٦٥).

كَمُلَتْ عبوديتُه واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله يُبرئُه من الكِبْر والشرك»[(١)].

لأنَّه سبب في تطهير قلوب العباد من العيوب والآفات، فعن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ من وَرَائِهِمْ**»[(٢)].

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا يبقى فيه- أي القلب- غِلٌّ ولا يحمل الغِلَّ مع هذه الثلاثة، بل تَنفي عنه غِلَّهُ، وتنقيه منه، وتخرجه منه؛ فإن القلب يَغِلُّ على الشرك أعظمَ غِلٍّ، وكذلك يَغِلُّ على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال.

فهذه الثلاثة تملؤه غِلًّا[(٣)] ودَغَلًا[(٤)]، ودواء هذا الغِلِّ واستخراج أخلاطه: بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة»[(٥)].

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فمن أخلص أعماله كلها لله، ونصح في أموره كلها لعباد الله، ولزم الجماعة بالائتلاف، وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافيًا نقيًّا، صار لله وليًّا، ومن كان بخلاف ذلك،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) الغِلُّ: بالكسر، الغِش والحِقد. «مختار الصحاح» (ص٢٠٠).

(٤) الدَّغَلُ: بفتحتين، الفساد. «مختار الصحاح» (ص٨٦).

(٥) «مدارج السالكين» (٢/٩٠).

امتلأ قلبُه من كل آفة وشر، والله أعلم»[١].

فمن أخلص للرَّحمن- أيُّها الأحبة والإخوان- ذاق طعم الإيمان بالعزيز المنَّان، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب»[٢].

وكان من أولياء أرحم الراحمين المتقين، **يقول شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن كان مخلصًا في أعمال الدين، يعملها لله، كان من أولياء الله المتقين أهل النعيم المقيم»[٣].

لذا كان الإخلاص سببًا في رفع رب العالمين لقدر ومكانة من سبقنا من سلفنا الصالحين، **فقد ذُكر عند الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **الصدق والإخلاص فقال**: «بهذا ارتفع القومُ»[٤].

فهو طريق النجاة وسبيل الفوز والخلاص في الدارين بإذن خير الحاكمين، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإخلاص هو سبيل الخَلاص، والإسلام هو مركب السلامة، والإيمان خاتم الأمان»[٥].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٧/١٠).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٨/١).
(٤) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٦١/١).
(٥) «مفتاح دار السعادة» (٧٢/١).

أيُّهَا المُسلم!

إنَّ مِن أشدِّ أعدائك وأكثرهم تأثيرًا عليك: نفسَك التي بين جنبيك، فهي من أسباب البلاء والشقاء، من أطاعها جَرَّتْهُ إلى معصية رب البريات وأبعدته عن الخيرات؛ لأن الأصل فيها أنها تأمر بالمنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

يقول الإمامُ الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نُفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله»(١).

ويقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمر صاحبها- أي النفس-بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها- أي صاحبها- قادته إلى كل قبيح وكل مكروه»(٢).

وإنَّ مما تُزينه لك، وتُرغِّبك فيه، البحثَ عن مدح وثناء الناس والطمع فيما عندهم!

وهذا مما يقدحُ في الإخلاص، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجتمع الإخلاصُ في القلب ومحبةُ المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماءُ والنارُ»(٣).

فاحذر-حَرسك الله- أشدَّ الحذر من كل ما يقدح في إخلاصك!

---

(١) «تفسير الطبري» (٣/١٣).

(٢) «إغاثة اللهفان» (ص٧٧).

(٣) «الفوائد» (ص ١٤٩).

وتعاهد نفسك التي بين جنبيك، حُثَّها على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات، وأن يكون ذلك كله لوجه رب الأرض والسموات، وجَنِّبْهَا ارتكاب الذنوب والمحرمات، واعلم أن هذا من أفضل أنواع الجهاد في سبيل خالقك؛ لأنه دائم ومستمر ما دام أن الموت لم ينزل بساحتك، والروح لم تفارقك! فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ النفسَ مَيَّالَةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أَمَّارَةٌ بالسُّوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعاتُ: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور، فالمجاهِد حقيقةً: مَن جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»(٢).

وكذلك اعلم- حفظك الله- أن المُفَرِّطَ في الإخلاص والمرائي بعمله لا يضرُّ في الحقيقة إلا نفسه؛ فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).

(٣) «رواه مسلم» (٢٩٨٥).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به»(١).

وتَيقَّنْ- سددك الله- أنَّه على قدر نيتك يكون توفيق الباري جَلَّجَلَالُهُ لك؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيقَ في مواضعه اللائقة به، والخذلانَ في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم»(٢).

ولتجتهد- وفقك الله- في تحقيق ما خُلِقتَ ووُجِدتَ من أجله في هذه الدنيا الفانية، وهو عبادةُ الباري سبحانه، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحُقَّ عليهم الاعتناءُ بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة؛ فإنها دار نفاد لا محلُّ إخلاد، ومركب عُبور لا منزل حُبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام؛ فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١١٦/١٨).
(٢) «الفوائد» (ص ٩٧).

العُبَّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهاد»[(١)].

واعلم أيُّها المسلم-نفع الله بك- أن المخلص الحقيقي هو الذي جمع في عمله بين الإخلاص للعزيز العلام ومتابعة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، **يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «والمُخلصون: هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله، والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء- فيُجَرِّد[(٢)] عبادةَ الله عن عبادة ما سواه، ويُجَرِّد متابعة رسوله وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره، فَليَزِنِ العاقلُ نفسَه بهذا الميزان قبل أن يوزن يومَ القدومِ على الله»[(٣)].

لذا؛ فإنَّ العِبَادة لا تُقبل إلا بهذين الشرطين الأساسين، يقول أرحم الراحمين: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القربُ من مولاه ونيلُ رضاه»[(٤)].

---

(١) «رياض الصالحين» (ص٣).

(٢) هكذا بالإفراد؛ لأنَّ الكلامَ يَعود على العَالِم الذي يجب عليه أن يَتدبر سِرَّ تَكرير الله في القرآن لقصة أَمْره لإبليس بالسُّجود لآدم عليه السَّلام، كما في السياق قبل هذا الكلام.

(٣) «بدائع الفوائد» (٩٥٢/٤).

(٤) «تفسير السّعْدِي» (ص ٤٨٩).

يقول الإمام الذَّهَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تقوى إلا بعملٍ، ولا عملَ إلا بِتَرَوٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله»(١).

فجماعُ الدِّين يرجع إلى هذين الأصلين العظيمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجماع الدين أصلان: أن لَّا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع»(٢).

فَكُلُّ عملٍ- أيُّها الأحبة والإخوان- فَقَدَ شرطًا من هذين الشرطين فإنه مردود على صاحبه كائنًا من كان، يقول الإمامُ الفُضَيل بن عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه- أي العمل- إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا، والخالصُ إذا كان لله، والصوابُ إذا كان على السُّنة»(٣).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصِفَاته العُليا أن يجعلنا وإيَّاكم من عباده المُخلصين، ولسنة نبيه ﷺ من المُتبعين، وأن يجنبنا الرياء والبدع والمعاصي وكل عمل مشين، فهو سبحانه وليُّ ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦٠١/٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٧/١٠).
(٣) «حلية الأولياء» (٩٥/٨).

تذكير الأخيار
بفضل خُلق الإيثار

تذكير الأخيار بفضل خُلق الإيثار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي على المؤمن- أيها الأحبة الأخيار- هو أن يتحلى بالخصال الكريمة والصفات الحميدة، ومن ذلك خلق الإيثار، **وهو كما قال الجُرْجَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن يقدم المرءُ غيرَه على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأُخُوَّة»(١).

إن الإيثار- أيها الكرام- من أعلى مراتب البذل والعطاء.

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**المراتب ثلاثة:**

إحداها: أن لَّا ينْقُصَهُ البَذْلُ ولا يصعبُ عليه، فهو منزلة السَّخَاء.

الثانية: أن يُعطي الأكثر ويُبقي له شيئًا أو يُبقى مثل ما أعطى، فهو الجُود.

---

(١) «التعريفات» (ص ٥٩).

الثالثة: أن يؤثر غيرَه بالشيء مع حاجته إليه، وهي مرتبة الإيثار»[(١)].

لذا كان الاتصاف بخلق الإيثار من علامات أهل الصلاح الأبرار كالأنصار الذين مدحهم العزيز الغفار، حيث قال عنهم سبحانه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها عمن سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بِمَحَابِّ النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خُلق زَكِيٍّ ومحبةٍ لله تعالى مُقَدَّمَةٍ على شهوات النفس ولذاتها»[(٢)].

لقد كان يُضرب بنبيِّنا ﷺ المثلَ في البَذْل والإيثار، حيث كان ﷺ لا يردُّ سائلًا- حتى وإن سأله عن شيء هو بحاجة إليه، فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً جاءت إلى رسول الله ﷺ بِبُرْدَة، فقالت يا رسول الله: إني نَسَجْتُ هذه بِيَدِي لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا رسول الله ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فيها وَإِنَّهَا لَإِزَارُهُ، فَجَاءَ فُلَانُ بن فُلَانٍ- رَجُلٌ سَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ- فقال يا رَسُولَ الله ما أَحْسَنَ هذه البُرْدَةَ! اكْسنِيهَا؟ قال: «**نعم**»، فلما دخل طَوَاهَا وَأَرْسَلَ بها إليه، فقال له القَوْمُ: والله ما أَحْسَنْتَ! كُسِيَهَا النبي ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا! وقد عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٩٢).

(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص ٨٥١).

سَائِلًا، فقال: إني والله ما سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِأَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِتَكُونَ كَفَنِي، فقال سَهْلٌ رضي الله عنه: (فَكَانَتْ كَفَنَهُ يوم مَاتَ)(١).

وكذلك- أيُّها الأفاضل- كان أصحابه رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم من سلفنا الصالح- رحمهم الله- حيث سَطَّروا لنا أروع الأمثلة وأزكى المعاني في تحقيق هذه الخصلة الكريمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مَجْهُودٌ (٢)، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ ما عندي إلا مَاءٌ، ثُمَّ أرسل إلى أُخْرَى، فقالت مِثْلَ ذلك، حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلك: لا والذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِنْدِي إلا مَاءٌ، فقال: «**من يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ، فقال: أنا يا رسول الله، فَانْطَلَقَ به إلى رَحْلِهِ، فقال لِامْرَأَتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالت: لا، إلا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بشيء، فإذا دخل ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فإذا أهوى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إلى السِّرَاجِ حتى تُطْفِئِيهِ، قال: فقعدوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فلما أَصْبَحَ غَدَا على النبي ﷺ فقال: «**قد عَجِبَ اللهُ مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٣).

يقول الإمامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «هذا الحديث مُشتمل على فوائد كثيرة: منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا، والصبر على

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٥٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) أي: أصابني الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع. «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/١٢)

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٧) ومسلم (٢٠٥٤)، واللفظ له.

الجوع، وضيق حال الدنيا.

ومنها: أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف، ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولًا بما يتيسر إن أمكنه، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه.

ومنها: المواساة في حال الشدائد، ومنها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره، ومنها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومنها: الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يَمتنع منه رفقًا بأهل المنزل؛ لقوله: **(أطفئي السراج، وأَرِيه أنا نأكل)**؛ فإنه لو رأى قلة الطعام، وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل»[(١)].

يقول الإمام الحَسَنُ البَصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهونَ على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتًا، فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلنَّ بعضه لله عَزَّوَجَلَّ، فيتصدق ببعضه وإن كان هو أحوجَ ممن يتصدق به عليه!»[(٢)].

فأين أمثال هؤلاء اليوم بين أهل الإسلام أيها الكرام؟!

إننا لا نقول- أيُّها الأحبة الأفاضل- أنه لا يُوجد مطلقًا من

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/١٢).
(٢) «حلية الأولياء» (٢/١٣٤).

المسلمين اليوم من يتخلق بهذه الخصلة الكريمة! فالحمد لله- أيها الأخيار- فإنه لا تخلو منهم أمصار!

لكن الذي يُحزن كل مؤمن محبٍّ لنشر الخير بين الأنام أن يرى أن هذه الصفة الحميدة التي هي من أسباب نشر الألفة والمحبة بين أهل الإسلام! بدأت تَقِلُّ! بل أصبحت نادرة الوجود، والله المستعان!

لماذا؟!

إنَّ من أهم الأسباب التي أدت إلى اختفاء خُلق الإيثار بين الكثير من المسلمين- أيها الأحباب- ضعفَ التوكل والاعتماد على العزيز الوهاب، وكثرة الذنوب والمعاصي التي هي سبب كل بلاء وأصل كل شقاء، وكذلك تعلق القلوب بالأمور الدنيوية الفانية بدل ربطها بالحياة الأخروية الباقية؛ ولذا نتج عن ذلك طول الأمل الذي هو من أسباب إساءة العمل!

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل»[(١)].

أيها الأفاضل!

إن أرحم الراحمين قد حثنا على الإنفاق والتصدق مما نحب على

---

(١) «حادي الأرواح» (ص ٤٨).

الفقراء والمساكين؛ لأن البذل والعطاء لوجه الرحمن هو طريق الفوز بالجنان بإذن المنَّان، حيث قال سبحانه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حَثٌّ من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال: ﴿لَن تَنَالُواْ﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾، أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدَّمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دلَّ ذلك على إيمانكم الصادق، وبِرِّ قلوبكم، ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاقُ نفائس الأموال، والإنفاقُ في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بِرُّه، وأنه ينقص من بِرِّهِ بحسب ما نقص من ذلك»[(١)].

لكن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة- أن الإيثار بالشيء مع احتياجه هو أكمل من مجرد التصدق به مع محبته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الإيثار مع الخصاصة، فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة، فإنه ليس كل متصدقٍ محبًّا مُؤْثِرًا، ولا كل متصدقٍ يكون به خصاصة، بل قد يتصدق بما يحب مع

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ١٣٨).

اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخَصاصة»[(١)].

فعلينا أن نعلم- أيها الأخيار- أن التحلي بهذه الصفة الجليلة لا يكون مجرد عبارات تُرَدد! ولا شعارات تُرفع! وإنما تتضح حقيقة الاتصاف بهذه الخصلة الكريمة عند الامتحان والاختبار! وذلك عند حاجة الناس لما في أيدي مُدَّعي الإيثار!

فعلى كُلِّ مَن وُفِّق للتَّحَلِّي بخُلُق الإيثار أن يحمد الله جَلَّوَعَلَا العليم ويشكره على أن يسر له تحقيق هذا الخلق الكريم الذي يحبه العزيز الحكيم، وليسعى دائما لدعوة الناس إليه وحثهم على التحلي به.

وعلى كل من لم يتصف به من المسلمين، أن يسأل الله العليم التوفيق لتحقيق هذا الخلق القويم، وأن يبذل الأسباب المعينة له على كسبه والتحلِّي به بإذن السميع الحليم.

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الذي يُسَهِّلُه على العبدِ أمورٌ:

أحدُها: أن تكون طبيعتُه لَيِّنَةً مُنقادَةً سَلِسَةً ليست بجافيةٍ ولا قاسيةٍ، بل تنقاد معه بسهولة.

الثَّاني: أن يكون إيمانه راسخًا ويقينه قويًّا، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٧/١٨٤).

الثَّالث: قوة صبره وثباته.

فبهذه الأمور الثلاثة يَنهضُ إلى هذا المقام، ويَسهل عليه دَرَكُه»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا أن يُوَفِّقنا جميعًا للتحلي بصفات المتقين الأبرار، ومن ذلك خُلق الإيثار، وأن يحفظ المسلمين في كل الأمصار من كيد الفجار ومكر الأشرار؛ فهو سبحانه وَلِيُّ ذلك والعزيز الجَبَّار!

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «طريق الهجرتين» (ص٤٥٠).

تذكير المسلم
بفضل خُلُق الكَرَم

تذكير المسلم بفضل خُلُق الكَرم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أسماء الله جَلَّوَعَلَا الجليلة- أيها الأحبة الأفاضل- اسم **الكريم**، ومن نعوته سبحانه الكريمة صفة الكرم، فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَم**»(١).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكريم هو البهيُّ الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثُر خيره، وحَسُنَ مَنْظَرُهُ من النبات وغيره»(٢).

وإنَّ من الثمرات التي ينبغي على العبد أن يقطفها من إيمانه باسم

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨١/٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٥٨٢).

(٢) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ١٤١).

الله جَلَّجَلَالُهُ الكريم أن يتحلى بخصلة الكرم؛ **يقول الحسن بن علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «الكرم: التبرُّع بالمعروف، والعطاء قبل السؤال»(١).

فالمسلم- أيُّها الكِرَام- ينبغي عليه أن يكون دائمًا كريم النفس، سليم القلب، لا يحقد ولا يحسد أحدًا، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**»(٢).

قال الإمام ابن الأَثِير رَحِمَهُٱللَّهُ: «(**الغِرُّ**): الذي لم يجرب الأمور، وإنما جُعل المؤمن غِرًّا نسبة له إلى سلامة الصدر، وحسن الباطن، والظن في الناس، فكأنه لم يُجَرِّبْ بواطن الأمور، ولم يَطَّلِعْ على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لا يتعدى إليهم منه شَرٌّ، بل لا يكون فيه شَرٌّ فيتعدى. (**الخِبُّ**): الخدَّاع المكَّار الخبيث»(٣).

حريصٌ على الإنفاق في أوجه الخير، يسعى دائمًا لقضاء حوائج الناس على حسب قدرته، قدوتُه في ذلك نبيُّه ﷺ، فعن عبد الله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «**كان رسول الله ﷺ أَجْوَدَ الناس بِالخَيْرِ، وكان أَجْوَدَ ما يَكُونُ في شَهْرِ رَمَضَانَ**»(٤).

يقول ابن القَيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «كان ﷺ أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت

---

(١) «تاريخ دمشق» (١٣/٢٥٨).
(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.
(٣) «جامع الأصول» (١١/٧٠١).
(٤) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) واللفظ له.

يَدُهُ، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحبَّ شيء إليه، وكان سرورُه وفرحه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينُه كالريح المرسلة، وكان إذا عَرَض له محتاج آثره على نفسه، تارةً بطعامه وتارةً بلباسه، وكان يُنَوِّعُ في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعًا»(١).

يُنفق من ماله في سبيل الله جَلَّوَعَلَا على قدر استطاعته، ولا يَحقر من المعروف شيئًا؛ عملًا بقوله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(٢).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث: أن من أعظم المنجيات من النار، الإحسانَ إلى الخلق بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يحتقر من المعروف ولو شيئًا قليلًا، والكلمةُ الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلامَ المُسِرَّ للقلوب، الشارحَ للصدور، المقارنَ للبشاشة

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبشر، وتشمل الذكرَ لله والثناءَ عليه، وذكرَ أحكامه وشرائعه، فكل كلام يقرب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخل في الكلمة الطيبة»(١).

متيقنٌ أنَّ ما يُنفقه من ماله في أوجه الخير سيُعوض عليه في الدنيا والآخرة بإذن الله العليم الخبير، يقول العزيز القدير: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، ﴿فَهُوَ﴾ تعالى (يُخْلِفُهُۥ) فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخَلَفِ- للمُنفق- الذي يَبْسُط الرزق لمن يشاء ويقدر (وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)؛ فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها»(٢).

أيُّها الأحبَّةُ الكِرَام!

وكما ينبغي للمسلم أن يتحلى بخُلق الكرم الذي هو ممدوح وفضيلة، يجب عليه أيضًا أن يبتعد عن صفة البُخل التي هي مذمومة ورذيلة، يقول الإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو- أي: البخل- منع ما يجب بذله من المال شرعًا أو عادة»(٣).

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٥٧).
(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٣٢).
(٣) «سبل السلام» (١٩٧/١).

لأن البُخل- أيها الفضلاء- لم يكن- حتى قبل الإسلام- من خصال الشُرفاء، ولا هو بعده من صفات أهل الإيمان الأتقياء، **يقول ابن بطال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما البخل فليس من صفاتِ الأنبياءِ، ولا الجِلَّةِ الفضلاء»(١).

ولهذا كان نبيِّنا ﷺ يستعيذ منه، فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتٍ كان النبي ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ من البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ من أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ**»(٢).

قال المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(وأعوذ بك من البخل)** بضم الياء وسكون الخاء وبفتحهما، أي: من عدم النفع إلى الغير بالمال، أو العلم، أو غيرهما، ولو بالنصيحة»(٣).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل»(٤).

فيا من ابتليت بهذا الداء! إن كنت مُتيقنًا من أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الغنيُّ الرزاق، فلماذا تمتنع عن الإنفاق والبذل والعطاء؟!

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (٩/٢٣٢).
(٢) رواه البخاري (٦٠١٣).
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٣/٣٧).
(٤) «الجواب الكافي» (ص ٤٩).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كان الخَلَفُ على الله حقًّا، فالبخل لماذا؟!»(١).

ويقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن استنار صدرُه، وعلم غِنى ربه وكرمه، أنفق ولم يخف الإقلاَلَ»(٢).

ولله درُّ القائل:

وكيـــــف أخـــــافُ الفقـــــرَ واللهُ رازقـــــي

ورَازقُ هـــــذا الخلـــــق في العـــــسر واليُـــــسر

تكفَّـــــل بـــــالأرزاق للخَلْـــــقِ كلِّـــــهم

وللـــضَّبِ في البيـــداءِ والحـــوتِ في البحـــر (٣)

اعلم- أيُّها البخيل- أنك لن تضرَّ إلا نفسك، وأن الله تعالى غنيٌّ عنك، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد: ٣٨].

يقول الإمامُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبالُ ذلك عليه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائمًا؛ ولهذا قال

---

(١) «المدخل» لابن الحاج المالكي (٣/٢٢٠).
(٢) «تفسير القرطبي» (١/٢٥٣).
(٣) «تفسير القرطبي» (٩/٧).

تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ أي: بالذات إليه، فَوَصْفُهُ بالغِنى وصفٌ لازمٌ له، ووصفُ الخلق بالفقرِ وَصْفٌ لازمٌ لهم، لا يَنْفَكُّونَ عنه»(١).

فعالِج نفسك- وَفَّقك الله- وذلك باستئصال هذا الداء القتَّال والمرض العُضال قبل وقوفك بين يدي الكبير المتعال، فحينها لا ينفعك الندم على ما فرطتَ من الخيرات، ولا تغني عنك الحسرات! فتقول بعد ذلك كما أخبرنا عنك رب الأرض والسموات: ﴿يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن تَلَهُّفِ ابن آدم يوم القيامة وتَنَدُّمِهِ على تفريطه في الصالحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه التي لا موت بعدها»(٢).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإيَّاكم محاسن الأخلاق، ومن ذلك الكرم والجود، ويصرف عنَّا مساوئها، ومن ذلك الشح والبخل؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٨٣/٤).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨٩/٣٠).

تذكير المسلمين
بمكانة الصبر في الدين

تذكير المسلمين بمكانة الصبر في الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مِن الطرق المُعينة على الفلاح، ومن أهم أسباب الفوز والنجاح في الدارين- بإذن أرحم الراحمين-: أن يتصف العبد بكل ما يحبه العزيز المقتدر، ومن ذلك أن يتحلى بصفة الصبر.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالصبر**: حبس النفس عن الجَزَع، واللسان عن التَّشَكِّي، والجوارح عن لطم الخدود وشَقِّ الثياب ونحوهما»(١).

وللمكانة العالية والمرتبة الرفيعة التي يحتلُّها هذا الخلق الكريم، والأدب القويم في الإسلام- أيها الأحبة والإخوان- ذكره الرحمن في مواطن عديدة في القرآن، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذَكر اللهُ سبحانه

---

(١) «عُدَّة الصابرين» (ص ٧).

الصبرَ في القرآن في تسعين موضعًا»[١].

وأمر به العزيزُ العلام أنبياءَه ورسلَه الكرام، ومن ذلك نبيِّنا عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، حيث قال له تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمر تعالى رسولَه أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لايزال داعيًا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عَظُمَ صبرُهم، وتم يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأُسوة بهم والقَفْوِ لآثارهم، والاهتداء بمنارهم»[٢].

فامتثلَ خيرُ المرسلين، وسيِّد ولد آدم أجمعين بما أمره به ربُّ العالمين، فكان من أكمل من تحلى بهذا الخلق الكريم الذي يحبه العزيز الحكيم.

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبرًا لم يصبره نبيٌّ قبله، حتى رماه المعادون له عن قَوْسٍ واحدة، وقاموا جميعًا بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يُمَكِّنُهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعًا بأمر الله مقيمًا على جهاد أعداء الله، صابرًا على ما يناله من الأذى، حتى مَكَّنَ اللهُ له في الأرض وأظهر دينه على سائر

---

(١) «عدة الصابرين» (ص ٥٧).

(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٠٦).

الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلَّم تسليمًا»[(١)].

وهذا نبيُّ الله جَلَّوَعَلَا أَيُّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا، فرغم ما أصابه من ضُرٍّ، وما نزل به من بلاء إلا أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان صابرًا محتسبًا للأجر؛ يقول عنه سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وأهله وولده فصبر ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ﴾ أي: أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّاع إلى الله بالاستغفار والتوبة»[(٢)].

وكذلك- أيُّها الكِرَام- ضرب لنا جميعُ الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أروعَ الأمثلة وأزكى المعاني والعبر في الاتصاف بخلق الصبر، فمع ما لَاقَوْهُ من أقوامهم من سوء المعاملة، والتحريض عليهم، بل والتعدي عليهم وضربهم- لم ينتقموا لأنفسهم! بل صبروا على الأذى الذي طالهم منهم!

كُلُّ ذلك في سبيل نشر دعوتهم، وحرصهم على هدايتهم إلى كل ما يُحبُّ خالقُهم، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كأنِّي أَنْظُرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نَبِيًّا من الأنبياء ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٠٦).

(٢) «فتح القدير» (٤/٤٣٧).

وجهه، ويقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم، والتصبر، والعفو، والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبيِّنا ﷺ مثل هذا يوم أُحُد»(٢).

لقد عرف- أيها الأحبة- كُلُّ من سلك طريق الأنبياء من عباد الله جَلَّ وَعَلَا الأتقياء مكانةَ الصبر وأنه مفتاح كل خير وطريق الفلاح والنجاح، فاتصفوا به ودعوا الناس إلى التحلي به، يقول عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وجدنا خير عيشنا بالصَّبر**»(٣).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبَه خصوصًا الطاعات الشاقة المستمرة؛ فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبُها الصبرَ فاز بالنجاح، وإن ردَّه المكروهُ والمشقةُ عن الصبر والملازمة عليها لم يدرك شيئًا، وحصل على الحرمان»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٠) ومسلم (١٧٩٢)، واللفظ له.
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/١٥٠).
(٣) «صحيح البخاري» (٥/٢٣٧٥).
(٤) «تفسير السّعْدِي» (ص ٧٥).

وأيضًا علموا ما يمنحه العزيز الوهاب للمتصف به من أجر بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا عامٌّ في جميع **أنواع الصبر**:

الصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها.

والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها.

والصبر على طاعته حتى يُؤَدِّيها.

فوَعَد اللهُ الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حَدٍّ، ولا عَدٍّ، ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحلِّه عند الله، وأنه مُعين على كل الأمور»(١).

وأيقنوا أيضًا أن العاقبة للصابرين المتقين بإذن رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

يقول الإمام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱصْبِرْ﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته وما تَلقى من مشركي قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأَدَّى فرائضه واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يُؤَمِّلون من النعيم في الآخرة والظَّفَر في الدنيا بالطلبة، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله، أَنْ نَجَّاه من الهَلَكَة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٧٢١).

الكرامة، وغرَّق المكذبين به، فأهلكهم جميعهم»[(١)].

وأنَّ ما يترتب على الصبر من أجر لن يضيع بإذن العزيز المقتدر، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصبر والتقوى دواء كل دَاءٍ من أدواء الدين، ولا يستغني أحدُهما عن صاحبه»[(٢)].

وأنَّ الصبر من أهم أسباب التمكين وبلوغ منزلة الإمامة في الدين، بإذن القوي المتين، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: **سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]»[(٣)].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لَمَّا كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر»[(٤)].

---

(١) «تفسير الطبري» (٥٦/١٢).
(٢) «عدة الصابرين» (ص ٥٤).
(٣) «مدارج السالكين» (١٥٤/٢).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤٦٤/٣).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجَمَع سبحانه بين الصبر واليقين؛ إذ هما سعادة العبد، وفَقْدُهُمَا يُفقده سعادتَه؛ فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فبالصبر يدفع الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات، فإن الشهوة والشبهة مضادتان للدين من كل وجه، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر، وشبهاته باليقين»(١).

لهذا ما نال- أيُّها الأفاضل- سلفُنا الصالح منزلةَ الإمامة بالراحة والرفاهية! بل بتوفيق رب البرية، ثم بالتمسك بالعقيدة الصافية، فدعوا الناس إليها، وصبروا وثبتوا على ذلك، ولم يبدلوا ولم يحرفوا رغم ما تعرضوا له من الفتن، وما نزل بهم من المحن، حتى إن منهم من سُجن ومنهم من عُذِّب بل إنَّ بعضهم قُتل! ولم يزدهم ذلك- ولله الحمد- إلا ثباتًا ويقينًا بالله جَلَّ وَعَلَا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك، وإن امتُحنوا بأنواع المحن، وفُتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة»(٢).

---

(١) «رسالة ابن القَيِّم إلى أحد إخوانه» (ص ١٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٠).

فعلينا جميعًا- أيها الأحباب- أن نبذل الأسباب التي تُعيننا- بإذن الله العزيز الوهاب- على تحقيق الصبر والاحتساب، ومن ذلك مجاهدة النَّفس على ذلك، فعن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**»(١).

يقول العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من يتكلف الصبر **(يُصَبِّرْهُ اللهُ)** بضم الياء وتشديد الباء المكسورة أي: يرزقه الله الصبر»(٢).

ولنعلم أيضًا أن الوصول إلى رضا الرحمن والفوز بالجنان لا يُنال إلا بالصبر على طاعة المنَّان والبعد عن الذنوب والعصيان، والرضا بما قدره علينا الدَّيَّان، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الصَّبر**: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية؛ كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المِحْنة في حقه مِنْحة، واستحالت البَلِيَّة عَطِيَّة، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يبتلِه ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبرَه وعبوديتَه»(٣).

فَسِلعَةُ الرَّحمن- أيُّها الأحبة والإخوان- غالية؛ لذا حُفَّت بالمكاره، ولا

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) «عمدة القاري» (٦٨/٢٣).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ١١).

تُنَال إلا بعد صبر وتعب وتضحية بإذن رب البرية، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فَهَتْكُ حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهَتْكُ حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يكره الإكثار منها مخافةَ أن يَجُرَّ إلى المحرمة، أو يقسي القلب، أو يُشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا»(٢).

فَيَا مَن أُوذيت في الله جَلَّ وَعَلَا تذكر منزلةَ الصبر والأجر المترتب عليه، وتأكد أن بعد العُسرِ اليُسرَ، وأن بعد الشدة الفرجَ، وبعد الصبر النصرَ بإذن العزيز المقتدر، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٢) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٢).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦٥/١٧).

النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وأَنَّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأَنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا»(١).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورًا على الأسباب الظاهرة، بل يكون مُلتفتًا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه بأنه سيجعل له بعد عسر يسرًا، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكُربات مع شدة الكربات، وحُلُول المُفظعات(٢)»(٣).

ويقول الشَّيخُ ابنُ عُثَيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لا سيما إذا أوذي في الله، فإنَّه يَصبر ويحتسب، وينتظر الفرج»(٤).

واصبر- ثَبَّتك الله- على ما حلَّ بك من المصائب والخُطوب، واسأل الثباتَ من علام الغيوب، واحذر من أن تُبدِّل أو تُحرِّف دينك الموصل لك بإذن رب البرية إلى جَنَّات قُطوفها دانية، بلذات وشهوات زائلة في

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٧/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٢) جمع مُفْظع، والأمر المُفْظع هو: «الشَّدِيدُ الشَّنِيعُ الذي جَاوَزَ الحَدَّ». «نيل الأوطار» للشوكاني (٢٢٥/٤).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣١٩).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (٦٠٥/٣).

هذه الدنيا الفانية، فمهما اشتد بك الحال- أيها المبتلى- فاعلم أن لك المآل بإذن الكبير المتعال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه لا بد من أذًى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فرَّ منه بكثير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: ٤٩]، ومَن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله- كما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حُزنًا وثُبورًا»(١).

ويا من نزلت به الأمراض والأدواء، أو تأخر عنه الشفاء احتسِب ما بك من مشقةٍ عند العزيز المقتدر، وإياك والجزعَ والسَّخَطَ وكل ما يُنافي الصبر، وتذكر قول نبيك ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رضي فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي للإنسان أن يرضى بما

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/١٣٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبًا، مثل أن يبتليه بفقر، أو مرضٍ، أو ذُلٍّ، وأذى الخلق له؛ فإن الصَّبر على المصائب واجب...»[١].

ويَا من رزقه الحكيمُ القديرُ الصبرَ: اعلم أنَّك قد أُعطيتَ الخير الكثير ونِلتَ- بفضل الله جَلَّوَعَلَا- الأجرَ الكبير، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما أُعْطِيَ أَحَدٌ من عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ من الصَّبْرِ**»[٢].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما كان الصبر أعظم العطايا؛ لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر؛ فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله حتى يقوم بها ويُؤدِّيها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر، وبالصبر ينال الفلاح»[٣].

وعليك أن تشكر الله جَلَّجَلَالُهُ بقلبك وقولك وفعلك على هذه المنحة العظيمة والنعمة الجليلة؛ لأن بالشكر والإيمان تدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحُلُّ وتزداد النقم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩١/٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣)، واللفظ له.

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٢٧).

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كُفْران النعم»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصِفَاته العُليا أن يجعلنا وإياكم من عباده الصَّابرين المُحتسبين، وله دائما سبحانه من التوابين والذاكرين والشاكرين، فهو سبحانه وليُّ ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «أضواء البيان» (٩/١١٢).

حفظ الأمانة

حفظ الأمانة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مِن الخصال الكريمة والأخلاق الحميدة التي عُرف بها الأنبياء وامتاز بها الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام التحلي بصفة الأمانة، لهذا كان كل واحد منهم يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

يقول الإمامُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: إنِّي رسولُ من الله إليكم، أمينٌ فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها، ولا أنقص منها»(١).

وسار على نَهجهم واقتدى بهديهم بالتحلي بهذه الخصلة الجليلة أهلُ الإيمان، كما وصفهم بذلك الرحمن في القرآن، حيث قال عنهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٤١).

يقول الشيخُ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة: أنَّ مِن صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس: أنهم راعون لأماناتهم وعهدهم: أي محافظون على الأمانات، والعهود»(١).

لذا؛ فإن من أسباب سعادة المسلم الحقيقية- أيها الأحبة- أن يُوفَّق للاتصاف بهذه الخصلة الكريمة التي يحبها ربُّ البرية، يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمانة صفة كريمة عظيمة من علامة السعادة»(٢).

إنَّ حفظ الأمانة- أيها الكرام- ليس خاصًّا- كما يظن البعض- بالمعاملات التي تكون بين الأنام، وإنما على الصحيح أنها عامة بجميع وظائف وأحكام دين الإسلام، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»(٣).

ويقول الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمانة تشمل كُلَّ ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظُ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظُ ما ائتمنتَ عليه من حقوق الناس، والعهود أيضًا تشمل: كل ما أُخذ عليك العهد بحفظه، من حقوق الله وحقوق الناس»(٤).

فمما ينبغي على كل عبد مسلم- أيها الأخوة والأخوات- أن يحرص

---

(١) «أضواء البيان» (٣٢١/٥).
(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٥٢/١).
(٣) «تفسير القرطبي» (٢٥٣/١٤).
(٤) «أضواء البيان» (٣٢١/٥).

على أداء ما عليه من حقوق وواجبات، ومن ذلك حفظ وأداء الأمانات، كما أمره بذلك ربُّ البريات، حيث قال سبحانه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأمانات**: كل ما اؤتمن عليه الإنسان، وأُمر بالقيام به، فأَمَر الله عباده بأدائها أي: كاملةً موفرةً، لا منقوصةً ولا مبخوسةً، ولا ممطولًا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله»(١).

فعلى كُلِّ مَن تولى أمور المسلمين أن يخاف فيهم رب العالمين، وليعدل بينهم؛ لأنه مستأمنٌ عليهم، وسيُسأل يوم القيامة عنهم، فعن مَعْقِل بن يَسَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يوم يَمُوتُ وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ**»(٢).

يقول القاضي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه بَيِّنٌ في التحذير من غش المسلمين لمن قَلَّده الله تعالى شيئًا من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده، إما بتضييعه تعريفَهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذَّبِّ عنها لكل متصد

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ١٨٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٢).

لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حَوْزَتِهم، ومجاهدة عَدُوِّهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غَشَّهُمْ»(١).

وليحذر أَشَدَّ الحذر من ظلمهم، والتعدي عليهم، أو أن يُوَلِّيَ عليهم من ليس أهلًا لذلك؛ لأن ذلك من تضييع الأمانة، وهو من علامات الساعة كما أخبرنا بذلك نبيِّنا ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا سأل النبي ﷺ فقال: متى السَّاعَةِ؟ فقال له ﷺ: «**فإذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**» قال: كيف إِضَاعَتُهَا؟قال: «**إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(٢).

يقول ابن بَطَّال رحمه الله: «فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر في أمر الأمة، فإذا قَلَّدوا غير أهل الدين، واستعملوا من يعينهم على الجور والظلم فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم»(٣).

وليحذر أيضًا- أيها الأحبة- كُلُّ عامل أو مسؤول تولىَّ شيئًا من أمور المسلمين من أن يفرط فيه؛ لأن ذلك من الخيانة، **يقول القاضي عياض** رحمه الله: «أصلُ الخِيانَةِ النَّقْصُ، أي: يُنقِص ما ائتُمِن عليه، ولا يؤديه كما كان عليه، وخيانة العبد ربَّه ألا يؤدي حقه، وأمانات عبادته

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/١٦٦).
(٢) رواه البخاري (٥٩).
(٣) «شرح صحيح البخاري» (١/١٣٨).

التي ائتمنه عليها»[(١)].

وهي مِن عَلامات المُنَافقين، كما أخبرنا بذلك خير المرسلين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤتمن خَانَ**»[(٢)].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن كان إذا ائْتُمِن على الأموال والحقوق والأسرار خانها، ولم يقم بأمانته، فأين إيمانه؟ وأين حقيقة إسلامه؟ وكذلك من ينكث العهود التي بينه وبين الله، والعهود التي بينه وبين الخلق متصفٌ بصفة خبيثة من صفات المُنافقين»[(٣)].

وليحذر كذلك من رفع لواءَ النصح من عدم الإخلاص في النصيحة وإرشاد المنصوح إلى ما ينفعه في الدارين كحثه على التمسك بتعاليم الدين وتحذيره من البدع والمعاصي وطريق المنحرفين، فالناصح مستشار وهو مؤتمن، وسيسأله عن ذلك ربُّ العالمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»[(٤)].

قال المُنَاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أمين على ما استُشير فيه، فمن أفضى إلى

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢٢/١).
(٢) رواه البخاري (٣٣) واللفظ له، ومسلم (٥٩).
(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٢).
(٤) رواه أبو داود (٥١٢٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أخيه بسرٍّ، وأَمنَه على نفسه لزمه ألَّا يُشِير عليه إلا بما يراه صوابًا»(١).

فالمؤمنُ الحقيقيُّ- أيُّها الأفاضل- هو من أَمِنَه الناس على أنفسهم وأموالهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «**المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ من أَمِنَهُ الناس على دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»(٢).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به، أوجب لصاحبه القيامَ بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعايةُ الأمانات، والصدقُ في المعاملات، والورعُ عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناسُ هذا منه، وأَمِنُوه على دمائهم وأموالهم، ووثقوا به لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات؛ فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان»(٣).

فمن لم يتصف من أهل الإسلام بهذه الخصلة الرفيعة التي يحبها الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- فإنه ناقص الإيمان، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما خَطَبَنَا نبي الله ﷺ إلاَّ قال: «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ له، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ له**»(٤).

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٤٥٦/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢٧)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١٣٥/٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣١٣٥).

يقول المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المؤمن من أَمِنَه الخلقُ على أنفسهم وأموالهم، فمن خان وجَارَ فليس بمؤمن، أراد نفيَ الكمال لا الحقيقة»(١).

أيُّها العبد المسلم- وفَّقك الله- إن أردتَ النجاح والفلاح في الدارين عليك أن تعمل بوصية خير المرسلين، وتتحلى بهذه الصفة الكريمة التي يحبها أرحم الراحمين، فأدِّ- سَدَّدك رَبُّ العالمين- الأمانةَ إلى كل من ائتمنك، ولا تَخن مَن خانك، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ من خَانَكَ**»(٢).

يقول المُبَارَكْفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)**، أي: لا تعامله بمعاملته، ولا تقابل خِيانته بخيانتك»(٣).

واحذر- حفظك الله- أشدَّ الحذرِ من أن تكون من أهل الخيانة الذين ذمهم نبيك ﷺ، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ...**»(٤).

يقول العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: بأن تكون خيانتُهم ظاهرةً بحيث لا يبقى للناس اعتمادٌ عليهم»(٥).

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/٤٨٨).
(٢) رواه الترمذي (١٢٤٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «تحفة الأحوذي» (٤/٤٠٠).
(٤) رواه البخاري (٢٥٠٨).
(٥) «عمدة القاري» (١٣/٢١٣).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن أخذ درهمًا أو أقل من مال غيره فهو خائن، وكذا من نظر إلى غير أهله بسوء، وكذا جميع الجوارح إذا تعدت إلى متاع غيره فقد خان غيره في ذلك، والخيانة كلها مذمومة مُجانبة للإيمان»(١).

فعلى كل مَن رزقه العزيزُ العلام خصلةَ الأمانة من أهل الإسلام أن يشكره- سبحانه- على هذا العطاء والإنعام؛ لأنه قد أُوتي- بفضل الله القدير- الخيرَ الكثيرَ والفضلَ الكبيرَ، فعن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ، فَلاَ عَلَيْكَ ما فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**»(٢).

يقول الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن تكون (ما) مصدريَّة، والوقت مُقَدَّر، أي: لا بأس عليه وقت فَوْت الدنيا إن حصلتْ لك هذه الخلال وأن تكون نافية، أي: لا بأس عليك؛ لأنَّه لم تفتك الدنيا إن حصلتْ لك هذه الخصال»(٣).

ويقول المُلَّا علي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ **مُعَلِّقًا على كَلَام الطِّيبي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والأول أظهرُ، كَمَا لا يخفى.

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٥٢/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧/٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧٣٣).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤١١/٩).

و(**حِفْظُ أَمَانَةٍ**): يشمل أمانة الأموال والأعمال.

(**وَصَدْقُ حَدِيثٍ**): يعمُّ الأقوال.

(**وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ**) أي: خُلق. والتعبير بها إشارة إلى الحُسن الجِبِلِّي لا التَّكلفي والتَّصنُّعي في الأحوال.

(**وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**): بضم الطاء مع تنوين التاء، أي: احتراز من الحرام، واحتفاظ على الحلال»[(١)].

ويقول المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أطلق الأمانةَ لتشيع في جنسها، فيراعي أمانة الله في التكاليف، وأمانة الخلق في الحفظ والأداء»[(٢)].

فعلى جميع المسلمين- أيُّها الأفاضل- من أصحاب المناصب الدينية كالعلماء وطلبة العلم والمعلمين، أو الدنيوية كالأمراء والوزراء والمسؤولين والمدرسين، وحتى العمال والموظفين، وأيضًا على الآباء والأبناء وكل مَن كان مؤتمنًا على أمر أن يؤديه على أكمل وجهٍ؛ لأنه سيسأله عنه رب العالمين، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ...**»[(٣)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٤١١/٩).

(٢) «فيض القدير» (٤٦١/١).

(٣) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

يقول الإمامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العلماءُ**: الرَّاعي: هو الحَافظ المُؤتمن الملتزم صلاحَ ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أنَّ كل مَن كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصِفَاته العُليا أن يُوفِّقنا وإيَّاكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومِن ذلك حِفظ وأداء الأمانة، ويُبعدنا جميعًا عما يَكرهه ويأباه، ومِن ذلك صِفة الخِيانة؛ فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢١٣/١٢).

خُلُق الحياء

خُلُق الحياء

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي على كل مسلم- أيُّها الأفاضل- أن يتصف بكل خُلُق كان يتحلى به الأنبياء ومن سار على هديهم واقتدى بهم من الأتقياء، ومن ذلك خُلُق «**الحياء**»؛ فعن أبي مَسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى، إذا لم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ**»(١).

يقول الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحياء لم يَزل مُستحسنًا في شرائع الأنبياء الأولين، وأنَّه لم يرفع ولم ينسخ في جملة ما نسخ من شرائعهم»(٢).

ويقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا صورته صورة الأمر، ومعناه معنى الخَبَر المحض، أي: من كان لا يستحيي فإنه يصنع ما يشتهي، ولكنه

---

(١) رواه البخاري (٥٧٦٩).

(٢) «غريب الحديث» للخطابي (١/١٥٦).

صُرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة، وهي أن العبد له من حيائه آمِرٌ يأمره بالحسن وزَاجِرٌ يزجره عن القبيح، ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر، وهذا هو واعظ الله في قلب العبد المؤمن الذي أشار إليه النبي ﷺ، ولا تنفع المواعظ الخارجة إن لم تصادف هذا الواعظَ الباطنَ، فمن لم يكن له من نفسه واعظٌ لم تنفعه المواعظ.

فإذا فُقد هذا الأمرُ الناهي بفقد الحياء فهو مطيعٌ لا محالةَ لداعي الغيِّ والشهوة طاعةً لا انفكاك له منها، فنزل منزلة المأمور، وكأنه يقول: إذا لم تأتمر لأمر الحياء فأنت مؤتمرٌ لأمر الغي والسَّفَه، وأنت مُطِيعُه لا محالة، وصانعٌ ما شئتَ لا محالة، فأتى بصيغة الأمر تنبيهًا على هذا المعنى، ولو أنه عَدَل عنها إلى صيغة الخبر المحض فقيل: **(إِذَا لَمْ تَسْتَحِ صَنَعْتَ ما شِئْتَ)** لم يُفهم منها هذا المعنى اللطيف؛ فتأمله»[(١)].

ولا مُنَافاة أبدًا بين الحياء وقوة القلب، كما يظن بعض الناس!

فهذا رسولُ العَزيز العَلَّام- عليه أفضل الصلاة والسلام- كان أشجعَ الأنام، ومع ذلك كان من أشدِّهم اتصافًا بهذا الخُلُق النَّبيل والأدب الجميل، فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: «**كان رسولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وكان إذا كَرِهَ شيئًا**

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/١١٢).

عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[١].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(العَذْرَاءُ): البِكْرُ؛ لأن عذرتها باقية، وهي جلدة البكارة، و(الخِدْرُ): سِتْرٌ يُجعل للبكر في جنب البيت، ومعنى (عَرَفْنَا الكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ) أي: لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهُه فنفهم نحن كراهتَه، وفيه فضيلةُ الحياء وهو من شُعَبِ الإيمان، وهو خيرٌ كله ولا يأتي إلا بخير»[٢].

إنَّ هذا الخُلُق كريم- أيُّها الأحبة- يَبعثُ على العمل بكل مليح يحبه الغفور الرحيم، وترك كل قبيح يُبغضه السميع العليم، يقول الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحياء: انقباضُ النَّفْس عَن القبائح»[٣].

ويقول الحافظُ ابن الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحياء: خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»[٤].

لذا نجده- أيُّها الأفاضل والإخوان- يقترن دائمًا بالإيمان، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الحَيَاءَ والإِيمانَ قرناء جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخرُ»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٢٣٢٠) واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٥/٧٨).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص ١٤٠).

(٤) «صيانة صحيح مسلم» (ص ١٩٨)

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٦٣٦).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**الحياء والإيمان قرناء جميعًا**) أي: جمعهما الله، ولَازَم بينهما، فحيثما وُجد أحدهما وجد الآخر، (**فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**): لتلازمهما كما تقرّر؛ وذلك لأن المكلف إذا لم يستح من الله لا يحفظ الرأس وما وَعَى، ولا البطن وما حَوَى، ولا يذكر الموت والبِلَى، بل ينهمك في المعاصي»(١).

وهو شُعبة من شُعَبِهِ العظام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإِيمَانِ**»(٢).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَيَاءُ يَبعث على طاعة الله، ويَمنع من ارتكاب المعاصي، كما يَمنع الإيمانُ»(٣).

ويقول الإمامُ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّه- أي الحياء- يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار»(٤).

لهذا كان الحياء- أيها الكرام- من أرفع الأخلاق التي دعا إلى التحلي بها دين الإسلام، فَعَن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ**

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢٨١/١).
(٢) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥)، واللفظ له.
(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٦١/١).
(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٠٠).

خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»[(١)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ)، أي: طَبْعُ هذا الدِّين وسَجِيَّتُهُ التي بها قِوَامه ونِظَامه الحياءُ؛ لأن الإسلام أشرف الأديان، والحياء أشرفُ الأخلاق، فأعطى الأشرافَ للأشرَف، وهذا غالبيٌّ»[(٢)].

وللمكانة الرفيعة- أيُّها الأحبة- التي يحتلها هذا الخلق الكريم كان من الصفات الحميدة، والخصال الجليلة التي يُحبها العزيز الحكيم، فعن يَعْلَى بن أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فإذا اغْتَسَلَ أحدكم فَلْيَسْتَتِرْ»[(٣)].

حتى إنَّ مِن أسماء الله سبحانه الجليلة اسم «الحَيي»؛ فَعن سَلمَان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَستحي مِن عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليه أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[(٤)].

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا حَيَاء الرَّبِّ تعالى مِن عبده: فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تُكَيِّفه العقول؛ فإنَّه حياءُ كرمٍ وبِرٍّ وجُود وجَلَال»[(٥)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٣٤٠).
(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٠١٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٥) «مدارج السالكين» (٢/٢٦١).

ومِن صفاته جَلَّوَعَلَا الكريمة: صفة «الحياء»، يقول الشيخ خليل الهَرَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحياؤه- تعالى- وصفٌ يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تَغَيُّرٌ وانْكِسَارٌ يَعْتَرِي الشخصَ عند خوف ما يعاب أو يُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه.

فالعبدُ يُجَاهرُه بالمعصية مع أنَّه أفقرُ شيءٍ إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب- سبحانه- مع كمال غِنَاه، وتمام قدرته عليه- يَستحي مِن هتك ستره، وفضيحته، فيستره بما يُهيئُه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر»[(١)].

ومِن أسباب محبَّة الرَّحمن لهذه الصفة الحميدة- أيها الأحبة والإخوان- أنها تدعوَ إلى كل خير وإحسان؛ فعن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ**»[(٢)].

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه: أنَّ مَن استحيا من الناس أن يروه يأتي الفجور، ويرتكب المحارم، فذلك داعيةٌ له إلى أن يكون أشد حياءً من ربِّه وخَالقه، ومَن استحيا من ربه فإنَّ حياءه زاجرٌ له عن تضييع فرائضه، وركوب معاصيه؛ لأنَّ كُلَّ ذي فِطرة صحيحة يعلم أنَّ اللهَ تعالى النَّافع له والضَّار والرَّزَّاق والمُحيي والمميت، فإذا علم ذلك

---

(١) «شرح النونية» (٢/٨٠).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٣٧).

فينبغي له أن يستحي منه عَزَّوَجَلَّ»[١].

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنَّ المُستحيي منقبضٌ عن كثير من القول والفعل، والوقاحةُ توجب الانبساط فيقع الشر من ذلك»[٢].

فهو- أيُّها الأفاضل- لا يكون في شيء إلا زانه، وما نُزع منه إلا شانه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شَانَهُ، وما كان الحَيَاءُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ**»[٣].

يقول الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه مبالغة، أي: لو قُدر أن يكون الفحش أو الحياء في جمادٍ لَشَانَه أو زَانه، فكيف بالإنسان؟ وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرَّذِلة [٤] مفتاح كل شر بل هي الشر كله، والأخلاق الحسنة السَّنِيَّة مفتاح كل خير، بل هي الخير كله»[٥].

وهو من أسباب انشراح الصدر وحياة القلب، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء، وقلةُ الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلبُ

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢٩٨/٩).

(٢) «كشف المشكل» (٤٧٧/١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) **قال ابن مَنْظُور** رَحِمَهُ اللَّهُ : «رذل: الرَّذِل والرَّذيل والأرذَل: الدُّون مِن الناس، وقيل : الدون في منظره وحالاته، وقيل : هو الدُّون الخَسيس، وقيل : هو الرَّديء من كل شيء». «لسان العرب» (٢٨٠/١١).

(٥) «فيض القدير» (٤٦١/٥).

أَحْيَا كان الحياءُ أَتَمَّ»[١].

فيَنبغي علينا جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن نَبذل الأسباب التي تعيننا على تحقيق هذا الخُلق الرفيع، الذي مَن تَحَلَّى به اتَّصَف بكل أنواع الخير، وابتعد عن كُلِّ سُبل الشَّرِّ بإذن العزيز المقتدر؛ لأنَّه من أرفع الآداب وأفضل الأخلاق.

يقول الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «خُلُق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانيَّة إلا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء»[٢].

ولنحذر أشدَّ الحذر من التفريط فيه؛ لأن تضييعه سبب في فُشُوِّ المعاصي والمنكرات، فما تُركت الواجبات، وتَجرأ الكثير على فعل المحرمات، وانتشر التبرج، وقَلَّت الحشمة، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، وقلَّ احترام الصغار للكبار إلا بسبب ضياع هذا الأدب القويم والخُلق الكريم!

ولنَجْتَنب كذلك مجاوزة الحَدِّ فيه، فينقلب من حياءٍ ممدوحٍ إلى مذموم يمنع العبد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتَّعَلُّم وقول الحق، ومن الكثير من الخيرات.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٥٩).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٧٧).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ النَّفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخُلقين الذميمين ولا بُد، فإذا انحرفت عن خُلُق التواضع انحرفت: إمَّا إلى كبر وعُلو، وإما إلى ذل ومهانة وحقارة، وإذا انحرفت عن خُلُق الحياء انحرفت: إما إلى قِحَة[١] وجُرأة، وإما إلى عَجزٍ وخَورٍ ومَهَانَةٍ، بحيث يُطمع في نفسه عدوه، ويفوته كثير من مصالحه، ويزعم أن الحامل له على ذلك الحياءُ، وإنما هو المهانةُ والعجزُ، وموتُ النفس»[٢].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإيَّاكم مَحَاسن الأخلاق، ومن ذلك خُلُق الحياء، وأن يَصرف عنا مساوئها، ومن ذلك الوقاحة والجرأة في غير الحق، وكل أنواع الشرور، فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز الغفور.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) أي: وقاحة. «لسان العرب» لابن منظور (٦٣٧/٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٣٠٩/٢).

رسالة إلى
من أدرك شهر رمضان!

رسالة إلى من أدرك شهر رمضان!

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي علينا جميعًا- أيُّها الإخوة والأخوات- أن نحرص أشدَّ الحرص على اغتنام الأوقات، وصرف الساعات، وبذل اللحظات فيما يُرضي رَبَّ البَرِيَّات؛ **يقول ابن الجَوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقَدْر وقته، فلا يُضيِّع منه لحظة في غير قُرْبة، ويُقَدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[(١)].

ومن ذلك- أيُّها الأفاضل الكرام- أن نستغلَّ شهر الصِّيام والقيام- الذي هو مِن أفضلِ شُهور العام وأَحَبِّها للعزيز العَلَّام- في التزود بالطاعات والإكثار من الخيرات.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور، ولا فُضِّلَت به أُمة غير هذه الأمة في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، والشيطان مُبعد مَثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور.

وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحلٌ عنكم، شاهدٌ لكم أو عليكم، مُؤذنٌ بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة، وهو ضعيفٌ مسؤول مِن عند ربٍّ لا يحول ولا يزول؛ يُخبر عن المحروم منكم والمقبول.

فاللهَ اللهَ أكرموا نهاره بتحقيق الصِّيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخُلد والسَّلام»(١).

شهر كريم وموسم عظيم، كان خير الأنام- عليه أفضل الصلاة والسلام- يفرح بقربه ويُبشر بقدومه وحلوله أصحابه الكرام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فيه أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلفِ شَهْرٍ، من حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»(٢).

يقول الإمامُ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يُبَشَّر المذنب بغلق أبواب النيران؟! كيف لا يُبشَّر

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص ٢١٥).

(٢) رواه النسائي (٢١٠٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

العاقل بوقت يُغلُّ فيه الشياطين؟! من أين يُشبِه هذا الزمانَ زمانٌ!»[(١)].

وكان- عليه الصَّلاة والسَّلام- يجتهد فيه بالعبادات ويُكثر فيه من القربات للعزيز الغفور أكثر من بقية الشهور، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان مِن هديه ﷺ في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل- عليه الصلاة والسلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكر، والاعتكاف، وكان يَخص رمضانَ مِن العِبَادة ما لا يَخُص غيره به من الشهور، حتى إنَّه كان لَيُواصل فيه أحيانًا؛ لِيُوفِّر ساعات ليله ونهاره على العبادة»[(٢)].

أيُّها الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي على كل مُسلم- يَسَّر له رب البريات إدراك شهر الخيرات وموسم البركات وميدان الطاعات- أن يَشكره سبحانه على هذا الفضل الكبير والخير الكثير.

لأنَّه بالشكر والإيمان- أيها الأحبة والإخوان- تَدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحل وتزداد النقم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) «لطائف المعارف» (ص١٥٨).

(٢) «زاد المعاد» (٢/٣٠).

يقول الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذه المناسبة إنَّ على كل مُسلم أفرادًا وجماعاتٍ، أن يُقَابلوا نعم الله بالشكر، وأن يَشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يَحذروا كُفران النعم»(١).

وليحذر أشدَّ الحذر أن يُفرط فيه، ويُضيعه في غير ما يرضي خالقه وباريه؛ فإن ذلك من مقابلة ما أنعم به عليه الرحمن بالجحود والكفران، **يقول الشيخُ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليستحِ المجرمُ من ربه أن تكون نعمُ الله عليه نازلةً في جميع اللحظات، ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أنَّ اللهَ يُمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه؛ فإنه رؤوف رحيم.

فالبدارَ البدارَ إلى رحمته الواسعة، وبره العميم، وسلوك الطرق المُوصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه، والعمل بما يحبه ويرضاه»(٢).

ومِن صور الإفراط التي يقع فيها الكثير من المسلمين: ألَّا يَستحضر العبدُ عند صومه الغايةَ الحميدة التي مِن أجلِها شَرَع أرحمُ الرَّاحمين صيامَ هذا الشَّهر الكريم، وهي تقوى رب العالمين؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) «أضواء البيان» (١١٢/٩).

(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٤١).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثالَ أمر الله واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوى:

أنَّ الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه مُتقربًا بذلك إلى الله راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسُه- مع قدرته عليه- لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان؛ فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم- في الغالب- تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أنَّ الغَني إذا ذَاقَ أَلَم الجُوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى»(١).

فنجد مِن المسلمين مَن تصوم جوارحه فقط عن المفطِّرات دون المعاصي والمنكرات؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رُبَّ صَائِمٍ**

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٨٦).

ليس له من صِيَامِهِ إلا الجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ ليس له من قِيَامِهِ إلا السَّهَرُ»(١).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يَصُمْ»(٢).

فنجده يقع في الكذب والغيبة وغير ذلك من المحرمات مع أنه قد حذره من خطورة ذلك رسولُ رب البريات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَن لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٣).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المُهَلَّب: فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرَّفَث وقول الزور، كما يُمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه، وتعرض لسخط ربه، وترك قبوله منه»(٤).

ونجد أنَّ منهم من يُحدث في هذا الشهر الكريم بدعًا ومحدثات

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «الوابل الصيب» (ص ٤٣).
(٣) رواه البخاري (١٨٠٤).
(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال» (٤/٢٣).

ليست بمشروعة في دين رب البريات؛ كالاحتفال بالنصف، أو تخصيص ليلة من لياليه بشيء معين؛ كقيام، أو صيام، ودعاء وقراءة القرآن، فهذه كلها من البدع والمحدثات التي هي مِن زَخرفة الشيطان، والله المستعان.

ومنهم مَن يُضيع فيه الساعات؛ إما في النوم، أو السهر أمام شاشات القنوات، أو في حضور الحفلات وشهود المهرجانات مع ما في ذلك من منكرات!

يقول الشيخُ ابن عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين. اليوم- مع الأسف الشديد- هم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلة وفي تَرَف، ينظرون ما يَتْرَفُ به أبدانهم وإن أَتْلَفُوا أديانهم»[(١)].

وبعضهم يكون هذا الشهر الكريم عندهم فرصة للتنعم والمبالغة في أكل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات دون النظر فيما يلحق ذلك مِن تَبِعَات، ومن أشدها خطرًا، وأكثرها ضررًا فساد القلب وقسوته، **يقول الإمام سُفْيَان الثَّوْرِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياكم والبِطْنَةُ[(٢)]؛

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/٢٠).

(٢) أي: امتلاء البطن من الطعام. «لسان العرب» لابن منظور (١/٣٢٣).

فإنها تُقَسِّي القلب»[١].

أيُّها المُسلم!

أتريد أن تكون ممن دخل عليه رمضان، ثم مضى وقد ضَيَّعه في معصية الرحمن؛ فباء بالحرمان والخسران؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل عليه رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قبل أَنْ يُغْفَرَ له**»[٢].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي رَغِم أَنْفُ من علم أنه لو كفَّ نفسه عن الشهوات شهرًا في كل سنة، وأتى بما وُظف له فيه من صيام وقيام، غفر له ما سلف من الذنوب، فقصَّر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيمانًا واحتسابًا عَظَّمَه اللهُ، ومن لم يُعَظِّمْهُ حَقَّرَهُ اللهُ وأهانه»[٣].

أو تكون ممن أدرك رمضان فاستثمر أوقاته، واغتنم ساعاته فيما يُرضي خالقه؛ فتُرفع درجته، وتغفر ذنوبه بإذن الله سبحانه، فيفوز بالفلاح ويكون من أهل النجاح، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ**»[٤].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه فضل رمضان وصيامه، وأن تنال به

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني (٧/٧٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «فيض القدير» (٤/٣٤).

(٤) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.

المغفرة، وأن الإيمان- وهو التصديق والاحتساب وهو الطواعية- شرطٌ لنيل الثواب والمغفرة في صوم رمضان، فينبغي الإتيان به بنية خالصة وطوية صافية امتثالًا لأمره تعالى، واتِّكالًا على وعده من غير كراهية وملالة لما يصيبه من أذى الجوع والعطش، وكُلفة الكُفِّ عَن قضاءِ الوَطَر، بل يَحتسب النَّصَب والتَّعَب في طول أيامه، ولا يتمنى سرعة انْصِرَامِه، ويستلذُّ مَضَاضَتَه»[(١)].

فإياك ثم إيَّاك، أن تغترَّ بلذة الذنوب والمنكرات، فإنها والله تفنى ويأتي بعدها الندم والحسرات، بخلاف لذة الطاعات فهي باقية ومستمرة في كل الأوقات، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جعل اللهُ- سبحانه- للحسنات والطاعات آثارًا محبوبة لذيذة طيبة لَذَّتُها، فوق لَذَّة المعصية بأضعاف مضاعفة لا نِسبة لها إليها، وجعل للسيئات والمعاصي آلامًا وآثارًا مكروهة وحَزَازَات[(٢)] تَرْبُو على لذة تناولها بأضعاف مضاعفة»[(٣)].

فعلينا جميعًا- أيُّها الأحبة- أن نشكر أرحم الراحمين على نِعَمِه التي لا تُعدُّ ولا تحصى، ونغتنم كل الأوقات في التزود من الخيرات وفي كل ما يرضي رب العالمين حتى لا نكون من المحرومين، وبالأخص هذا الشهر الكريم الذي هو من أفضل الشهور عند العزيز الحكيم، فلنحرص-

---

(١) «فيض القدير» (٦/١٦٠).

(٢) أي: وجع في القلب. «مختار الصحاح» للرازي (ص٥٦).

(٣) «مدارج السالكين» (١/٤٢٣).

وفقكم الله- على صيامه وقيامه، ولنجتهد في فعل الخيرات، ولنجتنب كل المنكرات؛ **يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «إنَّ الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها- هي الحياة في دار القَرَار، فإنَّها دار الخلد والبقاء»(١).

قبل أن نودِّع هذه الدنيا التي هي ممر إلى دار الجزاء والمستقر، ونقف أمام العزيز المقتدر؛ فيسألنا عن كل ما تقدَّم منا وتأخر.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتر نفسَك اليوم؛ فإنَّ السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصلُ فيها إلى قليل ولا كثير؛ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوَفِّقنا وإيَّاكم لما يحبه ويرضاه، ومن ذلك صيام وقيام شهر رمضان، وأن يُبعدنا عن الآثام والعصيان وكل ما يغضب الرحمن؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٩٢٤).

(٢) «الفوائد» (٤٩).

نعمة الصحة

نعمة الصحة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ نعم العزيز المنَّان على عباده- أيها الأحبة والإخوان- لا تُعد ولا تحصى، بل لا يمكن أن يحصرها أيُّ إنسان كائنًا من كان؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨].

يقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وإن تتعرضوا لِتعداد نعم الله التي أنعم بها عليكم إجمالًا- فضلًا عن التفصيل- لا تُطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال، وأصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدًا مُعيَّنًا من عقود الأعداد وضع حصاةً ليحفظه بها، ومعلوم أنه لو رامَ فردٌ من أفراد العباد أن يحصى ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه لم يقدر على ذلك قط، ولا أمكنه أصلًا، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه، فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل

وقت على تنوعها واختلاف أجناسها، اللَّهُمَّ إنَّا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها علينا مما لا يعلمه إلا أنت...»[(١)].

وإنَّ من النعم التي منَّ بها الرحمن على كثير من الأنام- أيها الكرام- نعمة الصحة والعافية في الأبدان، يقول العزيز العَلَّام: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

يقول الإمام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾ أي: صحة جسم، وسعة رزق، وولدٍ، فَمِن الله»[(٢)].

يقول وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رؤوس النِّعم ثلاثة:

فأولها: نعمةُ الإسلام التي لا تتمُّ نعمُه إلا بها.

والثانية: نعمةُ العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتمُّ العيشُ إلا بها»[(٣)].

فهذه النعمة العظيمة- أيُّها الأفاضل- لا يعرف قدرَها ولا قيمتها إلا مَن فقدها؛ **يقول بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «يابن آدم إذا أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فَغَمِّضْ عَينيك»[(٤)].

ومتى ما أراد الإنسانُ أن يعرفَ قدر نعمة الصحة التي تفضل

---

(١) «فتح القدير» (١١٠/٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (١١٤/١٠).

(٣) «عدة الصابرين» لابن القَيِّم (ص١١٧).

(٤) «الشكر» لابن أبي الدنيا (١٨٢).

بها عليه أرحمُ الراحمين، فليذهب إلى المستشفيات لزيارة مرضى المسلمين، ولينظر إلى من هم حوله من المبتلين، وإلى مَن فقد أحد أعضائه، وكذلك إلى المعاقين! فهؤلاء-شفاهم الله- لو أنهم خُيروا بين أموال الدنيا وسلامة الجسد لاختاروا- بلا شك- نعمةَ الصحة والعافية من المرض بإذن رب العالمين.

جاء رجلٌ إلى يُونس بن عُبَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ يشكو ضيق حاله، فقال له: «أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هذا الذي تبصر به مائةَ ألف درهم؟»، قال الرجل: لا، قال: «فبيديك مائةُ ألف؟»، قال الرجل: لا، قال: «فَبِرِجْلَيْكَ؟» قال الرجل: لا، فَذَكَّرَهُ يونس بن عُبَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ بنعم الله عليه، ثم قال له: «أرى عندك مئين ألوف، وأنت تشكو الحاجة!»(١).

لذا- أيُّها الأحبة- فإنَّ نعمة الصحة مِنَّةٌ جليلة وعطيةٌ كريمة، فعن عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا**»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني مَن جَمع الله له بين عافية بدنه، وأَمْن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها،

---

(١) «الشكر لابن أبي الدنيا» (١٠١).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فينبغي ألَّا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المُنعم، لا في معصيةٍ، ولا يَفْتُر عن ذكره»(١).

وليعلمْ كُلُّ من رُزق نعمة الصحة ووُفق إليها، أنه مغبوط عليها وذلك لقيمتها وأهميتها، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**»(٢).

يقول ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحًا، ولا يكون متفرغًا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون مُتفرغًا من الأشغال، ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا للعبد، ثم غلب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغَبْنُ.

كيف والدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر»(٣).

أيُّها الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه أن بالشكر والإيمان تدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحل وتزداد النقم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) «فيض القدير» (٦٨/٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٩).

(٣) «كشف المشكل» (٤٣٧/٢).

يقول الشيخُ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبهذه المناسبة: إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»(١).

وشُكرُها- أيها الأحبة الكرام- لا يكون فقط باللسان كما يظن البعض! بل لا بد أن يكون كذلك بالقلب والأركان، **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:** «وكذلك حقيقته في العبودية، وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعةً.

والشكر مبنيٌّ على خمس قواعد:

خضوع الشاكر للمشكور.

وحبه له.

واعترافه بنعمته.

وثناؤه عليه بها.

وألَّا يستعملها فيما يكره.

فهذه **الخمس**: هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عُدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»(٢).

---

(١) «أضواء البيان» (٩/١١٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/٢٤٤).

ومِن شُكر هذه النعمة- أيُّها الكرام- أن نستغلها فيما ينفعنا في الدارين، ويُرضي عنا أرحم الراحمين، وذلك بصرفها في فعل الطاعات والتزود من الخيرات.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «للهِ على العبد في كل عضو من أعضائه أمرٌ، وله عليه فيه نهيٌ، وله فيه نعمةٌ، وله به منفعةٌ ولذةٌ، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عَطَّل أمر الله ونهيه فيه عَطَّله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته»(١).

لأننا سنُسأل عنها يوم الدين عند الوقوف بين يدي رب العالمين!

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم القِيَامَةِ- يَعْنِي العَبْدَ- من النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ له: أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ من المَاءِ البَارِدِ؟**»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ**) أي: جسدك وصحته أعظم النعم بعد الإيمان، (**وَنُرْوِيَكَ من المَاءِ البَارِدِ**) الذي هو من ضرورة بقائك، ولولاه لفنيت بل العالم بأسره، ولهذا كان جديرًا بالسؤال عنه والامتنان به»(٣).

---

(١) «الفوائد» (ص ١٩٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «فيض القدير» (٢/٢٠٤).

فيا من رزقكم الرحمنُ نعمة الصحة والعافية في الأبدان! استثمروها واغتنموها في طاعة المنَّان قبل فوات الأوان، كما أمركم بذلك رسولُ العزيز العَلَّام- عليه أفضل الصلاة والسلام- فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ: شَبَابكَ قَبل هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبل شُغلِكَ، وَحياتَكَ قبل موتِكَ**»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**) أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة: (**حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**) أي: اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك، فإنَّ مَن مات انقطع عمله، (**وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ**) أي: العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض، (**وفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ**) أي: فَرَاغَكَ في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أوَّلُ منازلها القبر، (**وشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ**) أي: فعل الطاعة حال قدرتك وقُوّتِك قبل هجوم الكِبَرِ عليك، (**وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**) أي: التصدُّق بفضول مالك قبل عُروض جَائِحَةٍ تُتْلِفُ مالك، فتصير فقيرًا في الدارين، فهذه الخمسة لا يُعرف قدرُها إلا بعد زوالها»(٢).

واعلموا أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فمن حَفِظَ جوارحه واستغل صحته فيما يرضي ربه جَلَّ جَلَالُهُ رجع عليه نفع ذلك يوم يقف أمام

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١/٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب» (٣٣٥٥).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٧٧/١).

خالقه، بل إن الله جَلَّوَعَلَا من كرمه سيحفظ له قوته عند كِبَرِه وتقدم سِنِّهِ.

يقول الإمام ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَنْ حَفِظ اللهَ في صباه وقوته، حفظه اللهُ في حال كِبَرِهِ وضعف قوته، ومَتَّعَه بسمعه وبصره وحَوْله وقوته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو مُمَتَّعٌ بقوته وعقله فوثب يومًا وثبةً شديدةً فعُوتب في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وعكسُ هذا أن بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيفٌ ضيع اللهَ في صغره فضيعه اللهُ في كبره»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإيَّاكم ممن يغتنم صحته ووقته فيما يعود عليه بالنفع في الدارين، وأن يُمتعنا وإياكم بالصحة والعافية في كل وقت وحين، وأن يشفي جميع مرضى المسلمين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ١٨٦).

تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين

تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ التوكُّل على العزيز الحميد- أيُّها الأفاضل- من أهم مباني التوحيد، وهو من أشرف العبادات التي يُتقرب بها إلى الكريم المجيد، وتحقيقُه واجب على العبيد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّل على الله واجب من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجبٌ، وحب الله ورسوله واجبٌ»(١).

فالتوكُّل على الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- لا غنى للإنسان عنه مهما كان، فالعبد مهما علت مكانته وارتفعت درجته فهو في افتقار دائم للعزيز المنَّان، يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل على الله والاستعانة به خُلقٌ جليل يضطر إليه العبد في أموره كلِّها دينيِّها ودنيويها؛ لأنَّه وإن كان الله تعالى قد أعطى العبدَ قدرةً وإرادة تقع بها أفعاله الاختيارية، ولم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٧).

يجبره على شيءٍ منها، فإنَّه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فإذا اعتمد بقلبه اعتمادًا كليًّا قويًّا على ربه في تحصيل وتكميل ما يريد فعلُه من أمور دينه ودنياه، ووثق به أعانه وقوَّى إرادته وقدرتَه، ويسَّر له الأمر الذي قصده، وصرف عنه الموانعَ أو خَفَّفَها، وتضاعفت قوةُ العبد وازدادت قدرتُه؛ لأنَّه استمد واستماح من قوة الله التي لا تنفذ ولا تبيد»[(١)].

ولهذا كان من هدي الأنبياء والمرسلين التوكلُ على أرحم الراحمين في كل وقتٍ وحينٍ، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**(حسبنا الله ونعم الوكيل)**؛ قالها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النَّار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]»[(٢)].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو حَسْبُ من توكَّل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يُؤَمِّنُ خوف الخائف ويجبُر المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه، وحفظه، وحرسه، وصانه، ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويَحذر، وجَلَب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع»[(٣)].

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).

(٢) رواه البخاري (٤٢٨٧).

(٣) «بدائع الفوائد» (٤٦٣/٢).

وهو من صفات أهل الإيمان كما أخبرنا بذلك عنهم العزيز الرحمن قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطرٌ إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبدُ أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذلٌ جهدَه في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبدُ هذا العلمَ وهذا الاعتمادَ والثقةَ فهو المتوكلُ على الله حقيقةً، وليبشَّرْ بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أَمَلُه»[(١)].

اعلم أيها المسلم- رحمك الرحمن- أن تحقيق هذه العبادة العظيمة لا يكون بمجرد النطق باللسان، دون صدق اعتماد القلب على المنَّان، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو: صدق اعتماد القلب على

---

(١) «القول السديد في شرح كتاب التوحيد» (ص١٢٢).

الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة»[١].

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سِرُّ التوكُّل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرةُ الأسباب مع خُلُوِّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: «توكَّلتُ على الله» مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكُلُ اللسان شيءٌ، وتوكل القلب شيءٌ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيءٌ، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيءٌ، فقول العبد: «توكَّلتُ على الله» مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: «تبتُ إلى الله»، وهو مصرٌّ على معصيته مرتكب لها»[٢].

واعلم كذلك- رعاك الله- أن بذل الأسباب لا ينافي التوكل على الكبير المتعال كما يظن بعض الجهال، بل إن اتخاذها والعمل بها من التوكل، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به»[٣].

لكن احذر أيها المسلم- ثبتك الله- أشدَّ الحذر من الاعتماد على الأسباب فقط؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن أنكر الأسباب لم

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٦).
(٢) «الفوائد» (ص ٨٧).
(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٧).

يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حالُ قلبه قيامَه بالله لا بها، وحالُ بدنه قيامَه بها»[(١)].

أيُّها الأحبة الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي أن نتيقن منه أننا لو ربطنا قلوبنا حقًّا بخالقنا جَلَّ وَعَلَا، وتوكلنا عليه حقَّ التوكُّل في شؤوننا كلها لما دبَّ إلينا النقص، وضعف إيماننا، ولرزقنا الله جَلَّ جَلَالُهُ من حيث لا ندري؛ فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كما يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[(٢)].

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث أصلٌ في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق»[(٣)].

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إخبارٌ بأنه- سبحانه- يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون، وأنه لا يُخليهم من رزقٍ قط، كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدو من أوكارها خماصًا فيرزقها- سبحانه- حتى ترجع بِطَانًا من رزقه، وأنتم أكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات، فلو توكلتم عليه لرزقكم من حيث لا تحتسبون، ولم يمنع

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٢٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٦).

أحدًا منكم رزقه»[(١)].

ويقول المُلَّا علي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**تَغْدُو**) أي: تذهب أول النهار، (**خِمَاصًا**) بكسر الخاء المعجمة: جمع خميص، أي: جياعًا، (**وتَرُوحُ**) أي: ترجع آخر النهار، (**بِطَانًا**) بكسر المُوحَّدة: جميع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد: شِبَاعًا»[(٢)].

لأنَّ من توكل على الله جَلَّوَعَلَا حق التوكل فهو- سبحانه- حسبُه وناصرُه ومؤيدُه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه»[(٣)].

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ٢٨٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/٥٧٣).

(٣) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٥٨).

لأنَّ التوكل الحقيقي على رب العالمين هو مفتاح كل خير، وطريق كل نجاح وفلاح في الدَّارين بإذن أرحم الرَّاحمين، **يقول الشيخُ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتوكل الحقيقي يطرد عن العبد الكسل، ويوجب له النشاط التام على الأمر الذي توكل على الله به، ولا يتصاعب شاقًّا، ولا يستثقل أي عمل، ولا ييأس من النجاح وحصول مطلوبه، عكس ما يظنه بعض المنحرفين الذين لم يفهموا معنى التوكل، أو فهموه لكن إنكار القدر والقضاء صرفهم عن الحق، فحسبوا أنَّ التوكُّل يضعف الهمة والإرادة، وأساؤوا غاية الإساءة، حيث ظنوا بربهم الظن السوء، فإنَّ الله أمر بالتوكُّل في آيات كثيرة، وأخبر أنَّه من لوازم الإيمان، وَوَعَدَ المتوكلين الكفايةَ وحصولَ المطلوب، وأخبر أنَّه يحبهم، وأنَّه لا يتم الدين إلا به، ولا تتم الأمور إلا به، فالدين والدنيا مفتقرات إلى التوكُّل»[(١)].

فالعبد بتحقيقه التوكل يقطف ثمارًا نافعة وفوائد جليلة من أهمها الرضا بقضاء الله جَلَّوَعَلَا وقَدَرِه، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكل أموره إلى الله ورضي بما يقضيه له ويختاره فقد حَقَّق التوكلَ»[(٢)].

وحصول المطلوب ونيل المرغوب بإذن علام الغيوب، **يقول الإمام**

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٤٢).

ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من صَدَقَ تَوَكُّلُه على الله في حصول شيء نَالَهُ»(١).

ويندفع كذلك بتحقيقه- بإذن الله جَلَّ وَعَلَا- عنه المكروهُ، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه»(٢).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وللتوكل فوائد عظيمة:

منها: أنَّه لا يتم الإيمان والدين إلا به، وكذلك لا تتم الأقوال والأفعال والإرادات إلا به.

ومنها: أنَّ من توكل على الله كفاه، فإذا وَعَدَ اللهُ عبدَه بالكفاية إذا توكل عليه عُلِمَ أنَّ ما يحصل من الأمور الدينية والدنيوية، وأحوال الرزق وغيرها بالتوكل أعظم بكثير مما يحصل إن حصل إذا انقطع قلب العبد من التوكل.

ومنها: أنَّ التوكل على الله أكبر سبب لتيسير الأمر الذي تُوكِّل عليه وتكميلِه وتتميمِه، ودفع الموانع الحائلة بينه وبين تكميله.

ومنها: أنَّ المتوكل على الله قد علم أنَّه اعتمد في توكله، واستند إلى من جميعُ الأمور كلِّها في ملكه، وتحت تصريفه وتدبيره، ومن جملتها: فعل العبد، فكلما فترت همتُه وضعف نشاطُه أَمَدَّه هذا التوكلُ بقوةٍ إلى

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١١٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/١٢٠).

قوته، وقد وثق بكفاية ربه، والوثوقُ والطمعُ في حصول المطلوب لا شك أنَّه من أعظم الأسباب الباعثة على الأعمال المرغبة فيها، وهذا أمر مشاهَدٌ معلومٌ.

ومنها: أنَّ المتوكل على الله حقيقة قد أبدى الافتقار التام إلى ربه، وتبرأ من حوله وقوته، ولم يُعجَبْ بشيء من عمله، ولم يَتَّكِل على نفسه لعلمه أنَّها ضعيفةٌ مهينةٌ، سريعة الانحلال، بل لجأ في ذلك إلى ربه، مستعينًا به في حصول مطلوبه.

وهذا هو الغِنى الحقيقي؛ لأنَّه استغنى بربه وكفايته، وهو مع ذلك قد أبدى غاية المجهود، فتبين أنَّ التوكل لا ينافي القيام بالأسباب الدينية والدنيوية، بل تمامه بفعلها بقوة صادقة وهمة عالية، معتمدة على قوة القوي العزيز»[(١)].

ومَن ضيَّع وفرَّط في تحقيق هذه العبادة العظيمة- أيها الكرام- باء بالخسران وأصبح من أهل الحرمان؛ لأن من أسباب الغواية والبعد عن الهداية- أيها الأحباب- عدم التوكل على العزيز الوهاب، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعبدُ آفته: إما من عدم الهداية، وإما من عدم التوكل، فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمانَ كله»[(٢)].

فلنحرص أيُّها الأفاضل- رعاكم الرحمن- أشد الحرص على تحقيق

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).

(٢) «مدارج السالكين» (١٢٧/٢).

هذه العبادة الكريمة التي هي مُوصلة إلى كل خير بإذن العزيز المقتدر، ولنحذر أشدَّ الحذر من أن نعتمد فقط على الأسباب دون ربط القلوب برب الأرباب، أو لا نسعى في تحقيق الأسباب ظنًّا منَّا أن ذلك ينافي التوكل على العزيز الوهاب! فهذا ليس بصواب، يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورًا على الأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتًا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرًا، وأن الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات، وحلول المُفْظِعَات»(١).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للسير على منهج الأنبياء، واقتفاء أثر الأصفياء، ويجعلنا جميعًا من عباده الأتقياء الذين يتوكلون عليه في السراء والضراء، فهو سبحانه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣١٩).

السـهر

السهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من آيات الله العظيمة ونعمه الجسيمة على الأنام- أيها الأحبة الكرام- أن جعل النهار عونًا لهم على تحصيل معاشهم وما يحتاجونه في أمور دينهم ودنياهم، والليل سكنًا يرتاحون فيه من التعب، ويستعدون به لعمل النهار، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم؛ وذلك بسبب ما فيه من الظلمة فإنهم لا يسعون فيه للمعاش، والنهار مبصرًا، ليبصروا فيه ما يسعون له من المعاش الذي لا بُدَّ له منهم، ووَصَف النهار بالإبصار- وهو وصفٌ للناس- مبالغةً في إضاءته كأنه يبصر ما فيه. قيل: في الكلام حذف، والتقدير: وجعلنا الليل مظلمًا ليسكنوا، وحذف مُظلمًا لدلالة ﴿مُبْصِرًا﴾ عليه»[(١)].

---

(١) «فتح القدير» (٤/١٥٤).

فنوم الليل هو من أهم الأسباب المعينة على العمل والجدِّ في النهار أيها الأحباب، يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٧].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه وتهدؤوا بالنوم وتسبُت حركاتكم أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل لما سكن العباد، ولا استمروا في تصرفهم فَضَرَّهُم ذلك غايةَ الضرر، ولو استمر أيضًا الظلامُ لتعطلت عليهم معايشُهم ومصالحُهم، ولكنه جعل النهار نشورًا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح»(١).

لذا كان من هدي نبيِّنا ﷺ- أيُّها الأفاضل- المحافظة على نوم الليل لما فيه من مصالح دينيه ودنيوية مُتَعَدِّيَة ترجع على العبد في أموره اليومية، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تدبَّر نومه ويقظته ﷺ وجده أعدلَ نَوْمٍ، وأنفَعَه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أولَ الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم ويَستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب اللهُ له، فيأخذ البدنُ والأعضاءُ والقوى حظَّها من النَّوم والراحة، وحظَّها من الرياضة مع وُفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة.

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٣٦٤).

ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان يفعله على أكمل الوجوه»[(١)].

لأجل ذلك كان عليه الصلاة والسلام يَكره الحديث بعد العشاء إلا لما فيه فائدة، فعن أبي بَرْزَةَ الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها: أنه يُعَرِّضُهَا- أي: الصلاة- لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يَتَسَاهل الناسُ في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعة.

وسبب كراهة الحديث بعدها: أنه يؤدي إلى السهر، ويُخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز، أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سببٌ للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين والطاعات، ومصالح الدنيا»[(٣)].

ومما يجوز السهر بسببه: ما كان فيه مصلحة راجحة بشرط ألَّا يُؤدي ذلك لتضييع ما هو أوجب كصلاة الفجر، أو ما هو متعلق بحقوق الغير؛

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٢٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (٦٤٧).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٥/١٤٦).

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا سَمَرَ إلا لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: لِمُصَلٍّ، أو مُسَافِرٍ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، أما ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمُدَارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّمَرُ- أي: السَّهَرُ- بعدها- أي صلاة العشاء- ذريعةٌ إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحةٌ راجحةٌ كالسَّمَرِ في العلم ومصالح المسلمين لم يُكْرَه»(٣).

لكننا اليوم- أيها الكرام- نرى الكثير من أبناء الإسلام يخالفون هدي خير الأنام- عليه الصلاة والسلام- فيسهرون ويسمرون دون سبب أو حاجة مع أن ذلك مكروه؛ **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومتى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤١٢/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٣٥).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤٦/٥).

(٣) «إعلام الموقعين» (١٤٨/٣).

كان السَّمَرُ بِلَغْوٍ ورَفَثٍ وهِجَاءٍ فإنه مكروهٌ بغير شك»[(١)].

ويعظم الخذلانُ ويزداد الحرمانُ ويأثم العبدُ- أيها الأحبة والإخوان- إذا كان سهَره فيما يُغضب الرحمن؛ مِن ذلك ما يفعله بعض أبناء الإسلام من مشاهدة الأفلام أو المباريات أو سماع مزمار الشيطان، أو إضاعة الأوقات في النميمة والغيبة اللتين لا يسلم منهما إلا من عصمه المنَّان، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن هاتين الخصلتين- أي: النميمة والغيبة- من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس حتى ما يسلم منهما إلا القليل من الناس»[(٢)].

ألا يعلم من اعتاد السهر من غير مصلحة راجحة أو أمر معتبر أن هذا الفعل قد يَحرِمه مما ينفعه في دينه ودنياه، فيعود عليه بالخسران والضرر؛ **يقول الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا أطال الإنسانُ السهرَ فإنه لا يعطي بدنه حظَّه من النوم، ولا يقوم لصلاة الصبح، إلا وهو كسلان تعبان، ثم ينام في أول نهاره عن مصالحة الدينية والدنيوية، والنوم الطويل في أول النهار يؤدي إلى فوات مصالح كثيرة، وقد جرب الناس أن العمل في أول النهار أبرك من العمل في آخر النهار، وأنه أسد وأصلح وأنجح، وأنه أبرك؛ فإن البكور مبارك فيه، وهؤلاء الذين يسهرون الليالي، لا شك أنهم لا يستطيعون البقاء بدون نوم، فلا بد للجسم من النوم، وطول

---

(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٣/٣٧٧).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٦).

السهر يحول دون ذلك»[١].

ألا يدري من عوَّد نفسه على السمر أنه بذلك يُضيع رأس ماله الذي هو وقته! وهو أغلى ما يملك في هذه الدنيا الفانية، وسيسأل عنه يوم وقوفه بين يدي رب البرية! **يقول الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين اليوم- مع الأسف الشديد- أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلة وفي ترف، ينظرون ما يترف به أبدانهم وإن أتلفوا أديانهم»[٢].

ألا تعلم- يا من تسهر فيما لا فائدة فيه- أنك كذلك تُفَوِّت على نفسك صلاةً هي من دأب الأنبياء والمرسلين وطريق العُبَّاد والصالحين للقرب من رب العالمين وهي صلاة الليل؛ فعن أبي أُمَامَةَ الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وهو قُرْبَةٌ إلى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**»[٣].

يقول المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي: معناه: أنَّ قيام الليل قُربة تقربكم إلى ربكم، وخَصلة تكفر سيئاتكم، وتنهاكم عن المحرمات»[٤].

---

(١) «اللقاء الشهري» (١/٣٢٣).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/٢٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) «فيض القدير» (٤/٣٥١).

فعلينا جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن نبتعد عن السهر الذي لا خير فيه، وعلى من كان فينا مُبتلًى بهذا الداء العضال والمرض القَتَّالِ التوبةُ والرجوعُ إلى الكبير المتعال، يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامك مكتوب وقولك محسوب وأنت- يا هذا- مطلوب، ولك ذنوبٌ وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب»(١).

وأن نَعرف شرف أوقاتنا وأعمارنا، ونعمرها بما ينفعنا في الدنيا والآخرة ويُرضي خالقنا؛ فإن الوقت يمضي والساعات تنقضي، وإن أحدنا لا يعلم متى تباغته مَنِيَّتُه، ويأتيه أجلُه، يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قُربة، ويقدم الأفضلَ فالأفضل من القول والعمل»(٢).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُعيننا وإيَّاكم على استثمار أعمارنا بما يحبه ويرضاه، وأن يُجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك السهر الذي فيه مضيعة للأوقات، وتضييع للخيرات، وحرمان من الطاعات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «التبصرة» (٢/٢٧٢).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢).

رسالة نصح وتذكير
إلى أئمة المساجد

رسالة نصح وتذكير إلى أئمة المساجد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الأصل فيمن يتولى إمامة المسلمين في الصلاة- أيها الأحبة الكرام- أن يكون من أهل الصلاح المتقين؛ لأنها من الوظائف الإيمانية التي لا يتولاها إلا من هم من صفوة رب البرية، لذا تولاها خير المرسلين- عليه أفضل الصلاة والتسليم- ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين.

فالمقدَّم في الإمامة- أيها الأفاضل- ليس بالنسب ولا بالجاه والمال، وإنما بالعلم والتقوى وصالح الأعمال، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كانت قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٦٧٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقدَّمه بالفضيلة العِلمية، ثم بالفضيلة العمَلية، وقَدَّم العالِم بالقرآن على العالِم بالسنة، ثم الأسبق إلى الدين باختياره، ثم الأسبق إلى الدين بِسِنِّهِ، ولم يذكر النَّسَب»(١).

فإمامُ المسجد هو قدوةٌ عند الناس، حيث يرونه في اليوم خمس مرات، يراقبون فيها أفعاله وأقواله وكل حركاته، **يقول الإمام الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإمام لما كان هو القدوة للناس لكونهم يأتمون به، ويهتدون بهديه- أُطلق عليه هذا اللفظ»(٢).

لذا؛ ينبغي على كل من تولى هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية: أن يكون مخلصًا لله جَلَّ وَعَلَا في عمله، مجتهدًا في اتباع سنة نبيه ﷺ، وذلك بالحرص على طلب العلم الشرعي الذي يرفع به الجهل عن نفسه، ويستعين به على القيام بهذه الوظيفة الإيمانية، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها: أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مُسْتَقِلٍّ ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/٢٦).
(٢) «فتح القدير» (١/١٣٧).
(٣) «زاد المعاد» (١/٦٩).

وليجتهد كذلك في نصح وإرشاد الناس ومن معه من المأمومين لما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، وليحثهم كذلك على رفع الجهل عن أنفسهم ومعرفة هدي نبيهم ﷺ.

فأهلُ الإسلام- أيها الكرام- في حاجة مَاسَّة لمعرفة هدي خير الأنام- عليه أفضل الصلاة والسلام- والرجوع إلى تعاليم دين العلام، خاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن وازدادت المحن، وانتشرت فيها البدع وظهرت المعاصي والآثام؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله- البتة- إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال»[(١)].

وليستحضر عند قيامه بهذا العمل الجليل والفعل النبيل قولَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

---

(١) «زاد المعاد» (٦٩/١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا استفهامٌ بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا، أي: كلامًا وطريقة، وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحثِّ عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه.

خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبُه إلى عباده، بذكر تفاصيل نِعَمِه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيبُ في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك الحثُّ على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك الوعظُ لعموم الناس في أوقات المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادَر هو- بنفسه- إلى امتثال أمر الله بالعمل الصالح الذي يرضي ربه ﴿وَقَالَ

﴿إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المُنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة تمامها للصدِّيقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل»(١).

أخي الإمام- رعاك الله- كن في صلاتك- سواء بمفردك أو بالمُصلين- متبعًا لهدي خير المرسلين، وذلك بمراعاة صفتها كما جاءت بها النصوص الثابتة، عملًا بقوله ﷺ: «**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

يقول المُلَّا علي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في مراعاة الشروط والأركان، أو فيما هو أعم منهما»(٣).

احرص-سددك الله- على الرفق بمن يصلي وراءك، فعن أنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، ولا أَتَمَّ صَلَاةً من رسول الله** ﷺ»(٤).

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديثِ تعليمُ الأئمة الرِّفقَ بالمأمومين»(٥).

فلعل منهم المريض أو الكبير أو صاحب الحاجة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٧٤٩).
(٢) رواه البخاري (٦٠٥) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٣٥١/٢).
(٤) رواه البخاري (٦٧٦) ومسلم (٤٦٩)، واللفظ له.
(٥) «كشف المشكل» (٢١٠/٣).

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا صَلَّى أحدُكم لِلنَّاسِ فَليُخَفِّفْ؛ فإنَّ منهم الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالكَبِيرَ، وإذا صَلَّى أحدُكم لِنَفْسِهِ فَليُطَوِّل ما شَاءَ**»(١).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دليلٌ أن أئمة الجماعة يلزمهم التخفيف لأمر رسول الله لهم بذلك، وقد بيَّن في هذا الحديثِ العلةَ الموجبةَ للتخفيف، وهى غير مَأْمُونَة على أحد من أئمة الجماعة؛ فإنه- وإن علم قوة مَن خَلفه- فإنَّه لا يدرى ما يحدث بهم من الآفات، ولذلك قال: (**وإِذَا صَلَّى لِنَفْسِه فَليُطَوِّل مَا شَاء**)؛ لأنَّه يعلم من نفسه ما لا يعلم من غيره»(٢).

واحذر أشد الحذر- وفقك الله- من أن تَشُقَّ عليهم فتكون سببًا في تنفيرهم من بيوت الله جَلَّ وَعَلَا! فهذا مما نهاك عنه نبيك ﷺ، فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ؛ فَأَيُّكُمْ ما صلى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فإنَّ فِيهِم الضَّعِيفَ، وَالكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ**»(٣).

يقول الإمام ابن الأَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مَن يلقى الناس بالغلظة والشدة فيَنفرون من الإسلام والدِّين»(٤).

ويقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث: أنَّ الإمام مأمور

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠) ومسلم (٤٦٧).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣٣٣/٢).
(٣) رواه البخاري (٦٧٠) ومسلم (٤٦٦).
(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٩١/٥).

بالتخفيف خشية الإطالةَ عَلَى من خلفه؛ فإنه لا يخلو بعضهم من عذر كالضعيف والكبير وذي الحاجة.

وهذا يدلُّ عَلَى أن الأمر بالتخفيف إنما يتوجه إلى إمامٍ يُصَلِّي فِي مسجدٍ يَغشاه النَّاس»[(١)].

لكن عليك أن تعلم- سددك الله- أنه ليس من التخفيف المأمور به عدمُ الطمأنينة في الصلاة وإتمام الركوع والسجود، بل التخفيف المأمور به هو ما كان عليه ﷺ إذا أَمَّ الناس، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتخفيف المأمور بِهِ الأئمة هُوَ الَّذِي كان النبي ﷺ يفعله إذا أَمَّ، فالنقصُ مِنْهُ ليس بتخفيفٍ مَشروعٍ»[(٢)].

وأنَّ العرف وعادة الناس ليس مَرجعًا للتخفيف؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتخفيف أمرٌ نِسْبِيٌّ يَرجع إلى ما فَعَلَه النبيُّ ﷺ، وَوَاظَبَ عليه، لا إلى شهوة المأمومين»[(٣)].

فاعلم- يا مَن ولَّاك اللهُ جَلَّوَعَلَا إمامةَ الناس- أن هذا الأمر ليس فقط من قبيل التشريف وإنما هو تكليف كذلك، وستُسأل عنها يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو**

---

(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٢٠٧).
(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٢١٠).
(٣) «زاد المعاد» (١/٢١٤).

مَسؤول عن رَعِيَّتِهِ... »[١].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: الرَّاعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزمُ صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالَبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[٢].

فحافِظ على هذه النعمة العظيمة والمنحة الكريمة، وذلك بشكر الله جَلَّجَلَالُهُ أولًا عليها، ثم بأداء ما يجب عليك من مراعاة أركانها وشروطها وسننها وآدابها، والخشوع عند القيام بها، واستحضِر عند إمامة الناس أنك تَقتدي بنبيك ﷺ، وإيَّاك أن تجعلها فقط من قبيل الوظائف الدنيوية فتُصبح عندك من قبيل العادات لا من العبادات؛ فلا تشعر باللذة الإيمانية عند القيام بها، يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَدَارُ كمالِ الصلاة مثلًا- بعد مراعاة الشروط والأركان وواجباتها وسننها وآدابها المسموعة المعروفة- على حضور القلب مع الله، وقطع النظر عما سواه»[٣].

ويا أيها المأمومُ!

اعلم- ثبتك الله- أنك في فضل كبير وخير كثير عند حضورك

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) «الشرح صحيح مسلم» (٢١٣/١٢).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٢٦٢/٩).

الصلاة مع جماعة المسلمين، فعليك أن تشكر عليه ربُّ العالمين، وعليك- كذلك- أن تراعي ما يجب عليك في المسجد من واجبات وسنن وآداب، ومن ذلك أن تتقي الله جَلَّوَعَلَا فيمن يَؤمك في الصَّلاة، فلا تُشوش عليه، ولا تتدخل فيما هو خاص به، فإن هذا من الظلم والتعدي، ولا يَجُرُّ إلا للفتن والشحناء والبغضاء بين الإمام والمصلين، ويُصبح المسجد بعد ذلك مَكَانًا للفوضى واللَّغْو بدل أن يكون للعبادة والذكر، والله المستعان!

وإذا رأيت- أيها الفاضل- من إمامك التقصيرَ فبادر إلى النصح والتذكير بالتي هي أحسن مُحتسبًا عملك عند العزيز القدير، فهذا الذي يؤدي- بإذن أرحم الرَّاحمين- إلى الألفة والمحبة بين المسلمين.

يقول الشيخ العلَّامة ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الواجب على الأئمة جميعًا**: أن يتقوا الله، وأن يَتَحَرَّوْا سنة رسول الله ﷺ في صلاتهم وفي كل شؤونهم، **والواجب على الجماعة**: أن يتقوا الله أيضًا وأن يكونوا عونًا للأئمة على فعل السُّنَّة، فالإمام يَتَحَرَّى السُّنَّة في صلاته؛ في قراءته وركوعه وسجوده حتى لا يشق على الناس، ويتحرى السُّنَّةَ أيضًا في ألَّا يَتأخر عنهم ويحبسهم في المسجد، يأتي في الأوقات المحددة، ويراعي الأوقات المحددة حتى لا يشق على الناس، ويرفق بهم، والجماعةُ عليهم أن يراعوا ذلك أيضًا فلا يشقوا عليه ويُلجئوه إلى أن يخالف السنة، أو يُلجئوه إلى أن يُبكر حتى تفوت الصلاةُ كثيرًا من الناس، بل كل منهما يتعاون مع أخيه؛ الإمام والجماعة يتعاونون على البر والتقوى، وعلى العناية بسنة

النبي ﷺ في ذلك، حتى يكون أداؤهم للصلاة على وجهٍ مَرْضِيٍّ، وإذا كان الإمام يعاندهم ولا يَعتني بالسُّنَّة يُرفع أمرُه إلى المرجع؛ إلى الأوقاف، وإذا كانت الأوقافُ لم تُلَبِّ الدعوةَ ولم تُبَالِ يُرفع إلى المحكمة، حتى تنظر المحكمةُ في الموضوع، أو إلى الهيئة من باب التعاون على البِرِّ والتقوى، وإن استقام الأمرُ فالحمد لله، والواجب على الإمام ألا يُلجئهم إلى الرفع إلى المحكمة أو إلى الأوقاف، بل يتحَرَّى السُّنَّة هو، ويُقنعهم بالسُّنَّة، ويُعَلِّمهم السنة حتى يَعْلَمُوها، وحتى يقتنعوا بأن عملَه طيبٌ، وإذا لم يقتنعوا فالمحكمةُ أو الهيئةُ تُرشد الجميعَ إذا كانت الأوقاف لم تقم بالواجب، نسأل الله للجميع الهداية»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوَّفق أئمةَ مساجد المسلمين لكل ما فيه خير لهم وللمأمومين، وأن يجعلهم هُدَاةً مُهتدين، ولهدي خير المرسلين من المتبعين الداعين، فهو سبحانه وليُّ ذلك، وأرحم الرَّاحمين.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٣١/١٢).

تسوية الصفوف
في صلاة الجماعة

تسوية الصفوف في صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المؤمن- أيها الأحبة- ليفرح عندما يرى إقبال المسلمين على بيوت ربِّ العالمين لأداء فريضةٍ هي من أعظم شعائر الدِّين ورُكنه المَتين، وهي زادُ المؤمنين وقُرَّةُ عين الطائعين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاَةِ**»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنَّه كان حالة كونه فيها مجموعَ الهمِّ على مطالعة جلال الله وصفاته، فيحصل له من آثار ذلك ما تَقَرُّ به عينُه»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصلاة قُرَّةُ عيون المحبِّين،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٢٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٥٤٣٥).

(٢) «فيض القدير» (٣/٣٤٨).

وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم»(١).

وإنَّ المؤمن- كذلك- ليسعد- أيُّها الأفاضل- عندما يرى التزام المصلين بأداء ما أمرهم به خير المرسلين، ومن ذلك تسوية صفوفهم عند صلاتهم مأمومين، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بتسوية الصفوف إتمام الأول فالأول، وسَدُّ الفُرَج، ويُحاذي القائمين فيها بحيث لا يتقدم صدرُ أحد، ولا شيء منه على من هو بجنبه، ولا يَشْرَع في الصف الثاني حتى يَتِمَّ الأول، ولا يقف في صَفٍّ حتى يَتِمَّ ما قبله»(٢).

كيف لا يُفرح- أيُّها الكرام- بإحياء المسلمين ما خَصَّهم به العزيز العلام دون بقية الأنام؛ فعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلنَا على الناس بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ...** »(٣).

قال الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دليلٌ صحيحٌ على أنَّ الملائكة يَصفُّون كصفوف المصلِّين في صلاتهم»(٤).

أيُّها المُصلي اعلم- رعاك الله- أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فإنَّ**

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤٥٧).
(٢) «المجموع شرح المهذب» (١٩٧/٤).
(٣) رواه مسلم (٥٢٢).
(٤) «أضواء البيان» (٣٠١/٦).

تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمَامِ الصَّلَاةِ»[١].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صَرَّح في هذا الحديث بأنَّ تسوية الصفوف من جملة إقامتها، فإذا لم تُسَوَّ الصفوفُ في الصلاة نقص من إقامتها بحسب ذَلِكَ- أيضًا- والله أعلم»[٢].

وأنَّ تسويتها- على الصحيح- واجبةٌ يأثم من فرَّط فيها مع صحة صلاته، يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِية رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل أمرهم النبيُّ ﷺ بتقويم الصفوف وتعديلها، وتراصِّ الصفوف، وسد الخَلَل، وسَدِّ الأولِ فالأول، كل ذلك مبالغة في تحقيق اجتماعهم على أحسن وجه بحسب الإمكان، ولو لم يكن الاصطفافُ واجبًا لجاز أن يقف واحدٌ خلف واحدٍ، وهلمَّ جَرًّا»[٣].

ويقول الشيخ ابنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان القول الرَّاجح في هذه المسألة: وجوب تسوية الصَّفِّ، وأنَّ الجماعة إذا لم يسوُّوا الصَّفَّ فهم آثمون، وهذا هو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

لكن إذا خالفوا فلم يسوُّوا الصَّفَّ فهل تبطل صلاتهم؛ لأنهم تركوا أمرًا واجبًا؟

الجواب: فيه احتمالٌ، قد يُقال: إنها تبطل؛ لأنهم تركوا الواجب،

---

(١) رواه البخاري (٦٩٠)ومسلم (٤٣٢) واللفظ له.

(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٢٥٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٣/٣٩٤).

ولكن احتمال عدم البطلان مع الإثم أقوى؛ لأن التسويةَ واجبةٌ للصلاةِ لا واجبة فيها، يعني أنها خارج عن هيئتها»[(١)].

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه -أيها الأحبة الكرام- أن إحياء هذا الهدي الكريم ليس قاصرًا فقط على الإمام، بل يشترك فيه حتى المأموم، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإمام تعاهدُ ذلك من الناس، وينبغي للناس تعاهدُ ذلك من أنفسهم»[(٢)].

فالإمام يدعو المصلين إلى تسوية صفوفهم عملًا بهدي النبي ﷺ، فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ فِي الصَّلاَةِ**»[(٣)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أَتِّمُوها، وأَكْمِلُوها، وسَوُّوها على اعتدال القائمين على سَمْتٍ واحد»[(٤)].

وعليه أن يحذرهم أشد الحذر من خطر مخالفة ذلك، فعن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بين وُجُوهِكُمْ**»[(٥)].

---

(١) «الشرح الممتع» (٣/٥).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٤٨٥) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٩٥).

(٤) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٤٥).

(٥) رواه البخاري (٦٨٥) ومسلم (٤٣٦) واللفظ له.

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه الوعيدُ على ترك تسوية الصفوف»(١).

ويقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: يوقع بينكم العداوةَ والبغضاءَ واختلافَ القلوب، كما يقال: تغيَّر وجهُ فلانٍ عَلَيَّ، أي: ظهر لي من وجهه كراهةٌ لي وتغيرُ قلبِه عَلَيَّ؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلافُ الظواهر سببٌ لاختلاف البواطن»(٢).

ويقوم أيضًا بفعل ذلك قبل أن يُكبر للصلاة- خاصة إذا رأى تقصيرًا من المأمومين في تسوية الصفوف- كما كان يفعل ذلك نبيُّنا ﷺ، فعن النُّعْمَان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حتى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بها القِدَاحَ»(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(القِدَاح)، بكسر القاف: هي خشب السهام حين تُنْحَتُ وتُبْرَى، واحدها قِدْحٌ بكسر القاف، معناه: يبالغ في تسويتها حتى تصير كأنما يُقوِّم بها السهامَ لشدة استوائها واعتدالها»(٤).

ويَصحب فعلُه أحيانًا تحذيرَه للمصلين من التهاون في تسويتها، ويذكر لهم الوعيد المترتب على ذلك! كما كان يقوم بذلك نبيِّنا ﷺ، فعن

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣٤٤/٢).
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٥٧/٤).
(٣) رواه مسلم (٤٣٦).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (١٥٧/٤).

أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا، ولا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(١).

يقول ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المناكب: جمع مَنْكِب: وهو مُجتمَعُ رأسِ العَضُدِ في الكَتِف. **والمعنى**: أنه كان يسويهم في الوقوف، فيَرُدُّ الخارجَ ليقع الاستواءُ، وقوله: **(ولا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)** أي: أنكم إذا اختلفتم بالظواهر عوقبتم باختلاف القلوب، ويحتمل: لا تختلفن ظواهرُكم؛ فإنَّ اختلافها دليل على اختلاف قلوبكم»(٢).

وعلى الإمام ألَّا يُفَرِّط في هذه العبادة العظيمة، وألَّا يتهاون فيها، ولا يأخذه في العمل بها لومة لائم؛ **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب على الإمام أن يعتنيَ بتسوية الصف، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم؛ لأن كثيرًا من الجهلة إذا تأخر الإمام في التكبير لتسوية الصفوف أخذهم الحُمْقُ والغضبُ، فلا يَنبغي أن يُبَالِيَ الإمامُ بأمثال هؤلاء؛ لأن صلته بالله ما دامت وثيقةً فستقوى الصلةُ بالناس بإذن الله»(٣).

وعلى المأمومين- كذلك- أن يُعينوا الإمامَ على تسوية صفوفهم، فيستجيبوا لتذكيره، ويُذَكِّرُ المصلي مَن أمامه بالتي هي أحسن دون رفع الصوت وإحداث ضجة في المسجد، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

(٢) «كشف المشكل» (٢/٢٠٥).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (١٣/١٣).

«تسويةُ الصَّفِّ أمرٌ واجب، وهو من مسؤوليات الإمام والمأمومين أيضًا، فعليه تَفَقُّدُ الصَّفِّ وتسويتُه، وعليهم تسويةُ صُفوفِهم وتراصُّهُم»(١).

وليتذكروا عند عملهم بها ما جاء في فضلها، والثناء على من أحياها بين المصلين، والوعيد الشديد على من فرَّط فيها؛ فعن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله** عَزَّوَجَلَّ»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ وَصَلَ صَفًّا**) من صفوف الصلاة، (**وَصَلَهُ اللهُ**) أي: زاد في بِرِّه وصِلَتِهِ، وأدخله في رحمته، (**وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا**) منها (**قَطَعَهُ اللهُ**) أي: قطع عنه مَزيدَ برِّه»(٣).

ويقول السِّنْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**وَصَلَ صَفًّا**) بأن كان فيه فُرْجَةٌ فَسَدَّهَا، أو نقصانٌ فَأَتَمَّهُ، والقطعُ بأن يقعد بين الصفوف بلا صلاة، أو منع الداخل من الدخول في الفُرُجَاتِ مثلًا، والله تعالى أعلم»(٤).

أيُّها الأحبة الكرام!

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه- كذلك- أن تسوية الصفوف ليست قاصرةً على المناكب فقط كما يظن البعض، بل إن تسويتها تكون كذلك

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (١٣/١٣).
(٢) رواه النسائي (٨١٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «فيض القدير» (٢٣٦/٦).
(٤) «حاشية السندي على سنن النسائي» (٩٣/٢).

بالأقدام، **يقول الشيخ الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استفاضت الأحاديثُ الصحيحة عن النبي ﷺ في الأمر بإقامة الصفوف وتسويتها، بحيث يندُر أن تخفى على أحد من طلاب العلم فضلًا عن شيوخه، ولكن ربما يخفى على الكثيرين منهم أن إقامة الصف تسويتُه بالأقدام، وليس فقط بالمناكب»(١).

ومن الأحاديث التي أشار إليها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ من وَرَاءِ ظَهْرِي**»، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وكان أَحَدُنَا يُلزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ»(٢).

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا: يدل على أن تسوية الصفوف: محاذاةُ المناكب والأقدام»(٣).

وهذا الذي كان يفعله الصحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، يقول النُّعْمَانُ بن بَشِير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**رأيت الرَّجُلَ مِنَّا يُلزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ**»(٤).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الكَعْبُ**: هو العظم النَّاتِئُ في أَثَرِ السَّاقِ ومُؤَخَّرِ القَدَمِ»(٥).

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/٧٠).
(٢) رواه البخاري (٦٩٢).
(٣) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٤/٢٦٢).
(٤) رواه البخاري (١/٢٥٤).
(٥) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٤٨).

يقول الشيخ الأَلبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التسوية المذكورة إنما تكون بلصق المَنْكِب بالمَنْكِبِ، وحافَّةِ القَدَمِ بالقدمِ؛ لأن هذا هو الذي فعله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين أمروا بإقامة الصفوف والتراصِّ فيها»(١).

فليتقِّ المأمومُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا في نفسه، وليحافظ على هدي نبيه الكريم ﷺ، وليحذر أشدَّ الحذر من أن يُفَرِّط في هذه العبادة العظيمة، أو يَنْفُرَ من أخيه المسلم إذا أراد أن يقترب منه لتسوية الصف، فهذا الفعل ليس من أخلاق المسلم المُتبع لهدي نبيِّنا ﷺ وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ورحم اللهُ جَلَّ وَعَلَا أنسَ بن مالك ورضي عنه إذ يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَوْ ذَهَبْتَ تَفْعَلُ ذلك اليوم لَتَرَى أَحَدَهُمْ كَأَنَّهُ بَغْلٌ شَمُوسٌ»(٢).

يقول العَلَّامَةُ شَمْسِ الحَقِّ العظيم آبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه الأحاديث فيها دلالةٌ واضحةٌ على اهتمام تسوية الصفوف، وأنها من إتمام الصلاة، وعلى أنه لا يتأخر بعضٌ على بعض، ولا يتقدم بعضٌ على بعض، وعلى أنه يُلزق مَنكِبه بمَنكِب صاحبه، وقدمَه بقدمه، وركبتَه بركبته، لكن اليوم تُركت هذه السنة ولو فُعلتِ اليوم لنَفَرَ الناسُ كالحمُر الوحشية، فإنا لله وإنا إليه راجعون»(٣).

فاللهَ اللهَ- أيُّها المسلم إمامًا كنتَ أو مأمومًا- في العمل بهذه العبادة

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/٧٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (/٣٠٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١/٧١).

(٣) «التعليق المغني على الدارقطني» (٢/٣٠).

العظيمة التي أصبحت شِبْهَ مهجورة في كثير من المساجد.

احرص -رعاك الله جَلَّ وَعَلَا- على العمل بها ودعوة وتذكير المصلين بها؛ فإنَّ لك بذلك الأجر الكبير والخير الكثير بإذن العزيز القدير، **يقول الشيخ الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنني أهيب بالمسلمين- وبخاصة أئمة المساجد- الحريصين على اتباعه ﷺ واكتساب فضيلة إحياءِ سنته ﷺ أن يعملوا بهذه السنة، ويحرصوا عليها، ويدعوا الناس إليها، حتى يجتمعوا عليها جميعًا»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا جميعًا لتحقيق ما يحبه ويرضاه من الطاعات، ومن ذلك إحياء السنن؛ فإن في ذلك النجاح والفلاح في الدنيا ويوم الوقوف بين يدي الرحمن، وأن يجنبنا وإياكم فعلَ ما يبغضه ويأباه ومن ذلك البدع والعصيان؛ لأن في ذلك الحرمانَ والخسران، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/٧٢).

تذكير الأنام
بمكانة المسجد في الإسلام

تذكير الأنام بمكانة المسجد في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ للمساجد في الإسلام مكانةً عظيمةً- أيها الأحبة الكرام- فهي أحبُّ البقاع للعزيز العلام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى الله أَسْوَاقُهَا**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا**)؛ لأنها بيوتُ الطاعات وأساسهُا على التقوى، قوله: (**وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى الله أَسْوَاقُهَا**): لأنها محلُّ الغِشِّ والخداعِ والربا والأيمانِ الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه»(٢).

كيف لا تكون كذلك؟!

وهذه البيوت العظيمة- أيها الأفاضل- هي مأوى الأصفياء وبيت

---

(١) رواه مسلم (٦٧١).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧١/٥).

الأتقياء، فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ»(١).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهي أفضلُ بيوت الدنيا، وخيرُ بقاع الأرض»(٢).

حيث يعمُرُها أهلُ الإيمان الذين هم صفوةُ الخلق وأولياء الرحمن، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصَفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة، والزكاة، وبخشية الله التي هي أصلُ كل خير، فهؤلاء عُمَّارُ المساجد على الحقيقة، وأهلُها الذين هم أهلُها»(٣).

وفيها- أيها الأحبة والإخوان- يُتلى القرآن ويُذكر اسم العزيز المنَّان، يقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فِي بُيُوتٍ﴾ عظيمة فاضلة، هي

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/٢٥٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧١٦).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/١٠١).

(٣) «تفسير السّعْدِي» (ص٣٢١).

أحب البِقَاع إليه، وهي: المساجد، ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي: أَمَر ووَصَّى، ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها بناؤُها، وكَنْسُهَا وتنظيفُها من النجاسات والأذى وصونُها من المجانين والصبيان، الذين لا يتحَرَّزُون عن النجاسات، وعن الكافر، وأن تُصان عن اللغو فيها ورفع الأصوات بغير ذكر الله، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فَرْضُها، ونَفْلُها، وقراءةُ القرآن، والتسبيحُ، والتهليلُ، وغيرُه من أنواع الذكر، وتعلمُ العلم وتعليمُه، والمذاكرةُ فيها، والاعتكافُ، وغيرُ ذلك من العبادات التي تُفعل في المساجد؛ ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله من الصلاة وغيرها، وهذا أشرفُ القِسْمَيْنِ»[(١)].

ولـمَّا كانت للمساجد هذه المكانة العالية والدرجة الرفيعة كان لمن بناها أجرٌ كبيرٌ عند العزيز القدير، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بَنَى مَسْجِدًا لله بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «يحتمل قوله ﷺ «مِثْلَهُ» أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه بنى اللهُ تعالى له مثلَه في مسمى البيت، وأمَّا صِفته في السِّعة وغيرها فمعلوم فضلها: أنَّها مما لا عين رأت، ولا

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٥٦٩).

(٢) رواه البخاري (٤٣٩) ومسلم (٥٣٣)، واللفظ له.

أُذن سَمعت، ولا خَطَر على قَلب بشر.

الثاني: أنَّ معناه: أن فضله على بيوت الجنة، كفضل المسجد على بيوت الدنيا»[(١)].

لكن بشرط أن يُراد بهذا العمل العظيم وجهُ الله جل وعلا الكريم، فعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ له بَيْتًا في الجَنَّةِ**»[(٢)].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالإخلاصُ شرطٌ لحصول الثواب في جميع الأعمال؛ فإن الأعمال بالنيات، وإنما للمرء ما نوى، وبناء المساجد من جملة الأعمال، فإن كان الباعثَ على عمله ابتغاءُ وجه الله حصل له هذا الأجر، وإن كان الباعثَ عليه الرياءُ والسمعةُ أو المباهاةُ فصاحبه متعرضٌ لِمَقْتِ الله وعقابِه، كسائر من عمل شيئًا من أعمال البِرِّ يريد به الدنيا كمن صلَّى يُرائي، أو حَجَّ يُرَائي، أو تَصَدَّقَ يُرَائِي»[(٣)].

وعلى من أنعم الله جَلَّ وَعَلَا عليه بالمال، وأراد أن يبني بيتًا من بيوت الكبير المتعال عليه أن يحرص على أن يكون على السُّنَّة، وليجتنب الزخرفة، لأنَّ هذا ليس من عمل المسلمين، وقد حَذَّر منه خير المرسلين، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أُمِرْتُ**

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٥/١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٩) ومسلم (٥٣٣) واللفظ له.

(٣) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٢/٥٠٤).

بِتَشْيِيدِ المَسَاجِدِ»[١].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي ما أُمْرتُ برفع بنائها ليُجعل ذريعةً إلى الزخرفةِ والتزيينِ الذي هو من فعل أهل الكتاب، وفيه نوعُ توبيخٍ وتأنيبٍ»[٢].

ويقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**السُّنَّةُ في بنيان المساجد**: القصدُ، وتركُ الغُلُوِّ في تشييدها خشيةَ الفتنةِ والمباهاةِ ببنائها»[٣].

فالزخرفةُ تَجُرُّ إلى العُجْبِ والمباهاةِ بالمساجد بين المسلمين، وهي فتنةٌ ومشغلةٌ للمصلين، وهي من علامات الساعة كما أخبرنا بذلك رسول أرحم الراحمين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناسُ فِي المَسَاجِدِ**»[٤].

قال العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: يتفاخر كُلُّ أحد بمسجده، ويقول: مسجدي أرفع، أو أزين، أو أوسع، أو أحسن، رياءً وسمعةً واجتلابًا للمدحة»[٥].

ويَنبغي- كذلك- على مَن ولي أمر المسلمين ألَّا يعين على زخرفة

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «فيض القدير» (٤٢٦/٥).
(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩٧/٢).
(٤) رواه أبو داود (٤٤٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٥) «عون المعبود» (٨٤/٢).

بيوت رب العالمين، وأن يزيل ما وُجد منها؛ لأن زخرفة المساجد من الإحداث في الدين، **يقول ابن الحَاجِّ المَالِكِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي له- أي: لولي الأمر- أن يُغَيِّرَ ما أحدثوه من الزخرفة في المحراب وغيره؛ فإن ذلك من البدع وهو من أشراط الساعة»(١).

وعلينا جميعًا- أيها الأحبة الأفاضل- أن نحرص على تنظيف المساجد وتطهيرها من كل أنواع الأقذار، ولنحذر أشد الحذر من كل ما يكون سببًا في تلويثها مهما كان حجمه حتى من البزاق؛ فإن ذلك من الآثام، وقد حذَّرنا منه خير الأنام، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن البُزَاقَ في المسجد خطيئة مطلقًا، سواء احتاج إلى البزاق أو لم يَحتج، بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة، وعليه أن يُكَفِّر هذه الخطيئة بدفن البُزَاق، هذا هو الصواب»(٣).

ومن وجد فيها شيئًا مما يكون سببًا في عدم نظافتها- ولو كان يسيرًا- فلا يترك؛ فإن له في إزالته أجرًا عند العزيز المقتدر، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺقال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حتى القَذَاةُ**

---

(١) «المدخل» (٢/٢١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥) ومسلم (٥٥٢)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٥/٤١).

يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ من المَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فلم أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ من سُورَةٍ من القُرْآنِ أو آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا»[(١)].

قال المُلَّا علي القَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(عُرِضَتْ عَلَيَّ) الظاهر أنه في ليلة المعراج، (أُجُورُ أُمَّتِي) أي: ثواب أعمالهم، (حَتَّى القَذَاةُ) بالرفع أو الجر وهي بفتح القاف، قال الطِّيبي: (القَذاة هي: ما يقع في العين من تراب أو تبن أو وسخ). ولا بد في الكلام من تقدير مضاف، أي: أجور أعمال أمتي وأجر القَذاة، أي: أجر إخراج القَذاة»[(٢)].

أيُّها الأفاضل الكرام:

إنَّ أمتنا الإسلامية اليوم تمرُّ بمرحلة صعبة جدًّا حيث زادت فيها الفتن، وكثرت على المسلمين المحن، وتَكَالَبَ عليها الأعداء، وانتشرت الفوضى وعمَّ الجهل، وظهرت البدع وتفَشت المعاصي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلا عاصم منها- بعد أرحم الراحمين- إلا بالرجوع إلى تعاليم الدين؛ لذا يتحتم علينا جميعًا أن نقف وقفة رجل واحد- كل بحسبه- ننصح، ونوجه، ونحذر، ونُذَكِّر بالله رب العالمين، وبوجوب الرجوع إلى تعاليم الدين، نسلك في ذلك الطرق المشروعة التي توصلنا إلى نفع المسلمين كوسائل الاتصال الحديثة المسموعة والمرئية والمقروءة، وينبغي ألَّا يُهمل الدعاة إلى الخير في هذا المقام دور المسجد الذي هو ملتقى

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٣٩٥/٢).

المصلين وبيت المسلمين، فليحرصوا أشد الحرص على إحياء الدعوة فيه، وذلك بتعليم الناس ما ينفعهم في أمور دينهم، وتذكيرهم بما عليهم من حقوق وواجبات، فالمسجد هو منبر الخير، ومنه كان العلم ينتشر، والوفود تلتقي والقلوب تتآلف، والجيوش للفتوحات تنطلق!

فاللهَ اللهَ- أيُّها الأئمةُ والدُّعاة إلى الخير- في إحياء دوره- خاصة في هذا الزمان- واحذروا- حفظكم الله- أن تجعلوا بيت العزيز العلاَّم موطنًا للفتن ونشر ما لا فائدة فيه من الكلام؛ فإنَّ هذا مما يحبه الشيطان، وهو سبب في الآثام والتفريق بين أهل الإسلام، والله المستعان.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ أهل الإسلام في كل مكان، وأن يجعل مساجدَهم عامرةً بالسُّنَّة وحِلق العلم وتعليم القرآن؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تذكير الأحباب
بأهمية الاحتساب

تذكير الأحباب بأهمية الاحتساب

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أهم ما يُعين العبد المسلم- أيها الأخوة والأخوات- على اجتناب الذنوب والمحرمات، والمبادرة دومًا لفعل الطاعات من الواجبات، والمستحبات والمسارعة في كل الأوقات للتزُّود من الخيرات، هو احتساب ما يقوم به من عمل عند رب الأرض السموات، **يقول الإمام ابن الأَثِيرِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والاحتساب في الأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها»(١).

فتذكير النفس باحتساب الأجر والثواب عند العزيز الوهاب- أيها الأحباب- لهو من أهم الأسباب التي تعين على الحرص على فعل الخيرات

---

(١) «النهاية في غريب الأثر» (١/٣٨٢).

وكل ما هو صواب؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ كل عمل لا بد له من مبدأ وغايةٍ، فـلا يكون العملُ طاعةً وقُربةً حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محضَ الإيمان، وغايتُه ثوابَ الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب»(١).

لأن الأصل في النفس التي بين جنبي العبد- أيها الأفاضل- أنها أمارةٌ بالسوء، مُحبة للكسل، محتاجة دائمًا إلى مُعاهَدة وتوجيه؛ لذا لا بد على صاحبها أن يجاهدها باستمرار ليُرَوِّضَها على طاعة العزيز الغفَّار، ويُجنبها معصيةَ الكبير الجبار، وهذا هو الجهاد الذي لا غنى للعبد عنه في كل وقت وحين إذا أراد أن ينال الأجر ورضا أرحم الراحمين بإذن رب العالمين، فعن فضالة بن عُبَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله** عَزَّوَجَلَّ»(٢).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ النفسَ مَيَّالَةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أمارةٌ بالسوء، سريعةُ التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعةَ الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات:

---

(١) «الرسالة التبوكية» (ص ١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

امتثال المأمور، واجتناب المَحظور، والصَّبر على المقدور، فالمجاهد حقيقةً: من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»[(١)].

إنَّ من خصائص أهل الإيمان- أيها الأحبة والإخوان- احتسابَ الأعمال الصالحة- مهما كان حجمها- عند المنَّان كما أخبرنا عنهم العزيز الرحمن، حيث قال سبحانه: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

يقول الإمامُ ابن كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ أي: أنتم وإياهم سواءٌ فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبةَ والنصرَ والتأييدَ كما وعدكم إياه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهو وعد حق وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشدُ رغبةً فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هو أعلم وأحكم فيما يُقَدِّرُه ويقضيه وينفذُه ويُمضيه من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال»[(٢)].

فَيَا مَن تصدَّر لدعوة الأنام للعمل والتَّمسك بدين الإسلام:

اعلم- ثَبَّتك العَلاَّم- أنَّ مِن أهمِّ ما يُقَوِّي همتَك، ويَشد من

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥٥١/١).

عزيمتك- بعد توفيق الباري جَلَّوَعَلَا لك- أن تحتسب هذا العمل الكريم الذي فيه خيرٌ كثيرٌ وأجرٌ عظيمٌ عند العزيز الرحيم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**من دَعَا إلى هُدًى كان له من الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شيئًا، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كان عليه من الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من آثَامِهِمْ شيئًا**»(١).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبر أنَّ المتسببَ إلى الهدى بدعوته له مثلُ أجر من اهتدى به، والمتسببَ إلى الضلالة بدعوته عليه مثلُ إثم من ضل به؛ لأنَّ هذا بَذَلَ قدرته في هداية الناس، وهذا بَذَلَ قدرته في ضلالتهم، فنزل كلُّ واحد منهما بمنزلة الفاعل التام»(٢).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث- وما أشبهه من الأحاديث- فيه: الحث على الدعوة إلى الهدى والخير وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي، وعِظم جرم الداعي وعقوبته. والهُدَى: هو العلم النافع، والعمل الصالح، فكلُّ من عَلَّمِ علمًا، أو وَجَّه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكلُّ من دعا إلى عملٍ صالح يتعلق بحق الله أو بحقوق الخلق العامة والخاصة: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من أبدى نصيحةً دينيةً أو دُنيويةً

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٦٢/١).

يتوسل بها إلى الدين: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيرُه: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من تقدم غيرَه بعمل خيري، أو مشروع عام النفع: فهو داخلٌ في هذا النص.

وعكسُ ذلك كله: الدَّاعي إلى الضَّلالة، فالدَّاعون إلى الهدى: هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين، والداعون إلى الضلالة: هم الأئمة الذين يدعون إلى النار، وكل من عاون غيرَه على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى. وكُلُّ من أعان غيره على الإثم والعدوان: فهو من الداعين إلى الضلالة»[(١)].

وتذكر أنك إذا احتسبتَ إرشادك للناس إلى فعل الخيرات، والحث على ملازمة الطاعات والتقرب إلى رب البريات، فإن لك نفسَ أجر من عمل بذلك بإذن رب الأرض والسموات، فعن أبي مَسعود البَدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه فضيلةُ الدلالةِ على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلةُ تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثلِ أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٦٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٩٣).

يكون قدرُ ثوابهما سواءً»[١].

ويا أيُّها المُنفق على أهله:

اعلم كذلك- كتب اللهُ أجرَك- إذا أردت الثواب من المنَّان عليك أن تستحضر أن ما تقوم به هو عبادةٌ للرحمن، فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ المُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ على أَهْلِهِ نَفَقَةً وهو يَحْتَسِبُهَا كانت له صَدَقَةً**»[٢].

يقول ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى (**يَحْتَسِبُهَا**): ينوي بها طاعةَ الله، ويرجو ثوابها منه؛ فبذلك تجري نفقتُه مجرى الصدقةِ»[٣].

ويقول الإمامُ النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الاحتسابُ**: أن يَتذكر أنه يجب عليه الإنفاقُ على الزوجة وأطفاله وأولاده والمملوك، وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم»[٤].

ويا مَن فَقد في هذه الدنيا الفانية قريبًا أو حبيبًا له، اعلم كذلك- صَبَّرَكَ العليمُ القديرُ- أنك إذا أردت أن تنال الأجرَ الكبير والخيرَ الكثير عند العليم الخبير فعليك بالصبر على ما نزل بك والاحتساب، وإياك أن تجزع من هذا المصاب؛ لأن هذا منافٍ لما حثَّك عليه العزيزُ

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٣٩/١٣).
(٢) رواه البخاري (٥٠٣٦) ومسلم (١٠٠٢)، واللفظ له.
(٣) «كشف المشكل» (١٩٧/٢).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٨٩/٧).

الوهاب، وهو مانعٌ من تحصيل الأجر والثواب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**يقول الله تَعَالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ من أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الجَنَّةُ**»(١).

قال العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: صَبَرَ على فَقْدِ صَفِيِّه، وابتغى الأجر من الله تعالى، والاحتسابُ طلبُ الأجر من الله تعالى خالصًا، واحتسب بكذا أجرًا عند الله، أي: نوى به وجهَ الله»(٢).

وتَذَكَّر! يا من أنفقت شيئًا في سبيل رب العالمين من أجل نفع الفقراء وخدمة المساكين، ويا من فتح عليك الباري جَلَّ وَعَلَا باب تعليم الناس، وحثهم على التمسك بسنة خير المرسلين، ويا من اعتنيت بتربية أولادك على وَفْق تعاليم الدين، وغرست في قلوبهم حب الإسلام والمسلمين-: أن هذه الأعمال الجليلة التي تقومون بها ستبقى لكم بشرط إخلاصكم واحتسابكم عند خالقكم صدقةً جارية، تنفعكم بعد موتكم وعند الوقوف بين يدي ربكم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا مِن ثَلَاثَةٍ، إلا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٠).

(٢) «عمدة القاري» (٣٨/٢٣).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العلماء**: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجددَ الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببَها؛ فإنَّ الولد من كسبه، وكذلك العلمُ الذي خَلَّفَهُ من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوَقْفُ، وفيه فضيلةُ الزواج لرجاء ولد صالح»(١).

فاللهَ اللهَ- أيُّها الأحبة الكرام- على استحضار النية في جميع ما نقوم به من عبادات وحتى العادات؛ لكي نُؤجَر على ذلك عند رب الأرض والسموات، فهذا الذي يُعيننا دائمًا على فعل الطاعات، ويشجعنا على الازدياد من الخيرات في كل الأوقات بإذن رب البريات.

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للعبد أن يقصد وجهَ الله تعالى، ويُخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزءٍ من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجرُ العظيم وليتعود الإخلاصَ، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر سواء تَمَّ مقصودُه أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»(٢).

ولنستحضر- حتى عند نومتنا وراحتنا- نيةَ التقوي بذلك على عبادة الله جَلَّ وَعَلَا كما كان يفعل أصحاب نبيِّنا ﷺ، فهذا معاذ بن

---

(١) «الشرح النووي على صحيح مسلم» (٨٥/١١).
(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص ٢٠٢).

جبل رضي الله عنه يقول: «أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»[(١)].

يقول الحافظ ابن رَجَب رحمه الله: «يعني أنه ينوي بنومه التقوي على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثوابَ نومه كما يحتسب ثوابَ قيامه»[(٢)].

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وصواب، وأن يجعلنا دائمًا من أهل الاحتساب، وأن ييسر لنا تحقيق ما يُحبه ويرضاه، ويُجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه؛ فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٩٥).

خلق الشجاعة

خلق الشجاعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الشجاعة- أيُّها الأفاضل- هي من أكرم الخصال التي يتصف بها الرجال، **يقول ابن حزم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدُّ الشجاعة بَذْلُ النفس للموت عن الدين والحريم، وعن الجار المضطهد وعن المتسجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال والعرض وفي سائر سبل الحق، سواء قَلَّ مَن يعارض أو كَثُر»(١).

فهي صفةٌ كريمةٌ تحمل على التحليِّ بمعالي الأخلاق، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشجاعة: تَحْمِلُهُ على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشِّيَم»(٢).

وتجعل صاحبها دائمًا- بإذن العزيز المقتدر- منشرحَ الصدر، **يقول**

---

(١) «مداواة النفوس» (ص ٣٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٣٠٨/٢).

الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ الشُّجاعَ منشرحُ الصدر، واسع البِطان، مُتَّسع القلب»(١).

ويَقطف مَن تحلى بها- بإذن رب العالمين- ثمارًا نافعةً تعود بالنفع عليه وعلى المسلمين، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل الشجاعة والجود: هم أهل حسن الظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله»(٢).

لكن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الكرام- أنَّ مدح من تحلى بهذا الخلق النبيل إنما يكون إذا استعمله فيما يُرضي العزيز الجليل، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما ينبغي أن يُعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت: إما وبالًا عليه- إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له- إن استعملها فيما لا يُقَرِّبه إلى الله تعالى»(٣).

وأن حُسْنَ الرأي- أيها الأحباب- هو من أهم الأسباب التي ينبغي أن تصحب الشجاعة عند استعمالها في طاعة العزيز الوهاب، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصحةُ الرأي لقاحُ الشجاعة، فإذا اجتمعا كان

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٦).

(٢) «الفروسية» (ص ٤٩١).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٨/٨٦).

النصرُ والظَّفَرُ، وإن قعدا فالخذلانُ والخيبةُ، وإن وُجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز، وإن حصلت الشجاعةُ بلا رأي فالتهورُ والعَطَبُ»(١).

فالرجل الشجاع هو الذي يمتاز برجاحة العقل وحسن التدبير، وهو الذي يستفيد من الصفة الكريمة ويتعدى نفعه إلى غيره بإذن العزيز القدير، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا اجتمع في الرجل الرأيُ والشجاعةُ، فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب، والناس ثلاثةٌ: رجلٌ، ونصفُ رجل، ولا شيء، فالرجل من اجتمع له أصالةُ الرأي والشجاعةُ فهذا الرجلُ الكامل»(٢).

ولما كان لهذا الخلق النبيل هذه المكانةُ الرفيعةُ والدرجة العالية- أيها الكرام- تحلى به صفوةُ عبادِ العزيز العلام، وهم الأنبياءُ- عليهم الصلاة والسلام- حيث كانوا لا يخشون في تبليغ ما أرسلوا به أحدًا من الأنام، يقول عنهم سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتلون على العباد آياتِ الله، وحججَه وبراهينَه، ويدعونهم إلى الله ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾: وحده لا شريك له ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾: فإذا كان هذا سنةَ في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتمَّ القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله،

---

(١) «الفوائد» (ص٢٠٠).

(٢) «الفروسية» (ص ٥٠٤).

والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل محظور»[١].

فهذا نبيُّنا ﷺ كان من أشجع الناس، يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله ﷺ رَاجِعًا وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ، وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ وهو يقول: «**لم تُرَاعُوا، لم تُرَاعُوا...**»[٢].

يقول النَّوَوِي رحمه الله: «**(لم تُرَاعُوا)** أي: رَوْعًا مستقرًّا، أو رَوْعًا يَضركم، وفيه فوائد منها: بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس»[٣].

يقول القاضي عِيَاض رحمه الله: «أما الشجاعة والنجدة: فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل، والنجدة: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يُحمد فعلها دون خوف، وكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يجُهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفرَّ الكُمَاةُ والأبطالُ عنه غَيْرَ مَرَّة، وهو ثابتٌ لا يبرَح، ومُقْبِلٌ لا يُدبر ولا يَتَزَحْزَح، وما

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (٢٨٧٥) ومسلم (٢٣٠٧)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٦٨/١٥).

شجاع إلا وقد أُحصيت له فَرَّةٌ، وحُفِظت عنه جولةٌ سواه»[(١)].

وكذلك ممن كان يتصف بهذه الخصلة الكريمة صحابةُ نبيِّنا- عليه الصلاة والسلام- حيث ضربوا لنا في سبيل نشر الإسلام أروعَ الأمثلة في الشجاعة والتضحية والإقدام، ومن بين هؤلاء الأبطال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، **يقول الإمام ابن القَيِّم رحمه الله**: «وكان الصدِّيق رضي الله عنه أشجعَ الأمة بعد رسول الله ﷺ... برز على الصحابة كُلِّهم بثبات قلبه في كل مَوْطِنٍ من المواطن التي تُزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابتُ القلب، رَبِيطُ الجأش، يلوذ به شجعانُ الصحابة وأبطالهم، فيُثَبتهم ويُشَجعهم»[(٢)].

وكذلك من جاء بعدهم من سلفنا الصالح- أيها الكرام- الذين كذلك كانوا من أشجع الأنام، حيث يشهد بذلك ما يُذكر في سيرهم وما يُروى من أخبارهم، وعلى سبيل المثال- لا الحصر- ما يُذكر عن الإمام المِقدام والبطل الهَمَّام ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله، **حيث يقول عنه تلميذه أبو حَفْصٍ البَزَّارُ رحمه الله (ت ٧٤٩هـ)**: «كان من أشجع الناس وأقواهم قلبًا، ما رأيت أحدًا أثبتَ جَأْشًا منه، ولا أعظمَ عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومةَ لائم».

وأخبر غيرُ واحد أن الشيخ رحمه الله كان إذا حضر مع عسكر المسلمين

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص ٩٤).

(٢) «الفروسية» (ص ٥٠٠).

في جهادٍ يكون بينهم وَاقِيَتَهُمْ وقُطْبَ ثباتِهم، إن رأى مِن بعضهم هَلَعًا أو رِقَّةً أو جبانةً شَجَّعه وثَبَّتَه وبَشَّرَه، ووعَده بالنصر والظَّفَر والغنيمة، وبَيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة...»[(١)].

فعلى من رُزق هذه الخصلة الكريمة أن يحمد عليها الرحمن، وأن يستعملها فيما يرضي المنَّان؛ لأن هذا من الشكران، وأن يحذر أَشَدَّ الحذر من أن يصرفها في طاعةِ هوى نفسه والشيطان؛ لأن هذا من جحود النعم والكُفران.

وعلى كل من لم يتحلَّ بها أن يبذل ما يعينه على تحقيقها من أسباب، مع سؤاله العونَ والسدادَ من العزيز الوهاب، وليحذرْ- كذلك- من أن يكون ممن يتصف بخلق الجُبْنِ الذي هو عند جميع الناس قبيح ومذموم، **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والـجُبنُ خُلقٌ مذموم عند جميع الخَلق»[(٢)].

لأنَّ مَن ابْتُلي به أُصيب بضيق الصدر، وحُرم لذةَ الفرح والسرور، **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والجبانُ: أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم، إلا من جنس ما للحيوان البهيمِي، وأما سرورُ الروح ولَذَّتُها ونعيمُها وابتهاجُها فمحرمٌ على كل جبان، كما هو محرمٌ على كل بخيل، وعلى كل مُعرض عن الله

---

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» (ص ٦٧).

(٢) «الفروسية» (ص٤٩١).

سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به، وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه»[(١)].

فعلينا جميعًا- أيها الكرام- حتى من كان مِنَّا مُتَّصفًا بالشجاعة والإقدام: أن نحرص على اجتناب هذا الخُلق المذموم، ونستعيذ منه دائمًا، كما كان يفعل نبيُّنا- عليه أفضل الصلاة والسلام- فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ **يقول: اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، وَالهَرَمِ، وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ»**[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلِما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطَّمَع فيما ليس له، قال العلماء: واستعاذتُه ﷺ من هذه الأشياء لِتَكْمُلَ صفاتُه في كل أحواله، وشَرَعَه أيضًا تعليمًا، وفي هذه الأحاديث دليلٌ لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها، وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماءُ وأهلُ الفتاوى

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٨) ومسلم (٢٧٠٦)، واللفظ له.

في الأمصار»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن يتحلى بكل خُلق يحبه سبحانه ويرضاه، ومن ذلك الشجاعة والكرم، وأن يُجنبنا كُلَّ خُلُقٍ يكرهه تعالى ويأباه، ومن ذلك الجبن والبخل؛ فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٣٠/١٧).

فلنحذر
من النفاق الأصغر!

فلنحذر من النفاق الأصغر!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ على كل مسلم- أيها الأحبة والإخوان- أن يخاف على نفسه من داءٍ عضال! ووباءٍ قتَّال! مرضٌ مَن أصيب به كان من أهل الحرمان! وبَاء في الدارين بالخسران! ألا وهو الوقوع في نفاق الأعمال! **يقول الحافظ ابن رَجَب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النِّفَاقُ الأصغرُ: وهو نفاقُ العمل، وهو أن يُظهِر الإنسان علانيةً صالحةً ويُبطن ما يُخالف ذلك»(١).

كيف لا يخاف العبد من هذا الداء الذي كان يخشاه الأتقياء؟!

يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما خَافَهُ- أي النفاق- إلا مُؤْمِنٌ ولا أَمِنَهُ إلا مُنَافِقٌ»(٢).

ويخاف من الوقوع فيه أهلُ الصلاح الأصفياء، **يقول الإمام ابن**

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٣١).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٦/١).

القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تاللّه لقد قَطَعَ خوفُ النفاق قلوبَ السابقين الأولين؛ لعلمهم بدقِّه وجِلِّه وتفاصيله وجمله، ساءت ظنونُهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين»(١).

كيف لا يحذر المسلم من وباء خطير ومرض عسير وقد خاف منه أصحاب البشير النذير؟!

يقول الإمام عبد الله بن عُبَيْد ابن أبي مُلَيْكَةَ التَّيْمِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١١٧هـ): «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ من أَصْحَابِ النبي ﷺ كلهم يَخَافُ النِّفَاقَ على نَفْسِهِ»(٢).

يقول الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحابة الذين أدركهم بن أبي مُليكة مِن أَجَلِّهم عائشة، وأختها أسماء، وأم سَلَمَة والعبادلة الأربعة، وأبو هُرَيرة، وعُقْبة بن الحارث، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسِّنِّ جماعةً أَجَلَّ مِن هؤلاء: كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وَقَّاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم يُنقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماعٌ؛ وذلك لأن المؤمن قد يَعرِض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعُه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في

---

(١) «مدارج السالكين» (١/٣٥٨).

(٢) «صحيح البخاري» (١/٢٦).

الورع والتقوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[(١)].

ويقول الإمام الجَعْدُ بنُ دِينَارٍ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلتُ لأبي رجاء العُطَارِدِي [عِمران بن مِلحان البصري (ت١٠٥ هـ)]: هل أدركتَ من أدركتَ من أصحاب النبي ﷺ يخشون النفاق؟ قال: نعم، إنِّي أدركتُ- بحمدِ اللهِ- منهم صدرًا حَسَنًا، نَعَمْ شديدًا! نَعَمْ شديدًا!»[(٢)].

يقول الحافظ ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولَمَّا تقرر عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النفاق هو اختلافُ السر والعلانية، خَشِي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضورُ قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال، أن يكون ذلك منه نفاقًا»[(٣)].

ومن هؤلاء الأصحاب- أيها الأحباب- الصحابيُّ الجليل عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دُعي عُمَرُ لجنازة فخرج فيها- أو يريدها- فتعلقتُ بِه فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين فإنه من أولئك، فقال: نَشدتُك بالله أنا منهم؟ قلت: لا، ولا أبرِّئُ أحدًا بعدك»[(٤)].

---

(١) «فتح الباري» (١/١١٠).

(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (١/١٧٨).

(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٤).

(٤) رواه البزار كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٣/٤٢) وقال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ : «رجاله ثقات».

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا أفتح علي هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرِّأ من النفاقِ غيرَك»(١).

وعن أبي هلال محمد بن سُليم الرَّاسِبي البَصْري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «سأل أبان- أي: ابن يزيد العَطَّار البَصْري- الحَسَنَ البَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تَخَافُ النِّفَاقَ؟ قَالَ: وَمَا يُؤْمِنُنِي مِنْهُ، وَقَدْ خَافَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!»(٢).

ومنهم كذلك- أيها الأفاضل- حَنْظَلَةُ بنُ الرَّبِيع الأُسَيْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان من كُتَّابِ رسول الله ﷺ حيث قال لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قال له حين لقيه: «كَيْفَ أنتَ يا حَنْظَلَةُ؟ فقال: نَافَقَ حَنْظَلَةُ!... »(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (**نَافَقَ حَنْظَلَةُ**) معناه: أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصلُ النفاق إظهارُ ما يُكتم خلافُه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقًا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يُكَلَّفون الدوامَ على ذلك»(٤).

اعلم أيُّها المسلم- وَفَّقك الله لكل خير- أنه كلما قوي إيمانُك

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٠٤).
(٢) «صفة المنافق» للفريابي (٨٤).
(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٦٦/١٧).

بالعزيز القدير زاد خوفُك من هذا المرض الخطير، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفُه أن يكون من أهل هذه الطبقة؛ ولهذا اشتد خوفُ سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الكرام- ما دمنا في هذه الدنيا الفانية أن نحذر دائمًا من هذا الداء العضال والمرض القَتَّال، الذي لا يأمن منه عبدٌ مهما كثرت عبادته وارتفعت مكانته!

وقد سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: ومن يَأمَن على نفسه النفاق؟!»(٢).

ولنسعَ دوما- أيها الأحباب- إلى بذل الأسباب التي تقينا من هذا الوباء الخطير والشر المستطير بعون العزيز القدير، ومن ذلك:

١- **التَّعَوُّذ منه في كل وقت وحين**: كما كان يفعل أصحاب خاتم النبيين، فعن جُبَيْر بن نُفَيْر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سمع أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في آخر صلاته- وقد فَرَغَ من التشهد- يتعوذ بالله من النفاق فأكثر من التعوذ منه، فقال جُبَيْر: «ومَا لَكَ يا أبا الدرداء أنتَ والنِّفاق؟ فقال: دعنا عنك، فوالله إن الرَّجل ليتقلَّبُ عن دينه في السَّاعة الواحدة فيُخلع منه»(٣).

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٠٤).
(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٤).
(٣) «صفة المنافق» للفريابي (٧٣).

٢- **أن نسأل دائمًا أرحم الراحمين أن يمنَّ علينا بالثبات في الدين:**
لأن قلوب العباد أجمعين بيد رب العالمين، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ العبد إذا علم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو مقلب القلوب، وأنه يحول بين المرء وقلبه، وأنه تعالى كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويَخفض من يشاء، فما يُؤمنه أن يُقَلِّبَ اللهُ قلبَه ويَحُول بينه وبينه، ويزيغه بعد إقامته، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لَّا يزيغ قلوبهم»(١).

وهذا كان هدي سيد الأنبياء وأشرف المرسلين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يُكْثِرُ أن يقول: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي على دِينِكَ**»، فقلت: يا رسول الله آمَنَّا بك وبما جئت به فهل تَخَافُ علينا؟ قال: «**نعم إِنَّ القُلُوبَ بين إصبعين من أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(٢).

يقول المُنَاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال الحَلِيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا تعليمٌ منه لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف، مشفقين مِن سَلب التوفيق، غير آمنين

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤٣١).
(٢) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

من تضييع الطاعات، وتتبع الشهوات»[(١)].

٣- **أن نُكثر دومًا من الاستغفار وذكر العزيز الغفار**: لأن هذا من صفات الأخيار وعلامات الأبرار، فالذكر- أيها الكرام- من أهم الأسباب التي تحفظ العبد من الوقوع في النفاق بإذن العلام، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]...، واللهُ عَزَّوَجَلَّ أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غفلتْ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

٤- **أن نحذر من الاتصاف بخصال المنافقين التي حذرنا منها رسول رب العالمين**؛ فعن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كانت فيه خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَلَّةٌ من نِفَاقٍ حتى يَدَعَهَا: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**»[(٣)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث مما عَدَّهُ جماعةٌ من العلماء مشكلًا، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدِّق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفعل

---

(١) «فيض القدير» (١٣٩/٥).

(٢) «الوابل الصيب» (ص١١٠).

(٣) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)، واللفظ له.

هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر، ولا هو منافقٌ يُخلَّد في النار...؟

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديثُ ليس فيه- بحمد الله تعالى- إشكالٌ، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون- وهو الصحيح المختار- أن معناه: أن هذه الخصالَ خصالُ نفاق، وصاحبها شبيهٌ بالمنافق في هذه الخصال، ومُتخلق بأخلاقهم»(١).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشَّرُّ، وخلصت فيه نعوتُ المنافقين، فإن الصدقَ والقيام بالأمانات والوفاء بالعهود والورع عن حقوق الخلق هي جماعُ الخير، ومِن أَخَصِّ أوصاف المؤمنين، فمن فقد واحدةً منها فقد هَدَمَ فرضًا من فروض الإسلام والإيمان، فكيف بجميعها؟»(٢).

وعن أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٣).

يقول الحافظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث، أنها مُنَبِّهَةٌ على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/٤٧).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢١).
(٣) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) واللفظ له.

بالخيانة، وعلى فساد النية بالخُلف»[(١)].

٥- **أن نجتنب كُلَّ سبب قد يوقعنا في النفاق:** ومن ذلك فعل المنكرات من المعاصي والبدع المحدثات، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البِدَعُ مَظَانُّ النفاق، كما أنّ السُّنَنَ شعائرُ الإيمان»[(٢)].

فهذه- أيها الأحباب- هي أهم الأسباب التي تعيننا على اجتناب هذا الداء العُضَال والمرض القَتَّال بإذن الله الكبير المتعال، فعلينا جميعًا- إذا أردنا النجاة من هذا الوباء ولفلاح والنجاح في الدارين بعد الاعتصام بأرحم الراحمين- أن نَحرص على بذلها في كل وقتٍ وحين.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظنا وإياكم من كل سوء، ومن ذلك الإصابة بهذا الداء الخطير والمرض العسير، وأن يوفقنا جميعًا لكل أنواع الخير، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز القدير.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «فتح الباري» (١/٩٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/٢٦٩).

تذكير الأنام
بأن توقير الكبار
من تعاليم الإسلام

تذكير الأنام بأن توقير الكبار من تعاليم الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المعاملة بين أهل الإسلام- أيها الأحبة الكرام- ينبغي أن تكون وفقَ ما جاء في تعاليم دين العزيز العلام، ومن ذلك أن يُعامل بعضُهم بعضًا بكل أدب واحترام، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأدبُ مع الخلق: فهو معاملتهم- على اختلاف مراتبهم- بما يليق بهم، فلكل مرتبةٍ أدبٌ، والمراتبُ فيها أدبٌ خاص، فمع الوالدين: أدب خاص، وللأب منهما: أدبٌ هو أخص به، ومع العالِم: أدبٌ آخر، ومع السلطان: أدبٌ يليق به، وله مع الأقران أدبٌ يليق بهم، ومع الأجانب: أدبٌ غير أدبه مع أصحابه وذوي أُنْسِه، ومع الضيف: أدبٌ غير أدبه مع أهل بيتِه»[(١)].

ومن ذلك- أيُّها الأفاضل الأخيار- أن يُوقر الصغارُ في السن منَّا

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٣٩٠).

الكبارَ، **يقول الإمام الدَّهْلَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّةُ الفَاشِيَة في المَلِلِ جميعها توقيرُ الكبيرِ»(١).

وذلك عملًا بما أمرنا به رسولنا الكريم ﷺ، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»(٢).

يقول الحافظ المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**) الواو بمعنى: أو، فالتحذير من كل منهما وَحْدَهُ، فيتعين أن يعامل كُلًّا منهما بما يليق به، فيعطي الصغير حقَّه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه، ويعطي الكبير حقه من الشَّرَفِ والتوقير»(٣).

ومن صور الإكرام وتوقير الصغير للكبير: أن يحترمه وينزله منزلتَه، وأن لَّا يُؤذيه بقوله ولا بفعله، وأن يُعينه ويقف معه إذا احتاج إليه ويبدأه بالسلام إذا لقيه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ على الكَبِيرِ، وَالمَارُّ على القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ على الكَثِيرِ**»(٤).

يقول ابنُ بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المُهَلَّبُ: هذه آدابٌ من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمَّا وَجْه تسليم الصغير على الكبير فمن أجل حق الكبير على الصغير بالتواضع له والتوقير، وتسليم المار على القاعد هو من باب الداخل على

---

(١) «حجة الله البالغة» (ص ٤٧٠).
(٢) رواه الترمذي (١٩١٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) «فيض القدير» (٣٨٨/٥).
(٤) رواه البخاري (٥٨٧٧).

القوم، فعليه أن يبدأهم بالسلام...، وتسليمُ القليل على الكثير من باب التواضع أيضًا؛ لأنَّ حَقَّ الكثير أعظم من حق القليل»(١).

ويقول الحافظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونقل ابنُ دقيقِ العيدُ عن ابن رُشْدٍ أن محل الأمر في تسليم الصغير على الكبير إذا التقيا، فإن كان أحدهما راكبًا والآخر ماشيًا بدأ الراكب، وإن كانا راكبيْن، أو ماشيين بدأ الصغيرُ»(٢).

ولا بد أن يَعْلَم الصغار- أيها الأخيار- أن توقير واحترام الكبار هو من تعظيم العزيز الجبار، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ من إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فيه وَالجَافِي عنه، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلطَانِ المُقْسِطِ**»(٣).

قال العظيم آبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**إِنَّ من إِجْلَالِ اللَّه**): أي: تبجيله وتعظيمه (**إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ**): أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كُلُّ هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله»(٤).

ومما علينا أن نعلمه- أيها الكرام- في هذا المقام أن ممن يجب علينا

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٥/٩).
(٢) «فتح الباري» (١٧/١١).
(٣) رواه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) «عون المعبود» (١٣٢/١٣).

أن نعاملهم بكل أدب واحترام وتوقير أُناسًا نَفعُهم كبير وخيرُهم على المسلمين- بعد فضل الله القدير كثير- ألا وهم: العلماءُ الرَّبَّانيون الذين هم مصابيح الدُّجَى ومنارات الهدى، **يقول الإمام طَاوُس بن كَيْسَان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن السُّنّة أن يُوقَّر أربعةٌ: العالم، وذو الشَّيبة، والسُّلطان، والوالد»(١).

فتوقير العلماء هو- أيها الأفاضل- من توقير شريعتنا الإسلامية، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبتوقير العلماء تُوقَّر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذُلُّوا وسقطوا أمام أعين الناس ذَلَّتِ الشريعةُ التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كُلُّ إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيعُ الشريعة»(٢).

لقد ضرب لنا أصحاب خير الأنام أروع الأمثلة في معاملة أهل العلم بالتوقير والاحترام، ومن هؤلاء الأعلام ابنُ عم نبيِّنا- عليه الصلاة والسلام- الصحابي الجليل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **فعن الإمام الشَّعْبِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: «ذهب زيدُ بن ثابت ليركب ووضع رجليْه في الرِّكَاب؛ فأمسك ابنُ عباس بالرِّكاب، فقال: تنحَّ يابنَ عم رسول الله ﷺ، قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكُبَرَاء»(٣).

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٩).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).
(٣) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/١٩٧).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ له عِلمٌ بالشَّرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل، الذي له في الإسلام قدمٌ صالحة، وآثارٌ حسنة وهو مِنَ الإسلام وأهلِه بمكانٍ، قد تكون منه الهفْوةُ والزَّلةُ، هو فيها معذور، بل مأجورٌ لاجتهادِه، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدَرَ مكانتُه وإمامتُه في قلوب المسلمين»(١).

وكذلك ممن يجب على المسلم توقيرهم واحترامهم وإنزالهم منزلتهم- لما فيه ذلك من مصلحة يعود نفعها على العباد والبلاد- هم وُلاة الأمر، كما أمرنا بذلك رسول العزيز المقتدر، فعن أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أَكْرَمَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ الله يوم القِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللهُ يوم القِيَامَةِ**»(٢).

يقول الشيخُ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما أن ولاة الأمر والسلاطين يجب احترامُهم وتوقيرُهم وتعظيمُهم وطاعتُهم حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتُقروا أمام الناس وأُذِلُّوا وهُوِّن أمرهم ضاع الأمنُ، وصارت البلادُ فوضى، ولم يكن للسُّلطان قوةٌ ولا نفوذٌ»(٣).

ولنحذرْ جميعًا أشد الحذر من الاستخفاف بهذين الصنفين من الناس؛ لأن أمره خطير وضرره على المسلمين كبير، **يقول الإمام عبدُ الله**

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/٢٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٨)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٢٩٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).

ابن المُبَارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن استَخَفَّ بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومَن استَخَفَّ بالأمراء ذهبتْ دنياه»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذان الصنفان من الناس: العلماء والأمراء، إذا احتُقروا أمام أعين الناس فسدتِ الشريعة، وفسد الأمنُ وضاعت الأمور، وصار كل إنسان يرى أنه هو العالم، وكل إنسان يرى أنه هو الأمير، فضاعت الشريعةُ وضاعت البلادُ»(٢).

ولا ننسى- كذلك- أيها الإخوة والأخوات أن نُذَكِّرَ الأبناء والبنات بأنه يجب عليهم أن يحترموا ويوقروا من كانوا سببًا في وجودهم في هذه الحياة الدنيا، والذين بذلوا في تربيتهم الأوقات، وسهروا وتعبوا على تلبية ما كان يلزمهم من حاجيات؛ لأن هذا من البر والإحسان لهما الذي أمرنا وأوصانا به ربُّ البريات، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وأَمَرْنَا الإنسانَ ووصَّيْنَاهُ بوالديه حُسنًا، أي: ببرهما، والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يَعُقَّهُمَا، ويسيء إليهما في قوله وعمله»(٣).

ويقول ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِرُّهُمَا يكون بطاعتهما فيما يأمران به

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٣٢/٤٤٤).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).
(٣) «تفسير السّعْدِي» (ص ٦٢٧).

ما لم يكن بمحظور، وتقديمُ أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع الولدُ صوتَه، ولا يحدقُ إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما»[(١)].

واعلموا- وفقكم الله- أنكم مهما اجتهدتم في بِرِّهِمَا وخدمتِهما، فلن ولن تقدروا على رَدِّ ما كان منهما من فضلٍ وإحسان.

يقول ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليعلم البارُّ بالوالدين أنَّه مَهْمَا بالغ في بِرِّهِمَا لم يَفِ بشكرِهما»[(٢)].

يقول النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما بِرُّ الوالدين فهو الإحسانُ إليهما، وفعل الجميل معهما، وفعل ما يَسُرُّهُمَا»[(٣)].

وفي الختام علينا- أيها الكرام- أن نحرص أشد الحرص على العمل بتعاليم دين الإسلام، ومن ذلك أن نُعامل من يكبرنا سِنًا وقَدْرًا بكل أدبٍ واحترام؛ فإن في ذلك النجاحَ والفلاحَ في الدارين بإذن العزيز العلام، ولنحذرْ أشدَّ الحذر من التفريط في العمل بهذا الهدي القويم؛ لأنَّ في ذلك مخالفةً لما أَمَرَنَا به رسولنا الكريم- عليه أفضل الصلاة

---

(١) «بر الوالدين» (ص ٥).

(٢) «بر الوالدين» (ص ٥).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/٧٦).

وأزكى التسليم- فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

يقول الحافظ المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا**) أي: مَنْ لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا أيها المسلمون، (**وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**) سنًّا أو علمًا (**فَلَيْسَ مِنَّا**) أي: ليس على طريقتنا وسنتنا»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يُحبه ويرضاه، وأن يجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه؛ فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «فيض القدير» (٦/٢٢٤)

آفة المغالاة
في المهور

آفة المغالاة في المهور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الزَّواج- أيها الأحبة والإخوان- هو نعمةٌ من نِعم الواحد الديَّان، وآيةٌ من آيات الرحمن، يقول المنَّان: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ تُناسبكم وتُناسبونهن، وتشاكلكم وتشاكلونهن ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بما رَتَّبَ على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاعُ واللذةُ والمنفعةُ بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحدٍ- في الغالب- مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يُعملون أفكارهم

ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيءٍ إلى شيءٍ»[(١)].

وإنَّ من حق المرأة على الرجل- أيها الكرام- إذا أراد أن يتزوجها أن يُقَدِّم لها مَهْرًا، يقول العزيز العلام: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

ويقول الإمام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بذلك- تعالى ذكرُه: وأعطوا النساء مهورَهن عطيَّة واجبة، وفريضةً لازمة»[(٢)].

وهذا المهرُ المفروض شرعًا يُسَمَّى- كذلك أيها الأفاضل- صَداقًا.

وسبب هذه التسمية: أنه يدل على صدق الرجل في طلب الزواج، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُمِّيَ صداقًا؛ لأن بذله يدل على صدق طلب الزوج لهذه المرأة؛ إذ إن الإنسان لا يمكن أن يبذل المحبوب إلا لما هو مثله أو أحب، ولهذا سُمِّي بذلُ المال للفقير صدقةً؛ لأنه يدل على صدق باذله، وأن ما يرجوه من الثواب أحب إليه من هذا المال الذي بَذَلَهُ»[(٣)].

وإنَّ مما ينبغي أن نعلمه- أيها الكرام- أنه لا خلاف بين الفقهاء في أنه لا حدَّ لأكثر المهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٠٦).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٧٧).
(٣) «الشرح الممتع» (١٢/٢٥١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذه الآية دلالةٌ على عدم تحريم كثرة المهر، مع أن الأفضلَ واللائقَ الاقتداءُ بالنبي ﷺ في تخفيف المهر.

ووجه الدلالةِ: أن الله أخبر عن أمرٍ يقع منهم، ولم ينكرْه عليهم، فَدَلَّ على عدم تحريمِه»(١).

لكن يجب أن يعلم الآباء والبنات- أيها الإخوة والأخوات- أن عدم المغالاة في المهور هو من هدي رسول ربِّ البريَّات، فعن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ألا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ؛ فإنَّه لو كان مَكْرُمَةً في الدُّنْيَا، أو تَقْوَى عِنْدَ الله عَزَّوَجَلَّ كان أَوْلَاكُمْ بِهِ النبيُّ ﷺ**»(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن دعتْه نفْسه إلى أن يزيد صداقَ ابنتِه على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هنَّ خيرُ خلق الله في كل فضيلة، وهنَّ أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهلٌ أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليَسَار، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يُصدق المرأة إلا ما يَقدر على وفائه من غير مَشَقَّةٍ»(٣).

وأن التيسير في الصَداق هو من أسباب البركة في الزواج بإذن العزيز الرزاق؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ**

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٨١).

(٢) رواه النسائي (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩٤/٣٢).

تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»[(١)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(إِنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ) أي: بركتها، (تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا) بالكسر أي: سهولة سؤال الخاطب أولياءها نكاحها وإجابتهم بسهولة من غير توقفٍ، (وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا) أي: عدم التشديد في تكثيره ووجدانه بيد الخاطب من غير كد في تحصيله، (وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا) أي: للولادة بأن تكون سريعة الحمل كثيرة النسل»[(٢)].

وهو كذلك مما يُعين- بإذن أرحم الراحمين على انتشار الزواج في بلاد المسلمين، يقول الإمام الشَّوْكَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزواج بمهرٍ قليل مندوبٌ إليه؛ لأن المهر إذا كان قليلًا لم يَستصعب النكاحَ من يريده، فيَكْثُر الزواجُ المرغَّبُ فيه، ويَقدِر عليه الفقراءُ، ويَكثُر النسلُ الذي هو أهم مطالب النكاح، بخلاف ما إذا كان المهر كثيرًا، فإنه لا يتمكن منه إلا أرباب الأموال، فيكون الفقراءُ- الذين هم الأكثر في الغالب- غيرَ مُزَوَّجِينَ فلا تحصل المكاثرةُ التي أرشد إليها النبي ﷺ»[(٣)].

لكن نرى اليوم- وللأسف- أيها الأخوة والأخوات أن بعض أولياء أمور المسلمات قد خالفوا هدي رسول رب البريات، وأصبحوا عائقًا في زواج البنات وذلك بسبب مغالاتهم في المهور؛ فزادوا من إعراض

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣٩٩٨).
(٢) «فيض القدير» (٢/٧٧).
(٣) «نيل الأوطار» (٦/٣١٣).

الشباب على الزواج! وكانوا سببًا في انتشار العنوسة بين الفتيات!!

وكذلك بعض الأمهات وحتى البنات! فَبَدَلَ أن يَكُنَّ عونًا على الزواج الذي هو من الطاعات أصبحن كذلك من المعوقات بسبب ما يشترطن على الشاب من نفقات؛ يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المغالاة في المهور وفي الحفلات كل ذلك مخالف للشرع؛ فإن أعظم النكاح بركة أيسره مَؤُونَةً، وكُلَّمَا قَلَّتِ المؤونةُ عظمت البركةُ، وهذا أمر يرجع في أكثر الأحيان إلى النساء؛ لأن النساء هنَّ اللاتي يحملن أزواجهن على المغالاة في المهور، وإذا جاء المهر ميسرًا قالت المرأة: لا، إن بنتنا يجب لها كذا وكذا، وكذلك أيضًا المغالاة في الحفلات مما نهى عنه الشرع، وهو يدخل تحت قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، وكثيرٌ من النساء يحملن أزواجهن على ذلك أيضًا، ويقلن: إن حفل فلانٍ حدث به كذا وكذا، ولكن الواجب في مثل هذا الأمر أن يكون على الوجه المشروع، ولا يتعدى فيه الإنسانُ حَدَّهُ ولا يسرف؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نهى عن الإسراف وقال: ﴿. . .إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾»[(١)].

بل تَعَدَّى الأمرُ عند بعض الأولياء- وكذلك البنات- بعدم الاكتفاء بما يطلبونه من أموال باهظة في المهور، بل بلغ بهم الأمر إلى إضافة شروط مالية قد تكون لكثير من الشباب تعجيزية، كتوفير

---

(١) «فتاوى إسلامية» (٣/٢٣٨).

سيارة خاصة، ووضع مبلغ معين في حساب المرأة، والسفر بعد الزواج لقضاء (شهر العَسَل) كما يُسَمَّى، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما ما يقال عن شهر العسل فهو أخبث وأبغض؛ لأنه تقليد لغير المسلمين، وفيه إضاعةُ أموال كثيرة، وفيه أيضًا تضييعٌ لكثير من أمور الدين- خصوصًا إذا كان يُقضي في بلاد غير إسلامية- فإنهم يرجعون بعادات وتقاليد ضارَّةٍ لهم ولمجتمعهم، وهذه أمورٌ يُخشى منها على الأمة»(١).

ويقول العَلَّامة الشيخ صالح الفَوْزَان حفظه الله: «وما تُعورف عليه في هذا الزمان لدى كثير من المترفين من الشباب وذوي الثروة من السفر صبيحة الزواج إلى البلاد الخارجية الكافرة لإمضاء شهر العسل كما يسمونه، وهو في الواقع شهر السُّم؛ لأنه شهرٌ مُحَرَّمٌ، يُؤَدِّي إلى شرور كثيرة؛ من خلع الحجاب، والتزيِّ بزي الكفار، ومشاهدة أفعال الكفار وتقاليدهم السخيفة، وزيارة أمكنة اللهو، حتى ترجع المرأةُ متأثرةً بتلك الأخلاق الرذيلة، زاهدةً بأخلاق مجتمعها المسلم؛ فإن هذا السفرَ حرامٌ شديدُ التحريم، يجب الأخذُ على يد مرتكبيه، ومنعُهم منه، ويجب على أولياء المرأة منعُها من ذلك السفر»(٢).

أيها الأولياء اعلموا- وفقكم الله تعالى لمرضاته- أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قد استرعاكم على بناتكم، وأنكم ستُسألون عنهن، فعن عبد الله بن

---

(١) «فتاوى إسلامية» (٣/٢٣٨).

(٢) «الملخص الفقهي» (٢/٥٨١).

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ...**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظرِه شيءٌ فهو مطالبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»(٢).

فلا يكن هَمُّكُمْ في الرجل الذي يتقدم لبناتكم المالَ أو الجاهَ أو النسبَ فقط! دون النظر إلى الأصل وهو الاستقامة في الدين والصلاح وحُسن الخلق؛ فتُخالفوا بذلك ما أمركم به نبيُّكم ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٣).

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ**) أي: طلب منكم أن تُزوِّجوه امرأةً من أولادكم وأقاربكم (**من تَرْضَوْنَ**) أي: تستحسنون (**دِينَهُ**)، أي: ديانته، (**وَخُلُقَهُ**) أي: معاشرتَه؛ (**فَزَوِّجُوهُ**) أي: إياها (**إلا تَفْعَلُوا**) أي: لا تُزَوِّجوه (**تَكُنْ**) أي: تقع (**فِتْنَةٌ في الأرض**

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)ومسلم (١٨٢٩)واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٢١٣/١٢).

(٣) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) أي: ذو عَرْضٍ، أي: كثيرٌ لأنكم إن لم تزوّجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثرُ نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء؛ فيكثر الافتتان بالزِّنا، وربما يلحق الأولياءَ عارٌ فتهيج الفتنُ والفسادُ ويترتب عليه قطعُ النسب وقلةُ الصلاح والعفَّة.

قال الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الحديث دليلٌ لمالك، فإنه يقول: لا يراعى في الكفاءة إلا الدينُ وحده، ومذهب الجمهور أنه يراعى أربعةُ أشياء: الدين، والحرية، والنسب، والصنعة، فلا تزوَّج المسلمةُ من كافر، ولا الصالحة من فاسق، ولا الحرةُ من عبدٍ، ولا المشهورة النسب من الخامل، ولا بنت تاجر أو من له حرفة طيبة ممن له حِرَفٌ خبيثة أو مكروهة، فإن رضيت المرأة أو وليها بغير كُفءٍ صح النكاحُ»[(١)].

واحذروا أشد الحذر أن يُؤَدِّي بكم ما تشترطونه من أموال لتزويج بناتكم إلى الوقوع في الإعضال؛ **يقول الإمام ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى العَضْلُ: منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك، ورغب كل واحد منهما في صاحبه»[(٢)].

هذا الداء العضال الذي نهى عنه الكبير المتعال، حيث قال سبحانه: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

يقول الإمام البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا تمنعوهنَّ عن النكاح، والعَضْلُ:

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٦/٢٤٦).
(٢) «المغني» (٧/٢٤).

المنع، وأصله الضيقُ والشدة، يقال: عضلت المرأةُ إذا نشب ولدُها في بطنها فضاق عليه الخروج، والداء العُضال: الذي لا يطاق، وفي الآية دليلٌ على أن المرأة لا تلي عقد النكاح؛ إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضلٌ، ولا لنهي الولي عن العضل معنًى»[(١)].

وفي الختام: علينا أن نعلم- أيها الأحبة الكرام- أنَّ مشكلة غلاء المهور قد شغلت بال كثير من الشباب وحالت بينهم وبين الزواج المبكر، وفي ذلك مخالفة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ التي رَغَّبَتْ في الزواج المبكر وتيسير أسبابه، كما أن في ذلك تعريضَ الشباب والفتيات للخطر والفتنة والفساد، فعلينا جميعًا أن نسعى للقضاء على هذه الآفة الخطيرة التي انتشرت في البلدان الإسلامية، وذلك ببيان ضررها على الشباب والفتيات، وعلى المسلمات أن يحرصن على الزواج من صاحب الدين، المعروف بالحرص على الطاعات والتزود من الخيرات؛ لأنَّ السعادة الحقيقية ليست في الملذات الزائلة والشهوات! وإنما هي في التمسك بتعاليم دين رب الأرض والسموات.

وعلى أولياء الأمور: أن يتقوا العزيز الغفور في بناتهم، ولا يُغَالوا في المهور؛ **يقول العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلى الأولياء أن يتقوا الله في مولياتهم؛ فإنهن أمانةٌ في أعناقهم، وأن الله سائلهم عن هذه الأمانة، فعليهم أن يبادروا إلى تزويج بناتهم وأخواتهم وأبنائهم؛ حتى

---

(١) «تفسير البغوي» (٢١٠/١)

يُؤَدِّي كلٌّ دورَه في هذه الحياة ويقل الفساد والجرائم.

ومن المعلوم: أن حبس النساء عن الزواج أو تأخيره سببٌ في فُشُوِّ الجرائم الأخلاقية وانتشارها التي هي من معاول الهدم والدمار.

فيا عباد الله:

اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولَّاكم الله عليهم من البنات والأخوات وغيرهن وفي إخوانكم المسلمين، واسْعَوْا جميعًا إلى تحقيق الخير والسعادة في المجتمع، وتيسير سُبُلِ نُمُوِّهِ وتكاثره وإزالة أسباب انتشار الجرائم.

واعلموا أنكم مَسؤولون ومحاسَبون ومَجْزِيُّونَ على أعمالكم، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١]، وبادِروا إلى تزويج بناتكم وأبنائكم مقتدين بنبيكم ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والسائرين على هديهم وطريقتهم، وأوصيكم بتقليل مُؤَنِ الزواج وعدم المغالاة في المهور، واقتصِدُوا في تكاليف الزواج، واجتهدوا في اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء ذوي الأمانة والعِفَّةِ.

رَزَقَ اللهُ الجميعَ الفقهَ في الدين، والثباتَ عليه، وأعاذنا وإياكم

وسائرَ المسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَحفظ شباب وبنات المسلمين من شر الأشرار وكيد الفجَّار، وأن يُعينهم على الزواج والعِفَّة، وأن يجعلهم هُدَاةً مهتدين، وأن يوفقهم لخدمة ونصرة الدين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/١٠٥).

تذكير أهل الإسلام
أن الغيبة من كبار الآثام

تذكير أهل الإسلام أن الغيبة من كبار الآثام!

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الغِيبة- أيها الأحبة والإخوان- هي مِن الخصال الذميمة التي تدل على ضعف الإيمان وقلة الخوف من العزيز الرحمن، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟** قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قيل: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: «**إن كان فيه ما تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ**(١)»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الغِيبة هي**: ذِكرك الإنسانَ بما فيه مما يَكره، سواء كان في بدنه، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلقه، أو خُلقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو خادمه، أو مملوكه، أو عمامته، أو

---

(١) **يقول المُلَّا عَلي قَارِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب، أي: «قُلْتَ عليه البهتان، وهو كذب عظيم». «مرقاة المفاتيح» (٦٤/٩)

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩).

ثوبه، أو مشيته، وحركته، وبشاشته، وخلاعته، وعُبوسه، وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرتَه بلفظك، أو كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك، أو يدك أو رأسك، أو نحو ذلك... »[(١)].

فهي داءٌ قَتَّال ومرض عُضال ينتشر بين الكثير من المسلمين إلا من عَصَمه أرحمُ الراحمين، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن هاتين الخصلتين- الغيبة والنميمة- من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس حتى ما يسلم منهما إلا القليل من الناس»[(٢)].

وهي ذنبٌ مُحَرَّمٌ بإجماع علماء الإسلام أيها الأحبة الكرام، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهما مُحَرَّمَتَانِ- أي: الغيبة والنميمة- بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمهما الدلائلُ»[(٣)].

ويقول الإمام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغِيبة محرمةٌ بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحتْ مصلحتُه، كما في الجرح والتعديل والنصيحة»[(٤)].

وقد تضافرتِ الأدلةُ على أنها من كبائر الذنوب، **يقول الإمام القُرْطُبِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خِلَاف أن الغِيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدًا

---

(١) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٣) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١٥).

عليه أن يتوبَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

ومِن ذلك قولُ عَلَّام الغيوب: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

يقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه إشارةٌ إلى أن عِرض الإنسان كَلَحْمِهِ، وأنه كما يحرم أكلُ لحمه يَحْرُم الاستطالةُ في عِرضه، وفي هذا من التنفير عن الغِيبة، والتوبيخ لها، والتوبيخ لفاعلها، والتشنيع عليه ما لا يخفى؛ فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباعُ الإنسانيةُ، وتستكرهه الجِبِلَّةُ البشرية، فضلًا عن كونه محرَّمًا شرعًا»[(٢)].

لذا حذرَنا منها رسولُ العزيز العلام- عليه أفضل الصلاة والسلام- وأخبرنا أنها ليست من صفات أهل الإسلام، فعن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا مَعْشَرَ من آمَنَ بِلِسَانِهِ ولم يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلبَهُ! لَا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنه من اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ في بَيْتِهِ**»[(٣)].

يقول العَظيم آبَادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تنبيهٌ على أن غِيبة المسلم من شعار

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣٣٧/١٦).

(٢) «فتح القدير» (٦٥/٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

المنافق، لا المؤمن»[(١)].

وبَيَّنَ لنا ﷺ أنَّ ضررَها كبيرٌ وأمرَها خطيرٌ، فعن سعِيدِ بن زَيْدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِن أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**»[(٢)].

يقول المُنَاوِي رحمه الله: «(**إِنَّ من أَرْبَى الرِّبَا**) أي: أكثره وبالًا وأشده تحريمًا، (**الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ المُسْلِمِ**) أي: احتقاره والترفع عليه والوقيعة فيه بنحو قذفٍ أو سَبٍّ؛ لأن العِرضَ شرعًا وعقلًا أعزُّ على النفس من المال، ونَبَّه بقوله: (**بِغَيْرِ حَقٍّ**) على حِل استباحة العِرض في مواضع مخصوصة كجرح الشاهد، وذكر مساوئ الخاطب»[(٣)].

ويَعظُم قُبْحُها ويزداد ضررُها- أيها الأحباب- بحسب مكانة من يُغتاب ويُعاب، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمين** رحمه الله: «واعلم أن الغِيبةَ تزداد قُبحًا وإثمًا بحسب ما تُؤدي إليه، فغِيبة العامة من الناس ليست كغِيبة العالم، أو ليست كغِيبة الأمير، أو المدير، أو الوزير، أو ما أشبه ذلك؛ لأن غِيبة ولاة الأمور- صغيرًا كان الأمر أو كبيرًا- أشدُّ من غِيبة مَن ليس لهم إمرة وليس له أمر ولا ولاية.... »[(٤)].

---

(١) «عون المعبود» (١٥٣/١٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٨) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٣٤٧/١).
(٤) «شرح رياض الصالحين» (١٠٤/٦).

فيا مَن ابتليتَ بهذا الداء الخطير والضرر الكبير! تُب منه قبل أن تقف بين يدي العزيز القدير، وتذكر دائمًا أنَّ المغتاب- إذا لم يرجع إلى الغفور التواب- فسيعاقَب على جُرمه بأنواع من العذاب، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهم أَظْفَارٌ من نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ**[(١)]، **فقلت: من هَؤُلَاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ الناس، وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِم**»[(٢)].

يقول الإمام الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا كان خَمْشُ الوجه والصدر من صفات النساء النَّائحات جعلهما جزاءَ من يغتاب ويَفْري في أعراض المسلمين؛ إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أَقْبَحِ حالة وأَشْوَهِ صورة»[(٣)].

ويا مَن أمامك طُعِن في عرض أَخيك المسلم بغير وجه حق دَافِع عنه ورُدَّ ما قيل فيه، وتذكَّر أن لك بهذا العمل الحميد الأجرَ العظيمَ عند العزيز المجيد، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ الله عن وَجْهِهِ النَّارَ يوم القِيَامَةِ**»[(٤)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ**) أي: رَدَّ على مَن

---

(١) أي: يخدشونها. «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٧)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤٧).

(٤) رواه الترمذي (١٩٣١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

اغتابه وشان من آذاه وعابه، (**رَدَّ اللهُ عن وَجْهِهِ**) أي: ذاته وشخصه؛ لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان (**النَّارَ يوم القِيَامَةِ**) جزاءً بما فعل؛ وذلك لأنَّ عِرض المؤمن كَدَمِهِ، فمن هَتَكَ عِرْضَهُ فكأنه سفكَ دمَه، ومَن عَمِلَ على صون عِرْضِهِ فكأنه صان دمه، فيجازَى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة»[(١)].

ومما علينا أن نَعلمه- أيها الأحبة- أن هناك بعضَ المواطن تجوز فيها الغِيبة لما في ذلك من مصلحة راجحة كما ذكر ذلك العلماء، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ الغِيبة تباح لغرضٍ صحيحٍ شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، **وهو ستة أسباب:**

الأول: التَّظَلُّم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه مِن ظالمه، فيقول: ظلمني فلانٌ بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلانٌ يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي أو زوجي، أو فلانٌ بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي،

---

(١) «فيض القدير» (٦/١٣٥).

ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز.

الرابع: **تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم**: وذلك من وجوهٍ:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجبٌ للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لَّا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلمَ على ذلك الحسدُ، ويلبس الشيطانُ عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولايةٌ لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلًا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: **أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته**: كالمجاهر بشرب

الخمر، ومُصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: **التعريف**: فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقهُ على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفُه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماءُ، وأكثرُها مجمعٌ عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة»[(١)].

ومما يَنبغي أن ننبه عليه- أيها الكرام- في هذا المقام أنَّ للغِيبة صُورًا عديدة، قد يقع فيها الكثير من الأنام دون أن يتفطنوا أن هذا من الآثام قد نبه عليها أحد الأئمة الأعلام، **حيث يقول ابن تيمية شيخ الإسلام- رحمه العزيز العلام**: «فمِن الناس من يغتاب موافقةً لجلسائه وأصحابه وعشائره، مع علمه أن المغتابَ بريءٌ مما يقولون، أو فيه بعضُ ما يقولون، لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطعَ المجلسَ واستثقله أهلُ المجلس، ونفروا عنه، فيرى موافقتَهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم.

ومنهم: من يُخرج الغِيبة في قوالب شتى، تارةً في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير ولا أحب الغِيبة، ولا

---

(١) «رياض الصالحين» (ص ٢٧٩).

الكذب، وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنه مسكين، أو رجل جيد، ولكن فيه كيت وكيت، وربما يقول: دَعُونا منه، يغفر اللهُ لنا وله، وإنما قصْدُه استنقاصه وهضمٌ لِجَنَابِه، ويُخرجون الغِيبةَ في قوالب صلاح وديانة، يُخادعون اللهَ بذلك كما يخادعون مخلوقًا، وقد رأينا منهم ألوانًا كثيرة من هذا وأشباهه.

ومنهم: من يرفع غيرَه رياءً، فيرفع نفسه، فيقول: لو دعوتُ البارحةَ في صلاتي لفلان لما بلغني عنه كيت وكيت، ليرفعَ نفسَه ويضعه عند من يعتقده، أو يقول: فلانٌ بليد الذهن قليلُ الفهم، وقصْدُه مدح نفسه، وإثبات معرفته، وأنه أفضل منه.

ومنهم: من يحمله الحسدُ على الغيبة، فيجمع بين أمرَيْن قبيحين: الغِيبة، والحسد، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسدٍ وفجورٍ وقَدْح؛ ليسقط ذلك عنه.

ومنهم: من يُخرج الغِيبة في قالب تَمَسْخُرٍ ولَعِبٍ ليضحك غيرَه، باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزَأِ به.

ومنهم: من يُخرج الغيبة في قالب التعجبِ، فيقول: تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت؟! ومِن فلانٍ كيف وقع منه كيت وكيت؟! وكيف فعل كيت وكيت؟! فيخرج اسمَه في معرض تعجبه.

ومنهم: من يخرج الغِيبة في قالب الاغتمام، فيقول: مسكينٌ فلان،

غَمَّنِي ما جرى له، وما تَمَّ له، فيظن من يسمعه أنه يَغْتَمُّ له ويتأسف، وقلبُه مُنْطَوٍ على التَّشَفِّي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليَشْتَفُّوا به، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه.

ومنهم: من يُظهر الغيبة في قالب غضبٍ وإنكارِ منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصْدُه غير ما أظهر، والله المستعان»[(١)].

فيا أيها الأحبة والإخوان!

إنَّ مما يجب علينا جميعًا أن نستعمل ألسنتنا فيما يكون طاعةً للرحمن ويزيد من الإيمان، كذكر العزيز المنَّان في كل الأحيان، وقراءة القرآن، وعلينا أن نحفظها من العصيان، ولا نُطلق لها العنان في الغِيبة والنميمة والكذب والبهتان، فتجرنا إلى المهالك ونَبُوء بسببها بالنيران، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَهَل يَكُبُّ الناس في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ، أو على مَنَاخِرِهِمْ، إلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»[(٢)].

يقول الإمام ابن رَجَب رحمه الله: «والمراد بحصائد الألسنة جزاءُ الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زَرَعَ خيرًا من قولٍ أو عملٍ حصد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣٦).
(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

الكرامةَ، ومن زَرَعَ شَرًّا من قولٍ أو عملٍ حصد غدًا الندامةَ، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطقُ بألسنتهم، فإن معصيةَ النُّطْقِ يدخل فيها الشركُ وهو أعظم الذنوب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها القولُ على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، ويدخل فيها شهادةُ الزُّور التي عَدَلَتِ الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها السِّحْرُ، والقَذْفُ، وغير ذلك من الكبائر والصغائر، كالكذب والغِيبة والنميمة، وسائرُ المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قولٍ يقترن بها يكون مُعِينًا عليها»(١).

ويجب علينا أن نحفظها من كل سوء أو ما يجر إليه! إلا ما كان فيه نفعٌ في الدارين، يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة، فالسُّنَّةُ الإمساك عنه؛ لأنه قد يَنْجَرُّ الكلامُ المباح إلى حرامٍ أو مكروهٍ، بل هذا كثيرٌ أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيءٌ»(٢).

ولنتذكر- أيها الأفاضل- دائمًا أن المسلم الحقيقي هو من سَلِمَ الناسُ من أذاه، سواء الفعلي أو القولي، فعن عَبْدَ الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٧٤).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٢).

أن النبي ﷺ قال: «**المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذلك أن الإسلام الحقيقي: هو الاستسلام لله، وتكميل عبوديته والقيام بحقوقه، وحقوق المسلمين، ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شَرِّ لسانه وشَرِّ يده، فإن هذا أصلُ هذا الفرض الذي عليه للمسلمين، فمن لم يَسْلَمِ المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائمًا بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين؟ فسلامتُهم من شَرِّه القولي والفعلي عنوانٌ على كمال إسلامه»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لفعل الطاعات والتزود من الخيرات، وأن يُجنبنا جميعًا ارتكاب المنكرات، ومن ذلك الغيبة التي هي من كبار المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٤٠).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٧).

تذكير أهل الإيمان
بأن الصدقة برهان

تذكير أهل الإيمان بأن الصدقة برهان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المسلمَ- أيُّها الإخوة والأخوات- مطالبٌ في هذه الدنيا الفانية بالحرص على فعل الطاعات، والتزود من الخيرات، وصرف وقته فيما يُرضي رب البريات، **يقول ابنُ الجَوْزِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرفَ زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظةٌ في غير قُرْبَة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[(١)].

ومن الأعمال الصالحة والقربات النافعة التي ينبغي للعبد- وبالأخص المقتدر- دائمًا أن يجتهد في تحقيقها ويسعى للإتيان بها لما فيها من أثر كبير ونفع جليل يعود عليه في الدارين بإذن رب العالمين: التصدقُ في سبيل أرحم الراحمين، **يقول الرَّاغِبُ الأَصْبَهَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزكاة، لكن

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقةً إذا تحرى صاحبُها الصِّدْقَ في فعله»(١).

إن مما يدل على صدق الإيمان وشدة الحرص على أنواع البر والإحسان، والرغبة فيما عند الله جَلَّوَعَلَا المنَّان- أيها الأحبة والإخوان- التطوع بالصدقة في سبيل الرحمن، فعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصدقةُ حُجَّةٌ على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصَدَقته على صدق إيمانه، والله أعلم»(٣).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بُرْهَانٌ**» أي: دليلٌ على صدق إيمان المتصدِّق.

وَجْهُ ذَلِكَ: أن المالَ محبوبٌ للنفوس، ولا يُبذل المحبوبُ إلا في طلب ما هو أحب، وهذا يدلّ على إيمان المتصدق، ولهذا سمى النبيُّ ﷺ الصدقةَ برهانًا»(٤).

فصدقة التطوع- أيها الكرام- هي من أسباب محو الذنوب، والتَّطَهر

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٧٨).
(٢) رواه مسلم (٢٢٣).
(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٠١/٣).
(٤) «شرح الأربعين النووية» (ص٢٤٦).

من الآثام بإذن العزيز العلام، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصدقة مطلقًا، سواء الزكاة الواجبة أو التطوع، وسواء كانت قليلة أو كثيرة، (**تُطفِئ الخَطيئَة**) أي: خطيئة بني آدم، وهي المعاصي.

(**كَمَا يُطفِئ المَاءُ النَّارَ**) والماءُ يطفئ النارَ بدون تردد، فشبَّه النبيُّ ﷺ الأمرَ المعنوي بالأمر الحسِّي»(٢).

وهي كذلك من أسباب دعاء الملائكة للعبد بالخير والبركة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فيقول أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق، وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك، بحيث لا يُذَّم ولا يُسمى سَرَفًا، والإمساكُ المذموم هو الإمساكُ عن هذا»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «شرح الأربعين النووية» (ص ٣٢٠).
(٣) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (١٠١٠)، واللفظ له.
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٩٥/٧).

أيها المسلم اعلم-رحمك الله-أن النفقة في سبيل الله جَلَّوَعَلَا في الحقيقة لا تُنقصُ مالك ولا تُقلِّله؛ فعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَنْقُصُ مَالٌ من صَدَقَة، فَتَصَدَّقُوا**»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قال قائلٌ: كيف لا تُنقِص- أي الصدقةُ- المالَ، والإنسان إذا كان عنده مائةٌ فتصدق بعشرة صار عنده تسعون؟! فيقال: هذا نقص كَمٍّ، ولكنها تزيد في الكَيْفِ، ثم يفتح الله للإنسان أبوابًا من الرزق تَردُّ عليه ما أنقق»(٢).

بل الصدقة تكون سببًا في زيادة مَالِك وطرح البركة فيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سبأ:٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخْلِفُهُۥ ۖ﴾؛ فلا تتوهَّموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وَعَدَ بالخلف للمنفقِ، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[سبأ:٣٩] ؛ فاطلبوا الرزق منه، واسْعَوْا في الأسباب التي أمركم بها»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/١٩٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب» (٨١٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/٥٢٤).

(٣) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٣٢).

فأنفِق- نفع اللهُ بك- على الفقراء والمساكين، ولا تَخْشَ إطلاقًا من الفقر الذي قد يُوهمك به الشيطانُ اللعين، واعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل بإذن أرحم الراحمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»(١).

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى: أَنْفِقِ الأموال الفانية في الدنيا لتدرك الأحوال العالية في العُقْبَى، وقيل: معناه أعطِ الناسَ ما رَزَقْتُك حتى أَن أَرزقك، أي: في الدنيا»(٢).

وليكن دائمًا قدوتَك نبيُّك ﷺ، الذي كان جوادًا كريمًا يُكثر من التصدق في سبيل الله ولا يرد سائلًا، يسعى دائمًا لقضاء حوائج الناس، **يقول ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ﷺ أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى ولا يستقِلُّه، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخاف الفقر، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه وَفَرَحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينُه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاجٌ آثره على نفسه، تارةً بطعامه وتارةً بلباسه، وكان يُنَوِّعُ في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراء الشيء ثم يعطي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٩٩٣)، واللفظ له.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٣١٨/٤).

البائعَ الثمنَ والسلعةَ جميعًا»(١).

أيها المتصدِّق إنَّ أول ما ينبغي عليك أن تَحرص عليه هو أن تَمُدَّ يَدَ العون والإنفاق على ذي الرحم القريب؛ لأن في ذلك مضاعفةً للأجر عند العزيز الرقيب، فتبرعُك على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقةٌ وصِلَةٌ، فعن سلمان بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ على المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ على ذِي الرَّحِمِ اثنتان: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**»(٢).

يقول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني أن الصدقة على الأقارب أفضلُ؛ لأنه خَيْرَانِ، ولا شك أنهما أفضلُ من واحدٍ»(٣).

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقريب الذي يستحقها إذا كانت حاجته مثل حاجة الأجنبي فهو أحق بها منه، فإنَّ صدقتَك على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم صدقةٌ وصِلَةٌ، والله أعلم»(٤).

واعلم- وفقك الله- أن أعظم أجر لك- أيها المنفق- أن تتصدق بطيب نفس وأنت صحيح الجسد مقتدر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قال: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، ولا تُمْهِلُ حتى**

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٢).
(٢) رواه الترمذي (١١٣٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤/٣٧٣).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٥/٦٩).

إذا بَلَغَتِ الحُلقُومَ قُلتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وقد كان لِفُلَانٍ»[(١)].

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: أنَّ أعمال البر كلما صَعُبَتْ كان أجرُهَا أعظمَ؛ لأن الصحيحَ الشحيحَ إذا خشي الفقر، وأمَّل الغنى صَعُبَتْ عليه النفقة، وسوَّل له الشيطانُ طولَ العمر، وحُلول الفقر به، فمن تَصَدَّقَ في هذه الحال، فهو مُؤْثِرٌ لثواب الله على هوى نفسه»[(٢)].

ويقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديث دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له أن يبادر بالصدقة قبل أن يأتيه الموت، وأنه إذا تصدق في حال حضور الأجل كان ذلك أقل فضلًا مما لو تصدق وهو صحيح شحيح»[(٣)].

واعلم- سدَّدَك الله- أن الأفضل أن تتصدق في السِّرِّ؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، وهي من علامات الأتقياء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال: إني أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٢).
(٢) شرح «صحيح البخاري» لابن بطال (٤١٧/٣).
(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣٠/٢).

خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(١)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع، فالسرُّ فيها أفضل؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة، فإعلانها أفضل، وهكذا حكم الصلاة، فإعلان فرائضها أفضل، وإسرار نوافلها أفضل، لقوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**»[(٢)]، قال العلماء: وذِكر اليمين والشمال مبالغةٌ في الإخفاء والاستتار بالصدقة، وضَرْبُ المثل بهما لقُرب اليمين من الشمال وملازمتها لها»[(٣)].

وعليك- حفظك الله- أن تُكثر من الصدقات التي يكون نفعها مُتَعَدِّيًا ويبقى خيرها حتى بعد مماتك بإذن رب العالمين، كالإعانة على نشر الدين بالإنفاق على طلبة العلم الغير مقتدرين الذين عُرفوا بالتمسك بهدي خير المرسلين، وكذلك كن سببًا في طباعة الكتب المفيدة، وبناء المساجد، وحفر الآبار، وغير ذلك مما ينفع المسلمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ: إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٠).
(٢) رواه البخاري (٦٩٨) ومسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢٢/٧).
(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

يقول ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخَصَّ النبيُّ ﷺ هذه الأشياء الثلاثة بوصول الثواب إلى الميت؛ لأنه سبب لحصولها، والعبد إذا باشر السبب الذي يتعلق به الأمر والنهي يترتب عليه مسببه، وإن كان خارجًا عن سعيه وكسبه، فلما كان هو السبب في حصول هذا الولد الصالح، والصدقة الجارية، والعلم النافع، جرى عليه ثوابُه وأجره لتسببه فيه، فالعبد إنما يثاب على ما باشره، أو على ما تولد منه»(١).

واحرص كذلك- كتب الله أجرك- على الإحسان لمن أحسن إليك وبالأخص لأبويك، وذلك بالتصدُّق عنهما إن ماتا، فهما أحوج للأعمال الصالحة كالصدقة التي تنفعهما بإذن الله جَلَّ وَعَلَا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: إِنَّ أبي مَاتَ وَتَرَكَ مالًا ولم يُوصِ، فهل يُكَفِّرُ عنه أن أَتَصَدَّقَ عنه؟ قال: «**نعم**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث جواز الصدقة عن الميت واستحبابها، وأن ثوابها يصله وينفعه، وينفع المتصدق أيضًا، وهذا كله أجمع عليه المسلمون»(٣).

واحذر أشد الحذر من أن تُبطل نفقتك بالمنِّ والأذى؛ لأن هذا ليس من سمات الأخيار الذي يريدون بالصدقة وجه العزيز الغفار، قال تعالى:

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٧٥).

(٢) رواه مسلم (١٦٣٠).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١١/٨٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المنَّة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود؛ لأن شرط العمل أن يكون لله وحده، وهذا في الحقيقة عملٌ للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور»(١).

فاحرص- أيها المسلم- على النفقة في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا، وعلى جميع أنواع البر والإحسان قبل أن تُقبض روحك بإذن الرحمن، فلا تنفعك بعدها الحسرةُ ولا يغني عنك الندمُ لفوات الأوان، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتر نفسك اليوم فإن السوقَ قائمةٌ، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»(٢).

وأخلص في عملك للواحد المنَّان، ولا تستحقر من المعروف شيئًا مهما كان! فعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ**

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ١١٣).

(٢) «الفوائد» (٤٩).

بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[(١)].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث: أن من أعظم المنجيات من النار، الإحسانَ إلى الخلق بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يحتقر من المعروف ولو شيئًا قليلًا، والكلمة الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلام المُسِرَّ للقلوب، الشارح للصدور، المقارن للبشاشة والبشر، وتشمل الذكر لله والثناء عليه، وذكر أحكامه وشرائعه، فكلُّ كلامٍ يقرِّب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخلٌ في الكلمة الطيبة»[(٢)].

واعلم أيها المنفق- كتب اللهُ أجرَك-أن الباري جلال جلاله بفضله وجوده وكرمه قد يدفع عنك بتصدقك على المحتاجين الفقراء البلاءِ والوباء، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «للصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر؛ فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقِرُّون به؛ لأنهم جرَّبوه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦)، واللفظ له.

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٥٧).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ٤٩).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين، وفي سبيله من المنفقين، وعلى الفقراء والمساكين من المتصدقين، وأن يُعيننا جميعًا على خدمة الإسلام والمسلمين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تذكير البشر
بالواجب نحو نعمة البصر

تذكير البشر بالواجب نحو نعمة البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد خَلَقَ ربُّ الأرض والسموات العبدَ في أحسن الهيئات وفَضَّلَهُ على غيره من المخلوقات، حيث يقول ربُّ البريَّات: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

يقول الإمامُ ابن العَرَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس لله تعالى خلقٌ هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًّا عالمًا قادرًا مريدًا، متكلمًا سميعًا بصيرًا، مدبرًا حكيمًا»(١).

وأَنعم العليمُ المنَّان على الإنسان- أيها الأحبة والإخوان- بنعم كثيرة ومنن غزيرة لا يمكن لأحد أن يَعدها ولا أن يحصيها مهما كان! يقول العزيز الرحمن: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/٤١٥).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿لَا تُحۡصُوهَآ﴾ فضلًا عن كونكم تشكرونها؛ فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم، فأكثرُ من أن تحصى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير»(١).

وإنَّ نِعْمَةَ البصر من المِنَن الغزيرة والآلاء الكثيرة التي أنعم بها العزيزُ المقتدر على البشر، يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث ﴿أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ ولا تقدرون على شيءٍ، ثم إنه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ﴾ خَصَّ هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاحٌ لكل علم، فلا وَصَلَ للعبد علمٌ إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل يُنَمِّيهَا فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل كُلُّ أحد إلى الحالة اللائقة به؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمَن

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٣٧).

استعملها في غير ذلك كانت حُجةً عليه، وقَابَلَ النعمة بأقبح المعاملة»[(١)].

أيها الإخوة والأخوات:

إنَّ مما يجب علينا جميعًا هو الامتثال لأوامر ربِّ البريَّات، وذلك بحفظ هذه النعمة من النظر إلى المحرمات والمنكرات، يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يَغُضُّوا أبصارهم عما حُرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظرَ إليه، وأن يُغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع بصرٌ على محرم من غير قصدٍ فليصرف بصرَه عنه سريعًا»[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله- سبحانه- قد أمر في كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غضُّ البصر عن العورة، وغضُّه عن محل الشهوة.

فالأول: كغضِّ الرجل بصرَه عن عورة غيره.

وأما النوع الثاني من النظر: كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٤٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٨٢).

الأجنبية، فهذا أشد من الأول... »[١].

فالأبصار- أيها الأحبة الأخيار- إذا لم تُحفظ من المعاصي والذنوب تأثرت بسببها القلوب؛ لأن العين هي من أقوى الحواس المؤثرة على قلوب الناس، **يقول الإمام القُرْطُبِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوطُ من جهته، ووجب التحذيرُ منه، وغَضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله»[٢].

وعلى العبد أن يعلم جيدًا أن في غَض بصره عما يُغضب رب العالمين منافعَ عديدة وفوائدَ عظيمة يُحصلها في الدارين بإذن رب العالمين، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي غض البصر عِدة منافع:

أحدها: أنه امتثالٌ لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه- تبارك وتعالى-، وما سَعِد من سَعِد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السُّم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

الثالث: أنه يُورِثُ القلب أُنسًا بالله وجمعيَّةً على الله، فإن إطلاق

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/٤١٤).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/٢٢٢).

البصر يُفرق القلب ويُشتِّته ويُبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر؛ فإنه يُوقع الوَحشة بين العبد وبين ربه.

الرابع: أنه يُقوِّي القلب ويُفرحه، كما أن إطلاق البصر يُضعفه ويُحزنه.

الخامس: أنه يُكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُكسبه ظلمةً.

السادس: أنه يُورث الفِراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل، والصادق والكاذب، وكان شاه بن شُجاع الكرماني يقول: «من عَمَّرَ ظاهره باتباع السنة، وباطِنَه بدوام المراقبة، وغَضَّ بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فِراسة»، وكان شُجاعٌ هذا لا تخطئ له فِرَاسةٌ، والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك شيئًا عوضه الله خيرًا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله عَوَّضَهُ اللهُ بأن يطلق نورَ بصيرته عوضًا عن حبسه بصره لله، ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة والفِراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة القلب.

السابع: إنه يُورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحُجة وسلطان القدرة والقوة.

الثامن: أنه يَسدُّ على الشيطان مدخَلَه من القلب، فإنه يدخل مع النظرة ويَنفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.

التاسع: أنه يُفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق

البصر يشتت عليه ذلك ويَحول عليه بينه وبينها فتنفرط عليه أموره، ويقع في اتباع هواه، وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشر: أنَّ بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر، وأن يَصلُح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فسد القلبُ فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح فإذا خَرِبَت العين وفَسدت خَرِب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه، والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها»[(١)].

وليعلم كذلك كلُّ من وقعت عينه- فجأة- على شيء من الحرام أن النظرة الأولى معفوٌّ عنها بإذن الغفور العلام، فعن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «**يا عَلِيُّ؛ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإنَّ لك الأُولَى وَلَيْسَتْ لكَ الآخِرَةُ**»[(٢)].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَة**) من الإِتْبَاع،

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ١٢٥).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أي: لا تعقُبها إياها ولا تجعل أخرى بعد الأولى (**فإن لك الأُولَى**) أي: النظرة الأولى إذا كانت من غير قصد (**وَلَيْسَتْ لك الآخِرَةُ**) أي: النظرة الآخرة لأنها باختيارك، فتكون عليك»[(١)].

أما إذا لم يصرف بصره واستمر يُقلبه في ذلك الحرام على الدوام! فإنه قد وقع في الآثام، فعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألتُ ﷺ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ؟ **فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى (**نَظَر الفُجَاءَة**) أن يقع بصرُه على الأجنبية من غير قصدٍ، فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصرَه في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أَثِم؛ لهذا الحديث، فإنه ﷺ أمره بأن يصرف بصره»[(٣)].

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يعتمدْه القلبُ لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تَعَمُّدًا أَثِم»[(٤)].

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- أن نشكر على هذه النعمة العظيمة العزيزَ المنَّانَ، وأن نحرص أشدَّ الحرص في استعمالها دائمًا في

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٦/٢٧٥).
(٢) رواه مسلم (٢١٥٩).
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/١٣٩).
(٤) «روضة المحبين» (ص ٩٦).

طاعة المنَّان؛ **يقول الشيخ الشِّنْقِيطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذه المناسبة إنَّ على كُلِّ مُسلم؛ أفرادًا وجماعات: أن يُقابلوا نعمَ الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»(١).

ولنحذر أشدَّ الحذر من أن نجعلها فيما يُغضب الرحمن، ويُفرح الشيطان! مهما كان حجم العصيان؛ **يقول الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاحذر- يا أخي وفقك الله- من شر النَّظَر، فكم قد أهلك من عابدٍ وفَسَخَ عَزْمَ زاهدٍ»(٢).

ولا ننسى في هذا المقام- أيها الأحباب- أن نُذَكِّر من ابتلاه العزيز الوهاب بفقد بصره بأن عليه الصبر والاحتساب؛ لما في ذلك من أجرٍ عظيم عند ربٍّ عظيم كريم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: من أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لم أَرْضَ له بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ**»(٣).

يقول الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنهما أَحَبُّ أعضاء الإنسان إليه؛ لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيتَه من خير فيُسَرُّ به، أو شر فيجتنبه»(٤).

---

(١) «أضواء البيان» (١١٢/٩).
(٢) «ذم الهوى» (ص٩٤).
(٣) رواه الترمذي (٢٧٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٤) «فتح الباري» (١١٦/١٠).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أعظم العِوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يَفنى بفناء الدنيا، والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك استغلال ما أنعم به علينا في فعل الطاعات والتزود من الخيرات، وأن يجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك النظر في المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «فتح الباري» (١١٦/١٠).

فلنحذر
من خشوع النفاق!

فلنحذر من خشوع النفاق!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الخشوع في الصلاة- أيها الأفاضل الكرام- عظيمٌ شأنه، كثيرةٌ فوائده، قليلٌ-خاصة في زماننا هذا- أهلُه، ليس بالأمر السهل تحصيله! فهو سريع فقده! فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ، حَتَّى لَا يُرَى فِيهَا خَاشِعًا**»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يصيرُ الواحدُ منهم ساكنَ الجوارح تصنُّعًا ورياءً، وقلبُه مملوءٌ بالشهوات»(٢).

فمن وَفَّقَهُ العزيزُ الوهاب- أيها الأحباب- رزَقه الخشوع في الصلاة، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخشوع: يتضمن معنيين:

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢/٤٠٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤٣٣٤).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٣٩١).

أحدهما: التواضع والذل.

والثاني: السكون والطمأنينة.

وذلك مستلزمٌ للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديتَه لله وطمأنينتَه أيضًا؛ ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا: التواضعُ، والسكون»[(١)].

فهو درجةٌ عظيمةٌ ومكانةٌ رفيعةٌ لا يَنال شرفَها ولا يصل منزلتَها إلا من وَفَّقَهُ لها ربُّ البرية، ولم يعلق قلبَه بالأمور الدنيوية الفانية، **يقول الإمام ابن كَثِير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فَرَّغَ قلبَه لها، واشتغل بها عَمَّا عداها، وآثَرَهَا على غيرها، وحينئذ تكون راحةً له وقرةَ عَيْنٍ»[(٢)].

فلا يحصل عليه العبدُ بمجرد التظاهر به! بل لا بد من حضور القلب أثناء تأدية الصلاة، **يقول الشيخ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرًا لقربه، فيسكن لذلك قلبُه، وتطمئن نفسُه، وتسكن حركاتُه ويقل التِفَاتُهُ، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوسُ والأفكارُ الرَّدِيَّة، وهذا رُوحُ الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يُكتب للعبد، فالصلاة التي لا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٣٩/٣).

خشوع فيها ولا حضور قلب- وإن كانت مُجْزِيَةً مُثَابًا عليها- فإن الثواب حسب ما يَعْقِل القلبُ منها»[(١)].

إنَّ مما ينبغي أن يعلمه كل مسلم أن الجوارح هي عنوان القلب والمعبرة عما فيه، فما في القلب لا بد أن يظهر على الأعضاء! فصلاحها هو بسبب صلاح القلب! وفسادها بسبب فساده! فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ القَلبُ**»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبُه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دلَّ على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمالُ الظاهرةُ من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهى تصديقٌ لما في القلب ودليلٌ عليه، وشاهد له، وهي شعبةٌ من مجموع الإيمان المطلق وبعضٌ له، لكن ما في القلب هو الأصل لِمَا على الجوارح»[(٣)].

لذا- أيها الكرام- كان ظهور أثر الخشوع في الصلاة على الجوارح من العلامات الدالة على أنه قد حصَّل هذه المنزلة الرفيعة بفضل العزيز

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٥٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)، واللفظ له.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦٤٤/٧).

العلام، **فعن الإمام سُفْيَان الثَّوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل قال**: رآني ابنُ المسيِّب أعبث بالحصى في الصلاة، فقال: «لو خشع قلبُ هذا خشعتْ جوارحُه»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن الرَّعِيَّة بحكم الراعي، وقد جعل اللهُ بين الأجساد والأرواح رابطةً ربانيةً وعلاقةً روحانيةً، فلكل منهما ارتباطٌ بصاحبه وتعلقٌ به يتأثر بتأثره، فإذا خشع القلبُ أَثَّرَ ذلك في الجوارح، فخشعت وصَفَت الروحُ وزَكَتِ النَّفسُ، وإذا أخلص القلبُ بالطاعة استعمل الجوارحَ في مصالحه»(٢).

فالخاشع في الصلاة حقيقةً هو مَن كان قلبُه حاضرًا فيها مع جوارحه، لا أعضاؤه الظاهرة فقط! لأنه إذا ظهرت آثارُ الخشوع على الجوارح فقط ولم يكن في القلب شيء منه فهذا هو خشوع النفاق؛ **قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ**: «من النفاق اختلافُ القلب واللسان، واختلافُ السِّرِّ والعلانية»(٣).

وهذا المرض العُضال والداء القتَّال كان أصحاب النبي ﷺ أيها الأفاضل يُبينون للناس ضررَه ويحذرون منه لِخَطره، ويتعوذون منه، فعن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تعوذوا بالله من خشوع النفاق»، فقيل له: يا

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٢/٢٦٦).

(٢) «فيض القدير» (٥/٣١٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٣).

أبا الدرداء! وما خشوع النفاق؟ قال: «أن ترى الجسد خاشعًا، والقلبَ ليس بخاشع»(١).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «خشوع النفاق: فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعًا ومراءاةً، ونفسُه في الباطن شَابَّةٌ طَرِيَّةٌ ذات شهواتٍ وإراداتٍ، فهو يخشع في الظاهر وحَيَّةُ الوادي وأَسَدُ الغابة رابضٌ بين جنبيه ينتظر الفريسةَ»(٢).

ومن علاماته- أيها الكرام- أن تَدمع عينُ العبد فقط! وقلبُه لاهٍ قاسٍ؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ، فيُظهر صاحبُه الخشوعَ وهو من أقسى الناس قلبًا»(٣).

فعلينا أن نحذر أشدَّ الحذر من هذا المرض الخطير، وذلك بأن نسأل العزيز القدير أن يصرف عنا هذا الداء العسير، وأن نعلم- أيها الأحبة والإخوان- الفرق بينه وبين خشوع الإيمان؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلبُ لله كسرةً ملتئمة من الوَجَل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٢٤٣).
(٢) «الروح» (ص ٢٣٢).
(٣) «زاد المعاد» (١/١٨٥).

خشوعُ الجوارح، وأمَّا خُشوع النفاق فيبدو على الجوارح تَصَنُّعًا وتَكَلُّفًا، والقلبُ غيرُ خَاشع»[(١)].

وعلينا أن نعلم جيدًا أنَّ العبد- مهما علت منزلته وارتفعت درجته- عليه أن لَّا يَأمَن على نفسه التي بين جنبيه أن تُبتلى بما يُغضب الكبير المتعال، ومن ذلك الوقوع في نفاق الأعمال، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما النفاق: فالداءُ العُضَالُ الباطن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر، فإنه أمرٌ خفيٌّ على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تَلَبَّسَ به، فيزعم أنه مصلحٌ وهو مفسدٌ»[(٢)].

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَرزقنا وإياكم الخشوع في الصلاة، ويجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين في كل وقت وحين، وأن يُطَهِّرَ قلوبَنا من النفاق والرياء، وأن يُجنبنا الاتصاف بخصال المنافقين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «الروح» (ص ٢٣٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٣٤٧/١).

مدح النفس

مدح النفس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من المعاصي والآثام- أيها الأحبة الكرام- أن يحرص العبدُ على مدح نفسه دون حاجةٍ بين الأنام! يقول العزيز العلام: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زَكِيَّةٌ، بريئةٌ من الذنوب والمعاصي»(١).

يقول الشَّوْكَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا تمدحوها، ولا تُبرئوها عن الآثام، ولا تُثْنوا عليها؛ فإنَّ ترك تزكية النفس أبعدُ من الرياء، وأقربُ إلى الخشوع»(٢).

ويَزداد الذم- أيها الإخوة والأخوات- إذا مدح نفسه بما ليس فيه من الصفات! لأنه متشبعٌ بما لم يرزقه به رب الأرض والسموات، فعن

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/٥٤٠).

(٢) «فتح القدير» (٥/١٣٦).

أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: معناه المُتَكَثِّرُ بما ليس عنده، بأن يُظهر أن عنده ما ليس عنده يَتَكَثَّرُ بذلك عند الناس، ويتزين بالباطل، فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور؛ **قال أبو عبيد وآخرون**: هو الذي يلبس ثيابَ أهل الزهد والعبادة والورع. **ومقصوده**: أن يظهر للناس أنه مُتَّصف بتلك الصفة، ويُظهر من التخشع والزهد أكثر مما في قلبه، فهذه ثياب زورٍ ورياءٍ.

وقيل: هو كمن لبس ثوبين لغيره وأوهم أنهما له، وقيل: هو من يلبس قميصًا واحدًا ويصل بِكُمَّيْهِ كُمَّيْنِ آخرين فيظهر أن عليه قميصين.

وحكى الخطابي قولًا آخر: أن المراد هنا بالثوب الحالة، والمذهب والعرب تُكَنِّي بالثوب عن حال لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن، وقولًا آخر أن المرادَ الرَّجلُ الذي تُطلب منه شهادة زور فيلبس ثوبين يتجَمَّل بهما، فلا ترد شهادته لحسن هيئته، والله أعلم»(٢).

فَيَا مَن تمدح نفسك بدون سبب ألا تعلم أن نفسك التي بين جنبيك هي من أشد الأعداء عليك! وهي من أسباب البلاء والشقاء؛

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٢١٢٩)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١١٠/١٤).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمر صاحبها- أي النفس-بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها- أي صاحبها- قَادَتْهُ إلى كل قبيح وكل مكروه»(١).

وأنها تبعدك عن الخيرات، وتأمرك بالسوء والمنكرات، قال رب البريات: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله»(٢).

ألا تعلم- هداك المنَّان- أن فعلك هذا لن يرجع عليك إلا بالحرمان والخسران، يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أفلح- واللهِ- من زكى نفسه، أو أعجبته»(٣).

وأنه يقدح في إخلاصك للعزيز الرحمن، يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار»(٤).

وأنه أَضَرُّ عليك من مدحك لغيرك؛ يقول العِز بن عَبد السَّلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومدحُك نفسَك أقبح من مدحك غيرك؛ فإنَّ غلطةَ الإنسان في

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص٧٧).
(٢) «تفسير الطبري» (٣/١٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩٠/٤).
(٤) «الفوائد» (ص ١٤٩).

حق نفسه أكثر من غلطه في حق غيره؛ فإن حبك الشيءَ يُعْمي ويُصِم، ولا شيء أحب إلى الإنسان من نفسه؛ ولذلك يرى عيوب غيره ولا يرى عيوب نفسه، ويعذر به نفسَه بما لا يعذر به غيره»[(١)].

وأنَّ تكرار مدحك لنفسك قد يصيبك بمرض عضال وداء قتال ألا وهو العُجب الذي بدوره قد يَجُرُّك إلى داء هو أكثر منه ضررًا وأعظم خطرًا، وهو الكِبْر؛ **يقول الإمام القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إعجاب المرء بنفسه، هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نِسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكِبْر المذموم»[(٢)].

فعليك أن تتوب إلى العزيز الغفار وتترك هذه الخصلة الذميمة التي هي مصدر كل بلاء وطريق كل شقاء! وهي معصيةٌ للواحد الجبار؛ لأنها تؤدي إلى العُجب والافتخار- إلا إذا كان هناك ما يدعو إليها- **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن ذكرَ محاسن نفسِه ضربان: مذموم ومحبوب، فالمذموم: أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف أو ناهيًا عن منكر، أو ناصحًا، أو مشيرًا بمصلحة، أو معلمًا، أو مؤدِّبا، أو واعظًا، أو مُذكرًا، أو مُصلحًا بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شَرًّا، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنَه ناويًا بذلك أن يكون هذا

---

(١) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (١٧٧/٢).
(٢) «فتح الباري» (٢٦١/١٠).

أقربَ إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك»[(١)].

ومن الأسباب التي تدعو العبد لمدح نفسه- بشرط الإخلاص للعزيز الوهاب أيها الأحباب- أن تكون هناك مصلحةٌ تتعلق بالأنام، كما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال للمَلك- كما أخبر عنه العزيز العلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصًا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبةٌ منه في النفع العام، وقد عَرَفَ من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاَّه إياها»[(٢)].

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قيل: كيف مَدَحَ نَفْسَه بهذا القول ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟

فالجواب: أنه لما خلا مدحُه لنفسه من بغيٍ وتكبرٍ، وكان مراده به

---

(١) «الأذكار» (ص ٢١٨).

(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص ٤٠١).

الوصول إلى حقٍّ يقيمه وعدل يحييه وجور يُبطله- كان ذلك جميلًا جائزًا»[(١)].

ومن ذلك الإخبارُ عن نفسه إذا احتاج إلى ذلك، **فعن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه»[(٢)].

يقول الحافظ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث جواز ذكر الإنسان نفسَه بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة، ويحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع ذلك منه فخرًا أو إعجابًا»[(٣)].

والأولى- أيها الأفاضل الكرام- لمن احتاج أن يخبر عن نفسه في بعض المواطن- كمن يريد الزواج- أن يُوكل من ينوب عنه من الأنام ممن يكون عارفًا بحاله؛ لأن المخبر عن نفسه قد لا يسلم من الوقوع في الفخر والتعاظم الذي هو من الآثام؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أخبر عن نفسه بمثل ذلك ليُكَثِّرَ به ما يحبه اللهُ ورسولُه من الخير فهو محمود، وهذا غير من أخبر بذلك ليتكَثَّرَ به عند الناس ويتعظم، وهذا يجازيه اللهُ بمقت الناس له وصِغَرِهِ في عيونهم، والأول يُكَثِّرُهُ في قلوبهم

---

(١) «زاد المسير» (٤/٢٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٢).

(٣) «فتح الباري» (٩/٥١).

وعيونهم، وإنما الأعمال بالنيات!

وكذلك إذا أثنى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمةٍ وشَرٍّ، أو ليستوفي بذلك حقًّا له يحتاج فيه إلى التعريف بحاله، أو ليقطع عنه أطماعَ السفلةِ فيه، أو عند خِطبته إلى من لا يعرف حاله، والأحسن في هذا أن يُوَكِّلَ من يعرف به وبحاله؛ فإن لسان ثناء المرء على نفسه قصيرٌ، وهو في الغالب مذمومٌ لما يقترن به من الفخر والتعاظم»[(١)].

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- أن نمتثل لأوامر الرحمن، ونعمل بتعاليم دين الإسلام، وبما أوصانا به نبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ذلك أن نتواضع للأنام، ونبتعد عن مدح النفس دون حاجة؛ لأن ذلك من الآثام! عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ**»[(٢)].

قال المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**حَتَّى لَا يَفْخَرَ**) بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف، أي: كي لا يتعاظم (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي**) بكسر الغين أي: ولا يظلم، (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**) وفي الجمع بينهما إشعارٌ بأن الفخر والبغي نتيجتا الكبر؛ لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق كل أحد، ولا ينقاد لأحد»[(٣)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٣٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/١٢١).

ولنحذر من أن نقع في هذا الداء الخطير، أو نسلك المسالك التي قد تجرنا إليه، ومن ذلك الحرص على ذم النفس دائمًا أمام الناس الذي قد يكون في الحقيقة مِن مَدْحها، أو أن تَعتاد ألسنتنا على قول: (أنا)، و(عندي)، و(لي)؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليحذر- أي العبد- كُلَّ الحذر من طغيان (أنا، ولي، وعندي)، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابْتُلي بها إبليسُ وفِرعونُ وقَارونُ، فـ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢] لإبليس، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف:٥١] لفرعون، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة الكرام- أن نُلزم أنفسنا على تنفيذ ما حَثَّ عليه الباري جَلَّ وَعَلَا وأَمَر، ونبعدها عما نهى عنه وزجر، ونستحضر أن تكون أعمالنا دائمًا خالصة لوجه العزيز المقتدر.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك التواضع وسائر أنواع الطاعات، وأن يُجنبنا كل ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك العجب والرياء وكل الذنوب والمنكرات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «زاد المعاد» (٤٧٥/٢).

داء الأمم

داءِ الأمم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أخطر الأمراض التي تُصيب قلب العبد- إذا لم يَعصمه العزيز الصمد- داءَ الحسد، **يقول الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو تَمَنِّي زوال النعمة عن المحسود وإن لم تصر للحاسد»(١).

وهذا الداء -أيها الأحبة الكرام- من أوائل الآثام التي عُصي بها العزيز العلام، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد، فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قَتَلَ هابيل»(٢).

فهو داءٌ عضال لا يَسلم منه إلا من رَحِمَهُ الكبير المتعال، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الحسد**: مرضٌ من أمراض النفس، وهو

---

(١) «كشف المشكل» (١/٢٨٨).

(٢) «أمراض القلوب» (ص ٢٢).

مرضٌ غالبٌ فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسدٌ من حسدٍ، لكن اللئيم يُبديه والكريم يُخفيه»[(١)].

لذا سُمِّي- أيها الأفاضل- بداء الأمم، فعن الزُّبَيْرَ بن العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[(٢)].

يقول الملا عَلِي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**دَبَّ**) بفتح الدال المهملة وتشديد المُوَحَّدَة أي: نُقِلَ وسَرَى ومشى بخفية (**إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ: الحَسَدُ**) أي: في الباطن، (**وَالبَغْضَاءُ**) أي: العداوة في الظاهر، ورَفَعَهُمَا على أنهما بيانٌ للداء أو بَدَلٌ، وسُمِّيَا داءً لأنهما داءُ القلب، (**هي**) أي: البغضاء، وهو أقرب مبنًى ومعنًى، أو كل واحدة منهما (**الحَالِقَةُ**) أي: القاطعة للمحبة والأُلفة والصلة والجمعية، والخصلة الأولى هي المؤدية إلى الثانية، ولذا قُدمت (**لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ**) أي: تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل (**وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**) وضرره عظيم في الدنيا والآخرة»[(٣)].

وهو مرضٌ يدل على خِسَّةٍ في النفس، وعدم سلامة في القلب؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والحسدُ**: خُلق نفسٍ ذميمة، وضِيعة، سَاقِطة، ليس فيها حرصٌ على الخير، فلِعجزها ومهانتها تحسُد من يكسب الخير

---

(١) «أمراض القلوب» (ص ٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٠)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤١).

والمحامد ويفوز بها دونها، وتتمنى أن لو فاته كسبُها حتى يساويها في العدم»[(١)].

لذا هو من أخلاق اللئام، وليس من شِيَمِ الكرام! **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مُطْفِئٌ، ونارُ الحسد لا تُطفَأ»[(٢)].

أيُّها الحاسد!

أين أنت من العمل بوصية رسول العزيز الخبير الذي حَذَّرَك من هذا المرض الخطير، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[(٣)].

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا يحسد بعضُكم بعضًا، والحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحدٌ من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شَرُّهُم وأخبثهم، وهذا هو

---

(١) «الروح» (ص٢٥٢).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٩).

الحسدُ المذمومُ المنهيُّ عنه»[(١)].

ألا تعلم أنه أهلك الكثير إلا من رحمه العزيز الكبير، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصي الله أولًا، فإن إبليس استكبر وحسد آدم، وكذلك ابنُ آدم الذي قَتَلَ أخاه، حسد أخاه»[(٢)].

ألم يبلغك- هداك الرحمن- أن الحسد هو من صفات اليهود الذين هم أعداء أهل الإيمان؛ يقول سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والآية تدلُّ على تحريم الحسد؛ لأنَّ مشابهة الكفار بأخلاقهم محرمة....، ولو لم يكن من خُلق الحسد إلا أنه من صفات اليهود لكان كافيًا في النفور منه»[(٣)].

ألا تدري أن من هذا المرض العضال يتولد داء قتال؛ **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الحسد يتولد الحِقْد، والحِقْدُ أصل الشر، ومَن أَضْمَرَ الشَّرَّ في قلبه أنبت له نباتًا مُرًّا مذاقُه، نماؤه الغيظ، وثمرته

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٢٧).
(٢) «جامع الرسائل» (١/ ٢٣٣).
(٣) «تفسير سورة البقرة» (١/ ٣٥٩).

الندم»[١].

ألا تدري يا هذا: أن الناس في خير، والحاسد في شر، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاسد لا يزداد بحسده إلا نارًا تتلظى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمةُ الله على عباده ازداد حسرةً؛ فهو مع كونه كارهًا لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنَّه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود، ثم إنَّ الحاسد أو الحسود- مهما أعطاه الله من نعمة- لا يرى لله فضلًا فيها؛ لأنَّه لابدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة»[٢].

وأنَّ الحاسد عدو النعم؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالحاسد عَدُوُّ النعم»[٣].

فيا من أصابك هذا الوباء!

اعلم- هداك الله- أنَّ حسدَك لغيرك هو من سوء الأدب مع خالقك! وفيه اعتراضٌ على ما قضى العزيز المقتدر لغيرك من النعم وأنواع الخير؛ **وصدق الشاعر إذ قال** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ألا قُـل لمـن كـان لـي حاسـدًا: أتـدري علـى مـن أسـأتَ الأدب؟!

أَسَـــأتَ علـــى الله في فِعـــله لأنَّـك لَـمْ تَـرْضَ لـي مَـا وَهَـب

(١) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).
(٢) «تفسير سورة البقرة» (١/٣٥٩).
(٣) «بدائع الفوائد» (٢/٤٥٨).

فجـــازاك عنـــه بـــأن زادني وسـدَّ عليـك وُجُـوهَ الطلـب»[١]

يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب على العاقل مجانبةُ الحَسَدِ على الأحوال كلِّها، فإنَّ أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء، وإرادة ضِدَّ ما حكم الله جَلَّوَعَلَا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم، والحاسد لا تهدأ روحُه، ولا يستريح بدنُه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه، وهيهات أن يساعد القضاءُ ما للحُسَّادِ في الأحشاء»[٢].

فعلى كل من أصيب بهذا الداء الخطير والمرض العسير أيها الأحبة الكرام: أن يُبادر بالتوبة والرجوع إلى الغفور القدير، وأن يَكره أن يكون هذا المرضُ فيه، **يقول ابن الجَوْزِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان إذا وَجد الحسد من نفسه أن يكره كَوْنَ ذلك فيه»[٣].

وأن يُعالج هذه البَلِيَّة بتقوى رب البرية، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمَن وجد في نفسه حَسَدًا لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه»[٤].

وعليه أن يبذل في دفعه الوسائلَ الإيمانيةَ والطرقَ الشرعية، **يقول**

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢٣٠/١٣).
(٢) «روضة العقلاء» (ص١٣٣).
(٣) «كشف المشكل» (٢٨٨/١).
(٤) «أمراض القلوب» (ص ٢١).

ابن حَجَرٍ الهَيْتَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحسدُ من أمراض القلوب العظيمة، وأمراضُ القلوب لا تُداوى إلا بالعلم، فالعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضر دينًا ودنيا، ولا يضر المحسود لا دينًا ولا دنيا؛ إذ لا تزول نعمةٌ بحسد قط، وإلا لم يبقَ لله نعمةٌ على أحد حتى الإيمان؛ لأن الكفار يحبون زواله عن أهله، بل المحسود منتفعٌ بحسدك دينًا؛ لأنه مظلومٌ من جهتك، سيما إن أبرزتَ حَسَدك إلى الخارج بالغِيبة، وهتك الستر وغيرهما من أنواع الإيذاء.

فهذه هدايا تُهْدي إليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيامة مُفلسًا محرومًا من النعم، كما حُرمتَ منها في الدنيا، ودينًا لسلامته من غَمِّك وحزنك وغيرهما مما يأتي، ومتى انكشف غشاءُ بصيرتك ورين قلبِك وتأملتَ ذلك، ولم تكن عَدُوَّ نفسك، ولا صديقَ عَدُوِّك، أعرضت عن الحسد أصلًا ورأسًا حذرًا من أن تكون قد وقعت به في ورطة عظيمة، وهي أنك قد سخطتَ قضاءَ الله وكرهتَ قسمةَ الله وعدله، وهذه جناية، أي: جنايةٌ على حضرة التوحيد، وناهيك بها جناية على الدين، وكيف لا؟! وأنت قد فارقتَ بذلك الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين في حُبِّهِم وُصُولَ الخير لعباد الله، وشاركتَ إبليس والشياطين في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب تأكل حسناتك كما تأكل النارُ الحطب»[(١)].

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/١١٢).

وفي الختام:

مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة الكرام- أن من تمنى مثل النعمة التي يراها على الأنام أو شيئًا منها أو الزيادة عليها فهذا ليس من الحسد المذموم الذي هو من الآثام، بل ذلك لا بأس به بإذن العزيز العلام، فعن عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالحديث: لا غِبْطَةَ محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ويتمنى مثلها إلا أحد هذين، وذلك لما فيهما من منافع النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلق، فهذا ينفعهم بعلمه، وهذا ينفعهم بماله، والخلق كلهم عيالُ الله، وأحبُّهم إليه أنفعُهم لعياله، ولا ريب أن هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين، ولا يعمُر العالم إلا بهما»(٣).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحسد نوعان: نوع محرم مذموم على كل حال، وهو أن يتمنى زوال نعمة الله عن العبد- دينية أو دنيوية-

---

(١) رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٦/٩٧).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص ٥٣٧).

وسواء أحب ذلك محبةً استقرت في قلبه، ولم يجاهد نفسه عنها، أو سعى مع ذلك في إزالتها وإخفائها، وهذا أقبح، فإنه ظلم متكرر.

وهذا النوع هو الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

والنوع الثاني: أن لَّا يتمنى زوال نعمة الله عن الغير، ولكن يتمنى حصول مثلها له، أو فوقها أو دونها.

وهذا نوعان: محمود، وغير محمود.

فالمحمود من ذلك: أن يرى نعمةَ الله الدينية على عبده، فيتمنى أن يكون له مثلها، فهذا من باب تمني الخير، فإن قارَنَ ذلك سعيٌ وعملٌ لتحصيل ذلك، فهو نورٌ على نورٍ.

وأعظم من يُغْبَط: من كان عنده مالٌ قد حصل له من حِلِّه، ثم سلط ووفق على إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة، فإن هذا من أعظم البرهان على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يطهِّر قلوبنا جميعًا من كل ما يكرهه ويأباه، ومن ذلك الحسد والبغضاء وسائر المحرمات، وأن يجعلها عامرة بكل ما يحبه ويرضاه من الطاعات والخيرات، فهو سبحانه رب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٥٥٩).

صلاة الفجر

صلاة الفجر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الصلاة- أيها الأحبة الكرام- هي من أعظم شعائر الإسلام وأقوى مبانيه العظام، فمن حافظ عليها وأَدَّاهَا في وقتها كان من أهل الإيمان، ونال بذلك رضا الرحمن، وسيفوز بإذن المنَّان يوم القيامة بالجنان!

وأمَّا مَن ضيَّعها وفرَّط فيها فهو من أهل العصيان، وسيبوء- إن لم يتب ويرجع إلى المنَّان- بالحرمان والخسران!

ومن صور المحافظة عليها أيها الإخوة والأخوات: أن تؤدى في الأوقات التي حددها لنا رسول رب البريات، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مفروضًا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتًا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت

عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد ﷺ بقوله: (صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[١]، ودل قوله: (عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ): على أن الصلاة ميزانُ الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاتُه، وتتم وتَكْمُل»[٢].

وإنَّ من الصلوات المكتوبات- التي ينبغي أن يَحرص كل مسلم مقتدر على أدائها مع الجماعة؛ لما جاء في فضلها من أجر، واشتملت عليه من خير- هي صلاة الفجر!!

كيف لا يحرص المسلم- أيها الأحبة والإخوان- على صلاة تجتمع فيها ملائكة العزيز المنَّان! فعن سعيد بن المُسَيَّبِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تجتمع مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ»، قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: اقرأوا إن شِئْتُمْ ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] »[٣].

يقول الشيخ السّعْدِي رحمه الله: «(وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ) أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنًا لمشروعية إطالة القرآن فيها أطولَ من غيرها، ولفضل القراءة فيها، حيث شهدها اللهُ، وملائكةُ الليل والنهار»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.
(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص ١٩٩).
(٣) رواه البخاري (٦٢١) ومسلم (٦٤٩)، واللفظ له.
(٤) «تفسير السّعْدِي» (ص ٤٦٤).

كيف لا يَعتني العبد بصلاةٍ مَن صلاَّها كان في حفظ وذمة الرحمن؟!

فعن جُنْدب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ فلا يَطْلُبَنَّكُمْ اللهُ من ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

يقول ابن الجَوْزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الحديث: أن من صلى الفجر فقد أخذ من الله ذِمَامًا، فلا ينبغي لأحد أن يؤذيه بظلم، فَمَنْ ظَلَمَهُ فإن الله يطالبه بِذِمَّتِهِ»(٢).

كيف لعاقل أن يضيع صلاة هي من أسباب رضا الرحمن والفوز بالجنان! فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ**) بفتح الموحدة وسكون الراء صلاة الفجر والعصر؛ لأنهما في بردي النهار أي: طرفيه، والمراد أداؤهما وقت الاختيار (**دَخَلَ الجَنَّةَ**) مفهومه أن من لم يصلهما لا يدخلها، وهو محمولٌ على المستحل، أو أراد دخولَها ابتداء من غير عذاب، وعبر بالماضي عن المضارع لمزيد التأكيد بجعل مُتَحَقِّق الوقوع كالواقع، وخصهما لزيادة شرفهما، أو لأنهما مشهودتان تشهدهما

---

(١) رواه مسلم (٦٥٧).

(٢) «كشف المشكل» (٤٩/٢).

(٣) رواه البخاري (٥٤٨) ومسلم (٦٣٥)، واللفظ له.

ملائكة الليل والنهار، أو لكونهما ثقيلتان مُشقتَّان على النفوس لكونهما وقت التشاغل والتثاقل، ومن راعاهما راعى غيرَهما بالأولى، ومن حافظ عليهما فهو على غيرهما أَشَدُّ محافظةً»(١).

كيف يَمنع نفسَه- أيها الإخوة والأخوات- من صلاة هي من أفضل الصلوات عند رب البريات! وبالأخص في يوم الجمعة الذي هو من أفضل الأيام عند العزيز العلام، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلاَةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ**»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنّ يومَ الجمعة أفضلُ أيام الأسبوع...»(٣).

كيف له أن يُفرط في صلاة رَاتِبَتُهَا خير من الدنيا وما فيها! فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها**»(٤).

يقول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها**) أي: ما في الدنيا من المال والجاه، وما هو دنيويٌّ، لا الأعمال الصالحة الصادرة من عباده، **وقال الطِّيبي**: إن حَمَل الدنيا على أعراضها وزَهرتها، فالخيرُ إما

---

(١) «فيض القدير» (٦/٤٤٠).

(٢) رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٣/١١٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٥٦٦).

(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/١٨٥)

(٤) رواه مسلم (٧٢٥).

مُجرى على زعم مَن يَرى فيها خيرًا، أو يكون من باب: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، وإن حَمَل على الإنفاق في سبيل الله؛ فتكون هاتان الركعتان أكثرَ ثوابًا منهما»(١).

كيف له- أيها الأحباب- أن يَحرِم نفسه من صلاة المشيُ إليها يكون نُورًا له يوم القيامة بإذن الوهاب، فعن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يوم القِيَامَةِ**»(٢).

يقول العَظِيم آبَادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**بَشِّرِ المَشَّائِينَ**) جمع المَشَّاء، وهو كثير المشي (**فِي الظُّلَمِ**) جمع ظُلمَة (**بِالنُّورِ**) متعلق بِبَشِّر (**التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**)»(٣).

فهل يُحب المتكاسل عن هذه الصلاة العظيمة والعبادة الكريمة أن تكون فيه خَصلةٌ من صفات المنافقين؟! فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ على المُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(٤).

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ثَقُلَتْ هاتان الصلاتان فِي

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٣/٢٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٥٦١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «عون المعبود» (٢/١٨٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٧٩٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

المساجد عَلَى المنافقين أكثر من غيرهما من الصلوات؛ لأن المنافقين- كما وصفهم الله فِي القرآن ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]، والمرائي إنما يَنْشَطُ للعمل إذا رآه النَّاس، فإذا لَمْ يشاهدوه ثقل عَلِيهِ العمل»(١).

هل يُريد أن يُساء به الظن؟! فعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا إذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلاَةِ العِشَاءِ وَصَلاَةِ الفَجْرِ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن العشاء وقت استراحة، والصبح وقت لذة النوم صيفًا وشدة البرد شتاءً، وأما المتمكنون في إيمانهم فتطيب لهم هذه المشقاتُ لنيل الدرجات؛ لأن نفوسَهم مرتاضةٌ بأمثالهما، متوقعةٌ في مقابلة ذلك ما تستخف لأجله المشاق، وتستلَّذ بسببه المتاعب لما تعتقده في ذلك من الفوز العظيم بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الأليم، ومن ثَمَّ كانت قرةُ عين المصطفى في الصلاة، ومن طاب له شيءٌ ورغب فيه حَقَّ رغبته احتمل شِدَّتَهُ، بل تصير لَذَّتَهُ، ولم يبال بما يلقى من مؤنته، ومن أحب شيئًا حق محبته أحب احتمال مِحْنَتِهِ حتى إنه ليجد بتلك المحنة ضروبًا من اللَّذَّةِ.

ألا ترى أن جَانِيَ العَسَل لا يُبالي بِلَسْعِ النَّحل لما يتذكر من حلاوة العسل؟!

---

(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤٨/٤).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٢/١).

والأجير لا يعبأ بارتقاء السُّلَّم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار لما يتذكر من أخذ الأجرة بالعشيِّ؟!

والفَلَّاح لا يتكدر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة المشاق والكدِّ طول السنة لما يتذكر من أوان الغَلَّة؟!

فكذا المؤمنُ المُخلص إذا تذكر الجنة في طيب مقيلها وأنواع نعيمها هان عليه ما يحتمله من مشقة هاتين الصلاتين وحَرَص عليهما، بخلاف المنافق!»[(١)].

وهل يرضى أن يُصبح خبيثَ النفس كسلان؟! فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إذا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فإذا اسْتَيْقَظَ فذكر الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عنه عُقْدَتَانِ، فإذا صلى انْحَلَّتِ العُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﷺ (**وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**) معناه: لما عليه من عُقَد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه، وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة: وهي الذكر، والوضوء، والصلاة، فهو داخلٌ فيمن

---

(١) «فيض القدير» (٦٤/١).

(٢) رواه البخاري (١٠٩١) ومسلم (٧٧٦)، واللفظ له.

يصبح خبيثَ النفس كسلان»[(١)].

فإذًا عليك- أيها المذنب- أن تبادر بالتوبة والغفران والرجوع إلى العزيز المنَّان؛ لأن أبواب التوبة- ولله الحمد- مفتوحةٌ قبل فوات الأوان.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُك مكتوبٌ، وقولُك محسوبٌ، وأنت يا هذا مطلوبٌ، ولك ذنوبٌ وما تتوب، وشمسُ الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبُك من بين القلوب»[(٢)].

وكن- رعاك الرحمن- من الذين قال عنهم المنَّان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: صَدَرَ منهم أعمالٌ سيئةٌ كبيرةٌ أو ما دون ذلك، بادَروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا رَبَّهُم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها؛ فلهذا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»[(٣)].

وعليك أن تَبذل الأسباب التي تعينك- بإذن العزيز المقتدر- على

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٦٧/٦).
(٢) «التبصرة» (٢٧٢/٢).
(٣) «تفسير السّعْدِي» (ص ١٤٩).

الاستيقاظ لصلاة الفجر؛ ومن ذلك أن تحرص على فعل الطاعات، والتزود من الخيرات التي تُقربك من رب البريات، وأن تجتنب المعاصي والذنوب التي هي سبب في قسوة القلوب، والبعد عن علاّم الغيوب، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله»(١).

ومن ذلك أيضًا أن تضع مُنَبِّهًا أو أن توصي من يُوقظك للصلاة! وعليك أن تحذر أشد الحذر من داء خطير ومرض عسير ابتلي به- وللأسف- الكثير، ألا وهو السهر فيما لا فائدة فيه، مع أن في ذلك مخالفةً لهدي خير المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، فعن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ **كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها: أنه يُعَرِّضُهَا- أي الصلاة- لفوات وقتها باستغراق النوم أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يتساهل الناسُ في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعةً، وسببُ كراهة الحديث بعدها: أنه يُؤَدِّي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأنَّ السهر في الليل سببٌ

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

(٢) رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (٦٤٧).

للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين والطاعات ومصالح الدنيا»[(١)].

فاللهَ اللهَ- أيها العبد المسلم- في المحافظة على هذه الصلاة العظيمة والعبادة الكريمة وعلى جميع الصلوات، احرص- رعاك الله- أشدَّ الحرص على إتيان ما يَتعلق بها من شروط وواجبات ومستحبات- تنل بذلك الخيرَ الكثيرَ والأجرَ الكبيرَ بإذن الله العزيز القدير.

فأسألُ اللهَ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا جميعًا لفعل الطاعات، ومن ذلك المحافظة على الصلوات والحرص على العبادات، وأن يُجَنِّبَنَا وإياكم فعلَ المنكرات، ومن ذلك التكاسل وتضييع الصلوات وسائر المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤٦/٥).

تحذير المسلمين
من مجالسة المضلين

تحذير المسلمين من مجالسة المضلين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ أهل البدع والشبهات- أيها الإخوة والأخوات- هم أعظم ضررًا وأشد خطرًا على أمة خير البريات من أصحاب المعاصي والشهوات، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم...»[(١)].

لأن فسادهم وإفسادهم- أيها الكرام- يكون متعلقًا بدين العزيز العلَّام، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهم- أي المبتدعة- أعظم ضررًا على الإسلام وأهله من أولئك- أي أهل المعاصي- لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هَدْمِ قواعده وقَلعِ أساسه، وهم يَتَوَهَّمُونَ

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/٢٨١).

ويُوهِمُونَ أنهم ينصرونه»[١].

فهم يزعمون أن ما يقومون به هو من خدمة الدين! وفي الحقيقة هم فيه من المفسدين؛ لذا كانوا أحبَّ إلى إبليس اللعين من الآخرين؛ **يقول الإمام سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البِدعةُ أَحَبُّ إلى الشيطان من المعصية، المعصيةُ يُتاب منها، والبدعةُ لا يُتاب منها»[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قولهم (**إِنَّ البِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا**): أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعْه اللهُ ولا رسوله، قد زُيِّن له سوءُ عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيءٌ ليتوب منه، أو بأنه ترك حَسَنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فِعْلَهُ حَسَنًا وهو سيءٌ في نفس الأمر، فإنه لا يتوب.

ولكنَّ التوبةَ منه ممكنةٌ وواقعةٌ بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَن هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمَن عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه اللهُ عِلمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[٣].

ولشدة ضررهم وعظيم خطرهم نُهينا عن مجالستهم، يقول الله

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/١٠٣).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/١٣٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/٩).

جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

يقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية موعظةٌ عظيمةٌ لمن يتسمَّح بمجالسة المبتدعة الذين يُحَرِّفُون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويَرُدُّونَ ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم يُنْكَرْ عليهم ويُغَيَّرْ ما هم فيه فأقلُّ الأحوال أن يترك مجالستَهم، وذلك يسيرٌ عليه غير عسيرٍ، وقد يجعلون حضورَه معهم- مع تَنَزُّهِهِ عما يتلبسون به- شبهةً يُشَبِّهُونَ بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدةٌ زائدةٌ على مجرد سماع المنكر»(١).

ومن ذلك أيضًا ما جاءنا من الآثار عن سلفنا الأخيار الذين حَذَّرُونَا أشد التحذير من مجالسة ومُصاحبة أهل البدع الأشرار؛ لما في ذلك من مَضَارٍّ! **يقول الإمام ابن قُدَامَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان السَّلَفُ يَنْهَوْنَ عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم»(٢).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أحب لأحدٍ أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يَأْنَسُ بهم»(٣).

---

(١) «فتح القدير» (٢/١٢٨).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/٢٥١).

(٣) «الإبانة» لابن بطة (٤٩٥).

فمن الأوباء والأدواء التي تنتج عن مُجالسة ومؤانسة أهل الأهواء أنَّ مُصَاحِبَهُمْ قد ارتكب فعلًا من المحظورات عصى به رب الأرض والسموات، سُئِلَ الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هل يجوز مجالسة أهل البدع في دروسهم ومشاركتهم؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجوز مجالستُهم ولا اتخاذُهم أصحابًا، ويجب الإنكار عليهم وتحذيرهم من البدع، نسأل الله العافية»(١).

وهو لا يَأمنُ على نفسه- أيها الإخوة والأخوات- من الوقوع في المُحْدَثَات وتَعلق قلبه بشيء من الشبهات، يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨هـ): «لا تُجَالِسْ أهلَ الأهواء؛ فإن مجالستَهم ممرِضةٌ للقلب»(٢).

ويقول الإمام مُسْلِم بن يَسَار البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠هـ): «لا تُمكِّنْ صاحبَ البدعة من سمعك، فَيَصُبَّ فيه ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك»(٣).

ويقول الإمام أبو قلابة- عبد الله بن زيد الجرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤هـ): «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يَغْمِسُوكُمْ في

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (٢٦٦/٢٨).

(٢) «الإبانة» لابن بطة (٤٣٨/٢).

(٣) «الإبانة» لابن بطة (٤٣٦).

ضلالتهم، ويُلَبِّسُوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم»[(١)].

إنَّ في مصاحبتهم التوقيرَ لهم، وهذا مما يُوهمهم أنهم على حقٍّ فيما يدعون إليه من بِدَعِهِمْ، وكل ذلك يُؤَدِّي إلى زيادة شَرِّهِمْ وخطرهم؛ لأن بعض عامة المسلمين سيغتر بهم؛ **يقول الإمام الشَّاطِبِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ توقيرَ صاحب البدعة مَظِنَّةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التِفَاتُ الجُهَّالِ والعَامَّةِ إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خيرٌ مما عليه غيرُه، فيُؤَدِّي ذلك إلى اتِّبَاعِه على بدعته، دون اتباع أهل السُّنَّة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِّر مِن أَجْلِ بدعته صار ذلك كالحادي المُحَرِّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كُلِّ حالٍ؛ فتحيا البدعُ وتموت السننُ، وهو هدم الإسلامِ بعينه»[(٢)].

لذا كانت مجالسةُ أهل الشبهات أضرَّ من مجالسة أصحاب الشهوات، **يقول الإمام الشَّوْكَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سِيَّمَا لمن كان غيرَ راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما يُنفق عليه من كذباتهم وهَذَيَانِهِمْ ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجُه ويَعْسُرُ دفعُه، فيعمل بذلك

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/١٣٣).

(٢) «الاعتصام» (١/١١٤).

مُدَّةَ عُمرِه، ويلقى اللهَ به معتقدًا أنه من الحق- وهو من أَبْطَلِ الباطل وأَنْكَرِ المنكر»(١).

أيُّها المُسلم!

إنَّ مما يجب عليك عِلمُهُ أنَّ الصُحبة مُؤَثِّرَةٌ في إصلاح الحال وفساده، فمعاشرةُ الأخيار تُورث النجاحَ والفلاحَ، وخُلطة الأشرار تُورث الحرمان والخسران، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ(٢)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تمثيلُه ﷺ الجليسَ الصالحَ بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلةُ مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»(٤).

---

(١) «فتح القدير» (٢/١٢٨).

(٢) «**يُحْذِيك**»: يُعطيك. «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/١٧٨).

(٣) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/١٧٨).

فعلينا جميعًا- أيها الإخوة والأخوات- أن نَجتنب صُحبة أهل المنكرات خاصةً أهل البدع والمحدثات؛ فلا نُخالطهم، ولا نجالسهم، ولا نأنس بهم؛ لأن الشُّبَهَ خَطَّافَةٌ والقلوب ضعيفة، والمرء لا يَأمن على نفسه- مهما كانت مكانتُه وارتفعت درجتُه- من الوقوع في المخالفات؛ يقول الإمام البَغَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «على المرء المسلم إذا رأى رجلًا يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حيًّا وميتًا، فلا يُسَلِّم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ، إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق، والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين؛ فإن هجرةَ أهل الأهواء والبدع دائمةٌ إلى أن يتوبوا»(١).

ولنعلم أيضًا أن ديننَا هو رأس مالنا وأغلى ما نملك! فلنحافظ عليه في جميع الأوقات مما قد يقدح فيه من الشبهات والشهوات، يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠ هـ): «رأسُ مال المؤمن دينُه، فلا يُخلِّفُه في الرِّحال، ولا يَأتمِن عليه الرِّجَال»(٢).

ولنتبع- أيها الأحباب- هدي سلفنا الصالح في هذا الباب إذا أردنا النجاة والتوفيق للصواب بإذن العزيز الوهاب، يقول الإمام الأَوْزَاعِي-

---

(١) «شرح السنة» (١/٢٢٤).

(٢) «الاستذكار» لابن عبد البر (١/٣٢٤).

عبد الرحمن بن عمرو الشامي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧هـ): «اتقوا الله- معشرَ المسلمين- واقبلوا نصح الناصحين، وعِظَة الواعظين، واعلموا أن هذا العلمَ دينٌ فانظروا ما تصنعون، وعن من تأخذون، وبمن تقتدون، ومن على دينكم تأمنون؟

فإن أهل البدع كلهم مُبطلون، أَفَّاكُونَ آثمون، لا يَرعَوُون، ولا ينظرُون، ولا يَتَّقُون، ولا مع ذلك يُؤمَنُون على تحريف ما تسمعون، ويقولون ما لا يعلمون في سرد ما يُنْكِرُون، وتسديد ما يفترون، والله محيط بما يعملون، فكونوا لهم حَذِرِينَ مُتَّهِمِينَ، رافضين مُجانبين.

فإنَّ علماءكم الأولين ومَن صلح من الآخرين كذلك كانوا يفعلون ويَأمرون، واحذروا أن تكونوا على الله مُظَاهِرِين، ولدينه هادمين، ولِعُرَاهُ ناقضين موهنين بتوقير المبتدعين والمحدثين؛ فإنه قد جاء في توقيرهم ما تعلمون، وأيُّ توقير لهم أو تعظيم أشدُّ من أن تأخذوا عنهم الدين، وتكونوا بهم مقتدين، ولهم مُصدقين موادِعين مؤالِفين مُعينين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون، وتأليف من يَتَأَلَّفُونَ من ضعفاء المسلمين لرأيهم الذي يَرون ودينهم الذي يدينون، وكفى بذلك مشاركةً لهم فيما يعملون»[(١)].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٣٦١/٦).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَحفظ لنا ديننا العظيم الذي هو عصمة أمرنا ونجاحنا وفلاحنا في الدارين، وأن يُجنبنا وإياكم مجالسةَ ومصاحبةَ المفسدين المضلين، فهو سبحانه ولي ذلك ورب العالمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إكرام الضيف

إكرام الضيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ من الأخلاق الحميدة والخصال الكريمة التي عُرف بها العرب قبل بعثة خير الأنام هي إكرام الضيف وإطعام الطعام، حتى قال شاعرهم:

يا ضيفنا لو زُرْتَنَا لوجدتنا نحنُ الضيوفُ وأنت رَبُّ المنزلِ[(١)]

لذا كان- أيها الأحبة الكرام- يُضرب المَثَلُ بمن اشتهر منهم بذلك بين الأنام، **يقول الإمام ابن حِبَّانَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسُّؤْدَدِ وانقاد له قومُه ورحل إليه القريب والقاصي، لم يكن كمالُ سُؤْدَدِهِ إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف، والعربُ لم تكن تَعُدُّ الجودَ إلا قِرى الضيف وإطعام الطعام، ولا تَعُدُّ السَّخِيَّ مَنْ لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف المِيلَ والمِيلَيْنِ»[(٢)].

---

(١) «المُسْتَطْرَف في كل فَنٍّ مُسْتَظْرَف» (١/٣٩٥).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ٢٥٩).

وإنَّ من أفضل وأكرم من يُمثل به ويُذكر في هذا المقام خليلَ الرحمن ورسولَ المنَّان إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- حيث أخبرنا عنه العزيزُ العلَّام فقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٧].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذا الثناءُ على إبراهيم مِن وُجُوهٍ متعددة:

أحدها: أنه وَصَفَ ضَيْفَهُ بأنهم مُكْرَمُونَ، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله، ولا تَنَافي بين القولين؛ فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليلٌ على أنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان قد عُرف بإكرام الضيفان، واعتياد قِراهم، فبقي مَنْزِلُهُ مَضْيَفَةً مطروقًا لمن ورده لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذانُ الداخل دخولُه، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله لهم: ﴿سَلَٰمٞ﴾ بالرفع وهم سَلَّمُوا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل؛ فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، فإبراهيم حيَّاهم أحسن من تحيتهم، فإن قولهم: ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ يدل على سَلَّمْنَا سَلَامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: سلامٌ عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم

ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظٍ يُنَفِّرُ الضيف لو قال: «أنتم قوم منكرون»، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول وحذف فاعلَه فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: «إني أُنكركم»، وهو أحسن في هذا المقام وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغَ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم، **والرَّوغَانُ**: هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف، وهذا من كرم ربِّ المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحي، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام بخلاف من يُسمع ضيفَه، ويقول له أو لمن حضر: مكانَكم حتى آتيكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياءَ الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، فدل على أن ذلك كان مُعَدًّا عندهم مهيئًا للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

الثامن: قوله تعالى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ دلَّ على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: «فَأَمَر لهم»، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجلٍ كامل ولم يأت ببضعة منه، وهذا من تمام كرمه عليه الصلاة والسلام.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم،

ومثله يتخذ للاقتناء والتربية فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قَرَّبَهُ إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمَه بذلك.

الثاني عشر: أنه قَرَّبَهُ ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة أن يجلس الضيف ثم يقرب الطعام إليه ويحمله إلى حضرته، ولا يضع الطعامَ في ناحية ثم يأمر الضيف بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، وهذا عَرْضٌ وتَلَطُّفٌ في القول وهو أحسن من قوله: «كلوا، أو مُدُّوا أيديكم»، وهذا مما يعلم الناسُ بعقولهم حُسنَه ولُطفَه، ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق! أو ألا تجبر!، ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عَرَضَ عليهم الأكلَ؛ لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفُه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قُدِّم إليهم الطعام أَكلوا، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟ ولهذا ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أَحَسَّهَا وأضمرها في نفسه ولم يُبْدِهَا لهم.

وهو الوجه **الخامس عشر**: فإنهم لما امتنعوا من أكل طعامه خاف منهم ولم يُظهر لهم ذلك، فلما علمت الملائكةُ منه ذلك ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٨].

فقد جمعت هذه الآيةُ آدابَ الضيافة التي هي أشرفُ الآداب، وما عَدَاها من التَّكَلُّفاتِ التي هي تَخَلُّف وتَكَلُّف- إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا! فصلى الله على نبيِّنا

وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين»[(١)].

ولمكانة إطعام الطعام، وإكرام الضيفان بين الأنام- أيها الأفاضل- أقرَّه الإسلام وحثَّ عليه، ورَغَّبَ فيه؛ **يقول الشيخ الأَلبَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إطعام الطعام: وهو من العادات الجميلة التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ثم جاء الإسلامُ وأَكَّدَ ذلك أَيَّمَا توكيد»[(٢)].

فبَعث أرحمُ الراحمين سيدَ ولد آدم أجمعين لإتمام الأخلاق الصالحة والخصال الحميدة وكل ما فيه نفعهم في الدارين، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ[(٣)] الأَخْلاَقِ**»[(٤)].

قال الإمام البَاجِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت العربُ أحسنَ الناس أخلاقًا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضَلُّوا بالكفر عن كثيرٍ منها، فبُعث ﷺ لِيُتَمِّمَ محاسن الأخلاق ببيان ما ضَلُّوا عنه، وبما خص به في شريعته»[(٥)].

ويقول الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا حديثٌ مَدَنِيٌّ صحيحٌ، ويدخل في هذا المعنى الصلاحُ، والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة،

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ٢٧١).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤٣/١).

(٣) عند البيهقي في «السنن» (١٩١/١٠) بلفظ «مكارم الأخلاق»، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٨١/٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٥) «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢١١/٢).

والإحسان، والعدل، فبذلك بُعثَ ليتممه ﷺ»[١].

وإنَّ من الخصال الحميدة والعادات القويمة التي حثَّ عليها رسول العزيز الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- إطعام الطعام وإكرام الضيفان، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جاء عن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إكرامُ الضيف وبِرُّهُ، وذلك من سنن المرسلين»[٢].

ويقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأحاديث متظاهرةٌ على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظيم موقعها، وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام»[٣].

بل إنَّ أداء هذا الخُلق الكريم مما يجب على المسلمين، كما أخبر بذلك سيد المرسلين، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»[٤].

يقول الإمام العَيْنِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمر بالإكرام يختلف بحسب المقامات، وربما يكون فرضَ عين أو فرضَ كفاية، وأَقَلُّهُ أنه من باب مكارم الأخلاق، ولا شك أن الضيافة من سنن المرسلين، وقال الدَّاوُدِي: يزيد في إكرامه على ما كان يفعل في عياله»[٥].

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/٣٣٤).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤/١١٨).
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/٣٠).
(٤) رواه أبو داود (١٣٥٦٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٥) «عمدة القاري» (٢٢/١١٠).

يقول العَلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإكرام الضيف مأمورٌ به شرعًا ولو كان غيرَ مسلم، وفي إكرامه دعوةٌ إلى الإسلام، وتوجيهٌ له إلى الخير ليعرف محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق»(١).

لذا جُعل إكرام الضيف- أيها الأحباب- من العلامات الدالة على إيمان العبد بالعزيز الوهاب، فعن أبي شريح العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**». قالوا: وما جَائِزَتُهُ يا رَسُولَ الله؟ قال: «**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلك فَهُوَ صَدَقَةٌ عليه**»(٢).

قال الإمام أبو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسُئِلَ مَالِكٌ عن قَوْلِ النبي ﷺ: «**جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ**»؟ فقال: يُكْرِمُهُ، وَيُتْحِفُهُ، وَيَحْفَظُهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ضِيَافَةً»(٣).

يقول الإمام الخَطَّابِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يريد أنه يتكلَّف له في اليوم الأول بما اتسع له من بِرٍّ وإلطاف، ويُقدِّم له في اليوم الثاني والثالث ما كان بحضرته، ولا يزيد على عادته، وما كان بعد الثلاث فهو صدقة ومعروف، إن شاء فعل، وإن شاء ترك»(٤).

---

(١) منقول من موقع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) رواه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (١٧٢٦) واللفظ له.
(٣) «سنن أبي داود» (٣/٣٤٢).
(٤) «معالم السنن» (٤/٢٣٨).

وإن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة- أنَّ لإكرام الضيف آدابًا ينبغي أن نحرص عليها، ونجتهد في تحقيقها، ومن ذلك أن نُشاركه في الطعام؛ لأن هذا- في الغالب- مما يُفرحه ويَدفع الحرج عنه، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن إكرام الضيف أن تأكل معه، ولا تُوحشه بأن يأكل وحده»(١).

وعلينا أيضًا أن نعلم- أيها الكرام- أن إكرام الأنام ليس فقط في الإطعام! بل كذلك في طلاقة الوجه وحسن الكلام، **فقد سُئل الإمام الأَوْزَاعِي** رَحِمَهُ اللَّهُ؛ **فقيل له**: ما إكرام الضيف؟ فقال: «طَلَاقَةُ الوجهِ، وطِيبُ الكلام»(٢).

يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن إكرام الضيف: طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس، فإنه لا يُذَلُّ من خدم أضيافَه، كما لا يُعَزُّ من استخدمهم، أو طلب لقِراه أجرًا»(٣).

وعلى العبد أن يتذكر أنه إذا أراد الثواب والأجر على هذا العمل الخيِّر عليه أن يخُلص فيه للعزيز المقتدر، وأن يبتعد عن التبذير الذي هو من المنكرات، وأن يَحذر من أن يُطعم نفسه وضَيفه من المحرمات، **يقول الإمام ابن الجَوْزِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكرامته- أي الضيف- أن يكرمه لوجه الله، وتكون ضيافتُه من حلال، وأما من أنفق على ضيفه من

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١١٨/٤).
(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٦١).
(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٦١).

حرام فإنه لا ثواب له»[(١)].

وعلى المسلمين أن يحرصوا أشد الحرص في كل وقت وحين على هذا الخلق القويم والعمل الكريم؛ لما في ذلك من مصالح دينيه ودنيوية ترجع عليهم بإذن رب البرية، **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني لأستحب للعاقل المداومةَ على إطعام الطعام، والمواظبة على قِرى[(٢)] الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان النَّدَى، ومن أعظم مراتب ذوي الحِجَى، ومن أحسن خصال أولى النُّهَى، ومن عُرِفَ بإطعام الطعام شَرُفَ عند الشاهد والغائب، وقَصده الراضي والعاتب، وقِرى الضيف يَرفع المرءَ، وإن رقَّ نسبُه إلى منتهى بُغيته ونهاية محبته، ويُشرِّفه برفيع الذكر، وكمال الذُّخر»[(٣)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وسرور، ومن ذلك إطعام الطعام وإكرام الضيفان، وأن يُجنبنا جميعًا كل أنواع الشرور والعصيان، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص ٦٠).

(٢) بكسر القاف، بمعنى: الإحسان للضيف. «مختار الصحاح» (ص٢٢٣).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٥٨).

أين نحن من تدبر
هذه السورة العظيمة؟!

أين نحن من تدبر هذه السورة العظيمة؟!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ ربَّ البريات له أن يُقسم بما شاء من المخلوقات، **يقول الإمام القُرْطُبِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوانٍ وجمادٍ، وإن لم يُعلم وجهُ الحكمة في ذلك»(١).

وهذا مما يَدل- أيها الإخوة والأخوات- على ربوبية وعظمة وقُدرة وكمال خالق الأرض والسموات، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله يُقسم بما يقسم به من مخلوقاته؛ لأنها آياتُه ومخلوقاته، فهي دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وعلمه، وقدرته، ومشيئته، ورحمته، وحكمته، وعظمته، وعزَّته، فهو سبحانه يُقسم بها لأنَّ إقسامه بها تعظيمٌ له سبحانه، ونحن المخلوقون ليس لنا أن نُقسم بها بالنصِّ والإجماع، بل ذَكَرَ غيرُ واحدٍ الإجماعَ على أنه لا يُقسم بشيء من المخلوقات»(٢).

ومما ينبغي أن نعلمه- أيها الأفاضل- أن قَسَمَ رب العالمين بشيء من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٩/٢٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/٢٩٠).

مخلوقاته يدل على شرف المُقسَم به ومكانته بين سائر خلقه، **يقول الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَسَمُ الله بهذه الآيات دليلٌ على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القَسَمُ به الدالُّ على تعظيمها ورفع شأنها متضمنًا للثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، بما تقتضيه من الدلالة على عظمتِه، وأما نحن، فلا نُقسم بغير الله أو صفاته؛ لأننا منهيون عن ذلك»(١).

وإنَّ مما أَقسم به العزيز المقتدر من بين سائر ما خَلَق وقَدَّر: **العَصْر**؛ **يقول الإمام ابن كَثِير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العَصْرُ**: الزمانُ الذي يقع فيه حركاتُ بني آدم، من خيرٍ وشَرٍّ»(٢).

ويقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدَّهْرُ؛ لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار، وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالةً بينةً على الصانع عَزَّوَجَلَّ، وعلى توحيده، ويقال لليلِ عصرٌ، وللنهار عصرٌ»(٣).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محلُّ أفعال العباد وأعمالهم»(٤).

أقسم به ربُّ البرية في سورة حَوت في طياتها على الكثير من المعاني الإيمانية والفوائد التربوية، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه السورة-

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٧٩٨/١٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٥٤٨/٤).
(٣) «فتح القدير» (٤٩١/٥).
(٤) «تفسير السّعْدِي» (٩٣٤/١).

على اختصارها- هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه، شافيًا من كل داء، هاديًا إلى كل خير»[(١)].

سُورةٌ -أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- مع اختصارها إلَّا أنَّ القَليل مِن أبناء الإسلام مَن يَتدبرها، ويَقف عند مَعانيها العِظَام؛ **يقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ النَّاس- أو أكثرهم- في غَفلة عَن تَدبر هذه السُّورة»[(٢)].

يقول العَلَّامَةُ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حَسَن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعلم أن قول الشافعي- رحمه الله تعالى- فيه دلالةٌ ظاهرة على وجوب طلب العلم مع القدرة في أي مكان، ومن استدل به على ترك الرحلة والاكتفاء بمجرد التفكر في هذه السورة، فهو خَلِيُّ الذهن من الفهم والعلم والفكرة- إن كان في قلبه أدنى حياة، ونهمة للخير- لأن الله افتتحها بالإقسام بالعصر الذي هو زمن تحصيل الأرباح للمؤمنين، وزمن الشقاء والخسران للمعرضين الضالين، وطَلَبُ العلم ومعرفةُ ما قصد به العبد من الخطاب الشرعي أفضلُ الأرباح، وعنوانُ الفلاح، والإعراضُ عن ذلك علامةُ الإفلاس والإبلاس؛ فلا ينبغي للعاقل العارف أن يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع، والميراث المحمود»[(٣)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٥٦/١).

(٢) «رياض الصالحين» للنووي (ص ٤٩).

(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣٤٩/٥).

سورةٌ مَن تدبرها حَقَّ التدبر وَفَّقَهُ العزيزُ المقتدر لنيل كل خير، **يقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو فَكَّرَ الناسُ كُلُّهُم في سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ لكَفَتْهُمْ»(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو كما قال، فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنًا صالحًا، ومع غيره موصيًا بالحق مُوصيًا بالصبر»(٢).

لقد أحببتُ أن أقف معكم- أيها الأحبة والإخوان- في هذا المقال المختصر على معاني سورة العصر، وحرصت فيه على نقل شيء مما قاله فيها بعض الأئمة الأعلام، فلعل العزيز المنَّان أن يجعلنا وإياكم ممن يتدبر كلام الرحمن وممن ينتفع بالقرآن، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

سورة العصر: عدد آياتها: ثلاث، وهي من السور المكية عند أكثر العلماء(٣).

١- قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر:١]؛ **يقول الإمام ابن الجَوْزِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الدَّهْرُ؛ قاله ابنُ عباس، وزيدُ بن أسلم، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، وإنما أقسم بالدهر؛ لأن فيه عبرةً للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا يَنْخَرِم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٥٢/٢٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥٢/٢٨).

(٣) تفسير البغوي (٥٢٣/٤)، تفسير القرطبي (١٧٩/٢٠).

والثاني: أنه العَشِيُّ: وهو ما بين زوال الشمس وغروبها؛ قاله الحسن وقتادة.

والثالث: صلاةُ العصر؛ قاله مُقاتل»[(١)].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر المفسرين على أنه الدَّهر، وهذا هو الرَّاجح»[(٢)].

٢-وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]؛ يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارةٍ وهلاك»[(٣)].

ويقول الإمام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الخسران**: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعُمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله»[(٤)].

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخاسر ضد الرابح، والخَسَارُ مراتب متعددة متفاوته: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحقَّ الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض»[(٥)].

٣- وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا

---

(١) «زاد المسير» (٩/٢٢٤).
(٢) «التبيان في أَيْمَان القرآن» (ص ١٢٣).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٤٨).
(٤) «تفسير البَغَوِي» (٤/٥٢٣).
(٥) «تفسير السّعْدِي» (ص ٩٣٤).

﴿بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]؛ **يقول الإمام الشَّوْكَانِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح؛ فإنهم في ربح لا في خسر؛ لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمالُ الدنيا عنها»(١).

ويقول الإمام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواصي بالحق يدخل فيه: الحق الذي يجب، والحق الذي يُستحب، والصبر يدخل فيه: الصبر الذي يجب، والصبر الذي يُستحب.

فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به، وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم»(٣).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضا: «المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:**

---

(١) «فتح القدير» (٥/٤٩٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٤٨).

(٣) «التبيان في أيمان القرآن» (ص ١٣٥).

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذَكَر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كُلَّ أحد في خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عَرفوا الحق وصَدَّقُوا به، **فهذه مرتبة**، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه **مرتبة أخرى**، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وصَّى به بعضُهم بعضًا تعليمًا وإرشادًا فهذه **مرتبة ثالثة**، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ صبروا على الحق، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصبر عليه والثبات، فهذه **مرتبة رابعة**، وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخصُ كاملًا في نفسه مُكَمِّلًا لغيره، وكمالُه بإصلاح قُوَّتَيْهِ العلمية والعملية، فصلاحُ القوة العلمية بالإيمان، وصلاحُ القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميلُه غيرَه بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل...»[(١)].

ويقول الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي جَعْلِ التواصي بالصبر قرينًا للتواصي بالحق دليلٌ على عظيم قدره، وفَخَامَةِ شَرَفِه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبرُ عليه»[(٢)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٥٦/١).

(٢) «فتح القدير» (٤٩٢/٥).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمَّمَ اللهُ الخسارَ لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر اللهُ بالإيمان به: ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه، لا يتم إلا به.

والعمل الصالح: وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة، والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق: الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويَحُثُّه عليه، ويُرَغِّبُه فيه.

والتواصي بالصبر: على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأَوَّلَيْنِ يُكمل العبدُ نفسَه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبدُ قد سَلِمَ من الخَسار، وفاز بالربح العظيم»[(١)].

وفي الختام:

أريد أن أذكر نفسي وإياكم- أيها الأحبة الكرام- في هذا المقام بهديٍ نبويٍّ ثابتٍ عن رسول العزيز العلام، وكان يحرص عليه صحابةُ خير الأنام، ألا وهو قراءة هذه السورة العظيمة عند الافتراق، فعن أبي

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٩٣٤).

مَدينة الدَّارِمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] قال: كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيَا لم يفترقا حتى يقرأ أحدُهما على الآخَر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ثم يُسلمُ أحدهما على الآخر»[٢].

يقول الشيخ الأَلبَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا- رضي الله عنهم جميعًا:

إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النصُّ بذلك صريحًا من قوله ﷺ: «**إذا انْتَهَى أحدُكم إلى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأولى بِأَحَقَّ من الآخِرَةِ**»[٣].

والأخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها، وهي قراءة سورة (**العَصْر**) لأننا نعتقد أنهم أبعدُ الناس عن أن يُحدثوا في الدين عبادةً يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيفٍ من رسول الله ﷺ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، ولِمَ لا وقد أثنى اللهُ تبارك وتعالى عليهم أحسنَ الثناء، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) هو عبد الله بن مِحصَن وقيل : حِصن، الأنصاري، **قال الإمام ابن الأَثِير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانت له صحبةٌ ». «أُسد الغابة» (٣/٢١٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/٢١٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٤٨).

(٣) رواه أبو داود (٥٢٠٨)من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان منكم مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أَبَرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تَكَلُّفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[(١)]»[(٢)].

ولنحذر أشدَّ الحذر- أيها الأحبة والإخوان- من أن يكون همُّنا الاعتناءَ بحروف القرآن دون تدبره والعمل بحدوده؛ لأن هذا من الخذلان والحرمان.

وأنصح نفسي وإياكم بالاهتمام بكتاب رب العالمين، حفظًا ومراجعةً، وتفسيرًا، وتَدبرًا، فإن في ذلك- بإذن أرحم الراحمين- النجاحَ والفلاحَ في الدارين، **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:** «فلو عَلِمَ الناسُ ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مَرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كَرَّرَهَا ولو مائة مرة، ولو ليلة! فقراءةُ آيةٍ بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف: يردد أحدُهم الآيةَ إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يُرَدِّدُها حتى الصَّبَاح، وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ

---

(١) أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٧/٢)، وأثر الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ- ذكره بنحوه الإمام الشاطبي في «الموافقات» (٨٧/٤).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١٤٧/٦).

﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب»(١).

واللهَ اللهَ- أيها الأفاضل- في معرفة شرف وقدر أوقاتنا، فلا نَصرفها إلا فيما ينفعنا، ولنتجنبْ إضاعتَها فيما يضرنا! ولنتذكر دائمًا أننا سنُسأل عن ذلك كله يوم نقف بين يدي خالقنا ورازقنا، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالوقتُ هو أغلى شيء، لكن هو أرخصُ شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين؛ اليوم- مع الأسف الشديد- أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلةٍ وفي تَرَفٍ، ينظرون ما يترف به أبدانهم، وإن أتلفوا أديانهم»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، ومن ذلك الاعتناء بالقرآن، وأن يُجنبنا كُلَّ ما فيه حرمان، ويُؤَدِّي إلى الخسران، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الرحمن.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٨٧).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٠).

داء الحقد

داء الحقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ قلوب العباد- أيها الإخوة والأخوات- قد تُصاب بانتكاسات وتتأَثر بآفات! ومن هذه الأمراض الخطيرة والأدواء العسيرة التي قد يُصاب بها قلبُ العبد- إذا لم يحفظه منه العزيزُ الصمدُ- داء الحِقْد، **يقول أبو البقاء الكفوي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٩٤ هـ): «الحقد: هو سوء الظن في القلب على الخلق؛ لأجل العداوة»(١).

هذا الوباء يُبعد من يُبتلى به عن كل ما فيه صلاح وخير؛ لأنه أصل ومفتاح كل شر؛ **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحقد أصل الشر، ومَن أَضْمَرَ الشر في قلبه أنبت له نباتًا مُرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ وثمرته الندم»(٢).

---

(١) «الكليات» (ص ٤٠٨).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).

ويُتعِب حامِلَه، ويُفسد فِكْرَهُ ويُشغل بالَه ويَزيد من غَمِّهِ وألمه! بحيث يكون همَّه الانتقامُ والتشفي من الأنام، ويُنسيه أن السعادة والطمأنينة الحقيقية هي في العفو والصفح عمن آذاه من البرية، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الصفح والعفو والحلم- من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام- ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام»(١).

من أسبابه أيُّها الأحباب:

قسوة القلوب وبُعدها عن علام الغيوب، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ضُرِب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله»(٢).

ومن ذلك- أيها الأفاضل الكرام- كثرة وقوع الخصام بين الأنام؛ **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخصومة توغرُ الصدور، وتُهَيِّج الغضب، وإذا هاج الغضبُ حصل الحقدُ بينهما، حتى يفرح كُلُّ واحد بمساءة الآخر، ويحزن بِمَسَرَّتِهِ، ويطلق اللسان في عرضه»(٣).

وأيضًا من أسباب هذا الداء الخطير المزاح الكثير الذي يُورث الشحناء والبغضاء بين المسلمين، ويُشغل ويصرف عن عبادة أرحم

---

(١) «مدارج السالكين» (٣١٩/٢).
(٢) «الفوائد» (ص٩٧).
(٣) «الأذكار» (ص٢٩٦).

الراحمين، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراطٌ ويُداوم عليه؛ فإنه يُورث الضحكَ وقسوةَ القلب، ويُشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدين، ويَؤُول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوقار، فأما ما سَلِم من هذه الأمور فهو المباحُ الذي كان رسول الله ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادرٍ من الأحوال، لمصلحةٍ وتطييب نفسِ المخاطب ومؤانستِه، وهذا لا مانع منه قطعًا، بل هو سُنَّةٌ مستحبةٌ إذا كان بهذه الصفة»(١).

ومما ساهم أيضًا في انتشار هذا الداء المشين سوء الظن بالآخرين، الذي يقطع المحبةَ والألفةَ، ويُفسد الإخاءَ، وينشر بين المسلمين الحقدَ والحسدَ والبغضاء؛ **يقول ابن بَطَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المُهَلَّبُ: فالجواب أنَّ التباغضَ والتحاسدَ أصلُهما سوءُ الظن؛ وذلك أن المباغِض والمحاسِد يتأول أفعال مَن يُبغضه ويَحْسُده على أسوأ التأويل»(٢).

أيها الحاقد!

اعلم- هداك الله- أنَّك في الحقيقة لا تؤثر على غيرك! وإنما تَضُرُّ نفسك! فبادر- وفقك أرحمُ الراحمين- بالتخلص من هذا المرض الدفين! وذلك بالتوبة والرجوع إلى الله رب العالمين، واسلك في القضاء عليه

---

(١) «الأذكار» (ص٢٥٨).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/٢٦١).

الطرقَ الشرعيةَ والوسائل الإيمانية، ومن ذلك السعي في تطهير قلبك مِن كل ما يُغضب خالقَك، وتَذَكَّرْ أن سلامةَ القلبِ وتَخَلُّصَهُ من الأمراض الرَدِيَّة هو معيارُ الخيرية بين البرية، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله ﷺ أَيُّ الناس أَفْضَلُ؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فما مَخْمُومُ القَلبِ؟ قال: «**هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ**»(١).

يقول المُلَّا عَلِي قَاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ**) بالخاء المعجمة أي: سليم القلب؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩]. مِنْ خَممتُ البيت إذا كَنَسْتُهُ- على ما في القاموس وغيره.

فالمعنى: أن يكون قلبُه مكنوسًا من غُبار الأغيار، ومُنَظَّفًا من أخلاق الأقذار.

(**صَدُوقِ اللِّسَانِ**) بالجَرِّ، أي: كل مبُالَغٍ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقةُ بين تحسين لسانه وبيانه، فيخرج عن كونه منافقًا، أو مرائيًا مخالفًا.

(**قالوا**: **صَدُوقِ اللِّسَانِ**) بالجر على الحكاية، ويجوز رفعه على إعراب الابتدائية، والخبر قوله: (**نَعْرِفُهُ**).

(**فَمَا مَخْمُومُ القَلبِ**). قَالَ: (**هُوَ النَّقِي**) أي: نَقِيُّ القَلبِ وطاهر الباطن

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

عن مَحَبَّةِ غير المولى.

(التَّقِي) أي: المُجتنب عن خُطُور السِّوى.

(لَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فإنه محفوظٌ، وبالغفرانِ محظوظٌ، وبعين العناية ملحوظ، ومن المعلوم أَنَّ (لا): لنفي الجنس؛ فقوله: (وَلَا بَغْيَ) أي: لا ظُلم له، (وَلَا غِل) أي: لا حِقد، (ولا حَسَدَ) أي: لا تمني زوال نعمة الغير- من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتعميم- لئلا يتوهم اختصاص الإثم بحق الله، فَصَرَّحَ بأنه لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من جهة الخالق، والله تعالى أعلم بالحقائق»[(١)].

ومن ذلك: أنَّ تتواضع للآخرين، كما أمرك بذلك رب العالمين، فعن عِيَاض بن حِمَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ**»[(٢)].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(حَتَّى لَا يَفْخَرَ) بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف، أي: كي لا يتعاظم (أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)، (وَلَا يَبْغِي) بكسر الغين أي: ولا يظلم (أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)، وفي الجمع بينهما إشعارٌ بأن الفخر والبغي نتيجتا الكِبْرِ؛ لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسَه فوق كُلِّ أَحَدٍ، ولا يَنْقَادُ لِأَحَدٍ»[(٣)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/١٤٠٩).

(٢) «رواه مسلم» (٢٨٦٥).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/١٢١).

فالتواضعُ- أيها الأحباب- من أهم الأسباب التي- بإذن العزيز الوهاب- تَدفع وتُزيل الأحقاد بين العباد، **يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والتواضعُ يُكسب السلامةَ، ويورث الألفةَ، ويرفع الحقد، ويُذهب الصَّدَّ، وثمرةُ التواضعِ المحبةُ»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- المبادرة دائمًا قبل فوات الأوان بعلاج قلوبنا مما يحلَّ بها من ضعف وهوان، قبل أن تُصبح منقادةً للهوى وللشيطان، ولا تتأثر بذكر الرحمن، والله المستعان.

ولنَقْتَدِ بأصحاب النفوس الزكية، وليكن دعاؤنا لرب البرية في السر والعلانية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضُهم ببعض، ويدعو بعضُهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأُخُوَّةِ بين المؤمنين، التي من فروعها أن يَدْعُوَ بعضُهم لبعض، وأن يُحَّب بعضُهم بعضًا.

ولهذا ذكر اللهُ في الدعاء نفيَ الغِلِّ عن القلب، الشامل لقليل الغِلِّ وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضِدُّهُ، وهو المحبةُ بين المؤمنين والموالاة

---

(١) «روضة العقلاء» (ص ٦١).

والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُطَهِّرَ قلوبَنا جميعًا من جميع الأمراض والآفات، ومن ذلك الحقد الذي هو من المحرمات، وأن يجعلها سَبَّاقَةً للطاعات وعامرةً بالخيرات؛ فهو سبحانه رب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٤٧).

داء الكسل

داء الكسل

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين؛ نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

إنَّ من الأمراض والآفات التي لا تُؤثر فقط على الأفراد، بل يتعدَّى ضررُها حتى إلى المجتمعات: داء خطيرٌ، وبلاء عسير؛ ألا وهو- أيُّها الأَفَاضل- داء الكَسَل.

يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والكسل**: التثاقل والتَّراخي عمَّا يَنبغي مع القدرة»[(١)].

فهذا المرضُ يُثَبِّط النَّفس على فِعل الطاعات، ويمنعها من عمل الخيرات؛ **يقول الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكسلُ فَترةٌ تَقع بالنَّفس، وتُثبط عن العمل»[(٢)].

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢١٤/١).

(٢) «مشارق الأنوار» (٣٤٧/١).

لذا؛ مَن ابْتُلي بهذا الدَّاء الخطيرُ حُرم من الخير الكثير ؛ **يقولُ الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «العجزُ شَريك الحِرمان»(١).

ولِضَرَره وخَطره- أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- استعاذ بالله مِنه سَيِّدُ الأَنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن العَجْزِ وَالكَسَلِ...**»(٢).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا الكَسل، فهم مُجمعون على أنَّه ضُعف النِّية، وإيثار الرَّاحة للبَدن على التَّعب، وإنَّما استُعِيذ منه؛ لأنَّه يُبعد عن الأفعال الصَّالحة للدُّنيا والآخرة»(٣).

يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العَجْز**»- بسكون الجيم-: سَلْبُ القوَّة، وتخَلُّف التوفيق، إذ صِفةُ العَبد العجز، وإنما يَقوى بقوَّة يُحدثها اللهُ فيه، فكأنَّه استعاذَ به أن يَكله إلى أوصافه، فإنَّ كلَّ من رُدَّ إليها فقد خُذِل.

«**والكسل**»: التَّثاقلُ والتراخي مما ينبغي مع القدرة، أو هو عدم انبعاث النَّفس لِفعل الخَير، والعاجز مَعذور، والكَسلان لا، ومع ذلك هو حالة

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/٧٤٩).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٨)، ومسلم (٢٧٠٦)، واللفظ له.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/٣٦).

رؤية، ولو مع عُذر؛ فَلِذا تَعَوَّذ منه»[(١)].

ويقول الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفَرق بين العجز والكسل: أنَّ الكسلَ تركُ الشيء مع القُدرة على الأخذ في عَمله، والعجز: عدمُ القُدرة»[(٢)].

إنَّ مما يُعين ويَحفظ العبدَ من الابتلاءِ بهذا المرضِ العُضال والدَّاء القتال أسبابٌ، منها **أيُّها الأحبابُ**:

- **اللجوء إلى مولانا العزيز القدير**، وذلك بسؤاله- سبحانه- دَومًا أن يحفظنا، ويُعيذنا مِن هذا البَلاء العَسير اتِّباعًا لِهَدْي البَشير النذير؛ **يقول الإمامُ ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإنسانُ مندوبٌ إلى استعاذته بالله- تعالى- من العَجز والكسل، فالعَجز: عدمُ القُدرة على الحِيلة النَّافعة، والكَسل: عدم الإرادة لِفعلها، فالعاجزُ لا يستطيع الحِيلة، والكَسلان لا يريدُها»[(٣)].

- **عدم طاعة النَّفس** التي إذا لم يُجاهدها العبدُ أبعدته عن الخَيرات، وأَمرته بالسُّوء والمُنكرات؛ يقول ربُّ البريَّات: ﴿**إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) «فيض القدير» (٣٤٧/٢).

(٢) «فتح الباري» (٣٦/٦).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣٣٦/٣).

يقولُ الشيخُ السّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، أي: لَكثيرة الأمر لصاحبها بالسُّوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنَّها مَركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان؛ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾؛ فنَجَّاه من نفسه الأَمَّارة، حتى صارت نفسُه مُطمئنة إلى ربِّها، مُنقادة لداعي الهدى، مُتعاصية عن داعي الرَّدى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: هو غفورٌ لمن تَجَرَّأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصَّالحة»(١).

ومِن الأمور التي تَدعو لها النَّفس- أيُّها الأفاضل- وتُحِبُّها، وتَميل إليها: داء الكسل؛ يقول الشيخُ السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ النَّفس ميَّالةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أمَّارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، ورَدعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطَّاعات: امتثال المأمور، واجتناب المَحظور، والصَّبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة: مَن جاهدَها على هذه الأمور؛ لِتَقوم بواجبها، ووظيفتها»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٠٠).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).

فَعلى العبدِ المسلم ألَّا يُطيعها على ما تَهوى وتُريد، وألَّا يَجعلها تَجُرُّه إلى الوقوع في وَباء الكَسَل الذي هو مرضٌ غَير حَميد، وليُجاهدها على فِعل الخَيرات، واجتناب المنكرات.

فهذا- أيُّها الكِرام- هو الجهاد الحقيقي، كما أخبرنا بذلك رسولُ العزيز العَلَّام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن فَضَالة بن عُبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُجَاهِدُ مَن جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله عَزَّوَجَلَّ**»(١).

يقول الإمامُ ابنُ القَيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جِهَاد النَّفس مُقَدَّمًا على جهاد العدو في الخارج، وأصلًا له، فإنه ما لم يجاهد نفسَه أوَّلًا؛ لِتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نُهيت عنه، ويُحاربها في الله لم يُمكنه جهادُ عَدوه في الخارج، فكيف يُمكنه جهاد عدوه، والانتصاف منه، وعَدوه الذي بين جَنبيه قاهرٌ له، مُتسلط عليه، لم يُجاهده، ولم يُحاربه في الله؟! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يُجاهد نفسَه على الخُروج»(٢).

- **صِدق التوكل والاعتماد على ربِّ البَريات**؛ لأنَّ ضعف التوكل على العزيز المقتدر من أسباب الابتلاء بهذا الدَّاء الذي يُبعد عن كل خير، ويَجرُّ إلى الوقوع في الشرِّ؛ **يقولُ الشيخُ السّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ**: «والتوكل الحقيقيُّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) «زاد المعاد» (٣/٦).

يطرد عن العبد الكسلَ، ويُوجب له النشاط التامَّ على الأمر الذي تَوكَّل على الله به، ولا يَتصاعب شاقًّا، ولا يَستثقل أيَّ عمل، ولا ييأس من النجاح، وحُصول مطلوبه، عكس ما يظنُّه بعض المنحرفين الذين لم يفهموا معنى التوكل، أو فَهموه لكن إنكار القَدَر والقضاء صَرَفهم عن الحقِّ، فحسبوا أنَّ التوكُّلَ يُضعف الهِمَّة والإرادة، وأَساؤوا غاية الإساءة حيث ظنوا بربِّهم الظَّنَّ السوء، فإنَّ اللهَ أمر بالتوكُّل في آيات كثيرة، وأخبر أنَّه من لوازم الإيمان، ووعد المتوكلين الكفايةَ وحصولَ المطلوب، وأخبر أنَّه يحبُّهم، وأنَّه لا يتمُّ الدين إلا به، ولا تتمُّ الأمور إلا به، فالدين والدنيا مُفتقرات إلى التوكُّل»[(١)].

- **الابتعاد عن كلِّ ما قد يكون سببًا في الإصابة بداء الكسل**، ومن ذلك كثرة الأكل؛ **قال السفَّاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غذاء الألباب»**: «قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تبصرته»: «الشِّبع يُوجب تَرَهُّل البَدن وتكاسله، وكثرة النوم، وبَلادة الذِّهن، وذلك بتكثير البُخار في الرأس حتى يُغطي موضع الفِكر والذِّكر، والبِطنة تذهب الفِطنة، وتجلب أمراضًا عَسِرة، ومقام العدل: ألَّا يأكل حتى تَصُدَّ الشهوة، وأن يَرفع يده، وهو يَشتهي الطعام، ونهاية المقام الحَسن: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ**»[(٢)]، والأكل على مَقام العدل يُصِحُّ البَدن، ويُبعد

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلَّام» (ص١٠٧).

(٢) يُشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما رواه الإمام الترمذي (٢٣٨٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ =

المرض، ويُقلل النوم، ويُخفف المُؤنة»[(١)].

لأنَّ التقليلَ من الطَّعام- أيها الأحبة الكِرام- يُقوِّي ويُنَشِّط الأجسام، **يقول الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعضُ المتقَدِّمين من أئمة الطِّبِّ: مَن أراد عافية الجِسم فليُقلل الطعام والشراب، ومَن أراد عافية القلب فليترك الآثام»[(٢)].

وكثرة النَّوم: هي- أيضًا- من أسباب الابتلاء بهذا الوباء؛ **يقول الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثرةُ النوم: فإنَّه يُميت القلب، ويُثقل البدن، ويُضَيِّع الوقتَ، ويُورث كثرة الغَفلة، والكَسَل»[(٣)].

فلنحذر- أيُّها الأحبَّة- الأفاضل أشدَّ الحَذر من أن نكون من أهل الكَسَل الذين صدَّهم هذا الداءُ الخطير والوباء العسير عن طاعة المَنَّان، وجعلهم يَقعون في العصيان، ولنستعيذ منه الرَّحمن في كل الأحيان، ولنجتهد دومًا في بذل الأسباب التي تَقينا منه بإذن العزيز الوهَّاب.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العليا: أن يُوفِّقنا- وإيَّاكم-

---

من حديث المِقدام بن مَعْدِ يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ؛ بِحَسْبِ ابن آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لَا مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

(١) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني (٢/٩٠).

(٢) «زاد المعاد» (٤/٢٠٣).

(٣) «مدارج السالكين» (١/٤٥٩).

لكل ما فيه خَير وسرور، ومِن ذلك الاجتهاد في الطاعات، وأن يُجنبنا جميعًا الوقوع في كل ما فيه ضرر وشرور، ومن ذلك الابتلاء بداء الكسَل الذي هو من أسباب البُعد عن الخيرات؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذلك، وربُّ الأرض والسَّمَوات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

من الفائز؟!

من الفائز؟!

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسلين؛ نَبينا محمد وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فكثيرًا ما نَسمع النَّاسَ يُرَدِّدون: فُلانٌ رَبحَ! ويقولون: فلانٌ فَازَ! يقول الرَّاغب الأصفهانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفوز: الظَّفَر بالخَير مع حُصول السَّلامة»(١).

فما أجملَها من كلمة! ومَا أروعها من عبارة تُردَّد وتُقَال على الألسنة!

لَكن قد يتساءل المرءُ- أيُّها الأحبة الكِرام- بعد لحظاتٍ من سماعها عن حقيقة هذا الرِّبح؟

صاحبُه ظَفِر بماذا؟

فالمؤمنُ الذي عَلَّق قلبَه بربِّ البريات يَعلم أن هذا العبد إنَّما فاز في الحقيقة بلذةٍ فانية، وشهوة زائلةٍ تَبقى فقط للحظات، وقد يَتبعها بعد

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (١/٣٨٧).

ذلك الندمُ والحَسَرات!

لأنَّه يعلم- أيُّها الأحبة الكرام- أنَّ الفوز الحقيقيَّ هو في طاعة العزيز العلام، واتِّباع سُنَّة خير الأنام عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في فعل ما هو طاعة، واجتناب ما هو مَعصية؛ ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، أي: ظَفِر بالخير ظَفَرًا عظيمًا» (١).

وأنَّ هذه هي الطاعة التي تَجعله بإذن الله العزيز الكريم يَنالُ بها جنَّات النَّعيم، وهذا هو الفوز العظيم؛ يقول السميع العليم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء:١٣].

يقول الشيخ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بامتثال أمرِهما الذي أَعْظَمُه طاعتُهما في التَّوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها، واجتناب نَهيهما الذي أعظمُه الشِّركُ بالله، ثم المعاصي على اختلاف طبقاتها ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾؛ فَمَن أدَّى الأوامر، واجتنب النواهي فلا بد له من دخول الجنة، والنجاة من النار، ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ

---

(١) «فتح القدير» (٣٠٨/٤).

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي حصل به النجاة مِن سَخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المُقيم الذي لا يَصفه الواصفون»(١).

وهو كذلك الفوزُ الكبير الذي لا يُساويه فوزٌ، ولا يُدانيه؛ يقول العزيز القدير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج:١١].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة: هو الظَّفَر الكبير بما طَلبوا، والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا، وعَملهم بما أَمَرهم الله به فيها ورَضيه منهم»(٢).

فالفائزُ الحقيقيُّ- أيُّها الأحبة الكِرام- هو الذي يجتهدُ في تحقيق ما مِن أجلِه خُلق الأنامُ؛ أَلَا وهو عبادة العَزيز العَلَّام؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تصريحٌ بأنَّهم خُلقوا للعبادة، فحَقَّ عليهم الاعتناءُ بما خُلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزَّهادة، فإنَّها دارُ نَفَاد لا محل إِخْلاد، ومَركب عُبور لا مَنزل حُبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظُ مِن أهلها هم العُبَّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهَّاد»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧١).

(٢) «تفسير الطبري» (١٣٧/٣٠).

(٣) «رياض الصالحين» (ص٣).

وجمع في عبادته بين الإخلاص لربِّ العالمين، والمتابعة لهدي خير المُرسلين؛ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمُخلصون**: هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله، والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء، فيُجَرِّد عبادة الله عن عبادة ما سواه، ويُجَرِّد متابعة رسوله، وترك ما خالَفه لقوله دون مُتابعة غيره؛ فَلْيَزن العاقلُ نفسَه بهذا الميزان قبل أن يُوزن يوم القُدوم على الله»(١).

إنَّ الرَّابحَ الحقيقيَّ- أيُّها الأفاضل- هو الذي عَرف قيمةَ وشَرف وقتِه، فَصَرَفه فيما يُرضي خالقَه، واستغلَّه فيما يَعود عليه بالنفع في الدَّارين، وليس مَن أضاعَ عمره في شهوات زائلة، ولذَّات فانية! يقول ابنُ الجَوزيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي للإنسان أن يَعرف شرف زمانه، وقَدر وقته، فلا يَضيع منه لحظة في غير قُربة، ويُقَدِّم الأفضل فالأفضل من القَول والعمل»(٢).

وهو- أيضًا- مِن انشغل بعيبِه، واجتهد في إصلاحه ومُحَاسبة نفسه، وليس مَن بَذَل جُهده، وصَرَفَ وقتَه في تَتَبع عيوب وزلاَّت الآخرين؛ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طُوبى لِمَن شغلَه عيبُه عن عيوب الناس، وويلٌ لمن نَسِي عَيبه، وتفرَّغ لعيوب الناس، فالأوَّلُ عَلامة السعادة،

---

(١) «بدائع الفوائد» (٤/٩٥٢).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢).

والثاني علامةُ الشَّقاوة»[١].

ليس الفائزُ في الحقيقة مَن إذا رزقه الرَّحمن بمال بسبب تجارة أو غيرها بَخِل به، أو صَرفه في العِصيان، وما تَهوى النفس، وما يحبه الشيطانُ!

بل الرابح الحقيقيُّ هو مَن إذا تفضَّل عليه أرحمُ الرَّاحمين بمالٍ استعملَه فيما يُرضي ربَّ العالمين، ومِن ذلك النفقة على الفقراء والمساكين؛ لأنَّه يَعلم أن هذا هو الذي ينفعه في الدارين بإذن الرَّزاق ذي القوة المتين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[٢].

يقول المُلَّا علي قَاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى: أَنْفِق الأموال الفانية في الدنيا؛ لتدرك الأحوال العالية في العُقبى، وقيل: معناه: أَعْطِ الناسَ ما رَزقك، حتى أنا أرزقك، أي: في الدنيا»[٣].

إنَّ الذي يُغبط حقيقةً- أيُّها الأحبة- مَن عرف حقيقة الدَّنيا الفَانية؛ فجعلها دارَ عَمَل ومَمَرًّا للآخرة الباقية؛ لأنَّ هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي أَمَدِيَّة، وأما الحياة الآخرة فهي الأبدية؛ **يقول الشيخُ السّعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الحياة التي يَنبغي السَّعي في كمالها وتحصيلها

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٩٩٣)، واللفظ له.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٣١٨/٤).

وكمالها، وفي تتميم لذَّاتها، هي الحياة في دار القَرار، فإنها دارُ الخُلد والبقاء»[١].

وفي الختام نقول:

أيُّها الكرام، إنَّ الفائزَ الحقيقي من الأنام هو مَن جُنِّب النيران، وأُدخل الجِنَان بفضل العَزيز العلام؛ **يقول سبحانه**: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥].

يقول الشيخُ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة فيها التَّزهيد في الدنيا بفنائها، وعدم بقائها، وأنَّها متاع الغرور؛ تَفتن بزخرفها، وتَخدع بغُرورها، وتَغر بمحاسنها، ثُمَّ هي مُنتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي تُوفَّى فيها النفوس ما عَملت في هذه الدار مِن خير وشَرٍّ.

﴿فَمَن زُحۡزِحَ﴾، أي: أُخرج، ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾، أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنَّات النعيم، التي فيها مَا لَا عينٌ رَأت، ولا أُذنٌ سَمعت، ولا خَطَر على قلب بَشر.

ومفهوم الآية: أنَّ مَن لم يُزحزح عن النَّار، ويُدخل الجنة فإنَّه لم

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٢٤).

يَفز، بل قد شَقِي الشَّقاء الأبدي، وابتُلي بالعذاب السَّرَمِدي»[١].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا: أن يُوفِّقنا- وإيَّاكم- لكل ما يُحبه ويرضاه وأن يُجنبنا كلَّ ما يُبغضه ويأباه، وأن يجعلنا- وإيَّاكم- من أهل الفوز الحقيقيِّ الذين هُم أهل الفَلاح والنَّجَاح في الدَّارين، فهو سبحانه وَلِيُّ ذلك، وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٦٠).

الفهارس العامة للكتاب

١- فهـــرس الآيـــات القرآنيـــة

٢- فهـــرس الأحاديـــث القدســـية

٣- فهـــرس الأحاديـــث النبويـــة

٤- فهـــــــــرس الآثـــــــــار

٥- فهـــرس الأبيـــات الـــشعرية

٦- المـــــــصادر المعتمـــــــدة

٨- فهـــــرس الموضـــــوعات

فهرس
الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	٢٦١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٧٨
﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾	٢٣٢	١٩٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾	٢٦٤	٢٢٥

آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	٨	١٧٥
﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾	٩٢	٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	٥
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾	١٣٥	٢٧٥
﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾	١٧٣	٩٧

﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾	١٨٥	٣٣٣

النساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾	١	٥
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾	٤	١٩١
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾	١٣	٣٢٩
﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ﴾	٢٠	١٩١
﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	٥٤
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾	١٠٣	٢٦٨
﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾	١٠٤	١٥٢
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	١٧٦، ٢٧٣

المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	٢٣	٩٨
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾	١١٨	٣١٠

الأنعام

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	٦٨	٢٨٢

الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	١٢	٢٥٥
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١	١٩٤

التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾	١٨	١٤١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾	٤٩	٤٨
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾	١٠٠	٣٠٩

هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٤٩	٤٢

يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾	٥٣	١٤، ٢٥٠، ٣٢٢
﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾	٥٥	٢٥٢
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾	٩٠	٤٣

إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾	٧	٥٠، ٧٦، ٨٩

الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	٩٢، ٩٣	١٩٩

النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾	١٨	٨٦، ٢٣٠
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾	٥٣	٨٧

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾	٧٨	٢٣١

الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾	٧٩	٢٦٩

الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾	٢٨	٢٣٥
﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾	١١٠	١٧

المؤمنون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾	٨	٥٢

النور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾	٣٦	١٤١
﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾	٣٠	٢٣٢

الفرقان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾	٢٧	٨٣، ٢٢٥
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾	٤٧	١٠٩

الشعراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	١٠٧	٥٢
﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٩	٣١٥

النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ...﴾	٨٦	١٠٨

القصص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	٧٨	٢٥٥

العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾	٨	١٨٥

الروم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	١٩٠

السجدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾	٢٤	٤٣

الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ...﴾	٧٠، ٧١	٥، ٣٢٩
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	٣٩	١٦٢

سبأ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾	٣٩	٣٣

ص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾	٤٤	٤٠

الزمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٤٢

فصلت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾	٣٣	١١٨

الزخرف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾	٥١	٢٥٥

الأحقاف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	٣٩

محمد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾	٣٨	٣٥

الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾	١٢	٢٠٤

الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	٢٤، ٢٧	٢٩١
﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	٢٨	٢٩٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦، ٥٨	١٦، ٣٣٠

النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾	٣١	١٩٩
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٢٤٨

الحشر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٩	٢١
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾	١٠	٣١٧

التغابن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾	٩	٨٣، ٢٢٥

الطلاق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾	٣	١٠١

الفجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾	٢٤	٣٦

التين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾	٤	٢٣٠

البروج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	١١	٣٣٠

البينة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٥	١٠

والعصر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾	١، ٣	٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥

فهرس
الأحاديث القدسية

فهرس الأحاديث القدسية

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ	أبو هريرة	١٥
ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ	أبو هريرة	١٥٦
من أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ	أبو هريرة	٢٣٧
يا ابن آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ	أبو هريرة	٢٢٠، ٣٣٢

فهرس
الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ	أبو هريرة	٧٥
أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ	أبو هريرة	٢٠٢
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	عدي بن حاتم	٣٢، ٢٢٦
أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا	أبو هريرة	١٤٠
أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ في الصَّلاَةِ	أبو هريرة	١٣١
أَدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَكَ	أبو هريرة	٥٨
إذا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ	أبو هريرة	٣٠٨
إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ	أبو هريرة	١٩٦
إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ	أبو هريرة	١٢١
إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ	أبو هريرة	١٥٦، ٢٢٣

أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ	عبد الله بن عمرو	٥٩
أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا	عبد الله بن عمرو	١٧٦
اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ	ابن عباس	٩٢
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ	زيد بن ثابت	٢٢٣
أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ	أنس	١٣٥
ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ	ابن عمر	٦٠، ١٢٢، ١٩٦
ألا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً	النعمان بن بشير	٢٤٢
إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ على المُنَافِقِينَ	أبو هريرة	٢٧٢
إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ الله	عبد الله بن عمر	٢٧١
إِنَّ الحَيَاءَ والإِيمانَ قُرَنَاءُ جَمِيعًا	عبد الله بن عمر	٦٦
إِنّ الله عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ	يعلى بن أمية	٦٨
إن الله عَزَّوَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَم	سهل بن سعد	٣٠
إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا	عياض بن حمار	٢٥٤، ٣١٦
إِنَّ الله لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إلا	أبو أمامة	١١

إِنَّ المُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ على أَهْلِه	أبو مسعود البدري	١٥٥
أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ	سهل بن سعد	٢١
إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم القِيَامَةِ	أبو هريرة	٩١
إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ	عمران بن الحصين	٥٨
أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ	أبو هريرة	٢٢٢
إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ	سلمان الفارسي	٦٨
أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أبي	أبو هريرة	٢٢٤
أن رسول الله ﷺ كان يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ	أنس	١٧٥
إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلَاءِ	أنس	٤٨
إِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	عائشة	٢٩٥
إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا	أنس	٦٧
إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ	أبو مسعود البدري	٦٤
إِنَّ من إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ	أبو موسى الأشعري	١٨٢
إِنَّ من أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ	سعيد بن زيد	٢٠٥

إنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ تَيْسِيرَ	عائشة	١٩٣
إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ	أبو مسعود البدري	١٢١
إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ	أبو هريرة	٢٩٤
أولُّ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ	أبو الدرداء	٢٤٠
آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ	أبو هريرة	٥٦، ١٧٧
البُزَاقُ في المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ	أنس	١٤٥
بَشِّرْ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ	بُرَيْدَة بن الحصيب	٢٧٢
تجتمع مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ	أبو هريرة	٢٦٩
ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلبُ مُسْلِمٍ	ابن مسعود	١٢
جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ	أنس	١٢٨
حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ	أبو هريرة	٤٦
حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل	ابن عباس	٩٧
الحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإِيمَانِ	أبو هريرة	٦٧
الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ	عمران بن حصين	٦٩

دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ	الزبير بن العوام	٢٥٩
رُبَّ صَائِمٍ ليس له من صِيَامِهِ	أبو هريرة	٧٨
رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل عليه رَمَضَانُ	أبو هريرة	٨١
رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ من	عائشة	٢٧١
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظِلِّهِ	أبو هريرة	٢٢٢
سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فإن تَسْوِيَةَ الصَّفِّ	أنس	١٢٩
الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ	أبو مالك الأشعري	٢١٧
الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ	معاذ بن جبل	٢١٨
الصَّدَقَةُ على المِسْكِينِ صَدَقَةٌ	سلمان بن عامر	٢٢١
صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي	مالك بن الحويرث	١٢٠، ٢٦٩
عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي	أنس	١٤٥
عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه	أبو أمامة الباهلي	١١٣
فإذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ	أبو هريرة	٥٥
فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي	جرير بن عبد الله	٢٣٦

فُضِّلنَا على النَّاسِ بِثَلَاثٍ	حذيفة	١٢٩
كان النَّبِيُّ ﷺ يقول: اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ	أنس	١٦٦، ٣٢١
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ	ابن عباس	٣١
كان رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ الناس	أنس	١٦٣
كان رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً	أبو سعيد الخدري	٦٥
كان رَسُولُ الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا	النعمان بن بشير	١٣٢
كان رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا	أبو مسعود البدري	١٣٣
كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ	أبو برزة الأسلمي	١١٠، ٢٧٦
كأَنِّي أَنْظُرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي	ابن مسعود	٤٠
كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ	عبد الله بن عمرو	٣١٥
لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ له	أنس	٥٧
لَا تَحَاسَدُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَقَاطَعُوا	أنس	٢٦٠
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناس	أنس	١٤٤
لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ	ابن مسعود	٢٦٥

لَا سَمَرَ إلا لِمُصَلٍّ أو مُسَافِرٍ	ابن مسعود	١١١
لاَ يَنْقُصُ مَالٌ مِن صَدَقَة	عبد الرحمن بن عوف	٢١٩
لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ	النعمان بن بشير	١٣١
لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهم	أنس	٢٠٦
اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الجُبْنِ	سعد بن أبي وقاص	٣٤
لو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على الله	عمر	١٠٠
ليس مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا عمر	عمر	١٨١
ما أُعْطِيَ أَحَدٌ من عَطَاءٍ خَيْرٌ	أبو سعيد الخدري	٤٩
ما أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ المَسَاجِدِ	عبد الله بن عباس	١٤٣
ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ	أنس	١٢٠
ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شَانَهُ	أنس	٧٠
ما من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً	معقل بن يسار	٥٤
ما من يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه	أبو هريرة	٢١٨
المُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ	أسماء	٢٤٩

مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ	أبو موسى الأشعري	٢٨٥
المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ	فضالة بن عبيد	١٥، ١٥١، ٣٢٤
المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	أبو هريرة	٥٦
المَسْجِدُ بَيْتُ كل تَقِيٍّ	سلمان الفارسي	١٤١
المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ	أبو هريرة، عبد الله بن عمرو	٥٧، ٢١٢
من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ	عبيد الله بن مِحْصَن	٨٨
من أَكْرَمَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا	أبي بكرة	١٨٤
من بَنَى مَسْجِدًا لله	عثمان	١٤٢
من بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِه	عثمان	١٤٣
من دَعَا إلى هُدًى كان له	أبو هريرة	١٥٣
مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ	أبو مسعود البدري	١٥٤
من رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ	أبو الدرداء	٢٠٦
من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا	أبو هريرة	٨١
من صلى البَرْدَيْنِ دخل الجَنَّةَ	أبو موسى الأشعري	٢٧٠

من صلى الصُّبْحَ فَهُوَ في ذِمَّةِ الله	جندب بن عبد الله	٣٧٠
من كان يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ	أبو شريح العدوي	٢٩٦
من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ	أبو هريرة	٧٩
من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا	عبد الله بن عمرو	١٨٧
من وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله	عبد الله بن عمر	١٣٤
مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله	أبو سعيد الخدري	٤٥
من يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله	أبو هريرة	٢٢
المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ	أبو هريرة	٣١
نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ	ابن عباس	٨٩
وَاعْلَمْ أن في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ	ابن عباس	٤٧
وَهَل يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ	معاذ بن جبل	٢١١
يا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ	بُرَيْدَة بن الحصيب	٢٣٥
يا مَعْشَرَ من آمَنَ بِلِسَانِهِ ولم يَدْخُل	أبو برزة	٢٠٤
يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي	أنس	١٧٥

يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ على الكَبِيرِ	أبو هريرة	١٨١
يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ	أبو هريرة	٢٧٤
يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله	أبو مسعود البدري	١١٦
ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ	المقدام بن مَعْدِ يكرب	٣٢٥

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتَّقُوا اللهَ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ	الأوزاعي	٢٨٧
أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي	معاذ بن جبل	١٥٨
أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ من أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ	ابن أبي مليكة	١٧١
أَلَا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ	عمر بن الخطاب	١٩٢
إِن النَّاسَ أو أَكْثَرَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَدَبُّر	الشافعي	٣٠٢
إِنْ كَانَ الخلفُ عَلَى اللهِ حَقًّا	الإمام أحمد	٣٥
إِنِّي أَدْرَكْتُ بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُمْ صَدْرًا حَسَنًا	أبو رجاء العُطاردي	١٧٢
إِيَّاكُمْ والبِطْنَةَ فَإِنَّهَا تُقسي القَلبَ	سفيان الثوري	٨٠
أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هَذَا الَّذِي تُبْصِرُ بِهِ	يونس بن عبيد	٨٨
البِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى الشَّيْطَانِ مِنَ المَعْصِيَةِ	سفيان الثوري	٢٨١

بِهَذَا ارْتَفَعَ القَوْمُ	الإمام أحمد	١٣
تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ	أبو الدرداء	٢٤٣
تَنَحَّ يَابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ	زيد بن ثابت	١٨٣
دُعِيَ عُمَرُ لِجَنَازَةٍ فَخَرَجَ فِيهَا	حُذَيْفَةُ	١٧٢
ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الصَّبْرَ فِي القُرْآنِ	الإمام أحمد	٣٨
رأسُ مَالِ المؤمنِ دينُه	الحسن البصري	٢٨٦
رأيت الرَّجُلَ مِنَّا يُلزِقُ	النعمان بن بشير	١٣٥
رُؤُوسُ النِّعم ثَلَاثَةٌ	وهب بن منبه	٨٧
فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَقَلَّبُ عَنْ دِينِهِ	أبو الدرداء	١٧٤
كان الرَّجُلَانِ مِنْ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ	أبو مدينة الدارمي	٣٠٨
الكَرَمُ: التَّبَرُّعُ بالمعْرُوفِ	الحسن بن علي	٣١
كنا إذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ في صَلاَةِ العِشَاءِ	عبد الله بن عمر	٢٧٣
لَا أُحِبُّ لأحدٍ أَنْ يجالِسَهُم	الإمام أحمد	٢٨٢
لا تُجَالِسْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ فَإِنَ مُجَالَسَتَهُمْ	ابن عباس	٢٨٣

لا تُجَالِسُوا أهلَ الأَهْوَاءِ	أبو قلابة	٢٨٣
لا تُمَكِّنْ صاحبَ البِدْعَةِ مِنْ سَمْعِكَ	مسلم بن يسار	٢٨٣
لَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانَتِ الدُّنْيَا	الحسن البصري	٢٣
لَوْ خَشعَ قَلبُ هَذَا خشعتْ جَوَارِحُهُ	سعيد بن المسيب	٢٤٣
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي سُورَةِ (والعَصْرِ)	الشافعي	٣٠٣
مَا خَافَهُ أي: النِّفاق إلا مُؤْمِنٌ	الحسن البصري	١٧٠
مِن السُّنّة أن يُوقّر أَرْبَعَةً	طاووس بن كيسان	١٨٣
مِن النِّفَاقِ اخْتِلَافُ القَلبِ واللِّسَانِ	الحسن البصري	٢٤٣
مَن كان مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ	ابن مسعود، الحسن البصري	٣٠٩
نَافَقَ حَنْظَلَةُ	الحنظلة بن الربيع	١٧٣
هكذا حَفِظْنَا وهكذا وقع في كتابي	الإمام مالك	٧
هَكَذَا نَفْعَلُ بالعُلَمَاءِ والكُبَرَاءِ	ابن عباس	١٨٣
واللهِ الَّذِي لا إلٰه غيرُه ما أُنْزِلَتْ	ابن مسعود	٢٥٣
وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بالصَّبْرِ	عمر بن الخطاب	٤١

وكان أَحَدُنَا يُلزِقُ مَنْكِبَهُ	أنس	١٣٥
وَلَوْ ذَهَبْتَ تَفْعَلَ ذلك اليوم	أنس	١٣٦
وَمَا يُؤْمِنُني مِنْهُ، وَقَدْ خَافَهُ عُمَرُ	الحسن البصري	١٧٣
ومن يَأمَن عَلَى نَفْسِهِ النِّفَاقَ	الإمام أحمد	١٧٤
يابْنَ آدَمَ إِذَا أَرَدتَ أَنْ تَعْلَمَ	بكر المزني	٨٧

فهرس
الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
أَلَا قُل لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا	أحد الشعراء	٢٦٢
وكيف أخافُ الفقرَ واللهُ رَازِقِي	أحد الشعراء	٣٥
يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدتَنَا	أحد الشعراء	٢٩٠

المصادر المعتمدة

المصادر المعتمدة

١- الإبانة الكبرى لابن بطة/ ط. دار الراية- الرياض.

٢- أحكام القرآن لابن العربي/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مُفلح/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤- الأذكار للإمام النَّوَوِي / ط. دار ابن كثير- دمشق.

٥- الاستذكار لابن عبد البر/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير/ ط. التراث العربي- بيروت.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٨- الاعتصام للشاطبي/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٩- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لأبي حفص البزار/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم/ ط. دار الجيل – بيروت.

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القَيِّم/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

١٢- أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية/ ط. دار القاسم- السعودية.

١٣- بدائع الفوائد لابن القَيِّم/ ط. مكتبة الباز- السعودية.

١٤- بر الوالدين لابن الجوزي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٥- بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي/ ط. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.

١٦- بهجة قلوب الأبرار للسعدي/ ط. دار الرشد- السعودية.

١٧- تاريخ بغداد/ ط. دار الغرب – بيروت.

١٨- تاريخ دمشق لابن عساكر/ ط. دار الفكر- بيروت.

١٩- التبصرة لابن الجوزي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٠- التبيان في أيمان القرآن لابن القَيِّم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٢٠- تحفة الأحوذي للمباركفوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- التعريفات للجرجاني/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت

٢٢- التعليق المغني على الدارقطني شمس الحق العظيم آبادي/ ط. الرسالة- بيروت.

٢٣- تفسير ابن كثير/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢٤- تفسير البغوي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٢٥- تفسير السّعْدِي/ ط. مؤسسة الرسالة.

٢٦- تفسير الطبري/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢٧- تفسير القرطبي/ ط. دار الشعب- القاهرة.

٢٨- تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٢٩- التمهيد لابن عبد البر/ ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب.

٣٠- التنوير الحوالك للسيوطي/ ط. المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

٣١- التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي/ ط. مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.

٣٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير/ ط. مكتبة البيان- سوريا.

٣٣- جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٣٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب/ ط. مؤسسة الرسالة.- بيروت.

٣٥- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٣٦- جلاء الأفهام لا بن القيم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٣٧- الجواب الكافي لابن القَيِّم/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٣٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٣٩- حاشية السِّنْدِي على سنن النسائي/ ط. مكتب المطبوعات الإسلامية- سوريا.

٤٠- حجة الله البالغة للدَّهْلَوِي/ ط. دار الجيل- بيروت.

٤١- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني/ ط. دار الفكر- بيروت.

٤٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي/ ط. دار القاسم- السعودية.

٤٣- الدِّين الخالص لصديق حسن خان/ ط. وزارة الأوقاف القطرية.

٤٤- ذَمُّ الهَوَى للإمام ابن الجوزي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

٤٥- رسالة ابن القَيِّم إلى أحد إخوانه/ ط. مطابع الشرق الأوسط- السعودية.

٤٦- رسالة التبَّوُكِية لابن القَيِّم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٤٧- الرُّوح لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٩- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٠- رياض الصالحين للنَّوَوِي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٥١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٥٢- زاد المعاد لابن القَيِّم/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٥٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥٤- سبل السلام الموصِّلة لبلوغ المرام للصنعاني/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٥٥- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني/ ط. دار المعارف- السعودية.

٥٦- سنن ابن ماجه/ ط. دار إحياء الكتب العربية- بيروت.

٥٧- سنن أبي داود/ ط. المكتبة العصرية- بيروت

٥٨- سنن الترمذي/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٩- السنن الكبرى للبيهقي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٠- سنن النسائي/ ط.مكتب المطبوعات الإسلامية- دمشق.

٦١- سير أعلام النبلاء للذهبي/ ط. الرسالة- بيروت.

٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي/ ط.دار طيبة- السعودية.

٦٣- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن عثيمين/ ط. دار الوطن- الرياض.

٦٤- شرح الزُّرْقَاني على موطأ الإمام مالك/ ط.مكتبة الثقافة- القاهرة.

٦٥- شرح السُّنَّة للبَغَوِي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٦٦- شرح القصيدة النونية ابن القَيِّم للهراس/ ط.دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٧- الشرح الممتع للشيخ ابن عُثَيْمِين/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٦٨- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط.دار الوطن- الرياض.

٦٩- شرح صحيح البخاري لابن بَطَّال/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧٠- شعب الإيمان للبيهقي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧١- الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض/ ط. دار الفكر- بيروت.

٧٢- الشُّكْر لابن أبي الدنيا/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٧٣- صحيح البخاري/ ط. دار الأفكار- بيروت.

٧٤- صحيح الترغيب والترهيب للألباني/ ط.دار المعارف- السعودية.

٧٥- صحيح الجامع الصغير للألباني/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٧٦- صحيح مسلم/ ط. دار المغني- السعودية.

٧٧- صفة المنافق للفريابي/ ط. دار الخلفاء- الكويت.

٧٨- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القَيِّم/ ط. دار العاصمة- السعودية.

٧٩- صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح/ ط. دار الغرب الإسلامي- بيروت.

٨٠- صيد الخاطر لابن الجوزي/ ط.دار القلم- سوريا.

٨١- طبقات الحنابلة لأبي يعلى/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القَيِّم/ ط.دار ابن القَيِّم- السعودية.

٨٣- عُدَّة الصابرين وذَخِيرَة الشاكرين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٨٤- عُمْدَة القاري شرح صحيح البخاري للعيني/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٨٦- غريب الحديث للخطابي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٨٧- فتاوى الإسلامية/ ط.دار الوطن- السعودية.

٨٨- فتاوى الشيخ ابن باز/ إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر.

٨٩- فتاوى نور على الدرب لابن باز/ ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء- السعودية.

٩٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر/ ط. دار المعرفة- بيروت

٩١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب/ ط. مكتبة الغرباء- السعودية.

٩٢- فتح الرحيم الملك العلام للسِّعْدِي/ ط. دار الفضيلة- السعودية.

٩٣- فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

٩٤- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسَّخَاوِي/ ط. دار المنهاج- السعودية.

٩٥- الفُرُوسِيَّة لابن القَيِّم/ ط. دار الأندلس- السعودية.

٩٦- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي/ ط. دار ابن الجوزي-

السعودية.

٩٧- الفوائد لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٨- فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المُنَاوِي/ ط. المكتبة التجارية- مصر.

٩٩- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعِزِّ بن عبد السلام/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٠- القول السديد في مقاصد التوحيد للسِّعْدي/ ط. دار المغني- السعودية.

١٠١- كشف المُشْكِل من حديث الصحيحين لابن الجوزي/ ط.دار الوطن- السعودية.

١٠٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفومي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٠٣- لسان العرب لابن مَنْظُور/ ط. دار صادر- بيروت.

١٠٤- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

١٠٥- اللقاء الشهري لابن عُثَيْمِين/ ط. تفريغ موقع الشبكة الإسلامية.

١٠٦- مجموع الفتاوى لابن تيمية/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١٠٧- المجموع شرح المهذب للنووي/ ط. دار الفكر- بيروت.

١٠٨- مجموع فتاوى الشيخ ابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٠٩- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/ ط. مكتبة لبنان- بيروت.

١١٠- مدارج السالكين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١١١- مداواة النفوس لابن حزم/ ط. دار القلم- سوريا.

١١٢- المدخل لابن الحاج المالكي/ ط. مكتبة التراث- مصر.

١١٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري/ ط.دار الفكر- بيروت.

١١٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٥- المُسْتَطْرَف في كل فَنٍّ مُسْتَظْرَف للأبشيهي/ ط.عالم الكتب- بيروت.

١١٦- مسند الإمام أحمد/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٧- مسند البزار/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٨- مسند الشَّامِيِّين للطبراني/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض/ ط.مكتبة العتيقة.

١٢٠- مصنف ابن أبي شيبة/ ط. مكتبة الرُّشْد- السعودية.

١٢١- مصنف عبد الرزاق/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

١٢٢- معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي/ ط. المطبعة العلمية- سوريا.

١٢٤- معجم الأوسط للطبراني/ ط. دار الحرمين- مصر.

١٢٥- معجم الكبير للطبراني/ ط. مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١٢٦- المغني لابن قدامة/ ط. دار عالم الكتب- السعودية.

١٢٧- مفتاح دار السعادة لابن القَيِّم/ ط.دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢٨- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني/ ط.دار القلم- سوريا.

١٢٩- الملخص الفقهي للشيخ الفوزان/ ط. دار العاصمة- السعودية.

١٣٠- منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط.جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية.

١٣١- منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط. دار المعرفة.

١٣٢- الموافقات للإمام الشاطبي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

١٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير/ ط. لمكتبة العلمية- بيروت.

١٣٤- نيل الأوطار للشوكاني/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

١٣٥- الوابل الصَّيِّب من الكلام الطيب لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٣٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

❁ مقدمة المؤلف: ٥

تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة
(المجموعة الخامسة)

❁ الإخلاص سبيل الخلاص ١٠

❁ تذكير الأخيار بفضل خُلق الإيثار ٢٠

❁ تذكير المسلم بفضل خلق الكرم ٣٠

❁ تذكير المسلمين بمكانة الصبر في الدين ٣٨

❁ حفظ الأمانة ٥٢

❁ خُلُق الحياء ٦٤

❁ رسالة إلى من أدرك شهر رمضان! ٧٤

❁ نعمة الصحة ٨٦

❁ تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين ٩٦

❁ السهر ١٠٨

❁ رسالة نصح وتذكير إلى أئمة المساجد ١١٦

- تسوية الصفوف في صلاة الجماعة ١٢٨
- تذكير الأنام بمكانة المسجد في الإسلام ١٤٠
- تذكير الأحباب بأهمية الاحتساب ١٥٠
- خلق الشجاعة ١٦٠
- فلنحذر من النفاق الأصغر! ١٧٠
- تذكير الأنام بأن توقير الكبار من تعاليم الإسلام ١٨٠
- آفة المغالاة في المهور ١٩٠
- تذكير أهل الإسلام أن الغيبة من كبار الآثام! ٢٠٢
- تذكير أهل الإيمان بأن الصدقة برهان ٢١٦
- تذكير البشر بالواجب نحو نعمة البصر ٢٣٠
- فلنحذر من خشوع النفاق! ٢٤٠
- مدح النفس ٢٤٨
- داء الأمم ٢٥٨
- صلاة الفجر ٢٦٨
- تحذير المسلمين من مجالسة المضلين ٢٨٠
- إكرام الضيف ٢٩٠
- أين نحن من تدبر هذه السورة العظيمة؟! ٣٠٠
- داء الحقد ٣١٢
- داء الكسل ٣٢٠

من الفائز؟!..... ٣٣٠

الفهارس العامة للكتاب

فهرس الآيات القرآنية ٣٤٠
فهرس الأحاديث القدسية ٣٥٢
فهرس الأحاديث النبوية ٣٥٤
فهرس الآثار ٣٦٦
فهرس الأبيات الشعرية ٣٧٢
المصادر المعتمدة ٣٧٤
فهرس الموضوعات ٣٨٩

المجموعة السادسة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستَعِينُه، ونستَغفِرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرُور أنفُسِنَا ومِن سيِّئات أعمَالنَا، مَن يَهْدِه اللهُ فلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادِيَ له.

وأشهدُ أن لَا إلٰه إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُه ورسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ أصدَقَ الحديث كتَاب الله، وخيْرَ الهدي هدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمُور محْدَثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعَةٍ ضلالة، وكل ضلَالةٍ في النَّار.

إنَّ مِن توفيق ربِّ البريَّات، وتسْهِيل ربِّ الأرْض وَالسَّموات- أيُّها الإخوة والأخوات- أنْ مَنَّ عليَّ بكِتَابة هَذِهِ المقَالَاتِ الَّتي تضَمَّنَت نَصَائحَ تربويَّة، ورسَائل توجيهيَّة، ووصَايا إيمَانيَّة إلى أبنَاء أُمَّتِنَا الإسْلَاميَّة.

والَّتي جعَلتُها المجموعَة السَّادسة لكتاب: «**تَنْبِيه الأُمَّة علَى مَسَائل وأَحْكام شَرْعِيَّة مُهِمَّة**».

فمَا كان فيها مِن صواب- أيُّها الأحباب- فهُوَ مِن توفيق العَزيز الوهَّاب، وأحمَدُه سبحانهُ وأشكرُه علَى أنْ وفَّقني لجمع هَذِهِ المقالَات في هَذَا الكِتَاب.

وما كان فيه مِن خطإٍ أو سَهْوٍ أو نسيَانٍ فمِنْ مُصنَّفِه المُقَصِّر، ومِن الشَّيطَان، وأستَغفِرُ علَى ذَلِكَ الغَفُورَ المنَّان، وأتُوب إلى العِزيز الرَّحمن.

فاللهُ جَلَّوَعَلَا «أبَى أنْ يكسُوَ ثوبَ العِصْمَة لغَيْر الصَّادق المصْدُوق، الَّذِي لا يَنطِق عن الهوَى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[١].

فجزَى اللهُ عنَّا كلَّ قارئٍ وجَدَ في الكتاب سَهْوًا فَنَصَحَ، أو رَأى فيهِ خَلَلًا فذكَّرَنا وأصلَح، ومَن مِنَّا- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَان- يَسْلَم مِن الخطإِ والسَّهوِ والنِّسْيَان؟!

يَقُولُ الإمامُ مَالِكٌ رَحِمَهُٱللَّهُ: «هكَذا حَفِظْنَا، وهكذا وَقَعَ في كِتَابي، ونحن نُخْطِئ، ومَنْ يَسْلَم مِن الخطَإ؟»[٢].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أنْ يَنْفَعَنا جميعًا بهَذِهِ المَقَالَات، وأنْ يجعَل ما سُطرَ فيها خالصًا لوجهِه الكريم، وأنْ يُثِيبَ كُلَّ مَن أعانَ علَى طِباعَة الكتَاب، وأَسْهَمَ في نَشْرِهِ وتَوْزيعِه بيْنَ المُسْلِمِينَ؛ فهو سُبحانه وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا محمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

كتبَه

أبو عَبْدِ الله حَمْزَةُ التَّايلي

(الخريطيات- قَطَر)

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٣/ ٣٩٤).

(٢) «فتح المغيث» للسَّخَاوي (٢/ ١٦)، «شرح الموطأ» للزرقاني (٣/ ١١٦).

قَبُول الحَق!

قَبُول الحَق!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ علَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق الجمِيلَة، والصِّفات الكَرِيمة الَّتي فُطِرَ عليها الخَلقُ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأفاضلُ- هي: قَبُول الحَق!

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإنسَانُ يُولَد مَفطُورًا على قَبُول الحَق، فإنْ هَدَاه اللهُ- تعالى- سبَّبَ له مَن يُعَلِّمُه الهُدى؛ فصَار مَهْدِيًّا بالفِعْل بَعْدَ أنْ كان مَهدِيًّا بالقُوَّة، وإنْ خذَله اللهُ قَيَّض له مَن يُعلِّمُه مَا يُغَيِّر فِطْرَتَه»(١).

لكن هَذِهِ الخصْلَة الحمِيدَة- أَيُّها الكِرَامُ- قد انْدَثَرتْ عند الكثير مِن الأنَامِ إلَّا مَن عَصَمَهُ العَزِيزُ العَلَّام.

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ اللهَ- تعالى- خلَقَ عِبَادهُ

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٢٥).

حُنفاءَ مَفطُورين علَى قَبُول الحَق، وإيثَاره؛ فجَاءتهم الشَّياطِينُ؛ فاجْتالَتْهُم عن هَذَا الخُلُقِ الجَمِيل، وزيَّنت لهم الشَّرَّ، والشِّركَ، والكُفْرَ، والفُسُوقَ، والعِصْيَانَ»[(١)].

ومِمَّن صَانَهُم الحفيظُ الجبَّار مِن هَذَا الانحِرَاف والاندِثَار: أهل السُّنة والاتِّباع الَّذِين يَدُورُونَ مع الحقِّ حيْثُ دارَ.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّهم- أي: أهل السُّنة المَحْضَة- أَوْلَى الطَّوائف بهَذَا؛ فإنَّهُم يَصْدُقُون ويُصدِّقُون بالحَقِّ في كلِّ ما جاء به، وليْسَ لهم هوًى إلَّا مع الحَقِّ»[(٢)].

فَهُم- أيُّها الإخوة والأخوات- بفَضْل ربِّ البرِيَّات- يَقبَلُون الحقَّ حتَّى وإنْ جاء ممن يُخالفُهم مِن أهل البِدَع والمُنكرَات.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقَولُ الحقُّ الَّذِي يَقُوم عليه الدَّليل يُقْبَلُ مِن كُلِّ مَنْ قالَهُ»[(٣)].

لأنَّهم يَعلمُون أنَّ رَدَّ الحق وعدَم قَبُوله هو مِن عَلَامات الكِبر الَّذِي هو طريقٌ لكلِّ شَرٍّ؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(٤)].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٠٤).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٩٠).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٦).

(٤) رواه مسلم (٩١).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَعل الكِبر نوْعَيْن:

كِبر النَّوع الأوَّل: على الحَقِّ، وهو ردُّه وعدَم قَبُوله، فكل مَن ردَّ الحقَّ فإنَّهُ مُستَكْبِرٌ عنه بحسب ما ردَّ مِن الحقِّ، وذَلِكَ أنَّه فَرَضَ على العِبَاد أنْ يخضَعُوا للحقِّ الَّذِي أرسَل اللهُ به رسُلَه، وأنزَلَ به كتُبه.

فالمُتكَبِّرون عن الانقِيَاد للرُّسل بالكُلِّية كفَّارٌ مُخَلَّدون في النَّار؛ فإنَّه جاءهُم الحقُّ على أيْدِي الرُّسل، مؤيدًا بالآيات والبَراهين؛ فقامَ الكِبْر في قُلوبهم مانِعًا فرَدُّوه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وأمَّا المُتكبِّرون عن الانقِيَاد لبَعض الحقِّ الَّذِي يُخَالف رَأيهم وهوَاهُم، فهُمْ- وإن لم يَكُونوا كفارًا- فإنَّ معَهُم مِن مُوجبَات العِقَاب بحَسب ما معَهُم مِن الكِبر.

وما تأثَّروا به مِن الامتِنَاع عن قَبُول الحَقِّ الَّذِي تبيَّن لهم بَعْدَ مَجِيء الشَّرع به.

ولهَذَا أَجْمَعَ العُلَمَاءُ أنَّ مَن استبَانَتْ له سُنَّة رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يَحل له أن يَعْدِلَ عنها لقَول أَحَدٍ، كائنًا مَن كان.

فيَجب على طالِب العِلم أنْ يَعزم عَزْمًا جازمًا على تَقْدِيم قول اللهِ، وقَوْل رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قولِ كلِّ أحدٍ، وأنْ يَكُون أصلُه الَّذِي يرجع إليه، وأسَاسُه الَّذِي يَبْنِي عليه الاهتِدَاء بهَدْي

النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاجتِهَاد في معرفة مُرَاده، واتِّباعه في ذَلِكَ، ظاهرًا وباطنًا.

فمَتى وُفِّق لهَذَا الأمر الجليل؛ فقد وُفِّق للخَيْر، وصار خَطَؤه مَعْفُوًّا عنه؛ لأنَّ قصده العَام اتِّباع الشَّرع، فالخطأ معْذُورٌ فيه إذا فعل مُستَطاعه مِن الاستِدلَال والاجتِهَاد في معرفة الحق، وهَذَا هو المتوَاضِع للحَقِّ.

وأمَّا الكِبر على الخَلْقِ- وهو النَّوع الثاني-: فهو غَمْطُهم، واحتِقَارهم، وذَلِكَ ناشِئٌ عن عُجب الإنسَان بنَفْسِه، وتعَاظمه عليهم.

فالعُجْبُ بالنَّفس يَحْمِل عَلى التَّكبر علَى الخَلْقِ، واحْتِقَارهم، والاستِهْزَاء بهم، وتنْقِيصهم بقَوْلِه وفِعْلِه»[(١)].

ويَرَوْن كذَلِكَ- أيُّها الأفاضلُ- أنَّ مَن تَكَبَّر على اتِّباع الحَقِّ؛ ابْتُلِيَ باتِّباع البَاطل؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُسْتَكبِر عن الحقِّ يُبتَلى بالانقِيَاد للبَاطل»[(٢)].

وأنَّ مَن قَدَّم هَوَاه، وأعرَض عن الحَقِّ أذلَّهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وابتلَاه؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن تكبَّر عن الانقِيَاد للحق أذَلَّه

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٣١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢٩).

اللهُ ووضعَهُ وصغَّره وحقَّره»[١].

ويعلمون كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيَارُ- أنَّ الحقَّ لا يُعرف بالكَثْرةِ ولا بالرِّجَال، وإنَّما بالأدِلَّة والآثَار.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإيَّاكَ أن تغتَرَّ بما يَغتر به الجاهلُون، فإنَّهم يَقُولُون لو كان هؤلاء على حَقٍّ لم يَكُونوا أقل النَّاس عَدَدًا والنَّاس علَى خِلَافهم، فاعلم أنَّ هؤلاء هُم النَّاس، ومَن خَالَفَهُم فمُشبَّهُون بالنَّاس ولَيْسُوا بنَاسٍ، فما النَّاس إلَّا أهل الحَقِّ وإنْ كَانُوا أقلهم عَددًا»[٢].

فعَلَى المُسلمِ أنْ يَعلم أنَّ مِن تَوْفِيق العَزيز المنَّان لعَبدِه أن يجعَلهُ مِمَّن يَنقاد إلى الحقِّ مع مَن كان.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَنْ هدَاهُ الله- سبحانه- إلى الأخْذ بالحقِّ حيْثُ كان، ومَع مَن كانَ ولو كان مع مَن يُبغِضُه ويُعاديه، ورد البَاطل مع مَن كانَ ولو كان مع مَن يُحِبُّه ويُوالِيه، فهُو ممن هُدِيَ لما اختُلِفَ فيه مِن الحَقِّ، فهَذَا أعْلَم النَّاس، وأهْدَاهُم سبِيلًا، وأقْوَمهُم قِيلًا»[٣].

وأنَّ عدَم قَبُول الحَق، والإعْرَاض عنه، وعدم الانقِيَاد له هو مِن

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٣٣٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٧).

(٣) «الصواعق المُرسلة» (٢/ ٥١٦).

التَّكبُّر على العزيز المقْتَدِر.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن تكبَّر عن الانقِيَاد للحَقِّ ولو جاءه علَى يدِ صَغير، أو مَن يُبغِضُه أو يُعاديه فإنَّما تكَبُّره على الله، فإنَّ اللهَ هو الحَقُّ، وكلامُه حَقٌّ، ودِينه حَقٌّ، والحَقُّ صِفَتُه، ومِنْهُ، ولَهُ، فإذا ردَّه العبدُ وتكَبَّر عن قَبُوله: فإنَّما ردَّ على اللهِ وتكَبَّر عليه، واللهُ أَعْلَمُ»[(١)].

فليحذر أَشَدَّ الحَذَر مِن أنْ يَكُون مِن المُنْحَرفين الَّذِين هُم عن الحقِّ بَعِيدُون، ولهوَاهم مُتَّبِعُون!

وإذَا أراد أنْ يَكُون ممن يَدُور مَع الحق حيْثُ دار؛ فَلْيُخْلِص لأرْحَم الرَّاحِمين، ولْيَصدق مع ربِّ العَالمين، ثُم ليَبذُل في ذَلِكَ- أيُّها الأحباب- الطُّرق الشَّرعية، والوسَائل المرضِيَّة التي هي بعَوْن العَزيز الوَهَّاب ستَجْعَله مِن أهل الصَّواب.

ومِن ذَلِكَ: أنْ يجتَنِب الأسْبَابَ المانِعَة مِن قَبُول الحَق، والَّتي هي مَصْدَر كل حِرْمَان، وأسَاس كل خُسْرَان.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والأسْبَابُ المانعَةُ مِن قَبُول الحَق كثِيرةٌ جدًّا**:

فمنها: الجَهْلُ به، وهَذَا السَّبب هو الغَالب على أكْثَر النُّفوس،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٣).

فإنَّ مَن جَهِلَ شيئًا عادَاهُ، وعادَى أهلَهُ.

فإنَّ انْضَافَ إلى هَذَا السَّبب بُغضُ مَن أَمَرَهُ بالحَقِّ ومُعادَاتُه له وحَسَدُه كان المانعُ مِن القَبُول أقوى.

فإنْ انضَاف إلى ذَلِكَ إِلْفُه وعادَتُه ومَرْبَاه على ما كان عليه آباؤه، ومَن يُحِبُّه ويُعَظِّمه قَوِيَ المانِعُ.

فإن انْضَاف إلى ذَلِكَ توَهُّمُه أنَّ الحقَّ الَّذِي دُعِيَ إليه يَحول بَيْنه وبين جَاهِه وعِزِّه، وشَهَواته، وأغرَاضِه قَوِي المانعُ مِن القَبُول جدًّا.

فإن انْضَاف إلى ذَلِكَ خَوْفُه مِن أصحابِه وعَشِيرَته وقومِه على نفْسِه ومالِه وجاهه؛ كما وَقَع لِهِرَقْل مَلِك النَّصَارى بالشَّام على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازْدادَ المانعُ مِن قَبُول الحَقِّ قوةً؛ فإنَّ هِرَقْل عَرَفَ الحَقَّ، وهَمَّ بالدُّخول في الإسْلَام، فلم يُطَاوِعْهُ قَوْمُه، وخَافَهُم على نفْسِه؛ فاخْتَار الكُفْرَ على الإسْلَام بعَد ما تَبَيَّن له الهُدَى...

ومِن أَعْظَم هَذِهِ الأَسْبَاب: الحَسَد، فإنَّه دَاءٌ كامِنٌ في النَّفْس، ويرَى الحاسِدُ المَحْسُودَ قد فُضِّلَ عليه، وأُوتِيَ ما لم يُؤت نظِيره، فلا يَدَعُه الحَسَدُ أنْ يَنْقَاد له، ويَكُون مِن أَتْبَاعه، وهل مَنَع إبْلِيسَ مِن السُّجود لآدمَ إلَّا الحَسَدُ؟!

فإنَّهُ لما رآه قد فُضِّلَ عليه، ورُفع فوْقَه غصَّ بريقِهِ، واختار الكُفرَ على الإيمَان بعد أنْ كان بَيْنَ الملائكة.

وهَذَا الدَّاءُ هو الَّذِي مَنع اليَهُودَ مِن الإيمَان بعِيسَى ابنِ مَريم،

وقد عَلِمُوا عِلْمًا لا شَكَّ فيه أنَّه رسُولُ الله؛ جاء بالبَيِّنات والهُدَى؛ فحَمَلَهُم الحَسَد على أنْ اختَارُوا الكُفر على الإيمَان، وأَطْبَقُوا عليهِ، وهُم أُمَّةٌ فيهم الأحْبَارُ، والعُلَمَاءُ، والزُّهَّاد، والقُضاة، والمُلوك والأُمراء.

هَذَا وقد جاء المَسِيحُ بِحِكَمِ التَّوراة، لم يَأْتِ بشريعةٍ يُخالفها، ولم يُقَاتلهم، وإنَّما أَتَى بتحلِيل بعضِ ما حُرِّم عليهِمْ تخفِيفًا ورحمةً وإحسَانًا، وجاء مُكمِّلًا لشَريعة التَّوراة، ومع هَذَا فاختاروا كلهم الكُفرَ على الإيمَان!

فكيف يَكُون حالُهم مع نبِيٍّ جاء بشَريعةٍ مستَقِلَّةٍ ناسِخَةٍ لجمِيع الشَّرائع، مُبَكِّتا له بقَبائحهم، ومُناديًا على فضَائحهم، ومخرجًا لهم مِن دِيَارهِم، وقد قاتَلُوه وحارَبُوه، وهو في ذَلِكَ كلِّه يُنصَر عليهم، ويَظْفر بهم، ويَعْلُو هو وأصحَابه، وهم معه دائمًا في سِفَالٍ، فكيف لا يَملك الحَسَدُ والبَغْي قلوبَهُم!

وأيْنَ يَقعُ حالُهم مَعَه مِن حالهم مع المَسِيح، وقد أَطْبَقُوا على الكُفر به مِن بَعد ما تبيَّن لهم الهُدى، وهَذَا السَّببُ وحْدَهُ كافٍ في ردِّ الحقِّ، فكَيْف إذا انضَاف إليْهِ زوَال الرِّيَاسَات والمَأْكَلِ»[(١)].

فعلَيْنا دائمًا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- أنْ نَسْأل العَزِيز العَلَّام أنْ

(١) «هداية الحيارى» (ص١٦).

يُرْشِدَنا إلى الحَقِّ، ويُثبتنا عليه، وأنْ لا نَنظُر لِمَنْ قال، وإنَّما لما قِيل، ونجْعَل ضَابطَ الحَقِّ هو الكِتَاب والسُّنة وفَهْم سَلَف الأُمَّة الَّذِين هم خير الأنَام، وعلى رَأْسِهم صحابة نبيِّنا علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الهُدَى يَدُور مع الرَّسُول حيْثُ دار، ويَدُور مع أصْحَابه- دون أصحَابِ غيرِه- حيث دارُوا، فإذَا أجمَعُوا لم يُجْمِعُوا على خَطَإٍ»(١).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقَنا جميعًا لما يُحِبُّه ويرضاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلَنا مِن أهل الحَقِّ والاتِّبَاع، وأنْ يُجَنِّبَنا مَا يُبْغِضُه ويَأْبَاهُ، ومِن ذَلِكَ الانقِيَاد ورَاء الهوَى والابتِدَاع؛ فهو- سبْحَانهُ- على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابَةِ جَديرٌ.

وصَلَّ اللهم وسَلِّم على نَبيِّنا محمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «منهاج السُّنَّة النَّبَويَّة» (٥/ ٢٦٢).

احرص على ما ينفعك!

احرِص على ما يَنفَعُك!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ علَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما هو معروفٌ عند العُلمَاء، ومعلومٌ عند جميع العُقلَاء- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَفَاضِلُ- أنَّ السَّعادة الحقِيقيَّة لَيْسَت في السَّعي وراء ملذَّات زائلة، ولا في الرَّكض خَلْف شهَواتٍ مُنقَضِيَة، وإنَّما هي في حِرْص العَبد على ما يَنفعُه في الدُّنيا الفَانية، ويَوم وقُوفه بين يدَي ربِّ البرِيَّة؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَعادةُ الإنسَان في حِرصهِ علَى ما يَنفعُه في معَاشِهِ ومَعاده»[(١)].

فلا سَعادةَ حقِيقيَّة، ولا طُمأنينة أبدِيَّةَ للعَبد إذا لم يَحرص ويجتهد علَى العمل بالوصِيَّة الإيمَانية، الَّتي أوْصَاه بها خيرُ البَرِيَّة؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا**

---

(١) «شِفَاء العَلِيل» (١/ ١٩).

يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجِزْ»[١].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما «احْرِصْ» فبكسر الرَّاء، و«ولا تَعْجِزْ» بكَسْر الجيم، وحُكِيَ فَتحُهما جميعًا.

ومعناه: احْرِصْ علَى طاعة اللهِ تعالى، والرَّغبة فيما عِندَه، واطْلُب الإعَانةَ مِن الله تعالى على ذَلِكَ، ولَا تعْجِز ولا تَكْسل عن طَلَب الطَّاعة، ولا عَن طلَبِ الإعَانة»[٢].

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَمَرَهُ- أي: النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَبْدَ- بالحِرْص علَى الأسباب، والاستِعَانة بالمسَبِّب، ونهَاهُ عن العَجْز؛ وهو نوْعَان:

تقصِير في الأسْباب، وعدَم الحِرص عليها.

وتَقصِير في الاستِعَانة بالله، وترك تجرِيدهَا.

فالدِّينُ كُلُّه- ظاهِرهُ وباطِنُه، شَرَائعه وحقَائقه- تحت هَذِهِ الكلِمَات النَّبويَّة، والله أعْلَمُ»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ» كلامٌ جامعٌ نافعٌ، مُحْتَوٍ على سَعادة الدُّنيا والآخِرَة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ٢١٥).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٠١).

والأمور النَّافِعة قِسْمَان: أمور دينيَّة، وأمور دنيويَّة.

والعبدُ محتاج إلى الدُّنيوية، كما أنَّه محتاج إلى الدِّينية.

فَمَدَارُ سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد في الأمور النَّافِعة منهما، مع الاستعانة بالله تعالى.

فَمَتى حَرِص العَبْدُ على الأمورِ النَّافِعة، واجتهد فيها، وسَلَك أسبابَها وطُرُقَها، واستَعان بربِّهِ في حصولها وتكميلها كان ذَلِكَ كمالُه، وعنوان فلَاحه!

ومَتَى فَاتَه وَاحِدٌ من هَذِهِ الأمور الثَّلاثة فَاتَه مِن الخير بِحَسَبِها!

فَمَن لم يكن حريصًا على الأمور النَّافِعة، بل كان كَسْلانَ، لم يُدْرِك شيئًا، فالكسَلُ: هو أصل الخيبة والفشَل.

فالكَسْلَانُ لا يُدرك خيرًا، ولا يَنال مَكْرُمة، ولا يَحْظى بدينٍ ولا دُنيا.

ومتى كان حريصًا، ولكن على غير الأمور النَّافِعة: إمَّا على أمور ضارَّة، أو مُفَوِّتة للكمال كان ثَمَرَةُ حِرصه الخَيْبَةَ، وفَوَات الخير، وحصول الشَّر والضَّرَر؛ فكَم مِن حَرِيصٍ على سلوك طُرق وأحوَال غير نافعة لَم يَستفد مِن حرصه إلَّا التَّعَب والعَناء والشَّقاء»[1].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٥٠١).

وإنَّ مما يَنبغي على كُلِّ مَن أراد النَّجاحَ والفَلَاح في الدَّارَيْن أن يحرص عليه- أيُّها الأفاضلُ- هو:

١- أن يُحَقِّق الغاية الحميدة، والأمر العظيم التي خُلق مِن أجلها، ووُجِد بسببها، ألَا وهي: عبادته- سبحانه- وَحْدَهُ لا شريك له؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا تصريحٌ بأنهم خُلقوا للعبادة، فحَقَّ عليهم الاعتِنَاءُ بما خُلِقوا له، والإعْرَاض عن حظُوظ الدُّنيا بالزَّهادة؛ فإنَّها دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ، فَلِهَذَا كان الأيْقَاظُ مِن أهلِها هم العُبَّاد، وأَعْقَلُ النَّاس فِيها هُم الزُّهَّاد»(١).

٢- أن يُخْلِص عِبَادته لِخَالِقِه جَلَّجَلَالُهُ؛ تحقيقًا لما أَمَرهُ به سبحانه، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

يَقُولُ الإِمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن لم يُخلص لله في عِبَادته لم يَفعل ما أُمِر به، بل الَّذِي أُتِي به شَيْءٌ غَير المَأمور به؛ فلَا يَصِحُّ، ولا يُقْبَلُ مِنه»(٢).

---

(١) «رياض الصالحين» (ص٣).

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩١).

لأنَّ أعمالَ الأَنَام لا يَقْبَلُها الرَّحمنُ- أَيُّها الكِرَامُ- إلَّا إذا كانت له خَالِصَةً، وأُرِيدَ بها وجهُ العَزِيز العَلَّام؛ فَعَن أَبي أُمَامةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِلَّا مَا كَانَ لهُ خَالِصًا**»، أي: عن الرِّياء والسُّمعة، «**وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»، ومَن أراد بعملِه الدُّنيا وزِينتها دون الله والآخِرَة؛ فحَظُّه ما أراد، وليس له غيره، والرِّياء مِن أكبر الكبَائر وأخبَث السَّرائر، شَهِدَت بِمَقْتِه الآياتُ والآثارُ، وتَوَاترَتْ بذَمِّه القَصَصُ والأخبار، ومَن استحْيَا مِن النَّاس ولم يَسْتَحِ مِن الله؛ فقد استَهانَ به، وويلٌ لمن أَرْضَى اللهَ بلسانِه، وأَسْخَطَه بِجَنَانِه»(٢).

وكذَلِكَ مُوافقة ما جاء به سيِّدُ المُرسَلِين، وخَاتَمُ النَّبِيِّين علَيْهِ أفضَلُ الصَّلاة والتَّسلِيم؛ **يَقُولُ الإِمامُ الذَّهبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «فلا تَقْوَى إلَّا بعملٍ، ولَا عمَلَ إلَّا بتَروٍّ مِن العِلم والاتِّباع، ولا يَنفع ذَلِكَ إلَّا بالإخلاص لله»(٣).

فَجِمَاعُ الدِّين- أَيُّها الأَفاضِلُ- يَرجع إلى هذين الأصلين

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصحيحة» (٥٢).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٠/ ٢٦٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١).

العَظِيمَين؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاع الدِّين أَصْلَان:

- أن لا نَعبد إلَّا الله.

- ولا نَعْبُدُه إلَّا بما شَرَع؛ لا نَعبدُه بالبِدَع»[١].

فلا فوْزَ، ولا سَعَادةَ، ولا نجَاحَ، ولا فلَاحَ في الدُّنيا والآخِرَة إلَّا باتِّباع هدَيْ خير الأنَام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يُحِبُّك اللهُ إلَّا إذا اتَّبعْتَ حبِيبَهُ ظاهرًا وباطنًا، وصدَّقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوةً، وآثرته طوعًا، وفَنيت عن حُكم غيره بحكمِه، وعن محبَّة غيره مِن الخلق بِمَحَبَّتِه، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذَلِكَ فلا تَتَعَنَّ، وارجع من حيث شِئْتَ، فالتمس نُورًا فلسْتَ على شيء»[٢].

٣- أن يَعْرِف قِيمةَ زمَانِه، وشَرَف وَقْتِه؛ فيَصْرِف ساعاته، ويَقضي لحظاتِه فيما يُرضي خالقَه جَلَّجَلَالُهُ، فيَحرص على فِعْل الوَاجبَات والإكثَار من الطَّاعات، ويجتنب جميع المحرَّمات والمُنكرَات، ومَا لا فائدةَ فيه من الأقوال والأفعال!

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي للإنسانِ أن يَعرف شَرَفَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧).

زِمانه، وقَدْر وَقْتِه؛ فلا يُضَيِّع منه لحظةً في غير قُرْبة، ويُقَدِّم الأفضَلَ فالأفضل مِن القَوْل والعَمَل»[١].

٤- **أن يَنْشَغل بتقويم عَيْبِه، وإصْلَاح سَريرته،** ومَا عنده مِن خلَلٍ، ويَنصح بالحكمة والموعظة الحَسَنة غيرَهُ إنْ رأى منهم تقصيرًا أو إضاعةً لما أمرَهُم به الحكيمُ الخبير.

والأفضل: أن يَنصحهم في السِّرِّ؛ فإن ذَلِكَ أرْجَى لقَبُول الحَقِّ، والعملِ بمَضمُونه؛ **يَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وكان السَّلفُ إذا أرادوا نصِيحةَ أحدٍ وَعَظُوه سِرًّا»[٢].

ولْيَحْذَر أشَدَّ الحَذَر مِن أنْ يَبذل جُهْدَه، ويَصْرِف وَقْتَهُ في تتَبُّع عُيُوب وزلَّات الآخَرين؛ فيَنْسَى بذَلِكَ نفْسَهُ التي بين جَنْبيه؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «طُوبَى لِمَنْ شَغَلهُ عَيْبُه عن عُيُوب النَّاس، وويلٌ لمن نَسِيَ عيبَه، وتَفَرَّغ لعيوب النَّاس، فالأوَّلُ علامةُ السَّعادة، والثَّاني علامةُ الشَّقاوة»[٣].

فهَذِهِ- أيُّها الأحباب- مِن أَهَمِّ الأسباب الَّتِي ينبغي على كُلِّ مَن أراد السَّعادة الحقيقيَّة، والطُّمأنينة الأبديَّة أنْ يحرص على تحقيقها، والعمل بها؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مَن أراد

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٨٢).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٢٧١).

السَّعادة الأبديَّة؛ فَلْيَلْزَم عَتَبَةَ العُبُوديَّة»[١].

وليتَيقَّن العبدُ تَمَامَ اليَقين: أنَّ على قَدْر نِيَّته وصِدْقِه يَكُون تَوفيق الباري جَلَّجَلَالُهُ له، وسَيُعَان- بإذن العزيز المَنَّان- على تحقيق كل ما فيه سعادته في دنياه، وفلاحه ونجاحه يوم الوقوف بين يدي مولَاه.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قَدْرِ نيَّة العبد، وهمَّتِه، ومُراده ورغبته في ذَلِكَ يَكُون تَوفيقه- سبحانه- وإعانته.

فالمَعُونةُ مِن الله تَنزل على العِباد على قَدْر هِمَمِهِمْ، وثَباتهم، ورغبتهم، ورهْبَتهم.

والخذلانُ يَنْزل عليهم على حَسَب ذَلِكَ.

فاللهُ سبحانه أحْكَمُ الحاكمين، وأَعْلَم العالمين، يضع التَّوفيق في مَوَاضعه اللَّائقة به، والخذلَان في مواضعه اللَّائقة به، هو العَلِيمُ الحكِيم»[٢].

ولْيَحْرِص إذا أرادَ النَّجاحَ والفلَاحَ أَشَدَّ الحِرص أن يُقابل- يوم لا ينفعُ مَالٌ ولا بَنون- العزيزَ العَلِيم بقلبٍ سَلِيم؛ **يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «والقَلْبُ السَّليمُ معناه: الَّذِي سَلِمَ مِن الشِّركِ،

---

(١) «مدارج السَّالكين» لابن القَيِّم (١/ ٤٣١).

(٢) «الفوائد» (ص٩٧).

والشَّكِّ، ومحبَّة الشَّرِّ، والإصرار على البِدعة والذُّنوب، ويلزم مِن سلامته مما ذكر اتِّصَافه بأضدَادِهَا من الإخلَاص، والعِلم، واليَقِين، ومحبَّة الخير، وتَزيِينه في قلبه، وأنْ تَكُون إرادتُه ومحبَّته تابعة لمحبَّة الله، وهَوَاه تَابِعًا لما جاء عن الله»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنَا وإيَّاكُمْ لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، وأن يُجَنِّبَنا ما يَكْرَهُ ويَأبَاه، وأنْ يجعَلنَا جميعًا مِن أهل الحِرْص علَى ما يَنفَع في الدَّارَيْن؛ فهُوَ سُبحانَهُ ولِيُّ ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصَلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٣٧١).

التذكير بخطر
الخَوَارج القَعَدِيَّة

التذكير بِخَطَر الخوارج القَعَديَّة

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فلا أريدُ أنْ أتطَرَّق في هَذَا المَقَال- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- لمن خرجُوا بالسَّيف على الحكَّام؛ ففرقوا بذَلِكَ كلمة أهل الإسْلَام، ونشَرُوا القتْلَ والفَوْضَى بين الأنام؛ **يَقُولُ الإمامُ الآجَرُّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «لم يختلف العلماءُ قديمًا وحديثًا أنَّ الخوارج قومٌ سُوء، عُصاةٌ لله عَزَّوَجَلَّ ولرسُولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنْ صَلَّوا وصَامُوا، واجتهدوا في العِبَادة، فليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم، وإنْ أظهروا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم؛ لأنَّهم قومٌ يتَأَوَّلُون القرآنَ على ما يَهْوَوْن، ويُمَوِّهُونَ على المُسْلِمِينَ.

وقد حذَّرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذَّرَنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّرَنَا منهم الخلفاءُ الرَّاشدون بعده، وحذَّرَنا منهم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ رحمة الله تعالى عليهم.

والخَوَارِجُ: هم الشُّرَاةُ الأنجاسُ الأَرْجاسُ، ومَن كان على مذهبهم

من سائر الخوارج؛ يتوارثُونَ هَذَا المذْهَب قديمًا وحديثًا، ويخرجُون على الأئمَّة والأُمَراء، ويستحِلُّون قَتْلَ المُسْلِمِينَ»[(١)].

وإنَّما أريد أنْ أتكلَّم على مَن هم في الأصل منهم، وقد لا يَعرف الكثيرُ مِن المُسْلِمِينَ حقيقتهم، وذَلِكَ بسببِ مَكْرِهم، وكثرة تَلَوُّنِهم؛ ألا وهم: «القَعَدِيَّة»!

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والقَعَدُ**: الخَوارجُ، كانوا لا يَرَوْنَ بالحربَ، بل يُنكرون على أُمرَاء الجَوْر حَسب الطَّاقة، ويَدعون إلى رَأيهم، ويُزيِّنُونَ مع ذَلِكَ الخُروج، ويُحَسِّنُونَه»[(٢)].

الَّذِين هم أَصْلٌ ونَوَاة لكلِّ مَن خَرَج على وُلاة المُسْلِمِينَ بالسَّيف والسِّنان؛ **يَقُولُ الشَّيخ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «الخروجُ بالسَّيف فَرْعٌ عن الخروج باللِّسَانِ والقَوْل؛ لأنَّ النَّاسَ لم يَخرجُوا على الإمَام- بمجرد أخذِ السيف- لا بُدَّ أن يَكُون تَوطِئةً وتَمْهيدًا؛ قَدْح في الأئمَّة، وسَتْر لمحاسنهم، ثمَّ تَمْتَلِئُ القُلُوب غَيْظًا وحِقْدًا؛ وحِينئِذٍ يَحصل البَلاءُ»[(٣)].

---

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٨/ ١١٤).

(٣) مِن تعليقه على رسالة الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: «رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسَّلاطين» (ص ٦٦).

والَّذِين يُنكرون عَلانِيةً وجَهارًا باللِّسَان على ولاة أمور المُسْلِمِينَ- دون النَّظَر إلى عواقب ذَلِكَ- مُخالفين بذَلِكَ ما أمرَنا به سيِّد المُرسَلِين وخَاتَم النَّبِيِّين؛ فعن عِياض بن غَنْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلطَانٍ بِأَمْرِ فَلَا يُبْدِ له عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بيدِه فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ منه فَذَاكَ، وَإِلَّا كان قد أَدَّى الَّذِي علَيْهِ لَه**»(١).

يَقُولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبغِي لمن ظهَر له غلط الإمَام في بعض المسَائل أنْ يُناصحه، ولا يُظهر الشَّناعة عليه على رؤوس الأشْهَاد؛ بل كمَا ورد في الحديث: أنَّه يأخُذ بيَدِه، ويخْلُو به، ويبذل له النَّصِيحَة، ولا يذل سُلطَان الله»(٢).

وهدي مَن سبقَنا مِن الصَّالحِين الَّذِين عُرفوا بالتَّمسك بالمنهج القَويم، والسَّير على الصِّراط المُستَقِيم، وحث المُسْلِمِينَ على التَّمسُّك بسُنة نبيِّنا علَيْهِ أفضَل الصَّلاة وأزْكَى التَّسلِيم؛ فَعَن أُسامة بن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّهم قالوا له:** «أَلَا تَدْخُلُ على هَذَا الرَّجُلِ- أي: عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَتُكَلِّمَهُ؟ **فقال:** أَلَا تَرَوْنَ أنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إلَّا أُسْمِعُكُمْ؟! واللهِ لقد كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، ما دُونَ أن أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في «المسند» (٣/ ٤٠٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة» (١٠٩٦).

(٢) «السَّيل الجرَّار» (٤/ ٥٥٦).

أَكُونَ أنا أَوَّلَ مَن فَتَحَهُ»[١].

يَقُولُ المُهَلَّبُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُريد لَا أكون أوَّل مَن يَفتحُ بابَ الإنكَار على الأئمَّة علانيةً؛ فيَكُون بابًا مِن القِيَام على أئمَّة المُسْلِمِينَ، فتفترق الكلِمَة، وتتشَتَّت الجماعةُ، كما كان بعد ذَلِكَ مِن تفَرُّق الكلمة بمواجهة عُثمَان بالنَّكير، ثم عَرَّفَهم أنَّه لا يُدَاهن أمِيرًا أبدًا، بل يَنصحُ له في السِّرِّ جهده...»[٢].

وهم كذَلِكَ- أَيُّها الأَفاضِلُ- مَنْ يَصرف الكثيرَ مِن عوام المُسْلِمِينَ عن علماء الأمَّة الرَّبانيِّين المُتمسكين بالوَحْيَيْن على فَهْم سلَفِنَا الصَّالحِين، وذَلِكَ بِرَمْيِ العُلماء الأجِلَّاء بما ليْسَ فيهم مِن عيُوب ونقَائص!

ومن ذَلِكَ: أنَّهم لا يَفْقَهون واقع الأمَّة وما يَدُور في الخفَاء، بل حتَّى بعض هؤلاء قد تجرَّؤوا واتَّهموا العُلماء الأتقِيَاء بأنهم عُمَلاء، وأنَّهم لا يُفتون ولا يتكلَّمون حتى يُؤْذَن لهم، ويُطلَب منهم!

وكذَبوا في ذَلِكَ؛ أخزَاهُم اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

يَقُولُ الشَّيخُ الألبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لئِنْ كان في الخُروج على الحكَّام

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٤)، «صحيح مسلم» (٢٩٨٩)، واللفظ له.

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بَطَّال (١٠/ ٤٩).

مِن الشَّرِّ ما بَرهن عليه تواطُؤ النُّصوص الشَّرعية مع الأخبَار الواقعِيَّة، كما ظهر مِن صَنيع حُدثَاء الأسْنَان في كلِّ الأزمان، فشَرُّ منه الخرُوج على العُلمَاء بإهدَارِ حقِّهم، وعدم اعتِمَاد فتَاويهم إلَّا ما وافق أهوَاء الحركِيِّين، واستِصْغَار شأنهم في السِّياسة، ورَمْيِهم بعُلماء بيت الوضُوء! وما أشبهها مِن الألقَاب التي يَنْبِز بها المبتدعةُ صاغرًا عن صاغِر العُلماءَ السَّلفيِّين كابرًا بعد كابر؛ وفي هَذَا إهدَارٌ للشَّريعة بتجريح حَمَلتِهَا وشُهُودها، واللهُ المَوْعِدُ»[١].

فَلَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُون!

أنَّ الَّذِي يُبصر الفِتَن إذا جاءت، والمِحَن إذا هاجَتْ: هُم العُلماء الأتقِيَاء، الَّذِين هم ورَثةُ الأنبياء؛ لا الدَّهماء، ولا المتعَالمون الجهَلاءُ!

يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفتْنَةُ إذَا أقبلَتْ عرَفهَا كُلُّ عالِمٍ، وإذا أدبَرتْ عرَفهَا كُلُّ جاهِلٍ»[٢].

فالقَعَديَّةُ- أيُّها الأحباب- هم- أيضًا- مَن يَسْتغِل حماسَة واندِفَاع بعض شباب الإسْلَام؛ فيُلقوا بهم إلى مواطِن الفِتَن، وأمَاكِن الحُروب والنزاع؛ بدعوى الجهاد! وهم مع ذَلِكَ لا يَذهبون،

---

(١) «مدارك النَّظر» للشيخ عبد المالك الرَّمضاني (ص٢٣٢).
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سَعْد (٧/ ١٦٦).

ولا يُعرف عنهم أنهم حَثُّوا أبنَاءهم ومَن هُم تحت ولَايتهِم على الذَّهَاب إلى الجهاد، كما زعموا!

ومنهم كذَلِكَ- أيُّها الإخوةُ والأَخَواتُ- مَن استغلَّ المنابر ووسائل الاتِّصَال بأنواعِهَا في تحريض النَّاس على الثَّورات، وتأييد خُروجهم في المظَاهرَات، وتشْجِيعهم على الاعتِصَامات، وهو جالِسٌ في بيتِه، ووسط أهله، ولا يَخرج معهم!

فإذا كان ما يدعو إليه- كما زعَم- مِن الجهاد في سَبيل الرَّحمن، وهو من الطُّرق المُوصِّلَة إلى الجِنَان فلمَاذا لا يخرجُ معهم، ويُضَحِّي بنفسه وولَدِه ومالِهِ في سبيل ذَلِكَ؟!

إنَّ هؤلاء القَعَديَّة الَّذِين يُزيِّنُونَ الخروج على حُكَّام المُسْلِمِينَ، ولا يُبَاشِرُونه- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- هم أشدُّ خطرًا، وأكثر ضررًا على الأُمَّة ممن يَخرج بالسَّيف؛ لأن شرَّهم ليس ظاهرًا لكثيرٍ مِن العَوام؛ يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن محمد بن يَحْيَى الضَّعيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قَعَدُ الخوارجِ هُم أخبثُ الخوارج»[2].

لذَا، يَنبغِي أنْ نَحْذَر منهم أشدَّ التَّحذير، ونُحَذِّر المُسْلِمِينَ مِن الاغتِرَار بهم مهْمَا كانت مَكانتهم وشُهرتهُم، وواجبٌ علينَا جميعًا أنْ

---

(١) كان ضعيفًا في جِسمه، لا في حديثه. «تهذيب الكمال»، للمزي (١٦/ ٩٩).

(٢) «مسائل الإمام أحمد- رواية أبي داود» (ص٣٦٢).

نرجع دائمًا- خاصَّة في أوقات الفتن والمحن- إلى العُلمَاء الربَّانيِّين الرَّاسخين؛ عملًا بما أمرَنا ربُّ العالمين، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا تأديبٌ مِن الله لعِبَاده عن فِعْلِهِم هَذَا غير اللَّائق، وأنه يَنبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ مِن الأمور المُهِمَّة، والمصَالح العامَّة ما يتعَلَّق بالأمن، وسُرور المُؤمِنينَ، أو بالخوف الَّذِي فيه مُصيبةٌ؛ عليهم أنْ يتثَبَّتوا، ولا يستَعجِلُوا بإشاعة ذَلِكَ الخبَر، بل يردُّونهُ إلى الرَّسُول، وإلى أُولي الأمر منهم أهل الرَّأي، والعِلم، والنُّصح، والعَقْل والرَّزانة، الَّذِين يَعرفون الأُمُور، ويعرفون المصالح وضدَّها...»[(١)].

ولنمْتَثِل- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكرام- نصيحةَ هَذَا الإمام، فإنَّ في العمَل بها الفَوْز والنَّجاة بإذن العَزِيز العَلَّام؛ حيث يَقُولُ الإمامُ الأوزاعيُّ- عبد الرَّحمن بن عَمرو الشَّامي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ت: ١٥٧هـ]:

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٩٠).

«اتَّقُوا اللهَ مَعْشَر المُسْلِمِينَ، واقْبلُوا نُصحَ النَّاصحِين، وعِظَة الوَاعظِين، واعلَمُوا أنَّ هَذَا العِلمَ دينٌ؛ فانظُروا ما تصْنَعُون، وعمَّن تأخذُون؟ وبمَن تقْتَدون؟ ومَن على دينكم تأمَنُون؟

فإنَّ أهلَ البدع كلهم مُبْطِلُون، أفَّاكُون آثِمُون، لا يَرْعَوُون، ولا ينظرون، ولا يتَّقون، ولا مع ذَلِكَ يُؤمَنُون على تحْرِيف ما تسْمَعُون، ويَقُولُون ما لا يَعلمُون في سَرْدِ ما يُنكرون، وتسديد ما يَفْتَرُون، واللهُ محيطٌ بما يعملون؛ فكونوا لهم حَذِرِينَ مُتَّهِمِين، رافضِينَ مُجانبين.

فإنَّ علمَاءكُم الأوَّلين ومَن صَلح مِن الآخِرين كذَلِكَ كانُوا يفْعَلُون ويَأمُرون.

واحذَرُوا أنْ تكُونوا على الله مُظاهِرين، ولدِينه هادمِين، ولِعُرَاهُ ناقضِينَ مُوهنين بتَوقِير المبتدعِينَ والمُحْدِثِين؛ فإنَّه قد جاء في توقيرهم ما تعْلمُون، وأيُّ توقير لهم أو تعظيم أشدُّ مِن أن تأخذوا عنهم الدِّين، وتكونوا بهم مُقتَدِين، ولهم مُصدِّقينَ مُوادعين، مُؤالفِينَ مُعينِين، لهم بما يصنعون على استهواء مَن يَسْتَهُوون، وتأليف مَن يَتألَّفون مِن ضعفاء المُسْلِمِينَ لرأيهم الَّذِي يرون،

ودينهم الَّذِي يَدِينُون، وكفَى بذَلِكَ مشاركةً لهم فيما يَعملُون»[١].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يَحْقِن دِماء المُسْلِمِينَ في كل مكان.

وأنْ يجعَل بُلدَانهم دِيَار أمنٍ وأمَان.

وأن يُجنِّبهُم دُعاةَ السُّوءِ، وشَرَّ الأشرار، وكيْدَ الفُجَّار

فهو سبحانه وليُّ ذَلِكَ، والعَزيز الجَبَّار

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٦/ ٣٦١).

الدُّنيا... إلى أين؟!

الدُّنيا... إلى أين؟!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ هَذِهِ الدُّنيا مَهما امتدَّ أجَلُها، وطَال أَمَدُها، فهي ومَن عليها إلى فَناء وزَوال بِحُكْم الكبير المُتَعال؛ يَقُولُ سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر تعالى أنَّ جميع أهل الأرض سيَذهبُونَ ويمُوتون أجمَعُون، وكذَلِكَ أهلُ السَّموات- إلَّا مَن شاء الله- ولا يبقَى أحدٌ سوَى وجْهِه الكريم؛ فإنَّ الربَّ- تعالى وتقدَّس- لا يموتُ، بل هو الحيُّ الَّذِي لا يَمُوت أبدًا»[(١)].

فالدُّنيا- أَيُّها الأَفاضِلُ- مَهْمَا غرَّت أبنَاءها، وفَتنت أصحَابها فهِيَ زينةٌ مُضْمَحِلَّة، ومتاعٌ زائلٌ؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٧٣).

ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآيةُ الكَرِيمة فيها التَّزهيد في الدُّنيا بفَنائها وعدَم بقَائها، وأنَّها متاعُ الغُرور، تَفْتِن بزُخرفهَا، وتخدَع بغرُورهَا، وتَغرُّ بمَحاسِنهَا، ثم هي مُنتقلة، ومُنتقل عنها إلى دار القَرار، التي تُوَفَّى فيها النُّفوسُ ما عملت في هَذِهِ الدَّار مِن خيرٍ وشَرٍّ»(١).

وأهلها مَهْمَا طالَ بهم الوقت، وامتَدَّ بهم العمُرُ عنهَا راحِلُون، وعن شهَواتها ولذَّاتها مُنقطِعُون، ولأهلهم وأصَحابهم مُفارقون؛

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنَّهَا- أي: الدُّنيا- دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَل إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِل حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِن دَوَامٍ»(٢).

ولما كانَت بتِلك الحَال والمآل- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- فقد أعطاها العَزِيزُ العَلَّام لمن أحبَّ، ومَن لم يحِب مِن الأنام؛ فعن عَبْد اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا مَن يُحبُّ ومَن لَا يحبُّ، ولَا يُعطِي الإيمَان إِلَّا مَن أحَبَّ**»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٦٠).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧١٤).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليْسَ كل مَن أُعْطِي مال أو دنيا أو رئاسَة كان ذَلِكَ نافعًا له عند الله، مُنجِيًا له مِن عذابه، فإنَّ الله يُعطي الدُّنيا مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطِي الإيمَانَ إلَّا مَن يُحِبُّ»(١).

إنَّ الكَيِّس الفَطِن مِن العِبَاد هو الَّذِي لم يغْتَر بزخرف وزينة هَذِهِ الدُّنيا الدَّنِيَّة، ولم يُضِعْ عمُرَه بالرَّكض وراء شهَوات رديَّة، وعمل بما أوصَى به خير البرِيَّة؛ فعن عبدِ الله بن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ، أو عَابِرُ سَبِيلٍ**»(٢).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحديثُ أصلٌ في قِصَر الأمَل في الدُّنيا؛ فإنَّ المُؤمن لا يَنبغي أنْ يتَّخذ الدُّنيا وطنًا ومَسكنًا؛ فيَطمئِن فيها، ولكن يَنبغي أنْ يَكُونَ فيها كأنَّه على جَناح سفَر يُهَيِّئ جَهازَه للرَّحيل»(٣).

واستحْضَر في نفسِه- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيارُ- أنَّها مَلعُونةٌ، ومِن العزيز الجبَّار مَبعودةٌ؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ، مَلعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٣).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٣٧٩).

ذِكْرُ اللهِ ومَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أو مُتَعَلِّمٌ»[١].

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ»، أي: مبْعُودَة من الله؛ لكونها مُبْعَدة عن الله.

«مَلعُونٌ مَا فِيهَا»، أي: مما يَشْغل عن الله.

«إِلَّا ذِكْرُ اللهِ» بالرفع، وفي نُسْخَة: بالنصب، وهو استِثْنَاء مُنقَطِع.

«وَمَا وَالَاهُ»، أي: أحبَّهُ الله مِن أعمَال البِرِّ وأفعَال القُرب.

أو معناه: مَا وَالَى ذِكْرَ الله، أيْ: قَارَبَهُ مِن ذِكر خَيْرٍ، أو تَابعَه مِن اتِّباع أمْرِه ونَهْيِه؛ لأنَّ ذِكْرَهُ يُوجب ذَلِكَ»[٢].

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَعَالِم أو مُتعَلِّم»، أي: هي وما فيها مُبْعِدٌ عن اللهِ إلَّا العِلم النَّافع الدَّال على الله، فهو المقْصُود منها.

فاللَّعنُ وَقَعَ على ما غَرَّ مِن الدُّنيا، لا على نَعِيمهَا ولَذَّتِهَا؛ فإنَّ ذَلِكَ تنَاولَهُ الرُّسُل والأنبِيَاء»[٣].

ويَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكُلُّ عملٍ يعمَلُه العبدُ- ولا يَكُونُ طاعةً لله وعبادةً وعملًا صالحًا- فهو باطلٌ، فإنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وحَسَّنه الشيخُ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٧٢).

(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ١٤).

الدُّنيا مَلعُونة، مَلْعُونٌ ما فيها إلَّا ما كان لله، وإنْ نال بذَلِكَ العمَل رئاسةً ومَالًا؛ فغايةُ المُتَرَئِّس أنْ يَكُون كفِرْعَوْنَ، وغاية المُتَمَوِّل أنْ يَكُون كقَارون»[(١)].

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت الدُّنيا حقِيرَةً عند الله لَا تُسَاوي لدَيْهِ جَناح بَعوضة؛ كانت وما فيها في غاية البُعد منه، وهَذَا هو حقِيقَة اللَّعنة»[(٢)].

وأنَّ هَذِهِ الدُّنيا إنَّما أوْجدَها العزِيزُ العَظِيم؛ لتَكُون للعِبَاد دار عملٍ ليَومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بَنُونَ، إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَليم.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سبحانه إنَّما خلَقَها مَزْرعةً للآخِرَة، ومَعْبَرًا إليها، يَتزَوَّد منها عبادَه إليه»[(٣)].

فاسْعَ فيها، وأكثِر فيها مِن فِعْل الطَّاعات، والتَّزوُّد مِن الخيرات؛ لأنَّ هَذَا الَّذِي يَنفعُك يوم الوقُوف بين يدي ربِّ البَريات، بإذن ربِّ الأرْض وَالسَّموات؛ يَقُولُ الشَّيخ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الحياة الَّتِي يَنبغِي السَّعيُ في كمَالها، وتَحْصِيلهَا وكمَالها، وفي تَتْمِيم لذَّاتها، هي الحيَاة في دار القَرار، فإنَّها دار الخُلد والبَقَاء»[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٧٦).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٩).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٩).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٩٢٤).

وإنَّ المَحْرُومَ مِن العِبَاد هو الَّذِي غَرَّته الدُّنيا بشهوَاتها، وشَغَلَتْهُ بملذَّاتها عن يوم الميعاد؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وأعظَم الخلقِ غرُورًا: مَن اغتَر بالدُّنيا، وعاجلَها؛ فآثرَهَا على الآخِرَة، ورضِيَ بها مِن الآخِرَة»(١).

فالأنام في هَذِهِ الدُّنيا الزائلة -أَيُّها الأَفاضِلُ الكِرَام- على قسمين:

١- فمنهم مَنْ جَعَلَها مَزْرعةً للآخرة الباقية، فلَمْ يُفتن بزِينَتها، ولم تصْرفْهُ عن همِّه الحقيقي، ومُبتَغاه الأصلي، ألَا وهو رضَا الرَّحمن، والفوز بما عند العَزيز المنَّان في الدَّار الباقِيَة، فهَذَا مِن أهل الفَوْز والفلَاح، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي هو لهؤلاء المُؤمِنينَ في الآخِرَة، هو الظَّفر الكبير بما طلبُوا والتمَسُوا بإيمَانهم بالله في الدُّنيا، وعمَلهم بما أمرَهُم اللهُ به فِيهَا، ورَضِيَه منهم»(٢).

٢- ومِنهم مَنْ غرَّته بزُخرفِهَا، وألهَتْهُ بملذَّاتها، وفتنَتْهُ بشهَواتها؛ فكانت هي هَمه؛ فصَرَف فيها وقتَه، وبذل في تحصيلها جُهدَه،

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٢٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ١٣٧).

وانشَغل بها عن عبادة خالقِه جَلَّجَلَالُهُ.

فهَذَا قد بَاء بالحِرْمَان، وكان مِن أهل الخُسْرَان؛ فعن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كانَت الآخِرَةُ هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ في قَلبِهِ، وَجَمَعَ لهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ علَيْهِ شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(١).

يَقُولُ المُبَارَكْفُورِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «**مَنْ كَانَت الآخِرَةُ**» بالرَّفع على أنه اسم «**كانت**».

«**هَمَّهُ**» بالنَّصب على أنه خبَر «**كانت**»، أي: قصده ونيَّته.

«**جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلبِهِ**»، أي: جعله قانعًا بالكفَاف والكفاية كي لا يَتْعَب في طلَب الزِّيادة.

«**وَجَمَعَ له شَمْلَهُ**»، أي: أموره المُتَفَرِّقَة بأن جعَلهُ مجموع الخاطِر بتهيئة أسبابه مِن حيث لا يَشعُر به.

«**وَأَتَتْهُ الدُّنيا**»، أي: ما قُدِّر وقُسِم له منها.

«**وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»، أي: ذليلة حقِيرَة تابعة له، لا يحتاج في طَلَبِها إلى سعيٍ كثير، بل تأتِيه هيِّنةً ليِّنة، على رغْم أنفِهَا وأنْفِ أربَابها.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٦)، وصَحَّحه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

«**وَمَنْ كانت الدُّنيا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بين عَيْنَيْهِ**»، أي: جنس الاحتياج إلى الخَلق؛ كالأمر المَحسوس مَنصوبًا بين عينَيْهِ.

«**وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ**»، أي: أموره المُجْتَمِعة.

قالَ الطِّيبيُّ: يقال: «**جَمَعَ اللهُ شَمَلَه**»، أي: ما تشَتَّتَ مِن أمره.

«**وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ**»، أي: ما اجتمع من أَمْرِه، فهو مِن الأضْدَاد.

«**ولَم يَأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا مَا قُدِّرَ له**»، أي: وهو رَاغِمٌ، فلا يأتيه ما يطلب مِن الزِّيادة على رغم أَنْفِه وأَنْفِ أصْحَابِه»[1].

فَمَن أرادَ السَّعادة والنَّجاة والفَوز في الدَّارَيْن، فَلْيَكُن هَمَّه رضَا ربِّ العَالمين؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذَا أصْبَح العَبدُ وأمْسَى وليس همه إلَّا الله وحْدَه؛ تحمَّل اللهُ- سبحانه- حَوائجه كلها، وحَمَل عنه كُلَّ ما أَهَمَّه، وفَرَّغ قلبَه لمحبَّتِه، ولسَانه لذِكْره، وجوَارحِه لطَاعته، وإنْ أصبَح وأمسَى والدُّنيا همُّه حمَّله اللهُ همُومَها وغُمُومها وأَنْكَادهَا، ووَكَلَه إلى نفْسِه، فَشُغِل قلبُه عن محبَّته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذِكره بذِكرهم، وجوارحه عن طاعته بخِدْمَتهم وأَشْغَالهم، فهو يَكْدَحُ كَدْحَ الوحْشِ في خدمة غيره؛ كالكِير يَنفخ بَطنه، ويَعصر أضْلَاعه في نفع غيره؛ فَكُلُّ مَن أعرض عن عبودية الله

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٣٩).

وطاعَتِه ومحبَّته بُلِيَ بعبودية المَخلوق ومحبَّته وخِدمته»[١].

فعلينا إنْ أردْنَا الرِّبحَ والنَّجاة أنْ نصرف أوقاتنا وأعمَارنا في كلِّ عمَل يُقرِّبنا مِن خالقِنَا ومولَانا جَلَّوَعَلَا.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظمُ الرِّبح في الدُّنيا: أنْ تَشْغَل نفْسَك كل وقتٍ بما هو أوْلَى بها، وأنفع لها في مَعادها»[٢].

ولنَحْذَر أشدَّ الحذَر مِن أنْ نُقدِّم الفاني على الباقي؛ لأنه عمَلُ غير العُقلَاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كيف يَكُون عاقلًا مَن باع الجنَّةَ بما فيها بشَهْوةِ سَاعة؟!»[٣].

ولنُبادِرَ بالتَّوبة وبالإكثَار مِن الأعمَال الصَّالحة قبل أن نَنْدمَ، ونتحسَّر على ما مضَى وفات، ونقول يوم وقُوفنا بين يدَيْ ربِّ البريَّات، كمَا يَقُولُ مَن فرَّط في حيَاته، وضَيَّع أوقاتَه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ- تعالى ذِكْرُه- مُخبِرًا عن تلَهُّف ابن آدَم يوم القِيَامة، وتنَدُّمه على تَفْرِيطه في الصَّالحات مِن الأعمَال في الدُّنيا التي تُورثه بقَاء الأبَد في نَعِيمٍ لَا انقِطَاع له: يَا

---

(١) «الفوائد» (ص٨٤).

(٢) «الفوائد» (ص٣١).

(٣) «الفوائد» (ص٣١).

لَيْتَني قَدَّمْتُ لِحَيَاتي في الدُّنيا مِن صَالح الأعمَال لحيَاتي هَذِهِ الَّتي لا مَوْتَ بعْدَهَا»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن لَا يَجعل الدُّنيا أكبَر همِّنَا، ولا مَبْلَغ عِلْمِنَا، ولَا إلى النَّار مَصِيرَنا.

وأنْ يُوفِّقنَا جميعًا لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ عدَمُ الاغتِرَارِ بالدُّنيا وَزِينَتها.

وأنْ يُجنِّبنَا وإيَّاكُمْ كُلَّ ما يُبْغُضه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ: الانشِغَال بشَهوات زائِلَة، والرَّكض خلفَ مَلذَّات فانِيَة؛ فهو- سُبحانه- قدِيرٌ، وبالإِجَابةِ جَدِيرٌ.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ١٨٩).

الوفاءُ بالوَعْدِ
من صفات أهل الإيمَان

الوفاء بالوعد من صفات أهل الإيمان

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ من الأخْلَاق الجمِيلَة، والصِّفات الحمِيدَة الَّتي يتحَلَّى بهَا أهل الإيمَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ- والإخوَان- هي وفاءهم بالوعُود، وحِفْظَهم للعُهود، يَقُولُ عنهم العَزيز الوَدُود: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكَر جَلَّ وَعَلَا في هَذِهِ الآية الكَرِيمة: أنَّ مِن صفات المُؤمِنينَ المُفْلحِينَ الوَارِثِينَ الفِرْدَوْسَ: أنَّهم رَاعُون لأمَاناتِهم وعهْدهِم، أي: مُحافِظُون على الأمَاناتِ والعُهود.

والأمَانة تشْمَل: كل ما اسْتوْدَعك اللهُ، وأمَرَك بحِفْظِه، فيَدخُل فيها حِفْظُ جوَارحِكَ مِن كلِّ ما لَا يُرضِي الله، وحِفظ ما ائْتُمنت عليه مِن حقوق النَّاس.

والعهود- أيضًا- تشْمَلُ: كل مَا أخذ علَيْك العَهْد بحِفْظه، مِن

حُقوق الله، وحقُوقِ النَّاس»[١].

وحرص هؤلاء الأخْيَارِ علَى الاتِّصَاف بهَذَا الخلُق النَّبيل والوَصْف الجميل لعدَّة أسبَاب؛ مِن أهمِّها أيُّها الأحبابُ:

* فيه الامْتِثَال لما أمرَهُم به الكبِير المتعَال، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

يَقُولُ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والوَفاءُ بالعَهْد**: هو القِيَامُ بحِفْظِهِ علَى الوجه الشَّرعي والقَانون المَرضِي، إلَّا إذَا دلَّ دليلٌ خاصٌّ على جَواز النَّقض.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾، أي: مَسئولًا عنه، فالمَسْؤُول هنا: هو صَاحبه.

وقيل: إنَّ العهدَ يَسأل تَبْكِيتًا لنَاقضِه»[٢].

* الاقتِدَاء بسيِّد المُرسَلِين وخيْر ولد آدم أَجْمَعِين، حيْثُ كان يُضرَب به- في الإيفَاء بالوعُود، وحِفْظ المواثيق والعهود- المَثَلُ بيْنَ الأنَام.

ولقد أمَر العَزِيزُ العَلَّام أهلَ الإسْلَام بالتَّأسي به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيث قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٣٢١).

(٢) «فتح القدير» (٣/ ٢٢٦).

﴿كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة أصلٌ كَبير في التَّأسِّي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقوَاله، وأفعاله، وأحوَاله»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذِهِ الأُسْوَة الحسَنة إنَّما يسْلُكها ويُوفَّق لها مَن كان يَرجُو اللهَ واليَوْم الآخِر، فإنَّ ما معَهُ مِن الإيمَان، وخَوْف الله، ورجَاء ثَوابه، وخَوف عقابه يَحُثُّه على التَّأسي بالرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

ومِن أنبِيَاءِ ربِّ العَالمين، ورُسُلِ أرْحَمِ الرَّاحِمين الَّذِين مَدَحَهُم الحكيمُ العَليمُ على تحَلِّيهم بهَذَا الخُلُق العَظِيم والوَصْف الكَريم: نبيُّ الله جَلَّ وَعَلَا إسمَاعيلُ- عليه وعلى نبيِّنا أفضَل الصَّلاة وأزْكَى التَّسليم- حيث قال عنه العزيزُ الحَليمُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: واذكُر في القُرآن الكَرِيم هَذَا النَّبيَّ العَظِيمَ، الَّذِي خرج منه الشَّعْبُ العَربيُّ؛ أفضَلُ الشُّعوب وأَجَلُّها، الَّذِي منهم سيِّدُ ولَدِ آدَم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ أي: لا يَعِدُ وَعْدًا إلَّا وفَّى به، وهَذَا شاملٌ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٢٠).

للوعد الَّذِي يَعقده مع الله، أو مع العِبَاد.

ولهَذَا لمَّا وَعَد مِن نفسِه الصَّبر على ذَبح أبيه له، وقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢] وفَّى بذَلِكَ، ومكَّن أباه مِن الذَّبح، الَّذِي هو أكبَر مُصِيبة تُصِيبُ الإنسَان.

ثُم وصفَهُ بالرِّسالة والنُّبوة، التي هي أكبر مِنَن الله على عبْدِه، وأهلها مِن الطَّبقة العُليا مِن الخلق»[(١)].

* أنهم يَعلمون أنَّ مَن لم يتَّصف مِن المُسْلِمِينَ بهَذِهِ الخصْلَة الرَّفيعة والصِّفة الكَرِيمة الَّتي يُحِبُّها العَزِيزُ الرَّحمنُ فهو ناقِصُ الإيمَان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَا خَطَبَنَا نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا قال: «**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ له، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ له**»[(٢)].

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى «**لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ له**»: أنَّ مَن جَرى بيْنَه وبَيْن أحدٍ عَهْدٌ، ثُم غَدَرَ لغير عُذرٍ شَرْعيٍّ فدينُه ناقِص، أمَّا لعُذر كنقض الإمَام المُعاهَدة مع الحربي لمصلحَةٍ فجائز»[(٣)].

بل قد اتَّصف بخصلةٍ مَعيبة هي مِن علامات المنافقين؛ فعن أبي

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٣٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣١٣٥).

(٣) «فيض القدير» (٦/ ٣٨١).

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خُلف الوعد: الرُّجوع عنه، وهَذَا محمُولٌ على مَن وَعَدَ وهو على عَزْم الخُلف، أو ترَكَ الوفَاءَ مِن غير عُذر، فأمَّا مَن عزَم علَى الوفاء فعرَضَ له عذرٌ منعَهُ مِن الوفاء فلَيْسَ بمُنافقٍ، إلَّا أنه يَنبغي أنْ يحتَرز مِن صورة النِّفاق، كمَا يحتَرز مِن حقِيقَته»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**، وهو على نوعين:

أحدُهمَا: أنْ يَعِدَ ومِن نِيَّته أن لَا يفِي بوَعْدِه، وهَذَا أشَرُّ الخُلف، ولو قال: «أفْعَل كذا إن شاء الله تعالى»، ومِن نيَّتِه أن لا يفعل- كان كذبًا وخلفًا. قاله الأوزاعيُّ.

الثَّاني: أن يَعِد ومِن نيَّته أن يَفي، ثم يَبْدُو له، فيُخلف مِن غير عذر له في الخلف»(٣).

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديثُ ليْسَ فيه- بحمد الله تعالى- إشكَالٌ.

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٢) «كشف المشكل» (٣/ ٤٠٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٣١).

ولكن اختلَفَ العُلماء في مَعْناه: فالَّذِي قاله المحقِّقون والأكثَرون- وهو الصَّحيح المختار- أنَّ معناه: أنَّ هَذِهِ الخِصَال خصَال نِفَاق، وصاحبها شَبيه بالمنافقِينَ في هَذِهِ الخصَال، ومُتخلِّقٌ بأخلَاقهم.

فإنَّ النِّفاقَ هو إظهَارُ ما يُبطِن خِلَافَه، وهَذَا المعنى موجُودٌ في صاحب هَذِهِ الخصَال، ويَكُون نفَاقهُ في حقِّ مَن حدَّثهُ ووعدَهُ واؤْتمَنهُ وخاصمَهُ وعاهدَهُ مِن النَّاس، لا أنه منافق في الإسْلَام؛ فيُظْهِرَهُ وهو يُبطن الكُفر»[(١)].

ومما ينْبغِي أنْ نعْلمَهُ- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوَاتُ- أنَّ الوَعْدَ المنهِي عن إخْلَافه، وجاء ذَمُّه في حديث رسُولِ ربِّ البريَّات: هو الَّذِي يَكُون في الخَيرات.

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمراد بالوَعْد في الحدِيث: الوَعْد بالخير، وأمَّا الشَّرُّ فيُستحب إخْلَافُه، وقد يجبُ؛ ما لم يترَتَّب على ترْكِ إنفَاذِه مفسَدة»[(٢)].

إنَّ عُلماء المُسْلِمِينَ أجمَعُوا أنه يَنْبغِي الإيفَاء بالوعد، وحِفْظ العَهد إذا لم يَكُن في ذَلِكَ مخالفَة للعَزيز الصَّمد.

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمَعُوا على أنَّ مَن وَعَدَ إنسانًا

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٩٠).

شيئًا ليْسَ بمنهيٍّ عنه، فينبغي أنْ يفِيَ بوَعْدِه، وهل ذَلِكَ واجبٌ أم مستحبٌّ؟ فيه خِلَافٌ بينهم...»[١].

* ويعلمُونَ كذَلِكَ أنَّ مَن أخْلفَ وعْدهُ، ولم يحفظ عهْدَهُ بدون سبَبٍ فقَدْ وقعَ في خُلُقٍ ذمِيمٍ الَّذِي هو جِمَاع كُلِّ شَر، ألَا وهو الكذب.

يَقُولُ الماوَرْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكذبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وأصلُ كُلِّ ذَمٍّ؛ لِسُوء عواقبه، وخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لَأنَّه يُنْتِجُ النَّمِيمَة، والنَّمِيمَة تُنْتِجُ البَغْضَاء، والبَغْضَاء تَؤول إلى العَداوة، وليس مع العدَاوة أَمْنٌ ولا راحَةٌ»[٢].

* وهم على عِلْمٍ كذَلِكَ- أَيُّها الأَفاضِلُ- أنَّ الفِطَر السَّليمة والعُقول القَويمة، والعادات المُسْتقِيمَة تَذُمُّ إخلَافَ الوَعْدِ وعدَمَ الإيفَاء به.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإخلَاف الوَعْدِ مما فطَر اللهُ العِبَاد على ذَمِّه واستِقْبَاحه»[٣].

فعلينا- أيُّها الأحبابُ- أن نَقتدي بأهل الإيمَان، ونحرص على

---

(١) «الأذكار» (ص٢٥٠).

(٢) «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص٣٢١).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٤٧).

التَّحلي بهَذَا الخُلُق القويم، والوصف الكريم، وذَلِكَ ببذل الأسْبَاب التي تُعِيننا على ذَلِكَ بإذن العزيز الوهَّاب.

ولنجتهد في تربية أبنَائنا علَى الاتِّصَاف به؛ لما في ذَلِكَ مِن خيرٍ كثير، ونفعٍ كبيرٍ يَعود على الجميع بإذن العزيز القدير.

يَقُولُ الطَّاهِرُ بن عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نِعمةُ الولَدِ تكون أكمَل إذا كان صالحًا، فإنَّ صلاحَ الأبْنَاء قُرَّةُ عَيْنٍ للآبَاء، ومِن صلَاحهم: بِرُّهم بِوَالِديهِم»(١).

ولنحْذرَ أشدَّ الحَذَر مِن التَّفريط في تعليمهم ما ينفعهم، ومِن ذَلِكَ: حثُّهم على الوفَاء بالوعُود، وحِفظُهم العُهود؛ لأنَّ مآل هَذَا التَّقصير خطير، وضرَره كبير.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَنْ أَهْمَل تعْلِيمَ وَلَدِه ما ينفعه وترَكَهُ سُدًى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة.

وأَكْثَرُ الأوْلَاد إنَّما جاء فسَادُهم مِن قِبَل الآباءِ وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدِّين وسُنَنِه؛ فأضاعُوهم صِغارًا؛ فلم يَنْتَفِعُوا بأنفُسهم، ولم ينفَعُوا آباءهُم كِبَارًا»(٢).

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يَستمِعُونَ القَوْلَ فيَتَّبِعُونَ أحسَنه، ونسأله سبحانه وهو

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٤٨).

(٢) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٢٩).

العَزيزُ الودُود أنْ يُوفِّقنَا جميعًا لكُلِّ ما يحبه ويرْضَاه؛ ومِن ذَلِكَ الحرصُ علَى حِفْظ العُهود والوفَاء بالوعُود، وأنْ يُجنِّبنا كلَّ أسبَاب الحِرمَان، والخُسْرَان، والخذْلَان؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ والرَّحِيم الرَّحمَن.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

بعض وسائل الإعلام،
وشهر رمضان!

بعض وسائل الإعلام، وشهر رمضان!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يَسعى إليه ويَجتهد فيه إبلِيسُ اللَّعينُ أنْ يَمْنَع أهلَ الإسْلَام من اسْتِغْلَال أوقاتهم، وصَرْفِ أعمَارهِم فيما ينفَعُهم في الدَّارَيْن، كما أمَرَهُم بذَلِكَ أرْحَمُ الرَّاحِمين، وحَثَّهم عليه خيرُ المُرسَلِين.

ومِن ذَلِكَ: أنْ يَشغلهم عن اغتِنَام الشُّهور الفاضِلَة!

ومما يقوم به في المَوَاسِم الفَاضِلة -أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنْ يأتي إلى طائفةٍ مِن المُسْلِمِينَ، فيُحَسِّن لهم الغُلُوَّ والبِدَعَ والتَّشدُّدَ في الدِّين في الأيَّام المباركة التي حثَّنا شرعُنا الكريمُ على الاعتِنَاء بها.

ويذهب- أيضًا- لجماعةٍ أخرى؛ فيُزيِّن لهم فيها المعَاصي والمُنكرَات، والتَّقصِير في العمَل بما أمرَهُم أرْحَمُ الرَّاحِمين.

فعَدُوُّ ربِّ العالمين لا يُبالي بما يَظفر مِن الصِّنفيْن؛ لأنَّ همَّهُ

الوحيد هو إفسَادُ الدِّين، وانحِرَاف عِبَاد العزيز الحكيم عن الطَّريق المستقِيم، والحقِّ القَويم.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال بعضُ السَّلف**: ما أمَر اللهُ تعالى بأمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه نزْغتَان: إمَّا إلى تفريطٍ وتَقْصِير، وإمَّا إلى مجاوزةٍ وغلُو، ولا يُبالِي بأيِّهمَا ظَفَرَ»[(١)].

ومما يَسْعَى له جاهدًا مع أوليائه مِن المُنَافقين والمُفْسِدين عند قدوم شهر الخيرات وموسم البَركات: إفسَاد صَوْم المُسْلِمِينَ بكُلِّ وسيلةٍ ممكِنَة، وبأيِّ طريقةٍ مُتاحة.

ومن ذَلِكَ: اسْتِغْلَال الكثير من وسائل الإعلام بأنواعها المَرئيَّة والمسْمُوعَة والمكتُوبَة؛ لتَحقِيق هَذَا المخطَّط الخبيث، والهدَف القَبيح.

بل نرَى جُنودَهُ مِن الإنس يحشدُونَ لهَذَا الأمر المشين كُلَّ جهد، ويبذُلونَ له كل مالٍ ووقت، ويُسَوِّقونَ ما يَعرضونه في شهر رمضان الكريم مِن أفلامٍ ساقطة، وأغانٍ هابطَة، وبرَامج تدعُو إلى كل رذيلَة، وتُحارب كُلَّ فضيلة، وغير ذَلِكَ مِن المُنكرَات والمُغْرِيَات عبر الإعْلَانات!

وغايتُهم في ذَلِكَ: إشغَالُ المُسْلِمِينَ عن الاستِعْدَاد لهَذَا الشَّهر

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

الكَريم بما يَنفعُهم، ويزيدُ مِن ثوَابِهم.

ويا أَسَفاهُ على بعض مَن يُلبِّس عليه الشَّيطَان ممن يُعَدُّون عند النَّاس مِن أهل الدَّعوة، وحُب الخير، فيَظهرون في شهر رمَضَان على بعض هَذِهِ القنوَات المعروفة بِنَشْر المُحرَّمات، وكثْرَة المخالفَات!

بل إنَّ القائمين عليها يتعَمَّدون وضْعَ إعلَانات تحتَوِي على المُنكرَات قبل أو بَعْد أو أثْنَاء برنامج هَذَا الدَّاعية!

إنَّ علَى هؤلَاء أنْ يَعْلمُوا أنَّ ظهُورَهم على هَذِهِ القنَوات الفاسدة يُعين على إشهارها وتزيينها في نفوس النَّاس حتَّى وإنْ كانوا لا يتَعمَّدون ذَلِكَ!

ومما قد يَسْتَغرب منه العَاقلُ أنَّ بعض أهل النُّصح والإرْشَاد إذا أنكَرُوا على هؤلاء الدُّعاة ظهورهم في مثل تِلكَ القنَوات كانت ذريعتهم- أي: الدُّعاة- لعلَّنا نُسْهِم في إصلَاح وتغيير هَذِهِ القنوات!

ولا يَحْصُل ذَلِكَ، بل علَى النَّقيض حيث نرَى بعد ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ القنَوات باقِيةٌ في نَشْر المُحرَّمات وفي الإفسَاد، بل قد يَزيد مُتابعوها، ويَكثُر مُشاهِدُوها؛ ومِن أسباب ذَلِكَ: ظهور أولئك الدُّعاة!

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِن مَكائده- أي: الشَّيطَان- أنه يَسْحَر العقل دائمًا حتَّى يَكيده، ولا يَسْلَم مِن سِحْره إلَّا مَن شاء الله؛ فيُزيِّن له الفِعْلَ الَّذِي يَضرُّه حتَّى يخيل إليه أنَّه مِن أنفَع الأشيَاء، ويَنفر مِن الفِعْل الَّذِي هو أنفَع الأشياء له، حتى يُخيل له أنه

يَضُره، فلا إلٰه إلَّا الله، كم فَتَنَ بهَذَا السِّحر مِن إنسَان! وكم حال به بين القَلب وبيْنَ الإسْلَام والإيمَان والإحسَان! وكم جَلَا الباطِلَ وأَبْرَزه في صورةٍ مُستَحْسَنة، وشَنَّع الحقَّ، وأَخْرَجَهُ في صورةٍ مُستَهجنَة! وكم بَهْرَجَ مِن الزُّيوف على النَّاقدِين! وكم رَوَّج مِن الزَّغَل[1] على العَارفين»[2].

إنَّ الواجبَ على أصحَاب هَذِهِ القنَوات والعامِلين فيها مِن المُسْلِمِينَ أن يحذروا بسَببِ أفعَالهم المشِينَة أشدَّ الحَذَر مِن غضَبِ ربِّ العَالمين؛ يَقُولُ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: الأمور الشَّنيعة المُسْتَقْبحَة المُستعظَمة، فيُحِبُّون أن تشْتَهر الفاحشةُ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: مُوجع للقَلب والبَدَن، وذَلِكَ لِغِشِّه لإخوانه المُسْلِمِينَ، ومحبَّة الشَّرِّ لهم، وجرَاءتِه على أعرَاضِهم، فإذَا كان هَذَا الوَعِيد لمُجرَّد محبَّة أن تشِيعَ الفاحِشَة، واستِحْلَاء ذَلِكَ بالقلب، فكيف بما هُو أعظَم مِن ذَلِكَ؛ مِن إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفَاحِشَة صادرة أو غير صادرة.

---

(١) الغِشُّ. «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٥).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

وكل هَذَا مِن رحمة الله بعبَادِه المُؤمِنينَ، وصِيَانة أَعْرَاضهم، كما صَانَ دمَاءهُم وأموَالهم، وأَمَرَهُم بما يَقْتضِي المُصَافاة، وأن يُحِبَّ أحدُهم لأخِيه ما يُحِبُّ لنفْسِه، ويَكره له ما يَكْره لنفسه.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ فلذَلِكَ عَلَّمكم، وبَيَّن لكُم ما تجْهَلُونه»[(١)].

وعليهم أن يُبَادِروا بالتَّوبة والرُّجوع في هَذَا الشَّهر الكريم إلى العزيز الرَّحيم قبْلَ أن لَا يَنفعهم النَّدَم، ولا تُغني عنهم الحسَرات.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُكَ مَكتوب، وقولُكَ محسُوبٌ، وأنت يا هَذَا مَطلُوب، ولك ذنُوبٌ وما تَتُوب، وشمس الحياة قد أَخَذَتْ في الغُروب، فما أقسَى قلبك مِن بين القُلوب!»[(٢)].

وعلى كلِّ مَن ولَّاهم ربُّ العالمين أمْرَ المُسْلِمِينَ أنْ يَقُوموا بما يجب عليهم تجاهَهُم، ومِن ذَلِكَ أنْ يمْنَعوا هَذِهِ القنَوات الفَاسِدَة مِن البَثِّ ونشْرِ المُنكرَات، وليَعلمُوا أنهم سيَقِفُون أمام الكبير المتعَال، وسيسألهم عن أنفُسِهم، وعن رعِيَّتهم، وما كان منهم جميعًا مِن أعمَال؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالأَمِيرُ الَّذِي على**

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٦٤).

(٢) «التبصرة» (٢/ ٢٧٢).

النَّاس رَاعٍ وهو مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ...»[١].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعي، هو الحافظ المُؤتمَن المُلتزم صلَاحَ ما قام عليه وما هو تحت نَظَرِه، فَفِيهِ أَنَّ كُلَّ مَن كانَ تحْتَ نظَرِهِ شيءٌ؛ فهُوَ مُطالَبٌ بالعَدْلِ فِيه، والقِيَام بمَصالِحِهِ في دِينِهِ ودُنيَاه، ومُتعَلقَاتِه»[٢].

أيُّها المُسلم:

إنَّ رمَضان شهرٌ عظِيم، ومَوْسمٌ كريم، فإيَّاكَ ثُم إيَّاكَ أنْ تُضَيِّع أيَّامه فيما لا يَنفعُكَ في الدُّنيا ويَوْم الوقُوف بين يدَي العَلِيم الحَكِيم!

فَأَكْثِر فيه مِن الطَّاعات، وتزَوَّد في أيَّامه ولَيَالِيه مِن القُرُبَات، وكُنْ فيه مِن أهل البَذْل والعطَاء والجُود والسَّخاء!

واجْتَنِب تلك القَنَوات وما شَابهَها مِن المُنكرَات!

واسْعَ بِما يُرضِي ربَّ البريَّات!

واعْلَم- وفَّقَك العزيزُ الغَفورُ- أنَّه شَهْرٌ ليْسَ كباقي الشُّهور، وأيَّامه لَيْسَتْ كبَاقي الأيَّام؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا شَهْرٌ ليْسَ مِثله في سَائر الشُّهور، ولا فُضِّلَت به أُمَّةٌ غير هَذِهِ الأُمَّة

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

في سَائر الدُّهور؛ الذَّنب فيه مَغفُور، والسَّعيُ فيه مشْكُورٌ، والمُؤمِن فيه محبُور، والشَّيطَان مُبْعَدٌ مَثْبُور، والوِزْر والإثْم فيه مَهْجُور، وقلبُ المُؤمن بذِكْر الله معْمُور، وقد أناخَ بفَنائكم وهو عن قلِيلٍ رَاحِلٌ عنْكُم، شاهدٌ لكُم وعليْكُم، مُؤذن بشقَاوة أو سعَادة، أو نُقْصَان أو زِيَادة، وهو ضعيف مَسْؤُول مِن عند ربٍّ لا يَحُول ولا يَزُول، يُخبر عن المحرُوم منكم والمقْبُول.

فاللهَ اللهَ! أكرِمُوا نهَارهُ بتَحْقِيق الصِّيام، واقطَعُوا ليْلَهُ بطُولِ البُكاء والقِيَام؛ فَلَعَلَّكم أن تفُوزوا بدَار الخُلد والسَّلام مع النَّظَر إلى وجهِ ذي الجلَال والإكْرَام، ومُرَافقة النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»[1].

ولنَحْذَر جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن تَصْرفَنا عن استِغْلَال أيَّامِه وساعَاته لذَّاتٌ زائلة، وشهواتٌ فانية، يَتبعها بعد ذَلِكَ النَّدمُ والحسَرات!

ولنَجْتَهِد- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- في تحقيق الغاية الكَرِيمة، والهدف النَّبيل الَّذِي مِن أَجْلِه شُرِع الصِّيام، أَلَا وهو تقوى العَزِيز العَلَّام؛ يَقُولُ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص٢١٥).

﴿كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر تعالى بما مَنَّ به على عباده بأنَّه فَرضَ عليهم الصِّيامَ، كما فَرَضَه على الأمم السَّابقة؛ لأنَّه مِن الشَّرائع والأوَامر الَّتي هي مَصْلحَةٌ للخَلْق في كلِّ زمَان.

وفيه تنْشِيطٌ لهَذِهِ الأمَّة بأنَّه ينبغي لكُم أن تُنَافِسُوا غيرَكم في تكْمِيل الأعمَال، والمسَارعة إلى صالح الخِصَال، وأنه ليْسَ مِن الأمور الثَّقيلة التي اختصيتم بها.

ثُمَّ ذَكر تعالى حكْمَتَه في مَشروعِيَّة الصِّيام؛ فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فإنَّ الصِّيام مِن أكبَر أسباب التَّقوى؛ لأنَّ فيه امتِثَالَ أَمْرِ الله، واجتِنَابَ نَهْيِه.

فمِمَّا اشتمل عليه مِن التَّقوى: أنَّ الصَّائم يَتْرك ما حرَّم اللهُ عليه من الأكل والشُّرب والجِمَاع ونحوها- التي تمِيلُ إليها نفسُه- مُتَقَرِّبًا بذَلِكَ إلى الله، راجيًا بتَرْكِهَا ثوابَه؛ فهَذَا مِن التقوى.

ومنها: أنَّ الصَّائم يُدَرِّب نفسَه على مُرَاقبة الله تعالى؛ فيَترك ما تهوَى نفسُه مع قُدرته عليه؛ لعِلمِه باطِّلاع اللهِ عليه.

ومنها: أنَّ الصِّيام يُضَيِّق مجاري الشَّيطَان؛ فإنَّه يَجري مِن ابنِ آدم مجرى الدَّم، فبِالصِّيام يضعف نفوذه، وتَقِل منه المعاصي.

ومنها: أنَّ الصَّائم في الغالب تَكْثُر طاعتُه، والطَّاعات من خصال التقوى.

ومنها: أنَّ الغَنِيَّ إذا ذاقَ أَلَمَ الجُوع- أوْجبَ له ذَلِكَ مُواسَاة الفُقَراء المُعْدَمِين، وهَذَا مِن خِصَال التَّقْوى»[(١)].

وليَكُن قُدْوَتَنا في الاعتِنَاء واغتِنَام أيَّام هَذَا الشَّهر العظيم والمَوسم الكريم رسولُنا محمدٌ علَيْهِ أفضَل الصَّلاة وأزْكَى التَّسلِيم؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وكان مِن هَدْيِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان الإكثارُ من أنواع العِبَادات؛ فكان جبريلُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُدارِسُه القُرآنَ في رَمَضان، وكان إذا لَقِيهُ جبريلُ أجْوَدَ بالخير مِن الرِّيح المُرسَلَة، وكان أجودَ النَّاس، وأجودَ ما يَكُون في رمضان؛ يُكثر فيه مِن الصَّدَقة والإحسَان، وتلاوة القرآن، والصَّلاة، والذِّكْر، والاعتِكَاف، وكان يَخُصُّ رمضان من العِبَادة بما لا يَخُصُّ غيرَه به مِن الشُّهور»[(٢)].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٦).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٣٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقَنا وإيَّاكُمْ لإدْرَاك شهر رمَضان، وأنْ يجعَلنا فيه مِن أهل التَّقوى والجُود والإحسَان، وأنْ يَرُدَّ كيْدَ الأشْرَار ومَكْرَ الفُجَّار، وسائر المُفْسِدين الَّذِين يَسْعَوْنَ لإفساد صِيَام المُسْلِمِينَ؛ فهو- سبحانه- ولِيُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

بهَذَا يَصْلُحُ الأبناءُ
أيُّها الآباءُ!

بهَذَا يَصْلُح الأبْنَاءُ.. أيُها الآباء!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين؛ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلَى آلِهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ تربيةَ الأبْنَاء على التَّمسك بالدِّين، واتِّباع هَدْي خير المرسَلِين، وحَثهم على تَوْقِير العُلماء، واحتِرَام الآخَرين مما يجب علَى الآباء والأُمَّهات؛ لأنَّهم مِن الأمانَات التي سَيَسْألهم عنها ربُّ البَريَّات؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالأمِيرُ الَّذِي على النَّاس رَاعٍ، وهو مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ...**»[(١)].

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلماءُ**: الرَّاعي: هو الحافِظ المُؤتمَن، المُلتزم صلاحَ ما قام عليه، وما هو تحت نظَرِه، فَفِيهِ أنَّ كُلَّ مَن كانَ تحْتَ نظَرِهِ شيءٌ فهُوَ مُطالَبٌ بالعَدْلِ فِيه، والقِيَام

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

بمَصالِحِهِ في دِينِهِ ودُنيَاه، ومُتعَلَّقَاتِه»[١].

وعلى مَن أراد تحقيق هَذِهِ الغاية الكَرِيمة، والهدف النَّبيل الَّذِي ينفع بإذن ربِّ العالمين الآباءَ في الدَّارَيْن: الاجتِهَاد في بَذْلِ الأسْبَاب التي تَكُونُ بعَونِ العزيز الوهَّاب عوْنًا لهم على تربِيَة أوْلَادهم علَى ما يُرضي القَدِير التوَّاب.

ومِن أهمِّهَا أيُّها الأحبابُ:

* اتِّباع هَدْي الأنبِيَاء والمرسَلِين، وذَلِكَ بسُؤال أرْحَم الرَّاحِمين أن يَرزقهم أولادًا صالحين، وسَلَفُهم في هَذَا الهدْي القَويم والطَّلب الكرِيم نبيُّ الله إبرَاهِيم- علَيْهِ أفضَل الصَّلاة والتَّسلِيم- حيث قال كمَا أخبَرنَا عنه العزيز العظيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهَذَا مسألةُ إبراهيم ربَّه أن يرْزُقه ولدًا صالحًا؛ يَقُولُ: قال: يا رب هب لي منك ولدًا يَكُون مِن الصَّالحِين الَّذِين يُطيعونك، ولا يَعْصُونكَ، ويُصْلحُون في الأرْضِ، ولا يُفْسِدُون»[٢].

ويَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووصفه بأنَّه من الصَّالحِين؛ لأنَّ نِعمة الولَد تَكُون أكمَل إذا كان صالحًا، فإنَّ صلَاحَ الأبْنَاء قُرَّةُ

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٦).

عَينٍ للآباء، ومِن صلَاحهم برُّهم بوالِدَيْهِم»[(١)].

فاستجاب القديرُ العلَّام لسؤاله؛ فبشَّره- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- بإسمَاعِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١].

يَقُولُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ تعالى ذِكره: فبشَّرنا إبراهيم ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، يعني: بغُلَامٍ ذي حِلم إذا هو كَبِر، فأمَّا في طفُولته في المهد، فلَا يُوصَف بذَلِكَ»[(٢)].

* وعلى الآباء بَعد أنْ يَمُنَّ عليهم الرَّحمنُ بالأبْنَاء أن يَشْكُروه على هَذِهِ النِّعمة الإلهيَّة والمنحَة الرَّبانيَّة، ويسألوا ربَّ البريَّة صلَاحَ الذُّرية، وحِفظها مِن كلِّ الشُّرور والأفعَال الرَّدِيَّة؛ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: ألهِمْنِي ووفِّقني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، أي: نِعَم الدِّين ونِعَم الدُّنيا، وشكره بِصَرْف النِّعم في طاعة مُسْدِيها ومُوليها، ومُقابلة مُنَّتِه بالاعتِرَاف والعَجز عن الشُّكر، والاجْتِهَاد في الثَّناء بها علَى الله، والنِّعَمُ على الوَالِدَيْن نِعَمٌ علَى أوْلَادهم

(١) «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٤٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٦).

وذُرِّيَّتهم؛ لأنَّهم لا بُدَّ أنْ ينالهم منها ومِن أسبابها وآثارها، خصُوصًا نِعَم الدِّين، فإنَّ صلَاح الوالِدَيْن بالعِلم والعمَل مِن أعظم الأسْبَاب لصلَاح أولَادِهم.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ بأنْ يَكُون جامعًا لما يصلحه سالمًا ممَّا يُفسِدُه، فهَذَا العمَل الَّذِي يرضَاه اللهُ ويَقبله، ويُثِيب عليه.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ لما دعَا لنَفسِه بالصَّلاح دعَا لذُرِّيته أنْ يُصلِحَ اللهُ أحوَالهم، وذكَر أنَّ صلَاحهم يَعُود نفْعَه علَى والديهم؛ لقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي﴾.

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِن الذُّنوب والمعَاصِي، ورجعتُ إلى طاعتك، ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾»[1].

* وعليهم بعد ذَلِكَ الحِرْصُ علَى تعْلِيم أبنَائهم ما يَنفعُهم في الدَّارَيْن من التَّمسك بتعَاليم الدِّين، واتِّباع هدي خيْرِ المرسَلِين.

ومِن ذَلِكَ أيضًا: حَثُّهم على مُصاحَبة الصَّالحِين؛ لأنَّ الصُّحبةَ مُؤثرة في إصْلَاح حال العَبْد أو فسَاده، فمُعاشرَة الأخْيَار تُورث الفلَاح والنَّجاح، ومُصاحَبة الأشْرَار تُورث الحِرمَان والخُسْرَان؛ فعن أبي مُوسَى الأشْعرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ**

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٠٤).

الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيس السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ؛ فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[(١)]، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(٢)].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تمْثِيلُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجلِيس الصَّالح بحَامل المِسك، والجلِيس السُّوء بنَافخ الكِير، وفيه فضِيلَةُ مُجَالسَة الصَّالحِين وأهل الخَيْر والمرُوءة ومَكارم الأخْلَاق والورَع والعِلم والأدَب، والنَّهي عن مُجالسَة أهل الشَّرِّ وأهل البِدَع، ومَن يَغْتَاب النَّاس، أو يَكثر فُجْرُه وبَطالتُه ونحو ذَلِكَ مِن الأنوَاع المذْمُومَة»[(٣)].

وعلَيْهِم كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- أنْ يُحذِّرُوهم مِن الابتِدَاع، والإحْدَاث في الإسْلَام، والتَّهاون في ارتِكَاب المعَاصي والآثَام الَّتي هِي أصْلُ كل بلَاء، ومَصْدَر كل شَقاء؛ **يَقُولُ الإِمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وللمَعاصِي مِن الآثَار القَبيحَة المذْمُومَة، المُضرَّة بالقَلب والبدَن في الدُّنيا والآخِرَة، ما لا يَعلمه إلَّا الله»[(٤)].

---

(١) يُعطيك. «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٧٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٧٨).

(٤) «الجواب الكافي» (ص٣٤).

وليحذر الآبَاء أشدَّ الحذَر مِن التَّقصير في تعلِيم فَلذاتِ أكبادهم ما يَنفعهم في دينهم ودنياهم؛ لأنَّ مآل ذَلِكَ خطير وضرره كبير؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فمَن أهمَل تعلِيم ولَدِه ما ينفعُه، وتَرَكَه سُدًى؛ فقد أسَاء إليه غايةَ الإساءة، وأكثر الأوْلَاد إنَّما جاء فسَادهُم مِن قِبَل الآباء، وإهمَالِهِم لهم، وتَرْك تعلِيمِهم فرَائض الدِّين وسُنَنه؛ فأضَاعُوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم يَنفَعُوا آباءهم كِبَارًا»[(١)].

ولْيَعْلَمْ كُلُّ مَن قصَّر في ذَلِكَ: أنَّ وبال هَذَا الأمر وعاقبته السَّيئة ستَعُود عليه في الدُّنيا والآخِرَة؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فما أفسد الأبْنَاءَ مِثل تَغفل الآبَاء وإهمَالهم، واستِهْمَالهم شَرر النَّار بين الشِّياب، فأكثَر الآباء يَعتمِدُونَ مع أولَادهِم أعْظَم ما يَعْتَمد العَدُوُّ الشَّديد العَداوة مع عدُوِّه وهُم لا يَشْعُرون، فكَمْ مِن والد حَرَم ولده خير الدُّنيا والآخِرَة، وعَرَّضه لهلَاك الدُّنيا والآخِرَة.

وكُلُّ هَذَا عوَاقب تفرِيطِ الآباء في حُقُوق الله، وإضَاعتهم لها، وإعرَاضهم عمَّا أوجَب اللهُ عليهم مِن العِلم النَّافع والعمَل الصَّالح، حَرَمهُم الانتِفَاع بأوْلَادهِم، وحَرَم الأوْلَاد خيرَهم ونَفْعَهم لهم هو مِن عقوبة الآباء»[(٢)].

---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٢٩).

(٢) «تحفة المودود» (ص٢٤٢).

* وعلى الآباء أن يَحرصوا على فِعْل الطَّاعات ويجتهدوا في التزود من الخيرات، واجتناب المُنكرَات، وسائر المحرمات؛ **يَقُولُ الإِمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وقد دلَّ العَقلُ والنَّقلُ والفِطْرةُ وتجَاربُ الأُمَم على اختِلَاف أجنَاسِها ومِلَلها ونِحَلها علَى أنَّ التَّقرُّبَ إلى ربِّ العالمين، وطَلَب مَرْضَاته، والبر والإِحسَان إلى خَلْقِه مِن أعْظَم الأسْبَاب الجالِبَة لكلِّ خير، وأضْدَادها مِن أكبَر الأسباب الجالِبَة لكل شَرٍّ، فما استُجْلِبَت نِعَمُ الله، واستُدفِعَت نقمةُ الله بِمِثل طاعته والتَّقرب إليه والإِحسَان إلى خَلْقِه»[(١)].

ومِن الثَّمَرات النَّافِعة التي تنتج عن طاعة الوالدين لرب العالمين -أَيُّها الأفاضلُ-: صلاح الأوْلَاد، كما أخبَرنا بذَلِكَ ربُّ العِبَاد، حيث قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دليلٌ علَى أنَّ الرَّجل الصَّالح يُحفَظ في ذُرِّيَّته، وتشْمَل بركَة عِبَادته لهم في الدُّنيا والآخِرَة بشَفاعتِه فيهم، ورَفْع درجَتهم إلى أعلى درجَةٍ في الجنَّة؛ لِتَقَرَّ عيْنُه بهم»[(٢)].

* وليَحذرُوا كذَلِكَ أشَدَّ الحَذَر- أَيُّها الأَحِبَّةُ- مِن أنْ يجعلوا في بيُوتِهم ما يُغضب ربَّ الأرْض وَالسَّموات؛ كالصُّوَر والتَّماثيل

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠).

والمَعَازف، وغيرها من المحرَّمات، وأنْ يَعمروها بالطَّاعات؛ كالذِّكر والصَّلوات، وغير ذَلِكَ مِن القُرُبات.

فإنَّ البُيوتَ إذَا خَلَت مِن ذِكر الرَّحمن صارَتْ مَأوًى للشَّيطان، وصارت كالقبور المُظلِمَة؛ فعن أبي مُوسَى الأشْعرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ؛ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(١).

يَقُولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هَذَا التَّمثيلِ مَنقبةٌ للذَّاكر جليلة، وفضِيلَة له نبِيلَة، وأنه بما يقَع منه مِن ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ في حيَاة ذاتيَّة ورُوحِيَّة لما يَغْشَاهُ مِن الأنوار، ويصل إليه مِن الأجُور، كمَا أنَّ التَّارك للذِّكر وإنْ كان في حيَاةٍ ذاتيَّةٍ فليس لها اعتبار، بل هو شبيهٌ بالأمْوَات الَّذِين لا يفيض عليهم بشيءٍ مما يفيض على الأحْيَاء المَشْغُولين بالطَّاعة لله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

فهَذِهِ- أيُّها الآباء، ويا أيَّتُها الأمهات- أهم الأسْبَاب الَّتي تُعينكم- بإذن العَزيز الوهَّاب- على إصْلَاح فَلذاتِ أكبادكم؛ فاحرِصُوا على بذْلِها، واجتهدوا في تحقِيقهَا، وسَلُوا البارِيَ جَلَّ وَعَلَا

---

(١) رواه مسلم (٧٧٩).

(٢) «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص٢٠).

العَوْنَ على ذَلِكَ.

وإيَّاكُمْ أنْ تَتركُوا للأفكار الهدَّامة والأخْلَاق السَّيئة أيَّ فُرصةٍ لتتمَكَّن منهم، واحذَرُوا عليهم مِن شيَاطين الإنسِ الَّذِين يَدْعُونهم إلى كل رذِيلةٍ، ويُبعِدُونهم عن كلِّ فضيلة.

واعلَمُوا- رَعاكُم اللهُ- أنَّكُم تحصْدُون في الدَّارَيْن ما زرَعتُم، فاحرِصُوا علَى غَرْس ما تَقطفُون ثِمَاره في دُنياكُم وبعد مَوتِكُم، ومِن ذَلِكَ صلَاح أولادكم، وفَلذاتِ أكبَادِكُم؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ؛ إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»[(١)].

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلمَاءُ**: معنى الحديث: أنَّ عَمَل المَيِّت يَنقَطع بمَوْتِه، وينْقَطع تجدُّد الثَّواب له إلَّا في هَذِهِ الأشْيَاء الثَّلاثة لكونه كان سببها، فإنَّ الولدَ مِن كَسْبِه، وكذَلِكَ العلم الَّذِي خَلَّفه مِن تعليم أو تَصْنِيف، وكذَلِكَ الصَّدقةُ الجارِيَةُ، وهي الوَقْف، وفيه فضِيلَةُ الزَّواج لرَجَاءِ ولدٍ صَالح»[(٢)].

ويَقُولُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخَصَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (١١/ ٨٥).

الأشياء الثَّلاثة بوصول الثَّواب إلى الميِّت؛ لأنَّه سببٌ لحُصولِها، والعَبد إذا باشرَ السَّبب الَّذِي يتعَلَّق به الأمر والنَّهي يترتَّب عليه مُسَببه، وإن كان خارجًا عن سعيه وكَسْبه، فلمَّا كان هو السَّبب في حصُول هَذَا الولَد الصَّالح، والصَّدقة الجارية، والعِلم النَّافع جرَى عليه ثوَابُه وأجْرُه؛ لتَسَبُّبه فيه، فالعَبدُ إنَّما يُثاب علَى ما باشرَه، أو على ما تَوَلَّد منه»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»؛ لأنَّ غيرَ الصَّالح لا يدعو لوالِدَيْه ولا يَبرُّهُما، لكن الوَلد الصَّالح هو الَّذِي يدعو لوالديه بعد مَوْتِهمَا، ولهَذَا يتأكَّد علَيْنا أنْ نحرص غايَة الحِرْص علَى صلَاح أولادِنَا؛ لأنَّ صلَاحهم صلاحٌ لهم، وخيرٌ لنا حيْثُ يدْعُونَ لنا بعد الموتِ»[(٢)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّق الآباءَ على تَربِيَة أبْنَائهم تربيةً صالحةً يَعود نفْعُها عليهم جميعًا في الدَّارَيْن، وأنْ يجعل أبْنَاءَ المُسْلِمِينَ مُتمسِّكين بتعَالِيم الدِّين، ويَحفظهم مِن مَكْر الكُفَّار والمنَافقِين، ومِن كُلِّ المُفْسِدين والكَائدين؛ فهو سبحانهُ وليُّ ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلَّى اللهُمَّ وسلَّم علَى نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِه وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «مفتاح دار السَّعادة» (١/ ١٧٥).

(٢) «شرح رِياض الصَّالحين» (٤/ ٥٦٧).

رسالة تحذير وتذكير
إلى كل نمّام!

رسالة تحذير وتذكير إلى كل نمَّام!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق الذَّميمة والخِصَال المشِينَة الَّتي يتَّصف بها بعضُ الأنام- إلَّا مَن رَحِمه العَزِيز العَلَّام- صفة النَّمِيمَة؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّمِيمَةُ: القَالَةُ بين النَّاس**»(١).

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلمَاءُ**: النَّمِيمَة: نَقْلُ كَلَام النَّاس بعْضهم إلى بَعْض علَى جِهَة الإفْسَاد بيْنهم»(٢).

فهَذَا الدَّاءُ العُضَالُ والمَرضُ القَتَّال قد انتَشَر اليَوْم بين الكَثِير مِن المُسْلِمِينَ إلَّا مَن عَصِمَهُ منه أرْحَمُ الرَّاحِمين.

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ هاتَيْن الخَصْلَتيْن-

(١) رواه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ١١٢).

النَّمِيمَة والغِيبة- مِن أقْبَح القَبائح وأكثَرها انتشارًا في النَّاس؛ حتَّى ما يَسْلم منهما إلَّا القليل من النَّاس»[(١)].

إنَّ داءَ النَّمِيمَة اليوم- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوات- قد عَظُم شَرُّه، وزاد ضرَرُه، فلم يَعُد قاصرًا على أفراد مُعيَّنين، بل تَعَدَّى فسادُه إلى المجتمعات؛ فكان سببًا لقطع أواصِر المحبَّة والإخاء، ونشر العداوة والبغضاء؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «لأنَّها- أي: النَّمِيمَة- تَهْتِكُ الأسْتَارَ، وتُفْشِي الأسْرَارَ، وتُورِثُ الضَّغائنَ، وترفع المودَّةَ، وتُجَدِّد العَداوةَ، وتُبدِّد الجماعةَ، وتُهيِّج الحِقدَ، وتُزيدُ الصَّدَّ»[(٢)].

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنَّمِيمَة والغِيبَة محرَّمتان، وهما في النَّهي عنهما سَواءٌ»[(٣)].

فلو فَتَّشْنا- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- عن أسباب الفُرقة والنُّفرة بين الكثِير مِن أبنَاء الإسْلَام لوَجَدْنا أنَّ مِن ورائها النَّمام؛ الَّذِي همُّه الخبيثُ هو السَّعي وراء الإفسَاد بَيْن الأنَام.

يَقُولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والنَّمَّامُ**: هو الَّذِي يَنقل الحديثَ بين النَّاس، وبين اثنين بما يُؤذِي أحدهما، أو يُوحِش قَلْبَه على صاحِبه أو صديقه؛ بأنْ يَقُول له: «قال عنك فلانٌ كذا وكذا»،

---

(١) «الأذكار» (ص٢٦٦).

(٢) «روضة العقلاء» (ص١٨٠).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٣٤٧).

و«فَعَلَ كذا وكذا»، إلَّا أنْ يَكُون في ذَلِكَ مَصْلحَة أو فائدة؛ كتَحْذِيره مِن شَرٍّ يَحدث، أو يَترتب»[١].

فهُوَ في الحقيقة- وإنْ كان يظهر على لسَانه الخير- إلَّا أنَّ قلبه مَلِيء بالحقدِ والشَّرِّ؛ **يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والنَّمَّام وهو الَّذِي يَنقل كَلَام النَّاس بعضهم إلى بعض بَغْيًا على غير وجهِ الصَّلاح والخير»[٢].

وهو في الغَالب لا يَسْلَم مِن الكَذِب في الكَلَام إنْ لم يَكُن في الأصْل كذابًا؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والنَّمِيمَة فرعٌ مِن فُروع الكَذِب، ونوعٌ مِن أنواعه، وكل نَّمَّام كذَّاب»[٣].

فكَمْ تسَبَّب النَّمامُ بفِعْلهِ المشين في الفِرَاق بين الزَّوجين، وقَطْع الصِّلة بين الأَخَوَيْن، ونَشْر العَدَاوة بين المُتَحَابَّين، والإفسَاد بين الشَّريكَيْن؛ **يَقُولُ الإمامُ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «يُفسد النَّمام في ساعة ما لَا يُفسِد السَّاحر في شَهْرٍ»[٤].

بل قد يَتعدَّى ضَرُره إلى أنْ يَتسَبَّب في إراقَةِ دماء بعض المُسْلِمِينَ؛ **يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مِفتاح الدِّماء: الغِيبةُ،

---

(١) «الكبائر» (ص٢١١).
(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٣).
(٣) «طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف» (ص١٧٣).
(٤) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٣/ ٧٠).

والسَّعي بين النَّاس بالنَّمِيمَة بنشر الفِتَن التي يُسفك بسَببها الدِّماءُ»[١].

لِذَا، مما يَنبغِي علينا جميعًا- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ نَحذر أشَدَّ الحذَر مِن الوقُوع في هَذَا الوباء الخَبيث، وأنْ نَنْصَح مَن ابْتُلِيَ به أنْ يَتوب إلى خالقه، وأنْ يجتهد ببَذْل الأسْبَاب لتَركه والتَّخلص مِن شرِّه، **ومما يُساعِده بإذن رازقه على التَّخَلُّص مِن ضرَرِه:**

- أنْ يَعلم أنَّ هَذَا الفِعْل الذَّمِيم هو مِن كِبَار الآثَام، وهو مُحرَّم بإجْمَاع أهل الإسْلَام؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «واتَّفَقُوا علَى تَحْرِيم الغِيبَة والنَّمِيمَة في غير النَّصِيحَة الواجِبَة»[٢].

ويَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهُما مُحَرَّمَتان- أي: الغِيبَة والنَّمِيمَة- بإجماع المُسْلِمِينَ، وقد تظَاهر علَى تحريمهما الدَّلَائلُ»[٣].

- وأنَّ صَاحبَ هَذَا الدَّاء إذا لم يُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزيز الوهَّاب، ويَتْرك هَذَا الوبَاء فإنه مُتَوَعَّدٌ بالعِقَاب؛ فعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خَرَجَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن بَعْضِ حِيطَانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبُورِهِمَا فقال: «**يُعَذَّبَانِ**

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٢).

(٢) «مراتب الإجماع» (ص١٥٦).

(٣) «الأذكار» (ص٢٦٦).

وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ؛ كان أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ من البَوْلِ، وكان الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَة»[(١)].

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الدَّاوُدِي، وابنُ العَربي: (الكَبِير) المَنفي بمعنى: أكبَر، والمُثبتُ واحدُ الكبَائر، أي: ليْسَ ذَلِكَ بأكبَر الكبَائر؛ كالقَتْلِ مَثَلًا، وإنْ كان كَبِيرًا في الجُملة»[(٢)].

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبَر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرَّجُلَيْن الَّذَيْن رآهما يُعَذَّبان في قبُورهما يمشي أحدُهما بالنَّمِيمَة بين النَّاس، ويَتْرك الآخرُ الاستِبْراء مِن البول.

فهَذَا تَرَكَ الطَّهارةَ الوَاجِبَةَ، وذَلِكَ ارتكب السَّببَ المُوقِع للعداوة بين النَّاس بلسانه وإن كان صادقًا.

وفي هَذَا تنْبِيهٌ على أنَّ المُوقِع بينهم العَداوة بالكذِب والزُّور والبُهتان أعظَم عذابًا، كما أنَّ في تَرْك الاستِبْراء مِن البول تَنْبِيهًا على أنَّ مَن ترَك الصَّلاة التي الاستِبْراء من البَوْل بعض واجِبَاتها وشُروطها فهو أشدُّ عذابًا»[(٣)].

ويَقُولُ السَّفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَبْدَى بعضُ أهل العلم نُكْتَةَ ذَلِكَ،

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٢).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٣١٨).

(٣) «الروح» (ص٧٧).

وهي مما يُكتَبُ بالذَّهب على صَفَحَاتِ القُلوب، وذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ ما يُسأل عنه الإنسانُ يومَ القيامة، ويَقضِي فيه الحَقُّ جَلَّجَلَالُهُ: الصَّلاة، وَالدِّماء، وَالطَّهَارَةُ أقوى شُروط الصَّلاة وَمُقَدِّمَتُهَا، فإذا لم يَتَنَزَّهْ مِن البَوْل ولم يَسْتَبْرِئْ مِنْه فقد فرَّط في شرط الصَّلاة.

وَسَبَبُ وقوع النَّاس في سَفْكِ الدِّماء، وإراقتها بغير حقٍّ: العَداوة، وَمُقَدِّمَتُهَا: النَّمِيمَة، فإنَّها سَبَبُ العدَاوة.

وعذابُ القبر مُقَدِّمَةُ عَذاب النَّار؛ فَنَاسَبَ أنْ يَبدأ بالمُقَدِّمات أَوَّلًا، فَانْظُرْ هَذِهِ المناسبة وَتَأَمَّلهَا تَجدْهَا في غاية المُطابقة، جَزَاءً وِفَاقًا»[(١)].

ومن الوعِيد الشَّديد والزَّجر الأكِيد الَّذِي جاء في هَذَا الفِعْل الجبَان: أنَّ صاحِبهُ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإخْوَانُ- إذا لم يَتُب قبل فوَات الأوَان فإنَّه سيُحْرَم مِن دخول الجنان؛ فَعَن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمِعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[(٢)].

يَقُولُ الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»، **ففيه التَّأويلان المُتقدِّمَان في نظَائره:**

أحدهما: يُحمل علَى المُستَحلِّ بغير تأويلٍ مع العِلم بالتَّحريم.

---

(١) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١/ ٨٧).

(٢) رواه مسلم (١٠٥).

والثَّاني: لا يَدخلها دخُول الفَائزين، والله أعلم»[١].

- وعلى مَن ابتُلِيَ بهَذَا الوبَاء أن يعلم أنَّ هَذَا الدَّاء ليس مِن شِيَم الكِرَام، وإنَّما هو مِن خِصَال اللِّئام.

قيل لمُحمَّد بْن كَعْب القرظِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيُّ خِصَال المؤمِن أَوْضَع له؟ فقال: كثْرَة الكَلَام، وإفشَاء السِّر، وقَبول قَوْل كُلِّ أحَدٍ»[٢].

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَا في جَمِيع النَّاس شَرٌّ مِن الوشَاة، وهم النَّمامون، وإنَّ النَّمِيمَة لَطَبعٌ يَدُلُّ على نَتَن الأصل، ورَداءة الفرع، وفسَاد الطَّبع، وخُبث النَّشأة»[٣].

لِذَا، مما يُعرف عمَّن أُصيب بهَذَا الدَّاء المشِين أنَّه صاحب وجهين؛ الَّذِي هو مِن شِرَار النَّاس، كما أخبَرنا بذَلِكَ خيرُ المُرسَلِين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَجِدُونَ شَرَّ النَّاس ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»[٤].

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ**» أي: طائفة «**بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»، أي: بوجه آخر؛ كالمُنافقين

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ١١٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٧).

(٣) «طوق الحمامة في الألفة والأُلاف» (ص١٧٣).

(٤) رواه البخاري (٣٣٠٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢٦).

والنَّمامين»[(١)].

- وعليه أنْ يَعْلَم أنَّه إذا لم يُبادر إلى تَركِها وعلاج نفسِه من هَذَا المرض؛ فإنَّه سيَجرُّه إلى أدواء أخرى مِن أخطَرِها وأشرِّها داء الغِيبة.

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن التِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجامع بينهما- أي: النَّمِيمَة والغِيبَة- ذِكْر ما يَكرهُه المَقول فيه بظَهْر الغيب.

وقال الكَرْمَانِيُّ: الغِيبَة نوعٌ مِن النَّمِيمَة، لأنَّه لو سَمع المنقول عنه ما نُقل عنه لغمَّه.

قلتُ- أي: الحافظ ابْن حَجَر-: الغِيبَة قد تُوجَد في بعض صور النَّمِيمَة، وهو أنْ يذكره في غِيبته بما فيه مما يسوؤه، قاصدًا بذَلِكَ الإفسَاد»[(٢)].

ويا مَن نُقلَتْ إليك الأخبَار؛ احذَرْ أشدَّ الحذَر مِن أنْ تُطِيعَ وتَسْمَع لما يَنقله لك النَّمامُ، فإنَّ هَذَا مِن الآثام الَّذِي حذَّرك منه العَزِيزُ العَلَّامُ، حيث قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠، ١١].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٥٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٠).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ﴾، أي: كثير الحلف، فإنه لا يَكُون كذَلِكَ إلَّا وهو كذَّاب، ولا يَكُون كذَّابًا إلَّا وهو ﴿مَّهِينٍ﴾ أي: خسِيس النَّفس، ناقِص الهمَّة، ليس له همَّة في الخير، بل إرَادَته في شهَوَات نفْسِه الخسِيسَة.

﴿هَمَّازٖ﴾ أي: كَثِير العَيْب للنَّاس، والطَّعن فيهم بالغِيبَة والاستِهزاء، وغير ذَلِكَ.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يَمْشِي بين النَّاس بالنَّمِيمَة، وهي: نقل كَلَام بعض النَّاس لبَعْض، لقَصْد الإفسَاد بينهم، وإلقَاء العداوة والبَغْضاء»[(١)].

واعْلَمْ- سدَّدَك اللهُ- أنَّك حتَّى أنت لن تسْلَمَ مِن شَرِّ النَّمام، وأنه سيُوقع بينك وبين غيرِكَ مِن الأنام.

يَقُولُ الإمامُ الخليلُ بن أحمد الفَرَاهِيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠هـ): «مَن نَمَّ إليك نَمَّ عليك، ومَن أخبَرك بخبر غيرك أَخْبَر عنك غيرَك بخَبرِك»[(٢)].

لذَا، فبَدل أنْ تُلقي له سَمْعَك؛ انصحْهُ بالتَّوبة والرُّجوع إلى العزيز العليم، وبتَرْك هَذَا الفِعْل الذَّميم!

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

(٢) «شُعب الإيمان» للبيهقي (٧/ ٥٢١).

فإنْ أصرَّ على غيِّه فازْجُرْه؛ فإنْ استمرَّ في شرِّه فعليك أن تُبغِضَه، وتَهجُره؛ حتَّى يَتُوب ويَرْجِع إلى رُشْدِه.

يَقُولُ الغَزالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّمام يَنبغي أن يُبغَض، ولا يُوثَق بقَوْلِهِ، ولا بصدَاقته، وكيف لا يُبغَض وهو لَا يَنفكُّ عن الكَذِب، والغِيبَة، والغَدْر، والخِيَانة، والغلِّ، والحسَد، والنِّفاق، والإفسَاد بين النَّاس، والخدِيعَة، وهو ممن يَسْعَون في قَطْع مَا أَمَر الله به أنْ يُوصَلَ ويُفسِدُون في الأرض»[(١)].

واعْلَمْ- رعاكَ اللهُ- إذا أردتَ النَّجاحَ والفَلَاح فعليك بهذه النصائح القَيِّمة والوصايا الكريمة من **الإمام الغَزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يَقُولُ:** «وكلُّ مَن حُملت إليه النَّمِيمَةُ، وقيل له: إنَّ فلانًا قال فيك كذا وكذا، أو فَعَل في حقِّك كذا، أو هو يُدَبِّر في إفسَاد أمْرِك أو في مُمالأة عدوِّك، أو تقْبِيح حالك، أو ما يجري مَجْرَاه، **فعليه سِتَّةُ أُمُور:**

الأول: أن لا يُصَدِّقه؛ لأنَّ النَّمام فاسِقٌ، وهو مرْدُودُ الشَّهادة؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦].

الثَّاني: أن يَنهاه عن ذَلِكَ، ويَنصح له، ويُقَبِّح عليه فِعْلَه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٣/ ١٥٦).

الثَّالث: أنْ يُبغِضَه في الله تعالى، فإنَّه بغِيض عند الله تعالى، ويجب بُغض مَن يبغضه الله تعالى.

الرَّابع: أنْ لا تَظُنَّ بأخِيك الغائب السُّوء؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامِس: أن لا يحملك ما حُكِيَ لك علَى التَّجسُّس والبَحْث لتتحقق؛ اتِّباعًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢].

السَّادس: أن لا تَرْضَى لنَفْسِك ما نَهيت النَّمام عنه، ولا تحكي نمِيمَته فتقول: فلانٌ قد حَكى لي كذا وكذا، فتَكُون به نمَّامًا ومُغتابًا، وقد تكون قد أتَيْتَ ما عنه نَهَيْتَ»[(١)].

وفي الختام: إنَّ مِمَّا يَنبغي علينا جميعًا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- هو أن نستعمل ألسِنَتنا في طاعة الرَّحمن؛ كِذِكْر العَزيز المَنَّان في كل الأحيَان، وقراءة القُرآن.

وعلينا كذَلِكَ أنْ نحفَظها مِن كل أنواع العِصْيَان، ولا نُطلق لها العِنان في الغِيبَة والنَّمِيمَة والكَذِب والبُهتان، فتَجُرنا إلى المهَالك ونَصْلى بسببها النِّيران؛ فعن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وُجُوهِهِمْ- أو على مَنَاخِرِهِمْ- إلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ؟!**»[(٢)].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمراد بحصَائد الألسِنَة**: جَزاء الكلام المُحرَّم وعقُوباته، فإنَّ الإنسَانَ يزرع بقوله وعمَله الحسَنات والسَّيئات، ثم يحصُد يوم القِيَامة ما زرَع.

فَمَنْ زَرَعَ خيرًا مِن قولٍ أو عَمَلٍ حصَد الكرامة، ومَنْ زَرَعَ شرًّا مِن قولٍ أو عملٍ حَصَدَ غدًا النَّدامة.

وظاهر حديث مُعاذ يدلُّ علَى أنَّ أكثر ما يَدخل النَّاس به النَّار النُّطق بألسِنَتهم؛ فإنَّ معصِيَة النُّطق يَدخل فيها الشِّرك، وهو أعظم الذُّنوب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها القَوْل على الله بغير عِلم، وهو قرين الشِّرك، ويَدخل فيها شهادة الزُّور الَّتي عَدَلت الإشْرَاك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويَدخُل فيها السِّحر، والقَذْف، وغير ذَلِكَ مِن الكَبائر والصَّغائر؛ كالكَذِب، والغِيبة، والنَّمِيمَة، وسائر المَعاصي الفِعْليَّة لا يخلو غالبًا مِن قولٍ يَقترن بها يَكُون مُعِينًا عليها»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يَرزقنا- وإيَّاكُمْ- التوبةَ النَّصوحَ، ويُوفِّقنا للعمل الصَّالح، وإلى كل ما فيه السَّعادة والسُّرور، وأن يُجنِّبَنا الوقُوعَ في الغِيبَة والنَّمِيمَة، وكل أنواع الشُّرور؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ والعزيزُ الغفورُ.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٧٤).

تذكير الأخيار
بفضل الاستغفار

تذكير الأخيار بفضل الاستغفار

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن صِفَات الأخْيَار، وعلامات الأبرَار: كَثْرَةَ الذِّكر والاستِغْفَار؛ يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاستِغْفَار**: استِفْعَال، مِن طلب الغُفْرَان، **والغُفْران**: تَغطية الذَّنب بالعَفو عنه. **والغَفر**: السِّتر»[(١)].

قُدوتهم في ذَلِكَ- أَيُّها الكِرَامُ- رسولُ العَزِيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ الَّذِي كان دائمَ الاستِغْفَار والرُّجوع إلى الغفور الغَفَّار؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**واللهِ إنِّي لأسْتَغْفِرُ اللهَ، وأتُوبُ إلَيْهِ في اليَوْمِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّة**»[(٢)].

---

(١) «نزهة الأعين النواظر» (ص٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوْلَى العِبَاد بالاجْتِهَاد في العِبَادة: الأنبياء عليهم السَّلام؛ لِمَا حَبَاهم اللهُ به مِن مَعرفته، فَهُم دَائِبون في شُكْر ربِّهم، مُعترِفُون له بالتَّقصير، لا يُدلُّون عليه بالأعمَال، مستَكِينُونَ خاشعون»(١).

ويَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُحتمل أن يَكُون- كثرة استغفاره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاشتغاله بالأمور المُباحة مِن أكلٍ، أو شُربٍ، أو جِمَاع، أو نوم، أو راحة، أو لمخاطبة النَّاس، والنَّظر في مصَالحهم، ومحاربة عدُوِّهم تارة، ومُداراتِه أُخرى، وتأليف المُؤلَّفة، وغير ذَلِكَ مما يَحجبه عن الاشتِغَال بذِكْر الله، والتَّضرع إليه، ومُشاهدته ومُراقبته، فيرى ذَلِكَ ذَنْبًا بالنِّسبة إلى المَقام العَلِيِّ»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما كان يَسْتَغفِر هَذَا المِقدار مع أنه مَعصومٌ، ومَغفورٌ له؛ لأن الاسْتِغْفَارَ عبَادةٌ، أو هو تَعليمٌ لأمَّته، أو استِغْفَارٌ مِن تَرْك الأَوْلَى، أو قالَه تَوَاضُعًا، أو ما كان عن سَهْوٍ، أو قَبْل النُّبوة»(٣).

وهُم كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- على يَقِينٍ تامٍّ أنه لا غِنَى لأحدٍ كائنًا مَن كان عَن طلب المغفرةِ والعفو مِن العزيز الرَّحمن.

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٧٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ١٠٢).

(٣) «عمدة القاري» (٢٢/ ٢٧٩).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليْسَ لأحدٍ أنْ يظُنَّ استِغْنَاءه عن التَّوبة إلى الله، والاستِغْفَار مِن الذُّنوب، بل كُلُّ أحدٍ محتاجٌ إلى ذَلِكَ دائمًا»(١).

لكن مما يَمْتازُون به- أَيُّها الأفاضلُ- عن غيرهم أنهم يُبادرون بالتَّوبةِ والذِّكْر، وطلب المَغفرة مِن المَنَّان عند وقوعهم في الإثْم والعِصْيَان؛ يَقُولُ عنهم العزيز الرَّحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: صَدَر منهم أعمالٌ سيِّئةٌ كبيرة، أو ما دُون ذَلِكَ، بادرُوا إلى التَّوبة والاستِغْفَار، وذكَرُوا ربَّهم، وما توَعَّد به العَاصِين، ووعد به المُتَّقين، فسَألوه المغفرة لذُنوبِهم، والسِّتر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، ونَدمهم عليها، فلهَذَا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»(٢).

فالعَبدُ مهما عَلَت درجَتُه وارتفعَتْ مكانتُه- لضعفه البشري- لا بد أن يَقع في التَّقصير، ومخالفة ما أَمَرَه به العزيزُ القديرُ.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبدُ دائمًا بين نعمةٍ

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص١٤٩).

مِن الله يحتاج فيها إلى شُكر، وذنبٍ منه يحتاج فيه إلى الاسْتِغْفَار، وكلٌّ مِن هذين مِن الأمور اللَّازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يَزال يتقَلَّب في نِعَم الله وآلائه، ولا يزَال محتاجًا إلى التَّوبة والاستِغْفَار، ولهَذَا كان سيِّدُ ولد آدم، وإمَام المتقين محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسْتَغفر في جمِيع الأحوال»(١).

فالاستِغْفَارُ والرُّجوعُ إلى العَلِيِّ الغفَّار مِن أعظم الأدوية الرَّبَّانيَّة، والوسَائل الشَّرعيَّة التي تُعين العبْدَ على دَفْع ما يقَع في صدره مِن ضيقٍ، وفي قلبِه مِن قسوةٍ.

يَقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستِغْفَار من أكبر الحسَنات، وبابه واسِعٌ، فمَنْ أحسَّ بتقْصِيرٍ في قوله، أو عمَله، أو حاله، أو رزقه، أو تَقَلُّب قلب؛ فعلَيْهِ بالتَّوحيد والاسْتِغْفَار، ففيهما الشِّفاءُ إذا كانَا بصدقٍ وإخلاص»(٢).

والأبْرَار كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيَار- يَعْلمُونَ أنَّ الإكثار مِن الاسْتِغْفَار هو مِن أعظم الأسبَاب المُعِينَة على تحقيق المطلوب، ونَيْل المرغوب في الدُّنيا والآخِرَة بإذن علَّام الغيوب؛ يَقُولُ سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود:٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٩٨).

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة تدلُّ على أنَّ الاستِغْفَار والتَّوبة إلى الله تعالى مِن الذُّنوب سببٌ لِئَن يُمَتِّع الله مَن فَعَلَ ذَلِكَ متاعًا حسَنًا إلى أجلٍ مُسمًّى؛ لأنَّه رتَّب ذَلِكَ على الاستِغْفَار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظَّاهر: أنَّ المرادَ بالمَتَاع الحَسَن: سَعة الرِّزق، ورغَد العَيْش، والعَافية في الدُّنيا.

وأنَّ المراد بالأجَل المسمَّى: الموت»[(١)].

بل- مِن حرْصِهم- لا يَكتَفُون بسؤال المغفرة لأنفسهم مِن أرْحَم الرَّاحِمين، بل يَطْلُبونها للآخَرين من المُؤمِنينَ، وذَلِكَ امتثالًا منهم لما أمرَهُم به ربُّ العالمين، حيث قال لخير المُرسَلِين، وسيِّد ولد آدم أَجْمَعِين: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: اطلُبْ مِن الله المَغفرة لِذَنْبِك، بأنْ تفعل أسبَاب المغفرة مِن التَّوبة والدُّعاء بالمغفرة، والحسَنات الماحية، وتَرْك الذُّنوب، والعَفْو عَن الجَرَائم.

واسْتَغْفِر- أيضًا- للمُؤمنين والمؤمنات؛ فإنَّهم- بسببِ إيمانهم- كان لهم حقٌّ على كلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ.

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ١٦٩).

ومِن جملة حُقُوقِهم: أنْ يَدعو لهم، ويَستغفر لِذُنوبهم، وإذا كان مَأمورًا بالاستِغْفَار لهم المُتضمن لإزالة الذُّنوب وعقوباتها عنهم، فإنَّ مِن لوازم ذَلِكَ النُّصح لهم، وأن يُحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم مِن الشَّرِّ ما يَكره لنفسه، ويأمُرهم بما فيه الخير لَهُم، وينهاهُم عمَّا فيه ضَررهم، ويَعفو عن مسَاويهم ومعَايبهم، ويحرص على اجتِمَاعهم اجتماعًا تتألَّف به قلوبهم، ويَزُول ما بيْنَهم مِن الأحقَاد المُفضِيَة للمُعاداة والشِّقاق، الَّذِي به تَكثر ذُنوبُهم ومعَاصِيهم»[(١)].

إنَّ مما يَنبغِي علينا جميعًا- أيُّها الإِخْوةُ والأَخَوَاتُ- أنْ نحرص على التَّحلي بصِفَات هؤلاء الأخيَار، والاقتداء بهدي هؤلاء الأبرار.

ومن ذَلِكَ: أنْ نُكْثِر دائمًا مِن التَّوبة والاستِغْفَار في كل الأوقات؛ **يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «أكثِرُوا مِن الاستِغْفَار في بيوتكم، وعلى مَوائدكُم، وفي طُرُقِكُم، وفي أسوَاقِكُم، وفي مجَالسِكُم، أينَما كنتم، فإنَّكُم ما تَدْرُونَ متَى تنزل المَغفرةُ»[(٢)].

وعلينا أنْ نَعْلَم أنَّ هَذَا الفِعْل الحمِيد، والصِّفة الكَرِيمة هي مِن ثمَرات الإيمَان باسْمَيِ اللهِ جَلَّوَعَلَا «الغَفور والغَفَّار»، اللَّذِين جاء

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٨٧).

(٢) «التوبة» لابن أبي الدنيا (ص٢٧٣).

ذِكرُهما في مواضِع عديدَة من القرآن العظيم؛ من ذَلِكَ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغَفُور: الَّذِي لم يَزل يَغفِر الذُّنوب ويَتوب على كل مَن يَتُوب»(١).

وأيضًا قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٦].

يَقُولُ البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفَّار: هو السَّتَّار لِذُنُوب عِبادِهِ مرَّةً بعد أخرى»(٢).

وعلينا أن نَجمع عند طَلَب المَغفرة مِن الرَّحمن بيْنَ استِحْضَار القلب والذِّكر باللِّسَان؛ **يَقُولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «**قال علماؤنا:** الاستِغْفَار المَطْلُوب هو الَّذِي يُحِلُّ عُقَدَ الإصْرَار، ويُثَبِّت معناه في الجَنان، لا التَّلفظ باللِّسَان، فأمَّا مَن قال بلِسَانهِ: أَستَغْفِر اللهَ، وقلبُه مُصِرٌّ على مَعصِيَته؛ فاستِغْفَارُه ذَلِكَ يحتاجُ إلى استِغْفَار»(٣).

ولنَحْذرَ أشدَّ الحذَر مِن أنْ نَمِلَّ مِن التَّوبةِ والاسْتِغْفَار، مهما تكرَّرت منَّا الآثام؛ لأنَّ هَذَا تلبيسٌ وتيْئِيس إبليس، الَّذِي يسْعَى

---

(١) «الحق الواضح المُبين» (ص٧٣).

(٢) «الاعتقاد» (ص٥٦).

(٣) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢١٠).

جاهدًا ليُقَنِّطنَا مِن رحمة العَزيز الغفَّار.

قِيل للإمام الحَسَن البَصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَلَا يَستحي أحدُنا مِن ربِّه، يَستغفر مِن ذُنوبه ثم يعود، ثم يَستغفر ثم يعود؟!

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودَّ الشَّيطَانُ لو ظَفِر منكم بهَذَا! فلا تمَلُّوا مِن الاسْتِغْفَار»(١).

وفي الختام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- من الأسئلة التي قد تُطرح في هَذَا المقام:

ما هو الفرقُ بين الاسْتِغْفَار والتوبة إلى الغفور العَلَّام عند الأئمَّة الأعلام؟

يُجيبنا على ذَلِكَ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيَقُولُ: «الاستِغْفَار نوعَان: مُفرد، ومَقرون بالتوبة:

فالمُفرد: كقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦]...

والمقرون: كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٦٥).

فالاستِغْفَارُ المُفرد كالتَّوبة، بل هو التَّوبةُ بعَينها، مع تضَمُّنه طلَب المغفرة مِن الله، وهو محو الذَّنب، وإزالة أَثَره، ووقاية شرِّه، لا كمَا ظنَّهُ بعض النَّاس: أنها السِّتر، فإنَّ الله يستر على مَن يغفر لهُ ومَن لا يَغفر له، ولكنَّ السِّتْر لازمُ مُسَمَّاها، أو جزؤه؛ فدلالتها عليه إمَّا بالتَّضمن وإمَّا باللزوم.

وحقيقتها: وقاية شَرِّ الذَّنب، ومنه المِغْفَر لِمَا يَقي الرَّأس مِن الأذَى، والسِّتر لازمٌ لهَذَا المعنى، وإلَّا فالعمَامة لا تُسمَّى مِغْفرًا، ولا القُبع ونحوه مع سِتْره، فلَا بُدَّ في لفظ المِغْفر مِن الوقاية.

وهَذَا الاستِغْفَارُ هو الَّذِي يَمنع العَذاب في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإنَّ اللهَ لا يُعَذِّب مُستغفِرًا، وأمَّا مَن أصرَّ على الذَّنب، وطَلَب مِن الله مَغفرته، فهَذَا ليس باستِغْفَارٍ مُطْلَق؛ ولهَذَا لا يَمنع العذَاب، فالاسْتِغْفَار يتضمَّن التَّوبة، والتَّوبة تتضَمَّن الاستِغْفَار، وكل منهما يَدخُل في مسمَّى الآخر عند الإطْلَاق.

وأمَّا عند اقتِرَان إحدى اللَّفظتين بالأخرى، فالاستِغْفَار: طلب وقاية شَرِّ مَا مضَى، والتوبة: الرجوع، وطلب وقاية شَرِّ ما يخافه في المسْتَقْبَل مِن سيِّئات أعماله.

فها هنا ذَنبان: ذنبٌ قد مضَى، **فالاستِغْفَارُ منه**: طلَبُ وقاية شَرِّه، وذنبٌ يخاف وقوعه. **فالتوبة**: العَزْم علَى أنْ لَا يفعله.

والرُّجوع إلى الله يتَناول النَّوعين: رجوع إليه ليَقِيَهُ شَرَّ ما مضَى، ورجوع إليه ليقِيَهُ شَرَّ مَا يُستقبل مِن شَرِّ نفسِه وسَيِّئات أعمالِه»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنَا- وإيَّاكُمْ- لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلنا دائمًا له- سبحانه- مِن الذَّاكرين والمُستَغْفرِين، وأن يُجنِّبنا جميعًا كُلَّ ما يُبغضُه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ الغَفلة عن الدِّين، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٨).

ما أحوجَنا إلى التَّحَلّي
بالأخلاق الفاضلة!

ما أحوجنا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يتَميَّز به أهلُ الإيمَان عن غيرهم مِن الأنَام: أنهم يَدْعُون النَّاسَ إلى كل ما ينفعهم في الدُّنيا، ويوم الوقوف بين يدي العَزِيز العَلَّام، ومن ذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنهم يحثونهم إلى التَّحلي بكل خُلُقٍ فاضلٍ، وأدبٍ رفيعٍ.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَأمرون- أي: أهل السُّنة والجماعة- بالصَّبر عند البَلَاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضا بمُرِّ القَضاء، ويَدْعُونَ إلى مكارم الأخْلَاق، ومحَاسِن الأعمَال»[1].

لأنَّهم يَعلمون- أيُّها الأحبابُ- أنَّ مِن أهم الأسبَاب التي تُعين العَبْدَ على تحصيل الخير- بإذن العزيز الوَهَّاب- هو اتِّصَافه بمكارم

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٨).

الأخْلَاق، وحُسن الآداب؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما استُجلب خيرُ الدُّنيا والآخِرَة بمِثل الأدب، ولا استُجلب حِرمانها بمثل قِلَّة الأدب»(١).

وأنَّ الأخْلَاقَ الحَسَنَةَ والصِّفات الحميدة هي مِن الطُّرُق المُوصِلَة للجِنَان بإذن الكريم المنَّان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فقال: «**تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**»(٢).

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَمَعَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوى الله وحُسْن الخلُق؛ لأنَّ تقوى الله يُصلح ما بين العبد وبين ربِّه، وحُسْنُ الخُلُق يُصْلِح ما بينه وبين خَلْقِه؛ فتقْوَى الله تُوجب له محبَّة الله، وحُسْن الخُلُق يَدعو النَّاس إلى محبَّته»(٣).

لِذَا، كان مما أوْصَى به نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أهلَ الإسْلَام أنْ يَحْرِصُوا على التَّحَلِّي بكلِّ ما هو جَمِيل، ويبْتعِدُوا عن كل مَا هو قَبيح، وأن يتعَامَلُوا فيما بينهم بالأخْلَاق الحَسَنة، والصِّفات الكَرِيمة، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاس**

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «الفوائد» (ص٥٤).

بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[١].

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهَذِهِ الوصيَّةُ وصيةٌ عظيمة، جامعةٌ لحُقوق الله، وحُقوق عِبادِه»[٢].

ويَقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاع الخُلُق الحَسَن مع النَّاس: أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بالسَّلام، والإكْرَام، والدُّعاء له، والاستِغْفَار، والثَّناء عليه، والزِّيارة له، وتُعْطِي مَنْ حَرَمكَ مِن التَّعليم والمَنفعة والمال، وتَعْفُوَ عمَّن ظَلَمَك في دمٍ أو مالٍ أو عِرْض، وبَعْضُ هَذَا واجبٌ، وبَعْضُه مُسْتَحَبٌّ»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأوَّلُ الخُلُق الحَسَن- أي: مع النَّاس-: أن تَكُفَّ عنهم أَذَاك مِن كل وَجْهٍ، وتَعفو عن مَساوئهم وأَذِيَّتهم لك، ثم تعاملهم بالإحسَان القَوْلي والإحسَان الفِعْلِي، وأخَصُّ ما يَكُون بالخُلُق الحَسَن: سَعة الحِلم على النَّاس، والصَّبر عليهم، وعدم الضَّجَر منهم، وبشَاشَة الوجه، ولُطْف الكلَام، والقَوْل الجميل المُؤنس للجَلِيس، المُدخل عليه السُّرور، المُزيل لِوَحْشتِه، ومَشقَّة حِشْمَته، وقد يَحْسُن المَزح أحيانًا إذا كان فيه مَصلحة، لكن لا يَنبغي الإكثَارُ منه، وإنَّما المَزح في الكلَام كالمِلْح في الطَّعام؛ إنْ عُدِم

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص١٥٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٨).

أو زادَ على الحَدِّ؛ فهو مذمومٌ.

ومِن الخُلُق الحَسَن: أنَّ تُعامل كُلَّ أَحَدٍ بما يَليق به، ويُناسب حاله مِن صغيرٍ وكبير، وعاقلٍ وأحمق، وعالمٍ وجاهل.

فَمَن اتَّقَى اللهَ، وحقَّق تقوَاه، وخالَقَ النَّاسَ على اختِلَاف طبقاتهم بالخُلُق الحَسَن؛ فقد حازَ الخيرَ كُلَّه؛ لأنَّه قامَ بحقِّ الله وحُقُوق العباد، ولأنَّهُ كان مِن المُحسنين في عبادة الله، المُحسنين إلى عِباد الله»[(١)].

لقد عَرَف سلفُنا الصَّالحُ رحمهم ربُّ البرِيَّة- أَيُّها الأَحِبَّةُ- قِيمة وأهميَّة هَذِهِ الوصيَّة النبويَّة؛ فاجتَهَدُوا على تحقِيقهَا، وحَثُّوا غيرهم على العمَل بها؛ **يَقُولُ الإمامُ محمد بن سِيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «كانوا يَتعَلَّمُون الهَدْيَ كما يَتعَلَّمُون العِلم»[(٢)].

لأنَّهم كانوا يَعلمون أنَّ من سِمَات المُسلم التَّحَلِّي بكل فضيلة، والبُعد عن كل رَذيلة؛ **يَقُولُ الشَّيخُ بَكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «لقد تَوَارَدتْ مُوجبات الشَّرع على أنَّ التَّحَلِّي بمَحاسِن الأدب، ومكارم الأخْلَاق والهَدْي الحَسَن، والسَّمت الصَّالح: سِمَة أهل الإسْلَام»[(٣)].

وأنَّ حُسْنَ الأدب عُنوانُ الفَوْز والسَّعادة، وقِلَّتَه علامةُ الحرمان

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٣٥٥).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع» للخطيب البغدادي (٩).

(٣) «حلية طالب العلم» (ص٢).

والشَّقاوة؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأَدَبُ المَرء**: عنوان سعادته وفَلاحه. **وقِلَّةُ أَدَبِه**: عُنوان شقاوته وبَوَاره»(١).

وأنَّه كلما كَمُل إيمَانُ العَبْد حَسُن خُلُقه؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤمِنينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٢).

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي أن يَكُون هَذَا الحديث دائمًا نُصْبَ عَين المؤمن؛ لأنَّ الإنسَانَ إذا عَلِم بأنه لن يَكُون كاملَ الإيمَان إلا إذا أَحْسَن خُلُقَه كان ذَلِكَ دافعًا له على التَّخلُّق بمكارم الأخْلَاق، ومَعالي الصِّفات، وتَرك سفَاسِفَها ورَدِيئها»(٣).

وأنَّ المُسلمَ الحقيقيَّ هو الَّذِي يَسْلَمُ النَّاسُ مِن أَذَاه؛ فعن عَبْدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٤).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذَلِكَ أنَّ الإسْلَامَ الحقيقيَّ: هو الاستِسْلَامُ لله، وتَكْمِيل عُبُودِيَّته، والقِيَام بحقوقه، وحقوق

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «مكارم الأخلاق» للشَّيخ ابن عُثيمين (ص١٠).

(٤) رواه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٤٠).

المُسْلِمِينَ، ولا يَتِمُّ الإِسْلَامُ حتَّى يُحِبَّ للمُسْلِمِين ما يُحِب لنفسِه، ولا يتحقَّق ذَلِكَ إلَّا بسَلامتهم مِن شَرِّ لِسانه وشَرِّ يَدِه، فإنَّ هَذَا أصلُ هَذَا الفَرْض الَّذِي عليه للمُسْلِمِين، فَمَن لم يَسْلَم المُسلمون مِن لسانه أو يَده كيف يَكُون قائمًا بالفرض الَّذِي عليه لإخوانه المُسْلِمِينَ؟! فسَلامتُهم مِن شرِّه القولي والفِعْلي عُنْوَانٌ علَى كمَال إسلَامه»[(١)].

بل مع اتِّصَافهم بكلِّ خُلُقٍ نَبيل، ووصفٍ كريم كانوا يرَوْن أنفسَهُم- رضي الله عنهم ورحمهم- أنَّهم في هَذَا الباب مِن أهل التَّقصِير؛ **يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١ هـ):** «قال لي مَخْلَد بن الحُسين [البَصْري (ت ١٩١هـ)]: نحن إلى كثير مِن الأدب أَحْوَج مِنَّا إلى كثيرٍ مِن الحَديث»[(٢)].

فأين نحن- يا طلبةَ العِلم الكِرَام- مِن هَدْي هؤلاء الأعلام؟!

إننا- واللهِ- لنَحْزَن أشدَّ الحُزن عندما نرَى أنَّ بعض مَن هو معدود مِن أهل الاستِقَامة- إلَّا مَن رحم الله- بعيد كلَّ البُعد عن التَّحلي بالأخْلَاق الحَسَنة والصِّفات الكَرِيمة، بل يَزيد الحُزن، ويَعظُم الأسَى إذا كان مِن هؤلاء مَن يُحسب على طلبة العلم!

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٧).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع» للخطيب البغدادي (١١).

أليس الواجبُ والأجدرُ- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ يَكُون طلَّابُ العِلم مِن السَّابقين الأوَّلين لكل أنواع الخيرات؟!

يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الَّذِي يَفُوق النَّاس في العِلم جدِيرٌ أنْ يَفُوقَهُم في العَمَل»(١).

يَقُولُ الخَطِيبُ البَغْدَادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ أن يَكُون طَلَبة الحديث أكمل النَّاس أَدَبًا، وأَشَدَّ الخَلْق تواضعًا، وأعظمهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلهم طَيْشًا وغَضبًا؛ لِدَوام قَرْع أسماعهم بالأخبار المُشتملة على محاسن أخلاقِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه وسيرة السَّلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المُحَدِّثين، ومآثر الماضين؛ فيَأخذوا بأجملِها وأَحْسَنِها، ويَصْدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها»(٢).

فالله الله يا طالبَ العلم؛ احْرِصْ- وفَّقك العزيز العظيم- على الاتِّصَاف بالآدابِ الرَّفيعة، والصفات الكَرِيمة، وعامِل النَّاس كمَا أَمَرَك بذَلِكَ دينُك القَويم، كُلٌّ على حَسب مكانته ومنزلته.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَمَّا الأدَبُ مع الخَلْق: فهُوَ مُعاملتُهم- على اختِلَاف مَرَاتبهم- بما يَلِيق بهم، فلكلِّ مَرتبةٍ أدَب، والمرَاتبُ فيها أدبٌ خاصٌّ، فَمَع الوَالِدين: أدبٌ خاصٌّ، وللأبِ

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٧٨).

منهما: أدبٌ هو أخصُّ به، ومع العَالم: أدبٌ آخَر، ومع السُّلطان: أدبٌ يَليق به، وله مع الأَقْرَان أدبٌ يليق بهم، ومع الأجَانب: أدبٌ غير أدبِه مع أصحابه وذوي أُنْسِه، ومع الضَّيف: أدبٌ غير أَدَبِه مع أهلِ بَيته»[(١)].

واحْذَرْ- وَفَّقَك الرَّحمن- أشدَّ الحَذَر مِن معاملتهم بالأخْلَاق السَّيئة والصِّفات القَبِيحَة؛ فتُنَفِّر النَّاسَ عن دين الإسْلَام، وتَذَكَّر دائمًا ما قاله العَزِيزُ العَلَّام للمَعصوم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: برحمة الله لك ولأصحابك، مَنَّ اللهُ عَليك أنْ ألَنْتَ لهم جَانِبَك، وخَفَضْتَ لهم جَناحك، وترَقَّقت عليهم، وحسَّنت لهم خُلُقَك؛ فاجْتَمعُوا عليكَ وأحَبُّوك، وامتثَلُوا أمْرَك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سَيِّئ الخُلُق، ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسِيهِ، ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾؛ لأنَّ هَذَا يُنفِّرهُم، ويُبغِّضُهم لِمَنْ قام به هَذَا الخُلُق السَّيِّئ.

فالأخْلَاقُ الحَسَنةُ مِن الرَّئيس في الدِّين تَجذبُ النَّاسَ إلى دين

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

الله، وتُرَغِّبهم فيه، مَع ما لصَاحبه من المَدْح والثَّواب الخاص.

والأخْلَاق السَّيئة مِن الرَّئيس في الدِّين تُنَفِّر النَّاس عن الدِّين، وتُبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذَّمِّ والعِقَاب الخاصِّ.

فهَذَا الرسولُ المَعصومُ يَقُولُ اللهُ له ما يَقُولُ؛ فكيف بغيرِه؟!

أليس مِن أَوْجَب الواجبات، وأهمِّ المُهِمَّات: الاقتِدَاء بأخلَاقه الكَرِيمة، ومعاملة النَّاس بما يُعاملهم به ﷺ مِن اللِّين وحُسْن الخُلُق والتَّأليف؟! امتثالًا لأمر الله، وجَذْبًا لعباد الله لدين الله»[(١)].

واعلَمْ أنَّ العِلمَ الشَّرعيَّ إنْ لم يُزيَّن بالأدَب وحُسْن الخُلق كان وبالًا وذمًّا لصاحبه.

يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبَارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَنبُل الرَّجُل بنوعٍ مِن العِلم ما لم يُزَيِّن عِلْمَه بالأدبِ»[(٢)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقَنا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يُقَرِّبُنا إليه، ومِن ذَلِكَ التَّحَلِّي بالأخْلَاقِ الفاضلة والصفات الكَرِيمة.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ ما يُبْعِدُنا عنه سبحانه، ومن ذَلِكَ الاتِّصاف

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٥٤).

(٢) «الآداب الشرعيَّة» لابن مُفلح (٣/ ٥٢٣).

بكلِّ ما هو مذمومٌ ومُشينٌ، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

نُوَّابُ إبليسَ في الأرض!

نوَّاب إبليس في الأرض!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ العَزيزَ العَظِيمَ أخبَرنا في كِتَابه الكريم أنَّ الشَّيطَان الرجيم سَيَسْعَى بكلِّ الوسائل وشَتَّى الطُّرُق لإبعاد النَّاس عن الطَّريق المُستقيم، بل أَقْسَم إبليسُ اللَّعِينُ على أن يجتهد في إغواء النَّاس أَجْمَعِين إلا مَن لم يتمكن منه مِن عباد أرْحَمِ الرَّاحِمين المُخلَصين، حيث قال كما أخبرنا عنه أرْحَمُ الرَّاحِمين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

يَقُولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَقْسَم- أي: الشَّيطَانُ- بعزَّة الله أنه يُضِلُّ بنِي آدم بتَزْيِين الشَّهوات لهم، وإدخَال الشُّبَه عليهم؛ حتى يَصِيرُوا غاوين جميعًا، ثُمَّ لمَّا عَلِم أنَّ كيدَه لا يَنْجَع إلَّا في أتْبَاعه، وأحزابه من أهل الكُفر والمعاصي استَثْنَى مَن لا يَقدر على إضلاله، ولا يَجد السَّبيلَ إلى إغوائه؛ فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الَّذِين أَخْلَصْتَهم لطاعتك، وعَصِمْتَهم من

الشَّيطَان الرَّجِيم»[١].

وقد انتهجَ عَدُوُّ العَزِيزِ العَلَّام في محاولة صَرْفِ بعض أهل الإسْلَام عمَّا جاء به خيرُ الأنَام علَيهِ أفضَلُ الصَّلاة والسَّلام- أَيُّها الكِرَامُ- أَسَاليبَ مُتنوِّعَةً، وطرُقًا ماكِرَةً؛ فجاء لطائفةٍ مِن المُسْلِمِينَ فزيَّن لهم الغُلو والتَّشدُّد في الدِّين، وجاء لجماعة أُخرى فَزَيَّن لهم التَّقصِير والتَّفريط في العَمَل بما أمرهُم ربُّ العالمين، فاللَّعين لا يُبالي بمن يَظفر من الصِّنفين؛ لأنَّ همَّهُ الوَحِيد هو إفساد الدِّين، وانْحِرَاف المُسْلِمِينَ عن الطَّريق المُستقِيم والحقِّ القَويم.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال بعضُ السَّلف**: ما أَمَرَ اللهُ تعالَى بِأَمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه نَزْغَتان: إمَّا إلى تَفْريطٍ وتَقصِير، وإمَّا إلى مُجاوزةٍ وغُلُو، ولا يُبالي بأيِّهما ظَفَرَ»[٢].

ولكي ينْجَح في هَذَا المُخطَّط الخبيث، والعمَل المشِين جَنَّدَ أعوانًا له من الآدمِيِّين؛ لأنَّه يعلم أنَّ هؤلاء تأثِيرُهم أشَدُّ وأخطَرُ علَى عامَّة المُسْلِمِينَ؛ فَتَنَوَّعت أعمالُ هؤلاء الأعوَان بيْنَ الإضْلَال في الدِّين، وتزْيِين معْصِيَةِ ربِّ العَالمين.

فَمِنْ جنُودِه ونُوَّابه مَن أعانُوه علَى مُحاربَة التَّوحيد وأهله، والدَّعوة إليه، واجتَهدوا معه في نَشْرِ الشِّرك، والخُرَافَات، والتَّنديد، وتَنكِيس

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٤٤٦).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

الفِطْرة الَّتي خَلَق العَزِيزُ الحَميدُ عليها العَبِيدَ؛ فَعن عِيَاضِ بن حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيهم ما أَحْلَلتُ لهم، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي ما لم أُنْزِل بِهِ سُلطَانًا**»[(١)].

يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ**»، يعني: الشَّياطِين، أي: استخَفَّتهم؛ فَذَهَبت بهم، وساقَتْهُم إلى ما أرَادُوه منهم»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ عِبَادهُ حُنفَاءَ مَفطُورين علَى قَبُول الحَقِّ وإيثاره؛ فَجاءتهم الشَّياطِينُ فَاجْتَالتْهُم عَن هَذَا الخُلُقِ الجَميل، وزَيَّنت لهم الشَّرَّ، والشِّرك، والكُفر، والفُسوق، والعِصْيَان، فإنَّ كلَّ مَولود يُولَد على الفِطْرَة، ولكن أَبَواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرَانه، أو يُمَجِّسانه، ونحو ذَلِكَ مما يُغَيِّرون به ما فَطَر اللهُ عليه العِبَاد مِن توحيده، وحبِّه ومَعْرِفَته، فافتَرستْهُم الشَّياطِينُ في هَذَا المَوْضِع افتِرَاس السَّبُع والذِّئاب للغنَم المُنفردة، ولوْلَا لطفُ الله وكرَمُه بعبادِه المُخلِصين لجرَى عليهم ما جرَى على هؤلاء المَفتونين، وهَذَا الَّذِي جرى عليهم مِن تَوَلِّيهم عن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ١٦٥).

ربِّهم وفاطِرهم، وتَوَلِّيهم لِعَدوهم المُريد لهم الشَّرَّ مِن كل وجه، فَخَسِرُوا الدُّنيا والآخِرَةَ، ورجعوا بالخَيْبَة والصَّفقة الخَاسرة»[١].

ومِن أوليائه مَن تَكَفَّل بمهمَّةٍ أُخرى، ألَا وهِيَ: دعوة النَّاس إلى البِدَع والمُحدَثات، وإبعادهم عن سُنَّة وهَدْي خيرِ البَريَّات، وهؤلاء المُضلِّين هم مِن أحبِّ الجُنود إلى إبليس اللَّعين مِن أهل المعاصي المُفسِدين؛ لأنَّ البدعةَ في الدِّين أحبُّ إليه من معصِيَة ربِّ العالمين، يَقُولُ الإمامُ سُفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعةُ أَحَبُّ إلى الشَّيطَانِ مِن المَعصية؛ المعصيةُ يُتابُ مِنها، والبدعةُ لا يُتاب منها»[٢].

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قولهم: «أنَّ البِدعةَ لا يُتاب منها»: أنَّ المُبتدع الَّذِي يَتَّخذ دِينًا لم يَشْرَعْهُ الله ولا رَسُوله، قد زُيِّن له سوءُ عمَلِهِ فرآه حَسَنًا، فهو لا يَتُوب ما دام يَراه حسَنًا؛ لأنَّ أوَّلَ التَّوبة العِلم بأنَّ فِعْلهُ سَيِّئ لِيتوب منه، أو بأنَّه ترَك حسَنًا مأمورًا به أمْرَ إيجابٍ أو استِحْبَاب؛ ليَتُوب ويفْعَله، فما دام يرَى فعله حَسَنًا، وهو سيِّئٌ في نَفْس الأَمْر فإنَّه لا يَتوب، ولكن التَّوبة منه ممكِنةٌ وواقعةٌ بأنْ يَهْدِيَهُ اللهُ ويُرشده حتَّى يَتبيَّن له الحقُّ كما هَدَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَن هَدَى مِن الكُفَّار والمُنافقين، وطوائف من أهل البِدع والضَّلال، وهَذَا يَكُون بأنْ يَتَّبع مِن الحقِّ ما عَلِمهُ،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٠٤).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٣٢).

فمَن عمِلَ بما عَلِم أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْم ما لم يَعْلَم»[١].

ومِن جُنودِه أيضًا: مَن اجتهَد في تَشْويه صُورة العلماء الرَّبانيِّين، والطَّعن فيهم، وذَلِكَ برمي هؤلَاء الأجلَّاء الأتقِيَاء، الَّذِين هم ورثة الأنبياء بمَا ليس فيهم مِن عُيوب ونقائص.

ومِن ذَلِكَ قولهم وادِّعَاؤهم: أنَّ هؤلاء العُلماء لا يَفقهون واقِعَ الأُمَّة اليوم، وما يَدور في الخفاء!

وهَذَا كُلُّه مِن أجْل صَرْفِ عَوام المُسْلِمِينَ عن علمائهم الرَّبَّانِيين؛ **يَقُولُ الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «لئن كان في الخروج على الحكَّام مِن الشَّر ما بَرْهَن عليه تَوَاطؤ النُّصوص الشَّرعية مع الأخبار الواقعيَّة، كما ظَهَر مِن صَنيع حُدَثاء الأَسْنان في كُلِّ الأزمان، فَشَرٌّ منه الخُروج على العلماء بإهدارِ حَقِّهم، وعدم اعتِمَاد فتاواهم إلَّا ما وافقَ أهواء الحركِيِّين، واستِصْغَار شأنهم في السِّياسة، ورَمْيِهم بعُلماء بيت الوضوء، وما أَشْبهها من الألقَاب التي يَنْبِز بها المبتدعةُ صاغرًا عن صَاغِرٍ العلماءَ السَّلفيين كابرًا بعد كَابِر، وفي هَذَا إهدَار للشَّريعة بتجريح حمَلَتِهَا وشُهُودِها، واللهُ المَوْعِدُ»[٢].

وكذَلِكَ مِن أعوَان ونُوَّاب الشَّيطَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- مَن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩).

(٢) «مدارك النظر» للشيخ عبد المالك الرَّمضاني (ص٢٣٢).

يُزَهِّد ويُثَبِّط المُسْلِمِينَ عن حُضُور مَجَالس العُلماء الربَّانِيين وطُلَّاب العِلم المُجتهدين مِن أجْل صَدِّهم عن التَّفَقُّه في الدِّين.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نوَّابُ إبليس في الأرض، وهُم الَّذِي يُثَبِّطون النَّاس عن طَلَب العِلم والتَّفقه في الدِّين، فهؤلاء أضَرُّ عليهم مِن شَياطين الجِنِّ، فإنَّهم يَحُولون بين القلوب وبيْنَ هُدَى الله وطريقه»(١).

وأيضًا مِن أوليائه المُقرَّبين: جماعةٌ مِن الأشْرَار الحاقِدِين المُفرِّقين الَّذِين يُعينُونَهُ على إفسادِ ذات البَين؛ فَعن جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَدْنَاهُمْ منه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا. فيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شَيئًا! قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قال: فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أنتَ! فَيَلْتَزِمُهُ**»(٢).

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**) هو بِكَسر النُّون وإسكان العين، وهى (نِعْمَ) المَوضوعة للمَدْح، فيَمدحه لإعجابه بصُنعه، وبلوغه الغاية التي أرَادهَا.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).

قوله: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»، أي: يَضُمُّه إلى نَفْسِه، ويُعانِقُه»[١].

ويَقُولُ المُلَّا علي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**فَأَدْنَاهُمْ**»، أي: أَقْربهم، «**مِنْهُ**»، أي: مِن إبليس، «**مَنْزِلَةً**»: مَرتبة، «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»، أي: أكبرُهم إِضْلَالًا، أو أَشَدُّهم ابتلاء، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**»: جُملة مُبَيِّنة لقوله: «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»؛ «**فيَقُولُ**»، أي: أحدُهم، «**فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا**»، أي: أَمَرْتُ بالسَّرقة وشُرب الخَمْر مَثَلًا؛ «**فيَقُولُ**»، أي: إبليس، «**مَا صَنَعْتَ شيئًا**»، أي: أمرًا كبيرًا، أو شيئًا مُعْتَدًّا به، «**قَالَ**»، أي: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ**»، أي: فُلانًا، «**حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**»، هَذَا وإن كان بحسب الظَّاهر أمرًا مُبَاحًا، وظاهرُه خيرٌ، ولذا قال تعالى: ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ**﴾ [النساء: ١٣٠]، ولكنَّه مِن حيث إنَّه قد يَجُرُّ إلى المَفاسد يَصير مَذمومًا، ويَحُثُّ عليه الشَّياطِينُ، ويَفرح به كبيرُهم»[٢].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهَذَا الوِصال- أي: بين الزَّوجين- لما كان أحبَّ شيء إلى الله ورسوله كان أبغضَ شيء إلى عَدُوِّ الله، فهو يَسْعى في التَّفريق بين المُتَحابِّين في الله المَحبة التي يُحبُّها الله، ويُؤلِّف بين الاثنين في المحبَّة التي يُبغضها الله ويَسخطها،

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧/ ١٥٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٤٣٢).

وأكثر العُشَّاق مِن جُنده وعَسكره، ويرتقي بهم الحال حتى يَصير هو مِن جُندهم وعَسكرهم؛ يَقودُ لهم ويُزَيِّن لهم الفواحشَ، ويُؤلف بينهم عليها»[(١)].

ومِن جُنُود إبْلِيس في الأرض اليوم أيضًا: مَن يُصوِّر المرأة المُسلمة بمفاتنها، ويجعل منها المُمثلة، والمُغنية، والراقصة، ويُثني على تَبَرُّجِها، ويُزَيِّن لها الاختلاطَ بالأجانب؛ مع ما فيه مِن ضَرَرٍ كبير، وشَرٍّ مُستطير.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختِلَاطُ أحد الصِّنفين بالآخَر سبَبُ الفتنة؛ فالرِّجَالُ إذا اختلَطُوا بالنِّساء كان بمنزلة اختِلَاط النَّار والحَطَب»[(٢)].

ومِن نُوَّابه كذَلِكَ- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوَاتُ- مَن أنْشَأوا جمعيَّات، وأسَّسوا مُنظَّمات، ورَفَعُوا شعارات، وعَقدوا مُؤتمرات تُنادي بالمسَاواة بين الرِّجال والنِّسَاء في جميع الحُقوق والواجبات حتَّى في القَوَامة، مع أنَّ ربَّ الأرض والسَّموات يَقُولُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) «روضة المُحِبِّين» (ص٢١٨).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٣٦١).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر -تعالى- أنَّ الرِّجَال ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: قوَّامون عليهن بإلزَامهِنَّ بحقوق الله تعالى؛ مِن المُحافظة على فرائضه، وكَفِّهن عن المَفَاسد، والرِّجَال عليهم أن يُلزموهن بذَلِكَ، وقَوَّامون عليهن- أيضًا- بالإنفاق عليهن، والكسوة والمَسْكَن، ثم ذكر السَّبب المُوجب لقيام الرِّجال على النِّساء، فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾، أي: بسببِ فَضْلِ الرِّجال على النِّساء، وإفْضَالهم عليهن.

فتَفْضِيلُ الرِّجال على النِّساء مِن وجوهٍ مُتَعَدِّدة: مِن كون الوَلَايات مُختصَّة بالرِّجال، والنُّبوة، والرِّسالة، واختِصَاصهم بكثير مِن العبادات كالجهاد، والأعياد، والجُمَع.

وبما خَصَّهم اللهُ به مِن العَقْل، والرَّزانة، والصَّبر، والجَلَد الَّذِي ليس للنِّساء مِثْله.

وكذَلِكَ خصَّهم بالنَّفَقات على الزَّوجات، بل وكثير مِن النفقات يختصُّ بها الرِّجال، ويَتميَّزون عن النِّساء، ولَعَلَّ هَذَا سِرُّ قوله: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾، وحَذَفَ المَفعول؛ لِيَدُلَّ على عُموم النفقة؛ فعُلِمَ مِن هَذَا كله أنَّ الرَّجُل كالوالي والسَّيِّد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة؛ فوظيفته أن يَقوم بما استرعاه اللهُ به. ووظيفتها: القيام

بطاعة ربِّها، وطاعة زوجها»[١].

ولم يَكتَفُوا بهَذَا الشَّرِّ والمَكْر، بل زادوا عليه بأنْ انتَقصوا مِن مكانة المُسلمة العفِيفَة المُتحجِّبة المُمتثلة لأمر ربها العزيز المُقتدر، الَّذِي قال لها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب:٣٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: اقررن فيها؛ لأنَّه أَسْلَم وأحفظ لَكُنَّ، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، أي: لا تُكْثِرنَ الخروجَ مُتجمِّلَات أو مُتطيِّبات، كعادة أهل الجاهليَّة الأُولى، الَّذِين لا عِلْم عندهم ولا دِين، فكلُّ هَذَا دفْعٌ للشَّرِّ وأسْبَابه.

ولما أَمَرهُن بالتقوى عُمومًا، وبجزئيات مِن التَّقوى- نَصَّ عليها- لحاجة النِّساء إليها، كذَلِكَ أمرَهُنَّ بالطاعة، خصوصًا الصَّلاة والزكاة اللَّتان يحتاجهما ويَضطر إليهما كلُّ أحدٍ، وهما أكبرُ العِبَادات، وأجَلُّ الطاعات، وفي الصَّلاة الإخلَاص للمَعبود، وفي الزَّكاة الإِحسَان إلى العَبيد»[٢].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧٧).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٢٢).

وكذَلِكَ مِن جُندِ الشَّيطَان مِن الأنام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- مَن يَستغلُّون وسائل الإعلَام؛ لإبعاد أبناء أُمَّة رسول العَزِيز العَلَّام عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن تعاليم الإسْلَام، وذَلِكَ بتزيين المعاصي والآثام؛ مِن شُرب المُسكرات، وتَعاطي المُخَدِّرات، وغير ذَلِكَ من المُنكرَات والمُلهيات؛ كالغناء الَّذِي هو مِن أخطر الأدواء، ومن أسباب البلاء حيث أشغل الكثير عن قِراءة كلام العزيز القَدير، ودَعاهم لكل رذيلة، وجَنَّبهم كلَّ فَضيلة.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِناءُ قرآنُ الشَّيطَان، فلا يجتمع هو وقرآن الرَّحمن في قلب أبدًا.

وأيضًا: فإنَّ أساسَ النِّفاق: أن يُخالف الظَّاهرُ الباطنَ، وصاحب الغناء بين أمرين، إمَّا أن يَتهَتَّك فيَكُون فاجرًا، أو يُظهر النُّسُك فيَكُون منافقًا، فإنَّه يُظهر الرَّغبة في الله والدَّار الآخِرَة وقلبه يَغلي بالشَّهوات، ومحبَّة ما يكرهه الله ورسوله مِن: أصْوَات المعازف، وآلات اللهو، وما يَدعو إليه الغناءُ ويُهَيِّجه، فقلبه بذَلِكَ معمورٌ، وهو مِن محبةِ ما يُحِبُّه اللهُ ورسولُه وكراهةُ ما يَكرهه قَفْرٌ خالٍ، وهَذَا محضُ النِّفاق»[1].

ومِن نُوَّاب إبليس- أيضًا- وإخوانِه مَن يدعو النَّاس إلى الإسْرَاف والتَّبذير، مع ما في هَذَا الفِعْل مِن زَجْرٍ وتحذِير؛ يَقُولُ

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٠).

العزيز القدير: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنَّ الشَّيطَان لا يدعو إلَّا إلى كل خَصلةٍ ذميمة؛ فيدعو الإنسَانَ إلى البُخل والإمسَاك، فإذا عصَاهُ دعاه إلى الإسرَاف والتَّبذير، والله تعالى إنَّما يأمر بأعْدَل الأمور وأقسَطها، ويمدح عليه، كما في قوله عن عِبَاد الرَّحمن الأبرار»[(١)].

فهؤلاء- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- هم مِن نُواب الشَّيطَان؛ فينبغي الحذَر مِن الوقوع في شِراكهم، أو التأثُّر بهم، وعلينا أن نُبيِّن للمسلمين خَطَرَهُم وضررهم، وأنهم لهَذِهِ الأمَّة داءٌ، وعلى الكثير من أبنائها وبَاءٌ.

ولنحذر أشدَّ الحذر مِن خُطواتهم، فإنَّها مِن خُطُوَات كبيرهم اللَّعين التي حذَّرنا منها أرْحَمُ الرَّاحِمين، حيث قال ربُّ العالمين: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن مكايده: أنه يَسْحَرُ العَقل دائمًا حتى يَكيده، ولا يَسْلَم مِن سِحْره إلَّا مَن شاء الله؛ فيُزيِّن له الفِعْلَ الَّذِي يضرُّه حتى يُخَيِّل إليه أنَّه مِن أنفع الأشياء، ويُنَفِّر مِن الفِعْل الَّذِي هو أنفع الأشياء له حتى يُخَيِّل له أنَّه يَضره.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥٦).

فلا إله إلا الله؛ كَم فُتِن بهَذَا السِّحْر مِن إنسانٍ!

وكم حالَ به بين القلب وبين الإسْلَام والإيمَان والإحسَان!

وكم جَلَا الباطلَ وأبرزَهُ في صُورة مُسْتحسَنة، وشنَّع الحَقَّ وأخرجه في صورةٍ مُستهجَنة!

وكم بَهْرَج من الزُّيوف على النَّاقدين!

وكَمْ رَوَّج مِن الزَّغَل على العارفين»[(١)].

ولنعلم أنَّنا إذا صَدَقنا النِّيةَ مع العزيز الوهَّاب، ثم بذلنا معه ما يُعيننا على جهادِ ودَفْعِ الشَّيطَان وأعوانه وجُنده ونُوَّابه مِن أسباب؛ فسنوفَّق بإذن القدير التَّواب إلى كل خيرٍ وصوَاب؛ يَقُولُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَلَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمَلُ النَّاس هدايةً أعظمهم جهادًا، وأفرضُ الجهاد جهادُ النَّفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشَّيطَان، وجهاد الدُّنيا؛ فمَنْ جاهدَ هَذِهِ الأربعَة في الله هَدَاه اللهُ سُبُل رضاه المُوصلَة إلى جنَّته، ومَن ترك الجهاد فَاتَه مِن الهُدى بحسب ما عَطَّل من الجهاد»[(٢)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُعيذنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

(٢) «الفوائد» (ص٥٩).

مِن إبليس وذُرِّيته وجُنُوده وأعوانه ونُوَّابه.

وأن يَحفظ المُسْلِمِينَ في كلِّ الأقطار والأمصَار مِن شَرِّ الأشرار، وكيدِ الفُجَّار، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيزُ الجَبَّارُ.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

وقفاتٌ مع سُورة التَّكاثر

وقفات مع سورة التكاثر

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ كلَّ نفس مخلوقة- أيُّها الأحباب- لا بُدَّ لها أنْ تَذُوقَ طَعْمَ المَوت، وأَلَم مُفارقة الأهل والأصحاب مَهْمَا طال بها الأمَدُ، وبَذَل صاحبُها من أسبابٍ؛ يَقُولُ العزيزُ الوَهَّابُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٧٥].

قال الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كُلُّ نَفْسٍ من النُّفوس واجدةٌ مرَارةَ المَوت لا محالة، فلا يَصعب عليكم ترك الأوطَان، ومفارقة الإخْوَان والخِلَّان، ثم إلى الله المَرجع بالموت والبَعْث لا إلى غيره؛ فكل حيٍّ في سَفَرٍ إلى دار القَرَار، وإن طال لُبْثُه في هَذِهِ الدَّار»[(١)].

فالموتُ سيلحق- بإذن الله جَلَّ جَلَالُهُ- كلَّ مخلوق مهما طال عمُره،

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢١٠).

وامتدَّ أجلُه، وارتفعَتْ مكانتُه، وعلَتْ منزلتُه، ولو جعَل اللهُ سبحانه البقَاءَ لأحدٍ مِن عباده لكان لِخَير خَلْقِه، وأفضل رُسُلِه، الَّذِي خاطبه بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

يقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى هَذِهِ الآية: أنَّكُم ستَنقلُون من هَذِهِ الدَّار لا محالة، وستَجْتمِعُون عند الله تعالى في الدَّار الآخِرَة»(١).

فإذا كان العبدُ يَعلم أنَّهُ ولابُدَّ سيَرحلُ عن الدُّنيا التي هي دارُ عُبُور؛ أوَلَيْسَ الأجدرُ به أن يَسْتِعِدَّ لِسَكرات الموت، وسُكنى القُبور، والبَعث يوم النُّشور؟!

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجِبُ على مَن لا يدري متَى يَبغته الموتُ أنْ يَكُون مستعِدًّا، ولا يَغتَرر بالشَّباب والصِّحة، فإنَّ أقلَّ مَن يموت الأشيَاخ، وأكثر مَن يموت الشُّبان»(٢).

فَفِعْلًا حريٌّ بكلِّ عاقلٍ- أيُّها الإخوةُ والأخوات- أن يَستعد ليوم العَرْض؛ فيُبادر بالتَّوبة عن تَقصيره في الواجِبَات، وفِعْلِه للمُحرَّمات، ويَغتَنِم ما بقِيَ مِن عمُرِه فيما يُرضِي ربَّ البريات.

يَقُولُ الإِمَامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقٌّ على كلِّ مَن يَعلم أنَّ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٣).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٦٣).

الموتَ مَوْرِدُه، وأنَّ الساعةَ مَوعِدُه، وأنَّ القيامَ بين يَدي ربِّ العالمين مَشهده: أنْ يَطُول حُزْنُه»[١].

قبل أنْ ينْدَم على ما ارتَكب مِن المُنكرَات، ويتحسَّر على ما ضيَّع مِن الطَّاعات، فلا ينفعه حِينها أن يَقُولُ كما أخبَرنا عنه ربُّ الأرْض وَالسَّموات: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبِر تعالى عن حال مَن حَضَرَه الموتُ مِن المُفرِّطين الظَّالمين: أنه يَندمُ في تلك الحال، إذا رأى مآلَه، وشَاهَدَ قُبْحَ أعمَاله، فيَطلب الرَّجعة إلى الدُّنيا لا للتَّمتع بلذَّاتها، واقتِطَاف شهَواتها، وإنَّما ذَلِكَ ليَقُولُ: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ مِن العمَل، وفَرَّطتُ في جَنْبِ الله»[٢].

أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام:

إنَّنا نعِيشُ اليَوْمَ في زمنٍ طَغَى على كثيرٍ مِن المُسْلِمِينَ- إلَّا مَن رحمه ربِّ العالمين- الحرصُ على الدُّنيا الفانية، والسَّعيُ وراء الشَّهوات الزائلة؛ لأنَّ قلوبهم قد أفسدَها داءٌ عُضال، ومرض قتَّال ألَا وهو طول الأمَل.

---

(١) «الكُنى والأسماء» للدُّولابي (٣/ ١٠٠٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٥٩).

يَقُولُ عنه الإمامُ القُرْطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «داءٌ عُضالٌ، ومرض مُزمِن، ومتى تمكَّن مِن القلب فَسَدَ مِزَاجُه، واشتدَّ عِلَاجُه، ولم يُفارقه داءٌ، ولا نَجَح فيه دواءٌ، بل أعْيَا الأطباءَ، ويَئِسَ مِن بُرْئه الحكمَاءُ والعُلماءُ»(١).

فضيَّعُوا بسبب ذَلِكَ الغايَة الحميدة التي مِن أجْلِهَا خَلَقَهم ربُّ البرِيَّة، ألَا وهي تحقيق العُبُودية له؛ يَقُولُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يقولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا تصْرِيحٌ بأنهم خُلِقُوا للعبادة، فحقَّ عليهم الاعتِنَاءُ بما خُلِقوا له، والإعْرَاض عن حظُوظ الدُّنيا بالزَّهادة، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ، فلهَذَا كان الأيقاظُ مِن أهلِها هُم العُبَّاد، وأَعْقَل النَّاس فيها هم الزُّهَّاد»(٢).

لقد أحببتُ أنْ أقِفَ مَعَكُم- أَيُّها الأفاضلُ- في هَذَا المَقال المُختصَر على معاني سُورة كريمة، حذَّرتْنَا مِن الحرص على التَّكاثر في الأمور الدُّنيويَّة التي تَشْغل العبدَ عن طاعة ربِّ البرِيَّة، وتَجُرُّه إلى أعمالٍ غَير مَرضِيَّة.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٣).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ كل ما يُكاثر به العَبدُ غيره سِوى طاعة الله ورسوله، وما يعود عليه بنفع مَعاده، فهو داخلٌ في هَذَا التكاثر.

فالتَّكاثر في كلِّ شيء مِن مال، أو جاه، أو رياسة، أو نِسْوةٍ، أو حديث، أو عِلم، ولا سِيَّما إذا لم يَحتج إليه.

والتَّكاثرُ في الكُتُب والتَّصانيفِ، وكثرةِ المَسائل وتَفْريعها وتوليدِها.

والتَّكاثر: أن يَطلب الرَّجُل أنْ يَكُون أكثرَ مِن غيره، وهَذَا مذمومٌ إلَّا فيما يُقَرِّب إلى الله؛ فالتكاثرُ فيه مُنافسَةٌ في الخَيرات ومُسابقَة إليها»(١).

سورةٌ- أَيُّها الكِرَامُ- قَرَأها نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محذِّرًا بعدها العبدَ مِن الاغتِرَار بماله، ومِن نِسيان فَضْلِ خالقِه ورَازقِه عليه؛ فعن عبد الله بن الشِّخِّير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي! قال: وَهَل لك يابْنَ آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»(٢).

---

(١) «الفوائد» (ص ٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨).

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، أي: أَشْغَلَكم طَلَبُ كَثرة المال، «قال: يَقُولُ ابنُ آدَمَ»، أي: لكونه ظَلُومًا جَهُولًا في حَمْل الأمانة المانعة عن الخيانة. «مَالِي، مَالِي»، أي: يَغتر بِنِسبة المال تارة، ويَفتخر به أُخرى. «قال» أُعيد للتأكيد، ودَفْعًا لِتَوهم أن يَكُون من قول الرَّاوي. «وهَل لَكَ»، أي: وهل يَحصل لك من المال، ويَنفعك في المآل. «يابن آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!»، أي: فَأَمْضَيْتَه من الإفناء والإبلاء، وأَبْقَيته لنفسِك يوم الجَزَاء»[(١)].

سورةٌ- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوَاتُ- مع قِصَرها وقِلَّة كلماتها إلَّا أنها تضَمَّنَتْ مَعاني جليلة، ونصَائح عظيمة، ووَعْظٍ وتذكِير، وزجرٍ وتحذِير، يَستفيد منها بإذن العزيز المُقتدر مَنْ وَقَفَ عند ألفاظِها بتمَعُّنٍ وتدبُّر، ألا وهي سورة (التكاثر).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: أخلصَت هَذِهِ السُّورة للوَعْد والوَعِيد، والتَّهديد، وكَفَى بها مَوْعظة لِمَن عَقَلَها!»[(٢)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٦٤).

(٢) «الفوائد» (ص٣٠).

لقد حرصتُ- أَيُّها الأفاضلُ الكِرَامُ- في هَذِهِ الأَسْطُر القليلة التي تَطَرَّقْتُ فيها إلى معاني آيات هَذِهِ السُّورة الكَرِيمة على نقل ما قال فيها الأئمَّةُ الأعلام؛ فلعلَّ العزيزَ المنَّانَ أن ينفعنا بما نقلناه، وأن يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يَتَدَبَّر كلامَ الرَّحمن؛ لأن هَذِهِ الغاية الحميدة التي مِن أجلها أُنزل القرآن.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَنْزَلَ اللهُ القُرآنَ لِيُتَدَبَّر، ويُتفكر فيه، ويُعمل به، لَا لِمُجَرَّد تلاوتِه مع الإعراضِ عنه»(١).

فأقول مُستعينًا بالعزيز الوَهَّاب، أيُّها الأحبابُ:

- سورة التكاثر: هي سورة مكِّية، عدد آياتها ثَمان(٢).

يَقُولُ الإمامُ السيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخرَج ابنُ مَرْدَوَيْه عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: نَزلَتْ بمكة سُورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾»(٣).

قال اللهُ تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أبلغ في الذَّمِّ مِن شَغَلَكم، فإنَّ العَامل قد يَسْتَعمل جوَارِحَهُ بما يعمل، وقلبُه غير لَاهٍ به، فاللَّهو هو ذُهولٌ وإعْرَاضٌ، والتَّكاثر تفاعلٌ مِن

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٥).

(٣) «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٩).

الكثرة، أي: مُكاثرة بعضكم لبعض، وأَعْرَضَ عَن ذِكْرِ المُتَكَاثر به إرادَة لإطلاقه وعمُومِه»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ تعالى مُوَبِّخًا عباده عن اشتِغَالهم عمَّا خُلقوا له مِن عبادته وحْدَهُ لا شريكَ له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتَقْدِيم محبَّته على كلِّ شيء: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ عن ذَلِكَ المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ولم يذكر المُتَكاثَر به؛ لِيَشْمَل ذَلِكَ كل ما يَتَكاثر به المُتكاثِرُون، ويَفْتَخِر به المفتَخِرُون؛ مِن التَّكاثر في الأمْوَال، والأوْلَاد، والأنصار، والجنود، والخَدَم، والجاه، وغير ذَلِكَ مما يُقصَد منه مُكاثرة كل واحد للآخَر، وليس المقصودُ به الإخْلَاص لله تعالى»[(٢)].

- ثم قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى صِرْتُم إلى المقابر فدُفِنْتُم فيها؛ وفي هَذَا دليلٌ على صحَّة القول بعَذاب القبر؛ لأنَّ الله- تعالى ذِكْرُه- أخبَر عن هؤلاء القوم الَّذِين ألهَاهُم التَّكاثر: أنَّهم سيَعلمُون ما يَلقون إذا هم زَارُوا القبور

---

(١) «الفوائد» (ص٣٠).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

وعيدًا منه لهم وتَهَدُّدًا»[١].

ويَقُولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال العُلماءُ**: يَنبغي لمن أرادَ علاج قلبه، وانقياده بسَلاسل القَهْر إلى طاعة ربِّه أن يُكثر مِن ذِكر هَاذِم اللَّذات، ومُفَرِّق الجمَاعات، ومُوَتِّم البنين والبنات، ويُواظب على مُشاهدة المُحتضرين، وزيارة قبور أموَات المُسْلِمِينَ؛ فهَذِهِ ثلاثَةُ أمور يَنبغي لِمَن قَسَا قلبُه ولَزِمَه ذنبُه أنْ يستَعِينَ بها على دواء دائه، ويَستصرخ بها على فِتن الشَّيطَان وأعوَانه، فإنْ انتَفع بالإكْثَار مِن ذِكر الموت، وانجلَتْ به قَساوةُ قلبه؛ فذاكَ.

وإنْ عَظُم عليه رَانُ قلبه، واستحكمت فيه دواعِي الذَّنب؛ فإنَّ مُشاهدة المُحتَضِرين، وزيارة قبُور أموات المُسْلِمِينَ تَبلغ في دفع ذَلِكَ مَا لا يَبلغه الأوَّل؛ لأنَّ ذِكْرَ المَوت إخبَارٌ للقَلب بما إليه المصِير، وقائم له مقام التَّخويف والتَّحذير، وفي مشاهدة مَن احتضر، وزيارة قَبر مَن مات مِن المُسْلِمِينَ مُعاينة ومشاهدة؛ فلذَلِكَ كان أبْلَغ مِن الأوَّل»[٢].

- ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤**﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٧١).

يقولُ الإِمَامُ الشَّوكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ لهم عن التَّكاثر، وتَنْبِيهٌ على أنَّهم سيَعلمُون عاقبة ذَلِكَ يوم القِيَامة، وفيه وعيدٌ شديدٌ.

قال الفَرَّاء: أي: ليس الأمر على ما أنتم عليه من التَّكاثر والتَّفاخُر.

ثُم كرَّر الرَّدع والزَّجر والوعيد، فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للدَّلالة على أنَّ الثَّاني أبلغ من الأوَّل.

وقيل: الأوَّل: عند الموت، أو في القبر. والثَّاني: يوم القيامة.

قال الفَرَّاء: هَذَا التِّكرار على وجه التَّغليظ والتَّأكيد.

قال مجاهدٌ: هو وعيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ. وكذا قال الحَسَنُ، ومجاهدٌ»[(١)].

- ثم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥].

يقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لو علِمتُم حَقَّ العِلم، لَمَا أَلْهَاكم التكاثرُ عن طَلَب الدَّار الآخِرَة، حتى صِرْتُم إلى المَقابر»[(٢)].

يَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أُعِيد الزَّجرَ ثَالِثَ مرَّةٍ زيادة

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٦).

في إبْطَال ما هم عليه مِن اللَّهو عن التَّدبر في أقوال القرآن، لعلَّهم يُقلِعُون عن انكِبَابهم على التَّكاثر مما هُم يتكَاثرون فيه، ولهوهم به عن النَّظر في دعوة الحق والتَّوحيد»(١).

ثُم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٦- ٧].

يَقُولُ الإمامُ البغَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ أي: ترونها بأبصاركم مِن بَعيد. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ مُشاهدةً ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾»(٢).

ويقول الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جوَاب قسَمٌ محذُوف، وفيه زيَادةُ وَعِيد وتَهْدِيد، أي: واللهِ لَترُونَّ الجَحيم في الآخِرَة»(٣).

- ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

يقولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ليَسْألنَّكُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن النَّعيم الَّذِي كُنتم فيه في الدُّنيا: ماذا عَمِلتم فيه؟ مِن أين وصَلتم إليه؟ وفيم أَصَبْتُموه؟ وماذا عَمِلتُم به؟»(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

(٢) «تفسير البغوي» (٤/ ٥٢١).

(٣) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٩).

(٤) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٥).

ويقولُ الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثُم لَتُسألُنَّ يومئذٍ عن شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللهُ به عليكم، من الصِّحَّةِ والأمْنِ والرِّزق، وغير ذَلِكَ، ما إذا قابَلتُم به نِعَمهُ مِن شُكره وعِبَادته»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الَّذِي تَنعَّمتُم به في دار الدُّنيا، هل قمْتُم بشُكْرِه، وأدَّيتُم حقَّ اللهِ فيه، ولم تستَعِينُوا به علَى معَاصِيه؟! فَيُنَعِّمكُم نعيمًا أعلَى منه وأفضَل، أَمْ اغتَررتُم به، ولم تقُوموا بشُكْرِه؟ بل ربَّما استَعنتُم به علَى معَاصي الله؛ فيُعاقبكم على ذَلِكَ»(٢).

وفي الختام: فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإخوانُ- بالتَّدبر عند قراءة كَلَام المنَّان، فإنَّ هَذَا مِن أعظم الأسباب الَّتي بعون العَزِيز الرَّحمن تُعِين على العمَل والانتفاعِ بمَا جاء في القرآن.

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذَا أردْتَ الانتِفَاع بالقرآن؛ فاجْمَع قَلبَكَ عند تِلاوته وسَماعه، وأَلقِ سَمْعَكَ، واحضر حضور مَن يخاطبه به مَن تكَلَّم به- سبحانه- منه إليه، فإنَّه خِطابٌ منه لك على لسان رسوله»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٦).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٩٣٤).

(٣) «الفوائد» (ص٣).

والبِدَارَ البدَارَ- أيُّها الإخوةُ والأَخَواتُ- قبْلَ أنْ لَا ينفع النَّدَم، ولا تُغني الحَسَرات إلى طاعَة العَزيز الرَّحمن، وذَلِكَ بفِعْل الوَاجبات، والتَّزوُّد مِن الخيْرَات، واجتِنَاب المعَاصِي، وتَرْك المُنكرَات.

ولْنَحْذَر أَشَدَّ الحذَر مِن أنْ نُعَلِّق قُلوبنا بدُنيا فانية، أو شهوة زائلة، ولنَربطها بما يُرضي عنَّا ربَّ البرِيَّة، وينْفَعنا في الحيَاة الأخروِيَّة.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفتاح الاستِعْدَاد للآخِرَة: قِصَرُ الأَمَل، ومِفْتاح كل خَير: الرَّغبة في اللهِ والدَّار الآخِرَة، ومِفْتَاح كل شَرٍّ: حبُّ الدُّنيا، وطُول الأَمَل»[(١)].

فاللهَ أَسْأَلُ بأَسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا جميعًا لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه.

ومن ذَلِكَ أنْ يَجعل القُرآنَ الكَرِيم رَبِيع قُلُوبنا، ونُور صدُورِنَا، وذَهاب هُمُومنا، وجِلَاء غمُومِنَا، وأنْ يُجَنِّبَنا ما يُبغضه ويَأْبَاه؛ فلَا يجعل الدُّنيا أكبَر همِّنا، ومَبْلغ عِلمِنَا، فهو- سبحانه- خَالِقُنا ورازقنا ووليُّ نِعمتنا.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «حادي الأرواح» (ص٤٨).

التحذير من التَّحريش
بين المُسلِمِينَ

التحذير من التحريش بين المسلمين!

الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الابتِعَادَ عن الوسَائل المُؤدِّية إلى قَطْع روابط المحبَّة، وأوَاصِر الإخَاء، والمُتسَبِّبة في نشْرِ العدَاوة والبغضَاء بين المُسْلِمِينَ مِن أعظم مقاصد الدِّين.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظِيفَة المسلم مع إخوَانه: أنْ يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفِعْل؛ لأنَّ هَذَا مما يُوجِب المودَّة والأُلفَة بين النَّاس، وهَذِهِ الأُلفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، ولهَذَا نهَى النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن كل ما يُوجب العَداوة والبَغْضَاء»[1].

وإنَّ مِن بين الأعمَال التي يجب علَى كل مسلِمٍ أنْ يَبْتَعِد عنها، وأن يحذر أشدَّ الحذَر من الوقوع فيها لما فيها مِن ضَرَر، ولعواقبها مِن

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٤٤).

خَطَرٍ ليس على الفرد فقط- أيُّها الإخوة والأخوات- بل حتَّى على المُجتَمعَات: (التَّحريش بين المُسْلِمِينَ).

يَقُولُ الإمامُ البَغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّحريش**: إيقَاع الخصومة والخشُونة بينهم»[(١)].

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ الأَثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّحريش**: الإغْرَاء بيْنَ النَّاس بعْضُهم ببَعْض»[(٢)].

فهُوَ فِعْلٌ وَضِيع وعَمَلٌ شَنِيع يَحرصُ أشدَّ الحرص علَى القِيَام به إبْلِيسُ اللَّعين في كل وقتٍ وحِين؛ فعن جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيطَان قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[(٣)].

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في إغْرَاء بعضهم على بعض، والتَّحريض بالشَّرِّ بين النَّاس مِن قَتْلٍ وخُصُومَة.

والمعنى: لكن الشَّيطَان غير آيِسٌ مِن إغراء المُؤمِنينَ، وحَمْلهم على الفتن، بل له مَطْمَعٌ في ذَلِكَ»[(٤)].

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٣/ ١٠٤).

(٢) «جامع الأصول» (٢/ ٧٥٤).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٤) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٣٤).

لِذَا؛ يُرسل أولياءه لتَحْقِيقه، ويُحرِّض جنوده على الإتْيَان به؛ فعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَدْنَاهُمْ منه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا. فيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا! قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قال: فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ! فَيَلْتَزِمُهُ**»[(١)].

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**) هو بِكَسر النُّون وإسكان العين، وهى (نِعْمَ) المَوضوعة للمَدْح، فيَمدحه لإعجابه بصُنعه، وبلوغه الغاية التي أَرَادهَا.

قوله: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»، أي: يَضُمُّه إلى نَفْسِه، ويُعانِقُه»[(٢)].

ويَقُولُ المُلَّا علي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَأَدْنَاهُمْ**»، أي: أَقْربهم، «**مِنْهُ**»، أي: مِن إبليس، «**مَنْزِلَةً**»: مَرتبة، «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»، أي: أكبرُهم إِضْلَالًا، أو أَشَدُّهم ابتلاء، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**»: جُملة مُبَيِّنة لقوله: «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»؛ «**فيَقُولُ**»، أي: أحدُهم، «**فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا**»، أي: أَمَرْتُ بالسَّرقة وشُرب الخَمْر مَثَلًا؛ «**فيَقُولُ**»، أي: إبليس، «**مَا صَنَعْتَ شيئًا**»، أي: أمرًا كبيرًا، أو شيئًا مُعْتَدًّا به، «**قَالَ**»، أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ**»، أي:

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧/ ١٥٧).

فُلانًا، «حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ»، هَذَا وإن كان بحسب الظَّاهر أمرًا مُبَاحًا، وظاهرُه خيرٌ، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]، ولكنَّه مِن حيث إنَّه قد يَجُرُّ إلى المَفاسد يَصير مَذمومًا، ويَحُثُّ عليه الشَّياطِينُ، ويَفرح به كبيرُهم»(١).

فيَبُوء مَن يقومُ بهَذَا العمَل بالوِزْر، ويَلحقه بسببه الإثمُ؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّحريش بين الآدمِيِّين حُوبٌ كَبِير»(٢).

فَيَا- مَن ابْتُلِيتَ بهَذَا الدَّاء المشِين- مَا الَّذِي- بالله عليك- تَجنيه من نَشْرِك العَداوة بين المُتآخِين، وحِرْصِك على التفريق بين المُتَحَابِّين، والفَصْلِ بين الزَّوجين، وقَطْعِك أَوَاصِر المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ؟!

أَلَا تَعْلَم أنَّك تُعِين بذَلِكَ إبلِيسَ اللَّعينَ على تحقِيق غَايَتِه وهدَفِه الَّذِي يسْعَى إليه!

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو- أي: الشَّيطَان- يَسْعَى في التَّفريق بين المُتَحَابِّين في الله المَحبَّةَ الَّتي يُحبُّها الله، ويُؤَلِّف بين

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٣٤).

(٢) «الكافي» لابن عبد البَرِّ (ص٦١٥).

الاثْنَيْن في المحبَّة التي يُبغضها اللهُ»[١].

أمَا تدري يا هَذَا أنَّكَ نمَّامٌ!

يَقُولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والنَّمَّام:** هو الَّذِي يَنقل الحديث بين النَّاس، وبين اثنَيْن بما يُؤذِي أحدهما، أو يُوحِش قَلْبه على صاحِبه، أو صَدِيقه، بأنْ يَقُولُ له: قال عنْكَ فلانٌ كذا وكذا، وفعَل كذا وكذا، إلَّا أنْ يَكُون في ذَلِكَ مصْلحَة، أو فائدة؛ كتَحذِيره مِن شرٍّ يَحدث، أو يَترتَّب»[٢].

ويقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**النَّمِيمَة على قِسمين:** تارة تَكُون علَى وَجْهِ التَّحريش بين النَّاس وتفريق قُلوب المُؤمِنينَ؛ فهَذَا حرَامٌ متَّفَقٌ عليه...»[٣].

وأنك تُعين على إفسَاد ذات البَيْن الَّتي الإضرار بها مما يَقدح في الدِّين؛ فعن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَل مِن دَرَجَةِ الصِّيام وَالصَّلاة وَالصَّدَقَةِ؟**». قالوا: بَلَى. قال: «**صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فإنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ**»[٤].

يَقُولُ ابنُ الأثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الحالِقَة:** الخَصْلَة الَّتي مِن شَأْنِهَا أَنْ

---

(١) «روضة المُحبين» (ص٢١٨).

(٢) «الكبائر» (ص٢١١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تَحلق، أَرَاد: أَنها خَصْلةُ سُوء تُذْهِب الدِّين، كما تُذْهب المُوسى الشَّعر»[(١)].

ويَقُولُ الطِّيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه حَثٌّ وترْغِيبٌ في إصْلَاح ذات البَيْن، واجتِنَاب عن الإفسَاد فيها؛ لأنَّ الإصْلَاحَ سببٌ للاعتِصَام بحبلِ الله، وعدم التَّفرق بين المُسْلِمِينَ، وفسَاد ذات البين ثُلْمَةٌ في الدِّين، فَمَن تَعَاطى إصلَاحها، ورَفع فسَادها نال درجةً فوق ما يَنالُه الصَّائم القائِم المُشتغل بخُوَيْصَة نفسه»[(٢)].

فعليك أيُّها المُذْنِب: أنْ تُبادر بالتَّوبة والغُفران والرُّجُوع إلى العَزيز المنَّان، وإصْلَاح ما أفسَدت بين المُسْلِمِينَ، فأبْوَاب التَّوبة- ولله الحمدُ- مَفتوحةٌ قبل فوَات الأوَان.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُكَ مَكتُوب، وقولُك محسُوب، وأنتَ- يا هَذَا- مَطْلُوب، ولك ذُنوبٌ وما تَتُوب، وشَمْسُ الحياة قد أخَذَت في الغُرُوب، فما أَقْسَى قلبُك مِن بين القلوب»[(٣)].

وعلينا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنْ لَا نُعِين صاحِبَ هَذَا العمَل الشَّنيع، وذَلِكَ بأنْ لا نَسْمَع ولا نهتم بما ينقله هَذَا المُحَرِّش النَّمام؛ عملًا بقول العَزِيز العَلَّام: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ

---

(١) «جامع الأصول» (٦/ ٦٦٨).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٤١).

(٣) «التبصرة» (٢/ ٢٧٢).

مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠-١١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ﴾ أي: كثير الحَلِف، فإنَّه لا يَكُون كذَلِكَ إلَّا وهو كذَّاب، ولا يَكُون كذَّابًا إلَّا وهو ﴿مَّهِينٍ﴾ أي: خَسِيس النَّفس، ناقص الهِمَّة، ليْسَ له هِمَّة في الخير، بل إرادَتُه في شَهَوَات نفسه الخسِيسَة.

﴿هَمَّازٖ﴾ أي: كثير العَيْب للنَّاس، والطَّعن فيهم بالغِيبَة والاستِهْزَاء، وغير ذَلِكَ.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يَمْشِي بين النَّاس بالنَّمِيمَة، وهي: نَقْل كلَام بعض النَّاس لبعضٍ؛ لقَصْد الإفسَاد بينهم، وإلقَاء العدَاوة والبَغْضَاء»[(١)].

بل يجب علَيْنا أنْ نَنصحَهُ بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزيز العَلِيم، وبتَرْك هَذَا الفِعْل الذَّميم، فإنْ أبَى وبقِيَ في غيِّه زجَرْنَاه، فإنْ استمرَّ في شرِّه أبغَضْناه وتركْنَاه حتى يتُوبَ ويرجع إلى الصَّواب.

يَقُولُ الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّمام يَنبغي أنْ يُبغَض، ولا يُوثَق بقوله، ولا بصدَاقته، وكيف لا يُبغَض وهو لا يَنفكُّ عن الكَذِب، والغِيبة، والغَدْر، والخيانة، والغلِّ، والحَسَد، والنِّفاق، والإفسَاد بين النَّاس، والخَديعة وهو ممن يَسْعَوْنَ في قَطْع ما أمرَ اللهُ به أنْ يُوصَل ويُفسِدُون

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

في الأرض»[١].

وعلَيْنا جميعًا- أَيُّها الأفاضلُ- إذَا أرَدْنا النَّجَاح والفلَاح في الدَّارَيْن أنْ نُطَهِّر قلوبنا مِن كل الشَّوائب، والقَوادح؛ كالغِلِّ، والحَسَد، والحِقد، وأنْ نحفظ ألسِنَتنا مِن كل سوء أو ما يَجُرُّ إليه.

يقولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّه يَنبَغِي لكل مُكلَّفٍ أنْ يَحفظ لسَانه عن جمِيع الكلام، إلَّا كلامًا تَظهر المَصلحة فيه، ومتَى استوَى الكَلَامُ وتركُه في المَصلحة، فالسُّنةُ الإمسَاكُ عنه؛ لأنه قد ينجَرُّ الكلامُ المُباح إلى حرامٍ أو مَكروه، بل هَذَا كثيرٌ أو غالبٌ في العادَة، والسَّلامة لا يَعدلها شيءٌ»[٢].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَحفظ جميع المُسْلِمِينَ مِن كَيْدِ الفُجَّار، ومَكْرِ الأشرار.

وأنْ يَنشر بينهم المَحَبَّة والإخاء، ويُبعد عنهم العداوَةَ والبغضاءَ، وأن يَجمع كلِمَتَهم على الحقِّ؛ فهو- سبحانه- قديرٌ، وبالإجابةِ جَدِيرٌ.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٣/ ١٥٦).

(٢) «الأذكار» (ص٢٦٢).

بين نُور الطاعة والاتّباع
وظُلمة المعصية والابتداع

بين نور الطاعة والاتباع، وظلمة المعصية والابتداع!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما قدَّره العزيزُ العَلِيمُ أنَّ ما في قلوب العِبَاد مِن خير أو شرٍّ لابد لِأَثَرِه مَع مُرور الأيَّام والأوقاتِ أنْ يَظْهَر؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فإنَّ ما في القلب مِن النُّور والظُّلمة والخير والشَّر يَسْرِي كثيرًا إلَى الوَجْهِ والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطًا بالقلب»(١).

لأنَّ الطاعاتِ بشتَّى أنواعها- أيُّها الإخوة والأخوات- لها ثمارٌ كريمة، ولذَّات طيِّبةٌ لا بد لصاحبها- بإذن ربِّ البريات- أنْ يَقطفها في الدُّنيا قبل الآخِرَة؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وقد جعَلَ اللهُ- سبحانه- للحسَنات والطَّاعات آثارًا مَحبُوبةً لذيذةً طَيِّبة»(٢).

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٣).

فهي- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- نورٌ وضياءٌ يَظهر أثرُهَا على وجوه أهلها، وإنْ تَقَدَّم بهم العُمر فهُم دومًا- بفضل الكريم المُقتدِر- في بهاءٍ وجمالٍ مُستمِر؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنرى وجوهَ أهلِ السُّنَّة والطاعة كلما كَبروا ازداد حُسْنُها وبَهاؤها، حتى يَكُون أحدُهم في كِبره أَحْسَن وأجمل منه في صِغَرِه»(١).

وكُلَّما كثُرَتْ أعمالُ العَبْد الصَّالحة، وعمَّ نفعُها، وازداد خيرُها؛ ازداد حُسْنه وجماله؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكُلما كَثُر البِرُّ والتَّقوى قوِيَ الحُسْنُ والجَمَالُ»(٢).

بل إنَّ عوائدَ الطَّاعات الطَّيبة، وثِمَارها الكَرِيمة- أَيُّها الأفاضلُ- تظهر حتَّى على باقي الجوَارح والأعضَاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن حَفِظَ اللهَ في صِبَاه وقوَّته حَفِظَه اللهُ في حال كِبَره وضَعْف قوَّته، ومَتَّعَه بسمعه وبصره وحَوْله وقُوَّتِهِ وعقله.

وكان بعضُ العلماء قد جاوز المِائةَ سنة وهو مُمَتَّعٌ بقُوَّته وعقله؛ فوثَب يومًا وثبةً شديدة، فعُوتِبَ في ذَلِكَ، فقال: هَذِهِ جَوَارِحُ حَفِظْنَاها عن المعاصي في الصِّغَر؛ فَحَفِظها اللهُ علينا في الكِبَر.

وعَكْسُ هَذَا: أنَّ بعض السَّلف رَأى شيخًا يَسأل النَّاس؛ فقال:

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٢) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

إنَّ هَذَا ضعيفٌ ضيَّع اللهَ في صِغَرِهِ- فَضَيَّعهُ اللهُ في كِبَرِه»(١).

وأهلها بسببها -بفضل العزيز المنَّان- أَعِزَّة أقوياء؛ يَقُولُ سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

يقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مَنْ كان يحب أن يَكُون عزيزًا في الدُّنيا والآخِرَة؛ فليَلزَم طاعة الله، فإنَّهُ يحصل له مقصوده؛ لأنَّ اللهَ مالك الدُّنيا والآخِرَة، وله العِزَّة جميعها»(٢).

فهَذَا الخير الكثير والفَضْل الكبير الَّذِي نالَهُ أهلُها، وحصَّلَه أصحَابُها كان- بعد فضل الكريم المَنَّان- بسبب استِنارة قلوبهم، وإقبالها على طاعة العزيز الرَّحمن؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «إذا استَنار القَلبُ أقبلَتْ وُفُود الخَيْرَات إليه مِن كلِّ جانب»(٣).

وللبِدَع والمَعاصي كذَلِكَ تَبِعَاتٌ تُجْنَى- أيضًا- في الدُّنيا، ويَلحق أربابها الألَم والنَّدَم والحسَرات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اللَّذة المُحَرَّمة ممزوجة بالقُبح حال تنَاوُلها، مُثمِرَة للألم بَعْد انقِضَائها، فإذا اشتدَّت الدَّاعيةُ منك إليها؛ ففكِّر في انقطاعها، وبقاء قُبحها وأَلَمِها»(٤).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٨٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٠).

(٣) «الجواب الكافي» (ص١٢٥).

(٤) «الفوائد» (ص١٩٢).

ويُشاهَد على أصحابها إنْ لم يَتُوبوا، ويرجعوا لربِّ العالمين أَثَرَها المشين؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكُلَّمَا قوِيَ الإثمُ والعُدوانُ قوِيَ القُبح والشَّين»(١).

وكُلما كثرت البدعُ والمَعاصي ظَهَر أكثر شَيْنها، وازداد على أهلها قُبْحُها؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونَجِد وجُوه أهل البِدْعَة والمعصية كُلَّما كَبروا عَظُم قُبحها وشينها؛ حتَّى لا يستطيع النَّظر إليها مَن كان مُنبهرًا بها في حال الصِّغَر لجمال صورتها، وهَذَا ظاهرٌ لكل أَحَدٍ»(٢).

فصَاحبُ البِدَع والمُحدثات مهما تزيَّن فَسَوادها يَظهر ولا بد على وَجْهِه؛ يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبَارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحبُ البِدعة على وجهه الظُّلمةُ وإنْ ادَّهَن كلَّ يَوم ثلاثين مرَّة»(٣).

وشُؤمها- إن لم يَدَعها- يُلاحقه، ويَظهر على ملامحه وإنْ تقدَّم به السِّن؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الرَّافضيَّ كُلما كَبر قَبُح وَجْهُه، وعَظُم شَيْنُه»(٤).

وكذَلِكَ تُرى الظُّلمة- أيُّها الأحباب- على وُجُوه المُستغرقين في

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

(٢) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٣) «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢٨٤).

(٤) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

الذُّنوب، المُجَاهرين بمعصية علَّام الغُيوب؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا أهلُ الفُجور فتَعْلُو وجوهَهم ظُلمةُ المَعصية؛ حتى يُكسف الجَمال المَخلوق»(١).

فبسَببِ انحِرَاف هؤلاء عن الصِّراط المستَقِيم، وابتِعَادهم عن المنهج القَويم أصبحَتْ قلوبُهم غارقة في الظُّلُمَات، وعامرة بالشَّهوات والمُنكرَات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أنَّه- أي: القلب- إذَا أظلم أقبلَتْ سحائب البلَاء والشَّرِّ عليه مِن كل مكان»(٢).

فلمَّا ابتعَدُوا عن قراءة القرآن والذِّكْر، وتركُوا طاعة مَوْلَاهم- العزيز المُقتدر- تَسَلَّط عليهم الشَّيطَانُ، وأُصِيبُوا بالهموم، وضِيق الصَّدر؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِر تعالى عن عقُوبته البَلِيغة، لِمَنْ أعْرَضَ عن ذِكره؛ فقال: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يُعرض ويَصُدُّ ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الَّذِي هو القُرآن العَظِيم، الَّذِي هو أعْظَم رحمةٍ رَحِمَ بها الرَّحمن عِبَادهُ؛ فَمَن قَبِلهَا فقد قَبِل خَير المواهب، وفاز

(١) «الاستقامة» (ص٣٥١).

(٢) «الجواب الكافي» (ص١٢٥).

بأعظَم المطالب والرَّغائب، ومَن أعرض عنها وردَّها، فقد خابَ وخَسِرَ خسارةً لا يَسعد بعدها أبدًا، وقَيَّض له الرحمنُ شيطانًا مَريدًا، يُقارنه ويُصاحبه، ويَعِده ويُمَنِّيه، ويَؤزُّه إلى المعاصي أزًّا»[(١)].

وابْتُلوا بالذُّل والهوَان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ المعصية تُورث الذُّلَّ ولابُدَّ، فإنَّ العِزَّ كل العزِّ في طاعة الله تعالى»[(٢)].

إنَّ ظهورَ نور الطَّاعة وسَوادَ المُخالفة علَى أصحابها ليْسَ قاصرًا على الدُّنيا الفانية، بل يستمر ذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- حتَّى في يوم القيامة؛ يَقُولُ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر تعالى عَن حَال يوم القِيَامة، وما فيه مِن آثار الجزَاء بالعَدْلِ والفَضْلِ، ويتضمَّن ذَلِكَ التَّرغيب والتَّرهيب المُوجِب للخوف والرَّجاء؛ فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾، وهي وجوه أهل السَّعادة والخير؛ أهل الائتِلَاف والاعتِصَام بحبل الله. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وهي وُجوه أهل الشَّقاوة والشَّرِّ، أهل الفُرقة والاختِلَاف.

هؤلاء اسودَّت وجوههم بما في قلوبهم مِن الخِزي والهوان والذلَّة والفضيحة، وأولئك ابيَضَّت وجوهُهم لما في قلوبهم من البَهجة

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٦٦).

(٢) «الجواب الكافي» (ص٣٨).

والسُّرور والنَّعيم والحُبور الَّذِي ظهرت آثارُه على وجوههم»[١].

فعلى العاقل أنْ يَقف مع نفسَهُ لحظات، وينظر- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأخيَارُ- بتمعُّن: أيهما يختار؟!

هل الطَّاعة التي هي ضياء ونور، فيَجني بسببها- بإذن العزيز الغفور- السَّعادة الأبديَّة في الدُّنيا، ويوم وقوفه بيْنَ يدي رب البرِيَّة؟ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مَن أراد السَّعادة الأبديَّة؛ فَلْيَلزَم عَتَبَةَ العُبودية»[٢].

أو يَغتر بالمُخَالفة التي هي ظُلمة وثُبُور؛ فيَحصد بسببها النَّدم والألَم والحسَرات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «يجدها- أي: ظلمة المعصية- في قلبِه حقيقة يُحس بها كما يُحِسُّ بظلمة الليل البَهيم إذا ادْلهَمَّ، فتَصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسيَّة لبَصَره، فإنَّ الطاعة نور، والمَعصية ظُلمة، وكُلما قوِيَتْ الظلمة ازدادَتْ حَيرته، حتَّى يَقع في البدع والضَّلالَات والأمُور المهلكة وهو لا يَشعر؛ كأعْمى أُخْرج في ظُلمة اللَّيل يَمشي وحْدهُ، وتَقوى هَذِهِ الظلمةُ حتى تَظهر في العين، ثُم تقوى حتى تَعْلُوَ الوجه، وتَصير سوادًا في الوجه حتى يراه كلُّ أَحَدٍ»[٣].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٤٣١).

(٣) «الجواب الكافي» (ص٥٤).

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ أن يجعل قلوبَنا مُستنيرة بالإيمَان.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ ما يُبغضه ويَأباه، ومن ذَلِكَ الوقوع في البدع والعِصيان.

وأن يُبَيِّضَ وُجوهنا يوم تَبْيَضُّ وجوهٌ، وتَسْوَدُّ وُجوهٌ؛ فهو- سبحانه- الكَريم المَنَّان.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

شُكر نِعمة الأمن!

شكر نعمة الأمن

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ نِعَم الكريم المَنَّان على عباده- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- لا يَعُدُّها ولا يُحْصِيها عَبْدٌ كائنًا مَن كان؛ يَقُولُ العزيزُ الرَّحمن: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وإنْ تَتعرَّضُوا لتعداد نِعَم الله التي أنعم بها عليكم إجمالًا، فضلًا عن التَّفصيل لا تُطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرِهَا على حالٍ مِن الأحوَال.

وأصل الإِحْصَاء: أنَّ الحاسب إذا بلغ عقدًا مُعَيَّنًا مِن عقود الأعداد وَضَعَ حَصاةً؛ ليحفظه بها، ومعلوم أنه لو رامَ فردٌ مِن أفراد العِبَاد أن يُحصي مَا أنعم اللهُ به عليه في خَلْقِ عُضوٍ مِن أعضَائه، أو حاسَّة من حواسِّه لم يَقدر على ذَلِكَ قَط، ولا أمكنه أصلًا، فكيف

بما عدَا ذَلِكَ مِن النِّعَم في جميع ما خَلَقَه اللهُ في بَدَنه، فكيف بما عدَا ذَلِكَ مِن النِّعَم الواصلة إليه في كلِّ وقتٍ علَى تنَوُّعِهَا، واختِلَاف أجْنَاسها، اللَّهُمَّ إنَّا نَشْكُرك على كل نعمةٍ أنعمت بها علينا مما لا يعلمُه إلَّا أنت...»[(١)].

وإنَّ مِن المِنَن الدُّنيويَّة على العِبَاد بعد نِعمَة الإيمَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- منَّةً عظيمةً، وعطيَّةً كريمةً يَهبُها العَزِيز العَلَّام لمن يَشاء مِن الأنام، ألَا وهي (نِعمة الأمن في الأوْطَان)؛ **يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «الأمن مِن المَخاوف مِن أكبر النِّعَم الدُّنيوية، المُوجِبَة لِشُكر الله تعالى»[(٢)].

مَن نَالَهَا منهم؛ فقد حَصَل الخيرُ الكبير، والنَّفع الكثير؛ فعن عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنيا**»[(٣)].

يَقُولُ الإمامُ المُبَاركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنكُم**» أي: أيُّها المُؤمنون. «**آمِنًا**»، أي: غير خائف من عَدُوٍّ.

---

(١) «فتح القدير» (٣/ ١١٠).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٦٠٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«**فِي سِرْبِه**»، أي: في نفسِه.

وقيل: السِّرب: الجماعة.

فالمعنى: في أهلِه وعياله.

وقيل- بفتح السِّين- أي: في مَسْلِكه وطريقه.

وقيل- بفتحتين- أي: في بيته...

«**مُعَافًى**» اسم مَفعول من باب المُفاعلة، أي: صحيحًا سالمًا من العِلل والأسقام.

«**فِي جَسَدِه**»، أي: بدنه ظاهرًا وباطنًا.

«**عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه**»، أي: كفاية قُوتِه مِن وَجه الحلال.

«**فكَأَنَّمَا حِيزَتْ**»: بصيغة المَجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم»[1].

نعمة يتمتع بها- بفضل الكريم القدير- الذُّكور والإنَاث، والغني والفقير، والكبير والصَّغير، وهي عَطِيَّة تُعين على إقامة شعَائر الدِّين، وتحقيق أوَامِرَ ربِّ العالمين، وهي مِن أسباب تَعمير المَسَاجد، وتعليم النَّاس ما ينفعهم في الدَّارَيْن، وعَيْشهم في رغَدٍ واطمئنان.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١١).

يَقُولُ العلَّامة الشَّيخ الفَوْزَان حفظه الله: «فلَا شَكَّ أنَّ تَوَفُّرَ الأمن مَطلبٌ ضَروري، الإنسانيةُ أحوَجُ إليه مِن حاجَتها إلى الطَّعام والشَّراب.

ولذَا قدَّمَه إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في دعائه على الرِّزق؛ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]؛ لأنَّ النَّاسَ لا يُهنِّؤون بالطَّعام والشَّراب مع وجُود الخوف، ولأنَّ الخوفَ تَنْقَطعُ معه السُّبل التي بواسِطَتها تَنقل الأرزاق من بلد لآخر»[(١)].

ولما كانت هَذِهِ النِّعمَةُ العَظيمة بهَذِهِ المكانَة الكبيرة، والفَوائد الكثيرة حَثَّ الشَّرع الكريم على بَذل الطُّرق والوسَائل الَّتي تُعين على تحقِيقهَا وتحصِيلهَا.

ومِن أهمِّ هَذِهِ الأسباب أيُّها الأَحْبَابُ: أن يَسود النَّاس حاكم يَسُوسُهم، ويقوم على شُؤونهم الدِّينية والدُّنيوِيَّة؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «يجب أنْ يعرف أنَّ ولاية أمر النَّاس مِن أعْظَم واجبات الدِّين، بل لا قِيَام للدِّين ولا للدُّنيا إلَّا بها، فإنَّ بني آدمَ لا تتِمُّ مَصْلَحتُهم إلَّا بالاجتِمَاع لحاجةِ بعضِهم إلى بعض، ولا بد لهم

---

(١) «الفتاوى الشرعية في القضايا العصريَّة» (ص١٢٥).

عند الاجْتِمَاع مِن رأسٍ»[١].

فَمِن الأعْمَالِ المَنُوطة بالحاكم- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأفاضِلُ- رَدْعُ الظَّالم، وإعطَاء المَظلوم حَقَّه، ومَنْع الفَوْضَى، والاجتِهَاد على توفير الأمن الَّذِي يُعين المُسْلِمِينَ على إقامة شعائر الدِّين، وتحقيق مصَالحهم الدُّنيويَّة التي يَسْتَعِين بها الفردُ على تحقِيق ما ينفعه في دُنياه وأُخْرَاه؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والشَّريعة جاءت بتحصيل المَصالح وتَكْمِيلهَا، وتعطيل المفاسد وتقلِيلهَا، ورَجَّحت خيرَ الخيْرَيْن بتفويت أدناهُما، وهَذَا مِن فوائد نَصْب وُلاة الأمور، ولو كان على ما يظنُّه الجاهل؛ لكان وجود السُّلطان كعدَمِه، وهَذَا لا يَقُولُه عاقلٌ؛ فضلًا عن أن يَقُولُه مُسلم.

بل قد قال العُقَلَاءُ: «سِتُّون سَنة مِن سُلطان ظالمٍ خَيْرٌ مِن ليلةٍ واحدة بلا سُلطان».

ومَا أَحْسَنَ قَوْلَ عبدِ الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لولا الأئمَّةُ لم تَأمن لنَا سُبُلٌ وكان أضْعَفُنا نَهْبًا لِأَقْوَانـا»[٢]

وقد حذَّرَنا رسولُنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الخُروج على ولاة الأمر، وأَمَرَنا بالسَّمع والطَّاعة لهم في غير معصية؛ لأنَّ في الخروج عليهم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٠/ ١٣٦).

فتنةً عظيمةً، وشَرًّا كبيرًا، يُؤدي إلى قتل الأنفس البريئة، وانتهاك الأعراض، وإضعاف شَوْكة المُسْلِمِينَ، ونشر الفوضَى في بلدانهم.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه أَسَاسُ- أي: الإنكَار على الوُلاة والمُلوك بالخروج عليهم- كل شَر وفتنة إلى آخر الدَّهر...، ومَن تأمَّل ما جرى على الإسْلَام في الفتن الكِبار والصِّغار رآها من إضَاعة هَذَا الأصل، وعدَم الصَّبر على مُنْكَرٍ، فطلب إزَالَتهُ فَتَوَلَّدَ منه ما هو أكبر منه»(١).

إنَّ مما يجب على مَن توفَّرَتْ عندهم نعمة الأمن مِن المُسْلِمِينَ: أن يشكروا عليها ربَّ العالمينَ بقلوبهم، وأفعالهم، وأقوالهم.

فإنَّ بالشُّكر- بإذن العزيز المُقتدر- تزيد النِّعَم، وعليهم أن يَسْتَعِينُوا بها على طاعة المَنَّان، واستثمارها فيما يُرضي الرحمن، وليجتنبوا المعاصي والذُّنوب التي هي مِن أسباب زوال النِّعَم، وحُلُول النِّقَم، وهي أصلُ كلِّ بَلَاء، ومَصْدَرُ كلِّ شَقَاءٍ.

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ جَمَعَ اللهُ له بين عافية بَدَنِه وأَمْن قلبِه حيث تَوَجَّه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله؛ فقد جمع اللهُ له جميعَ النِّعَم التي مَن مَلَكَ الدُّنيا لم يحصل على غيرها؛ فيَنبغي أنْ لا يَستقبل يومَهُ ذَلِكَ إلَّا بشكرها؛ بأنْ يَصرفها في طاعة المُنعِم،

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٤).

لا في معصِيَته، ولا يَفْتُر عن ذِكْره»[١].

وليَحذَرُوا كذَلِكَ أشدَّ الحذَر مِن مَكْر أعداء الدِّين مِن الكفار والمنافقين وسائر المُفسدين، فإنهم لا يَستقر لهم قرَارٌ، ولا يَطمئن لهم بال حتَّى يرَوا الفَوْضَى في بُلدان المُسْلِمِينَ؛ لِعِلمهِم أنَّ بالأمن تقوى شوكةُ المُسْلِمِينَ، وبفُقدَانه تَضعف شَوْكَتُهم، وتَتفرَّق كلمتُهم، ويُمكنهم بعد ذَلِكَ التَّسلُّط عليهم؛ فيَستعِينُونَ بكل الوسائل، وشتَّى الطُّرق لإفساده، وقد يَستخدمون في هَذَا المخطَّط المنكر والهدف الخبيث بعضَ أهل الإسْلَام، والله المُستعان!

وليَحْذَرُوا كذَلِكَ مِن دُعاة التَّخريب؛ مِن الجَهلة، وأنصَاف المُتَعالمين الَّذِين يُشَجِّعُون علَى الثَّورات ضد الوُلاة، ويُؤيِّدُونَ المظاهرَات والاعتِصَامات؛ لأنَّ هَذِهِ الوسائل غَربية، وليست شرعيَّة.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ صَالح الفَوْزَان حَفِظَه اللهُ: «دينُنا ليْسَ دِينَ فَوْضَى، دِينُنا دِين انضِبَاط، دين نظام، دِين سَكِينَة، والمَظَاهرَات لَيْسَتْ مِن أعمَال المُسْلِمِينَ، وما كان المسلمون يَعرفُونها، ودين الإسْلَام دين هدُوءٍ، ودين رحمةٍ، لا فَوضى فيه، ولا تشويش، ولا إثارة فِتَن، هَذَا هو دينُ الإسْلَام، والحقُوق يُتوصَّل إليها دون هَذِهِ الطَّريقة، بالمطالبة الشَّرعية، والطرق الشرعية.

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٦٨).

هَذِهِ المظاهرات تُحْدِث فِتَنًا كثيرة؛ تُحدث سَفْكَ دماء، وتُحدث تخريبَ أموالٍ، فلَا تَجوز هَذِهِ الأمورُ»[١].

ولينظُروا وليعتبروا بما جرَى عبر التَّاريخ، وما يَحدث حولهم لكلِّ مَن خالَفَ الوصايا النَّبوية والطُّرق الشَّرعية، وأراد تَغْيِير الظُّلم بوسائل دخيلة غير مرضيَّة، فما جرَّت عليهم إلَّا الوَيْلَات، ولم يَتولَّد عن فِعلهم إلَّا كل ضرر وشَرٍّ، ظهر فيهم الظُّلمُ والعدوانُ والخوفُ والجوعُ والافتراقُ بين أهلها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون!

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَلَّ مَن خرج على إمامٍ ذي سُلطانٍ إلَّا كان ما تَوَلَّد على فِعله من الشَّرِّ أَعْظم مما تَوَلَّد مِن الخَير...»[٢].

فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَان- في شُكر الكريم المَنَّان على نعمة الأمن في الأوطان، وبِبذل كل الوسائل المُعينة على المحافظة على هَذِهِ النِّعمة الكَرِيمة والمِنَّة العظيمة، واجتناب كل الأسباب التي تُفسدها، وتُعين على نشر ما يُضادها، فإنَّ ذَلِكَ يُعين على تحقيق الفلَاح والنَّجاح في الدَّارَيْن بإذن أَرْحَمِ الرَّاحِمين.

فاللهَ أَسْأَلُ بأَسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُلَيَا أن يَجعل ديار

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص٢٣٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٧)..

المُسْلِمِينَ ديارَ أَمْنٍ وأَمانٍ.

وأن يُجَنِّب بُلدانهم الفِتن والفَوْضى، وكلَّ سَبب يُفسد عليهم الاستِقرار والاطمِئنَان.

وأنْ يُعينهم على تَطبيق تعاليمِ الإِسْلَام، ويُبعدهم عن المعاصي والآثام، ويُولِّي عليهم مَن يَحكمهم بِهَدْي خير الأنام؛ فهو- سبحانه- القادر على ذَلِكَ، والحكيمُ العلَّامُ.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

وقفاتٌ مع سُورة الكَوثر

وقفات مع سورة الكوثر

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الاهتِمَامَ بكتاب ربِّ البريَّات تلاوةً وتدبُّرًا وعَمَلًا- أيُّها الإخوة والأَخَوات- هو مِن أشرف وأفضل ما تعمر به الأوقات، وتُصرف فيه السَّاعات؛ **يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «لما كان القرآنُ العزيزُ أشرفَ العُلُوم كان الفَهْمُ لمعانيه أَوْفَى الفُهوم؛ لأنَّ شَرَفَ العِلم بِشَرف المَعلوم»[(١)].

لذا، أحببتُ- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ أقِف معَكُم في هَذَا المقال القصير مع سُورة كريمة من كتاب العزيز القدير، هي سورة مع قلَّة آياتها، إلَّا أنها تحتوي على فوائد عظيمة، ومعاني جليلة، ألَا وهي: (سورة الكَوْثَر).

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٣).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أجَلَّها مِن سورة، وأَغْزَرَ فَوائدها على اختصارها»(١).

أنقل لكُم فيه بإيجاز بعض ما جاء في تفسيرها عن أئمَّتنا الأعْلَام؛ لعلَّ الكريم المنَّان يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يتدبَّر ويَعملُ بالقرآن؛ لأنَّ هَذِهِ هي الغاية الحميدة الَّتي مِن أجْلِهَا أنزله العزيز الرَّحمن؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنزل اللهُ القرآنَ ليُتدبر ويُتفكر فيه، ويُعمَل به، لا لمجرَّد تلَاوته مع الإعرَاض عنه»(٢).

فأقولُ- أَيُّها الكِرَامُ- بعد الاستعانة بالعَزِيز العَلَّام:

سورة الكَوْثَر: عدد آياتها ثلاثٌ.

يقول الإِمَامُ ابْن كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي مَدنية، وقيل: مكية»(٣).

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدلُّ هَذِهِ الآيةُ على عطيَّة كثيرة، صادرة عن مُعْطٍ كبيرٍ غَنِيٍّ وَاسِعٍ»(٤).

لقد وقع الخِلَافُ بين العُلمَاء- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- في معنى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٦).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٩).

الكوثر في الآية، وقد ذُكر في ذَلِكَ عِدَّة أقوال.

يقولُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَوْلَى هَذِهِ الأقوال بالصَّواب عندي: قول مَن قال: هو اسمُ النَّهر الَّذِي أُعطِيه رسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجَنَّة، وَصَفَه اللهُ بالكَثْرة؛ لِعِظَم قَدْرِه.

وإِنَّما قُلنا ذَلِكَ أَوْلَى الأقوال في ذَلِكَ؛ لِتَتابع الأخبَار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَنَّ ذَلِكَ كذَلِكَ»[(١)].

ويُؤيِّد ما قاله الإِمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أَيُّها الأفاضلُ- ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَر؟ فَقُلنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فإِنَّه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ**»[(٢)].

يَقُولُ شيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمقْصُود:** أَنَّ الكَوْثَر نهر في الجَنَّة، وهو مِن الخير الكثير الَّذِي أعطَاهُ اللهُ رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا والآخِرَة، وهَذَا غير ما يعطيه الله مِن الأجر الَّذِي هو مثل أُجور أُمَّتِه إلى يوم القيامة، فكل مَن قرأ وعَلِم، أو عمِلَ صالحًا أو علَّم غيره، أو تصدَّق، أو حَجَّ أو جاهد، أو رابط، أو تاب، أو صبر، أو توكَّل، أو نال مقامًا من المقامات القلبيَّة مِن

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٢٣).

(٢) رواه مسلم (٤٠٠).

خشيةٍ وخوفٍ ومعرفةٍ وغير ذَلِكَ؛ فله مِثْلُ أجْرِه مِن غير أن ينقص مِن أجر ذَلِكَ العامل، واللهُ أعلم»[(١)].

ثم قال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكَوْثَر: ٢].

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَرَه اللهُ أن يَجمع بين هاتَيْن العِبَادتين العظِيمتَيْن، وهُما الصَّلاة والنُّسك الدَّالَّتان على القُرْب والتَّواضع، والافتِقَار وحُسن الظَّن، وقوة اليَقِين وطُمأنينة القَلب إلى الله وإلى عدته، وأَمْرِه، وفَضله، وخُلْفِه، عَكْسُ حال أهل الكِبْر والنُّفرة، وأهل الغِنَى عن الله، الَّذِين لا حاجةَ في صلاتهم إلى ربِّهم يسألونه إيَّاها، والَّذِين لا ينحرون له خوفًا مِن الفقر، وتركًا لإعانةِ الفقراء وإعطائهم، وسوء الظَّن منهم بربِّهم»[(٢)].

ويقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كمَا أعطيناك الخير الكثير في الدُّنيا والآخِرَة، ومِن ذَلِكَ النَّهرُ الَّذِي تَقَدَّم صِفتُه؛ فأخْلِصْ لربِّك صلاتَك المَكتوبة والنَّافلة، ونَحْرَك؛ فاعبده وَحْدَه لا شريكَ له، وانْحَرْ على اسمِه وحْدَهُ لا شريكَ له»[(٣)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما ذَكَرَ مِنَّته عليه أَمَرَه بشُكرها؛ فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ خَصَّ هاتَيْن العِبَادتين

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩).

بالذِّكر؛ لأنَّهما من أفضَل العِبَادات، وأجَل القُربات.

ولأنَّ الصَّلاة تتضَمَّن الخضُوع في القلب والجوارح لله، وتَنَقُّلها في أنواع العبوديَّة، وفي النَّحر تَقَرُّب إلى الله بأفضَل ما عند العَبد مِن النَّحائر، وإخراج للمَال الَّذِي جُبِلَت النُّفوس علَى محبَّته والشُّح به»[(١)].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكَوْثَر: ٣].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: إنَّ مُبغضك يا محمد وعَدُوَّك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، يعني بالأبتَر: الأقلَّ والأذلَّ المُنقطع دابِرُه، الَّذِي لا عَقِبَ له»[(٢)].

ويَقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه بتر شانِئ رسوله مِن كلِّ خير، فيبتر ذِكره وأهله وماله؛ فيَخسر ذَلِكَ في الآخِرَة، ويبتر حيَاته فلا ينتفع بها، ولا يَتزود فيها صالحًا لمعاده، ويبتر قلبه، فلَا يعي الخير، ولا يُؤهله لمعرفته، ومحبَّته والإيمَان برُسله، ويبتر أعمَاله، فلا يَسْتَعمله في طاعة، ويبتره مِن الأنصَار، فلَا يجد له ناصِرًا ولا عونًا، ويَبْتره مِن جَميع القُرب والأعْمَال الصَّالحة، فلَا يذوق لها طعمًا، ولا يجد لها حلَاوة، وإنْ باشرها بظاهره فقلبه شاردٌ عنها، وهَذَا جزَاء مِن شَنَأَ بعضَ ما جاء به الرسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّه

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٢٨).

لأجل هَوَاه، أو مَتبوعه، أو شيخه، أو أميره، أو كبيره؛ كمَنْ شَنَأَ آياتِ الصِّفات وأحاديثَ الصِّفاتِ، وتَأَوَّلَها على غير مراد الله ورسوله منها، أو حَمَلها على ما يُوافق مَذهبه ومذهب طائفته، أو تمَنَّى أنْ لَا تكون آيات الصِّفات أُنزلت، ولا أحَاديث الصِّفات قالها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

لذَا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- فإنَّ نبِيَّنا- علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام- لا يَضره أبدًا مَن يستهزأ به، أو بما جاء به مِن عند الكريم العلَّام؛ لأنَّ العزيز العظِيم قد تَكَفَّل بنصرة نبيِّه الكريم، ودينه القويم، حيث قال الجبَّار العَلِيم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: المُستهزئين بك، وبما جئتَ به، وهَذَا وَعْدٌ مِن الله لرسُوله، أنْ لا يضره المستهزئون، وأنْ يكفِيَه اللهُ إيَّاهم بما شاء مِن أنواع العُقوبة، وقد فَعَل تعالى، فإنه ما تَظاهر أحدٌ بالاستِهْزَاء برسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلَّا أَهْلَكَه اللهُ، وقَتَلَه شَرَّ قِتْلَةٍ»[(٢)].

وفي الختام: أَيُّها الأفاضلُ هَذَا ما تيسَّر لي جمعه في تفسير هَذِهِ السُّورة العظِيمَة التي احتوَتْ كما مَرَّ معنا على فوائد عظيمة، ومعاني

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٦).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٣٥).

جليلة، جديرٌ بكلِّ مسلم أن يَقف عندَها.

ويَنبغِي عليه- أيضًا- أن يَعتني كذَلِكَ بالتِّلَاوة والتَّدبُّر، والعمَل بكل ما جاء في كتَاب العزيز الغَفُور الَّذِي هو حياةٌ للقلوب، وسكينةٌ للنفوس، وشفاءٌ لما في الصُّدور.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو عَلِمَ النَّاسُ ما في قراءة القرآن بالتَّدبر؛ لاشتغَلُوا بها عن كل ما سِوَاها، فإذا قرأه بتفكُّر حتَّى مرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كَرَّرَها ولو مِائة مرَّة ولو ليلة، فقراءةُ آية بتفكُّرٍ وتفَهُّم خيرٌ مِن قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقَلب، وأدْعَى إلى حصُول الإيمَان، وذوق حلَاوة القرآن.

وهَذِهِ كانت عادة السَّلف: يردِّد أحدهم الآية إلى الصَّباح.

وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قام بآيةٍ يُردِّدها حتى الصَّباح، وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فقراءةُ القرآن بالتَّفكر هي أصلُ صلاح القلب»[(١)].

ويَنبغي عليه كذَلِكَ: أنْ يَستحضِر دائمًا عند تلَاوته للقُرآن أن ما يقرأه ليْسَ مِن كلام البشَر، وإنَّما هو من كلام العزيز المُقتدر.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

يَقُولُ الإمامُ أحمدُ بن عبد الرَّحمن بن قُدَامة المَقدسي (ت: ٦٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَنبغي لتَالي القُرآن العَظِيم أنْ يَنظر كيف لطَفَ الله تعالى بخلقه في إيصَال مَعاني كلامَه إلَى أفهامهم، وأنْ يَعلم أنَّ ما يقرأه ليس مِن كلام البَشَر، وأن يَستحضر عظمةَ المتكلِّم سبحانه، ويَتدبَّر كلامه، فإنَّ التَّدبر هو المَقصود من القراءة، وإن لم يحصل التَّدبر إلَّا بِتِرْدَاد الآية، فَلْيُرَدِّدها»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لما يُحِبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ الاعتِنَاء والعمَل بالقُرْآن.

وأنْ يُجَنِّبنا كلَّ ما فيه حِرْمَان ويُؤدِّي إلى الخُسْرَان، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز الرَّحمن.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٤٦).

أثر الهديّة على النُّفوس

أثر الهدية على النفوس

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ تبادُل الهدَايَا والعَطايَا بين المُسْلِمِينَ- أيُّها الأَحْبَاب- مِن بين أهَمِّ الأَسْبَاب المُعِينَة على نَشْر الأُلفَة والمحبَّة بينهم بإذن العزيز الوهَّاب؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»(١).

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَدْبٌ إلى دَوَام المُهَاداة؛ لَتَزايُد المحبَّة بين المُؤمِنينَ، فإنَّ الشَّيء مَتَى لم يَزد دَخَلَه النُّقصانُ على مَرِّ الزمان، ويحتَمل تَزدَادُوا حُبًّا عند الله لمحبَّة بعضكم لبعض»(٢).

فهي وسيلةٌ حمِيدةٌ تزيد مِن أوَاصِر التَّرابط والإخَاء بَيْن الأهل

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «صحيح الجامع» (٥٣٥١).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٢٧١).

والأصْحَاب والأقرِبَاء، وتُساهِم في تصْفِيَة النُّفوس مِن الحِقْد والشَّحناء والبَغْضَاء؛ يقول الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنِّي لأسْتَحِب للنَّاس بعث الهدايَا إلى الإخوان بينهم، إذْ الهديَّة تُورث المحبَّة وتذهب الضَّغينة»(١).

وهي إذا كانت بين الزَّوْجَيْن فإنَّها تُعين على تقْوِيَة العَلاقة بينَهما، وتزيد مِن المحبَّة والألفة بينهما، وتَكُون كذَلِكَ- بإذن رب البريات- سببًا في إزالة ما قد يحصل بينهما مِن خِلَافات ونِزَاعات؛ لأنَّها تُعين على تطْهِير القلب مِن الشَّوائب والآفات، يَقُولُ الإمامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهديَّةُ مَنْدُوبٌ إليها، وهي ممَّا تُورث المودَّة، وتُذهب العدَاوة»(٢).

إنَّ تَقْدِيم الهدَايا للآخَرين مهْمَا كانَتْ صِلَة قَرابتهم مِن العادات الجميلة، والصِّفات الحمِيدَة، وهي مِن شِيَم أصحاب النُّفوس الكَرِيمة، ومِن مَناقب أهل الجود والعَطاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والهديَّةُ مِن أفعال المُسْلِمِينَ الكُرَماء والصَّالحِين والفُضلاء»(٣).

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٣٢).

(٣) «الاستذكار» (١/ ٥٣١).

ولما كان لهَذِهِ الخصلة الكَرِيمة هَذِهِ المكَانة الرَّفيعة وهَذَا التَّأثير القَوِي على نفوس الآخرين- حَثَّنا خيرُ المُرْسَلِين علَى بَذْلِها ورَغَّبَنا في أخْذِها مهْمَا قَلَّتْ ما لم يَكُن في ذَلِكَ مخالفة لتَعالِيم الدِّين؛ فَعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلتُ**»(١).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا حضٌّ منه لأُمَّتِه على المُهَاداة، والصِّلة، والتَّأليف، والتَّحاب.

وإنَّما أَخبر أنَّه لا يَحقر شيئًا مما يُهْدَى إليه، أو يُدْعى إليه؛ لئلَّا يَمتنع الباعثُ مِن المَهاداة لاحتِقَار المُهْدِي، وإنَّما أشار بالكُرَاع وفِرْسَن الشَّاة إلى المُبالغَة في قَبُول القَلِيل مِن الهديَّة، لَا إلى إعْطَاء الكُرَاع والفِرْسَن ومُهاداته؛ لأنَّ أحدًا لا يَفعل ذَلِكَ»(٢).

ويَقُولُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هَذَا الحديث دلِيلٌ علَى حُسْن خُلُقِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَوَاضعه، وجَبْرِه لِقُلوب النَّاس، وعلى قَبُول الهديَّة وإنْ كانت قليلةً»(٣).

بل كان كذَلِكَ مِن هَدْيِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قَبُوله للهديَّة: أنْ يُكرم مَن أَهْدَاه، ويُثيبه عليها؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان

---

(١) رواه البخاري (٢٤٢٩).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٨٧).

(٣) «عمدة القاري» (٢٠/ ١٦١).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهديَّة، وَيُثِيبُ عليها»[١].

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّما كان يَقبلُ الهديَّة؛ ليَظْهَر حُسْن خُلُقِه، ولِتَتَأَلَّف القُلوب على مَحَبَّته، وإنَّما كان يُثيب عليها؛ لئلَّا يَكُون لأحدٍ عليه مِنَّة»[٢].

وقد أمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقَبول الهديَّة، ونَهَى عن ردِّها وعدم قَبُولها؛ فعن عَبْد اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوا الدَّاعي، وَلَا تَرُدُّوا الهديَّة، وَلَا تَضْرِبُوا المُسْلِمِينَ**»[٣].

يقول الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «زَجَرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذَا الخبَر عن تَرْك قَبُول الهَدَايَا بين المُسْلِمِينَ.

فالوَاجِبُ علَى المرء إذا أُهْدِيَت إليه هديَّة: أنْ يَقبلها، ولا يَرُدَّها، ثُم يُثِيب عليها إذَا قَدر، ويَشكر عنها»[٤].

وقد رَغَّبَ أكْثَر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قَبُول وعدَم ردِّ بعض الهدَايا، ومِن ذَلِكَ الطِّيبُ واللَّبنُ؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٥).

(٢) «كشف المشكل» (٤/ ٣٨٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٥٨).

(٤) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ»[١].

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ»، أي: لا يَنبغي رَدُّها، «الوَسَائِدُ»: جمع وِسَادة- بالكسر-: المِخَدَّة، «وَالدُّهْنُ» قال الترمذي: يعني بالدهن: الطيب، «وَاللَّبَنُ».

فيَنبغِي لِمَن أُهديت إليه أنْ لا يَرُدَّها فإنَّها قليلةُ المِنَّة خفيفةُ المُؤنة»[٢].

فعلى المسلم أنْ يَحرص على العمَل بهَذِهِ الوصِيَّة النَّبوية، ولا ينبغي عليه أن يَرُدَّ الهديَّة ما لم يَكُن في قبولها مخالفة شرعيَّة؛ يَقُولُ الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويَسْتحِبُّها- الهديَّة- العُلمَاءُ ما لم يُسْلُك بها سَبِيلُ الرِّشوَة لدفع حقٍّ، أو تحقيق باطِل، أو أَخْذٍ على حَقٍّ يجب القِيَام به»[٣].

وأمَّا في حال ردِّه لهدِيَّةٍ قُدِّمَت إليه وجُلِبت مِن أجله؛ فالأَوْلَى به أن يبيِّن سبب ذَلِكَ حتَّى لا يَبقى في نَفْس مَن أَهْدَاه شيئًا عملًا بهدي نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَعَن الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٩٠)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٤٧٢).

(٣) «الاستذكار» (١/ ٥٣١).

أنَّه أَهْدَى لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وهو بِالأَبْوَاءِ أو بِوَدَّانَ[١]؛ فَرَدَّهُ عليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فلمَّا أَنْ رَأَى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في وَجْهِي قال: «**إِنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلا أَنَّا حُرُمٌ**»[٢].

يَقُولُ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي رَدِّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحِمَار على الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ وهو محرم دليلٌ على أنَّه لا يجوز قَبُول ما لا يَحِلُّ مِن الهديَّة؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما ردَّه عليه؛ لأنَّه لا يحل له قتلُ الصَّيد وهو مُحْرِم، وكان الحمَارُ حيًّا.

فدلَّ هَذَا أنَّ المُهدي إذا كان مَعروفًا بكَسْب الحرَام، أو بالغَصْب والظُّلم، فإنَّه لا يجوز قَبُولُ هدِيَّته.

وفيه: الاعتِذَارُ إلى الصَّدِيق، وإذْهَابُ ما يُخْشَى أنْ يَقَع بنفسه مِن الوَحْشَةِ وسُوء الظَّن»[٣].

وليَحْذَر كذَلِكَ أشَدَّ الحَذَر- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- مِن أن يَرجع المُعطي في هَديَّة قد أعطَاها لغيره مِن الأنَام، فإنَّ هَذَا الفعل ليس مِن شِيَم الكِرَام، وقد نهانَا عن ذَلِكَ نبيُّنا علَيهِ أفضَل الصَّلاة

---

(١) مَوْضِعان بين مَكَّة والمدينة.

(٢) رواه البخاري (١٧٢٩) ومسلم (١١٩٣) واللفظ له.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٩٠).

والسَّلام؛ فعن عبد الله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ**»(١).

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا يَنبغي لنَا مَعْشَر المُؤمِنينَ أنْ نَتَّصِفَ بصفةٍ ذميمة يُشابهُنا فيها أخَسُّ الحيوانات في أخسِّ أحوالها؛ قال الله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

ولعلَّ هَذَا أبلغُ في الزَّجر عن ذَلِكَ، وأدلُّ على التحريم مما لو قال مثلًا: لا تَعودوا في الهِبَة، وإلى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تُقبض»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا أحمدُ بن حنبل، فقال: لا يَحِلُّ لواهِبٍ أن يَرجع في هِبَته، ولا لِمُهْدٍ أن يَرجع في هدِيَّته وإنْ لم يُثَبْ عليها»(٣).

فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأفاضلُ- في الحِرْص على العمَل بهَذِهِ الخَصلة الحميدة، والصِّفة الكَرِيمة، فكَمْ بسَبَبِهَا- بعد فضل العزيز المَتين- ذهبَتْ مِن ضَغِينة، وجُلِبَت مِن محبَّة وألفة!

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٤).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٢٣٥).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ٢٤٠).

وكم أَسْهَمَت في تقْوِيَة أوَاصِر الأخُوَّة والقرَابة بين المُسْلِمِينَ!

وكم كانت سببًا في هِدَاية الكثِير مِن الغَافلين، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين!

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُؤَلِّف بين قلوب المُسْلِمِينَ في كلِّ مكان.

وأنْ يُعِينهم على العمَل بكلِّ الوسَائل الَّتي تَنفعهم في الدَّارَيْن.

وأنْ يَحفظهم مِن كَيْدِ الكائدين، ويَرُدَّ عَنهم مَكْرَ المَاكرين، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلّ اللهُمَّ وسلّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

تحذير الأحباب

من التّنابز بالألقاب

تحذير الأحباب من التنابز بالألقاب

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يَنبغِي على كلِّ مسلم- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَفَاضِلُ- أنْ يسْتَعمل لسَانه في كلِّ ما يَنفعه، ويُزينه، ويُجنِّبه ما يضرُّه ويُشينه؛ **يقولُ الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اعْلَم أنَّه يَنبغي لكلِّ مُكَلَّف أنْ يَحفظ لِسَانه عن جَمِيع الكلَام إلَّا كلامًا ظهرَتْ فيه المصْلحَة، ومتَى استَوى الكلَام وتركه في المصلحة، فالسُّنةُ الإمساكُ عنه؛ لأنَّه قد يَنجرُّ الكلَام المباحُ إلى حرَامٍ أو مَكْروه، وذَلِكَ كثيرٌ في العادة، والسَّلامة لا يَعدلها شيءٌ»[(١)].

ومما يجِبُ علَيْنا جميعًا- أَيُّها الكِرَامُ- أنْ نحفَظ ألسِنَتنا مِن نَبْز الآخَرين بألقَابٍ يَكْرهُونها، وذِكرهم بأوصافٍ لا يحبُّونهَا، ومُنادَاتهم بأسْمَاء فيها انتِقَاصٌ لهم؛ لأنَّ هَذَا عمل ذميم، وفِعْل

(١) «رياض الصالحين» (ص٢٧٦).

مشين، قَدْ نهانَا عنه ربُّ العَالمين، حيْثُ قال أرْحَم الرَّاحِمين: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: لا يُعَيِّر أحدُكم أخَاه، ويُلَقِّبه بلقَبٍ ذَمٍّ يَكره أنْ يُطلَق عليه؛ وهَذَا هو التَّنابُز، وأمَّا الألقابُ غيرُ المَذْمُومَة، فلَا تَدخل في هَذَا»(١).

ويقولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الألقَابُ: جمع لَقَب، وهو اسمٌ غير الَّذِي سُمِّيَ به الإنسانُ، والمراد هُنا: لقب السوء»(٢).

وهو لا يَصْدُر عن أهل الصَّلاح والإيمَان، وإنَّما يُعرَف عن الفُسَّاق الَّذِين هم مِن أولياء الشَّيطَان؛ يَقُولُ العَزِيز الرَّحمن: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

يَقُولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: المعنى أنَّ مَن لقَّبَ أخاه، أو سَخِرَ منه فهو فاسقٌ»(٣).

بل إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح، والعمَل الشَّنيع عُرف كذَلِكَ- أيُّها الإخْوَة والأَخَوات- عن أهل البِدَع والمحْدَثات، فإنَّ مِن علَاماتِهم

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٠١).

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٦٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٢٨).

الَّتي اشتُهرت عنهم- قديمًا وحديثًا- الوقيعةَ ونَبزَ أَهْلِ السُّنة والجَماعة بألقَابٍ ليْسَتْ فيهم؛ يَقُولُ الإمامُ أبو حَاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علَامةُ أهل البِدَع: الوقيعةُ في أَهْلِ الأَثَر»(١).

يَقُولُ العلَّامةُ عبدُ اللَّطِيف آل الشَّيخ رحمه الله تعالى: «مِن عادة أهل البِدَع إذا أَفْلَسُوا مِن الحُجَّة، وضاقَتْ عليهم السُّبل تَرَوَّحُوا إلى عيبِ أهل السُّنَّة، وذَمِّهم، ومَدْح أنفُسهم، والواجِب أنْ يتَكلَّم الإنسَانُ بعلمٍ وعَدْلٍ»(٢).

وإنَّما سلَكُوا هَذَا المنْهَج الذَّميم وهَذِهِ الطَّريقة المُنكرة بقصدٍ خَبِيث، وغاية فاسِدَة، ألَا وهي تَنفير النَّاس، وإبعادهم عن المنهج القويم، وانتِقَاص أهل السُّنَّة وعُلمائهم، وضَرب مَكانتهم عند عوام المُسْلِمِينَ؛ يَقُولُ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد رأيْتُ لأهْلِ الأهواء والبِدَع والخِلَاف أسمَاء شَنِيعَة قَبيحة يُسَمُّون بها أهلَ السُّنَّة، يُريدون بذَلِكَ عَيْبَهم، والطَّعنَ عليهم، والوقِيعَةَ فيهم، والإزراءَ بهم عند السُّفهاء والجهَّال»(٣).

فيا مَن عُرِف بالنَّبْز، واشتهر بتَعْيِير الآخرين، وذَمِّهم، ووصْفِهم

---

(١) «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).

(٢) «الدُّرر السَّنية في الأجوبة النجدية» (٤/ ١٠٢).

(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يَعْلى (١/ ٣٥).

بمَا لَيْسَ فيهم مِن ألقاب: ألَا تَدري أنَّ فعلك هَذَا هو مِن نَتاج إصابَتِكَ بدَاءٍ عُضَال، ومرض قتَّال، الَّذِي نهانا عنه الكبير المُتعال، ألَا وهو مَدْحُ وتَزكية النَّفس، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؟!

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تَشْهَدوا لأنفسِكم بأنَّها زَكيَّة، بَريئة من الذُّنوب والمعاصي»(١).

هَذَا الدَّاء الَّذِي قد يَجُرُّ صاحِبَهُ إذا لم يَتَدارَكْ نفْسَه إلى الوقُوع في مرَضٍ أشد ضررًا، وأعْظَم خطرًا منه، ألَا وهو العُجب الَّذِي بدَوْرِه قد يَجُرُّه إلى داءٍ هو أفْتَك منه، ألَا وهو الكِبْر!

يَقُولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إعْجَاب المَرء بنَفْسِه: هو مُلَاحظته لها بعَيْنِ الكمَال، مع نِسْيَان نعمة الله، فإنْ احْتَقَر غيرَه مع ذَلِكَ فهو الكِبْرُ المَذْمُوم»(٢).

ألَا تعلم- كذَلِكَ- أنَّكَ تحْتَقِر بصَنِيعك هَذَا إخْوَانَك، وقد نُهِينا عن ذَلِكَ، وحَذَّرنا منه نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أشدَّ التَّحذير؛ فَعَن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّر أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**»(٣).

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٤٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٦١).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ دَقيقِ العِيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تحْذِيرٌ عظِيمٌ مِن ذَلِكَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يحقره؛ إذْ خَلَقَهُ ورَزَقَهُ، ثم أحسن تقويمَ خَلقِه، وسَخَّر مَا في السَّموات وما في الأرض جميعًا لأجْلِه، وإنْ كان له ولغَيْره فله مِن ذَلِكَ حصَّة.

ثُم إنَّ الله- سبحانه- سمَّاه مُسْلِمًا ومُؤمنًا وعبدًا، وبَلَغ مِن أمره إلى أنْ جَعل الرَّسُول منه إليه محمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن حقَّر مسلمًا مِن المُسْلِمِينَ؛ فقد حقَّر ما عَظَّم الله عَزَّوَجَلَّ وكافيه ذَلِكَ، فإنَّ مِن احْتِقَار المسلم للمُسْلِم أنْ لَا يُسَلِّم عليه إذا مَرَّ، ولا يُرَد عَلَيْهِ السَّلَامَ إذا بَدَأَ بِه، ومنها أنْ يَراه دون أنْ يُدخله اللهُ الجَنَّة، أو يُبعده مِن النَّار»[(١)].

ألَا تَعْلَمْ كذَلِكَ: أنَّ مِن نَتاج التَّنابز بالألقَاب وانتِقَاص الآخَرين قَطْعَ أوَاصِر الأُخوَّة الإيمَانيَّة، وإفسَاد الألفة والمودَّات، وتتولَّد بسَبب ذَلِكَ الأحْقَاد والعدَاوَات الَّتي تَجُرُّ إلى المُنَازعَات والخصُومَات التي هي وبَالٌ وضرَرٌ على الأفرَاد والمجتَمعَات.

يقولُ الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخصُومة تُوغِر الصُّدور، وتُهَيِّج الغضَبَ، وإذا هَاجَ الغضَبُ حَصَلَ الحِقْدُ بينهما، حتَّى يَفرح كل واحدٍ بمسَاءة الآخر، ويَحزن بِمَسَرَّته، ويُطلق اللِّسَان في عِرْضِه»[(٢)].

---

(١) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق (ص٩٢).

(٢) «الأذكار» (ص٢٩٦).

فعليك- يا مَن ابتُلِيت بهَذَا المرَض الدَّفين والدَّاء المشين- أنْ تُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى الله ربِّ العَالمين قبل فوَات الأوَان؛ لأنَّ الإنْسَان لا يَجْني يوم وقُوفِه بين يدَي الرَّحمن إلَّا ما قدَّم مِن أعمَال، وما جَناه عليه اللِّسَانُ؛ فعن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وُجُوهِهِمْ- أو على مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»(١).

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»، أي: محصوداتها؛ شَبَّه ما يَتكلَّم به الإنسَانُ بالزَّرع المَحصُود بالمنْجَل، وهو مِن بلَاغة النُّبوَّة، فكما أنَّ المنجل يَقطع، ولا يُمَيِّز بين الرَّطب واليَابس، والجيِّد والرَّديء، فكذَلِكَ لِسَانُ بعض النَّاس يتكلَّم بكُلِّ نوعٍ مِن الكلَام حسَنًا وقبيحًا.

والمعنى: لا يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار إلَّا حصائدُ ألسِنَتهم مِن الكُفر والقَذْف والشَّتم، والغِيبَة، والنَّمِيمَة، والبُهتان، ونحوها»(٢).

فليَحْذَر أشدَّ الحذَر مِن أنْ يتورَّع فقط عن القِيَام ببعض الأعمَال المُحَرَّمة الَّتي نهَانا عنها العزيزُ الرَّحمنُ، ويُطلق للسَانه العِنَان في الغِيبَة والنَّمِيمَة، ونَبْز وتَعيير الآخرين، وغير ذَلِكَ مِن أنواع العِصْيَان المُتَعَلِّقة باللِّسان، فإنَّ هَذَا مِن تلبِيس الشَّيطَان.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٨٤).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن العَجَب أنَّ الإنسان يَهون عليه التَّحفُّظ والاحتِرَازُ مِن أكْلِ الحَرام، والظُّلم، والزِّنا، والسَّرِقة، وشُرب الخَمْر، ومِن النَّظر المحَرَّم، وغير ذَلِكَ، ويَصْعُب عليه التَّحفُّظ مِن حرَكةِ لِسَانه؛ حتَّى يُرَى الرَّجُل يُشار إليه بالدِّين، والزُّهد، والعِبَادة، وهو يتكَلَّم بالكلمة مِن سَخَط الله لا يُلقي لها بالًا يَنزل منها أبْعَد ما بين المشْرِق والمغرب.

وكم ترَى مِن رَجُلٍ مُتورِّعٍ عن الفَواحِش والظُّلم، ولسَانه يَفْري في أعْرَاض الأحيَاء والأموات، ولا يُبالي ما يَقُولُ!»(١).

فَعَلَى كُلِّ مَن أرادَ النَّجاةَ والفلَاح- بإذن ربِّ البرِيَّة- في الدُّنيا الفَانية والآخِرَة الباقية: أنْ يَعْمَل بهَذِهِ الوصيَّة النَّبوِيَّة؛ فعن سَهْلِ بن سَعْدٍ الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن يَضْمَنْ لي مَا بَيْن لَحْيَيْهِ ومَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الجنَّة**»(٢).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلَّ الحديثُ أنَّ أعْظَم البَلاء على العَبْد في الدُّنيا اللِّسَان والفَرْج؛ فَمَن وُقِيَ شَرهُما فقد وُقِيَ أعْظَم الشَّرِّ»(٣).

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «الجواب الكافي» (ص١١١).

(٢) رواه البخاري (٦١٠٩).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ١٨٦).

لكلِّ ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومن ذَلِكَ أن نَستعمل ألسِنَتنا فيما يَنفعنا في الدَّارَيْن.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ ما يُبغضه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ انتقاصُ ونَبْزُ الآخرين؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

الصَّبر على تحصيل العِلم الشَّرْعِي

الصبر على تحصيل العلم الشرعي

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن أعظَم ما يُوفَّق إليه العَبدُ بعد نعمة الإسْلَام، والتمسك بهدي خير الأنام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكرام- أنْ يُيَسَّر له التَّفقه في دين العَزِيز العَلَّام؛ فعن مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ به خَيْرًا يُفقِّهه فِي الدِّين**»(١).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه فَضْلُ الفِقْه في الدِّين على سَائر العُلوم، وإنَّما ثَبَتَ فضْلُه؛ لأنَّه يَقُود إلى خَشْيَة الله، والتِزَام طاعَته، وتجنُّب مَعَاصِيه»(٢).

لكنَّ نَيْلَ هَذَا الشَّرف الكَريم وتحصيلَ هَذِهِ المرتَبة الرَّفيعة لا

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) «شرح ابن بطال على صحيح البخاري» (١/ ١٥٤).

يَكُونُ- بعد تَوْفِيق العَزيز الوهَّاب- إلَّا ببَذْل مَا يُعين على تحصِيلهَا مِن أسباب.

ومِن أهمِّهَا بعد إخلَاص النِّية، وصدق الطَّلب: أنْ تُبذل فيها الأوْقَات، وتُستغل فيها الطَّاقات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وأمَّا سَعادةُ العلم فلا يُورثك إيَّاها إلَّا بَذْلُ الوُسْع، وصِدْق الطَّلب، وصحَّة النية»[(١)].

لأنَّ حِكمة العزيز الحكيم اقتضَتْ أنَّ مَعَالي الأمور لا تُنال بالنَّعِيم، وإنَّما تُدرَك- بعد توفيق ربِّ العالمين- بالعُبور على جِسْر التَّعب، والسَّير على طرِيق النَّصب.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد استقَرَّتْ حِكْمَتُه سبحانه أنَّ السَّعادة والنَّعيم والرَّاحة لا يُوصل إليها إلَّا على جِسْر المشقَّة والتَّعب، ولا يُدخل إليها إلَّا مِن باب المَكاره، والصَّبر، وتحمُّل المشاق؛ ولذَلِكَ حَفَّ الجنَّةَ بالمكاره والنَّارَ بالشَّهوات»[(٢)].

ويَقُولُ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذْ المَصَالح والخيْرَات وَاللَّذَّات والكمَالَات كلهَا لا تُنال إلَّا بحظٍّ مِن المَشَقَّة، ولا يُعبر إليها إلَّا على جِسْرٍ مِن التَّعَب.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٠٨).

(٢) «شفاء العليل» (ص٢٢٥).

وقد أجمع عُقَلَاءُ كلِّ أمَّةٍ على أنَّ النَّعيم لا يُدْرك بالنَّعيم»[١].

وأنه بحسب البَذْل والعَطاء، والصَّبر على المَشَاق تكون العَواقِبُ والنَّتائج؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِحَسب ركُوب الأهْوَال واحتِمَال المَشاق تكون الفرحة واللَّذة، فلا فرحَةَ لمن لا همَّ له، ولا لَذَّة لمن لا صَبْر له، ولا نَعِيم لمن لا شقاء لَهُ، ولا راحةَ لمن لا تَعَبَ له»[٢].

لقد عَرف مَن سبقنا مِن الصَّالحِين مَكانةَ العِلم، وأدرَكُوا شرفه، فصرفوا لتحْصِيله مُعظَمَ أوْقَاتهم، وعَمروا به أكثر سَاعاتهم، وبذَلُوا مِن أجْلِ نَيْلِه أعلى طاقَاتهم؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَيْهَات، ما وصل القَوْمُ إلى المَنزل إلَّا بعد مُواصَلة السَّرى[٣]! ولا عَبروا إلى مَقَرِّ الرَّاحة إلَّا على جِسْر التَّعَب»[٤].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلمُ التَّامُّ لا يُنال برَاحةِ الجِسْم، لا بُد مِن تَعَبٍ، ولهَذَا يقال: «أَعْطِ العِلم كُلَّك تَنَلْ بعضَه، وأعطه بعضك يُفوتك كله»، فلا بُدَّ مِن تَعب، لكن إذا قرأت التَّاريخ بالنسبة للعلماء الكبار عرفتَ أنهم يَتعبون تعبًا عظيمًا؛

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٥).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٥).

(٣) سَيْر عَامَّة الليل. «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (١/ ١٢٩٤).

(٤) «بدائع الفوائد» (٣/ ٧٣٥).

يَسهرون اللَّيل مِن أجْلِ مَسْألةٍ واحدة، ومع ذَلِكَ ما يَسهرون على مثل هَذِهِ الأنوار، بل على شَمع يُتعب العين عند القراءة في ضوئه، لكنهم مجتهدون؛ لأنهم يَعلمون أنَّ هَذَا جهادٌ في سبيل الله»[١].

فَمِن هؤلاء الأئمَّةِ الأعْلَام على سَبيل المِثال لا الحَصْر- أَيُّها الأفاضلُ الكِرامُ- **الإمامُ الحافظُ عَامِرُ بن شَرَاحيل الشَّعْبي الكُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: بعد ١٠٠)- قيل له: مِن أين لك هَذَا العلم كلُّه؟**

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بنفي الاعتِمَاد، والسَّير في البلاد، وصَبْرٍ كَصَبْر الجَمَاد، وبُكورٍ كبُكور الغُرَاب»[٢].

ومنهم- أيضًا- الإمامُ عبد الرَّحمن بن أبي حَاتم الرَّازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٣٢٧هـ)؛ صاحب «الجَرح والتعديل» حيث قال: «كُنَّا في مِصْرَ سبعَة أشهر لم نَأكُل فيها مَرَقَة، كل نَهارنا مُقَسَّم لمجالِس الشُّيوخ، وباللَّيل النَّسْخُ والمُقَابَلة؛ فأَتَيْنَا يومًا أنَا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو علِيل، فَرَأيْنا في طرِيقِنَا سَمكة أعجبتنا، فاشتَرَيْناهَا، فلمَّا صِرْنا إلى البَيْت حَضَر وقتُ مجلسٍ، فلَمْ يُمكنا إصْلَاح هَذِهِ السَّمكة، ومَضَيْنا إلى المجْلِس، فلَمْ نزَل حتَّى أتَى على السَّمكة ثلاثةَ أيَّام، وكادَتْ أن تتَغيَّر فأكلنَاها نيئة، لم يَكُن لنَا فرَاغٌ أنْ نَشْوِيَ السَّمك. ثم قال:

---

(١) «لقاء الباب المفتوح» (١٤/ ٢٢٠).

(٢) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (ص١٩٦).

«إنَّ العِلمَ لا يُستطَاع براحةِ الجَسَد»[١].

ومِن هؤلاء الأعلام كذَلِكَ الحافظُ ابن مَنْدَه؛ أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥هـ)، محدِّث الإسْلَام الَّذِي رَحَل في طلب العلم وعُمُره عشرون سنة، ورجع وعُمُره خمس وسِتُّون سنة، وكانت رحلته خمسًا وأربعين سنة.

يَقُولُ الإمام الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَلِّقًا على رحلته: «ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثًا منه، مع الحِفْظ والثِّقة، فبَلغنا أن عِدَّة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ»[٢].

ومنهم- أيضًا- الإمامُ، الحافظُ، الرَّحالُ، صاحبُ التَّصنِيفَات الكثيرة، والكتب المفيدة- أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٧هـ) حيث يَقُولُ عن نفسه: «بُلْتُ الدَّمَ في طلَبِ الحدِيث مرَّتين؛ مرَّة ببَغْدَاد، ومرَّة بمكَّة، كنت أمشي حافيًا في الحرِّ فلَحِقَني ذَلِكَ، وما رَكِبتُ دابةً قطُّ في طلَبِ الحديث، وكنت أحمِلُ كتبي على ظَهري»[٣].

فهَذِهِ التَّضحياتُ وهَذَا البَذْل مِن هؤلاء الأئمَّة الأعلَام في سبيل

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠).

(٣) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (ص٢١٢).

تحصيل العِلم لا يُستغرب منهم؛ لأنَّه مَن ظهرت له قيمةُ الشَّيء ومَكانته ضَحَّى وبَذَل ما يَملك مِن أجْلِ تحْصِيله، والظَّفر به، فهَؤلاء عَلِمُوا أنَّ العِلم الشَّرعي المُثمر للخَيرات غالٍ ونفيس فلا يُنال بشيء دنيء وخَسيس، بل لا بد- بعد توفيق رب البرِيَّة- من البذل والتَّضحية.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمَّلتُ عَجَبًا، وهو أنَّ كل شيء نفيس خطير يَطول طريقُه، ويَكثر التَّعبُ في تحصيله؛ فإنَّ العِلم لما كان أشرَف الأشياء لم يَحصل إلَّا بالتَّعَب والسَّهر والتَّكرار، وهَجر اللَّذات والرَّاحة»[(١)].

فيا طالبَ العِلم، إيَّاك ثُم إيَّاكَ أنْ تُفرِّط في هَذِهِ النِّعمة الكَرِيمة، والمِنَّة الجليلة بَعْد أنْ وفَّقَك العَزيز الرَّحمن لسُلوك طرِيقهَا!

أَخْلِص نيَّتك لخالِقكَ الكريم، واصْدُق في طلبك للعِلم، واحرص- رعاك الله- علَى الاقتِدَاء بِمَن سَبَقَ مِن الصَّالحِين، وعلى سَماع أخبَارهم، وقِراءة سِيَرهم.

واحذَرْ أشدَّ الحَذَر مِن المعاصي والذنوب التي هي أصْل كل بلَاء، ومصدر كل شقاء، ومِن أسْباب مَنْع التَّحصيل، وحِرْمَان التَّوفيق، وعليك دائمًا بالصَّبر، والمُصابرَة في طلب العلمِ وإنْ قلَّ الأعْوَانُ،

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٤٤٥).

ولم تجد سَنَدًا من الأهل والأصحاب والإخوان.

والصَّبرَ الصَّبرَ على الأهْوال والخُطوب إذا أردت الوصول، ونَيْل المرغوب؛ يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصَّبر هو المعُونة العَظِيمَة علَى كل أمر، فلَا سَبيلَ لغير الصَّابر أنْ يُدرك مَطْلُوبَهُ خصوصًا الطَّاعات الشَّاقة المستمرة، فإنَّها مُفتَقِرة أشد الافتِقَار إلى تحمُّل الصَّبر، وتجرع المرَارة الشَّاقة، فإذا لَازم صاحِبها الصَّبر فاز بالنَّجاح، وإنْ ردَّه المكروه والمشقة عن الصَّبر والملَازمة عليها لم يُدرك شيئًا، وحَصل على الحرمان»(١).

واحذَرْ- أيضًا- أشدَّ الحذَر- قوَّاك الله- مِن أنْ تُصاب بالكسَل الَّذِي هو داءٌ خطِير، ومرض عسِير يُثبِّط النَّفس عن فِعْل الطَّاعات، ويمْنَعها من عمل الخيرات؛ يَقُولُ الفُضَيلُ بن عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكسَلُ فترة تقع بالنَّفس، وتُثَبِّط عن العمل»(٢).

واحرِصْ- رعاك الله- أنْ تكون دومًا همَّتك عالية في طلب العِلم والمبادرة لكلِّ خير؛ لأنَّ علُو الهمَّة مِن أسبَاب النَّجاح والفلَاح، وضعفها ودُنوها سبَبٌ للحِرْمَان والخسْرَان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَنْ عَلَتْ همَّتُه، وخَشَعت نفسُه اتَّصَف بكل

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٤٧).

خلق جميل، ومَن دَنَتْ همَّته، وطغَتْ نفسُه اتَّصَف بكل خلُقٍ رَذِيل»[(١)].

فالعِلمُ عَزيزٌ وشَريفٌ، والشَّريف لا يُنال برَاحةِ الجِسْم؛ **يَقُولُ الإمامُ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «لَا يُسْتَطَاعُ العِلمُ بِرَاحَةِ الجِسْمِ»[(٢)].

يَقُولُ العَلَّامَةُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعُلمَاءُ وطلَبةُ العِلم في دور العِلم الشَّرعي على خَيْر عظِيم، وعلَى طريق بحمد الله مُستقيم، لمن وفَّقه اللهُ لإخلاص النِّية، والصِّدق في الطَّلب.

وهنيئًا لطلبة العِلم الشَّرعي أن يتَفقَّهوا في دِين الله، وأن يَتَبَصَّرُوا فيما جاء به رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الهُدى والعلم، وأن يُنافسوا في ذَلِكَ، وأنْ يصبروا على ما في ذَلِكَ من التَّعب والمشقَّة، فإنَّ العِلم لا ينال براحة الجِسْم، بل لا بد مِن الجد والصَّبر والتَّعب، وهَذَا الإمام مسُلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» في أبواب (المواقيت)، من كتاب (الصَّلاة) لما ساقَ عدَّة أسَانيد ذكر فيها، **عن يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:** «لا يُنال العِلمُ براحة الجِسْم».

ومقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن هَذَا التَّنبيه على أنَّ تحصيل العِلم والتَّفقه

---

(١) «الفوائد» (ص١٤٤).

(٢) «صحيح مُسلم» (١/ ٤٢٨).

في الدِّين يحتاج إلى صَبْرٍ ومُثابرة، وعناية وحِفْظ للوقت، مع الإخلاص لله، وإرادة وَجْهه»[١].

وفي الأخير: عليكَ أنْ تَعْلَم- يا مَن وُفِّقْتَ لطلَبِ العلم- أنَّ ما تَبْذله مِن تَعَبٍ ومَشقَّة لتَحْصِيل العِلم في صِغَرك وشبَابك، ستجده بعونِ خالِقكَ عند تقدُّم سنِّك وكِبَرك؛ **يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «فأمَّا مَن أنفق عصر الشَّباب في العِلم، فإنَّه في زمَن الشَّيخوخة يَحمد جَنْيَ ما غَرس، ويَلتذُّ بتَصْنِيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد مِن لذَّات البدن شيئًا بالإضَافة إلى ما يناله مِن لذَّات العلم، هَذَا مع وجُود لذَّاته في الطَّلب الَّذِي كان تأمل به إدراك المَطْلُوب»[٢].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يُحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ تحصِيل العِلم النَّافع، والصَّبر عليه، والتَّوفيق للعمل الصَّالح، ولكل أنوَاع الخيْرَات، وأنْ يُجنِّبَنا جميعًا ما يُبغِضُه ويأبَاه، ومِن ذَلِكَ الجهل والكسَل، وجميع أنواع المُنكرَات، فهو- سبْحانهُ- ربُّ البريَّات، وقريبٌ مُجيبُ الدَّعَوات.

وصلَّى اللهُمَّ وسلَّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «مجموع فتاوى الشَّيخ» (٧/ ١٧٩).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٧٧).

تذكير الأنام
بمكانة الأيتام في الإسلام

تذكير الأنام بمكانة الأيتام في الإسلام

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ دينَ الإسْلَام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- قد أمرَنا بالإِحسَان إلى الأيْتَام، وحثَّنا كثيرًا على إعطائهم مزيدًا مِن الاهتمام؛ **يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وقد حَثَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على الإِحسَان في عِدَّة آيات مِن كتابه، وبين أنَّه يُحِبُّ المُحْسِنين، والَّذِين هُم في حاجة إلى الإِحسَان يَكُون الإِحسَانُ إليهم أفضل وأكمل؛ فَمِنهم اليتامى»[(١)].

ومما يَنبغي أن نعلمه- أَيُّها الأفاضلُ- أنَّ اليَتيم في شرعنا الكريم هو مَنْ فقَدَ أباه لا أمَّه؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اليَتيمُ في الآدميِّين مَن فَقَدَ أباه؛ لأنَّ أباه هو الَّذِي يُهَذِّبه ويَرْزقُه، ويَنصُره بمُوجب الطَّبْع المَخلوق»[(٢)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٧٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١٠٨).

وأنْ يَكُون الفَقْدُ قد حصل له قَبل سِنِّ البُلوغ؛ فعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ...**»(١).

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: لَا يجري علَى البَالغ حُكم اليَتيم، والحُلُم ما يُرى مِن أمَارة البَلوغ»(٢).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «واليَتِيم: هو الصَّغيرُ الَّذِي مات أبوه قبل بلوغه؛ سواء كان ذكرًا أو أُنثى، ولا عِبْرَةَ بوفاة الأم، يعني: أنَّ اليتيم هو الصَّغير الَّذِي مات أبوه قبل بلوغه وإنْ كان له أُمٌّ، وأمَّا مَن ماتَتْ أمه، وأبوه موجود فليس بيتيم، خلافًا لما يَفهمه عوَامُّ النَّاس؛ حيث يظنُّون أنَّ اليَتِيمَ هو الَّذِي ماتَتْ أمه، وليس كذَلِكَ، بل اليَتِيم هو الَّذِي ماتَ أبوه، ويُسمَّى يتيمًا ليُتمِه.

واليُتم: هو الانفراد؛ لأن هَذَا الصَّغير انفرد عن كاسِب، وهو صغيرٌ لا يَستطيع الكَسب»(٣).

وإنَّ مِن أعظم أنواع البر والإِحسَان التي يُقَدِّمها المُسْلِم

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٠٤).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٧٩).

لليَتِيم- أَيُّها الأفاضلُ والإِخْوَانُ- أنْ يَكفُلَه، ويَحرص أشدَّ الحِرص على القِيَام بمصَالحه، ومَدِّ يَد العَوْن له؛ لعلَّه بفعله هَذَا يُعوِّضه- بإذن العَزيز الودود- شيئًا مِن عَطْفِ وحنَان الأب المفقود؛ **يقولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «**كافلُ اليَتِيم**: القائم بأموره مِن نفقةٍ وكِسْوةٍ، وتأديبٍ وتربية، وغير ذَلِكَ»[(١)].

ويَقُولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كفالة اليتيم هي**: القيام بأُمُوره، والسَّعي في مصالحِهِ مِن طعامه وكِسْوَته، وتنْمِيَة ماله إنْ كان له مال، وإنْ كان لا مال له أَنْفَقَ عليه وكساهُ ابتغاء وجه الله تعالى»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكفالة اليَتِيم هي**: القِيَام بما يُصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دِينه مِن التَّربية، والتَّوجيه، والتَّعليم، وما أشبه ذَلِكَ، ومَا يُصلحه في دُنياه مِن الطَّعام والشَّراب والمَسْكَن»[(٣)].

ويَكفي هَذَا العمَل النَّبيل والفِعْل الجليل شرفًا وفضْلًا أنَّ مَن أخلص نِيَّته لربِّ العالمين؛ كان له- بإذن القوي المتين- سببًا في مُرافقة

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٨/ ١١٣).

(٢) «الكبائر» (ص٦٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٩٧).

خير المرسَلِين في جنَّة أرْحَم الرَّاحِمين؛ فعن سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّة هَكَذَا**»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شيئًا(١).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَقٌّ على كل مُؤمن يسْمَع هَذَا الحديث أنْ يَرْغَب في العمَل به؛ ليَكُون في الجَنَّة رَفيقًا للنبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولجماعة النَّبيِّين والمرسَلِين صلوات الله عليهم أَجْمَعِين، ولا مَنْزِلةَ عند الله في الآخِرَة أفضَلُ مِن مُرافقة الأنبيَاء»(٢).

ولشِدَّة عناية دِينِنَا القويم بحقِّ اليتيم لَمْ يكْتَف بالحثِّ على إكرامه والإحسَان إليه، بل حذَّرَنا أشد التَّحذير مِن ظُلمِه، وإساءة معاملته، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تُسِئ مُعاملة اليتيم، ولا يَضِقْ صدرُك عليه، ولا تَنْهَره، بل أكْرِمْهُ، وأعْطِهْ ما تيسَّر، واصنع به كمَا تُحِبُّ أنْ يُصنع بولَدِكَ مِن بعدك»(٣).

وجَعَلَ أَكْلَ مَالِه -أيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات- مِن المُوبِقَات المهلكات؛ يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وثبَتَ في «الصَّحيح» أنَّ

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٨).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢١٧).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٩٢٨).

أكلَ مال اليَتِيم أحدُ السَّبع المُوبقات، فالواجب على مَن ابتلي بيتيم أنْ يقف على الحدِّ الَّذِي أباحه له الشَّارعُ في الأكل مِن ماله ومخالطته؛ لأنَّ الزِّيَادةَ عليه ظُلمٌ يَصْلَى به فاعِلُه سعيرًا، ويَكُون مِن المُوبَقِينَ؛ نسأل الله السَّلامة»[١].

يُشير- رحمه ربُّ العالمين- إلى ما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يا رَسُولَ الله، وما هُنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ الله إلا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يوم الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**»[٢].

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخَصَّ اليَتيم؛ لأنَّه لا أَحَدَ يُدافع عنه؛ ولأنَّه أَوْلَى أن يُرحَم، ولهَذَا جعل اللهُ له حقًّا في الفَيْء، وإذا كان أحق أن يُرحم؛ فكيف يَسْطُو هَذَا الرَّجُل الظالم على ماله فيأكله؛ ويقال في أكل مال اليتيم ما قيل في أكل الرِّبَا؛ فليس خاصًّا بالأكل، بل حتَّى لو استَعْملَهُ في السَّكَن، أو الفَرش، أو الكتب، أو غيرها؛ فهو داخِلٌ في ذَلِكَ.

وأكل مال غير اليتيم ليْسَ مِن الكبائر؛ لأنَّ اليتيم له شأنٌ

---

(١) «نيل الأوطار» (٥/ ٣٧٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩)، واللفظ له.

خاصٌّ...»[١].

بل توعَّد العزيزُ الوهَّاب مَن ظلمَهُ وأكل مالَهُ بأشد العِقَاب، حيث قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ أي: بغير حقٍّ.

وهَذَا القَيْدُ يخرج به ما تقدَّم مِن جوَاز الأكل للفَقِير بالمعروف، ومِن جوَاز خَلْط طَعَامهم بطَعامِ اليتامى.

فَمَنْ أكلها ظُلمًا فإنَّما ﴿يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ أي: فإن الَّذِي أكلوه نارٌ تتأجَّج في أجوافهم، وهم الَّذِين أدخلوها في بطونهم، ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ أي: نارًا محرقة متوقدة، وهَذَا أعظم وعيد ورَدَ في الذُّنوب، يدلُّ على شناعة أكل أموال اليَتامى وقبحها، وأنَّها مُوجبة لدخول النَّار؛ فدلَّ ذَلِكَ أنها مِن أكبر الكبائر؛ نسأل الله العافية»[٢].

إنَّ قسوةَ القلب وعدم تأثره عند ذكر العزيز الكبير- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- داءٌ عُضالٌ، ومرضٌ قتَّال يُعاني منه الكثير إلَّا مَن

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٥٠٣).

(٢) «تفسير السعدي» (ص١٦٦).

رحمه العَلِيم القدير؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ما ضُرب عبدٌ بعقُوبةٍ أعْظَم مِن قسْوَة القَلب، والبُعد عن الله»(١).

فمَنْ أراد التَّخلُّصَ مِن هَذَا الدَّاء، والتَّغَلُّب على هَذَا الوباء؛ فعليه أوَّلًا بالتَّوبة والرُّجوع إلى رب البريَّة، ثم ببذل ما يُعينه على التَّغلب عليه من الوسائل الشَّرعية، والأدوية الإيمَانية التي حثَّنا عليها رسولُ العَزِيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ كالبُعد عن المعاصي والآثام، وأيضًا المَسح على رأس الأيتام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رَجُلًا شَكَا إلى رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلبِهِ! فقال له: «**إن أَرَدْتَ أن يَلين قَلبُكَ فَأَطْعِمِ المِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ**»(٢).

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَسْوَة قَلبِه»، أي: قَساوته وشِدَّته وقِلَّة رِقَّتِه، وعدم أُلفَتِه ورحمته، قال: «**امْسَحْ رَأْسَ اليَتِيم**»؛ لِتتذكر الموت فيغتنم الحياة، فإنَّ القسوةَ مَنشؤها الغفلة، «**وأَطْعِمْ المِسْكِين**»؛ لِتَرى آثارَ نعمة الله عليك، حيث أغْنَاك، وأحوج إليكَ سِوَاك، فيَرق قلبُك، وتَزُول قسوتُه؛ ولعلَّ وجه تخصيصهما بالذِّكْر: أنَّ الرَّحمَة على

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٣)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٨٥٤)

الصَّغير والكبير مُوجِبَة لرحمة الله تعالى على عبده المُتخلِّق ببعض صفاته، فيُنزل عليه الرَّحمَة، ويَرفع عنه القَسْوَة.

وحاصله: أنَّه لَا بُدَّ مِن ارتِكَاب أسباب تحصيل الأخْلَاق بالمعالجة العِلميَّة، أو بالعمَلية، أو بالمعجون المُرَكَّب منهما على ما بَيَّنَه في «الإحياء»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَم أنَّ الرِّفق بالضُّعفاء واليَتامى والصِّغار يجعل في القلب رحمة ولِينًا وعطفًا، وإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يُدركها إلَّا مَن جرَّب ذَلِكَ، فالَّذِي يَنبغي لك أن ترحم الصِّغار، وتَرحم الأيتام، وترحم الفُقرَاء، حتى يَكُون في قَلبِك العَطْفُ والحنانُ والرَّحمَةُ»[(٢)].

فالبِدَارَ البدَار- أيُّها الإِخْوةُ والأَخَوَاتُ- لاغتِنَام ما بقِيَ مِن أعمَارنا مِن أيَّامٍ وساعات، واستثمارها في أنوَاع البر والخيرات، ومِن ذَلِكَ الحرص على كفالة الأيتام، والعمَل بتعاليم دين الإِسْلَام قَبْل أن نندم على ما ضيَّعْنا مِن أوقات، فلا تنَفعنا يومها الحسَرات، ولا حول ولا قوة إلَّا بربِّ البريَّات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اشتَرِ

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٦).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٨٩).

نفْسَكَ اليوم؛ فإنَّ السُّوقَ قائمةٌ، والثَّمَنَ موجودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي على تلك السُّوقِ والبَضائعِ يومٌ لا تَصِل فيه إلى قليلٍ ولا كثير: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»[(١)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل فِعل كريم، وعَمل قَويم، ومِن ذَلِكَ مَد يَدِ العون لليتيم.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ فِعل ذَميم، وعَمل غير مُستقيم؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز العظيم.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «الفوائد» (ص٤٩).

وقفاتٌ مع سُورة القَارِعَة

وقفات مع سورة القارعة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلاة وَالسَّلامُ علَى أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يُقَوِّيِّ إيمان العبد بربِّ البريَّة، ويجعل قلبَه متعلقًا بالآخِرَة الباقية، لا بهَذِهِ الدُّنيا الفانية: أنْ يَتذَكَّر دائمًا أحوال يوم القيامة، وما فيه مِن الأهوال والشَّدائد، وما يَسبقه مِن علاماتٍ تدلُّ على تغَيُّر وتبَدُّلِ الأحْوَال؛ يَقُولُ العَزِيز المتعال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخاطِبُ اللهُ النَّاسَ كافَّة بأنْ يَتَّقُوا ربَّهم، الَّذِي ربَّاهُم بالنِّعم الظَّاهرة والباطنة؛ فحقِيقٌ بهم أن يتَّقوه بترك الشِّرك والفُسُوق والعِصيان، ويَمْتَثِلُوا أوامِرَه مَهْما استَطاعوا.

ثُم ذَكر ما يُعِينهم على التَّقوى، ويُحذرهم مِن تركها، وهو الإخْبَار بأهوال القيامة، فقال: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ لا

يُقدَرُ قدره، ولا يُبلغ كُنهه، ذَلِكَ بأنها إذا وقعت السَّاعةُ رَجفت الأرض وارْتجَّتْ، وزُلزِلَتْ زِلزالها، وتَصَدَّعَت الجبالُ، واندكَّت، وكانت كثيبًا مَهِيلًا، ثم كانت هباءً مُنبثًّا، ثُم انقسم النَّاسُ ثلاثةَ أزواج.

فهناك تَنْفَطِر السَّماءُ، وتُكوَّر الشمسُ والقمَرُ، وتنْتَثِر النُّجومُ، ويَكُون مِن القَلاقل والبَلابِل ما تنصدعُ له القلوبُ، وتَجِلُ منه الأفئِدَة، وتَشيب منه الولدان، وتذُوب له الصُّمُّ الصِّلَابُ[١]»[٢].

ولهَذَا التَّذكُّرِ والتفكُّرِ- أيُّها الإخوةُ والأخواتُ- فوائدُ كريمة، وعوائدُ عظيمة، ترجع على العبد في دنياه، مِن أهمِّها: تقوية صِلَتِه برب البريَّات؛ فنجد منه بعد ذَلِكَ الحِرْصَ على فِعْل الطاعات، والتَّزود مِن الخيرات، والاجتِهَاد في الابتِعَاد عن المحرَّمات، وسائر المُنكرَات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن استقرَّ في قلبه ذِكْرُ الدَّار الآخِرَة وجَزَاؤها، وذِكر المعصِيَةِ والتَّوعد عليها، وعدم الوُثوق بإتيانه بالتَّوبة النصوح هاج في قلبه مِن الخوف ما لَا يَمْلكُه، ولا يُفارقه حتَّى يَنْجُوَ»[٣].

---

(١) أي: الجبال القوية الصلبة.

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٣٢).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٤٢٥).

وإنَّ مِن أهمِّ الأسباب التي تُعين العبد على تحقيق هَذِهِ المنزلة العظيمة، وتُساهم في ربط قلبه بالحياة الأُخرويَّة: اعتناؤه بكتاب ربِّ البريَّة، تلاوةً وعَمَلًا وتدبُّرًا؛ لأنَّ الاهتِمَام بالقُرآن الكَرِيم طرِيقُ كل نجاح، ومَصْدَر كل فلَاح؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو عَلِم النَّاسُ ما في قراءة القرآن بالتَّدبر؛ لاشتَغلُوا بها عن كلِّ مَا سِوَاها»(١).

لذا، أحببتُ أن أقف مَعَكُم- أَيُّها الأفاضلُ- في هَذَا المقَال المختصَر مع سورةٍ عظيمةٍ مِن كتاب العزيز المُقتدر؛ فيها ذكرى للعَبْدِ بأحوال اليوم الآخر أنقل لكُم فيه بإيجاز بعض ما جاء في تفسِيرهَا عن بعض أئمَّتنا الأعلَام؛ لعلَّ الكريمَ المنَّان يجعَلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يتَدبَّر ويَعمل بالقرآن؛ لأنَّ هَذِهِ هي الغاية الحميدة الَّتي مِن أجْلِهَا أنزله العزيز الرَّحمن.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنزَل اللهُ القرآنَ لِيُتدبر، ويُتفكَّر فيه، ويُعمَل به، لا لمجرَّد تِلَاوته مع الإعراض عنه»(٢).

فأقول- أيُّها الأحبابُ- بعد الاستِعَانة بالعَزِيز الوهَّاب:

- سورة القارعة: هي سُورة مَكِّيَّة(٣).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٣) «تفسير البَغوي» (٤/ ٥١٩)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

يَقُولُ الإمامُ السُّيُوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخرج ابن مَردويه عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: نَزلت سورةُ القارعة بمكة»(١).

يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾[القارعة: ١، ٢].

يقول الإمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: السَّاعةُ التي يَقرع قلوبَ النَّاس هولُها، وعظيمُ ما يَنزل بهم من البَلاء عندها، وذَلِكَ صبيحة لا ليلَ بعدها»(٢).

ويقول الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ مِن أسماء يوم القيامة؛ كالحاقَّة، والطامَّة، والصَّاخة، والغاشية، وغير ذَلِكَ»(٣).

ويَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجمهور المُفَسِّرين علَى أنَّ هَذِهِ الحادِثَةَ هي الحَشرُ؛ فجَعلُوا القارعةَ مِن أسماء يوم الحَشْر، مثل القِيَامة»(٤).

يَقُولُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويل وتعْظِيم»(٥).

- ويَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣].

---

(١) «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

(٤) «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٥١٠).

(٥) «تفسير البغوي» (٤/ ٥١٩).

يَقُولُ القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾: كلمة استِفْهَام على جهة التَّعظِيم والتَّفخيم لشَأنها»(١).

- ويَقُولُ تعالى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفَرَاش: وهو الَّذِي يتَساقَط في النَّار والسِّراج، ليْسَ ببعوضٍ ولا ذُبابٍ، ويَعني بـ﴿ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾: المفرَّق»(٢).

ويقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ أي: في انتِشَارهم وتفَرُّقِهم، وذَهابهم ومجيئهم، مِن حَيرتهم مما هم فيه»(٣).

- ويَقُولُ سبحانه: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفَراش: هي الحيَوانات الَّتي تَكُون في اللَّيل، يَموجُ بعضُها ببعض، لا تَدري أين توجَّه، فإذا أُوقِد لها نارٌ تَهافتَتْ إليها لضَعْف إدرَاكِها، فهَذِهِ حالُ النَّاس أهْل العُقول،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

وأمَّا الجبالُ الصُّمُّ الصِّلَاب فتكون ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، أي: كالصُّوف المَنفوش، الَّذِي بقِيَ ضعيفًا جدًّا، تَطير به أدنى ريح»[(١)].

- ويَقُولُ جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [القارعة: ٦، ٧].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يَقُولُ: فأمَّا مَن ثقُلَت مَوازينُ حسَناته، يعني بالموازين: الوزن، والعرب تقول: لك عندي درْهَمٌ بميزان دِرْهَمِك، ووزن درْهَمِك، ويَقُولُون: داري بميزانِ دارِك، ووزن دَارِك»[(٢)].

- ويَقُولُ جلاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨، ٩].

يقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَخْبَر تعالى عمَّا يَؤُول إليه عمَلُ العامِلين، وما يَصِيرُون إليه مِن الكرامة أو الإهانة بحسَب أعمَالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحت حسَناتُه على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ يعني: في الجنَّة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٢).

﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحَتْ سيِّئاتُه على حسَناتِه»[١].

يَقُولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني: جهنم، وسمَّاها أُمًّا؛ لأنَّه يَأوي إليها كما يَأوي إلى أُمِّه»[٢].

ويَقُولُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُمِّي المَسْكَنُ أمًّا؛ لأنَّ الأصل في السُّكون إلى الأُمَّهَات.

والهاويةُ: اسْمٌ مِن أسماء جهنم، وهو المهوَاةُ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهَا»[٣].

- ويَقُولُ تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

يَقُولُ الشوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: قد انتهى حرُّها، وبلغ في الشِّدَّة إلى الغاية»[٤].

وفي ختام هَذِهِ الذِّكرى- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- التي أسألُ الله العَزِيز العَلَّام أنْ يَنْفعَ بها مُقَيِّدها، وكلَّ مَن قرأها مِن أهل الإسْلَام، أَوَدُّ أنْ أُذكِّر نفسي- وإيَّاكُمْ- بأمرٍ قد يَغفل عنه الكثيرُ مِنَّا بسبب تعلُّق القلوب بالدُّنيا الفانِيَة، ألَا وهو: أنَّ الوَاحِدَ مِنَّا مَهما طال

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٥١٩).

(٤) «فتح القدير» (٥/ ٤٧٨).

عمُره، وامتَدَّ أجلُه؛ فهو عن هَذِهِ الدُّنيا راحِل، وللأهل والأصْحَابِ والأحبَابِ مُفارِق؛ يَقُولُ العزيز الجبَّار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كُلُّ نفسٍ مِن النُّفوس واجِدَةٌ مرَارة الموت لا محالة، فلا يَصعب عليكم ترْكُ الأوطان، ومُفارقة الإخْوَان والخِلَّان، ثم إلى الله المرجع بالموت والبَعْث لا إلى غيره، فكُلُّ حيٍّ في سَفَرٍ إلى دار القَرار، وإن طال لُبْثُه في هَذِهِ الدَّار»[(١)].

فاللهَ اللهَ- أيُّها الأحبابُ- علَى التَّزوُّد بالأعْمَال الَّتِي تنْفَع يَوْمَ الحِسَاب.

والحِرْصَ الحِرْصَ علَى أنْ نَكُون مِن أبناء الآخِرَة الباقية لا الدُّنيا الفَانية قبل أن يُباغِتَنا الموت، وتَأْخُذنا المَنِيَّة، فلا يَنفعَنا بعد ذَلِكَ النَّدَم، ولا تُغنِي عنَّا الحسَراتُ.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُن مِن أبنَاء الآخِرَة، ولَا تَكُن مِن أبناء الدُّنيا، فإنَّ الوَلَدَ يَتبع الأُم.

الدُّنيا لَا تُساوي نَقْل أقدَامك إليها فكَيْف تعْدُو خلفها؟!

الدُّنيا جِيفَةٌ والأسَدُ لا يَقع علَى الجِيَف؟!

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢١٠).

الدُّنيا مَجازٌ والآخِرَةُ وطَنٌ؛ والأوْطار إنَّما تُطلَب في الأوْطَان»[١].

ولنَحْذَر أَشَدَّ الحَذَر مِن أنْ نُعلِّق قلُوبنا بدُنْيَا فانِيَة، أو شهوة زائلة، ولنَربِطَها بما يُرضِي عنَّا ربَّ البرِيَّة، ويَنفعنا في الحياة الأُخروية.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفْتَاحُ الاستِعْدَاد للآخرة: قِصَرُ الأمَل، ومِفتاح كل خير: الرَّغبة في الله والدَّار الآخِرَة، ومِفتاح كل شَرٍّ: حُبُّ الدُّنيا، وطُول الأمَل»[٢].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا جميعًا لكلِّ ما يُحبُّه ويَرْضاه؛ ومِن ذَلِكَ: أنْ يَجعل القُرآن الكَرِيم ربِيعَ قلوبنا، ونُورَ صدُورنا، وذَهاب همُومنا، وجلَاء غمومنا.

وأن يُجنبنا- وإيَّاكُمْ- كلَّ ما يُبغضه ويأباه؛ ومِن ذَلِكَ: الاغترار بالدُّنيا، والوقوع في المُنكرَات، وعمَل المحرَّمات؛ فهو- سبحانه- ربُّ الأرْض وَالسَّمَوات.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «الفوائد» (ص٥١).

(٢) «حادي الأرواح» (ص٤٨).

ماذا يُريد أعداءُ الدِّين
مِن بلاد الحَرَمَيْن؟!

ماذا يُريد أعداء الدين من بلاد الحرمين؟!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، وَالصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما هو مُلاحَظٌ في زمَنِنَا هَذَا أنَّ أُمَّتنا الإسْلَامية أُمَّةٌ تمُرُّ بوقتٍ عصِيب، ومرحلةٍ خطيرة لم تشهدها مِن قبل، وذَلِكَ لعدة أسبابٍ من أهمها- أيُّها الأحباب- بُعْدُ الكثير من أبنائها عن تعاليم دينهم القويم، وتركهم لهدي نبيِّهم الكريم، وكذَلِكَ ما نَراه ونسمعه مِن تَكالُب الأعداء عليها، وتَحالف أهل الشَّرِّ مِن جميع الملَل مِن أجْل إفساد دينها، ونشر الفَوْضَى في بلدانها، وزَرْع الشَّحناء بين أبنائها مِن أجْل تَفريق كَلِمَتِهم، وتَشتيت شَمْلِهم، وتضعيف شَوْكَتِهم.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شريعةُ الله تعالى مُستهدفة؛ مِن حين خرجت في مكَّة إلى يَوْمِنا هَذَا وهي مُستهدفة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]؛

فكل نبيٍّ له عدُوٌّ، وكل أتْباع نبيٍّ لهم أعدَاء ولا بُدَّ، فهَذِهِ سُنة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس الدَّربُ مَفروشًا بالورود والزُّهور، بل الدَّرْبُ صعبٌ وشاقٌّ، وَلا بُد أن يجعل الله عَزَّوَجَلَّ بحِكمَتِه للحق مُضادًّا مِن أجْل أن يُعْرَف الحقُّ، ويَظهر ناصِعًا غالبًا على البَاطل، ومِن أجْل أن يَعلم اللهُ المجاهدين منَّا والصَّابرين»[(١)].

وإنَّ مِن أكثَر البلدَان الإسْلَامية اليَوْم استِهْدافًا مِن قِبَل أعداء الدِّين من الكُفار، والمنافقين، وأهل البِدَع المارقين، وسائر المفسْدِين؛ أيها الأفاضل الكرام: دولةٌ مباركةٌ أعزَّها الحكِيمُ الحميدُ بالتَّوحِيد، ووفَّقها لمحاربة الشِّرك والتنديد، وكل ما يخالف دين العزيز المجيد؛ يَقُولُ الشَّيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذِهِ الدولةُ السُّعوديةُ دولةٌ مباركة، نصَرَ اللهُ بها الحقَّ، ونصَر بها الدِّينَ»[(٢)].

دولةٌ يَعتز حُكَّامُها منذ تأسِيسهَا بأنَّ دستورَهم هو الكِتَاب والسُّنة على فَهم سَلَفِ الأُمَّة، بل لا يُعلم في وقتِنَا الحاضِر دولةٌ تُطبِّق أحكامَ الشَّريعة، كما تفعل هَذِهِ الدَّولة المباركة.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أُشْهِدُ اللهَ- تَعَالى- على ما أقول، وأُشهدكُم- أيضًا-: أنِّي لا أعلمُ أنَّ في الأرض اليوم مَن

---

(١) «لقاء الباب المفتوح» (٣/ ٦٦).

(٢) «مجموع فتاوى الشيخ» (٩/ ٩٧).

يُطبِّق شريعةَ الله ما يُطَبِّقُه هَذَا الوطَن، أعني: المملكة العربية السُّعودية»[١].

دولةٌ تُنفق مبالغ طائلَة لا يُمكِن حَصْرُها مِن أجْل خدمة الحرمَيْن، وخاصة بيت ربِّ العالمين، وتبذل جهودًا كبيرةً مِن أجْل راحَة وسلامة الحُجَّاج والمُعتمرين.

يَقُولُ الشَّيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحِبُّ أنْ أُشِيرَ إلى أنَّ هُناك جهودًا كبيرةً تَبْذُلها هَذِهِ الحكُومةُ الرَّشيدة في سبيل خدمة الحُجَّاج ضُيوف الرَّحمن، وفي مُقدِّمَتها تجنيد مجموعة كبيرة مِن الدُّعاة، والمتَرجِمينَ بأغلَبِ لُغات المُسْلِمِينَ لتعليم وتوجيه الحجَّاج، وتبصيرهم بأمور دينهم وحَجِّهم- في أماكِن تجمعاتهم- حتى يَكُونوا على بيِّنةٍ منها»[٢].

فنرى أعداءَ الدِّين مِن الكُفَّارِ والمشركين اليوم يبْذُلونَ وُسعَهُم، وأموالهم من أجل تشويه صورة بلاد الحرمين في المحافل الدولية، وتجمُّعات القادَة السَّنوية للضَّغط على هَذِهِ الدولة المباركة مِن أجْل تعطِيل ما تُطَبِّق مِن الحدود الشَّرعيةِ؛ كالقصاص، ومحاولة سَنِّ قوَانين دولية؛ لتُلْزِم بلادَ التَّوحِيد إعْطَاءَ حُقوق زائفة للمرأة؛ لأنَّها-

---

(١) «وجوب طاعة السلطان» للعريني (ص٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٦٥).

بزَعْمهِم- تُعاني فيها مِن الظُّلم والاضْطِهَاد، وغير ذَلِكَ مِن المطالب التي فيها الانحِرَاف والفَساد.

وللأسف قد استعَانَ هؤلاء مِن أجْل تَسْوِيق أهدَافهم الماكِرَة، وإمْرَار خُطَطِهم الخبيثة ببَعْضِ مَن يُحسَبُون علَى المُسْلِمِينَ، سواء كانوا من خارج بلاد التَّوحِيد أو حتى بشِرذِمَةٍ ممن وُلِدُوا ونشأوا فيها، جعلوهم مَطِيَّةً لتحقيق مَآربِهم المنحرفة.

فنجد أنَّ هؤلاء المارقين قد سخَّروا أقلَامهم في بعض الصُّحف والمجلَّات، ووظَّفوا ظهُورهُم على بعض القَنوات لدَعْوة حُكَّام بلاد التَّوحِيد لتَحكِيم القَوانين الوضعِيَّة، والدَّساتير الكُفريَّة، وإعطَاء المرأة أكبَر قَدْرٍ مِن الحريَّة.

وهم في الحقِيقَة لا يريدون حرية المرأة، وإنَّما يُريدون سُهولة الوصول إليها، يُريدون- أخزاهم الله- نزعَ الحِشْمَة والعفَّة عنها، يُريدونها أن تُساوي الرِّجَال في جميع الحقوق، حتَّى فيما هو مِن خصائص الرِّجال؛ مخالفين حُكْمَ الكبير المتعَال، الَّذِي قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

قال الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر -تَعَالَى- أنَّ الرِّجَال ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، أي: قوَّامون عليهن بإلزَامهِنَّ بحقوق الله تعالى؛ مِن المحافظة على فرائضه، وكفِّهِنَّ عن المفاسد، والرِّجَال

عليهم أنْ يُلزمُوهنَّ بذَلِكَ.

وقوَّامُونَ عليهن -أيضًا- بالإنفاق عليهن، والكِسْوَة والمَسكن.

ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ المُوجِب لقيام الرِّجال على النِّسَاء؛ فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤]، أي: بسبب فَضْلِ الرِّجَال على النِّساء، وإفضَالهم عليهِنَّ.

فتَفْضِيلُ الرِّجال على النِّسَاء مِن وجوه مُتعدِّدة: مِن كَوْن الولَايات مختَصَّة بالرِّجَال، والنُّبوة، والرِّسالة، واختِصَاصهم بكثيرٍ مِن العبادات؛ كالجهاد، والأعياد، والجُمَع، وبما خَصَّهم الله به مِن العقل، والرَّزانة، والصَّبر، والجلَد الَّذِي ليْسَ للنِّسَاء مثله، وكذَلِكَ خصَّهم بالنَّفقات على الزَّوجات، بل وكثير مِن النَّفقات يختص بها الرِّجَال، ويتمَيَّزون عن النِّسَاء»[(١)].

وإنَّ مِن شَرِّ أعدَاء هَذِهِ الدَّولة المُباركة خاصَّة، وأهل السُّنة والجماعة في كل البلدَان عامَّة أيضًا- أيها الأحبة والإخوان-: طائفةٌ عن الدِّين مارِقَة، ولسُنَّة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبغضة، قومٌ منهم مَن يعيش في بلاد الحرمَيْن، ومنهم وهم الأكثر في خارجها؛ الكذب دينُهم، والغَدْرُ والخيانةُ سَمْتُهم؛ ألَا وهم الرَّافضة.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا الرَّافضيُّ فلا يُعاشِرُ

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧٧).

أحدًا إلَّا استعمل معه النِّفاق، فإنَّ دِينَهُ الَّذِي في قلبِهِ دينٌ فَاسِدٌ يحملُه على الكَذِب والخيانة وغِش النَّاس، وإرادة السُّوء بهم، فهو لَا يَألُوهُم خَبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلَّا فَعَلهُ بهم»[١].

إنَّ ما نرَاهُ اليوم- أيُّها الأفاضلُ- من حِرص الدَّولة الصَّفوية- إيران- وأفراخها وأعوانها في دُوَل الخليج والشَّرق الأوْسَط على ضرب مكانة الدَّولة السُّعودية السُّنِّيَّة السَّلفية في قلوب المُسْلِمِين، وسعيهم لِتَشْويه صُورتها في العَالَم ليس بعجيبٍ ولا بغريب؛ لأنَّ عداء الرَّافضة لأهل السُّنة والجماعة قديمٌ وليس بجديد.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الفتنةُ فإنَّما ظهرت في الإِسْلَام مِن الشِّيعة، فإنهم أساسُ كل فتنةٍ وشَر، وهُم قُطْب رَحَى الفتن»[٢].

إنَّ الدولة الرَّافضية- إيران- لا تدَع محفلًا دوليًّا، ولا مناسبةً تمُرُّ على العالَم عامَّة، والعالم الإِسْلَامي خاصَّة دون أنْ تَطْعَن في بلَاد التَّوحِيد، وتشكِّك في عقِيدَتها، وتقْدَح في حكَّامها، بل إنها تبذل في سبيل ذَلِكَ الأموَال الطَّائلة، وتحرك مِن أجْل ذَلِكَ أفراخها في الدول الإِسْلَامية عامَّة، ودول الخليج خاصَّة.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤٢٥).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٦٤).

فالمنصفُ العاقلُ عليه فقَطْ أنْ يَعقِدَ مقارنةً يسيرةً في ذهنه، ويتساءل في نفسه، ماذا قدَّمَتْ الدَّولة الصَّفوية- إيران- للإسْلَام والمُسْلِمِينَ منذ ظهورها؟! وماذا قدَّمَتْ دولةُ التَّوحِيد (المملكة العربية السعودية) للمُسلِمين في جميع الأقطَار والأمصَار منذ تأسيسها؟!

فيجد أنَّ دولةَ إيران الرَّافضية لم تُقَدِّم للمُسلمين إلَّا الشُّرور؛ كالحِرْص على إفسَاد عقيدتهم السُّنية الصَّافية، ولم تُصَدِّر لبلدانهم إلَّا الفَوْضَى والدَّمار، وهَذَا مُشاهَد اليوم في اليَمَن، وسُوريا، وغيرها مِن الدُّوَل الَّتي طالَتْهَا يدُ الغَدْر الصَّفوية، بل إنَّهم يُوالُون حتَّى الكُفار والمشركين مِن أجْل تحقيق هَذِهِ الأهداف الخبيثة.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهُم- أي: الرَّافضة- دائمًا يُوالون الكفَّار من المشركين، واليهود، والنَّصارى، ويُعاوِنُونَهُم علَى قِتَال المُسْلِمِينَ ومُعادَاتهم»[(١)].

أمَّا دولةُ التَّوحِيد المُباركَة- حَرَسَها اللهُ- فلم يُعرَف عنها منذ تأسِيسهَا على يدِ المَلِك السَّلفي عبد العزِيز بن عبد الرَّحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٣هـ) إلَى زمَنِنا هَذَا إلَّا الاهتِمَام بقضَايا المُسْلِمِينَ، ومدِّ يد العَوْن لهم أينما كانوا، والحرص على نشر عقيدة السَّلف

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٧٨).

الصَّالح في كلِّ مَكانٍ مِن العالَم، وطباعة كتُب السَّلف، وتَوْزِيعها، وبالأخص كتب شَيْخ الإسْلَام ابن تيمية، والإمام ابْن القَيِّم، وكتب الشَّيخ الإمام المجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب، وغيرهم مِن الأئمَّة وعُلمَاء السَّلف الأعْلَام رحمهم اللهُ العَزِيز العَلَّام، وسَعْيها لبِنَاء المسَاجد، وتوزيع المصَاحف في العَدِيد مِن البُلدَان الإسْلَاميَّة.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّ مِن جهودها منذ عهد المَلك عبد العَزِيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نَشْرَ كتُب السَّلف، والعناية بها وتَدْرِيسهَا، ومُعاوَنة الجماعات والأفْرَاد الَّذِين يَهْتَمُون بها، ويحرصون على انتِشَارها- مَشهورة معلومة- لدَى الخاصِّ والعام، وذَلِكَ مِن فضل الله علَيْهَا، ومما تُشْكَر عليه هَذِهِ الدَّولةُ الَّتِي قامَتْ على مذهب السَّلف، وطبَّقَتْهُ في مجتمعها»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ حمَّادٌ الأنصَاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الدَّولةَ السُّعودِيَّةَ لها الحظ الأوْفَر في هَذَا الزَّمان بنشر العلم، وعليكم بالدُّعاء لها بالنَّصر على جميع الأعدَاء»[(٢)].

وإنَّ مِن أعداء هَذِهِ الدَّولة المباركة أيضًا- أيُّها الأَفَاضِلُ- قومًا هم -وللأسف- مِن بَنِي جِلدَتِنا، ويَنتسبون لسُنة نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٤٠٣).

(٢) «المجموع» (٢/ ٥٨٢).

يَرفعون- بزَعْمِهِم- راية الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لم تَنَل الأُمَّةُ الإسْلَاميَّةُ منهم منذ ظهورهم إلَّا المآسِي والوَيْلَات حيثُ ساهموا كذَلِكَ مُنذ نشأتهم في تفْرِيق كلِمَةِ أهل الإسْلَام، ونشر القَتْل، والفَوْضَى بين الأنام!

قومٌ غالبهم- أيُّها الكِرَامُ- هم مِن حُدَثَاء الأسْنَان، وسُفهاء الأحْلَام؛ ألَا وهُم الخوارجُ!

يَقُولُ عنهم الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يختلف العلماءُ قديمًا وحديثًا أنَّ الخَوارج قومُ سُوءٍ، عُصَاةٌ لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنْ صَلَّوا وصَامُوا، واجتهَدُوا في العبادة، فليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم، وإنْ أظهَرُوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم؛ لأنَّهم قومٌ يتأوَّلُونَ القرآن على ما يهوون، ويُمَوِّهُونَ على المُسْلِمِينَ.

وقد حذَّرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذَّرنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّرَنَا مِنهُم الخلفاء الرَّاشِدُون بَعْدَه، وحَذَّرَنَا منهُم الصَّحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن تبِعَهُم بإحْسَانٍ»[(١)].

فخروجُهم على حُكَّامِ بِلاد التَّوحِيد، وسَعْيُهم لِقَتْل جُنُودها السَّاهرين على أمْنِهَا لا يُستغرَب؛ لأنَّ تاريخهم يشهد على أفعَالهم

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

الخبيثة! فسَلَفُهم قد خرَجُوا على حُكم أفضَل الخلق بعد الأنبياء وهُما عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن كانوا قد خرجوا في زمَنٍ هو مِن أفضل الأزْمَان، فكيف إذًا لا يخرج في زمَنِنا على حُكَّام بلاد الحرمين مَن رضَعَ مِن عقيدة الخوارج، وأخَذَ مِن إرْثِهم الخبيث؟!

يَقُولُ الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والخوارج**: هُم الشُّرَاةُ الأَنْجَاسُ الأَرْجَاسُ، ومَن كان على مَذْهَبهم مِن سائر الخوَارج، يتوَارثُون هَذَا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجُون على الأئمَّة والأُمَراء ويستحِلُّون قَتْل المُسْلِمِينَ»[(١)].

إنَّ تنظيمَ دَاعِش المُسَمَّى زُورًا وبُهتانًا بـ(الدَّولة الإسلَاميَّة)- والإسلَام منها ومِن أفعال أفرَاخِهَا بريءٌ- وأُمَّهم الصَّغيرة القَاعِدَة، وحَاضِنتهم الكبيرة جماعة الإخوان المُسْلِمِينَ الَّذِين يُكفِّرون حُكَّام دولة التَّوحِيد، ويَسْتبِيحُون دماءَ جُنودها البَواسل مِن الجيش والشُّرطة، وغيرهم ممَّن يُساهِم ويَسْهَر علَى حِفْظ الأمن فيها، ويُساهِمُونَ أيضًا في نَشْر الفَوْضَى، وسَلب الأمن مِن المواطنين، هُم كذَلِكَ أعظَم خطَرًا وضَرَرًا تُواجهه الأُمَّة الإسْلَامية عامَّة، ودولة التَّوحِيد خاصَّة؛ لِذَا يجب علَى كُلِّ مسلمٍ مُحِبٍّ لدِينه وغَيُورٍ على أُمَّته وحريصٍ علَى دِمَاء المُسْلِمِينَ أنْ يجتَنِبَهُم، ويحذر أشدَّ الحذَر مِن

---

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

مَنْهَجهم الخبيث، ومِن دعَواتهم للخُروج في المَظاهرَات، والاعتِصَامات الَّتي لا تؤدِّي إلَّا للفوضَى، ولا يَنْتج عنها إلَّا القَتْل والدَّمار.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامةُ صَالح الفَوْزَان حَفِظَه اللهُ: «دِينُنا ليس دين فوْضَى، دينُنا دين انضِبَاط، دين نِظَام، دين سَكِينَة، والمظاهرات ليْسَتْ مِن أعمَال المُسْلِمِينَ، وما كان المسْلِمُون يعرفونها، ودين الإسْلَام دين هدوء، ودين رحمة، لا فَوْضَى فيه، ولا تشويش، ولا إثارة فِتَن؛ هَذَا هو دين الإسْلَام، والحقوق يُتوصَّل إليها دون هَذِهِ الطَّريقة، بالمطالبة الشَّرعية، والطُّرق الشرعية.

هَذِهِ المظاهراتُ تُحْدِث فتنًا كثيرة، تُحْدِث سفك دمَاء، وتُحْدِث تخريب أمْوَال، فلا تجوز هَذِهِ الأمُور»[(١)].

وليَحْذَر كذَلِكَ المسلم في بلاد المُسْلِمِينَ عامَّة، وبلاد الحرمين خاصَّة مِن قوم عُرِفُوا بالمكر والتَّلوُّن على حسب الوقَائع والأحْدَاث، حيث هُم مَن يُزيِّن الخروج على حُكَّام المُسْلِمِينَ، ويرمُونَ بفتاويهم شباب الإسْلَام في مَواطِن الصِّراع؛ ليتَلقَّفهُم هُناك أصحاب المذَاهب الرَّدِيَّة، فيرجع بعضُهم إلى أوْطَانهم وقد تَشَرَّبوا مِن فِكْر الخوارج المنحرفين؛ فيَخرجُون بعد ذَلِكَ على حُكَّام بلدانهم، ويتسَبَّبون في نشر الفَوْضَى، وترويع الآمِنِين، وقَتْل المُسْلِمِينَ، ألَا وهُم فرقة «القَعَديَّة»!

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص٢٣٢).

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقَعَدُ الخوارج كانوا لا يرَوْنَ بالحرب، بل يُنكِرُونَ على أُمَراء الجَوْر حَسب الطَّاقة، ويَدعون إلى رأيِهم، ويُزيِّنُون مع ذَلِكَ الخرُوجَ ويحسِّنُونَه»(١).

إنَّ هؤلاء القَعَديَّةَ، ومَن يحمل لِوَاءهم اليوم مِن جماعة الإخوان المُسْلِمِينَ، وما تَفَرَّع عنها- أيُّها الأحبَّةُ الكِرَام- هم أشدُّ خطرًا، وأكثر ضررًا على الأُمَّة ممن يخرج بالسَّيف؛ لأنَّ شرَّهُم ليس بظاهرٍ لكثيرٍ مِن عوامِّ المُسْلِمِينَ، وذَلِكَ بسبَبِ تلَوُّنِهم، وحِرْصِهم على إخفاء عقيدتهم الحقيقِيَّة تجاه حكَّام المُسْلِمِينَ؛ **يَقُولُ الإمام عبد الله بن محمد بن يَحْيَى الضَّعيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «قَعَدُ الخوارِج هم أخبثُ الخوَارج»(٢).

أيُّها المسْلِم الموحِّدُ في كلِّ مكَان: إنَّ مما يَنبغِي أنْ تعلمه جيِّدًا أن العداء الَّذِي ينصبه كثير مِن أعداء الدِّين لبلاد الحرمين وحُكامها هو في الحقيقة ليس بسبب مناصب دنيوية، أو مِن أجْلِ مَكانةٍ وشُهرة عالميَّة، وإنَّما مِن أجْل تمَسُّك وُلاتها بدِين ربِّ العالمين، وحِرْصِهم على تطْبِيق سُنة خير المرسَلِين.

وأعداءُ الدِّين مِن الكُفار والمُنافقين وسائر المُفسِدين يعْلَمُون

---

(١) «تهذيب التهذيب» (٨/ ١١٤).

(٢) «مسائل الإمام أحمد- رواية أبي داود» (ص٣٦٢).

أنَّ دولة التَّوحِيد السعودية هي اليوم حِصْن الأُمَّة الإسْلَاميَّة، وحامية توحيد ربِّ البرِيَّة، وأنَّ بسقوطها والقضَاء على دعوتها المباركة التي تتبَنَّاها، وتدافع بأغلى ما تَمْلك مِن أجْل المحافظة عليها؛ يَسهل عليهم بعد ذَلِكَ إفسَاد عقيدة الكثير من المُسْلِمِينَ الَّذِين قلوبهم مُتعلِّقة ببلاد الحرمين؛ يَقُولُ العَلَّامَةُ الشَّيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعَدَاءُ لهَذِهِ الدَّولةِ عَدَاءٌ للحَقِّ، عَدَاءٌ للتَّوحيدِ»[١].

فاللهَ اللهَ- أيُّها المُسلم- بالذَّبِّ عن بلاد الحرمَيْن، والحرص على كشْفِ وفضْحِ مُخَطَّطات أعداء الدِّين، فواللهِ إنَّ هَذَا الفِعْل الكريم اليوم لهو مِن أعظم أنواع الجهاد؛ لما فيه مِن مُساهمةٍ في حماية الدِّين، والذَّب عن بلَاد الحرمَيْن.

وفي خِتَام هَذَا المَقَال- أيُّها الأَحِبَّة الكِرَام- **أريد أنْ أُبيِّن أمرًا مُهِمًّا، ألَا وهو:** أنني لم أكتب هَذَا المقال طلبًا لشهرة، أو رغبة في دُنيا، أو إرضاءً لأحدٍ مِن النَّاس، ولا أعتقد أبدًا أنَّ حكام بلاد التَّوحِيد لا يقع منهم التقصير- لكنه يُعالَج بالوسَائل الشَّرعية والطُّرق النَّبوية- فَهُم أنفسُهم لا يَقُولُون بذَلِكَ، فلا عِصْمةَ لأحدٍ بعد نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مَنقول من كتاب «الدرر السَّنية في ثناء العلماء على المَملكة العربية السُّعودية» لأحمد بازمول (ص٩)

وإنَّما كان الدَّافع لي ورَاء كتابته- نسأل الله الإخلَاصَ والقَبول- النُّصح للمسلمين، والذَّب عن بلاد الحرمين.

ولم أَكْتُبه كذَلِكَ عصبيَّةً أو قومِيَّةً؛ لأنني لسْتُ مِن سُكَّان بلاد الحرمَيْن، وإنَّما كتَبْتُه دِينًا واعتِقَادًا، وسيَسْأَلُني عنه العزِيزُ العظيم، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سليم.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ قُتَيْبَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن أيْقنَ أنه مسؤولٌ عمَّا ألَّفَ، وعمَّا كَتَبَ؛ لم يَعْمَل الشَّيء وضده، ولم يَستفرغ مجهوده في تثْبِيت البَاطل عنده»(١).

ويَقُولُ الشَّاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومـا مِـنْ كاتِـبٍ إلا اسْـتَبْقَى كِتَابَتَـــه وإنْ فَنِيَـــتْ يَـــدَاهُ

فلا تَكْتُبْ بخطِّكِ غيْرَ شيء يَسُرُّك في القِيامَة أنْ تَـرَاهُ (٢)

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُلَيَا أنْ يحفَظ بلاد الحرمين وحُكَّامها، وأهلها وسائر بلاد المُسْلِمِينَ مِن كيْدِ الكَائدين، وشَر كل المفسِدين، وأنْ يجعَلهَا الحِصْن الحَصِين أمَام أعداء الدِّين، فهو سبحانه ولي ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلَّى اللهُمَّ وسلَّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص٥٩).

(٢) «محاضرات الأدباء» لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٣١).

الحثُّ على الإكثار
من الصيام في شهر الله الحرام

الحث على الإكثار من الصِّيام في شهر الله الحرام

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلاة وَالسَّلامُ علَى أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ شهر المحرَّم- أيها الإخوة والأخوات- مِن الأشهُر التي لها مكانة عند ربِّ الأرْض وَالسَّموات، فهُوَ موسم لفِعْل الطَّاعات، وفرصة للمُسْلِم ليتزوَّد مِن الخيرات، وهو أوَّل شُهور السَّنة الهجريَّة وهو كذَلِكَ من أشهر الله الحُرم التي عظَّمها رب البريَّة، يَقُولُ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة:٣٦].

يقول الإِمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾، بارتِكَاب الذُّنوب؛ لأنَّ الله- سبحانه- إذا عظَّم شيئًا مِن جهةٍ واحدة؛ صارَتْ له حُرمة واحِدَة، وإذا عظَّمهُ مِن جهتين، أو جهات؛ صارت حُرمَته متعدِّدة، فيُضَاعف فيه العِقَاب بالعمَل السَّيء، كما يُضاعف الثَّواب بالعمَل الصَّالح، فإنَّ مَن أطاع الله في الشَّهر الحرَام

في البَلدِ الحرَام ليْسَ ثُوابه ثوابَ مَن أطاعه في الشَّهر الحلال في البلد الحرام، ومَن أطاعه في الشَّهر الحلَال في البَلد الحرام ليس ثَوابه ثوَاب مَن أطاعه في شَهْرٍ حلَال في بلد حلَال»[(١)].

وقد بَيَّنَت ووضَّحَت لنا سُنة خير المرسَلِين- علَيْهِ أفضَل الصَّلاة والتَّسلِيم- الأشهر الحُرُم الَّتي ذكَرها ربُّ العالمين، فعن أبي بكرة الثَّقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بين جُمَادَى وَشَعْبَانَ**»[(٢)].

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**»؛ فقال العُلماء: معناه أنَّهم في الجاهلية يَتمسَّكون بمِلَّة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحريم الأشْهُر الحرُم، وكان يَشقُّ عليهم تأخِير القِتَال ثلاثة أشهر مُتواليَات، فكانوا إذا احتَاجُوا إلى قِتال أَخَّروا تحريم المُحَرَّم إلى الشَّهر الَّذِي بَعْدَه وهو صَفَر، ثم يُؤخِّرونه في السَّنَة الأخرى إلى شهرٍ آخَر، وهكذا يَفعلُون في سَنةٍ بَعْد سَنة؛ حتَّى اختلَط عليهم الأمرُ، وصادفَتْ حجَّةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحريمهم، وقَدْ تطابق الشَّرعُ وكانوا في تِلك

---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٦٧٩)، واللفظ له.

السَّنة قد حرَّموا ذا الحجَّة لموافقة الحسَاب الَّذِي ذكرناه، فأخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الاستِدَارة صادفَتْ ما حَكَم الله تعالى به يوم خلق السَّماوات والأرض»[(١)].

ويَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: الحِكْمَة في جعل المحرَّم أوَّل السَّنة، أن يحصل الابتِدَاء بشهر حرام، ويُختم بشَهْر حرام، وتتوسَّط السَّنة بشهر حرام، وهو رجب، وإنَّما تَوالَى شهران في الآخر لإرادة تفضيل الختام، والأعمَال بالخواتيم»[(٢)].

وإنَّ مِن الأعمال الجليلة التي يُحبُّها العَزِيز العَلَّام، وينبغي على المُسلم أن يحرص عليها في شهر الله الحرام أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ: الإكثَارُ مِن الصِّيام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصِّيام بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ**»[(٣)].

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَصْرِيح بأنَّه- أي: شهر المحرَّم- أفضَل الشُّهور للصَّوم، وقد سَبق الجوابُ عن إكثار النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن صوم شعبان دون المحرَّم، وذكَرْنَا فيه جوَابين:

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١١/ ١٦٨).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٠٨).

(٣) رواه مسلم (١١٦٣).

أحدهما: لعَلَّه إنما علم فضله في آخر حيَاته.

والثَّاني: لعلَّه كان يعرض فيه أعذَار مِن سفرٍ، أو مرضٍ، أو غيرهما»[(١)].

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحدِيثُ صَريحٌ في أنَّ أفْضَل ما تُطُوِّعَ به مِن الصِّيام بعد رمضان: صَوْم شهر الله المحرَّم، وقد يحْتَمل أنْ يراد: أنه أفْضَل شهر تطَوُّع بصيامه كاملًا بعد رمضان، فأمَّا بعض التَّطوع ببعض شهر فقد يَكُون أفضل من بعض أيامه؛ كصِيَام يوم عرفة، أو عشر ذي الحجَّة، أو ستَّة أيام من شوال، ونحو ذَلِكَ»[(٢)].

ويَقُولُ الإمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال أبو عُبيد**: إنَّما نَسَبَه إلى الله عَزَّوَجَلَّ- والشُّهور كلها له- لتَشْرِيفه وتَعْظِيمه، وكل مُعَظَّم يُنسب إليه، وإنَّما خصَّه بقوله: «**المُحَرَّمُ**» دون بَاقِي المحرَّمات؛ لأنه كان معروفًا بذَلِكَ الاسم»[(٣)].

ومِن أهمِّ أيَّام هَذَا الشَّهر الكَرِيم الَّذِي يَنبغي على المسْلِم: أنْ يحرص علَى صيامه- أيُّها الأفَاضِل- يوم عاشُورَاء- العَاشِر مِن المحرَّم- لما في صَوْمِه من فَضْل كَثير، وأجْر كَبِير عند الكَريم

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ٥٥).

(٢) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف» (ص٧٧).

(٣) «كشف المشكل» (٣/ ٥٩٧).

القَدير؛ فعن أبي قَتادة الأنصَاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُئِلَ- أي: النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فقال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ**»(١).

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّفَق العُلَمَاءُ على أَنَّ صَوْمَ يوم عاشُورَاء اليوم سُنَّةٌ ليس بواجبٍ»(٢).

ويُستحبُّ له أنْ يَصُوم معه يوم قبله أو بَعْدَه.

والأفضل: أنْ يَصُوم معه اليوم التَّاسع؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغِب في ذَلِكَ، ونوَى فِعْله، لكنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ قبل فعل ذَلِكَ؛ فعن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حين صَامَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. قالوا: يا رَسُولَ الله، إنَّه يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، فقَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا كَانَ العَامُ المُقْبِلُ- إن شَاءَ اللهُ- صُمْنَا اليَوْمَ التَّاسِعَ**».

قال عبدُ الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَلَمْ يَأْتِ العَامُ المُقْبِلُ حتى تُوُفِّيَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال الشَّافعيُّ وأصحابُه، وأحمدُ،**

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ٤).

(٣) رواه مسلم (١١٣٤).

وإسحاقُ وآخرون: يُستحبُّ صَوْمُ التَّاسع والعاشِر جميعًا؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صام العاشر، ونوى صيام التَّاسع...

قال بعضُ العلماء: ولعلَّ السببَ في صوم التاسع مع العاشر أن لا يَتَشَبَّه باليهود في إفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هَذَا.

وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء.

والأوَّل أوْلَى، واللهُ أعْلَم»[(١)].

واستَّحبَّ بعضُ العُلمَاء- أيها الأفاضل- صِيَامَ اليَوْم الحادِي عشَر مع التَّاسع والعَاشِر خاصَّة في حالة الشَّك في دخُول الشَّهر حتى لا يَفُوت الصَّائم اليَوْم العَاشِر بعون العَزِيز القَادر.

يَقُولُ الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن اشتَبه عليه أوَّلُ الشَّهر صامَ ثلاثة أيام، وإنَّما يفعل ذَلِكَ ليتَيقَّن صوم التَّاسع والعاشر»[(٢)].

ويَقُولُ الإمامُ أحمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: «مَن أراد أنْ يَصُوم عاشُورَاء صامَ التاسع والعاشر إلَّا أن تُشكل الشُّهور؛ فيَصُوم ثلاثة أيام، ابن سيرين يَقُولُ ذَلِكَ»[(٣)].

أيُّها المُسلم: إنَّ مما يَنْبغِي أنْ تَعلمه أنَّ للصِّيام الشَّرعي مكانة

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ١٢).

(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/ ٤٤١).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١/ ١٧٦).

عالية، ومنزلة رفِيعَة عند العَزِيز العَلَّام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إلَّا الصَّوم فإنَّهُ لي وأنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِن أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ**»(١).

يقول الإِمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما خَصَّ الصَّوم بأنَّه له- وإنْ كانَتْ العِبَاداتُ كُلُّها له- لأمْرَيْن؛ بَايَنَ الصَّومُ بهما سائرَ العِبَادات:

أحدهما: أن الصَّوم يَمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني: أنَّ الصَّومَ سِرٌّ بين العَبد وبيْنَ ربِّه لا يظهر إلَّا له؛ فلذَلِكَ صار مختصًّا به، وما سِوَاه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصَنُّعًا ورياءً، فلهَذَا صار أخَص بالصَّوم مِن غيره، وقيل غير هَذَا»(٢).

وله كذَلِكَ تأثيرٌ عجيبٌ على العبد، حيث يُعينه على تهذيب نفسه، ويمنعه مِن المحرَّمات، ويحبسه عن كثير من الشَّهوات.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا الصَّومُ فنَاهِيكَ به من

---

(١) رواه البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ له.

(٢) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٧٤).

عبادة تَكفُّ النَّفس عن شهواتها، وتُخرجها عن شِبه البَهائم إلى شِبه الملائكة المقرَّبين؛ فإنَّ النَّفسَ إذا خُلِّيَت ودوَاعي شهواتها التحقَتْ بعَالم البهائم، فإذا كفَّت شهواتها لله ضيقت مجاري الشَّيطَان، وصارت قريبة مِن الله بتَرْك عادتها وشهَواتها محبةً له، وإيثارًا لمرضاته، وتقربًا إليه؛ فيَدَع الصَّائمُ أحبَّ الأشيَاء إليه، وأعْظَمها لصُوقًا بنفسه من الطَّعام والشَّراب والجِمَاع مِن أجْل ربِّه، فهو عبادةٌ، ولا تُتصوَّر حقيقتُها إلَّا بترك الشَّهوة لله؛ فالصَّائمُ يَدَعُ طعامَهُ وشرَابهُ وشهَواته مِن أجْل ربِّه، وهَذَا معنى كَوْن الصَّوم له تبارك وتعالى»[(١)].

ويتَذكَّر الصَّائمُ- بإذن أرْحَم الرَّاحِمين- حالَ الفُقَراء والمسَاكين الَّذِين لا يجدون طعامًا ولا شرابًا، فيرق قلبُه عليهم، ويبذل وسعه في مدِّ يَدِ العَوْن إليهم؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وأيُّ حُسْنٍ يَزيدُ على حُسْنِ هَذِهِ العبادة التي تَكسر الشَّهوة، وتقمع النَّفس، وتُحيي القلب وتُفرحه، وتُزَهِّد في الدُّنيا وشهواتها، وتُرَغِّب فيما عند الله، وتُذَكِّر الأغنياءَ بشَأن المسَاكِين وأحْوَالهم، وأنَّهم قد أخَذوا بنَصِيب مِن عَيشهم؛ فتَعطف قلوبُهم عليهم، ويَعلمُون ما هم فيه مِن نِعَم الله فيزدادوا له شُكْرًا.

وبالجُمْلَة: فَعَوْنُ الصَّومِ على تقْوَى الله أمرٌ مَشْهُورٌ؛ فما استَعان

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

أحدٌ علَى تقوى الله، وحِفْظ حدوده، واجتِنَاب محارمه بمِثْل الصَّوم، فهو شاهدٌ لِمَن شَرَعَه، وأَمَرَ به بأنَّه أحْكَمُ الحاكِمِين، وأرْحَم الرَّاحِمين، وأنه إنَّما شرعه إحسَانًا إلى عِبَاده، ورحمة بهم، ولطفًا بهم، لا بُخلًا عليهم برزقه، ولا مجرَّد تكليف وتعذِيب خالٍ مِن الحكمة والمصلحة، بل هو غاية الحكمة والرَّحمَة والمصلحة، وإن شرع هَذِهِ العبادات لهم مِن تمام نِعمَته عليهم ورحمته بهم»[(١)].

إنَّ مما يُمَيِّز شهرَ الله الحرام هَذَا العام- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنه قد وَقَعَ في فصل يُعْرَفُ عن أهل الخير والصَّلاح الحرصُ على اغتنامه، واسْتِغْلَالهم لأوقاته؛ ألَا وهو فصل الشِّتاء؛ يَقُولُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشِّتاء غنِيمَة العَابدين»[(٢)]؛ لأنَّ نهَاره يَقصر، فيَسْهل على العَبْد الصِّيامُ، وليْلهُ يَطُول؛ فيُعِينُه علَى القِيَام.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ المؤمن يَقْدِر في الشِّتاء علَى صِيَام نهَاره مِن غير مَشَقَّة، ولا كُلفة تحصل له مِن جُوعٍ ولا عطَشٍ، فإنَّ نهارَه قَصير بارد، فلا يُحِسُّ فيه بمشَقَّة الصِّيام»[(٣)].

فهو فرصةٌ ثمِينةٌ للعبد للإكثار فيه مِن الصِّيام؛ فعن عَامِر بن

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧).

(٣) «لطائف المعارف» (ص٥٥٨).

مسعودٍ الجُمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّومُ فِي الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ**»(١).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومعنى كونها غَنيمة باردة:** أنَّها غنيمة حصَلَتْ بغير قِتَالٍ ولا تعَبٍ ولا مشَقَّة؛ فصاحبها يحُوز هَذِهِ الغنيمة عَفْوًا صَفْوًا بغير كُلفة»(٢).

فاللهَ اللهَ- أيها الأحبَّة والأخيَار- في اغتِنَام ما بقِيَ من الأوقات والأعمَار فيما يُحب الكَريم الغفَّار، والحرصَ أشَدَّ الحرص على اجتِنَاب ما يُغضِب العزيز الجبَّار؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «ينبغي للإنسان أن يَعْرِفَ شرَفَ زمَانه، وقَدْر وقْتِه، فلا يُضيع لحظةً في غير قُربة، ويُقَدِّم الأفضَلَ فالأفضَل مِن القَوْل والعمَل»(٣).

والبِدارَ البِدَارَ في اغتنام هَذَا الشهر الكريم، والحرص على التَّزود فيه بكل ما يحبُّه العليم العظيم؛ فالسَّعيدُ هو مَن اغتنمَه، والشَّقيُّ مَن فرَّط فيهِ وضيَّعه؛ **يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «فالسَّعيدُ مَن اغتنَم

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٣٥)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بمجموع طُرُقه في «السلسلة الصحيحة» (١٩٢٢).

(٢) «لطائف المعارف» (ص٥٥٨).

(٣) «صيد الخاطر» (ص٢).

مواسم الشُّهور والأيَّام والسَّاعات، وتقرَّبَ فيها إلى مولَاه بما فيها مِن وظائف الطاعات؛ فَعَسَى أن تُصيبه نفحةٌ مِن تلك النَّفَحات فيسعد بها سعادةً يَأمن بعدَها مِن النَّار وما فيها مِن اللَّفَحَاتِ»[١].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنَا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ الحِرْص علَى كلِّ أنواع الخير والبِرِّ.

وأنْ يُجنِّبنا جميعًا كلَّ ما يُبغضه ويَأْبَاه من المعاصي والذنوب، وكل أنواع الشَّرِّ؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز المُقتدر.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «لطائف المعارف» (ص٤٠).

إجابة الدَّعوة

إجابة الدعوة

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما ينبغي على كلِّ مُسلمٍ- أيها الأحبَّة الأفاضل- هو أنْ يجتهد في أداء ما يجب عليه مِن حُقوقٍ، وما يُستحب نحو إخوَانه المُسْلِمِينَ، سواء كانُوا من الأقرَبين أو مِن الأبْعَدِين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ**»[(١)].

يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بقوله: «**حَقُّ المُسْلِمِ**»: أنه لا ينبغي تركُه، ويَكُون فِعْله إمَّا واجبًا أو مَندُوبًا ندبًا مؤكدًا شبيهًا بالواجب الَّذِي لا ينبغي ترْكُه، ويَكُون استِعْمَالُه في المَعْنَيَيْن من باب استِعْمَال المُشترك في معْنَيَيْهِ؛ فإن الحقَّ يُستعمل في معنى

(١) رواه البخاري (١١٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٢).

الواجب. كذا ذكره ابنُ الأعْرَابي، وكذا يُستعمل في معنى الثَّابت، ومعنى اللَّازم، ومعنى الصِّدْق، وغير ذَلِكَ»[(١)].

ومِن حقوق المُسْلِمِينَ التي على العبد أن يحرص عليها، ويجتَهِد في أدائها خاصَّة إذا كانَتْ تجاه الأهل، والأقارب: إجابة دعوة مَن دَعاهُ منهم.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمِن حَقِّ المسلم على أخيهِ إذا دعاه: أنْ يُجِيبَهُ، والإجَابة إلى الدَّعوة مشروعةٌ بلَا خِلَافٍ بين العُلماء فيما نَعْلَم، إذا كانَ الدَّاعي مُسْلِمًا، ولم يَكُن مُجاهرًا بالمعصِيَة، ولم تَكُن الدَّعوةُ مُشتَمِلةً على معصية لا يستطيع إزالتَها»[(٢)].

وتتأكَّد الإجابَةُ عليه على الصَّحيح إذا كانت هَذِهِ الدَّعوة لوَلِيمَة عُرسٍ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَن يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَن يَأْبَاهَا، وَمَنْ لم يُجِبْ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»[(٣)].

يَقُولُ ابْنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحدِيثُ حُجَّةٌ في وجوب إجابة

---

(١) «نيل الأوطار» (٤/ ٢١).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٩٤).

(٣) رواه البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (١٤٣٢)، واللفظ له.

دعوة الوَلِيمَة»[١].

ويقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومعنى هَذَا الحديث**: الإِخْبَارُ بمَا يقَع من النَّاس بَعْده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن مُراعَاة الأَغْنِيَاء في الوَلَائم ونحوها، وتخصِيصهم بالدَّعوة وإِيثَارهم بطِيب الطَّعام، ورَفْع مجَالسِهم وتقْدِيمهم، وغير ذَلِكَ مما هو الغَالب في الوَلَائم، واللهُ المستعان»[٢].

ولقد حَرص الصَّحابةُ- رضوان الله عليهم- على العمَل بهَذَا الحديث، بل إنَّ بعضهم كان يحضر وليمة العُرس إذا دُعي إليها حتَّى وإِنْ كان صائمًا؛ لأنَّ العبرةَ- أيها الأحبَّة الكرام- بتَلبِيَة الدَّعوة لا بالطَّعام؛ فعن نَافِعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت عَبْدَ الله بن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذا دُعِيتُمْ لها!**». قال- أي: نافع-: وكان عبدُ اللهِ بن عُمَرَ يَأْتِي الدَّعْوَةَ في العُرْسِ وَغَيْرِ العُرْسِ، وَيَأْتِيهَا وهو صَائِمٌ»[٣].

يَقُولُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «وَهُوَ صَائِمٌ» الواو فيه لحال، وأشار به إلى أنَّ الصَّوم ليس بعذرٍ في ترك الإجابة، وفائدة حضُوره، إرادة صاحب الوليمة التَّبرك به، والتَّجمُّل به، والانتِفَاع بدعائه، ونحو ذَلِكَ.

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٢٨٩).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٩/ ٢٣٧).

(٣) رواه البخاري (٤٨٨٤) ومسلم (١٤٢٩) واللفظ له.

وهل يسْتَمر على صَوْمِهِ، أو يستحب له أنْ يُفطِر إنْ كان صومه تطَوُّعًا؟

فعند أكثر الشَّافعيَّة وبعض الحنَابلة: إنْ كان يشُق على صاحِب الدَّعوةِ صَوْمه؛ فالأفضَل الفِطْر، وإلَّا فالصَّوم...

وقال أصحابُنا: يَنبغِي للرَّجُل أن يُجيب دعوةَ الوليمَة وإنْ لم يَفعل فهو آثمٌ، وإن كان صائمًا أجاب ودعَا، وإن كان غيرَ صائم أكَل»[(١)].

فاعلَمْ أيُّها العبدُ -رعاك الله- أنَّ أخاك المُسلم ما قَدَّم لك الدَّعوة، ورَغِب في زيارَتِكَ له إلَّا لمحبَّةٍ في قلبه يُكِنُّها لك، وأنَّ هَذَا مما يُفْرِحُه، ويُدخِل البَهجة على قلبه، ويُساهِم في انشِرَاح صدره.

يَقُولُ الإمامُ المُهَلَّب بن أحمد بن أبي صُفرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لا يَبعث على الدَّعوة إلى الطَّعام إلَّا صِدْق المحبَّة، وسُرور الدَّاعي بأكْل المدْعُو مِن طعَامِهِ، والتَّحَبُّب إليه بالمُؤاكلَة»[(٣)].

فعليك أن تَحرص -سَدَّدَك اللهُ- على إجابةِ دعوة إخوانك

---

(١) «عمدة القاري» (٢٠/ ١٦٢).

(٢) **الأندلسيُّ**: أحدُ شُرَّاح «صحيح الإمام البخاري»، تُوفِّي في شوال سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (ت:٤٣٥هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٥٧٩).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٢٤٦).

المُسْلِمِينَ خاصَّة مَن كان منهم مِن الأقربين؛ لأنَّك ستجْنِي مِن هَذَا العمَل الخيرَ الكبير، والفضْلَ الكثير، بإذن العَلِيم الخبير.

ومِن أهم فوائدِه: أنَّك تُساهم في إدخال السُّرور على قلب مَن تستجيب لدعوته، وهَذِهِ الثَّمرة هي مِن أحبِّ الأعمال إلى العزيز القدير؛ فعن عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الأعْمَالِ إلى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلِمٍ**»(١).

واعلم- نَفَعَ اللهُ بك- أنك ستساهم- أيضًا- بتَلبِيَتك للدَّعوة على تقوية أوَاصِر المَحبَّة والأُلفة، والتَّراحم بينك وبين إخوانك بإذن ربِّ العالمين.

وهَذَا الَّذِي ينبغي على كل مُسلم أن يحرص دائمًا عليه؛ لأنه مِن صفات المُؤمِنينَ؛ فعن النُّعمان بن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المُؤمِنينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٥٣)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

يَقُولُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الأحاديثُ صَرِيحةٌ في تعْظِيم حقُوق المُسْلِمِينَ بعضهم على بعض، وحَثِّهم على التَّراحُم، والملاطفَة والتَّعاضُد في غير إثمٍ ولا مَكْرُوه.

وفيه جوَازُ التَّشبيه وضَرْبُ الأمثَال لتَقرِيب المعاني إلَى الأفهَام.

قوله: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ»**، أيْ: دعَا بعضُه بعضًا إلى المُشَاركة في ذَلِكَ، ومنه قوله: تَدَاعَت الحِيطان، أي: تَسَاقطت، أو قَرُبَت مِن التَّساقط»[(١)].

وإيَّاك- أيُّها المسلم وفَّقك الله- أن يَكُون نظرُك إلى مقدار ما تُدعَى إليه من طعامٍ أو شراب، وليكن همُّك وغايتك إجابة دعوة إخوانك، سواء دُعِيتَ لقَلِيلٍ أو كثير؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلي كُرَاعٌ لَقَبِلتُ**»[(٢)].

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديثِ دليلٌ على حُسن خُلُقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتواضُعِه، وجَبْره لقلوب النَّاس، وعلى قبول الهديَّة، وإجابة مَن يدعو الرَّجُل إلى منزله، ولو علم أنَّ الَّذِي يَدعوه

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٣).

إليه شيءٌ قليل»[١].

واعْلَم كذَلِكَ- سدَّدَك الله- أنه لا يَجُوز لك أنْ تُجيب دَعْوَة- وإن كانت لوَلِيمَةَ عُرْسٍ- إذا كانت تحتوي على المُحرَّمات، ولا يُمكنك إزالة ما فيها مِن مُنكرَات.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا دُعي إلى وليمة فيها مَعصية؛ كالخمر، والزَّمْرِ، والعُود، ونحوه، وأمكنه الإنكَار وإزالة المنكر لَزِمه الحُضور والإنكَار؛ لأنه يُؤدِّي فَرْضين؛ إجابة أخيه المُسلم، وإزالة المنكر، وإن لم يَقدر على الإنكَار لم يَحضر، وإن لم يَعلم بالمنكر حتى حَضَر أزالَه، فإن لم يقدر انصَرَف»[٢].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان في الدَّعوة مُنكَرٌ؛ فإنْ كان الإنسَان قادرًا على التَّغيير وَجَبَت عليه الإجابةُ مِن وجهين:

الوجه الأوَّل: إزالةُ المنكر.

والوجه الثَّاني: إجابةُ دعوة أخيه إذا كان في العُرس، وكان ذَلِكَ في أوَّل يوم.

وأمَّا إذا كان هُناك مُنكَر في الدَّعوة لا تَستطيع تغيِيرَه، كما لو كان

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٢٤٦).

(٢) «المغني» (٧/ ٢١٤).

في الدَّعوة شُرب دُخان، أو شيشةٍ، أو كان هناك أغاني محرَّمة، فإنَّهُ لا يجوز لك أنْ تُجيب»[(١)].

واحرص- كذَلِكَ- بعد إجابتك للدَّعوة أَشَدَّ الحرص: أنْ تَسْتَغِلَّ زيارتك لِمَن دَعاك فيما ينفع في الدَّارَيْن مِن الحَثِّ على الطَّاعات، والتَّواصِي بالخيرات، وغير ذَلِكَ مما يُحبه ربُّ البريَّات؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١- ٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عمَّمَ اللهُ الخَسار لكلِّ إنسان إلَّا مَن اتَّصفَ بأربع صفات:

الإيمان بما أَمَرَ اللهُ بالإيمَان به، ولا يَكُون الإيمَان بدون العِلم، فهو فَرْعٌ عنه، لا يَتِمُّ إلَّا به.

والعملُ الصَّالح، وهَذَا شاملٌ لأفعال الخير كلها الظَّاهرة والباطنة المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمُستحبة.

والتَّواصي بالحق، الَّذِي هو الإيمَان والعمَل الصَّالح، أي: يُوصِي بعضُهم بعضًا بذَلِكَ، ويحثُّه عليه، ويرغبه فيه.

والتَّواصي بالصَّبر على طاعة الله، وعن معصِيَة الله، وعلَى أقدَار

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٩٤).

الله المؤلمة.

فبالأمْرَيْن الأوَّليْن يُكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخِيرَيْن يُكمل غيره، وبتَكْمِيل الأمور الأربعة يَكُون العبدُ قد سَلِم مِن الخَسار، وفاز بالرِّبح العظيم»[(١)].

واحذر أشدَّ الحَذر- حفظك الله- أنْ تكُونَ زِيَارتُك لإخوَانك مناسِبةً لفعل المحرَّمات وارتِكَاب المُنكرَات مِن سَماع الأغاني، والوقوع في الغيبة والنَّمِيمَة، والكلام في أعْرَاض الآخرين؛ لأنَّ هَذَا الفعل المشين ليس من صفات المُسْلِمِينَ؛ فعن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[(٢)].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذَلِكَ أنَّ الإسْلَام الحقيقي: هو الاستِسْلَام لله، وتَكْميل عُبوديته، والقِيَام بحقوقه، وحقوق المُسْلِمِينَ، ولا يَتِمُّ الإسْلَام حتَّى يُحبَّ للمُسلمِينَ ما يحب لنفسه، ولا يتحقَّق ذَلِكَ إلَّا بسلامَتهِم مِن شَرِّ لِسَانِه وشَرِّ يَده.

فإنَّ هَذَا أصل هَذَا الفرض الَّذِي عليه للمسلمين؛ فمَن لم يَسْلَم المسلمُونَ مِن لسانه أو يَدِهِ؛ كيف يَكُون قائمًا بالفَرْض الَّذِي عليه

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦١١٩)، واللفظ له، ومسلم (٤٠).

لإخوَانه المُسْلِمِينَ؟

فسَلامتُهم مِن شرِّه القولي والفِعْلي عنوانٌ على كمَالِ إسلامه»[(١)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَحفظ المُسْلِمِينَ في كلِّ مكان، وأنْ يجمعهم على كلِّ ما فيه خير لهم في الدَّارَيْن.

وأنْ يُدخِل على قلوبهم الفَرَحَ والسُّرور.

وأنْ يُجنبهم كلَّ أنواع الشَّقاء والشُّرور فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيزُ الغفورُ.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٧).

تذكير أهل الإسلام

بأهمية صلة الأرحام

تذكير أهل الإسْلَام بأهمية صِلَة الأرْحَام

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ صِلَة الأرْحَام- أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- من الأعمَال الصَّالحة الَّتي حثَّنا عليها دين الإسْلَام؛ يقول الإِمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرَّحم على وجهين: عامَّة وخاصَّة.

فالعامَّة: رَحِم الدِّين ويجب مُواصَلتها بمُلَازمة الإيمَان والمحبَّة لأهله، ونصرتهم، والنَّصِيحَة لهم وترك مضَارَّتهم، والعَدْل بينهم والنصفة في مُعامَلتهم، والقِيَام بحقوقهم الواجبة؛ كتَمْرِيض المرْضَى، وحُقوق الموْتَى مِن غسلهم، والصَّلاة عليهم ودَفْنهم، وغير ذَلِكَ مِن الحقوق المترتبة لهم.

وأمَّا الرَّحِم الخاصَّة: وهي رحم القَرابة مِن طرفي الرَّجُل أبيه وأمه؛ فتَجِب لهم الحقوق الخاصَّة وزيادة؛ كالنَّفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التَّغافُل عن تعَاهُدهِم في أوقات ضرُورَاتهم، وتتأكَّد في حقِّهم

حقُوق الرَّحِم العامَّة، حتَّى إذا تزَاحمَتْ الحقوق بُدِئ بالأقرب فالأقرب»[١].

ويقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا صِلة الرَّحِم فهي الإِحسَان إلى الأقارب على حسَب حال الواصِل والموصُول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزِّيارةِ والسَّلام وغير ذَلِكَ»[٢].

بل هي من الصِّفات الكَرِيمة والأخْلَاق الحمِيدَة التي يُعرف بها عباد الله المتقين، الَّذِين قال عنهم رب العالمين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، وهَذَا عامٌّ في كل مَا أمر الله بوصله، مِن الإيمَان به وبرسوله، ومحبَّته ومحبَّة رسوله، والانقِيَاد لعبادتهِ، وحْدهُ لا شريكَ له، ولطاعَةِ رسُولِه.

ويَصِلُونَ آباءهُم وأمَّهاتِهم ببِرِّهِم بالقَوْلِ والفِعْل وعدَم عقُوقِهم، ويَصِلُون الأقارب والأرحام بالإِحسَان إليهم قولًا وفعلًا، ويَصِلُونَ ما بينهم وبين الأزواج، والأصحاب، والمماليك بأداء حقِّهم كاملًا

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٤٧).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ٢٠١).

مُوفرًا مِن الحقوق الدِّينيَّة والدُّنيويَّة.

والسَّبب الَّذِي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله به أن يُوصَل خشية الله، وخوف يوم الحسَاب، ولهَذَا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، أي: يخافونه؛ فيمنعهم خوفهم منه ومِن القُدوم عليه يوم الحسَاب: أن يتجرَّأوا على معاصي الله، أو يُقصِّروا في شيءٍ مما أمر الله به خوفًا مِن العِقَاب ورجَاء للثَّواب»[(١)].

لأنَّهم يَعلمُونَ- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ الإتيَان بهَذِهِ العبَادة الجلِيلَة هو مِن الطَّاعات الَّتي أمَرَ بها ربُّ البريَّات، وأنَّ صلة الرَّحِم مِن الأعْمَال التي هي- بإذن ربِّ العالمين- سبب لكل خير في الدَّارَيْن؛ فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فَلْيَصِل رَحِمَهُ**»[(٢)].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الحديثُ فيه الحثُّ على صلة الرحم، وبيان أنَّها كما أنها مُوجبة لرضا الله وثوابه في الآخِرَة، فإنها موجبة للثَّواب العَاجل بحصول أحب الأمُور للعَبد، وأنَّها سببٌ لبَسْط الرِّزق وتوسيعه، وسبب لطُول العمُر. وذَلِكَ حَقٌّ على حقيقته؛ فإنَّه تعالى هو الخالق للأسباب ومُسبِّباتها.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (٢٥٧٧)، واللفظ له.

وقد جعَل اللهُ لكل مطلوب سببًا وطريقًا يُنال به، وهَذَا جارٍ على الأصل الكبير، وأنه مِن حكمته وحمده جعل الجزاء مِن جنس العمل، فكمَا وصل رَحِمَهُ بالبر والإحسَان المتنوِّع، وأدخل على قلوبهم السُّرور، وصل الله عمره، ووصل رزقه، وفتح له مِن أبواب الرِّزق وبركاته ما لا يحصل له بدون هَذَا السَّبب الجلِيل.

وكما أنَّ الصِّحةَ، وطيب الهواء، وطِيب الغِذَاء، واستِعْمَال الأمُور المقوية للأبْدَان والقُلوب، مِن أسبَاب طُول العمُر، فكذَلِكَ صِلَة الرَّحِم جعلها الله سببًا ربَّانِيًّا»[(١)].

وأنَّ تركها مِن المعَاصي والآثَام الَّتي حذَّرنا منها العَزِيز العَلَّام، بل قطيعتها مِن كبَائر الذُّنوب.

يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا خِلَاف أنَّ صِلَةَ الرَّحِم واجِبَة في الجمْلَة، وقطيعتَها معْصِيَةٌ كبيرةٌ»[(٢)].

بل هَذَا الفِعْلُ القَبِيحُ والعمَل المشين مِن صِفَات المفسِدين الَّذِين ذمَّهم ربُّ العَالمين؛ حيْثُ قال عنهم العَزيز الجبَّار: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

يَقُولُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا نهيٌ عن الإفسَاد في الأرض

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢٧١).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٣).

عمومًا، وعن قَطْع الأرْحَام خصوصًا، بل قد أَمَرَ اللهُ تعالى بالإصْلَاح في الأرض وصِلَة الأرْحَام، وهو الإحسَان إلى الأقارب في المقَال والأفعال، وبَذْل الأموال، وقد وردَتْ الأحَاديثُ الصِّحَاحُ والحِسَانُ بذَلِكَ عن رسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن طُرُق عديدة، ووجوه كثيرة»[(١)].

فيَا أيُّها القَاطِع لرَحِمِه، المُفارق لقرَابته، اعلم- هَدَاك العزيز العظيم- أنَّك على شَرٍّ جَسِيم، وخَطرٍ عَظِيم إذا لم تَتُب قبْلَ فوَات الأوَان مِن هَذَا الذَّنب الذَّمِيم؛ فعن جُبَير بن مُطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[(٢)].

يقول الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الحديث يُتأول تأويلين:

أحدُهمَا: حَمْله على مَن يَسْتَحِلُّ القَطِيعة بلا سبَبٍ ولا شُبهة مع عِلمه بتَحْرِيمِهَا؛ فهَذَا كافرٌ يُخَلَّد في النَّار، ولا يَدخل الجَنَّة أبدًا.

والثَّاني: معناه: ولا يَدخلها في أوَّل الأمر مع السَّابقين، بل يُعاقب بتأخره القَدْر الَّذِي يُريده اللهُ تعالى»[(٣)].

وهَذَا في حقِيقَته دلِيلٌ علَى ضَعْف الإيمَان في قَلبِك، وقلَّة خوفك

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٨)، ومسلم (٢٥٥٦)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٣).

مِن خالقِكَ ورَازِقِكَ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِل رَحِمَهُ**»(١).

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إشارةٌ إلى أنَّ القَاطع كأنه لم يُؤمِن بالله واليوم الآخر؛ لعدَمِ خَوْفِهِ مِن شدَّة العقوبة المُترتِّبة على القَطِيعَة»(٢).

واعلم- أيُّها المسلم سَدَّدَكَ اللهُ- أنَّ الواصل الحقيقي لِرَحِمِه، والَّذِي يُمدَح على فِعْلِهِ ليس هو مَن يصل فقط مَن وصله، وإنَّما هو مَن يَزُور مَن وصلَه، ويصل كذَلِكَ مَن قطعه، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِن الوَاصِل الَّذِي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(٣).

يَقُولُ ابْن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بالمكَافِئِ**»، يعنى: ليْسَ الواصِلُ رَحِمَهُ مَن وصلَهُم مكافأةً لهم علَى صِلَةٍ تقدَّمَتْ منهم إليه؛ فكافأهُم عليها بصلةٍ مثلها»(٤).

ويَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواصلُ للرَّحِم لأجل الله تعالى

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ١٤٣).

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٠٨).

يصلها تقَرُّبًا إليه، وامتثالًا لأمره وإنْ قُطِعَتْ، فأمَّا إذا وَصَلَها حين تَصِله؛ فَذَاك كقضَاءِ دَيْنٍ»[(١)].

فهو- حَفِظَه الرحمنُ- لا يُقابل الإساءةَ بالإساءة، وإنَّما يُقابِلُها بالإحسَان؛ لأنه يرجو ما عند الكريم المنَّان، ويقطع بفعله الكريم هَذَا الطَّريق أمَام الشَّيطَان الَّذِي يسعى دائمًا للإفساد بين الأقارب والإخْوَان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إِنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأُحسنُ إليهم وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فقال- أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَئِنْ كُنْتَ كما قُلتَ؛ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم المَلَّ، ولا يَزَالُ مَعَكَ مِن اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِم مَا دُمْتَ علَى ذَلِكَ**»[(٢)].

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَل**» بفتح المِيم: الرَّماد الحَار. «**تُسِفُّهُم**» بضم التَّاء، وكَسْر السِّين، وتشديد الفاء. «**وَالظَّهِير**»: المُعين والدَّافع لأذاهم.

وقوله: «وَأَحْلُمُ عنهم» بضم اللام. «وَيَجْهَلُونَ»، أي: يُسِيؤون. والجهل هُنا: القَبِيحُ مِن القَوْل، ومَعْناه: كأنَّما تُطعمهم الرَّماد الحار، وهو تَشْبِيهٌ لما يَلحَقُهم مِن الألم بما يَلحق آكل الرَّماد الحار مِن الألَم، ولا شيء على هَذَا المحسن، بل يَنالهم الإثْمُ العَظِيم في قطيعته،

---

(١) «كشف المشكل» (٤/ ١٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨).

وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل: معناه: أنَّك بالإحسَان إليهم تُخزيهم، وتُحقرهم في أنفسهم لكَثْرة إحسَانك وقبيح فعلهم، مِن الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسفُّ المَلَّ.

وقيل: ذَلِكَ الَّذِي يَأكُلونه مِن إحسانك، كالمَلِّ يَحرق أحشاءهم، والله أعلم»[(١)].

فالحذَرَ الحذرَ- أيُّها المسلمُ سَلَّمَك الله- مِن التَّهاون والتَّقصِير في هَذِهِ العِبَادة الكَرِيمة؛ لأنَّ في ذَلِكَ ضررًا وشَرًّا، والمرءُ سَيُسْأل عنها يوم وقوفه بين يدَي العَزيز المقْتَدر.

والحِرْصَ الحِرْصَ- وفَّقَك الله- علَى تحقِيقهَا والإتْيَان بها بكلِّ وسيلة مُتاحة لك وعلى حسَب طاقتك وقُدرتك.

يَقُولُ الشَّيخُ العلَّامةُ ابنُ بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ علَيْكَ صلةُ الرَّحِم حَسب الطَّاقة؛ بالزِّيَارة إذا تيَسَّرَتْ، وبالمكاتَبة، وبـ«التليفون» الهاتِف.

ويُشرع لك- أيضًا- صلة الرحم بالمال إذا كان القريبُ فقيرًا»[(٢)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا جميعًا لما

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٥).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (١٠/ ٧٥).

يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ أن يُعِينَنا على صِلَة أرْحَامنا.

وأنْ يُجَنِّبَنا جميعًا ما يُبغضه ويَأباه، ومِن ذَلِكَ قطيعةُ الأرحام؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعَزِيزُ العَلَّامُ.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

إيَّاكَ والغضبَ المَذْمُومَ
أيُّها المُسلمُ

إيَّاك والغضب المذموم أيها المسلم

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق السَّيئة، والأفعال المشينة الَّتِي يجب على المسْلِم أنَّ يجتَنِبهَا ويحذَر مِن الوقُوع فيها لما فِيهَا مِن ضَرر، ولعواقبها مِن خطَر الغَضَب المَذموم.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الغضَبُ**: غَلَيَانُ دَم القلب طلبًا للانتِقَام، وذَلِكَ يُخرج الطَّبع عن حَدِّ الاعتِدَال»[(١)].

لأنَّه شُعلةٌ مِن نار مُحرقةٍ تُعْمِي صَاحبَها، وتَصَمُّه عن كلِّ خير؛ فلا تَنفعه حينئذٍ الذِّكرى، ولا تَرُدُّه موْعِظَةٌ.

يقولُ الإِمَامُ أحمَدُ بن عبْدِ الرَّحمن بن قُدامَة المَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَم أنَّه متَى قَوِيَتْ نارُ الغضَب والتهَبَتْ أَعْمَت صاحبَها،

---

(١) «كشف المُشكل» (٢/ ١٤).

وأصمَّته عن كلِّ موعظة؛ لأنَّ الغضَبَ يرتفعُ إلى الدِّماغ، فيُغطي على مَعادن الفِكْر، وربما تعَدَّى إلى معادن الحِسِّ؛ فتُظلم عينه حتى لا يَرى بعينه، وتَسْوَدُّ الدُّنيا في وجهه، ويَكُون دِمَاغُه على مِثال كهفٍ أُضرمت فيه نارٌ»[(١)].

وعوائده وخِيمَة، وعَواقبه سيِّئة جسِيمَة، يتضَرَّر بها صاحِبُه قبل غيره؛ يَقُولُ ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومِن ثَمرات الغضَب**: السَّب والضَّرب، وما يَعُود بثَلبِ دين الغَضْبان وبَدنه قبل أذى المَغضوب عليه.

فإنَّ بعضَ النَّاس اسْتَشَاط يومًا مِن الغضَب؛ فصاحَ، فنفَثَ الدَّم، وأدَّاه ذَلِكَ إلى السُّلِّ!

وضربَ رجلٌ رجلًا على فَمِه فانكسَرَتْ أصَابعُ الضَّارب، ولم يَكسر أذى المضْرُوب!

وقد أَثَّر غَضبُ خَلْقٍ كثيرٍ في بَطشهم بأولادهم، وأهاليهم، وتطليق زوجاتهم، ثُم طالَتْ ندَامتُهم، وفاتَ الاستِدْرَاك»[(٢)].

ويَقُولُ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَنْشَأ مِن ذَلِكَ- أي: الغضب- كثيرٌ مِن الأفعَال المحرَّمة؛ كالقَتْل، والضَّرب، وأنواع

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٧٩).

(٢) «كشف المشكل» (٣/ ٥٣٩).

الظُّلم والعُدوَان، وكثيرٌ مِن الأقوال المُحرَّمة؛ كالقَذْف والسَّب والفُحْش، ورُبَّما ارْتقَى إلى درجة الكُفْرِ»[(١)].

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الغضَب مَفسَدةٌ للظَّاهر بتغير اللون، ورعْدَة الأطراف، والخُروج عن حيِّز الاعتِدَال، وقبح الصُّورة، وللبَاطِن دينًا ودُنْيا مِن إضمَار الحِقْد، وإطْلَاق اللِّسَان بنحو شَتْمٍ وفُحش، واليَد بنحو ضربٍ وقَتْل، إلى غير ذَلِكَ مما يُفسد القَلب، ويُغضب الرَّب، هَذَا إنْ تمَكَّن مِن المغضوب عليه، وإلَّا رجع غضبُه على نفسه؛ فمزَّق ثوبه، ولَطَمَ خَدَّه، ورمى بنفسِه إلى الأرض، ورُبَّما قَوِيَت عليه نارُ الغَضَب؛ فَأَطْفَأَتْ بعضَ حَرَارتِه الغرِيزيَّة فأغمي، أو كلها فمات»[(٢)].

ولَمَّا كان- أيُّها الأحبَّة الكِرَام- الغضَب المذْمُوم بهَذَا الخطَر والضَّرر أوْصانَا باجتِنَابه سيِّدُ البشَر؛ فعن أبي هريرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي! قال: «**لَا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرَارًا قال: «**لَا تَغْضَبْ**»[(٣)].

يَقُولُ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَن

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧).

(٢) «فيض القدير» (٦/ ٤١٤).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٥).

استوصاه: «**لَا تَغْضَبْ**» يحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يَكُون مُراده الأمر بالأسْباب الَّتي تُوجب حُسْن الخلُق مِن الكرَم، والسَّخاء، والحلم، والحيَاء، والتَّواضع، والاحتِمَال، وكف الأذَى، والصَّفح والعَفْو، وكَظْم الغَيْظ، والطَّلاقَة والبِشْر، ونحو ذَلِكَ مِن الأخْلَاق الجمِيلَة، فإنَّ النَّفس إذا تخلَّقَتْ بهَذِهِ الأخْلَاق، وصارَتْ لها عادة أوْجَب لها ذَلِكَ دفع الغضَب عند حصُول أسْبَابه.

والثَّاني: أن يَكُون المراد لا تَعْمَل بمُقتضَى الغضَب إذا حصَل لك، بل جاهِد نفْسكَ على تَرْك تنْفِيذه والعمَل بما يَأمُر به، فإنَّ الغضَب إذا مَلَك شيئًا مِن بني آدَمَ كان الآمِر والنَّاهي له»[(١)].

ويَقُولُ الحافظُ ابْنُ حجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالَ ابنُ التِّين- محمد بن عبد الواحد السَّفَاقِسي شارح البُخاري-: جَمَعَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**لَا تَغْضَبْ**» خيرَ الدُّنيا والآخِرَة؛ لأنَّ الغضَب يَؤول إلى التَّقاطع، ومنع الرِّفق، ورُبما آلَ إلى أنْ يُؤذِيَ المغضُوب عليه، فينتقص ذَلِكَ مِن الدِّين»[(٢)].

بل مِن شدَّةِ حِرْص خير البرِيَّة علَى نفع أُمَّته الإسْلَاميَّة: أنَّه أرْشَدَهم إلى الأدوِيَة الشَّرعية، والوسَائل الإيمَانيَّة التي يَقضي بها

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٥).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٠).

المسلمُ على الغضَب المذموم بإذن ربِّ البرِيَّة.

ومِن هَذِهِ الوسائلِ أيُّها الأفاضل: التَّعَوُّذ بالعزيز العَظِيم مِن الشَّيطَان الرَّجيم؛ لأنه هو مَن يُزيِّن هَذَا الخلُق الذَّميم؛ فَعَن سُليمان ابن صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ؛ فقَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لو قَالَهَا لَذَهَبَ عنه الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيطَان الرَّجِيمِ**»[(١)].

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: أنَّ الغضَب في غير الله تعالى من نَزغ الشَّيطَان، وأنَّه يَنبغي لصَاحب الغضَب أنْ يَستعيذ؛ فيَقُولُ: أعوذ بالله من الشَّيطَان الرَّجيم، وأنَّه سببٌ لزَوالِ الغَضَب»[(٢)].

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والاستِعَاذة مِن أقوى سلَاح المؤمن على دفع كيد اللَّعين إبليس ومَكْره، وإذا تأمَّل معنى الاستِعَاذة، وهو الالتِجَاء إلى الله تعالى، والاعتِصَام به، وضمَّ له التَّفكُّر فيما وردَ في كظم الغَيْظ وثوَابه، واستَحْضر أنَّ اللهَ أعظَم قدرة مِن قُدرته على مَن غَضِبَ عليه سَكن غضبه لا مَحالة»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠١)، ومسلم (٢٦١٠)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٦٣).

(٣) «فيض القدير» (١/ ٤٠٨).

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان الغضَبُ والشَّهوةُ جمرتَيْن مِن نَار في قَلب ابن آدَم أَمَر أنْ يُطفئهما بالوضُوء، والصَّلَاة، والاستِعَاذة من الشَّيطَان الرَّجيم»(١).

ومِمَّا يُعِين العبد كذَلِكَ على التَّخلُّص مِن هَذَا الخُلُق المشِين إذا انتَابه وشعر أنه سيُسَيْطر عليه: أن يُغَيِّر مِن هَيئته؛ فيَجلس إذا كان قائمًا، فإذا لم يذهب عنه فليَضْطَجع، وسيَزول عنه بإذن ربِّ العالمين؛ فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لنا: «**إذا غَضِبَ أَحَدُكُم وهو قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ؛ فَإِنْ ذَهَبَ عنه الغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»(٢).

يَقُولُ الإمامُ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القَائمُ مُتَهَيِّئٌ للحرَكة والبَطْش، والقَاعِدُ دُونه في هَذَا المعنى، والمضْطَجعُ ممنوعٌ منهما؛ فيُشبه أنْ يَكُون النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أَمَرَه بالقُعود والاضطِجَاع؛ لئلَّا يَبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يَندم عليها فِيمَا بَعْد، والله أعلم»(٣).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشْرُوع للإنسَان إذا

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٤٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «معالم السُّنن» (٤/ ١٠٨).

غَضِب أنْ يَحبس نفْسَهُ، وأنْ يَصْبر، وأنْ يتعَوَّذ بالله من الشَّيطَان الرجيم، يَقُولُ: أعوذ بالله من الشَّيطَان الرجيم، وأنْ يَتوَضَّأ، فإنَّ الوضوءُ يُطْفِئ الغضَبَ، وإنْ كان قائمًا فَلْيَقْعُد، وإنْ كان قاعدًا فَلْيَضْطَجع، وإنْ خاف خرج مِن المكان الَّذِي هو فيه، حتَّى لا يَنفذ غضبه، فيَندم بعد ذَلِكَ، والله الموفق»[(١)].

وكذَلِكَ عليه- أيُّها الإخوة والأخوات- أنْ يُجاهِد نفسَه على السُّكوت، ويَحذر مِن الكلَام في حَال الغضَب، فقَد يَصدر منه ما قد لَا ينفع بعده النَّدم، ولا تُغني عنه الحسرات؛ فعن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا غَضِبَ أحدُكم فَلْيَسْكُتْ**»[(٢)].

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَذَا- أيضًا- دوَاءٌ عَظِيمٌ للغضَب؛ لأنَّ الغَضْبَانَ يَصدر منه في حَالِ غضَبِهِ مِن القول مَا يندم عليه في حال زوال غضبِه كثيرًا مِن السُّباب، وغيره مما يَعظم ضرَرُه، فإذا سكَتَ زال هَذَا الشَّرُّ كله عنه»[(٣)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٣٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بشواهده في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٦).

اعلم- أيُّها المُسلم سَدَّدَكَ اللهُ- أنَّ سرعة الغضَب ليْسَت مِن شِيَم أهل الفَضْل الأتقِيَاء، ولا مِن علامات أهل الحِلم العُقَلاء، وإنما هي من صفات الحمْقَى، والجهَّال والأغبِيَاء.

يقولُ الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُرعة الغضَب مِن شِيَم الحَمْقَى، كمَا أنَّ مجانبته مِن زيِّ العُقلَاء، والغضَبُ بذر النَّدم، فالمرء على تركِه قبل أن يَغضب أقْدَر على إصْلَاح مَا أفسد به بعد الغضَب»[(١)].

وكذَلِكَ القوَّة الحقيقِيَّة التي يَمْدَح عليها الإنسَان ليْسَت في إظهار الغضَب والحِرْص على الانتِقَام كما تُزيِّن له النَّفسُ، ويُزخرف ذَلِكَ له الشَّيطَانُ، وإنَّما هي في عدَم التَّسرُّع، والسَّيطرة على النَّفس عند الغضَب والهيجان، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إِنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[(٢)].

يَقُولُ المُناوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**» بضم ففتح من يصرع النَّاس كثيرًا، أي: ليْسَ القويُّ مَن يقدر على صَرع الأبطَال مِن الرِّجال، «**إِنَّمَا الشَّدِيدُ**» على الحقيقة «**الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ**

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩)، واللفظ له.

الغَضَبِ»، أي: إنَّما القويُّ حقيقة الَّذِي كَظَمَ غيْظَهُ عند ثوَران الغضَب، وقَاوَمَ نفسَهُ، وغلب عليها؛ فَحَوَّل المعنى فيه مِن القوَّة الظَّاهرة إلى البَاطنة»[(١)].

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فدلَّ هَذَا أنَّ مجاهدةَ النَّفس أشدُّ مِن مجاهدة العَدُو؛ لأنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جعَل للَّذِي يَملك نفْسَهُ عند الغضَب مِن القوَّة والشِّدة ما ليْسَ لِلَّذِي يغلب النَّاس ويَصْرعهُم»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**»، أي: ليْسَ القويُّ في الصُّرعة الَّذِي يُكْثِر صَرْع النَّاس؛ فيَطرحهُم ويغلبهم في المصارعة، هَذَا يقال عنه عند النَّاس: إنَّه شَديد وقوي، لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ليس هَذَا الشديد حقيقة، «**إِنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»، أي: القوِي حقيقة هو الَّذِي يَصرع نفسَهُ إذا صارعَتْهُ وغَضِبَ مَلَكَها وتحكَّم فيها؛ لأنَّ هَذِهِ هي القُوَّة الحقِيقَة، قوَّة داخلية معنوية، يتغَلَّب بها الإنْسَان علَى الشَّيطَان؛ لأنَّ الشَّيطَان هو الَّذِي يُلقي الجمرة في قلبك مِن أجْلِ أنْ تَغْضَب.

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٢١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٩٦).

ففي هَذَا الحديث الحثُّ علَى أنْ يَملك الإنسانُ نفْسَهُ عند الغضَب، وأن لا يَسْتَرسِل فيه، لأنَّه يندم بعده، كثيرًا ما يغضب الإنسان فيُطَلِّق امرأته، وربما تَكُون هَذِهِ الطَّلقة آخر تطْلِيقَة!

كثيرًا ما يَغضب الإنسَان فيُتلف ماله؛ إمَّا بالحَرق أو بالتَّكسِير!

كثيرًا ما يَغضب على ابْنِه حتى يَضربه، وربما مات بضَرْبِه!

وكذَلِكَ يَغضب علَى زوجته- مَثَلًا- فيَضربها ضربًا مُبرحًا!

وما أَشْبَه ذَلِكَ من الأشياء الكثيرة الَّتي تَحْدُث للإنسان عند الغضب.

ولهَذَا نَهَى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَقضي القَاضي بين اثنين وهو غضبان؛ لأنَّ الغضَبَ يَمنع القَاضي مِن تَصُوُّر المَسألة، ثُم مِن تَطْبِيق الحكم الشَّرعي عليها، فيَهْلِك، ويَحكُم بَيْن النَّاس بغير الحقِّ»[(١)].

فاحرص أشدَّ الحرص- حفظك الله- على أنْ تَمْلك نفْسَك عند الغضَب، وإيَّاكَ ثُم إياك والعجَلة؛ لأنها مِن اتِّباع هوى النَّفس، وهي مِن تزْيِين الشَّيطَان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٧١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**التَّأَنِّي مِن اللهِ، والعَجَلةُ مِن الشَّيطَان**»(١).

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: التَّأنِّي «**مِن اللهِ**»، أي: مما يَرْضَاه، ويُثيب عليه، «**والعَجَلةُ مِن الشَّيطَان**»، أي: هو الحاملُ عليها بوَسْوَستِهِ؛ لأنَّ العجلةَ تَمنع مِن التَّثبت، والنَّظر في العواقب»(٢).

واعْلَمْ- كذَلِكَ- أنَّ آثارَها على العَبْدِ خطيرة، وعوَاقِبهَا عليه وخيمة؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:** «ولهَذَا كانَتْ العجَلة مِن الشَّيطَان، فإنَّها خِفَّة وطَيْش، وحِدة في العبد تَمْنَعه مِن التَّثبت، والوقار، والحِلم، وتُوجب له وضع الأشياء في غَيْر مواضعها، وتَجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنعه أنواعًا مِن الخير، وهي قرين النَّدامة، فقلَّ مَن استعجل إلَّا نَدِم، كما أنَّ الكسَل قرينُ الفَوْت والإضاعَة»(٣).

وعليك- كَتَبَ اللهُ أَجْرَك- إذا أَرَدْتَ النَّجاحَ والفلَاح في الدَّارَيْن: أنْ تُوَطِّن نفسك دومًا على الصَّبر، والعَفْو عن الآخَرِين؛ لأنَّ هَذَا هو سبيل المحسِنين الَّذِين مدحَهُم ربُّ العالمين، حيث قال عنهم العزيز العَظِيم في كتابه الكريم: ﴿**وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ**

---

(١) رواه أبو يَعْلَى في «مسنده» (٤٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩٥).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٢٤٧).

(٣) «الروح» (ص٢٥٨).

عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلَّتْ هَذِهِ الآية علَى أنَّ كَظْم الغيظ والعَفْوَ عن النَّاس، مِن صفات أهل الجنَّة، وكفى بذَلِكَ حثًّا على ذَلِكَ.

ودلَّتْ أيضًا: على أنَّ ذَلِكَ مِن الإحسَان الَّذِي يحب الله المتصفين به»[(١)].

وَاعْلَم- رعاك الله- أنَّهُ ليْسَ في عَفْوِك وصَفْحِك عمَّن ظلمك الذُّل والهوَان، وإنَّما لك بذَلِكَ العِزَّة، والرِّفعة بإذن العزيز المنَّان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا**»[(٢)].

يقول الإمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه وَجْهَان، أحدُهمَا: أنه علَى ظاهِرَه، وأنَّ مَن عُرف بالعَفْوِ والصَّفح سادَ وعَظُم في القُلوب، وزادَ عِزُّه وإكرامه.

والثَّاني: أنَّ المرادَ أَجرُه في الآخِرَة وعِزُّه هُناك»[(٣)].

وستَنال بذَلِكَ- أيضًا بإذن ربِّ البرِيَّة- السَّعادةَ والطُّمأنينة

---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٤٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٤١).

الحقِيقِيَّة؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الصَّفح والعَفْو والحِلم: مِن الحلَاوة، والطُّمأنِينَة، والسَّكينة، وشرف النَّفس، وعزها، ورفعتها عن تَشَفِّيها بالانتِقَام: ما ليْسَ شيءٌ منه في المقَابلة والانتِقَام»[(١)].

فبَعْد أن عرَفْنَا- أيُّها الأحبة الكرام- خَطَر الغَضب المذْمُوم، وما له مِن عَواقب جَسِيمَة، وأضرار وخيمة، وأنه سبَب لكل بلَاء وشَر، فعلَيْنا إذَا أن نَجتنبه، ونحذر منه أشدَّ الحذَر.

وعلى مَن ابتلي به أن يَلتزم الأسْباب الشَّرعية ويعمل بالوصايَا النَّبوية للتَّخلص منه بإذن العزيز المقتدر.

وعلينا كذَلِكَ أنْ نُجاهد أنفُسِنا دومًا علَى تقْدِيم العفو والصَّفح عن المسيئين بدل حُبِّ إلحاق الأذية والحرص على الانتقام من الآخرين.

يقول الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوَاجبُ على العَاقل توْطِينُ النَّفس على لُزوم العفو عن النَّاس كافَّة، وترك الخروج لمجازَاة الإِسَاءة، إذْ لَا سببَ لِتَسْكِين الإساءة أحسنُ مِن الإِحسَان، ولا سبَبَ لِنَماءِ الإِسَاءة وتهْيِيجهَا أشدُّ من الاستِعْمَال بمثلها»[(٢)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَرزقنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٩).

(٢) «روضة العقلاء» (ص١٦٦).

محاسَنَ الأخْلَاق ومكارمها.

وأنْ يَصْرِفَ عنَّا شرُورَهَا ومَساوئها؛ كالغَضب، وحُبِّ الانتِقَام، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والكريمُ العلَّامُ.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

التَّعَصُّب المَذموم!

التَّعَصُّب المذموم!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ الابتِعَادَ عن الوسَائل المُؤدِّيَة إلى قَطْع أواصِر المحبَّة والإخَاء، والمُتسبِّبة في نشر العداوة والبغضاء بين أهل الإسْلَام مما أمرنا به العَزِيز العَلَّام، وحثَّنا عليه نبيُّنا محمَّد علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ **يَقُولُ العلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وظيفةُ المُسلم مع إخوانه: أن يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفعل؛ لأن هَذَا مما يُوجِب المودَّة والألفة بين النَّاس، وهَذِهِ الألفة والمودَّة أمرٌ مطلوب للشَّرع، ولهَذَا نَهَى النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن كل ما يُوجب العداوة والبغضاء»[(١)].

ومِن الأسباب الموصلة لهَذَا الضَّرر والتي يَنبغي على كل مسلم أن يَجتنبها، ويحذر منها أشد الحذر لما في توابعها مِن أثر، وعواقبها من خطر، داءٌ عُضال، ومرض قتَّال تَسَبَّب في تفريق كلمة كثير من

---

(١) شرح «رياض الصالحين» (٢/ ٥٤٤).

المُسْلِمِينَ، ونتج عنه تسَلُّط أعداء الدِّين ألَا وهو التَّعَصُّب المشين.

هَذَا الوباء الخطير قد انتشر- أيُّها الأحبة- في زماننا بين المُسْلِمِينَ بشكل كبير، بل وللأسف- أيُّها الأفاضل- لم يَعُد قاصرًا على صورةٍ مُعينةٍ، بل تعدَّدَت صُوره، وتنوَّعَت أشكاله، حيث نرى أنَّ مِن أهل الإسْلَام- أيُّها الأحباب- مَن يَحْمِلُه حُبُّه وإعجابه ببعض المشَايخ إلى التَّعَصُّب لهم، حتى وإن جَانبوا الصَّواب؛ **يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ما يَنبغي لأحدٍ أن يَحمله تَحَنُّنه لشخصٍ ومَوالاته له على أن يتعصَّب معه بالبَاطل، أو يُعطِّل لأجله حدُودَ الله تعالى»[(١)].

وقد تَناسى هؤلاء- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ هَذَا الفعل المذموم هو من علامات أهل البدع والمحْدثَات؛ **يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابن تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ومَنْ تَعَصَّب لواحدٍ بعينه مِن الأئمَّة دون الباقين فهو بمنزلة مَن تعصَّب لواحدٍ بعينه من الصحابة دون الباقين؛ كالرَّافضي الَّذِي يَتعصب لعليٍّ دون الخلفاء الثَّلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الَّذِي يَقدح في عُثمَانَ وعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فهَذِهِ طُرُقُ أهلِ البِدع والأهواء الَّذِين ثبت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع: أنَّهم مَذمومون، خارجون عن الشَّريعةِ والمنهاج الَّذِي بَعَثَ اللهُ به رسولَه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٧١).

فَمَن تعصَّبَ لواحدٍ مِن الأئمَّة بعينه ففيه شَبَهٌ مِن هؤلاء؛ سواء تعصَّبَ لمالكٍ، أو الشَّافعي، أو أبي حنيفة، أو أحمد، أو غيرهم»[(١)].

وأنه مِن دَعْوَى الجاهليَّة التي حذَّرنا منها رسولُ رب البريَّة؛ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن تعصَّب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه دون غيرهم؛ كانت فيه شُعبةٌ من الجاهلية، حتى يَكُون المؤمنون كما أَمَرَهم اللهُ تعالى مُعتصمين بحبلِه وكتابه وسُنَّة رسولِه»[(٢)].

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّعَصُّب للمَذاهب والطَّرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبيَّة، وكونه مُنتسبًا إليه، فيدعو إلى ذَلِكَ، ويُوالي عليه، ويُعادي عليه، وَيَزِنُ النَّاس به؛ كُلُّ هَذَا مِن دَعوى الجاهلية»[(٣)].

ويَقُولُ العلَّامةُ الفَوْزان حفظه اللهُ: «إثارة العصَبِيَّات، والقَوْمِيَّات، والحزبيَّات، وما إلى ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ مِن دَعْوى الجاهلية، وكذا التَّعَصُّب للأقوال والمذاهب التي لا دليلَ عليها»[(٤)].

وأنَّ المُتعصِّب في الحقيقة هو مُتَّبِعٌ لهواه، وللشَّيطان الَّذِي زَيَّن له

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٢٢).

(٣) «زاد المعاد» (٢/ ٤٧١).

(٤) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢/ ٨٤).

هَذَا العصْيَان؛ يَقُولُ الهيتميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّعَصُّب للمَذاهب والأهواء، والحقد على الخصوم، والنَّظَر إليهم بعَيْنِ الازدِرَاء والاحتقار، وذَلِكَ مما يهلك العِبَاد والعلماء، فضلًا عن غيرهم، فإنَّ الاشتِغَال بالطَّعن في النَّاس، وذكر نقائصهم مما جُبِلَ عليهم الطَّبع، فإذا خَيَّلَ الشَّيطَانُ إليه أنَّ ذَلِكَ هو الحق؛ زاد فيه واستكثر، وحلَا له، وفرح به؛ ظنًّا منه أنه يسعى في الدِّين، وما هو إلَّا ساع في اتِّباع الشَّيطَان دون اتِّباع المتعصب له من الصَّحابة أو من بعدهم»[(١)].

فعليه أن يَعلم قبل فوات الأوان أنه في حرمانٍ وخُسرانٍ إذا لم يبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى الكريم المنَّان، ويَترك الَّذِي عليه مِن بُطلان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَفَيَظُنُّ المُعْرِضُ عن كتاب ربِّه، وسُنَّة رسوله أنْ يَنْجُوَ من ربِّه بآراء الرجال، أو يتخلَّصَ مِن بأس الله بكثرة البُحوثِ والجِدال، وضروب الأقيِسَةِ، وتنوُّع الأشكال، أو بالإشاراتِ والشَّطحَات وأنواع الخيال؟!

هيْهَات والله، لقد ظنَّ أكذَبَ الظَّن، ومَنَّتْهُ نفسُه أبينَ المِحال، وإنَّما ضُمنت النَّجاة لمن حَكَّم هُدَى الله على غيره، وتزوَّد التقوى، وائْتمَّ بالدَّليل، وسَلك الصِّراط المستقيم، واسْتَمْسكَ مِن الوحي بالعُروَة الوثقى التي لا انفِصَامَ لها، والله سميعٌ عليم»[(٢)].

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٦٣).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٦).

وعليه إذا أراد الفلَاح والنَّجاحَ أنْ يَسْلُكَ سبيل الأخيار الَّذِين عَصَمَهُم العزيزُ الجَبَّار مِن هَذَا الانحِرَاف والانحِدَار، وهم أهلُ السُّنَّة والاتِّباع الَّذِين يَدُورُون مع الحقِّ حيث دار؛ **فعن زكريا بن يحيى الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١هـ) قال: «سمعت أبا بكر بن عَيَّاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٤هـ)، وقال له رجل: «يا أبا بكر؛ مَن السُّني؟ فقال: السُّنِّيُّ الَّذِي إذا ذُكِرَتْ الأهواءُ لم يَتَعَصَّب لِشيءٍ منها»**[(١)].

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّهم- أي: أهل السُّنة المَحْضَة- أَوْلى الطَّوائف بهَذَا؛ فإنهم يَصْدقُون، ويُصَدِّقُون بالحقِّ في كلِّ ما جاء به، وليس لهم هوى إلَّا مع الحقِّ»[(٢)].

ويَقُولُ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أهلَ الحقِّ والسُّنَّة لا يَكُون مَتبُوعهم إلَّا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لا يَنطق عن الهَوى، إنْ هُو إلَّا وحيٌ يُوحَى، فهو الَّذِي يجب تصديقُه في كلِّ ما أخبَر، وطاعته في كل ما أمَر، وليست هَذِهِ المنزلةُ لغيره مِن الأئمَّة، بل كل أحدٍ مِن النَّاس يُؤخذ من قوله ويُترك إلَّا رسول الله؛ فَمَن جَعَلَ شَخصًا مِن الأشخاص- غيرَ رسولِ الله- مَن أحبَّهُ ووافَقه، كان مِن أهل السُّنة والجماعة، ومَن خالفه كان مِن أهل البدعة والفُرقة- كما يوجد ذَلِكَ في الطَّوائف مِن أتْبَاع أئمَّة في الكلام في الدِّين وغير ذَلِكَ- كان

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٢٠٦٨).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٩٠).

من أهل البدع والضَّلال والتَّفَرُّق.

وبهَذَا يَتبيَّن أنَّ أحقَّ النَّاس بأنْ تكون هي الفرقة النَّاجية: أهل الحديث والسُّنَّة، الَّذِين ليس لهم مَتْبُوعٌ يَتعصَّبُونَ له إلَّا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أعلم النَّاس بأقواله، وأحواله، وأعْظَمهم تمْيِيزًا بين صحِيحهَا وسقِيمهَا، وأئمتهم فقهاءُ فيها، وأهل معرفةٍ بمَعانِيهَا، واتِّباعًا لها تصديقًا وعملًا، وحُبًّا ومُوالاةً لمن وَالاها، ومُعاداة لمن عاداهَا، الَّذِين يَرْوُونَ المقالات المُجْمَلة إلى ما جاء به مِن الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالةً ويجعلونها مِن أصول دينهم، وجُمَل كلامهم إنْ لم تكن ثابتة فيما جاء به الرَّسُول، بل يجعلون ما بعث به الرَّسول من الكِتَاب والحكمة هو الأصل الَّذِي يعتَقِدُونه ويَعتمِدُونه»[(١)].

ومِن صُوَر التَّعَصُّب المذموم كذَلِكَ- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- ما نراه من بعض المُسْلِمِينَ مِن التَّعَصُّب لبَلدِه، أو لَوْنِه، أو قبيلتِه وإن كانوا على البَاطل، وقد نَسي هَذَا أنَّ الميزان الحقيقي الَّذِي يُوزَن به الأنام هو تقوى الله العَزِيز العَلَّام؛ يَقُولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخبِر تعالى أنَّه خَلق بنِي آدم مِن

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٤٦).

أصلٍ واحد، وجنس واحد، وكلهم مِن ذَكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، وفرَّقَهُم، وجَعَلَهُم ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذَلِكَ لأجْلِ أنْ يتعَارفُوا، فإنه لو استقَلَّ كُلُّ واحد منهم بنفسه لم يحصل بذَلِكَ التَّعارف الَّذِي يترتَّب عليه التَّناصُر والتَّعاون، والتَّوارُث، والقِيَام بحقُوقِ الأقارب، ولكنَّ الله جعلهم شعوبًا وقبَائل؛ لأجْلِ أنْ تحصل هَذِهِ الأمور وغيرها مما يتوَقَّف على التَّعارف، ولحوق الأنسَاب.

ولكن الكرم بالتَّقوى؛ فأكرمهم عند اللهِ أتْقَاهُم، وهو أكثرهم طاعةً وانكِفَافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرَابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا.

ولكن الله تعالى ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يَعلم مَن يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا ممن يقوم بذَلِكَ ظاهرًا لا باطنًا؛ فيُجازي كُلًّا بما يستحِق»[(١)].

ومِن أنواع التَّعَصُّب المشاهَد- أيضًا- اليوم بين كثيرٍ مِن شباب المُسْلِمِينَ: ما نَراه مِن التَّعَصُّب للنَّوادي والمُنتخَبات؛ حيث أدَّى بهم هَذَا الفعل القبيح للشَّحناء والبَغْضَاء بدل المحبَّة والإخاء، بل بعضُهم قد جرَّهُ لما هو أشَرُّ مِن ذَلِكَ، حيث جرَّهُم التَّعَصُّب للمُشاجَرة والاقتِتَال، والله المستعان.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٠٢).

ويزداد الألمُ، وتشْتَدُّ الحسْرَةُ على حال الشَّباب- أيُّها الأحباب- عندما نرَى بعْضَهُم يَتعصَّبُ لفِرَقٍ مِن غير المُسْلِمِينَ، ولا حول ولا قوة إلَّا بربِّ العالمين.

فيا- أيُّها المُسلم الكَريم- احْرِصْ رَعَاكَ اللهُ- على اسْتِغْلَال وقتِكَ فيما يَعود عليك نَفْعُه في الدَّارَيْن، ويُرضِي عنك ربَّ العالمين!

وإيَّاكَ ثُم إيَّاكَ أنْ تُضَيِّعَهُ في الملذَّات، وتَصرفه في الشَّهَوات، فإنَّ الوقت يَمْضِي والسَّاعات تنْقَضِي، والإنسانُ لا يَعلم متَى تُباغِتُه المَنِيَّة، ويأتيه الأجَل؛ يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أنْ يَعْرِفَ شرف زمَانه، وقدر وقته، فلَا يُضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضَل فالأفضَل مِن القول والعمَل»(١).

واحْرِصْ إذا أردْتَ النَّجاح والفلَاح أنْ يَكُون هَمُّك دائمًا اتِّباع الحَقِّ، والعمل به، ومُوالاة أهله أيْنمَا ومَهْمَا كانوا؛ يَقُولُ شَيْخُ الإسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحدٍ أنْ يَنتسب إلى شيخٍ يُوالِي على مُتابعته، ويُعادِي على ذَلِكَ، بل عليه أنْ يُوالِي كلَّ مَن كان من أهل الإيمَان، ومَن عُرف منه التَّقوى مِن جميع الشُّيوخ وغيرهم»(٢).

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥١٢).

واحذر- حفظك العزيز المقتدر- كذَلِكَ أشدَّ الحذَر مِن التَّعَصُّب الذَّميم بشتَّى أنواعه وصُوَره؛ لأنه خطَرٌ وضرَر، وسيَرجع علَى صاحبه بالحِرمَان والخُسْرَان إذا لم يَتْركه، ويُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزِيز الرَّحمن؛ يَقُولُ العلامة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يجوز أبدًا التَّعَصُّب لزَيْدٍ أو عمرٍو، ولا لرأي فُلان أو عِلَّان، ولا لحزب فلان، أو الطَّريقة الفلانية، أو الجماعة الفُلانِيَّة، كل هَذَا مِن الأخطَاء الجديدة، التي وقع فيها كثير من النَّاس»[(١)].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنا جميعًا لما يحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلَنا مِن أهل الحق والاتِّباع.

وأنْ يُجنِّبَنا جميعَ ما يُبغضه ويأبَاه، ومِن ذَلِكَ التَّعَصُّب الذَّميم، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز العظيم.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (٢/ ٣١٢).

تذكير المُسلِمين بخطر التَّجسُّس على الآخرين

تذكير المسلمين بخطر التجسس على الآخرين

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الحِرمَان والخُسْرَان أنْ يَصْرِفَ المرءُ وقتَه، ويُضيع عمُرَه في ما لَا ينفعه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعل همَّه البحث عن عيوب النَّاس، ويحرص على تصَيُّد أخطائهم؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طُوبَى لِمَن شَغَلَه عَيْبُه عن عُيوب النَّاس، وويلٌ لِمَن نَسِيَ عيْبَهُ، وتَفَرَّغ لعيوب النَّاس؛ فالأوَّلُ علَامةُ السَّعادة، والثَّاني علامةُ الشَّقاوة»[1].

ولِكي يُحَقِّق هَذَا المحرومُ غايتَه السَّيئةَ، ويُدرك مَطلبَه المذمومَ؛ سيَلجَأ في الغالب إلى التَّجسُّس على الآخَرين؛ يَقُولُ الشَّيخُ ابْن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّجَسُّس هو**: أن يَتَتَبَّع الإنسانُ أخاه؛ لِيَطَّلِع على عورَاتِه، سواء كان ذَلِكَ عن طريق مباشر، بأن يذهب هو بنفسه يتجسَّس لعلَّهُ يجد عسرة أو عورة، أو كان عن طريق الآلات

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٤٧١).

المستَخْدَمة في حِفْظ الصَّوت، أو كان عن طريق الهاتف، فكُلُّ شيء يُوصِّل الإنسَانَ إلى عَورات أخيه مَسَالِبِه؛ فإنَّ ذَلِكَ من التَّجسُّس»[(١)].

هَذَا الفِعْل القَبِيح، والخُلق الذميم نَهانا عنه العزيز العظيم في كتابه الكريم؛ حيث قال الحكِيمُ العَلِيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

يَقُولُ الإمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المُفَسِّرون: التَّجسُّس: البحثُ عن عَيْبِ المُسْلِمِينَ وعوْرَاتِهم.

فالمعنى: لا يَبحث أحدُكم عن عيْبِ أخيه؛ لِيَطَّلِع عليه إذا ستَرَهُ اللهُ»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: «أي: لا تُفَتِّشوا عن عَورات المُسْلِمِينَ، ولا تتبَّعُوها، واتركُوا المسلم على حاله، واستعملوا التَّغافُل عن أحواله الَّتِي إذا فُتِّشَت ظَهَر منها ما لَا يَنبغي»[(٣)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٥١).

(٢) «زاد المسير» (٧/ ٤٧١).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٨٠١).

وحذَّرَنا منه- أيضًا- رسولُ العَزِيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إيَّاكُم وَالظَّنَّ؛ فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَافَسُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١).

يقول الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأوَّل بالحاء، والثَّاني بالجيم، **قال بعض العلماء: «التَّحَسُّس»** بالحاء: الاستِمَاع لحديث القوم. وبالجيم: البحث عن العَورات.

وقيل: بالجيم: التَّفتيش عن بَواطن الأمور.

وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس: صاحب سِرِّ الشَّرِّ. والنَّاموس: صاحب سِرِّ الخير.

وقيل: بالجيم: أن تَطْلُبَهُ لغيرك. وبالحاء: أن تَطلبه لنَفْسِك. قاله ثعلبٌ.

وقيل: هما بِمَعنى، وهو طلبُ معرفة الأخبار الغائبة والأحوال»(٢).

هَمُّ صاحبِه الأكبر تحقِيق مُبْتَغاه وإدراك مقصده دون النَّظَر لعَواقب هَذَا الخلق المشين، وما فيه مِن أذيَّة الآخرين؛ **يَقُولُ الشَّيخُ**

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٩).

ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّجسُّس أذيَّة يَتأذَّى به المُتَجَسَّس عليه، ويؤدِّي إلى البَغْضَاء والعدَاوة، ويُؤدِّي إلى تكْلِيف الإنسان نفسه ما لم يُلزَمه، فإنَّكَ تجد المُتَجَسِّس- والعياذ بالله- مرَّة هنا، ومرة هنا، ومرة هنا، ومرَّة ينظر إلى هَذَا، ومرة ينظر إلى هَذَا، فقد أتْعبَ نفسه في أذِيَّة عباد الله؛ نسأل الله العافية»(١).

نراه- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- يَسْتَعْمِل لنَيْل مطْلَبه كلَّ الوسائل المعينة، والطُّرق الممكِنَة؛ كالتصنت، والتنقيب، والبحث فيما يخص الغير دون أن يستشعر أنه مُتلَبِّس بفِعْلٍ ذميمٍ قد تُوعِّد صاحبُه بعذابٍ أليمٍ إذا لم يتدَارَك نفسه، ويتوب إلى العزيز الكريم، فعن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنِ اسْتَمَعَ إلى حديث قَوْمٍ وَهُمْ له كَارِهُونَ أو يَفِرُّونَ منه صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ يوم القِيَامَةِ**»(٢).

يَقُولُ المُناوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَنِ اسْتَمَعَ**»، أي: أصْغَى، «**إلى حديث قَوْمٍ، وَهُمْ له كَارِهُونَ**»، أي: حالة كونهم يكرهونه لأجل استماعهم، أو يكرهون استماعه إذا عَلِموا ذَلِكَ، «**صُبَّ**» بضم المُهملة وشَدِّ المُوحدة، «**في أُذُنِهِ الآنُكُ**» بفتح الهمزة المَمدودة وضَم النون: الرَّصَاص، أو خَالِصه، أو الأسود، أو الأبيض.

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٥).

والجملة: إخبارٌ، أو دُعاء»[١].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني الَّذِي يَتسَمَّع إلى أناس وهم يَكرهون أن يَسمع، فإنه يُصبُّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة.

قال العلماءُ: الآنُكُ: هو الرَّصَاص المُذاب، والعياذ بالله.

والرصاصُ المُذَاب بنار جهنم أعظمُ من نار الدُّنيا بتسعٍ وستِّين مرَّة، يُصب في أذنيه؛ لأنه تسمَّع لقوم وهم يكرهون أن يَسْمَع، وسواء كانوا يكرهون أن يسمع لغرضٍ صحيحٍ، أو لغير غرض؛ لأنَّ بعض النَّاس يكره أنْ يَسْمَعَهُ غيرُه ولو كان الكلامُ ما فيه خطأ ولا فيه سَب، ولكن لا يريد أنَّ أحدًا يسمعه، وهَذَا يقع فيه بعض النَّاس، تجده مثلًا إذا رأى اثنين يتكلَّمُون يأخذ المُصحَف، ويجلس قريبًا منهم، ثم يبدأ يطالع المصحَف كأنه يقرأ، وهو يستمع إليهم وهم يكرهون ذَلِكَ، هَذَا الرَّجُل يُصب في أُذُنَيْهِ الآنُك يوم القيامة؛ فيُعذَّب هَذَا العذاب، والعياذ بالله»[٢].

أتدري- يا مَن أُصيبت بهَذَا المرض القبيح- أنَّ الجزاء من جنس العمَل، وأنَّ مَن حرص على كشف عوْرَة أخيه؛ فضحه العَزِيز العَلَّام، وهتك ستره وكشف عورته بين الأنام؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: صَعِدَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر فنادى

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٩٧).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ١٧١).

بصوت رفيع، فقال: «**يا مَعْشَرَ مَن قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، ولم يُفْضِ الإيمَانُ إلى قَلبِهِ: لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فإنَّه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ في جَوْفِ رَحْلِهِ**»[(١)].

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ**»، مِن فَضَحَ كمَنَعَ، أي: يَكشف مَسَاويه، «**وَلَوْ في جَوْفِ رَحْلِهِ**»، أي: ولو كان في وَسَط منزله مخفيًّا مِن النَّاس»[(٢)].

ألم يَبلغك كذَلِكَ: أنَّ هَذَا الدَّاء ليس من شِيَم الفُضلَاء، ولا هو من خِصَال العُقلَاء؟!

يقولُ الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الواجبُ على العاقل**: مُباينة العَوام في الأخْلَاق والأفعال، بلزوم ترك التَّجسُّس عَن عيوب النَّاس؛ لأنَّ مَن بحث عن مَكنون غيره؛ بُحث عن مكنون نفسه، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث مِن مكنون غيره، وكيف يَسْتَحْسن مُسْلِمٌ ثَلْبَ مُسْلِمٍ بالشَّيء الَّذِي هو فيه»[(٣)].

وأنَّ ضرره ليس قاصرًا عليك، بل هو مُتعَدٍّ لمن تتجَسَّس عليه، وتحرَّص على معرفة عيوبه، فعن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٤٥).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ١٢٨).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»(١).

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اتَّبَعْتَ**»، مِن الاتِّباع، أيْ: تتَبَّعت، «**عَوْرَاتِ النَّاسِ**»، أي: عيوبهم الخفِيَّة؛ وفي نسخة: «**ابْتغَيْتَ**» أي: طلبتَ ظُهور معايبهم وخَللهم، «**أَفْسَدْتَهُمْ**»، أي: حكمت عليهم بالفساد، أو أَفْسَدَت أمرَ المَعاش والمَعاد، والله رؤوف بالعباد»(٢).

فالبدَارَ البِدَار- يا مَن ابتُليت بهَذَا الدَّاء القتَّال- بالتوبة والرجوع إلى الكبير المتعال، والتخلص من هَذَا المرض العُضال، وأن تَحرص كلَّ الحرص إذا أردت النَّجاح والفلَاح علَى الاهتِمَام بعيوب نفسِك التي بين جَنبيك.

يقولُ الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الواجبُ على العاقل**: لُزوم السَّلامة بترك التَّجسُّس عن عيوب النَّاس مع الاشتِغَال بإصْلَاح عُيوب نفسه، فإنَّ مَن اشتغل بعيوبهِ عن عيوب غيره أراح بدنَهُ، ولم يُتعب قلبه، فكُلَّما اطَّلَع على عيبٍ لنفسِه هَانَ عليه ما يَرى مِثْلَه مِن أخيه، وأنَّ مَن اشتغل بعيوب النَّاس عن عيوب نفسه عَمِي قلبُه، وتَعِبَ بدنُه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه، وإنَّ مِن أعجَز النَّاس

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٥٩).

مَن عاب النَّاس بما فيهم، وأعْجَز منه مَن عابهُم بما فيه...»[١].

لأنَّ مَن عَرف حقيقةَ نفْسِه انشغَلَ بإصلاحها عن الاهتِمَام بعُيوب غيره؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مَن عَرف نفسَه انشغَلَ بإصْلَاحها عن عيوب النَّاس»[٢].

وعليك أنْ تَسأل دومًا العزيز الوهَّاب أنْ يرزقك حُسن الآداب، مع بذل ما يُعينك على تحقيق ذَلِكَ مِن الأسباب؛ لأنَّ حُسْنَ أدب المرء هو عنوانُ سعادته، وسَيِّئَه مِن القرائن الدَّالة على حرمانه وشقاوته.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأدب المرء**: عنوان سعادته وفلاحه، وقِلَّة أدَبِه: عنوان شَقاوته وبَواره»[٣].

وفي الختام- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- يَنبغي أنْ نَعْلمَ أنه يُستثنَى مِن النَّهي عن التَّجسُّس: ما كان فيه مصلحة راجحة؛ كحفظ النَّفس والعِرْض، وغير ذَلِكَ من الضَّرُورِيَّات.

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُستثنى من النهي عن التَّجسُّس ما لو تَعيَّن طريقًا إلى إنقاذِ نَفس من الهلاك؛ مثلًا كأن

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٢٥).

(٢) «الفوائد» (ص٥٧).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

يُخبر ثِقَةٌ بأنَّ فُلانًا خَلا بشخص ليقتله ظلمًا، أو بامرأةٍ ليَزني بها؛ فيُشرع في هَذِهِ الصُّورَة التَّجسُّس، والبحث عن ذَلِكَ حَذَرًا مِن فوات استِدْرَاكِه.

نقلَهُ النوويُّ عن «الأحكام السُّلطانية» للمَاوَرْدي، واسْتَجَادَه»[1].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومن ذَلِكَ التحلي بالأخْلَاق الفاضلة، والصفات الكَرِيمة.

وأن يُجَنِّبَنا جميعًا كُلَّ خُلُقٍ مشين، ومن ذَلِكَ التَّجسُّس على الآخرين؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلّ اللهُمَّ وسلّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٢).

التَّوفيق
هو مِن تيسير العزيز الرَّفيق

التوفيق هو من تيسير العزيز الرفيق

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أَشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن علَامات توفيق ربِّ البريَّات لِعبده- أيُّها الإخوة والأخوات- أن يُيسِّر له في هَذِهِ الدُّنيا الفانية عمَل الخيرات، ويُعينه فيها على التَّزوُّد مِن الطَّاعات.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمَعَ العارفُونَ على أنَّ كُلَّ خَيْرٍ فأصلُه بتوفيقِ الله للعبدِ»[(١)].

وإنَّ مِن قرائن خِذلانه له: أنْ لَا يَعصمه مِن الوقوع في المُحَرَّمات، ولا في المَعَاصي والمُنكرَات.

يَقُولُ الإمامُ الأزهريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخِذْلَانُ الله تعالى للعبد: ألَّا

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

يعْصِمَه مِن السَّيِّئة؛ فيَقعُ فيها»[(١)].

فالتوفيق والخِذلان- أيُّها الأَحِبَّةُ والإخوان- هما بِيَدِ العزيز الرَّحمن، حيث يُوفِّق جَلَّجَلَالُهُ مَن يشاء بفضله، ويخِذل مَن يريد بعَدْلِه، لا يظلم سبحانه أبدًا أحدًا مِن خلقه.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبيدُ مُتقلِّبُونَ بيْنَ توْفِيقه وخِذلَانه، بل العبد في السَّاعةِ الواحدة يَنال نصيبه مِن هَذَا وهَذَا؛ فيُطيعه ويُرضيه، ويَذكره ويَشكُره بتوفِيقه له، ثُم يَعصيه ويخالفه ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائرٌ بين توفيقه وخِذلانه، فإنْ وفَّقهُ فبفضله ورحمته، وإنْ خَذَله فَبِعَدْله وحِكمته، وهو المحمودُ على هَذَا وهَذَا، له أتمُّ حَمْدٍ وأَكْمَله»[(٢)].

فَمَن صَدَقَ معه مِن عِبَاده، وأَخْلَص له في عِبَادته، وبَذَل الأسباب؛ وفَّقَهُ العزيز الوهَّاب لكل خيرٍ وصوَاب، قال سبحانه: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس للعبد شيء أنفع مِن صِدْقِه ربَّه في جميع أموره...، ومَن صَدَقَ اللهَ في جميع أموره صَنَعَ اللهُ له فوق ما يَصنع لغيره»[(٣)].

---

(١) «تهذيب اللغة» (٧/ ١٤٠).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤١٣).

(٣) «الفوائد» (ص١٨٦).

وبقدر إخلاص النِّية يَكُون التَّوفيق للعبد من ربِّ البرِيَّة؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قَدْر نيَّة العبد وهمَّته، ومُراده ورغبَتِه في ذَلِكَ يَكُون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة مِن الله تنزل على العِبَاد على قدر هِمَمِهِم، وثباتهم، ورغبتهم، ورَهْبَتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذَلِكَ، فاللهُ- سبحانه- أَحْكَمُ الحاكمين، وأعلَم العالمين، يضع التَّوفيق في موَاضعِه اللائقة به، والخذْلَان في موَاضعِه اللَّائقة به، هو العليم الحكيم»(١).

فعلَى مَن أراد أن ينال هَذَا الفَضْل الكبير، والخير الكثير أنْ يطلبه أوَّلًا مِن العزيز القدير؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه- أي: الدُّعاء- مِن أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب»(٢).

لأنَّ التوفيق لا يُطْلَب إلَّا من العزيز الرَّفيق؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّوفيق كُلُّه بِيَدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَمَن يَسَّر الله عليه الهدى اهْتَدى، ومَن لم يُيَسِّرْهُ عليه لَم يُيَسَّرْ له ذَلِكَ»(٣).

وعليه كذَلِكَ أن يجتهد في فِعْل الطَّاعات، ويحرص على التزوُّد مِن الخيرات؛ لأنَّه على قَدر القُربات يَكُون التَّوفيق من رب الأرْض

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

(٢) «الجواب الكافي» (ص٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٣٧).

وَالسَّموات؛ يَقُولُ الإمامُ أبو سُلَيْمان الدَّاراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ التوفيق على قَدْرِ القُربة»[٢].

وعليه- كذَلِكَ- أن يَسْتَحْضِر دائمًا عند فعله للخير، وابتعاده عن الشَّر قول العزيز المقتدر: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨].

يَقُولُ الإمامُ أبو المُظَفَّر السَّمْعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ دليلٌ على أنَّ الطَّاعةَ لا يُؤتَى بها إلَّا بتوفيق الله.

والتَّوْفيقُ من الله: هو التَّسْهِيل، والتَّيسِير، والمَعُونة»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، أي: وما يَحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفِكَاك عن الشَّر إلَّا بالله تعالى؛ لا بحولي، ولا بقوتي»[٤].

إنَّ مما ينبغي أنْ نَعْلمَه- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ مِن أفْضَل ما يَمنُّ به رب البريَّات على عبدِه قبل المَمَات أن يُوَفِّقه لِعَمَل الصَّالحات؛ فعن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**». فقيل: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يا رَسُولَ الله؟ قال:

---

(١) الإمامُ الزَّاهدُ عبد الرحمن بن أحمد، تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس عشرة ومائتين. (ت ٢١٥هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ١٨٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩).

(٣) «تفسير السمعاني» (٢/ ٤٥٢).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٣٨٧).

«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قبل المَوْتِ»[١].

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يُلهمه التَّوبةَ وملازمة العمَل الصَّالح كما يحبُّ، ويَنبغي حتَّى يَمِلَّ الخَلْقَ، ويَستقْذر الدُّنيا، ويَحِن إلى الموت، ويَشتاق إلى الملإ الأعلى، فإذا هو بِرُسل الله تعالى يردون عليه بالرُّوح والرَّيحان، والبُشْرَى والرِّضْوَان مِن ربٍّ راضٍ غير غضبان، فينقلونه مِن هَذِهِ الدَّار الفانية إلى الحضرة العَالِيَة البَاقِيَة، فيرى لنفسه الضَّعيفة الفقيرة نَعيمًا مُقيمًا ومُلكًا عظيمًا»[٢].

وأنَّ التَّوفيق الحقِيقي للعَبْد في الدُّنيا ليْسَ في نَيْلِه المناصب، ولا في كسْبِه الأموال، وإنَّما هو في الحقيقة أنْ يَكُون مِن أولياء الكَبِير المتعَال، الَّذِين يحرصُونَ على طاعة أرْحَم الرَّاحِمين، ويجتهدون في اتِّباع سُنة خير المرسلين، وهَذَا- أيُّها الأحْبَاب- هو أعْظَم ما يناله العبد من الكريم الوهَّاب؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنعمة المُطْلقَة هي المُتَّصِلَة بسعادة الأبَد، وهي نعمة الإسْلَام والسُّنة، وهي التي أَمَرَنا اللهُ أنْ نسْألَهُ في صلَواتِنَا أن يَهْدِيَنا صراط أهلها، ومَن خَصَّهم بها، وجَعَلهم أهلَ الرَّفيق الأعلى...»[٣].

لأنَّ نَيْلَ ملذَّات الدُّنيا الفَانية ليْسَ من علَامات التَّوفيق

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «فيض القدير» (١/ ٤٥٠).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥).

والنَّجاة؛ لأنَّ العَزِيز العَلَّام يُعطيها مَن يَشاء مِن الأنام، أمَّا الإيمَان فلا يناله إلَّا مَن يحبُّه العليم المنَّان؛ فعن عَبْد اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا من يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعطي الإيمَان إلَّا مَنْ أَحَبَّ؛ فَمَنْ أَعْطَاه الدِّينَ فقد أَحَبَّه**»(١).

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليْسَ كُلُّ مَن أعطى مالًا أو دُنيا أو رئاسة كان ذَلِكَ نافعًا له عند الله، مُنْجِيًا له مِن عذَابِه، فإنَّ الله يُعْطِي الدُّنيا مَن يحبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطي الإيمَانَ إلَّا مَن يحبُّ»(٢).

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَجعلنا- وإيَّاكُمْ- من أهل التَّوفيق والصَّلاح؛ لأنَّ في ذَلِكَ الفوز في الدَّارَيْن والنَّجاح.

وأنْ يُجنِّبَنا كُلَّ أسباب الحِرمَان والخُسْرَان؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز الرَّحمن.

وصلَّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبيِّنا مُحمَّد، وعلى آلِه وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧١٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٧).

تذكير المُسلِمين
بفَضْلِ الإِحسانِ إلى الآخَرِين

تذكير المسلمين بفضل الإحسان إلى الآخرين

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الإحسَانَ إلى خَلْقِ العَزِيز العَلَّام، ومدِّ يَدِ العَوْن للأنام مِن أهَمِّ الأعمَال الكَرِيمة، والأفعال القَويمة الَّتي حثَّنا عليها دِينُ الإسْلَام؛ فعن شَدَّاد بن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسَان على كل شَيْءٍ، فإذا قَتَلتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكم شَفْرَتَهُ؛ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَه**»(١).

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَتَبَه على كلِّ شي: يعني في كلِّ شيء؛ كَتَبَ الإحسَانَ في كل شيء، يعني أن الله عَزَّوَجَلَّ شرعَ الإحسَانَ في كُلِّ شيء، حتى في القَتْل، وحتى في الذَّبح، وفي غير ذَلِكَ

(١) رواه مسلم (١٩٥٥).

مِن الأمور. عليك أن تَكون مُحْسِنًا لما تقومُ به»[(١)].

ولذا كان أهلُ الإحسَان- أيُّها الأَحِبَّة والإخوان- مِن أَحَبِّ العِباد إلى العزيز الرَّحمن، حيث يَقُولُ الكريم المنَّان: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال أبو جَعفر**: يعني- جل ثناؤه- بقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أحسنوا- أيُّها المؤمنون- في أداء ما أَلْزَمْتُكم مِن فرَائضي، وتجنُّب ما أَمَرْتُكم بتجَنُّبه مِن معاصِيَّ، ومن الإنفاق في سبيلي، وَعَوْدِ القويِّ منكم على الضَّعيف ذي الخَلَّة؛ فإنِّي أُحِبُّ المحسنين في ذَلِكَ»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يشملُ جميعَ أنواع الإحسَان؛ لأنَّه لم يُقَيِّده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسَان بالمال...، ويدخل فيه الإحسَانُ بالجاه، بالشَّفاعات، ونحو ذَلِكَ، ويَدخل في ذَلِكَ الإحسَان بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتعليم العِلم النَّافع، ويَدخل في ذَلِكَ قضَاءُ حوائج النَّاس؛ مِن تفريج كرُبَاتهم، وإزالة شدَّاتهم، وعيَادة مرْضَاهُم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة مَن يعمل عملًا، والعمل لِمَن لا يُحسن العمل، ونحو

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥٩٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٥).

ذَلِكَ مما هو من الإِحسَان الَّذِي أمَر الله به...»[١].

بل إنَّ مما جُبِلَ عليه الأنام- أيُّها الأفاضل الكرام- حُبَّ مَن يُحسن إليهم، وتبجِيلَ مَن يُساعِدهُم؛ يقول الإِمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والبَشر مجبولون على محبَّة الإِحسَان، وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم حبيبًا، واتخاذ المسيء إليهم عدوًّا»[٢].

ولذا مِن أنفع الوسائل المُعينة على إطْفَاء نار الحاسد، وإخمَاد ما في نفس الحاقِد مُبادرته بالتَّجاوُز عنه، والإِحسَان إليه؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إطفاءُ نار الحاسِد والباغِي والمؤذِي بالإِحسَان إليه، فكُلَّما ازدَاد أذى وشرًّا وبَغْيًا وحَسَدًا ازدَدْتَ إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شَفقة»[٣].

ويكفي أصْحَابَ هَذَا الخُلُق الكريم، والأدب القويم، فضْلًا ومنزلةً- أيُّها الأفاضل- قُربُهم مِن رحمة الرَّحمن الرحيم؛ يَقُولُ العزيز العظيم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف: ٥٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ في عِبادة الله، المُحسنين إلى عباد الله، فكُلَّما كان

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٠).

(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٤٣).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦٨).

العَبْدُ أكثر إحسانًا؛ كان أقرب إلى رحمة ربِّه، وكان ربُّه قريبًا منه برحمته، وفي هَذَا مِن الحثِّ على الإحسَان ما لا يَخْفَى»[(١)].

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفتاحُ حُصُول الرَّحمَة: الإِحسَانُ في عبادة الخَالق، والسَّعيُ في نَفْع عَبِيده»[(٢)].

وأنَّهم مِن أعظم النَّاس قدرًا، وأشرحهم صدرًا؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «الإِحسَانُ يُفرح القلب، ويَشرح الصدر، ويَجلب النِّعم، ويَدفع النِّقم، وتَركه يُوجِبُ الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن: ترك الإِحسَان بالبدن، والبخل: ترك الإِحسَان بالمال»[(٣)].

فعلى مَن أراد أن ينال هَذَا الشَّرف، وتكون له هَذِهِ المرتبة: أنْ يَكُونَ مِن أهل الإِحسَان، ويسعى في خِدْمَة الآخرين.

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالإِحسَان**: هو بذل جميع المنَافع مِن أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوقٍ يَكُون، ولكنَّهُ يتفاوَتُ بتفَاوُت المحسَنِ إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإِحسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسَّبب

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٩٢).

(٢) «حادي الأرواح (ص٤٨).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٤١٩).

الداعي له إلى ذَلِكَ»[١].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الإحسَان إلى عباد الله: فأنْ تُعامِلَهُم بما هو أحسَن؛ في الكلام، والأفعال، والبَذْل، وكفِّ الأذَى، وغير ذَلِكَ، حتى في القول؛ فإنك تُعاملهم بالأحسَن»[٢].

وعلى المسلم أن يَعلم أنَّ أوْلَى النَّاس بإحسانه وإكرامه هُم مَن كانَا سببًا في وجوده، وقد بَذَلَا الجهد في تربِيَتِهِ، والاعتِنَاء به، وهما والِدَاه؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاء دينيًّا، وأَمَرَ أمرًا شرعِيًّا: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ أحدًا مِن أهل الأرض والسَّماوات الأحياء والأموات.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾؛ لأنَّه الواحِد الأحَد، الفرد الصَّمد، الَّذِي له كل صفة كمال، وله مِن تلك الصِّفَة أعظمها، على وجهٍ لا يشبهه أحد مِن خلقه، وهو المنعم بالنِّعَم الظَّاهرة والباطنة، الدَّافع لجميع النِّقَم، الخالق الرَّازق، المدبِّر لجميع الأمور، فهو المتفرِّد بذَلِكَ كله، وغيره ليس له مِن ذَلِكَ شيء.

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢٠٢).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ١٣).

ثُم ذكر بعد حقِّه القِيَام بحق الوالدَيْن، فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: أحسِنُوا إليهما بجميع وجوه الإحسَان (القَوْلي والفِعْلي)؛ لأنهُما سَبَبُ وجودِ العَبْد، ولهما مِن المحبَّة للولد، والإحسَان إليه، والقرب ما يقتَضِي تأكُّدَ الحَقِّ، ووُجوبَ البِرِّ»[(١)].

وليَعْلَم- كذَلِكَ- أنه مَهْمَا اجتهد في برِّهما، وحرص أَشَدَّ الحرص علَى خدمتهما، والإحسَان إليهما، فلن ولن يَقْدِر على ردِّ ما كان منهما مِن فضلٍ وجهدٍ وإحسَان.

يَقُولُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم البارُّ بالوالدين أنه مَهْمَا بالَغَ في برِّهما لم يَفِ بِشُكرهما»[(٢)].

وعليه أن يَعْلَم كذَلِكَ: أنَّ الأهل والأقارب هم كذَلِكَ بَعْد الوالدين أوْلَى النَّاس بالإكرَام والمُسَاعدة والإحسَان؛ فعن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[(٣)].

يقولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في ذَلِكَ تنبيهٌ علَى أعلى النَّاس رُتْبةً في الخير، وأَحَقِّهم بالاتِّصَاف به: هو مَن كان خير النَّاس لأهْلِه؛

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥٦).

(٢) «بر الوالدين» (ص٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإنَّ الأهل هم الأحِقَّاء بالبِشْر، وحُسْن الخلُق، والإحسَان، وجلب النَّفع، ودفع الضُّر، فإذا كان الرَّجُلُ كذَلِكَ فهو خير النَّاس.

وإنْ كان على العكس مِن ذَلِكَ فهو في الجانب الآخر مِن الشر، وكثيرًا ما يقع النَّاس في هَذِهِ الورطة؛ فترَى الرَّجُل إذا لقِيَ أهله كان أسوأ النَّاس أخلاقًا، وأشحهم نفسًا، وأقلَّهُم خيرًا، وإذا لقِيَ غير الأهل مِن الأجانب لَانَتْ عريكَتُه، وانبسطَتْ أخلاقُه، وجادَتْ نفسُه، وكَثُر خيرُه.

ولا شَكَّ أنَّ مَن كان كذَلِكَ فهو محرومُ التوفيق، زائغٌ عن سواء الطريق؛ نسأل اللهَ السَّلامة»[(١)].

فبَعد أن عرفنا- أيُّها الكِرَام- فَضْلَ هَذِهِ الخصلة الحميدة، والصِّفَة الرَّفيعة، وأنها من الأخْلَاق الجميلة التي يحبُّها العَزِيز العَلَّام، وهي كذَلِكَ مِن أسباب زَرع الألفة، وغرس المحبَّة بين الأنام.

فَعَلَى مَن أراد نيْلَهَا- أيُّها الأحباب- أنْ يَسْأَلَهَا أوَّلًا مِن العزيز الوهَّاب، ثُمَّ عليه أنْ يَبْذُلَ ما يُعِينه على تحقيقها مِن أسباب.

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقَنا لكلِّ ما فيه

---

(١) «نيل الأوطار» (٦/ ٢٦٠).

نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِكَ أنْ يَرزقنا صفةَ الإِحسَان.

وأنْ يُجنِّبَنا- وإيَّاكُمْ- ما يجعَلُنا مِن أهل الحِرمَان والخُسْرَان، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والكريمُ المَنَّان.

وصلّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث القدسية
٣- فهرس الأحاديث النبوية
٤- فهرس الآثار
٥- فهرس الأبيات الشِّعرية
٦- فهرس المصادر المعتمدة
٧- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾	١٢٦	١٨٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٧٦
﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٣٦٦
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾	٢٠٨	١٤٤

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	١٠٢	٥
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾	١٠٦	١٨٠
﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾	١٣٤	٣٢٧
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾	١٣٥	١١١
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾	١٥٩	١٢٨
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	١٨٥	٤٧

سورة النِّساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾	١	٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾	١٠	٢٤٤
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾	٣٤	١٤٠، ٢٦٦
﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾	٨٣	٤١
﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾	١٣٠	١٣٩، ١٦٨

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾	١١٨	٢٠٣

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾	٥٦	٣٦٧

سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾	٣٣	١١٧

سورة التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾	٣٦	٢٧٩

سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾	٣	١١٢، ١١٦
﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾	٨٨	٣٦٠

سورة الرعد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾	٢١	٣٠٦

سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	٣٤	١٨٥

سورة الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾	٩٥	٢٠٢

سورة النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾	٦٠	٢١٣

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	٣٦٩
﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	٣٤	٦٠
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾	٢٧	١٤٤

سورة الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾	٨٢	٨٨

سورة مريم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾	٥٤	٦١

سورة الحج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ﴾	١	٢٥١

سورة المؤمنون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾	٨	٥٩
﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾	٩٩، ١٠٠	١٥١

سورة النور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾	١٩	٧٣

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾	٢٧	٢٤٧
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣١	٢٦٣

سورة النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٤٦	١١٦

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	٦٩	١٤٥
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	٧٥	١٥٠، ٢٥٨

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾	١٧	١٠٤

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٦٠
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	٣٣	١٤٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾	٧٠	٥

سورة فاطر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	١٧٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾	٢٨	١١٥

سورة ص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾	٦٦	١١٥
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾	٨٢، ٨٣	١٣٣

سورة الصافات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾	١٠٠	٨٣
﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾	١٠١	٨٤
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾	١٠٢	٦٢

سورة الزمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	١٥٠

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	٥٦	١٣

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	٣٦	١٧٩

سورة الأحقاف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾	١٥	٨٤

سورة محمد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾	١٩	١١٣
﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾	٢١	٣٥٨
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ﴾	٢٢	٣٠٨

سورة الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾	٦	١٠٤
﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾	١١	٢١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾	١٢	١٠٥، ٣٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	٣٣٨

سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦	٢٦، ١٥٢

سورة النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٢٢٠

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾	٢٦، ٢٧	٤٧

سورة التغابن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾	٩	٢٤٧

سورة القلم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾	١٠، ١١	١٠٢، ١٧٠

سورة نوح

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾	١٠، ١١	١١٦

سورة البروج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾	١١	٥٢

سورة الفجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾	٢٤	٥٥

سورة الضحى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	٩	٢٤٢

سورة البينة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٥	٢٦

سورة القارعة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾	١، ٢	٢٥٤
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾	٣	٢٥٤
﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾	٤	٢٥٥
﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾	٥	٢٥٥
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾	٦، ٧	٢٥٦
﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾	٨، ٩	٢٥٦
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾	١٠، ١١	٢٥٧

سورة التكاثر

الآية	رقم	الصفحة
﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾	١	١٥٥

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾	٢	١٥٦
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾	٣، ٤	١٥٧
﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾	٥	١٥٨
﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾	٦، ٧	١٥٩
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	٨	١٥٩

سورة العصر

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢	السورة	٣٠٠

سورة الكوثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	١٩٨
﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	٢	٢٠٠
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	٣	٢٠١

فهرس الأحاديث
القدسية والنبوية

فهرس الأحاديث القدسية

الحديث	اسم الصَّحَابي	الصفحة
إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم	عِيَاض بن حِمَار	١٣٥

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	اسم الصَّحَابي	الصفحة
اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ	أبو ذَرٍّ	١٢٢
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ	أبو هريرة	٢٤٣
احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ	أبو هريرة	٢٣
آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ	أبو هريرة	٦٣
أَجِيبُوا الداعي، وَلَا تَرُدُّوا الهديَّة	ابن مسعود	٢١٠
أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَر	أنس	١٩٩
أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إذا دُعِيتُمْ لها	ابن عمر	٢٩٥
أَحَبُّ الأعْمَالِ إلى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ	ابن عمر	٢٩٧
أَفْضَلُ الصِّيام بَعْدَ رَمَضَانَ	أبو هريرة	٢٨١

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ من دَرَجَةِ الصِّيام	أبو الدرداء	١٦٩
أَلَا كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلكُم مَسْؤُول	ابن عمر	٧٤، ٨٢
أَلَا إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ مَلعُونٌ مَا	أبو هريرة	٤٩
أَكْمَلُ المُؤمِنينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	أبو هريرة	١٢٥
أنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّة هَكَذَا	سهل بن سعد	٢٤٢
إِذَا غَضِبَ أَحَدكُم فَليَسْكُتْ	ابن عباس	٣٢٣
إِذَا غَضِبَ أحدُكم	أبو ذر	٣٢٢
إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ	أبو هريرة	٩٠
إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ	أنس	٣٦٠
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يلين قَلبُكَ	أبو هريرة	٢٤٥
إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ	جابر	١٣٨، ١٦٧
إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ	أبو بكرة الثقفي	٢٨٠
إِنَّ الشَّيطَان قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ	جابر	١٦٦
إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إِلَّا ما كان	أبو أمامة الباهلي	٢٧

إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحسَان	شَدَّاد بن أَوْسٍ	٣٦٦
إِنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا من يُحبُّ	ابن مسعود	٤٨، ٣٦٢
إِنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ	ابن عباس	٢١٢
إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاس	معاوية	٣٥١
إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لو قَالَهَا لَذَهَبَ	سليمان بن صُرَدٍ	٣٢١
إِيَّاكُم وَالظَّنَّ	أبو هريرة	٣٤٧
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّر أَنْ يَحْقِرَ	أبو هريرة	٢٢٠
التَّأَنِّي مِن اللهِ والعجَلةُ مِن الشَّيطَان	أنس	٣٢٧
تَجِدُونَ شَرَّ النَّاس ذَا الوَجْهَيْنِ	أبو هريرة	١٠١
تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ	أبو هريرة	١٢٢
تَهَادَوُا تَحَابُّوا	أبو هريرة	٢٠٧
ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ	ابن عمر	٢١١
حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ	أبو هريرة	٢٩٣
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ	عائشة	٣٧٠

شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ	أبو هريرة	٢٩٤
الصَّوم في الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ	عامر بن مسعود	٢٨٨
فَإِذَا كانَ العَامُ المُقْبِلُ إن شَاءَ الله	ابن عباس	٢٨٣
لَئِنْ كُنْتَ كما قُلتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم	أبو هريرة	٣١١
لَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلتُ	أبو هريرة	٢٠٩
لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ	أبو هريرة	٢٩٨
ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ	أبو هريرة	٣٢٤
ليْسَ لنَا مَثَلُ السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ	ابن عباس	٢١٣
ليْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ	عبد الله بن عمرو	٣١٠
لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ له	أنس	٦٢
لَا تَغْضَبْ	أبو هريرة	٣١٩
لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ	علي	٢٤٠
لَا يَدْخُلُ الجَنَّة قَاطِعُ رَحِمٍ	جبير بن مطعم	٣٠٩
لَا يَدْخُلُ الجَنَّة نَمَّامٌ	حذيفة	١٠٠

كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهدية	عائشة	٢٠٩
الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاس	ابن مسعود	١٢
كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضَاعَفُ	أبو هريرة	٢٨٥
كُنْ في الدُّنْيَا كأنَّكَ غَريبٌ	عبد الله بن عمر	٤٩
مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلَّا عِزًّا	أبو هريرة	٣٢٨
مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ	أبو موسى الأشعري	٨٩
مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ	أبو موسى الأشعري	٨٥
مَثَلُ المُؤمِنينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	النُّعمان بن بشير	٢٩٧
المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ	عبد الله بن عمرو	١٢٥، ٣٠١
مَن اسْتَمَعَ إلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ	ابن عباس	٣٤٨
مَن أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ	أنس	٣٠٧
مَن أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلطَانٍ	عياض بن غَنْمٍ	٣٧
مَن أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ	عبيد الله بن مِحْصَن	١٨٦
مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِل	أبو هريرة	٣١٠

مَن كانَت الآخِرَة هَمَّهُ	أنس	٥٣
مَن يُرِدْ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين	معاوية	٢٢٧
مَن يَضْمَنْ لي ما بَيْن لَحْيَيْهِ	سهل بن سعد	٢٢٣
النَّمِيمَة: القَالَةُ بين النَّاس	ابن مسعود	٩٥
وَاللهِ إنِّي لأسْتَغْفِرُ الله وأتُوبُ إِلَيْهِ	أبو هريرة	١١٠
وَهَل يَكُبُّ النَّاس في النَّار	معاذ بن جبل	١٠٥، ٢٢٢
يا مَعْشَرَ من قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ	عبد الله بن عمر	٣٥٠
يُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ	ابن عباس	٩٨
يَقُولُ ابن آدَمَ: مَالِي، مَالِي	عبد الله بن الشخير	١٥٣
يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ	أبو قتادة الأنصاري	٢٨٣

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتقوا الله معشر المُسْلِمِينَ	الأوزاعي	٤٢
أكثِرُوا مِن الاسْتِغْفَار في بيُوتِكُم	الحسن البصري	١١٤
أَلَا تَرَوْنَ أنِّي لَا أُكَلِّمُهُ	أسامة بن زيد	٣٧
إنَّ التَّوفيق علَى قَدْر القُربَة	أبو سليمان الدَّاراني	٣٦٠
إنَّ هَذَا ضَعِيفٌ ضيَّع الله في صِغَره	أحد السَّلف	١٧٧
البِدْعَة أحَبُّ إلَى الشَّيطَان	سفيان الثوري	١٣٦
بُلت الدَّم في طلَبِ الحدِيث مرَّتيْنِ	محمد بن طاهر	٢٣١
بنَفْيِ الاعتِمَاد والسَّير في البِلَاد	الشعبي	٢٣٠
حَقٌّ علَى كُلِّ مَن يَعْلَم أنَّ الموت مَوْرِده	الحسن البصري	١٥٠
الَّذِي يفُوق النَّاس في العِلم جَدِير	الحسن البصري	١٢٧

السُّني الَّذِي إذَا ذُكِرَت الأهوَاء	أبو بكر بن عياش	٣٣٧
الشِّتَاء غنِيمَة العَابدِين	عمر	٢٨٧
صَاحب البدْعَة علَى وجْهِه الظُّلمة	عبد الله بن المبارك	١٧٨
علَامة أهل البِدَع الوَقِيعَة في أهْل الأثَر	أبو حاتم	٢١٩
الفِتنَة إذَا أقبلَت عرَفها كُلُّ عالِم	الحسن البصري	٣٩
قَعَدُ الخوَارِج هُم أخبَثُ الخوَارج	عبد الله الضعيف	٤٠، ٢٧٤
لوْلَا الأئمَّة لم تأمن لنَا سُبل	عبد الله بن المبارك	١٨٩
لَا يُسْتَطَاعُ العِلمُ بِرَاحَةِ الجِسْمِ	يَحْيَى بْن أَبِي كثِيرٍ	٢٣٤
لَا يَنْبل الرَّجُل بنَوْعٍ مِن العِلم	عبد الله بن المبارك	١٢٩
كَانُوا يتعَلَّمون الهدي	محمد بن سيرين	١٢٤
كثْرَة الكلَام، وإفشَاء السِّر	محمد بن كعب	١٠١
الكسَل فَتْرة تقَع بالنَّفس	الفضيل بن عياض	٢٣٣
كُنَّا في مصر سبْعَة أشهر لم نَأكُل	ابن أبي حاتم	٢٣٠
مَا أمَر الله تعالى بأمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه	أَحَد السَّلف	٧١، ١٣٤

مَن نَّمَّ إليك نَّمَّ عليك	الفراهيدي	١٠٣
نحن إلى كثيرٍ مِن الأدَب أحْوَج	مخلد بن الحسين	١٢٦
هكَذا حفظْنَا وهَكَذا وقع في كِتَابي	الإمام مالك	٧
ودَّ الشَّيطَان لو ظفر مِنكُم بهَذَا	الحسن البصري	١١٦
يُفسد النَّمام في سَاعة	يَحْيَى بْن أبِي كثِيرٍ	٩٧

فهرس
الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشِّعري	القائل	الصفحة
وَمَا مِنْ كاتِبٍ إلَّا اسْتَبْقَى	أحد الشُّعراء	٢٧٦

فهرس المصادر العامة

فهرس المصادر المعتمَدة

١- اجتِمَاع الجيوش الإسْلَاميَّة علَى غزو المعطِّلة والجهمِيَّة، لابْن القَيِّم/ ط. دار الرشد- السعودية.

٢- الاعتِقَاد والهدَاية إلى سَبيل الرَّشاد، للبيهقي/ ط. دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٣- الاستذكار، لابن عبد البر/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤- الاستقامة، لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية.

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية/ ط. دار عالم الكتب- بيروت.

٦- الآداب الشرعية والمِنَح المرعِيَّة، لابن مُفلح/ ط. عالم الكتب- بيروت.

٧- أدب الدُّنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي/ ط. دار مكتبة الحياة- بيروت.

٨- الأدب المفرد، للبخاري/ ط. مكتبة المعارف- السعودية.

٩- الأذكار، للنووي/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

١٠- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، للفوزان/ ط. دار المنهاج- مصر.

١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي/ط. دار الفكر- بيروت.

١٢- إحياء علوم الدين، للغزالي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

١٣- إعانة المستفيد بشرح كتاب التَّوحِيد، للشيخ الفوزان/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٤- إعلام الموقعين، لابْن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيطَان، لابْن القَيِّم/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

١٦- بدائع الفوائد، لابن القَيِّم/ ط. مكتبة الباز- السعودية.

١٧- بر الوالدين، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٨- بستان الواعظين ورياض السامعين، لابن الجَوْزِي/ ط. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.

١٩- بهجة قلوب الأبرار، للسعدي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٢٠- تاريخ دمشق، لابن عساكر/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢١- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٢٢- التبصرة، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٣- التحرير والتنوير، لمحمد الطَّاهِر بن عَاشُور/ ط. الدار التونسية للنشر- تونس.

٢٤- تحفة الأحوذي، للمباركفوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٥- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المُرسَلِين، للشوكاني/ ط. دار القلم- بيروت.

٢٦- تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القَيِّم/ ط. مكتبة دار البيان – دمشق.

٢٧- تذكرة الحُفَّاظ، للذهبي/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨- التعليق على رسالة رفع الأسَاطين في حُكم الاتِّصَال بالسَّلاطين، لابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

٢٩- تفسير السعدي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٠- تفسير الطبري/ ط. دار الفكر- بيروت.

٣١- تفسير القرطبي/ ط. دار الشعب- القاهرة.

٣٢- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني/ ط. دار الوطن- السعودية.

٣٣- تفسير ابن كثير/ ط. دار الفكر- بيروت.

٣٤- التمهيد، لابن عبد البر/ ط. وزارة عموم الأوقاف

والشؤون الإسْلَامية- المغرب.

٣٥- تهذيب التهذيب، لابن حجَر/ ط. دائرة المعارف النظامية- الهند.

٣٦- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٧- تهذيب الكمال، للمِزِّي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٨- التوبة، لابن أبي الدُّنيا/ ط. مكتبة القرآن- مصر.

٣٩- التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي/ ط. مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.

٤٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير/ ط. مكتبة البيان- سوريا.

٤١- جامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع، للخطيب البغدادي/ ط. مكتبة المعارف- السعودية.

٤٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٣- الجواب الكافي، لابن القَيِّم/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٤٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٥- الحق الواضح المبين، لابن سعدي/ ط. دار ابْن القَيِّم-

السعودية.

٤٦- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني/ ط. دار الفكر- بيروت.

٤٧- حِلية طالب العلم، لـ«بكر أبو زيد»/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٨- الدُّرر السَّنية في الأجوبة النجدية/ ط. في السعودية.

٤٩- الدُّرر السَّنية في ثناء العلماء على المملكة العربية السعودية، لأحمد بازمول/ ط. في السعودية.

٥٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥١- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٢- الروح، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٥- رياض الصَّالحِين، للنووي/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٥٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتاب

العربي- بيروت.

٥٧- زاد المعاد، لابن القَيِّم/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٥٨- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حَجَر الهيتمي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥٩- السلسلة الصحيحة، للألباني/ ط. دار المعارف- السعودية.

٦٠- سنن الترمذي/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٦١- سنن أبي داود/ ط. المكتبة العصرية – بيروت.

٦٢- سنن النسائي/ ط. مكتب المطبوعات الإسْلَامية- دمشق.

٦٣- سير أعلام النبلاء، للذهبي/ ط. الرسالة- بيروت.

٦٤- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

٦٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي /ط. دار طيبة- السعودية.

٦٦- شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد/ ط. مؤسسة الريان- بيروت.

٦٧- شرح رياض الصَّالحِين، لابن عُثَيْمِين/ط. دار الوطن- الرياض.

٦٨- شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك/ ط. مكتبة الثقافة- القاهرة.

٦٩- شرح السُّنة، للبغوي/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٧٠- شرح صحيح البخاري، لابن بطَّال/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧١- الشريعة، للآجري/ ط. دار الوطن- السعودية.

٧٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ لابن القيم، ط. دار المعرفة- لبنان.

٧٣- شُعَب الإيمَان، للبيهقي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧٤- صحيح البخاري/ ط. دار الأفكار- بيروت.

٧٥- صحيح الجامع الصغير، للألباني/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٧٦- صحيح مسلم/ ط. دار المغني- السعودية.

٧٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القَيِّم/ ط. دار العاصمة- السعودية.

٧٨- صيد الخاطر، لابن الجَوْزِي/ ط. دار القلم- سوريا.

٧٩- طبقات الحنابلة، لأبي يعلى/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد/ ط. دار صادر- بيروت.

٨١- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القَيِّم/ ط. دار ابْن القَيِّم- السعودية.

٨٢- طوق الحمامة في الألفة والأُلاف، لابن حزم/ ط. المؤسسة

العربية للدراسات والنشر- بيروت.

٨٣- ظلال الجنَّة في تخريج السُّنة، لابن أبي عاصم للشيخ الألباني- المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٨٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨٥- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني/ ط. مؤسسة قرطبة- مصر.

٨٦- فتاوى الشَّيخ ابن باز/ إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر.

٨٧- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع خالد بن عبد الرحمن الجريسي /ط. السعودية.

٨٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حَجَر/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٩- فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي /ط. دار الفضيلة- السعودية.

٩٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

٩١- فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي/ ط. دار المنهاج- السعودية.

٩٢- الفَوائد، لابْن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٣- فيض القدير شرح جامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي/ ط. المكتبة التجارية- مصر.

٩٤- القاموس المحيط، للفيروز آبادي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٩٥- القول المفيد على كتاب التَّوحِيد، لابْن عُثَيْمِين/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

٩٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

٩٧- لقاء الباب المفتوح/ ط. تفريغ موقع الشبكة الإسْلَامية.

٩٨- الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر/ ط. مكتبة الرياض الحديثة- السعودية.

٩٩- الكبائر، للذهبي/ ط. دار الندوة الجديدة- بيروت.

١٠٠- كشف المُشكل من حديث الصحيحين، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٠١- الكُنى والأسماء، للدولابي/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

١٠٢- المجموع في ترجمة العلامة المحدث حماد الأنصاري، لعبد الأَوَّل بن حَمَّاد الأنصاري/ ط. في السعودية.

١٠٣- مجموع الفتاوى، لابن تيمية/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١٠٤- مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي/ ط. دار البيان- دمشق.

١٠٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الأصفهاني/ ط. دار الأرقم- بيروت.

١٠٦- مدارج السالكين، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٠٧- مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، لعبد الملك رمضاني/ ط. مكتبة الفرقان.

١٠٨- مراتب الإجماع، لابن حزم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري/ ط. دار الفكر- بيروت.

١١٠- مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١١١- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٢- مسند أبي يعلى الموصلي/ ط. دار المأمون للتراث- دمشق.

١١٣- مسند الإمام أحمد/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض/ ط.

مكتبة العتيقة.

١١٥- مصنف ابن أبي شيبة/ ط. مكتبة الرشد- السعودية.

١١٦- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي/ ط. المطبعة العلمية- حلب.

١١٧- معجم الكبير، للطبراني/ ط. مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١١٨- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة/ ط. مصر.

١١٩- المغني شرح مختصر الخرقي، لابن قدامة/ ط. دار عالم الكتب- بيروت.

١٢٠- مفتاح دار السَّعادة، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢١- مكارم الأخْلَاق، لابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٢٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي/ ط. دار المعرفة.

١٢٣- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد ابن سعود- السعودية.

١٢٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجَوْزِي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٢٥- نيل الأوطار، للشوكاني/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

١٢٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القَيِّم/

ط. دار القلم- سوريا.

١٢٧- وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، لمحمد ناصر العريني/ ط. مكتبة الملك فهد- السعودية.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف ٥
قَبُول الحَق! ١١
احْرِص على ما يَنْفَعُك! ٢٣
التذكير بِخَطَر الخوارج القَعَديَّة ٣٥
الدُّنيا... إلى أين؟! ٤٧
الوفاء بالوعد من صفات أهل الإيمان ٥٩
بعض وسائل الإعلام، وشهر رمضان! ٧٠
بهَذَا يَصْلُح الأَبْنَاءُ.. أيها الآباء! ٨٢
رسالة تحذير وتذكير إلى كل نَمَّام! ٩٥
تذكير الأخيار بفضل الاستغفار ١٠٩
ما أحوجنا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة! ١٢١
نوَّاب إبليس في الأرض! ١٣٣
وقفات مع سورة التّكاثر ١٤٩
التحذير من التحريش بين المسلمين! ١٦٥
بين نور الطاعة والاتباع، وظلمة المعصية والابتداع! ١٧٥
شكر نعمة الأمن ١٨٥
وقفات مع سورة الكوثَر ١٩٧
أثر الهدية على النفوس ٢٠٧
تحذير الأحباب من التنابز بالألقاب ٢١٧
الصبر على تحصيل العلم الشرعي ٢٢٧
تذكير الأنام بمكانة الأيتام في الإسلام ٢٣٩

وقفات مع سورة القارعة ٢٥١
ماذا يُريد أعداء الدين من بلاد الحرمين؟! ٢٦٣
الحث على الإكثار من الصِّيام في شهر الله الحرام ٢٧٩
إجابة الدعوة ٢٩٣
تذكير أهل الإسْلَام بأهمية صِلَة الأرْحَام ٣٠٥
إيَّاك والغضب المذموم أيها المسلم ٣١٧
التَّعَصُّب المذموم! ٣٣٣
تذكير المسلمين بخطر التجسس على الآخرين ٣٤٥
التوفيق هو من تيسير العزيز الرفيق ٣٥٧
تذكير المسلمين بفضل الإحسان إلى الآخرين ٣٦٥
فهرس الآيات القرآنية ٣٧٧
فهرس الأحاديث القدسية ٣٩١
فهرس الأحاديث النبوية ٣٩٢
فهرس الآثار ٤٠٠
فهرس الأبيات الشعرية ٤٠٥
فهرس المصادر المعتمَدة ٤٠٩
فهرس الموضوعات ٤٢٣

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
albukharibook@gmail.com

المجموعة السابعة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النابلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلِّف

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَده ونَسْتَعِينُه ونَسْتغفرُه، ونَعُوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسنا ومِن سَيئاتِ أَعْمَالِنا، مَن يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فَلَا هاديَ له.

وأَشْهد أَنْ لَا إلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ له، وأَشْهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورَسُوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأمور مُحْدثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ فِي النار.

إنَّ مِمَّا يُشرِّفني أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ أَضع بَيْن أَيْدِيكم بعد تيسير العَزِيز الوهَّاب هَذَا الكتابَ: «**تنبيه الأُمَّة عَلَى مسائلَ وأحكامٍ شرعيةٍ مهمةٍ – المجموعة السابعة**»؛ والذي هُوَ كَذَلِك عبارةٌ عن سلسلةٍ لمقالاتٍ عِلميَّةٍ ونصائحَ تربويَّةٍ ورسائلَ توجيهيةٍ إِلَى أبناءِ أُمَّتنا الإِسْلَامِيَّة.

فمَا كَان فِيهَا مِن صَوَابٍ وسدادٍ فَهُوَ مِن توفيقِ وتيسيرِ وفضلِ ربِّ العِبَاد، يَقُول ابْن القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ العارفون عَلَى أنَّ كلَّ خيرٍ أَصْلُه بتَوْفيقِ اللهِ للعَبْد».(١)

ومَا كَان فِيهَا من خطأٍ أَو سهوٍ أَو نسيانٍ فمِن تَقْصيرِ مُقيِّدها ومِن الشَّيْطَان، وأَسْتغفر عَلَى ذَلِك الغفورَ المَنَّانَ.

فاللهُ جَلَّ وَعَلَا «أبَى أن يكسوَ ثَوْب العِصْمة لِغيرِ الصادقِ المصدوقِ،

---

(١) الفَوَائِدُ (ص٩٧).

الَّذِي لَا يَنْطق عن الهَوَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(١)

فرحمَ اللهُ سُبْحَانَه أخًا مُحبًّا ناصحًا، وَجَدَ وَهَنًا فنَصَحَ، أَو وَجَدَ خَلَلًا فأَصْلَحَ، ومَن مِنَّا أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات يَسْلم مِن الخَطَأِ والوُقُوعِ فِي الزَّلَّات؟!

يَقُول الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَكَذَا حَفِظْنا وهَكَذَا وَقَعَ فِي كِتَابِي، ونَحْنُ نُخْطِئ، ومَن يَسْلم مِن الخَطَأ؟!»(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يَنفعَ بمَا فِي هَذَا الكِتَابِ مِن مقالاتٍ مُقيِّدَها وقارِئَها، وأنْ يَجْعل مَا سُطِّر فِيهِ خالصًا لِوَجْهِه الكَرِيمِ، وأنْ يَجْزي كُلَّ مَن أَعَانَ عَلَى إخراجِها فِي هَذِهِ الحُـلَّة وسَاهَمَ فِي نَشْرِها خَيْرَ الجَزَاءِ، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

كَتَبَه

أبو عَبْد الله حمزة النايلي

(الخريطيات/ قطر)

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٣/ ٣٩٤).

(٢) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦)، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦).

الله الله في السرائر!

اللّهَ اللّهَ فِي السرائر!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِن أهمِّ الأَعْمَال المَرْضِيَّة الَّتِي يُحبها ربُّ البريَّة، والَّتِي يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أن يَحْرص عَلَيْها فِي هَذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّة؛ أنْ تَكُون سريرتُه مِن الشَّوَائب والأمراضِ صافيةً نقيَّةً. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسَّرَائرُ جَمْعُ سَرِيرَة، وهِي سرائر الله الَّتِي بَيْنَه وبَيْنَ عَبْدِه».(١)

لِأَنَّ صَلَاحَ الظَّواهِرِ لا يَكُون بَعْد عَوْن العَزِيزِ القادرِ إِلَّا بإِصْلاحِ السَّرَائِر. يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا حَسُنَت السرائرُ أَصْلَحَ اللهُ الظواهرَ».(٢)

---

(١) التِّبْيَانُ فِي أَقْسَامِ القُرْآنِ (ص٦٦).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٣/ ٢٧٧).

فلا نجاحَ وَلَا فلاحَ فِي الدَّارَيْنِ بما هُوَ ظَاهِرٌ إِذَا فَسَدَت النِّيَّاتُ والضَّمائرُ. يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَنْ أَصْلَحَ سريرتَه فَاحَ عبيرُ فضلِه، وعَبِقَت القلوبُ بِنَشْر طِيبِه.

فاللهَ اللهَ فِي السَّرَائر، فإنَّه مَا يَنْفعُ مَع فَسَادِها صلاحُ ظاهرٍ».(١)

فالأَعْمَالُ الَّتِي تَظْهر وتُرى عَلَى الجَوَارح أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضلُ هِي نِتَاجُ مَا فِي القَلْب وثَمَرةُ مَا تُخفِيهِ البَوَاطِنُ. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأَعْمَالُ نتائجُ السرائرِ البَاطِنةِ، فمَن كَانت سَرِيرتُه صَالِحَةً كَان عَمَلُه صالحًا، فتَبْدو سريرته عَلَى وجْهِهِ نُورًا وإشراقًا وحياءً، ومَن كَانت سَرِيرتُه فاسِدةً كَان عَمَلُه تابعًا لسَرِيرَته لَا اعتبارًا بصُورَتِه، فتَبْدو سَرِيرَته عَلَى وجْهِه سَوَادًا وظُلْمةً وشَيْنًا، وإن كَان الَّذِي يبدو عَلَيْه فِي الدُّنْيا إنَّما هُوَ عملُه لَا سَرِيرَته، فيومَ القِيَامَة تبدو عَلَيْه سَرِيرَته ويَكُون الحكم والظهور لها».(٢)

فمَا فِي القلب لَا بدَّ أن يَظهر عَلَى الأعضاء؛ لِأَنَّ صلاحَها هُوَ بِسَبَب صلاحه، وفسادها بِسَبَب فساده؛ فعَنِ النُّعْمَان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال:

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٦٨).

(٢) التِّبْيَانُ فِي أَقْسَامِ القُرْآنِ (ص٦٦).

قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِي الْقَلْبُ**».(١)

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَا كَان فِي القلب فَلَا بدَّ أن يَظْهر موجبُه ومقتضاه عَلَى الجوارح، وإِذَا لم يَعْمل بموجبه ومقتضاه دَلَّ عَلَى عَدَمِه أَو ضَعْفه، وَلِهَذَا كَانت الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ مِن موجِب إِيمَانِ القَلْب ومُقْتَضَاه، وهِي تصديقٌ لِمَا فِي القلب ودليلٌ عَلَيْه، وشاهِدٌ له، وهِي شُعْبةٌ مِن مجموع الإِيمَان المطلق وبعضٌ له، لكنَّ مَا فِي القلب هُوَ الأصل لِمَا عَلَى الجوارح».(٢)

فالعاقلُ فِي الحَقِيقَةِ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام هُوَ مَن يُعْطي لهَذَا الأمرِ المهمِ المزيدَ من الجَهْدِ والحِرْصِ والاهْتِمَامِ. يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواجبُ عَلَى العاقلِ الاهتمامُ بإصلاح سريرتِه والقيامُ بحِرَاسةِ قَلبِه عند إِقْبَالِه وإِدْبَارِه وحَرَكَتِه وسُكُونِه».(٣)

ويَسأل دَائِمًا العَزِيز العلَّامَ بمَا كَان يدعوه بِهِ خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٧/ ٦٤٤).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٢٧).

أفضل الصَّلَاة والسَّلَام بأنْ يُطَهِّر قلبَه مِن كلِّ الأوباءِ والأَدْوَاءِ والآثامِ، فَعَنْ زيدِ بن أرقم الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَان يقول: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أنت خَيْرُ من زَكَّاهَا أنت وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**».(١)

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى «زَكِّهَا» طَهِّرْهَا، ولفظةُ «خَيْرُ» ليست للتفضيل، بَلْ معناه لَا مُزكِّي لها إلَّا أنت، كمَا قَال «أنت وَلِيُّهَا»».(٢)

وَلمَا كَان هَذَا الفعلُ الكَرِيمُ بِهَذِهِ المنزلةِ العاليةِ والثمرةِ الجليلةِ الغاليةِ، أَوْلَاه مَن سَبَقَنا مِن الصَّالِحِين الاهتمامَ الكبيرَ والوقتَ الكَثِير؛ فكَانوا رَحِمَهم العَزِيزُ القديرُ يتواصَوْنَ بِهِ عند الالْتِقَاءِ والتَّذْكِيرِ. يَقُول الإمَام مُحَمَّد بن عبيد الله بن سعيد، أبو عون الكوفِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١١١هـ): «كَان أهلُ الخير إِذَا الْتَقَوا يُوصِي بعضُهم بعضًا بثلاثٍ، وإِذَا غابوا كَتَبَ بعضُهم إِلَى بَعْض بثلاثٍ: مَن عَمِلَ لآخرتِه كَفَاه الله دنياه، ومَن أَصْلَح فيمَا بينه وبين الله كَفَاه اللهُ النَّاس، ومَن أَصْلَح

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٧/ ٤١).

سريرتَه أَصْلَح الله علانيتَه».(١)

فَمَن كَان مِن أَصْحَابِ السَّرِيرَةِ النقيَّة والبَوَاطِنِ المَرْضِيَّة، فَلْيَحْمَدِ الكَرِيمَ العلَّامَ عَلَى هَذَا الجُودِ والإنعامِ. يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا كانت السريرةُ جيدةً صحيحةً فأَبْشِرْ بالخير».(٢)

ومَن كانت سريرتُه خبيثةً وطَوِيَّتُه قبيحةً، ومَعَ هَذَا يُظهِر لِلنَّاسِ الصَّلاحَ وأنَّه مِن أَصْحَابِ الحِرصِ عَلَى ما فِيهِ خيرٌ وفلاحٌ ونجاحٌ؛ فليراجعْ نفسه، وليُبادرْ بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى العَزِيزِ القادرِ قَبْل أنْ يَأتِيَ يَوْم تَنْكشِفُ فِيهِ السَّرَائرُ ويَظْهر مَا خَفِي وكَان مستَّورا فِي الضَّمَائرِ، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَاٰئِرُ﴾ [الطارق:٩].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعُني بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يَوْم تُخْتَبَرُ سرائرُ العِبَاد، فيَظْهر مِنْهَا يَوْمئذٍ مَا كَان فِي الدُّنْيا مُسْتَخْفِيًا عن أَعْيُن العِبَاد من الفَرَائِضِ الَّتِي كَان الله أَلْزَمَه إيَّاهَا، وكلَّفه العَمَل بها».(٣)

---

(١) رَوَاه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِه (٧/ ١٦٢).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٦٢).

(٣) تفسير الطَّبَرِي (٣٠/ ١٤٦).

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أيْ: تُخْتَبَرُ سرائرُ الصدورِ، ويَظْهر مَا كَان فِي القلوب مِن خيرٍ وشرٍّ عَلَى صفحات الوجوه. قَال تعالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ففِي الدُّنْيا، تَنْكَتِمُ كَثِير مِن الأمور، وَلَا تَظْهر عيانًا لِلنَّاسِ، وأمَّا فِي القِيَامَة، فيَظْهر بِرُّ الأبرارِ، وفُجُورُ الفُجَّارِ، وتَصِيرُ الأمورُ علانيةً».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا مَا فِي القلوب فمَوْعِدُه يَوْم القِيَامَة، تَنْكَشف السرائرُ، ويُحَصَّلُ مَا فِي الضمائر؛ وَلِهَذَا عَلَيْنَا أَيُّها الإِخْوَة أنْ نُطَهِّر قلوبَنا قبل كل شَيْء ثُمَّ جوارحَنا».(٢)

فعَلَى المُسْلِم أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أن يتعاهَدَ نفسَه ويعالجَها مِمَّا يصيبها من الأَدْوَاءِ والأَوْبَاءِ، ولْيحذرْ أشدَّ الحذر أن يغفُل عَنْها؛ لأَنَّهَا ميَّالةٌ للشهوات وأمَّارةٌ بما فِيهِ سوءٌ ومُنْكَرَات؛ يَقُول رب البريات: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفوسُ العبادِ تَأْمُرُهم بمَا تَهْوَاه،

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩١٩).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٢٨١).

وإنْ كَان هَوَاهَا فِي غيرِ مَا فِيهِ رضا الله».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَأْمُرُ صاحبَها أي النفس بمَا تهواه من شهواتِ الغَيِّ واتِّبَاعِ الباطل، فهِي مَأْوَى كلِّ سوءٍ، وإنْ أَطَاعها أي صاحبها قادَتْه إِلَى كل قبيح وكل مكروه».(٢)

وَهَذَا كَان دَأْبَ العقلاءِ والصَّالِحِين، وَهُو طَرِيقُ أَهْلِ الفَلَاحِ الموَفَّقِين. يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقلُ يفتِّشُ قلبَه فِي وُرُودِ الأوقات، ويَكْبَحُ نفسه عَن جَمِيع المَزْجُورَاتِ، ويَأْخُذها بالقِيَام فِي أَنْوَاعِ المَأْمُورَاتِ».(٣)

لِأَنَّهم يَعْلَمون أنَّ الخُسْرانَ والحِرْمانَ يَوْم الوقوفِ بين يَدَي العَزِيز الرَّحْمَن سيكونُ مِن نَصِيب أَصحابِ النُّفوسِ الخَبِيثةِ والسرائرِ القَبِيحَةِ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنفوس الخبيثة لَا تَصْلح أن تَكُون فِي الجَنَّةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا من الخَبَث شيءٌ،

---

(١) تفسير الطَّبَرِي (١٣/ ٣).

(٢) إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (ص٧٧).

(٣) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٢٩).

فإن ذَلِك موجِبٌ للفساد أَو غيرُ مُمْكِنٍ».[١]

فالله أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم مِن أَصْحَاب السَّرائرِ النقيَّةِ والضَمَائرِ المَرْضِيَّة، وأنْ يُجنِّبَنا جَمِيعًا سُوءَ وخُبثَ الطويَّةِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ البريَّة.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٤/ ٣٤٤).

علامَ ماذا تنافس؟!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الألفاظ الَّتِي يَكثر ذِكْرُها اليَوْم بين المُسْلِمِينَ حَتَّى أصبحَتْ تُنقَل عَلَى ألسنةِ الكَثِيرين هِي كلمة «التنافس»، يَقُول ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُنافَسَة فِي الشَّيءِ: المُشَاحَّةُ عَلَيْه والتنازُعُ فيه».(١)

ويَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا المنافسةُ والتنافُسُ فمعناهمَا الرغبة فِي الشيء وفِي الانفراد به، ونافَسْتُه منافسةً إِذَا رغِبتُ فيمَا رَغِبَ فيه».(٢)

---

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٢/ ١٠٥).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١١٩).

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المنافسةُ تَتَضَمَّنُ مسابقةً واجتهادًا وحرصًا».(١)

فمَا أَجْمَلَها مِن كلمةٍ ومَا أَرْوَعَها مِن عبارةٍ عَلَى الأَلْسِنَةِ تُقال، لكنَّ العاقلَ أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضلُ عن حَقِيقَة هَذَا التنافسِ قَد يَتَسَاءَلُ، فَيَرَى أنَّ هَذَا القولَ الَّذِي يُذْكَر عَلَى أَلْسِنَةِ الأكثر لَا يُطلق فِي الحَقِيقَة عَلَى مَا حثَّ عَلَيْه العَزِيز المقتدرُ؛ حَيْثُ قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: فلْيَرْغَبِ الراغبون بالمبادَرَة إِلَى طَاعَة الله عزَّ وجلَّ».(٢)

ويَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فَأَمَرَ المنافِسَ أن يُنَافِسَ فِي هَذَا النعيم، لَا ينافِسَ فِي نعيمِ الدُّنْيا الزائلِ».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ النعيم المقيم،

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٣/ ٤٨).

(٢) تفسير البَغَوِي (٤/ ٤٦١).

(٣) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٠/ ١١٣).

الَّذِي لَا يعلم حُسْنَه ومقدارَه إِلَّا الله، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ﴾ أيْ: فلْيتسابَقُوا فِي المبادَرَة إِلَيْه بالأَعْمَال الموصِّلة إِلَيْه، فَهَذَا أَوْلَى مَا بُذِلَت فِيهِ نفائسُ الأنفاسِ، وأَحْرَى مَا تزاحَمَت للوصولِ إِلَيْه فحولُ الرِّجَال».(١)

إذن عَلَى مَاذَا يُطْلِقُونه؟!

إنَّ التنافسَ الملاحَظَ اليَوْم بَيْن أكثرِ أفرادِ أمَّتِنا الإِسْلَامِيَّة هُوَ فِي الحَقِيقَة عَلَى أَمْرٍ قَد خَشِيَه عَلَى أُمَّتِه خيرُ البريَّة؛ أَلَا وهو التنافُسُ عَلَى الدُّنْيا الفانِيَة الدَّنِيَّة، فَعَنْ عمرو بن عوف الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَن كَان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**».(٢)

يَقُول ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث تَحْذِيرٌ مِن فتنةِ الدُّنْيا، فإنَّ مَن طَلَبَ مِنْهَا فوقَ الحاجةِ لَمْ يَجِدْ لِمُرَادِه مَرَدًّا، ومَنْ قَنَعَ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩١٦).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٢٩٨٨) ومسلم (٢٩٦١) واللفظ له.

بالبلاغ بَلَغَ المَنْزِل سليمًا من الشرِّ».[١]

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَا كَان النَّاس إِلَى الفقر أَقْرَبَ، كَانوا لله أَتْقَى وأَخْشَعَ وأَخْشَى، ولَمَا كَثُر المال، كثُر الإعراض عن سبيل الله، وحَصَلَ الطغيان، وصار الإِنْسَان الآن يتشوَّف لزهرةِ الدُّنْيا وزينتها: سيارة، بيت، فرش، لباس ... يباهِي النَّاس بِهَذَا كلِّه، ويُعْرِض عمَّا يَنْفعُه فِي الآخِرة.

وصَارَت الجَرَائدُ والصُّحُفُ ومَا أَشْبَهَها لَا تَتَكلَّم إِلَّا بالرَّفَاهِيَةِ ومَا يتعلق بالدُّنْيا، وأَعْرَضوا عن الآخرة، وفَسَد النَّاس إِلَّا مَن شاءَ اللهُ.

فالحاصلُ أن الدُّنْيا إِذَا فُتِحَت نسأل الله أن يَقِيَنَا وإياكم شرها فأَنَّهَا تجلب شرًّا وتُطْغِي الإِنْسَان».[٢]

فالتنافُس اليَوْم بَيْن أكثر المُسْلِمِينَ صار وللأسف فِي مَن يَكُون أكثرَهم مالًا وأوسعَهم تجارةً، وبعضُهم أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أَصْبَحَ عِنْدَهم فِي فَوْز النَّوَادِي والمُنْتَخَباتِ، وجماعة مِنْهُم فِي مَن يَتَقَرَّبُ أَكْثَرَ

---

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٢/ ١٠٥).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٣٦١).

مِن الفنَّانِين والفَنَّاناتِ والمُمثِّلِين والمُمَثِّلات، وقد نَسِي هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أن هَذِهِ الأَفْعَالَ هِي مِن الشهواتِ والملذَّاتِ الَّتِي مَن غرَّتْه بزينتها فسيَلْحَقُه بعدَ ذَلِك بِسَبَبها الندمُ والحسراتُ، هَذَا إن لم يَتُبْ ويرجعْ إِلَى ربِّ البَرِيَّات، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرورُ الدُّنْيا أحلامُ نومٍ أَو كَظِلٍّ زائلٍ، إِنْ أَضْحَكَت قليلًا أَبْكَت كَثِيرا، وإِنْ سرَّت يَوْمَا ساءت دهرًا، وإِنْ متَّعت قليلًا مَنَعَت طويلًا، ومَا مَلَأَت دارًا خيرةً إِلَّا مَلَأَتها عبرةً، وَلَا سَرَّتْه بيومِ سرورٍ إِلَّا خَبَّأَت لَهُ يَوْم شرورٍ».(١)

فهل يُعقَل أن يُنافِس المُسْلِم عَلَى أمرٍ مصيرُه، وإِنْ طَالَ، إِلَى زوالٍ؟! يَقُول الإِمَام ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيا قَبْلَ أن يوجَدَ رَأَى مدَّةً طويلةً؛ فإِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا بَعْدَ أنْ يَخْرُجَ مِنْهَا رَأَى مدَّةً طويلةً، وعَلِمَ أنَّ اللَّبْثَ فِي القُبُور طويلٌ، فإِذَا تَفَكَّرَ فِي يَوْم القِيَامَة عَلِمَ أَنَّهُ خمسون ألف سنةٍ، فإِذَا تَفَكَّرَ فِي اللَّبْثِ فِي الجنةِ أَو النارِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نهاية له؛ فإِذَا عاد إِلَى النظر فِي مقدار بقائه فِي الدُّنْيا فَرَضْنَا ستين سنةً مثلًا فإنه يمضي ثلاثين سنةً فِي النوم، ونحوًا من خمسَ عشرةَ فِي الصبا؛ فإِذَا حَسَب الباقي؛ كَان أكثرُه فِي الشَّهَوات والمَطَاعم

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

والمَكَاسِب، فإذَا خلص مَا للآخرة؛ وَجَد فِيهِ مِنَ الرِّيَاء والغَفْلة كَثِيرا، فَبِمَاذَا تَشْتَرِي الحَيَاة الأَبَدية؟ إنَّمَا الثَّمَن هَذِهِ السَّاعَات!»(١)

أَلَيْس أَجْدَرَ بِهِ أن يُنافس أخاه عَلَى عَمَلِ الطَّاعَات والتزوُّد بالخيرات والحِرْص عَلَى اجْتِنَاب المَعَاصِي والمُنْكَرات لِيَنَالَ جَنَّة ربِّ البَرِيَّات بإذن ربِّ الأَرْض والسَّمَوات؟! يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الجنةَ أعَلَى المَطَالب، وأفضلُ مَا بِهِ يتنافس المتنافسون، وكلمَا عَظُم المطلوب عَظُمَت وسيلتُه، والعملُ المُوصلُ إِلَيْه، فَلَا يُوصَل إِلَى الرَّاحة إِلَّا بترك الراحة، وَلَا يُدْرَك النعيمُ إِلَّا بِتَرْك النعيم، ولكنَّ مَكَارِهَ الدُّنْيا الَّتِي تُصِيبُ العَبْدَ فِي سبيل الله عند تَوْطِينِ النَّفْس لها، وتمرينِها عَلَيْها، ومعرفة مَا تَؤول إِلَيْه؛ تَنْقَلب عِنْدَ أَرْبَاب البَصَائر مِنَحًا يُسَرُّونَ بها، وَلَا يُبَالُون بها، وَذَلِك فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَن يَشَاء».(٢)

فكيف بمسلمٍ خُلِق لِأَمر عظيم أَلَا وهو عِبَادة العَزِيز العَلِيم أنْ يَجْعَل جُلَّ وَقْته ويقضي أكثر سَاعَاته فِي المنافسة عَلَى أمورٍ دنيويَّةٍ لَا تَعُود عَلَيْه بالنفع يَوْم وُقُوفِه بَيْن يديْ رب البريَّة؟!

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٥٠٥).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٠).

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَيْف يَكُون عاقلًا مَن باعَ الجنةَ بمَا فِيهَا بشهوةِ ساعةٍ؟!»(١)

أَلَمْ يكن الأَوْلى بشباب المُسْلِمِينَ بَدَلَ أنْ يتنافسوا عَلَى أمورٍ لَا تَعُود عَلَيْهم بالنفع فِي الدَّارَيْن أن يتسابقوا إِلَى مجالس العُلَمَاء الربانيين ويحرصوا عَلَى التفقُّه فِي الدين؟! يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أَوْلى مَا يَتنافس بِهِ المتنافسون، وأَحْرى مَا يَتَسابق فِي حَلَبَةِ سِبَاقه المتسابقون، مَا كَان بسعادةِ العَبْدِ فِي مَعَاشِه ومَعَادِه كفيلًا، وعَلَى طريق السَّعَادَة دليلًا، وذَلِك العلمُ النَّافِع والعملُ الصَّالحُ اللَّذان لَا سعادةَ للعبد إِلَّا بهما، وَلَا نجاةَ لَهُ إِلَّا بالتَّعَلُّق بِسَبَبهما، فمَن رُزِقَهُمَا فقد فاز وغَنِمَ، ومَن حُرِمَهُمَا فالخيرَ كُلَّهُ حُرِمَ، وهُمَا مَوْرِدُ انقسام العباد إِلَى مَرْحُومٍ وَمَحْرُومٍ، وبهمَا يتميَّز البَرُّ من الفاجر والتَّقِيُّ من الغويِّ والظالمُ من المظلومِ».(٢)

فعَلَى المُسْلِم أن يَستعمل هَذَا الفعلَ فِي مكانه الحَقِيقِي، وعَلَيْه كَذَلِك أَلَّا يَغترَّ بصَرْف بعضهم لَهُ وجَعْلِهم لَهُ فِي غير موطنه، مهمَا

---

(١) الفَوَائِدُ (ص٣١).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥).

زَيَّنوا ذَلِك بِكُلِّ الوَسَائِل وزخرفوه. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأغنانا سُبْحَانَه عن طلب التنافس فِي الدُّنْيا وعاجلها بمَا أَحَبَّه لنا، ونَدَبَنا إِلَيْه من التنافس فِي الآخرة ومَا أَعَدَّ لنا فيها».(١)

ولْيعلمْ أَيْضًا أَنَّ أعظمَ صُوَر التنافس أنْ يَحْرص أشدَّ الحرص عَلَى استثمار وقته فيمَا يعود عَلَيْه بالنفع والخير، بإذن الكَرِيم القدير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظمُ الربح فِي الدُّنْيا أنْ تَشْغَل نفسَك كلَّ وقتٍ بما هُوَ أَوْلى بِهَا وأَنْفَعُ لها فِي معادها».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفِّقَنا وإياكم لكلِّ مَا يحبه ويرضاه، وْأن يُجنِّبَنا كلَّ مَا يُبغضه ويَأْباه، وأنْ يَجْعَلنَا جَمِيعًا عَلَى مَا ينفعنا فِي الدَّارَيْن مِن المتنافسين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

---

(١) إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (٢/ ٧٠).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٣١).

ما أجمل التبسم عند
لقاء أخيك المسلم!

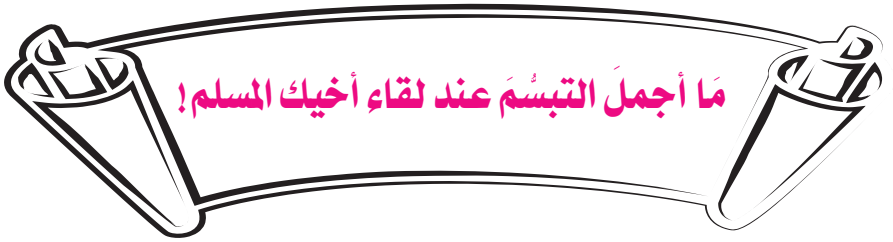

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نبينا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ من أَسْبَاب نَيْل العَبْد لرضا الكَرِيم المنَّان، ومِن الوَسَائِل الَّتِي تُعِينه عَلَى دخول الجِنَان بعد تَحْقِيقه تَقْوى العَزِيز الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنْ يتَّصِف بمحاسن الآداب ومعالي الأَخْلَاق، الَّتِي هِي كَذَلِك من علامات كمال الإِيمَان، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاس الْجَنَّةَ، فقال: «**تَقْوَى الله، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٠٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

تقوى الله وحُسن الخلق؛ لِأَنَّ تقوى الله يُصْلح مَا بين العَبْد وبين ربه، وحُسن الخلق يُصْلح مَا بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجِب لَهُ محبةَ الله، وحُسنُ الخلقِ يدعو النَّاس إِلَى مَحَبَّته».(١)

ومِن هَذِهِ الصِّفَات الكَرِيمة والخِلال القويمة، الَّتِي يَنْبَغِي للمسلم أن يَحرص عَلَى التَّحَلِّي بها، هِي أن يَكُون ذا بَشَاشة عند تعامُله والْتِقَائه واجتماعه مع إِخْوَانه، يَقُول الإِمَام المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البَشَاشَة هِي: طَلَاقة الوجه، مع الفرح، والتَّبسُّم، وحسن الإقبال، واللُّطف فِي المسألة».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإِنْسَان يَنْبَغِي لَهُ أن يَلْقى أخاه بوجه طَلْقٍ وبكلمة طيبة، لينال بذَلِك الأجرَ والمَحَبَّةَ والأُلْفةَ، والبعد عن التكبر والترفع عَلَى عباد الله».(٣)

فَهَذَا الخُلُق الرفيع، وإن كَان يُرى أَنَّهُ يسيرٌ، إِلَّا أنَّ فَضْلَه كَبِير وخيرُه عَلَى صاحبه والآخرين كَثِير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) الفَوَائِدُ (ص٥٤).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩١).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٦١).

«فمَا استُجْلِبَ خيرُ الدُّنْيا والآخرةِ بمثل الأدب، وَلَا استُجْلِبَ حرمانُهَا بمثلِ قِلَّة الأَدَبِ».(١)

فصاحبه بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقتدٍ، وبطريقته فِي التعامل مع النَّاس مُهتدٍ؛ فعن عَبْد الله بن الْحَارِثِ الزبيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَا رأيتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا من رَسُول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِأَنَّ شَأْنَ الكُمَّلِ إِظْهَارَ الانبساطِ والبِشْر لِمَن يُرِيدونَ تَأْلُّفِه واستعطافِه».(٣)

ولْيَسْعَدْ ولْيَفْرَحْ كُلُّ مَن اقتدى بنبيِّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم فعمِل بِهَذَا الخُلُق القويم؛ لأَنَّهُ قَد أتى بمَا أوصاه بِهِ العَزِيز العظيم؛ حَيْثُ قَال العليم الحكيم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يَقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة أَصْلٌ كَبِير فِي

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٦٤١)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٦).

التَّأَسِّي برَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِه وأَفْعَالِه وأَحْوَالِه».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَذِهِ الأُسْوَة الحَسَنَة، إنَّمَا يَسْلُكُها ويُوَفَّقُ لها مَن كَان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ، فإنَّ مَا معه مِن الإيمَان وخَوْفِ الله ورجاءِ ثَوَابِه وخَوْفِ عقابِه يحثُّه عَلَى التأسِّي بالرَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(٢)

وهو كذَلِك أَيُّها الأَحْبَابُ سَيَنال عَلَيْه يَوْم القِيَامَة بإذن الكَرِيم الوهاب الأجرَ والثَّوَابَ، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ» أيْ فِي الإِسْلَام «لك صَدَقَةٌ» يعني إظهارك لَهُ البشاشة والبِشر إِذَا لقيته تُؤْجَر عَلَيْه كمَا تؤجر عَلَى الصدقة».(٤)

وَهَذَا الخُلُق الجميل أَيُّها الأَفَاضِلُ الكرام سيكون لَهُ أَيْضًا عونًا

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٤٧٥).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٤٢٠).

(٣) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٩٦٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٤٢).

عَلَى كسب مودة واحترام الأَنَام بإذن العَزِيز العلَّام، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طلاقة الوجه والبِشْر المحمود وسطٌ بين التَّعبيس والتَّقطيب، وتصعير الخدِّ، وَطَيِّ البِشْر عن البَشَر، وبَيْن الاسترسال مع كلِّ أحد بِحَيْثُ يُذهب الهَيْبَةَ، ويُزيل الوقارَ، ويُطَمِّع فِي الجانب، كمَا أنَّ الانحراف الأوَّل يُوقِعُ الوَحْشة والبِغْضَة والنُّفرة فِي قلوب الخَلْق. وصاحبُ الخُلُق الوسط: مَهِيبٌ محبوبٌ، عزيزٌ جانبُه، حبيبٌ لقاؤه».(١)

فهو وإن كان غالِبُ النَّاس يَبْخلون بِهِ وَلَا يهتمون بأمره، فإنه مِن أهم الأَسْبَاب الَّتِي تَدْفع الشَّحْنَاءَ وما قَد يُوجد فِي القلوب من الحقد والحسد والبغضاء. يَقُول ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البَشاشة إدامُ العُلَمَاء وسجيَّةُ الحكماء؛ لِأَنَّ البِشْر يطفئ نارَ المعانَدة ويَحْرق هَيجان المباغضة، وفِيهِ تحصينٌ مِن الباغي ومنجاةٌ من الساعي».(٢)

فعَلَينا جَمِيعًا أن نجتهد دومَا فِي تَحْقِيق هَذَا الخلق القويم والأدب الكَرِيم؛ لأَنَّهُ من المَعْرُوف الَّذِي سينفعنا يَوْم وقوفنا بين يدي العَزِيز العظيم بإذن الجواد العليم، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣١١).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (٧٥).

قَال لِيَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنّ من الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه سهل منبسط فِيهِ الحثُّ عَلَى فضلِ المَعْرُوف ومَا تيسَّر منه، وإنْ قل حَتَّى طلاقةُ الوجه عند اللقاء».(٢)

ويَقُول ابنُ عَلَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: بِوَجْهٍ ضاحِكٍ مستبشِرٍ، وذَلِك لما فِيهِ من إيناسِ الأخِ المؤْمن ودَفْع الإِيحَاشِ عَنْه وجَبْرِ خاطرِه، وبذَلِك يَحْصُل التأليفُ المطلوب بين المُؤْمِنِينَ».(٣)

مع تذكيرِ النَّفْس عند الإتيان بِهِ بأهمِّ مَا يُعِينُنا عَلَى المداومة عَلَيْه؛ أَلَا وهو احتساب أجر هَذَا العَمَل والثَّوَاب عند الكَرِيم الوهاب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ كلَّ عملٍ لَا بدَّ لَهُ مِن مبدأٍ وغايةٍ، فَلَا يَكُون العملُ طَاعَة وقُرْبةً حَتَّى يَكُون مَصْدرُه عن الإِيمَان، فيكونَ الباعثُ عَلَيْه هُوَ الإِيمَان المَحْضَ لَا العادةَ وَلَا الهوى وَلَا

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٧).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٣٥٦).

طَلَبَ المَحْمَدَةِ والجَاهِ وغير ذَلِك، بَلْ لَا بدَّ أن يَكُون مَبْدؤُه محض الإيمَان وغايتُه ثوابَ الله وابتغاءَ مرضاتِه، وهو الاحتساب».(١)

وعَلَى طَلَبَة العِلم والدُّعَاةِ إِلَى الدِّين أن يكونوا مِن أحرصِ المُسْلِمِينَ عَلَى التَّحلِّي بِهَذَا الخُلُق الرفيع؛ لأَنَّهُ أَيْضًا مِن أهمِّ الوَسَائِل المُعِينَة لهم عَلَى التأثير عَلَى الآخرين وكَسْبِ مَحَبَّة المدعوِّين، فالعِلمُ الشرعي الَّذِي ينفع صاحبه عند الكَرِيم الوهاب هو الَّذِي يُزيَّن بمعالي الأَخْلَاق ومحاسن الآداب، يَقُول الإِمَام عَبْد الله بنُ المُبَارَك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَنْبُل الرَّجُلُ بنوعٍ مِن العِلم مَا لم يُزَيِّنْ عِلمَه بالأدب».(٢)

وعلينا أن نَعْلم فِي الختام أَيُّها الأَحِبَّة الكرام أنَّ الَّذِي يُعامِل بِهَذَا الخُلُق الجميل لَا بدَّ أن يَكُون مِن أهل الإِسْلَام أَو مِمَّن نرجو إسلامَه من الأَنَام، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَتلقَّى بالبِشْر وطَلَاقة الوجه هُوَ المؤمن، أمَّا الكافر فإنْ كَان يُرْجى إسلامُه إِذَا عاملناه بطلاقة الوجه والبِشْر فإنَّنا نُعامِلُه بذَلِك رجاءَ إسلامِه وانتفاعِه بِهَذَا اللقاء وأمَّا إِذَا كَان هَذَا التواضعُ وطلاقةُ الوجه لَا يَزيدُهُ

---

(١) الرسالة التبوكية (ص١٠).

(٢) الآداب الشرعية لِابن مفلح (٣/ ٥٢٣).

إِلَّا تعاليًا عَلَى المُسْلِم وترفُّعًا عَلَيْه فإنَّه لَا يقابَل بذَلِك».(١)

فبَعْد أَنْ عَرَفْنا أَيُّها الكِرَام فَضْل هَذِهِ الخَصْلة الحَمِيدة والصِّفَة القَوِيمَة، وأَنَّهَا من الأَخْلاق الجَمِيلَة الَّتِي لَهَا فِي الدِّين مَكَانةٌ رفيعةٌ، وأَنَّهَا مِن أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة بَيْن المُسْلِمِينَ والأُلْفة والإِخَاء والقَضَاء عَلَى ما قَد يُوجَد بَيْنهم مِن عداوةٍ وحِقْدٍ وحَسَدٍ وبَغْضَاء، فَعَلَيْنا أنْ نَحْرص عَلَى تَحْقِيقها، وَلَيْسَ فِي ذَلِك جُهْد كَبِير وَلَا عَنَاء، بَلْ إنَّ صَاحِبها قَد نَالَ بِهَا مُتابَعة نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَان مِن أهل الاقْتِدَاء، فهَنِيئًا لَه بِشَرف الاهتداء، يَقُول الإِمَام ابْن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِقَاءُ النَّاس بالتَّبَسُّم وطَلَاقة الوَجْه مِن أَخْلاق النُّبُوَّة، وَهُو مُنَافٍ لِلتَّكَبُّر وجَالِبٌ للمودَّة».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم هُدَاةً مُهْتَدين، وبِنَبِيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْتَدِينَ، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا الوقوع فيمَا يُفسد الدين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٦١).

(٢) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابن بَطَّال (٥/ ١٩٣).

غلاء الأسعار
أسباب ... وعلاج

غلاء الأَسْعَار ... أَسْبَاب ... وعلاج

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَشْتكي مِنْهُ الكَثِير مِن المُسْلِمِينَ اليَوْم فِي شَتَّى البُلْدانِ الإِسْلَامِيَّة، بَلْ وكَثُر عَلَيْه الكَلامُ حَتَّى فِي وَسَائِل الإعلام المَقْرُوءة والمَسْموعة والمَرْئيَّة، أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام؛ أنَّ أَسْعَار الأَطْعمة والأَشْرِبة وسَائِرِ الحاجات وحتَّى الكَمَاليَّات قَد ارتَفَع وزَادَ ثمنُها عن المُعْتَاد فِي الأَسْواق والمَحَلات التِّجارية؛ وبالتَّالِي لَمْ يَعُد لِكَثِير مِن النَّاس القُدْرةُ الشِّرائيَّة عَلَى تَحْصيل حَتَّى مُتَطَلَّبَاتِهم الضَّرورِية فَضْلًا عن التَّكْمِيليَّة، يَقُول الإِمَام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغَلَاء مَمْدُودٌ وَهُو ارتفاعُ السِّعْرِ عَلَى مُعْتَادِه».[1]

---

(١) سُبُل السَّلَامِ (٣/ ٢٥).

ولا يُنْكِر عاقلٌ أَيُّها الأَفَاضِلُ أنَّ ضَرَرَ هَذَا البَلَاء خَطِيرٌ، وأَنَّه إِذَا لَمْ يُعالَج فَسَيَعُود عَلَى الأفْرَاد والمُجْتَمعاتِ بِشَرٍّ كَبِير، لَا يَحْفَظُنا مِنْهُ إِلَّا العَزِيز القَدِير.

لكنَّ الَّذِي يَتَعَجَّبُ مِنْهُ المُؤْمن أنَّ الكَثِير ممَّن يتكلَّمون عَلَى هَذَا الدَّاء ويَتَطرَّقون إِلَى أَسْبَابه وإِلَى الوَسَائِل المُساعِدة عَلَى التَّخلُّص مِنْهُ قَد جَعَلوا أَسْبَابه دنيويَّة مَحْضَة؛ فيتكلَّمُون مَثَلًا أنَّ مِمَّا ساهَم فِي ظهورِه مَا نَراه مِن احْتِكار بَعْض التُّجَار لِبَعض السِّلع الَّتِي مِنها مَا لَا يَستَغْني عَنْها الإِنْسَان فِي يَوْمه، ثُمَّ يَقُوم هَؤُلَاءِ أي التُّجَّار بِبَيْعِها بَعْد نَفَادِها مِن السُّوق عَلَى النَّاس بأَسْعَار باهِظَة جدًّا دُونَ اهتمامهم بحَال المُسْلِمِينَ، وأنَّ الكَثِير مِنْهُم قَد لَا يَسْتَطيع شِرَاءها، وَهَذَا الفِعْل مِنْهُم لَا شَكَّ أَنَّهُ خاطِئٌ وهُو مُحَرَّم؛ فَقَدْ حَذَّر مِنْهُ نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ مَعْمَر بْنِ عَبْد الله القُرَشِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ»**.(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال أَهْل اللُّغَة «الخاطئ» بالهَمْزِ هُوَ العَاصِي الآثِمُ، وَهَذَا الحَدِيث صَرِيحٌ فِي تَحْرِيم الِاحْتِكَار، قَال

(١) رَوَاه مسلم (١٦٠٥).

أَصْحَابنا الاحْتِكَار المُحَرَّم هُوَ الِاحتكَارُ فِي الأَقْوَات خاصَّة، وهُوَ أنْ يَشْتَري الطَّعَام فِي وَقْتِ الغَلاءِ للتِّجَارةِ وَلَا يَبِيعُه فِي الحَال، بَلْ يَدَّخرُه لِيَغْلُوَ ثَمَنُه، فأمَّا إِذَا جَاءَ مِن قَرْيَته أَو اشْتَراه فِي وَقْت الرُّخْص وادَّخَره أَو ابْتَاعَه فِي وقت الغَلاءِ لِحَاجتِه إِلَى أَكْلِه أَو ابْتَاعَه ليَبِيعَه فِي وَقْتِه فَلَيْسَ بِاحْتِكَار وَلَا تَحْرِيمَ فِيه، وأمَّا غيرُ الأَقْوات فَلَا يَحْرُم الاحتكار فِيهِ بِكُلِّ حالٍ، هَذَا تَفْصيلُ مَذْهبِنا. قَالَ العُلَمَاء: والحِكْمَة فِي تَحْريم الاحتكار دَفْعُ الضَّرَر عن عَامَّة النَّاس كَمَا أَجْمَع العُلَمَاء عَلَى أَنَّهُ لَو كَان عِنْد إِنْسَانٍ طَعَامٌ واضْطُرَّ النَّاس إِلَيْه ولَمْ يَجِدوا غَيْره أُجْبِرَ عَلَى بَيْعه دَفعًا للضَّرَرِ عن النَّاس».(١)

وَلِذَا عَلَى الصَّحِيح فإنَّ عَلَى مَن يَقُوم عَلَى شُؤون المُسْلِمِينَ مِن حُكَّام أَو مَن يَنُوب عَنْهم إِذَا رَأَوا مِن هَؤُلَاءِ التُّجَّار الجَشَعَ والطَّمَعَ ومُجَاوَزَةَ الحَدِّ واسْتِغْلالَهم حاجةَ الآخَرِين وعَدَم تمكُّن الكَثِير مِن النَّاس اقتناءَ هَذِهِ السِّلَع الضَّرُورِية أنْ يَضَعوا سِعْرًا مناسِبًا يَلْتزم بِهِ التُّجَّار عِنْد بَيْعهم لِهَذِهِ السِّلع، بِحَيْثُ لا يَكُون فِيهِ كَذَلِك التَّعَدِّي عَلَى حقِّ التُّجَّار وإِنَّما فِيهِ مُراعاة مَصْلَحَة حقِّ الطَّرَفين، يَقُول شَيْخُ

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١١/ ٤٣).

الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السِّعر مِنْهُ ما هُوَ ظُلْم لَا يَجُوز ومِنْه ما هُوَ عَدلٌ جائز، فإِذَا تَضَمَّنَ ظلمُ النَّاس وإِكراهُهم بغَيْر حقٍّ عَلَى البَيع بثَمَنٍ لَا يَرْضونه، أَو مَنْعِهم مِمَّا أَبَاحه الله لَهُم فَهُوَ حرامٌ، وإِذَا تَضَمَّن العَدْلُ بَيْن النَّاس مِثْل إِكراهِهِم عَلَى مَا يَجِب عَلَيْهم مِن المُعَاوَضَة بثمنِ المِثل، ومَنْعهم مِمَّا يَحْرم عَلَيْهم مِن أَخْذ زِيَادةٍ عَلَى عِوَض المِثل فَهُوَ جائز بَلْ واجبٌ».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاعُ الأَمْر أَنَّ مَصْلَحَةَ النَّاس إِذَا لم تَتِمَّ إِلَّا بالتَّسْعير سَعَّرَ عَلَيْهم تَسْعِيرَ عَدْلٍ لَا وَكْسَ؛ أَيْ نَقْص، وَلَا شَطَطَ؛ أَيْ ظلم. وإِذَا انْدَفعت حاجَتُهم وقَامت مَصْلَحَتهم بِدونه لَم يُفعل».(٢)

وعَلَى التَّاجِر أَنْ يَعْلم أَنَّه إِذَا لم يتَّقِ فِي تِجَارته العليمَ المَنَّانَ ويَبْتعدْ عَن الغِشِّ والإِضرار بالآخرين وسائرِ أنواعِ الآثامِ والعصيانِ، ويَحْرص عَلَى الرِّفق بالأَنَامِ عَلَى قَدْر الإِمكَانِ فإِنَّهُ مُتوعَّد بوعيدٍ شديدٍ يَوْم وقوفِهِ بين يَدَي العَزِيز الرَّحْمَن، فعَن رِفَاعة بْنِ رَافِع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٨/ ٧٦).

(٢) الطرق الحكمية (ص٣٨٣).

رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنّ التُّجّار يُبْعَثُونَ يَوْم الْقِيَامَةِ فُجّارًا إِلّا مَن اتّقَى الله وَبَرّ وَصَدَقَ**».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْله «إِنَّ التُّجَّارَ» بِضَمِّ الفَوْقِيَّةِ وتَشْدِيد الجِيم جَمْعُ تاجر «يُبْعَثُونَ يَوْم الْقِيَامَةِ فُجَّارًا» جمع فاجرٍ من الفُجُور «إِلَّا مَن اتَّقَى الله» بأنْ لَم يَرْتكب كَبِيرةً وَلَا صغيرةً مِن غشٍّ وخيانة؛ أيْ أَحْسَنَ إِلَى النَّاس فِي تجارته أَو قَامَ بطَاعَة الله وعبادته، «وَصَدَقَ» أيْ فِي يمينه وسائر كلامه».(٢)

ومِن الأَسْبَاب الَّتِي تُذكر أَيْضًا وأدَّت أَيْضًا إِلَى غلاء الأَسْعَار فِي الأسواق مَا تمرُّ بِهِ كَثِير مِن الدُّوَل فِي هَذِهِ الفترة مِن قِلَّة الدَّخْل بِسَبَب انخفاضِ سعر بِرْميل البترول الَّذِي تعتمد عَلَيْه الكَثِير من الدُّوَل الإِسْلَامِيَّة فِي صادراتها لِكَسْب المال، وكذَلِك يُشيرون إِلَى الأَزَمَات والحوادثِ والاضطراباتِ الَّتِي تَشْهَدها عِدَّة مناطقَ فِي العَالَم اليوم، خاصَّة الإِسْلَامِيَّة مِنْهَا، وَهَذَا مِمَّا جعل الكَثِير مِن الدول تُحَاول أنْ تغطِّيَ العجز الَّذِي أصاب ميزانيَّتَها السنوية برفع أَسْعَار بَعْض السلع،

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٢١٠)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٩٩٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٣٣٦).

حَتَّى الضرورية مِنْهَا.

لا نُنكر أبدًا أَيُّها الأَحْبَابُ أن هَذِهِ الأمور هِي مِن الأَسْبَاب الَّتِي ساهمت فِي ظهور هَذَا الوباءِ، لكنْ يَنْبَغِي لكلٍّ منَّا أن يسأل نفسه عن السببِ الحَقِيقِي والرئيسيِّ فِي بُرُوز هَذَا المرض!

الحَقِيقَة الغائبة عن كَثِير مِنَ الأذهان أَيُّها الكِرَام والَّتِي لَا يُريد أن يُقرَّ بِهَا الكَثِير مِن أبناء الإِسْلَام أنَّ السبب الحَقِيقِي فِي ارتفاع الأَسْعَار هِي كَثْرة الذُّنُوب والآثامِ الَّتِي تَصْدر من الأَنَام، فأَصْبَحَت البِدَعُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ظاهرةً بَلْ حَتَّى الشِّرْكُ بِرَبِّ البَرِيَّة أَصْبح مُتَفشِّيًا فِي الكَثِير مِن الأقطار الإِسْلَامِيَّة، أمَّا المَعَاصِي والمُحَرَّمَات فقدْ أصبحَت والعياذ بالله عادةً عند الكَثِيرين، تُصَاحبهم فِي الصَّبَاح والمَسَاء؛ فَنَرَى مِن المُسْلِمِينَ اليَوْم مَن يَظْلم غَيْره ويتعدَّى عَلَى حقوقه، ومِنْهم مَن يتساهل فِي أمر الاختلاط والتبرُّج والسُّفُور والحِرْص عَلَى سَمَاع الأغاني ومُشَاهَدة المسلسَلَاتِ الهابطة والبرامج الساقطة الَّتِي تَدْعو إِلَى كلِّ رذيلة وتُحَارب كلَّ فضيلة، وغيرَ ذَلِك من المُحَرَّمَات والمُنْكَرات، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالغلاءُ بارتفاعِ الأَسْعَار والرُّخصُ بانخفاضها، همَا من جملة الحوادث

الَّتِي لَا خالِقَ لها إِلَّا الله وحده، وَلَا يَكُون شيءٌ مِنْهَا إِلَّا بمشيئته وقُدْرته، لكنْ هُوَ سُبْحَانَه قَد جعل بَعْض أَفْعَال العِبَاد سَبَبًا فِي بَعْض الحوادث، كمَا جَعَل قَتْل القاتِل سَبَبًا فِي مَوْت المقتول، وجَعَل ارتفاعَ الأَسْعَار قَد يَكُون بِسَبَب ظُلْم العِبَاد، وانخفاضَها قَد يَكُون بِسَبَب إحسانِ بَعْض النَّاس».(١)

فعَلَى العَبْد أن يَعْلم جيدا أن المصائب الَّتِي تُصيبه، والنِّقم الَّتِي تَحِلُّ بِهِ مَا هِي إِلَّا بِسَبَب مَا عَمِل ومَا قَدَّمت يَدَاه، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِرُ تعالى أَنَّهُ مَا أَصَابَ العِبَادَ مِن مُصِيبَة فِي أَبْدَانِهم وأَمْوَالِهم وأولادِهم وفيمَا يُحِبُّون ويَكُونُ عَزِيزًا عَلَيْهم، إِلَّا بِسَبَب مَا قَدَّمَتْه أَيْدِيهم مِنَ السَّيِّئَات، وأَنَّ مَا يَعْفو اللهُ عَنْه أكثرُ، فإِنَّ الله لَا يَظْلمُ العِبَاد، ولكنْ أَنْفُسَهم يَظْلِمون».(٢)

فانْتِشَار الفساد وارتفاع أَسْعَار السلع فِي الأسواق وإصابتها

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٨/ ٥٢٠).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٥٩).

بِسَبَب عدم شِرَائها بالتَّلَف والكَسَاد ما هُوَ فِي الحَقِيقَة إِلَّا بِسَبَب كثرة الذُّنُوب والبعد عن طَاعَة علاَّم الغيوبِ، يَقُول تعالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ ظَهَر قِلَّةُ الغَيْثِ وغَلاءُ السِّعْرِ. ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾»(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: استُعْلِنَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْر؛ أيْ فَسَاد مَعايِشِهم ونَقْصُها وحلولُ الآفاتِ بها، وفِي أَنْفُسِهم من الأمراض والوباء وغير ذَلِك؛ وذَلِك بِسَبَب مَا قَدَّمَت أَيْدِيهم مِن الأَعْمال الفاسدة المُفْسِدة بطَبْعها.

هَذِهِ المَذْكُورة ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أيْ: لِيَعْلموا أَنَّهُ المُجَازي عَلَى الأَعْمال فعَجَّل لَهُم نُمُوذجًا مِن جَزَاء أَعْمَالهم فِي الدُّنْيا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَن أَعْمَالهم الَّتِي أَثْرَت لَهُم مِن الفَسَاد مَا أَثْرَت، فتُصْلح أَحْوالهم ويَسْتقيم أَمْرُهم. فسُبْحَانَ مَنْ أَنْعم بِبَلائه وتَفضَّل

(١) تفسير القُرْطُبِي (١٤/ ٤١).

بعُقُوبَته، وإِلَّا فلَوْ أَذَاقهم جَمِيع مَا كَسَبوا مَا تَرَك عَلَى ظَهْرها مِن دابَّة».(١)

فعَلَى المُسْلِم أنْ يَعْلم يقينًا أن المَعَاصِي والذُّنُوب هِي أصل كُلِّ دَاءٍ، وسَبَب كُلِّ بَلَاءٍ، ومَصْدر كُلِّ وَبَاءٍ، وطريق كل حرمانٍ وشقاءٍ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الذُّنُوب تُزِيل النِّعَم وَلَا بدَّ، فمَا أَذْنَبَ عبدٌ ذنبًا إِلَّا زَالَت عَنْه نعمة من الله بحَسَب ذَلِك الذَّنْبِ، فإنْ تَابَ وراجَعَ رَجَعَت إِلَيْه أَو مِثْلُها، وإنْ أصرَّ لم ترجعْ إِلَيْه، وَلَا تزال الذُّنُوب تُزِيل عَنْه نِعْمة حَتَّى تُسْلَب النِّعَم كلُّها».(٢)

فليبادِرْ مَن أراد أنْ يتطهَّر مِن شُؤْم المَعْصية ويَنَال السَّعَادَة الحَقِيقِيَّة ويَرْفع مَا حلَّ عَلَيْه مِن بليَّة إِلَى التَّوْبَة والرُّجُوع دُونَ تَسويفٍ إِلَى ربِّ البَرِيَّة، فَهَذَا هُوَ طريقُ النَّجَاة فِي هَذِهِ الدُّنْيا الدَّنيَّة وفِي الآخرة البَاقِية السَّرْمَدِيَّة، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أراد السَّعَادَة الأَبَديَّة فلْيَلْزَم عَتَبة العُبُودِيَّة».(٣)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٤٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٤٠٨).

(٣) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ لابْنِ القَيِّم (١/ ٤٣١).

ولْيَحذرِ العَبْد مِن أنْ يَجْعل هَمَّه البَحْثَ عن الأَسْعَار وقِيمَتِها فيُفْرِط بالتَّالي فِي الشيء الَّذِي مِن أَجْله خُلِق وبِسَبَبه وُجِد؛ أَلَا وهو عبادة الله جلَّ جلاله وحده لَا شَرِيك له، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا تَصْرِيح بأنَّهم خُلِقوا للعبادة فحَقَّ عَلَيْهم الاعتناءُ بمَا خُلِقوا له».(١)

ومَن أصَابَه الهَمُّ والغمُّ بِسَبَب ارتفاعِ الأَسْعَار فعَلَيْه أنْ يَصْبر ويَسْتحضر دَائِمًا أنَّ هَذِهِ الدُّنْيا مَهمَا طال بِهَا الأَمَدُ فهِي زَائِلة وأنَهْ مهمَا طَالَت مدَّة عَيْشِه فِيهَا فَسَيُفارِقُها لأَنَّهَا فَقَطْ هِي مَمَرٌّ والدَّار الآخِرَة هِي المُستَقَرُّ، يَقُول الإِمَام بِشْر بْن الحَارِثِ الحافِي المَرْوَزِي [ت:٢٢٧هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا اهْتَمَمْتَ لِغَلاء السِّعر فاذْكُر المَوْت، فإنَّه يُذْهب عَنْك همَّ الغَلَاء».(٢)

ويَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَنَّهَا أي الدُّنْيا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ

---

(١) رِيَاضُ الصَّالِحِينَ (ص٣).

(٢) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ لأبي نعيم الأصفهاني (٨/ ٣٤٧).

دَوَامٍ، فلِهَذا كَان الأَيْقَاظُ مِن أَهْلِها هُمُ العُبَّاد، وأَعْقَلُ النَّاس فِيهَا هُمُ الزُّهَّاد».(١)

فليكن أَيُّها المُسْلِم بَحثُك عمَّا يُرْضي ربَّك دَائِمًا هُوَ همَّك، وحِرْصُك عَلَى طَاعَة خَالقِك سُبْحَانَه واجْتناب مَعْصيتِه هِي غايَتَك ومَطْلَبَك وسَترى بَعْد ذَلِك بإذْن العَزِيز المَنَّان مَا سيَفْتَحه عَلَيْه رازِقُك، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا أَصْبَح العَبْد وأَمْسى ولَيْس همُّه إِلَّا الله وَحْده تَحَمَّل الله سُبْحَانَه حوائِجَه كلَّها، وحَمَل عَنْه كلَّ مَا أَهَمَّه، وفرَّغ قَلْبه لِمَحَبَّته ولسانَه لِذِكرِه وجوارِحَه لطَاعَته، وإِنْ أَصْبَح وأَمْسَى والدُّنْيا همُّه حَمَّله الله هُمُومها وغُمُومها وأَنْكَادها، ووَكَلَه إِلَى نفسه فَشَغَل قَلْبَه عن مَحَبَّته بمَحَبَّة الخَلْق، ولسانَه عن ذِكْرِه بذِكْرِهم، وجوارِحَه عن طَاعَته بخِدْمَتِهم وأَشْغَالِهم، فَهُوَ يَكْدَح كَدْحَ الوَحْش فِي خِدْمة غَيْره كَالكِير يَنفخُ بَطْنَه ويَعْصِر أضْلَاعَه فِي نَفْعِ غَيْرِه فكُلُّ مَن أَعْرَضَ عن عُبُودِيَّة الله وطَاعَته ومَحَبَّته بُلِي بعُبُودِيَّة المخلوق ومَحَبَّته وخِدْمته».(٢)

---

(١) رِيَاضُ الصَّالِحِينَ (ص٣).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٨٤).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أَلَّا يَجْعل الدُّنْيا أكبرَ همِّنا، وَلَا مَبْلغ عِلْمِنا، وَلَا إِلَى النَّار مَصِيرنا، وأنْ يَحْفظ المُسْلِمِينَ فِي كل مكَان مِن كَيْد الفُجَّار ومَكْر الأشْرَار، وأنْ يَرْفع عَنْهم غَلَاء الأَسْعَار، ويَحْمِيَهم مِن كلِّ الأَضْرار، ويُبعِد عَنْهم كلَّ الأَخْطار، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعَزِيز الغفَّار.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

ظاهرة تشبه الرجال بالنساء والعكس!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشرفِ المُرْسَلِين، نبيِّنا محمَّد، وعَلَى آلِه وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ قِلَّة الخَوْف مِن ربِّ الأَرْض والسَّمَوات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات لَهُوَ مِن أهمِّ أَسْبَاب انْتِشَار المَعَاصِي والمُنْكَرات فِي المُجْتَمعات، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلبُ إِذَا امْتَلأ مِن الخَوْف أيْ مِن الله أَحْجَمَت الأَعْضاء جَمِيعها عن ارْتِكَاب المَعَاصِي، وبِقَدْر قِلَّة الخَوْف يَكُون الهُجُوم عَلَى المَعَاصِي، فإِذَا قلَّ الخَوْف جِدًّا واستَوْلَت الغَفْلة كَان ذَلِك مِن عَلَامة الشَّقَاء».(١)

ومِن المَظَاهر السَّلْبية والذُّنُوب الرَّديَّة الَّتِي فَشَت اليَوْم فِي البُلْدان

---

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ١٣٢).

الإِسْلَامِيَّة بِسَبَب قِلَّة خَوْف البَعْض مِن ربِّ البريَّة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء والعَكْس كذَلِك، يَقُول ابْن مَنْظُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مَاثَلَه».(١)

إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام لَيْسَ بهَيِّن وَلَا بِيَسِير كمَا يظنُّ بَعْض الأَنَام، بَلْ هُوَ مِن كَبَائِر الآثَامِ الَّتِي يُعْصَى بِهَا العَزِيز العلَّام، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَشَبُّه الرِّجَال بالمَرْأَة مِن كَبَائِر الذُّنُوب، وتَشَبُّه المَرْأَة بالرَجُل كَذَلِك مِن كَبَائِر الذُّنُوب بأنْ تَتَشبَّه بِهِ فِي القَوْل أيْ فِي الكَلَام تَتَكَلَّم كمَا يَتَكَلَّم الرِّجَال فِي ضَخَامة الصَّوت ونَبَرَاته أَو تَجْعل رَأْسها كَرَأْسِ الرَّجُل تَقُصُّه حَتَّى يَرْتَفع عن الكَتِفَين أو كَذَلِك تَلْبَس مِن الثِّيَاب والسَّاعَات لِبَاس الرَّجُل فكلُّ هَذَا مِن كَبَائِر الذُّنُوب».(٢)

ولِذَا حذَّر رَسُول العَزِيزِ القديرِ أُمَّته مِنْهُ أشدَّ التَّحْذِير، فعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: «**لَعَنَ رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرَّجُلَ يَلْبَسُ**

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٥٠٣).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢١٧).

لِبْسَةَ المَرْأَة، وَالمَرْأَة تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ كمَا قَال النَّوَوِي حُرْمَة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء وعكسه؛ لأَنَّهُ إِذَا حُرِّم فِي اللِّبَاس ففِي الحَرَكَات والسَّكَنات والتَصَنُّع بالأعضاء والأصوات أَوْلَى بالذَّم والقُبْح، فيَحْرم عَلَى الرِّجَال التَّشَبُّه بالنِّسَاء وعكسه فِي لِبَاسٍ اخْتُصَّ بِهِ المُشَبَّه، بَلْ يَفْسُق فاعلُه؛ للوعيد عَلَيْه باللَّعْن».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَمَّا تحريم الشَّارِع تشبُّهَ الرِّجَال بالنِّسَاء، والنِّسَاء بالرِّجَال، فَهُوَ عامٌّ فِي اللباس، والكلام، وجَمِيع الأحوال.

فالأُمُور ثَلَاثَة أقسام:

قِسْم مُشْتَرَك بَيْن الرِّجَال والنِّسَاء مِن أصناف اللِّبَاس وغيره، فَهَذَا جائز للنوعين؛ لِأَنَّ الأصل الإباحة. وَلَا تَشَبُّه فيه.

وقسم مُخْتَصٌّ بالرِّجَال، فَلَا يَحِلُّ لِلنِّسَاءِ.

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٧)، وصَحَّحَه الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ٢٦٩).

وقسم مُخْتَصٌّ بالنِّسَاء، فَلَا يَحِلُّ للرِّجَال».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللَّعْن هُوَ الطَّرْد والإبْعاد عَنْ رَحْمَة الله، فإذَا تَشَبَّه الرَّجُل بالمَرْأَة فِي لِبَاسه ولَا سِيَّمَا إذَا كَان لِبَاسًا مُحَرَّمًا كالحَرِير والذَّهَب، أَو تَشَبَّه بالمَرْأَة فِي كَلَامِها وصَارَ بغَيْر لِسَانِه فِي الكَلَام حَتَّى كَأَنَّمَا تَتَكَلَّم امْرَأة، أَو تَشَبَّهَ بالمَرْأَة فِي مِشْيَتِها أَو فِي غير ذَلِك مِمَّا يَخْتَصُّ بالمَرْأَة، فإنَّه مَلْعُون عَلَى لِسَان أَشْرَف الخَلْق كَذَلِك المَرْأَة إذَا تَشَبَّهَت بالرِّجَال فهِي مَلْعُونة لَو صَارَت تَتَكَلَّم كَمَا يَتَكَلَّم الرَّجُل أَو جعلت لها عِمَامة كَمَا يَلْبَس الرَّجُل أَو جعلت ثيابها كَثِيَاب الرَّجُل».(٢)

إنَّ المُتَشَبِّهِين مِن الرِّجَال بالنِّسَاء والمُتَشَبِّهَات مِن النِّسَاء بالرِّجَال قَد أرادوا بفِعْلهم هَذَا المُشِين أنْ يُخَالِفوا حِكْمة ربِّ العَالَمِينَ مِن التَّفريق بَيْن الجِنْسَين، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن الحِكْمة فِي النَّهِي عَن التَّشَبُّه أنَّ الله تعالى جَعَل للرِّجَال عَلَى النِّسَاء دَرَجة، وجَعَلهم قَوَّامين عَلَى النِّسَاء، ومَيَّزَهم بأُمُور قَدَريَّة، وأُمُور شَرْعِية،

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٣٧٢).

فقِيَام هَذَا التمييز وثُبُوت فَضِيلة الرِّجَال عَلَى النِّسَاء مَقْصودٌ شَرعًا وعقلًا. فتشبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء يَهْبطُ بِهِم عَن هَذِهِ الدَّرجة الرفيعة. وتَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال يُبْطل التمييز».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله سُبْحَانَه وتعالى خَلَق الذُّكورَ والإناثَ وجَعَل لكلٍّ منهمَا مَزِيَّةً؛ الرِّجَالُ يختلفون عن النِّسَاء فِي الخِلْقَة والخُلُق والقوة والدِّين وغير ذَلِك، والنِّسَاء كَذَلِك يختلفْن عن الرِّجَال، فَمَن حَاوَل أنْ يَجْعل الرِّجَال مِثْل النِّسَاء أَو أنْ يَجْعلَ النِّسَاء مِثْل الرِّجَال فَقَدْ حادَّ الله فِي قَدَرِه وشَرْعِه؛ لِأَنَّ الله سُبْحَانَه وتعالى لَهُ حِكْمة فِيمَا خَلَق وشَرَّع».(٢)

إنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَة القَبِيحَة الَّتِي فَشَت فِي بلاد المُسْلِمِينَ اليَوْم قَد سَاهَمَ فِي انْتِشَارها بِشَكل مَلْحوظ عدَّة عَوَامِل، ومِن أهمِّها مَا سَبَق الإشارة إِلَيْه؛ أَلَا وهو عَدَم خَوْف بَعْض الأَنَام من العَزِيز العلَّام، وكذَلِك هناك داءٌ عضال ومرض قتَّال قَد جرَّ عَلَى المُسْلِمِينَ اليَوْم الوَبَال؛ حَيْثُ يُعتبر أَيْضًا مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي أَدَّت لِبُرُوزِ هَذِهِ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٣٧١).

الظَّاهِرَة المُنْحَرِفة؛ أَلَا وهو اخْتِلاطُ النِّسَاء بالرِّجَال الأَجَانِب؛ يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلاطُ أَحَدِ الصِّنْفَين بالآخر سَبَبُ الفِتْنَة؛ فالرِّجَال إِذَا اختلطوا بالنِّسَاء كَان بمَنْزِلة اختلاط النَّار والحَطَب».(١)

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإِذَا أردْتَ أنْ تَعْرف ضَرَر التَّشَبُّهِ التَّامِّ، وعَدَم اعتبار المنازل، فانظر فِي هَذَا العصر إِلَى الاختلاط الساقط الَّذِي ذَهَبَت معه الغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ، والمُرُوءَة الإِنْسَانية، والأَخْلَاق الحَمِيدة، وحَلَّ مَحِلَّه ضدَّ ذَلِك مِن كلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ».(٢)

وكذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ قَد سَاهَمَ فِي انْتِشَار هَذِهِ المَعْصِية الرَّديَّة مَا تُعْرَف بَيْن النَّاس بالجَمْعِيَّات الحُقُوقِيَّة، والَّتِي لَهَا أَجِنْدَات غَرْبِية إِلْحَاديَّة دُونَ أنْ نَنْسى أَيْضًا الدَّوْر الَّذِي تَلْعَبه بَعْض وَسَائِل الإعلام المَكْتُوبة والمَسْمُوعة والمَرْئِية؛ حَيْثُ نرى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يُهوِّنون ويُزَيِّنون هَذَا الأمرَ الخطيرَ والشرَّ المُسْتَطيرَ، وللأسف أَيُّها الأَفَاضِلُ فَقَد تَأَثَّرَ بهَؤُلَاءِ بَعْضُ ضعافِ النُّفُوس، وعَمِلوا بِمَا يُزَيِّنُه هَؤُلَاءِ، بَلْ

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٦١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٧).

تَعَدَّى بِهِم الأمرُ حَتَّى صاروا هُم كَذَلِك وَسَائِل وأَدَوات معيَّنة تُسَاهِم أَيْضًا فِي ترويج هَذَا الفعل الذَّمِيم والعَمَل اللَّئِيم!

فممَّا يَنْبَغِي عَلَيْنَا جَمِيعًا عِلْمه أن عَواقِب هَذِهِ الظَّاهِرة الوَخِيمة وأَضْرارها الجسيمة لَيْسَ قاصرًا فَقَطْ عَلَى الأَفْراد بَلْ يَتعَدَّى خَطَرُها وشَرُّها إِلَى المُجْتَمعاتِ، ومِن ذَلِك مَا نَرَاه عِيَانًا اليَوْم مِن ظُهُور الفَوَاحش والمُنْكرات، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء بالكَلَام واللِّبَاس ونَحْو ذَلِك؛ مِن أَسْبَاب التَّخَنُّث، وسُقُوط الأَخْلاق، ورَغْبة المُتَشَبِّه بالنِّسَاء فِي الاختلاط بهنَّ، الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ المحذور، وكذَلِك بالعكس».(١)

فعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضل مِن آباءٍ وأُمَّهاتٍ ودُعَاةٍ مُصْلِحِين أَنْ نتعَاوَن ونَتَكَاتَف ونقِفُ جَمِيعًا فِي وَجْه أعداءِ الدِّينِ مِن الكُفَّار والمُنَافِقِين والمُفْسِدِينَ الَّذِين يُسَوِّقُون لِهَذِهِ الظَّاهرة المُنْحَرفة مِن أَجْل إِفْساد شَبَاب المُسْلِمِينَ، وذَلِك بالتَّحْذِير مِن أَضْرارها وبَيَان أَخْطَارها، وكَشْف حَقِيقَة مَن يُسَوِّق ويُزَيِّن ويَدْعو لَهَا، جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنة الدَّائمَة بالمَمْلَكة العربية السُّعُودية، حَرَسَها الله: «تَشَبُّه الرِّجَال

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦)

بالنِّسَاء حرام، وكذَلِك تَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال، والواجب عَلَى مَن رَأى شَيْئًا من ذَلِك تغييرُه حَسَب الاسْتِطَاعَة؛ لِقَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَان**».(١)»(٢)

وعَلَى وُلاة أمر المُسْلِمِينَ أنْ يَقُومُوا بمَا يَجِب عَلَيْهم نَحْو رَعِيَّتهم، ومِن ذَلِك أنْ يَبْذلوا كلَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَمْنع مِن انْتِشَار هَذَا الوَبَال، ولْيَعْلموا أنَّهم سيَقِفون أَمَام الكَبِير المُتَعال وسَيَسْألهم عَن أنفُسِهم وعَن رَعِيَّتهم ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَال، فعَن عَبْد الله بْنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». (٣)

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْه ومَا هُوَ تَحْت نَظَره، فَفِيه أنَّ كلَّ

---

(١) رَوَاه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤/ ٩٤).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

مَن كَان تَحْت نَظَره شَيْءٌ فَهُوَ مُطَالَب بالعَدْل فِيه، والقِيَام بمَصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقاتِه».(١)

وممَّا يَنْبَغِي كَذَلِك عِلْمُه أنَّ دِينَ ربِّ العَالَمِينَ هُوَ المَرْجع الوَحِيد فِي مَعْرفة الضَّوابط الَّتِي يُفرَّق بِهَا بين الجِنْسَين وَلَيْسَ المَرَدُّ فِي ذَلِك إِلَى الأَهْوَاء وَلَا إِلَى المُفْسِدِينَ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن هنا يَظهر الضَّابِط فِي نَهِيه عن تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء وعَن تَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال، وأنَّ الأصل فِي ذَلِك لَيْسَ هُوَ راجعًا إِلَى مُجَرَّد مَا يختاره الرِّجَال والنِّسَاء ويَشْتهونه ويَعْتَادُونه، فإنَّه لَو كَان كَذَلِك لكَان إِذَا اصْطَلَحَ قَوْمٌ عَلَى أن يَلْبَس الرِّجَال الخُمُر الَّتِي تُغطِّي الرَّأْس والوَجْهَ والعُنُق والجَلَابِيب الَّتِي تُسْدَل مِن فوق الرُّءُوس حَتَّى لَا يَظْهر مِن لَابِسِها إِلَّا العَيْنان، وأنْ تَلبس النِّسَاء العمائم والأَقْبِيَةَ المُخْتَصرة ونحو ذَلِك؛ كان هَذَا سائغا، وَهَذَا خلاف النَّصِ والإجماع».(٢)

ولِذَا عَلَى الرَّجُل أن يَمْتَثل تَعَاليم دِينِه الكَرِيم ويَجْتَنب مُشابَهَةَ المَرْأَة، وعَلَى النِّسَاء كَذَلِك الابتعاد عن كُلِّ مَا هُوَ مِن خَصائِصِ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٢/ ١٤٦).

الرِّجَال، يَقُول الشَّيْخ ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَجِب عَلَى الرَّجُل أنْ يَبْتعد عن مُشَابهة المَرْأَة فِي زِيِّها ولِبَاسها ونَحْوِ ذَلِك، ويَجِبُ عَلَى المَرْأَة أنْ تَبْتعدَ عَن مُشابَهة الرَّجُل فِي زِيِّه، أَو كَلامِه أَو مَشْيه أَو نحو ذَلِك».(١)

وعَلَى المُسْلمة أَيْضًا أَلَّا تَغْترَّ أبدًا بمَا يَرْفعه أَهْلُ الإلحَادِ ودُعاة الفَسادِ مِن شِعاراتٍ مُزيَّفَة يَدْعون فِيهَا إِلَى كلِّ ما هُوَ قَبيح ومُشِينٍ، ومِن ذَلِك جَوازُ تَشَبُّه الجِنسَين، وأَلَّا تَتَأثَّرَ بِمَن اغْترَّ بهَؤُلَاءِ مِن النِّسَاء فتَشَبَّهنَ بالرِّجَال؛ لِأَنَّ فعلهنَّ هَذَا ذَمِيمٌ وقد لَعَنَهُنَّ رَسُول العَزِيز العَلِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعَنْ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**لَعَنَ رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرّجُلَةَ من النِّسَاء**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««الرَّجُلَةَ من النِّسَاء» أي المُتَرَجِّلَة، وهو بفَتْح الرَّاء وَضَمِّ الجِيمِ، الَّتِي تَتَشَبَّه بالرِّجَال فِي زِيِّهم أَو مَشْيِهم أَو رَفْع صَوْتهم أَو غير ذَلِك».(٣)

واللهَ أسألُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعَلَنا بِدِينِنا

---

(١) فتاوى نور عَلَى الدرب (٢١/ ١٠٥).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٨) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ٢٦٩).

القويمِ مِن المُتَمَسِّكينَ، وبِسُنَّة نبيِّنا الكَرِيمِ مِن المُتَّبِعِين، وأنْ يَحْفظ المُسْلِمِينَ فِي كلِّ الأَقْطار والأَمْصار مِن شرِّ الأَشْرار وكَيْد الفُجَّار، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك، والعَزِيز الجبَّار.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

رسالة تذكير إلى
خطباء المساجد

رِسَالة تَذْكيرٍ إِلَى خُطَباء المَسَاجد

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِن أجلِّ العبادات وأرفعِ الطاعاتِ وأفضلِ القُرُبات الَّتِي يَتَقرَّب بِهَا بَعْض أَئِمة المَسَاجد إِلَى ربِّ البريَّات هِي خُطْبة صلاة الجمعة، أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات، فهِي مناسَبة عظيمة وفُرْصة ثَمِينة لنُصْحِ وتذكيرِ المُصَلِّينَ بمَا يَنْفعهم فِي الدَّارَين، يَقُول أَرْحمُ الرَّاحِمين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا اسْتِفهامٌ بِمَعنى النفِي المُتَقَرِّر؛ أيْ: لَا أحدَ أَحْسنُ قولًا؛ أيْ: كلامًا وطريقةً وحالة «ممَّنْ دَعَا إِلَى الله» بتَعْليم الجَاهلين، ووَعْظِ الغَافِلين والمُعْرِضين، ومُجادَلَة

المُبْطِلين، بالأَمْر بعِبَادة الله بجَمِيع أنواعِها، والحثِّ عَلَيْها، وتَحْسينها مَهمَا أَمْكَنَ، والزَّجْرِ عمَّا نَهَى الله عَنْه، وتَقْبِيحِه بكلِّ طريقٍ يُوجِبُ تَرْكَه.

خصوصًا مِن هَذِهِ الدَّعْوة إِلَى أَصْل دِينِ الإِسْلَام وتَحْسِينِه، ومُجَادَلةِ أَعْدائه بالَّتِي هِي أحسنُ، والنَّهْيِ عمَّا يُضَادُّه مِن الكُفْر والشِّرْك، والأَمْرِ بالمَعْرُوف، والنَّهْيِ عَن المُنْكَر.

ومِن الدَّعْوة إِلَى الله، تَحْبيبه إِلَى عِبادِه، بذِكْر تَفاصيل نِعَمه، وَسَعَةِ جوده، وكَمَال رَحْمته، وذِكْر أَوْصافِ كَمَالِه، ونُعُوت جَلاله.

ومِن الدَّعْوة إِلَى الله، التَّرْغيبُ فِي اقْتِباس العِلْم والهَدْي مِن كِتَاب الله، وسُنَّة رَسُوله، والحثِّ عَلَى ذَلِك، بِكُلِّ طريق مُوصِّل إِلَيْه، ومِن ذَلِك الحثُّ عَلَى مَكَارِم الأَخْلَاقِ، والإِحْسَان إِلَى عُمُوم الخَلْق، ومُقابَلة المُسِيء بالإِحْسَان، والأَمْر بِصِلَة الأَرْحام، وبِرِّ الوالدَيْن.

ومِن ذَلِك، الوَعْظ لِعُمُوم النَّاس فِي أَوْقات المَوَاسِم والعَوَارِض والمَصَائب بِمَا يُناسِب ذَلِك الحَالَ، إِلَى غير ذَلِك ممَّا لَا تَنْحَصر أَفْرَادُه مِمَّا تَشْمَلُه الدَّعْوة إِلَى الخَيْر كلِّه، والتَرْهِيب مْن جَمِيع الشرِّ.

ثم قَال تعالى: «وَعَمِلَ صَالِحًا» أيْ: مَع دَعْوتِه الخَلْقَ إِلَى الله، بَادَر هُوَ بنَفْسه إِلَى امْتِثَال أَمْر الله بالعَمَل الصَّالح الَّذِي يُرضِي ربه. «وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ» أيْ: المُنْقَادين لأَمْره، السالكين فِي طريقه، وهَذِه المَرْتبة تَمَامُها للصِّدِّيقين، الَّذِين عَمِلوا عَلَى تَكْمِيل أَنْفُسِهم وتَكْميل غيرهم، وحَصَلت لَهُم الوِرَاثة التامَّة مِن الرُّسُل».(١)

لكنَّ الَّذِي يُحزِن المؤمنَ أَيُّها الأَفَاضِلُ هُوَ مَا يراه ويَسمعه من المخالَفَات الَّتِي يَقَع فِيهَا بَعْضُ الخطباءِ عند قِيامهم بهَذِهِ العِبادة الجَلِيلة والمَهامِّ النَّبيلة، والله المُسْتعان.

لِذَا أَحْببتُ أنْ أُشِيرَ فِي هَذِهِ العُجالة إِلَى أَمْثلةٍ مِنْها، والَّتِي قَد تُعْتَبر مِن أهمِّها، وَهَذَا كلُّه مِن باب النُّصح والبيان والتَّذْكِير لإِخْوَاننا الخُطباء الَّذِين هُم قُدْوة وأُسْوة للمُصَلِّينَ، يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإِمَام لمَّا كَان هُوَ القُدْوة للنَّاس لِكَوْنهم يَأْتَمُّون بِهِ ويَهْتدون بهَدْيِه أُطْلِقَ عَلَيْه هَذَا اللفظ».(٢)

فلَعَلَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أنْ ينفعَ بِهَا مُقَيِّدَها وقارِئَها ومَن تَصِلُه مِن

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٩).

(٢) فَتْح القَدِير (١/ ١٣٧).

المُسْلِمِينَ، فمِن أهمِّ هَذِهِ المُخالَفَات، أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات:

أنَّ مِن الخطباء مَن يَجلس عَلَى المِنْبر بَعد دُخولِه مباشَرَة دونَ أنْ يُلقِي عَلَى المُصَلِّينَ السَّلَامَ فيَتْرُك بالتَّالي مَا كَان يَفْعله خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعَن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْه أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَان إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ سَلَّمَ**».(١)

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحديثُ يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّة التَّسْليم مِن الخطيب عَلَى النَّاس بعدَ أنْ يَرْقَى المنبر وقَبْلَ أنْ يُؤَذِّنَ الْمُؤَذِّنُ».(٢)

ومنهم كَذَلِك مَن يَبْدأ خُطْبتَه بالسَّجع الَّذِي لَا يَخْلو فِي الغالب مِن التَّكلُّف والتَّقعُّر فِي الكلمات واستعمال العبارات الَّتِي قد لَا يَفْهم معناها طلبةُ العلم، فضلًا عن عَامَّة النَّاس؛ لأَنَّهَا تحتاج إِلَى قواميسِ اللغةِ وكُتُب غَرِيبِ الألفاظِ حَتَّى تُفهم، بعيدًا أَيْضًا بفعله هَذَا عن هَدْي نبيِّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة وأزكى التسليم، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكَان لَا يَخْطب خُطبة إِلَّا افتتحها بحمد الله، وأمَّا

---

(١) رَوَاه ابن ماجة (١١٠٩)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٣/ ٣٢١).

قولُ كَثِيرٍ مِن الفقهاء أَنَّهُ يَفتتح خطبةَ الاستسقاء بالاستغفارِ وخطبةَ العيدين بالتَّكْبِيرِ، فَلَيْسَ معهم فِيهِ سُنَّةٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البتَّة، وسُنَّتُه تقتضي خلافَه؛ وهو افتتاح جَمِيع الخطب بالحمد لله، وهو أَحَدُ الوجوه الثلاثة لأَصْحَاب أحمد، وهو اختيار شيخنا».(١)

ومنهم أَيْضًا مَن يَجْعل خطبتَه سَرْدًا لأحداثِ الأسبوع السِّيَاسيَّة أَو المناسبات الثقافية، أَو الأعياد الوطنية الَّتِي هِي فِي حقيقتها لَيْست شرعية وإِنَّمَا بِدْعِية، ويترك هَذَا الخطيبُ مَا يحتاجه النَّاس مِن تعلُّم أمورِ الدِّين وأهمُّ مِن ذَلِك ترسيخُ توحيد ربِّ العَالَمِينَ، والحثُّ عَلَى التمسك بسُنَّة خيرِ المُرْسَلِين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكَان يُعلِّم أصحابَه فِي خُطبتِه قواعدَ الإِسْلَام وشرائعه».(٢)

فيخالِف بفعله هَذَا مَا كَان عَلَيْه إمام المُرْسَلِين ورَسُولُ ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت خُطبتُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِي تقريرٌ لأُصُول الإِيمَان من الإِيمَان بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله ولِقائِه وذِكْر الجَنَّة والنَّار ومَا أعدَّ الله لأوليائه وأهلِ طَاعَته

(١) زاد المعاد (١/ ١٨٦).

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٢٧).

ومَا أعدَّ لأعدائه وأهلِ معصيته، فيَمْلأ القلوبَ مِن خطبته إيمَانا وتوحيدًا ومعرفة الله وأيامه».(١)

وَهَذَا لَا يَمْنَع مِن أنْ يَتَطَرَّقَ الإمَام أحيانًا إِلَى بَعْض الأحداثِ الَّتِي قَد تَقَع خلال الأسبوع ويَحْتاج النَّاس إِلَى التنبيه عَلَيْها ومعرفة الصحيح والفاسد مِنْهَا، فَهَذَا الفعل مطلوبٌ وقد كَان يفعله رَسُولُ علَّامِ الغيوبِ، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان يخطب فِي كل وقت بمَا تقتضيه حاجةُ المخاطَبِين ومصلحتُهم».(٢)

ومنهم كَذَلِك مَن لَا يرفع صوتَه أثناء الخطبة وخاصةً عند ذِكْر ما فِيهِ ترهِيب كمَا كَان يفعل رَسُول العَزِيز الرقيبِ، فنَجِدُه فِي خطبته كأنَّه يقرأ كتابًا لنفسه، فَلَا نَشْعر أنَّ هناك فَرْقًا فِي أسلوبه وإلقائه بَيْن الترغيب والترهِيب، فعن جابر بْنِ عَبْد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كَان رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدّ غَضَبُهُ حَتّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبّحَكُمْ وَمَسّاكُمْ**».(٣)

---

(١) زاد المعاد (١/ ٤٢٣).

(٢) زاد المعاد (١/ ١٨٩).

(٣) رَوَاه مسلم (٨٦٧).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إِذَا خَطَبَ» أيْ وَعَظَ «احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ» أيْ صارت صِفَتُه صِفَةَ الغَضْبَانِ، وَهَذَا شأن المُنذِر المخوِّف؛ فلذَلِك قَال «كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ» أيْ كَمَنْ يُنْذِرُ قومًا مِن جيش عظيم قصدوا الإغارة عَلَيْهم «يَقُول صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» أيْ أتاكم وقتَ الصباح أَو المساء؛ أي كأنكم بِهِ وقد أتاكم كذَلِك، شَبَّهَ حَالَهُ فِي خطبتِه وإنذارِه بقُرْبِ القِيَامَة بحالِ مَن يُنْذِر قَوْمَه عِنْدَ غفلتهم بجيشٍ قريبٍ مِنْهُم بقَصْد الإحاطة بهم بَغْتَةً، فكمَا أنَّ المُنْذِر يرفعُ صوتَه وتَحمرُّ عيناه ويشتدُّ غضبه عَلَى تغافُلِهم، فكذا حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الإنذار».(١)

ومنهم أَيْضًا مَن يُطيلُ فِي خطبته إطالةً مُمِلَّةً تُؤثِّر عَلَى المُسْتَمِعِين؛ حَيْثُ تمنع مِن تَحْقِيق الفائدة المرجوَّة مِن الخطبة؛ وهِي الاتِّعاظ والتأثير عَلَى المُصَلِّينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهلُ العلم يَكْرَهون مِن المَوَاعظ مَا يُنْسِي بعضُه بعضًا لِطُولِهِ، ويَسْتَحِبُّون مِن ذَلِك مَا وَقَف عَلَيْه السامع المَوْعوظ فاعتبره بعد حفظه له، وذَلِك لا

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٤٦).

يَكُون إِلَّا مع القِلَّة».[١]

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأَوْلى أنْ يُقصِّر الخطبة؛ لِأَنَّ فِي تقصير الخطبة فائدتين:

١- **أَلَّا يَحْصل المَلَلُ للمستمعين**؛ لِأَنَّ الخطبة إِذَا طالت لَا سِيَّمَا إنْ كَان الخطيب يُلْقيها إلقاءً عابرًا لَا يحرِّك القلوب، وَلَا يبعث الهِمَم فإن النَّاس يَمَلُّون ويَتْعَبون.

٢- **أنَّ ذَلِك أوعى للسامع**؛ أيْ أَحْفَظُ للسامع؛ لأَنَّهَا إِذَا طالت أضاعَ آخرُها أوَّلَها، وإِذَا قَصُرَت أَمْكَنَ وعيُها وحِفْظُها».[٢]

وَهَذَا الفعل مِن القرائن الدَّالَّة عَلَى عدم فِقْه الخطيب، وقِلَّة علمه، فعن عمَّار بْنِ يَاسِر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سمعتُ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إِنّ طُولَ صَلَاةِ الرّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصّلَاة وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ»**.[٣]

---

(١) الاستذكار (٢/ ٣٦٤).

(٢) الشَّرْح الممتع (٥/ ٦٥).

(٣) رَوَاه مسلم (٨٦٩).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ»، بضمِّ الخاء، أيْ طُولَ صلاته بالنسبة إِلَى قِصَرِ خطبته «مَئِنَّةٌ»، مَفِعْلَةٌ، بُنِيَتْ مِن أنَّ المكسورة المشددة «مِن فِقْهِهِ» أيْ علامة يتحقق بِهَا فِقْهُهُ، وحقيقتها مكَان لقول القائل إِنَّهُ فقيهٌ، «فَأَطِيلُوا» أَيُّها الأئمة الخطباء «الصَّلَاةَ» أيْ صلاةَ الجمعةِ «وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ»؛ لِأَنَّ الصَّلَاة أفضلُ مقصودٍ بالذَّات والخطبة فرع عَلَيْها».(١)

فأينَ فِعْله هَذَا أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار مِن هَدْي وسُنَّة رَسُول العَزِيز الغفار؟! يَقُول الإِمَام ابْنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَّا قِصَر الخطبة فسُنَّة مَسْنُونة كَان رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمر بذَلِك ويفعله».(٢)

فعَلَيْه أنْ يجعل خطبته قصدًا حَتَّى لَا يتسبب فِي تنفير ومَلَلِ المُصَلِّينَ ويَقْتَدي بهَدْي سيِّدِ الأَنْبِيَاء والمُرْسَلِين، فعن جابر بن سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنتُ أُصَلِّي مع رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا**».(٣)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٢٢).

(٢) الاستذكار (٢/ ٣٦٣).

(٣) رَوَاه مسلم (٨٦٦).

يَقُول العظيم آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القصدُ فِي الشيء هُوَ الاقتصادُ فِيهِ وتَرْك التطويل، وإنَّمَا كانت صَلَاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخُطْبتُه كَذَلِك لِئَلَّا يَمَلَّ النَّاس، والحديث فِيهِ مشروعية إقصار الخطبة، وَلَا خلاف فِي ذَلِك واخْتُلِفَ فِي أقلِّ مَا يُجْزِئ عَلَى أقوالٍ مبسوطة فِي كتب الفقه».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقصد معناه التوسُّط، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تخفيف مُخِلٌّ وَلَا تَثْقِيلٌ مُمِلٌّ».(٢)

لكنْ يَنْبَغِي أنْ نَعْلم أنَّ الحاجَةَ إِذَا دَعَت إِلَى الإطالة فَلَا بأسَ بذَلِك، مع مراعاة عدم المَشَقَّة عَلَى المستمعين، وَهَذَا الَّذِي كَان مِن هَدْي خَيْر المُرْسَلِين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان يَقْصُر خطبته أحيانًا ويُطِيلُها أحيانًا بحسب حاجة النَّاس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأحيانًا تستدعي الحالُ التَطْويلَ، فإِذَا أطال الإِنْسَانُ أحيانًا لاقتضاء الحال ذَلِك، فإنَّ هَذَا لَا

---

(١) عون المعبود (٣/ ٣١٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٢٣١).

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٢٧).

يُخْرجه عن كونه فقيهًا؛ وذَلِك لِأَنَّ الطول والقصر أمر نسبي».(١)

فاعْلَمْ يَا مَن ولَّاك الله جَلَّوَعَلَا للإمامة وتذكير المُسْلِمِينَ أَنَّ هَذَا الأمر لَيْسَ فَقَطْ مِن قبيل التشريف، وإِنَّمَا هو كَذَلِك تكليف، وستُسْأل عَنْه يَوْم القِيَامَة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الّذِي عَلَى النّاس رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ**»(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الراعي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْه ومَا هُوَ تَحْت نَظَره، فَفِيه أَنَّ كُلَّ مَن كَان تَحْت نَظَره شَيْءٌ فَهُوَ مُطَالَب بالعَدْل فِيه، والقِيَام بمَصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقاتِه».(٣)

فحافِظْ عَلَى هَذِهِ النعمة العظيمة والمِنْحة الكَرِيمة، وذَلِك بشكر الكَرِيم الرَّحْمَن، ثُمَّ أَنْ تَكُون خطبتك عَلَى هَدْي رَسُول العَزِيز المَنَّانِ، وإِيَّاكَ أَنْ تجعلها فقط من قبيل الوظائف الدنيوية، فتُصْبِح عِنْدك مِن

---

(١) الشَّرْح الممتع (٥/ ٦٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

قَبِيل العادات، لَا مِن العبادات، فَلَا تَشْعر باللذة الإيمَانية عند القيام بها، واحْذَرْ أشدَّ الحَذَرِ مِن أنْ تنقل فِيهَا أحاديث لَا تصح؛ فَهَذَا مِن الكذب عَلَى خير المُرْسَلِين، وقد تَتَسبَّبُ بفِعْلك هَذَا فِي إضلال الكَثِير من المُصَلِّينَ، يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن المصائب العُظمى الَّتِي نَزَلَت بالمُسْلِمِينَ منذ العصور الأولى انْتِشَارُ الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم، لَا أستثني أحدًا منهم، ولو كَانوا عُلَمَاءهم، إلَّا مَن شاء الله مِنْهُم مِن أئمَّة الحديث ونُقَّاده؛ كالبُخَارِي، وأَحْمَد، وابْن مُعِين، وأَبِي حاتِم الرَّازِي، وغيرهم.

وقد أدَّى انْتِشَارها إلَى مفاسد كَثِيرة؛ مِنْهَا ما هُوَ مِن الأمور الاعتقادية الغَيْبِيَّة، ومِنْهَا ما هُوَ مِن الأمور التشريعية».[1]

فهَذِه أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام بَعْض المخالفات الَّتِي قَد انْتَشَرَت بين كَثِير مِن خطباء المُسْلِمِينَ، فعَلَيْهم تَرْكُها والحِرْص عَلَى العَمَل بهَدْي خير المُرْسَلِين إذَا أرادوا الخير والفلاح لهم وللمُصَلِّينَ بإذن رب العَالَمِينَ.

---

(١) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٧).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يوفِّق أئمَّة مساجد المُسْلِمِينَ لكلِّ ما فِيهِ خير لهم وللمأمومين، وأنْ يجعلهم هداة مُهتدين، ولِهَدْيِ خير المُرْسَلِين مِنَ المتَّبِعين الدَّاعين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

داء الغش!

داءُ الغِشِّ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ قِلَّة الخَوْف مِن علاَّم الغيوب من أَسْبَاب ارتكاب المَعَاصِي والذُّنُوب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَوْف عَلَامةُ صِحَّة الإِيمَان، وتَرَحُّله من القلب علامةُ ترحُّلِ الإِيمَان منه».(١)

لِأَنَّه بقَدْر وجود الخَوْف فِي قلوب الأَنَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام يَكُون تعظيمهم للعزيز العَلام، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب إِذَا امتلأ من الخَوْف أيْ مِن الله أَحْجَمَت الأعضاء جَمِيعها عن ارتكاب المَعَاصِي، وبقَدْر قِلَّة الخَوْف يَكُون الهجوم عَلَى المَعَاصِي،

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٥١٥).

فإذَا قلَّ الخَوْف جِدًّا واسْتَوْلَت الغَفْلَة كَان ذَلِك مِن علامةِ الشَّقاء».(١)

وإنَّ مِن المظاهر السَّيِّئَة والأَفْعَال الذَّمِيمة الَّتِي نراها وللأسف قَد انْتَشَرَت وفَشَت اليَوْم بين كَثِير مِنَ المُسْلِمِينَ بِسَبَب قِلَّة الخَوْف من رب العَالَمِينَ: «الغِشُّ». يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ مَا يُخلَطُ مِن الرديء بالجيد».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغِشُّ: خديعة وخيانة وضياعٌ للأمانة وفَقْدٌ للثقة بين النَّاس، وكُلُّ كَسْب مِن الغِشِّ فإنَّه كَسْبٌ خبيثٌ حرامٌ لَا يَزِيدُ صاحبَه إِلَّا بُعدًا من الله».(٣)

حتى إنَّ بَعْض مَن يرتكب هَذَا العَمَل المُشِينَ قَد لبَّس عَلَيْهم إِبْلِيسُ اللعين وجَعَلَهم يعتقدون أنَّ هَذَا الفعل من الذكاء الَّذِي يتميزون بِهِ عن الآخرين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكن انظر إِلَى النَّاس اليَوْم تجد أنَّ الغِشَّ عندهم أَهْوَنَ الأشياءِ، بَلْ إن بعضهم والعياذ بالله يَعُدُّ الغِشَّ من الشطارة فِي البيع والشراء

---

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ١٣٢).

(٢) التوقيف عَلَى مهمات التعاريف (ص٥٣٨).

(٣) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٠/ ٢٥٥).

والعقود، ويرى أنَّ هَذَا من باب الحذق والذكاء والدهاء نسأل الله العافية».(١)

فغفلوا بِسَبَب ذَلِك مِن تَحْذِير نبيِّنا الكَرِيم من هَذَا الفعل الذَّمِيم والعمل اللئيم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».(٢)

يَقُول القاضي عَيَّاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ لَيْسَ مهتديًا بهَدْيِنَا، وَلَا مُسْتَنًّا بسُنَّتِنا، لا أَنَّهُ أخرجه من المُؤْمِنِينَ».(٣)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله «فَلَيْسَ مِنَّا» أيْ لَيْسَ مِن أَخْلَاقنا وَلَا عَلَى سُنَّتِنا».(٤)

وأنَّ العُلَمَاء قَد أَجْمَعوا عَلَى تحريمه وذَمِّه، يَقُول الصَّنْعَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الغِشُ مُجْمَع عَلَى تحريمه شرعًا مذمومٌ فاعلُه عقلًا».(٥)

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٤٩٥).

(٢) رَوَاه مسلم (١٠١).

(٣) مشارق الأنوار (١/ ٣٨٣).

(٤) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (٣/ ٣٦٩).

(٥) سُبُل السَّلاَمِ (٣/ ٢٩).

وأنَّه كَذَلِك من الكَبَائِر، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ من كَبَائِر الذُّنُوب».(١)

إنَّ الغشَّ لم يَعُدْ قاصرًا اليَوْم عَلَى صِنْف مُعيَّن من المُسْلِمِينَ، فنراه موجودًا بكثرة عند بَعْض التجار الَّذِين هَمُّهم الوحيد هُوَ تحصيل المال بأيِّ وَسِيلَة كَانت، يَقُول الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَثِيرًا من التُّجَّار وَأَهْلِ الْبَهَارِ وَالْحَبَّابِينَ وغيرهم يجعل أعَلَى البضاعة حَسَنًا وَأَسْفَلَهَا قَبِيحًا، أَو يَخْلِطُ بَعْض القَبِيح فِي الحسن حَتَّى يُرَوَّجَ وَيَنْدَمِجَ عَلَى المشتري فيأخذ القبيحَ مِن غَيْر أنْ يَشْعر بِهِ ولو شَعَرَ بِهِ لَمْ يأخذ شَيْئًا منه، وغير ذَلِك مِن صُوَر الْغِشِّ».(٢)

فيكفِي هَؤُلَاءِ جُرمًا أنَّهم قَد وقَعُوا فِي ذنبٍ عواقبُه وخيمةٌ وأضرارُه جسيمةٌ؛ أَلَا وهو الكذب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكذب متضمِّنٌ لفسادِ نظامِ العالَمِ، وَلَا يمكن قيام العالَم عَلَيْه لَا فِي معاشهم وَلَا فِي مَعَادهم، بَلْ هُوَ متضمنٌ لفساد المعاش والمعاد، ومفاسد الكذب اللازمة لَهُ معلومةٌ عند خاصَّة النَّاس وعامَّتهم،

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣٩٧).

كيف وهو مَنشأ كل شرٍّ؟! وفساد الأعضاء لسانٌ كذوبٌ، وكم أزيلت بالكذب مِن دُوَل وممالك، وخربت بِهِ من بلاد، واستُلِبَتْ بِهِ مِن نِعَمٍ، وتَقَطَّعَت بِهِ مِن مَعَايش، وفَسَدَت بِهِ مَصَالح، وغُرِسَت بِهِ عَدَاوات، وقُطِّعَت بِهِ مَوَدَّات، وافْتَقَر بِهِ غنيٌّ، وذَلَّ بِهِ عَزِيز، وهُتِكَت بِهِ مَصُونَةٌ، ورُمِيَتْ بِهِ مُحْصَنَةٌ، وخَلَت بِهِ دُورٌ وقُصُورٌ، وعَمُرَت بِهِ قُبُور، وأُزِيلَ بِهِ أُنْسٌ، واستُجْلِبَت بِهِ وَحْشَةٌ، وأُفْسِدَ بِهِ بيْن الِابْنِ وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأَحَالَ الصديقَ عدوًّا مُبينًا، ورَدَّ الغنيَّ العَزِيز مِسكينًا، وهل ملئت الجحيم إِلَّا بأهل الكذب الكاذبين عَلَى الله، وعَلَى رَسُوله، وعَلَى دينه، وعَلَى أوليائه، المكذِّبين بالحق حميَّةً وعصبيَّةً جاهليَّةً».(١)

فلو عظَّموا ربَّ البريَّة وتدبَّروا النصوص الشرعيَّة لمَا تجرَّءُوا عَلَى ارتكاب هَذِهِ المعصية الدَّنيَّة، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو تَأَمَّلَ الْغَشَّاشُ الخائنُ الآكلُ أموالَ النَّاسِ بالباطل مَا جاء فِي إثم ذَلِك فِي القرآن والسُّنَّة لَرُبَّمَا انْزَجَرَ عن ذَلِك أَو عن بعضه».(٢)

ولْيَعْلَمْ هَذَا التاجرُ الَّذِي يخدع ويغُشُّ الأَنَام أنَّ مالَه حرام، وأنَّه

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٤).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٤٠٠).

مُتَوعَّدٌ بعقاب شديد إنْ لم يَتُبْ ويرجع إِلَى العَزِيز العلَّام ويُطهِّر نفسه من هَذِهِ الآثام، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**».(١)

يَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا وعيد شديد يفيد أنَّ أَكْل أموال النَّاس بالباطل مِن الكَبَائِر».(٢)

فعَلَى تُجَّار المُسْلِمِينَ أنْ يَحْرصوا فِي عملهم عَلَى تقوى ربِّ العَالَمِينَ، ويبتعدوا عن كلِّ فعل مُشِين؛ لِأَنَّ هَذَا من أَسْبَاب نجاحهم وفلاحهم فِي الدَّارين بإذْن أرحم الرَّاحِمِينَ، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَى مَن أراد رضا الله ورَسُولِه وسلامةَ دينه ودنياه ومروءته وعرضه وأُخراه أنْ يتحرى لِدِينِه، وألَّا يبيع شَيْئًا مِن تِلْكَ البُيُوع المَبنيَّة عَلَى الغشِّ والخديعة».(٣)

وللأسف أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار لَم يَعُدِ ارْتِكابُ هَذَا الفعل

---

(١) رَوَاه الدَّارَمي فِي سُنَنه (٢٧٧٦)، وصحَّحَه الشيخ الَألْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ١٧).

(٣) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣٩٩).

قاصرًا عَلَى الكبار، بَلْ تعداهم إِلَى الصغار؛ فنرى مِنْهُم مَن يغُشُّ فِي الامتحانات ظنًّا مِنْهُم أَنَّ هَذَا هُوَ طريق النجاح ومَسْلك الفلاح، بَلْ أصبح بعضُهم يبتكر طرقًا عصرية للقيام بهَذِه المعصيَة الرديَّة، ويَعْظُم حُزن المؤمن عندمَا يسمع أَنَّ بَعْضَ الأبناء قَد يفعلون ذَلِك بمُبَارَكة الآباء أو بمساعدة بَعْض الأساتذة، يَقُول الشَّيْخ ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ مُحرَّمٌ فِي الاختبارات، كما أَنَّهُ محرم فِي المعاملات، فَلَيْسَ لأحد أنْ يغش فِي الاختبارات فِي أي مادة، وإِذَا رضي الأستاذ بذَلِك فَهُوَ شريكه فِي الإثم والخيانة، والله المستعان».(١)

فعَلَى كلِّ مَن ولاَّه ربُّ العَالَمِينَ أَمْرَ المُسْلِمِينَ سواء كَانت ولايته عَامَّة أَو خاصة أنْ يَحْذر أشدَّ الحذر من مباركته أَو وقوعه فِي هَذَا العَمَل المُشِين؛ لأَنَّهُ متوعَّدٌ بالعقاب الشديد يَوْم وقوفه بين العَزِيز الحميد، فعن مَعْقِل بْنِ يَسَار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْم يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْه الْجَنَّةَ**».(٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابْن بَاز (٦/ ٣٩٧).

(٢) رَوَاه مسلم (١٤٢).

يَقُول القاضي عيَّاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه بَيِّنٌ فِي التَّحْذِير مِن غِشِّ المُسْلِمِينَ لِمَن قَلَّدَه الله تعالى شَيْئًا مِن أمرهم، واسترعاه عَلَيْهم، ونَصَّبه لمصلحتهم فِي دينهم أَو دنياهم، فإِذَا خَانَ فيمَا اؤتُمِنَ عَلَيْه فلَمْ يَنْصَح فيمَا قُلِّدَهُ؛ إِمَّا بِتَضْيِيعِهِ تَعْرِيفهمْ مَا يَلْزَمهُمْ مِنْ دِينهمْ، وَأَخْذهمْ بِهِ، وَإِمَّا بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَيَّن عَلَيْهِ مِنْ حِفْظ شَرَائِعهمْ، وَالذَّبِّ عَنْهَا لِكُلِّ مُتَصَدٍّ لإِدْخَالِ دَاخِلَة فِيهَا أَوْ تَحْرِيف لِمَعَانِيهَا، أَوْ إِهْمَال حُدُودهمْ، أَوْ تَضْيِيع حُقُوقهمْ، أَوْ تَرْك حِمَايَة حَوْزَتهمْ، وَمُجَاهَدَة عَدُوِّهِمْ، أَوْ تَرْك سِيرَة الْعَدْل فِيهِمْ؛ فَقَدْ غَشَّهُمْ».(١)

وعلينا كَذَلِك جَمِيعًا أن نَحْذر من الوقوع فِي هَذَا العَمَل المُشين ونُحَذِّر كذَلِك مِنْهُ الآخرين، ونُذَكِّرَهم بعواقبه الوخيمة وأخطاره الجسيمة الَّتِي لَا تَضُرُّ فَقَطِ الأفرادَ، بَلْ تتعدى إِلَى الجماعات، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثرة ذَلِك أي الغِشِّ تدلُّ عَلَى فَسَادِ الزمان وقُربِ السَّاعَةِ، وفَسَاد الأموال والمُعَامَلات، ونَزْع البَرَكات مِن المَتَاجر والبِيَاعات وَالزِّراعات، بَلْ ومِن الأراضي المَزْرُوعات».(٢)

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ١٦٦).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٤٠٠).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أن يجعلنا ممَّن يحرص عَلَى فعل الطاعات والتزوُّد مِن الخيرات، وأنْ يحفظ المُسْلِمِينَ من الوقوع فِي المُحَرَّمات كالغِشِّ والخيانة وسائر المُنْكَرات، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وهو ربُّ الأَرْض والسَّمَوات.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تذكير الأغنياء
بفوائد الجلوس
مع الفقراء

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ عَلَى المُسْلِمِينَ أن يتَّصفوا بِخُلقٍ كريم وأدبٍ قويم قَد أَمَرَهُم بالتَّحلي بِهِ خيرُ المُرْسَلِين بِوَحْيٍ مِن ربِّ العَالَمِينَ، أَلَا وهو التواضع للآخرين، فعن عيَّاض بْنِ حِمَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنّ الله أَوْحَى إليّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».(١)

يَقُول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: ««حَتَّى لَا يَفْخَرَ»، بفتح الخاء، مِن الفَخْر، وهو ادِّعاءُ العَظَمة والكِبْرياء والشَّرَف؛ أيْ: كي لَا يتعاظمَ «أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ»، بكسر الغين؛ أيْ: وَلَا يَظْلم «أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»،

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٨٦٥).

وفِي الجمع بينهمَا إشعار بأنَّ الفَخْر والبَغْي نَتِيجَتَا الكِبْر؛ لِأَنَّ المُتَكبِّر هو الَّذِي يرفع نفسه فوق كلِّ أحد وَلَا يَنْقَاد لأَحَدٍ».(١)

فمَن عَمِل بهَذِه الوصيَّة النبوية فسَيَنَالُ الخيرَ الكبيرَ والفَضْلَ الكَثِير بإذْنِ الربِّ الكَرِيمِ القديرِ، فعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**».(٢)

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ وَجْهَانِ؛ أحدهما: يرفعه فِي الدُّنْيا ويُثْبِتُ لَهُ بِتَوَاضُعِه فِي القُلُوبِ مَنْزِلَةً، ويرفعه الله عند النَّاس ويُجِلُّ مكَانه.

والثاني: أنَّ المُرَاد ثوابُه فِي الآخرة ورَفْعُه فِيهَا بتواضعه فِي الدُّنْيا».(٣)

وَلِذَا فإنَّ عَلَى المُسْلِم العاقل أَيُّها الأَفَاضِلُ أَلَّا يُفرِّط فِي هَذَا الخير وَلَا يُضيع هَذَا الأجر، ويسعى دَائِمًا لتَحْقِيق هَذَا الخُلُق الرَّفيع

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ١٢١).

(٢) رَوَاه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٤٢).

لِمَا لَهُ مِن مكَانةٍ وَقَدْر، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقل لُزُومُ التَّوَاضع، ومُجَانَبَةُ التَّكبُّرِ، وَلَو لَمْ يَكُن فِي التواضع خَصْلةٌ تَحْمِلُه إِلَّا أنَّ المَرْء كُلَّمَا كَثُر تَوَاضُعُه ازْدَادَ بذَلِك رِفْعَة، لَكَان الواجبُ عَلَيْه أَلَّا يَتَزَيَّا بغيره».(١)

إنَّ صُوَرَ التَّوَاضُع أَيُّها الأَفَاضِلُ لَيْست مَحْصورةً وَلَا هِي عَلَى هيئةٍ واحدةٍ مَقْصورة، بَلْ هِي متعدِّدةٌ موفورةٌ، ومِن أهمِّها وأَفْيَدِها صُورَةٌ تُقوِّي رَوَابطَ المَحَبَّة بَيْن المُسْلِمِينَ والإخاء، وتُبْعد عَنْهم التفرُّقَ والبَغْضاء؛ أَلَا وَهِيَ مُجالَسَةُ ومُخالطَةُ ومَحَبَّةُ الأغْنِياءِ للفُقَراءِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضُعُ يُكْسِب السَّلَامةَ ويُورِثُ الأُلْفَة ويَرْفع الحِقْدَ ويُذْهب الصَّدَّ، وثَمَرَةُ التواضُعِ المَحَبَّةُ».(٢)

وبِسَبَبِ مَا يترتَّبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَة الجليلة مِن ثِمَارٍ كَرِيمةٍ وفَوَائدَ ذَاتِ أهميَّةٍ وقِيمَةٍ، أَمَرَنَا عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام بالاتصاف والتَّحلي بها، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَمَرَني خليلي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِسَبْعٍ: أَمَرَني بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ منهم، وَأَمَرَني أَنْ**

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٥٩).

(٢) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٦١).

أَنْظُرَ إِلَى مَن هُوَ دِونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَن هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِن قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُنَّ مِن كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ».(١)

يَقُول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بِسَبْعٍ﴾ أيْ بسَبْعِ خِلَالٍ، ﴿أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ﴾ أيْ والقرب من حالِهِم أَو التَّقَرُّبِ مِن مآلهم».(٢)

لقد عَلِمَ سَلَفُنا الصَّالحُ فائدةَ وقِيمَةَ هَذِهِ الوَصِيَّة؛ لِذَا عَمِلُوا بِمَا حَثَّهم عَلَيْه خيرُ البريَّة، فأَحَبَّ الأغنياءُ مِنْهُم الفُقَرَاءَ وحَرَصوا عَلَى الإحسان إِلَيْهم، بَلْ إنَّ بعضهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم كان يُجلِس الفُقَرَاءَ معه عَلَى مائدته ويَجْعَلهم يُشاركونه فِي طعامه، فعن أَبِي مَحْذُورَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ جالسًا عند عُمَرَ إِذْ جَاءَه صَفْوَانَ بْنُ أُمَيَّة بِجَفْنَةٍ، يَحْمِلُهَا نَفَرٌ فِي عباءةٍ، فوَضَعُوها بَيْن يَدَي عُمَرَ، فَدَعَا عُمَرُ

---

(١) رَوَاه الإمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ١٥٩)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٢١٦٦).

(٢) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ٤٤٥).

نَاسًا مَسَاكِينَ وَأَرِقَّاءَ مِن أَرِقَّاءِ النَّاس حَوْلَه، فأَكَلُوا معه »(١)

بل كَان أَيْضًا بعضُهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَا يجلس عَلَى طعامٍ حَتَّى يُؤتَى بمسكين يأكل معه، فعن نَافِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوْلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَان ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ معه».(٢)

فيَنْبَغِي عَلَى مَن فَتَحَ عَلَيْه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ مِن فَضْلِه أنْ يُحِبَّ إِخْوَانَه الفُقَرَاءَ والمساكينَ الَّذِين هُمْ مِن أَسْبَاب النَّصْر والتَّمْكِينِ بإِذْن ربِّ العَالَمِينَ، فعن سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!**»(٣)

يَقُول ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتأويل ذَلِك أنَّ عبادةَ الضعفاءِ ودُعَاءَهم أشدُّ إخلاصًا وأكثرُ خشوعًا؛ لِخَلَاء قُلُوبِهم مِن التَّعلُّقِ بزُخْرُف الدُّنْيا وزِينَتِها وصَفَاءِ ضمائرِهم مِمَّا يَقْطَعُهم عن الله، فَجَعَلُوا هَمَّهُم واحدًا؛ فزَكَتْ أَعْمَالُهم، وأُجِيبَ دعاؤهم».(٤)

---

(١) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٢٠٣) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٥٠٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٠).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٢٧٣٩).

(٤) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّال (٥/ ٩٠).

والَّذِينَ هُم أكثرُ مَن يَدْخُلُ مِن المُسْلِمِينَ جَنَّةَ أرحَمِ الرَّاحِمِينَ، فعن أُسَامَة بْن زَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنّةِ فَإِذَا عَامّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدّ مَحْبُوسُونَ إِلّا أَصْحَابَ النّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النّارِ**».(١)

يَقُول المهلَّب بْنُ أحمد بْنِ أَبِي صُفْرَة الأَنْدَلُسِي (ت:٤٣٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ مِن الفِقْه أنَّ أَقْربَ مَا يُدْخَلُ بِهِ الجَنَّةَ التَّوَاضُعُ لله تعالى، وأنَّ أَبْعَدَ الأشياء مِنَ الجَنَّة التَّكَبُّرُ بالمال وغيره، وإنَّمَا صار أصحاب الجدِّ محبوسون لِمَنْعِهم حُقُوقَ اللهِ الواجبةَ للفقراءِ فِي أموالهم، فحُبِسُوا للحساب عمَّا مَنَعُوه، فأمَّا مَن أدَّى حُقُوقَ الله فِي أمواله، فإنَّه لَا يُحْبَسُ عن الجَنَّة، إلَّا أنَّهم قليلٌ؛ إذْ كَثُرَ شأنُ المَالِ تَضِيعُ حُقُوقُ الله فِيهِ؛ لِأَنَّه مِحْنَةٌ وفِتْنَةٌ».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ««قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ»، يعني أكثرُهم؛ أكثرُ مَا يَدْخل الجنةَ الفُقَرَاءُ؛ لِأَنَّ الفُقَرَاءَ فِي الغالبِ أقْرَبُ إِلَى العبادةِ والخشيةِ لله مِنَ

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٣٦) واللفظ له.

(٢) شَرْح صَحِيح البُخَارِي لابْنِ بَطَّال (٧/ ٣١٨).

الأغنياءِ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧]. والغني يرى أَنَّهُ مُسْتَغنٍ بمَالِه، فَهُوَ أقلُّ تعبُّدًا مِن الفقير، وإنِ كَان مِن الأغنياء مَن يَعْبد الله أكثرَ مِن الفُقَرَاءِ، لكنَّ الغالب، و«أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ» يَعْني أصحابَ الحظِّ والغِنَى محبوسون لم يَدْخلوا الجنةَ بعدُ؛ الفُقَرَاء يدخلون الجنة قبل الأغنياء».(١)

وَلِذَا كَان خيرُ المُرْسَلِين يَسْأل أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أنْ يَحشُرَه فِي زُمْرَة المساكين، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا» قِيلَ هُوَ مِن المَسْكَنَةِ، وهِي الذِّلة والافتقار، فأرَاد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذَلِك إظهارَ تواضُعِه وافتقارِه إِلَى ربِّه إرشادًا لأُمَّتِه إِلَى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر والنَّخْوة، وأراد بذَلِك التنبيه عَلَى عُلُوِّ درجات المساكين وقُرْبِهم من الله تعالى، قاله الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاحْشُرْنِي فِي

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٦٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٣٥٢) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» أيْ أَجْمِعني فِي جماعتهم بمعنى اجْعَلني مِنْهُم، لكنْ لَمْ يَسْأل مسكنةً ترجع للقِلَّة بَلْ للإِخْبَاتِ والتواضع والخشوع».(١)

وتَذَكَّرْ كذَلِك أَيُّها الغني لعلَّ هَذَا المسكينَ الَّذِي تُجالِسُه وتُحْسِن إِلَيْه قَد يَكُون مِن مُجَابِي الدَّعْوَةِ، فيَخُصُّكَ بدعاء تَنْفعُك آثارُه فِي دنياك ويَوْم وُقُوفِك بَيْن يَدَيْ مَوْلاك، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**».(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَشْعَثُ الملبَّدُ الشَّعْرِ المُغْبَرُّ غَيْرُ مَدْهُونٍ وَلَا مُرجَّلٍ، و«مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ» أيْ لَا قَدْرَ لَهُ عند النَّاس، فهُمْ يَدْفعونه عن أَبْوابهم ويَطْرُدُونَه عَنْهم احتقارًا لَهُ، «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ» أيْ لَو حَلَفَ عَلَى وُقُوع شَيْء أَوْقَعَهُ الله إكرامًا لَهُ بإجابة سؤاله وصِيَانَتِه مِنَ الحِنث فِي يَمِينه، وَهَذَا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِه عند الله تعالى، وإِنْ كَان حقيرًا عند النَّاس. وقِيلَ مَعْنى القَسَمِ هُنَا الدُّعَاءُ، وإِبْرَارُه

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ١٦).

(٢) رَوَاه مسلم (٢٦٢٢).

إجابتُه، والله أعلم».(١)

واعلمْ أَيْضًا أنَّ جلوسَك معهم يجعلك تَنْظر إِلَى مَن هُوَ دُونَك لَا لِمَن هُوَ فوقك فتَشْكُر الكبيرَ المتعالَ عَلَى مَا أنعم عَلَيْكَ مِن جاهٍ ومالٍ فتُحَقِّق بذَلِك مَا أوصاك بِهِ نبيُّك الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أيْ فِي أمور الدُّنْيا أيْ الأَحَقِّ والأَوْلَى ذَلِك، «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ» فيها؛ «فَهُوَ أَجْدَرُ» أيْ فالنَّظَرُ إِلَى مَن هُوَ أسفل لَا إِلَى من هُوَ فوق حَقِيقٌ «أَلَّا تَزْدَرُوا» أيْ بأَلَّا تحتقروا «نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ»، فإنَّ المَرْء إِذَا نَظَر إِلَى مَن فَضُلَ عَلَيْه فِي الدُّنْيا طَمِحَت لَهُ نفسُه واستصغر مَا عنده مِن نِعَم الله، وحَرَصَ عَلَى الازْدِيَاد لِيَلْحَقَه أَو يُقَاربَه، وإِذَا نظر لِلدُّونِ شَكَرَ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٤).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.

النعمة وتَوَاضَعَ وحَمِدَ».[١]

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أَرْشَدَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذَا الدواء العجيب، والسبب القوي لِشُكْرِ نِعَم الله، وهو أنْ يَلْحَظَ العَبْد فِي كل وقتٍ مَن هُوَ دونه فِي العقل والنَّسَب والمَالِ وأصناف النِّعَم، فمَتَى استدام هَذَا النظر اضْطَرَّه إِلَى كثرة شُكْرِ ربِّه والثَّنَاء عَلَيْه، فإنَّه لَا يزال يَرَى خَلْقًا كَثِيرًا دونه بدرجات فِي هَذِهِ الأوصاف، ويَتَمَنَّى كَثِيرٌ مِنْهُم أن يَصِلَ إِلَى قريبٍ مِمَّا أُوتِيَه مِن عافيةٍ ومالٍ ورِزْقٍ، وخُلُقٍ وخَلق، فيَحْمَد الله عَلَى ذَلِك حمدًا كَثِيرًا، ويقول: الحمد لله الَّذِي أنعم عليَّ وفضَّلَني عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقَ تفضيلًا.

ينظر إِلَى خلق كَثِير ممَّن سُلِبوا عقولهم، فيَحْمَدُ ربَّه عَلَى كمال العقل، ويُشاهِد عالَمًا كَثِيرًا لَيْسَ لهم قُوتٌ مُدَّخَر، وَلَا مساكن يَأْوُونَ إِلَيْها، وهو مُطْمَئِنٌّ فِي مسكنه، مُوَسَّعٌ عَلَيْه رزقُه.

ويرى خَلْقًا كَثِيرًا قَد ابْتُلُوا بأنواع الأمراض، وأصناف الأَسْقَام وهُو مُعَافًى مِن ذَلِك، مُسَرْبَلٌ بالعافية. ويُشاهِد خَلْقًا كَثِيرًا قَد ابْتُلُوا

---

(١) فَيْض القَدِير (٣/ ٩٧).

ببلاء أفظعَ من ذَلِك، بانحراف الدِّين، والوقوع فِي قَاذُورَات المَعَاصِي، واللهُ قَد حَفِظَه مِنْهَا أَو مِن كَثِير مِنْهَا.

ويتأمل أناسًا كَثِيرين قَد استولى عَلَيْهم الهمُّ، ومَلَكَهُم الحزنُ والوَسَاوِسُ وضِيقُ الصدر، ثُمَّ ينظر إِلَى عافيته مِن هَذَا الدَّاء، ومنةِ الله عَلَيْه براحةِ القلب، حَتَّى ربَّمَا كَان فقيرًا يفوق بهَذِه النعمةِ نعمةِ القناعة وراحة القلب كَثِيرًا من الأغنياء.

ثم مَن ابْتُلِيَ بشيء مِن هَذِهِ الأمور يَجِدُ عالمًا كَثِيرًا أعظمَ مِنْهُ وأشدَّ مصيبةً، فيحمد الله عَلَى وجود العافية وعَلَى تخفيف البلاء، فإنَّه مَا مِن مكروهٍ إِلَّا ويوجد مكروهٌ أعظم منه.

فمَن وُفِّقَ للاهتداء بِهَذَا الهَدْي، الَّذِي أَرْشَدَ إِلَيْه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يزل شُكْرُه فِي قُوَّة ونُمُوٍّ، ولم تَزَل نِعَم الله عَلَيْه تَتْرَى وتَتَوالَى، ومَن عَكَسَ القضيةَ فارْتَفَع نَظَرُه وصَارَ يَنْظر إِلَى مَن هُوَ فَوْقه فِي العافية والمال والرزق وتَوَابِع ذَلِك، فإنَّه لَا بدَّ أنْ يَزْدَرِي نِعْمَةَ الله، وَيَفْقِدَ شُكْرَه، ومَتَى فَقَدَ الشُّكر تَرَحَّلَت عَنْه النِّعَم، وتَسَابَقَت إِلَيْه النِّقَم، وامْتُحِنَ بالغَمِّ المُلازِم، والحزن الدَّائم، والتَسَخُّطِ لِمَا هو فِيهِ مِن الخير، وعَدَم الرضى بالله ربًّا ومدبرًا. وذَلِك

ضرر فِي الدِّين والدُّنْيا وخسرانٌ مبين».(١)

فبَعْدَ أنْ عَرَفْنا أَيُّها الكِرَام فَضْلَ هَذِهِ الصِّفَة الكَرِيمة والخصلة الحميدة، وأنَّ فوائدها وعوائدها لَيْست قاصرةً عَلَى الفُقَرَاء، بَلْ تَتَعدَّى بدرجة أكبر إِلَى الأغنياء، وأَنَّهَا مِن أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ والإخاء، وهِي كَذَلِك من وَسَائِل القضاء عَلَى ما قَد يُوجَد بينهم مِن عداوة وحِقد وحَسَدٍ وبغضاءَ، فعَلَى مَن أَنْعَمَ عَلَيْه ربُّ العَالَمِينَ أنْ يجتهد فِي تَحْقِيقها وَيَحْرص عَلَى مجالسة الفُقَرَاء المساكين، ولْيَعْلمْ أنَّ هَذَا الفعل لَا يَقْدَحُ فِي مكانته، ولَنْ يُذهِبَ هِيبتَه كما قَد يُلبس عَلَيْه إِبْلِيس اللعين، بَلْ مَا يزيده ذَلِك كمَا تَقَدَّمَ إِلَّا رفعةً فِي الدَّارَين ومحبَّةً وتوقيرًا عند الآخرين، بإذْن أَرحَمِ الرَّاحِمِينَ، يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضعُ لَا يُصغِّر كَبِيرًا، وَلَا يَضع رفيعًا، وَلَا يُبطل لِذِي حقٍّ حقًّا، ولكنه يُوجِب لصاحبه فضلًا، ويُكسبه جلالًا وقدرًا».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يَجْعَلَنا وإيَّاكم

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٩٧).

(٢) شرح السنة (١/ ١١٦)

هُدَاةً مُهتدين، وبِنَبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْتَدينَ، وأنْ يُوفِّق الأغنياء لخدمةِ الدِّين وإعانة الفُقَرَاء والإحسان للمساكين من المُسْلِمِينَ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تذكير الأخيار أن
قبول الاعتذار من
شيم الكبار

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ تقويةَ أواصر المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ وتعزيز روابط الألفة والإخاءِ والحَثِّ عَلَى اجتناب كلِّ سبب يؤدِّي إِلَى نشرِ العداوة فيمَا بينهم والشَّحْناء لَهُوَ مِن أهمِّ مقاصد الدِّين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانه، أنْ يَكُون هِينًا ليِّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجب المودّة والأُلْفَة بَيْن النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشّرع، ولِهَذا نَهَى النَّبيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجب العداوة والبغضاء».(١)

وَلِذَا أَمَرَنا ديننُا الكَرِيم بِبَذْلِ كلِّ الأَسْبَاب الَّتِي تُساهِم فِي تَحْقِيق

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٥٤٤).

هَذَا المَقْصدِ العظيمِ والهدفِ القويمِ، ومِن ذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ أَنَّهُ حَثَّنا عَلَى التحلِّي بخصلة كريمة وَصِفة جليلة؛ أَلَا وَهِيَ العفو؛ وهو: «التجاوُز عن الذنب وتَرْكُ العقاب عَلَيْه».(١)

بل لأَجْل دَفْع المُسْلِم وترغيبه بِهَذَا الخُلُق الجميل والأدب النبيل، وَعَد العَزِيز القدير مَن تَحلَّى بِهِ بالأَجْر الكبير والخير الكَثِير؛ حَيْثُ قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: يَجْزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كَثِيرًا، وشَرَطَ اللهُ فِي العفوِ الإصلاحَ فيه، ليَدُلَّ ذَلِك عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَان الجاني لَا يليق بالعفو عَنْه وكَانَت المَصْلَحَة الشرعية تقتضي عُقُوبَته، فإنه فِي هَذِهِ الحال لا يَكُون مأمورًا به.

وفِي جعل أجر العافِي عَلَى الله مَا يُهِيج عَلَى العفو، وأنْ يُعامِلَ العَبْدُ الخَلْقَ بمَا يُحِبُّ أنْ يُعامِلَه اللهُ به، فكمَا يُحِبُّ أنْ يعفو الله عَنْه، فلْيَعْفُ عَنْهم، وكمَا يحب أن يسامحه الله، فلْيسامحْهم، فإنَّ الجزاءَ مِن جنس العمل».(٢)

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٧٢).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٦٠).

وهَذِه الخَصْلة الكَرِيمة لَا ينالها وَلَا يتحلَّى بِهَا أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام إِلَّا مَن وطَّن نفسَه وعوَّدَها عَلَى قَبُول عُذْر مَن أخطأ فِي حقِّه مِن الأَنَام، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب عَلَى العاقل إِذَا اعتَذَر إِلَيْه أخوه لِجُرمٍ مضى، أَو لتقصيرٍ سبق أنْ يَقبل عُذْرَه ويجعله كمن لم يُذنب».(١)

فأصحابها هُم النُجباء، وبَيْنَ النَّاس هم العُقلاء؛ حَيْثُ عَرَفوا أنَّ السَّعَادَة والطمأنينة الحَقِيقِيَّة هِي فِي العفو والصَّفْح عمَّنْ أخطأ فِي حقِّهم مِن البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي الصَّفْحِ والعَفْوِ والحِلْمِ، مِن الحَلاوة والطُّمَأنِينَة والسَّكِينة وشَرَف النَّفْسِ وعِزِّها ورِفْعَتها عن تَشَفِّيها بالانتقام، مَا لَيْسَ شيءٌ مِنْهُ فِي المقابلة والانتقام».(٢)

وأنَّ الخير لَيْسَ دَائِمًا فِي تقديم العقاب والزجر، وإِنَّما هُوَ فِي العفو وإيثار قبول العذر، وَهَذَا مَا يرفع العَبْدَ بَيْن النَّاس وعند العَزِيز المقتدر، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَء (ص١٨٣).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣١٩).

زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ وجهان؛ **أحدهما**: أَنَّهُ عَلَى ظاهِرِه، وأنَّ مَن عُرِف بالعفو والصفح سَادَ وعَظُم فِي القلوب وزَادَ عِزُّه وإكرامه.

والثاني: أنَّ المُرَاد أجرُه فِي الآخرة وعِزُّه هناك».(٢)

ويَعْلَمون أَيْضًا جيدًا أنَّ قبول اعتذار الآخرين مِن أَخْلَاق الكِرَام المتواضعين الَّذِينَ يحبُّهم ربُّ العَالَمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أساء إِلَيْكَ ثُمَّ جاء يعتذر مِن إساءته، فإنَّ التواضع يُوجب عَلَيْكَ قبول معذرته حقًّا كَانت أَو باطلًا، وتَكِلُ سَرِيرَته إِلَى الله تعالى، كمَا فعل رَسُول الله فِي المنافقين الَّذِينَ تخلفوا عَنْه فِي الغزو، فلمَّا قَدِم جاءوا يعتذرون إِلَيْه فقبل أعذارهم، ووكَّل سرائرهم إِلَى الله تعالى».(٣)

إنَّ أَوْلى مَن يَنْبَغِي أن يتحلَّى بِهَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدب القويم أَيُّها الأَحِبَّة الكرام هُوَ مَن يَحُثُّ النَّاس عَلَى العَمَل بتعاليم الإِسْلَام

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٤١).

(٣) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٣٧).

ويسعى فِي الإصلاح بين الأَنَام، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَفُوق النَّاس فِي العِلْم جديرٌ أنْ يَفُوقَهم فِي العمل».(١)

لِأَنَّهم عند النَّاس هُم القدوةُ، وفِي نظرهم الأُسْوَةُ، يَقُول الخطيب البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجب أن يَكُون طَلَبة الحديث أكملَ النَّاس أدبًا، وأشدَّ الخَلْق تواضُعًا، وأعظمَهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلَّهم طيشًا وغضبًا؛ لِدَوَام قَرْعِ أسماعهم بالأخبار المشتملة عَلَى محاسن أَخْلَاق رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه وسِيرَة السَّلَف الأَخْيَار مِن أهل بيته وأصحابه، وطرائق المُحَدِّثين ومآثر الماضين، فيأخذوا بأَجْمَلِها وأَحْسَنِها ويَصدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها».(٢)

ونَذْكُرُ كَذَلِك فِي هَذَا المقام أنَّ عَلَى مَنْ قصَّر أَو أَذْنَبَ فِي حق إِخْوَانه أنْ يُبادر إِلَيْهم بطلب العفو والاعتذار؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِي طريقة الأَخْيَار ومنهج أهل الفضل الكبار، وسيَقْوَى بذَلِك بينه وبينهم رباط المَحَبَّة والأُخُوَّة، وسيَسُدُّ كلَّ ما قَد يحصل بين إِخْوَانه مِن نُفرةٍ وفجوة، وسيَحْمِي نفسه كَذَلِك مِن داء خطير ومرض عسير؛ أَلَا وهو العُجْب،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٨).

يَقُول ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو لم يكن فِي اعتذار المَرْء إِلَى أخيه خَصْلة تُحْمد إِلَّا نَفْي التعجب عَن النفس فِي الحال، لَكَانَ الواجب عَلَى العاقل أَلَّا يفارقه الاعتذار عند كل زلة».(١)

فبعدَ أنْ عَرَفْنا أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام فَضْلَ هَذِهِ الخصلة الحميدة والصِّفَة الرفيعة، وأَنَّهَا مِن شِيَم أصحاب النفوس الزكية والطريقة المَرْضِيَّة، فمَا أجمل أنْ نُساهِم جَمِيعًا فِي نَشْرها بين المُسْلِمِينَ، وأنْ نَكُون ممَّن يَقْبَل عذر مَن أساء إِلَيْه من الآخرين لتَسُودَ المَحَبَّة والأُخُوَّة وكُلُّ أنواع الخير، ولِتَقْضِيَ بإذن العَزِيز المقتدر عَلَى الحقد والحسد والبغض وكل طرق الشرِّ.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإيَّاكُم لكلِّ ما فِيهِ فلاحٌ ونجاحٌ فِي الدَّارين، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا كلَّ مَا يؤدِّي إِلَى الحِرْمَان والخُسْرَان، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيز الرَّحْمَن.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٨٦).

أيّ الأنفس تريد أن تصاحب؟!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الصُحبة مؤثِّرة فِي إصلاحِ الحال وإفسادِه؛ فمُعَاشَرةُ الأَخْيَار تُورِث النجاحَ والفلاحَ، ومُخالَطةُ الأشرارِ تُورِث الحِرْمان والخُسْران، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ من يُخَالِلُ**».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه «الرَّجُلُ» يعني الإنْسَان، «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» أيْ عَلَى عادَةِ صاحِبِه وطرِيقَتِه وسِيرَتِه، «فَلْيَنْظُرْ» أيْ فلْيَتَأَمَّلْ وليَتَدَبَّرْ، «مَنْ يُخَالِلُ» مِن المُخَالَّة، وهِي المُصَادَقَة والإخَاءُ،

---

(١) رَوَاه التِّرمِذِي (٢٣٧٨)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمَنْ رَضِيَ دينَه وخُلُقَه خَالَلْهُ، ومَن لَا؛ تَجَنَّبَهُ؛ فإنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَة، والصُّحْبَة مُؤثِّرة فِي إصلاح الحال وإفسادِه».(١)

وَلِذَا كَان لِزامًا عَلَى المُسْلِم أن يَحْرِص أشدَّ الحرص عَلَى مُصَاحَبة ومُجالَسَة مَن كَان مِن أَصْحاب الأَنْفُس الطيبة؛ لأَنَّهَا تدعو صاحبَها للتَّحَلِّي بِكُلِّ خُلقٍ جميلٍ وأدبٍ نبيلٍ؛ فبالتَّالي فإنَّ فوائدَ ذَلِك وعوائدَه تَعُود عَلَيْه ويَسْتَفيد مِنْهَا، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفوائدُ الأصحاب الصَّالحين لَا تُعَد وَلَا تُحْصَى، وحَسْبُ المَرْءِ أنْ يُعْتَبَرَ بقَرِينه، وأنْ يَكُون عَلَى دين خَلِيله».(٢)

وعَلَيْه كَذَلِك أنْ يَجْتَنِب مَن كَانت نَفْسُه خَبِيثةً؛ لأَنَّهَا تَجْعل صاحِبَها يتَّصِفُ بأَوْصاف ذَمِيمةٍ، وَأَفْعالٍ قَبِيحةٍ، ويُخشى عَلَى مَن خَالَطَه أنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْه مَا بِهَا مِن داءٍ ويُصابَ بمَا تَغَلَّلَ فِيهَا مِن وَباءٍ، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهُم أيْ مُصَاحِبَةُ الأشرار مَضَرَّةٌ مِن جَمِيع الوجوه عَلَى مَن صَاحَبَهُمْ، وشَرٌّ عَلَى مَن خَالَطَهم، فكَمْ هَلَكَ بِسَبَبهم أقوام، وكَم قَادُوا أصحَابَهم إِلَى المَهَالِك مِن حَيْثُ يَشْعُرون،

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٢).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢٠).

ومِن حَيْثُ لَا يَشْعُرون».(١)

فَلَا مُسَاواة أبدًا أَيُّها الأَفَاضِلُ بَيْن مَن امْتَلَأَتْ نَفْسُه مِن كُلِّ فَضْلٍ وخَيْرٍ، ومَن كَانَت نَفْسُه مَأْوًى لِكُلِّ عَيْبٍ وشَرٍّ؛ لِأَنَّ مَن طَابَتْ نَفْسُه طَابَ عَمَلُه، ومَن خَبُثَت نَفْسُه خَبُثَ عملُه، يَقُول جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُول تعالى ذِكْرُه لنبيه مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّد: لَا يَعْتَدِلُ الرديءُ والجَيِّد، والصَّالِح والطَّالِح، والمُطِيع والعَاصِي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾، يقول: لَا يَعْتَدِل العاصي والمُطِيع لله عند الله، وَلَوْ كَثُرَ أَهْل المَعَاصِي فعَجِبْتُ مِن كَثْرَتِهم؛ لِأَنَّ أَهْل طَاعَة الله هُمُ المُفْلِحون الفَائِزون بِثَوَاب الله يَوْم الْقِيَامَة وإِنْ قَلُّوا، دُونَ أَهْلِ مَعْصِيَتِه وإِنَّ أهل مَعَاصِيه هُمُ الأَخْسَرون الخَائِبون وإِنْ كَثُرُوا».(٢)

فالأول: يَظْهَرُ الطِّيب والخَيْر الَّذِي فِي قَلْبه عَلَى جَوَارِحه وتَتَأَثَّرُ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

(٢) تفسير الطَّبَرِي (٧/ ٧٩).

بِهِ أَعْمالُه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّيِّبُ يَتفَجَّر مِن قَلْبِه الطِّيبُ عَلَى لِسَانِه وجَوَارِحه».(١)

والثاني: يتفَجَّر مِن قَلْبه الخُبثُ والشَّرُّ فيَسْرِي ذَلِك عَلَى أَقْوالِه وأَفْعَالِه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخَبِيث يتفَجَّر مِن قَلْبه الخُبْثُ عَلَى لسانِه وجَوَارِحِه».(٢)

والأول: بفَضْل العَزِيز الحَمِيد دَائِمًا سَعِيدٌ وعَنِ الشُّرُور بَعِيدٌ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله سُبْحَانَه وتعالى جَعَل للسَّعَادة والشَّقَاوة عُنوانًا يُعْرَفَان به؛ فالسَّعيدُ الطَّيِّب لَا يليق بِهِ إِلَّا طَيِّب وَلَا يأتي إِلَّا طَيِّبًا وَلَا يَصْدُر مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ وَلَا يُلَابِسُ إِلَّا طَيِّبًا».(٣)

والثَّاني: دَومًا فِي همٍّ وشَقَاء وَلَا يَصْدر مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ ضَرَرٌ وشرٌّ ووَبَاءٌ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّقِيُّ الخَبِيثُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الخَبِيث وَلَا يَأْتِي إِلَّا خبيثًا وَلَا يَصْدر مِنْهُ إِلَّا الخبيث».(٤)

---

(١) زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٣) زاد المعاد (١/ ٦٧).

(٤) زاد المعاد (١/ ٦٧).

والأول: أَيُّها الأَحِبَّة يُعْرف بين النَّاس بالأَخْلَاقِ الجَمِيلةِ والصِّفَاتِ الحَمِيدة مِن الكَرَمِ والجُوُدِ والشَّجاعةِ والبَذْلِ والعَطاءِ والوَفاءِ وغيرِ ذَلِك مِن صِفَات الأَتْقياءِ والأَصْفياءِ، وهو حريص أشدَّ الحِرْص عَلَى نَفْع المُسْلِمِينَ وبَذْل كلِّ خَير للآخرين، وهَذِه هِي صفات المُؤْمِنِينَ، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن فَضَائل الإِيمَان أنَّ المُؤْمِنِينَ يَنْتفعُ بعضُهم بِبَعض، ويَدْعو بعضُهم لِبعضٍ، بِسَبَب المُشارَكة فِي الإِيمَان المُقْتضِي لِعَقْد الأُخُوَّة بيْن المُؤْمِنِينَ الَّتِي مِن فُروعها أنْ يَدْعو بعضُهم لبعضٍ، وأنْ يُحِبَّ بعضُهم بعضًا».(١)

والثاني: أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام قَدِ اشْتُهِرَ بَيْنهم بصفاتِ اللِّئامِ مِن الحِقْدِ والمَكْرِ والكَيْدِ والجُبْنِ والبُخْلِ، وغيرِ ذَلِك مِن الشُّرور والآثامِ، ومِن ذَلِك أَيْضًا الحَسَد المَذْموم الَّذِي يَجعل صاحبَه لَا ينفكُّ عَن الهُمُوم، يَقُول الإِمَام ابْن حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحَسَد مِن أَخْلَاقِ اللِّئامِ، وتَرْكُه مِن أَفْعَالِ الكِرَام، ولكلِّ حريقٍ مُطْفئٌ، ونَار الحسدِ لَا تُطْفأ».(٢)

فمَا ظَهَر هَذَا الدَّاء وانْتَشَر هَذَا الوباء إِلَّا بِسَبَب عدمِ صَفَاء

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٥٤٧).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٣٤).

السَّرِيرة وخُبْثِ النُّفوسِ الشِّريرة، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سببُ الحسدِ خُبْثُ النَّفْسِ».(١)

ولْيَعْلَمْ مَن كانت سرِيرتُه خبيثةً وطَويتُه قبيحةً ونَفْسه عن الخَيْر بعيدةً أَنَّهُ مُتوعَّدٌ بعقابٍ شديدٍ إِذَا لم يُبَادرُ بالتَّوْبَة والرُّجوع إِلَى العَزِيز الحميد، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنُّفوس الخبيثةُ لَا تَصْلح أنْ تَكُون فِي الجنَّة الطَّيِّبة الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مِن الخُبْث شيءٌ؛ فإنَّ ذَلِك مُوجِب للفَسَاد أَو غير مُمْكن».(٢)

فعَلَيْه قَبْل فَوَات الأَوَان إِذَا أراد النَّجاة أنْ يُسارِع فِي مُعالَجَة وتَطْهِير نَفْسه مِن هَذَا المرضِ الخطيرِ والشَّر الكبيرِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجَنَّة لَا يَدْخلها خبيثٌ وَلَا مَن فِيهِ شَيْء مِن الخُبْث، فمَن تَطَهَّرَ فِي الدُّنْيا ولَقِيَ اللهَ طاهِرًا مِن نجاساته دَخَلَها بغَيْر مُعَوِّقٍ، ومَن لَمْ يتَطَهَّرْ فِي الدُّنْيا فإنْ كانت نجاستُه عينِيَّةً، كالكافر، لَم يَدْخلْها بحال، وإنْ كانت نجاستُه كَسْبِيَّةً عارِضةً دَخَلَها بَعْدَمَا يتطهَّرُ فِي النَّار

---

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ١٦).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٤/ ٣٤٤).

مِن تِلْكَ النَّجَاسة، ثُمَّ لَا يَخْرجُ مِنْهَا».(١)

وفِي الخِتَام أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام بَعْد أنْ عَرَفْنا الفَرْق بيْن الصِّنْفَين ومَا تتمَيَّزُ بِهِ كلُّ نفسٍ ومَا آثارُها عَلَى الآخَرِين، فَعَلَيْنا أنْ نَعْلَم جَمِيعًا أنَّ مِن نِعَم الكَرِيم الغفَّار عَلَى عَبْده أنْ يُوفِّقَه لمُصَاحَبَة أهْلِ الفَضْل الأَخْيَار، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن أعظم نِعَم الله عَلَى العَبْد المُؤمِن: أنْ يوفِّقَه لِصُحْبة الأَخْيَار».(٢)

ومِن الحِرمان والخُذلان أنْ يَبْتَلِيَ العَزِيزُ الرَّحْمَنُ عَبْدَه بمَرَافقة أَوْلِيَاء الشَّيطان، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عُقُوبَته أي سُبْحَانَه لِعَبْدِه: أنْ يَبْتَلِيَه بصُحْبة الأَشْرار».(٣)

فعَلَيْنا أنْ نَدْعو دَائِمًا الجَوَاد الجَبَّار أنْ يُوفِّقَنا لمُصَاحَبة الأَخْيَار وأنْ يُجَنِّبَنا مُخَالَطَة الأَشْرار، ثُمَّ لنجتهدْ فِي بَذْل كلِّ مَا يُعِينُنا عَلَى تَحْقِيق ما فِيهِ فلاحٌ ونجاحٌ لنا فِي الدَّارَين بإذْن أَرْحم الرَّاحِمِينَ، ومِن ذَلِك مُجالَسة ومُخالَطة أَصْحاب الأَنْفُس الطَّيِّبة الكَرِيمة، والبُعد واجتناب

---

(١) إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (١/ ٥٦).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

(٣) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

أصحاب النُّفوس الشريرة الخَبِيثة اللَّئِيمة.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفقنا جَمِيعًا لما فِيهِ فَضْلٌ وخَيْرٌ وسُرُورٌ، ومِن ذَلِك أنْ يطهِّر أَنْفُسِنا مِن كلِّ العُيوب والشُّرور، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

المن بالصنيعة!

المَنُّ بالصَّنِيعَة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ التَّصدُّقَ عَلَى الفُقَرَاء والمحتاجين مِن أَفْضل الأَعْمَال الَّتِي يَتَقرَّب بِهَا العَبْد إِلَى ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الرَّاغِب الأَصْفَهَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصَّدَقَةُ مَا يُخْرِجه الإِنْسَان مِن مَالِه عَلَى وَجْه القُرْبة كالزَّكَاة، لكنَّ الصَّدقة فِي الأصل تُقَال للمُتَطَوَّع به، والزَّكاة للواجِب، وقد يُسَمَّى الواجب صَدَقَةً إِذَا تَحرَّى صاحبُها الصِّدْقَ فِي فِعْله».(١)

لكنَّ هَذَا العَمَل الكَرِيم الَّذِي يُحبُّه العَزِيز العليم، والَّذِي حَثَّ عَلَيْه نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم قَد يُفسِده

---

(١) المُفْردات فِي غَرِيب القرآن (ص٢٧٨).

صاحبه بفِعْلٍ ذَمِيمٍ وعملٍ مُشِينٍ؛ أَلَا وهو المنُّ عَلَى مَن أَحْسَنَ إِلَيْهم مِن المَسَاكين، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْمَنُّ: هو أنْ يُعَدِّدَ نِعْمَتَه عَلَى الآخِذ، أَو يَذْكُرَهَا لِمَن لَا يُحِب الآخِذُ اطِّلاعه عَلَيْه».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجُوز للإِنْسَان أنْ يَمُنَّ بالعَطِية، فيقول: أنا أَعْطيتُك كذا، أنا أَعْطَيتُك كذا، سواءٌ قالَه فِي مُواجَهَته أَو فِي غير مُواجَهَته، مِثل أنْ يَقُول بين النَّاس: أعطيتُ فلانًا كذا، وأعطيتُ فلانًا كذا، لِيَمُنَّ بذَلِك عَلَيْه».(٢)

ناسيًا بذَلِك أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أَنَّه قَد ارتكَبَ ذنبًا هُوَ مِن كِبَار الآثامِ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَحْرُم المَنُّ بالصَّدقة وغيرها، وهو كَبِيرة».(٣)

وأَنَّ هَذَا الفعلَ القبيحَ لَيْسَ مِن سِمَات الأَخْيَار الَّذِينَ يريدون بالصَّدقة وَجْهَ العَزِيز الغفَّار، بَلْ هُوَ مِن صِفَات الأَشْرار الَّذِينَ غَفَلوا أَنَّ المتفضِّل حَقِيقَةً عَلَى جَمِيع الخَلْق هُوَ الكَرِيم الجبَّار، يَقُول الهَيْتَمِي

---

(١) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣١٢).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٧٦).

(٣) المستدرَك عَلَى مَجْمُوعِ الفَتَاوَى (٣/ ١٦٦).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَمُنُّ إِلَّا مَن غَفَل أَنَّ الله تعالى هُوَ المُعْطي والمتفضِّل».(١)

مُتغافلًا بفِعله المَذْموم عَن أمرٍ مَعْلوم أنَّ المَانَّ الحَقِيقِيَّ هُوَ العَزِيزُ الوهَّاب، وما هُوَ إِلَّا مِن الأَسْبَاب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه الباري جَلَّ وَعَلَا هُوَ المُنْعِم فِي نفس الأمرِ والعِبادُ وسائطُ، فَهُوَ المُنْعُم عَلَى عبدِه فِي الحَقِيقَة».(٢)

وَلِذَا فإنَّ مِن الأسماء الثابتة للعزيز الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة الإِخْوَان اسْمُ المَنَّانِ، فعَن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَان مع رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَات وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فقَال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد دَعَا الله بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».(٣)

يَقُول العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ» لَعَلَّه حَذَفَ المفعول اكتفاءً بعِلْم المَسْؤول، «بِأَنَّ لَكَ» تَقْدِيمُ الجَارِّ

---

(١) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣١٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤٩٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

للاختِصَاص «الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ» أيْ كَثِيرُ العَطَاء مِن المِنَّة بمعنى النِّعْمة، والمِنَّةُ مَذْمومةٌ مِنَ الخَلْق لأَنَّه لَا يملك شَيْئًا».(١)

ويَقُول الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا «المَنَّان» فَهُوَ كَثِير العطاء».(٢)

ويَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و«المنَّان» الَّذِي يجود بالنَّوَال قَبْل السؤال».(٣)

ولَا بُدَّ عَلَيْنَا أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام فِي هَذَا المَقَام الفَرْق الكبير الَّذِي بين مَنِّ العَبْد الضعيف عَلَى غيره مِن الأَنَام وبين مَنِّ العَزِيز العلَّام، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحَظَرَ الله عَلَى عِبَاده المَنَّ بالصنيعة، واخْتَصَّ بِهِ صِفَةً لنَفْسه؛ لأَنَّهُ مَنُّ العباد تكديرٌ وتَعْيِيرٌ ومَنُّ الله سُبْحَانَه وتعالى إفضالٌ وتذكيرٌ».(٤)

فعَلَى المُتصدِّق والمُحْسِن للآخَرين أنْ يَجْتنب هَذَا الفعل القبيح، ولْيَعْلمْ جيدًا أَنَّهُ لَيْسَ مِن أَخْلَاق أهل الجود الكُرَماء وإنَّما هُوَ مِن

---

(١) عون المعبود (٤/ ٢٥٤).

(٢) شأن الدعاء (ص١٠٠).

(٣) النبوات (ص٨٧).

(٤) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

صفات البُخَلاء، يَقُول القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِأَنَّه لا يَكُون أي المَنُّ غالبًا إِلَّا عن البُخل والعُجْب والكِبْر ونِسْيان مِنَّةِ الله تعالى فيمَا أَنْعم بِهِ عَلَيْه، فالبخيل يُعظِّم فِي نَفْسه العطيَّةَ، وإِنْ كانت حقيرة فِي نفسها، والعُجْبُ يَحْمله عَلَى النظر لنفسه بِعَين العَظَمة، وأَنَّه مُنعم بِمَاله عَلَى الْمُعطَى له، ومتفضِّلٌ عَلَيْه، وإن كان لَهُ عَلَيْه حقٌّ يجب عَلَيْه مراعاته، والكِبْر يَحْمله عَلَى أَنْ يَحْتقر المعطَى له، وإن كان فِي نفسه فاضلًا».(١)

وعَلَيْه أَنْ يَحْذر أشدَّ الحذر مِن التحلِّي بِهَذَا الخُلُق الذَّمِيم الَّذِي نَهَانَا عَنْه العَزِيز العظيم؛ حَيْثُ قَال الحكيم العليم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ المنَّة والأذى مُبطِلان لأَعْمَالكم، فتَصِير أَعْمَالُكم بمَنْزلةِ الَّذِي يَعْمل لمُرَاءَاةِ النَّاس وَلَا يُرِيد بِهِ اللهَ والدَّارَ الآخِرَة، فَهَذَا لَا شكَّ أنَّ عَمَلَه مِن أصلِه مَردودٌ؛

(١) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

لِأَنَّ شَرْط العَمَل أن يَكُون لله وحده، وَهَذَا فِي الحَقِيقَة عملٌ لِلنَّاسِ لَا لله، فأَعْمَالُه باطلةٌ وسَعْيُه غير مَشْكور، فمَثَله المُطابِق لحاله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهُو الحَجَر الأَمْلَس الشَّديد، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي: مَطَر غزير، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أي: لَيْسَ عَلَيْه شَيْء مِن التُّرَاب، فكذَلِك حال هَذَا المُرَائي، قلبُه غليظ قاسٍ بمنزلة الصفوان، وصَدَقته ونحوها مِن أَعْمَالِه بمَنْزلة التُّراب الَّذِي عَلَى الصَّفْوان، إِذَا رآه الجاهِل بحاله ظَنَّ أَنَّهُ أرض زكيَّة قابِلة للنَّبَات، فإِذَا انكشفت حَقِيقَة حاله زال ذَلِك التراب وتَبيَّنَ أنَّ عَمَلَه بمَنْزلة السَّرَاب، وأنَّ قَلْبَه غيرُ صالحٍ لنَبَات الزَّرْع وزَكَائه عَلَيْه، بَلْ الرِّيَاء الَّذِي فِيهِ والإِراداتُ الخبيثةُ تَمْنع مِن انتفاعه بشيء مِن عمله؛ فلِهَذا ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِن أَعْمَالهم الَّتِي اكتسبوها؛ لِأَنَّهم وَضَعوها فِي غير موضعها وجَعَلوها لمَخْلوق مثلهم، لَا يَمْلك لهم ضَرَرًا وَلَا نَفْعًا، وانصرفوا عن عبادةِ مَن تنفعهم عبادته، فصَرَفَ الله قلوبهم عن الهِدَاية، فلِهَذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾».(١)

والَّذِي جاء فِي حقِّ المتَّصِف بِهِ الوعيدُ الشديدُ كمَا أَخْبَرَنا بذَلِك

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١١٣).

رَسُول العَزِيزِ المجيدِ، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: المَنّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلّا مَنّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**».(١)

يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمنَّان: فَعَّالٌ مِنَ المَنِّ، وقد فَسَّره فِي الحديث فقال: «الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ» أيْ إِلَّا امتنَّ بِهِ عَلَى المُعْطَى لَهُ »(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المنَّان: الَّذِي يَمُنُّ بمَا أعطى، إِذَا أحسن إِلَى أحد بشيءٍ جَعَل يَمُنُّ عَلَيْه: فعلتُ بك كذا وفعلت بك كذا، والمنُّ مِن كَبَائِر الذُّنُوب؛ لِأَنَّ عَلَيْه هَذَا الوعيد».(٣)

وعَلَى المتصدِّق أَيْضًا أن يَعْلم أنَّ المنَّ المَنْهِي عَنْه كمَا يقع بالقول، فإنه يَكُون كَذَلِك بالقلب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمنُّ نوعان؛ أحدهما: مَنٌّ بقلبه مِن غير أنْ يصرِّح بِهِ بلسانه، وَهَذَا إنْ لم يُبْطِلِ الصَّدَقة فَهُوَ مِن نُقْصان شُهُود مِنَّة الله عَلَيْه فِي إعطائه المالَ

---

(١) رَوَاه مسلم (١٠٦).

(٢) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٢٨٨).

وحرمانِ غيرِه، وتوفيقِه للبَذْل ومَنْع غيره منه، فللهِ المِنَّة عَلَيْه مِن كلِّ وَجْه، فكَيْف يَشْهَد قلبُه مِنَّةً لغيره.

والنوع الثاني: أنْ يَمُنَّ عَلَيْه بلسانه، فيَعْتدي عَلَى مَن أَحْسَنَ إِلَيْه بإحسانه ويُرِيَه أَنَّهُ اصْطَنعه، وأنَّه أَوْجَبَ عَلَيْه حقًّا وطَوَّقَه مِنَّةً فِي عُنُقِه، فيَقُول: أَمَا أعطيتُك كذا وكذا؟ ويُعَدِّد أَيَادِيَه عنده».(١)

فلْيحرِصِ المُسْلِم المُنْفق لِمَاله أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ يَكُون عملُه دَائِمًا خالصًا لوجه العَزِيز الوهَّاب، ولْيبتعدْ أَيْضًا عن كلِّ مَا يَقْدح فِي صَدَقتِه إِذَا أراد أنْ يَنَال بِسَبَبها الأجرَ والثَّوَاب، ومِن ذَلِك أنْ يَجْتنب المَنَّ عَلَى الفُقَرَاء والمساكين؛ لِأَنَّه فِعْل مُشِين ولَيْس مِن أَخْلَاقِ الصَّالِحِين المُتَّقِين، ولْيحمدْ دومًا ربَّ العَالَمِينَ أنْ جَعَلَه مِن المُقْتَدِرين المُنْفِقين لَا مِن المُحتاجين السائِلين، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومُوجِب ذَلِك أي الوقوع فِي المَنِّ كلِّه الجهلُ، ونسيان منَّة الله تعالى فيمَا أَنْعم بِهِ عَلَيْه؛ إِذْ قَد أَنْعَمَ عَلَيْه مِمَّا يُعطي، ولم يَحْرِمه ذَلِك، وجَعَله ممَّنْ يُعطِي، ولَمْ يَجْعلْه ممَّن يسأل».(٢)

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

(٢) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

ولا يَسْتَحقرْ مَا يُقدِّمه مِن مَعْرُوف مهمَا قلَّ حجمه ونَقَصَ قَدْرُه عملًا بمَا أوصاه بِهِ نبيُّه، فعن عَدِي بنِ حاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».(١)

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: أنَّ مِن أعظم المنجِّيات مِن النار، الإحسانَ إِلَى الخَلْق بالمال والأقوال، وأنَّ العَبْد لَا يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَحتقر مِن المَعْرُوف ولو شَيْئًا قليلًا، والكَلِمَة الطيبة تَشْمل النصيحةَ للخَلْق بتَعْليمهم مَا يَجْهلون، وإرشادهم إِلَى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلام المُسِرَّ للقلوب، الشَّارِحَ للصُّدُور، المُقَارِن للبَشَاشَة والبِشْرِ، وتَشْمل الذِّكْر لله والثَّنَاءَ عَلَيْه، وذِكْر أحكامه وشرائعه، فكلُّ كلامٍ يُقرِّب إِلَى الله ويَحْصل بِهِ النَّفْع لعِبَاد الله، فَهُوَ داخلٌ فِي الكَلِمَة الطيبة».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٥٧).

هداةً مُهْتَدين، وفِي سبيله مِنَ المُنْفِقين، وعَلَى الفُقَرَاء والمساكين مِن المتصدِّقين، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا كلَّ خُلُق ذَمِيم وفِعْل مُشِين، ومِن ذَلِك المنُّ عَلَى المحتاجين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأَرْحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

السمت الصالح

السَّمْتُ الصالح

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى كل مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ يَحْرص أشدَّ الحرص عَلَى التأسِّي بأهل الفَضْل والصَّلاح مِن العُلَمَاء وغَيْرهم مِن أهل الخَير الأَتْقياء الَّذِينَ عُرِفوا بالتَّمَسُّك بمِنَهج الأَنْبياءِ، يَقُول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلنَّاسِ الاقْتِداء بأَهْل الفَضلِ والصَّلاحِ فِي جَمِيع أحوالهم؛ فِي هِيئتِهم وتَوَاضُعِهم للخَلْقِ ورَحْمَتِهم وإنصافِهم مِن أنْفُسِهم، وفِي مَأْكَلِهم ومَشْرَبِهم واقتصادِهم فِي أمورهم تَبَرُّكًا بذَلِك».(١)

وممَّا عُرف بِهِ هَؤُلَاءِ الأَخْيَار عَبْرَ التاريخ وفِي سائر الأَمْصَار

---

(١) عُمْدَةُ القَارِي (٢٢/ ١٥٤).

أنَّهم يتَّصِفون بِكُلِّ مَا فِيهِ مَدْح وفضيلة ويَبْتعدون عن كلِّ ما فِيهِ قَدْح ورذيلة؛ لِأَنَّهم يَعْلمون أنَّ حُسْنَ أدبِ المُسْلِم هُوَ مِن أَسْبَاب سعادته، وسُوءَ خُلُقِه مِن علامات شقاوته، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأدبُ المَرْء عنوانُ سعادته وفلاحِه، وقِلَّةُ أدبِه عنوانُ شقاوته وبَوَارِه».(١)

ومن الصِّفَات الجَمِيلَة والأَخْلَاق الحميدة الَّتِي يتحلَّى بِهَا هَؤُلَاءِ الأعلام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام «السَّمْت الصالح»، يَقُول القاضي عيَّاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِفَتْح السِّين، هُوَ حسن الهَيئة والمَنْظر فِي الدين والخير لَا فِي الجمال والملبس، والسَّمْت أَيْضًا القَصْد والطريق والجهة».(٢)

ولا غَرَابة فِي ذَلِك وَلَا عَجَب؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الكِرَام يقتدون بهَدْي أَنْبِيَاء العَزِيز العلَّام، عَلَيْهِم الصَّلَاة والسلام، فعن عَبْد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالِاقْتِصَادَ، جُزْءٌ من خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».(٣)

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ٢٢٠).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٧٧٦) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَقُول العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ»، بفَتْح الهَاء وسُكُون الدَّال المهملة، أيْ الطريقة الصَّالِحَة «وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ»، بفَتْح السين المهملة وسُكُون الميم، هُوَ حُسْن الهَيئة والمنظر، وأصله الطريق المنقاد «وَالِاقْتِصَادَ» أيْ سُلُوك القَصْد فِي الأمور القَوْلِية والفِعْلِية والدخول فِيهَا برِفْق عَلَى سبيلٍ يُمْكن الدوام عَلَيْه. «جُزْءٌ من خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا من النُّبُوَّةِ» أيْ إنَّ هَذِهِ الخِصَالَ مَنَحَها اللهُ تعالى أَنْبِيَاءَه فاقْتَدَوا بِهِم فِيهَا وتَابَعُوهم عَلَيْها، وليس معنى الحديث أنَّ النُّبُوَّةَ تَتَجزَّأُ، أَو أنَّ مَن جمع هَذِهِ الخصال كَان فِيهِ جزءًا مِن النبوة، فإنَّ النبوة غيرُ مُكْتَسَبة بالأَسْبَاب، وإنَّمَا هِي كرامة مِن الله تعالى لِمَن أرادَ إكرامَه بِهَا مِن عباده، وقد خُتِمَت بمُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ عَلَى العاقل أنْ يَكُون حَسَنَ السَّمْت طويلَ الصَّمْت، فإنَّ ذَلِك مِن أَخْلَاق الأَنْبِيَاء، كمَا أنَّ سُوءَ السَّمْت وتَرْكَ الصَّمْت مِن شِيَم الأَشْقِياء».(٢)

لِذَا فإنَّ الحِرص عَلَى الاتصاف بِهَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدبِ القويمِ

---

(١) عون المعبود (١٣/ ٩٤).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٢٥).

دون تكلُّف وَلَا تَنَطُّعٍ مِن الأمور المستحَبَّة والمَطْلوبة فِي الشَّرْع وبيْن النَّاس، يَقُول الإمَام ابن مُفْلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُسَنُّ أنْ يُتعلم الأدب والسَّمْت والفَضْل والحَيَاء وحُسْن السِّيرة شَرْعًا وعُرْفًا».(١)

وهو مِمَّا يَنْبَغِي أنْ يَكُون عَلَيْه كل مسلم؛ لِأَنَّ هَذَا مِن سِمَاتِه وصِفَاته، يَقُول الشَّيْخ بكر أبَوْ زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد تَوَارَدَت مُوجِبات الشَّرْع عَلَى أنَّ التحلِّيَ بمَحَاسِنِ الأدب ومكارِمِ الأَخْلَاق والهَدْيِ الحَسَن والسَّمتِ الصالح؛ سِمَةُ أهل الإسْلَام».(٢)

وهو كَذَلِك من العلامات الَّتِي تُميِّزُه عن الأشرار مِن الفُسَّاق وأهل النِّفَاق، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، والفِقْهٌ فِي الدِّينِ**».(٣)

يَقُول شَيْخُ الإسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسنُ السَّمت صلاحُ الظاهرِ الَّذِي يَكُون عن صلاح القلب، والفِقْه فِي الدِّين يتضمَّنُ

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٤٤٥).

(٢) حلية طالب العلم (ص٥).

(٣) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٦٨٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مَعرفة الدِّين ومَحَبَّتَه، وذَلِك ينافِي النفاق».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسْن السَّمت وَالْفِقْه فِي الدِّين مِن أَخَصِّ عَلَامَات الإِيمَان، وَلنْ يجمعهمَا الله فِي مُنَافِق؛ فإن النِّفَاق يُنَافِيهِمَا ويُنَافِيَانِه».(٢)

فعَلَى المُسْلِم إِذَن أنْ يسأل أولًا العَزِيز الحكيم أنْ يَرْزقه التحلِّي بِهَذَا الأدب الكَرِيم، ثُمَّ يُجاهِد نَفْسه عَلَى الاتِّصَاف بِهَذَا الخُلق القويم، ومن ذَلِك أنْ يَحْرص عَلَى مجالسة ومصاحبة مَن عُرِف بالتخلُّق بِهِ مِن الصَّالِحِين، وَهَذَا كَان هَدْيَ مَن سَبَقَنا مِن المتَّقين الأوَّلِين، يَقُول الإِمَام مُحَمَّد بْنُ سِيرِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانوا يتعلمون الهَدْيَ كمَا يتَعَلَّمون العِلْم».(٣)

ويَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كَان جماعة مِن السَّلَف يَقْصِدون العَبْد الصالحَ للنَّظر إِلَى سَمْتِه وهَدْيِه، لَا لِاقْتِبَاسِ عِلْمه.

وذَلِك أنَّ ثَمْرة عِلْمه هَدْيُه وسَمْتُه، فافْهَمْ هَذَا وامْزِجْ طَلَبَ الفِقْهِ

---

(١) جامع الرسائل (١/ ١٣٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٥).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩).

والحديث بمُطالَعة سِيَر السَّلف والزُّهَاد فِي الدُّنْيا لِيَكُون سَبَبًا لِرِقَّةِ قَلْبِك».(١)

ويؤيِّد مَا ذَكَره هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةُ الأَعْلامُ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام مَا جاء عن إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّد البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، [ت:٢٦١-٢٧٠هـ]؛ حَيْثُ قال: «كَان يَجْتمع فِي مَجْلس أحمد زُهَاءُ خمسة آلافٍ أَو يَزِيدون؛ نحو خمسمائة يَكْتبون، والباقون يَتعلَّمون مِنْهُ حُسْنَ الأدب والسَّمت».(٢)

وإِنَّ أَوْلى مَن يَنْبَغِي عَلَيْهم أنْ يَحْرصوا عَلَى التحلِّي بِهَذَا الخُلُق النَّبِيل والأدبِ الجميلِ هُم طَلَبةُ العِلْم وحَمَلَةُ الشريعة؛ لِأَنَّ مَن يَفُوق النَّاسَ فِي العلم، الأَجْدَرُ بِهِ أنْ يتقدَّمَهم ويَكُونَ أفضلَ مِنْهُم فِي العمل، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَفُوقُ النَّاسَ فِي العِلم جديرٌ أنْ يَفُوقَهم فِي العَمَل».(٣)

ويَقُول الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى مَن طَلَبَ العِلم أن يَكُون لَهُ وَقارٌ وسَكِينةٌ وخَشْيةٌ، وأنْ يَكُون مُتَّبِعًا لأَثَرِ

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٧١).

(٢) سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ (١١/ ٣١٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠).

مَن مَضَى قَبْلَه».(١)

ويَقُول الخطيب البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ أنْ يَكُون طَلَبَة الحدِيث أَكْمَلَ النَّاس أدبًا، وأشدَّ الخَلْق تواضُعًا، وأعظمَهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلَّهم طَيْشًا وغضبًا؛ لِدَوام قَرْعِ أسماعِهم بالأخبار المشتَمِلة عَلَى محاسِنِ أَخْلَاق رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه وسِيرَة السَّلَف الأَخْيَار مِن أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدِّثين ومآثِر الماضِين، فيأخذوا بأَجْمَلِها وأحسنِها ويَصدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها».(٢)

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ نَبْذُل مَا يُعيننا عَلَى تَحْقِيق هَذَا الخُلُق الكَرِيم وغيرِه مِن الآداب، بأنْ نَسْأَلَه أوَّلًا مِن العَزِيز الوهَّاب، ثُمَّ نجتهد فِي تَحْقِيق مَا يُيَسِّرُه مِن أَسْبَابٍ مَع الحذر مِن التكلُّف والتنطُّع المذموم؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ طريق الفُضَلاء ومِنْهَج العقلاء النبلاء، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مِن شِيَم العاقلِ الحِلْمَ والصمتَ والوقارَ والسكينةَ والوفاءَ والبَذْلَ والحكمةَ والعِلمَ والوَرَعَ والعَدْلَ والقوةَ، والحَزْمَ والكِيَاسةَ والتمييزَ والسمتَ والتواضُعَ والعَفْوَ والإِغْضَاءَ

---

(١) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ (٦/ ٣٢٤).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٨).

والتَّعَفُّفَ والإحسانَ».[١]

وهو مِن أَسْبَاب النجاح والفلاح فِي الدَّارَين وأَيْضًا مِن وَسَائِلِ كَسْب محبَّةِ واحترامِ الآخرين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَا استُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيا والآخرة بمِثل الأدب، وَلَا استُجْلِبَ حِرمانَها بمِثل قِلَّة الأدب».[٢]

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا فِيهِ فَضْلٌ وخَيْر ومِن ذَلِك التحلِّي بالسَّمت الصَّالح، وأن يُجنِّبَنا كلَّ ما فِيهِ فِتنةٌ وشَرٌّ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(١) رَوْضَة العُقَلاَء (ص١٢٣).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

داء الرشوة!

داءُ الرِّشوة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الأمور الواقِعَةِ بيْن بَعْض أَهْل الإِسْلَام فِي هَذَا الزَّمان أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام مَا ذَكَره رَسُولُ العَزِيزِ العلَّامِ؛ حَيْثُ أَخْبَرنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام أَنَّهُ سيأتي وقتٌ لَا يُبالي فِيهِ الكَثِيرُ مِن الأَنَام أَأَمْوالُهم تَكُون مِن حَلال أَم مِن حرام، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَأْتِيَنّ عَلَى النّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ من حَرَامٍ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا يَكُون لِضَعْفِ الدِّين

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (١٩٧٧).

وعُمُوم الفِتَن».(١)

ويَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجْه الذَّم مِن جِهة هَذِهِ التَّسْوِية بيْن الأَمْرَين، وإِلَّا فأَخْذُ المال مِن الحلال غيرُ مَذْموم مِن حَيْثُ هو، وَهَذَا مِن مُعْجزاته، فإنَّه إخْبار عن أمرْ غَيْبِيٍّ وقَد وَقَعَ عَلَى وفْقِ مَا أَخْبَرَ».(٢)

ومِن الأَعْمَال المُشِينة والأَفْعَال الذَّمِيمة الَّتِي نَرَى أَنَّهَا قَد انْتَشَرَت فِي أمَّتِنا بشَكْل كَبِير مع أنَّ رَسُولَ العَزِيزِ القديرِ قَد حَذَّرَنا مِنها أشدَّ التَّحْذِير: «الرِّشْوَةُ». يَقُول الفَيُّومِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرِّشوةُ بالكسر وقيل مُثَلَّثَةُ الرَّاءِ مَا يعطيه الشخصُ الحاكِمَ وغيرَه ليَحْكم لَهُ أَو يَحْمِله عَلَى مَا يريد».(٣)

ويَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرِّشْوَة: مَا يُعطَى لإبطال حقٍّ، أَو لإحقاقِ باطلٍ، فيعطِي الرَّاشي لينالَ باطلًا، أَو ليَمْنع حقًّا يَلْزَمه، ويأخذ الآخِذُ عَلَى أداء حق يَلْزمه، فَلَا يؤدِّيه إِلَّا برِشوة يأخذها، أَو عَلَى

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٢٠١).

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ٣٤٦).

(٣) المصباح المنير فِي غريب الشَّرْح الكبير (١/ ٢٢٨).

باطل يجب عَلَيْه تَرْكه، وَلَا يَتْركه إِلَّا بها».(١)

فَهَذَا الدَّاءُ الخَطِير الَّذِي قَد أُصِيبَ بِهِ الكَثِير قَد تَسبَّبَ أَيُّها الأَفَاضِلُ بعواقِبَ وَخِيمةٍ وأمراضٍ جَسِيمة؛ حَيْثُ إنَّ ضررَه لم يَقْتصر عَلَى الأفراد بَلْ تَعدَّى شرُّه إِلَى المُجْتَمعات، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا فَشَا فِي قَوْم الرِّشوة هَلَكوا، وصار كُلُّ واحدٍ مِنْهُم لَا يَقُول الحقَّ، وَلَا يَحْكم بالحقِّ، ولا يَقُوم بالعدل إلا إِذَا رُشِي، والعياذ بالله».(٢)

فممَّا نَتَجَ عَن هَذَا الفعل المُشِين مَا نراه اليَوْم مِن فَسَادِ أَخْلَاقِ الكَثِيرين وزيادة نسبة المُنحرفِين وضَياع الأمانة بين عددٍ مِن المُسْلِمِينَ، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا دَخَلَت الرِّشوة مِن الباب خَرَجَت الأمانة مِنَ الْكُوَّةِ(٣)».(٤)

إنَّ المُصَاب بِهَذَا الدَّاء، سواءٌ كَان آخِذًا أَو معطيًا، قَد فَتَنَتْه

---

(١) شرح السُّنَّة (١٠/ ٨٨).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٣٠٢).

(٣) ثُقب فِي جدار.

(٤) الكُنَى والأسماء للدُّولاَبِي (٧٨١).

الدُّنْيا بشهواتها وغرَّته بزَوَاتِها، حَتَّى أَنْسَتْه أنَّه عَنْها راحِلٌ، ولِمَلَذَّاتِها وزخرفها مهمَا امتدَّ أجَلُه وطال عمرُه تارِكٌ، يَقُول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِه الآية الكَرِيمة فِيهَا التَّزْهِيد فِي الدُّنْيا بفَنَائها وعدم بَقَائها، وأَنَّهَا مَتَاعُ الغُرُورِ، تَفْتِنُ بزُخْرُفِها، وتَخْدَعُ بغرورها، وتَغُرُّ بمحاسِنِها، ثُمَّ هِي مُنْتَقِلة، ومُنْتَقَلٌ عَنْها إِلَى دار القَرَار، الَّتِي توفَّى فِيهَا النفوس مَا عَمِلَت فِي هَذِهِ الدَّار، مِن خيرٍ وشرٍّ».(١)

فأَنْسَتْه أنَّه قَد وَقَع بفعله هَذَا فِي مُنكَر قَد نَهَاه عَنْه العَزِيزُ المقتدِرُ؛ حَيْثُ قَال جلَّ جلاله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨].

يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أيْ: لَا يأكل بعضُكم مالَ بَعْضٍ بالباطل؛ أيْ مِن غير

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٦٠).

الوَجْه الَّذِي أَبَاحَه الله، وأصلُ الباطلِ الشيءُ الذَّاهِب، والأكلُ بالباطل أنواعٌ، قَد يَكُون بطريق الغَصْب والنَّهْب، وقد يَكُون بطريقِ اللهو، كالقمار وأُجْرة المُغَنِّي ونحوهما، وقد يَكُون بطريقِ الرِّشْوَة والخيانة، ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أيْ تُلْقوا أُمُورَ تِلْكَ الأموال بينكم وبين أَرْبابِها إِلَى الحُكَّام، وأصلُ الإدلاء إرسالُ الدَّلْوِ وإلقَاؤه فِي البئر؛ يقال: أَدْلَى دَلْوَهُ إِذَا أَرْسَله، ودَلَاهُ يَدْلُوه إِذَا أخرج».(١)

ويَقُول الإِمَام الذَّهَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ لَا تُدْلُوا بأموالكم إِلَى الحُكَّام، أيْ لَا تُصَانِعوهم بِهَا وَلَا تَرْشُوهم ليَقْتَطِعوا لَكُم حَقًّا لغَيْرِكم وأنتم تَعْلمون أَنَّهُ لَا يَحِل لكم».(٢)

وأَنَّهُ داخِلٌ بِسَبَب عملِه الذَّمِيمِ فِي لَعْنِ رَسُولنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة وأتمِّ التسليم، فعن عَبْد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**لَعَنَ رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**».(٣)

ويَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيِ البُعْد مِن مَظَانِّ الرَّحمة

---

(١) تفسير البَغَوِي (١/ ١٥٩).

(٢) الكبائر (ص١٣١).

(٣) رَوَاه ابن ماجة (٢٣١٣) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومَوَاطنها نازِلٌ ووَاقِعٌ عَلَيْهما».(١)

ويَقُول الإِمَام الذَّهَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: فالرَّاشِي هو الَّذِي يُعطِي الرِّشوة والمُرْتشِي هو الَّذِي يأخذ الرِّشْوَة، وإِنَّمَا تَلْحق اللَّعنةُ الراشيَ إِذَا قَصَدَ بِهَا أَذِيَّة مُسْلِم أَو يَنَال بِهَا ما لَا يستحق، أَمَّا إِذَا أَعْطى لِيَتَوَصَّلَ إِلَى حقٍّ لَهُ ويَدْفَع عن نَفْسه ظُلمًا فإِنَّه غيرُ داخِلٍ فِي اللعنة، وأَمَّا الحاكِم فالرِّشْوَة عَلَيْه حرامٌ؛ أَبْطَلَ بِهَا حَقًّا أَو دَفَعَ بِهَا ظُلْمًا».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرِّشْوَةُ مَلْعونٌ آخِذُها، ومَلْعونٌ مُعْطيها إِلَّا إِذَا كَان الآخِذ يَمْنَع حقَّ النَّاس إِلَّا برشوة، فحينئذٍ تَكُون اللعنة عَلَى هَذَا الآخِذ لَا عَلَى المُعْطي؛ لِأَنَّ المُعطي إِنَّمَا يُرِيد أَنْ يُعطي لأَخْذ حقِّه، وَلَا سبيل إِلَى ذَلِك إِلَّا بدَفْع الرِّشْوَة، فَهُوَ مَعْذور. كمَا يوجد والعياذ بالله الآن فِي بَعْض المسؤولين فِي الدُّوَل الإِسْلَامِيَّة؛ مَن لَا يُمْكن أَنْ يَقْضي مَصَالح النَّاس إِلَّا بهَذِه الرِّشْوَة والعياذ بالله فيَكُون آكلًا للمال بالباطل، مَعَرِّضًا نَفْسه

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ٣٦٧).

(٢) الكبائر (ص١٣٢).

لِلَّعْنة. نسأل الله العافية».(١)

وأنَّه كَذَلِك مُتوعَّدٌ بعقابٍ شديد إنْ لَم يَتُبْ ويُطَهِّر نَفْسه مِن هَذَا الدَّاء العُضَال والمَرَض القتَّال، فعن جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**».(٢)

يَقُول الإمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا وَعِيدٌ شديدٌ يُفِيد أنَّ أَكْل أموال النَّاس مِن الكَبَائِر».(٣)

أَلَا يَعْلم الآخذ للرشوة أَنَّهُ قَد شَابَهَ بفِعْله هَذَا أَحْبَارَ اليهودِ الَّذِينَ كَانوا يأكلون أموال النَّاس بالباطل؟! الَّذِينَ قال عَنْهم جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢].

يَقُول عَبْد الله بْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السُّحت الرِّشوة».(٤)

ويَقُول الإمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَان الحاكم مِنْهم إِذَا

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٣٠٢).

(٢) رَوَاه الدَّارَمِي فِي سُنَنِه (٢٧٧٦)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ١٧).

(٤) رَوَاه الطَّبَرِي فِي تفسيره (٦/ ٢٣٩).

أتاه أَحَدٌ برشوة جعلها فِي كُمِّه فيُرِيها إيَّاه ويَتَكلَّم بحاجته فيَسْمَع مِنْهُ وَلَا يَنْظر إِلَى خَصْمه فيَسْمع الكَذِب ويأكل الرِّشْوَة».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ أيْ: المالِ الحَرَامِ، بمَا يأخذونه عَلَى سَفَلَتهم وعَوَامِّهم مِن المعلومات والرَّوَاتب، الَّتِي بِغَير الحق، فجَمَعوا بيْن اتِّبَاع الكَذِب وأَكْل الحَرَام».(٢)

إنَّ مِمَّا يَتعجَّبُ مِنْهُ المَرْء أَيُّها الأَفَاضِلُ أن الشَّيْطانَ اللَّعِين قَد زيَّن لِبَعض المُسْلِمِينَ هَذَا العَمَل المُشِين حَتَّى أَصْبح بعضُهم يَقُول إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح هُوَ مِن قَبِيل الهَديَّة ولَيْس فِيهِ مَعْصيَة وَلَا مُخَالَفة لأَوَامر ربِّ البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا اسْتِحْلَالُ السُّحْت بِاسْم الهَدِيَّة وُهو أَظْهَرُ مِن أنْ يُذْكَر كرِشوة الحاكم والوالي وغيرهمَا فإنَّ المُرْتَشي مَلْعُون هُوَ والرَّاشِي؛ لِمَا فِي ذَلِك مِن المَفْسَدة، ومَعْلُوم قَطْعًا أنَّهما لَا يَخْرُجان عن الحَقِيقَة وحَقِيقَة الرِّشْوَة بمجرد اسم الهَدِيَّة».(٣)

---

(١) تفسير البَغَوِي (٢/ ٣٩).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٢٣٢).

(٣) إعلام المُوَقِّعِينَ (٣/ ٩٥).

فلْيَعْلم مَن لبَّس عَلَيْه الشَّيْطَان أنَّ الهديَّة والرِّشوة وإنْ كَانَتا فِي الصُّورة سِيَّيْنِ، فهُمَا فِي الحُكْم والقَصْد تَخْتَلِفَان، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفرق بين الهَدِيَّة والرِّشْوَة وإنْ اشْتَبَها فِي الصورة القَصْدُ؛ فإنَّ الرَّاشِي قَصْدُه بالرِّشْوَة التوصُّل إِلَى إِبْطَالِ حقٍّ أَو تَحْقِيقِ باطِلٍ، فَهَذَا الرَّاشِي المَلْعُون عَلَى لِسَان رَسُولِ الله، فإنْ رَشَا لدَفْع الظُّلْم عن نَفْسه اخْتُصَّ المُرْتَشِي وَحْده باللَّعْنة، وأمَّا المُهْدِي فقَصْده اسْتِجْلابُ المودَّةِ والمَعْرفةِ والإحسانِ، فإن قصد المكافأة فَهُوَ مُعاوِض وإنْ قَصَدَ الرِّبْح فَهُوَ مُسْتَكْثِر».(١)

فَعَلَيْكَ يَا مَن ابتُليتَ بِهَذَا الدَّاء الخطير والوباء العسير سواءٌ كنتَ آخِذا أَو مُعْطيًا، أنْ تُبادِر قَبْل فَوَات الأَوَانِ بالتَّوْبَة والغُفْرَان والرُّجُوع إِلَى العَزِيز المنَّان، واحْذَرْ كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ تَتَهاوَن فِي هَذَا العَمَل الحَرَام الَّذِي هُوَ مِن تَزْيِين وتَلْبيس الشَّيْطَان، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَلامُك مَكْتوبٌ وقَوْلك مَحْسوبٌ، وأَنْتَ يَا هَذَا مَطْلوبٌ، ولَكَ ذُنُوب ومَا تتوب، وشمس الحياة قَد أَخَذَت فِي

(١) الروح (ص٢٤٠).

الغُروب، فمَا أَقْسَى قَلْبَكَ مِن بيْن القُلُوبِ!»[١]

وعَلَى مَن ولَّاهم ربُّ العَالَمِينَ أَمْر المُسْلِمِينَ أنْ يَبْذلوا كلَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَمْنع مِن فُشُوِّ هَذَا الشَّر الَّذِي قَد عمَّ واشْتُهِرَ وبيْن الرَّعيَّة قَد كَثُر وانْتَشَرَ؛ فأدَّى ذَلِك إِلَى فَسَاد القِيَم والأَخْلَاق وزيادة المُنْكَر.

ولْيَعْلموا أَيْضًا أنَّهم سيَقِفُون أَمَامَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وسيَسْأَلهم عن أَنْفُسهم وعَن رعِيَّتهم ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَالٍ، فعَن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاس رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**»[٢]

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْه وما هُوَ تَحْتَ نَظَرِه، فَفِيهِ أنَّ كلَّ مَن كَان تَحْتَ نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطَالَب بالعدل فيه، والقيام بمِصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقَاتِه».[٣]

---

(١) التبصرة (٢/ ٢٧٢).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةٌ فِي الدَّارَيْن وسُرُورٌ، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا الوقوع فِي الرِّشوة والرِّبا وكلِّ أنواع الشرور، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

التذكير بما للكلمة الطيبة من فضل كبير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ التَّحَلِّي بمَحَاسِن الأَخْلَاق والاتِّصَاف بجميل الآداب أَيُّها الأَحْبَابُ لَهُوَ مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تُعِين العَبْدَ بإذْن الكَرِيم الوهَّاب عَلَى تحصيل الخير والتوفيق لكلِّ صَوَاب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَا اسْتُجْلِبَ خَير الدُّنْيا والآخرة بِمْثل الأدب، وَلَا اسْتُجْلِبَ حرمانَها بمِثْل قِلَّة الأدب».(١)

ومِن هَذِهِ الصِّفَات الجَمِيلَة والخصال الكَرِيمة الَّتِي يَنْبَغِي أنْ تُصاحِب كلَّ مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام هُوَ أنْ يَكُون فِي تعامُله مع الأَنَام طيِّب الكلام، يَقُول الإِمَام ابْن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلامُ الطيِّبُ

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

مَنْدُوب إِلَيْه، وهو مِن جَلِيل أَفْعَال البِّر».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكَلِمَة الطَّيِّبَة تَكُون طَيِّبَة فِي أسلوبها، وفِي موضوعها، وفِي إلقائها، وفِي نَواحٍ أُخْرَى، فإذَا رأيتَ شخصًا وتَكَلَّمْتَ معه بكَلامٍ طَيِّب مِثل: السَّلَام عليكم، حيَّاكم الله، صبَّحَكم الله بالخير؛ فهَذِه كَلِمة طيِّبة لكنْ بشرط أَلَّا يَكُون ذَلِك مُمِلًّا؛ بمعنى أنْ تَبْقى معه مدة وأنت تقول مثل هَذَا الكلام؛ لأَنَّهُ إِذَا كَان مُمِلًّا انْقَلَبَ إِلَى غير طَيِّب، ولكلِّ مَقَامٍ مقَالٌ».(٢)

فالكَلِمَة الطيبة أَيُّها الأَحِبَّة هِي من أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة والأُلْفة بين المُسْلِمِينَ، وهِي كَذَلِك مِمَّا يُدْخل بإذْن الكَرِيم الشَّكورِ عَلَى القلوبِ الفرحَ والسُّرُورَ؛ وَلِذَا أَمَرَ العَزِيزُ الكَرِيمُ عبادَه بالحرص عَلَيْها كمَا جاء فِي القرآن العظيمِ؛ حَيْثُ قَال العليمُ الحكيمُ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِنَ القَوْل الحَسَن أَمْرُهم أي النَّاس بالمَعْرُوف، ونَهْيُهم عن المُنْكر، وتعليمهم العلم، وبَذْل

---

(١) شرح ابْنِ بَطَّالٍ عَلَى صَحِيحِ البُخَارِيِّ (٩/ ٢٢٥).

(٢) شرح الأربعين النووية (ص٢٦٦).

السلام، والبَشَاشَة وغير ذَلِك مِن كُلِّ كَلام طيِّب.

ولمَّا كَان الإِنْسَان لَا يَسَعُ النَّاسَ بمَالِه، أُمِرَ بأَمْرٍ يَقْدِر بِهِ عَلَى الإحسان إِلَى كلِّ مخلوق؛ وهو الإحسان بالقول، فَيَكُون فِي ضِمْن ذَلِك النَّهْي عن الكلام القَبِيح لِلنَّاسِ حَتَّى للكُفَّار، وَلِهَذَا قَال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]».(١)

وفِي عدم عَمَلِ العِبَاد بهَذِه الوصيَّة الرَّبَّانيَّة مَفَاسِد ظاهرةٌ جَليَّة، ومِن ذَلِك أنْ يَقَعَ التَّشَاحُن والتَّبَاغُض بَيْن المُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَا يُريده إِبْلِيسُ اللعينُ، يَقُول رب العَالَمِينَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء:٥٣].

يَقُول الإِمَام ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَأْمُرُ تعالى رَسُولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنْ يأمر عباد الله المُؤْمِنِينَ، أنْ يقولوا فِي مُخاطَبَاتِهم ومحاوراتهم الكلامَ الأحسنَ والكَلِمَة الطيبة؛ فإنَّه إذْ لمْ يفعلوا ذَلِك نَزَغَ الشَّيْطَان بينهم وأَخْرَجَ الكلامَ إِلَى الفِعَال ووَقَعَ الشَّرُّ والمُخَاصَمَة والمُقَاتَلَة، فإنَّ الشَّيْطَان عدوٌّ لآدمَ وذُرِّيَّتِه مِن حِينِ امتنع مِنَ السجود لآدم، فعَدَاوَتُه

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٥٨).

ظاهرة بيِّنة؛ وَلِهَذَا نَهَى أنْ يُشِيرَ الرَّجُل إِلَى أَخِيه المُسْلِم بحَدِيدة، فإنَّ الشَّيْطَان ينزغ فِي يَدِه؛ أيْ: فربَّمَا أصابَهُ بِهَا».(١)

اعلمْ رعاك الله أيُّهَا المُسْلِم أنَّ فوائد وعوائد الكَلِمَة الطيِّبَة كَثِيرةٌ، مِنْهَا ما هُوَ راجِع عَلَيْكَ، فهِي وإن كانت تبدو لك يَسِيرَةً فَإنَّ محاسنُها كَثِيرة؛ ومِن ذَلِك أَنَّهَا مِن الأَسْبَاب الَّتِي تُبعد عن النار بإذن العَزِيز الوهَّاب، فعن عَديِّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««اتَّقُوا النَّارَ» أيْ نار جَهَنَّم، «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» فإنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تتصدَّقون بِهِ لِفَقْدِه حِسًّا أَو شَرْعًا «فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» تُطيِّب قلبَ الإنْسَان بأنْ تَتَلَطَّف بِهِ بالقول والفعل، فإنَّهَا سبب للنجاة من النار».(٣)

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: أنَّ مِن أعظمِ المُنَجِّيَات مِن النار، الإحسانُ إِلَى الخَلْق بالمال والأقوال، وأنَّ العَبْد

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٤٦).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣١).

لَا يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَحْتَقِر مِن المَعْروف وَلَوْ شَيْئًا قليلًا، والكَلِمَة الطيبة تَشَمل النصيحة للخَلْق بتعليمهم مَا يَجْهلون، وإرشادِهم إِلَى مصالِحِهم الدِّينِية والدُّنْيَوية.

وتَشْمل الكلامَ المُسِرَّ للقلوب، الشَّارِحَ للصُّدُورِ، المُقَارِن للبَشَاشَة والبِشْرِ، وتَشْمل الذِّكْر لله والثَّنَاءَ عَلَيْه، وذِكْرَ أَحْكامه وشرائعه.

فكُلُّ كلامٍ يُقرِّب إِلَى الله ويَحْصُل بِهِ النَّفْعُ لعباد الله، فَهُوَ داخل فِي الكَلِمَة الطيبة».(١)

ومَن اتَّصَف بِهَا إنْ كَان مِن أهل الإِسْلَام واحْتَسَبها عِنْدَ الوهَّاب العلَّام فسَيَفُوزُ بإذْن العَزِيزِ المَنَّانِ بغُرَفٍ فِي الجِنَانِ كمَا أَخْبَرَ بذَلِك نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعن أبي مالكٍ الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ**».(٢)

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٥٧).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ٣٤٣)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صحيح الجامع (٢١٢٣).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(يُرَى» بالبناء للمفعول أيْ يَرَى أهلُ الجنَّة «ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا» لِكَوْنِها شَفَّافة لَا تَحْجِب مَا وراءها. قالوا: لمن هِي يَا رَسُول الله؟ قَال «أَعَدَّهَا الله» أيْ هَيَّأَها «لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ» فِي الدُّنْيا للعِيَال والفُقَرَاء والأَضْياف والإِخْوَان ونَحْوِهم، «وَأَلَانَ الْكَلَامَ» أيْ تَمَلَّق لِلنَّاسِ واستعطفهم »[١]

وهِي كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِنَ الصَّدَقات الَّتِي يُقدِّمها العَبْد بيْن يَدْي ربِّ البَرِيَّات، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».[٢]

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووَجْه تشبيهِ عَلَيْه السَّلَام الكَلِمَةَ الطيبةَ بالصدقةِ بالمالِ، هُوَ أنَّ الصَّدَقة بالمال تَحْيا بِهَا نَفْس المتصدَّق عَلَيْه ويَفْرح بها، والكَلِمَة الطيبة يفرح بِهَا المؤمن ويَحْسُن موقعها مِن قلبه، فاشْتَبَها مِن هَذِهِ الجِهَة».[٣]

وتأثيرُها كَذَلِك يَظْهَر أَيُّها المُسْلِم عَلَى مَن بَيْنَك وبَيْنَه شَحْنَاءُ

---

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ٣٤٣).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٢٨٢٧) ومسلم (١٠٠٩).

(٣) شرح ابْنِ بَطَّالٍ عَلَى صحيح البُخَارِي (٩/ ٢٢٥).

وبَغْضَاءُ، فكَمْ مِن إِنْسَان كَان يُعَدُّ مِن أشدِّ الأعداء فأصبح بعد ذَلِك مِن أعزِّ الأصحاب والأصدقاء بِسَبَب تأثير هَذَا السلاح الكَرِيم والخُلُق القويم بفضل العَزِيز الحكيم، وَهَذَا يَكُون بَعْد العَمَل بمَا أَوْصى وأَخْبَرَ بِهِ الخبيرُ العليمُ؛ حَيْثُ قَال سُبْحَانَه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

يَقُول الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ أيْ: لَا تستوي الحَسَنَة الَّتِي يَرضى الله بها، ويُثِيب عَلَيْها، وَلَا السَّيِّئَة الَّتِي يَكْرَهها الله ويُعَاقِب عَلَيْها، وَلَا وَجْهَ لتَخْصِيص الحَسَنَة بِنَوع مِن أنواع الطَّاعَات، وتَخْصِيص السَّيِّئة بِنَوع مِن أنواع المَعَاصِي، فإنَّ اللَّفْظَ أَوْسَعُ مِن ذَلِك».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أيْ: فإذَا أساء إِلَيْكَ مُسيءٌ مِن الخَلْق، خُصُوصًا مَن لَهُ حقٌّ كَبِير عَلَيْكَ، كالأقارب والأصحاب، ونحوهم، إساءةً بالقول أَو بالفعل، فقَابِلْه بالإحسان إِلَيْه، فإنْ قَطَعَك فَصِلْهُ، وإنْ ظَلَمَكَ، فاعْفُ عَنْه، وإنْ

(١) فَتْح القَدِير (٤/ ٥١٦).

تَكَلَّمَ فِيكَ غائبًا أَو حاضرًا، فَلَا تُقابِلْه، بَل اعْفُ عَنْه، وعَامِلْه بالقول اللَّيِّن، وإنْ هَجَرَكَ وتَرَكَ خِطَابَك، فَطيِّبْ لَهُ الكلام، وابْذُل لَهُ السلام، فإذَا قَابَلْتَ الإساءة بالإحسان، حَصَلَ فائدة عظيمة».(١)

ويَقُول الإمَام ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ وهو الصديق، أيْ: إذَا أحسنتَ إلَى مَن أساء إلَيْكَ قادَتْه تِلْكَ الحَسَنَة إلَيْه إلَى مُصَافَاتِك ومَحَبَّتك، والحُنُوِّ عليك، حَتَّى يصير كأَنَّهُ وليٌّ لَكَ حَمِيمٌ؛ أيْ: قَرِيب إلَيْكَ مِن الشَّفَقة عَلَيْكَ والإحسان إلَيْكَ».(٢)

فهَذِه أَيُّها الأَفَاضِلُ الأَخْيَار مِن أهمِّ الثِّمَار الَّتِي سيَجْنِيها بإذن العَزِيز الجَبَّارِ كُلُّ مَن يَتحلَّى بِهَذِه الصِّفَة الحَمِيدة والخَصْلة السَّدِيدة، فعَلَى مَن اتَّصَفَ بِهَا أنْ يَشْكُرَ المَنَّانَ عَلَى أنْ رَزَقَه هَذِهِ النِّعْمَة العَظِيمة والمِنْحَة الكَرِيمة، ولْيجتهدْ دومًا بفعلها وحثِّ المُسْلِمِينَ عَلَى التَّخَلُّقِ بها.

ومَن كَان عَنْها فِي تقصيرٍ أَيُّها الأَحْبَابُ فلْيسْألْها أوَّلًا مِن

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٩).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٤/ ١٠٢).

الكَرِيم الوهَّاب، ثُمَّ لْيَبذُلْ مَا يُساعده عَلَى تَحْقِيقها مِن وَسَائِلَ وأَسْبَابٍ، ولْيَحْذرِ المُسْلِم أشدَّ التَّحْذِير مِن الاتِّصَافِ بضِدِّها؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِن خِصَال أهلِ الإيمَان كَمَا أَخْبَرَنَا بذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ الرَّحْمَنِ، فعن عَبْد الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ»، بالتشديد، الوقَّاع فِي أَعْرَاضِ النَّاس بنَحْوِ ذَمٍّ أَو غِيبَة، «وَلَا اللَّعَّانِ» الَّذِي يُكْثِر لَعْنَ النَّاسِ بمَا يُبْعِدُهم مِن رحمة ربِّهم إمَّا صريحًا أَو كناية، «وَلَا الْفَاحِشِ» أيْ ذِي الفُحْشِ فِي كلامه وفِعَاله، «وَلَا الْبَذِيءِ» أيْ الفاحِش فِي مَنْطِقِه وإنْ كَان الكلامُ صِدقًا».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يدل عَلَى أنَّ هَذِهِ الأمور نَقصٌ فِي الإيمَان، وأَنَّهَا تَسْلُب عن المؤمن حَقِيقَة الإيمَان وكمال الإيمَان، فَلَا يَكُون طعَّانًا يطعن فِي النَّاس بأنسابهم أَو بأعراضهم أَو بشكلهم وهَيئاتهم أَو بآمالهم، وَلَا باللَّعَّان الَّذِي لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٩٧٧)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٢١).

اللعنة؛ قُلْ كَلِمَةً لَعَنَكَ الله، قُلْ كَذَا لَعَنَك الله، لمَاذَا تقول كذا أَو يَقُول لأولاده: لعنكم الله هاتوا هَذَا، أَو مَا أشبه ذَلِك، فالمؤمن لَيْسَ باللعان، وَلَا بالفاحش الَّذِي يَفْحُش فِي كلامه بصُرَاخ أَو نحو ذَلِك، وَلَا بالبذيء الَّذِي يَعْتَدي عَلَى غيره؛ فالمؤمن مؤمن مسالم لَيْسَ عنده فُحشٌ فِي قوله وَلَا فِي فعله، وَلَا غير ذَلِك؛ لأَنَّهُ مؤمن».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يُقرِّبُنا إِلَيْه ومِن ذَلِك التَّحَلِّي بالأَخْلَاق الفاضلة والصِّفَات الكَرِيمة، ومِنْهَا طِيب الكلام وحُسْن معاملة الأَنَام، وأن يُجنِّبَنا سُبْحَانَه كلَّ مَا يُبعدنا عَنْه، ومِن ذَلِك الاتِّصَافُ بِكُلِّ ما هُوَ مذمومٌ ومُشين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٠١).

التذكير بما للدعاء من فضل كبير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ دُعَاء ربِّ الأَرْض والسَّمَوات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات لَهُوَ مِن أفضل القُرُبات، وأشرفِ الطاعات، وأرفعِ العبادات الَّتِي تُقرِّبنا مِن ربِّ البَرِيَّات، فعن النُّعْمَان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**».(١)

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِه الصِّفَة المُقْتضية للحصر مِن جهَة تعريف المُسْنَد إِلَيْه، ومِن جِهة تعريف المُسْنَد، ومِن جهة ضميرِ الفَصْل تَقْتَضي أَنَّ الدُّعاء هُوَ أَعْلَى أنواع العبادة

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٢٤٧) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأرفَعِها وأشرَفِها».(١)

لأَنَّهُ طريق الصَّالِحِين، ومَسلَك المُتَّقِينَ، ومَطِيَّةُ العَارِفين بربِّ العَالَمِينَ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا أراد الله بعبد خيرًا أَلْهَمَه دعاءه والاستعانة به، وجَعَل استعانَتَه ودُعاءَه سَبَبًا للخَيْر الَّذِي قضاه له».(٢)

وهو أَيُّها الأَفَاضِلُ سلاحُ المؤمن وزادُه فِي دنياه؛ حَيْثُ يلجأ إِلَيْه لِجَلْب ما فِيهِ سعادةٌ وخيرٌ، ودَفْع كُلِّ ضَرَرٍ وشرٍّ بإِذْن وعَوْنِ العَزِيزِ المقتدرِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء مِن أَنْفَعِ الأدوية، وهو عدوُّ البلاء، يَدفَعُهُ ويُعَالِجُهُ، ويَمْنَع نُزُولَه، ويرفعُهُ أَو يخفِّفُه إِذَا نَزَلَ، وهو سلاح المؤمنِ».(٣)

والقائم بِهِ أَيْضًا أَيُّها الأَحْبَابُ يُحقق مَا أمره بِهِ العَزِيز الوهاب؛ حَيْثُ قَال الكَرِيم التواب: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر:٦٠].

يَقُول الإِمَام ابن كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا مِن فَضْله تَبَارَك وتعالى

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص٣٣).

(٢) اقْتِضَاء الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم (ص٣٥٨).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٥).

وكَرَمِه أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَه إِلَى دعائه، وتَكَفَّل لَهُم بالإجابة».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا مِن لُطْفه بعباده، ونعمته العظيمة؛ حَيْثُ دَعَاهم إِلَى ما فِيهِ صلاح دينهم ودنياهم، وأَمَرَهم بدعائه، دعاءَ العبادة، ودعاءَ المسألة، ووَعَدَهم أنْ يَسْتَجِيب لَهُم».(٢)

فالمُوَفَّقُ مِن العباد مَن يَسَّرَ لَهُ العليمُ الكَرِيمُ تَحْقِيقَ هَذَا العَمَلَ العظيمَ، والمحرومُ هُوَ مَن عَجَزَ عن دعاءِ الخبيرِ العليمِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ**».(٣)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««أَعْجَزُ النَّاسِ» أيْ مِن أَضْعَفِهم رأيًا وأعماهم بصيرةً، «مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ» أي الطلب مِن الله تعالى، لَا سِيَّمَا عند الشدائد، لِتَرْكه مَا أَمَرَه الله به، وتَعَرُّضِه لغَضَبِه بإهماله ما لَا مَشَقَّةَ عَلَيْه فِيهِ».(٤)

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٤/ ٨٦).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٠).

(٣) رَوَاه ابْنُ حِبَّانَ (٤٤٩٨)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦٠١).

(٤) فَيْض القَدِير (١/ ٣٥٠).

ومع مَا بَاءَ بِهِ هَذَا العَاجِز مِن الحِرْمَان والخُسْرَان فسَيَلْحَقُه أَيْضًا الغَضَب مِن العَزِيزِ الرَّحْمَنِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِأَنَّ تَرْكَ السؤالِ تَكبُّرٌ واستغناءٌ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ للعَبْدِ».(٢)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يدل عَلَى أَنَّ رِضَاه فِي سُؤَالِه وطَاعَتِه، وإِذَا رَضِيَ الربُّ تبارك وتعالى فكُلُّ خيرٍ فِي رضاه كمَا أَنَّ كُلَّ بلاءٍ ومُصِيبة فِي غَضَبِه».(٣)

ويَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدعاء مِن العَبْد لرَبِّه مِن أهمِّ الواجبات وأعظمِ المَفْروضاتِ؛ لِأَنَّ تَجَنُّبَ مَا يَغْضَبُ اللهُ مِنْهُ لَا خِلافَ فِي وُجُوبِه».(٤)

فالعاقل اللَّبِيب أَيُّها الأَحِبَّة هُوَ مَن يَحْرص عَلَى دعاءِ ربٍّ كريمٍ،

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٣٧٣)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢١).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٩).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص٣٦).

الَّذِي مِن أسمائه جَلَّوَعَلَا القريب المُجِيب؛ حَيْثُ قَال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ مِمَّا صَدَرَ مِنكم، مِن الكفر والشِّرك والمَعَاصِي، وأقلِعوا عَنْها، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾ أي: ارجعوا إِلَيْه بالتَّوْبَة النَّصُوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أيْ: قريب ممَّن دَعَاه دُعاءَ مسألةٍ، أَو دعاءَ عبادةٍ، يجيبه بإعطائه سُؤْلَه، وقَبُول عبادتِه، وإثابَتِه عَلَيْها، أجلَّ الثَّوَاب».(١)

أَلَيْسَ أَجْدَرَ بعَبْدٍ ضعيفٍ عاجزٍ أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ يلجأَ دَائِمًا إِلَى مَن حثَّه عَلَى سؤاله ووَعَدَه تكرُّمًا وفضلًا مِنْهُ سُبْحَانَه بالإجابة؟! حَيْثُ قَال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: هل يجيب المُضْطَرِبَ الَّذِي أَقْلَقَتْه الكُرُوبُ وتَعسَّرَ عَلَيْه المطلوبُ واضْطُرَّ للخَلَاص مِمَّا هو فِيهِ

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٨٣).

إِلَّا الله وحده؟! ومَن يَكْشف السوء؛ أيْ: البَلاءَ والشرَّ والنِّقْمةَ، إِلَّا الله وَحْده؟ ومَن يَجْعلكم خلفاء الأرض يمكِّنُكم مِنها ويَمُدُّ لَكُم بالرزق ويُوصِل إليكم نِعَمَه وتَكُونون خلفاءَ مَن قَبْلَكم كَمَا أَنَّهُ سيُمِيتُكُم ويَأْتِي بقَوْم بعْدَكم أَإِلَهٌ مَع الله يفعل هَذِهِ الأَفْعَال؟! لَا أحد يفعل مع الله شَيْئًا مِن ذَلِك حَتَّى بإقراركم أَيُّها المشركون، وَلِهَذَا كَانوا إِذَا مَسَّهم الضُرُّ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصين لَهُ الدِّين لِعِلْمِهم أَنَّهُ وحده المقتَدِر عَلَى دفعه وإزالته، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أيْ: قليل تَذَكُّرُكم وتَدَبُّرُكم للأمور الَّتِي إِذَا تَذَكَّرْتُموها ادَّكَرْتُم ورَجَعْتم إِلَى الهُدَى، ولكنَّ الغفلةَ والإعراضَ شاملٌ، لكم فلذَلِك مَا ارْعَوَيْتُم وَلَا اهْتَدَيْتُم».(١)

يَقُول ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْهُ أَنا الْمُجيبُ لِكُلِّ مَنْ نَـادَانِي
وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِ إِذْ يَدعُـوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْـلَانِ».(٢)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٠٨).

(٢) النونية (ص١٠٨).

ويَقُول الإمَام الخَطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أي سُبْحَانَه الَّذِي يجيب المُضْطَرَّ إِذَا دعاه، ويُغِيث المَلْهوفَ إِذَا نَادَاه».(١)

إنَّ عَلَى الدَّاعي أَيُّها الكِرَام إِذَا أرادَ أنْ يَقْطِف بإذْن العَزِيزِ العلَّامِ ثَمَرَةَ هَذِهِ العبادةِ الجليلةِ أنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ مَا يَقْدَح فِيهَا مِن المَعَاصِي والآثام، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»(٢)

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله «ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يا رَبِّ، يَا رَبِّ إِلَى آخره» مَعْناه والله أعلمُ أَنَّهُ يُطيلُ السفر فِي وُجُوهِ الطاعات كحَجٍّ وزيارة مستحَبَّة وصِلَة رَحِم، وغير ذَلِك. قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**» هُوَ بضَمِّ الغين وتخفيف الذَّال المكسورة، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ**

---

(١) شأن الدعاء (ص٧٢).

(٢) رَوَاه مسلم (١٠١٥).

لِذَلِك» أيْ مِن أين يُسْتجاب لِمَن هَذِهِ صفتُه؟ وكيف يُستجاب له؟!»[١]

يَقُول الإِمَام ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا الكلام أَشَار فِيهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدابِ الدعاء، وإِلَى الأَسْبَاب الَّتِي تَقْتَضي إجابتَه، وإِلَى مَا يمنع مِن إجابته».[٢]

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك؟!» بَعِيد أنْ يَستجيب الله لِهَذَا الرَّجُل، الَّذِي هُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ، يَمُدُّ يَدَيْه للسماء: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، ومع ذَلِك يَبْعُدُ أنَّ الله يستجيب له؛ لأَنَّهُ يأكل الحَرَام».[٣]

وعَلَيْه أنْ يَحْذر كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن استعجال الإجابة بعد دعائه الكَرِيمَ المقتدرَ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا أَو فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**».[٤]

---

(١) الشَّرْح النووي عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٧/ ١٠٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص١٠٥).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٤٧٤).

(٤) رَوَاه البُخَارِي (٥٩٨١) ومسلم (٢٧٣٥).

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال بَعْض العُلَمَاء: قوله: «مَا لَمْ يَعْجَلْ» يَعْنى يَسْأَمِ الدعاء ويتركه، فيكون كالمانِّ بدعائه، وأَنَّهُ قَد أتى مِن الدعاء مَا كَان يستحق بِهِ الإجابة، فيصير كالمُبْخِل لربٍّ كريمٍ، لَا تُعْجِزُه الإجَابَة، وَلَا يُنْقِصُه العَطَاء، وَلَا تَضرُّه الذُّنُوبُ».(١)

ولْيعلمْ أَنَّهُ سيَقْطِف ثَمَرَةَ دعائه فِي دُنياه أَو فِي أُخْراه إِذَا أَخَذَ بالأَسْبَاب وابتعدَ عَن كلِّ مَا يُخالِف الحقَّ والصواب بإذْن وعَوْن العَزِيزِ الوهَّابِ، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْه مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قالوا: «إِذَنْ نُكْثِرُ؟» قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ».**(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ» أيْ مَعْصية قَاصِرة، «وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ» أيْ سيِّئَة متعدِّيَة «إِلَّا

---

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١٠٠).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد (٣/ ١٨)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي صحيح الترغيب (١٦٣٣).

أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا» أيْ بتلكَ الدَّعوة «إِحْدَى ثَلاَثٍ» أيْ مِنَ الخصال؛ «إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ» أيْ بخُصُوصها أَو مِنْ جِنسها فِي الدُّنْيا فِي وَقْتٍ أَرَادَه إنْ قَدَّر وُقُوعها فِي الدُّنْيا، «وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا» أيْ تِلْكَ المطلوبة أَو مثلها أَو أحسنَ مِنها، أَو ثوابها وبَدَلَها، «لَهُ» أيْ لِلدَّاعي، «فِي الآخِرَةِ» أيْ إنَّ لمْ يُقدِّر وقوعها فِي الدُّنْيا، «وَإِمَّا أَنَّهُ يَصْرِفُ» أيْ يدفع «عَنْهُ مِنَ السُّوءِ» أيِ البَلاء النازِل أَو غيره فِي أَمْر دينه أَو دنياه أَو بدنه «مِثْلَهَا» أيْ كميةً وكيفيةً، إنْ لمْ يُقَدِّر لَهُ وقوعها فِي الدُّنْيا، والحاصل أنَّ مَا لم يقدر لَهُ فِيهَا أحد الأمرين إمَّا الثَّوَاب المدخر، وإمَّا دفع قدرها من السوء وفِيهِ زيادة عَلَى الحديث السابق إن مَا لم يقدر يدفع عَنْه من السوء مثله. «قالوا» أي بَعْض الصَّحَابَة «إِذَنْ» قَال ابن حجر: أيْ إِذَا كَان الدعاء لَا يُرَدُّ مِنْهُ شيءٌ وَلَا يَخِيبُ الدَّاعي فِي شَيْء مِنْهُ «نُكْثِرُ» أيْ مِن الدعاء العظيم فوائده «قَال» أيِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللهُ أَكْثَرُ» بالمُثَلَّثَةِ فِي الأكثر، وفِي نسخة بالمُوَحَّدَةِ؛ فمعناه الله أكبر مِن أَنْ يُسْتَكْثَرَ عَلَيْه شيءٌ، وأمَّا عَلَى الأوَّل فقَال الطيبي: أي الله أكثر إجابةً مِن دعائكم، والأَظْهر عندي أنَّ معناه فَضْل الله أَكْثرُ أيْ مَا يُعْطيه مِن فَضْله وَسَعَةِ كرمِه أكثرُ مِمَّا يُعْطيكُم فِي مُقابَلَة دعائِكم، أَو الله أغلبُ فِي الكثرة؛ يعني فَلَا تُعْجِزُونَه فِي الاستكثار، فإنَّ خزائنَه

لَا تَنْفَد وعطاياه لَا تفنى».(١)

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ نَحْرصَ عَلَى القيام بهَذِه العبادة الكَرِيمة مع الاعتناء بآدابها ومَا يُستحبُّ فِيهَا؛ كمراعاة الأوقات الَّتِي يُستحب فِيهَا الدعاء، وكذَلِك رَفْع اليدين عنده، وأَيْضًا صِدْق الالتِجَاء والطَّلَب والتَّضرُّع إِلَى العَزِيز الكَرِيم، وأنْ نَحْذَر أَشَدَّ الحَذَرِ من الاعتداء والتجاوُز فيه، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء لَيْسَ كله جائزًا، بَلْ فِيهِ عُدْوان مُحرَّم، والمشروع لَا عدوان فِيهِ، وأنَّ العُدْوان يَكُون تارة فِي كثرة الألفاظ وتارة فِي المعاني».(٢)

وأنْ نَصْبر وَلَا نَسْتَعجل الإجابةَ والثمرةَ، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتُ مِن البلاء أنَّ المؤمن يدعو فَلَا يجاب، فيُكرِّرُ الدعاء، وتطول المدَّة، وَلَا يَرَى أَثَرًا للإجابة، فيَنْبَغِي لَهُ أنْ يَعْلم أنَّ هَذَا مِن البلاء الَّذِي يحتاج إِلَى الصبر، ومَا يَعْرِضُ للنّفْسِ مِن الوَسْواس فِي تأخيرِ الجَوَابِ مَرَضٌ يَحْتاجُ إِلَى طِبٍّ».(٣)

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٥/ ١٣٤).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٢/ ٤٧٤).

(٣) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٨٢).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفِّقَنا جَمِيعًا لتَحْقِيق مَا يَنْفعنا فِي الدَّارَين، ومِن ذَلِك أنْ نَكُون لَهُ فِي كل وقتٍ مِن الطَّائِعين، وعَلَى دعائه مِن الحَرِيصين، وعَلَى نِعَمِه مِن الشَّاكِرِين وعَنْ مَعْصِيته مِن التَّائِبين المُسْتَغْفِرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

التذكير بما لصلاة الوتر من فضل كبير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الإكثارَ مِن التَّطَوُّع والمُسْتَحَبَّات مِن الصَّلَوَات مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْرِص عَلَيْه أَيُّها الإخْوَة والأَخَوَات، يَقُول الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّطَوُّع اسمٌ لِمَا شُرِّع زيادةً عَلَى الفَرْضِ والواجباتِ».[1]

فهِي وإنْ لمْ تَكُن سَبَبًا فِي رِفعة الدرجاتِ فسَتَكُون بإذْن ربِّ البريات مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تُعِين عَلَى جَبْر مَا نَقَصَ مِن الواجبات، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إنّ أَوّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ**

---

(١) التعريفات (ص٨٤).

أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عز وجل انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُون سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العِرَاقِي فِي شَرْح التِّرْمِذِي لَا تَعَارُض بَيْنه وبَيْن الحديث الصحيح أنَّ «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»،(٢) فحديثُ الباب محمولٌ علَى حقِّ الله تعالى، وحديثُ الصحيح محمولٌ عَلَى حقوقِ الآدميين فيمَا بينهم، فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّهُمَا يُقَدَّمُ مُحَاسَبَةُ الْعِبَادِ عَلَى حَقِّ الله تَعَالَى أو مُحَاسَبَتُهُمْ عَلَى حُقُوقِهِمْ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ وَظَوَاهِرُ الْأَحَادِيثِ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَقَعُ أَوَّلًا الْمُحَاسَبَةُ عَلَى حُقُوقِ الله تَعَالَى قَبْلَ حُقُوقِ الْعِبَادِ».(٣)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن فَضْل الله ورحمتِه ونعمتِه وإحسانِه أنْ شَرَعَ لَنَا النَّوَافِلَ خلف الصَّلَوَات وقَبْلها وفِي كلِّ وقت إِلَّا الأوقات المَنْهِيِّ عَنْها؛ وذَلِك لِأَنَّ الإِنْسَان لَا بُدَّ أنْ يَكُون فِي صَلَاتِه

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٤١٣)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رَوَاه مسلم (١٦٧٨) مِن حديث عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (٢/ ٣٨٣).

خَلَلٌ فيَكْمُلُ بهَذِه النَّوَافِلِ، فالظُّهْر لَهُ أربعُ رَكَعَات قَبْلَها بتَسْلِيمين وركعتان بعدها، وصلاةُ العصر لَيْسَ لها راتِبَة، لكنْ لَهَا سُنَّة مُطْلَقة كمَا قَال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**».(١) صلاة المَغْرب لَهَا رَاتِبَةٌ بَعْدَها رَكْعتان وسُنَّةٌ مُطْلَقة قَبْلها، صَلاة العِشَاء بَعْدَها ركعتان، الفجرُ قبلها ركعتان، صلاةُ الليل، صلاةُ الوتر، صلاةُ الضحى؛ كل هَذِهِ النوافل يزداد بِهَا أجر المصلِّي ويَكْمُل بِهَا النَّقْص الَّذِي حَصَلَ فِي الفريضة، وهَذِه مِن نِعْمَة الله عز وجل، نَسْأل اللهَ أنْ يُعِينَنا وَإيَّاكم عَلَى ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عِبَادَته».(٢)

وكذَلِك يَنْبَغِي أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الأَفَاضِلُ أنَّ التَّهاوُن بالنوافل قَد يؤدِّي بالعَبْد إِلَى الإخلال بالفروض الَّتِي أَمَرَه بِهَا ربُّ الأَرْض والسَّموات؛ لِأَنَّ المستحبَّات هِي سِرَاج الواجباتِ، يَقُول الإِمَام الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن المَنْدُوبات ما هُوَ واجبٌ بالكلِّ؛ فَيُؤَدِّي تَرْكُهُ مُطْلقًا إِلَى الإخلال بالواجب، بَلْ لَا بدَّ فِيهِ مِن العَمَل بِهِ لِيَظهَرَ للنَّاس فيعملُوا به، وَهَذَا مَطْلُوبٌ ممَّن يُقتدى به، كمَا كَان شأنُ

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٦٠١) ومسلم (٨٣٨) مِن حديث عبد الله بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٥/ ١٠٤).

السلف الصالح».(١)

إنَّ مِن أعظمِ الصَّلَوَات المستحَبَّة الَّتِي يَنْبَغِي للعبد أنْ يَحْرِص عَلَيْها أشدَّ الحرص أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام صلاةَ الوتر، وهِي كَذَلِك مِن أفضلِ مَا يَتَقَرَّب بِهِ العَبْد إِلَى العَزِيزِ المقتدرِ، ولِشَرَفِ مكَانتها بَيْن النوافلِ والمستحَبَّات لَمْ يكن نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام يترُكُها فِي الحَضَر ولا حَتَّى فِي السَّفَر، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذَلِك لَم يكن يَدَعُها هِي والوتر سَفَرًا وحَضَرًا، وكَان فِي السفر يواظِب عَلَى سُنَّة الفجر والوتر أشدَّ مِن جَمِيع النوافل دون سائر السُّنَنِ، ولم يُنْقَل عَنْه فِي السَّفَر أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى سُنَّةً راتبة غيرهما».(٢)

بَلْ كَثِيرًا مَا حثَّ أُمَّتَه عَلَى المُحَافظة عَلَيْها والحِرْص عَلَى أدائها، فعن عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا، فإنّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**».(٣)

يَقُول الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُريد بِهِ قيامَ الليل، فإنَّ الوِتْرَ يُطْلَق عَلَيْه

---

(١) الموافقات (٤/ ١٠٨).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣١٥).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤١٦)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كمَا يُفْهَم مِن الأحاديثِ؛ فلذَلِك خَصَّ الخِطَاب لأهل القرآن «فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ» أيْ واحدٌ فِي ذاته لَا يَقْبَل الانْقِسَام، ووَاحِد فِي صِفَاتِه فَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا مِثْل له، وواحد فِي أَفْعَاله فَلَا شريكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ، «يُحِبُّ الْوِتْرَ» أيْ يُثيبُ عَلَيْه ويَقْبَله مِن عامِلِه».(١)

وَهَذَا لَا يَعني أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أَنَّهَا واجِبَة، فجُمهور العُلَمَاء عَلَى أَنَّهَا مِن السُّنَن والمُستحَبَّات. يَقُول الإِمَام ابْنُ قُدَامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوتر غيرُ واجبٍ، وبِهَذَا قَال مَالِكٌ والشَّافِعي».(٢)

ويَقُول الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجِب شَيْء مِن الصَّلَوَات فِي كل يَوْم وليلة غيرُ الخمس، خلافًا لِمَن أَوْجَبَ الوِتر أَو رَكْعَتَي الفجر، أَو صلاة الضحى، أَو صلاة العيد، أَو الركعتين بعد المغرب».(٣)

لكن هَذَا لَا يُفهَم مِنْهُ أَنَّهُ يُتهاوَنُ فِي أمرِها، وَلَا أنْ يَجْعل المُسْلِمَ يَتَساهل فيها؛ فالسَّلف الصَّالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كانوا يَذُمُّون أشدَّ الذَّمِ مَن تَهَاوَن فِي صلاة الوتر واعتاد عَلَى تَرْكها، يَقُول الإِمَام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) عون المعبود (٤/ ٢٠٥).

(٢) المغني (١/ ٤٥٢).

(٣) فتح الباري (١/ ١٠٧).

«مَن تَرَك الوِتر عمدًا فَهُوَ رَجُلُ سوءٍ، وَلَا يَنْبَغِي أنْ تُقْبَل لَهُ شهادة».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأراد المبالغة فِي تأكيده لِمَا قَد وَرَدَ فِيهِ مِن الأحاديث فِي الأَمْر بِهِ والحثِّ عَلَيْه، فخَرَّجَ كلامُه مَخْرَجَ كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلَّا فَقَدْ صَرَّح فِي رواية حَنْبَل فقال: الوتر لَيْسَ بمنزلة الفرض».(٢)

ويَقُول البَاجِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا تَرْكُ المَنْدوبِ إلَيْه بمَا كَان مِنْهُ يتكرر ويتأكَّد كالوتر وركعتي الفجر وتحيَّةِ المسجد وما قَد واظب عَلَيْه النَّاس، فإنْ أَخَلَّ أَحَدٌ بفِعْله مرَّةً أَو مِرَارًا لعذرٍ أَو غيرِ عُذرٍ، فَلَا يَسقط بذَلِك عدالته، وأمَّا مَن أَقْسَمَ أَلَّا يفعل، أَو تركه جملةً، فإنَّ ذَلِك يُسقط شهادَتَهُ».(٣)

فَعَلَيْكَ أَيُّها المُسْلِم أنْ تَحْرص أشدَّ الحِرْص عَلَى أداء هَذِهِ الصَّلَاة الكَرِيمة، وأنْ تُؤدِّيَها قَبْل أنْ تَنَام إنْ خَشِيتَ أَلَّا تُصَلِّيَها فِي آخر الليل؛ عملًا بوصية رَسُولِ العَزِيزِ الجليلِ، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) المغني (١/ ٤٥٢).

(٢) المغني (١/ ٤٥٣).

(٣) المنتقى شرح الموطأ (٥/ ١٩٣).

أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من خَافَ أَلَّا يَقُوم مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِك أَفْضَلُ**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ دليلٌ صريحٌ عَلَى أَنَّ تأخيرَ الوتر إِلَى آخرِ الليل أفضلُ لِمَنْ وَثَقَ بِالِاستيقاظِ آخرَ الليل، وأَنَّ مَن لَا يَثِقُ بذَلِك فالتَّقديمُ لَهُ أفضلُ، وَهَذَا هُوَ الصوابُ».(٢)

ويَنبغي أَنْ تُؤدِّيَها وَلَوْ ركعةً واحدةً عَلَى الأقل، وتُجاهِدَ نفسك مع مرور الأيام أَنْ تَزِيدَ فِيهَا لِمَا فِي ذَلِك مِن خيرٍ كَبِيرٍ عند العَزِيزِ القديرِ، فعن أبي أيوب الأنْصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ**».(٣)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقلُّ الوتر ركعةٌ، وأَنَّ الركعةَ الفردةَ

---

(١) رَوَاه مسلم (٧٥٥).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٦/ ٣٥).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤٢٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

صلاةٌ صحيحةٌ، وهو مَذْهبُنا ومَذْهب الجمهور».(١)

وإنْ غَلَبَكَ النومُ فلَمْ تُصَلِّهَا، أَو أنك نَسِيتَها ثُمَّ تَذَكَّرْتَها بعد خروج الوقت، فلَكَ عَلَى الصحيح أنْ تَقضِيَها عند استيقاظك ووقت تَذكُّرِك لَها، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ**».(٢)

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى مشروعية قضاء الوتر إِذَا فاتَ، وقد ذَهَبَ إِلَى ذَلِك مِن الصَّحابة عَلِيُّ بن أبي طالبٍ، وسَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ، وعَبْد الله بنُ مَسْعُودٍ، وعَبْد الله بْنُ عُمَرَ، وعُبَادة بْنُ الصَّامت، وعامرُ بنُ رَبِيعَة، وأَبُو الدَّرْدَاء، ومُعَاذ بْنُ جَبَلٍ، وفَضَالَةُ بن عُبَيْدٍ، وعَبْد الله بنُ عبَّاسٍ، كذا قَال الْعِرَاقِيُّ».(٣)

فالله الله أَيُّها الأَفَاضِلُ والأَخْيَار فِي اغتنام مَا بقي من الأوقات والأعمار فيمَا يُحب الكَرِيم الغفارُ من الخيرات وسائر القربات، والحِرْصَ أَشَدَّ الحِرْصَ عَلَى اجتناب مَا يُغضب العَزِيزَ الجبَّارَ مِن

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٦/ ١٩).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤٣١)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٣/ ٥٨).

المحرَّمَات وكلِّ المُنْكَرات، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبَغِي للإِنْسَان أنْ يَعْرف شرف زمانه، وقَدْر وقته، فَلَا يُضيِّع لحظةً فِي غير قُرْبة، ويُقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل».(١)

وعَلَى العَبْد أَيُّها الأَحْبَابُ إِذَا أراد أن يُوفَّق لعملِ الطاعات أن يَصْدُق ويُخْلص النِّيَّة أوَّلًا للعزيزِ الوهَّابِ، ثُمَّ يجتهد فِي بذل مَا يعينه عَلَى ذَلِك من أَسْبَاب، وليعلمْ أنَّ بِقَدْر إخلاص النية يَكُون التوفيقُ للعبد مِن ربِّ البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعَلَى قَدْر نية العَبْد وهِمَّتِه ومُرادِه ورغبته فِي ذَلِك يَكُون توفيقه سُبْحَانَه وإعانته، فالمَعُونة مِن الله تنزل عَلَى العباد عَلَى قَدْر هِمَمِهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخُذْلان ينزل عَلَيْهم عَلَى حسب ذَلِك، فالله سُبْحَانَه أحكمُ الحاكمين وأعلمُ العَالَمِينَ يَضَع التوفيق فِي مواضعه اللائقة به، والخذلان فِي مواضعه اللائقة به، هُوَ العليم الحكيم».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يحبه ويرضاه، ومن ذَلِك الحِرْصُ عَلَى كل أنواع الخير والبِرِّ، ومن

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٢).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٩٧).

ذَلِك الصَّلَوَاتُ المستحباتُ، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا كلَّ مَا يُبغضه ويأباه مِن المُحَرَّمَات والمُنْكَرات وكل أنواع الشر، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

التحذير من مسابقة الإمام في الصلاة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَشْرح صَدْرَ أَهْلِ الإِيمَان ويُسْعد أَوْلِيَاء الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَانِ مَا نَرَاه اليَوْم مِن إِقْبالِ المُسْلِمِينَ عَلَى بُيُوتِ الكَرِيم المَنَّانِ، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التَّوْبَة:١٨].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَصَفَهم بالإِيمَان النَّافِع، وبالقِيامِ بالأَعْمَال الصَّالِحَة الَّتِي أُمُّها الصَّلَاة والزَّكَاة، وبِخَشْية الله الَّتِي هِي أَصْل كُلِّ خَيْر، فهَؤُلَاءِ عُمَّارُ المَسَاجد عَلَى الحَقِيقَةِ وأهلُها الَّذِينَ هُم أَهْلُها».(١)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٣٢١).

فحَرِيٌّ بِكُلِّ مُسْلِم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنْ يَفْرَحَ بتَوَافُدِ الأَنَام إِلَى مكَانٍ هُوَ مِن أَحَبِّ البِقَاع إِلَى العَزِيزِ العلَّامِ، فعن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا»؛ لأَنَّهَا بُيُوت الطَّاعَات وأَسَاسُها عَلَى التَّقْوَى، قَوْلُه «وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا»؛ لأَنَّهَا مَحِلُّ الغِشِّ والخِدَاع والرِّبَا والأَيْمَانِ الكَاذِبة، وإِخْلَاف الوَعْد، والإِعْرَاض عن ذِكْر الله، وغير ذَلِك مِمَّا فِي معناه».(٢)

لكنَّ الفَرَح والسُّرُور بِهَذَا الإقبال عَلَى بُيُوت العَزِيز المُتَعالِ قَد يَنْتَابُه بَعْض الحُزْن؛ وسَبَبُ ذَلِك أنَّ بَعْض المُصَلِّينَ قَد يُخالِفون فِي صَلَاتِهم هَدْيَ وأَمْرَ خَيْرِ المُرْسَلِينَ، ومِن ذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ أَنَّنَا نَرَى اليَوْمَ فِي كَثِيرٍ مِن المَسَاجد قَد فَشَت بَيْن عَامِرِيها ظاهِرةٌ قَد حَذَّرَنا مِنها أشدَّ التَّحْذِير نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام؛ أَلَا وَهِيَ مُسَابَقة بَعْضَ المَأْمُومِينَ فِي صَلَاتِهم للإِمَامِ، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) رَوَاه مسلم (٦٧١).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٥/ ١٧١).

رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا**»(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِيهِ وُجُوب مُتَابَعَة المَأْمُوم لإِمَامه فِي التَّكْبِيرِ والقِيَامِ والقُعُودِ والرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وأَنَّهُ يَفْعَلها بَعْدَ الإِمَام»(٢)

ويَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّي الإِمَامُ إمامًا لِيُؤْتَمَّ بِهِ، ويُقْتَدَى بِهِ عَلَى وَجْهِ المتابَعة».(٣)

إنَّ عَلَى مَن يُسابِق فِي صَلَاة الجَمَاعَة الإِمَامَ أنْ يَعْلَمَ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّ فِعْلَه هَذَا هُوَ حَرَامٌ باتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الإِسْلَام، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا مُسَابَقَةُ الإِمَامِ فحَرَامٌ باتِّفَاق الأَئِمَّة لَا يَجُوز لِأَحَدٍ أنْ يَرْكَعَ قَبْل إمامِه وَلَا يرفعَ قَبْله وَلَا يَسْجدَ قَبْله».(٤)

وأَنَّهُ كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِن أَسْبَابِ بُطْلانِ الصَّلَاة،

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٣٧١) ومسلم (٤١١) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٤/ ١٣٢)

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٣/ ١٩٣).

(٤) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٣/ ٣٣٦).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا مُسَابَقتُه الإِمَامَ، والتَّقَدُّمُ عَلَيْه فِي رُكوعٍ أَو سجودٍ، أَو خَفْضٍ أَو رَفْعٍ، فإنَّ ذَلِك حرامٌ، مُبْطِلٌ للصَّلاةِ، فيُؤْمَرُ المَأْمُومُون بالاقتداء بإمامِهم، ويُنْهَوْنَ عن المُوَافَقَة والمُسَابَقَة والتَّخَلُّفِ الكَثِير».(١)

وأنَّ صاحِبَه إِذَا لمْ يَتْرُكْ هَذَا الفِعْل غَيْرَ السَّدِيدِ فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بوعيد شديد، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ الله رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟**»(٢)

يَقُول الإِمَام ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِيهِ: دَلِيل صَرِيحٌ عَلَى تَحْرِيمِ تَعمُّدِ رَفْعِ المَأْمومِ رَأْسَه قَبْلَ الإِمَامِ فِي ركوعِه وسجودِه؛ فإنَّه تَوَعَّدَ عَلَيْه بالمَسْخِ، وَهُوَ مِن أَشَدِّ العُقُوبَاتِ.

وإِنَّمَا اخْتَصَّ الحمارَ بالذكر دون سائر الحيوانات عَلَى الرِّوايَة الصَّحِيحة المَشْهورةِ والله أعلم لِأَنَّ الحمارَ مِن أَبْلَدِ الحيواناتِ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٩٤).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٥٩) ومسلم (٤٢٧) واللفظ له.

وأَجْهَلِها، وبِهِ يُضْرَب المَثَل فِي الجَهْلِ».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا تهديدٌ لِمَن سابَقَ الإِمَامَ، وَلَا تهديدَ إِلَّا عَلَى فعلٍ مُحَرَّمٍ، أَو تَرْكِ واجِبٍ».(٢)

اعلمْ أَيُّها المُصلِّي أَنَّ شُهُودَ الجَمَاعَة مَع الإِمَامِ نِعْمةٌ عظيمةٌ ومِنَّةٌ كريمةٌ قَد يَسَّرَها لَكَ الكَرِيمُ العلَّامُ، فاحرصْ أَشَدَّ الحِرْصِ، إِذَا أردْتَ أَنْ تَنالَ عَلَيْها الأَجْرَ والثَّوابَ أَنْ تَعْمَلَ بمَا أَوْصاك رَسُول العَزِيزِ الوهَّابِ، فعن أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّى بِنَا رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْم، فلمَّا قَضَى الصَّلَاة أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فقَال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ**».(٣)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ تَحْرِيمُ هَذِهِ الأمورِ ومَا فِي مَعْناها، والمُرادُ بالانصراف السلامُ».(٤)

---

(١) فتح الباري فِي شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابن رجب (٤/ ١٦٣).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٥/ ١١١).

(٣) رَوَاه مسلم (٤٢٦).

(٤) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٤/ ١٥٠).

فاحْذَرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن مُسابَقَة الإِمَامِ؛ فإنَّ هَذَا الفعل يُنافِي أحكامَ الإِتْمَامِ، وهُو مِن العَجَلة الَّتِي يُحِبُّها الشَّيْطَان الَّذِي يسعى جاهِدًا لإفساد صَلَاتك وإيقَاعِك دَائِمًا فِي الآثامِ، فعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيِ التَّأَنِّي «مِنَ اللهِ» أيْ: مِمَّا يرضاه ويُثيبُ عَلَيْه، «وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» أيْ: هُوَ الحامِل عَلَيْها بِوَسْوَسَتِه؛ لِأَنَّ العَجَلة تَمْنع مِن التَّثَبُّتِ والنَّظَر فِي العواقِب».(٢)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلِهَذَا كَانَت العَجَلة مِن الشَّيْطَان، فإنَّهَا خِفَّة وطَيْشٌ وحِدَّة فِي العَبْد تَمْنعه مِن التثبُّت والوَقَار والحِلم، وتُوجب لَهُ وَضْع الأشياء فِي غيرِ مواضِعِها، وتَجلِب عَلَيْه أنواعًا مِن الشُّرور وتَمْنعه أنواعًا مِن الخير، وهِي قرينُ الندامة؛ فقلَّ مَن استعجل إِلَّا نَدِم، كمَا أنَّ الكَسَل قرينُ الفَوْتِ والإضاعة».(٣)

---

(١) رَوَاه أبو يَعْلَى فِي مُسْنَدِه (٤٢٥٦)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (١٧٩٥).

(٢) فَيْض القَدِير (٣/ ٢٤٧).

(٣) الروح (ص٢٥٨).

وعَلَى الإِمَام كَذَلِك أنْ يَقُوم بما عَلَيْه نَحْو المُصَلِّينَ مِن مسؤوليات؛ فيُذَكِّرَهم ويَحُثَّهم عَلَى العَمَل بهَدْي رَسُولِ ربِّ البريَّات، ويتعَاهَدَهم بالحِكْمة والرِّفْقِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ والتَّوجِيهاتِ، خاصَّةً عندمَا يَرَى مِنْهُم مَا يُنافِي الصَّلَاة مِن مُخالَفَات؛ لأَنَّهُ يُسأل عن ذَلِك يَوْم وُقُوفه بين يَدَيْ ربِّ الأَرْض والسَّموات. يَقُول الإِمَام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الإِمَام راعٍ لِمَن يُصلِّي بِهِم، فمَا أَوْلى بالإِمَام النصيحة لِمَن يُصلِّي خَلْفَه، وأنْ يَنهاهُم عَن المُسَابَقة فِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وأَلَّا يَرْكَعوا ويَسْجدوا مَع الإِمَام، بَلْ يَأْمُرُهم بأنْ يَكُون ركوعُهم وسجودُهم ورَفْعُهم وخَفْضُهم بَعْدَه، وأنْ يُحْسِن أَدَبَهم وتَعْليمهم إذْ كَان راعِيًا لَهُم».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَ أئمَّة مَساجِد المُسْلِمِينَ لكلِّ ما فِيهِ خيرٌ لَهُم وللمُصَلِّينَ، وأنْ يَجْعَلَهم هُدَاةً مُهْتَدِين، ولِهَدْي خَيْرِ المُرْسَلِين مِنَ المُتَّبِعِينَ الدَّاعِينَ، وأنْ يَجْعَل المَأْمُومِين بالِاقْتِدَاء بالأئمَّة مِن الحَرِيصِين وعَلَى مُسابَقَتهم مِن المُبتَعِدِين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يَعْلَى (١/ ٣٥٩).

إياك من التنفير
أيها الداعية!

إيَّاكَ مِن التَّنفيرِ أيُها الدَّاعيةُ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن السَّلْبِيَّات الَّتِي نَرَاها اليَوْمَ أَيُّها الأَفَاضِلُ فِي بُلْدَانِنا الإِسْلَامِيَّة عَلَى بَعْضِ مَن حَمَل لِوَاء الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر بيْن النَّاسِ اتِّصَافَهُم بالغِلْظةِ واستعمالَهُم الشِّدَة فِي غَيْر مَوْطِنِها، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبَغِي للعالِم إِذَا رأى مَن يُخِلُّ بواجِبٍ أَو يَفْعل مُحَرَّمًا أن يَتَرَفَّقَ فِي إرشادِه ويَتلطَّفَ بِهِ».(١)

حَيْثُ فرَّطَ هَؤُلَاءِ، بِسَبَب مَا صَدَرَ ومَا يَصْدُرُ منهم، فِي أصلٍ مهمٍّ جِدًّا فِي هَذَا الباب؛ أَلَا وهُو الرِّفْقُ واللِّينُ عِنْدَ دَعْوَةِ ونُصْحِ الآخَرِين،

---

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ٤٦١).

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرِّفْقُ سبيلُ الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِيَكُنْ أَمْرُك بالمَعْرُوف بِالْمَعْرُوفِ ونَهْيُك عَن المُنْكَر غَيْرَ مُنْكَر».(١)

ولا يُسْتَغْرَبُ صُدُورِ هَذَا الأمرِ مِن بَعْض هَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفْنا أحوالَهم وتَتَبَّعْنا أَخْبارَهم؛ لأَنَّهُ كمَا يُقال إِذَا عُرف السَّبَبُ بَطُلَ العَجَب، فالبَعْضُ مِنهم أَيُّها الأَحِبَّة قَد وَلَجَ مَيْدانَ الدَّعْوةِ بِلَا زادٍ وَلَا عَتَادٍ، والبعضُ الآخَرُ قَد يَكُون لَهُ شَيْء مِن العِلم، لكنْ تنقصُه الحكمة؛ وَلِذَا يظهر عَلَيْه التَّسَرُّعُ والاندفاع عند أَمْرِه بالمَعْرُوف وعِنْدَ نَهْيِه عن المُنْكَر، وكِلَا الصِّنْفَين قَد غَلَبَت عَلَيْهِمَا العاطفةُ غَيْرُ المُقَيَّدَةِ بضَوَابطِ الشَّرْع؛ لِذَا نراهما أَيُّها الكِرَام لَا ينظران لحالة المَدْعُوِّين وَلَا إِلَى عَوَاقِب الأمورِ، فيَنْتُجُ عن أَفْعَالِهِمَا فِي الغالِبِ مَا ضَرَرُهُ أكثرُ مِن نَفْعِه، ومِن أَخْطَرِ وأَضَرِّ مَا يُجنَى بِسَبَب أَفْعَالِهِمَا تنفيرُ النَّاس والمدعوِّين عن دِينِ ربِّ العَالَمِينَ، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**».(٢)

---

(١) الأَمْرُ والنَّهْي عن المُنْكَر لِابْنِ تَيْمِيَّة (ص٢٨).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٧٠) ومسلم (٤٤٦) واللفظ له.

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ» أيْ مَنْ يَلْقَى النَّاسَ بالغِلْظَة والشِّدَةِ فيَنْفِرون مِن الإِسْلَام والدِّين».(١)

إنَّ مِمَّا يُحْزِن المؤمِنَ كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أنَّ دُعاة الانفتاح والتَّبرُّج والاختلاطِ وغيرِها مِن المُنْكَرات قَد استغلُّوا اليَوْمَ النَّظْرةَ السَّيِّئَةَ لبعضِ عوامِّ المُسْلِمِينَ لأهل الاستقامة والدين، والَّتِي للأسفِ تَسَبَّبَ فِيهَا أحيانًا بَعْضُ الدعاة المُنَفِّرِين؛ فأَثَّرُوا عَلَى بَعْضِ العوامِّ وضعفاءِ النفوسِ فصَرَفوهم عن الطريقِ المستقيمِ والمَنْهجِ القَوِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قوَّةَ إِلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

فأَيْنَ أنتَ يَا مَن تَسَبَّبْتَ فِي تَنْفيرِ بَعْض المُسْلِمِينَ عَن دِينِ ربِّ العَالَمِينَ مِن وَصِيَّة خيرِ المُرْسَلِين، الَّتِي أمر فِيهَا الدُّعَاةَ والمُصْلِحين بالرِّفْق واللِّينِ ونَهَاهم عن الشِّدَّةِ والغِلْظة مع المَدْعوِّين؟! فعن أبي موسى الأَشْعَرِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**».(٢)

يَقُول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««وَلَا تُنَفِّرُوا» مِن النِّفَار، وهو

---

(١) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (٥/ ٩١).

(٢) رَوَاه مسلم (١٧٣٤).

الشُّرُود والهُرُوب، ومِنه نُفُور الدَّابة ونِفَارُها؛ أي لَا تُشَدِّدوا عَلَى النَّاسِ وتخوِّفوهم فتُبَغِّضوا إِلَيْهم الإِسْلَامَ وتَصُدُّوهم عَنْه».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث الأمرُ بالتبشيرِ بفَضْلِ الله وعظيمِ ثَوَابِه وجزيلِ عطائِه وسَعَةِ رحمتِه، والنَّهْيُ عن التَّنفيرِ بذِكْرِ التخويفِ وأنواع الوعيد مَحْضَةً مِن غَيْرِ ضَمِّها إِلَى التَّبْشير، وفِيهِ تأليفُ مَن قَرُبَ إسلامُه وتَرْكُ التشديدِ عَلَيْهم، وكذَلِك مَن قَارَب البلوغَ مِن الصِّبْيَانِ، ومَن بَلَغَ، ومَن تَابَ مِن المَعَاصِي، كلُّهم يُتلطَّفُ بِهِم ويُدْرَجون فِي أنواع الطَّاعَة قليلًا قليلًا، وقد كَانت أمور الإِسْلَام فِي التكليف عَلَى التدريج فمَتَى يُسِّرَ عَلَى الدَّاخلِ فِي الطَّاعَة أَو المُرِيد للدُّخول فِيهَا سَهُلَت عَلَيْه، وكَانت عاقبتُه غالبًا التزايُدَ مِنْهَا، ومَتَى عَسَرَت عَلَيْه أَوْشَكَ أَلَّا يَدْخُلَ فِيهَا، وإِنْ دَخَلَ أَوْشَكَ أَلَّا يدومَ أو لَا يَسْتحْلِيَها »(٢)

فاعلمْ يَا مَن عِنْدك الحِرْصُ عَلَى نَفْعِ الآخرين أنَّ الرِّفقَ واللُّطفَ عِند الدَّعْوةِ والتَّذْكِيرِ والتعليمِ مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تَجْعل دعوتَك

---

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٢٠).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٤١).

مقبولةً عند الآخرين، سواءٌ كَانوا مِن الغافِلين أَو الجاهِلين بإذْن أرحمِ الرَّاحِمِينَ، يَقُول الإمَام أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللُّطفُ بالجاهلِ قَبْل التعليم أَنْفَعُ لَهُ مِن التَّعنُّف، ثُمَّ لَا وَجْهَ للتعنُّف لِمَن لَا يَعْلم؛ إنَّمَا يُعنَّفُ مَن خالَفَ مع العِلْم».(١)

واعلمْ أيضًا أنَّ تنفيرَ المَدْعوِّين بالقَوْل أَو الفِعْل لَيْسَ أبدًا مِن هَدْيِ المُتَّقِينَ وَلَا مِن صِفَاتِ المُصْلِحين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتنفيرُ لَا يَنْبَغِي؛ فَلَا تُنَفِّرَ النَّاس بَلْ لِنْ لَهُم، حَتَّى فِي الدعوة إِلَى الله عزَّ وجلَّ، لَا تَدْعُهم إِلَى الله دَعْوَةَ مُنَفِّرٍ، لَا تَقُلْ إِذَا رأيتَ إِنْسَانًا عَلَى خطأ: يَا فلان، أنتَ خالَفْتَ، أنتَ عَصَيْتَ، أنتَ فِيكَ ... إِلَى آخره، هَذَا يُنَفِّرُهم، ويَزيدُهم فِي التَّمَادِي فِي المَعْصية، ولكنِ ادْعُهم بهَوْنٍ ولِينٍ حَتَّى يَأْلَفَك ويَأْلَفَ مَا تَدْعو إِلَيْه، وبِذَلِك تَمْتَثِلُ أَمْرَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»».

فخُذْ هَذَا الحديثَ أَيُّها الأخُ، خُذْهُ رَأْسَ مالٍ لك «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّروا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، سِرْ إِلَى الله عزَّ وجلَّ عَلَى هَذَا الأصل، وعَلَى هَذَا الطريق، وسِرْ مَع عِبَاد اللهِ عَلَى ذَلِك تَجِدِ الخَيْرَ

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٤/ ٢٣٣).

كلَّه، واللهُ المُوَفِّقُ».(١)

بل هُوَ مِن الأَخْلَاق السَّيِّئَة والصِّفَات القَبِيحَةِ الَّتِي أَمَرَ العَزِيزُ العلَّامُ رَسُولَنا عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام باجتنابِها عند معامَلَة الأَنَامِ، فكَانت وصيةً لَهُ ولِمَن بَعْدَه مِن الدُّعاة لِدِين الإِسْلَامِ؛ حَيْثُ قَال العليمُ الحكيمُ لِنَبِيِّه الكَرِيمِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: برحمةِ اللهِ لَكَ ولأصحابِك، مَنَّ الله عَلَيْكَ أنْ أَلَنْتَ لَهم جانِبَك، وخَفَضْتَ لهُم جَناحَك، وتَرقَّقْتَ عَلَيْهم، وحَسَّنْتَ لهُم خُلُقك، فاجتمَعوا عَلَيْكَ وأَحَبُّوك، وامتَثَلُوا أَمْرَك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أيْ: سَيِّء الخُلُقِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أيْ: قاسِيَهُ، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرَهم ويُبَغِّضَهم لِمَن قَامَ بِهِ هَذَا الخُلُق السيِّء.

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٥٩١).

فالأَخْلَاقُ الحَسَنة مِن الرئيس فِي الدين، تَجْذب النَّاسَ إِلَى دِينِ الله وتُرَغِّبُهم فيه، مع مَا لصاحبه مِن المَدْح والثَّواب الخاصِّ، والأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ من الرئيس فِي الدين تُنَفِّرُ النَّاسَ عن الدين وتُبَغِّضُهم إِلَيْه، مع مَا لصاحبها مِن الذَّمِّ والعقاب الخاصِّ، فَهَذَا الرَسُول المعصوم يَقُول الله لَهُ مَا يقول، فكيف بغيره؟!

أَلَيْسَ مِن أَوْجَبِ الواجِبات، وأهمِّ المُهِمَّات، الاقتداءُ بأَخْلَاقه الكَرِيمة، ومُعامَلَة النَّاس بمَا يعامِلهم بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِن اللِّين وحُسْن الخُلُق والتأليف؛ امتثالًا لأَمْرِ الله، وجَذْبًا لعباد الله لِدِين الله؟»(١)

واحْذَرْ أَيُّها الدَّاعية أَشَدَّ الحَذَرِ كَذَلِك أنْ تَكُون ليِّنًا رفيقًا فَقَطْ عند دَعْوة الآخرين، وشديدًا غليظًا عند نُصْحِك ودعوتِك لأهلِك وغيرهم مِن الأقربين؛ بَلْ إنَّ أهلَك وأقربَ النَّاس إِلَيْكَ هُم أَوْلى النَّاسِ برِفْقِك وبِرِّك وحُسْنِ معامَلَتِك، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا**

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».(١)

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِي ذَلِك تَنْبيهٌ عَلَى أعلَى النَّاس رتبةً فِي الخير، وأحقُّهم بالاتِّصاف به هُوَ مَن كَان خَيْرَ النَّاسِ لأهلِه؛ فإنَّ الأهلَ هُم الأَحِقَّاءُ بالبِشْر وحُسْن الخُلُق والإحسانِ وجَلْبِ النَّفْع ودَفْع الضر، فإذَا كَان الرَّجُل كَذَلِك فَهُوَ خيرُ النَّاس، وإنْ كَان عَلَى العكس مِن ذَلِك فَهُوَ فِي الجانب الآخَر مِن الشرِّ، وكَثِيرًا مَا يقع النَّاس فِي هَذِهِ الوَرْطَة فترَى الرَّجُل إذَا لِقِي أهْلَه كَان أسوأَ النَّاس أَخْلَاقًا وأشَحِّهم نفسًا وأقلِّهم خيرًا، وإذَا لَقِيَ غيرَ الأهلِ مِن الأجانبِ لَانَتْ عريكَتُه وانبَسَطَت أَخْلَاقُه وجَادَتْ نفسُه وكَثُرَ خَيْرُه، وَلَا شكَّ أنَّ مَن كَان كَذَلِك فَهُوَ محرومٌ التوفيقَ زائغٌ عَن سواءِ الطريقِ، نسألُ اللهَ السلامةَ».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أنْ يرزُقَنا جَمِيعًا عِنْدَ مُعامَلَة الآخَرين الرِّفْقَ واللِّينَ، وأنْ يُوفِّقَ الدُّعَاةَ الصَّادِقِين المُصْلِحين فِي كُلِّ مكَانٍ لكُلِّ مَا فِيهِ خَيْرٌ وصَلَاحٌ للإسلامِ والمُسْلِمِينَ، وأنْ

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٨٩٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٦/ ٢٦٠).

يَحْفَظَهم مِن شرِّ الكائدين ومَكْرِ الحاقِدِين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

أقلام اليوم!

أَقْلَامُ اليَوْمِ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَيُّها الأَفَاضِلُ التطوُّرَ والتنوُّعَ الكبيرَ الَّذِي نَرَاه فِي وَسَائِل الاتِّصَالِ والإعْلَام بِشتَّى أنواعِها؛ المَسْمُوعة مِنْها والمَرْئِيَّة والمَكْتوبةِ.

ونُلاحِظُ كَذَلِك أنَّ غالِبَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ أصبَحُوا يُجِيدُون اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الوَسَائِلِ ويَعْرِفُون طريقةَ استخدامِها، بَلْ نَرَى أنَّ الصِّغَارَ يُحْسِنون التَّعامُلَ مَعَها حَتَّى أكثرَ مِنَ الكِبَارِ.

وممَّا نَتَج عَن هَذِهِ الظَّاهِرَة أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات كثرةُ مَا يُكتَب ويُدوَّن مِن آراءٍ وكِتَاباتٍ، سواءٌ فِي الجرائد أَو المجلاَّت، وحتَّى

مَا يُرسَل بيْن النَّاسِ عَبْر رسائلِ الجَوَّالات.

وَهَذَا الَّذِي نراه ونُعايشه أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام هُوَ مِصْدَاق مَا ذَكَرَه لَنَا نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام؛ حَيْثُ أَخْبَرَنا أنَّ مِن علاماتِ السَّاعَةِ أنْ يَظْهر القَلَم وتَكْثُر الكِتَابة بين الأَنَامِ، فعَنْ عمرِو بْنِ تَغْلِبَ العَبْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمالُ، وَيَكْثُرَ وَتَفْشُوَ التِّجارَةُ، وَيَظْهَرُ الْقَلَمُ.**» (١)

يَقُول البَرْزَنْجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١٠١٣): «وفُشُوُّ القَلم كِنايةٌ عَن كَثرة الكَتَبَة وقِلَّة العُلَمَاء، يَعني يَكْتَفُونَ بتَعَلُّم الخطِّ ليُخَالِطوا الحُكَّامَ». (٢)

يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففِي الحديثِ إشارةٌ قويةٌ إِلَى اهتمامِ الحكوماتِ اليَوْمَ فِي أغلبِ البلادِ بتعليمِ النَّاسِ القراءةَ والكِتَابَةَ، والقضاءِ عَلَى الأُمِّية حَتَّى صارت الحكوماتُ تتباهى بذَلِك، فتُعْلِنَ أنَّ نِسبة الأُمِّية قَد قلَّت عندها حَتَّى كادت أنْ تُمْحَى، فالحديثُ عَلَمٌ

---

(١) رَوَاه النَّسَائِيُّ فِي الكُبْرَى (٦٠٨٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦٤٧).

(٢) الإشاعة لأَشْرَاطِ السَّاعَةِ (ص١١٤).

مِن أَعْلامِ نُبُوَّتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأبي هُوَ وأمِّي. وَلَا يُخالِف ذَلِك كما قَد يَتَوَهَّمُ البعضُ مَا صحَّ عَنْه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غيرِمَا حديثٍ أنَّ مِن أَشْرَاط السَّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلم ويَظْهر الجَهْل؛ لِأَنَّ المَقصود بِهِ العِلم الشَّرعي الَّذِي بِهِ يَعرف النَّاسُ ربَّهم ويَعْبدونه حقَّ عبادته، وليس بالكِتَابَة ومَحْو الأُمِّية كمَا يَدُل عَلَى ذَلِك المُشاهَدَة اليومَ، فإنَّ كَثِيرًا مِن الشعوبِ الإِسْلَامِيَّة فضلًا عن غيرها، لم تَسْتفدْ مِن تَعلُّمِها القراءةَ والكِتَابَةَ عَلَى المَنَاهج العَصْرية إِلَّا الجهلَ والبُعْدَ عن الشريعة الإِسْلَامِيَّة، إِلَّا مَا قلَّ ونَدُرَ، وذَلِك مِمَّا لَا حُكْمَ لَهُ».(١)

إنَّ المُسْلِمِينَ اليَوْم أَيُّها الأَحِبَّة لَيْسوا سواءً فِي التعامُل مع هَذَا التطوُّر المَلْحوظ فِي وَسَائِل الكِتَابَة، فأهدافُهم مِنْهَا مُتباينَة ونِيَّاتُهم مُخْتَلِفة، فهُم أَيُّها الكِرَام عَلَى أقسام:

ففَئِةٌ مِنْهُم ولله الحمد يَسْتَخْدِمونها فيمَا يَعُود بالنَّفع والخيرِ عَلَى الأَنَام، فنَرَى أنَّ مِنْهُم مَن جَعَلَها مِنْبَرًا للتعريف بالإِسْلَام والدعوةِ إِلَيْه وَرَدِّ الشبهات الَّتِي تُثَارُ حَوْلَ دِين العَزِيزِ العلَّامِ.

---

(١) السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦/ ٦٣٥).

وجماعةٌ مِنْهُم جَعَلوها مَطِيَّةً لِهَدْم القِيَم ونَشْر الرذيلة ومحارَبَة الفضيلةِ، ورَبْطِ العَلَاقَات المُحَرَّمَة بين الرِّجَال والنِّسَاء، وتَزْيِين المَعَاصِي والآثامِ مِن شُرْب المُسْكِرات وتَعَاطِي المخدِّرات، وغير ذَلِك مِن المُنْكَرات والمُلْهِيات.

ومِنهم مَن بَاعَ قَلَمَه بثَمَنٍ بَخْسٍ لمُنظَّماتٍ دُوَليةٍ تَزْعم أَنَّهَا حقوقية، مِنْهَا كافرة غربية، وبعضها حَتَّى إلحادية، فأصبح فِي جرائدِ وصُحُفِ المُسْلِمِينَ يَدعو لمَا تَسْعى إِلَيْه هَذِهِ المنظمات مِن فسادٍ وإفْسادٍ ويُزيِّنُ ويُدَافِع عن أفكارها الهَدَّامة الَّتِي مِنها ما هُوَ كُفْر وإلحاد؛ فتَسَبَّبَ فِي إضلالِ وانْحرافِ كَثِيرٍ مِن العِبَادِ.

وطائفةٌ مِنْهُم استغلَّت أقلامَها وقُدْرَتَها عَلَى الكِتَابَة وزَخْرَفَة الكَلَام وحُسْن صياغَتِه، فجَعَلَتْها وَسِيلَةً لنَشْر البِدَع والمُحْدَثَات وتَزْيِين المُنْكَرات والخُرَافات، فسَاهَمَت فِي إبعاد المُسْلِمِينَ عن سُنَّة وهَدْي خَيْرِ المُرْسَلِين.

وجماعةٌ مِنْهُم سَخَّرت قَلَمَها للطَّعن فِي العُلَمَاء الأَعْلَام، وذَلِك بِرَمْيِهِم بمَا لَيْسَ فيهم مِن عُيُوب ونَقَائِصَ؛ ومِن ذَلِك أَنَّهم لَا يَفْقَهون وَاقِعَ الأُمَّة ومَا يَدُور فِي الخَفَاء، بَلْ حَتَّى إنَّ بَعْض هَؤُلَاءِ قَد بَلَغَ بِهم

الأَمْرُ لِاتِّهام العُلَمَاء الأَتْقِياء بأنَّهم للحُكَّامِ عُمَلاءُ، وَلَا يُفْتُون وَلَا يتكلمون حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُم ويُطْلَبَ مِنهم، يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَئِنْ كَان فِي الخُروج عَلَى الحكَّام مِن الشَّر مَا بَرْهَنَ عَلَيْه تَواطُؤُ النصوصِ الشَّرعية مع الأخبارِ الواقعيةِ، كمَا ظهر مِن صنيع حُدَثَاءِ الأَسْنَان فِي كل الأزمان، فشرٌّ مِنْهُ الخروجُ عَلَى العُلَمَاء بإهْدَارِ حقِّهم، وعَدَمِ اعْتمَادِ فَتَاوَاهُم إِلَّا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَ الحَرَكِيِّينَ، واسْتِصْغَارِ شَأْنِهم فِي السياسة، ورَمْيِهم بعُلَمَاء بَيْتِ الوضوء، ومَا أَشْبَهَهَا مِن الأَلْقاب الَّتِي يَنْبِز بِهَا المُبْتَدِعَةُ صَاغِرًا عَن صاغِرٍ العُلَمَاءَ السلفيين كابرًا بعد كابرٍ، وفِي هَذَا إهدارٌ للشريعة بتجريح حمَلَتِها وشُهُودِها، والله المَوْعِدُ».(١)

وبعضُهم استأجَرَ قَلَمَه للأشرارِ والفُجَّارِ، فسَاهَمَ مَعهم فِي نَشْر الشائعات وما لَا يَثْبُتُ مِن أَخْبَارٍ؛ لِزَعْزَعَةِ مَا يَعيشُه النَّاسُ مِن أَمْنٍ واستقرارٍ، وتَسَبَّبَ كَذَلِك فِي التحريشِ بين المُسْلِمِينَ ونَشْر العَدَاوةِ والبَغْضاءِ بَدَلَ المَحَبَّة والإخاءِ. يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التحريشُ: إيقاعُ الخصومةِ والخشونةِ بينهم، أيْ بين النَّاسِ».(٢)

---

(١) مَدَارِك النَّظر للشَّيْخ عَبْد المَلِك الرَّمَضَانِي (ص٢٣٢).

(٢) شَرْح السُّنَّة (١٣/ ١٠٤).

فكَان جُنْدًا وعَوْنًا لإِبْلِيسَ اللَّعين الَّذِي مِن أهمِّ أهدافِه الاجتهادُ فِي التحريش بين المُسْلِمِينَ، فعن جَابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».(١)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: فِي إغْرَاءِ بعضِهم عَلَى بعض، والتحريضِ بالشرِّ بين النَّاس مِن قَتْلٍ وخُصُومةٍ، والمعنى: لكنَّ الشَّيْطَانَ غيرُ آيِسٍ مِن إغْراءِ المُؤْمِنِينَ وحَمْلِهم عَلَى الفِتَن، بَلْ لَهُ مَطْمعٌ فِي ذَلِك».(٢)

فعَلَى مَن تولَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ أنْ يَقُومَ بمَا يَجِب عَلَيْه تِجَاهَ هَؤُلَاءِ المُفْسِدِينَ والمُنْحَرِفين، فيَمْنَعَهم مِن نَشْر وبَثِّ هَذِهِ الانْحِرَافاتِ والمُنْكَراتِ فِي الجَرَائِدِ والصُّحُفِ والمَجلَّات؛ لأَنَّهُ سيَقِفُ يَوْم القِيَامَة أَمَامَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ وسيَسْأَلُه عَن نَفْسِه وعن رَعِيَّتِه ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَال، فعن عَبْد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛**

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٨١٢).

(٢) مِرْقَاة المَفَاتِيح (١/ ٢٣٤).

فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ.» (١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعي، هُوَ الحافِظ المُؤتَمَن المُلْتَزِم صَلاحَ مَا قَامَ عَلَيْه وَمَا هُوَ تَحْتَ نَظَرِه، ففِيهِ أَنَّ كُلَّ مَن كَان تَحْتَ نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطالَب بالعَدْل فِيهِ، والقِيامِ بمَصَالِحه فِي دِينِه ودُنياه ومُتَعلِّقاتِه». (٢)

وعَلَى المُسْلِم أنْ يَحْذر أَشَدَّ الحَذَر مِن الثَّناء عَلَى المُبْطِلِين أَو أنْ يَكُون عَوْنًا للمُفْسِدين؛ لِأَنَّ هَذَا الأَمْرَ قَد نَهَانَا عَنْه ربُّ العَالَمِينَ، فقَال أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

يَقُول ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ يَأمُر الله تعالى عبادَه المُؤْمِنِينَ بالمُعاوَنَة عَلَى فِعلِ الخيرات، وهو الْبِرُّ، وتَرْكِ المُنْكَرات، وَهُوَ التَّقْوَى، ويَنْهَاهم عنِ التناصُر عَلَى الباطِلِ». (٣)

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

(٣) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٢/ ١٢).

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ وهو التجرُّؤ عَلَى المَعَاصِي الَّتِي يَأْثَم صاحبها، ويُحْرَج. ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ وهو التَّعدِّي عَلَى الخَلْق فِي دِمَائِهم وأموالِهم وأعراضِهم، فكلُّ مَعصيَة وظُلمٍ يَجِب عَلَى العَبْدِ كَفُّ نَفْسِه عَنْه، ثُمَّ إعانةُ غيرِه عَلَى تَرْكِه».(١)

وعَلَى مَن وَقَعَ فِي هَذِهِ الآثامِ، وكَان سَبَبًا فِي إغواءِ وإضلالِ بَعْضِ الأَنَام، أنْ يُبادرَ فَوْرًا بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى العَزِيزِ العلَّامِ، وأنْ يجتهدَ فِي إصلاحِ مَا كَان قَبْل فَوَات الأَوَانِ، يَقُول ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُك مكتوبٌ وقولُك محسوبٌ، وأنت يَا هَذَا مطلوبٌ، ولك ذُنُوبٌ ومَا تتوبُ، وشمسُ الحياةِ قَد أَخَذَت فِي الغروبِ، فمَا أَقْسَى قلبَك مِن بين القلوبِ!»(٢)

وعَلَيْنَا أنْ نَعْلم فِي خِتَام هَذَا المقَالِ أنْ جَمِيع مَا نقوله ونَنْشُره هُوَ مكتوبٌ عند الكبيرِ المتعالِ، فلْيجتهدْ كُلٌّ منَّا أنْ يَكْتبَ ويَنْشرَ مَا يَكُون سَبَبًا فِي جَمْع الحَسَناتِ الَّتِي ستَنْفَعُه يَوْم القِيَامَةِ بإذْنِ ربِّ البرياتِ، ولْيحذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ يَكتبَ شَيْئًا يَعُودُ عَلَيْه بالندمِ

---

(١) تَفسِير السَّعْدِيِّ (ص٢١٨).

(٢) التَّبْصِرَة (٢/ ٢٧٢).

والحسراتِ يَوْم وُقُوفِه بينَ يَدَيْ ربِّ الأَرْضِ والسَّمواتِ، يَقُولُ الإِمَام ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن أَيْقَنَ أَنَّهُ مَسْؤولٌ عمَّا أَلَّفَ وعمَّا كَتَب لم يَعْمل الشَّيءَ وضِدَّه، ولمْ يَسْتفرِغْ مجهودَه فِي تَثْبيتِ الباطلِ عِنْدَه».(١)

ويَقُول الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومَا مِنْ كاتِبٍ إِلَّا سَتَبْقَى ... كِتَابَتُه وَإِنْ فَنِيَتْ يَـدَاهُ
فَلَا تَـكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَـرَاهُ(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا جَمِيعًا لكلِّ مَا فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعَلَنا مَفَاتِيحَ للخيرِ مَغَاليقَ للشَّرِّ، وأنْ يَحْفظَ المُسْلِمِينَ فِي الأَقْطَارِ والأَمْصَارِ مِن كَيْدِ الفُجَّار ومَكْرِ الأشرارِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وهو العزيزُ الجبَّارُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(١) تأويل مختلف الحديث (ص٥٩).

(٢) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٣١).

إماطة الأذى عن الطريق

إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ بَذْلَ المَعْرُوف لِلْمُسْلِمِينَ والإحسانَ إِلَى الآخرين مِن الأَعْمَالِ الَّتِي يُحبُّها ربُّ العَالَمِينَ؛ حَيْثُ قَال أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يَشْمل جَمِيع أنواعِ الإحسانِ؛ لأَنَّهُ لم يُقيِّدْه بشيءٍ دونَ شيءٍ، فيَدْخُلُ فِيهِ الإحسانُ بالمال...

ويَدْخلُ فِيهِ الإحسانُ بالجاهِ، بالشفاعاتِ ونحو ذَلِك، ويَدخلُ فِي ذَلِك الإحسانُ بالأمرِ بالمَعْرُوف، والنَّهْي عن المُنْكَر، وتعليمِ العِلْم النَّافِع، ويَدْخلُ فِي ذَلِك قَضَاءُ حوائجِ النَّاس، مِن تفريجِ كُرُباتِهم

وإزالةِ شِدَّاتِهم، وعِيَادَةِ مَرْضاهم، وتَشْييع جنائزِهم، وإرشاد ضالِّهم، وإعانةِ مَن يَعْمل عملًا، والعملِ لِمَن لَا يُحْسنُ العَمَل، ونحو ذَلِك مِمَّا هُوَ مِن الإحسان الَّذِي أَمَرَ الله به »(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الإحسانُ إِلَى عِبَادِ الله: فأنْ تُعامِلَهم بما هُوَ أحسنُ؛ فِي الكلام، والأَفْعَال، والبَذْل، وكَفِّ الأذى، وغير ذَلِك، حَتَّى فِي القول؛ فإنك تُعامِلُهم بالأحسن».(٢)

ومِن صُوَرِ الإحسان الَّتِي يحبُّها العَزِيزُ العلَّامُ أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام هِي إماطةُ الأذى عن طريقِ أهل الإسْلَام، يَقُول الإمَام ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِمَاطةُ الأذى عن الطريقِ، وهو مَا يؤذِي فِيهَا كالشَّوْكِ والحَجَرِ والنَّجَاسَةِ ونحوِها».(٣)

لِأَنَّ هَذَا العَمَلَ الكَرِيمَ والفعلَ القويمَ أَيُّها الأَحِبَّة والإخْوَانُ هُوَ مِن شُعَبِ الإيمَان، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ**

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩٠).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ١٣).

(٣) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (١/ ٣٤).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» أيْ تَنْحِيَتُهُ وإبْعَادُه، والمُرَادُ بالأَذَى كُلُّ مَا يُؤْذِي مِن حَجَر أَو مَدَر قِطَع الطِّين اليَابِس أَو شَوْكٍ أَو غيره».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا الحديثُ مِن جُمْلة النصوص الدَّالَّة عَلَى أنَّ الإيمَان اسم يَشْملُ عقائِدَ القَلْبِ وأَعْمَالِه، وأَعْمَالِ الجوارِح، وأقوالِ اللسانِ، فكُلُّ مَا يُقَرِّب إِلَى الله، ومَا يحبه ويرضاه، مِن واجبٍ ومستحَبٍّ، فإنَّه داخلٌ فِي الإيمَان.

وذَكَرَ هُنَا أعلَاه وأَدْنَاه، ومَا بين ذَلِك، وهو الحياء، ولعلَّ ذِكْرَ الحَيَاءِ لأَنَّهُ السببُ الأقوى للقيام بجَمِيع شُعَبِ الإيمَان، فإنَّ مَن استَحْيَا مِن الله لِتَوَاتُر نِعَمِه، وسَوَابِغ كَرَمِه، وتَجَلِّيه عَلَيْه بأسمائه الحسنى والعَبْدُ مع هَذَا كَثِيرُ التقصيرِ مع هَذَا الربِّ الجليلِ الكبيرِ، يَظْلم نَفْسه ويَجْنِي عَلَيْها أَوْجَبَ لَهُ هَذَا الحياءُ التَّوَقِّيَ مِنَ الجرائِمِ،

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٩) ومسلم (٣٥) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ٦).

والقيامَ بالواجباتِ والمستحَبَّاتِ.

فأعَلَى هَذِهِ الشُعَبِ وأَصْلُها وأَسَاسُها قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» صادقًا مِن قلبِه، بحَيْثُ يَعْلم ويُوقِن أَنَّهُ لَا يَسْتحقُّ هَذَا الوصفَ العظيمَ وهو الألوهِيةُ إِلَّا اللهُ وَحْدَه؛ فإنَّه هُوَ ربُّه الَّذِي يُربِّيه ويُرَبِّي جَمِيع العَالَمِينَ بفضلِه وإحسانِه، والكُلُّ فقيرٌ وهو الغنيُّ، والكُلُّ عاجزٌ وهو القويُّ، ثُمَّ يَقُوم فِي كُلِّ أحوالِه بعُبُودِيَّتِه لرَبِّه، مُخْلصًا لَهُ الدين؛ فإنَّ جَمِيع شُعَبِ الإيمَان فروعٌ وثمراتٌ لِهَذَا الأَصْلِ.

ودلَّ عَلَى أنَّ شُعَب الإيمَان بعضُها يَرْجع إِلَى الإخلاص للمعبودِ الحقِّ، وبعضُها يَرْجع إِلَى الإحسانِ إِلَى الخَلْقِ.

ونَبَّهَ بإماطَةِ الأذى عَلَى جَمِيع أنواعِ الإحسانِ القَوْلِيِّ والفِعْلِيِّ؛ الإحسانِ الَّذِي فِيهِ وصولُ المنافع، والإحسانِ الَّذِي فِيهِ دَفْع المضارِّ عن الخَلْق».(١)

لِذَا كَان نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام يُوصي بِهِ أصحابَه الكرامَ، فعن أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ يَا نَبِيَّ الله، عَلِّمْنِي شَيْئًا

(١) بَهْجَة قُلُوبِ الأَبْرَار (ص١٧٩).

أَنْتَفِعُ بِهِ. قَال: «**اعْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي إِذَا رأيتَ فِي مَمَرِّهم مَا يُؤْذي كَشَوْكٍ وحَجَرٍ فَنَحِّهِ عَنْهم نَدْبًا؛ فإنَّ ذَلِك مِن شُعَب الإيمَان».(٢)

لِأَنَّ هَذَا العَمَل الجليل والفِعل النَّبِيل مِن الصَّدَقات الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا العَبْدُ إِلَى ربِّ البرياتِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنْ قِيلَ: كَيْفَ تَكُون إِماطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيقِ صَدَقَةً؟ قيل: مَعْنى الصَّدقة إِيصالُ النَّفْع إِلَى المُتَصَدَّقِ عَلَيْه».(٤)

ويَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««وَتُمِيطُ»، بضَمِّ أَوَّلِه، تُنَحِّي «الْأَذَى» أيْ مَا يُؤْذي المَارَّة مِن نَحْو شَوْكٍ وحَجَرٍ «عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» عَلَى المُسْلِمِينَ».(٥)

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٦١٨).

(٢) التَيْسِير بِشَرْحِ الجَامِع الصَّغِير (١/ ١٧٠).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٢٨٢٧) ومسلم (١٠٠٩) واللفظ له.

(٤) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٥٩١).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٤).

وفَضْلُه كَبِيرٌ وخَيْرُه كَثِيرٌ، كمَا أخبرنا بذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ القديرِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يَتَنَعَّمُ فِي الجنَّة بمَلَاذِّها بِسَبَب قَطْعِه الشجرةَ».(٢)

ويَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ» أيْ يَتَنَعَّمُ بملاذِّها أَو يَمْشِي ويَتَبَخْتَرُ «فِي شَجَرَةٍ» أيْ لأَجْلِ شَجَرَةٍ «قَطَعَهَا مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ» احتِسَابًا لله».(٣)

وفِي الختام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام عَلَيْنَا جَمِيعًا أنْ نَحْرِصَ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى مدِّ يَدِ العَوْن والإحسانِ لأهل الإِسْلَام بالقَوْل والفِعل وعَلَى حسب الطاقة والإمكَان، ومِن ذَلِك إزالةُ الأذى عن الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ مِن شُعَب الإيمَان والذي سيَنْفعُنا يَوْمَ القِيَامَةِ بإذْنِ العَزِيزِ

---

(١) رَوَاه مسلم (١٩١٤).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧١).

(٣) التَيْسِير بِشَرْحِ الجَامِع الصَّغِير (٢/ ٢٩٥)

الرَّحْمَنِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».**(١)

يَقُول العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: فضيلةُ إماطةُ الأذى عن الطريقِ، وهِي أدنى شُعَبِ الإيمَانِ، فإذَا كَان اللهُ عز وجل يَشْكر عبدَه ويَغْفر لَهُ عَلَى إزالة غُصنِ شَوْكٍ مِن الطريقِ، فَلَا يَدْري مَا لَهُ من الفضلِ والثَّوَابِ إذَا فَعَل مَا فوق ذَلِك».(٢)

وعَلَيْنَا أنْ نَحْذرَ كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ نَرْتكبَ أيَّ فِعل مُشِين فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى الآخرين، ومِن ذَلِك إلقاءُ مَا يُؤذي فِي طريقِ المُسْلِمِينَ، يَقُول الإمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَرْحُ الشوكِ فِي الطريق والحجارةِ والكُنَاسةِ والمِياهِ المُفْسِدةِ للطُّرُق وكلِّ مَا يؤذي النَّاسَ؛ تُخشى العُقُوبَة عَلَيْه فِي الدُّنْيا والآخرة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذَا كَان هَذَا مِن المَحَاسن

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٢٣٤٠) ومسلم (١٩١٤) واللفظ له.

(٢) عُمْدَة القَارِي (٥/ ١٧٢).

(٣) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٦٠٠).

ومِنَ الصَّدقات، فإنَّ وَضْع الأذى فِي طريق المُسْلِمِينَ مِن مساوئ الأَعْمَال، فهَؤُلَاءِ النَّاسُ الَّذِينَ يُلْقُون القُشُور فِي الأسواق، فِي مَمَرَّات النَّاس؛ لا شكَّ أنَّهم إِذَا آذَوْا المُسْلِمِينَ فإنَّهم مَأْزُورُونَ».(١)

ويَنْبَغِي أنْ نَعْلم كَذَلِك أنَّ بَذْل الإحسانِ لِلْمُسْلِمِينَ بشتَّى أنواعه هُوَ مِن أهمِّ الوَسَائِل الَّتِي تَجْلب المَحَبَّةَ والإخاءَ وتَدْفع الشَّحناءَ والبغضاءَ وغيرَ ذَلِك مِن الشُّرورِ بإذْنِ العَزِيزِ الغفورِ، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإحسانُ يُفْرح القلبَ، ويَشْرح الصدرَ، ويَجْلب النِّعَمَ، ويَدْفع النِّقَمَ، وتَركُه يُوجِبُ الضَّيْمَ والضِّيقَ، ويَمْنعُ وُصولَ النِّعَمِ إِلَيْه؛ فالجبنُ تَرْكُ الإحسانِ بالبَدَنِ، والبخلُ تَرْكُ الإحسانِ بالمالِ».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا لكلِّ ما فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعَلَنا ممَّن يَحْرِصُ عَلَى كلِّ خيرٍ، وأنْ يُجَنِّبَنا وإيَّاكم كلَّ ما فِيهِ ضَرَرٌ وشرٌّ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ١٥٨).

(٢) طريق الهجرتين (ص٤١٩).

قصات شعر بعض الشباب اليوم!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يُحْزِن كُلَّ مُؤْمنٍ غَيُورٍ عَلَى دينه، حَرِيصٍ عَلَى شبابِ أُمَّتِه، مَا يَرَاه اليَوْمَ مِن تَلَبُّس بَعْض شَبَاب المُسْلِمِينَ بِبَعض العَادَات السَّيئةِ والأَعْمَالِ القَبِيحَةِ، والَّتِي قَلَّدُوا فِيهَا أعداءَ الدِّين مِن الكُفَّار والمُفْسِدِينَ، وَهَذَا كله ما هُوَ إِلَّا مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَنا بِهِ سَيِّدُ المُرْسَلِين وخَاتَم النَّبِيِّين عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَو دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**». **قُلْنَا: يَا رَسُول الله، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَال: «فَمَنْ؟!»**[1]

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٣٢٦٩) ومسلم (٢٦٦٩) واللفظ له.

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمُرادُ بالشِبر والذِّرَاع وجُحرِ الضَّبِّ التَّمثيلُ بشِدَّةِ المُوَافَقَة لَهم، والمُرادُ المُوافَقَة فِي المَعَاصِي والمُخالَفَات لَا فِي الكُفْر، وفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظاهِرة لرَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(١)

ويَقُول الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والَّذِي يَظْهر أنَّ التَّخْصيصَ إنَّمَا وَقَعَ لِجُحْرِ الضبِّ لشِدَّةِ ضِيقِه ورَدَاءتِه، ومع ذَلِك فإنَّهم لِاقْتِفَائِهم آثارَهم واتِّباعِهم طرائِقَهم لَوْ دَخَلُوا فِي مِثْل هَذَا الضِّيقِ الرَّدِيء لَتَبِعُوهم».(٢)

ومِنَ الأَفْعَال الذَّمِيمة الَّتِي قلَّد فِيهَا هَؤُلَاءِ الشَّبَابُ أعداءَ الإسْلَامِ، والَّتِي أصبحَت اليَوْمَ مِن المظاهِرِ السَّلبيةِ الَّتِي فَشَت بشكلٍ كَبِيرٍ فِي مُجْتَمعاتِنا الإسْلَامِيَّةِ؛ مَا يفعله بَعْضُ أبناء أُمَّتِنا فِي شَعْر رءُوسهم، حَيْثُ أصبحوا يَظهرون عَلَيْنَا كل يَوْم بقَصَّاتٍ غرِيبة، وتَسْريحاتٍ عجيبة، حتى أصبحَت رءُوس بعضهم كأَنَّهَا لوحاتُ رَسْمٍ، فكلَّ يَوْم يُغيِّرون شَكْلَها ويُزيِّنونها بمَا يَرَوْنه عَلَى بَعْض الفنانين، أو اللاعبين،

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ٢٢٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٨).

أو المُمَثِّلين، وغيرِهم مِن المُفْسِدِينَ.

بل وَصَلَ الأَمْر بِبَعض هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ بتَقْليدِ هَؤُلَاءِ المُنْحرفين فيمَا يفعلونه فِي لِحَاهم، مِن إطالتها وإطالة الشَّوارب مَعَها، مَعَ تحديدِها، مَنْظرٌ يَنْدَى لَهُ الجَبِينُ ويُحْزِن كلَّ مَن يحبُّ الخيرَ لِلْمُسْلِمِينَ، ويَفْرَح بِهِ جِدًّا أعداءُ الدِّين.

أَلَا يَعْلم هَؤُلَاءِ المُغْتَرِّين بهَؤُلَاءِ المُفْسِدِينَ أنَّ مَا يفعلونه فِي شُعُورِهم لَا يَخْلو مِن أنْ يَكُون مِن القَزَع المُحَرَّم الَّذِي نَهَانَا عَنْه نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقَزَعُ أربعة أنواع:

أحدُها: أنْ يَحْلق مِن رأسه مَوَاضِع مِن هَا هُنَا وهَا هُنَا مأخوذٌ مِن تَقَزُّعِ السَّحابِ، وهو تَقَطُّعُه.

الثاني: أنْ يَحْلق وَسَطه ويَتْرك جوانِبَه كمَا يَفْعله شَمَامِسة النَّصارى.

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٥٩٢٠) ومسلم (٢١٢٠) واللفظ له.

الثالث: أنْ يَحْلق جوانِبَه ويَتْرك وَسَطه كمَا يَفْعله كَثِيرٌ مِن الأَوْبَاش والسَّفل.

الرابع: أنْ يَحْلق مُقَدِّمَه ويَتْرك مُؤخِّرَه، وَهَذَا كلُّه مِن القَزَع، والله أعلم».(١)

ويَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خِلافَ أنَّه إِذَا حُلِق مِن الرَّأس مواضعُ، وأُبْقِيَتْ مَواضعُ أَنَّهُ القَزَع المَنْهِيُّ عَنْه، لِمَا عُرِف مِن اللُّغة كمَا نَقَلْنَاه، ولتفسير نافع لَهُ بذَلِك».(٢)

ألَمْ يَبْلغْ هَؤُلَاءِ الشَّبَابَ تَحْذِيرُ خيرِ المُرْسَلِين وسيِّدِ وَلَدِ آدمَ أَجْمَعِينَ مِن التَّشبُّهِ بأعداءِ الدين؟! فعن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**».(٣)

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا الحديث أقلُّ أحوالِه أنْ يَقْتَضِي تحرَيم التّشَبُّهِ بِهم، وإِنْ كَان ظاهرُه يَقْتضي كُفْر المُتَشَبِّه

---

(١) تحفة المودود (ص١٠٠).

(٢) المفهم (٥/ ٤٤١).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٣٨٧٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بِهم كمَا فِي قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]».(١)

ويَقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففِيهِ دَلالةٌ عَلَى النَّهْي الشديدِ والتهديدِ والوعيدِ عَلَى التشبُّهِ بالكفارِ فِي أقوالِهم وأَفْعَالِهم ولِباسِهم وأعيادِهم وعباداتِهم، وغير ذَلِك من أمورهم الَّتِي لم تُشَرَّع لَنا وَلَا نُقَرَرْ عَلَيْها».(٢)

أَلَا يَدْري هَؤُلَاءِ أَيْضًا أنَّ مُشابَهَة الكفَّارَ فِي الظاهر تُؤدِّي إِلَى مُوافَقَتِهم فِي الباطنِ وتُورِثُ مَحَبَّتَهم والتَّعلُّقَ بهم؟! يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُشابَهَة فِي الظاهر تُورِثُ نَوْعَ مودَّةٍ ومَحبَّةٍ ومُوالاةٍ فِي الباطن، كمَا أنَّ المَحبَّة فِي الباطنِ تُورِثُ المُشابَهَة فِي الظاهر، وَهَذَا أَمْرٌ يَشْهد بِهِ الحِسُّ والتجربةُ».(٣)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشابَهَة فِي الزِّي الظاهر تَدْعو إِلَى الموافَقة فِي الهَدْي الباطن كمَا دَلَّ عَلَيْه الشَّرْعُ والعقلُ والحسُّ؛ وَلِهَذَا جاءت الشريعة بالمَنْع مِن التَّشبُّه بالكفارِ والحيواناتِ

---

(١) اقتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم (١/ ٢٧٠).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ١٤٩).

(٣) اقْتِضَاء الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم (١/ ٥٤٩).

والشياطينِ والنِّسَاءِ والأعرابِ».[١]

أين دَوْرُ الآباء؟! وأين مَن لَهُ سُلْطةٌ عَلَى هَؤُلَاءِ من الأَوْلِيَاء؟! عمَّا نراه ونُشَاهدُه مِن انحراف هَؤُلَاءِ الشَّبَاب عن الطريقِ المستقيمِ، وارتِبَاطِهم بتقاليدِ المُفْسِدِينَ وعادات المُنْحرِفين، ومَيْلِ أعداء الدِّين بِهم عن كلِّ فَضِيلة، ورَبْطِهم بِكُلِّ رذيلة؛ أفَلَا يَعْلمُ مَن لَهُ سلطة عَلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَاب أنَّهم سيُسْألون عَنْهم يَوْم وقوفِهم أَمَامَ العَزِيزِ الوهَّابِ؟! فعن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[٢]

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَال العُلَمَاء: الرَّاعي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْه وما هُوَ تَحْتَ نَظَرِه، فَفِيهِ أنَّ كُلَّ مَن كَان تَحْتَ نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطَالَب بالعدل فيه، والقيام بمِصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقَاتِه».[٣]

---

(١) الفروسية (ص١٢٢).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

فعَلَيْهم الحرص عَلَى رَبْط شَبَابِ المُسْلِمِينَ بمَا ينفعهم فِي الدَّارين؛ مِن التمسُّكِ بتعاليمِ الدِّين، واتِّباعِ هَدْيِ خيرِ المُرْسَلِين، واقْتِفَاءِ أَثَرِ الصَّالِحِين، وتَحْذِيرِهم مِن خَطَر الكُفَّار والمنافقين ومَكْر المنحرفين المُفْسِدِينَ، وحَثِّهم أَيْضًا عَلَى الحرصِ عَلَى مُصاحَبة الصَّالِحِين؛ لِأَنَّ مصاحبَتَهم تُورِث الفَلَاح والنَّجَاح، ومُخالَطةَ الأشرارِ تُورِثُ الحِرْمَان والخُسْرَان، فعن أبي موسى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمّا أَنْ يُحْذِيَكَ[1] وَإِمّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».[2]

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ تَمْثِيلُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليسَ الصالحَ بحامِلِ المِسْكِ والجَلِيسَ السُّوءَ بنَافِخِ الكِيرِ، وفِيهِ فَضِيلةُ مُجَالَسَة الصَّالِحِين وأهلِ الخيرِ والمُرُوءَةِ ومكارمِ الأَخْلَاقِ والوَرَعِ والعِلْمِ والأدبِ، والنَّهْي عن مُجَالَسَة أهلِ الشرِّ وأهلِ البِدَعِ،

---

(١) يُعْطِيَكَ. الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٨).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

ومَنْ يَغتَابُ النَّاسَ، أَو يَكْثُر فُجْرُه وبطالَتُه ونحو ذَلِك مِن الأنواعِ المذمومةِ».(١)

ولْيَعْلمْ كلُّ مَن قَصَّر فِي تربيةِ وتَوْجيهِ الأبْنَاء مِن الآباء أنَّ عوائدَ ذَلِك تَعُودُ كذَلِك إِلَيْه وتَرْجعُ سَلْبًا عَلَيْه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَا أَفْسَدَ الأبناءَ مِثْلُ تَغَفُّلِ الآباءِ وإهمالِهم واسْتِسْهَالِهم شَرَرَ النارِ بينَ الثيابِ، فأَكْثَرُ الآباءِ يَعْتمدون مع أولادِهم أَعْظَمَ مَا يَعْتمدُ العَدُوُّ الشديدُ العداوةَ مَع عَدُوِّه، وهُم لَا يَشْعرون، فكَمْ مِن والدٍ حَرَم وَلَدَه خَيْرَ الدُّنْيا والآخرة وعَرَّضه لِهَلاكِ الدُّنْيا والآخرة، وكُلُّ هَذَا عواقبُ تفريطِ الآباء فِي حقوقِ الله، وإضاعتِهم لها وإعراضِهم عمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهم مِن العِلم النَّافِع والعَمَل الصالح حَرَمَهم الانتفاعَ بأولادِهم وحَرَم الأولادَ خَيْرَهم ونَفْعَهم لَهُم، هُوَ من عُقُوبَة الآباء».(٢)

ونَذْكُر كَذَلِك المَرْأَةَ المُسْلِمَة فِي هَذَا المَقَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّ عَلَيْها أنْ تَحْرص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى التمسُّكِ بتعاليم دِينِها، وتُحَافِظَ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٨).

(٢) تحفة المَوْدُود (ص٢٤٢).

أَشَدَّ المُحافَظَة عَلَى عِفَّتِها وحِجَابِها، وأَلَّا تَغْتَرَّ بالشعارات الكاذبة الَّتِي ظاهرُها الخيرُ وهِي تَحْملُ فِي طَيَّاتِها الشرَّ، ولْتحذرْ كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن تقليدِ الكافراتِ أَو الفَاجِراتِ عند قصِّها أَو تسريحها لِشَعْرِها؛ فإنَّ هَذَا مِن الخُذْلانِ والحِرْمَان والخُسْرَان، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجُوز للمرأةِ أنْ تُصَفِّفَ شَعْرها عَلَى صفة شَعْر الكافراتِ أَو الفاجراتِ؛ لِأَنَّ مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ منهم.

وبِهَذِهِ المناسَبة فإنَّني أَنْصح نِسَاءنا المُسْلماتِ المُؤْمِنَات وأَنْصحُ أَوْلِيَاءَ أُمُورِهنَّ بالبُعد عن هَذِهِ المجلات وعن هَذِهِ التسريحات الَّتِي تَدْعو للتَّلقِّي عنِ الكُفَّار ومَحبَّة مَا هم عَلَيْه مِن الأَلْبِسَة الخَلِيعة الَّتِي لَا تَمُتُّ إِلَى الحَيَاء وَلَا الشريعة الإِسْلَامِيَّة بِصِلَةٍ، أَو المَوْضات الَّتِي يَكُون عَلَيْها تَسْريح الشَّعْر، ولْيَكُنِ المُسْلِمون مُتَمَيِّزين عن غيرهم لِمَا تَقْتَضِيه الشَّرِيعةُ الإِسْلَامِيَّة، وبالطابَع الإِسْلَامي، حَتَّى يَعُود للأُمَّة الإِسْلَامِيَّة عِزَّتُها وكرامتُها ومَجْدُها ومَا ذَلِك عَلَى الله بعزيزٍ».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَحْفظ شبابَ المُسْلِمِينَ مِن مَكْر الكُفَّار والمُنَافقين، ومِن كلِّ المُفْسِدِينَ والكَائِدِين،

---

(١) مجموع فَتَاوَى الشَّيْخ (١٢/ ٢٨٢).

وأنْ يَرُدَّهم إِلَى التمسُّك بتعاليم الدِّين، وأنْ يُوفِّق الآباء عَلَى تربية الأبناء تربيةً صالحةً يَعُود نَفْعها عَلَيْهم جَمِيعًا فِي الدَّارين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

نعمة الألفة بين المسلمين

نِعْمة الأُلْفَة بَين المُسْلِمينَ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن نِعم العَزِيزِ العلَّامِ عَلَى أهل الإِسْلَام أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام أنْ جَعَل بَيْنهم الأُلْفةَ والوِئَام بَعْد أنْ كَانت العَدَاوةُ بينهم والخِصامُ، يَقُول القُدُّوس السَّلَام: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ يَقْتل بعضُكم بعضًا، ويأخُذ بعضُكم مالَ بعضٍ، حَتَّى إنَّ القبيلة يُعادِي بعضُهم بعضًا، وأهلُ البلدِ الواحدِ يَقَعُ بينهم التَّعَادي والاقتتالُ، وكَانوا فِي شرٍّ عظيمٍ، وهَذِه حالةُ العربِ قَبْل بَعْثَة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا بَعَثه اللهُ وآمَنوا بِهِ واجتمعوا عَلَى الإِسْلَام

وتآلَفَت قلوبُهم عَلَى الإيمَان، كَانوا كالشَّخصِ الواحدِ، مِن تآلُفِ قلوبِهم ومُوالاةِ بعضِهم لبعضٍ، وَلِهَذَا قال: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾». (١)

نِعمةٌ عظيمةٌ وعَطِيَّةٌ كريمةٌ تُدخِل بمُشَاهَدَتها والشعورِ بِهَا الفَرَحَ والسُّرُورَ عَلَى قُلوبِ المُوَحِّدِين المُخْلِصين؛ لأَنَّهَا مِن أَسْبَاب اجتماعِ واعتصامِ المُسْلِمِينَ، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والألفة سببٌ للاعتصام بالله وبِحَبْلِه، وبِهِ يَحْصل الإجماعُ بين المُسْلِمِينَ، وبِضِدِّه تَحْصُل النَّفْرةُ بينهم». (٢)

وهِي تَسُوءُ وتَغِيظُ أعداءَ الدِّينِ مِن الكُفَّار والمنافقين وسائرِ المُفْسِدِينَ، الَّذِينَ نَرَاهم يَبْذُلون كلَّ مَا فِي وُسْعِهم فِي نَشْرِ التِّفْرِقَة والِاخْتِلافِ بين المُسْلِمِينَ؛ ولذَلِك نَرَاهم يَدْعَمون وبِقُوَّةٍ كلَّ الطُّرُقِ الَّتِي تُعِين عَلَى تَحْقِيق أهدافِهم القَبِيحَةِ ومُخَطَّطَاتهم الخبيثة.

لِذَا فعَلَى المُسْلِم أنْ يَحْذرَ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن مَكْرِ وكَيْدِ هَؤُلَاءِ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (١٤٢).

(٢) فَيْضُ القَدِير (٦/ ٤٣٤).

الأعداءِ، الَّذِينَ يَنْشرون بوَسَائِلهم بين أبناءِ أُمَّتِنا العَدَاوة والبَغْضاء، ويَجْتهدون فِي قَطْع مَا يُوجد بين المُسْلِمِينَ مِن مَحَبَّةٍ وإخاءٍ.

وعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أنْ نَجْتهد فِي المُحَافظة عَلَى نِعْمة الأُلْفة الَّتِي مَنَّ بِهَا عَلَيْنَا ربُّ البرياتِ، وذَلِك بِبَذْل كلِّ مَا يُعِينُنا عَلَى ذَلِك مِن أَسْبَابٍ، ومِن ذَلِك، أَيُّها الأَحْبَابُ:

أولًا: شُكْرُ العَزِيزِ الكَرِيمِ بالقَلْبِ وبالقَوْلِ وبالفِعْلِ عَلَى هَذِهِ المِنْحةِ العظيمةِ والنِّعمةِ الجليلةِ؛ لِأَنَّ بالشكر والإيمَان تَدُوم وتَكْثُر النِّعم، وبالجُحُود والعِصْيان تَحلُّ وتَزْداد النِّقَم، قَال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهِيم:٧].

يَقُول الشَّيْخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبِهَذِهِ المناسَبَة إنَّ عَلَى كلِّ مُسْلِم، أفرادًا وجماعات، أنْ يُقَابِلوا نِعَم الله بالشكر، وأنْ يَشْكروها بالطَّاعَة والعبادة لله، وأنْ يَحْذَروا كُفْرانَ النِّعَم».(١)

ثانيًا: التَّمسُّك بتعاليمِ دينِ الإِسْلَامِ والحِرْص عَلَى اتِّباع هَدْي

(١) أضواء البيان (٩/ ١١٢).

وسُنَّة خيرِ الأَنَامِ عَلَيْه الصَّلَاة والسلام، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ فِي اجتماعِ المُسْلِمِينَ عَلَى دينهم، وائتلافِ قلوبِهم يَصْلح دِينُهم وتَصْلح دُنياهم، وبالاجتماع يَتَمَكَّنون مِن كلِّ أَمْر مِن الأمور، ويَحْصُل لهم مِن المَصَالح الَّتِي تَتَوقَّف عَلَى الائتلاف ما لَا يُمْكن عَدُّها، مِن التَّعَاوُن عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى، كمَا أنَّ بالافتراق والتعادي يَخْتَلُّ نظامهم، وتَنْقطع روابطهم، ويَصِير كُلُّ واحدٍ يَعْمل ويَسْعى فِي شَهْوة نَفْسِه، وَلَوْ أدَّى إِلَى الضَّرَرِ العامِّ». (١)

ثالثًا: حِرْصُ كلِّ مُسْلِم عَلَى التَّحلِّي بالأَخْلَاقِ الفاضلةِ والصِّفَاتِ الحميدةِ، الَّتِي مِن ثمراتِها تَحْقِيقُ الأُلْفة ونَشْرُ المَحَبَّةِ بين المُسْلِمِينَ، يَقُول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلمْ أنَّ الأُلْفةَ ثَمَرةُ حُسْنِ الخُلُق، والتَّفرقُ ثمرةُ سُوءِ الخُلُق، فحُسن الخُلُق يُوجِبُ التَّحَابَّ والتآلُفَ والتَّوَافُقَ، وسُوءُ الخُلُق يُثْمِر التَّبَاغُضَ والتحاسُدَ والتدابُرَ، ومهمَا كَان المُثْمر محمودًا، كَانت الثَّمرةُ محمودةً، وحُسْن الخلق لَا تَخفى فِي الدين فضيلتُه». (٢)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (١٤٢).

(٢) إحْيَاءُ عُلُوم الدِّين (٢/ ١٥٧).

لِذَا فعَلَيْه أنْ يَكُون متواضعًا مع إِخْوَانه، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضعُ يُكْسب السَّلامة ويُورِثُ الأُلْفةَ ويَرْفع الحِقد ويُذْهب الصَّدَّ، وثَمَرةُ التواضع المَحَبَّةُ».(١)

وعَلَيْه أنْ يَكُون ليِّنًا فِي قولِه وفعلِه عند معاملتِه ومخالطتِه لهم، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانِه، أنْ يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجب المودَّةَ والأُلْفَةَ بين النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع؛ وَلِهَذَا نَهَى النَّبيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجِب العداوةَ والبغضاءَ».(٢)

حريصًا كَذَلِك عَلَى كلِّ وَسِيلَةٍ تُقرِّبه مِن إِخْوَانه وتُعِينُه عَلَى تَقْوية أَوَاصِر الأُخُوَّة الدينيةِ بَيْنه وبَيْنهم، ومِن ذَلِك صِلَتُه وتَقْديمُ الهَدَايا لَهم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**».(٣)

---

(١) رَوْضَة العُقَلاء (ص٦١).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحين (٢/ ٥٤٤).

(٣) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٥٩٤)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما فِي صحيح الجامع (٥٣٥١).

يَقُول الإمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهَدِيَّة مَنْدوبٌ إِلَيْها، وهِي مِمَّا تُورِث المودةَ وتُذْهب العداوةَ».(١)

ويَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَدَبَ إِلَى دَوَام المُهَادَاة لِتَزَايُدِ المَحَبَّة بين المُؤْمِنِينَ، فإنَّ الشيءَ مَتَى لمْ يَزِدْ دَخَلَه النُّقْصَان عَلَى مرِّ الزمان، ويُحْتَمل تَزْدَادوا حُبًّا عند الله لِمَحبِّة بعضِكم لبعض».(٢)

فالهَدِيَّة وَسِيلَة حَميدة تَزِيد مِن أواصِر التَّرَابطِ والإخاءِ بَيْن الأهل والأصحاب والأقرباء وتُساهِم فِي تَصْفية النُّفوس مِن الحِقْد والشَّحناء والبغضاء، يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنِّي لأسْتَحِبُّ لِلنَّاسِ بَعْثَ الهَدَايا إِلَى الإخْوَان بينهم؛ إذ الهَدِيَّة تُورِث المَحَبَّة وتُذْهِب الضغينة».(٣)

وعَلَيْه أَيْضًا أنْ يَبْتعدَ كُلَّ البُعْدِ عَن كُلِّ مَا يُساهِم فِي نَشْر التَّفْرقة بَيْن المُسْلِمِينَ، ويَتَسَبَّب فِي قَطْع أواصِر الأخُوَّة الإيمَانية بينهم، ومن ذَلِك الحقدُ والحسدُ وغير ذَلِك مِن الآفات الَّتِي تُورث العداوات وتَنْتُج

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (١٣/ ١٣٢).

(٢) فَيْض القَدِير (٣/ ٢٧١).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٢٤٢).

عَنْها الخصوماتُ، يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخصومةُ تُوغِرُ الصدورَ، وتُهَيِّج الغضبَ، وإِذَا هَاجَ الغَضبُ حَصَل الحقدُ بينهما، حَتَّى يَفْرحَ كُلُّ واحد بمَسَاءَةِ الآخَرِ، ويَحْزَنُ بمَسَرَّتِه، ويُطْلِقَ اللِّسَان فِي عِرْضِه».(١)

وعَلَيْنَا أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّ المؤمن الحَقِيقِي هو الَّذِي يَأْلفُ إِخْوَانَه ويَأْلَفُونَه كمَا أَخْبَرَنَا بذَلِك خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ» لِحُسْن أَخْلَاقِه وسُهُولةِ طِباعِه ولِينِ جانِبِه فالمُؤمنُ يَأْلُفُ الخيرَ وأَهْلَه، ويألفونه بمناسبة الإِيمَان «وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ» لِضَعْفِ إِيمَانِه وعُسْر أَخْلَاقِه وسُوءِ طِبَاعِهِ».(٣)

---

(١) الأذكار (ص٢٩٦).

(٢) رَوَاه الطَّبَرَانِي فِي الأَوْسَط (٦/ ٥٨)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٤٢٦).

(٣) فَيْض القَدِير (٦/ ٤٣٤).

فهَذِه أَيُّها الأَفَاضِلُ أهمُّ الطُّرُق والوَسَائِل الَّتِي تُساهِمُ بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ فِي المحافَظَة عَلَى نِعْمَة الأُلْفَة الَّتِي منَّ بِهَا عَلَيْنَا أرحمُ الرَّاحِمِينَ، فَعَلَيْنا جَمِيعًا أنْ نَحْرِص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى تَحْقِيقها؛ لِأَنَّ بِسَبَبها تَجْتمع الكَلِمَة وتَتَوَحَّد الصُّفُوف، ويَتَقَوَّى أهلُ الإِسْلَام أَمَامَ مُؤامَرَات أعدائِهم اللِّئَامِ بإذْنِ العَزِيزِ العلَّامِ.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْمَع عَلَى الحقِّ فِي كلِّ مكَان كلمةَ المُسْلِمِينَ، وأنْ يُوحِّد صُفُوفَهم، وأنْ يُدِيمَ بينهم الأُلْفَةَ ويَنْشُرَ فِي أَوْسَاطِهم المَحَبَّة، وأنْ يَرُدَّ كَيْدَ الكائدين ومَكْرَ الماكِرين، ويَفْضَحَ مُخَطَّطَاتِ أعداءِ الدِّين، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

شكر الناس

شُكر النَّاس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى العَبْد أنْ يَعْلمه أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام أنَّ تقديم الشُّكر لِمَن أعانَه وأَحْسَن إِلَيْه مِن الأَنَام هو كَذَلِك مِن شُكْر العَزِيزِ العلَّامِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ الله»**.(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: أنَّ كلَّ مَن كَان مِن طَبْعه وعَادَتِه كُفْرانُ نِعْمة النَّاسِ، وتَرَك الشُّكر لهم، كَان مِن عادتِه كُفْرُ نِعمةِ الله، وتَرْكُ الشُّكرِ له.

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٩٥٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقيل معناه: أنَّ الله لَا يَقْبل شُكْر العَبْد عَلَى إحسانِه إِلَيْه، إِذَا كَان العَبْد لَا يَشْكر إحسانَ النَّاس، ويَكْفر مَعْرُوفَهم، لاتصال أحدِ الأمرين بالآخَر».(١)

لِذَا أَوْصَانا بِهِ الكَرِيمُ المَنَّانُ؛ حَيْثُ قَال العَزِيزُ الرَّحْمَنُ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٧].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مُعامَلَة النَّاس فيمَا بينهم عَلَى دَرَجتين:

إمَّا عَدْل وإنصافٌ واجبٌ، وهو: أَخْذ الواجب، وإعْطاء الواجب.

وإمَّا فَضْل وإحسانٌ، وهو إعطاءُ مَا لَيْسَ بواجبٍ والتسامحُ فِي الحقوق، والغضُّ مِمَّا فِي النَّفْس، فَلَا يَنْبَغِي للإِنْسَان أنْ يَنْسى هَذِهِ الدرجة، ولو فِي بَعْض الأوقات، وخصوصًا لِمَن بَيْنك وبَيْنه معامَلةٌ أَو مخالَطةٌ، فإنَّ الله مُجازِي المحسنين بالفضل والكرم، وَلِهَذَا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾».(٢)

---

(١) جَامِع الْأُصُول (٢/ ٥٦٠).

(٢) تَفْسير السَّعْدِي (ص١٠٥).

لِذَا فإن المُسْلِم الحَقِيقِي هو الَّذِي يُقابِل الإحسانَ بالإحسانِ والتفضُّلَ بالشُّكرِ والعِرْفانِ، يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى المَرْء أنْ يَشْكر النِّعمة ويَحْمد المَعْرُوفَ عَلَى حَسَب وُسْعِه وطاقتِه، إنْ قَدَرَ فبِالضِّعْفِ وإلَّا فبِالمِثْل، وإلَّا فبِالمَعْرِفة بوُقُوع النِّعمة عنده مع بَذْل الجَزاء لَهُ بالشُّكر وقولِه «جَزَاكَ الله خَيْرًا»، فمَن قَال لَهُ ذَلِك عند العَدَم فكأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاء».(١)

وهو الَّذِي يَردُّ بالفعلِ والقولِ جميلَ وإحسانَ الآخرين؛ عملًا بوَصِيَّة خيرِ المُرْسَلِين، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**».(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمكافَأة تَكُون بحَسَب الحال؛ مِن النَّاس مَن تَكُون مكافأتُه أنْ تُعْطيَه مِثل مَا أَعْطاك أَو أكثرَ، ومِن النَّاس مَن تَكُون مكافأتُه أنْ تَدْعو لَهُ وَلَا يَرْضى أنْ تُكافِئَه بمالٍ، فإنَّ الإنْسَانَ الكبيرَ الَّذِي عنده أموال كَثِيرة وله جاهٌ

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَء (ص٢٦٦).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٦٧٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشرفٌ فِي قومه، إِذَا أَهْدَى إِلَيْكَ شَيْئًا فأَعْطَيْتَه مِثل مَا أَهْدَى إِلَيْكَ، رَأَى فِي ذَلِك قُصُورًا فِي حقِّه، لكنَّ مِثل هَذَا ادعُ اللهَ لَهُ، «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، ومِن ذَلِك أنْ تقولَ لَهُ جَزَاك اللهُ خيرًا، إِذَا أعطاك شَيْئًا أَو نَفَعَك بشيء، فقُلْ لَهُ جَزَاك اللهُ خيرًا، فقدْ أَبْلغتَ فِي الثَّناء؛ وذَلِك لِأَنَّ الله تعالى إِذَا جَزَاه خيرًا، كَان ذَلِك سعادةً لَهُ فِي الدُّنْيا والآخرة».(١)

ولا يَنْسى المُسْلِمُ الحَقِيقِيُّ جَمِيعَ مَن تَفَضَّلَ عَلَيْه بأي شَيْء مِن أنواع الخير بالقولِ أَو الفعلِ، أَو حذَّرَه مِن الوقوعِ فِي الشرِّ وما فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْه، وعَلَى رأس هَؤُلَاءِ نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، الَّذِي أدَّى الأمانة ونَصَح الأُمَّة وبَيَّن لِلنَّاسِ طَرِيق الحقِّ مِن طُرُق الضَّلالة، وأَخْرَجَنا بِهِ العَزِيزُ الغفورُ مِن الظلماتِ إِلَى النورِ، ثُمَّ صحابتُه الكِرَام الَّذِينَ أَوْصَلُوا لَنَا هَدْيَ خيرِ الأَنَامِ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام، وبَذَلوا الغالِيَ والنَّفِيسَ مِن أَجْل نَشْرِ وحِفْظِ الإِسْلَامِ، ثُمَّ مَن جاء بَعْدهم مِن سَلَفِنا الصَّالِحِين وعلمائنا الربانيين، الَّذِينَ كَانوا سببًا فِي إرشادنا إِلَى الحقِّ، وعَوْنًا لَنَا عَلَى اتِّبَاع سُنَّة خيرِ الخلق، ومِصْباحًا

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٤٩).

نَسْتضيءُ بِهِ فِي الظلماتِ، وسدًّا مَنِيعًا عن الشُّبُهاتِ والشَّهَوات بَعْد حِفْظ ربِّ البريات، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأَنَّهُ سُبْحَانَه جَعَل لِلنِّعَم وسائِطَ مِنْهُم وأَوْجَبَ شُكْرَ مَن جَعَلَه سببًا لإفاضَتِها، كالأَنْبِيَاءِ والصَّحَابَةِ والعُلَمَاءِ؛ فزِيَادَةُ العَبْد فِي شُكْرِهم زِيَادةٌ فِي شُكْر ربِّه؛ إذْ هُوَ المُنْعِمُ بالحَقِيقَة، فشُكْرُهم شُكْرُهُ».(١)

ففَضْلُهم عَلَيْنَا بعد العَزِيزِ المَنَّانِ كَنْزٌ لَا يُقَدَّر بِأَي الأَثْمَان، وَلَا نَمْلِكُ لهم إِلَّا الدعاءَ، وأنْ نَسألَ الكَرِيمَ القديرَ أنْ يَجْزِيَهم عنَّا كلَّ خَيْر، فعن أُسَامَة بْن زَيْد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْه مَعْرُوفٌ فقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««مَنْ صُنِعَ إِلَيْه» بِصِيغة المَجْهول، أيْ أُحْسِنَ إِلَيْه «مَعْرُوفٌ»، وفِي نسخةٍ مَعْرُوفًا بالنصب، أيْ أُعْطِيَ عطاءً، «فقَالَ لِفَاعِلِهِ» أيْ بَعْدَ عَجْزِه عن إثَابَتِه أَو مُطلقًا «جَزَاكَ الله خَيْرًا» أيْ خَيْرَ الجَزَاء، أَو أعطاكَ خيرًا مِن خَيْرَيِ الدُّنْيا والآخرة «فَقَدْ

---

(١) فَيْض القَدِير (١/ ٥٢٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٣٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» أي بَالَغَ فِي أداءِ شُكْرِه، وذَلِك أَنَّهُ اعترف بالتقصير وأَنَّهُ ممَّن عَجَزَ عن جَزَائه وثَنَائه، ففوَّض جَزَاءه إِلَى الله لِيَجْزِيَه الجزاءَ الأوفى».(١)

وعَلَيْه أَيْضًا أنْ يَسْتحضر فَضْلَ مَن سَهِرَا عَلَى راحته، وتَعِبَا كَثِيرًا فِي تربيته، وبَذَلَا الغالِيَ والنَّفيسَ مِن أَجْل حُسْنِ رعايتِه؛ وَلِذَا هُمَا كَذَلِك ممَّن يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أنْ يَرُدَّ شَيْئًا مِن جميلهمَا، ويَحْرَص بالقولِ والفعلِ عَلَى شُكْرهما؛ عَمَلًا بمَا أوصاه بِهِ خالِقُه ورازِقُه، والذي أَخْبَرَه فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ أنَّ شُكْرَهما هُوَ مِن شُكْرِه سُبْحَانَه وعبادتِه؛ حَيْثُ قَال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفِي جَعْل الشُّكْر لهمَا مقترنًا بالشكرِ لله دلالةٌ عَلَى أنَّ حقَّهمَا مِن أعظمِ الحقوق عَلَى الولد، وأَكْبَرِها وأَشَدِّها وُجُوبًا».(٢)

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٦/ ١٩٣).

(٢) فَتْح القَدِير (٤/ ٢٣٨).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: عَهِدْنا إِلَيْه، وجَعَلْناه وصيةً عنده، سنسأله عن القيامِ بها، وهل حَفِظها أم لا؟ فوصَّيْناه ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وقُلْنا له ﴿ٱشْكُرْ لِى﴾ بالقيام بعُبُودِيَّتي، وأداءِ حُقُوقي، وأَلَّا تَسْتعينَ بنِعَمي عَلَى مَعْصِيتي، ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ بالإحسانِ إِلَيْهمَا بالقولِ اللَّيِّن، والكلامِ اللطيفِ، والفعلِ الجميلِ، والتواضُعِ لَهُما، وإكرامِهمَا وإجلالِهما، والقيامِ بمؤونتِهمَا، واجتنابِ الإساءةِ إِلَيْهمَا مِن كلِّ وَجْه، بالقولِ والفعلِ.

فوَصَّيْنَاه بِهَذِهِ الوَصِيَّة، وأَخْبَرْناه أنَّ ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: ستَرْجِعُ أَيُّها الإِنْسَان إِلَى مَن وصَّاك، وكَلَّفَك بِهَذِهِ الحقوق، فيسألك هل قُمْتَ بها، فيثيبك الثَّوَاب الجزيل، أم ضيَّعْتَها، فيعاقبك العقاب الوبيل.

ثم ذَكَر السَّبَب المُوجِبَ لِبِرِّ الوَالِدَيْنِ فِي الأُم، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: مَشَقَّةً عَلَى مَشَقَّةٍ، فَلَا تزال تُلاقِي المَشَاقَّ، مِن حين يَكُون نُطْفة، مِن الوَحَم، والمَرَض، والضعف، والثقل، وتغيُّر الحال، ثُمَّ وجع الولادة، ذَلِك الوجع الشديد».(١)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٤٨).

ويَقُول العلامة ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَرَ سُبْحَانَه الولدَ أنْ يَشْكُر ربه ويَشْكُر والديه، فدلَّ ذَلِك عَلَى مشروعيةِ شُكْرِ الله سُبْحَانَه وشُكْر المُحْسِنِ مِن النَّاس».(١)

والمُسْلِم يَعْلم كذَلِك أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنَّ مقابلةَ نِعَم الإِخْوَان بالجحودِ والنُّكرانِ وعدم الشكر والكُفران مِن علامات نَقْص وضَعْف الإِيمَان، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ؛ فَإِنّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««مَنْ أُعْطِيَ» بصيغة المجهول «عَطَاءً»، مَفْعول مُطْلَق أَو عطية، وفِي روايةٍ «شيئًا»، فَهُوَ مفعول ثانٍ، «وَجَدَ» أي سَعَة مالية «فَلْيَجْز» بسكون الجيم، أيْ فليكافئْ «بِهِ» أي بالعطاء، «وَمَنْ لَمْ يَجِدْ» أيْ سَعَةً مِن المال «فَلْيُثْنِ» بضم الياء، أيْ عَلَيْه، وفِي روايةٍ «به»، أيْ فلْيَمْدَحْهُ، أَو فلْيَدْعُ له. «فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى»، وفِي روايةٍ «فَإِنْ أَثْنَى بِهِ»، «فَقَدْ شَكَرَ»، وفِي روايةٍ «شَكَرَهُ» أيْ جَازَاه فِي الجملة.

---

(١) فَتَاوَى الشَّيْخ (٦/ ٢٨٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٣٤) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«وَمَنْ كَتَمَ» أي النِّعمة بِعَدَمِ المكافأة بالعطاء أَو المُجَازاة بالثَّنَاء «فَقَدْ كَفَرَ» أي النِّعْمة، مِن الكُفْرَانِ، أيْ تَرَكَ أداءَ حقِّه. وفِي رواية «وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن النَّاس مَن يَكْفر النِّعم، وكُفْران النِّعم يَكُون مِن أَحَدِ رَجُلين: إمَّا رجل لَا معرفة لَهُ بأَسْبَاب النِّعم والمجازاة عَلَيْها، لِمَا لَمْ يُرَكَّبْ فِيهِ مِن التَّفَقُّدِ لِمَراعاةِ العِشْرة، فإِذَا كَان كَذَلِك وَجَبَ الإغضاءُ عَنْه وتَرْك المناقشة عَلَى فعله.

والرَّجُل الآخَر أنْ يَكُونَ ذا عَقْل لَم يَشْكُر النِّعمة استخفافًا بالمُنْعِم، واستحقارًا للنِّعمة، وتهاوُنًا فِي نَفْسه لَهُما أَو لأحدهمَا، فإِذَا كَان كَذَلِك يَجِب عَلَى العاقلِ تَرْكُ العَوْد إِلَى فِعْلِ مِثْلِه، والخُروج باللائمة عَلَى نَفْسه إِذَا كَان لَهُ خِبْرة بِهِ».(٢)

فبَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَيُّها الأَفَاضِلُ فَضْل هَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدب القويم، وأَنَّهُ من الأَخْلَاق الجَمِيلَة الَّتِي أَوْصَانا بِهَا العَزِيزُ العليمُ،

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٦/ ١٩٢).

(٢) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٢٦٦).

وحثَّنا عَلَيْها أفضلُ المُرْسَلِين عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فَعَلَيْنا جَمِيعًا أنْ نَجْتهد فِي العَمَل بِهِ ونَحْرص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى تَحْقِيقه، لِمَا فِي ذَلِك مِن خيرٍ كَثِيرٍ، وفضلٍ كَبِيرٍ، يَعُود عَلَيْنَا جَمِيعًا بإذْن العَزِيزِ القديرِ.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا جَمِيعًا لكلِّ مَا فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ فِي الدَّارين، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعلَنا ممَّن يَشْكُر إحسانَ الآخرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرحمين.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

رسالة إلى كل من
يشمت في أخيه!

رسالة إِلَى كلِّ مَن يَشمت فِي أخيه!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ شَمَاتَة العَبْد بإِخْوَانه هِي من الأَخْلَاق السَّيِّئَة والصِّفَات القَبِيحَة الَّتِي يَجِب عَلَى كلِّ مُسْلِم أَلَّا يَتَّصِف بِهَا وأنْ يَحْذر أَشَدَّ الحَذَرِ مِنْهَا، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّمَاتَة: السُّرُورُ بِمَا يُصِيب أَخَاك مِنَ المَصَائب فِي الدِّين والدُّنْيا، وهِي مُحَرَّمَة مَنْهِيٌّ عَنْها».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الشَّمَاتَة فهِي: التَّعْيِير بالذَّنْب أَو بالعَمَل أَو حَادِثة تَقَع عَلَى الإِنْسَان أَو مَا أَشْبَهَ ذَلِك، فيُشِيعُها الإِنْسَانُ ويُبيِّنُها ويظهرها، وَهَذَا مُحَرَّمٌ».(٢)

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (٧/ ٢٩١).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٢).

لِأَنَّ هَذَا الفعل القَبِيح والخُلُق الذَّمِيم لَيْسَ مِن صِفات الشَّهْم الكَرِيم، يَقُول أَكثَم بْن صَيفِي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْسَ مِن الكَرَم أن يَشمت الرَّجُل بصَاحِبه إِذَا زلَّت بِهِ النَّعل أَو نَزَل بِهِ أَمْر».[٢]

ويَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكَرِيمُ لا يَكُون حقودًا وَلَا حسودًا وَلَا شامتًا »[٣]

بل هُوَ علاماتُ الجاهلِ اللئيمِ، يَقُول أَكثَم بْن صَيفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّمَاتَة لُؤْم».[٤]

ولِأَنَّ صاحبَ النَّفسِ الطَّيبةِ والقلبِ السليمِ لَا يَفْرحُ أَبَدًا بعَثْرة إِخْوَانه، بَلْ يَحزنُ مِن أَجْلهم، ويَجْتهدُ فِي الوقوفِ معهم فِي مِحْنتِهم،

---

(١) التَّمِيمِي: حكيمُ العَرَب فِي الجَاهِلِيَّة، وأَحَد المُعَمَّرِين. عَاشَ زمنًا طويلاً، وأَدْرَك الإسلامَ، وقَصَد المَدِينة فِي مِئَة مِن قَوْمه يُريدون الإسلامَ، فمَات فِي الطَّرِيق، ولم يَرَ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَسْلم مَن بَلَغ المَدِينة مِن أصحابِه، الأعلام للزركلي (٢/ ٦٩)، الإصَابَة فِي تَمْييزِ الصَّحابةِ لابْنِ حَجَرٍ (١/ ٣٥٠).

(٢) الأَمْثَال لابْنِ سَلاَّمٍ (ص٢٩).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٧٢).

(٤) الأَمْثَال لابْنِ سَلاَّمٍ (ص٢٩).

ويَحْرص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى مساعدتِهم فِي دَفْع مَا نَزَل بهم، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتوجع أي المؤمن لعَثْرة أخيه المؤمنِ إِذَا عَثَرَ، حَتَّى كأَنَّهُ هو الَّذِي عَثَرَ بها، وَلَا يَشْمتُ بِهِ، فَهُوَ دليل عَلَى رِقَّةِ قلبِه وإِنَابَتِه».(١)

أمَّا الَّذِي فِي قلبه مرضٌ أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات فهو الَّذِي يَسْعد عند وقوعِ إِخْوَانه فِي العَثَرات؛ وَهَذَا بِسَبَب مَا يَحْمله لَهُم فِي صدرِه مِن الحِقْدِ والحَسَدِ وغيرهمَا مِن الشُّرورِ والآفات، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحاسدُ إِذَا رأى بأخِيه نِعمةً بُهِتَ، وإِنْ رأى بِهِ عَثْرةً شَمَتَ، ودليلُ مَا فِي قلبِه كَمِينٌ، عَلَى وجْهِه مُبِينٌ».(٢)

وَهَذَا إِذَا دلَّ فإِنَّمَا يدل عَلَى فساد طَوِيَّتِه وخُبْثِ نَفْسه وعدم نقاءِ سريرتِه، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَبَبُ الحَسَدِ خُبْثُ النفس».(٣)

فالشامِتُ مَا أَظهرَ لإِخْوَانه عند مُصابهم مَا أَضْمَرَ إِلَّا وهو يُخفِي لهم فِي نفسِه العداوةَ وإِنْ أَبانَ خِلافَها فِي المَظْهرِ،

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٤٣٦).

(٢) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٣٧).

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ١٦).

يَقُول الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّمَاتَةُ سُرورُ النفس بمَا يُصيبُ غيرَها مِن الإضْرَار، وإنَّمَا تَحْصُل مِن العداوةِ والحسد».(١)

وصاحِبُ هَذَا الدَّاء العضالِ والمرضِ القَتَّالِ أَيُّها الأَحِبَّة قَد يَبوحُ بِهِ أَمَامَ المَلَأ ويُصرِّح بِهِ جَهَارًا، وقد يَسْتعمل بَعْض الأساليبِ المُلْتَوية مِن أَجْل إظهارِه مِن ذَلِك التَّعْيِير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففِي التَّعْيِير ضَرْبٌ خفِيٌّ مِن الشَّمَاتَة بالمُعيَّر».(٢)

أَفَلا يَدْري مَن ابتُلِيَ بِهَذَا الخُلُق المُشِين أنَّ بفِعله هَذَا قَد تَشَبَّهَ بأعداءِ الدِّينِ مِن الكُفَّارِ والمُنَافِقين الَّذِينَ يَفْرَحون عِند حُلولِ المصائبِ بالمُسْلِمِينَ كمَا أَخْبَرَنا بذَلِك أرحمُ الرَّاحِمِينَ؟! حَيْثُ يَقُول ربُّ العَالَمِينَ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ كالنَّصر عَلَى الأعداءِ، وحُصُولِ الفتحِ والغنائمِ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ أي: تَغُمُّهم وتُحْزِنهم،

---

(١) تَفْسِير التَّحْرِير والتَّنْوِير (٩/ ١١٧).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ١٧٧).

﴿و وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾، فإِذَا أَتَيْتُم بالأَسْبَاب الَّتِي وَعَد الله عَلَيْها النصر وهِي الصبر والتَّقْوَى لم يَضُرَّكم مَكْرُهم، بَلْ يجعل الله مَكْرَهم فِي نُحورِهم؛ لأَنَّهُ مُحيطٌ بهم عِلمُه وقدرتُه، فَلَا مَنفَذَ لهم عن ذَلِك، وَلَا يَخفى عَلَيْهم مِنْهُم شيء».(١)

أَلَا يَعْلم كذَلِك أَنَّهُ بشماتَتِه بأخيه هُوَ يَمْدح نَفْسه ويُزَكِّيها؟ يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَعْيِيرُك لأخيك بذَنْبه أعظمُ إثمًا من ذنبه وأشدُّ مِن معصيتِه، لِمَا فِيهِ مِن صَوْلة الطَّاعَة، وتزكيةِ النفس، وشُكرِها، والمناداةِ عَلَيْها بالبراءة من الذَّنْب، وأَنَّ أخاك باء به »(٢)

فاحْذَرْ كَذَلِك يَا مَن أُصِبْتَ بِهَذَا الدَّاء وابتُلِيتَ بِهَذَا الوباء أَنْ تُعاقَب بمَا عَيَّرْتَ بِهِ أخاك؛ وَلِذَا فَعَلَيْكَ أَنْ تُبادِرَ قَبْل فَوَات الأَوَانِ بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى العَزِيزِ الرَّحْمَنِ، وأَنْ تنشغلَ بإصلاح نَفْسك وتَجْتهدَ فِي القضاءِ عَلَى هَذَا البلاءِ وعَلَى ما قَد أصابك مِن الأمراضِ القلبيةِ الَّتِي تُبعدك عن الخير وتُوقِعُك فِي الشر؛ لِأَنَّ مَن انشغلَ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٤٥).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ١٧٧).

بإصلاحِ عُيُوبِ نَفْسه فازَ وظَفِرَ بإذن العَزِيزِ المقتدرِ، ومَن اهتمَّ بعيوبِ غيره خَابَ وخَسِرَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقلِ لُزُومُ السلامةِ بتَرْكِ التَّجَسُّسَ عن عيوبِ النَّاس مع الاشتغال بإصلاحِ عيوبِ نَفْسه، فإنَّ مَن اشتغلَ بعيوبِه عن عيوبِ غيره أَرَاحَ بَدَنَه ولَمْ يُتْعِبْ قلبَه، فكلمَا اطَّلعَ عَلَى عيبٍ لنفسه هانَ عَلَيْه مَا يَرَى مِثلَه مِن أخيه، وأنَّ مَن اشتغلَ بعيوبِ النَّاسِ عن عيوبِ نَفْسه عَمِيَ قلبُه، وتَعِبَ بَدَنُه، وتَعذَّرَ عَلَيْه تَرْكُ عيوبِ نفسه، وإنَّ مِن أَعْجَزِ النَّاس مَن عَابَ النَّاس بمَا فيهم وأَعْجَزُ مِنْهُ مَن عابَهم بمَا فيه.»(١)

وممَّا عَلَيْنَا جَمِيعًا أن نَحْرص عَلَيْه فِي هَذَا الباب أَيُّها الكِرَام أنْ نَقتَدِي بنَبِيِّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام، وذَلِك بأنْ نستعيذَ دَائِمًا بالعزيزِ العلَّامِ مِن شرِّ أصحابِ هَذَا الخُلُق الذَّمِيم الَّذِي هُوَ كمَا تَقَدَّمَ مِن خِصَال اللئامِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كَانَ يَتَعَوَّذُ مِن سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ**».(٢)

---

(١) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٢٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٣٤٧) ومسلم (٢٧٠٧) واللفظ لَهُ.

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل مَا أصاب الإِنْسَان مِن شدَّةِ المَشقَّة والجهد مِمَّا لَا طاقةَ لَهُ بحَمْله وَلَا يَقْدر عَلَى دَفْعه عن نَفْسه فَهُوَ مِن جَهْد البلاء... ودَرَكُ الشقاءِ ينقسم قسمين؛ فيكون فِي أمورِ الدُّنْيا وفى أمورِ الآخرة؛ وكذَلِك سوءُ القضاءِ، وهو عامٌّ أَيْضًا فِي النَّفْس والمالِ والأهلِ والخاتمة والمَعَاد؛ وشَمَاتَةُ الأعداء مِمَّا يَنْكَأُ القَلْب، ويَبْلُغ مِن النفس أَشَدَّ مَبْلغٍ، وهَذِه جوامعُ يَنْبَغِي للمؤمن التَّعوُّذُ بالله مِنْهَا كمَا تَعَوَّذَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإِنَّمَا دعا بذَلِك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعلِّمًا لأُمَّتِه مَا يُتَعوَّذُ بالله منه».(١)

ويَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعاذَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن شَمَاتَة الأعداءِ لعِظَم مَوْقِعِها وشدَّة تأثيرِها فِي الأَنْفُس البَشَرِية ونُفُورِ طِباعِ العِبادِ عَنْها، وقَدْ يتَسَبَّبُ عن ذَلِك تَعاظُمُ العداوةِ المُفْضِيةِ إِلَى استحلال مَا حَرَّمَه الله سُبْحَانَه وتعالى».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذَكَرَ الفقهاء ضابطًا للعدو، فقالوا مَنْ سَرَّه مَا سَاء فِي شَخْصٍ أَو غَمَّه فَرَحُه، فَهُوَ عدوُّه، كل

---

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١١٠).

(٢) تُحفَة الذَّاكِرين بِعِدَّة الحِصْنِ الحَصِين (ص٤٤٧).

إِنْسَان يَسُرُّه مَا ساءك أَو يَغُمُّه فَرَحُك فَهُوَ عدوٌّ لك، وشَمَاتَة الأعداء أنَّ الأعداءَ يَفْرحون عَلَيْكَ، يفرحون بمَا أصابك، والعدوُّ لَا شكَّ أَنَّهُ يَفْرح فِي كلِّ مَا أصابَ الإِنْسَان مِن بلاء، ويَحْزن فِي كل مَا أصابه مِن خير، فأنت تَسْتعيذ بالله عز وجل مِن شَمَاتَة الأعداءِ، فأَمَرَنا الرَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ نَتَعَوَّذَ بالله مِن هَذِهِ الأمورِ الأربعةِ، فيَنْبَغِي للإِنْسَان أنْ يَمتَثِلَ أَمْر الرَسُول، وأنْ يَسْتعيذَ بالله مِنْهَا لعلَّ اللهَ أنْ يَستجيب لَهُ والله الموفِّق».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفِّقنا جَمِيعًا للتحلِّي بالأَخْلَاق الفاضلة والصِّفَات الكَرِيمة، وأنْ يُجَنِّبَنا وإيَّاكم كلَّ خُلقٍ مُشِين، ومن ذَلِك الشَّمَاتَةُ بالآخَرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٢).

تذكير المسلم بفضل المشورة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْذَرَ مِن الاغْتِرَار بِنَفسه والإعْجَابِ برَأْيه، ولْيَحرصْ دومًا عَلَى مُشاوَرَة وسَمَاع رأي إخْوَانه، خاصةً عندَ تردُّدِه فِي أَمْرٍ يُرِيد الإقبالَ عَلَيْه، يَقُول الرَّاغِب الأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن المُشَاوَرَة: «وهِي استنباطُ المَرْء الرأيَ مِن غيره فيمَا يَعْرض لَهُ مِن مشكلاتِ الأمور، ويَكُون ذَلِك فِي الأمور الجزئية الَّتِي يتردد المَرْء فِيهَا بَيْن فِعلها وتَرْكِها».(١)

ولْيَكُن قُدْوَته فِي ذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ العلَّامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام، الَّذِي كَان يشاوِر أصحابَه إذَا احتاج إِلَى رَأْيهم فِي بَعْض

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢١٠).

الأمور والمَهَامِّ، يَقُول الإمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَان رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشاوِر أصحابَه فِي الأَمْر إِذَا حَدَث؛ تَطْيِيبًا لقلوبهم؛ لِيَكُونَ أَنْشَط لَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ »(١)

حَيْثُ كَان عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم يَعْمل بمَا أَمَره بِهِ الكَرِيمُ العظيمُ، الَّذِي قَال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الإمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله تَبَارك وتعالى لمْ يَأمرْ نَبِيَّه بالمشورة لحاجةٍ مِنْهُ إِلَى رَأْيِهم، وإنَّمَا أرادَ أنْ يُعلِّمَهم مَا فِي المشورة مِن الفضل».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا كَان الله يَقُول لرَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُو أكملُ النَّاس عقلًا وأَغْزَرِهم علمًا، وأَفْضَلِهم رأيًا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟!»(٣)

لِذَا فَعَلَيْنا أنْ نَعْلَم أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنَّ المُشَاوَرَة هِي مِن

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ٤٢١).

(٢) الأَمْثَال لأبِي عُبَيْد القَاسِم بْنِ سَلاَّم (ص٤٢).

(٣) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

خِصالِ أهل الإيمان، كمَا أَخْبَرَنَا بذَلِك العَزِيزُ الرَّحْمَنُ؛ حَيْثُ قَالَ الكَرِيمُ المَنَّانُ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَا يَسْتَبِدُّ أحدٌ مِنْهُم برأيه فِي أمرٍ مِن الأمور المشتركة بينهم، وَهَذَا لا يَكُون إِلَّا فرعًا عن اجتماعِهم وتَوَالُفِهم وتوادُدِهم وتحابُبِهم وكمالِ عقولهم، أَنَّهم إِذَا أرادوا أمرًا من الأمور الَّتِي تحتاج إِلَى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتَمَعوا لها وتَشَاوَرُوا وبَحَثُوا فيها، حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَت لهم المَصْلَحَة، انتهزوها وبادَروها، وذَلِك كالرَّأي فِي الغَزْو والجهاد، وتَوْلِية الموظَّفين لإمارةٍ أَو قضاءٍ، أَو غيره، وكالبحث فِي المسائل الدينية عمومًا، فإِنَّهَا من الأمور المشتركة، والبحث فِيهَا لِبَيانِ الصَّواب مِمَّا يُحبُّه الله، وهو داخلٌ فِي هَذِهِ الآية».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُشَاوَرَةُ مِن سِمَاتِ المُؤْمِنِينَ كمَا قَال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، فيَنْبَغِي لِمَن ولَّاه الله أمرًا وتَرَدَّدَ فِي شَيْء مِن الأشياء ولَمْ

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٦٠).

يتَبَيَّنْ لَهُ الصَّوابُ أنْ يُشاوِرَ غَيْرَه مِن ذَوِي العقلِ والدِّين والتجربةِ، وكذَلِك إِذَا كَان الأمر عامًّا يَعُمُّ النَّاسَ كلَّهم، فإنَّه يَنْبَغِي أنْ يُشَاوِرَ حَتَّى يَصْدُرَ عن رَأْيِ الجَمِيعِ».(١)

وهِي كذَلِك أَيُّها الأَحْبَابُ مِن أَسْبَاب الهدايةِ والتوفيقِ للصواب بإذن الكَرِيم الوهاب، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللهِ مَا استشارَ قومٌ قَطُ إِلَّا هُدُوا لأَفْضَلِ مَا بَحَضْرَتِهم».(٢)

ويَقُول الإِمَامُ ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي الاسْتِشَارَة عينُ الهدايةِ».(٣)

وفوائدُها ليست فَقَطْ دينيةً، بَلْ حَتَّى دنيوية بإذن ربِّ البريَّة، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ فِي الاستشارة مِن الفوائدِ والمصالح الدينيةِ والدنيويةِ ما لَا يُمْكن حَصْرُه:

مِنْهَا: أنَّ المُشَاوَرَة مِن العبادات المُتقرَّب بِهَا إِلَى الله.

ومِنْهَا: أنَّ فِيهَا تَسميحًا لخواطرهم، وإزالةً لمَا يصير فِي القلوب

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٥٧١).

(٢) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٢٥٨) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٩٣).

عند الحوادث، فإنَّ مَن لَهُ الأمر عَلَى النَّاس إِذَا جَمَع أهلَ الرَّأْي والفَضْلِ وشَاوَرَهم فِي حادثةٍ مِن الحوادثِ اطمأنَّت نُفُوسهم وأحبُّوه، وعَلِموا أَنَّهُ لَيْسَ بمُستَبِدٍّ عَلَيْهم، وإنَّمَا يَنْظر إِلَى المَصْلَحَة الكُلِّيةِ العامَّة للجَمِيع، فبَذَلوا جَهْدَهم ومَقْدورَهم فِي طَاعَته، لِعِلْمِهم بسَعْيِه فِي مصالحِ العموم، بخلاف مَن لَيْسَ كذَلِك، فإنَّهم لَا يكادون يحبُّونه مَحبَّةً صادقةً، وَلَا يطِيعونَه وإنْ أطاعوه فطَاعَةٌ غيرُ تامَّة.

ومِنْهَا: أنَّ فِي الاستشارة تَنَوُّرَ الأفكارِ، بِسَبَب إعمالها فيمَا وُضِعَت له، فصَار فِي ذَلِك زيادةٌ للعقولِ.

ومِنْهَا: مَا تُنْتِجُه الاستشارةُ مِن الرَّأْي المصيب، فإنَّ المُشَاوِر لَا يكاد يُخْطئ فِي فِعله، وإنْ أَخْطَأَ أَو لَمْ يَتِمَّ لَهُ مطلوبٌ، فَلَيْسَ بمَلُومٍ».(١)

لكنْ عَلَى المُسْلِم إِذَا أراد أنْ يَنَالَ بالمُشَاوَرَة النجاحَ والفلاحَ أَلَّا يَسْتَشيرَ إِلَّا مَن عُرف بين النَّاس بالتَّقْوَى وسَدَادِ الرَّأْي والصلاح، يَقُول أمير المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ».(٢)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

(٢) الأَمْثَال لأبِي عُبَيْد القَاسِم بْنِ سَلاَّم (ص٤٢).

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُو أَسَدُّ النَّاسِ رَأْيًا وأصوَبُهم صوابًا، يَستَشِيرُ أصحابَه فِي بَعْض الأمور الَّتِي تُشْكِلُ عَلَيْه، وكذَلِك خُلَفاؤه مِن بَعْدِه كانوا يَسْتَشيرون أهلَ الرَّأْي والصَّلاحِ، وَلَا بدَّ مِن هَذَيْنِ الشَّرْطَينِ فيمَنْ تَسْتشِيرُه؛ أنْ يَكُونَ ذَا رَأْيٍ وخِبرة فِي الأمور وتأنٍّ وتجربةٍ وعدمِ تَسَرُّعٍ، وأنْ يَكُون صالحًا فِي دِينه؛ لِأَنَّ مَن لَيْسَ بصالِحٍ فِي دينه لَيْسَ بأمين، حَتَّى وإنْ كَان ذكيًّا وعاقلًا ومُحنكًا فِي الأمور، إِذَا لم يكن صالحًا فِي دينه فَلَا خيرَ فِيهِ، وليس أهلًا لأَنْ يَكُون مِن أهل المَشُورَة؛ لأَنَّهُ إِذَا كَان غيرَ صالِحٍ فِي دينه فإنَّه ربَّمَا يَخُون والعياذُ بالله ويُشِيرُ بما فِيهِ الضَّرَرُ، أَو يُشِيرُ بما لَا خيرَ فِيهِ، فيَحْصُل بذَلِك مِن الشرِّ والفسادِ مَا اللهُ بِهِ عليمٌ، ولْنَفْرضْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِن أهل الفِسْقِ والمُجُونِ والفُجُورِ، فَلَا يَجُوزُ أنْ تَسْتَشِيرَه؛ لِأَنَّ هَذَا يُوقِعُك فِي هَلاكٍ، كَذَلِك ولو كَان رجلًا صالحًا دَيِّنًا أمينًا لكنه مُغفَّل مَا يعرف الأمور، أَو متسرِّعٌ لَا خِبرةَ لَهُ، فَهَذَا أَيْضًا لَا تَحْرِصْ عَلَى استشارتِه؛ لأَنَّهُ ربما إِذَا كَان مُغفَّلًا لَا يَدْرِي عن الأمور، يأخذُ الأمورَ بظواهِرِها وَلَا يَعْرف شَيْئًا مِمَّا وراء الظواهر، وكذَلِك إِذَا كَان متسرِّعًا فإنَّه ربمَا يَحْمله التَّسرُّعُ عَلَى أنْ

يُشِيرَ عَلَيْكَ بما لَا خيرَ فِيهِ؛ فلَا بُدَّ مِن أنْ يَكُون ذا خِبرةٍ وذَا رَأْيٍ وصَلَاحٍ فِي الدِّين».(١)

ولْيَحذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن العُجْب بنفسه أَو الاغْتِرَارِ برأيه، أَو مِن احتقارِ رَأْيِ الغَيْر، مهمَا كَانت مَعِيشتُه ومَنْزِلتُه؛ لِأَنَّ سَدَاد الرَّأْيِ لَيْسَ قاصرًا عَلَى الأغنياء أَو الوُجَهاء، بَلْ يُعْرَف بِهِ حَتَّى الضعفاءُ والفُقَرَاء، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مِن شِيَم العاقِل عنْدَ النَّائِبة تَنُوبُه أنْ يُشَاوِرَ عاقلًا ناصِحًا ذَا رَأْيٍ، ثُمَّ يطيعه، وليَعْترف للحقِّ عِنْد المَشُورة، وَلَا يَتَمَادَى فِي الباطل، بَلْ يَقْبَل الحقَّ ممَّن جَاء بِهِ وَلَا يَحْقِر الرَّأْيَ الجليلَ إِذَا أَتَاه بِهِ الرَّجُلُ الحقيرُ؛ لِأَنَّ اللؤلؤةَ الخطيرة لَا يَشِينُها قِلَّةُ خَطَرِ غائِصِها الَّذِي استخرجها، ثُمَّ ليَسْتَخِرِ الله ولْيَمْضِ فيمَا أشار عَلَيْه».(٢)

وعَلَى مَن طُلبَت مِنْهُ المُشَاوَرَة أنْ يتَّقِيَ فيمَن طَلَبَ مِنْهُ ذَلِك العَزِيزَ الكبيرَ، وأنْ يَكُون أمينًا فيمَا يوجِّهُ ويُشير، كمَا أَمَرَه بذَلِك رَسُولُ الكَرِيمِ الخبيرِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ١٦٠).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٩٣).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ».(١)

قَال المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: أمينٌ عَلَى مَا استُشِيرَ فيه، فمَن أَفْضَى إِلَى أخيه بِسِرٍّ وأَمِنَه عَلَى نفسه لَزِمَه أَلَّا يُشِيرَ عَلَيْه إِلَّا بمَا يراه صوابًا».(٢)

ولْيَحْرِصْ أَيْضًا عَلَى نَفْع مَن أرادَ رَأْيَه ومَشُورَتَه كمَا يَحْرِصُ عَلَى نَفْع نفسه، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُشَاوَرَة والمُنَاظَرَة بَابَا بَرَكَةٍ ومِفْتَاحَا رحمةٍ، مَن استُشِيرَ فلْيُشِرْ بالنصيحة ولْيَجْتهدْ بالرَّأْي ولْيَلْزَمِ الحقَّ وقَصْدَ السَّبِيلِ، ولْيَجْعَل المُسْتَشِيرَ كنَفْسِه بتَرْكِ الخيانَةِ وبَذْل النصيحة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب عَلَيْه أي المستشار إِذَا استُشِيرَ فِي أَمْرٍ مِن الأمور أنْ يُشِيرَ بمَا يَعْلَمُه أَصْلَحَ للمُستَشير »(٤)

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَفَاضِلُ عند إقبالِنا عَلَى عَمَلٍ لَا يَظْهرُ لَنا خيرُه مِن شرِّهِ، أَو عندنا تَرَدُّدٌ وشَكٌّ فِيهِ، أنْ نَحْرِصَ أَشَدَّ الحِرْص بعد

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٥١٢٨)، وصَحَّحَه العلاَّمة الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) التَيْسِير بشَرْح الجَامِع الصَّغِير (٢/ ٤٥٦).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٩٢).

(٤) تفسير السَّعْدِي (ص٦٦٦).

دعاءِ أرحمِ الرَّاحِمِينَ عَلَى مُشَاوَرَةِ مَن عَرَفْنَاه بالصَّلاحِ وسَدَاد الرَّأْي وحُبِّ الخَيْر للآخَرين؛ لِأَنَّ هَذَا مِن أَسْبَاب التوفيق بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقلِ السَّالِكِ سَبِيلَ ذَوِي الحِجَا أنْ يَعْلَمَ أنَّ المُشَاوَرَة تُفْشِي الأسرارَ؛ فَلَا يَسْتَشِيرَ إِلَّا اللَّبِيبَ النَّاصِحَ الوَدُودَ الفَاضِلَ فِي دِينه».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يحبُّه ويرضاه، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا مَا يَكْرَهُهُ ويَأْبَاه، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

(١) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٩٢)

التذكير بما في الإنظار أو العفو عن المعسر من أجر كبير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ حِرْصَ المُسْلِم عَلَى مدَّ يَدِ العَوْنِ للآخَرين واهتمامَه بِشُؤون المُسْلِمِينَ، واجتهادَه فِي الإحسانِ إِلَى الفُقَرَاء والمساكينِ مِن الأَعْمَالِ الكَرِيمةِ والأَفْعَالِ الجَمِيلَةِ الَّتِي يحبُّها أرحمُ الرَّاحِمِينَ؛ حَيْثُ يَقُول ربُّ العَالَمِينَ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يَشْمل جَمِيعَ أنواعِ الإحسانِ؛ لأَنَّهُ لم يُقيِّدْه بشيءٍ دونَ شيءٍ، فيَدْخلُ فِيهِ الإحسانُ بالمال...

ويَدْخلُ فِيهِ الإحسان بالجاهِ، بالشفاعات ونحو ذَلِك، ويَدْخلُ فِي ذَلِك الإحسانُ بالأمرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر، وتعليمِ العلمِ

النَّافِعِ، ويَدْخُلُ فِي ذَلِك قضاءُ حوائجِ النَّاسِ، مِن تفريجِ كُرُبَاتِهم وإزالةِ شِدَّاتِهم، وعيادةِ مَرضَاهم، وتَشْييع جنائزِهم، وإرشادِ ضالِّهم، وإعانةِ مَن يَعْمل عملًا، والعَمَلِ لِمَن لَا يُحْسنُ العَمَل، ونحو ذَلِك مِمَّا هُوَ مِن الإحسان الَّذِي أَمَرَ اللهُ به »[١]

لِذَا كَانَت هَذِهِ الطَّاعَات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِن القُرُبات الجالِبَة لأنواع الخيرات بإذْنِ ربِّ البريَّات، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دَلَّ العقلُ والنقلُ والفطرةُ وتجاربُ الأممِ، عَلَى اختلافِ أجناسها ومِلَلِها ونِحَلِها، عَلَى أنَّ التقرُّبَ إِلَى ربِّ العَالَمِينَ وطَلَبَ مَرْضاتِه والبرَّ والإحسانَ إِلَى خَلْقِه مِن أعظمِ الأَسْبَابِ الجالبةِ لكلِّ خيرٍ، وأَضْدَادَها مِن أكبرِ الأَسْبَاب الجالبة لكلِّ شرٍّ، فمَا استُجْلِبَت نِعَمُ الله واستُدْفِعَت نِقْمَةُ الله بمِثْلِ طَاعَته والتقرُّبِ إِلَيْه والإحسانِ إِلَى خَلْقِه».[٢]

وإنَّ مِن الأَعْمَال الجليلة الَّتِي تَدْخُل تَحْتَ هَذَا البابِ أَيُّها

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩٠).

(٢) الجَوَاب الكَافِي (ص٩).

الأَحْبَابُ عملًا كريمًا يُعتبر مِن أفضلِ سُبُلِ الخير وطريقًا مِن طُرُق المَعْرُوف والبِرِّ، بإذْن العَزِيزِ المقتَدِرِ، والذي يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْرص عَلَى تَحْقِيقه عند تَعامُلِه مع إِخْوَانه، مع احْتِسَابِ مَا جاء فِيهِ مِن ثَوابٍ وأجْرٍ؛ أَلَا وهو الإِنْظَارُ أَو العَفْوُ عَنِ المُعْسِر، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإِنْظَارُ المُعْسِرِ تأخيرُه إِلَى أنْ يُوسِرَ».(١)

فكيف لَا يَحْرص العَبْد عَلَى الإتيانِ بعملٍ كريمٍ وهَدْيٍ قويمٍ قَد أَمَرَه بتَحْقِيقه العَزِيزُ الكَرِيمُ؟! حَيْثُ قَال العليم العظيم: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

يَقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَأْمُر تعالى بالصبرِ عَلَى المُعْسِر الَّذِي لَا يَجِد وفاءً».(٢)

ويَقُول الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أيْ إنَّ إسقاط الدَّيْن عن المُعْسِر والتَّنْفيسَ عَلَيْه بإغنائه

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (٣/ ٣٧٥).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ٣٣٢).

أفضلُ، وجَعَلَه اللهُ صَدَقةً؛ لِأَنَّ فِيهِ تفريجَ الكُرَبِ وإغاثةَ الملهوف».(١)

وممَّا عَلَيْنَا أنْ نَعْلمه أَيُّها الأَفَاضِلُ أنَّ إِنْظَار المُعْسِر لَيْسَ عملًا مستحَبًّا فَقَطْ، بَلْ هُوَ فِي الأصل واجب عَلَى المُوسِر، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإِنْظَارُ واجبٌ والإِبْرَاءُ سُنَّة، وَلَا شكَّ أنَّ الإِبْرَاءَ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ الإِبْرَاءَ تَبْرَأُ بِهِ الذِّمَّةُ نِهائيًّا، والإِنْظَار تبقي به الذِّمَّة مَشْغولة، لكنَّ صاحبَ الحقِّ لَا يُطالِبَ بِهِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ المَطْلوبَ أنْ يُوفِّي، وبعضُ النَّاسِ نسأل الله العافية تَحِلُّ لهم الدُّيون عَلَى أناسٍ فُقَراءَ فيُؤْذُونَهم ويَضْرِبُونهم ويُطَالِبُونهم ويَدْفَعُون بِهم إِلَى وُلَاة الأُمُورِ ويَحْبِسُونهم عن أَهْلِيهم وأَوْلَادِهم وأَمْوَالِهم، وَهَذَا لَا شكَّ أَنَّهُ مُنْكَرٌ، والواجب عَلَى القُضَاة، إِذَا عَلِموا أنَّ هَذَا مُعْسِرٌ لَا يَسْتَطِيع الوفاءَ الواجبَ عَلَيْهم، أنْ يَقُولوا للدَّائِن لَيْسَ لكَ حقٌّ فِي مطالبته؛ لِأَنَّ الله تعالى هُوَ الحَكَم، هُوَ الحاكم بَيْن العِبَاد، وقد قَال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، لكن يَتَعَلَّلُ بَعْضُ القضاة فِي هَذِهِ المسألة يقولون: إنَّ بَعْضَ المَدِينين يَتَلاعَبون بالنَّاس

(١) التَّحْرِير والتَّنْوير (٣/ ٩٦).

فيأخذون الأموال ويَجْحَدون الإيثارَ، فيُعَامِلُونَهم بِهَذَا تنكيلًا بهم، وَهَذَا نَعَم إِذَا ثَبَت أَنَّ هَذَا المَدِينَ يَدَّعِي الإِعْسَارَ وَلَيْسَ بمُعْسِر، فإنَّه لَا بَأس أنْ يُجْبِرَ ويَحْبِسَ ويَضْرِبَ حَتَّى يُوفِّي؛ فإنْ لمْ يَفْعل، فإنَّ الحاكِم يتولَّى بَيْع مَا شاء مِن مالِه ويُوفِّي دَيْنَه، أمَّا الَّذِي نَعْلم أَنَّهُ مُعْسِر حَقِيقَةً، فإنَّه لَا يَجُوز لِطالِبِه أنْ يُطالِبَه وَلَا أنْ يقول: أَعْطِنِي، يَجِب أنْ يُعْرِضَ عَنْه بالكلِيَّةِ ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، والله الموفِّق».(١)

فتَذَكَّرْ يَا مَن أَقْرَضْتَ لأخِيكَ المُسْلِم مالًا وتنتظرُ مِنْهُ الوفاء، أنَّ الحاجَة هِي الَّتِي دَعَتْهُ لسُؤالِك؛ فقدِّرْ حالَه، ويَسِّرْ أَمْرَه؛ إمَّا بإمْهَالِه حَتَّى يَقْدِرَ عَلَى السداد، أَو إنِ استطعتَ فاعْفُ عَنْه، وذَلِك بإسْقَاطِ دَيْنِه، واعلمْ أنَّ لهَذَا الفعلِ الجميلِ والعملِ الفضيلِ ثمراتٍ نافعةً ستَقْطِفُها بإذْن العَزِيزِ الجليلِ، ومِن أهمِّها، أَيُّها النبيل:

أَنَّهُ مِن أَسْبَاب نَيْل عفوِ العَزِيزِ الوهابِ، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ**

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٥/ ٤١٠).

النّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْه».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"يُخَالِطُ النَّاسَ" أيْ يُعامِل النَّاسَ بالبيع والشراء، "أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ" أيْ الفقيرِ؛ أيْ يَتَسَامَحُوا فِي الاقْتِضَاء والاسْتِيفَاء وقَبُول ما فِيهِ نَقْص يسيرٍ، "بذَلِك" أيْ بالتجاوُز، "تَجَاوَزُوا عَنْه" أي تَسَامَحوا عَنْه».(٢)

وأنَّ الأَجْرَ مَعَ الوقت بفضل العَزِيزِ المقتدرِ يتضاعف ويَكْثُر، فعن بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ**»، قال ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُول: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول السُّبْكِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَزَّعَ أَجْرَه عَلَى الأيامِ يَكْثُرُ بكَثْرَتِها

---

(١) رَوَاه مسلم (١٥٦١).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٤٥).

(٣) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ٣٦٠) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٨٦).

ويقلُّ بقِلَّتها، وسِرُّه مَا يُقاسيه المُنْظِر مِن أَلَمِ الصَّبْر مَع تشوُّقِ القلب لمِالِه؛ فلذَلِك كَان ينال كلَّ يَوْم عوضًا جديدًا».(١)

وعَمَلُك الكَرِيم أَيْضًا أَيُّها المِفْضَال هُوَ أَيْضًا مِن الخِصَال الَّتِي جاء فِيهَا ذِكر إظلالِ صاحِبِها يَوْم القِيَامَة مِن الكبيرِ المتعالِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا» أيْ أَمْهَلَ مَديونًا فقيرًا، «أَوْ وَضَعَ لَهُ» أي حَطَّ وتَرَكَ دَيْنه كلَّه أَو بعضه، «أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ» أي أَوْقَفَه الله تَحْتَ ظل عرشه».(٣)

وهو كَذَلِك مِن أَسْبَاب نجاتِك بإذن العَزِيزِ الوهابِ مِن أهوالِ وكُرَبِ يَوْم الحسابِ، فعن أبي قَتَادَةَ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله

---

(١) فَيْض القَدِير (٦/ ٩٠).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٣٠٦) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٤٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَو يَضَعْ عَنْه».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««كُرَبِ»، بضَمِّ الكاف وفَتْح الراء، جَمْعُ كُرْبة، ومعنى «يُنَفِّسْ» أيْ يَمُدَّ ويؤخر المطالَبَة، وقِيلَ معناه يُفرِّج عَنْه، والله أعلم».(٢)

فهَذِهِ أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار مِن أهمِّ الفوائد والثمار الَّتِي سيَجْنِيها فِي الآخرة مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَو أَسْقَطَ عَنْه دَيْنه بإذْن العَزِيزِ الغفارِ، إضافةً إِلَى أنَّ هَذَا العَمَلَ الجليلَ مِن أَسْبَابِ زَرْعِ الأُلْفَة وغَرْسِ المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ بإذْنِ أرحمِ الرَّاحِمِينَ، فعَلَى المُسْلِم إِذَنْ أنْ يَحْرِصَ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى أنْ يَنَالَ هَذَا الفَضْلَ الكبيرَ والخيرَ الكَثِيرَ، الَّذِي تَكَرَّمَ بِهِ عَلَيْنَا الكَرِيمُ القديرُ بِسَبَب تَحْقِيق هَذَا العَمَل الَّذِي هُوَ فِي الحَقِيقَة عَلَيْه يَسِيرٌ، يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذِهِ الأحاديثِ الَّتِي مَرَّ ذِكرُ بعضها فَضْلُ إِنْظَار المُعْسِر والوضعِ عَنْه، إمَّا كلَّ الدَّيْن وإمَّا

---

(١) رَوَاه مسلم (١٥٦٣).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ٢٢٧).

بعضَه مِن كَثِيرٍ أَو قليلٍ، وفَضْلُ المسامحةِ فِي الاقتضاء وفِي الاستِيفَاء، سواءٌ اسْتُوفِيَ مِن مُوسِرٍ أَو مُعْسِرٍ، وفَضْلُ الوَضْع مِن الدَّيْن، وأَنَّهُ لَا يَحْتَقر شَيْئًا مِن أَفْعَال الخيرِ؛ فلعله سببُ السَّعَادَة والرحمة».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا لكلِّ مَا يُقرِّبُنا منه، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعَلنا ممَّن يَحْرص عَلَى مدِّ يد العَوْن لإِخْوَانه المُسْلِمِينَ، وأنْ يُجَنِّبَنا كلَّ مَا يُبْعِدُنا عَنْه، ومن ذَلِك كلُّ أنواع المَعَاصِي والشرورِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والكَرِيمُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ٢٢٤).

غيرة المؤمن

غَيرةُ المُؤْمِنِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الصِّفَات الجَمِيلَة والأَخْلَاق الحميدةِ الَّتِي يَنْبَغِي أنْ يَتَحلَّى بِهَا كل مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ صفةُ الغَيرة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِلاكِ الغَيْرة وأَعْلاها ثلاثةُ أنواع: غَيْرَة العَبْد لربِّه أنْ تُنْتَهَك محارِمُه وتُضيَّعَ حُدُودُه، وغَيْرَته عَلَى قَلْبه أنْ يَسْكن إِلَى غَيْرِه وأنْ يَأْنَس بِسَواه، وغَيْرَتُه عَلَى حُرْمَته أنْ يَتَطَلَّعَ إِلَيْها غيرُه؛ فالغَيْرَة الَّتِي يحبُّها اللهُ ورَسُولُه دَارَت عَلَى هَذِهِ الأنواعِ الثلاثةِ».(١)

فهِي خُلُقٌ كريمٌ وأدبٌ قويمٌ، يَدلُّ وُجودُها بِشَرط تَقْييدها

---

(١) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٣١٥).

بِضَوابطِ الشَّرْعِ عَلَى كَمالِ مَن تَحَلَّى بِه، يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغَيْرَة صفةُ كمالٍ».(١)

لأَنَّهَا لَا يتصف بِهِ حَقِيقَةً إِلَّا مَن زادَ إِيمَانُه وقَوِيَ دِينُه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَقْوى النَّاس دِينًا أعظَمُهم غَيْرَةً».(٢)

وكَان مِن أهل الحَمِيَّة والأَنَفة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَصْلُ الغَيْرَةِ الحَمِيَّةُ والأَنَفَة».(٣)

ومَنْ تَرَحَّلَت عَن قَلْبِه دَلَّ ذَلِك عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِه وقِلَّة دِينه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن لَا غَيْرَة لَهُ لَا دِينَ لَهُ».(٤)

فلَنْ يَأْمر مَن فُقِدَتْ مِنْهُ بمَعْرُوفٍ ولَنْ يَنْهى عَن مُنكَر، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذِهِ الغَيْرَة هِي أصلُ الجِهاد والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ، وهِي الحاملة عَلَى ذَلِك، فإِنْ خَلَت مِن

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ١٣٢).

(٢) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٧٣).

(٣) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٩٤).

(٤) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٥).

القلب لم يُجاهِد ولم يَأمرْ بالمَعْرُوف ولمْ يَنْهَ عن المُنْكَر».[١]

وَلِذَا كلمَا ضَعُفَت الغَيْرَة فِي رِجَال أُمَّة أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات زادَت فِي مُجْتَمعاتهم المُحَرَّمَات، وكَثُرَت المَعَاصِي والمُوبِقَات، وَفَشَت بينهم المُنْكَرات، يَقُول أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَعَلَ الله سُبْحَانَه هَذِهِ القُوَّةَ فِي الإِنْسَان سببًا لِصيانة الماءِ وحِفظًا للإِنْسَان، ولذَلِك قيل: كُلُّ أُمَّة وُضِعَت الغَيْرَةُ فِي رِجَالها وُضِعَت العِفَّةُ فِي نِسَائِها».[٢]

وَلَوْ بَحَثْنا عَن أهمِّ أَسْبَاب تَرَحُّلِها عَن القُلُوب لَوَجَدْنَاه أَيُّها الأَحِبَّة فيمَا يُرتَكَب مِن الذُّنُوبِ الَّتِي هِي أَصْل كلِّ داءٍ وسَبَبُ كلِّ شقاءٍ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلَّمَا اشْتَدَّت مُلَابَسَتُه للذُّنُوب أُخْرِجَت مِن قلبِه الغَيْرَةُ عَلَى نَفْسِه وأَهْلِه وعُمُوم النَّاسِ، وقَد تَضْعُف فِي القَلْب جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْد ذَلِك القَبِيحَ، لَا مِن نَفْسه وَلَا مِن غَيْرِه، وإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الحدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بابِ الهَلَاك »[٣]

فَعَلَيْكَ يَا مَن وَفَّقَك العَزِيزُ العليمُ أنْ تَتَّصِفَ بِهَذَا الخُلُق القويمِ،

---

(١) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٧٤).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢٤٤).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٥).

وأنْ تَحْمَدَ وتَشْكُرَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الجَوَادَ الكَرِيمَ وتَسْتحضِر أنَّك تَتَحلَّى بخُلُقٍ جميلٍ وأدبٍ نبيلٍ يحبُّه العلَّامُ الجليلُ، بَلْ تَتَّصِفُ بِصِفة مِنَ الأوصافِ الفعليةِ الثابتةِ لربِّ البَرِيَّةِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ**».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: إثباتُ الغَيْرَة لله تعالى، وسبيلُ أهلِ السُّنَّة والجَماعة فِيهِ وفِي غَيْرِه مِن آيات الصِّفَات وأحاديثِ الصِّفَات أنَّهم يُثْبِتُونَها لله سُبْحَانَه وتعالى عَلَى الوَجْه اللَّائقِ بِه، يَقُولون: إنَّ اللهَ يَغَار لكنْ لَيْسَ كغَيْرَة المَخْلوق، وإنَّ الله يَفْرح ولكنْ لَيْسَ كَفَرَحِ المَخْلوق، وإن الله سُبْحَانَه وتعالى لَهُ مِن الصِّفَات الكامِلَة مَا يَلِيق به، وَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ المَخْلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والله الموفِّق».(٢)

واعلمْ، يَا مَن اجتهدْتَ فِي التَّحَلِّي بِصِفةٍ يحبُّها ويَتَّصفُ بِهَا

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٤٩٢٥) ومسلم (٢٧٦١) واللفظ له.

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٤٩٧).

الرَّحْمَن، أنَّك سَتَنَالُ بإذْنِ العَزِيزِ المَنَّانِ الخيرَ والرِّضْوانَ، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالغَيُورُ قَد وَافَقَ ربَّه سُبْحَانَه فِي صِفةٍ مِن صِفَاته، ومَن وَافَقَ اللهَ فِي صِفَةٍ مِن صِفَاته قَادَتْه تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْه بِزِمَامِه وأَدْخَلَتْه عَلَى ربِّه وأَدْنَتْه مِنْهُ وقَرَّبَته مِن رحمَتِه وصَيَّرَته محبوبًا له، فإنَّه سُبْحَانَه رحيمٌ يحبُّ الرُّحَماءَ، كريمٌ يحبُّ الكُرَماءَ، عليمٌ يحبُّ العُلَمَاءَ، قويٌّ يحبُّ المؤمنَ القويَّ، وهو أَحَبُّ إِلَيْه مِن المؤمنِ الضعيفِ »[١]

واحْذَرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن تَلْبيسِ ومَكْر الشَّيْطَان الَّذِي يسعى دَائِمًا إِلَى أنْ يَمِيلَ بِكَ عن الصِّراطِ المُسْتقيمِ والهَدْيِ القويمِ فيَجْعلَك تَضَعُ مَا تَحَلَّيْتَ بِهِ مِن غَيْرَةٍ محمودةٍ فِي غيرِ مَوْضِعِها، أَو تَتَجاوزُ حدَّها، فعن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**».[٢]

يَقُول الإمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله «فَالْغَيْرَة فِي الرِّيبَةِ» نَحْو أنْ

---

(١) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٤).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٢٦٥٩) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَغْتَارَ الرَّجُل عَلَى مَحَارِمِه إِذَا رَأَى مِنْهُم فعلًا مُحَرَّمًا؛ فإنَّ الغَيرةَ فِي ذَلِك ونحوه مِمَّا يحبُّه الله وَأَمَّا الغَيْرَة فِي غَيْر الرِّيبَةِ فنَحْو أنْ يَغْتَارَ الرَّجُل عَلَى أمِّه أنْ يَنْكِحَها زوجُها، وكذَلِك سائر محارِمِه، فإنَّ هَذَا مِمَّا يُبْغضُه الله تعالى؛ لِأَنَّ مَا أَحَلَّه الله تعالى فالواجبُ عَلَيْنَا الرضا به، فإنْ لم نَرْضَ بِهِ كَان ذَلِك مِن إيثار حَمِيَّةِ الجَاهِلِيَّة عَلَى مَا شرعه الله لنا».(١)

وإيَّاك أَيْضًا مِن التسرُّع والعُقُوبَة وعدمِ قَبُولِ عُذْر مَن اعتَذَرَ إِلَيْكَ بِسَبَب شُعُورِك بالغَيرةِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِن العَجَلَة الَّتِي فِي الغالبِ تُبْعدُ صاحبَها عن كلِّ خيرٍ، وتُوقِعُه فِي الشرِّ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّمَا الممدوحُ اقترانُ الغَيْرَة بالعُذْر فيَغَارُ فِي مَحِلِّ الغَيْرَة ويَعْذِرُ فِي مَوضِعِ العُذْر، ومَن كَان هكذا فَهُوَ المَمْدوحُ حَقًّا».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإيَّاكُم لكلِّ خيرٍ، ومِن ذَلِك التَّحَلِّي بالغَيْرَة المحمودةِ، وغَيْرِها مِن الأَخْلَاق

---

(١) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٧/ ٢٨٧).

(٢) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٤).

الفاضِلَة والصِّفَاتِ الكَرِيمةِ الَّتِي تَجْلبُ الفَرَحَ والسُّرُورَ، وأنْ يُجَنِّبَنا كلَّ مَا يُبعدنا عَنْه سُبْحَانَه، ومِن ذَلِك الاتصافُ بِكُلِّ ما هُوَ مِن الشرورِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والكَرِيمُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تحذير الفضلاء من خلق الجفاء

تَحْذيرُ الفُضَلاءِ مِن خُلُقِ الجَفَاءِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ تحلِّي المُسْلِم بالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ، كالرِّفْقِ واللِّينِ لَهُوَ مِن أَفْضلِ الوَسَائِلِ الَّتِي تُعينُه بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ عَلَى التأثيرِ وكَسْبِ مَودَّةِ الآخرين، كمَا أنَّ اتِّصَافَه أَيُّها الأَفَاضِلُ بالأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، كالغَضَبِ والغِلظة، مِن أكثرِ الأَسْبَابِ الَّتِي لَا تَجْعلُه محبوبًا بَيْن إِخْوَانِه وأصحابِه وغَيْرِهم مِنَ المُسْلِمِينَ، يَقُول أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: بِرَحمة اللهِ لَكَ ولِأصحابِك، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ أنْ أَلَنْتَ لهُم جانِبَك، وخَفَضْتَ لهم جَنَاحَك، وتَرَقَّقْتَ عَلَيْهم، وحَسَّنْتَ لهم خُلُقَك، فاجتمَعُوا عَلَيْكَ وأحبُّوك، وامْتَثَلُوا أَمْرَك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أيْ: سيِّء الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسِيَه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرُهم ويُبَغِّضُهم لِمَن قامَ بِهِ هَذَا الخُلُق السيِّء.

فالأَخْلَاقُ الحَسَنَةُ مِن الرئيس فِي الدِّين، تَجْذِب النَّاسَ إِلَى دِين اللهِ وتُرَغِّبُهم فيه، مَع مَا لِصَاحبِه مِن المَدْح والثَّوَاب الخاصِّ، والأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِن الرئيسِ فِي الدِّين تُنَفِّرُ النَّاسَ عن الدِّينِ وتُبَغِّضُهم إِلَيْه، مَع مَا لِصاحبِها مِن الذَّم والعِقَاب الخاصِّ، فَهَذَا الرَسُولُ المعصومُ يَقُول اللهُ لَهُ مَا يقول، فكَيْفَ بِغَيْرِه؟!

أَلَيْسَ مِن أَوْجَبِ الواجباتِ، وأهمِّ المُهِمَّات، الِاقْتِداءُ بأَخْلَاقه الكَرِيمة، ومعَامَلَةُ النَّاس بمَا يُعَامِلُهم بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِن اللِّينِ وحُسْنِ الخُلُقِ والتأليفِ؛ امتِثَالًا لَأَمْرِ اللهِ، وجَذْبًا لِعَباد اللهِ لِدِين اللهِ؟»(١)

وإِنَّ مِن أكثرِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمةِ والأَخْلَاقِ القَبِيحَةِ تَأْثيرًا عَلَى أَوَاصِرِ المَحَبَّةِ بَيْن المُسْلِم وإِخْوَانه، والتي تُحدِثُ بَيْنه وبَيْنهم النُّفرةَ والشِّقَاقَ أَيُّها الأَحِبَّة الفُضَلَاءُ صفةُ الجَفَاءِ، يَقُول الإِمَام العَيْنِي

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجَفَاءُ، وهو الغِلْظُ فِي الطَّبْعِ لِقِلَّة مُخالَطَةِ النَّاس».(١)

لِذَا فإنَّ هَذَا الطَّبْعَ المُشِينَ لَيْسَ أَبَدًا مِن صِفَات الصَّالِحِين، وَلَا هُوَ مِن هَدْيِ المُتَّقِينَ؛ لِأَنَّهم يَعْلمون أنَّ آثارَه ذَمِيمَةٌ، وعَواقِبُه وَخِيمَةٌ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**الْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النّارِ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««الْبَذَاءُ»، بِفَتْح الباءِ، خِلَافُ الحَيَاءِ، النَّاشئُ مِنْهُ الفُحْشُ فِي القولِ والسوءُ فِي الخُلُقِ، «مِنَ الْجَفَاءِ» وهو خِلاف البِرِّ الصادرِ مِنْهُ الوفاءُ، «وَالْجَفَاءُ» أيْ أهلُه التارِكون للوفاءِ الثَّابِتُون عَلَى غَلَاظَة الطَّبع وقَسَاوَةِ القَلْبِ «فِي النَّارِ» إمَّا مُدَّةً أَو أبدًا؛ لأَنَّهُ فِي مقابِل الإيمَانِ الكاملِ أَو مُطْلَقِه، فصَاحِبُه إمَّا مِن أهلِ الكُفرانِ أَو الكُفْرِ».(٣)

فالمُؤمنُ أَيُّها الكِرَام هو الَّذِي يَحْرص دَائِمًا عَلَى اجتنابِه ويَجتهدُ عَلَى التَّخلُّصِ مِنْهُ لَو شَعَر أَنَّهُ قَد تأثَّرَ بِهِ، يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقلُ يَتفقَّدُ تَرْكَ الجَفْوَةِ مع الإخْوَانِ ويُراعِي مَحْوَها إنْ

---

(١) عُمْدَةُ القَارِي (٢٣/ ٩٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٠٩) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ٢٧٤).

بَدَت مِنه، وَلَا يَجِب أنْ يَسْتضعِفَ الجَفْوَةَ اليَسِيرةَ؛ لِأَنَّ مَن استصغرَ الصغيرَ يُوشكُ أنْ يَجْمَعَ إِلَيْه صغيرًا، فإِذَا الصغيرُ كَبِيرٌ، بَلْ يَبْلغُ مَجهودَه فِي مَحوِها؛ لأَنَّهُ لَا خيرَ فِي الصِّدق إِلَّا مع الوفاءِ، كما لَا خيرَ فِي الفِقْهِ إِلَّا مع الوَرَعِ».(١)

بل يَبْتعد كَذَلِك أَشَدَّ البُعد عمَّن ابْتُلِي بِهَذَا الوباءِ؛ لأَنَّهُ يَعْلم أنَّ الصُّحبةَ مؤثِّرةٌ فِي إصلاحِ أَو إفسادِ الحال، يَقُول الإِمَام سُفْيَان الثَّوْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إيَّاك ومُجالَسَةَ أهلِ الجَفَاءِ».(٢)

إنَّ مِمَّا عَلَيْنَا أنْ نَعْلمه أَيُّها الأَحِبَّة الفُضَلاءُ أنَّ مِن أهمِّ أَسْبَابِ انْتِشَارِ داءِ الجفاءِ بَيْن بَعْضِ المُسْلِمِينَ قِلَّةَ العِلم وذهابُ العُلَمَاءِ الَّذِينَ هُم مَنَاراتٌ للهُدَى فِي الظَّلْماءِ، وسدٌّ مَنِيعٌ أَمَامَ كُلِّ البِدَعِ والأَهْواءِ، يَقُول الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا قَلَّت الآثارُ فِي قَوْم إِلَّا كَثُرَت فيهم الأهواءُ، وإِذَا قلَّت العُلَمَاء ظَهَرَ فِي النَّاسِ الجفاءُ».(٣)

وَلِذَا نرى أنَّ أكثرَ مَن ابتُلِي بِهِ مِن الأَنَامِ أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام همُ

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٨٩).

(٢) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ (٧/ ٤٧).

(٣) الفَقِيهُ والمُتَفَقِّهُ (١/ ٣٨٣).

سُكَّان البوادي؛ وذَلِك بِسَبَب بُعْدِهم عَن أهلِ العِلم وقلّة مُخالطَتِهم لِلنَّاسِ، يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أي الجفاء الغالِبُ عَلَى سُكَّان البَوَادي لِبُعْدِهم عن أهْلِ العِلم، وقلّة اختلاطِهم بالنَّاسِ، فصَارَت طِبَاعُهم كَطِباعِ الوُحُوشِ».(١)

وَهَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ نبيُّنا الكَرِيمُ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**الْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأَظْهَرُ أنَّ المُرادَ بِهِ هَهُنا أيْ بالجفاءِ غِلَظ الأَلْسِنَة بِقَرينَةِ قولِه: «وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ» بيان للفدادين، ويُرادُ بأهلِ الوَبَرِ الأَعْرابُ أَو سكَّان الصحارى، وإنَّمَا ذَمَّهم لِبُعدِهم عنِ المُدُن والقُرى المُوجِب لِقِلَّة العِلم الحاصِل بِهِ حُسْنُ الأَخْلَاق وسائرُ علوم الشريعةِ».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رُعاةُ الإبلِ أكثرُ ما يَكُون

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٧/ ٢٥٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٣٣٠٧).

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (١١/ ٤٠٢).

فيهم الجفاءُ والغلظةُ؛ لِأَنَّ الإبل كَذَلِك غليظةٌ قويةٌ جبارةٌ».(١)

فعَلَى المُسْلِم أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مُخَالَطَة النَّاس والسُّكْنَى مَعَهم ليُفيدَ ويَسْتفيدَ مِن ذَلِك، ولْيَحْذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن الأَسْبَاب الَّتِي تُؤدِّي بِهِ إِلَى الابْتَلاءِ بِهَذَا الدَّاءِ؛ ومِن ذَلِك سُكْنَى البادية والبُعْدُ عن النَّاس، فعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ بَدَا جَفَا**».(٢)

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ««بدا»، بِالدَّالِ المُهْمَلة: خَرَج إِلَى البَادِية: أَيْ مَنْ سَكَنَ البادِيَةَ غَلَظَ طَبْعُه لِقِلَّة مُخَالَطَة النَّاس، والجَفاء: غِلَظُ الطَّبْعِ».(٣)

ولْيَحْرِصْ كَذَلِك أَشَدَّ الحِرْص عَلَى الأَسْبَاب الَّتِي تُعِينُه عَلَى تَرْقِيقِ قَلْبه وتَحْسينِ طَبْعِه، ومِن أهمِّها أَنْ يَجْتهدَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُقرِّبُه مِن ربِّه سُبْحَانَه؛ كقِرَاءةِ القرآنِ والأذكارِ والتَّفقُّهِ فِي الدِّينِ،

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٨٣).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٤/ ٢٩٧) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صَحِيح الجَامِع (٦١٢٣).

(٣) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (١/ ٢٨١).

وغيرِها مِمَّا يُحبُ ربُّ العَالَمِينَ، وعَلَيْه أَيْضًا أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الإحْسَانِ ومَدِّ يدِ العَوْن إِلَى الآخرين، خاصةً المُسْتَضْعَفِين مِن الفُقَرَاءِ والمساكينِ، ويَسْتحضِرَ أنَّ لِحُسْنِ الخُلُقِ تأثيرًا كَبِيرًا عَلَى إِيمَانِ العَبْدِ بأرحمِ الرَّاحِمِينَ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي أنْ يَكُون هَذَا الحديثُ دَائِمًا نُصْبَ عَيْنِ المؤمنِ؛ لِأَنَّ الإنْسَان إِذَا عَلِم بأَنَّهُ لن يَكُون كاملَ الإيمَانِ إلا إِذَا أَحْسَنَ خُلُقَه، كَان ذَلِك دافعًا لَهُ عَلَى التخلُّقِ بمَكَارِم الأَخْلَاقِ ومَعَالي الصِّفَاتِ، وتَرْكِ سَفَاسِفِها ورَدِيئِها».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإِيَّاكُم لكلِّ مَا يُقرِّبُنا إِلَيْه، ومِن ذَلِك التَّحلِّي بالأَخْلَاقِ الفاضلةِ، كالرِّفْقِ واللِّينِ، وأنْ يُجَنِّبَنا كلَّ مَا يُبعِدُنا عَنْه سُبْحَانَه، ومِن ذَلِك الجفاءُ وكلُّ خُلُقٍ مُشينٍ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٦٨٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ للشَّيْخ ابْنِ عُثَيْمِينٍ (ص١٠).

رسالة إلى الطاعنين في الأنساب!

رِسالةٌ إِلَى الطَّاعِنين فِي الأَنْسَاب!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ الطَّعْنَ فِي الأَنْسَاب أَيُّها الأَحْبَابُ مِن الصُّوَرِ السَّلْبيةِ ومَظَاهرِ الجَاهِلِيَّة الَّتِي نَرَاها قَد انْتَشَرَت اليَوْم فِي الكَثِير مِن مُجْتَمعاتنا الإِسْلَامِيَّة، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّعْن فِي النَّسَبِ مَعْنَاه التَّعْيِير بالنَّسَبِ أَو أَنْ يَنْفِيَ نَسَبَه؛ فمَثَلًا يَقُول فِي التَّعْيِير: أنتَ مِن القبيلةِ الفلانيَّةِ الَّتِي لَا تَدْفعُ العدوَّ وَلَا تَحْمي الفَقِيرَ.

ويَذْكرُ فِيهَا مَعَايِبَ، أَو مثلًا يقول: أنت تَدَّعِي أَنَّك مِن آل فلانٍ ولستَ منهم، أنت مَا فِيكَ خيرُ هَؤُلَاءِ القبيلة، ولَوْ كُنتَ مِنْهُم لكَان فِيكَ خيرٌ، أَو مَا أشبه ذَلِك».[1]

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٤).

وظُهُورُ هَذَا الفعلِ الذَّمِيمِ والخُلُقِ المُشِينِ بَيْن المُسْلِمِينَ هُوَ مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَنا بِهِ خَيْرُ المُرْسَلِين، فعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ.**»(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرْبَعٌ» أيْ خِصَالٌ أربعٌ كائنة «فِي أُمَّتِي مِن أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ» أيْ مِن أَفْعَال أهلها، «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» حَالَانِ مِن الضَّمِيرِ المُتحوِّل إِلَى الجار والمجرور ذَكَرَه الطَّيِّبِي «الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ» أي الشَّرَفُ بالآباء والتعاظُمُ بمَنَاقِبِهم، «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ» أي الوقوعُ فِيهَا بنحو قَدْحٍ أَو ذمٍّ، «وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ» أي اعتقادُ أنَّ نُزُولَ المطر بنجمِ كذا، «وَالنِّيَاحَةُ» أيْ رَفْع الصَّوت بِنَدْبِ الميتِ وتَعْدِيد شمائِله؛ فالأَرْبعُ مُحَرَّمَاتٌ ومع ذَلِك لَا تَتْرُكُها هَذِهِ الأمةُ، أي أكثرُهم، مع العِلم بتَحرِيمِها».(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» المراد:

---

(١) رَوَاه مسلم (٩٣٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٣٧).

لَا يَتركون كلَّ واحدٍ مِنْهَا باعتبارِ المجموعِ بالمجموعِ، بأنْ يَكُون كلُّ واحدٍ مِنْهَا عند جماعةٍ، والثاني عِنْدَ آخَرين، والثالثُ عِنْدَ آخَرين، والرابع عِنْدَ آخَرين، وقد تَجْتمع هَذِهِ الأقسامُ فِي قبيلةٍ، وقد تَخْلو بَعْضُ القبائل مِنْهَا جَمِيعًا، إنَّمَا الأُمَّة كمَجْموعٍ لَا بدَّ أنْ يوجَد فِيهَا شَيْء من ذَلِك؛ لِأَنَّ هَذَا خَبَر مِن الصادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمُراد بِهَذَا الخبر التنفيرُ؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يُخْبر بأشياءَ تَقَع، وليس غَرَضُه أنْ يُؤخَذُ بها».(١)

فيا أَيُّها الطاعنُ فِي نَسَبِ أخيك المُسْلِم، أَلَّا تَعْلم أنَّك بِهَذَا تتصف بشيء من أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة الرديَّة الَّتِي حَذَّرَنا مِنْهَا خيرُ البريةِ؟! فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَان بَيْنِي وبَيْن رَجُل مِن إِخْوَاني كَلَامٌ، وكَانت أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فشكَاني إِلَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**».(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي هَذَا التَّعْيِيرُ مِن أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة، فَفِيكَ خُلُقٌ مِن أَخْلَاقهم، ويَنْبَغِي للمُسْلم أَلَّا يَكُون فِيهِ

---

(١) القَوْلُ المُفيدُ عَلَى كِتَاب التَّوْحِيد (٢/ ٢٣).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٣٠) ومسلم (١٦٦١) واللفظ له.

شَيْء مِن أَخْلَاقهم، ففِيهِ النَّهْي عن التَّعْيِير وتَنْقيصِ الآباءِ والأمهاتِ، وأَنَّهُ مِن أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة».(١)

يَقُول الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَظهرُ لي أنَّ ذَلِك كَان مِن أبي ذَرٍّ قَبْلَ أنْ يَعْرِف تَحريمَه، فكَانت تِلْكَ الخَصْلةُ مِن خِصال الجَاهِلِيَّة باقيةً عنده».(٢)

يا أَيُّها الطاعنُ فِي نَسَبِ أخيك المُسْلِم، أَلَّا تَعْلم أنَّك بِهَذَا تَتَحلَّى بوصفٍ لَيْسَ مِن سِمات الأفاضلِ الأَخْيَار، بَلْ هُوَ مِن أَخْلَاق الكفارِ الأشرار؟! فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».(٣)

يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِي المرادِ بالكفر وَجْهان؛ أحدهما: أنْ يَكُون كُفْرُ النِّعمة، فإنَّ مَن طَعَن فِي نَسَبِ غيرِه فقدْ

---

(١) الشَّرْح النووي عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١١/ ١٣٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٨٧).

(٣) رَوَاه مسلم (٦٧).

كَفَر بنِعمة الله عَلَيْه بسلامته من ذَلِك الطعن، ومَن ناح عَلَى مِيت فقدْ كَفَرَ نِعمةَ الله عَلَيْه إذ لم يكن هُوَ الميت. والثاني: أنْ يَكُون المعنى: أنَّهمَا مِن أَفْعَال الكفارِ لَا مِن خلال المُسْلِمِينَ».(١)

ويَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِيهِ أقوالٌ؛ أَصَحُّها: أنَّ معناه همَا مِن أَعْمَال الكُفَّارِ وأَخْلَاق الجَاهِلِيَّة. والثاني: أَنَّهُ يؤدِّي إِلَى الكُفر. والثالث: أَنَّهُ كُفْرُ النِّعمةِ والإحسانِ. والرابع: أن ذَلِك فِي المستَحِلِّ، وفى هَذَا الحديثِ تَغليظُ تَحْرِيمِ الطَّعنِ فِي النَّسَب والنِّيَاحةِ، وقد جاء فِي كلِّ واحدٍ منهمَا نصوصٌ مَعْرُوفةٌ، والله أعلم».(٢)

أَلَا تَعْلم كذَلِك أنَّك بِصنيعِك هَذَا تَقعُ فِي فعلٍ ذَميمٍ قَد حَذَّرَنا مِنْهُ رَسُولُ العَزِيزِ القديرِ أَشَدَّ التَّحْذِير؛ أَلَا وهو احْتقارُ الآخَرين؟! فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**».(٣)

---

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٣/ ٥٥٦).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ٥٧).

(٣) رَوَاه مسلم (٢٥٦٤).

يَقُول الإِمَام ابنُ دَقِيقِ العِيدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ تَحْذِيرٌ عظيمٌ مِن ذَلِك؛ لِأَنَّ الله تعالى لم يَخْقِره إذْ خَلَقَه ورَزقَه، ثُمَّ أَحْسنَ تَقويمِ خَلْقِه، وسَخَّر مَا فِي السموات ومَا فِي الأرض جَمِيعًا لأجْلِه، وإن كَان لَهُ ولِغَيْره فلَهُ مِن ذَلِك حِصَّة، ثُمَّ إن الله سُبْحَانَه سمَّاه مُسلمًا ومؤمنًا وعبدًا، وبَلَغَ مِن أَمْره إِلَى أنْ جَعَلَ الرَسُولَ مِنْهُ إِلَيْه مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَن حَقَر مُسلمًا مِن المُسْلِمِينَ، فقدْ حَقَرَ مَا عظَّم اللهُ عز وجل، وكافِيهِ ذَلِك؛ فإنَّ مِن احتقارِ المُسْلِم للمسلم أَلَّا يُسَلِّمَ عَلَيْه إِذَا مرَّ، وَلَا يردَّ عَلَيْه السَّلَام إِذَا بدأ به، ومِنْهَا أنْ يَرَاه دُونَ أنْ يُدْخِلَه اللهُ الجنةَ أَو يُبْعِدَه مِن النارِ».(١)

أَنَسِيتَ أَيْضًا أَيُّها الطاعن فِي الأَنْسَاب أنَّ الميزانَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي يُوزَن بِهِ الأَنَامُ عندَ العَزِيزِ العلَّامِ هُوَ تَقْوى الغفورِ الرَّحْمَن؟! حَيْثُ يَقُول الكَرِيم المَنَّان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١) شَرْحُ الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة لِابْنِ دَقِيقٍ (ص٩٢).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبر تعالى أَنَّهُ خَلَقَ بَنِي آدمَ، مِن أصلٍ واحدٍ، وجِنس واحدٍ، وكلُّهم مِن ذَكرٍ وأنثى، ويَرْجعون جَمِيعُهم إِلَى آدمَ وحواءَ، ولكنَّ الله تعالى بَثَّ منهمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونساءً، وفَرَّقهم وجَعَلهم ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: قبائِلَ صِغارًا وكِبارًا؛ وذَلِك لأَجْل أنْ يَتعارفوا، فإنَّهم لَو استقلَّ كُلُّ واحدٍ مِنْهُم بنَفْسه، لم يَحْصل بذَلِك التعارُفُ الَّذِي يَترتَّبُ عَلَيْه التناصُر والتعاوُن، والتوارُث، والقيامُ بحقوقِ الأقاربِ، ولكنَّ الله جَعَلهم شعوبًا وقبائلَ لأَجْل أنْ تَحْصل هَذِهِ الأمورُ وغيرها، مِمَّا يَتوقَّفُ عَلَى التعارُف، ولُحُوقُ الأَنْسَاب، ولكنَّ الكَرَم بالتَّقْوَى، فأكرَمُهم عند الله أَتْقَاهُم، وهو أكثرُهم طَاعَةُ وانكفافًا عن المَعَاصِي، لَا أكثرُهم قرابةً وقومًا، وَلَا أشرفُهم نسبًا، ولكنَّ الله تعالى ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، يَعْلم مَن يَقُوم مِنْهُم بتقوى الله ظاهرًا وباطنًا، ممَّن يَقُوم بذَلِك ظاهرًا لَا باطنًا، فيُجازِي كلًّا بمَا يستحقُّ».(١)

فبادِرْ أَيُّها المسيء بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى الغفورِ العلَّامِ قَبْل فَوَات

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٨٠٢).

الأَوَانِ، واترْك عَنْك الطَّعْن فِي أنسابِ الأَنَامِ، الَّذِي مَا جَلَبَ عَلَى المُسْلِمِينَ كمَا نَرَى ونُشاهِد اليَوْم إِلَّا التفرُّق والتشتُّت والانقسام الَّذِي استغله أعداءُ الإِسْلَام، واحرصْ أنْ تَكُون عونًا عَلَى أنْ تَسُودَ بَيْن المُسْلِمِينَ المَحَبَّةُ والإخاءُ، لَا سببًا فِي نَشْر العداوةِ والبغضاءِ، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانه أنْ يَكُون هِينًا ليِّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجِب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، وَلِهَذَا نَهَى النّبيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجِب العداوة والبغضاء».(١)

وعَلَى كلِّ مَن أرادَ النجاحَ والفلاحَ بإذْن ربِّ البَرِية فِي الدُّنْيا الفانيةِ والآخرةِ الباقيةِ أنْ يَعْمل بِهَذِهِ الوَصِيَّة النبويَّةِ، فعَن سَهْلِ بْن سَعْدٍ السَّاعِدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن يَضْمَنْ لي مَا بَيْن لَحْيَيْهِ ومَا بَيْن رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**».(٢)

يَقُول ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دَلَّ الحديثُ أنَّ أعظَمَ البلاءِ عَلَى العَبْد

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٥٤٤).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦١٠٩).

فِي الدُّنْيا اللسانُ والفَرْجُ، فمَنْ وُقِيَ شرَّهمَا فقدْ وُقِيَ أعظمَ الشرِّ».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَحفظ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ مِنْ كَيْد الفُجَّارِ ومَكْر الأشرارِ، وأنْ يَنْشرَ بَيْنهم المَحَبَّةَ والإخاءَ ويُبْعد عَنْهم العداوةَ والبغضاءَ، وأنْ يَجْمع كَلِمَتَهم عَلَى الحقِّ، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جَدِيرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١٨٦).

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأبيات الشعرية.

٥- المصادر المعتمدة.

٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

فِهْرِسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	١٦٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٨٨	١٥٦
﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٢٣٩ ٣٠٥
﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٣٧	٢٧٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا	٢٦٤	١٣٥

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾		
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٨٠	٣٠٧

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يا أَيُّها النَّاس اتقوا الله حق تقاته﴾	١٠٢	٥
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	١٠٣	٢٦١
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	١٦
﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	١٢٠	٢٨٦
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	٢٩٤

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	٢٢٠ ٣٢٧
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	١٨٥	١٥٦

سورة النِّسَاء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يا أَيُّها النَّاس اتقوا ربكم﴾	١	٥

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٢٣٣
﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾	٤٢	١٥٩
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾	٥١	٢٥٣
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾	١٠٠	١٢٣

سورة التَّوْبَة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصَّلَاة وآتى الزكاة ولم يخش إِلَّا الله﴾	١٨	٢٠٥

سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾	٦١	١٨٣

سورة يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾	٥٣	١٦

سورة إبراهِيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾	٧	٢٦٣

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	٥٣	١٦٩

سورة النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾	٦٢	١٨٣

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	١٦٩

سورة الروم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس لِيُذِيقَهُمْ بَعْض الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٤١	٤٨

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	٢٧٦

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يأيها الَّذِينَ آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا...﴾	٧٠-٧١	٥

﴿لقَدْ كَان لَكُمْ فِي رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَان يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرا﴾	٢١	٣٣

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	١٨٠

سورة فصلت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إِلَى الله وعمل صالحا وقَال إنني من المُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٦٩
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	٣٤	١٧٣

سورة الشورى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٣٢٠
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾	٣٠	٤٧
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُو نَ ﴾	٣٨	٢٩٥
﴿فمن عفا وأصلح فأجره عَلَى الله﴾	٤٠	١١٤

سورة الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّها النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	١٣	٣٤٢

سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ومَا خلقت الجن والإنس إِلَّا ليعبدون﴾	٥٦	٥٠

سورة المطففين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَفِي ذَلِك فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾	٢٦	٢٢

سورة الطارق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	٩	١٥

سورة العلق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَنْ رَءاه اسْتَغْنَى﴾	٦-٧	١٠٣

فهرس
الأحاديث النبوية

فِهْرِسُ الأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ	١٣٩ ١٧٠
اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٤٠
اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ	أَبُو بَرْزَةَ	٢٤٣
انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٠٥
أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٠٦
أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ	أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ	٣٣٨
أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨١
أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً	النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ	١٣
أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ	ابْنُ عُمَرَ	٦٢ ٧٩ ١٦٢ ٢٣٢ ٢٥٤

أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٣٣
أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ	أَبُو ذَرٍّ	٩٩
أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٠٨
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٥
أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	١٩٤
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ	أَنَسٌ	٢٠٩
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٨٨
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٥١
إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٩٣
إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا	رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ	٤٥
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ	جَابِرٌ	٢٣٢

إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ	عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ	٧٦
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا	أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ	١٧١
إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا	عَيَّاضُ بْنُ حِمَارٍ	٩٧
إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٢٠
إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ	عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ الْعَبْدِيُّ	٢٢٨
إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ	أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ	٢١٦
إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ	ابْنُ عَبَّاسٍ	١٤٤
الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٠
إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ	أَنَسٌ	٢٠٧
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٤١
الْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٢٩
بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا	أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ	٢١٧
بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ	١٩٥
بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٥

التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ	أَنَسٌ	٢١٠
تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	أَبُو ذَرٍّ	٣٤
تَهَادُوا تَحَابُّوا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٦٥
تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣١
ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	أَبُو ذَرٍّ	١٣٧
الْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ	أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ	٣٣١
حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ	٣٠٩
خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٤٦
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ	عَائِشَةُ	٢٢١
الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ	النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ	١٧٩
رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٠٤
الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٢١
فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ	عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيُّ	٢٣
قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا	أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ	١٠٢
لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مَنْ قَبْلِكُمْ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٢٤٩

لَعْنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو	١٥٧
لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٥٦
لَعَنَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ	عَائِشَةُ	٦٤
لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ	أَنَسٌ	١٣٣
لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٤
اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ	١٤
اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا	أَنَسٌ	١٠٣
لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٥٣
لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	١٧٥
لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا	أَبُو ذَرٍّ	٣٦
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ	جَابِرٌ	٩٠-١٥٩
كَانَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ	جَابِرٌ	٧٤
كَانَ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ سَلَّمَ	جَابِرٌ	٧٢
الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٧٢

كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ	٧٧
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا	عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيُّ	٣٣
مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٩٨
مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	أَبُو هُرَيْرَةَ	١١٥
مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً	مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ	٩١
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	١٨٧
الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ	جَابِرٌ	٢٦٧
مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ	أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ	٢٥٥
الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٠٠
مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ	مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ	٤٢
مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيُجْزِ بِهِ	جَابِرٌ	٢٧٨
مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣١١
مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ	بُرَيْدَةُ بْنُ الحُصَيْبِ	٣١٠

مَنْ بَدَا جَفَا	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	٣٣٢
مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٥٢
مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُوم مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ	جَابِرٌ	١٩٩
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٦٢
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	أَبُو قَتَادَةَ	٣١٢
مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٧٣
مَنْ صُنِعَ إِلَيْه مَعْرُوفٌ فقَالَ لِفَاعِلِهِ	أُسَامَةُ بْنِ زَيْدٍ	٢٧٥
مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٨٧
مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ	جَابِرُ بْنُ عَتِيكٍ	٣٢١
مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٢
مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٢٠٠
مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٧١
مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ	سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ	٣٤٤
الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ	أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ	١٩٩
وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٣
هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ	سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	١٠٠

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	أَبُو ذَرٍّ	٣٣٩
يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا	عَلِيٌّ	١٩٦
يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٦

فهرس الآثار

فِهْرِسُ الآثَارُ

الأثر	القائل	الصفحة
إِذَا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت	بِشْر بْن الحَارِثِ الحافِي	٥٠
إِذَا دخلَت الرِّشوة مِن الباب خرجت	الحَسَن البَصْرِي	١٥٥
إنَّ حَقًّا عَلَى مَن طَلَبَ العِلم أن يَكُون لَهُ	الإِمَام مَالِك	١٤٨
إنَّ الله تبارك وتعالى لم يَأْمُر نَبِيَّه بالمَشورة	الحَسَن البَصْرِي	٢٩٤
إيَّاك ومجالسةَ أهل الجفاء	سُفْيَان الثَّوْرِي	٣٣٠
الذي يفوق النَّاس فِي العلم جدير	الحَسَن البَصْرِي	١١٧
السُّحت الرِّشوة	عَبْد الله بن مَسْعُودٍ	١٥٩
شاور فِي أَمْرك الَّذِينَ يخافون الله	عمر بن الخطاب	٢٩٧
الشَّمَاتَة لُؤْمٌ	أَكثَم بن صَيفِي	٢٨٤
لَيْسَ مِن الكرم أن يَشمت الرَّجُل بصاحبه	أَكثَم بن صَيفِي	٢٨٤

لا ينبل الرَّجُل بنوعٍ من العلم	عَبْد الله بن المُبَارَك	٣٧
كَان ابن عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ	نافع	١٠١
كَان أهل الخير إِذَا التقوا يوصي بعضهم	أبو عون الكوفي	١٤
كَانوا يتعلمون الهَدْي كمَا يتعلمون العلم	مُحَمَّد بن سيرين	١٤٧
كَان يجتمع فِي مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف	إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد البَغْدَادِي	١٤٨
كنت جالسًا عند عمر إذ جاءه	أبو محذورة	١٠٠
مَا قلَّت الآثار فِي قوم إِلَّا كثرت فيهم الأهواء	الإِمَام مَالِك	٣٣٠
واللهِ مَا استشار قومٌ قَطُ إِلَّا هُدُوا	الحَسَن البَصْرِي	٢٩٦
هكذا حَفِظْنا وهكذا	الإِمَامُ مَالِك	٧

فهرس الأبيات الشعرية

فِهْرِسُ الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
ومَا مِنْ كاتِبٍ إِلَّا سَتَبْقَى	أحد الشعراء	٢٣٥
وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَن يَدْعُو أُجِبْهُ	ابنُ القَيِّمِ	١٨٤

فهرس المصادر المعتمدة

فهرس المصادر المعتَمَدة

١- الاسْتِذْكَارُ لابن عبد البرِّ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- الاستقامة لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. جامعة مُحَمَّد بن سعود – الرياض.

٣- الإشاعة لأَشْرَاط السَّاعَةِ للبرزنجي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. عالم الكتب – بيروت.

٥- الآداب الشرعية والمِنَح المَرْعِية لابن مفلح الحنبلي / ط. عالم الكتب – بيروت.

٦- الأدب المفرد للبخاري تخريج الشَّيْخ الأَلْبَانِي / ط. دار الصديق للنشر والتوزيع.

٧- الأذكار للإمام النَّوَوِي / ط. دار ابن كَثِير – دمشق.

٨- أضواء البيان فِي إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي / ط. دار الفكر – بيروت.

٩- الأعلام للزركلي / ط. دار العلم للملايين – بيروت.

١٠- الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام / ط. دار المأمون للتراث – سوريا.

١١- إحياء علوم الدين للغزالي / ط. دار المعرفة – بيروت

١٢- الإصابة فِي تمييز الصَّحَابَة لابن حجر / دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣- إعلام الموقعين عن رب العَالَمِينَ لِابْنِ القيِّمِ /ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤- إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيْطَان لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

١٥- الأمر بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية

/ ط. وزارة الشؤون الإِسْلَامِيَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

١٦- بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط. دار الرشد – السعودية.

١٧- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ط. المكتب الإِسْلَامي – بيروت.

١٨- التبصرة لابْن الجَوْزِي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٩- التبيان فِي أقسام القرآن لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٢٠- التحرير والتنوير لمُحَمَّد الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور / ط. الدَّار التونسية للنشر – تونس.

٢١- تحفة الأحوذي للمُبَارَكفُورِي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكَاني / ط. دار القلم – بيروت.

٢٣- تحفة المودود بأحكام المولود لِابْنِ القيِّمِ / ط. مكتبة دار البيان – دمشق.

٢٤- الترغيب والترهِيب للمنذري / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥- التعريفات للجرجاني / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦- تفسير البَغَوِي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧- تفسير السَّعْدِي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٨- تفسير الطَّبَرِي / ط. دار الفكر – بيروت.

٢٩- تفسير القُرْطُبِي / ط. دار الشعب – القاهرة.

٣٠- تفسير ابن كَثِير / ط. دار الفكر – بيروت.

٣١- التوقيف عَلَى مهمات التعاريف للمناوي / ط. عالم الكتب – مصر.

٣٢- التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي / ط. مكتبة الإمَام الشافعي – السعودية.

٣٣- جامع الأصول فِي أحاديث الرَسُول لابْنِ الأَثِيرِ / ط. مكتبة دار البيان – سوريا.

٣٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٣٥- جامع الرسائل لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٣٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٧- الجامع لأَخْلَاق الراوي وآداب السامع للخطيب البَغْدَادِي / ط. مكتبة المعارف – السعودية.

٣٨- الجواب الكافِي لِابْنِ القيِّم / ط. دار المعرفة – بيروت.

٣٩- حلية الأَوْلِيَاء لأبي نعيم الأصفهاني / ط. دار الفكر – بيروت.

٤٠- حلية طالب العلم لبكر أبو زيد / ط. دار العاصمة – السعودية.

٤١- دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالِحِين لابن علان الشافعي / ط. دار المعرفة – بيروت.

٤٢- الذريعة إِلَى مكارم الشريعة للأصفهاني / ط. دار السَّلَام – القاهرة.

٤٣- الرسالة التبوكية لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٤٤- الروح لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٦- رَوْضَة العُقَلَاءِ ونزهة الفضلاء لابْنِ حِبَّانَ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧- رياض الصَّالِحِين للنووي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٨- زاد المعاد لِابْنِ القيِّمِ / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٩- الزواجر عن اقتراف الكَبَائِر لابن حجر الهَيْتَمِي / ط. دار

الفكر – بيروت.

٥٠- سبل السَّلَام المُوَصِّلة لبلوغ المرام للصنعاني / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٥١- السلسلة الصحيحة والضعيفة للشيخ الأَلْبَانِي / ط. دار المعارف – السعودية.

٥٢- سنن التِّرْمِذِي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٣- سنن أبي داود / ط. المكتبة العصرية – بيروت.

٥٤- سنن الدَّارمي / ط. دار المغني – السعودية.

٥٥- السنن الكبرى للنسائي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٦- سنن ابن ماجة /ط. دار إحياء الكتب العربية – بيروت.

٥٧- شأن الدعاء للخطابي / ط. دار الثقافة العربية.

٥٨- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن عثيمين / ط. دار الوطن – الرياض.

٥٩- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن دقيق / ط. مؤسسة الريان –

بيروت.

٦٠- شرح رياض الصَّالِحِين للشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن – الرياض.

٦١- شرح الزرقاني عَلَى موطأ الإمَام مَالِك / ط. مكتبة الثقافة –القاهرة.

٦٢- شرح السُّنَّة للبغوي / ط. المكتب الإسْلَامي – بيروت.

٦٣- شرح صحيح البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ / ط. دار الرشد – السعودية.

٦٤- الشَّرْح الممتع للشيخ ابن عثيمين / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٦٥- صحيح ابْنِ حِبَّانَ / ط. الرسالة – بيروت.

٦٦- صحيح البُخَارِي / ط. دار الأفكار – بيروت.

٦٧- صحيح الترغيب والترهِيب للألباني /ط. دار المعارف – السعودية.

٦٨- صحيح الجامع الصغير للألباني / ط. المكتب الإِسْلَامي – بيروت.

٦٩- صَحِيح مُسْلِم / ط. دار المغني – السعودية.

٧٠- صيد الخاطر لابْن الجَوْزِي / ط. دار القلم – سوريا.

٧١- طبقات الحنابلة لأبي يعَلَى / ط. دار المعرفة – بيروت.

٧٢- الطرق الحكمية فِي السياسة الشرعية لِابْنِ القيِّمِ / ط. عالم الفوائد – السعودية.

٧٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابْن القَيِّمِ – السعودية.

٧٤- عمدة القاري شرح صحيح البُخَارِي للعيني / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٦- فتاوى اللجنة الدَّائمة بالسعودية / ط. رئاسة إدارة البحوث

العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض

٧٧- فتاوى نور عَلَى الدرب لابْن بَاز / ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – السعودية.

٧٨- فتح الباري شرح صحيح البُخَارِي لابن حجر / ط. دار المعرفة – بيروت

٧٩- فتح الباري شرح صحيح البُخَارِي لابن رجب / ط. مكتبة الغرباء – السعودية.

٨٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكَاني / ط. دار ابن كَثِير – دمشق.

٨١- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط. دار المِنْهَاج – السعودية.

٨٢- الفروسية لِابْنِ القيِّم / ط. دار الأندلس – السعودية.

٨٣- الفقيه والمتفقه للخطيب البَغْدَادِي / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٨٤- الفوائد لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٥- فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرءُوف المُنَاوِي / ط. المكتبة التجارية – مصر.

٨٦- القول المفيد عَلَى كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٨٧- لسان العرب لابْن مَنْظُور / ط. دار صادر – بيروت.

٨٨- الكافية الشافية فِي الانتصار للفرقة الناجية (النونية) لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابن تيمية – مصر.

٨٩- الكَبَائِر للذهبي / ط. دار التراث – السعودية.

٩٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابْن الجَوْزِي / ط. دار الوطن – السعودية.

٩١- الكُنَى والأسماء للدولابي / ط. دار ابن حزم – بيروت.

٩٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. مكتبة ابن تيمية – مصر.

٩٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني /

ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.

٩٤- مدارج السالكين لِابْنِ القيِّم / ط. دار الكتاب العربي – بيروت.

٩٥- مدارك النظر فِي السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية للرمضاني / ط. دار الفرقان – الإمارات.

٩٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط. دار الفكر – بيروت.

٩٧- المستدرك عَلَى مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. باعتناء مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن قاسم.

٩٨- مسند الإمَام أحمد / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٩٩- مسند أبي يعَلَى الموصلي / ط. دار المأمون للتراث – دمشق.

١٠٠- مشارق الأنوار عَلَى صحاح الآثار للقاضي عياض / ط. مكتبة العتيقة.

١٠١- المصباح المنير فِي غريب الشَّرْح الكبير للفيومي / ط. المكتبة

العلمية – بيروت.

١٠٢- مصنف ابن أبي شيبة / ط. مكتبة الرشد – السعودية.

١٠٣- معجم الأوسط للطبراني / ط. دار الحرمين – القاهرة.

١٠٤- المغني لابن قدامة / ط. عالم الكتب – بيروت.

١٠٥- مفتاح دار السَّعَادَة لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٦- المفردات فِي غريب القرآن للراغب الأصبهاني / ط. دار القلم – سوريا.

١٠٧- المفهم لمَا أشكل من تلخيص كتاب مُسْلِم للقرطبي / ط. دار ابن كَثِير – سوريا.

١٠٨- مكارم الأَخْلَاق للشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن – السعودية.

١٠٩- المنتقى شرح الموطأ للباجي / ط. مطبعة السَّعَادَة – مصر.

١١٠- المِنْهَاج شرح صَحِيح مُسْلِم بن الحجاج للنووي / ط. دار

المعرفة – بيروت.

١١١- الموافقات للإمام الشاطبي / ط. دار المعرفة – بيروت.

١١٢- النبوات لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. أضواء السلف – السعودية.

١١٣- النهاية فِي غريب الحديث والأثر لابْنِ الأَثِيرِ / ط. المكتبة العلمية – بيروت.

١١٤- نيل الأوطار للشوكَاني / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلِّف ٥

اللهَ اللهَ فِي السرائر! ٩

عَلَى مَاذَا تُنَافِس؟! ١٩

مَا أجملَ التبسُّمَ عند لقاء أخيك المسلم! ٢٩

غلاء الأَسْعَار ... أَسْبَاب ... وعلاج ٣٩

ظاهرة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء والعَكْس! ٥٣

رِسَالة تَذْكيرٍ إِلَى خُطَباء المساجد ٦٧

داءُ الغِشِّ! ٨٣

تَذْكِير الأَغنِياء بفَوَائِد الجُلُوس مَع الفُقَرَاء ٩٥

تَذْكِيرُ الأَخْيَار أنَّ قَبول الاعتذارِ مِن شِيَمِ الكبار ١١١

أيُّ الأَنْفُس تُريد أنْ تُصاحِب؟! ١١٩

المنُّ بالصَّنِيعَة! ١٢٩

السَّمْتُ الصالح ١٤١
داءُ الرِّشوة! ١٥١
التَّذْكِير بمَا للكَلِمة الطَّيِّبة مِن فَضْلٍ كَبِيرٍ ١٦٥
التَّذْكِير بمَا للدُّعاء مِن فَضْل كَبِير ١٧٧
التَّذْكِير بمَا لِصَلاة الوِتْر مِن فَضْل كَبِير ١٩١
التَّحْذِير مِن مُسابقَة الإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ ٢٠٣
إيَّاكَ مِن التَّنفيرِ أَيُّها الدَّاعيةُ! ٢١٣
أَقْلَامُ اليَوْمِ! ٢٢٥
إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ٢٣٧
قَصَّات شَعْر بَعْضِ الشَّبَاب اليَومَ! ٢٤٧
نِعْمة الأُلْفَة بَين المسْلِمِينَ ٢٥٩
شُكر النَّاس ٢٦٩
رسالة إِلَى كلِّ مَن يَشمت فِي أخيه! ٢٨١
تَذْكيرُ المسْلِم بفَضْلِ المشُورَة! ٢٩١
التَّذْكِيرُ بمَا فِي الإِنْظَارِ أَو العَفْوِ عَنِ المعْسِرِ مِنْ أَجْرٍ كَبِيرٍ ٣٠٣

غَيرةُ المؤْمِنِ ٣١٥
تَحْذيرُ الفُضَلاءِ مِن خُلُقِ الجَفَاءِ ٣٢٥
رِسالةٌ إِلَى الطَّاعِنين فِي الأَنْسَاب! ٣٣٥
فِهْرِسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ ٣٤٩
فِهْرِسُ الأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ ٣٦١
فِهْرِسُ الآثَارُ ٣٧١
فِهْرِسُ الأبيات الشعرية ٣٧٥
فهرس المصادر المعتَمَدة ٣٧٩
فهرس الموضوعات ٣٩٥